تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار
في وقائع قزان وبلغار
وملوك التتار

اثر الفقير م. م. الرمزي

المجلد الاول

ОРЕНБУРГЪ
Типо-лит. Т-ва «Каримовъ, Хусаиновъ и К°»
1908.

تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار
في وقائع قزان وبلغار
وملوك التتار

اثر الفقير م. م. الرمزي

المجلد الاول

ОРЕНБУРГЪ
Типо-лит. Т-ва «Каримовъ, Хусаиновъ и К°»
1908.

فهرست الجلد الاول من تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار

مطالب	صحيفة	مطالب	صحيفة
المقدمة	١٤	الوقعة الثالثة	٨٥
نسب الترك	١٧	وهذه الوقايع التى ذكرناها الخ	٨٨
احوال قدماء الترك	٢٦	وقائع الاتراك مع الطبقة الرابعة الخ	٩١
اخلاقهم وعاداتهم	٣٤	وقائع فيروز مع الهياطلة	٩٤
احوالهم فى محارباتهم	٣٦	وقائع قباد وظهور مزدك اللعين	٩٨
ديانتهم	٣٨	وقائع الترك مع انو شروان	
معارفهم	٤٣	وبناء السد	١٠٢
حكماؤهم	٤٦	تعيين ملك الترك الذى	
محارباتهم مع الاقوام المتجاورة	٥٢	صاهره انوشروان	١٠٧
معاملاتهم مع الصينيين	٥٤	بومين قاغان المشهور بديزا بول	١١٠
تومن خان	٥٨	معاملاته مع كسرى وقيصر	١١٣
موتا خان	٥٩	ارسال قيصر سفيرا الى الخاقان	١١٦
الهون الشمالية	٦١	معاملة خلفه مع الفرس	١٢٣
الهون الجنوبية	٦٢	وقائع هرمز مع بهرام چوبين الخ	١٢٨
سيان پى وتتار جوجان وطولون خان	٦٣	السيتيا والسرماتيا	١٣٠
بومين قاغان وخلفه	٦٧	قال بعض الفضلاء	١٣٩
معاملاتهم مع الفرس القدماء	٦٨	وقال بعضهم فى وجه تسميتهم	١٤٤
الوقعة الاولى بين الترك والفرس	٧١	الهون الغربية	١٤٦
الوقعة الثانية	٧٢	الغوتية	١٤٨
الوقعة الثالثة	٧٣	الخاقان الكبير الشهير آتيلا	١٥٢
الوقعة الرابعة	٧٤	موت آتيلا والمحاكمة بين	
الوقعة الخامسة	٧٥	معاملة الترك والافرنج	١٥٤
الوقعة السادسة والسابعة	٧٧	الاوار واصلهم	١٥٩
الوقعة الثامنة	٧٩	الخزر ووجه تسميتهم به واصلهم	١٦٨
الوقعة التاسعة وقتل آفراسياب	٨٠	محاربة عساكر الاسلام معهم	١٧٠
سلطنة ارجاسب والوقعة الاولى	٨٣	تعداد احوالهم ووقايعهم مع اهل الاسلام	١٧٤

مطالب	صحيفة
النتيجة الحاصلة منها	١٧٦
مشاهيرهم بعد ظهور الاسلام	١٧٨
قول ابن داسة فى حقهم	١٧٩
قول ابى عبيد البكرى	١٨١
قول ابى عبدالله الغرناطى	١٨٢
قول المسعودى	١٨٣
قول الحموى وابن فضلان	١٨٦
قول ابى الفدا ووقائعهم مع الروس	١٩٠
مبدأ ظهور الروسية	١٩٢
البجاناكية او بوشنق	١٩٥
معاملات بجناك مع الروس	٢٠٢
القفجق	٢٠٤
معاملات قفجق مع الروس	٢٠٧
ذكر قوم بيربندى واستمداد الروس بقفجق على ماجار وانتصارهم	٢١٠
اتفاق حكام الروس على قفچق وانتصارهم ومصائب الحكام الشمالية منهم	٢١٥
معاملة القفجق وقت المحاربة بظهور التتار	٢٢٠
اقوال مورخى المسلمين فى قفجق	٢٢٢
الماجار	٢٢٦
احوال الباشقرد	٢٣٠

مطالب	صحيفة
اطلاق لفظ كانطون	٢٣٥
تحقيق ان الماجار والميشار واحد وميشار طنبووسراتاو هم الماجار	٢٣٧
احوال البرجان	٢٤١
البرجان فى اورسكى	٢٤٢
احوال البرطاس	٢٤٢
الالتباس الذى فى عبارة المرجانى	٢٤٤
الصقالبة	٢٤٧
قوم آر	٢٤٩
محاسن التتار والترك	٢٥١
عبرة لمن اعتبر	٢٥٤
قال عبدالرحمن خان	٢٥٥
اقوام طاغستان	٢٥٦
واما القزاق	٢٥٦
المقصد الاول فى احوال مدينة بلغار	٢٦٠
لغة اهل بلغار	٢٧٧
اهل بلغار اخلاط مركبة من الترك وچواش وچرمش وآر	٢٧٨
مدينة سقسين	٢٧٩
خطاء المؤرخين فى عدم تميزهم بلغار طونه من بلغار اتل	٢٨٣
ذكر اسلام بلغار	٢٨٦
ارسال المقتدر الرسول الى بلغار	٢٨٧

٢

مطالب	صحيفة	مطالب	صحيفة
وصول الرسول الى بلغار	٢٨٩	اغوز خان بن قرا خان اكبر	
وقت العشاء فى اوائل الصيف		خوانين الترك	٣٣٥
فى بلغار واختلاف الناس فيها	٢٩٥	شكل الهلال الرسمى	٣٣٩
حكم الصوم	٢٩٨	استطراد فى وجه تسمية التركمن	٣٤٠
امراء بلغار ومحارباتهم	٢٩٩	جنكز خان	٣٤٤
ورود التتار الى هذه الديار	٣٠٥	سبب خروجه	٣٤٦
آخر وقائع بلغار	٣١٠	الرد على المؤرخ ابى الفرج الملطى	٣٥٣
الآثار الباقية فى هذا اليوم فى بلغار	٣١١	وصية جنكز خان لاولاده	٣٥٧
زيارة المؤلف بلغار	٣١٢	تقسيم جنكز خان المملكة لاولاده	٣٥٨
موضع بلدة بلغار	٣١٣	جوجى خان بن جنكز خان	٣٦٢
علماء بلغار	٣١٥	باتوخان	٣٦٤
يعقوب بن نعمان قاضى بلغار	٣١٧	قال كار امرين	٣٦٧
انخرسيس الفيلسوف	٣١٧	مجىء التتار الى كيف	٣٧٣
الخواجه احمد البرغوى	٣٢٣	بناء بلدة سراى	٣٧٩
القاضى ابوالعلا حامد البلغارى	٣٢٤	شروع باتوخان فى تنظيم الملك	٣٧٩
الشيخ سليمان السقسينى	٣٢٤	ذهاب الكيناز الى القاآن	
ابو محمد بن علاء الدين البلغارى	٣٢٧	لاظهار العبودية	٣٨١
برهان الدين البلغارى	،،	جلوس كيوك بن اوكداى على	
محمد البلغارى	،،	تخت القاآنية	٣٨٠
باشقرد ناصر الدين	،،	دولة آل جوجى فى بريه البركة	٣٨١
الخواجه حسن بن عمر البلغارى	٣٢٨	ذهاب كيناز نووغورد لبيعة الخان	٣٨٤
احمد بن فضلان	٣٢٩	وقوع الخلف بين كيوك قاآن	
ابو عبدالله الغرناطى	٣٣٠	وبين باتوخان	٣٨٩
ابو حامد الاندلسى	،،	ان المسلمين والنصارى فى امر	
المقصد الثانى فى ظهور التتار		نشر الدين على طرف نقيض	٣٩٢
واستيلائهم بلغار	٣٣٣	سفر القسيسين لنشر الدين	٣٩٣

مطالب	صحفة
منهم الراهب اسقلين	٣٩٤
ومنهم كاربين	٣٩٤
ومنهم غليوم اوبرقيس	٣٩٥
ومنهم مرق بول	٣٩٥
ومنهم اندره لونيمل	٣٩٦
كذبهم فى حق الملك يوحنا	٣٩٩
بلدة أكك	٤٠٠
وفات باتوخان	٤٠١
صرتق خان	٤٠٢
ابوالمعالى ناصرالدين بركة خان	٤٠٤
ترجمة الشيخ سيف الدين الباخرزى	٤٠٨
الرسالة الناصرية	٤١٠
وصف بلدة سراى	٤١١
ذكر وقوع الخلاف بن السلطان بركة وبين هلا كو	٤١٤
ورود عساكر بركة خان الى الديار المصرية	٤٢٨
مكاتبة ومراسلة بركة خان والملك الظاهر	٤٣١
ملاقات رسل بركة خان مع رسل الظاهر فى قسطنطينية	٤٣٢
وصول رسل بركة خان الى الملك الظاهر	٤٣٤
ذكر احوال رسل الظاهر المتوجهين الى الملك بركة	٤٣٧
عود رسل الملك الظاهر وارسال بركة رسلا	٤٤٠

مطالب	صحفة
ارسال الملك الظاهر الى الملك بركة ثانيا	٤٤٢
ارسال الملك الظاهر الى الملك بركة ثالثا	٤٤٩
سائر احوال بركة	٤٥٠
هلاك هلاكو	٤٥٠
وفاة الملك بركة	٤٥٣
منكو تيمرخان	٤٥٥
قصد الملك منكوتيمر القسطنطينية	٤٥٨
وفاة الملك منكو تيمر	٤٦٧
تدان منكو خان ابن طغان	٤٧٢
تلابغا خان بن منكو تيمر	٤٧٥
سفر الكرل والوحشة بين نوغاى وتلابغا	”
طقطاى خان بن منكو تيمر	٤٨٠
الوحشة بين طقطاى ونوغاى	٤٨٣
الخلف بين اولاد نوغاى	٤٨٩
وفات الملك طقطاى	٥٠٠
الملك غياث الدين محمد اوزبك	٥٠٢
المراسلة بين اوزبك وملوك مصر	٥١٢
الخلف بين اوزبك وبين الملك ابى سعيد	٥٢٥
يرليغ اوزبك خان فى حق املاك الكنائس	٥٣٧
حادثة شفقال خان	٥٣٩
وفات اوزبك خان	٥٤٦

مطالب	صحفة
ابو المظفر جانی بك خان	٥٤٧
وفاة الملك جان بك	٥٥٥
محمد بردی بك خان	"
المیرزا مامای ومحاربته الروسیه	٥٦٠
واقعة کولیکوا الشهیرة	٥٦٢
محاربة توقتامیش خان مع تیمر ملك	٥٧٤
مسیر توقتامیش خان الی موسقوا	٥٧٧
مجیء واسیلی الثانی الی سرای	٥٨٠
وقوع الخلف بین تیمر لنك وتوقتامیش	٥٨٢
المراسلة بین توقتامیش وملوك مصر	٥٨٦
المناوشة بین توقتامیش وعسکر تیمر لنك	٥٨٧
المحاربة الثانیة بین توقتامیش وعسکر تیمر لنك	٥٨٩
توجه توقتامیش لحرب تیمر لنك	٥٩٢
توجه تیمر لنك لحرب توقتامیش	٥٩٧
ماجریات توقتامیش	٦١٠
الوقعة الخامسة بین توقتامیش وتیمر لنك	٦١٢
ذکر احوال توقتامیش خان	٦٢٥
احوال تلك البلاد بعد موت توقتامیش	٦٣٩

مطالب	صحفة
هجوم ایدکو علی الروسیة	٦٤٣
مکتوب الامیر ایدکو الی واسیلی	٦٤٥
تیمر خان ابن تیمر قتلغ خان	٦٤٦
جلال الدین بن توقتامیش	٦٤٧
کریم بیردی خان	٦٥٠
کبك خان واخوه جبار بیردی خان	٦٥١
ظهور الامیر ایدکو ثانیا	٦٥١
قادر بیردی خان وقتل الامیر ایدکو	٦٥٢
الوغ محمد خان	٦٥٧
براق خان ابن قویرچق خان	٦٦٦
المحاربة بین براق خان والمرزا الوغ بك	٦٦٨
مقتل براق خان	٦٧٤
هجوم الوغ محمد خان علی بلاد خوارزم	٦٧٦
انفصال الوغ محمد خان من خانیة سرای	٦٧٨
هجوم مصطفی الامیر زاده علی الروسیة	٦٨٢
سلطنة احمد خان	٦٨٥
هجوم احمد خان علی الروسیة	٦٨٨
وقایع احمد خان مع خان قریم منکلی کری	٦٩٠
مسیر احمد خان الی الروسیة	٦٩٧
مقتل احمد خان	٧٠١

صحيفة	مطالب
٧٠٤	مرتضى خان
٧٠٩	تخريب منكلى گرى خان بلدة سراى
٧١٣	ماجريات الشيخ احمد خان

بيان مآخذ الفقير فى جمع تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار اثبتها منالاطمئنان قلوب المطالعين وليعلموا مقدار سعيي وجهدي وتعبي فيقدروا كتابي هذا حق قدره ويدعو الي

اسامى الكتب	اسامى المؤلفين	اللغة	عدد الجلد	محل الطبع	سنة وفاة المؤلف
روضة الصفا	مير آخوند الهروى	فارسية	٧	بمبى	٠٩٣١
٢ شجرة الترك	ابو الغازى خان الخوارزمى	تركية	١	پطربورغ	١١٧٠
٣ مستفاد الاخبار	الفاضل شهاب الدين المرجانى	تركية	٢	قزان	١٣٠٦
٤ الكامل فى التاريخ	ابن الاثير الجزرى	عربية	١٢	مصر	٠٦٣٨
٥ مروج الذهب	المسعودى	عربية	٣	مصر	٠٣٣٦
٦ كتاب العبر	ابن خلدون	عربية	٧	مصر	٠٨٠٨
٧ تاريخ الملك المؤيد ابى الفدا	ابو الفدا	عربية	٢	مصر	٠٧٣٢
٨ مختصره تاريخ ابن الوردى	عمر ابن الوردى	عربية	٣	مصر	٠٧٤٩
٩ معجم البلدان	الياقوت الحموى	عربية	٦	قلمى	٠٦٢٦
١٠ تقويم البلدان	ابو الفدا	عربية	١	آوروپا	٠٠٠٠
١١ عجايب المخلوقات	الشيخ زكريا القزوينى	عربية	٢	مصر	٠٦٧٤
١٢ عجايب البلدان ايضا	كذلك	عربية	١	آوروپا	٠٠٠٠
١٣ الممالك والمسالك	ابو عبيد البكرى	عربية	٠	قلمى	٠٤٨٧
١٤ تحفة الالباب	ابو عبد الله الغرناطى	عربية	١	قلمى	بعد ٥٦٠
١٥ المغرب	ابو حامد الاندلسى	عربية	١	قلمى	
١٦ الاعلاق النفيسة	ابى على احمد بن عمر بن داسة	عربية	٠	قلمى	٠٠٠٠

اسامى الكتب	اسامى المؤلفين	اللغة	عدد الجلد	محل الطبع	سنة وفاة المؤلف
١٧ تاريخ منجم باشى	منجم باشى	تركية	٣	استانبول	....
١٨ السبع السيار	السيد محمد رضا	تركية	١	قزان	
١٩ روضة الابرار	عبد العزيز قره چلبى	تركية	١	استانبول	....
٢٠ كنه الاخبار	مصطفى العالى	تركية	٠	آستانة	١٠٠٨
٢١ تاريخ الترك	عاصم نجيب افندى سلمه الله	تركية	٢	آستانة	....
٢٢ تاريخ كاشغر	محمد عاطف افندى	تركية	١	آستانة	قريبة
٢٣ آثار البلاد وتواريخ العباد	بعض علماء الاتراك	تركية	١	قلمى	....
٢٤ شرفنامه	شرف الدين خان بتليسى	فارسية	٢	پطربورغ	....
٢٥ انبا الغمر فى انبا العمر	الحافظ ابن حجر	عربية	١	قلمى	٨٥٢
٢٦ الدرر الكامنة فى رجال المائة الخ	كذلك	عربية	١	قلمى	.
٢٧ مختصر الطبقات السنية	عبد القادر التيمى	عربية	١	قلمى	١٢٠٥
٢٨ كشف الظنون	الكاتب چلبى	بة	٢	مصر	١٠٦٧
٢٩ عجايب المقدور فى وقايع تيمور	الشيخ احمد بن عربشاه	بية	١	كلكته	٨٥٤
٣٠ تعريب جغرافيا ملطبرن الفرانسوى	رفاعه بك الطهطاوى	ربية	٥	مصر	قريبة
٣١ مختصر تاريخ الدول	ابو الفرج الملطى	عربية	١	بيروت	٦٨٥

اسامى الكتب	اسامى المولفين	اللغة	عدد الجلد	محل الطبع	سنة وفاة المؤلف
٣٢ تحفة الاريب وهدية الاديب	ابو محمد مصطفى	عربية	١	قلمى	٩٩٩ .
٣٣ تحفة النظار	ابن بطوطة المغربى	عربية	٢	مصر	القرن الثامن
٣٤ خريدة العجايب	عمر ابن الوردى	عربية	١	مصر	٧٤٩ .
٣٥ تاريخ الفلاسفة	السيد عبدالله المصرى	عربية	١	الجوائب	قريبة .
٣٦ القاموس المحيط	الفيروز آبادى	عربية	١	الهند	
٣٧ تاج العروس شرح القاموس	السيد مرتضى الزبيدى	عربية	١٠	مصر	١٢٠٥
٣٨ الاوقيانوس ترجمة القاموس	العاصم افندى	تركية	٠٤	آستانة	....
٣٩ تاريخ كارامزين	كارامزين الروسى	روسية	١٢	الروسية	....
٤٠ نخبة الدهر	شمس الدين الدمشقى	عربية	•	بالواسطة	••••
٤١ كتاب البلدان	ابن الفقيه	عربية	•	«	••••
٤٢ المسالك والممالك	ابن حوقل	عربية	•	«	••••
٤٣ المسالك والممالك	ابو زيد البلخى	عربية	•	«	••••
٤٤ المسالك والممالك	الاصطخرى	عربية	•	«	••••
٤٥ الآثار	القاضى الفاضل رضاء الدين افندى سلمه الله	تركية	•	الروسية	اطال الله بقاه

اسامى الكتب	اسامى المؤلفين	اللغة	عدد المجلد	محل الطبع	سنة وفاة المؤلف
٤٦ ترجمة برهان القاطع	عاصم افندى	تركية	٢	آستانة	قريبة
٤٧ صحيح البخارى والمشكاة وشرحه وغيرها	. . . .	عربية	•	••••	••••

بيان الكتب التى اخذ عنها ونيز بن غاز بن من خزانة الكتب بباريز وطبع فى اكاديميا بپطربورغ وتلك الكتب الفت فى القرن الثامن والتاسع الهجرى وكلها عربية بعضها عشرون مجلدا وبعضها خمسة عشر مجلدا وكلها غير مطبوعة وانا اخذت من تلك المجموعة

١ الفضل البامر من اخبار الملك الظاهر القاضى محى الدين بن عبد الظاهر كاتب الملك الظاهر بيبرس

٢ سيرة الملك المنصور قلاون كذلك

٣ زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة الامير بيبرس ركن الدين دوادار المنصورى

٤ تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف الشيخ تقى الدين عبد الرحمن القاضوى المحبى

٥ صبح الاعشى فى كتابة الانشاء ابو العباس احمد شهاب الدين المصرى

٦ كوكب الملك وموكب الترك بعض علماء ذلك العصر فى فن الانشاء كسابقيه

٧ النجوم الزاهرة فى احوال مصر الخ ابن تنكرى بردى المصرى

٩ تاريخ ناصر الدين بن على الشافعى تاريخ البرزالى

١٠ تاريخ النويرى تاريخ المفضل

١٤ تاريخ الذهبى تاريخ ابن فضل الله العمرى تاريخ مغلطاى
١٧ تاريخ الصفدى تاريخ ابن كثير تاريخ ابن دوقمق
٢٠ تاريخ ابن الفرات تاريخ المقريزى اه تاريخ الاسدى
٢٢ تاريخ بدر الدين
العينى
ومما اخذت عنه تاريخ احمد مدحت افندى المسمى

بكائنات الى غير ذلك مما اخذت جملة او جملتين سطرا او سطرين لم اذكره هناك تنبيه جرت عادة المحققين باخذ الحوادث عن تواريخ الكفرة قديما وحديثا وقد اخذ الامام ابن جرير الطبرى المفسر تاريخه عن تواريخ الفرس وهم مجوس وقد قال الفقهاء وقبل قول الكافر فى المعاملات وانما كتبت هذا هنا لدفع ما عسى يقع لبعض اصحاب الورع البارد الذين يقال لهم صوفية البصل من التردد فى صحة ما اخذناه عن تواريخ المسلمين والله الموفق .

المجلد الاول

من تلفيق الاخبار و تلقيح الاثار
فی وقائع قزان و بلغار
و ملوك التتار

اثر الفقير
م . م . الرمزى

الطبعة الاولى

المجلد الاول

طبع بالمطبعة الكريمية والحسينية ببلدة «اورنبورغ»
على مصاريف ملتزمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلى الكبير المتعال * الموصوف باوصاف الكمال * المنعوت بنعوت الجلال والجمال * المتفضل بانواع الانعام واصناف الافضال * الحكيم الذى دبر الامور * وقدر الايام والشهور * وجعل الظلمات والنور * واحصى عدد ذرات الرمال وقطرات البحور * واحاط ما تكنه الضمائر وما تخفى الصدور * واوجد الخير والشرور * يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * لايسأل عما يفعل وهو شديد المحال * الملك القدير الذى لم يزل ولايزال ملكا صمدا * واحدا احدا * لا شريك له ولا وزير * ولا شبيه له ولا نظير * ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا * ابدع الكائنات على احسن نمط ولم يطلب من احد مددا * اعطى كل شئ خلقه ثم هدى * ولم يظلم احدا ابدا * وهو حميد الفعال * مالك الملك ذى الجلال والاكرام * يعطى الملك من يشاء * وينزعه ممن يشاء * ويعز من يشاء * ويذل من يشاء * وله العظمة والكبرياء * وله القدم والبقاء * ومن سواه محكوم بالفناء والاضمحلال * الرؤف الرحيم الذى لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال * وحاشا رداء كبريائه وازار عظمته من تطرق غبار التغير والنقص والتبدل والعجز والزوال * والصلاة والسلام على عنوان تواريخ العالم * وديباجة جريدة بنى آدم * الذى تشرف ابوالبشر من اجل بسجود الاملاك * الحبيب الذى تردى برداء المحبوبية وتوج بتاج لولاك * وشرف بسياحته السبعة الافلاك * واطلع من اسرار

اقاليم عالم الملكوت ما يقصر دونه الادراك * وهو النبى المكرم * والرسول الاكرم * المبعوث الى كافة الامم * بجوامع الكلم * وبدائع الحكم * لانجائهم من الجهالة والظلم * وارشادهم الى السبيل الاعدل الاقوم * واقطار العالم اذذاك مملوة بانواع الغواية والضلال * وعلى اله واصحابه الذين هاجروا النصرته * ونصروه فى هجرته وتركوا الاهل والاوطان فى محبته * وبذلوا فى نصرته الانفس والاموال * حتى عادبهم الدين المبين مشيد الاركان * شامخ البنأ على احسن منوال * وعلى تابعيهم وتابعى تابعيهم باقتفاء سيرتهم * وسلوك طريقتهم * حتى نشروا انوار الاسلام فى اقطار الارض من الشرق والغرب والجنوب والشمال * فرضى الله عنهم احسن الرضاء وجزاهم عنا خير الجزاء ما هزا غصان الاشجار هبوب الشمال * **اما بعد** فان علم التاريخ فن جليل الوقع عظيم الشان * اذبه يعرف احوال الازمان واخبار البلدان * وبه يقاس صنائع الامم ووقائع الدوران * وبه تعرف المقايسة بين معاملة الدول بحسب العدالة والعدوان * وبه تحصل الموازنة بين ارباب الظلم واصحاب الاحسان * وبه يتدارك ما يقع فى التدابير من سوء الرأى والنقصان * وبه ينتبه النائم وينتعش اليقظان * ولله درالقائل بافصح تبيان * شعر :

ان شئت تكثير عقل فيه مصلحة * لاجلها دارت الافلاك ادوارا
فانظر لمعنى المواليد التى اختلفت * واقرأ تواريخ من فى الدهر قد دارا

وبه ينصلح آراء الامة * وينضبط امور الدولة * ويحصل لها العرفان * وبه يظهر حسن العدالة وقبح الظلم بين افراد الانسان * وبه تنبعث الهمم الى تحصيل معالى الامور ويتسلى المهموم من الاحزان * كما قال من مارس هذا الشان شعر :

طالع تواريخ من فى الدهر قد وجدوا * تجد همو ما تسلى عنك ما تجد
تجد اكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بها كم فتت الكبد

وبه يمتاز ارباب الفضل من غيرهم ويعرف من هو اسبق قد ما واعلى كعبا فى العلم والشان * وبه يوزن فروسية الفرسان وشجاعة الشجعان * الى غير ذلك من الفوائد التى يعسر تعدادها مما لايخفى على كل لبيب واديب يقظان * ورحم من قال وافادواو جز واجاد شعر :

اذا علم الانسان اخبار من مضى * توهمته قدعاش حينا من الدهر
واحسبه قد عاش آخر دهره * اذا كان قدابقى الجميل من الذكر

ولهذا قداكثر العلماء العظام والفضلاء الفخام من التصنيف والتأليف فيه فى جميع القرون والاعصار * بحيث لايقبل الاحصا والاحصار * منها مايعم جميع الدول والبلدان والاقطار * ومنها ما يخص دولة من الدول اوناحية من النواحي او مصرا من الامصار * على وجه لا يخفى شيء من احوالها والحوادث التى جرت عليها من ابتداء حدوثها ومبداء ظهورها الى يومنا هذا على اولى الابصار * وارباب الاعتبار * وحيث ان تشوق الانسان الى التطلع على احوال مملكته * وتشوفه الى التضلع من زلال اخبار بلدته * وشغفه بتعرف انباء ابناء جنسه واهل بلدته * من حميته الوطنية ومروته الانسانية ، بل من الاوصاف الفطرية ، مازلت مذ فرقت الشمال من اليمين ، والغث من السمين ، والنقص من الكمال ، والنجم من الهلال ، مشتاقا الى الاطلاع على سفر من تاريخ يتعلق باحوال بلغار وقزان وسائر البلاد الشمالية ، وما جرى عليها من نوائب الدهر والحوادث السماوية ، وطالما فتشت فى ذلك زبر المتقدمين ، وقلبت اوراق صحف المتأخرين * رجاً ان اطلع فى حدائقهم على نخلة من ذلك * وعسى ان اصادف فى خزائنهم نحلة فيما هنالك * حتى تعب مركبي الطليح من الجولان فى ذلك الميدان * وتحققت عجزى من ادراك هذا الشان * حيث لم اقف منه على اثر ، ولم اعثر فى ذلك على شيء من الخبر ، سوى ان بعض المورخين الكبار ذكر بعض احوالها فى وقت من الاوقات على سبيل الاستطراد ، وبعض آخر منهم ذكر بعضا منها بعد سنين كثيرة حسب الاجتهاد ، وهذا كما ترى لايشفى العليل ، ولا يروى الغليل ، واما اهل بلغار وقزان ، وان جاء منهم العلماء الاعلام ، والفضلاء العظام ، فى كل قرن وزمان ، الا انهم لعدم رغبتهم فى التأليف والتصنيف وقناعتهم بمطالعة تصانيف الغير وتعليمها خصوصا فى علم التاريخ فانه لارغبة لهم فيه اصلا ولا يبالون به قطعا استحال ان يقع منهم فيه اثر ، او يكون لهم منه خبر ، ولهذا بقيت احوالهم ووقايعهم برمتها مستورة عن انفسهم

فضلا عن غيرهم حتى انتهت بهم جهالتهم بهذا الفن الان الى حد يزعم اغلبهم انهم من منذ خلقوا محكومون للدولة الروسية وانهم تحت اسارتهم هكذا من قديم الايام وان طاعتها فرض عليهم اصالة و بالذات، و ان امرت بما يخالف الشرع الشريف حتى الممات، وانه لم يجيء منهم احد من الملوك * ولم يحكم منهم احد على الغني والصعلوك * و افبح من هذا جهالتهم باصلهم ونسبهم، وتضييعهم لمحتدهم وجنسهم، فانهم لما رأوا اشماتة طائفة الروس اياهم بكونهم من التتار * وشاهدوا فى كتب المسلمين ان التتار لا تذكر الا مقرونة باللعن وما يوجب العار والشنار * انكروا كونهم من التتار * ورضوا لانفسهم باطلاق اسم نوغاى تبعا فى ذلك اقوام ما وراء النهر ولا يدرون ان اسلافهم قد تركوا جميع من فى البسيطة فى الدهشة والحيرة * وان الروس كانت تحت حكومتهم كالارقاء مدة من الازمنة كثيرة * ولا يتنبهون ان شماتة الروس بذلك انما هى لاذاقة التتار اياهم اشد النكال ولكون لفظ التتار عندهم كالمرادف للفظ مسلم كما ان لفظ الروس عند اهل قزان كالمرادف لمطلق لفظ النصارى ولا يعلمون ايضا ان ذكر المسلمين التتار مقرونة باللعن انما هو لا يذائهم اياهم وتخريبهم بلادهم وفعلهم فيها من الفساد والقبايح مالا يحصى وقتلهم الخليفة و انقطاع الخلفاء العباسية بسبب ذلك ولا يعرفون ان من فعل هذه كلها انما هو شعبة اخرى منهم كانوا ببلاد العراق و اما تتار قزان وسائر البلاد الشمالية فهم بريئون من ذلك كله بل هم معترضون على ذلك من الاول وقد طالب بركة خان منهم ابن عمه هلاكو بدم الخليفة وثاره وقاتله وكسره * ومات هلاكو بعيد ذلك مكمودا وصدر غير ذلك منهم من المبرات والخيرات والتوادد والمراسلة بالملوك الاسلامية المصرية مالا يحصى كما ستطلع على كل ذلك ان شاء الله فى محله ، وهذه كلها منقبة يفتخر بها لا انها مثلبة يتنفر عنها ، و اما اطلاق اسم نوغاى على انفسهم هربا من اطلاق اسم التتار ففيه نوع من اليهودية حيث هربوا من الاعلى الى الادنى فان نوغاى طائفة من التتار مشهورة من القديم بالفساد ، والبغى والعناد ، كما سيجيء ان شاء الله فاذا كان حال انفسهم هكذا فكيف حال من سواهم فى

احوالهم مانهم احرى و اولى بان لايعرفوا شيئا من احوالهم ويجهلون سمت اقليمهم و بلدانهم * وان اشار الشيخ زكريا القز وينى فى عضون كلامه ان للقاضى يعقوب البلغارى تاريخا فى بيان احوال بلغار الا انه موجود الاسم مفقود الجسم كا لعنقاء وكذلك رسالة احمد بن فضلان حتى قيل ان جماعة من اهل آورو پا ممن لهم اعتناء بجمع مثل هذا الامر وضبطه طلبوهما بنشر الاعلانات من جميع الممالك، ولم (١) يقفوا على اثر منهما فيما هنالك ، والحاصل ما رأيت قوما تركوا وقايعهم وحوادثهم سدى و اضاعوا جدا وائلهم مع ظهور كثير من الملوك العظام و العلماء الكرام و فضلاء الانام و الامور الجسام مثل هؤلاء القوم * حتى كانهم عند الا كثرين ما خلقوا الى هذا اليوم * بحيث اذا رأوا فى كتاب من الكتب او سمعوا من احد اسم قزان و بلغار لايعرفون انه فى الشرق او الغرب او الجنوب او الشمال فضلا عن سائر احواله و هذا من اعجب العجايب ، واغرب الغرائب ، وبينا انا خائض فى بحر الفكرة اذ قرع سمعى ان الفاضل شهاب الدين افندى المرجانى من علماء هذا العصر قد الف فى ذلك تاريخا سماه « مستفاد الاخبار فى تاريخ قزان و بلغار » ففرحت بذلك فرحا كثيرا و لما طبع منه القسم الاول الذى منتهاه الى استيلاء الروسية على قزان و ملكت منه نسخة واجلت نظرى فى درره وغرره ، وادرت فكرى فى عجره وبجره ، الفيته غير كاف بالمقصود ، اذ قد فاته كثير مما هو فى كتب القوم موجود ، بل لم يذكر فيه عشر ما فيها مع مخالفة كثير مما فيه للواقع ، الا ان سعيه فى ذلك مشكور ، حيث ابتكر شيئا لم يسبقه اليه من سواه ، وقلد بذلك قلادة المنة اعناق ابناء جنسه ورفع به راية فضله و اعلاه ، فان الفضل للمتقدم ولله در من قال شعر

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * لقلت شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو سامحه الله و عامله بلطفه فيما لم يطلع عليه معذور فان الاحاطة بما فى كتب القوم

(١) قاله الفاضل المرجانى وهذا وان كان صحيحا فى شان تاريخ يعقوب بن النعمان و لكنه فى شان رسالة ابن فضلان غير صحيح بلامرية من مولفه عفى عنه

متعسر بل متعذر لعدم تيسر نسخها اولا خصوصا فى تلك الديار وعدم الفرصة لمطالعة الموجود منها ثانيا خصوصا لمن كثرت اشغاله كالمرجانى بالليل والنهار ولما رأيت ان الحال على هذا المنوال ونيران الفتن فى تلك البلاد لا تزال يوما فيوما فى اشتعال * وحرارتها ساعة فساعة فى ازدياد * وشرارتها الممحة فلمحة فى الانتشار والاستنفاد وامواج بحار الحوادث فى الغلو والتلاطم * وسحاب المصائب فى التزايد والتراكم * وكادت تلك الديار لولا ان تداركها الله سبحانه بلطفه ان تكون كبلاد اندلس * واشرف ان يزول عن ساحتها البهاء والانس * حيث توجهت الروسية بشراشرها الى ان لا تترك بها من يقول لا اله الا الله * فحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله * اختلج فى خلدى ان اجمع تلك الكلمات التى اطلعت عليها فى كتب القوم * رجاء ان ينتبه افكار اقوام تلك الديار بالاطلاع على كنه الحال ويستيقظوا من طول النوم * وعسى ان تحصل لهم الحمية الوطنية والغيرة الدينية، بالاستيقان ان اوائلهم كيف كانوا * وانهم الآن اين وقعوا وكيف صاروا * فيرفعون رؤسهم من حضيض الدناءة والرذالة والاحتقار * وينشبثون باسباب خلاصهم من ورطة الهوان ومواقع البوار * ويطلبون حريتهم الدينية كما نالها فى هذا الزمان سائر الاحرار فى جميع الاقطار * الا انه عاقنى عن ذلك عوائق * ومنعنى من المضى فيما هنالك موانع * من قلة البضاعة * وعدم الاستطاعة * وقصر الباع * فى فن الاطلاع * وابتلائى بالغربة والكربة * مع ما انضم اليها من سوء الحال * وتطاول السفهاء على والجهال * حتى انى عند اهل زمانى فى المنزلة * اقل من شىء المعتزلة * ومن تيقنى بان اهل تلك الديار * لا يعرفون لفن التاريخ من مقدار * بل يعدونه عبارة عن القصص والحكايات العديمة الاعتبار * ولا يدرون ما وقع فى التنزيل من القصص والحكايات والامثال والمواعظ المختمة بقوله سبحانه ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب واولى الابصار * وهم فى الحقيقة جاهلون * بقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * وعن الحصة من القصة غافلون * حتى اردبهم هذا الزعم الفاسد، والرأى الكاسد، واوردهم الى

شر الموارد، وصار سببا لا نحطاطهم الى حضيض المذلة والنقصان * وعلة لابتلائهم بالرذالة والهوان * وهو جبالرضاهم بخصلة لا يرضى بها سوى الناهق من جنس الحيوان * فى هذا الزمان * الذى امتاز فيه كل ملة بكمال حريته الشخصية والجنسية والدينية والملية من غير ظلم وغصب من احد ولا عدوان * مع انهم يصرفون اعمارهم فى تحصيل ما لا نفع فيه فى المبدأ والمعاد * ويضيعون اوقاتهم بالاشتغال بتعليم ما لا يجديهم فى الدنيا شيئا ولا ينجيهم يوم التناد، جازمين بان هذا هو الكمال الذى يعض عليه بالنواجذ، وان ماسواه ممايستحق ان يرمى وينبذ فى المنابذ فانا لله وانا اليه راجعون، هداهم الله سبحانه وايانا الى صراط مستقيم، وبصرنا بعيوبنا ورزقنا حسن النظر فيما فيه منافعنا ونجانا من الفكر العقيم * والرأى السقيم * بجاه النبى الكريم * انه بنا رؤف رحيم * ثم لما مرت برهة من الزمان قوى فى هذا العزم بتحريض بعض الاخوان * وترغيب بعض الاعيان * وتشويقه فى الشروع فى هذا الشان * وتشجيعه الى المبارزة فى هذا الميدان * واعانته ببعض المواد وتكميل النقصان * فلم اجد بدا من التوجه الى صوب المرام * ومراجعة كتب القوم العربية والفارسية والتركية لتلفيق الكلام * مع الاعراض عما يتوجه الى فى ذلك من الحساد والجهلة من الطعن والملام * قائلا فى ذلك مشطرا لكلام بعض فضلاء الانام شعر: (۱) ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر * ومن حسد النعماء يقتله القهر * وسودر شعر واذا الفتى عرف الرشاد هانت عليه دلاته جهات فارسيت سفينة العزم بساحل جودى المقصد * وقعدت لاقتناص صيد المرام كل مرصد * وشرعت بتوفيق الله سبحانه وعونه فى تأليف الكلام وترتيبه * واخذت فى تفصيل الكتاب وتبويبه * شارطا لنفسى ان لا اتجاوز النقل * وان لا اقول شيئا بمجرد الوهم والعقل * شعر:

اذا ما انتهى علمى تناهيت عنده * اطال فاملى او تناهى فاقصرا *

فان مبنى التاريخ على النقل لا سبيل فيه الى العقل الا اذا تعارض النقلان، وتناقض القولان، فانى حينئذ لا آلو جهدا فى التطبيق بينهما حسب الامكان * فان ترك المتناقضين سدى ليس من شأن ذوى الشان،

ولعمرى ان فى بعض مواضع هذا الامر الذى انا الآن فى صدد بيانه اختلافات كاختلاف آراء ارباب العجب والانانية، لا يمكن جمعها وتطبيقها، مع انه فى نفسه من قبيل المجهول المطلق لا يتيسر بالسهولة اقتناص اوابده وتقييدها، وليس عندى من المآخذ والاسباب سوى النزر اليسير * فلا تلمنى ان ظفرت فى كتب القوم بما اهملته ولم اذكره فى هذا السفر الصغير * واثبته فى مكانه المناسب بعد التحقيق والتحرير * شعر

انى وجدت مجال القول داسعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

مها انا قد قدمت ما يكون عند المنصف عذر المثلى بل لمن هو اكثر منى علما واوفر حالا، واعز شانا واعز رمالا، وليس المقصود من جمع هذا المجمع الحقير اظهار الفضل، فان الفضل كما انه بنفسه مفقود * كذلك سبب اظهاره ايضا غير موجود * بل قد عرفت من هذا التأليف ما هو المقصود * وربما انبه فى اثناء النقول على خطأ بعض الاقوال * لا لاظهار قصور قائله بل لاظهار الصواب من المقال * وربما اكتفى باثبات ما هو الصواب حسب ادراكى القاصر * واميل ادراك خطأ مقابله الى ذهن من يطالعه من ذوى الرأى السديد والمناظر * وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب * وهذا اوان الشروع فى المقصود * مستعينا بعناية مفيض الخير والجود * وقد ناسب ترتيب الكتاب الى مقدمة واربعة مقاصد وخاتمة * المقدمة فى بيان اصل الترك ومنشائهم وكيفية انتشارهم وبعض ما جرياتهم مع جيرانهم من سائر الاقوام والامم قبل الاسلام حسب اطلاعى القاصر . المقصد الاول فى احوال بلغار وبيان اهلها وزمان دخولهم فى حمى الاسلام وما جرى عليهم بعد ذلك من حوادث الايام، الى حين خرابها باستيلاء الكفرة اللئام * المقصد الثانى فى ورود التتار الى هذه الديار، وتشكيلهم فيها دولة مستفحلة وتغلبهم على دول سائر الاقطار * وتعيين تاريخ خروجهم من دائرة الكفر وانتظامهم فى سلك المسلمين الاخيار * وما يتعلق بهم من الوقائع والاخبار * الى ان غلب عليهم الكفار الاشرار * بارادة الملك الجبار * المقصد الثالث فى تجدد مدينة قزان وتشكل حكومة بها مدة من الزمان الى ان ظهر بها اعظم الحدثان اعنى استيلاء الروس بارادة الملك

المنان خلصها الله سبحانه من ايديهم فانه المستعان * المقصد الرابع فيما جرى عليها من الحوادث والوقائع بعد استيلاء الروسية الى هذه الاوان والى ماشاء الله سبحانه من الزمان الخاتمة فى بيان خوانين خان كرمان وقريم وخوانين اوزبك بخارى وخوارزم وقزاق * المقدمة فى بيان اصل الترك ومنشائهم وكيفية انتشارهم وبعض ماجرياتهم مع جيرانهم من سائر الاقوام والامم الاسوية والاوروپاوية قبل الاسلام على سبيل الاجمال حسب الملاعى القاصر * لا يخفى على اصحاب المعارف وارباب الفنون ان علم التاريخ من جملة العلوم الظنية والقطع واليقين فيه نادر جدا بل لا يستبعد ان قيل انه مفقود فيه بالكلية فان الوقايع الحاضرة التى لا شبهة فى صحتها ومطابقتها للواقع لما كان نقلتها وضابطوها ومحرروها احاد لا تخرج من حيث تفاصيل كيفياتها من دائرة الظن الى ذروة اليقين فان اخبار الاحاد لا تفيده وان كانت من حيث الجملة لا شك فيها فاذا كان حال الوقايع الحاضرة هذا فما ظنك فى احوال الحوادث والوقايع التى صارت معروضة للتبدل والتغير بتداول امم مختلفة الالسن واللغات اياها وتصرفهم فيها بالنقل والترجمة الى لغات شتى مدة الوف من السنة مع خلوها عن السند ولكن مجرد احتمال كونها معروضة للتبدل والتغير لا يورث خللا فى التاريخ ولا يسقطه عن مرتبة الاعتبار فضلا عن ان يحكم بكونه كذبا محضا كيف وقد اورد كثير من كبار المحققين وفضلاء المدققين كالمسعودى والطبرى وابن الاثير والذهبى وابن كثير وابن خلدون وغيرهم ممن لا يمكن عدهم فى تواريخهم كثيرا من الاخبار والحوادث المستبعدة عن العقل غاية البعد يدرك ذلك من يطالعها ونحن نحمد الله سبحانه وتعالى على ان اباءنا الاتراك الاقدمين الذين نحن الآن فى صدد بيان احوالهم مع كون شجاعتهم وبسالتهم ومهارتهم فى فن الحرب وثباتهم ومتانتهم مسلما لدى الكل بل مع كونهم تماثيل مجسمة للشجاعة اقتصروا على محاربة الانسان ولم يحاربوا غيرهم ولهذا لا تصادف فى مجموعتنا هذه حرفا واحدا مما ذكر فى تواريخ الفرس واليونان حتى فى تاريخ الفردوسى الذى صنف كل بيت من كتابه فى مقابلة

دينار من محاربة الاجنة والعفاريت والسباع والثعبان وضبط شرذمة قليلة في مدة يسيرة من الزمان في سفر واحد اكثر المعمورة والربع المسكون الى غير ذلك من الخرافات التي كونها منها مسلمة عندهم ايضـا فان كان فيها مايستبعده العقل في بادي النظر فهو ما سيذكر في المقصد الثاني من المواد الثلاث اعني بها وقايع اغوزخان واقامة المغل في موضع ايركنه قون ازيد من اربعمائة سنة من غير ان يشعر بهم احد من جنس انسان وولادة ثلاثة بنين من الانقوا من غير اقترانها باحد من نوع انسان وهذه الثلاث ايضا مما يعد من الامور العادية بالنسبة الى ما ذكر في تواريخ الفرس واليونان من الخرافات خصوصا الاولين منها والثالث له ايضا نظير في نفس الامر كما يبسط كل منها في محله ويفصل ان شاء الله تعالى ومع ذلك لا اتوقع انا من احد خمس ديوان بل لا أومل من احد تحسينا ولا ثناء حسنا فضلا عن اخذ دينار لكل بيت. ثم لا يخفى ايضا ان اجدادنا الاتراك القدماء لما لم يتركوا لنا تواريخ مبينة لاحوالهم وماجرياتهم لاجرم صرنا مجبورين ومضطرين ان ناخذ بيان الوقايع والاحوال التي تذكر هنا من التواريخ التي نقلوها من اعدائهم التي احاطوا بهم من جوانبهم الاربعة وكانوا في حالة الحرب معهم دائما ابدا اعني بهم الصين والفارس والروم والروس ولا يخفى على احد ان العدو كيف يحرر مناقب عدوه ويضبط محاسنه وينشرها هيهات وان كانت وظيفة المورخ ان يحرر الوقايع ويضبط الحوادث على ماهي عليه من غير تبديل ولا تغيير بلا حظة عداوة طرف وقومية طرف آخر والتزمها كل من يتصدى لجمع التواريخ قولا الا انها تكون وقت الفعل وتحرير الوقايع كشريعة نسخت قبل العمل بها ويترنم لسان حال كل واحد منهم بقول الشاعر شعر .

ورصاص من احببته ذهب كما * ذهب الذى لم نرض عنه رصاص

ويصرف كل منهم جميع قواه بغاية جهده في جعل رصاص قوم يحبه ذهبا وجعل ذهب قوم يبغضه رصاصا فالتماس حرف يتعلق بمناقب الاتراك من تواريخهم ليس شيئا سوى ان يكون مظهر القول الشاعر شعر :

المستجير بعمر وعند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار حصرا
فالقول شاعر آخر شعر:

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

بل ليس شيئا سوى مشابهة عجوز تصدى لحلب ثور بسر عم انه بقرة ولهذا ترى كثيرا من اولاد الترك ممن اخذ القلم بيده وتصدى لتحرير احوال الترك واوصافهم لايذكرونهم الا بالفاظ الذم والسب والشتم كالسفاك والوحوش والجهل وقلة الادراك وعدم الدراية تقليدا لهؤلاء المورخين المذكورين فمثلهم كمثل صبى يسمع من جيرانه الذين هم يبغضون اباه وامه سبهما وشتمهما فيطفق فى (١) اطلاق تلك الالفاظ التى يسمعها من الجيران على ابيه وامه لعدم علمه بمعناها وسبب اطلاقهم عليهما وليتهم يكتفون بذم المغل والتتار وسبهم لزعمهم بسبب جهلهم بالاتنو غرافيا وعلم الانساب انهم ليسوا من الاتراك بل هم من اعدائهم واعداء المسلمين كافة وانهم انما حاربوا الديار الاسلامية لعدواتهم للاسلام واهله لا للانتقام من خوارزمشاه فقط كما شاع هذا الزعم الباطل من لدن خروج التتار الى يومنا هذا لعدم اطلاع الناس بلمية الامور وحقيقتها فيكون زعمهم وجهلهم هذا نوع عذر لهم فى ذلك ولكنهم لايكتفون بذلك بل لايزالون يصيحون بغاية جهدهم بان الامر لما دخل بيد الاتراك الوحوش صار كذا وانه لما آل الحكم الى الاتراك عديمى الدراية صار كيت وكيت الى غير ذلك من الفاظ الذم والاقوال الدالة على تخريب اساسهم * وليت شعرى ما المقصود من تحرير تاريخ مثل ذلك ومن امر هؤلاء الحمقاء العارين عن الحمية بتأليف تاريخ كهذا فيما هنالك * نعم ان صنعة التاريخ هى ضبط الوقايع والحوادث المستحصلة فى البدكما هى فى نفس الامر من غير تبديل ولا تغيير ومن غير ملاحظة محبة قوم وعداوته كما بيناه آنفا والمحاكمة بميزان العقل فى موضعها بغاية الاستقامة والانصاف بلا ميل الى طرف ما بالتشهى * ومن لوازم هذا المسلك ومقتضياته ابراز محاسن شخص ومناقب قوم صارت سببا

---

(١) ولعمرى ان هذا الفعل الشنيع قد شاع بين المتفرنجين والمتروسين فى حق كافة اهل الاسلام تقليدا للافرنج والروس الذين هم اعداء المسلمين فاضاعوا بذلك رشدهم وضلوا اهداهم الله وايانا الى سواء الصراط منه عفى عنه

لاحيامملة اوترقى دولةمن زاوية الكتمان و الحجاب الى عرصة الوجود والظهور ليقتدى به اويبهم فيهاالآمرون ويجعلونها اوصافا لازمة لانفسهم ومعيارا لاعمالهم وكذلك اظهار معايب شخص ومثالب قوم امست سببا لانحطاطهم بلعلة مستقلةلانقراضهم واضمحلالهم من بقعة الخفاء ومكمن السترالى ميدان العلانية ومواقع الاشتهار ليجتنب عنها العقلاء دووالابصار ولكن لا يلزم من هذاتلويث قوم وملةعظيمة نجيبة عموماعلى العمى بل اللازم اسنادها الى صاحبها التى صدرت عنه لاغير فتبين من هذا البيان ان الصعوبة التى التزمناارتكابها ومقاساتها فى هذا الجمع والتلفيق غير مقصورة على تقليب اوراق كتب عديدة لتحصيل الوقايع المطلوب تحريرها وضبطها بل اصعب المصاعب فى تمييز كون تلك الوقايع من جنس المحاسن او المساوى باستعمال العقل والفكر فيه باعتدال الدم ثم افراغها فى قالب مناسب لها من التحسين او التقبيح ولكن الفطن اللقن اذا عرف عادة شخص فى ايراد الكلام وان الكلام الصادر عنه مبنى على اى شىء لايصعب عليه افراغ اسلوب كلامه فى قالب آخر مطابق لنفس الامر من غير تغيير مضمونه الكلى ومفهومه العام اوتوجيهه بنوع من الجواب بعد نقله على ماهو عليه فمن ههنا يظهر مسلك جامع هذه الحروف ومشربه فى هذا الجمع والتلفيق فلا يتعجب الناظر فيه ولا يتحير اذارأى اسلوب افادته وكيفية ادائه مغايرا لاسلوب المنقول عنه وكيفيته فى الاداء قائلا انه لاى شىء خالف الاصل المنقول عنه مع عدم جوازه وربما ننقل الحوادث على ماهى عليه من غير ان نغير اسلوبها ومن غير ان نتصدى لتوجيهها ونحيل المحاكمة فيها وتوجيهها بموجب قوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول على بصائر القراء الكرام وانظار المطالعين العظام والله الموفق ولنشرع الآن فى المقصود مستفيضا من مفيض الخير والجود *

لايخفى على اصحاب البصيرة وناقلى الاخبار والسيرة انه لااختلاف بين اهل الاسلام واهل الكتابين فى ان ابناء البشر الموجودين الآن فى قطعات الخمس الارضية اعنى الاسيا وآوروپا وآفريقا وآمريكا وآوسترالیا منتشرون

كافتهم من اولاد نوح عليه السلام الثلاثة اعنى سام ويافث وحام وان حالفهم فيه اهل الفارس والهند والصين قاطبة قديما وحديثا وتبعهم كثير من اهل آوروپا فى زماننا هذا الا اننا نبنى الامر على ما هو المشهور وللتحقيق (١) موضع آخر واتصال سلسلة انتساب نوح بابى البشر آدم عليهما السلام على ما ذكر فى سفر التكوين من التوراة وتلقاه العلماء المحققون من اهل الاسلام كالطبرى والمسعودى وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم بالقبول وذكروه فى تواريخهم هكذا نوح بن (٢) لامك بن متوشالخ بن اخنوخ بن ياردبن مهلليئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام * ثم ان عند البعض من القائلين بهذا القول ان نوحا عليه السلام هو الذى قسم الارض بين اولاده الثلاثة وعند بعض آخر منهم ان الذى قسمها بينهم هو حفيده ارفخشد بن سام وعند بعض آخر منهم ان الذى فعل ذلك هو فالغ بن عابور بن ارفخشد وغضب نوح عليه السلام لولده حام لسبب من الاسباب ودعا عليه وقال ملعون كنعان يعنى ولد حام ليكن اولاده عبيد الاولاد اخويه ودعا ليافث قايلا ليفتح الله ليافث ويكثره فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبدالهم والحق ان اثر اجابة نوح عليه السلام فى حق اولاده الثلاثة على ما هو المشهور ظاهر الى الآن كالشمس فى رابعة النهار وعلى التقادير الثلاثة المار ذكرها فقد وقع فى حصة يافث الجهة الشمالية من الارض وقد ذكر فى روضة الصفاء لمير آخوند وشجرة الترك لابى الغازى بهادر خان الخوارزمى

---

(١) وقد ذكر هذه المسئلة احمد مدحت افندى فى رسالته نزاع العلم والدين والطالبما لا طائل تحته وصنف فيها الشيخ التميمى النابلسى فى عصرنا هذا رسالة مستقلة وذكر طرف منها فى عدد من اعداد مجلة مكارم الاخلاق ولاشىء فى القرآن يدل على ما اشتهر سوى قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ودلالته انما هى من جهة القصر وعلى تقدير وجوده لايتعين كونه حقيقيا وقوله عليه السلام وكان النبى يعنى الذين قبله يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة يدل على خلافه يعرف ذلك بالتأمل انظر الى شرح العينى ٢ ج ص ١٢٠ منه

(٢) وهذا منقول عن التوراة المطبوعة فى بيروت من طرف جمعية امريكا وفى تواريخ الاعلام المذكورين مخالفة فى املاء بعض تلك الاسماء فتنبه منه عفى عنه

الچنكزى اخذا من كثير من تواريخ المحققين الذى الفوها بغاية التحقيق والتدقيق فى عصر سلطنة اولاد چنكزخان فى مملكة ايران خصوصا محمود غازان خان منهم ان يافثا توجه الى جهة الموضع الذى وقع فى حصته بعد وداع ابيه نوح عليه السلام واستوطن فى ساحل نهرى جايق واتل وارتحل هناك الى رحمة الله تعالى بعد ان عاش فيه ٢٥٠ سنة وزاد مير آخوند كون وفاته مغروقا وقد ذكر فى الكتابين المذكورين نقلا عن البعض كون يافث نبيا وهذا ليس ببعيد عن النقل ولا مخالفا للنقل على ماسنذكره بعد * والترك من ولد يافث لاخلاف فيه عند المحققين ولكنه وقع الاختلاف الكثير بين المورخين فى عدد اولاد يافث وفى كون الترك من ولده الصلبى وقد ذكر فى الكتابين المذكورين ايضا ان يافثا خلف ثمانية اولاد وهم الترك وخزر وصقلاب وروس ومنك وچين وكمارى وتارخ وذكر فى التوراة ان له سبعة اولاد وهم جومر ماجوج ماداى ياوان توباك ماشك تيراس وذكر بعضهم له احد عشر ولدا (١) وقال ابن خلدون ان الترك والصين والصقالبة وياجوج ومأجوج من اولاد يافث باتفاق النسابين وفيما عداهم خلاف وعلى كل حال ان الاجناس والاقوام القاطنين فى الاراضى المحدودة شرقا ببحر الصين وجنوبا بممالك الهند والافغان والفرس والشام والبحر الابيض وغربا بالبحر المحيط الغربى وشما لا بمنتهى المعمورة من الصين واليابون واهل التيبت واجناس الاتراك والصقالبة وجميع الافرنج والروم والارمن كلهم منشعبون من اولاد يافث فى المشهور وكذلك لاخلاف فى كون الترك من ولد يافث فى المشهور وانما الاختلاف فى انه هل هو ولده العبد اوحفيده اوحفيد ولده فقد ذهب الى كل واحد من هذه الاقوال ذاهب فالمير آخوند وابو الغازى ذهبا الى كونه من اولاده الصلبية تبعا لمحققى المورخين الذين ضبطوا نسب

(١) ولكن الظن الغالب ان هذا انما نشأ من التحريف فان بعضهم ضبط منك الذى فى الرواية الاولى ميقا وبعضهم مسكا وضبط ماشك الذى فى رواية التوراة ناسكا فخلط احدى الروايتين بالاخرى كما ذكر بعضهم خرخيز وتغرغر بعد ذكره قرغز مع انهما عينه وهنا روايات اخرى غير الروايتين المذكورتين كثيرة فلا نطيل بذكرها لعدم الحاجة اليها. منه عفى عنه.

جنكز خان كمامر * وقال ابن خلدون متصلا بمانقلناعنه سابقا ان ليافث بناء على ماذكر فى التوراة سبعة اولاد هم كومر مأجوج الخ ثم قال وقبائل الترك كلهم من اولاد كومر ولكن من اى اولاده الثلاثة اعنى بهم توغرما واشبان وريغاث والظاهر انهم من توغرما وقد نسبهم ابن سعيد الى ترك ابن عامور بن سويل (هكذا فى الاصل المنقول عنه والصواب بتويل) بن يافث والظاهر ان هذا غلط بل صحفوا كومر الى عامور راه ماذكره ابن خلدون وقد وقع فى مروج الذهب للمسعودى عابور بدل عامور اوكومر حيث قال ولما قسم ارفخشد بن سام الارض بين اولاد نوح توجه اولاد عابور بن بتويل الى جهة الشرق * فالحاصل من هذه الاقوال ان الفاظ جومر وكومر وكمارى وعامور وعابور محرفة من اصل واحد وعلى قول ابن سعيد يكون الترك حفيد يافث اوحفيد ولده وفى ظن الفقير ان بتويل هو توبال الذى ذكر فى التوراة محرف الى بتويل ثم الى سويل على ما فى نسخة ابن خلدون وكومر هواخوه لا ابنه وبالجملة ان الترك لوكان من اولاد يافث الصلبية فهو المذكور فى التوراة بعنوان تيراس وان كان من اولاد كومر بن يافث فهو توغرما على مامر عن ابن خلدون او توجرمه على ما هو مذكور فى التوراة المضبوطة بيدنا والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على الاختلاف المذكور وعلى انا ماحررنا الذى حررناه منا على العمى والتقليد الصرف من غير تحرير وتحقيق والا فنحن نبنى الامر هنا على ماضبطه كثير من محققى المورخين الذين كتبوا ما كتبوه بعد ماغربلوه بالغربال الدقيق وغب ما حققوه ودققوه بغاية التحقيق والتدقيق اعنى بهم الذين كانوا فى عصر اولاد چنكز خان والفوا تواريخهم بامرهم وما مر من قولنا انه لاخلاف فى كون الترك من اولاد يافث عند المحققين اشارة الى هذا فانه قد اشتهر فى جملة الخرافات التى لاتزال تجرى فيما بين العجايز واضرابهن من العجزة ان الترك من سلالة يأجوج ومأجوج الذين بقوا فى داخل السد الذى بناه ذو القرنين الذى ذكرت قصته فى القرآن حيث قيل هناك تركوا تركوا فسموا بالترك وكذلك اشتهر عند قوم آخرين ان الترك

من نسل قنطوراء جارية ابراهيم عليه السلام وهم شراح الاحاديث ابتداء ثم تبعهم فيه مؤلفوا كتب اللغة والمورخون* فاما الاول فلا شبهة في كونه من اقبح الخرافات كقول بعضهم ان الجراكسة انما سموا بهالان جدهم الاعلى هرب مرة ليلا فقيل سرى كيجة فاشتهر بذلك ثم صار هذا اللفظ علما غالبا لاعقابه وكذلك الثاني لامستند له قط فان من قال ان الترك متشعب من قنطوراء جارية ابراهم الخليل عليه السلام فقد قال غلطا ورام شططا حيث لادليل له مع مخالفة الجمهور ولم ينقل عن احد من المورخين ان ابراهيم عليه السلام كانت له جارية تسمى بقنطوراء نعم قالوا انه تزوج بعد موت سارة امرأة كنعانية تسمى قطورا بعصر بلا دون ابنة يقطن قاله (١) ابن قتيبة وابن الاثير وكثير ون غيرهما وقال المسعودي قطوراء بنون ومدالكنه لم ينسبها وقال ابوالفرج الملطي انه تزوج بقنطوراء ابنة ملك الترك ولعل هذا هو الصحيح وبمثل ذلك وجه بعضهم (٢) قول من قال ان الترك متشعب من قنطوراء جارية ابراهيم عليه السلام حيث قال ويمكن ان تكون الجارية المذكورة من الترك فيقال الترك بتلك المناسبة بني قنطوراء ولكن هذا التوجيه واه جدا كما لايخفى على المتأمل واى داع يدعو لارتكاب هذا التكلف فهل ورد في الايات القرآنية اوالاحاديث النبوية ان الترك من بني قنطوراء جارية ابراهيم عليه السلام حتى يرتكب هذا التكلف لتصحيحها ضرورة نعم قد ورد ذكر بني قنطوراء في عدة احاديث ولكن لم يرد فيها ان قنطوراء هذه هي جارية ابراهيم عم او امرأته فهلا يجوز ان تسمى بذلك الاسم عدة اشخاص ومن الاحاديث التي ذكر فيها بنو قنطوراء حديث الطبراني في الكبير والاوسط عن ابن مسعود اتركو الترك ماتركوكم فان اول من يسلب امتي ملكهم وما خولهم الله بنو

---

(١) قول ابن قتيبة امرأة من الكنعانيين تسمى قطورا وولدا ابن الاثير ابنة يقطن وفي النهاية لابن الاثير هي يعني قنطوراء جارية ابراهيم الخليل ولدت له اولادا منهم الترك والصين وقال القاضي المراد بالخوز وكرمان صنفان من الترك وان لم يشتهر عندنا سيما هم الشارع بهما كما نسبهم الى قنطوراء وهي امة كانت لابراهيم عليه السلام . منه عفي عنه .

(٢) وهو علي القاري في شرح المشكاة بعد الاعتراض على قولهم ان الترك بنو قنطوراء جارية ابراهيم بانهم من اولاد يافث بالاتفاق . منه عفي عنه .

قنطوراء* وكذلك حديث الطبراني ابن عمر مرفوعا ان بني قنطوراء اول من يسلب امتي ملكهم* ثم بعد حديثه وشرحه وقنطوراء الى ان يخرجوا اهل العراق من عراقهم كأني بهم خزر العيون خنس الانوف عراض الوجوه ذكره مترجم القاموس ولم يذكر مخرجه ثم وان بني قنطوراء على قول اهل التحقيق هم التتار والمغل من الترك وهم على الاوصاف المذكورة واستيلاؤهم على العراق معروف لا كون هي جنكيز مشهور وهم من نسل ترك بن يافث* ومنها حديث ابي داود عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل اناس من امتي بغائط يسمونه البصرة (١) عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر اهلها ويكون من امصار المسلمين فاذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون في اذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة يأخذون لانفسهم وهلكوا وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء قال الشراح المراد بتلك البلدة هي بغداد وذكر والتسمية بالبصرة وهو هاو جهة والمراد ببني قنطوراء التتار والمغل الذين هم من الترك وقال القاري في شرح المشكاة نقلا عن الشراح ما حاصله ان قنطوراء هو (٢) ابو الترك فالحاصل ان هذا قد وقع وفق اخباره صلى الله عليه وسلم حيث خرب هلاكو حفيد جنكز خان بغداد ٦٥٦ سنه وقتل الخليفة المستعصم بالله وهذا من معجزاته الدالة على حقيقة رسالته صلى الله عليه وسلم وفي (٣) المدارك في سورة الاسراء نقلا عن مقاتل عن الضحاك واما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون اهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم * قلت وهذا كله قد وقع وهذه الاوصاف كلها اوصاف المغل فبنو قنطوراء هم المغل والتتار خاصة او الترك

(١) قال السيد اراد به بغداد بقرينة ذكر دجلة وقوله يكون من امصار المسلمين واما سماها بصرة لقرية كائنة بقربها تسمى بصرة اوغير ذلك الخ . منه عفي عنه .

(٢) وكذلك قال في فتح الودود شرح سنن ابي داود ورد على من قال انه اسم جارية ابراهيم عليه السلام. منه عفي عنه .

(٣) وكذا ذكر بعضه في الكشاف. منه عفي عنه .

كلهم والله اعلم وقد يخطر فى الخاطر الفاتر وجه وجيه فى تسميته صلى الله عليه وسلم اياهم بنى قنطوراء وهو انه يمكن ان يقول النبى صلى الله عليه وسلم بنو قان توران باضافة قان الى توران وان قان بالقاف وخان بالخاء المعجمة بمعنى الملك بالتركية وتوران اسم مملكة الترك فيكون المعنى بنو ملك توران فيفهمه السامع قنطوراء لعدم سماعه هذه الكلمة اصلا مع ان التغيير والتبديل فى الفاظ الاحاديث غير قليل ولو كان لفظا مألوفا وما نوسا فما ظنك بغير اللفظ المانوس والله سبحانه اعلم بمراد حبيبه بذلك* وقد اجتهد بعض مورخى العثمانية فى جعل الترك من نسل قنطوراء جارية ابراهيم عليه السلام وذلك ليكون نسب العثمانية ايدهم الله سبحانه بتأييداته متصلا بابراهيم عليه السلام بواسطة تلك الجارية المجهولة فيجتمع لهم بذلك شرف النسب مع شرف الحسب فما ابعده عن طريق الرشد والصواب حيث ارتكب هذه التكلفات الباردة والتعسفات الجاروده ولم يبال بمخالفة الجمهور مع عدم الفائدة فان نسب الخليل لو نفع لنفع اليهود ولما كانوا ادنى من كل دليل مع انه ولدتهم بعد الخليل مئون من بنى خليل بعد ان كانت جدتهم سارة رضى الله عنها التى هى حليلة الخليل عليه السلام فاذا لم ينفعهم هذا النسب الجليل اياهم كيف ينفع اتصال نسب الترك بواسطة تلك الجارية بالخليل فهيهات هيهات والعبرة انما هى بالكمالات والفضائل القائمة بذات الانسان لا بالآباء والجدود مع خلو الشخص فى ذاته عن المعارف والاحسان والعثمانية بتلك الفضائل العديدة والخصائل الحميدة لا يحتاجون الى الافتخار بكونهم من نسب الجارية المجهولة ولله در القائل*

شعر . واستنا الى حسن ادراكى العلا * اكان ترابا ثابل ذلك ام كسا

واى فخر للانسان بشرف الجدود اذا كان فى حد ذاته عاريا عن الفضائل الانسانية وتعدى الحدود وقد اجاد من قال

شعر : ولا ينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهلة

واى يحصل المجد والشرف لمن ضيع مجد ابائه وشرف جدوده بل يحصل منه لاصوله عار ولنسبه شنار وفى مثل ذلك قال القائل واجاد فيما افاد

شعر: ولاتفخر بقيس ان قيسا * عريتم فوق اعظمه البوالى

وقال الآخر

شعر: فى الناس قوم اضاعوا امجاد اولهم * ما فى المكارم والتقوى لهم ارب

وقال الآخر

شعر: يفاخرون بآباء لهم سلفوا * نعم الجدود ولكن بئس ما نسلوا

مع ان الحق سبحانه يقول ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لا فضل(١) لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى * وقال اذا(٢) كان يوم القيمة امر الله مناديا ينادى الا انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقاكم فابيتم الا ان تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم ارفع نسبى واضع نسبكم اين المتقون فاذا كان الامر كذلك كيف يفتخر المؤمن الموحد بالنسب مع ان العثمانية لو افتخروا بالنسب يكفيهم كون اجدادهم ملوكا(٣) عظاما من زمن نوح عليه السلام الى زماننا هذا والى قيام الساعة ان شاء الله * واغرب من الكل ان بعضهم استنتج من كونهم من نسب تلك الجارية المجهولة كونهم عرباطنا منه ان اولاد ابراهيم كلهم عرب انظر الى نتيجة الجهالة ثم انظر ان مثل هذا الجاهل كيف تصدى لجمع التاريخ واكتفى بعضهم بجعلهم من بنى قنطوراء ليدوم ملكهم الى آخر الايام لحديث فى ذلك رووه وهو آخر من يملكون من امتى بنو قنطوراء ولم اقف على مخرج هذا الحديث الى الان فان ثبت فهو صريح فى ان الملك لا ينتقل منهم الى غيرهم(٤) واستدل عليه ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن اهل صبر اهل لآخر الدهر هم

(١) رواه البيهقى عن جابر وهو اطول من هذا ونحن اخذنا منه قدر الحاجة. منه عفى عنه.

(٢) رواه البيهقى والطبرانى فى الاوسط والصغير. منه عفى عنه.

(٣) وانا راقم الحروف بعدان طفت [illegible] الدنيا وسبرت احوال اقوام شتى رضيت بكونى من [illegible] والمغل والباشقرد مع كمال الممنونية. منه عفى عنه

(٤) وقد تقدم اول من يسلب امتى ملكهم بنو قنطوراء وامامه [illegible] الحديث للاراء الاموصوعا ومصنوعا والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

اصحابكم مادام فى العيش خير فانهم قالوا ان المراد بالروم فى هذا الحديث هم العثمانية وبالاصحاب السلاطين والامراء كما قال المناوى وغيره ولا يخفى ضعفه فان المراد بالروم مناجيل مخصوص من الناس معلوم لكل احد والله سبحانه اعلم * ماذا تبين بطلان قول من قال ان الترك منشعب من قنطوراء جارية ابراهم الخليل عليه السلام وثبت انهم من اولاد يافث بن نوح عليه السلام باتفاق النسابين فاقول ان نوح عليه السلام لما قسم الارض بين اولاده الثلاث عين ليافث طرف الشمال والشرق فودع اباه وتوجه نحو ذلك الطرف واعطاه نوح عليه السلام حين وداعه حجرا منقوش فيه الاسم الاعظم يقال له حجر المطر ويقال له بالتركية يده تاش وكان يافث يستسقى به وقت الحاجة ويستمطر ثم بقى الى اولاده ويوجد من جنس ذلك الحجر فى الاتراك الى الان خصوصا فى قزاق المشهورين بقرغز فانهم يستعملونه وقت الحاجة ويستمطرون به وهو اشهر من ان يقع فيه الاشتباه * قيل ان يافث سار نحو الشرق واقام بها وقيل بل سار نحو الشمال واقام فيما بين نهرى جايق واتل وهو المناسب بحال ممالك اولاده لكونه وسط ممالكهم قيل انه عاش ٢٥٠ سنة ثم ارتحل الى رحمة الله تعالى قال البعض انه كان نبيا وخلف ثمانية اولادا واحد عشر ولدا من صلبه فقط كما مر بيانه واما احفاده فقد كثروا جدا * ترك بن (١) يافث كان اكبر اولاده وارشدهم واعقلهم ترك بن يافث وكان يقال له يافث اوغلانى وكان قد جعله ولى عهده من بعده فجلس بعد ارتحاله مكانه ولما وصل فى اثناء بعض سيره الى محل نزيه كثير المياه طيب الهواء فى طرف منه جبال (٢) شامخة وفيه بحيرة صغيرة استطابه واختاره للاقامة فيه وكان يقال له سيلوك ويقال له الآن اسى كول كذا قال ابو الغازى خان فى تاريخه وكان الترك ملكا عاقلا عادلا فاضلا شجاعا منصفا عفيفا وهو اول من اخترع

(١) ونحن جرينا هنا على الاشهر وقد عرفت الاختلاف فى كونه ولده الصلبى او حفيده او حفيد ولده فتذكر. منه عفى عنه.

(٢) وهى جبال منشعبة من جبال الاطاغ او هى نفسها وهذه الارض هى اصل ارض الترك ومنبعهم ومنشاؤهم ويقال لها التركستان والتتارستان الكبير ومملكة توران ايضا. منه عفى عنه.

الخيام والاخبية والحركاهات للسكنى ويقال ان الرسوم والعادات التى تجرى الى الآن بين قبائل الترك الاصلية اعنى بهم القاطنين فى تركستان وتاتارستان المشهورة بدشت قبجق وصحراء قرغز وقزاق بعضها بعين مستحسنها مثل قرى الضيف والمرحمة والمواساة والصداقة باق من الترك وعاش الترك على ماذكر فى روضة الصفا ٢٤٠ سنة ثم اجاب داعى الحق رحمه الله تعالى * بيان احوال اولاد الترك وقبائله عموماً ولما كثرت اولاد الترك واحفاده بمرور الزمان انشعبوا على شعوب كثيرة وقبائل شتى وانتشروا فى اطراف اراضيهم المخصوصة بهم وجوانبها واشتهر من بينهم فى كل عصر بل قرون متطاولة قبائل كثيرة مثل التتار والمغل والقبچق والخزر وبجناك وغيرهم بحيث عد كل واحد منهم قوماً مستقلا حتى وقعت الشبهة لذلك فى كونهم من الترك واحتيج فى اثبات ذلك الى النقل والتأييد وامتازت قبيلة التتار من بين تلك القبائل قديماً وحديثاً بمزيد الاشتهار حتى استعمل لفظ التتار مراداً باللفظ الترك خصوصاً عند اهل آوروپا حيث انهم يطلقون لفظ التتار او مرادفه عند قدمائهم لفظ سيتيا او اسكوتيا او ما تشعب منها على كافة قبائل الترك حتى ان فى جغرافيا رماعه بك المعرب من جغرافيا ملطبرن الفرانساوى عد العثامنة وقرامان وسائر قبائل الترك من التتار فى جدول مخصوص وقال ان هؤلاء الامم يسمون جميعاً باسم التتار ولهذا اشتهر الاقليم التى هى مهد ظهور تلك القبائل كافة بتركستان وتاتارستان على معنى اقليم الترك والتتار. ومملكة هؤلاء القبائل التى يقع عليها اسم تركستان وتاتارستان يحد شرقاً بمملكة الصين وجنوباً بممالك الهند والفرس والروم والبحر الاسود وشمالا بمنتهى المعمورة وغرباً بانهر طونه ودينستر ويستوله بالنظر الى تصرفهم وجولانهم فى غالب الاوقات فان المملكة المذكورة لم تستمر على حالة واحدة بل اتسعت تارة وتضيقت تارة اخرى حسبما يقتضيه طالع الحرب وينتجه اقبال الهجوم والضرب كما هى حالة ممالك سائر الامم خصوصاً الجهة الشرقية والغربية منها فان الاولى كما انها اتسعت تارة وتضيقت اخرى بمقتضى نتائج معاملاتهم باهل الصين كذلك الثانيه

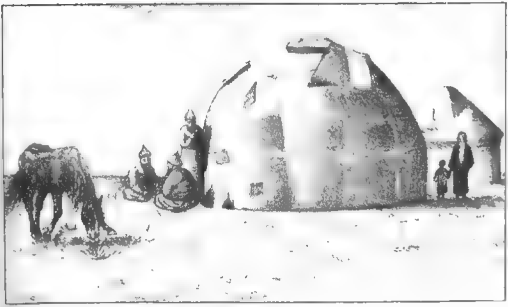
احتفى سعة وصيدا حسب معاملاتهم بالامم الغربية حتى تعدت حدود طوية وبلغت سواحل البحر الابيض وممالك روسيا كما يستطيع على انه انشا انه اثناء انبيان ويمكن ماجار وبلغار الذين هم من قبائل الترك فى وطنهم الحالى من نتائج ذلك التعدى والذين كانوا من هؤلاء القبائل فى اقليم ماوراء النهر ومن غانة وكاشغر وتبت وفى حدود الفرس والروم وآوروپا ان بنوا البلدان والقصبات والقرى واستوطنوها الآن اكثرهم كانوا رحالة نزالة خصوصا الذين كانوا فى وسط اقليمهم المخصوص بهم الذى اشتهر فى القرون الوسطى بدشت قپچق نسبة الى قبيلة مشهورة منهم، هو المشهور الآن ببرية قراق ودرغز وهو نموذج من الجنة ايام الصيف خصوصا حين كون الشمس فى بروج الجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان واهله دائمون الى الآن على تلك الحالة وكذلك الذين سكنوا مابين جبال اوارال ووولغا المسمى بسهول روسية كبرى والآن بارض باشقرد والذين اقاموا فى سواحل نهرى ىس (دون) ودنيپر كانوا سابقا رحالة نزالة الا انهم تركوا تلك الحالة مذ اعصر كثيرة الى مالاء الحضارة والا قامة بالبلد ان ووصفهم هذا اعنى بداوتهم وكونهم رحالة ونزالة هو من جملة اوصافهم المشهورة التى امتازوا بها عمن عداهم وصار منشاء احتقار هم عند اهل آوروپا نعم ان العدو لايقصر فى اظهار عيوب عدوه مهما امكن ولا يستنكف من عد محاسنه مساوى بان ذلك دينه وهذا وظيفته وانما القصور والعيب فيمن يتلقى ذم العدو وعيوبه واحتقاره اياه معتمدا على العمى بالقبول من غير وضعه فى ميزان المحاكمة والوجدان فان اللازم على اللبيب صاحب الدراية المحتاط فى اعماله الصادقة عنه ان لا يقدم على التصديق والتكذيب الا بعد النظر العميق فيما ادعاه واحتقره ووزنه بميزان العقل والوجدان والفكر فاذا ينبغى لنا ان ننظر الى كيفية معيشة هذه الاتراك الرحالة والنزالة وطرزها فهل نجدها مثل كيفية معيشة اهل البدو الساكنين فى برية العرب وصحارى افريقا الذين يشاهدونهم اهل آوروپا ويقيسون عليهم قبائل الاتراك فى تلك المعيشة المتعسة او نجدها مثل كيفية معيشة اهل آوروپا المقيمين فى مساكن

باريز وبرلين وغيرهما او اعلى منها ونحن لم نشاهد كيفية معيشة الاتراك القدماء ولم يبق لنا منهم اثر مبين لطرز معيشتهم حتى نقول فيها شيئا ونحكم به بناء على ذلك ولكن اذا نظرنا الى كيفية معيشة الاقوام الرحالة والنزالة من الاتراك الموجودين الآن مثل القبائل المشتهرة الان بقزاق وقرغز نجدها من غير مبالغة اعلى وافضل من كيفية معيشة اهل آوروپا المقيمين بالمساكن العالية والبيوت الحسنة في باريز وبرلين من جهات شتى بحيث يمكن لنا ان نحكم باغتباطها (١) اياها فضلا عن ان نحكم بينهما بالمعادلة والمساواة والشاهد العدل على ذلك ان واحدا من سكنة تلك البرية اذا اقام في بلدة اورنبورغ او طرويسكى او غيرهما مما هو متصل بها زمانا يسيرا وقع في مرض صعب او مرض يصا من وخامة الهواء من قبيل اللازم في الاكثر والغالب على ما شاهدناه مرارا بعيوننا مع ان تلك البلاد ليست بادون من پاريس وبرلين من جهة الهواء والنزهة الطبيعية وان لم تكن مثلهما من جهة حسن الابنية والزينة الصنعية العارضية ومن عرض له المرض الصعب في بلدة مثل پطربورغ وپاريس وبرلين من احسن مدن آوروپا وانزهها فضلا عن اورنبورغ وطرويسكى وامثالها وعجز الاطباء عن معالجتها ثم اتى تلك البرية لتبديل الهواء واقام بها مدة وشرب من اللبن والقمز

(١) ومن شك في صدق هذا الكلام وحمله على المبالغة فعليه بمراجعة ترجمة رحلة تركستان المركية اصلها بالانكليزية لموسيو شيللر الامير يكي طبع استانبول ص ٤٩ مع انه لم يقم فيما بينهم بل مر مارا فيهم الى طاشكند وعبارته الاخيرة بعد بيان خركاهات قزاق ووصفها اما والجلوس بينهم في الصحراء افضل واعلى من هذه الجهة من الجلوس في قصور آوروپا وقال رفيقه موسيو ماغمان الامريكي في وصف حركاة من خركاهات قزاق وطني ان الراحة والانشراح التي رأيتها في هذا الموضوع لا توجد في اعلى قصور اهل آوروپا وغيرهم الذين هم يدعون المدنية وهذه الخركاة هي اعظم حركاهات رأيتها الى الآن كان قطرها عشرون قدما تقريبا والاليد التي غطيت بها من فوقها يرى ابيض كالثلج انعم الوصف المطابق للواقع مع ان هذه الخركاة التي رأيتها هي بين جيحون وسيحون وبين هذا الموضوع والجهة الشمالية فرق كثير من جميع الوجوه ومع ... في بعض ... موسيو ماغمان من وصف حركاة قزاق يكون قطرهما خمسة عشر قدما وارتفاعها ثمانية اقدام انما هي حركاهات الفقراء في جوانب الطريق والصواب ما وجد اصابه ولا يمنك مثل خير منه عفى عنه



منظرة داخل خركاه من خركاهات قزاق وصور محاكمتهم



رسم بيت من بيوت قزاق المسماة بالخركات

الذين هماغذاء اهلها دائما يكتسب الصحة التامة و العافية الكاملة وهذا ليس دعوى بلا دليل و كلام جزافي بل هو مشهور لدى الكل. واقع في كل عام كيف لا فانهم يسكنون بيوتا على هيئة قباب بيض قطر المتوسط منها ثمانية ادرع و سمكها سبعة او ستة مصنوعة من شبابيك اعواد متينة ظريفة مركب بعضها ببعض بطرز عجيب مغطاة من فوقها بلبد ابيض متين مزين بالوان عديدة بديعة من الحمر وغيره مزين بصناديق مرصص بعضها فوق بعض ثلاث طبقات او اربعة من الباب الى الباب مفروش وسطها ببسط و طنافس من القطيفة و في آخر الصناديق بسار الداخل سرير منقوش بنقش عجيب بديع و مزين بعظام الجمل للنوم لا يوجد مثله في آوروپا وهذه البيوت تقوض في كل خمسة عشر يوما او عشرين او في كل شهر ولا تبقى ازيد من ذلك في الصيف وتنصب في مروج من الارض بجنب غدير كبير نبتها المزدان بانواع الازهار يبلغ حقوا الانسان و صدره ولم يصل اليه قبل رحل انس ولا جان فاني يكون فيها وخامة الهوى او اذية مثل القمل و البرغوث و البق و البعوض و الذباب من الهوام و الانسان عاجز عن وصف لذة النوم في تلك البيوت و الخركاهات و زد على ذلك الحسن حسن الموسيقى الطبيعي الخلقي الحاصل من اصوات انواع الطيور الكائنة في الغدير المذكور من البط و الاوز و الكركي و حباري و غيرها مما لا يكاد يحصر من الطيور البرية خصوصا بعيد الصبح الى طلوع الشمس فاهل غريب الديار يقدر ان يمسك نفسه من البكاء في ذلك الوقت ان كان قلبه من الحجر او الفولاد فماذا يكون موسيقى آوروپا الصنعي في جنب هذا الموسيقى الطبيعي واني يمكن وصف الذوق والصفاء الحاصل من تلك المنظرة العجيبة البديعة العديمة النظير الناشئة من لون ماء الغدير اللازوردي والبلوري عند انعكاس الشمس عليه وقت طلوعها و من انواع الالوان الحاصل في اطرافه الى مد البصر من انواع النباتات و الازهار المتشكلة * بشكل لطيفة منقشة بنقوش غريبة بديعة الصادق عليها قول القائل

شعر يا صاحبي تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصور

تــر با نــهار امشمـا قــد شـابه • زهــر الــسر با وكأنما هو مقمر الآن يكون الواصف سحماى المشرب فى من المبان والوصف واذا انضم الى ذلك عدم ابتلائهم بالشقاوة والتعاسة اللتين ابتلى بهما الاقوام الاوروبية عموما فى تحصيل اسباب المعاش من القوت واللباس وانواع الرياش والتهالك فى جمع المطاير المسطرة والمماوس فيها وارتكاب الانتحار منها واكتفاؤهم فى ذلك بما يحصل من مواشيهم من اللحم والسمن والاشعار والاوبار وما انضم اليه من الخارج من اشياء ايسر من لحوم الصيد والبكر او مواساة بعضهم بعضا فى معايشهم وملاحظة هذه السهولة الحاصلة فى تحصيلهم فى المعاش من جميع الوجوه لا يتردد فى الحكم بكون الاتراك اسعد من اهل اوروبا بمراتب كثيرة لا يقادر قدرها يدرك هذا الفرق من له ادنى اطلاع على طرق معايش الاوروبيين من جهة المسكن والملبس والمطعم فانه وان وجد منهم كثير من اهل المعيشة ممن سكن فى البلاد الكبار الان سعادة واحد منهم بتلك السعادة لا يحصل الا بشقاوة الوف من اهل التعاسة لذلك مع ان القسم الاعظم منهم اعنى اهل القرى والارياف فى غاية من ضيق المعيشة من كل الوجوه بخلاف الاتراك فانهم وان وجد بينهم التفاوت فى المعيشة الا انه قليل جدا والاكثر متساوون فيها او قريبون من التساوى والذى يملك منهم ستمائة او سبعمائة من الخيل والفا من الغنم ومائة من الابل وثلاثين او اربعين من البقر والذى لا يعد عندهم من المال يعد عندهم من الاغنياء المتوسطين ونسبة هؤلاء الى الكل تكون بالتقريب ربعا او خمسا والذى عنده اربعون او خمسون من الخيل ومائة من الغنم وعشرة من الابل يعد من الفقراء ورب ... ... حد عندهم من يملك اربعة آلاف من الخيل وغيرها على هذه النسبة وهذا رايته بعينى وسمعت من كثير ممن اثق بهم وجود من يملك ثمانية آلاف من الخيل وغيرها على هذه النسبة من المواشى فى طرف سيبيريا واعتبر عندهم من المواشى الخيل لاجل القمز الحاصل منها والنحم واكثر غذاؤهم الاول فى الصيف والثانى فى الشتاء على ان اغنياءهم يواسون فقراءهم مواساة يستحيل

وجود مثلها في عصرهم من الامم بحيث اذا ذبح واحد منهم شاة يجتمع عنده اهل قريته المركبة من عشرة بيوت او اكثر او اقل فاكلوا ... من افخر الذبائح بل عمالهم ولم يمنع ... بعضهم بعضاً من ادواتهم بالاعارة بعضهم بعضاً في السير والتفرج والتنزه في ... المروج الطيبة الهواء والحديقة ... التي هي مملوءة من ... ويشترك فيها الاغنياء والفقراء ليس بينهم امر راعته ... ترفيه من الحسد ... والخسارة مع ... من تعاسة عيشة اوربه ... حتى ... في الملاحظة فلا مجال للمعتقد ... الى العقلاء من احوال ... مبالغة ... انكار التدبير والتعمق في الكمال لو رأى ... اعمى الادراك من الصعوبة والصعة والمسكنة ... الاوروبا بين من الطنطنة والدبدبة التي تحير العقول وتدهش النفوس في بادي النظر لا ريب هذه الكلمة العظيمة لست من الجاهلين وان اكون ان شاء الله ... من المطففين والمنكرين وانما الامر كما وصفت من ان طنطنتهم الظاهرة ودبدبتهم الموقتة لا تحصل لهم الا اشعارة ... بل بلا يبين من النفوس فهي كما قال الشاعر

شعر

حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفي البداوة حسن غير مجلوب

ومع ذلك فهل شق ذلك المعتقد قلوب المستغرقين منهم واطلع على ما فيها * لا والذي نحت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائه * فهو لم يطلع على ما هنالك فانه لو اطلع لعلم يقينا ان ما عده سعيدا فهو اشقى الاشقياء ... من الحرص الشديد والجشع الوافر والحسد ... التنافس والرغبة ... سوى الخسارة في التجارة وسقوط اعتبار عند التجار الذي هو الموت الاحمر عندهم بل اشد من الموت ولذا نطلع في الجرائد على وقوع انتحار مآت منهم في سنة واحدة مع عدم سماعك انتحار واحد من الاتراك في مآت من السنين فاذا احطت بذلك فزن حينئذ بميزان عقلك هل طنطنتهم تلك الظاهرة من السعادة ام من الشقاوة ومن المعتقد في هذه المحاكمة وكيف ... الاحوال التي هي ... احوال بقايا الاقوام التركية الموجودين الان المشرفين الى التلاشي والاضمحلال بسبب دخولهم تحت سلطة دولة ظالمة بالغة نهاية الظلم وغاية الوحشية وكونهم محكومة عليها محكومية الشياه

للسباع حيث نزعت عنهم قسما اعظم واعلى واخصب من اراضيهم ولا تزال تنزعها الى الان ثم سلبت عنهم حقوقهم الدينية وحريتهم المليية والوطنية والشخصية بالكلية وتداخلت فى عوائدهم واخلاقهم القومية بحيث ماتت هممهم وزالت انشيطهم وصارت الحياة والممات متساويتين عندهم بل امست الثانية ارجح من الاولى فاى يكون لهم القيام بمصالحهم واكتساب طرق معايشهم كما ينبغى فضلا عن النهوض للترقى واما الاور و پاويون فى هذا العصر فهم بعكس ذلك لانهم الآن فى ذروة الحرية فى جميع امورهم ولا ظلم فيهم من طرف احد ولا مانع لهم عما يريدون فعله فهم فى غاية النشاط فى جميع ما تشبثوا به اما الاتراك القدماء الذين كلامنا فيهم فلا يصعب استخراج كيفية احوالهم فى معايشهم بالمقايسة على احوال الاقوام التركية الذين بينا احوالهم فان معيشة هؤلاء التعساء اذ كانت على الكيفية التى بيناها مع تلك المضايقة الشديدة الحاصلة لهم من طرف حكومتهم الظالمة فما ظنك بكيفية معايش قدماء الاتراك الذين كانوا يجرون نفوذهم الى من جاورهم من الاجانب ويخاف الامم الاقوياء والدول العظام كالصين والفرس والروم بأسهم وسطوتهم وشوكتهم فضلا عن كونهم مالكين لجميع حقوقهم وعوائدهم الدينيه والملية فهل تقدر ان تقادر قدرها هيهات وربما نقف على شهادة اعدائهم لهم بالتمدن فى اثناء البيانات الآتية فلا تنس نصيبك مما ذكرنا حين بلوغك هناك بقى لنا ان نبحث عن احوال الآورو پاويين فى سالف الزمان الذين تترك شعشعة ماهم فيه من الاحوال عيوننا فى حيرة وعقولنا فى اندهاش وينظرون الى الاقوام الشرقية عموما والاتراك خصوصا بنظر شزر ويحكمون عليهم بالهمجية والوحشية ويتبعهم كثير منا فى هذا الحكم كما اسلفنا فهل نجدهم انهم كانوا على هذه الحالة المطنطنة من القديم او حدثت فيهم هذه الحالة العجيبة فى قريب من الزمان وكانوا قبل ذلك فى غاية من الهمجية والذل والهوان وليس للاطلاع واطلاع الناس على ذلك طريق اعلى واحسن واصوب من المراجعه الى قول صدر عن واحد منهم ونقل فنقول وبالله التوفيق قال دراپر الاميركانى فى رسالته نزاع العلم والدين كان كافة

اطراف آوروپا (يعنى قبل ذلك ٤٧٥ سنة كما سيذكر) مستورة بغابة كثيفة وكان يرى بعض القصبات والاديرة فى اراض منحطة وسواحل انهر من مسافة بعيدة وكانت الميازيب والجداول الحاصلة من المواحل الواسعة الكائنة فى شطوط الانهار يمهد طرق الموت وسبل الهلاك الى مسافة بعيدة وكانت البيوت فى پاريز ولوندن مبنية من الاخشاب والتراب وسقوفها مغطاة بالحشيش والقصب والتين ولم يكن لها طباق ومأوى قط وكان قليل منها مفروشة بالالواح الى ان يحدث المنشار الذى تنشر به الاخشاب وكان بسط الفرش والسطفيها من المجهولات بل كانت تفرش بالتبن فوق التراب بدل البساط والكليم ولم تكن لها مدخنة قط وكان الدخان يخرج من ثقب فى السقف مهيأ لذلك* والحاصل كانت الاهالى فى مساكنهم المذكورة معروضين لمهالك كثيرة ولم يهتدوا الى تدبير اسالة الماء النجس وكانت القمامة الحاصلة من الحيوانات والنباتات ترمى من الباب الى خارجه فقط فيتشكل من ذلك كومة وتل فى فناء البيت والازقة وكان الرجال والنساء والاولاد حتى الحيوانات الاهلية فى اكثر الاوقات يبيتون فى حجرة واحدة وكانت عدة من الاحوال المغايرة للاداب والاخلاق الحميدة بسبب ذلك الاختلاط والهرج والمرج ظاهرة ومشهودة فيما بين العائلة وكانت فرشهم عبارة عن كيس مملو بالتبن ومخدتهم كانت عبارة عن كيس آخر صغير مملو باشعار الحيوانات واوبارها وكانت النظافة الشخصية من المجهولات بالكلية وكانت كبار مأمورى الحكومة ومثل قسيس (١) (كانتور بارى) من كبار الاعيان مستغرقين فى القمل وقمل طوماس بكت الذى كان خصما الدوا عظم اقرال انكليز لايزال يحكى ويسطر فى صحائف التواريخ وكان لبس الاشخاص العادية من جلود الحيوانات والذى يأكل اللحم الطرى فى الاسبوع مرة واحدة كان يعد من السعداء ولم تكن الازقة مستوية فضلا عن كونها مفروشة بالاحجار ومنورة بالفوانس وكانت القمامة المتراكمة المكومة فى النهار والمياه النجسة ترمى فى الازقة وعلى رأس المارين بها فى الليل وكانت ابواب البيوت من جلد ثور يابس وكانت اقوات الاهالى من الحبوب الكبار كالحمص وربما كانت من لحى الشجر وكان

(١) باصابة قسيس اى كانتور بارى. منه عفى عنه .

اهالى بعض المواضع لايعرفون الخبز ابدا ماهو وكانت الانجاس المادية لاسيما من
الانجاس المعنوية وكانت اهالى القرى لايجدون شيئا يسترون به انفسهم سوى الحصير
وكانوا مقهورين ومحصورين تحت سلطة الكبار وكان الاغنياء يمشون ويغصبون
جميع ما فى ايدى الفقراء ويسوقونهم الى مسافات بعيدة للاستخدام ويرمى بناتهم
فى محلات الفواحش ويبعن كرها ويبعن كالجوارى وكان السكر ايلافا لهم وعادة
مستمرة فيهم وكانت هذه الحالة الشنيعة لاتترك فيهم دينا ولا فكرا الى آخر ما ذكر
بطوله عربناه من ترجمة مدحت افندى وقد تبين كون هذه الحالة فى ١٤٣٠ سنة
ميلادية نقلا عن بيان واحد من السياحين فتكون قبل هذا ٤٧٥ سنة وفى
اوان ضعف دولة التتار الشمالية وقربهم الى السقوط والاضمحلال ولو ان كان فيها
الشيخ العلامة احمد بن عربشاه الدمشقى افندى وصف احوال تلك البلاد انظر
الى المقصد الثانى وقابل هذا بهذا تعرف التفاوت بين الحالين وهذه حالة اهل
آوروپا الذين لايزالون يطعنون فى الاتراك بالوحشية ويرمونهم بالهمجية من مدة
بعيدة ولاندرى الى متى امتدت فيهم هذه الحالة والظاهر من كلام دراپر المشار اليه
فى اثناء بيانه انها امتدت فى بعض بلاد آوروپا الى قريب من عصرنا هذا بل ذكر
رؤيته رقيقا فى روسيا فى ١٨٧٠ سنة على سوء حالة بعينه اى حاجة الى هذا اذهب الى
بلاد الروس وانظر الى قرى الروسية خصوصا الذين تخلصوا من رقبة اغنيائها
(بويار) عن قريب ترى احوالهم اسوأ واشنع مما ذكره دراپر فتعرف بذلك ان
ذمهم وتشنيعهم الاقوام التركية مبنى على ما هنالك بهو لهم قرغز قوش قرغز قوشا
من اين نشاء وعلى اى غرض مبنى والحاصل ان الاحوال المخصوصة بالاتراك
وما اشتهروا به فى طرز معايشهم واقامتهم فى البرارى والصحارى التى مرت
اوصافها فى البيوت والاخبية التى سبق ذكرها على الكيفية التى اسلفنا بيانها
واقتناء المواشى التى بينا اجناسها ومقدارها والاكتفاء بما حصل منها من الالبان
واللحوم والاشعار والاوبار والجلود وما انضم اليها من لحوم الصيد وجلودها
وما اغتنموها بغزوهم الاقوام المتجاورة ونهبهم وسلبهم اياهم واما اخلاقهم
وعاداتهم المختصة بهم فحب الحرية والاستقلال وعدم مداخلة احد فى امورهم

واطاعة ملوكهم فيما يجب مستطاعته من عدم ان يعتقدوه مالكا على الاطلاق وانقيادهم لهم ولكن لا يستعبدون [illegible] فضلا عن اعتقاد ذلك في اعيانهم وكبرائهم كما كانت عليه اقوام اخرى [illegible] اعدائهم بجميع [illegible] الامر في [illegible] واقع كذلك من [illegible] كما وصفنا وجل [illegible] الاوصاف [illegible] عمن سواهم في الشجاعة والبسالة [illegible] في [illegible] الحرب والطعن والضرب والصبر والمتانة وتحمل [illegible] المشاق [illegible] ذلك [illegible] واصدقائهم ومرحمة الضعفاء والمساكين [illegible] والاجتناب عن طرق الظلم وعداوة اهله واجراء قوانين العدالة والمساواة والانصاف فيما بينهم ومواساة بعضهم بعضا ومشاركتهم في اوقات البلية والمصائب والاجتناب عن الغدر والخيانة والتباعد عما [illegible] الاجتناب [illegible] والوفاء بالوعود والعهود والمواثيق وبذل [illegible] في ذلك حسب طاقة البشرية والاقتصاد في معايشهم والاجتناب عن الاسراف [illegible] والسماحة [illegible] وملازمة القناعة والمسالمة والاكتفاء [illegible] والتنفر عن الحرص والجشع والطمع الفارغ ومجازات اللصوص والسراق وقطاع الطريق وسائر من يتعاطى ما به في الامن والامان بالشدة والصرامة (١) من غير ان تأخذهم فيه رحمة ورأفة ومن غير ان يشفع فيه شفيع [illegible] الكبر وارباب الفضائل ذوي الشعار ومرحمة الصغار الى غير ذلك من الاوصاف الحميدة والخصال الحميدة الممدوحة والمندوب اليه عقلا وشرعا والذي له اطلاع ووقوف على احوال الترك وهو متصف بوصف الانصاف والحقانية لا ينكر اتصاف الاتراك بهذه الاوصاف التي سردناها وتخلقهم بها من القديم وبعض هذه الاخلاق المذكورة وان كان مفقودا الان في قبائل الاتراك

(١) [illegible] فلا تسعة افراس [illegible] ولا يلزم [illegible] ولا يكفي [illegible] السرقة [illegible] القمر وهو يرجع به الى السارق [illegible] السراق [illegible] لا يوجد فيهم سراق قط وهذه المعاملة [illegible] الى الان [illegible] الى الوحشة [illegible] الامريكيين [illegible] المعاملة [illegible]

المجاورة بسائر الاقوام والمختلطة بهم بسبب ذلك الاختلاط والمجاورة خصوصا المجاورين لاهل آوروپا الذين هم عارون عنيا بالكلية ولكن القبائل البعيدة عن آوروپا والسالمة من الاختلاط بالاجانب والباقية على عنصرهم الاصلى يحفظون تهم التركية مثل القبائل المشهورة باسم قزاق و قرغز الساكنة فى اواسط اراضيهم وبريتهم المشهورة بدشت قپچق متخلقون بها حسب الامكان يشاهد هامنهم الان من اختلط بهم وصار ضيفا بهم واقام بينهم مدة من الزمن

ذكر نبذة من احوال الترك وقت المحاربة ننقلها من كتاب فضائل الترك للجاحظ بالواسطة منتخبا بمعناه قال وهؤلاء يعنى الاتراك لما كانوا اصحاب الخيول وارباب الفروسية يدورون حول العسكر فوق الخيول وبسبب مهارتهم فى الصولة والدوران والهجوم يحيطون بعدوهم بكمال السرعة مثلما يقلب الكاتب الاوراق ويشتتون شملهم ويفرقون جمعهم ويتركونهم كالعهن المنفوش فكما ان الكماة والطلائع والساقة يكونون منهم كذلك هؤلاء يكونون اصحاب السناجق والبيازيق والطبول والمهاريز فى الايام المشهورة والمحاربة الشديدة ويكونون فى المحاربات طلابا لا مطلوبين ومن اجتمعت قوات الفرس والعراقيين والخوارج فى شخص واحد لا يعادل ذلك الشخص واحدا من الاتراك وهم لا يعتبرون بمجرد جسامة الفرس وانما يقتنون فرسا جربوا منه فى محاربات عديدة انه لا يترك فرسا يتعداه ويسبقه ويبذل فى ذلك غاية جهده وكل واحد منهم فارس وسايس وبيطار وحداد وراع وكل منهم مكمل فى هذه الصنائع بحيث لا يحتاج فيها الى غيره فاذا خرجوا الى المحاربة مع عساكر سائر الاجناس فهم يقطعون مسافة عشرين ميلا فى زمن يقطع فيه غيرهم عشرة اميال فانهم يفارقون سائر العساكر ويميلون الى اليمين والشمال وينزلون الى بطون الاودية ويصعدون الى قمة الجبال ويصيدون بهذه الكيفية الهاربين من عدوهم ولو كان من مشاهير الابطال فمتى وقع اليأس من الصلح والمسالمة وتقرر الحرب يدافعون عن انفسهم بتحصين مواقعهم العسكرية بالطبع ويبذلون فى ذلك غاية جهدهم من غير ادنى

فتـور ومن علو همتهم وصفاء مداركهم لايخطر بخواطر اعدائهم انتهاز الفرصة عليهم او التشبث بحيلة ما لاغفالهم وقال يزيد بن مزيد فى وصف الاتراك لاثقلة لابدان الاتراك على الفرس والارض ويدرك التركى الشئ الذى يجئ من ورائه حال كون فرساننا لايرون الذى امامهم ويعدنا الترك صيدا ونفسه اسدا وفرسه حية فان القى واحد منهم فى البئر مربوط اليد يخلص نفسه منها من غير تشبث بحيلة وطبعهم مائل الى الكفاف يرجون ما ينالونه بسهولة على كل شئ سواه ويحبون كون قوتهم من الصيد واموال الغنيمة ويثبتون فوق ظهور خيولهم طالبين اومطلوبين من غير فرار وقال ثمامة من الاشرس حين كنت اسيرا بايدى الاتراك رأيت منهم لطفا واكراما ورأيت اسبابهم مكملة الترك لايخاف قط بل يخيف غيره ولا يطمعون فى غير مطمع ولا يقعدون عن طلب شئ يريدون تحصيل قبل ان يحصلوه فمتى حصلوه لايضيعون شيئا منه قط ويبذلون غاية جهدهم فى امر يقدرون عليه الى ان ينالوه وكل امر لا يقدرون عليه لايضيعون وقتهم ولا يتعبون انفسهم لتحصيله ولا ينامون الا اذا غلبهم النوم ومع ذلك لايكون نومهم ثقيلا بل خفيفا جدا بحيث ينامون بالتيقظ والانتباه يعنى بالاحتياط دائما وقال ورأيت مرة فى بعض محاربة المأمون صفوف الخيل فى طرفى الطريق فى اليمين مائة خيل من الاتراك وفى الشمال مائة من الفرسان المختلطة منتظرين لمجئ المأمون وكان الوقت حارا وقد قرب نصف النهار واشتدت الحرارة فنزل من الفرسان المختلطة من فرسهم سوى ثلاثة او اربعة ولم ينزل من الاتراك سوى ثلاثة او اربعة وقال ايضا لما خرجت من بغداد مرة الى السمر رأيت فصيلة من الفرسان من اهل خراسان والاعراب وسائر الاجناد قد عجزوا عن امساك فرس ند منهم فمر بهم فارس من الترك منسوب الى تلك الفصيلة راكب على فرس هزال ضعيف فلما رأى عجزهم تصدى لامساك الفرس المذكور فشرعوا فى الضحك والسخرية منه ومن فعله قائلين ان الامر الذى عجز عنه هؤلاء الاسود كيف يقدر هو عليه فلم يمض الاوقت يسير حتى امسك الفرس مع قصر قامته وهزال

فرسه وسلمه اليهم ومضى لسبيله غير ملتفت الى دعائهم ولا الى حسن ثنائهم ومكافاتهم ومن غير مفاخرة فى مقابلة احتقارهم به كانه لم يصدر منه شئ قط * ذكر السيد محمد البرزنجى فى كتابه الاشاعة نقلا عن قناعة السخاوى انه قال قال الحاكم فى مستدركه باسناده الى محمد بن يحيى بن ابى بكر الصولى التركى الاصل ان الذى مدح الترك بالشجاعة اولا من الشعراء على بن عباس الرومى انشد هذين البيتين فى مدحهم شعر

* اذا ثبتوا فسد من حديد * تخال عيوننا فيه بحار *
* وان برزوا فنيران تلظى * على الاعداء يضرمها استعار *

قلت وهذان البيتان العديما النظير ايضا قيل فيهم وظنى انهما قيل فى حق القفچق منهم شعر

* وفتية من كماة (١) الترك ماتركت * الرعد كماتهم صوتا ولا صينا *
* قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا صاروا عفاريتا *

هذا وان كانت شجاعة الاتراك وشهامتهم وحزمهم ومتانتهم وبسالتهم وجودهم وسخاوتهم وسائر اوصافهم الحميدة وآثارهم الدالة على علو جنابهم وصفاء مداركهم بسبب كونها فى الميدان وغير خافية على احد من الانس والجان لا يحتاج فى اثباتها الى مثل هذه النقول ولكن لما كانت الطبائع مختلفة والمدارك متفاوتة على وجه يكذب كثير من الناس حواسهم لغلبة تقليد الغير فيهم ويرجحون مسموعاتهم على مشهوداتهم ويحرمون انفسهم من الانتفاع بحواسهم ومداركهم التى وهبها لهم واهب العطايا جل شأنه وعظمت قدرته اثبتنا هنا نبذة من المدايح الصادقة التى قيلت فى حق الاتراك من طرف من لا يتهم بالتعصب الجنسى لكونهم من غير جنس الاتراك لعل هؤلاء المقلدين ينتفعون بها والله الموفق ديانة الاتراك القدماء ومعارفهم اعلم كما ان علمنا المتعلق

(١) الكماة جمع كمى وهو الشجاع كب العدو على الارض كبا اى صرعه بوجهه منه عفى عنه .

بسائر امورهم قليل جدا ومحدود لعدم تاريخهم المبين لذلك كذلك علمنا المتعلق بديانتهم ومعارفهم في تلك الازمنة المتطاولة قليل جدا ومحدود ومعدود بالضرورة والقول الحقيق بالقبول والتحقيق الذى يعتمد عليه فى هذا الباب ارباب العقول مفقود من اصل بل كل قول قيل فى هذا الخصوص فهو ما صدر عن قائل بالظن والتخمين او مبنى على الغرض الفاسد كما نسبهم البعض الى الوثنية مطلقا وبعضهم الى الوثنية الشامانية وبعضهم الى البوذية وبعضهم الى عبادة الشمس والكواكب وسائر الاجرام العلوية وبعضهم الى عدم الديانة مطلقا وبعض منهم ينسبون الاتراك القاطنين بماوراء النهر والسيبيريا اعنى قبيلة اويغور بعد ظهور النصرانية الى مذهب النسطورية(١) منها حتى ان صاحب القول الاخير يدعى تشكل البسقوبسية (جمعية روحانية دينية من النصارى) منهم فى مرو وسمرقند اما نسبتهم الى الوثنية المطلقة فلاشك فى بطلانها فانها ليست بموجودة فى واحد من التواريخ المعتبرة التى تضمنت بيان احوال الترك بل هو قول صدر من قائل من غير روية جزافا فانهم لو كانوا وثنيين لنقل عنهم اسم واحد او اثنين من اوثانهم وكيفية عبادتهم اياه وموضعه ولا شتهر ذلك كما نقل اسماء اوثان سائر الوثنين كالعرب واليونان والروس واهل افريقا ولم يبين صاحب هذ القول حرفا واحدا يتعلق بذلك سوى ان يقول كانوا وثنين ودليل من نسبهم الى مذهب الشامانية والبوذية وجود بعض قبائل الاتراك على المذهبين المذكورين فى هذ العصر فى بعض مواضع ممالك الصين ولا يخفى على احد ان وجود بعض القبائل التركية فى هذ العصر على المذهبين المذكورين لا يدل على تمذهب كافة الاتراك خصوصا القدماء منهم بهما فان كافة الاتراك سوى النزر اليسير منهم متمسكون بالتوحيد منذ قرون متطاولة فليكن الاوائل منهم ايضا كذلك وهذا الاستدلال اقوى واظهر من استدلال القائل المذكور بمراتب كثيرة واما النسبة الى النسطورية فانها من جهة كنها عبارة عن اعتقاد توحيد الحق ونبوة عيسى عليه السلام دون ان يقول انه اله او ابن اله حاشاه من ذلك وان لم يكن قبول الاتراك

---

(١) طائفة من النصارى يوحدون الله تعالى ويقولون بنبوة عيسى عليه السلام.

اياها بعيدا عن العقل الا انها مع عدم عمومها لجميع الاتراك عند القائل بها ايضا لما لم يوجد اثر من هذا القول فى التواريخ المعتبرة ولم تكن شبهة فى كذب القول بتشكل اليسقوپسية فى مرو وسمرقند لا نتوقف فى الحكم ببطلان هذا القول وكونه كذبا وجزافا واختلاقا محضا من طرف النصارى عموما ومن طرف الروسية خصوصا لترويج اباطيلهم وتمهيد طريق فاسد لدعوة اهل ماوراء النهر وقبائل الاتراك والتتار الساكنين ببرية قزاق المشهور بين الآن باسم قزاق خصوصا المقيمين منهم فى طرف سيبيريا الذى كان مسكن قبيلة اويغور الذين يدعون كونهم من النسطورية وتشويقهم وترغيبهم الى النصرانية واجبارهم واكراههم عليها متى وجدوا فرصة قائلين ان آباءكم واجدادكم كانوا نصارى فلزمكم ان ترجعوا الى دين ابائكم الاقدمين متشبثين بذيل هذا القول الباطل الذى لا اصل له قط كما انهم يصرحون بذلك آلان ويرتبون مقدماته ويرفعون موانعه من منع اختلاط القزانيين بهم منعا كليا ومنعهم عن تعليمهم اياهم امورهم الدينية كما يبسط ذلك فى محل ان شاء الله تعالى **واما القول** بعبادتهم الشمس والكواكب وسائر الاجرام العلوية فانا لا ننكره بالكلية فان تعظيم عموم الاتراك الاجرام العلوية والعناصر الاربعة والارض والمعادن خصوصا الحديد وما يشابهه مما يعم منافعه فى جميع القرون ثابت بالتواتر فبالنظر الى ذلك لو كان بعض قبائل منهم عبدوا هذه الاشياء كلها او بعضها فى بعض الاعصر لا يستبعد ذلك **والعبادة** لهذه الاشياء وان كانت مذمومة قبيحة ومستنكرة لكونها عبادة غير الله المستحق للعبادة وحده الا انها بالنسبة الى عبادة الاجرام السفلية كافراد البشر والحيوانات والجمادات خصوصا الاحجار والاشجار المنحوتة المنقوشة المصبوغة بايدى عبادها اقرب الى العقل بمراتب كثيرة لا يقادر قدرها فهى مما يدل على علو مدراك الاتراك ورجاحة عقولهم **والحاصل** ان قلنا ان عدم كون الاتراك وثنيين من القديم مجمع ومتفق عليه لم نكن مبالغا فيه **ولهذا** نقل دراپرالامريكى عن بعض المولعين بالبحث عن الاديان انه قال ان اعتقاد الوحدة والكثرة انما هو من مقتضيات طبيعة الارض فكل قوم يسكنون فى ارض ذات عوارض متشكلة

من الجبال والاودية والاكام والتلال كارض اليونان وهو اليبا والعرب والسورية يميلون الى اعتقاد الكثرة وتعدد الالهة وكل قوم يسكنون فى ارض مستوية خالية عن الجبال والغياض كارض الاتراك والهند فهم مائلون الى اعتقاد الوحدة اه وهذا القول وان كان من جملة الخطابيات بل من كفريات فلاسفة هذا العصر لنسبتهم وجود الاشياء الى الطبايع فى الظاهر الا انه لاشبهة فى صحته ومطابقته لنفس الامر مثقال ذرة والخطاء انما هو فى التعليل **والحق** ان الترك كما انهم لم يتنزلوا الى عبادة الاجرام السفلية بلا شبهة كذلك انهم لم يعبدوا الاجرام العلوية ايضا فى الحقيقة بل المنقول عنهم اكتفاؤهم بتعظيمها فقط وقصرهم العبادة على المعبود بالحق جل جلاله وتخصيصه بها وتوحيد رب العالمين دائما فضلا عن اثباته سبحانه يعلم ذلك من تفتيش اقوال المحققين المتحرين للصواب المتجنبين عن الجزاف **واعتناق** عشرة الاف بيوت وثلاثين الفا منهم الدين الاسلامى ودخول هذا القدر مرة واحدة فيه بحسن اختيارهم من غير اجبار من احد ولا اكراه فى اوائل انتشار النور الاسلامى فى تلك الجهة على ما بين فى التواريخ وقول چنكز خان انا لا اشك فيه لمن اجابه بان اول اركان الاسلام توحيد الحق سبحانه حين سأل عنها وقبول اولاده واحفاده للاسلام ودخولهم فيه بالسهولة مع كونهم حكاما غالبين اصحاب الاختيار يرشدك الى انه اعنى التوحيد كان مركوزا فى قلوبهم وملكة فيهم بل هى برهان قاطع لذلك وكذلك اسلام اويغور ان صح نصرانيتهم ادل دليل على مدعانا فانهم لما رأوا النصرانية النسطورية افضل مما هم فيه سابقا من عدم التدين بدين ما قبلوه من غير انكار ثم انهم لما رأوا الاسلام احسن واحسن كالشمس فى رابعة النهار تركوا النصرانية واعتنقوا الدين الاسلامى بحسن اختيارهم بل بكمال البشاشة والفرح والسرور من غير اجبار من طرف احد ولا اكراه وهذا اعنى التمييز بين حسن الاشياء وقبحها وقبول الشىء الحسن من اى جنس كان من غير استنكاف وان كان مخالفا لعاداتهم وعادات اسلافهم مختص بهم وهو مفقود فى غيرهم رأسا الا ترى ان كثيرا من فلاسفة آوروپا يقرون بحقية الدين الاسلامى ومع ذلك لا يدخلون فيه وذلك اما لترسخ التثليث فى قلوبهم واما لتعصبهم وان لم نقل لسفاهتهم وحماقتهم

شقاوتهم وقصة اوغوز الآتي ذكرها تؤيد هذا المدعى **فان قيل** انهم عمن اخذوا التوحيد وعلى شريعة اى نبى كانوا **قلت** قد تقدم القول بنبوة يافث **وظني** بالنظر الى قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وايحسب الانسان ان يترك سدى وبالنظر الى كون نبوة كافة الانبياء غير نبينا عليهم الصلاة والسلام مختصة بقوم مخصوصين بموجب قوله صلى الله عليه وكانت الانبياء قبلى يبعثون الى قومهم خاصة وبعثت الى الناس عامة ينبغى ان يكون الله سبحانه بعث فى كل عصر من الاتراك ايضا انبياء وان لم يقصصهم الله سبحانه فى واحد من الكتب الالهية وهذا مع كونه مطابقا للآيتين المذكورتين ولقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك موافق للعقل ايضا لكونه من مقتضيات الالطاف الالهية الغير المتناهية ومن مقتضى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان العبادة لا تتصور بدون التعليم الالهى وذا لا يكون الا بارسال الرسل **ولما قيل** لجنكز خان حين سو آله عن حقيقة الاسلام ان الله سبحانه ارسل رسلا ارسلهم لتبليغ اوامره الالهية الى عباده فمن جملة اركان الاسلام تصديق هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام **قال** لا شبهة لى فى ذلك ايضا ان الله سبحانه اعطانى قطعة محقرة محدودة من الارض فانا لا اهمل رعاياى فيها بل ارسل كل يوم عدة من الرسل آمرهم بما يعود منافعه الى الدولة والملة والوطن وبما يكون فيه مصالحهم فكيف يجوز اهماله سبحانه خلق العالم كلهم وهو خلقهم ورزقهم وافاض عليهم من انواع انعامه واحسانه وكرامته انظر كيف استدل بعقله الى لزوم ارسال الرسل وقبح الاهمال **وقد ذهب** الامام الربانى ومولينا مرزا جان جانان قدس سرهما فى مكتوباتهما الى كون الرسل مبعوثين من الهند الى اهل الهند وحققوا ذلك بمشاهدة الانوار من قبورهم ونحن نصدقهما فى ذلك ونوافقهما لكونه مقتضى النقل والعقل كيف وقد نقل فى الخازن فى تفسير سورة البروج مثله عن على كرم الله وجهه حيث قال وروى عن على قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية الخ فاذا لم يهمل الله سبحانه الهنود والحبشة فكيف يهمل ملة عظيمة شهيرة اجروا فى الهند

والحبشة وسائر اقطار الدنيا احكامهم عصور اكثيرة وقرونا متطاولة قبل الاسلام وبعده وخدموا الترقي والمدنيه اكثر من الكل الا وهم الاتراك بشهادة الاعداء حاشا ثم حاشا فان ذلك مناف لحكمته لا يجوز ذلك الا المتعصبون اعداء الاتراك ومقلد وهم تقليدا جامدو ذهاب صاحب كنه الاخبار وغيره الى اغدا وغوزخان الآتي ذكره التوحيد والاسلام عن ابراهيم عليه السلام بالظن والتخمين مبني على عدم ملاحظة بعثة الانبياء من الاتراك والا فلا حاجة الى هذا التخمين وان كان صحيحا في حد ذاته مطابقا لنفس الامر فرضا واما معارفهم فاعلم ان معارف كل دولة وملة ومدنيتهم ان كانت مدونة فلا خفاء فيها فان لم تكن مدونة فانما تدرك وتستفاد من اجراآتهم الحكومة وتوسيعهم الممالك ومقدار ترقيهم وثروتهم ورفاهيتهم فاذا نظرنا الى اجراء الاتراك حكومتهم في ممالك الصين والهند والفرس وبعض قطعات اوروپا وآفريقا وتشكيلهم السلطنة فيها اوقاتا كثيرة ومرارا عديدة وازمنة متطاولة زيادة وعلاوة على اجراء الحكومة في مملكتهم الواسعة الارجاء الفسيحة الفضاء المختصة بهم من بداية وجودهم الى زمن قريب من عصرنا هذا لا نتوقف في الحكم بانسلاب الحس والادراك وبالسكر من شراب الغرض الفاسد ودردى التعصب الكاسد على من يقول بكونهم عارين عن المعارف وخالين عن التمدن فضلا عن ان نعتقد ذلك ونخطره ببالنا فان حس كل صاحب حس وادراك كل صاحب ادراك يحكم بالبداهة باستحالة نيل كل ملة عارية عن التمدن والمعارف الدولة والسلطنة وامتناع اجراء الحكومة واراءة السطوة وبث العدالة فيها وباضمحلال دولتها وتلاشيها في مدة يسيرة ان كان ذلك على سبيل الصدفة والاتفاق ومقتضى الاقبال الاعمى فان ذلك هو الواقع في كل زمان واوان غاية ما في الباب ان الاتراك لما كانوا امة امية لا نكتب ولا نحسب كالعرب لم تدون معارفهم كمعارف سائر الامم المتصفين بالكتابة كاليونان وغيرهم وانما كانوا يتلقونها بعضهم من بعض مشافهة وتقليدا للاباء والكبراء كما ان في بداية الاسلام التي هي عصر بلوغ الملة الاسلامية الى اوج الترقي كان الامر على هذه الوتيرة قريبا من هذا العصر ولم يضر ذلك على تمدنهم ولما لم تدون معارفهم ومدنيتهم لم تنتشر الى الخارج واشتهروا بالخلو عن المعارف والعراء عن التمدن وهذه الشهرة مخالف لنفس الامر

بالكلية وسببها هو ما ذكرناه آنفا وتقسيمهم السنين الى اثنى عشر قسما وتسميتهم كل واحدة منها باسم واحد من الحيوانات واثبات خاصية مخصوصة لكل منها وحكمهم على قرانات بعض الكواكب ببعض آخر منها بحكم وخاصية ووقوع الامر فى الاكثر والاغلب على ما قالوا به وحكموا دليل واضح على هذا المدعى وهذا باق الى الآن فى اقوام قزافستان وانقطاعه فى مملكة قزان قريب من هذا الزمان ويدل على كون تلك الشهرة كاذبة ومخالفة لنفس الامر اشتهار الاقوام التركية المقيمين ببرية قزاق المشتهرين بهذا الاسم المستعار بالوحشية والتبربر وعدم المدنية مع تمسكهم بمدنية الاتراك القديمة ومعارفهم واتصافهم باوصافهم الحسنة التى مر ذكرها فان المتصف بتلك الاوصاف كيف يكون وحشيا وانما يصفهم بذلك من يصفهم لعدم اطلاعه على اوصافهم وعاداتهم وآدابهم او لعداوته وتعصبه او لغلطه فى تصور معنى المدنية وكأن المدنية عند القائلين بوحشية الطوائف المسماة آلان باسم قزاق المستعار هى التكالب على الدنيا والحرص والتهالك فيها وجمعها مثل قارون من غير انفاق حبة منها فى سبيل الخير والانتحار اذا خسر فيها ادنى خسارة كما هو رأى البعض منهم او انكار الصانع وتكذيب الرسل والكتب الالهية والمروق من الدين وفعل ماتشتهيه النفس الخبيثة الامارة بالسوء كالبهايم كما هو راى السفهاء منهم لا يقال ان هذه الاوصاف المسرودة وان كانت موجودة فى اقوام آوروپا الا ان فيهم من ينفق الملالين فى سبيل المعارف والمدنية والترقى فضلا عن انفاق الالوف لانا لا ننكر ذلك فى عصرنا هذا وانما الكلام فيمن كانوا قبل هذا العصر واهل آوروپا الآن كما انهم اخذوا اصل التمدن عنا معاشر المسلمين كذلك اخذوا طريق الترقى فيه ايضا عنا ونحن نرجو انشاء الله سبقنا اياهم فى هذا الخصوص ايضا فى اقرب مدة باذن الله. ولا بد لنا ان نذكر هنا قاعدة كلية يعلم بها سبب نسبة اهل آوروپا الاتراك الى الوحشية والهمجية وهى ان عادات قوم واخلاق ملة وان كانت مستحسنة فى الواقع غاية الاستحسان تعد عند قوم آخرين متصفين بضد عاداتهم ومتخلقين بخلاف اخلاقهم قبيحة ومستكرهة غاية القبح ونهاية

الاستكراه الاترى ان الاستنجاء الذى هو اصل النظافة وحجاب المرأة الذى هو اساس الآداب الاسلامية كيف يكرههما ويستقبحهما الافرنج والمتفرنجون والفراسون الذين هم متصفون بضدهما اعنى النجاسة والوقاحة بغاية الكراهة والاستقباح وكيف يعيبونهما من اربابهما وكيف يبذلون غاية جهدهم فى رفعهما وازالتهما ان قدروا على ذلك لاقدر الله والحاصل اذا نظر العاقل بنظر الاعتبار بجد الاداب الاسلامية كافتها عند قوم متصفون باضدادها على هذه الوتيرة وحكم قوم على قوم بالوحشية والهمجية اكثره ناش من هذه القاعدة وجار عليها ماعرف ذلك تخلص من ورطة التقليد المهلكة والله يتولى هداك ومانقل عن ثمامة بن الاشرس من انه لوبعث فيهم يعنى الانبيا وكان بينهم الحكما لما كانت شبهة فى تحصيلهم آداب البصريين وحكمة اليونانيين وصنعة الصينيين مبنى على ظن انه لم يبعث فيهم نبى ولم يكن بينهم حكماء وادباء وارباب الصنائع وقد تقدم ذكر مسئلة بعثة الانبياء مستوفى وكذلك ذكر عدم احتياج كل واحد من الترك فى صنعة لازمة له الى غيره نقلا عن الجاحظ واما ماحتى الحكمة والادبيات فهما ايضا لانقصان فيهم عن حكمة قوم آخرين وادبياتهم اى قوم كانوا وانما منشأ نفيهما عنهم ما ذكرناه فى باب المعارف والمدنية من عدم التدوين والاكتفاء بالاخذ مشافهة فكما ان معارفهم ومدنيتهم لم تنتشر فى الخارج لعدم التدوين فعدوا عارين عنها لذلك كذلك حكمهم وادبياتهم لم تنتشر فى الخارج للعلة المذكورة فعدوا خالين عنها لذلك والشاهد العدل لذلك جريان الوف من الكلمات الحكمية والامثال والاشعار الادبية فى قبائل الترك الباقية على اصل العنصر التركى من غير اختلاط بالاجانب كالقبائل المشهورين باسم قزاق وقرغز المستعار واضم الى ذلك اشتهار كثير من الترك فى الادبية العربية فى بداية انتشار الانوار الاسلامية فى جهتهم وسبقهم فى ذلك العرب الاصلى مثل ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولى الاديب الشاعر المتوفى ٢٤٣ سنة وابى بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس المذكور الشاعر الاديب النحوى المعروف بالشطرنجى الصولى المتوفى ٣٣٥ سنة وغيرهما ممن كانوا فى عصرهما

اوهاؤ ا بعدهم بحيث لايعدون ولا يحصون دع هذاو افتح عينيك وانظر بنظر الانصاف والاعتبار اليس صاحب الكشاف وسائر المصنفات المشهورة العلامة محمود الزمخشري وصاحب المفتاح يوسف السكاكي اللذين قيل في حقهما لولا الكوسج والاعرج لعرج القران كما نزل والمطرزي صاحب المعرب وغيره تلميذ الزمخشري وكذا ناشر العلوم العربية الشيخ عبد القاهر الجرجاني وصدر الافاضل ورشيد الدين الوطواط الذين يستشهد باشعارهما في العربية من الاتراك والمجلدان من ديوان اشعار الخواجه احمد اليسوي المتضمنة لانواع الحكم وصدوف المواعظ والرقائق بلسان الترك واصل ادبيانهم منذ اول الان الى الان بين اتراك تركستان وقزان ومنتخبهما مطبوع في استانبول وقزان وهو من رجال اواخر القرن السادس واوائل القرن السابع وكذلك لايزال كثير من قصائد خلفائه كحكيم آتا وسليمان آتا والايقاني وكثير غيرهم ومقطعاتهم جاريا الى الآن في ميدان التداول والاستعمال بين الاقوام المذكورين وكذلك صاحب المثنوي الذي هو في طبقة عليا في الفارسية ومشتمل على حكم ومنافع دنيوية واخروية على طرز عجيب بضرب انواع الامثال الحكيم المثنوي المعنوي مولانا جلال الدين الرومي والامير حسن والدهلوي المشهور والميرزا عبد القادر الشهير بالميرزا بيدل وصاحب الصحاح كلهم كانوا من الاتراك فان الامير حسن ومن قبيلة لاچين والميرزا بيدل من قبيلة ارلاس من تركستان وهذا القدر كاف في اثبات كون الاتراك نجباء ادباء ظرفاء شعراء والافتعداد كاملتهم غير ممكن فان لم يكن جدود هؤلاء واسلافهم الاتراك الاقدمون اصحاب الحكمة وارباب الادبية كيف يمكن ان يكون اخلافهم على هذه الكيفية من الادبيات والحكم فان البلبل انما يخرج من عش بلبل لا من عش الغراب والعقعق واما حكماؤهم فهم ايضا على وتيرة ارباب معارفهم ومدنيتهم في عدم كتابة تراجم احوالهم وضبط مراتبهم وتدوين حكمهم وسيذكر ترجمة احوال الفيلسوف انخرسيس او اناخرسست الاسكيتي التتاري الذي هو معاصر الفيلسوف سولون رئيس سلسلة فلاسفة اليونان في آخر المقصد الاول انشاء الله تعالى

وقديهم من ترجمة احواله صراحة انه لم يأخذ الفلسفة عن فلاسفة يونان بل كان حين وروده الى آتنا كاملا فى الفلسفة فاذا لم يأخذ الفلسفة عن فلاسفة يونان يلزم اخذه اياها عن حكماء الاتراك فى بلاده والسبب فى بقاء ذكر اناخريست وترجمة احواله الى يومنا هذا وعدم بقاء ذكر اسم من اخذ هو الفلسفة عنهم من سائر فلاسفة الاتراك هو قدوم المذكور الى آتنا واشتهاره فيما بين اهلها وضبطهم احواله مع احوال فلاسفة بلادهم وعدم قدوم سائر حكماء الاتراك الى بلاد يونان وعدم معلوميتهم لليونان وعدم اعتناء الاتراك بضبط حوادث بلادهم وتراجم رجالهم ملوكا كانوا او امراء او حكماء او شعراء فلو اعتنى الاتراك ايضا بضبط تراجم رجالهم او قدم عدة من حكمائهم الى بلاد يونان كقدوم اناخريست اليها لرأينا اسامى كثير من فلاسفة الاتراك كاناخريست فيما بين اسامى الفلاسفة المتقدمين فى التواريخ المعتبرة المتداولة بلا شبهة ولكن ما العلاج وما ذا نصنع لما اهمل قومنا من القديم ضبط احوال فلاسفتهم وملوكهم وامرائهم وسائر مشاهير رجالهم واساميهم صرنا عرضة لتهمة اعدائنا بكوننا قوما عاريين عن المجد والاصالة ومفلسين عن الرجال المشاهير وبكوننا ملة وحشية برابر لا يعبأ بهم ولم يكفهم تهمة الاجانب ايانا بذلك حتى ان كثيرا من المحرومين العاجزين عن تدقيق تواريخ الامم منا ايضا لايزالون يصدقونهم فى هذه التهمة ويضمون آراءهم الكاسد الى آرائهم الفاسد فى ذلك حيث يتلقونها بالقبول **والدليل الذى يثبت مدعانا هذا بلا معارض** كون ابى نصر محمد بن طرخان الفارابى وابى على حسين بن على بن سينا وتلميذه بهمانيار الذين هم سلاطين حكماء الاسلام ورؤساء فلاسفتهم من الاتراك وقد ظهر كثير من الحكماء بعدهم ايضا من الاتراك بحيث يتعسر عدهم ويتعذر احصاؤهم فان لم يكف هذا فهل لاحد شبهة فى كون الامام الحافظ الحجة امير المحدثين ابى عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى الذى هو رئيس من جمع الحكمة النبوية الايمانية واميرهم ومرجعهم كما ان المذكورين رؤساء اصحاب الحكمة اليونانية وجامعه الصحيح اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى من الاتراك وكذلك

صاحبا سنن الترمذى و نوادر الاصول فان كنت فى شك مما تلونا عليك من مناقب الاتراك الاقف مبين ايها التركى فانظر الى استعداد هؤلاء الامجاد الذين ذكرناهم وقابليتهم فى استنباط لطائف المعانى و استخراج جواهر المضامين ثم اجل نظرك الى سعيهم و اجتهادهم الذى يهد الجبال و يدق الاحجار المتناسب باستعدادهم فاستدل بذلك الى استعداد اسلافهم و قابلياتهم و مساعيهم و اجتهادهم المستورة عنا والمجهولة علينا و فاخر من (١) يفاخرك بابائه و اجداده من غير ان يضيق نفسك قائلا شعر :

اولئك آبائى فجئنى بمثلهم * اذا جمعتنا ياجرير المجامع

لاتصير فى ذلك خجلا و منفعلا فقط ولاتنسب الى الوقاحة فان المطلعين على الحقايق التاريخية و احوال الامم لايكذبونك فى ذلك و لايفندونك واما الجهلاء فلا عبرة بهم فان قولهم و بولهم على حد سواء و الحاصل ان الله سبحانه لما قضى فى علمه الازلى بحكمته الكاملة البالغة بخروج امر الخلافة من يد قريش الذين هم اهلها بالاصالة لعدم جريهم بموجبها و مقتضاها بعد قرون من زمن السعادة وفق قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر فى قريش ما استقاموا و قوله عليه الصلاة والسلام هلاك امتى على يدى غلمة من قريش و قوله عليه الصلاة والسلام ان صلحت امتى فلها نصف يوم وفى رواية ان احسنت بدل صلحت و قوله صلى الله عليه وسلم اما بعد يامعشر قريش فانكم اهل هذا الامر مالم تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما تلحى هذه الجريدة الى غير ذلك من الاحاديث النبوية المطابقة لظاهر قوله تعالى لاينال عهدى الظالمين وقوله تعالى ان الارض يرثها عبادى الصالحون اى الصالحون للاستعمار و بث الامن والعدالة وهو التفسير الموافق للاحوال الحاضرة والمشهود المبصر لارباب الباصرة اقتضت ارادته السبحانية ضرورة بقاء انتظام سلسلة امور العالم على

(١) لكن مع العدل بموجب قول الشاعر شعر لسنا وان احسابنا كرمت . يوما على الاحساب نتكل . نبنى كما كانت اوائلنا تبنى و نفعل مثل مافعلوا . والا تكن مصداق قول الشاعر . لئن فخرت باباذوى شرف . لقد صدقت ولكن بئس مانسلوا . منه عفى عنه

احسن نظام ولزوم حفظ بيضة الاسلام الى قيام الساعة وساعة القيام تعيين قوم لاشغال محل هذا المنصب المحلول و القيام مقامهم فى اجراء امور الخلافة و وظائف الامامة فخرجت قرعة الانتخاب و الاختيار الالهية لهذا الامر الخطير من بين اقوام الدنيا باسم الترك اعنى نيابتهم القريش فى الخلافة و الامامة فالقى الله سبحانه على لسان نوح عليه السلام دعاء فتح الله ليافث وكثر الله يافث وليسكن فى مساكن سام فظهر اثر اجابة هذا الدعاء ظهورا بينا من بين اولاد يافث فى الترك فخلقهم الله سبحانه على احسن استعداد و اكمل قابلية و اتم صلاحية لحفظ الامن والامان واجراء القوانين الالهية وبث العدالة و تعمير البلاد و ترفيه العباد ثم املى شانهم بتوقيع عموم فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم و ببراة و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم و بيرلبغ ستدعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون و فراما ن و آخرين منهم امايا خوابوم (١) و امثال ذلك من الايات القرآنية و الاحاديث النبوية الشاملة بعموم الفاظها الذى به العبرة عند العلماء الاتراك لوجود تلك الاوصاف فيهم و ان لم تقل بخصوصها مع ان القول به ايضا لايستبعد بالنظر الى الاحوال الواقعة ولما شرع خلاف ما علق الله بقاء الخلافة و دوامها فى قريش وعين ما علق نيابة الاتراك القريش به فى الظهور برخاوة الامين و سفاهته و اعتزال المأمون و تشيعه و اذائه و جفائه لعلماء اهل الحق ونصب المتوكل الى غير ذلك من الامور الغير اللائقة صار ما وعده الله سبحانه آخذا فى الظهور حيث شرع نفوذ قريش فى انتقاص و طفق الاتراك يداخلون فى الامور و يعا ولون الاخذ بزمامها وصارت الوقائع تتابع بعضها بعضا تترى حتى

(١) وكانى باسارى التقليد والمتعصبين يحملقون على حين يطالعون هذا الموضع ويفمونى ويجهلوننى وينسبوننى الى التحريف قائلين ان هذه الايات ليست فى حق الترك بل فى كندة ونخع اوفى الانصار اوفى الفرس اوفيهم والروم على ما نقل عن المفسرين **فاقول** اما المقول فى هذا الباب عن المعصوم فتفسير القوم بالاشعريين اوالفرس وفى اسناده مقال كما بسط القول فيه فى الخازن فى تفسير سورة الجمعة وعلى تقدير صحته لاينافيه كون الترك داخلا فى عمومه فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ظهرت الديالمة ثم الغزنوية والطولونية والاخشيدية والسامانية والسلاجقة والخوافنة والخوارزمشاهية والاتابكية والايوبية من الاتراك بعضهم اثر بعض الى ان جاء وعد الحق سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم اعنى قوله ان صلحت (١) او احسنت او استقامت امتى فلها يوم والا فنصف يوم بمرور نصف يوم ونيف من زمنه صلى الله عليه وسلم اعنى ٦٥٦ سنة فان المراد باليوم هنا ما قال الله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ووقع الشرط الثانى فترتب عليه جزاؤه فقيض الله لاستلام زمام امور العامة منهم بالكلية ابناء چنكزخان بموجب قوله صلى الله عليه وسلم اول ما يسلب امتى ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء

وليس فى الحديث اداة الحصر ولهذا قلنا بتوقيع عموم الخ واما المنقول عن غير المعصوم فمع تعظيمنا اياهم واعترافنا بعلو شانهم وكونهم مشايخنا واساتذتنا نقول من غير نكير فى مثل هذا الامر الذى يعرف بالعقل ومشاهدة الاوصاف انهم رجال ونحن رجال فكما ان دليلهم فى هذا الباب اما مشاهدة الاوصاف والاحوال او الظن والتخمين فكذلك دليلنا ايضا مشاهدة الاوصاف والاحوال فكما انهم لما شاهدوا تلك الاوصاف فى كندة ونحو الخ قالوا ان المراد بالقوم هم فكذلك نحن لما شاهدنا تلك الاوصاف المذكورة فى الايات فى الترك على الوجه الاكمل قلنا انهم داخلون ايضا فى عمومها فلا منافاة ايضا بين قولنا وقولهم فلو عاش هؤلاء الكبراء الى عصر ظهور الاتراك وشاهدوا فيهم تلك الاوصاف لقالوا بما قلنا من غير شبهة وكما ان الابهام فى قوله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا من يحب الله ورسوله الحديث ارتفع باعطائها عليا كرم الله وجهه والابهام الواقع فى قوله صلى الله عليه وسلم اسرعكن لحوقا بى اطولكن يدا ارتفع بموت ام المؤمنين زينب والابهام الواقع فى قوله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر الحديث بمشاهدة لبس التتار نعال الشعر والابهام الواقع فى قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض الاية بقوله من الفجر الى غير ذلك من الايات والاحاديث كذلك عموم تلك الايات علم بوجود تلك الاوصاف فى الاتراك ومطابقة مضاميها لاوصافهم حذو النقطة بالنقطة والتخصيص يستدعى دليلا قطعيا ولا دليل فانعكس الامر حيث صار المخصص هو المحرف وليبطل المتعصب تلك المطابقة ووجود تلك الاوصاف فى الاتراك ان قدر وانى له ذلك ونعم ما قال الزمخشرى فى سورة التوبة بعد بيانه اتق لو القال والطاهر يعنى ظاهر الحال مستغن عن التخصيص.

(١) كذا فى اليواقيت والجواهر نقلا عن تقى الدين بن ابن منصور وان احسنت مدرج فى فتح الودود نقلا عن السهيلى وان استقامت رأيته فى موضع نسيته الان. منه

الحديث يعنى بنى قان توران يعنى بقان توران چنگز خان كما قدمنا والمراد بالامة فى هذه الاحاديث امته الخاصة النسبية لا امته العامة الدينية اعنى قريشا على العموم اوبنى العباس فقط باتفاق الشراح والا يلزم كذب (١) قوله صلى الله عليه وسلم حاشاه من ذلك ثم دخل الامر بعد زمان من ذلك بيد آل عثمان ايدهم الله سبحانه بتأييداته الصمدانية وابقاهم الى قيام الساعة لتأييد الشريعة المحمدية وتشييد الاحكام المصطفوية ثم تأيد ذلك رسما بتنازل المتوكل على الله آخر خلفاء العباسيين بمصر عن الخلافة وتسليمها الى السلطان سليم خان الاول رحمه الله تعالى فبذلك صحت خلافة العثمانيين رسما من ذلك الوقت كما صحت قبل حقيقة فلا يجوز لاحد شرعا ان ينسبهم الى التغلب والتسلط وتكفى هذه المنقبة اعنى كون الاتراك نوابا للقريش الذين هم رهط سيد الثقلين فى امر الخلافة والامامة وتخصصهم به من بين سائر اقوام الدنيا فخرا وشرفا لهم لا حاجة لهم بعد ذلك الى منقبة سواها الا عند من لا يقنع بالشمس ويميل الى السها ولا يكتفى بالبير ويلتمس البير تنبيه لا يتوهمن الابله عريض القفا والمتعصب عديم الوفاء من الكلمات التى سردناها فى اظهار مناقب الاتراك وابداء فضائلهم ترجيحنا الاتراك على العرب وتفضيلهم على قريش ولا ينسبننا بذلك الى الشعوبية فان قصدنا ليس هذا بل العمل بقوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وقوله تعالى اوفوا الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم وبقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وبقوله صلى الله عليه وسلم لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بتقوى الله والرد على المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون وهم الذين لا يرون للاتراك قيمة ولا يحسبونهم شيئا بل يلحقونهم بالسباع والبهايم ويريدون بذلك شق عصا الاتفاق والقاء التفرقة بين المسلمين باغفال السذج والبسطاء والافلسنا ممن لا يعرف قوله صلى الله عليه وسلم احبوا العرب

(١) وما قاله بعضهم بعدم اصل الحديث المذكور اعنى قوله صلى الله عليه وسلم ان صلحت او أحسنت او استقامت امتى الحديث ملله لاستشكاله ذلك وقد عرفت انه لا اشكال فيه على هذا التأويل. منه

لثلاث فانى عربى الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم وفضل الله قريشا بسبع خصال وقوله ايضا اعطيت قريش مالم يعط الناس الحديثين وامثالهما من الاحاديث النبوية ولسنا ايضا ممن لا يعتقدها ولا يعمل بها حاشا وكلا بل الذى فى قلبه مثقال حبة من محبة النبى صلى الله عليه وسلم لا يقصر فى محبة رهطه صلى الله عليه وسلم وان لم يرد فيهم حديث واحد منها بل القصد بذلك هو ماذكرناه من احقاق الحق ورد اصحاب الاغراض الفاسدة وتنبيه الغافلين والسذج وتحذيرهم من الوقوع فى شبكة الاعداء مع التصديق والاقرار برجحان من رجحهم الله ورسوله وفضل من فضلهم ثم اننا ننبه مناقومنا الاتراك الذين بيدهم الامر الآن على ان يتفكر وافى الاحاديث الواردة فى حق قريش حق التفكر وان يستيقنوا ان الله الذى سلب الخلافة منهم بسبب العدول عن الحق مع كونهم احق الناس بها واصحابها اصالة احق ان يسلبها منهم بالطريق الاولى وان يعتبروا بمن مضوا من دول الاتراك الذين عددناهم وغيرهم ايضا وان يبذلوا غاية جهدهم فى تقييد هذه النعمة العظمى بالشكر عليها حتى لا تزول وهو القيام بحقوقها حق القيام باتباع آثار المنوب عنه صلى الله عليه وسلم حسب الجهد والامكان وان يلاحظوا قوله تعالى ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهو الاصل الاساس فى هذا الباب والله ولى الهداية والتوفيق **ولنشرع الآن فى** بيان ماجريات **الاتراك** ومعاملاتهم مع سائر الاقوام وهى على قسمين قسم معاملات قدماء الاتراك مع من جاور وهم من اقوام الصين والفرس والروم ايضا نادرا وقسم معاملات الاتراك الذين كانوا مقيمين فى القطعة التى تسمى الان بالروسية الجنوبية اعنى مابين البحر الاسود الى مملكة بلغار قزان بل الى ماوراها من جهة الشمال وتسمى ايضا بالاوروپا الشرقية **القسم الاول** معاملات قدماء الاتراك مع اهل الصين والفرس والروم نادرا ولنبين كل واحدة منها على هذا الترتيب **اعلم** ان الاتراك لما تكثروا وتشعبوا شعوبا وقبائل وان اتفق لهم الاجتماع على ملك واحد وتحت راية واحدة فى بعض الاحيان الا انهم ابتلوا فى اكثر الاوقات ببلية النفاق والشقاق وداء التفرقة وفقد ان الاتفاق وانفصلت كل قبيلة وقبائل متعددة عن الاخرى ونصبت ملكا على حدة وادعت كل واحدة منها الاستقلال وحاربت الاخرى وبذلت غاية جهدها فى محو الاخرى واستيصالها شأن سائر الاقوام سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو انهم كانوا على الاتفاق دائما واجتمعت

كلماتهم لم تكن شبهة فى عفتهم وانتصارهم على سائر الاقوام المجاورين اياهم واجرائهم الاحكام على كافة المعمورة او اكثرها بكمال السطوة وتمام الشوكة كما يعلم ذلك يقينا من بعض معاملاتهم الآتية البيان كيف يكون فيه شبهة وقد ذكر بعض ثقات المؤرخين من الاجانب الذين كتبوا ما كتبوه فى تواريخهم لمجرد تبيين ما هو الواقع كما هو من غير مراعاة جانب احد ابرام الروم القدماء واختفاءهم دون محاربتهم الفرس لاستيلاء الخوف والرعب من صولة عساكر الاتراك الذين كانوا فى صف الفرس مع عدم مبالاتهم بالفرس وعدم خطور ادنى خوف فى خواطرهم من حيث انهم يحاربون للمدافعة عن انفسهم وعيالهم واموالهم واوطانهم بكمال الثقات وتمام الاستمانة والاتراك انما يحاربون فى صفهم فى مقابلة اجرة يسيرة كانوا ياخذونها منهم وما ذلك الا لشدة باسهم وعدم رجوعهم خوفا من عدوهم غلبوا او غلبوا وكذلك حكى احد مورخى العصر الخامس الميلادى منهم ان فيروز شاه الفارسى لما عزم على سفر تركستان لغزو الهياطلة من الاتراك شرع عساكر الفرس فى التظلم منه وقالوا ان الملك اراد ان يجردنا من السنة الحياة ولعل كلنا محكومون بالاعدام واعدامه بها كلنا اوفق واصلح من ابتلائنا بالارسال هناك وايراث العار الابدى للفرس بذلك وكان الامر كما قالوا ولم ينج واحد من العسكر حتى قتل فيروز شاه نفسه ايضا على ماسيجيء بيانه عن قريب انشاء الله تعالى ومع عدم الاتفاق بين الاتراك وابتلائهم بداء التفرقة والشقاق وفقدان الوفاق اجبر واحيرانهم دولتى الصين والفارس على بناء السدين مملكتيهما ومملكة الاتراك لصد هجماتهم ومنع غاراتهم المتوالية اما الفارس فقد بنوا سدين احدهما غير مشهور وهو فى جهة الشمال الشرقى من بلادهم بين بلخ وسمرقند يقال انه واقع على الطريق الذاهب من سمرقند الى بلخ فى (١) شمال بدخشان بقرب شهر سبز وثانيهما واقع فى كافكازيا مشهور

---

(١) قال عاصم مصطفى افندى فى موضع من تاريخه انه واقع على مسافة تسعين كيلومترو من جنوب اده كش وعرضه من ١٢ الى ٣٠ مترا وطوله ثلاثة كيلو مترات ويقال له ايضا تيمور قبو بمعنى الباب الحديد وكش هو شهر سبز بعينه عند عند .

بالباب وباب الابواب والباب الحديد وسد ذى القرنين عند العامة وتيمرقبو **واما الصين** فقد بنوا السد المشهور ايضا عند العوام بسد ذى القرنين وسور الصين الواقع فى الشمال الشرقى ايضا من بلادهم الآخذ من منتهى خليج البحر الاصفر الشهير بخليج پچيلى الممتد الى جهة الشمال الغربى الى الغرب المنتهى الى ولاية خان چو من ممالك الصين قيل ان طوله الفان وستمائة كيلومتر وارتفاعه ثلاثة عشر مترا فى اكثر مواضعه وفى بعض مواضعه اكثر من ذلك وعرضه سبعة امتار وفى بعض مواضعه تسعة امتار حيث يمشى عليه عشرة انفار رجالا وستة اشخاص ركبانا حال كون بعضهم جنب بعض وهو وان كان اكثر مواضعه خرابا لطول المدة الاان خرابته لاتزال تورث الحيرة والتعجب والاندهاش للسواحين الى الان وبناء هذا السد وان كان ينسب فى المشهور الى چين شهوانغتى الذى هو مؤسس السلالة الرابعة لملوك الصين التى كان مبدأ ظهورها قبل الهجرة سنة ٨٣٦ الاان ابتداء بنائه كان قبل ذلك من طرف حاكم ولاية يانغ فى شمال ولاية پچيلى ومن طرف حاكم ولاية شينسى فى شمال الولاية المذكورة لحماية مملكتيهما من هجمات تتار الشرق وغاراتهم ثم بنى چين شهوانغتى المذكور مقدار امن السد فى شمال مملكته لحمايتها من هجمات التتار والمغل والمنجوحين كان حاكما بولاية شينسى ثم لما استولى على كافة ممالك الصين وادخلها فى حوزة تصرفه بالتمام اوصل بعض تلك الاسدة ببعض حتى جعلها على الحالة الموصوفة **يروى** ان الملك المذكور شرع فى بناء السد المزبور قبل الهجرة ٨٣٦ سنة واستخدم فيه قريبا من مليون عملة على الدوام من غير مبالغة واتمها فى مدة ١٠ سنة وحيث انه لم يعتن بشأن العملة المذكورين فى امر تعيشهم تلف منهم نفوس كثيرة **وقيل** استخدم فيه اربعة ملايين من العملة وهلك منهم اثناء الاشتغال اربعمائة الف نسمة يعنى عشر المجموع واقيم فى الحدود نصف مليون من العساكر لصد هجمات الترك والتتار وقت البناء وبنى جدران بعض مواضعه حسب الاقتضاء والايجاب طبقتين وبنى فى مواضعه المناسبة ونقاطه المهمة قلاع وابراج وابواب للمرور وبعد تمام بنائه وضع فى تلك القلاع والابراج والابواب

مقدار كاف من العساكر المستحفظين قيل كانت تلك العساكر بموجب لا يقطع الفولاذ الا بالفولاذ من الترك والتتار يقال لبقاياهم الآن اونغوت او (١) اونكوت نقل عن بعض السواحين انه قال ان ابراج الترصد التى ترى فى كل خطوة وخرابة الاستحكامات التى كان يقيم بها الحراس تخطرنا وتذكرنا ادوار شجاعة الصين وازمنة مدافعتهم الاقوام الشمالية * قلت نعم كانوا فبانوا فلا يرى فى تلك الاصقاع والمعارك والميادين الآن سوى قطعان الثعالب وجموع الارانب مصداق قول القائل شعر :

واذا اناخ الليث فى عريسها * غنى البعوض وزمر الذبان *

سنة الله فى جميع الاقوام لله الامر من قبل و من بعد وعلى كل حال لم تجن الصين جنا هذه المتاعب والمصاريف والتلفات ولم تنل منها فائدة مطلوبة قط فانه لما خلت الحدود من العساكر المستحفظين المذكورين بعلة وقوع الاختلال فى داخل الصين بوفاة چين شهوانقتى المذكور بعد ثلاثين او اربعين سنة من تمام السد اغتنمت الترك هذه الفرصة و داروا من وراء النهر (٢) الاصفر المشهور عند المغل بصارى موران وشرعوا فى الهجوم على ممالك الصين مجددا وحيث انه ليس بيدنا تاريخ مبين لمعاملة الاتراك مع الصينيين ومحارباتهم اياهم وسائر مناسباتهم بهم لا يمكننا ان نعين هنا مبدأ تلك المعاملات الا انه يرى فى بعض التواريخ تخمين ظهور اوغوز خان الآتى ذكره الذى هو اقدم مشاهير الخارجين من آسيا نترى واشهرهم واعظمهم والمستولى على الصين وعلى ازيد من نصف آسيا وسائر القطعات الارضية على ما فى التواريخ الاسلامية قبل الهجرة ٣٤٠٠ سنة وكذلك يرى فى بعض التواريخ ظهور القبائل الهونية من الترك وتأسيسهم الحكومة فى الجهة الشمالية من بلاد الصين وهجومهم على بلاد الصين دائما قبل الهجرة بثمانيه عشر او عشرين قرنا

(١) انظر تاريخ ابى الغازى خان المسمى بشجرة الترك ص ٤٧ من طبع بطربورغ . منه عفى عنه .

(٢) ولعله نهرلين وهو منه عفى عنه .

حين كانت ملوك بلاد الصين من سلالة [illegible] اوفا وان هذه الحكومة اعني الحكومة الهونية امتدت الى ثلاثة عشر او اربعة عشر قرنا مع كونها مرت على تقلبات شتى تنتهي الى انقراض الدولة الهونية في آسيا واوروپا [illegible] آتيلا خان الهوني الآتي ذكره في القسم الثاني من هذه المقدمة يروى ان الصينيين كانوا يسمون الاتراك في ذلك الوقت باسم هيان يون وهو اول اسم سموهم به ثم سموهم بعد زمان باسم چينك هان وفي اعصر سلالة خان من ملوك الصين سموهم هيونغ نو وقيل انه بمعنى الاسارى العصاة فان صح ذلك يمكن ان يكون موافقا [illegible] لفظ الدم [illegible] انهم يسمون الآن قبيلة تنكوت باسم [illegible] يعني الوحوش العرب ويسمون الاوروپاويين (وان فوئي) يعني الوحوش [illegible] وسمة ملوك الصين خواقين الترك بملوك السباع مسطورة في [illegible] ثم سموهم قبل الهجرة بسبعة قرون باسم كيان نو وفي [illegible] هذا [illegible] يحتمل ان يكون محرفا من لفظ الترك او توركيو لعدم [illegible] على [illegible] وهو الظاهر وفي رواية ان تسمية الصينيين الاتراك باسم هيونغ نو وقعت في زمن لا يضبطه التاريخ ولا يعينه لقدمه جدا وكان ملكهم [illegible] اولا بعنوان (حنعلي قوتو) ثم صار يعنون بعنوان (شن يو) او (جن يو) [illegible] وصوابه وصحيحه (جانك جوك) (١) بالكاف الفارسية وهذه الكلمة تفسر [illegible] تنكري قوتي يعني مبارك الله وعبده العزيز اشارة بابن السماء [illegible] الشهير مرقپول الحويزي بالقوة والسماوية وذكر [illegible] آن من [illegible] عنوان تنكري قوتي (٢) [illegible] سنة ٢٥ وعلى كل حال يدل [illegible] ولا [illegible] في كون تنكري قوتي لفظا تركيا ولا [illegible] ان [illegible] كانت يطلق عليها [illegible] هؤلاء الملوك يتحدون من [illegible] كل [illegible] الصينيين

(١) وهذا [illegible] ولا [illegible]

(٢) والظاهر ان [illegible] على عهد.

بسيان‌پی لاصالتهم ورجحانهم على سائر قبائل الترك وكانت سلسلة مراتب الامراء واركان الدولة وسائر القواد والضباط وكافة الافراد العسكرية مرتبة ومضبوطة بغاية الحكمة والاتقان وجارية على كمال الانتظام وكان مقر حكومة الملك المذكور في جبل اينشان الذي هو شعبة من شعاب آلتاى (١) (الاطاغ) وممتدة الى منابع نهر ابرتش ومعينة لحدود مملكة الهون من جهتهم الغربية وكانت هؤلاء الملوك يعاملون ملوك الصين معاملة الاقران وكانوا يكتبون لهم في مكاتيبهم على هذا الوجه (بر حو جانك جولك ملك الهون الاعظم الذي اجلس على تخت الحكومة من طرف السماء والشمس والقمر من جانب خاقان الصين بكمال الاحترام كذا وكذا) وهذه الحكومة اعنى حكومة هيونغ نو حاربوا الصين مدة مديدة واضطروهم الى المعاهدات الصلحية مرارا عديدة وكذلك الجأوهم الى تأكيد تلك المعاهدات وتقويتها بالمناسبات الصهرية بتزويج بناتهم من جانك جولك وسائر الامراء الهونية وتعيين مبدأ هذه المناسبة بين هاتيك الدولتين متعذر وقد سبق ذكر تاريخ ظهور اوغوز خان تخمينا فيما مر قريبا وانهزام عسكر الصين الذين ارسلوا الى حرب الهون في عهد سلطنة سلالة شانغ التي هي السلالة الثالثة من ملوك الصين قبل الهجرة سنة ١٨٨٨ مسطور في التواريخ وكذلك اطاعة الهون لحكومة الصين في عصر سلطنة ووانق الذي هو مؤسس سلالة چه‌أو وكذلك هجومهم على بلاد الصين وعلى ولاية شانسى منها خصوصا بالشدة في عصر سلطنة يو وانق من السلالة المذكورة ايضا مذكوران في التواريخ وقد تمادى هجومهم وغاراتهم على بلاد الصين قبل الهجرة سنة ١٥٣٢ ودخلوا ولاية جاجه‌أو التي كانت تحكم بها امارة چى من الصينيين بعد التاريخ المذكور سنة ٢١٣ واغاروا ايضا على ولاية پچيلى بعد التاريخ

(١) هكذا هو عند الافرنج والمتفرنجين والا فاسمه الاصلى الصحيح الصواب آلطاغ يعنى الجبل الابلق لدوام الثلج في بعض مواضعه صيفا وشتاء وللافرنج وذويهم في تعيين اشتقاقه ومعناه خرصات وجراءات كثيرة وهم يسمونها برهانا ويقولون ان فلانا المحقق برهن له بكذا وليس هو شيء غير الخرافات والاوهام الباطلة وهكذا ديدنهم في كل شيء. منه عفى عنه.

المذكور سنة ٤٥ وهذه المهاجمات والغارات التي صدرت من الاتراك على بلاد الصين بعضها وراء بعض بلا فاصلة لما اعجزت الصينيين واعوزت حيلتهم انشئ السد الصيني الذي مر ذكره لمنع مهاجماتهم واغاراتهم واسامي الاشخاص الذين جلسوا على كرسي السلطنة في اثناء المهاجمات المذكورة في تلك المدة واوصافهم واحوالهم غير معلومة ولكن الذين بقيت اساميهم منهم محفوظة ومسطورة في التواريخ الى يومنا هذا خمسة (تومن خان) وخلفه (مونا) او (بوتا خان) و(بومين خاقان) واخوه (دوبو خان) وملك تتار جوجان (طولون خان) اما تومن خان او جاك جوك وبعبارة اصح خاقان ميونغ نو والاتراك الاعظم فقد اختلف في تاريخ ظهوره اختلافا فاحشا قال عاصم نجيب افندي في موضع من تاريخه ان ظهوره كان قبل الهجرة بتسعة قرون وانه كان خاقان ميونغ نوجين هجموا على بلاد الصين من وراء النهر الاصفر بعد وفاة چين شهوانفتي قبل الهجرة سنة ٨٠٠ على ما مر ذكره حتى قالا انه اول خواقين الاتراك الذين بقيت اساميهم محفوظة في التواريخ الى يومنا هذا على الاطلاق فان صح هذا القول فليس معناه انه اول خواقين الاتراك على الاطلاق في نفس الامر بل اول الخواقين الذين بقيت اساميهم مضبوطة ومحفوظة في تواريخ الصين فلا ينافي ما مر من ان اول خواقين الترك واعظمهم واشهرهم على الاطلاق هو اوغوزخان ويجوز ان يجلس على مسند الحكومة بعده كثير من الخواقين ذوي الشان ولا يذكر اساميهم في التواريخ قال محمد عاطف افندي في تاريخ كاشغر ان الاتراك الذين كانوا في حوالي كاشغر كانوا يهاجمون على دواخل بلاد الصين مدة سنة ٧٠ يعني قبل الهجرة بسنة ٧٠ الى تاريخ الهجرة ويغيرون عليها في تلك المدة دائما وقد اغار عليها في تلك المدة تومنه خان الذي هو رئيس قبيلة الهون القاطنين بجبال آلتاي (آلا طاغ) عدة مرات واستولى على مواضع كثيرة من كاشغر وضبطها قال عاصم نجيب افندي في موضع آخر من تاريخه في ص ٤٢ و ص ١١٦ و ١١٧ منه اثناء بيان حوادث سنة ٥٤٥ ميلادية يعني حوادث ظهرت قبل الهجرة ٧٠ سنة ان الخاقان

الذى استولى على ممالك ماوراء النهر التى كانت موقع جدال بين ايران وتوران يعنى الفرس والترك ينبغى ان يكون الشخص الذى كان الصينيون يسمونه (طومن) ويذكر فى صحايف الترك (بتومنه) ويعنون عند المغل بعنوان (دوتومن) فقد خالف بذلك قوله السابق ووافق قول محمد عاطوف افندى وايد هذا بقوله عقيبه ان الخلف الثانى لتومن وسع فتوحاته وشهرة هذا الخان موقان خان (١) فان موقان خان انما كان بعد التاريخ المذكور آنفا والظاهر ان الصحيح هو هذا ومع ذلك نحن ننقل قول عاصم نجيب افندى قال ان الهون الذين كانوا تحت قيادة تومن خان لما جاوزوا السد استولوا على الولايات التى كانت قبل ذلك تحت تصرفهم مع ولاية اوردو واجروا سطواتهم الى بحر الخزر وتوفى تومن خان قبل الميلاد سنة ٢٠٦ وقبل الهجرة سنة ٨٢٨ موتاخان قال ان موتا اوماتا (٢) خان فتح الفتوحات العظيمة مدة ٣٢ سنة يعنى من ٢٠٦ سنة الى ١٧٤ سنة قبل الميلاد ولما جلس (قاوهو آنغ نى) الذى هو مؤسس سلالة هان فى مسند الحكومة سار نحو موتاخان وحاصر بلدة (مايه) التى يقال لها الآن (سو پنغ فو) واستولى عليها وسار موتاخان مع ثلاثمائة الف من عسكر هون ودخل ولاية (شينسى) من بلاد الصين وتقدم حتى صار قريبا من بلد (سينغا فو) فلم يتجاسر خاقان الصين (قاوتى) على المقابلة بل طلب المصالحة على ان يزوجه احدى بناته فجرى بعد ذلك بين الترك والصين مراسم الازدواج وحصلت بين هاتين المليتين قرابة المصاهرة ولكن الصينيون

---

(١) وقد ذكر عاصم افندى فى تاريخه وقايعه مع الصينيين وكتابة حقيقته بعض احواله فى محررو انا تركت نقله هنا لقصور افادته ومن اراد الاطلاع عليه فليراجع هناك ولا يساعد التاريخان كون تومنه خان هذا جد جنكزخان الرابع على ماسيجيء فالظاهر ان الخوانين المسمى بهذا الاسم كانوا متعددين اووقع الخلط والغلط والاسقاط فى التاريخ اوبيان نسب چنكزخان والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه

(٢) قلت الاقرب كونه بوتاخان منه عفى عنه.

يدعون من كمال كبرهم وتعظيمهم ان هؤلاء البنات ليس بنات الملوك بل كن جوارى (١) وطرد هيونغ نو قوما كانوا يسمون (يوشى) من ولايتى خان جه او وشيبسى اللتين كانوا يسكنون بهما من مدة مديدة الى جهة الغرب منهما وكان ذلك قبل الميلاد بسنة ١٧٥ فاستوطن القوم المذكور بعد ذلك فى مملكتى ماوراء النهر وبلخ وفرق هيونغ نو فى عين الزمان المذكور شمل تتار الشرق ايضا فاستوطن قسم منهم بجبال (ووهوآن) الكائن بشمال پكين وسموا باسم الجبال المذكورة وسكن قسم منهم بجبال (سيان پى) وتسموا بالاسم (٢) المذكور * وفى عين الوقت المذكور كان قوم (ووسون) او (ووسيون) الذين كانوا خلفاء الهون ومتفقهم يسكنون فى الشمال الغربى من مملكة هون بمرتبة وسهل تسمى بصحراء قفچق وسهول قرغز وقزاق مابين نهرى ايرتش واورال (جايق) وكان رئيسهم يعنون بعنوان (قون مى) (٣) وكان يقيم بساحل نهر ايلى وكان الصينيون يسمون اقليم قوم (ووسون) باسم (قون مى قوئه) يعنى حكومة واقليمه وكان بين الصين والاقوام الذين يسكنون بما وراء النهر والتتارستان الغربية فى الوقت المذكور مناسبة تجارية وسياسية وكانت الهون الذين كانوا من بين الملتين يمانعونهم فى المناسبة المذكورة وكانوا ايجتهدون فى رفعها ولما ارادت الصين ان يفرقوا قوم (ووسون) من الهون وصاروا ملتمسون لذلك ساعوا حيلة فظفروا بها آخر الامر وذلك انهم ارسلوا لتحصيل الغرض المذكور السياح الشهير (جان

---

(١) اظن ان ليس فى العالم بزعم يحوى النقص بأموث الاتراك الذين اعلنوا للعالم اجمع انهم اسود ضوار حيث اضطروا الصين الى ... هذا ... بسبب عدم نكحهم بنات ملوك الصين وعروض الشرف لهم بسبب ... . منه عفى عنه

(٢) وهؤلاء الذين مر ذكرهم بان هاك حول ملك الهون ... ان هؤلاء الملوك لو كانوا ... حاربوهم ... بعدم ... الملوك وانهم تابعون للملة وحكم الوطن كما هو مشهود الآن . منه عفى عنه

(٣) يفهم ويستنبط من هنا اصل قومان وانهم ليسوا قوما غير ... وانهم كانوا يعرفون عند اهل الصين باسم ووسون او ووسيون ولا يبعد كون قومت وقومانلر ماخوذين منه . منه عفى عنه .

كيان) الذى هو اول من ساح فى الممالك الغربية الى قوم (يوشى) او (ووسون) فلما اطلع الهون على هذا التدبير من الصين حسبوا السائح المذكور قبل ايفاء وظيفته فبقى فى حبسهم عشر سنين يعنى بين سنة ١٣٩ وسنة ١٢٩ قبل الميلاد * وفى مدة ٧٠ سنة قبل الميلاد قام قوم (ووهوآن) على هيونغنو وعرب وافسور كاوه ملوكهم الملقبين بخاك حوانك ولاسيما فرمونا تان وطردوهم الى مسافة اربعمين ميلا فى مرسح من الجهة الغربية من ممالكهم واستولوا على الصين ومن الميلاد سنة ٤٥ وان عست الصينيون على قوم (ووهوآن) المذكورين بسبب ... الى ان بلغ اهم ولكنهم يعنى ووهوآن تداركوا الامر بعد ... على الاوهم ... عكومتهم الى سنة ٢٠٧ بعد الميلاد ثم لما صارت الهون الشمالية والجنوبية تدو الصين على ما سيجى بيانه صارت قبيلة ووهوآن ايضا تابعة لدولة الصين وانقرضت حكومتهم * الهون الشمالية والهون الغربية انقسمت حكومة هون فى سنة ٤٣ ميلاديه الى قسمين شمالية وجنوبية ثم ان الهون الشمالية وان هجمت على ولايتى شيسى وهامى من ممالك الصين باتفاق من الهونية الجنوبية فى سنة ٢٥ الا انهم اضطروا الى التقهقر والرجوع الى ممالكهم بسبب انهزامهم من الصينيين ولم يقف الامر بهذا التقهقر فقط بل تعقبهم القائد الصينى المعروف (جوهيان) وخرب بلادهم ثم انكسروا ايضا ثانيا فى محل (كيلوتين) بانهزامهم هزيمة عظيمة فهرب ملكهم ومن بقى معه الى جهة المغرب ... صحت ... حكومة هون الشمالية فى سنة ٩٣ ميلادية والطاعت ... الى ... الصين ... ان الطائفة الطاغية هاجروا جبال آلتاى (الطاغ) ولجئوا ... وطعامهم ... (٢) ومرسح على تربة قفجق ... اوزال ... يعنى ... وسكنوا فى نوزقيور اورال يعنى ... واسسوا ... فى آوروپا حكومة جليلة ... حكومة ... الكبرى تحت ادارة

---

(١) دام كل الصين ... هذه ... من عريرها باستعداد الاقوام التركية مثل تنكوت وغيرهم ... القائل ... وبكل شى آفة من جنسه . منه عفى عنه

(٢) هكذا فى الاصل المنقول عنه تاريخ عاصم افندى ولا يخفى ما فيه من المبالغة الان يعتبر الطرفين الابعدين من الوطنين المهاجر منه والمهاجر اليه . منه عفى عنه

ملوكهم الملقب بجاك جوك وامتدت حكومتهم الى مدة مديدة * قيل ان مورخى الصين لايقدرون على بيان تفاصيل احوال هذه الحكومة الجديدة لانقطاع المخالطه والمعاملة بينهم وبينها بسبب بعد المسافة وانما يذكرونها اثناء بحثهم عنها بمجرد حكومة جاك جوك ويخبرون بكون محل اقامة حاكمها المطلق موضعا بقرب نهر حايق وجبال اورال يسمى يوپان * وهذه الحكومة الجديدة هى التى استولت على ازيد من نصف آوروپا وقلبتها ظهرا البطن واورثت الرعب الشديد الذى لايمكن وصفه فى قلوب اهلها كافة وزلزلوهم زلزالا شديدا بعد ان ادخلت اكثر قبائل الترك كاللان والا ويغور واونوغر وواوغرة وقمچق وسيان پى وسائر الاقوام التركية الذين كانوا يسكنون فى تلك الاصقاع وشكلت دولة متحدة قوية الشكيمة وذات الشوكة الزائدة كما سيجىء بيان ذلك كله فى القسم الثانى من هذه المقدمة وكان اول وظائف هذه الطائفة الهونية بعد وصولهم الى سواحل نهر وولغا واستقرارهم فى اراضى باشقرد التى سميت بالهنغرية الكبرى بهم ادخال الاقوام الذين كانوا يسكنون فيها من مده مديدة تحت طاعتهم وطرد من امتنع عن ذلك الى الجنوب والغرب ومن جملتهم اللان الذين كانت الصين يسمونهم (الانى) وقد ذكرت فى المؤلفات اللاطنية محاربتهم الفرس ودخولهم قطعة مديا (آذربيجان) بعد ان جازوا جبال كافكازيا فى سنة ٧٨ ميلادية ومحاربتهم الروم ايضا فى عهد سلطنة (مارق اوره‌ل) سنة ١٦٧ وبعد ١٠٠ سنة من التاريخ المذكور يعنى فى ايام حكومة غورديان الثالث دخلوا الماكيدونيا والى سائر مقاطعات آوروپا بالتدريج * الهون الجنوبية وفى عين الوقت الذى تشكلت حكومة الهون الغربية من انقاض الهون الشمالية كانت الهون الجنوبية مستولية على ولاية شينسى وقد انقاد لملكهم المسمى (هيولان شى) (٣٤٠٠٠) عائلة من الهون الشمالية ولكن لما طرأ الضعف لتلك الحكومة ايضا بتقلبات الدهر ومرور الزمان سار اليهم رئيس حكومة واى الصينية التى ادخلت (ووهوآن) تحت طاعتها فاضطر آخر ملوكهم (ووچو سيان) الى الانقياد اليها بالاخرى بعد مقاومتها مدة مديدة فانقرضت حكومة الهون الجنوبية ايضا بهذه الكيفية سنة ٢٢١ م

واختلط قسم من اهلها باهالى (خان چه او) و (شينسى) والتجا قسم منهم بجبال الاطاع والفياض وبطون الاودية والتحق قسم منهم بالهون الغربية التى مر ذكرها آنفا سيان پى وفى سنة ٢٢٥م نزلت سيان پى الذين هم قسم من تتار الشرق الى الآسيا المركزية واستولوا على الاقليم المنسوب الى هيو نغ نو واسسوا هناك حكومة واسعة تسمى (توپا) و (سوتيو) وامتدت هذه الحكومة بعد قرن يعنى فى حدود سنة ٣٢٠ من نهر ايلى الى نهر آمور ولكن طرا عليها الضعف بعد ذلك وطردوا من مساكنهم فانحلت حكومتهم واندرست وذلك فى حدود سنة ٣٩٠ وبقى (١) اسم سيان پى الى عصرنا هذا على صورة سيبير وسيبيريا (٢) كذا قيل * تتار جوجان وطولون خان وفى حدود سنة ٣١٠م ظهر قوم من الاتراك منسوب الى سيان پى يذكر فى التواريخ باسم (جوءن جوءن) او (جوجو) (٣) او (جواوجن) او (جوجواون) وبالاختصار تتار جوجان وهاجموا الى الجهة الغربية بالشدة واستولوا على كافة تاتارستان بالتدريج وكان مقر حكومتهم فى الشمال الشرقى من بلدة قراقورم وكان يطلق على ملكهم ايضا لقب جاك جوك فبدل واحد من ملوكهم

(١) فيكون بقاؤها على الكيفية المذكورة ١٦٥ سنة منه عفى عنه

(٢) ولم ادر وجه اخذ سيبر او سيبيريا من سيان پى او سوتيو وكثير من الناس يزعمون ان سيبير وسيبيريا محرف من سويريا الروسى بمعنى البلاد والجهات الشمالية وهذا الزعم باطل فان سيبير وايبر موجودان فى تاريخى العمرى النوبرى وليس للروس اسم وذكر فى عصرهما وايبر يطلق على بلاد غرجستان هكذا رأيت فى جغرافيا رفاعة بك قال ثم ان اسم سيبير لا علاقة بينه وبين كلمة سويريا التى معناها باللسان المسقوبى بلاد الشمال وان كانا متقاربين فى اللفظ جدا . منه عفى عنه

(٣) ذهب بعض الفضلاء الى ظن كون يأجوج ومأجوج ماخوذين من هذه الالفاظ والحاصل فى الاقوام الشمالية والشرقية اسامى والقابا تشبه يأجوج ومأجوج غير تلك الالفاظ ايضا مثل جاك جوك ومانچو وچين ماچين ولهذا عين العلماء مكانهما فى تلك الجهة ولا مانع لهذا الظن شرعا وعقلا والاحاديث الواردة فى اوصافهما لم تبلغ درجة الحسن فضلا عن الصحة ومع ذلك هى اخبار آحاد وخبر الواحد الصحيح لا يفيد غير الظن ويكفى بغير الصحيح والظاهر انهما من وضع بعض الملاحدة للتنفير عن الشريعة بالادخال فيها ما هو بعيد عن العقل والحس انظر كتاب صفوة الاعتبار للسيد بيرام افندى وملاحظة ابتداء ظهور اسم الترك بعد انقراض حكومة تتار جوجان ووقت بناء انوشروان السد المشهور تكاد تسوق الذهن الى القول بصحة مأخذ قول من قال ان الترك من بقايا يأجوج ومأجوج وتعيين اصله وان كان فيه خرافات زائدة وزعم بعضهم ان طائفة چين الكائنين فى حدود داغستان من بقايا تتار جوجان ولا بعد فى ذلك ولا مانع منه والله سبحانه وتعالى اعلم منه عفى عنه .

يسمى طولون هذا العنوان فى حدود سنة ٤٠٢ بعنوان (خاقان) (١) وكان اصله بلغة الصين (خوخان) واشتقاق هذه الكلمة وان لم يكن معلوما كما يسمى الا انها صارت عنوانا فيما بعد لملوك التتار ثم لملوك كافة الاتراك بالتدريج **وكان الخاقان طولون** المذكور خاقانا عظيم الشان وصاحب قران وواضع القانون والنظام وكانت حكومة تتار جوجان فى عهد سلطنته ممتدة من شبه جزيرة كوره الى حدود الآورو بالشرقية يعنى الى نهرى اورال وولغا حتى كانت ممتلكاتهم حدا مسماة بيبو رقيرا الشهيرة بالهجرية الكبرى التى صارت مسكنا للهون فيما بعد كما تقدم داخلة تحت سطوتهم وحكومتهم فى وقت من الاوقات ولم يكن استيلاء آتيلا على ممالك آورو پا فى حدود سنة ٤٤١ على ما يأتى بيانه الا بمعونة تتار جوجان وانضمامهم الى الهون * **وايضا** يصادف اضطراب الهياطلة او افتاليت (ابدال) او الهون الابيض المقيمين بولاية صغد وما وراء النهر عصر هذا الخاقان. **وقد** ضبط مورخو الصين اسامى ملوك تتار جوجان واحوالهم ووقايعهم من بداية تأسس حكومتهم الى زمن انقراضهم **وكان** سبب انقراض هذه الحكومة ظهور قوم آخر من الاتراك يسمون باسم توكيو الذى يظن كونه مأخذ اللفظ الترك او توركيو يعنى عند الافرنج لعدم اشتهار الاقوام التركية بالترك قبل ظهور هذا القوم بل باسامى اخرى كما مر * **وذلك** ان القوم المذكورين دخلوا ممالك جوجان تحت رياسة قائدهم (اوناموى آى) و (نعان لو چين) عقب ظهورهم واستولوا عليها وقتلوا اهلها من سنة ٥٥٢ الى سنة ٤٥٤ قتلا عاما وملكوا الجهة الشمالية من آسيا ومركز ولاية كاشغر ثم استولوا على ما وراء النهر بعد ان عبروا نهر سيحون (سيردريا) واتفقوا مع كسرى انوشروان ملك الفرس ومحوا منها حكومة افتاليت (الهياطلة) يعنى الهون الابيض وذلك فى سنة ٥٥٧ م وهربت بقية الهياطلة منهام خاقانهم

---

(١) والذى ثبت فى المسكوكات القديمة قاغان والغين وفى التواريخ الجنكزية قاآن بالقاف والهمزة وخاقان تعريبهما كما ان خان معرب قان * منه عفى عنه.

(٢) يحتمل ان يبقى اسم نعان من هذا. منه عفى عنه.

المسمى (وار) و(خونى) (١) والقوم المشهور فى التواريخ باسم (وارخونى) او (وارخونيت) من اتراك اويغور وسابير هم هؤلاء الهياطلة وافتاليت (ابدال) ولكنهم لما دخلوا آوروپا تسموا باسم (آوار) وهذه النقطة من التاريخ وان كانت مشكوكا فيها ومظلمة الا ان كون لفظ آوار اسما لقوم خلدوا خاطرة حكومة مدهشة قوية فى ممالك التتار من آسيا فى وقت ما مما لا ينكر وقد تم هنا بيان الماجريات والحوادث التى جرت بين قدماء الاتراك والصينيين نقلا عن تاريخ عاصم نجيب افندى على طريق التلخيص والتنقيح والتصحيح حسب الامكان وقد اخذ المشار اليه تاريخه عن اثر موسيو فاهث وغيره من اهل آوروپا وهم اخذوها عن تواريخ الصين ولكن يلزم ان تتلقى كلها على سبيل الاحتمال وخصوصا الفقرة الاخيرة منها اعنى حوادث انقراض الهياطلة فانها مشكوك فيها ومظلمة جدا كما اعترف به نفسه اما اولا فان حكومة آوارا لذين ادهشوا آوروپا لما لزم كونها حكومة مدهشة قوية بممالك التتار سيما فى وقت ما لزم كون حكومة افتاليت (الهياطلة) التى هى على قوله متصفة بهذه الصفة مع انه لم يذكر فى واحد من التواريخ كونهم هكذا نعم ذكر فيها استيلاؤهم على ممالك فارس واخذهم الخراج منهم فى بعض الاحيان كما سيذكر فيما بعد ولعل مراده هو هذا واما ثانيا فان المشار اليه قد ذهب فى مواضع كثيرة من تاريخه الى كون قوم افتاليت عبارة عن تركمان ابدال وهو الاحتمال الاقرب نظرا الى مشابهة اللفظين وهم مغايرون للاوار بقيد الا انهم مقيمون فى اوطانهم السابقة ولم يدخلوا آوروپا الان نقول ان الذين اشتهروا منهم باسم (آوار) هم الذين خرجوا من ديارهم مع خاقانهم المسمى (وار) ودخلوا آوروپا كما وقع به التصريح واما الذين بقوا منهم فى مملكتهم الاصلية فبقوا على اسمهم الاصلى وجعل (وارخونى) او (وارخونيت) عبارة عنهم يؤيد ذلك فان ابن هذين اللفظين اسماء (٢) ... التى فى ... تركمان ابدال ... [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

افندى فى تاريخ كاشغران انوشروان الذى خلص مملكة فارس من الاضمحلال اتفق مع تتار جوجان فى سنة ٥٥١ يعنى قبل الهجرة سنة ٥٥١ يعنى قبل الهجرة بسنة ٧١ واغراهم على اتراك الهياطلة (افتاليت) الذين كانوا يحكمون فى ماوراء النهر مدة مديدة ويستوفون الخراج من الفرس فابادوهم واضمحلت الحكومة المذكورة بذلك ولما ايقن ملكهم المسمى بفاغانيس (١) الذى كانوا نصبوه ملكا لانفسهم بعد قتل ملكهم السابق فى ميدان القتال انه لا قرار له فى مملكته هرب الى كاشغر واسس هناك حكومة صغيرة اه فهنا وجه ثالث من المخالفة لما ذكره عاصم افندى فانه قال ان توكيو استولوا على مركز كاشغر قبل استيلائهم على ماوراء النهر فانه لو كان الامر كما يقول عاصم افندى كيف يستولى المغلوب على مافى يد الغالب والحاصل ان القول بكون اصل آوار قوم هياطلة قول غريب جدا فانهم اعنى اوارمن بقايا الهون العربية باتفاق جميع المورخين ولم يقع لهم ذكر فى التواريخ الا بعد انقراض دولة الهون الغربية كما سيجىء بيانهم فى القسم الثانى من هذه المقدمة ويحتمل كونهم اولا تحت طاعة حكومة تتار جوجان وبعد انقراض تلك الحكومة يدخلون تحت طاعة حكومة الهون الغربية وبعد انقراضها يحصل لهم الاستقلال والشوكة وبعد ان داموا على ذلك مدة مديدة يأوون الى جبال كافكاز ياو يحفظون الى يومنا هذا عنصرهم الاصلى واسمهم الاوار كما ان تتار جوجان استوطنوا بين داغستان وحاجى طرخان وحفظوا اسمهم چچن الى يومنا هذا على قول البعض واما الذين افنوا الهياطلة باتفاق من انوشروان ملك الفرس هل هم تتار جوجان كما ذهب اليه صاحب تاريخ كاشغر اوهم توكيو كما ذهب اليه عاصم افندى الظاهر انهم توكيو والخطاء فى قول صاحب تاريخ كاشغر هذا على تقدير تسليم كون توكيو وتتار جوجان متغايرين كما ذهب اليه عاصم افندى واما اذا كانا اسمين لمسمى واحد فيكون

---

(١) هكذا فى الاصل المنقول عنه المطبوع بالاستانة بالفاء والظاهر بل الصواب انه بالقاف وسينه ملحقة فى آخره مثل سين پيطرس ونيقولاس وصحيحه قاغان يعنى خاقان فيكون عنوانا ولقبا لا علم شخص فيتفق بما ذكره عاصم افندى من عنوان خاقان. منه عفى عنه.

الاختلاف بينهما كاختلاف اربعة اشخاص فى عنب وانكور واوزم واسنابيل
ويكون الخطاء فى قول عاصم افندى بافناء توكيو تتار جوجان والله سبحانه اعلم
والذى استنسبنا اثباته هنا من الحوادث المتعلقة بقدماء الاتراك انتخابا من التاريخ
المذكور هو هذا القدر واما بومين قاغان وخلفه فسيذكر احوالهما فى آخر بيان
معاملات الاتراك مع الفرس وسيذكر فيه بعض مايتعلق بهذه المسئلة الاخيرة ايضا
فراجع هناك للاطلاع على بقية مباحثها الا ان عاصم افندى قال هناك عند بيان
دخول الخاقان بومين ماوراء النهر بقصد بلاد الفرس ان ملك الهياطلة كان
عاد من مصيفه الى بخارى فالتقى الجيشان يعنى جيش الخاقان والهياطلة بقرب
نخشب (قرشى) فانهزمت الهياطلة وقتل ملكهم فى المعركة اه واثبات هذه الوقعة
هناك سبق قلم بلا ريب وانما محلها هنا يعنى ان خاقان توكيو اى خاقان تتار جوجان
لما حارب الهياطلة باتفاق من انوشروان فى سنة ٥٥٧ اوسنة ٥٥١ وقعت
هذه الوقعة فهربت الهياطلة مع خاقانهم الجديد اما الى آوروپا واما الى كاشغر
على اختلاف القولين السابقين فى المواضع الثلاث لاعند قصد خاقان بلاد
الفرس فان دولة الهياطلة كانت مضمحلة فى الوقت المذكور وكانت قطعة
ماوراء النهر بيد الخاقان على القولين * قال المسعودى فى مروج الذهب
وفى سنة ٢٦٤ ظهر فى مملكة الصين خارجى اسمه باسر من غير بيت الملك
واجتمع عنده كثير من اهل الدعارة وارباب الفساد فقويت شوكته فشرع يفتح
بلاد الصين واحدا بعد واحد ويقتل ويسعى بانواع الفساد حتى آل امره الى
ان حاصر كرسى المملكة المسمى بحمزان فتحصن ملك الصين بمن بقى معه
من عسكره وهم مائتا الف فلما عجز عن دفعه بعد مقاومة شديدة ولى الملك
منهزما منه وانحاز الى مدينة فى اطراف مملكته المتأخمة لبلاد تبت تسمى
بمدينة مدفاستولى الخارجى على دار الملك وعلى خزائن الملك الباقية
من الملوك السالفة وما اعدوه للنوائب وشن الغارات فى سائر العمارات وافتتح
المدن واكثر الافساد والتخريب وسفك الدماء اذا يقن انه لاقوام له بالملك
لكونه من غير اهله فكتب الملك من المدينة التى انحاز اليها الى ملك

الترك ابن خاقان يستنجده ويعلمه مانزل به ويعلمه مايلزم الملوك من الواجبات اذا استنجد اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك فواصله فانجده ابن خاقان بولده بنحو من اربعمائة الف فارس ... ثم استفحل امر ... والتقى الفريقان جميعا وكانت الحرب بينهما سجالا ... سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ... وقتل ... والخواص من اصحابه وسار ملك الصين الى ... الى مملكته منتخبا بمعناه * ذكر بيان معاملات قدماء الترك ... مع قدماء الفرس لايخفى ان هذه الحوادث التي ... منقولة عن التواريخ الاسلامية التي ... عن ... الفرس ... ولا يخفى على من له ادنى ... في ... الفرس لايوجد مثل ... الفرس ... الى اربع طبقات اولها طبقة بيشدادیان ... معاملات الاتراك مع الفرس في عصرهم ... واول ملوكها افريدون وقد ذهب بعض ... الى كونه ... المذكور في القرآن وملاقاته ابراهيم عليه السلام في ... وذهب بعضهم الى كونه نوحا النبي عليه السلام قال ابن الاثير بعد ... المؤلفين في تاريخه واني ذكرته في هذا الموضع لان قصته في اولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سياتي ولحسن سيرته وهلاك ضحاك على يده ولانه قيل ان هلاك ضحاك كان على يدي نوح عليه السلام والحاصل ان افريدون على كلام ... كان له ثلاثة بنين (سلم) (وتورج) (۱) ... تحت ملكه على حرافات الفرس بينهم فاعطى ... وسميت باسمه توران وتركستان واهليا الترك نسبة اليه وهو ... في نسب الاتراك واعطى ممالك الروم والافرنج

---

(۱) اصلها تور ... عربا ... على ما هو العادة في التعريب كقولهم ... فقيل تورج وايرج وربما يكتب طوج وهو من تحريف النساخ بالاشتباه * منه عفى عنه.

والجهة الغربية لسلم واعطى اصل مملكة الفرس ودار ملكه وتاجه وتخته لولده الاصغر ايرج فسميت بالنسبة اليه ايران وآريا فلم يرض ابنا افريدون الاكبران بهذه القسمة وقالوا ان هي الاقسمة ضيزى وان ابانا لفي ضلال مبين فقاما من مملكتيهما بالاتفاق بقصد ان اخاهما الاصغر ايرج وابوهم هي الا ما كان تخلى عن الملك لوالده ايرج وقتلا ايرج مع ولديه وحكما في بلاد الفرس مشتركين مدة ثلاثمائة سنة على بعض الاقوال وبعد مضي تلك المدة خرج الملك منوچهر الذي هو ابن ايرج المقتول من صلبه على قول المسعودي ومير آخوند ولد بنته على قول وحفيده بوسائط كثيرة على قول آخر وقصد تورج وسلما وغلبهما وقتلهما وخلص تخت الفرس من ايديهما واستقل بالملك فانفتح بعد ذلك بين ايران وتوران اعني الفرس والترك باب حرب لا يغلق وهذه ايضا خرافة يسيرة من خرافات الفرس التي لا نهاية لها وقصدهم بذلك دفع عار المحكومية والمغلوبية للاجنبي خصوصا الترك الذين كانوا يبغضونهم غاية البغض ويسمونهم كلابا بدعوى ان افراسياب التركي الذي غلب الفرس واستولى على كرسي سلطنتهم وسلب الملك عنهم على تخت ايران ١٢ سنة وكذلك خلفه ارجاسب التركي الذي غلبهم واخذ عنهم الخراج من ذرية افريدون الفارسي لا من الاجانب نعم ان الفرس لما كانوا مأسوري الغرض الفاسد المذكور ومغلوبيه ثبت لهم نوع عذر ولكن الاغرب من الكل صنيع المورخ الشهير المسعودي فانه قال حين بين قبائل الاتراك وخواقينهم في اوائل كتابه مروج الذهب اجمالا ومن هؤلاء الخواقين افراسياب التركي الغالب على بلاد الفرس ثم قال في اثناء بيانه ملوك الفرس بعد بيان نسب افراسياب الى افريدون تبعا لهم لعدم اطلاعه على هذه الدسيسة وذاهلا عن قوله السابق وكان مولد افراسياب ببلاد الترك ولذلك غلط من غلط من اصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيره فزعم انه تركي اه على انه لا معنى لنفي كونه تركيا وتغليط من قال به على هذا القول ايضا فان صاحب هذا القول يقول ان الترك من ولد تورج بن افريدون كما مر وبه اقر المسعودي نفسه حيث قال والترك عند(١) طائفة من الناس من ولد لست بن ديب بن الطوج (صوابه تورج

(١) وعبارة ابن الاثير هكذا ثم ان افراسياب بن شنج بن رستم من ترك الذي ينسب اليه الاتراك من ولد طوج (تورج) بن افريدون اه منه عفي عنه.

كما نهنا) بن امر يدون والحاصل ان الغلط بل التغليط فى القول بكون آفراسياب التركى بن التركى اباعن جد منذ عصر ترك بن يافث وتغليط من قال به بناء على الغرض الفاسد او الغفلة عنه وصرف الصواب ومحض الحقيقة القول بانه تركى بن تركى بن تركى الى ترك بن يافث وخلاصة القول انه لا يقبل القول بكون افراسياب ابن تورج ابن امر يدون الفارسى بناء على كونه قول المسعودى (١) او العمرى او الغمارى الا المقلد الصرف العارى عن التحقيق الذى لاحظ له من قاعدة انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال فان كون افراسياب تركيا بن تركى ليس بادون فى الثبوت والظهور والبداهة من ظهور كون قفانبك لامرء القيس عند اربابه ماذا نصنع وما العلاج قد جر الاجانب كثيرا من مشاهير ملوك الاتراك الى انفسهم حيث اخذ الفرس الافراسياب وادعى الحميريون كون عوافين تبعت منهم على ماذكره المسعودى وغيره وذلك لاهمال الاتراك ضبط احوال ملوكهم ومشاهير رجالهم فى التواريخ ولكن لا باس فيه فانه لولم يكن فى هؤلاء الاتراك المحتربن والمذمومين عندهم مزايا ومناقب وكمالات وفضائل مقتضية المجر

(١) كيف والمسعودى ينقل فى تاريخه فى هذا الباب ماينافض بعضه بعضا فانه يذكر نسب افراسياب هنا هكذا افراسياب بن الطوج بن ياسر بن رامى بن آرش بن بورك بن ماساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرورس الطوج بن افريدون ثم يذكره بعد ذلك هكذا افراسياب بن سيمك بن نبت بن ديشهر بن وترك ويقول ان وترك هذا هو جد سام ثم يقول ان وترك هو اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وكانه نظرا الى هذه الخلطيات قال بعض مؤرخى عصرنا فى حق افراسياب انه موهوم ولكن لايلزم من هذا كونه موهوما بل هو ابن پشنك التركى بيقين وان كان نسب ما فوق پشنك غير معلوم فان عدم العلم لايدل على عدم المعلوم ولايستلزمه وهو ميته ولعله لهذا ايضا قال رفاعه بك فى جغرافياه وكلام بعض المؤلفين الذين لايوثق بهم يظهر منه ان الاسقوتية كانوا اسسوا فى قديم الزمان المجهول دولة عظيمة ومملكة كبيرة محتوية على بلاد العجم وجميع بلاد الاسيا الغربية ولكن اذا سلم ان هذه المملكة سبق لها وجود فانه لم يبق منها اثر ولم يدل التاريخ الاعلى غارة للاسقوتية حصلت قبل ميلاد عيسى عليه السلام ٦٢٤ سنه اه ومراده بها اما تأسيس آفراسياب او ما سيذكر فى ترجمة اوغوز خان فى المقصد الثانى وقد قال فيما قبل فى مدح اسقوتية انهم اسسوا فى بلاد الهند والعجم الحكومة مرات عديدة وتناقض الاكابر اقوالهم يوجب عدم الاعتماد عليها . منه عفى عنه .

والنسبة الى انفسهم (١) الماجروهم ولما نسبوهم الى انفسهم واما الاتراك فيكفيهم رجالهم الابطال وملوكهم المشاهير الذين كثيرا ما ادهشوا العالم بسطوتهم وزلزلوا اقطار الارض بشوكتهم فى جميع الاحيان واضطروا اعداءهم الى الاعتراف بذلك لا حاجة لهم الى طموح ابصارهم ومد ايديهم الى من سواهم ولنرجع الان الى ما نحن فيه **فنقول** قد تبين من البيان السابق ان ابتداء معاملة الاتراك مع الفرس ومحاربتهم اياهم انما كان فى عصر افريدون وتور ولكننى اجعل المبدأ فى هذا احوال آفراسياب بن فشنج التركى ووقايعها وابينها وابين احوال اخلافه واحدا بعد واحد حسب ما اطلعت عليه فى التواريخ (٢) المعتبرة على سبيل التنقيح والايجاز والتصحيح ومن شاء فليجعلهم اتراكا ومن شاء فليجعلهم فرسا * **الوقعة الاولى بين الترك والفرس** **قال** ابن الاثير قال هشام بن الكلبى ملك طوج (نورح) وسلم الارض بعد اخيهما ايرج ثلاثمائة سنة ٣٠٠ ثم ملك منوچهر مائة (٣) وعشرين سنة ثم وثب به ابن لطوج (نورج) التركى يعنى افراسياب على رأس ثمانين سنة يعنى من ابتداء ملكه فنفاه يعنى نفى افراسياب منوچهر عن بلاد العراق اثنتى عشرة سنة ثم اديل منه منوچهر فنفاه عن بلاد الفرس وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة **ولكن** الاصح ان تملك افراسياب مملكة الفرس انما كان بعد موت منوچهر واما فى حياة منوچهر فقد صالحه بعد وقوع محاربة شديدة بينهما وعاد الى تركستان **وبيان ذلك** انه لما مضى من سلطنة منوچهر وقتل نورج ٦٠ سنة على رواية الطبرى وابن الاثير و ٥٠ سنة على قول مير آخوند قصد افراسياب بن فشنج مملكة

(١) قال الشيخ محى الدين بن عربى قدس سره فى بعض تصانيفه ينبغى تعظيم المنتسبين الى الصوفيه ولو كذبا بمحبتهم اياهم فانهم لو لم يحبوهم لما انتسبوا اليهم اه. منه عفى عنه.

(٢) والتواريخ التى نقلت عنها هنا ثلاثة تاريخ ابن الاثير ومروج الذهب للمسعودى وروضة الصفا لمير آخوند والصرى مندرج فى تاريخ ابن الاثير وربما استعنت بغيرها كالمعارف للدينورى وترجمة القاموس التركية منه عفى عنه

(٣) يعنى مع اثنتى عشرة سنة التى حكم فيها آفراسياب كما ترى. منه عفى عنه.

الفرس بعساكر كثيرة من الاتراك واستقبل منوچهر بمثلها من عساكر الفرس او ازيد فلما التقى الجمعان وقع بينهما حرب صعب تصديق ما وقع فيه من الاحوال والاهوال موقوف على المعاينة لا غير فانهزمت الفرس واضطر منوچهر الى التحصن بقلعة شهيرة بحصن طبرستان وآمل غير قابلة للتسخير بالنسبة الى العصر المذكور فحاصرها افراسياب مدة مديدة وبذل غاية جهده فى فتحها فلم يتيسر حتى سئم عساكره من طول المكث فيه فاضطر الى عقد المصالحة معه فاصطلحا على ان يكون حدما بين مملكتيهما موقع سهم رجل شجيع شديد النزع من اصحاب منوچهر يسمى ايرش فرمى من ذروة جبل دماوند بطبرستان موقع سهمه بنهر بلخ يسمى جيحون (آمو دريا) بعد ان قطع تلك المسافة من طلوع الشمس الى وقت الزوال فصار النهر المذكور حدما بين بلاد الترك ولد تورج ومملكة منوچهر ملك الفرس قال ابن الاثير وهذا من اعجب ما يتداوله الفرس فى اكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ كله يعنى كل هذا القدر من المسافة بعد حركته وطيرانه مدة نصف يوم فى الهواء وقد ذكر فى تواريخ الطبرى وابن الاثير ومير آخوند اغارة الاتراك على اطراف بلاد فارس بعد هذه الوقعة ايضا وخطبة منوچهر قومه خطبة بليغة يحرضهم فيها على القتال ودفع الاتراك من اطراف بلادهم **الوقعة الثانية** لما مات منوچهر وجلس مكانه ولده على قول ابن الاثير واما على قول المسعودى ولد شخص آخر نوذر اغتنم فشنج والد افراسياب الفرصة لرخاوته فى امر الملك فارسل ولده افراسياب الى مملكة الفرس مع اربعمائة الف عسكر رجالا وفرسانا وقد مات فى تلك الاثناء بطل ايران سام الذى هو جد رستم المشهور وكان اعتماد الفرس عليه ولما توجه افراسياب الى ايران من طريق مازندران استقبله نوذر ملك الفرس بعساكر ايران ومعه من شجعانهم المشاهير قباد وقارن ابنا كاوه (١) فلما تقابل الفريقان وقع بينهما

---

(١) وهو مؤسس هذه الطبقة من ملوك الفرس بعد قتله ضحاكا الماري ولهذا قيل لهذه الطبقة كاويان نسبة اليه منه عفى عنه.

حرب شديد وقتل من الطرفين نفوس كثيرة وقتل في اثناء المحاربة قباد بن كاوه على يدي بارمان بطل الترك فلما يئس نوذر من الغلبة وايقن بالمغلوبية ارسل ولده طوس وكستهم والبطل قارن ليحملوا اهله وعياله الى كوه البرز ويحرسوهم هناك فهجم آفراسياب على معسكر الفرس اغتناما لهذه الفرصة على قول الفرس فقتل منهم مقتلة عظيمة وغلبهم واسر بقية السيوف منهم اجمعين وفيهم ملكهم نوذر فاراد آفراسياب قتل قواد الفرس وامراءهم فشفع فيهم اخوه اغريرث الذي كان الاتراك يدعون نبوته فامره آفراسياب بحبسهم في ساري قلعة والقيام بامر حراستهم وحفظهم ولكن لما قتل زال بن سام والد رستم المشهور ومهراب الكابلي ثلاثين الفا من عساكر افراسياب الذين كان ارسلهم الى جهة سجستان مع اثنين من قواده وكان قتلهم بعد المصالحة غدرا وسمعه آفراسياب غضب غضبا شديدا وقتل الملك نوذر لاخذ ثارهم وكانت مدة سلطنته على رواية ثلاث سنين وعلى رواية سبعا وهو المشهور عند الفرس بالملك العديم البخت ولما بقي تخت الفرس شاغرا او خاليا عن الملك استولى عليه افراسياب وحكم فيه اثنتي عشرة سنة * **الوقعة الثالثة** ولما مضت ١٢ سنة من استيلاء آفراسياب على ملك ايران سئمت الفرس من حكمه وانتبهت غيرتهم وتحركت حميتهم فطفقوا يلتمسون لهم ملكا من ذرية ملوكهم السابقة وكان منوچهر غضب على ولده طهماسب لامر ما وطرده من عنده فسار المذكور الى بلاد الترك والتجأ الى ملك من ملوكهم يسمى (١) وامن فزوجه الملك ابنته فولدت له زابا (٢) بن طهماسب وكان المنجمون قالوا لابيها انها تلد ولدا يقتلك فحبسها فلما ولدته كتمت امرها وولدها ثم ان طهماسب

---

(١) هذا قول الطبري وابن الاثير تبعا له وهذه الحادثة مشابهة لحادثة كيكاوس وولده سياوش وحفيده كيخسرو مع آفراسياب كماستذكر بعضو لعله وقع الاشتباه في مأخذ تاريخيهما ولذا لم يقع لها ذكر في روضة الصفا مع كونها ابسط في بيان احوال الفرس منهما ويحتمل ان تتعدد الحادثة ولم يطلع عليها صاحب روضة الصفا والله سبحانه اعلم. منه عفي عنه.

(٢) يقال له في التواريخ العربية زو بالواو بدل الالف ومن غير الف بعد الزاء ونحن جرينا على الاصل. منه عفي عنه.

احتال في اخراج زوجته وولده زاب من محبسهما وذهب بهما الى بلاد فارس فكانه مات بعد ذلك وبقي ولد الزاب فنصبته الفرس ملكا لانفسهم قال ابن الاثير ثم ان زابا فيما ذكر قتل جلا وامن في بعض الحروب وطرد افراسياب التركي عن مملكة فارس حتى رده الى بلاده بعد حروب جرت بينهما قال مير آخوند انهم خلصوا اولا اسارى الفرس من محبس افراسياب بتدبير من اغريرث المذكور ثم قاموا على افراسياب بامداد زال بن سام بن نريمان ابي رستم فدام القتال بين الفريقين الى سبعة اشهر فلما عجزت عساكر الترك عن اطفاء نيران العصيان واعيتهم الحيلة تركوا مملكة الفرس لاهلها وعادوا الى بلادهم **الوقعة الرابعة** لما هلك الزاب بن طهماسب بعد ان تملك ٣٠ سنة وجلس مكانه في كرسي سلطنة الفرس كيقباد من احفاد نوذر بن منوچهر جمع عساكر كثيرة وقصد بلاد الترك ومعه من مشاهير ابطال الفرس رستم بن زال ومهراب الكابلي وقارن بن كاوه وكشواد فلما فرغ ذلك سمع افراسياب جمع عساكره وشجعان الاتراك واستقبلهم فلما التقى الجمعان وقع بينهما حرب صعب وكان ذلك اول محاربة رستم فتحير افراسياب على قول الفرس من شجاعة رستم فطلب الصلح من كيقباد على وفق المعاهدة التي حصلت في عهد منوچهر من كون الحد الفاصل بين المملكتين نهر جيحون فعاد الفريقان الى بلادهم وهذا يدل على ان حركة كيقبا دائما كانت(١) لطرد الاتراك ودفعهم من بلادهم لا لاستملاك اراضي الاتراك فلما حصل مقصودهم صالحوا وعادوا وقال بعضهم ان افراسياب لما انهزم من شدة صولة رستم وهرب لدركه رستم واسره وبينما هو آت به معسكر الفرس اذ صدرت عنه غفلة فاغتنمها افراسياب وحل الحبل المربوط به باستعمال صنعة السحر والشعوذة التي كان ماهرا فيها وربطه برقبة واحد من القتلى وهرب فلم يشعر به رستم وجاء يجر المقتول المذكور عند كيقباد وهو يظن انه افراسياب ورمى به بين يدي كيقباد وقال من خدم الملك فليخدم مثلي ايها الملك اسرت عدوك الالد افراسياب وجئتك به

(١) وحمل الفردوسي ومير آخوند وامثالهما ممن يهزون القاووق للفرس ويلحسون صحونهم هذا الرجوع على مرحمة كيقباد وعلو جنابه . منه عفي عنه.

اسير او ليكن اعداؤك مقهورين هكذا فلما نظروا اليه واذا هو واحد من قتلى آحاد الناس فخجل رستم من هذا الصنيع غاية الخجالة وقال لكيقباد ليدفع خجالته ان هذا الفتح العظيم حصل اليوم بسبب شجاعتك اسرافر اسياب او هرب لا باس به فانه لا يتجاسر بعد ذلك على المحاربة فطلب افر اسياب الصلح وانعقدت المصالحة على ما مر ورجع الطرفان الى اوطانهم وقد ظهر من غضون كلام الطبرى وابن الاثير ايضا تعاله كثرة الوقايع بين كيقباد وافر اسياب ومغلوبية كيقباد من افر اسياب والتزامه وظيفة حفظ الثغور وحراسة الحدود بنفسه حيث قالا وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان بعنيان كيقباد مقيما بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده وكذلك قال مير آخوند نقلا عن تاريخ البيضاوى المسمى بنظام التواريخ ما معناه ان كيقباد كان يقيم دائما بشط جيحون ويحارب الترك ولم اطلع على تفاصيل هذه المحاربات ولا حاجة لنا بها هنا بل يكفينا هذا القدر للعلم بدرجة الاتراك فى القوة والاقتدار والشوكة بالنسبة الى دولة الفرس فى العصر المذكور * **الوقعة الخامسة** ولما هلك كيقباد بعد ١٠٠ سنة من تملكه وقيل ١٢٠ سنة جلس مكانه فى تخت مملكة الفرس ولده(١) كيكاوس وكان الاتراك وقتئذ يجاوزون الحدود ويعبرون على ممالك فارس دائما ولا سيما حين كان كيكاوس يحارب ملك اليمن ذا الاذعار او شمر فان افر اسياب اغتنم خلو حدود مملكة ايران من جهة بلاده فاغار عليها ورجع بغنايم كثيرة **قالوا** كان كيكاوس تزوج سودابه بنت افر اسياب التركى وقيل بنت ذى الاذعار وقيل سعدى بنت شمر ملك يمين وكان له ولد من امرأة اخرى يسمى سياوخش ويقال له بالتخفيف سياوش وكان تربى عند رستم بن(٢) زال بن سام بن نريمان بن جوذك بن كرشاسب اصبهبذ(٣) سجستان وما يليها فعشقت له سوادبه او سعدى المذكورة وراودته عن نفسه وابى فقالت لكيكاوس مثل قول

---

(١) وقال ابن الاثير تبعا للطبرى كيكاوس بن كيبية بن كيقباد وقال لما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له وكان يسكن بنواحى بلخ. منه عفى عنه.

(٢) هكذا ساق نسبه مير آخوند وقال لئلا يغلطوا فى نسبه وقيل رستم بن داستان بن نريمان وقيل غير ذلك والاول اصح. منه عفى عنه.

(٣) الوالى المختار مثل خديو مصر. منه عفى عنه.

نصيرتها المذكورة فى القرآن ماجزاء من اراد باهلك سوء الابنة حتى افسدت بينهما وكان افراسياب اغار فى تلك الاثناء على ممالك ايران حتى وصل الى بلخ فسأل رستم الشديد ان يخاطب اباه فى تنفيذه الى محاربة افراسياب واراد بذلك التباعد عن ابيه ليامن كيد امرأته ففعل ذلك رستم فسيره ابوه وضم اليه جيشا كثيفا فلما التقى الجمعان انعقد بينهما الصلح على ان يترك افراسياب الاسارى والاموال التى كان اخذها ولم يذكروا سبب ذلك الصلح ولا وقوع المحاربة فكتب سياوخش الى ابيه يعرفه ماجرى بينه وبين افراسياب من انعقاد الصلح فلم يحسن ذلك لكيكاوس امالان قصده كان قتل سياوخش فى المحاربة او لعدم اخذ الثار من افراسياب كماينبغى قولان فانفذ اليه طوس بن نوذر وكتب ان يسلم قيادة الجيش والخزائن وعلمهم المقدس المسمى بدرفش كاوبان الى طوس المذكور ثم يحضر عنده الى غير ذلك من التكليفات الغير اللائقة فلما علم سياوخش ماراده ابوه فى حقه سلك سبيل الحزم والاحتياط قائلا شعر

لاتترك الحزم فى امر تحاذره * فان سلمت فما فى الحزم من باس *

بان خابر پيران بن ويسه الذى هو اكبر قواد افراسياب واعظم وزرائه وصاحب الاختيار واشهر ابطال الاتراك فى المسير الى بلاد الاتراك فقبله پيران (١) بن ويسه واخذه فى ضمانته وكفالته فسار اليه مع خواص اصحابه فحمل پيران بن ويسه الى افراسياب فاستقبله افراسياب بكمال البشاشة والتعظيم ورحب به واكرم نزله ومثواه وبعد ان اضافه بضيافة الملوك اياما عديدة زوجه ابنته وسفافريد على قول الطبرى وابن الاثير وفرنكيس على قول مير آخوند (٢) وجعله من مقربيه ولكن لم يرق هذا الفعل من افراسياب فى اعين ولديه واخيه كرسيوز ولم يلايمهم فكانوا فى مقام الحقد والحسد على سياوخش دائما ويذمونه عند افراسياب

---

(١) وقع فى نسخة ابن الاثير المطبوعة بمصر قيران بن وكسعان وهو تحريف من الناسخ بلاشبهة والصواب ماهنا ويقال له اختصارا پيران ويسه كمايقال فى عادة بعض الاقوام الآن احمد عبدالله بمعنى احمد بن عبدالله فتنبه.

(٢) وقع فى تواريخ يونان ذكر تزويج افراسياب ابنته من ملك الفرس بوجه آخر مغاير لما هنا بالكلية اضربنا عن ذكره صفحا ومن اراد الاطلاع عليه فعليه بتاريخ مرادبك العمومى واسم افراسياب فى تواريخهم اوستياغ واسم كخسرو كيروس واسم اسفنديار داريوش ما عرفه .منه عفى عنه.

ويعرونه عليه حتى غلبوه على رأيه وحرفوه عنه وحصلوا منه الامر بقتل سياوخش وقتلوه وكانت زوجته وسفافريد اوفرنكيس بنت آفراسياب حاملا عنه حين موته فحاولوا اسقاط الجنين من بطنها فلم يقدروا وقيل منعهم من ذلك پيران بن ويسه واخذ الفرنكيس فى كفالته وحجر تربيته فولدت بعد تمام مدة الحمل ولد اسموه بتوصية سياوخش المقتول بكيخسرو وهذا هوكيخسرو المشهور من بين ملوك الفرس ولقب كسرى مأخوذ منه بتحريف العرب اياه وباق ذكره الى يومنا هذا **الوقعة السادسة** ولما بلغ قتل سياوخش اباه كيكاوس حزن عليه حزنا شديدا ولما انقضت ايام الماتم ارسل جيشا كثيفا تحت قيادة رستم وسائر مشاهير قواد الفرس الى تركستان لاخذ ثار ولده سياوخش من افراسياب ولما مر الجيش المذكور نهر جيحون والتقوا جنود آفراسياب وقع بينهما حرب شديد قتل فى اثنائه ولدا افراسياب واخوه كرسيوز الذين كانوا قتلوا سياوخش وانهزمت بواقى جيش افراسياب وتوغل هو فى داخل بلاده واجتهد رستم فى الظفر بفرنكيس وولدها كيخسرو وبذل غاية مقدرته فى ذلك الا انه لم يقدر عليه ولم يتيسر له ذلك لان افراسياب كان ارسلهما الى اقصى بلاده فاخذ خزائن افراسياب ورجع الى بلاده فانعم كيكاوس على رستم بانواع الانعامات ومنحه رتبة طرخان واعاده الى مقره **وفى بعض الروايات** ان كرسيوز لم يقتل فى هذه الوقعة بل قتل بعدها وانما قتل فيها شيدة ولد افراسياب على يد فريبرز بن كيكاوس وفى بعضها ان شيدة ايضا قتل بعد هذه الوقعة على يدى كيخسرو **وقال المير آخوند** ان هذا روايات مختلفة وخرافات بعيدة عن العقل جدا والحاصل ان المقصد هنا ذكر اصل الحوادث على طريق الاختصار لا استقصاء الروايات المختلفة **الوقعة السابعة فى عصر كيخسرو** قيل انه لما ولد كيخسرو سلمه پيران ويسه الى اصحابه وقومه الذين كانوا يسكنون فى البادية وامرهم بحفظه وحراسته وتربيته فاخذوه وعلموه الفروسية والاصطياد والكر والفر على عادة الاتراك فلما كبر كيخسرو وشب ارسل كيكاوس واحدا من شجعان

ايران يسمى كيو بن كودرز الى تركستان ليجئ بكيخسرو اليه بناء على رؤيا رآها وبعد ان طاف المذكور فى قفار تركستان سبع سنين لقى كيخسرو فى مروج من الارض وعرف كونه كيخسرو بسيماه فحمله مع والدته فرنكيس الى بلاد الفرس عقيب خرافات كثيرة تنبوا عنها العقول السليمة ولذا تركنا ذكرها واختصرنا الكلام مطاب وفت كيكاوس لذلك وفوض تاجه وتخته الى كيخسرو مع وجود ولده الصلبى فريبرز واختار العزلة والخلوة ولما جلس كيخسرو تخت سلطنة الفرس جعل جل همته مصروفة الى اخذ ثار والده سياوخش والانتقام من قتلته فجمع عظماء مملكة فرس وخطبهم خطبة بليغة مؤثرة وابان لهم نواياه المتعلقة برفاهيتهم وراحتهم وترفيهم ثم اعلمهم كون والده مقتولا بيد الاتراك مغدورا وكون هذا الامر عارا وشنارا له خصوصا ولكافة الفرس عموما وبين لهم لزوم اخذ ثاره وانتقامه من الاتراك فتلقاه عموم عظماء الفرس بالقبول وعقدوا على ذلك عقد الاتفاق فاعطى كيخسرو لعمه فريبرز بن كيكاوس وطوس بن نوذر ثلاثين الفا من منتخبات جيش ايران وكان لسياوخش ولد آخر ببلاد الترك متولد من امرأة من بنات بعض اقرباء پيران ويسه يسمى فرود وكان يسكن قلعة من قلاع الترك كان افراسياب اعطاه اياها فامر كيخسرو قائده طوس بن نوذران يمر على تلك القلعة وان يدعو اخاه فرود الى الاتفاق على محاربة افراسياب فلما نزل طوس بقرب تلك القلعة حسب امر كيخسرو وسمع فرود بنزوله غضب غضبا شديدا وخرج للقائه وطرده بشجعان الاتراك فارسل اليه طوس يعلمه بكيفية الحال فلم يصغ فرود لخرافاته بل هجم عليهم بلامهلة وحاربهم حتى قتل فلما بلغ هذا الخبر الموحش مسامع كيخسرو استولى عليه الحزن وغضب على طوس فكتب الى عمه فريبرزان يرسل اليه طوسا مقيدا وان يتوجه بمن معه من عساكر الفرس الى تركستان ففعل عمه فريبرز ما امره به كيخسرو فلما اخبر افراسياب بقصد فريبرز بلاده ارسل للقائه پيران بن ويسه مع جيش الاتراك وسائر الابطال

ولما التقى الجمعان وقع بينهما حرب شديـد فانكسر جيش الفرس وانهزم فريبرز افجع هزيمة ولحق كودرز بن كشواد الذى هواشهر ابطال جيش ايران واكبر فوادهم بفريبرز متخلصا من المعركة بعدان قتل من اولاده واقربائه سبعون نفسا فى تلك المعركة وخاض بنفسه غمرات الموت ولم يصدق انه ينجو فرجعت بقية عساكر الفرس الى اوطانهم بافجع صور هذا مقطوع يده وهذا مكسور رجله وهذا مجدوع انفه وهذا ذاهب اذنه وذاك مشجوج رأسه وهذا مجروح وجهه وهذا مفقوء عينه فاستولت غاية الغم على كيخسرو بمشاهدة هذه الحالة الشنيعة وحمى غضبه على عمه فريبرز ولا سيما بعد ان قال كودرز ان سبب الهزيمة كان تقهقره واندحاره عن المعركة * الوقعة الثامنة لم يورث وقوع هذه الحادثة المحزنة لعزيمة كيخسرو ادنى فتور بل حشد جيشا جديدا من عساكر فرس وسلم قيادته الى كودرز وحرضه على اخذ الثار والانتقام لاجل ابيه سياوخش ولاجل اولاد كودرز واقربائه وعفى عن طوس بن نوذر وضمه اليه فلما سار او سمع به افراسياب جمع من ابطال الاتراك من يرجحون ايام المصاف على ليالى الزفاف وجعلهم تحت قيادة پيران بن ويسه وارسلهم لاستقبال جيش الفرس ولما انتشب الحرب بين الفريقين وقع الانهزام على جيش الفرس فالتجأوا الى جبل هناك يعرف بجبل تيرتو فاحاطت ابطال الاتراك بالجبل المذكور وطفقوا يقتلون الفرس وجاء فى الوقت المذكور على ما فى خرافات تواريخ الفرس خاقان الصين وشنكل الهنود يعنى ملكهم لامداد الاتراك فلما رأت الفرس هذه الحالة يئسوا من الحياة وبينما هم فى هذه الحالة اذ لحقهم رستم بامر كيخسرو وشرع حالا فى المحاربة واسر واحدا من ابطال الاتراك المشهورين الذين يعتمد عليهم فى المحاربة واسر خاقان الصين بعد مضى ايام فلما شاهدت الاتراك هذه الحالة الخارقة للعادة استولى عليهم الرعب والخوف وولوا الادبار منهزمين قائلين من نجى برأسه اليوم فقد ربح فاستخلص رستم وكودرز ولاية خراسان من يد الاتراك ورجعوا الى بلاد الفرس عند كيخسرو مظفرين منصورين ولكن لم يحصل بهذا ما هو الغرض الاصلى من تلك المحاربات بل اندفعت به المضرة المترتبة

لها اعنى استيلاء الاتراك على مقاطعة خراسان ولهذا لم يكن بد من محاربه آخرى لتحصيل الغرض الاصلى منها **الوقعة التاسعة القاضية بغلبة الفرس وقتل افراسياب** وبعد مضى ايام من الوقعة السابقة اراد كيخسرو ان ينتقم من الاتراك فجمع جيشا كثيفا جدا وقسمه على اربعة اقسام وجعل كل قسم منها تحت قيادة قائد مشهور من قواد الفرس وامرهم بالهجوم على بلاد افراسياب من الجوانب الاربعة ومن جملتهم جعل كودرز قائدا لقسم منها واعطاه علمهم المقدس المسمى بدرفش كاويان الذى كان ملوك الفرس يحنصون بعملها وامره بالهجوم على بلاد افراسياب من جهة البلخ ووعده بلحوقه به من عقبه فورا فلما سمعه افراسياب جمع جيشا اكثر عددا من قطرات البحار وحبات الرمال وجعلهم تحت رياسة پيران بن ويسه واخوانه وارسلهم الى لقاء كودرز فالتقى الفريقان بقرب جبل يعرف بكنابد (١) فوقع بينهما حرب صعب دام الى ثلاثة ايام بليا لها فهبت رياح النصر فى الاخر من جهة الفرس فقتل پيران بن ويسه من يد كودرز وقتل من قواد الاتراك غيره احد عشر نفرا فيهم اخوة پيران بن ويسه وولده وولد افراسياب كل منهما يسمى روبين قتلهما بيژن بن كيو بن كودرز والباقى منهم قتلهم سائر قواد ايران اواسروهم ولهذا اشتهرت هذه المحاربة فى شهنامه وغيره من تواريخ الفرس بمحاربه دوازده رخ يعنى اثنى عشر وجها ذكره صاحب البرهان القاطع وغيره وقتل سوى هؤلاء من جيش الترك قريب من مائة الف نفس وفى ابن الاثير خمسمائة وستون الفا واسر ثلاثون الفا وهذا ماعدا المقتولين على يد عساكر الفرس الذين دخلوا من جهة كاشغر ومن جهة باب الابواب وبحيرة اورال وغنموا مالا يعد ولا يحصى فى نفس تلك المعركة وانهزمت

---

(١) كما بدعلى وزن جنابت اسم موضع بارض الترك وقع فى جبل بها محاربة بين كودرز قائد كيخسرو وبين عسكر تركستان قتل فيه كودرز پيران ويسه وقتل حفيده بيژن بن كيو بن كودرز وابن بنت رستم وقيل ابن اخته اثنين من اخوة پيران ويسه وهذا الحرب من الحروب المشهورة فى شهنامه يقال له حرب دوازده رخ اه من البرهان القاطع منتخبا ومعربا. منه عفى عنه.

البواقي من جيش الترك ووصل كيخسرو الى محل الوقعة مقارنا لتلك الحالة وشرع فى التفرج والنظر الى المقتولين والمأسورين تحت راية كل قائد من قواده فوقع نظره الى پيران ويسه مقتولا مطروحا تحت راية كودرز فنزل من فرسه بلا اختيار ووضع وجهه على وجهه وبكى بكاء كثيرا وامر بغسله طاهرا وتكفينه فى قماش نفيس ودفنه فى محل مناسب لمثله بكمال التعظيم والاحترام ورأى كرسيور اخا افراسياب وقاتل ابيه سياوخش تحت راية القائد كيو مقيدا فنزل من فرسه وقطع رأسه قصاصا لوالده فلما وصل هذا الخبر الموحش الى مسامع افراسياب استولت عليه الغموم وحمى غضبه فارسل جيشا كثيفا تحت قيادة ولده شيده لمحاربة كيخسرو فالتقى الفريقان فى صحراء خوارزم ونشب بينهما القتال ودام الى اربعة ايام بلياليها فقتل فى اثنائها شيده على يدى كيخسرو نفسه فقال كيخسرو كان هذا خوارزميا فسميت الولاية المذكورة لذلك خوارزم فلما سمع افراسياب ذلك الخبر توجه بنفسه الى محاربة كيخسرو فوقع بينهما حرب شديد ودام الى ايام ولما قتل من عسكر افراسياب مقدار مأته الف نسمة ولى الادبار منهزما فتعقبه كيخسرو وحاصره فى دار ملكه كنك دوز فلما ايس افراسياب من وصول الامداد خرج من سرداب (١) كان اعده لمثل هذا اليوم وهرب واستولى كيخسرو على البلدة واخذ اهل بيت افراسياب تحت حمايته ولم يترك احدا يتعرض لهم بسوء لكون والدته من بنات افراسياب واما افراسياب فانه لما طاف مدة من الزمان فى اطراف مملكته صادفه عساكر ايران فى ولاية ادربيجان فحملوه الى كيخسرو فقيل ان كيخسرو قتل بيده وقيل امر غيره بقتله وقيل انه لما رآه رق له فخاف كودرز من عفوه له فبادر الى قتله فقتل وعلى كل حال لم يقدر افراسياب الذى لعب بعدة من ملوك الفرس تلك الالعاب ان يخلص نفسه فى هذه الدوبة من قبضة الفرس وهكذا حال الدنيا لمن اعتبر فرجع كيخسرو الى طراف بلخ مجبور الخاطر مقضى الوطر بقتل جده لامه بعد استيصال اهل بيته

---

(١) وبجوارا سمرقند غار يقال له غار افراسياب ولعله هو هذا الذى ذكرناه والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

ومملكتة لشخص واحد ومع ذلك يدعون كونه نبيا او وليا **لايخفى** ان اوائل سلطنة افراسياب على مايستفاد من الوقايع السابقة تصادف اواسط سلطنة منوچهر وكان منوچهر على قول ابن الاثير تبعا للطبري في عصر موسى وشعيب عليهما السلام **وقال** مير آخوند ان موسى وشعيبا عليهما السلام كانا في اواسط سلطنة منوچهر وكان يوشع عليه السلام في آخر سلطنته باتفاق المورخين فعلى هذا يصادف اوائل سلطنة افراسياب اوائل بعثة موسى عليه السلام وانه عمر عمرا طويلا على مايستفاد من الوقائع السابقة وقد ملك عدة من ملوك الفرس في عصره **اولهم** منوچهر وكانت مدة سلطنته ١٢٠ سنة **والثاني** نوذر ومدة تملكه ٧ سنة او ٣ سنة **والثالث** الزاب ومدة تملكه ٣٠ سنة **والرابع** كيقباد ومدة سلطنته ١٠٠ سنة او ١٢٠ سنة **وكان** المذكورة على ماذكره ابن الاثير ومير آخوند تبعا للطبري في عصر الياس واليسع واشمويل وحزقيل عليهم السلام **والخامس** كيكاوس ومدة سلطنته ١٥٠ سنة **والسادس** كيخسرو ومدة سلطنته على قول الجمهور ٦٠ سنة وعلى ماذكره في عمدة التواريخ سنة ١٠٠ **وعلى** مايفهم من قول مير آخوند انه لم يعش بعد قتل افراسياب الاقليلا ولنجعل اوائل سلطنة افراسياب بعد مضي ٨٠ سنة من سلطنة منوچهر وقتل بعد مضي ٤٠ سنة من سلطنة كيخسرو وتبقى سلطنتي نودر وكيقباد على الاقل ثم نضم الى ذلك مدة تسلطن آفراسياب بتخت الفرس ١٢ سنة فيكون المجموع ٣٨٠ سنة **وعلى كل حال** فانه كان اشهر ملوك قدماء الترك بما وراء النهر واعظمهم شانا وكان غالبا ومنصورا على اعدائه ومظفرا في اكثر حروبه ولهذا لايزال ذكره جاريا على الالسنة الى الان كانه مضى قبل هذا الوقت بسنين معدودة ومذكور في التواريخ بانه تسلطن اكثر من ٣٠٠ سنة **وبقرب** سمرقند مغارة مشهورة بغار افراسياب ويروى ان الروسية لما استولوا على سمرقند ظفروا ببعض آثار عتيقة في تلك المغارة ولا ادري ان بلدة كنك دز التي مر ذكرها آنفا هل كانت هناك اوفي محل آخر **قال** في البرهان انه بفتح الكاف الفارسي الاول وسكون الثاني اسم بلدة في شرقي اقليم الصين وقال انه بلدة بارض الترك اهلها في غاية الحسن والجمال

(١) قال المسعودي وغيره عند كثير من الناس اربعمائة سنة. منه عفي عنه·

وقال كنك اسم بلدة تاشكند اه وكونها اياها اقرب الى العقل والله سبحانه اعلم بالصواب * سلطنة ارجاسب التركي اعلم ان اكثر المورخين قالوا انه جلس على كرسي مملكة الترك بعد قتل افراسياب اخوه ارجاسب وذكر في البرهان القاطع انه حفيده وعلى قول ابن الاثير تبعا للطبري ان الذي تملك بعده اخوه كي سواسف ثم بعده ابنه خرزاسف يعني ارجاسب فعلى هذا يكون ارجاسب ابن اخي افراسياب والله سبحانه اعلم وقد تخلى كيخسرو عن الملك لولدعمه اوعم ابيه اوغير ذلك على اختلاف الاقوال لهراسب ولايرى له في التواريخ وقايع مع الاتراك وانما المذكور فيها انه كان مقيما ببلخ بدافع الترك الذين كانوا تقووا في عصره واكتفى كلهم بهذا القدر ولم يتعرض احدمنهم لتفصيل تلك المدافعة وكيفية تعرض الاتراك وبعد مضي ١٢٠ سنة من سلطنته تخلى عنها لولده كشتاسب (١) واختار العزلة والانزواء ولما جلس كشتاسب على تخت مملكة الفرس ارسل الى ارجاسب سفيرا يطلب منه الهدنة والصلح فتم الصلح بينهما على ان يؤدي كشتاسب لارجاسب مقدارامن الخراج وان يربط فرسا مختصابه مسرجا ومجللا بباب قصر ارجاسب ليكون دلالا على الطاعته اياه ظهور زرادشت الزنديق وتسببه في بطلان الصلح ووقوع المحاربة بينهما والوقعة الاولى ولمامضى للصلح المذكور مدة من الزمان ظهر في تلك الاثناء مخترع دين المجوس ومؤسس عبادة النار زرادشت الزنديق واخترع الدين المذكور وصار يدعو الناس اليه فقبله (٢) كشتاسب وسائر عظماء الفرس بعد اللتيا والتي وبعد ذلك بين لهزرادشت قبح الطاعة اصحابا لدين الحق يعني دين المجوس لارباب الدين الباطل يعني الاتراك وقبح اداء

(١) وقع في نسخة ابن الاثير المطبوعة بمصر بشتاسب بالباء بدل الكاف وهو غلط مخالف لمافي سائر الكتب كانه من انه بالكاف لابالباء . منه عفي عنه .

(٢) قال ابن الاثير تبعا للطبري ان الفرس كانوا قبل ظهور زرادشت واختراعه دين المجوس وقبول كشتاسب وقومه اياه على دين الصابئة واما اصل زرادشت ومبداامره فسيجيء نبذة منه بعيد ذلك . منه عفي عنه .

الخراج لهم وربط الفرس بباب قصر ملكهم اظهارا للطاعة والانقياد وحرصه على نقض العهد والصلح المذكور وحثه على محاربته ووعده بان يختار له طالعا دالا على انتصاره على ارجاسب فكتب كشتاسب الى ارجاسب كتابا يدعوه فيه الى دين المجوس وعبادة النار الذى اختاره فحمى غضب ارجاسب بمطالعة الكتاب المذكور وكتب اليه فى جوابه انه ان لم يرجع من دين المجوس وعبادة النار الى الدين الحق وعبادة الله المتعال ولم يرسل اليه زرادشت المفسد الزنديق مقيد القلب مملكة الفرس ظهر البطن واخذك اسيرا وحيث كان مقصد كشتاسب من كتابته نقض الصلح فرح بذلك وصار يستعد للحرب وكتب الى ارجاسب ثانيا يوبخه فيه ويشنع عليه واخذ فرسه المربوط بباب قصره حمية لزيادة غضبه وحمله على نقض الصلح والبداية باعلان الحرب بذلك السبب وفاز ببغيته هذه ايضا فان ارجاسب جمع جيشه وسار حالا قاصدا بلاد الفرس فارسل كشتاسب ولده اسفنديار بعساكر الفرس لاستقباله ووعده بان يترك تاجه وتخته له ان انتصر على الاتراك فتقابل الجيشان ووقع بينهما حرب عظيم شديد قتل فيه عدة من اولاد ارجاسب واخوانه فانهزم ارجاسب ورجع الى بلاده مكسورا مقهورا وعاد اسفنديار الى مملكته مظفرا منصورا (١) الوقعة الثانية قالوا وقع الفساد بين كشتاسب وولده اسفنديار بعد الوقعة المار ذكرها آنفا بسعاية الساعين ووشاية الواشين بينهما فحبس كشتاسب ولده اسفنديار بقلعة كردكوه بناحية رودبار مقيدا بتهمة طلب السلطنة لنفسه وترك اولاده وخزائنه وسائر امواله عند والده لهراسب ببلخ وتوجه بنفسه الى جهة العراق وقيل الى طرف كرمان وسجستان وسار الى جبل يقال له طمبدر لدراسة دينه والتنسك هناك فلما سمع ارجاسب هذا الخبر المسر اغتنم هذه الفرصة وتوجه نحو بلخ وقتل لهراسب وولدين لكشتاسب والهرابذة وهدم الدواوين وبيوت النيران واسر بنتين لكشتاسب

(١) هكذا ذكرت كيفية هذه المحاربة هنا وقد ذكر اثناء بيان مناظرة اسفنديار مع رستم فى روضة الصفاء ان هذه المحاربة كانت مع افراسياب وان كشتاسب اقام بنفسه فى القلب وولده نسطور فى الميمنة واسفنديار فى الميسرة وان افراسياب اقام فى القلب مع اولاده وپيران ويسه ومهر زادونديمان السا حروا هوتهى الجاحين وان زريرا اخا كشتاسب قتل فى اول وهلة فانهزم قلب ايران وميمنتهم ورموا علمهم المقدس درفش كاويان وفروا فاخذه الاتراك فادركهم اسفنديار وخلص منهم العلم المذكور واجبرهم الى الفرار الى غير ذلك من الخرافات ولاشبهة فى كونها من الخرافات والعجب من مير آخوند كتابته هذين المتناقضين فى كتابه مع ان بينهما ورقات يسيرة والله اعلم بسر اثر عاده. منه عفى عنه

(به آفرين) و (هما بانو) واخذ خزائنه وكافة امـوال وعلمهم المشهور درفش كاويان وارسل كل ذلك الى تركستان ونوجه بنفسه الى جهة كشتاسب فلما تيقن كشتاسب بعدم قدرته على مقاومته اياه تحصن بقلعة حصينة منيعة وارسل اخاه جاماسب الذى كان عالم الفرس ووكيل زرادشت الى اسفنديار ليخرجه من محبسه ويأمره بمحاربة الاتراك ووعده ان يتخلى له عن سلطنة ايران بعود اليه بها بعده فخرج اسفنديار من محبسه وجمع ما تشتت من عساكر الفرس وقصد ارجاسب فالتقاه فاقتتلوا قتالا شديدا حتى انجلى الغبار عن هزيمة كلترك وتوليهم الادبار واسترد اسفنديار درفش كاويان فرجع به الى ابيه كشتاسب مظفرا منصورا **الوقعة الثالثة** ولما رجع اسفنديار الى ابيه شتاسب بالظفر والنصر لم يزل ابوه يتعلل عليه فى تسليم الملك وقال له قد تبين ان حق السلطنة لك وانك احق بها ولكن اليس كون اختيك اسيرتين بيد اعدائنا ارجاسب وقومه عارا عظيما وشنارا قبيحا كيف يقبل وجدانك ان تلبس التاج وتجلس على سرير السلطنة هناو هما على تلك الحالة فتحرك عرق حمية اسفنديار لذلك وشرع يتأهب لكفاح ارجاسب ثالثا وانتخب من عساكر ايران اثنى عشر الف راجل واثنى عشر الف فارس واخذ معه اخاه پشوتن وسار الى تركستان وفى كيفية سيره الى تركستان خرافات عظيمة للفرس وخلاصتها انه سأل گركسار التركى الذى كان اسيرا بيد الفرس عن بعد بلدة روبين دز (١) التى كانت اختاه وسائر اسارى الفرس محبوسين بها وعن طرقها ومسلكها فقال له ان لها من بلخ ثلاثة طرق احدها فيه مياه وانهار وخصب وعمارات بعضها متصل ببعض الا ان مسافته ثلاثة اشهر وفى رواية ستة اشهر والثانى مسافة شهر واحد الا ان المياه والاقوات قليلة فيه والثالث مسافته اسبوع واحد فقط الا ان

(١) وقد تقدم فى ترجمة افراسياب ان اسم كرسى سلطنته كنك دز وهما يقولون ان كرسى مملكة ارجاسب روبين دز ويعبرون عن بلاد افراسياب اثناء بيان مناظرة اسفنديار مع رستم بمدينة صفرية وينقلون عن اسفنديار فى وصفها مكفا طلعت على قمة جبل عال ورأيت المدينة صفرية من بعيد ورأيتها كبيرة مستحكمة جدا فنزلت الى سفح الجبل مع موما ثبت ثلاثة اشخاص

فى كل منزل منه مانع و عائق من الثعبان والسباع و الساحر و السيمرغ (١) و الثلج الكثير و رمل كثير مسافة ثلاثين فرسخا لا ماء فيها ولا كلاء فارسل اسفنديار اخاه پشوتن مع معظم عساكره من الطريق الثانى واختار بنفسه سلوك الطريق الثالث ذى الخطر و الموانع مع خواص اصحابه واخذ معه جواهر ثمينة و اموالا نفيسة وبشهر نفسه تاجرا ما رسيا هار بامن ظلم اسفنديار و شره و واعد اخاه پشوتن اذا وصل المذكور بعد قطع مسافة شهر ان يوقد نارا عظيمة فى البلدة ذات ليلة بعذر من الاعذار فمتى رأوا النار المذكورة يهجمون على البلدة فسلك اسفنديار الطريق الثالث القصير و ازال الموانع من كل منزل و مرحلة وصار يقيم مجالس الشرب والاكل والانس والفرح والسرور مع اصحابه فى كل منزل بعد رفع الموانع منه ولهذا اسمى هذا الطريق عند الفرس بهفت خوان (٢) ولما وصل اسفنديار

فسألتهم عن كيفية المدينة فقالوا ان اطرافها متصلة بالجبال ودور تهاماًته فرسخ و تدوضع فى ابراجها مجانيق ومدافع كثيرة وعين حفظها وحراسها كثير من الابطال المحنكين والشجعان المجربين لايتركون الطيور ان ينزل الى ابراجها و فى داخلها كثير من السحرة من اقارب افراسياب اه معربا من روضة الصفا وهذه المدينة هى التى استولى عليها اسفنديار فى طرفة عين والطاهران كنك دز وروبين درعبارتان عن هذه المدينه واسمان لها وقد ذكر المسعودى بلدة صفر فى تاريخه وذكر ايضا خراب بلدة عمان فى تركستان والظاهران بلدة صفر هى مدينة صفرية وقد تقدم فى اوائل زمان افراسياب ذكر صارى قلعة ذكرها مير آخوند بهذه العبارة ولاشك ان معناها بالعربية المدينة الصفراء فهى ومدينة الصفر واحدة وان اصل اسمها بالتركية صارى قلعه واما بلدة عمان فلم ادرهل هى هى ايضا ام مغايرة لها والله سبحانه اعلم ومع قول صاحب البرهان القاطع بكون دار ملك افراسياب كنك دز قال فى مادة بلاساغون انها بلدة بقرب كاشغر وانها كانت قاعدة ملك افراسياب فى حياته وصارت كذلك دار ملك اولاده الى عصر كور خان اه وظهوره فى ٥٣٦ سنة قال الحموى انه بلد عظيم فى ثغور الترك وراء سيحون قريب من كاشغر الخ وقال ابن الاثير عند بيان وقعة كورخان المذكور وقيل ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد ساغون وختن وطراز وغيرهما مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانية الاتراك وهم مسلمون من نسل افراسياب التركى الخ. منه عفى عنه.

(١) طائر معروف الاسم مفقود الجسم عند العجم كالعنقاء عند العرب اوهو هو. منه عفى عنه.

(٢) انظر الى البرهان القاطع فى مادته. منه عفى عنه.

الى بلدة رويين دز بالكيفية المذكورة ودخلها اعلن نفسه تاجرا فارسيا هاربا من ظلم اسفنديار وشره واشهر ذلك واهدى للملك ارجاسب جواهر ثمينة وتقرب اليه بهذه الوسيلة واستكرى منزلا بقرب قصر الملك ارجاسب ولقي اختيه وسائر اسارى الفرس واعلمهم بكيفية الحال ولما وصل اخوه پشوتن بعد قطع مسافة شهر الى رويين دز ونزل بقربها واخبر اسفنديار بذلك استأذن الملك لضيافة الامراء والوزراء وقواد العساكر والكبراء والاعيان في تلك الليلة واوقد نارا عظيمة بهذا العذر فلما شاهدها پشوتن من الخارج تيقن ان الوقت الموعود قد حل فهجم على البلدة بمن معه فورا فغشيت الناس حيرة ودهشة وصاحوا بان عدوا قد هجم على البلدة فشرع فرسان الترك يسرعون الى خارج البلدة ويتوجهون نحو العدو فخلت البلدة من الحماة والمستحفظين فاغتنم اسفنديار هذه الفرصة التي انتهزها فقتل الوزراء والامراء والاعيان وخلص اسارى الفرس وفعل الذي لابد من فعله واغلق ابواب البلد فكل من اراد دخول البلد قتل ومن طرف آخر قتل پشوتن في تلك الاثناء الملك ارجاسب مع عدة من اخوانه واركان دولته واستولوا على البلد بما فيه فارسل اسفنديار اختيه وتخت افراسياب المزركش المذهب وخزائن ارجاسب وامواله حملا لها على الفيل الابيض الى ابيه كشتاسب وشرع هو نفسه مع عسكره في تخريب بلاد الاتراك وقتل اهاليها ولما قضى وطره من القتل والتخريب وشفى صدره فوض سلطنة تلك الديار الى واحد من اولاد اغريرث اخي افراسياب الذي كان محبا للفرس ومحسنا اليهم دائما ومشهورا عند الاتراك بالنبوة كما تقدم ذكره وكيفية قتله من يد اخيه افراسياب ثم توجه اسفنديار من هناك الى ممالك الصين وبنى هناك عدة من بيوت النيران ثم توجه منها بحرا الى الهند وبعد استيلائه عليها وتسخيره اياها بنى هناك ايضا عدة من بيوت النيران ونشر فيها المجوسية ثم عاد سالما غانما الى وطنه بلاد الفرس انظروا الى مقدار ترهات الفرس وخرافات ايران كيف استأصل شخص واحد بخمسة وعشرين الفا من العسكر سلطنة الترك والصين والهند في مدة يسيرة من غير وصول امداد اليه من ورائه ودار تلك

الممالك الشاسعة براً وبحراً ثم عاد الى بلاده سالماً فمن كان عقله مستعداً لتصديق امثال هذه الخرافات فليصدق ولهذا وقع فى تواريخهم ان اكثر ملوكهم خصوصاً الطبقة الاولى منهم المسماة بپشداديان ملكوا الدنيا كلها واجروا فيها احكامهم **ثم قال** مير آخوند ان اولاد اغريرث وذرياته تسلطنوا فى الديار المذكورة بطناً بعد بطن الى ظهور اسكندر الرومى **وذكر كارامزين** فى تاريخه فوماً فى شرقى جبال اورال يسمون باغريپى وحيث ان اغريپى قريب من اغريرث جداً فربما يخطر بالبال كون القوم المذكورين من ذريات اغريرث المذكور ويؤيد هذا الاحتمال قرب السمت والجهة والله سبحانه اعلم **ثم لا يخفى** ان اسكندر الرومى الماكيدونى لما استولى على ممالك ايران عبر نهر جيحون (آمو دريا) واستولى على صغد سمرقند اعنى قطعة ماوراء النهر وضيع هناك مدة من اوقاته بمحاربة الاقوام التركية القاطنين وراء نهر سيحون (سير دريا) اعنى تركستان المشهورين عند قدماء الافرنج باسامى اسكيت واسكيتس الخ كما سيذكر فى القسم الثانى من هذه المقدمة وقد تزوج حين اقامته بها بنت اوقسيارتيس ما كم صغد المسماة روقسانة وكانت على ما فى تاريخ اسكندر المذكور ثانية ابنة دارا فى الحسن والجمال وسلم حكومة تلك الديار حين انسحابه منها الى طرف الهند الى ابيها اوقسيارتيس المذكور ولا شبهة ان تزوجه ببنت حاكم الصغد قبل تزوجه ببنت دارا ليس هو بلا سبب وسببه والله سبحانه اعلم يحتمل ان يكون كون اوقسيارتيس المذكور من اولاد اغريرث المذكور ان صحت القصة السالفة الذكر او كونه من ذريات افراسياب بناء على شهرة افراسياب وارجاسب **وهذه الوقايع التى ذكرناها فى هذه الصحايف** الاخيرة المعدودة اعنى وقائع الفرس والترك زبدة الوقائع المهمة وخلاصة الحوادث المعتنى بها التى تشكلت منها اشهر صحائف تواريخ الفرس القدماء وانفسها واهمها خصوصاً شاهنامة فردوسى الطوسى التى الف كل بيت منها للسلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى بمقابلة (١) دينار

(١) ونحن بعون الله تعالى نقدمها ولخصناها وانتسابها منا مجاناً لا نرجو فى مقابلته شيئاً من المكافاة وغاية ما نتوقع فى مكافاته ان يقول امثل علماء بلادنا وافضل فضلاء وطننا الذى يرجى منه التمييز بين الفاضل والمفضول وتقدير خدمة اهل العلم لواحد ممن يقرؤن ويكتبون فقط لا غير لم لا تؤلف انت كتاباً كما الف فلان استهزاء بنا كما سمعنا ذلك عند انتشار سائر آثارنا من قبل. منه عفى عنه.

وكذلك وقايع الفرس والتراك الاتية **وقد** ذكر **المورخون** ان لهراسب كان فى عصر سليمان عليه السلام وانه امر اصطخر الجنى بحمله اليه فهرب لهراسب الى بلخ واختفى فيه منه وان ولده كشتاسب كان فى عصر ارميا عليه السلام وان زرادشت الزنديق كان من تلامذته (١) فطرده من عنده لبعض فساده وخيانته فطاف بلادا كثيرة وممالك شتى لالقاء بذر فساده وشقاوته المركوز فى طينته وقاسى فى ذلك شدايد عديدة فلم يجد ارضا مناسبا له سوى ارض الفرس فبذره وزرعه هناك ونشره بين اهلها **وفى الحقيقة** اذا اجلنا النظر فى الوقايع التاريخية والاحوال الجارية قديما وحديثا بالتعمق نجد ارض الفرس معدن امثال الخبث المذكورة ومنبع فسادات كثيرة قديما وحديثا يعرف ذلك بالتتبع **ويظهر** من البيانات السابقة عصر الملك ارجاسب التركى ولكن وقع الاختلاف فى هذا الباب فى تواريخ الفرس القدماء كوقوعه فى سائر المواد **فان** ابن الاثير رجح كالطبرى كون بخت نصر المشهور الذى خرب بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل من قواد لهراسب وانه انما فعل ما فعل بامره وعودة بنى اسرائيل الى اوطانهم كانت ايضا بامره فهذا صريح فى ان عصره متأخر من عصر سليمان عليه السلام **وان** بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب ارسل بخت نصر المذكور الى بيت المقدس ثانيا فخرب وقتل وسبى كثيرا من بنى اسرائيل كما فعل فى النوبة الاولى وذلك لقتلهم رسوله الذى ارسل اليهم قال مير آخوند بعد نقل هذا والعلم عند الله ونحن ايضا نقول مثلما قال **وقال** مير آخوند ايضا ان كشتاسب لما انقضى ايام التعزية لاسفنديار بعد قتل رستم اياه قصد تركستان بجيش كثيف فوقع بينه وبين الترك حرب شديد وقتل من الطرفين نفوس كثيرة فصارت الغلبة والنصر اخيرا فى طرف كشتاسب فرجع الى وطنه مظفرا منصورا **وبعد**

(١) وقال ابو الفرج الملطى قيل انه من اذربيجان وقيل من اهل آثور وقيل انه من تلامذة اوقيل بليا النبى اه انه اخذ عبادة النار من تجلى الحق سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام فى الشجرة على صورة النار ومجئ النداء منها انى انا الله انى انا ربك وعلى كل حال فقد نقل عنه كثير من الامور الشعوذية وصنف كتابا سماه زند اوستا بالرموز والكنايات بحيث كان لايطلع على ما فيه الا خواص اصحابه . منه عفى عنه .

كشتاسب تملك فى الفرس (١) بهمن بن اسفنديار ١١٢ سنة وتملك بعده بنته وزوجته هماى ٣٢ سنة وتملك بعدها ولدهما دارا الاكبر ١٢ سنة او ١٤ سنة وتملك بعده ولده دارا الاصغر الى غاية اسكندر الرومى الماكيدونى ١٤ سنه وفى تلك المدة اعنى مدة ١٧٠ سنة لم اطلع فى التواريخ التى طالعتها على وقايع الترك مع الفرس والظاهر ان الملوك المذكورين اشتغلوا فى تلك المدة بمحاربة الروم مع ذلك يفهم بمانقل عن تواريخ الامم نجاعارة الاتراك الموسومين عند قدماء الافرنج باسكيت واسكيتس واسكوتيا الخ على مقاطعة اذربيجان فى عصر واحد من دارايين المذكورين وايرائهم فيها اضرارا كليا واتلافه كثيرا من عساكره حين فيامه لاخذ الثار منهم قال رفاعة بك فى حفر افياه عند بيان اسكوتيا واوصافهم وانهم عين التتار فان اسكوتيا تجروا على سطوة دارا ولم يخشوا لهبأساو جبهوه وافادوه اعتبارا عظيما وهم وان قرعت قعقعة (٢) اسلحة الرومانيين آذانهم الا انهم لم ينقادوا لاوامر ارة احكامهم اه قال كارامزين لما اغارت الاسكيت على ولاية ميديا (اذربيجان) قام دارا ملك الفرس الاعظم لاخذ الثار منهم واتلف كثيرا من عساكره القوية فى هذا السبيل وذكر فى تاريخ اسكندر الماكيدونى اثناء بيان ارادته ادعاء الالوهية ان الفيلسوف قالستنس قال له فى تخطيئة هذا الرأى السخيف والامر الشنيع ان الفرس وان اظهر رضاءهم به بناء على نفاقهم وسمعتهم ومراءاتهم ومصانعتهم الان طائفة اسكيتس المعروفين بفقر الحال والحرية والاستقلال كيف يرضون به وان كيروس بن قابوس الذى هو اول

(١) قال ابو الفرج الملطى داريوش المادى ملك سنة واحدة وقيل تسع سنين وبه بطلت مملكة النبط الكلدانيين منتقلة الى الفرس المجوس ثم قال كورش الفارسى ملك ٣١ سنة واستولى على ملك العراق وخراسان وارمينية والشام وفلسطين وتزوج اخت زوربابيل ابن حنيه يوقايم ملك اليهود وفى عصره رجع بنو اسرائيل الى القدس ثم قال قمباسوس بن كورش ملك ٨ سنة ثم قال داريوش بن كشتاسب ملك ٣٦ سنة ثم عد الى دارا بن دارا تسعة من الملوك والمنقول من تواريخ الفرس ان كورش لم يكن مستقلا وانما كان فى عراق واليا من طرف بهمن بن اسفنديار وقيل كان مستقلا والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

(٢) يعنى انهم وان سمعوا اصوات اسلحة الروم فى عصر اسكندر الماكيدونى لكنهم لم يصيروا محكومين عليهم لما مرت الاشارة آنفا وسيجيء تفصيله فى بيان احوال اسكيت فى القسم الثانى من هذه المقدمة انشاءالله . منه عفى عنه .

(١) ملوك الفرس وان عبده الفرس مثل عبادة الله وكانت هذه العادة القبيحة جارية فيما بينهم وبين اهل العراق العجم من ذلك الوقت على ما هو مذكور فى التواريخ الى الان تأديب طائفة من اسكيتس لدارا مشهور فى التواريخ ايضا اه يعنى بذلك ان عادة هذه الطائفة الصادقة هى هذه فكيف يدا هو دك و بما شو ذلك مثل الفرس المرائين المداهنين فى هذا الامر والحاصل ان نقل الباقلين امثال هذه المعاملة الصغيرة التى لا قدر لها فى جنب الوقايع السابقة عن تواريخ الروم والافرنج فى معرض مدح الاتراك يدل على عدم ذكر نفث الوقايع الجسيمة فى تواريخهم والا لذكروها بالطريق الاولى حين ذكروا هذه المعاملة الصغيرة وبعض ما سيذكر بعد ذلك من وقايعهم وقد اشرنا الى اجمال وقايعهم مع اسكندر الماكيدونى بعد دارا الاصغر وبعد ذلك ظهرت طبقة ثالثة من طبقات ملوك الفرس الاربعة تسمى باشكانية واشتهرت بملوك الطوائف (٢) وقد وقع الاختلاف فى اصل هذه الطبقة وربما يفهم من كلام بعض المتأخرين كونهم من طائفة اسكيت المار ذكرها آنفا وكذلك وقع الاختلاف فى مدة سلطنتهم فقيل خمسمائة سنة (٣) وقيل اربعمائة وقيل ازيد وقيل انقص ولم نطلع فى التواريخ التى يذكر فيها احوال الفرس على وقايع الاتراك معهم فى تلك المدة وربما يستدل به على كون الطبقة المذكورة من الاتراك فانهم لو لم يكونوا منهم لاغتنمت الاتراك فرصة ضعف الفرس وتفرقهم وهجموا على ممالكهم ولو هجموا لذكر بعض مهاجماتهم فى بعض التواريخ والحاصل ان احوال هذه الطبقة لا ترى فى التواريخ المتصدية لبيان

(١) اول ملوك الفرس هو كيومرث منه عفى عنه .

(٢) فان اسكندر لما ملك بلاد الفرس كتب الى ارسطو يستشيره فيما يفعل فيهم فكتب اليه ما معناه قسم تحكم فجعل لكل كورة منها ملكا واكرمهم اشك فسموا اليه وان ذريته بعض منهم فقط وهذه القاعدة جارية الى الآن بين دول آوروپا فى حق السفهاء الذين يسمون كذبا مسلمين انا لله وانا اليه راجعون . منه عفى عنه .

(٣) قال رفاعه بك فى جغرافياه وفى نحو ٢٢٠ سنة من الميلاد ظهر انسان من الفرس وسلب الملك من اشكانيان واسس دولة الساسانية اه فهذا صريح فى ان دولة اشكانيان دامت نحو ٥٣١ سنة فان ظهور اسكندر الرومى على الفرس كان قبل الميلاد ٣١١ سنة . منه عفى عنه .

احوال الفرس سواء كانت شهنامه او غيرها الا مشوشة ومتشتتة ومنافضة بعضها بعض ثم ظهرت بعد هؤلاء الطبقة الرابعة من ملوك الفرس تسمى ساسانية وهي الاخيرة منها والخاتمة لها فبانقراضها انقرضت دولته الفرس بالكلية اولهم اردشير بن بابك وهو الذى اعاد وحدة دولة الفرس التى زالت بعد استيلاء اسكندر الماكيدونى عليها فنظم امورها ورتب نظامها ولكن لانرى له وقائع مع الاتراك فى التواريخ المعتبرة الا ان بعض المورخين الذين يهزون (١) الفاووق للفرس وهو منهم ذكر فى تاريخه انه توجه من سجستان الى جهة جرجان ونيشا پور ومرو وبلخ وخوارزم وعاد الى مملكة فارس بعد تسخيره خوارزم اه فاشار الى انه نزع اقليم خوارزم من يد الاتراك ثم قال بعد اسطر لجهالته بمقدار الربع المسكون وحقيقته وماهيته وكيفية الاستيلاء عليه وصعوبته قيل انه كان احد الملوك الذين استولوا على جميع (٢) الربع المسكون وطاف اطراف العالم وبنى بلادا عظيمة اه وقد صادف نظرنا فى بعض التواريخ ان الذى بنى السد الكائن بين سمرقند وبلخ هو هذا ورأيت فى بعضها ايضا اثناء بعض سياحتى سابقا ان اول من بنى السد الذى فى ارمينية كامكازيا هو هذا ثم انه لما انهدم ومحى اثره تحراه انوشروان وظفر به وجدده كما سيجيء وكله غير بعيد عن العقل وكذلك ذكر فى بعض التواريخ اغارة الاتراك على حدود الفرس مقتدين بالروم والعرب فى اوائل سلطنة شاپور (٣) ذى الاكتاف من العائلة المذكورة لكونه صغيرا الا انه لايرى فيه مافعله بالاتراك مثل مافعل بالروم والعرب بعد كبره من اخذ الثار والانتقام والنكاية بهم والحاصل لايرى وقايع الاتراك مع الفرس فى عهد هذه العائلة الساسانية فى التواريخ الى عصر بهرام كور بن يزدجرد الاثيم الذى هو

(١) يعنى المداهنون لهم ويظهرون المحبة لهم. منه عفى عنه.

(٢) وقد عرفت فيما تقدم انهم يدعون ان اكثر ملوكهم ملكوا الدنيا باسرها. منه عفى عنه.

(٣) لقب به لخلعه اكتاف العصاة من العرب. منه عفى عنه.

الخامس عشر من ملوك العائلة المذكورة **واما فى عصره** فقد قيل ان خاقان الترك قصد بلاد ايران مع مائتين وخمسين الفا من عساكر الترك بناء على رخاوة المشار اليه واهماله فى امر الملك وعبر نهر جيحون ووصل الى مرو وفى رواية الى الرى فلما بلغ عظماء الفرس هذا الخبر الى بهرام كور وافهموه لزوم دفع تلك العائلة لم يصغ الى كلامهم بل اناب مقامه اخاه نرسى وتوجه هو نفسه الى جهة ادربيجان بنية التنسك فى بيت نار مشهور بها وبنية الاصطياد فى براريها واخذ معه سبعة من ابناء الملوك وثلاثمائة من مشاهير الابطال فلم تشك الفرس فى انه هرب خوفا من صولة الاتراك فارسلوا الى خاقان الترك سفيرا مع هدايا ثمينة يطلبون منه المهادنة والمصالحة على ان يعطوه الخراج ففرح الخاقان من هذا الحال غاية الفرح واستغرق فى العيش والطرب **واما بهرام** فاخذ من ادربيجان الف فارس وتوجه بهم وبمن كان معه اولا نحو خاقان الترك من طريق قصير غير مسلوك فلما قرب من معسكر الخاقان قسم من معه على اربعة اقسام وهجموا على معسكر الخاقان من جوانبه الاربعة فى ليلة مظلمة فجأة وهم آمنون مطمئنون لا يخطر ببالهم هجوم العدو لاظهارهم الانقياد والرضا لاداء الخراج فاستولت عليهم الحيرة والاندهاش ولم يدروا ما جرى عليهم ولم يعرفوا ماذا يصنعون بل لم يكن لاحد منهم هم الا فى الهرب والنجاة بروحه فامسكوا الخاقان فى خيمته وعلى رواية حين فراره وقتلوه فانهزمت عساكره وتفرقوا شذر مذر وتركوا كافة اموالهم وخزائنهم ومهماتهم وخيامهم كما هى لم يأخذوا منها حتى ولم يكن لبهرام هم الا فى تعقيبهم فتعقبهم الى شاطئ جيحون ثم ارسل منه واحدا من قواد عسكره الى ما وراء النهر (١) فاستولى عليها فجاء ثمرا من طرف خاقان الترك

(١) ولما لم ار ايلزوم فى ذكر المحاكمات فى هذه الترهات تركتها واحلتها على اذكار القارئين الكرام واذواقهم ووجداناتهم سلمنا ان الهجوم فى الليلة المظلمة بغتة على العدو يوجب الانهزام ولكن فى كم مدة من الزمان قطعوا المسافة ما بين مدينة مرو او الراى ونهر جيحون التى هى مسافة ايام عديدة وكم نفرا منهم ذهبوا الى ما وراء النهر مع القائد المذكور واستولوا عليها ولا شك ان جميع من معه على قولهم الف وثلاثمائة نفر وهل لم يمت منهم فى تلك المعركة والاستحالة انما هى هنا فليتأمل المنصف العاقل هذا حق التأمل.
منه عفى عنه.

يطلبون منه المصالحة فاصطلحوا الى حد معلوم و بنى بهرام فى المحل المذكور منارة عالية علامة، وتذكار الغلبته وذهب بعضهم الى ان السد الذى بين بلخ وسمرقند ساه بهرام كور المذكور ولا يستبعد **ذكر وقايع اقوام الهياطلة من الاتراك مع فيروز ملك الفرس** لما مات بهرام كور تملك بعده ولده يزدجرد ١٨ سنة ولم ار له ذكر وقايع مع الترك وان حارب الروم وجعل يزدجرد ولده الاصغر هرمز ولى عهده بعده وجعل ولده الاكبر فيروز حاكما و واليا على ولاية نيمروز فانفعل فيروز من الوضع المذكور ولما مات ابوه يزدجرد وتملك اخوه هرمز ذهب الى بلاد الهياطلة(١) وهم قوم من الترك كانوا يسكنون فى ولاية طخارستان وبدخشان والتجأ الى ملكهم خوشنواز (٢) واستمد به على اخيه هرمز فلما حلفه خوشنواز وتبين صدقه امده بثلاثين الفا من فرسان الترك على ان

(١) قال فى البرهان القاطع الهياطلة بكسر الطاء اسم بلدة والهيتال بالتاء المثناة يطلق فى لغة بخارى على شخص قوى صحيح البدن واسم ولاية ختلان ويطلق على امرهم هياتله والختلان كورة فى اقليم بدخشان وقال فى ترجمة القاموس الهيطل اسم لاقاليم ما وراء النهر وقوم مخصوص من الترك وعلى قول من الهند طهر واى سالوى الرمان وكان يقال لهم ايضا هياطل وهياطلة ثم ذكر قول صاحب البرهان وقال يمكن ان يكون هيتال مخفف هيطل ويكون هياطلة جمع معربه اه وقال المسعودى الهياطلة هم الصغد وهم بين بخارى وسمرقند اه وقال ابن الاثير ومملكة الهياطلة فى طخارستان اه قال فى ترجمة القاموس طخارستان بضم الطاء اسم بلدة واقعة فى التركستان اه وقد تقدم اثناء بيان وقايع الترك مع الصين ان الهياطلة اتراك ما وراء النهر وربما يقال لهم فى التواريخ المأخوذة عن تواريخ الافرنج افتاليت وقيل ان اصله آب تال بمعنى ساحل النهر فيكون معناه السواحلى ويقال ان افتاليت اصله ابدال تركمان ويمكن ان يكون اصل هيطل آيدار فبدل الهمزة هاء والدال تاء اوطاء والراء لاما فيكون هايتال او هايطال فيجمع بعد التعريب على هياطلة على ما قال مترجم القاموس ويمكن ان يكون اصل طخارستان طوارستان بالواو وبدل الخاء بمعنى مملكة ارباب المواشى والله سبحانه اعلى وقال الحموى هيطل بالفتح ثم السكون وفتح الطاء المهملة اسم لبلاد ما وراء النهر وهى بخارى وسمرقند وخجند وما بين ذلك وخلاله سمى بهيطل بن عالم بن سام بن نوح الخ. منه عفى عنه

(٢) وقع فى تاريخ ابن الاثير اخشوار بالراء المهملة تارة والزاى المعجمة اخرى وفى مروج الذهب فى موضع اخسران وفى آخر اخسوان والذى ذكرناه منقول من روضة الصفا وله معنى معقول كما لا يخفى ولهذا اخترناه. منه عفى عنه.

يترك له في مقابله معروفه هذه البلدة طالقان او ترمذ وكانت سابقا تحت تصرف الفرس ما جلسوه على تخت مملكة الفرس * **الوقعة الاولى** ولما تملك فيروز وترسخ قدمه في الملك بعدما لم يكن له هم الا في كفران النعمة واساءة من احسن اليه واراد ان ينقض عهده مع ملك الهياطلة خوشنواز ومحاربته فنصحه عقلاء اصحابه ومنعوه عن ذلك وحذروه من وخامة عاقبة الغدر والخيانة وكفران النعمة ولكن كل ذلك لم يؤثر فيه ولم يرعو عن غيه فقصد بلاد الهياطلة بعساكر لا يحصى فلما سمع به خوشنواز صار مغموما ومهموما فقال له واحد من اصحابه اقطع يدى ورجلى ثم القنى على ممره وانا اعرف بعد ذلك ما افعل به ولكن احسن الى عيالى ففعل الملك ما اشار به اليه فاجتاز به فيروز فسأله عن حاله فقال له انى نصحت خوشنواز وقلت له انك لا تقدر على قتال فيروز فعليك بطاعته والانقياد له فغضب على وفعل بى هذا الذى تراه وتظلم منه فرق له فيروز ووعده ان ينتقم له من خوشنواز فقال له ذلك الرجل ان خوشنواز ينتظرك من الطريق المعهود والاولى ان تسلك طريقا غير معهود وغيره سلوكه هو اقرب واقصر من الطريق المعهود بمراتب وان تهجم عليه بغتة لانه لا يخطر بباله انك تجىء من هذا الطريق وانا اكون دليلك عليه ففرح فيروز بذلك فرحا زايدا وصمم على سلوك الطريق المذكور ولم ينفعه ايضا منع عقلاء وكلائه عن ذلك واشارتهم الى لزوم سلوك الطريق المعهود فسلكه وكان عبارة عن مفازة لا ماء بها ولا كلاء فصاروا يقطعون مرحلة بعد مرحلة وقد نفد ما معهم من الماء في اول مرحلة فاستولى العطش عليهم وعلى دوابهم فصار يموت كثير منهم في كل مرحلة حتى هلك اكثرهم ولما علم الرجل المذكور انهم لا يقدرون الخلاص اعلمهم بحاله فشاور فيروز بقية اصحابه في التقدم والرجوع فقالوا حذرناك فلم تحذر فليس الان الا التقدم على كل حال فتقدموا امامهم لتيقنهم بعدم بماء فرد منهم ان رجعوا فوصلوا الى مقربة من معسكر خوشنواز وهم في مخلب الموت من العطش لا قدرة لهم على الحركة فضلا عن القتال فارسلوا الى الملك خوشنواز رسولا يعتذرون اليه ويسترحمونه ويطلبون منه العفو والمصالحة وان يخلى سبيلهم ليعودوا الى بلادهم فقبل خوشنواز واركان دولته الذين كانت الفرس

لاتذكرهم الا بالكلاب غدرهم وصالحوهم على امان لايقصدهم هو يعنى فيروز نفسه بسوء ولابارسال العساكر فيمابعد وحلفوهم على ذلك وكتبوا كتابة الصلح والمعاهدة وخلوا سبيلهم بالاعزاز التام وكمال الاحترام مع انهم كانوا قادرين على استيصالهم بالكلية وهم كانوا مستحقين لذلك ولم يصدر عنهم شئ سوى التوبيخ والتعبير بالاساءة فى مقابلة الاحسان والملامة لنقض العهد والغدر الذى لايناسب لمن يطلق عليه لفظ الانسان **الوقعة الثانية بين فيروز وخوشنواز ونيل فيروز جزاء سوء عمله بالاستحقاق وكونه مصداقا لقوله تعالى ولايحيق المكر السيء الاباهله ٭ قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تستوفى النفس الخبيثة اجلها حتى تسيء الى من احسن اليها ومصداق هذا القول هو فيروز الفارسى فانه بعد مرور زمان من الحادثة السابقة اغواه ابليس على الانتقام من الهياطلة فى الظاهر وعلى كفران النعمة والغدر والمشى الى مصرعه بقدميه لرؤية جزاء سوء عمله فى الحقيقة فجمع جيشا كثيفا وعزم على قصد بلاد الهياطلة وقد منعه موبذ موبذان وسائر عقلاء الاعيان فى هذه النوبة ايضا عن هذا الفعل الشنيع وحذروه من وخامة عاقبة الغدر والخيانة ونقض العهد الا ان كل ذلك لم يؤثر فيه شيئا وذهب سعيهم فيه ايضا ادراج الرياح بل اصر على ماقصده ونواه فاستناب والى سجستان المسمى بسوخرا المشهور عند العامة بصوفرا مقامه وسلم اليه ولديه بلاش وكيقباد وسار بنفسه مع عساكر لايحصيها العد ولايحيط بها الحد قاصدا بلاد الهياطلة فلما سمع خوشنواز بقصده شرع فى تهيئة اسباب المدافعة فجمع عساكره وحفر خندقا طويلا عرضه عشرة اذرع وعمقه عشرون ذراعا وغطاه من فوقه باخشاب ضعيفة وتبن وتراب فوقها وعسكر فى جانبه الذى يجيء منه فيروز فلما وصل فيروز ذكره بالعهد المؤكد باليمين بينهما وحذره من وخامة الغدر ونقض العهد فلم يصغ اليه بل اصر على عتوه وعناده فرفع خوشنواز صحيفة العهد على رأس الرمح نحو السماء وقال يارب خذ عبدك فيروز بموجب مافيها من العهد والحق غدره

بعنقه ثم عبر بعسكره الى طرف آخر من الخندق من الطريق الذى كان هياه لذلك فظن فيروز هذه الخديعة منه هزيمة لجهله بالمكيدة فبادر الى طردهم وتعقيبهم بكافة عساكره مسرعين فوقعوا فى الخندق اجمعون وفى رواية ان فوق الخندق لم يكن مستورا بل مكشوفا وكان معسكر خوشنواز فى طرف آخر منه فبنى فيروز عليه جسرا فعبروه الى طرف آخر من فوق الجسر ووضعوا فيه علامة ليعلم بها اذا اقتضى الحال الرجوع ثم جرى ماسبق ذكره من التذكير والتحذير والعناد والدعاء فحذر عقلاء اصحاب فيروز اياه من سوء عاقبة الغدر ثانيا فلم يمنه ولما رأى عسكر فيروز مافعل خوشنواز من رفع الصحيفة نحو السماء والاستغاثة والتظلم اثر فيهم ذلك الفعل غاية التأثير فانحل عزمهم وزادت رخاوتهم وجبانتهم ولما نشبت المحاربة بين الفريقين وقعت الهزيمة على عسكر الفرس فى الحال وولوا الادبار وتوجهوا نحو الخندق بغاية الاستعجال فضلوا طريق الخندق اونسوا وجوده بالكلية لاستيلاء الخوف والدهشة عليهم فوقعوا فى الخندق بعضهم فوق بعض وهلكوا (١) جميعا فاستولى خوشنواز (٢) على كافة مافى معسكر فيروز من الناطق والصامت واسر نساءه على رواية ابن الاثير تبعا للطبرى وبنته التى كانت من عقلاء اهل زمانها على رواية مير آخوند وفى الحقيقة لااختلاف بين هاتين الروايتين فان بنات الفرس المجوس كعمبر البخاريين فى كونهن (٣) ذوات الجهتين ثم استولى خوشنواز على بلاد خراسان ولما بلغ هذا الخبر اسوحرا نائب فيروز جمع من عساكر ايران ماقدر على جمعه واسرع الى مدافعة خوشنواز

---

(١) وهذه الوقعة هى التى مرت الاشارة اليها اجمالا نقلا عن واحد من مورخى الافرنج اثناء بيان اوصاف الاتراك اجمالا ووعدنا بذكرها فتذكر. منه عفى عنه.

(٢) قال المسعودى فى بيان احوال فيروز انه قتل فى مرو الروذ بلاد خراسان على يد باخ مران (يعنى خوشنواز) ملك الهياطلة اه منه عفى عنه.

(٣) ولا سيما اذا كانت من عقلاء الزمان فانه كيف يعطيها ح للاجانب ولما لم ينبه مير آخوند على هذه النكتة قال والعجب انه يترك ابناء فى بيته ويحمل ابنته معه الى المحاربه اه. منه عفى عنه.

وتخليص خراسان من يده **وقال ابن الاثير** تبعا للطبرى انه وقعت
بينهما محاربة وانتصر سوخرا على خوشنواز واسترجع منه بلاد خراسان واسترد
الاموال والاسارى التى كان خوشنواز اغتنمها من معسكر فيروز **وقال مير
آخوند** انعقد بينهما صلح على ان يرد خوشنواز جميع ما اخذه من معسكر
فيروز من الاسارى والاموال فردها ورجع الطرفان الى مقرهما بالمحبة
والمودة اه وهذا اقرب الى العقل واما لو سلمنا استرجاعه خراسان
حربا ولكن كيف يسترد الاسارى والاموال فانها ببلاد
الهياطلة لم يحملها خوشنواز الى خراسان البتة ولم يذكر احد غلبة
سوخرا على بلاد الهياطلة ودخوله فيها حتى نقول انه استردها حينئذ **ذكر فرار
قباد بن فيروز الى بلاد الترك والتجائه الى خاقان الترك وجلوسه
على سرير سلطنة الفرس بامداده** وبعد وقعة فيروز وخراسان اجلس
عظماء الفرس باتفاق من سوخرا على سرير الملك بلاش بن فيروز فلم
يرض به اخوه قباد بن فيروز وهرب الى بلاد الترك والتجاء الى خاقانهم
وتظلم من صنيع الفرس واستمد به عليهم اقتداء بابيه فيروز ولما اقام
عندهم اربع سنين اعطاه الخاقان عسكرا كافيا وارسل الى بلاد الفرس وكان
وقت ذهابه الى بلاد الترك لما وصل الى بلد نشياپور غلبته شهوته البهيمية
وزادت غلمته فقرن بواحدة من بنات احد اعيان تلك البلدة على رسمهم
وبات بها ليالى ذوات عدد ثم تركها فى بيت ابيها وذهب فحبلت البنت المذكورة
منه وولدت ولدا ذكرا ولما وصل قباد الى نيشاپور عائدا من بلاد الترك استفسر
عن مخلفته فجاءه ابوها بها وبولدها وسلمهما اليه ففرح به قباد فرحا كثيرا وسماه
نوشروان وهو الذى اشتهر فى التواريخ بنوشروان العادل وبقى اسمه الى الآن
مذكورا فى السنة الناس لعدالته واصلاحه من مملكة الفرس ما افسده سلفه
وهكذا يكون شأن العدالة والاصلاح يخلدان ثناء حسن صاحبهما فى بطون
الدفاتر الى يوم القيمة وكذلك ضدهما يخلدان سوء ذكر صاحبهما وشتمه وذمه فى
بطون الدفاتر الى يوم القيمة ولما مات بلاش فى تلك الاثناء جلس قباد على سرير

سلطنة ايران بلا منازع وفي عصره ظهر شخص في بلدة اصطخر من بلاد ايران يسمى مزدك وكان زنديقا فاسد الطبع مفسد اللناس اظهر الزندقة ونشر الفساد في بلاد الفرس وصدق مذهب زرادشت الزنديق وزاد عليه في الافساد والزندقة وقال باشتراك كافة الناس في النساء والاموال وكافة الاشياء والاملاك (١) وعدم اختصاص فرد منهم ورجحانه في شيء منها ولما كان هذا المذهب مناسبا وملايما للاوباش والارذال غاية المناسبة والملايمة تبعه اكثر الارذال الذين هم السواد الاعظم من الناس واتخذوه لانفسهم مذهبا ومسلكا فكثرت اتباعه في مدة يسيرة جدا حتى ان قباد قبل المذهب المذكور وتمذهب به اما لكونه مغلوب الشهوة واما بناء على ظهور انواع الحيل والشعوذة من الزنديق المذكور فبذلك زادت البلة في الطين واستولى الفساد على كافة ارجاء مملكة الفرس وعم الخراب بها في مدة قليلة فانه لم يبق لاحد زوجة وملك مخصوص به ورد على ذلك تنزل كل شخص مرتبة البهايم بل الى اسفل وادون منها لعدم اطاعة احد لاحد وانقياده له بناء على فساد الاخلاق والعادات لفقدان التربية ببطلان النسب وكون الناس فوضى واستغراق الهرج والمرج جميع انحاء المملكة فاضطر الاهالي الى الهجرة وترك الوطن فقام اصحاب العرض والناموس من اعيان الاهالي وحبسوا قباد وملكوا مكانه اخاه جاماسب ثم خلصه اخته من الحبس بنوع من لطائف الحيل وعلى قول كان ذهاب قباد الى بلاد الترك بعد خلاصه من هذا الحبس فاسترد ملكه من اخيه جاماسب بامداد خاقان الترك والله اعلم بحقيقة الحال قال ابن الاثير وفي ايامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده فبلغت الدينور فوجه قباد قائدا من عظماء قواده في اثني عشر الفا فوطيء بلاد اران (اريوان) وفتح ما بين النهر المعروف بالرس (آربس) الى شروان ثم ان قباد لحق به فبنى باران مدينة البيلقان ومدينة البردعة وهي مدينة

(١) واظن ان مبدأ الاشتراكيين ومأخذ مذهبهم هو هذا. منه عفي عنه.

الثغر كله وغيرهما ثم بنى سد (١) اللان فيما بين ارض شروان وباب اللان فبقى الخزر وراء السد وبنى على السد المذكور مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب الابواب وفى هذه الاثناء يذكر مورخو العرب كالطبرى والمسعودى وابن الاثير وغيرهم ظهور ملوك الحمير وتبابعة اليمن وخروجهم وغلبتهم ملوك الفرس والروم والترك والصين على ممالكهم وبناء شمر ذى الجناح منهم بلدة سمرقند وتسميتها لذلك شمركند اوفتحه اياها بنوع من الحيل وكون حواقين اقليم تيبت بل خواقين كافة ممالك الترك من بقاياهم وذرياتهم الى غير ذلك من الترهات الباطلة والخرافات العاطلة بالبداهة وذلك لكون التاريخ مضبوطا فى الوقت المذكور ومتقنا غاية الضبط والاتقان وكون كل واحدة من الدول المذكورة اعنى الفرس والروم والترك والصين فى اوج القوة وذروة الشوكة فى العصر المذكور واستحالة العقل غلبة القوم المذكور اعنى الحمير على واحدة منها بناء على قلة اسباب النقل بل فقدانها فى الوقت المذكور وهذا مع قطع النظر عن احوال الحمير واهل اليمن فيه والا فقد كانوا محكومين فيه للحبشة وخاضعين لاحكامهم لان هذا الوقت قبيل ولادة النبى صلى الله عليه وسلم بسنين يسيرة وعندى ان اوقات خروجهم قبل ذلك (٢) بقرون كثيرة لا يضبطها التاريخ

(١) هكذا فى المنقول عنه والظاهر من كلام المورخين والجغرافيين انه غير السد المشهور بباب الابواب الآتى ذكره وقد اشتهر بقلعة اللان قال فى مروج الذهب وبين ملك اللان وجبل القبق قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بنى هذه القلعة ملك فى قديم الزمان من الفرس الاوائل يقال له اسفنديار بن كشتاسب ورتب فى هذه القلعة رجالا يمنعون اللان عن الوصول وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة وقد ذكرتها الفرس فى اشعارها وما كان لاسفنديار فى بنائها الخ وقال ابو الفدا وقلعة اللان التى هى احدى قلاع العالم تتعمم بالسحاب وهى حيث الطول فج كذا والعرض مه م وهى على ذروة جبل الذى الى جانب الباب الحديد وفى شمالى السور المسمى فيه الابواب وهى اليوم فى مملكة بركة سلطان التتر المسلمين وما فى حدودها فلان هلاكوئه وما فى الكتاب اعنى قوله باب اللان هكذا فى المنقول عنه والظاهر انه باب الابواب والله سبحانه اعلم بالصواب. منه عفى عنه.

(٢) وهؤلاء المذكورون ايضا ينقلون بتقدم زمان ظهور ملوك الحمير والتابعة فى مواضع أخر كما يقولون فى بناء تبع المدينة وابقاء اربعمائة من الحكماء فيها لابلاغ سلامه وكتابه الى النبى صلى الله عليه وسلم واكسائه الكعبة وكل ذلك قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بقرون متطاولة لا يضبطها التاريخ وكذلك يثبتون لقاء ذى القرنين ابراهيم عليه السلام فى مكة المكرمة وهو من التبابعة فى القول الصحيح الصواب. منه عفى عنه.

وانما الخطأ في ذكرهما وبعض المبالغات فيه والاملا دليل يدل على انكار اصل ميراجع عشاق الخرافات والمقلدون بالتقاليد الجامد الذين لا مصابهم من الحقايق التاريخية تواريخ الطبري وابن الاثير والمسعودي وغيرها ولكن اوصيهم ان يجيلوا نظر الاعتبار فيما ذكره ابن الاثير في تاريخه من عنده بعد نقله الحوادث المذكورة عن الطبري وما اورده ابن خلدون في اوائل مقدمة تاريخه من المحاكمة العقلية المطابقة لنفس الامر وارجوهم ذلك **ولما مات قباد جلس مكانه ولده انوشروان** ولانوشروان هذا وقايع كثيرة مع الترك في جهة ماوراء النهر ووجهة الخزر والداغستان كما مرت الاشارة الى بعض وقايعها في جهة ماوراء النهر اثناء بيان وقائع الاتراك مع الصين ولكن الاسف ان تلك الوقايع المنتظمة المطابقة لنفس الامر لم تذكر منتظمة ومفصله في التواريخ التي تبين فيها تلك الوقايع كتفاصيل الخرافات التي مر ذكرها بل وقع فيها مشتتة غير منتظمة ومجملة غير مفصلة مع انها كانت اولى بالانتظام والتفصيل والاعتناء بها **ومن ذلك ماقاله مير آخوند** ان انوشروان لما قتل مزدك الملعون واصلح مملكته شرع في فتح بلاد طخارستان وكابلستان وصغانيان وبلاد الهياطلة وسمع في تلك الاثناء ان خاقان الصين يعني خاقان الترك الذي وقعت في قلبه ارادة فتح البلاد وقصد الاستيلاء على الممالك قام من بلاده بهذا القصد واستولى على اقليم فرغانة وماوراء النهر فارسل ولده هرمز مع عسكر عظيم لاستقباله ولما سمع خاقان بذلك لم يتجاسر على المقابلة بل رجع الى بلاده من اقصى تركستان اه **وذكر ابن الاثير ايضا تبعا للطبري مايشابهه على سبيل الاختصار قال** لما قتل انوشروان مزدك اللعين واصحابه ورد الاملاك والنساء الى اصحابها واصلح البلاد ونظم الامور ارتجع بلادا كانت اولا من مملكة الفرس منها السند وبست والرخج وزابلستان وطخارستان واعظم القتل في البازور واجلى بقيتهم عن بلاده واجتمع ابخز (اهل آباره) وبنجر (١) وبلنجر واللان على قصد بلاده فقصدوا ارمينية للغارة على اهلها وكان

(١) هكذا في نسخة ابن الاثير المعول عليها والظاهر بل الصواب انه خزر منه عفي عنه .

الطريق سهلا فامهلهم كسرى حتى توغلوا فى البلاد فارسل اليهم جنودا فاهلكوهم ماعدا عشرة الاف رجل اسروا فاسكنهم اذربيجان وكان جده فيروز قد بنى بناحية صول (١) والان بناء يحصن به بلاده وبنى عليه ابنه قباذ زيادة فلما ملك كسرى انوشروان بنى فى ناحية صول وجرجان بناء كثيرا وحصونا يحصن بها بلاده جميعا ثم ان سيجبور الذى هو اعظم خواقين الترك استمال الخزر وابخز (آبازه) وبلنجر فاطاعوه وقصد بلاد الفرس واقبل فى عدد كثير وكتب الى كسرى يطلب منه الاتاوة ويهدده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى الى شىء مما طلب لتحصينه بلاده وان ثغر ارمينية قد حصنه فصار يكتفى لحمايته بالعدد اليسير فقصد خاقان بلاده فلم يقدر على شىء منها وعاد خائبا وهذا الخاقان هو الذى قتل وزر ملك الهياطلة واخذ كثيرا من بلادهم اه ثم قال بعد ذكره وقايع انوشروان مع الروم واليمن ثم سار نحو الهياطلة ليأخذ بثار جده فيروز وكان انوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم واستأصل اهل بيته وتجاوز بلخ وماوراء النهر وانزل جنوده فرغانة ثم عاد الى المدائن وغزا البرجان ثم رجع **ذكر مصاهرة كسرى انوشروان خاقان الترك وبنائه السد بارمينية المشهور عند العرب بالباب (٢) وباب الابواب**

---

(١) هكذا فى نسخة ابن الاثير المنقول عنها قال فى القاموس صول اسم رجل واسم موضع اه قلت هذا الموضع الذى كان يسمى سابقا بالصول هو فى جهة مرجان واما اللان فليس فى طرفهم موضع يسمى بصول والظاهر بل الصواب انهما لفظ واحد وهو سولان بفتح السين والواو حرفوه الى ما فى النسخة وسولان جبل بقرب اردبيل قال فى البرهان سولان على وزن همدان جبل فى اذربيجان كان يسكن به فى سالف الزمان اهل الرياضة وللمجوس فى حقه اعتقاد قوى واحترام عظيم حتى انهم يحلفون به اه وسمعت بعض احدائنا يقول انه رآه ورأى فوقه آثار قلاع قديمة عجيبة جدا وان اسمه صوآلان يعنى الجبل الذى يؤخذ منه الماء سمى به لاخذ الناس ماء من عين فى سفحه اه والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

(٢) قال فى معجم البلدان باب الابواب ويقال له الباب غير مضاف والابواب وهو الدربند دربند شروان قال الاصطخرى واما باب الابواب فانها مدينة ربما اصاب ماء البحر حائطها وقال ابوبكر احمد بن محمد الهمدانى وباب الابواب افواه شعاب فى جبل القبق فيها حصون كثيرة منها باب الصول وباب اللان وباب الشيران وباب الازقة وباب البارقة

والباب الحديد وعند الاتراك بديمرقپو ودربند وتشبثه فى ذلك بلطائف الحيل قال ابن الاثير بعد ذكره مامر كانت ارمينية واذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر فبنى قبادسورا مما يلى بعض تلك الناحية فلما توفى وملك ابنه انوشروان وقوى امره وغزا فرغانة وبرجان وفتح جميع ما كان بيد الروم من ارمينية وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون كتب الى ملك الترك يسأله الموادعة والاتفاق ويخطب اليه ابنته ورغب فى مصاهرته فتزوج كل منهما بابنة الاخر فاما كسرى فانه ارسل الى خاقان ملك الترك بنتا كانت قد تبنتها بعض نسائه (١) وذكر انها ابنته وارسل ملك الترك اليه ابنته واجتمعا فامر انوشروان جماعة من ثقاته ان يكبسوا طرفا من عسكر الترك ويحرقوا فيه ففعلوا فلما اصبحوا شكا اليه ملك الترك ذلك فانكر ان يكون له علم به ثم امر بمثل ذلك بعد ليال فضج التركى فرفق به انوشروان فاعتذر اليه ثم امر انوشروان ان تلقى النار فى ناحية من عسكره فيها اكواخ من حشيش فلما اصبح شكا الى التركى وقال كاد انتنى بالتهمة فحلف التركى انه لا يعلم بشىء من ذلك فقال له انوشروان ان جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن ان يحدثوا حدثا يفسد قلوبنا فنعود الى العداوة والرأى ان يأذن لى فى بناء سور يكون بينى وبينك نجعل عليه ابوابا فلا يدخل اليك الا من تريده ولا يدخل الينا الا من نريده فاجابه الى ذلك وبنى انوشروان السور من البحر والحقه برؤس الجبال وعمل عليه ابواب الحديد وبنى لكل باب قصرا من الحجارة وبنى مدينة الباب والابواب وانما سميت ابوابا لانها بنيت على طريق فى الجبل وبنى غير هذه من المدن واسكن بها وبالقصور

الخ قلت ومن هذا يعرف وجه تسميته بباب الابواب ثم قال الحموى بعد بيان كيفية بنائه على الوجه الاتى وينسب الى الباب والابواب جماعة منهم زهير بن نعيم البابى وابراهيم بن جعفر البابى قال عبد الغنى كان يفيد بمصر وقد ادركته واظنهما يعنى زهيرا وابراهيم ينسبان الى باب الابواب وهى مدينة دربند والحسن بن ابراهيم البابى حدث عن حميد الطويل عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم تختموا بالعقيق فانه ينفى الفقر ثم ذكر جماعة منهم منه عفى عنه .

(١) يعنى اختلف فيها فقيل انها متبناته وقيل بنته الصلبية . منه عفى عنه .

قوماسماهم السياسجيين (٣) ووكلهم بحراستها ورتب ملوكا على النواحي فمنهم صاحب السرير وفيلان شاه والكز (لزكى) ومسقط (مساغيت ومسائيت وماساعى) وغيرها فقيل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلا تقدر له على حيلة ولم تزل ارمينية بايدى الفرس حتى ظهر الاسلام فرفض كثير من السياسجيين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم وجاء الاسلام وهى كذلك اه بادنى تغيير وتنقيح ولما كان السد المذكور آنفا مما يعتنى بشأنه ويهتم بذكره لم استحسن ان اهمل ذكره بالكلية بل احببت ان انقل خلاصة ما قال فيه كبار المورخين فاقول وبالله التوفيق ان اقوال المورخين الكبار مختلفة فيه وقد بالغ فيه بعضهم مبالغة عظيمة جدا واورد فيه حكايات ينبو عنها العقل ويستبعدها والحاصل انها مبنى فى منتهى سلسلة جبال الكاوكاز من بحر البخزر ومبدأوه من مسافة ميل من البحر وانما بدأوا من البحر لمنع مرور سفن الوقت المذكور من البحر بنوه فيه بنوع من لطائف الحيل ذكر فى بعض التواريخ ان طوله اربعون فرسخا وارتفاعه نحو السماء يحاذى الذروة الاعلى من جبال كافكاريا ومتانته غير قابل التوصيف وما بين كل بابين ثلاثة اميال وانقص وازيد بحسب مقتضى الممر والموضع وكل باب مصنوع من حديد وعلى كل باب ودروة ومحل مناسب قلاع وحصون مستحكمة وقد وضع على كل قلعة وحصن منها حراس يحرسون الحدود والثغور من الاقوام التركية بغاية الاهتمام وقد شبه المسعودى ترتيبات انوشروان وبه الملوك والعساكر الحراس بعد بيانه اياها بترتيبات اردشير بن بابك ملوك خراسان لحراسة ثغر الترك من تلك الجهة وقد بين قبل ذلك ترتيباته فى اثناء ترجمة احواله ويومئ بذلك الى انه اعنى اردشير هو الذى بنى السد الكائن بين بلخ وسمرقند المار ذكره بمثل هذا الاهتمام وان لم يصرح بذلك وقد رأيت فى بعض

(٣) لعل اصله صاقچيين جمع صاقچى لفظ تركى بمعنى الحارس مرادف قراغول (قراقول) بالتركى ايضا دفى المعجم الانشا ستكين. منه عفى عنه.

المجموعة ان انوشروان اتمه فى مدة اربع سنين والحاصل انه لما احدث السور المذكور بالكيفة المذكورة صار يحرس الثغر المذكور مآت من العسكر بالسهولة بعد ان كان يعجز عن حفظه مائة الف من شجعان العساكر ودام هذا الحال الى ان ظهر الاسلام ودخل المسلمون بلاد الفرس فتفرق الحراس والحماة بعدئذ وتركوا مراكزهم ومواضعهم شاغرة خالية فاستولت عليه الخزر والروم وهدموه وخربوا القلاع والحصون كذا قيل والظاهر ان استيلاءهم عليه كان قبل ذلك فان الخزر اتفقوا مع الروم فى عصر هرقل على حرب فرس وغلبت الروم عليهم بمعاونة الخزر ايامهم فى الوقعة التى اخبر الله عنها بقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين بل قبل ذلك ايضا وسنلم الى ذلك بعد انشاء الله تعالى فعلى هذا لم يحصل للفرس من السد المذكور الفائدة التى توقعوها منه كما لم يحصل للصين من سورهم الفائدة التى تصوروها منه والعجب من البيضاوى غاية العجب انه مع علو كعبه فى التحقيق فى جميع الفنون قال فى تفسيره فى قصة ذى القرنين ان السد الذى بناه ذوالقرنين حسب ما اخبر الله به فى القرآن هو هذا السد الذى بالارمينية كما انه ذهب الى كون ذى القرنين المذكور فى القرآن اسكندرا لرومى الماكيذونى الوثنى ماذا كان حال المحقق البيضاوى هو هذا فماذا يكون حال غيره من العوام و المقلدين الجامدين الذى اذا رأوا سوادا فى بياض اعتمدوا صحته وجزموا بحقيته من غير تحقيق ولاتدقيق خصوصا اذا كان قائله مثل البيضاوى من كبار المفسرين المحققين فان التردد فى قوله من اكبر الكبائر عندهم فضلا عن الجزم بخطائه ولهذا اشتهر هذا السد عند العوام بسدا سكندر ذى القرنين وليت شعرى ماذا كتب البيضاوى فى تاريخه فى هذا الموضع فانى لم اطلع عليه وكيف يقول فى انهدامه قبل خروج ياجوج ومأجوج ولعله قال كبعضهم بانه قدوقع خروج ياجوج ومأجوج ومضى وان تتار جنكيزخان الذى مر الآن التعبير عنهم فى تاريخ ابن الاثير بيرحان هم اليأجوج والمأجوج والله سبحانه اعلم بسرائر

عباده وقد قال بعضهم ان انوشروان بنى سده على انقاض سد ذى القرنين وقال بعضهم انه بناه على انقاض سد اردشير بن بابك كما قدمناه **بقى الكلام فى ان الخاقان الذى صاهره انوشروان هل هو الخاقان الذى هدده وقصد بلاده اوغيره** واذكان هو هو فهل كانت المصاهرة بينهما قبل تهديده اياه او بعده والقول فى هذا بالقطع متعسر جدا فان ابن الاثير وان بسط الكلام فيه نوع بسط الا انه ذكر الحوادث المذكورة مشوشة غير منقحة بل ولا مرتبة ومنتظمة بل فيه بعض التناقض كما عرفته مما نقلناه عنه وتعرف اريد من ذلك اذا راجعت تاريخه لكن يظهر بتعمق النظر والتأمل فى كلامه وبالنظر الى احوال اقوام الترك فى العصر المذكور ان الذى صاهره هو الذى هدده وقصد بلاده وكلا الامرين صدرا عن خاقان واحد لا عن اثنين وان مصاهرتهما كانت متقدمة على تهديده وقصد بلاده **اما الاول** فسيجيء بيانه **واما الثانى** فدليله قول ابن الاثير فيما سبق عند ذكره قصد الخاقان سيجبور بلاده وطلبه الاتاوة منه فلم يجبه كسرى الى شيء مما طلب لتحصينه بلاده وان ثغر ارمينية قد حصنه فصار يكتفى لحمايته بالعدد اليسير الخ فانك قد عرفت ان تحصينه ثغر ارمينية بحيث يكتفى لحمايته بالعدد اليسير انما كان بعد مصاهرتهما وقوله ايضا عند ذكر قصده بلاد الهياطلة وقول الدينورى الاتى ذكره وكان انوشروان قد صاهر الخاقان قبل ذلك الخ فانه صريح فى تقدم وقوع المصاهرة بينهما على قصده بلاد الهياطلة ولاشك ان قصده هذا مقدم على قصد خاقان بلاده بداهة(١) وانه لم يقع الاحين دوام المصافات بينهما بل كان الذى اباد الهياطلة وقتل ملكهم هو الخاقان لا انوشروان كما تقدم نقلا عن ابن الاثير موافقا للمامر عن صاحب تاريخ كاشغر وعاصم نجيب افندى حيث قال وهذا الخاقان هو الذى قتل وزر ملك الهياطلة واخذ كثيرا من بلاده فقوله بعده ثم سار يعنى انوشروان نحو الهياطلة ودخل بلادهم فقتل ملكهم الخ سبق قلم منه وتناقض فى كلامه تبعا لمبالغات الفرس والا فالفرس لم يدخلوا

---

(١) فان الخاقان الذى يهدده ويطلب منه الاتاوة اذا كان فى تلك البلاد كيف يقصدها انوشروان الذى غاية ماينقل عنه انه لم يجبه الى شيء مما طلب . منه عفى عنه

ماوراء النهر فضلاعن انزال جنودهم بفرغانة الان يشتركوا فى تلك الحادثة فتنسب الى انوشروان تارة والى الخاقان اخرى وهو الاقرب الى التطبيق **والحاصل** ان هذا الاشتباه والاشكال انما نشأ من سوء ترتيب ابن الاثير فى هذا الموضع والا فلا اشتباه فى نفس الامر ولا اشكال والظاهر ان سبب(١) وقوع المرودة والعداوة بينهما بعد المصاهرة هو خدعة انوشروان للخاقان كما تقدم بل لم تكن مصاهرة كسرى اياه من صميم القلب بل لاجراء هذا الامر الخطير فلما حصل مرامه تركه مصداقا قول العرب قضيت حاجتى كسر امجارتى فلما اطلع الخاقان على ذلك قصد بلاده وهدده ولكنه لم يقدر ان يفعل شيئا لتحصينه بلاده كما مر **ثم بقى الكلام فى تشخيص هذا الخاقان الذى صاهره كسرى وخافه وتعيينه ومعرفة اسمه وشهرة قومه فى العصر المذكور قال المسعودى** فى ترجمة انوشروان زوجه خاقان ملك الترك بابنته او ابنة اخيه **وقال** فى ترجمة هرمز بن انوشروان كانت امه فافم بنت خاقان ملك الترك وعلى قول ابنة واحد من ملوك الخزر بقرب باب الابواب اه **ولم يذكر** مير آخوند فى ترجمة انوشروان حرفا من هذا الباب وقال فى ترجمة ولده هرمز كانت امه ابنة خاقان الصين يعنى الترك وذكر ان خاله ساوه او شاد ملك الترك قصده بثلاثمائة او اربعمائة الف وذكر قصة عجيبة عن قائد فارسى حين ذهب الى خاقان الترك لخطبة ام هرمز لانوشروان ويشير فى اثناء بيانه الى عظمة شأن الخاقان المذكور وزيادة شوكته كما ان تعبيره بخاقان الصين يشعر(٢) بذلك **وقال** عاصم افندى نجيب

(١) وسيذكر عند ذكر احوال الخاقان المذكور سبب وقوع العداوة بينهما ويعلم من هنالك تأخر قصد الخاقان بلاد الفرس عن مصاهرتهما لكونه اعنى القصد المذكور فى آخر سلطنتيهما كما سنطلع عليه هنالك ويدل عليه ايضا ما مر عن روضة الصفا من دفع هرمز ولد انوشروان المولد من بنت الخاقان اياه فان دفع الولد المتولد من بنته اياه متأخر عن مصاهرتهما بالضرورة . منه عفى عنه .

(٢) فان مير آخوند لما كان فارسى الاصل لا يريد ان يثبت للاتراك الذين لا يجعلون لهم قيمة تلك العظمة والشوكة بل عبر بخاقان الصين ولم يبال بتناقض كلامه بعد ذلك بقوله قصده خاله ساوه ملك الترك الخ فان اردت ان تعرف مقدار عداوة الفرس للاتراك وحطهم عن رتبتهم ومنزلتهم فانظر المرقاة لعلى القارى الهروى الفارسى الاصل فى كتاب الفتن فى شرحه الاحاديث الواردة فى حق الاتراك وتحريفه اياها . منه عفى عنه .

فى موضع من تاريخه نقلا عن مورخى اليونان ان البنت التى تزوجها انوشروان كانت من بنات اتراك الهياطلة من اهالى الصغد ونقل كون اسم البنت قايين عن المورخ بانغابيان الارمنى مع قوله ان قوم توكيو لما استولوا على تتار هوجان وافنوهم عبروا نهر سيحون وابادوا الهياطلة بماوراء النهر متفقين مع انوشروان كما مر نقلا عنه ثم قال ان هذه المادة من المواد التى تعسر المسئلة فى عالم الترك اه **قلت** انها لا تعسر المسئلة فى عالم الترك بل تعسرها فى عالم التاريخ وتظلمها فيه فان عدم مصاهرة انوشروان الهياطلة ثابت بالبداهة من الوقايع السابقة ومن قول مير آخوند ومن قول نفس عاصم افندى المار آنفا وان عدم حصول الموافقة بين كسرى والهياطلة فضلا عن المصاهرة ودوام الحرب والعداوة بينهما وابادته اياهم بالاتفاق مع قوم توكيو والخاقان او ابادة الخاقان اياهم باغراء كسرى مصرح بها فى البيانات السابقة ومحققة منها فكيف تحصل بينهما المصاهرة وكيف تحصى الهياطلة المنقرضة المضمحلة قوة جمع ثلاثمائة او اربعمائة الف عسكر وقصدهم بلاد الفارس بعد عشر سنين او خمس عشرة سنة من ذلك على مامر عن مير آخوند اجمالا وسيذكر بعد مفصلا **وثانيا** ان الدينورى صرح فى معارفه بان كسرى صاهر الخاقان واخذ بثار جده فيروز من الهياطلة باستعانته فلم يبق بذلك شبهة فى كون من صاهره غير الهياطلة وان بين ابن الاثير(١) مبهمة **على** انه لا حاجة فى ذلك الى الاستدلال بهذه الامور بل لزوم كون الخاقان الذى اجبر كسرى على طلب الموادعة منه وقسره على عرض المصاهرة واضطره الى التشبث بلطائف الحيل الذى هو شأن من بلغ نهاية العجز خاقانا عالى الشان صاحب اقتدار وشوكة مصداقا حقا لقول العرب شراهم دانابا من اهلى البديهيات **والهياطلة** فى العصر المذكور ليسوا بهذه المثابة بيقين ويؤيد هذا قول ابن الاثير فى ترجمة هرمز كانت امه بنت الخاقان الاكبر وان لم يحتج الى التأييد **والحاصل** لا نطيل الكلام ولنجزم بان الخاقان الذى صاهره انوشروان لغرض ابادة الهياطلة وافنائهم وبناء سد ارمينية انما هو خاقان عظيم الشان ذو قوة وسطوة لا الهياطلة والخطأ انما هو فى نقل عاصم نجيب افندى

(١) بقوله الخاقان فقط فيحتمل بظاهره كونه خاقان الهياطلة وان كان بعيدا منه عفى عنه .

او فيما نقل هو عنه والله اعلم بالصواب **ومثل هذا الخاقان العظيم** الشان في العصر المذكور على مايظهر من تحقيق التواريخ وتدقيقها ليس الاتتار جوجان على قول صاحب تاريخ كاشغر او خاقان توكيو الذين ابادوا اتتار جوجان والهياطلة معا على قول عاصم نجيب افندي ولاقائل بالثالث وقول عاصم نجيب افندي مرجح هنا من وجوه **اما اولا** فانه قد تقدم عن ابن الاثير ان الخاقان سيجبور هو الذي قتل وزر ملك الهياطلة واخذ كثيرا من بلادهم ولاشك ان الخاقان الذي اباد الهياطلة هو الخاقان الذي صاهره كسرى لتحصيل الغرض المذكور وبناء سورار مبنية على ماصرح به ابن الاثير والدينوري وايضا الاشبهة عند ارباب البصيرة في كون سيجبور هذا هو ديزابول او ديصابول الذي هو خاقان توكيو (توركيو) الاتي بيانهم الان فانه لاشبهة في كون هذه الالفاظ بعضها منحرفا من بعض آخر منها (١) او من لفظ آخر مقارب لها بسبب تداول السنة اقوام شتى واقلامهم اياها **وثانيا** ان ابن الاثير ذكر في موضعين من تاريخه غزوانوشروان قوم برجان كما مر وعندي ان القوم الذين يذكرهم جغرافيو الاسلام ومورخوهم بعنوان برجان هم عين القوم الذين ذكر واقي جغرافيا الافرنج وتواريخهم بعنوان جوجان فعلى هذا يكون كسرى اعان توكيو وخاقانهم ديزابول (سيجبور) في اضعاف جوجان وافنائهم كما انهم اعانوه في ابادة الهياطلة واستيصالهم فاي يكون بين خاقان جوجان وبين كسرى مصاهرة **وثالثا** ان كون ديزابول (سيجبور) خاقانا عظيم الشان ذا شهرة واقتدار وممن كانت له معاملة ومراسلة مع ملوك الصين والفرس والروم في العصر المذكور مسطور في كافة التواريخ المنقولة المأخوذة عن تواريخ اليونان والافرنج كما ستذكر شمة

(١) فان سنجابو الذي هو نصه الاول على تعبير ابن الاثير مقارب جدا لديزابول وديصابول الذي هو نصه الاول على مانقل عن تواريخ الافرنج وبوروبول اللذين هما نصه الاخير على التعبيرين لافرق بينهما الا في الراء في احدهما واللام بدلها في الاخر ولاشك انهما حرفان متقاربان يستعمل احدهما مكان الاخر في جميع اللغات ولا يبعد في انحراف احد اللفظين من الاخر او من انحرافهما من ثالث بسبب تداول السنة الصين والفرس والعرب والافرنج اياه . منه عفي عنه.

من ذلك فبناء على ذلك نرجح كون خاقان الذى هابه انوشروان وصاهره بناءً على تهيبه منه هو الخاقان ديزابول (سيجبور) المذكور على الظن الغالب القوى القريب من اليقين حداً دون الجزم والقطع واما وقوع الخلف بينهما على ما مر ويذكر فيكون بعد مصاهرتهما الاسباب(١) تقتضيه والله اعلم بحقيقة الامور **ذكر خاقان توكيو (الترك) الاعظم المشهور عند الترك على ما قيل ببومين(٢) قاغان وعند الصينيين بموقان خان وعند الروم والافرنج بديزابول وديصا بول وفى ابن الاثير سيجبور** خاقان كان هذا الخاقان المشار اليه خاقاناً عظيم الشان وصاحب شوكة عظيمة وسطوة واقتدار فى العصر المذكور وقد ادخل كثيراً من الاقوام التركية المنشتتة تحت ادارته وحكومته وجمعهم تحت رايته ونظارته واحيى وحدتهم والفتهم واعاد بذلك مجدهم وعظمتهم وشوكتهم وراسل دول الصين والفرس والروم وكاتبهم وكان قبائل تتار المشهورون باوتوز تاتار المتصفون بالتعنت والعناد والاستكبار وعدم الانقياد لاحد سواهم الفائقون سائر قبائل الاتراك فى القوة وشدة الشكيمة والنجدة والباس وكذلك قبائل قانقلى وقالاج (آلاج) واويغور وكافة الممالك المحدودة شرقاً بنهر آمور وبحيرة بايقال وشمالاً بمنتهى المعمورة وجنوباً بنهر جيحون (آمودريا) وغرباً بنهر ايدل (وولغا) وبحر الخزر والاقوام الساكنة بها كلهم تحت ادارته وحكمه فان بقى من لم يطعه ولم ينقد له من الاقوام التركية فهم قبيلة تنكوت (خوبخوز) فى شرقى بايقال وقارلق فى الجنوب وافتاليت يعنى الهياطلة وقبائل التركمان التابعين للفرس لكونهم فى جنوبى نهر جيحون وقفچق وبجناك وآوار وما جاورهم الساكنين فى غربى نهر وولغا اعنى الآوروپا الشرقية مع ان بعضاً منهم دخلوا تحت ادارته ولو مدة من الزمن كما سيذكر فى محله والحاصل ان اول من يقع له

---

(١) وقد قلنا فيما سبق ان سببه سيذكر عند ذكر احوال بومين قاغان. منه عفى عنه.

(٢) وهذا ما وعدنا ذكره فى آخر بيان معاملة الاتراك مع الصين وكان عند طائفة باشقرد فى زمن قريب من زماننا هذا رتبة عسكرية تسمى يصاول تحريف يصاغل كما ان قراقول او قراول تحريف قراغل وقد رأينا بعيوننا عم والدتنا حسام الدين يصاول فى قرية تورگاى وشخصاً آخر ايضاً فى قرية قران فيحتمل ان يبقى هذا اللقب والعنوان من ذلك العصر والله سبحانه اعلم واما قاغان فقد قدمنا انه اصل لفظ خاقان وان خانان معرب منه اوس قاآن. منه عفى عنه.

النظر فى التواريخ ممن وقع فى قلبه توحيد الملّة و وحدة الكلمة وجمع الشمل و النشبث باسبابه و وفق له او كاد هو هذا الخاقان الاعظم قال بعضهم ان چنكز خان الذى جاء بعد بسنة ٦٧٠ وان وفق لهذا الامر يعنى جمع شمل كافة الاتراك وتوحيد دولتهم الا انه شدد فى اجرائه وتحصيله تشديدا زائدا على المقدار اللازم واما بومين قاغان ففى سياسته واجراآته كمال الانسانية وحفظ الامن والراحة فضلا عن سفك الدماء اه قلت ان چنكزخان وان اشتهر فى العالم بسفك الدماء بغير حق الا انه لم يسفك قطرة دم بلا سبب موجب فى الحقيقة وظننا فى بومين قاغان ايضا انه لم يجعل يده مغلولة الى عنقه فى موضع الشدة والسياسة اليس هو الذى اباد تتار جوجان وقتاهم مده ستين قتلا عاما وافنى هياطلة صغد وماوراء النهر بشهادة هذا القائل وكيف يمكن ويتيسر توحيدا لدولة وجمع الاقوام المتفرقة تحت ادارة واحدة بامحاء الامارات المتعددة واستيصال الحكومات المختلفة المستقلة من غير استعمال الشدة وسفك الدماء هيهات الا ان تفصيل ماجريات بومين قاغان لم ينقل الينا فى التواريخ بخلاف احوال چنكزخان فانها لم تحقق ولم تدقق الى عصرنا هذا كما ينبغى بل اسند اليه كافة القبائح من غير تحقيق و تدقيق وجعلت جميع افعاله ظلما بل جعلت حبته قبة ولم يترك من تشبثاته شيء الا وقد حرر وبسط وصارت كافة فعائله نصب اعيننا بحيث ننظر اليها بعيوننا وجعلت علة كل ذلك عداوته للاسلام دون خيانة خوارزمشاه وهذا هو السبب لظننا بهذا هذا الظن وبذاك ذاك الظن والا فكلا الكعكين من عجين واحد وقد سلك هذا المسالك من العثمانيين ادام الله دولتهم وزاد شوكتهم الى قيام الساعة السلطان سليم خان الاول الشهير بياوز عليه الرحمة والغفران وقد خطا فى هذا السبيل خطوات غير قليلة بعد ان سفك فيه دماء كثيرة مدة عمره فلو طالت مدته لنا له وحاز ولكن من سوء حظ عالم الاسلام لم تطل مدته واخترمته المنية سريعا ولم يسلك خلفه ولده السلطان سليمان ولا واحد من الذين جاؤا بعده من اعمامه و ذريته مسلكه فانحلت عرى ما دبره وذهب سعيه واجتهاده ادراج الرياح وليته طالت مدته وسفك فى هذا السبيل عشرة

امثـ الدماء التي سفكها في حياته وانمه فحينئذ لما ابتلى عالم الاسلام بهذه المذلة والمصائب التي هم مبتلون بها اليوم ولكن الحكم والملك لله واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له الآية هذا ولم يكتف بومين قاغان بذلك بـل احدث مناسبات تجارية وسياسية مع الدول المجاورة اياه مثل الصين والفارس والروم ولم يكن كونه في مثل هذه المناسبة على جهة الشرطي اعني بطريق النيابة والمامورية من طرف ملك الصين كما زعمه (١) البعض بـل كان على وصف الحاكمية المطلقة والاستقلال التام وعلو الجناب قال المورخ كارامزين الروسي في حقه بعد ان ذكر قومه بعنوان الترك ولم يذكر احدا قبلهم بهذا العنوان بل باساميهم الخاصة كخزر وغيره وطردهم الاوار الاتي ذكرهم ما معناه ان هـؤلاء الترك على شهادة مورخي الصين من بقايا هون الشمالية الذين كانوا جيران الصينيين ولما اتحد هؤلاء القوم مع سائر الامارات والحكومات من جنسهم وقبائلهم استملكوا كافة السيبريا الجنوبية بقوة السلاح وقد ذكر خانهم وملكهم في تواريخ الروم بعنوان ديصاوول وكان هذا الخان بعد ان ادخل الاقوام الكثيرة تحت طاعته يسكن في جبال آلتاي (الاطاغ) في خركاه مفروش بمفاريش وبسط من القطيفة الثمينة ومزين باثاث من انواع الحرير واوان وظروف من ذهب وفضة وكان يحكم كانه ثاني (٢) آتيلا وكان يقبل سفراء الروم في حضوره وهو جالس على تخت مزين ومرصع غاية التزيين والترصيع وكان يأخذ الهدايا من القيصر يوستنيان وقد غزا الفرس بالاتفاق مـع الـروم وغلبهم وقد وجدت الروسية اشيأ ثمينة جدا من قبور في السيبريا الجنوبية في هذه الاوقات القريبة

(١) زعم بعضهم ان الخاقان المشار اليه كان بمنزلة النائب لخاقان الصين وكانت معاملته معه بمنزلة معاملة الشرطي والشحنة والپوليس وهو زعم باطل لما يظهر من البيانات الاتية ولعل منشأه المبالغة والافتخار في تواريخ الصين التي هي مأخذ تلك الوقايع. منه عفي عنه.

(٢) ملك الهونية التي سيجيء ذكرهم وانما قال ثاني آتيلا لان آتيلا كان مقدما عليه وانما اخرنا ذكره مع كونه اقدم منه لانا نذكرهما في القسم الاول الاقوام الاسيوتية وفي القسم الثاني الاتراك الاوروپاوية والهون من جملتهم كما مر. منه عفي عنه.

بعد استيلائهم عليها ولا شك ان هذه الاشياء مُن آثار هؤلاء الاتراك الالتائية (الالاطاغية) وهذه الاثار تدل على انهم لم يكونوا وحشيين متبربرة (يعني كما يزعم اعداؤهم) بل كانوا متمدنة (١) ومترقية وقد اتجر هؤلاء مع الصين والفارس واليونان وقد كان قرغز وهون واوغر وسائر امارات الترك تحت طاعة ديصاول هذا اه ذكر معاملة الخاقان المذكور مع كسرى وقيصر قال عاصم نجيب افندي ان الخاقان بومين ديزابول جاءه عريضة من واليه المختار المنصوب من طرفه على الهياطلة بمملكة صغدو ماوراء النهر الملقب بيا بغوع شاد اوشاد پوت اوشاد فقط سنة ٥٦٦ م او قبلها او بعدها ايام كان يحكم القيصر بوستين في مملكة الروم وانوشروان على تخت الفرس مضمونه الاسترحام من الخاقان المشار اليه ان يتوسط بينهم وبين كسرى في استحصال مساعدته في بيع الحرير من اهالي ادربيجان اوفى المرور من قطعة اذربيجان الى الروم لبيع الحرير منهم فاجابه الخاقان الى طلبه هذا واسعفه بمرامه واذنه في اخراج قافلة حاملة للحرير وارفقها سفيرا من طرفه الى حكومة الفرس لطلب المساعدة المذكورة يسمى مانياق فلما دخلت القافلة مملكة ايران وادى السفير المذكور سفارته لحكومة الفرس بين واحد من اهل ادربيجان اومن الاتراك المقيمين في جنوبي نهر جيحون تحت حكومة الفرس يسمى فاتولفوس اوفوتلق لكسرى وخامة عاقبة الامر المذكور وحسن له ان يشترى الحرير المذكور من طرف الحكومة ويحرق وان يقتل السفراء بالتسميم ويشاع بانهم ماتوا من الوباء بسبب وخامة هواء اقليم فارس وعدم موافقته لامزجتهم فاستحسن كسرى رأيه واجرى جميع ما اشار به ولكن نجا المانياق المذكور من القتل بمساعدة القدر اياه فعاد الى بلاده وبين للخاقان المشار اليه جميع ماجرى لهم من طرف كسرى كما شاهده فاستشاط الخاقان غضبا وكان قد زوج لخاقان الصين المسمى ووتى من سلالة حه أو ابنته المسماة اسنا وكان يعاشره معاشرة حسنة من سائر

---

(١) ومليحة شهدت لها ضراتها والحسن ما شهدت به الاعداء منه عفي عنه.

الوجوه فلذلك كان جلب محبة الخاقان المشار اليه واكتسب مودته ودفع خوفه من جهته بل صار على يقين بدفع الخاقان المذكور ما كان متوقعا من هجوم سائر الاقوام على بلاده ومطمئنا به فضلا عن هجومه وكان فى فكره ان يتفق مع امارتى الاوار والقفچق اللتين لم تدخلا تحت طاعته وان يعقد عقد الاتـــفاق مع الروم الذين هم اعداء خصمه الذين كان يريد ان يصارعهم يعنى الفرس كما نشاهد فى عصرنا هذا الان من اتفاق المثنى والمثلث فارسل الى حكومة الروم هيئة سفارة (١) تحت رياسة المانياق المذكور الذى نجا من سوء قصد الفرس فيه لاخراج الفكر المذكور من حيز القوة الى الفعل فوصلت الهيئة المذكورة الى القسطنطينية التى يقال لها فى العصر المذكور بزانديا او بيزانطيا فى سنة ٥٦٨م وهى السنة الرابعة من تملك القيصر يوستين (٢) فسلم السفير المشار اليه الى القيصر ما معه من التحريرات المتعلقة بسفارته المحررة بحروفات سيتيا وانواع الهدايا ومقدارا كثيرا من الحرير وكانت الكتابة المذكـــورة يعنى الكتابة بحروف سيتيا كانت كتابة قدماء الاتراك وخلاصتها كتابة تتارية وقد وجـدوا مفتاحـها يعنى اطلعوا عليها وعرفـوا حروفها منذ زمن قريب وصاروا يقرأون الكتابة المحررة بها فى محكوكات مغولستان وسيبيريا ومن (٣) العجب وجود من يقراء فى القسطنطينية وقتئذ كتاب الاتراك المذكورين الذين هم من بقايا الهون القديمة الذى كان يعبر عنهم سابقا بهيونغ نو المحرر بحروف سيتيا (قدماء التتار) الوارد من المسافة البعيدة ويترجمه وبعد ان قرئى المحررات دعا القيصر السفير

(١) هذا مخالف لما سيجىء فى بيان مضمون سفارة سفير الخاقان الى القيصر والظاهر بل الصواب ان يدعوا مارتى الاوار والقفچق الى الطاعة والانقياد. منه عفى عنه .

(٢) فى قياصرة الروم يوستين اول ويوستين ثان وبينهما يوستينيان والظاهر بل الصواب ان هذا هو يوستنيان وفقا لما مر عن كارامزين ولما سيجىء عنه عند ذكر آوار فى القسم الثانى من هذه المقدمة. منه عفى عنه .

(٣) منشأ التعجب عدم الاطلاع على اختلاط الروم بسيتيا اختلاطا كليا على ما سيجىء عند بيان سيتيا والذهول عنه والا فلا يتعجب منه قط . منه عفى عنه .

المذكور عنده واظهر له كمال الممنونية وجرت بينهما الاسئلة والاجوبة فبين له السفير فى جملة اجوبته كيفية انقسام قبائل الاتراك الذين اتحدوا تحت حكومة الخاقان ديزابول وصاروا ملة ودولة واحدة الى اربعة اوردو يعنى يعنى ادارات ودوائر وكون قبيلة واحدة من الترك تحت ادارة حكومات الصين وكون الهياطلة خراجية للخاقان ديزابول على صورة الملة التابعة له واستنكاف مقدار عشرين الفا من عصاة الاوار ومتمرديهم ان يكونوا تابعين له ثم انتقل بعد ذلك الى بيان سبب مأموريته الحقيقى وادار الكلام فى الاتفاق التدافعى والتجاوزى وقال ان حكومة الترك مستعدة لمحاربة كافة اعداء ملة الروم والقيصر قال مناندر ان الترك كانوا اصدقاء الروم بهذه الكيفية اه ومن جملة المواد التى عرضها السفير المذكور على القيصر ان يجعل ابواب بلاده يعنى طرقها مفتوحة لتردد تجار الاتراك ومجيئهم اليها بالبيع الحرير الذى كانوا يأخذونه من حكومة الصين فى مقابلة مصالحتهم معهم يعنى فى مقابلة تركهم اياهم على راحتهم من غير ان يتعرضوا عليهم بالهجوم والغارة وفى مقابلة معاونتهم اياهم اذا اقتضاها الحال ومن جملتها ايضا الاتفاق على تنكيل اشقياء الاوار الذين كانوا مرتكبين جناية كبيرة ورذالة عظيمة وهى شق عصا الاتحاد والاتفاق والقاء التفرقة بين الملة باستنكافهم من طاعة الخاقان العظيم الشان واختيار شقاوة البغى والفرار وسلب راحة العباد بسبب قطع الطريق واخافة المارة على الدوام والاتفاق ايضا على محاربة الفرس الذين ارتكبوا دناءة قتل سفرائهم بالتسميم وسدوا عليهم طريق تجارتهم من طريق البر والجنوب يعنى طريق ارمينية وخلاصة الاتفاق على الهجوم على هؤلاء معا ولكنهم لم ينالوا من هذه التكاليف والعرايض شيئا ولم يجنوا منها ثمرة فان الروم لم يفهموها اولم يريدوا ان يفهموها ولا يبعد ان يكون مرامهم ان يعرفوا حقيقة الخاقان وهويته واقتداره وان تكليفاته هذه جدية اولا وانها على اى غرض مبنية والحاصل انهم لم يتجاسروا على الاتفاق مع دولة الترك الذين لم يكونوا يعرفونهم من قبل كما ينبغى على محاربة الفرس والاوار الذين قد

ذاقوا مرارتهم مرارا وعرفوا حقيقتهم مع كونهم محاطين من جهات مختلفة باعداء شتى وخائفين من كل شيء حتى من ظلالهم والترك كانوا لايخافون من احد وكانوا يكلفون الروم بتحمل اعباء الحرب ويطلبون منهم المعاونة ويحتمل ان يعرضوا عليهم معاونتهم فى مقابلة تخصيصات ومبالغ من طرفهم كما كانوا يفعلونه مع الصين ارسال الروم الى الخاقان ديزابول رسولا من طرفهم فقرامر الروم ان يرسلوا من طرفهم هيئة سفارة الى الخاقان للاطلاع على حقيقة الامر وكنهه وارسلوها بعد اللتيا والتى وجعلوها تحت رياسة واحد منهم يسمى زيمارك ولكن الخاقان الكبير ديزابول كان قد توفى قبل وصول الهيئة المذكورة اليه وتملك مكانه اخوه تكين دو يوغان وكان حين وصولهم اليهم عازما على سفر الفرس وبعد ان لاقوه بساحل نهر دو حملهم معه الى بلدة تالاس التى كانت بين نهرى چو وسيحون (سير دريا) وكان ورد اليه سفراء الفرس ايضا فدعاهم اليه فى حضور سفراء الروم واظهر لهم الخشونة والملام والتوبيخ فى مقابلة سوء معاملتهم وانما فعل ذلك فى حضور سفراء الروم ليطلعوا على حقيقة الامر وكنهه فيطمئن قلوبهم بذلك هذا وفى رواية (١) ان سفراء الروم وصلوا الى مقر سلطنة الخاقان الكبير بومين قاغان المسمى (آق طاغ) الذى هو احد شعاب جبال آلتاى (الاطاغ) فى حياته ولاقوا فيه الخاقان الكبير نفسه ونالوا منه الاعزاز والاحترام واظهر لهم الخاقان الكبير غاية الالتفات ونهاية الالطاف احتيالا فى تحصيل الاتفاق الذى رتبه على الفرس واعطى رئيسهم زيمارك هدايا عظيمة من جملتها جارية قرغز عديمة النظير فى الحسن والملاحة وعاد فى تلك الاثناء من مصيفه الى

---

(١) وهذه الرواية هى الصحيحة والصواب والاولى خطأ بلامرية اوكان ذلك فى النوبة الثانية او الثالثة او بعدها ايضا فانه قد تقدم عن كارامزين قدوم سفراء الروم للخاقان ديزابول واخذه الهدايا عن القيصر يوستيان وصرح فى الجلد بانه قبل سفير يوستنيان زيمارخ بل يدل كلامه على تكرر ذلك بل فيه تصريح بحصول الاتفاق على الفرس وغلبته عليهم بمعاونة القيصر ويفهم كون الامر كذلك من كلام عاصم افندى نفسه الآتى من مجيء تجار الترك الى القسطنطينية فان مجيئهم هنالك لا يكون الا بعد حصول الاتفاق بينهما كما لا يخفى . منه عفى عنه .

بلدة (١) تاراس التى هى فى شمالى نهر سيحون وقد جاءه فى الوقت المذكور سفراء مخصوصة من طرف دولة الفرس فاقام الخاقان المشار اليه فى البلد المذكور مأدبة شائقة وضيافة ملوكية بمثله لائقة ودعا اليها سفراء الدولتين واجرى فيها مراسم عقد المعاهدة مع سفراء الروم واظهر الخشونة والتوبيخ والتهديد لسفراء الفرس لارتكابهم دناءة تسميم سفرائه ولما كان الباعث الحقيقى على هذه المخاصمة الاتراك التابعين لدولة الفرس ارسل اليهم فيلقا من العسكر فى اول الامر فدخلوا (٢) ماوراء النهر ولحقهم الخاقان من ورائهم ووصل الى سمرقند وبينما هو فى عزم الدخول اقليم خراسان جاءه الخبر بقبول كسرى انوشروان شرائط الصلح والتكاليف التى اقترحها الخاقان وتصديقها فرجع من عزمه وترك التعرض وعاد الى كاشغر فان مملكة كاشغر ومواليها كانت فى الوقت المذكور تحت ادارة الخاقان المزبور وطاعته وكانت هذه الوقايع فى حدود سنة ٥٧٠ يعنى قبل الهجرة ٥٢ سنة وهى سنة ولادته (٣) صلى الله عليه وسلم او قبلها

---

(١) ويقال لها ايضا تراز ويعرب على طراز قال فى البرهان القاطع تراز اسم بلدة فى ارض توران وطراز معرب منه اهـ وقال فى مادة طراز بلدة فى حدود الصين الخ وقال الحموى فى المعجم طراز قال ابو سعيد وهى بالفتح ورواه غيره بالكسر قريب من اسبيجاب من ثغور الترك قريب من طرابند وهى مدينة وراء سيحون فى اقصى بلاد الشاش مما يلى تركستان الخ وقال فى اسبيجاب اسم بلدة كورة كبيرة من اعيان بلاد ماوراء النهر فى حدود تركستان الخ وقال فى البرهان والترك يقولون لها شبران يعنى صبران . منه عفى عنه .

(٢) وهذا الدخول ليس لمحاربة الهياطلة فانه كان مقدما على هذا الدخول بمقدار ١٣ سنة وكان الخاقان وقتئذ متفقا مع كسرى فقول عاصم افندى هنا ان ملك الهياطلة كان رجع من مصيفه الى بخارى الخ سبق قلم منه وانما كان هذا فى الدخول الاول حين استيصالهم الهياطلة واما فى هذا الدخول فالهياطلة تابعة لهم كما بينا كل ذلك. منه عفى عنه .

(٣) وكان الحق سبحانه الهم لهولاء الملة النجيبة بتشريفه صلى الله عليه وسلم عالم الوجود فاسر عوا من الجهتين لاستقباله وعرض الخدمة عليه واعلام انهم مستعدون لقبول ماجاء به من النيابة فى اجراء شريعته ونشرها وحفظها وانهم هم الذين ينتزعون القسطنطينية من الروم بعد حين وظاهر الخطاب فى عرض المعاونة وان كان للروم ولكنه فى الحقيقة له صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. منه عفى عنه.

٨

بسنة واحدة وما ذكره مره نقلاعن مير آخوند من ان فى اثناء فتح انوشروان الممالك الكذائية بلغه ان خاقان الترك استولى على ممالك فرغانه وماوراء النهر فارسل ولده هرمز فرجع الخاقان الى اقصى بلاد تركستان بلا حرب وكذلك ما ذكره ابن الاثير من ان الخاقان الكبير سيجبور قصد بلاد ايران وكتب الى انوشروان يطلب منه الاتاوة ويهدده ان لم يذعن لذلك الخلل هذه الوقعة ولكنهما لما لم يراعيا الترتيب فى ذكر الحوادث وذكراها مشوشة بلا ترتيب لم يفهم من تاريخيهما ترتيب الحوادث فعلم ان عود الخاقان الكبير بلا حرب لم يكن خوفا من هرمز وعسكر ايران كما قال مير آخوند ولا لكون بلاد الفرس محصنة كما ذكر ابن الاثير بل لادعان كسرى لمطاليب خاقان وخفضه جناح الذل لاستشعاره العجز عن مقاومته خصوصا لما اطلع على اتفاقه مع الروم وان كان ارسال ولده هرمز احتياطا وتحصين بلاده ايضا موجودين فى نفس الامر وقد تبين من هذه القصة سبب تبدل صداقتهما عداوة فى مدة يسيرة بعد وقوع القرابة الصهرية بينهما وهو تسميم كسرى سفراء الخاقان وارتكابه هذه الدناءة باغراء بعض ارباب النفاق على انه لو صح كون غرض كسرى من عقد قرابة المصاهرة بناء السد واخذ الثار من الهياطلة واطلاع الخاقان الكبير على كونه خديعة منه على مامر لا يحتاج فى تبدل الصداقة عداوة الى سبب فطلان لا صداقة بينهما على هذا التقدير فى الحقيقة بل هو موجب لغاية الغيظ لكونه دناءة واهانة ولعل ارسال الخاقان الكبير سفراءه الى حكومة الفرس كان لتحقيق هذه القضية ولما زاده بتسميمهم بلة فى الطين فضلا عن تحققها مصداق قول القائل

شعر: لى صديق جنى على * مرارا فا كثرا * ثم لما عاتبته * غسل البول بالخرى *

جرى ما جرى والله سبحانه اعلم ولعل مراد كارامزين بما مر عنه من قوله ان الخاقان ديصاوول غزا الفرس بالاتفاق مع الروم وغلبهم هو هذا ايضا كانه يريد بقوله غزاهم وغلبهم انه اراد(١) غزوهم فعاملته الفرس معاملة المغلوبين من

---

(١) ولا يبعد ان يدخل مقدمة جيش الخاقان بلاد خراسان وان لم يذكرهما يدل عليه ما ذكره ابن الاثير اثناء كلامه المتشتتة حيث قال فلم يلبث كسرى ان اتاه ان فتيانا من الترك قد غزوا اقصى بلاده فامر وزراءه وعماله ان لا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ولا يعملوا فى شى منها الا به ففعلوا ما امروا به فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب له فحينئذ يجتمع الاقوال كلها فى مركز واحد والله الموفق. منه عفى عنه.

الادعان لجميع مطاليبه والله سبحانه اعلم بسرائر عباده* **ارسال الخاقان الكبير سفيرا الى الروم مرة ثانية** ثم استأذن سفير الروم زيمارك الخاقان الكبير فى العود الى بلاده فاذنه وارفقه سفيرا من طرفه يسمى تاغما وكانت رتبته الطرخانية وضم اليه ابنا المانياق المذكور وكان هو ايضا فى رتبة طرخان ولما بلغ هؤلاء مملكة قانقلى وقفچق وكان الخاقان الكبير قد اذن لرؤسائهم ارسال السفير الى الروم ضم هؤلاء ايضا اليهم انفارا من طرفهم برسم السفارة الى الروم مبلغ المذكوردن مساكن قوم اويغور التابعين للخاقان الكبير ومواطنهم الكائنة بغربى نهر ايدل (وولغا) بعد قطع المسافة البعيدة وعبورهم نهرى جايق وايدل فاخبرهم رئيس اويغور بقعود اربعة آلاف من الفرس على الطريق المعروف والجادة المعهودة مختفين فى الغابات وحذرهم منهم ودلهم الى طريق آخر لاخوف فيه وزودهم بمايخف حمله واعظام الماء بالغرب فبلغوا ساحل البحر الاسود من ممالك اللان وركبوا السفن من هناك وخرجوا الى طرابزوند ووصلوا من هناك الى القسطنطينية برا وحيث وقع بيان احوال السفراء المذكورين بعد ذلك فى مأخذنا المنقول عنه بغاية التشويش وسوء الترتيب اضطررنا الى تركها بلا نقل الا انه قال فيه فى حق سفراء الروم والقادمين الى الخاقان الكبير انه يعنى الخاقان الكبير لم يوفق لاستحصال شئ من مطاليبه من دولة الروم الخرافة المنحلة النظام اه والانسب بل الصواب كون هذه المقالة فى حق سفرائه هؤلاء المذكورين يعنى ان الخاقان الكبير وان ارسل سفراءه هؤلاء الى الروم لتوثيق عرى الاتحاد والاتفاق بينهم الا انه لم يوفق الخ **وقال** وبينما الخاقان الكبير مشغول بالمسائل الغربية حدث هبوب رياح شديدة ونزول امطار غريزة ودام هذا الحال الى عشرة ايام فعده الخاقان مجازاة سماوية اوانذ راغيبيا فاطلق سفير خاقان الصين المسمى ووتى من سلالة چه‌أو وكان محبوسا عنده منذ سنين وزوجه يعنى الخاقان ووتى ابنته المسماة اسنا وجهزها اليه لتجديد عرى الاتفاق ثم مات بعد ذلك قبل الهجرة بسنة ٥٠ يعنى فى سنة **٥٧٢م**

بعد ان حكم على الوجه المشروح ٢٠ سنة اه (١) لا يخفى انه قد تقدم ان ابتداء مراسلاته الفرس والروم كان في سنة ٥٦٥ او قبلها او بعدها وانه كان زوج قبل ذلك ابنته اسنا من خاقان الصين ووتي الخ ومنا يصرح بانه اى التزويج كان في اثناء المراسلات وفي آخر عمره وبينهما تناقض ظاهر والظاهر بالنظر الى قرائن الاحوال ان الاول هو الصحيح والصواب والله سبحانه اعلم ثم قال وبعد ان توفي الخاقان المذكور جلس مكانه اخوه الاصغر دوپواوتو بوخان ولم يكن هذا الخان في الادارة وسائر الشئون مثل اخيه المتوفى الخاقان ديزابول ولهذا انقسمت الارادات والدوائر الاربع المذكورة سابقا الى ثماني ادارات ودوائر وانحطت قوتهم وشوكتهم من مركزها السابق الى اسفل منه بدرجات كثيرة ولم يبق نفوذهم السابق حتى ان بعض التجار منهم المشغولين بالتجارة في بلاد الروم لما (٢) عادوا الى بلادهم بعد موت الخاقان ديزابول مع سفير الروم والانتينوس لاتي بيانه رأوا امور بلادهم وادارة حكومتهم ادون من حالتها السابقة بمراتب كثيرة ومع ذلك يقول ان دوپوخان كان يحكم في سنة ٥٧٣م على كافة القطعات الكائنة بين السد الكبير الصيني وبين نهر دون (تن) يعني على كافة آلاسيا الشمالية التي هي الآن بيد الروسية وقسم من الاوروپا الشرقية وانه فتح لمسير التجار وتردهم الى بلاد الروم طريقا بربة القفچق ودون ودنيپر وطونه يعني طريق روم ايلي وبلغارستان ومنع مسيرهم من طريق فرغانة وكافكازيا يعني الطريق السائر من حدود فارس وانه كان له يعني لدوپوخان مائة الف من العساكر الفرسان وان خواقين الصين كانوا ينافسون بعضهم بعضا لاستحصال الاتفاق الصهري معه وان كل واحد منهم كان يصرف ما في خزينته ويتركها اليه لجلبه وجلب مودته اليه وان قيصر الروم ارسل اليه سفيرا من طرفه يسمى والانتينوس الا انه لم يجد منه التفاتا كسابقه وسلفه وقال ان السفير المذكور لما بلغ واحدة من

(١) هكذا يقول هنا . منه عفي عنه .

(٢) وهذا اعني وجود تجار الاتراك ببلاد الروم يدل على حصول نوع معاهدة واتفاق بين الترك والروم اعني في شأن التجار وان لم تحصل في شأن الهجوم والمدافعة وهذا هو الذي عنيناه سابقا . منه عفي عنه .

الادارات والدوائر الثمان التى يسمى حاكمها تركش بعدقطع (١) المنازل غضب عليه الحاكم المذكور لاتعابهم اياهم بلا فائدة وقال ايها الروم ان لكم عشرة اقوال وحيلة واحدة الترك لاتكذب ولا تختاره لانفسها وان رئيسكم الذى تلقبونه قرالاو فيصرا اتفقا مع بغاتنا وعصاتنا الآوار الذين يقومون علينا ويشقون عصا الاتفاق والاتحاد بسائقة حماقتهم وسوء تدبيرهم وفساد افكارهم ثم اذا رأوا سواطنا يكادون يذوبون تحت سنابك خيولنا كالديدان ويودون لو يجدون مدخلا فى الارض لدخلوا فيه من غاية خوفهم واندهاشهم وحيرتهم فضلا عن مقابلتهم ايانا باستعمال السلاح والجسارة على سل السيوف فهل يليق بقيصر الروم ان يعقد عقد الاتفاق مع هؤلاء العصاة الادنياء الاراذل كالدولة المستقلة وما الداعى لكم على ان تتركوا طريق طونة ودينيپر ودون الذى فتحناه للمسير وتسلكوا طريق كافكازيا وتمروا من حدود الفرس واتهمهم بذلك الفعل وهددهم بمحاصرة بوسفور (بوغاز يكى قلعه وكيرج من قطعة قريم وكان وقتئذ بيد الروم) والاستيلاء عليه وقد اخرجوا التهديد المذكور من القوة الى الفعل فان القائد التركى المسمى بوخانوس (بوقاوبغا) كان استولى على قطعة قريم وضبط (٢) قلعة بوسفور حين عاد السفير المذكور فى سنة ٥٧٥م بعد اداء مضمون سفارته فانقطعت المناسبة بين هؤلاء الاتراك والروم من هذا اليوم فان الروم كانوا يخافون ان يحاربوا الفرس من جهة والاوار الذين كانوا اهر بوامنهم من جهة اخرى وكانت المحاربة المذكورة اساس مواد المعاهدة المطلوبة كما مر وفى الحقيقة انهم اعنى الروم كانوا يستفيدون من الاوار اكثر من استفادتهم من هولاء الاتراك وينتفعون بهم اكثر من انتفاعهم بهم كما سيذكر عند ذكر

---

(١) وفى الاصل المنقول عنه بعد مرورهم من قطعة قريم واوزاق ولاشك انه غالق لما سيأتى من توبيخ تركش اياهم بتركهم طريق قريم واوزاق كما لايخفى ولهذا عدلنا عنه الى هذا لصلاحيته لكليهما. منه عفى عنه.

(٢) الا انها لم تبق بايديهم كثيرا من الزمن كما سيجيء نقلا عن كارا مزين. منه عفى عنه.

الاوار في القسم الثاني من هذه المقدمة قال كارامزين وهؤلاء الاتراك وان اورثوا الرعب والدهشة لدولتي الفرس والصين حين احرائهم الحكومة بساحل نهري ايرتش واورال واغاروا على اقليم قريم واستولوا عليها وعلى قلعة بوسفور وحاصروا بلدة خرصون (١) في سنة ٥٨٠ الا انهم تركوا سواحل البحر الاسود لاوار وخرجوا من قطعة آوروپا في مدة يسيرة اه يقول راقم هذه الحروف ان سلطنة هؤلاء الاتراك قد دامت ايضا على فوتها وشوكتها الى مدة مديدة وقد حاربوا الفرس بعد ذلك ايضا دفعات كثيرة متفقين مع الروم ولكنهم لم يذكروا بعد ذلك باسم الترك بل باسم الخزر (٢) الذى اطلق عليهم من طرف العرب بعد ظهور الاسلام ومحاربتهم اياهم لضيق عيونهم كما سيذكر عند ذكر الخزر في القسم الثاني من هذه المقدمة والخزر الذين حاربهم العساكر الاسلامية عابرين الارمينية وباب الابواب هم ايضا من بقايا هؤلاء الاتراك لاغير واطلاق هذا الاسم عليهم وان كان موءخرا في الواقع من هذه الوقايع المذكورة وقد مر عن ابن الاثير (٣) اطلاق الخزر على الاقوام التركية الموجودين في تلك الاعصر والقرون الا انه لما سماهم العرب بالخزر بعد ظهور الاسلام اطلق مورخوا الاسلام اسم الخزر على اسلافهم ايضا على سبيل المجاز الاولى لاتحادهم جنسا فزعم الزاعم انهم غير هؤلاء الاتراك وليس كذلك وقوم غز الذين خرجوا الى ديار الاسلام في القرن الخامس ايضا من هؤلاء الاتراك وكذلك السلاجقة واتباعهم والحاصل ان الاتراك سموا اولا عند الصينيين باسم هيونغ نو ثم توكيو بطرح الراء من

(١) وكان كل ذلك بيد الروم . منه عفى عنه .

(٢) ولذلك ذكر بعض المورخين احوال هؤلاء الاتراك ووقائعهم عند ذكر الخزر ونسبها الى الخزر لكونهم هينهم ونحن نذكر ايضا بعض احوالهم ووقائعهم اخذا عن تاريخ هذا البعض عند ذكر الخزر انشاء الله تعالى فلا تغفل . منه عفى عنه .

(٣) والحاصل ان اطلاق اسم الخزر عليهم في عصر انوشروان وقبله ليس لكونهم مسميين به في ذلك الوقت بل لكونهم مشهورين به في عصر ابن الاثير مثلا فاطلق على اسلافهم هذا الاسم وان لم يكونوا مسميين به وذلك لاتحادهم جنسا وهذا كما يوجد في تاريخ بعض معاصرينا اطلاق اسم چغطاى على اقوام ما وراء النهر قبل ظهور چغطاى بستة اوسبعة قرون انظر الى تاريخ كاشغر . منه عفى عنه .

توركيو ثم باسم الخزر بعد ظهور الاسلام ثم بالغز تسمية باسم بعض القبيلة الى غير ذلك من الاسامى بحسب اختلاف الزمان والمكان والمطلق ومع ذلك اشتهر بعض قبائل كبيرة منهم باسامى مخصوصة كالتتار وقفچق واويغور وآوار وكيرايت ونايمان وماجار وبلغار الى غير ذلك مما لايكاد يحصر وهذا هو مؤدى فكر الفقير والعلم عند الله تعالى ثم قال عاصم نجيب افندى ان معاملة هؤلاء الاتراك لم تنحصر على ماذكرنا من مناسبتهم مع الصين فى الشرق والروم فى الغرب والفرس فى الجنوب بل اهم معاملاتهم ما كان مع الارامنة الذين التجأوا اليهم وانقادوا لهم فى سنة ٦١٧ (١) يعنى قبل الهجرة باربع سنين مانه يقال ان بعد موت سمباط فى التاريخ المذكور اضطرت الطائفة الارمنية الى الالتجاء الى خاقان الممالك الشمالية والاحتماء تحت حمايته والتواد بملاد عدالته فامرهم باللحوق بقائد الصينى المسمى چيتوخه اه ثم هنا مانقلناه عن تاريخ عاصم نجيب افندى مع التنقيح والتطبيق حسب الجهد ادرجته هنا مع وقوعه فى الاصل المنقول بغاية التشويش والاضطراب والتناقض والمسامحة فى تعيين تواريخ الوقايع والاسامى لعدم قبول وجدانى ترك هذه الجواهر النفيسة من غير درجها فى تاريخى الحقير مع كون موضوعه وقايع الاتراك ولعل بعض النجباء الغيور يصلحها بالمراجعة الى اصول اصلها من تواريخ الافرنج والصين ولننقل الآن اقوال المداهنين للفرس قال مير آخوند لما جلس هرمز على تخت الفرس بعد وفاة والده انوشروان سلك مسلك العدالة وحسن الادارة مدة ١٢ سنة وجلب محبة الاهالى لنفسه بهذه المعاملة الحسنة ولكنه غير بعد ذلك مسلكه وشرع فى اظهار سوء المعاملة والسير بسيرة سيئة وصار يهين الاعيان الكرام ويحتقر ذوى الحيثيات العظام ويهتك اعراضهم فاعرض عنه الاهالى وصاروا يبغضونه ولماسمع

(١) وهذا يؤيد ماذكرته آنفا فان حكومة الخزر موجودة فى التاريخ المذكور بل قبله فعلم انهم ذكر واتارة بعنوان الخزر وتارة بعنوان الترك ثم اقتصر بعد ذلك على ذكرهم باسم الخزر فقط. منه عفى عنه.

من فى جوانب مملكة الفرس وحواليها من أعدائهم هذا الخبر اغتنموا الفرصة المذكورة وطفقوا يقصدون بلاد الفرس من كل جانب ومن جملتهم الروم فانهم تعدوا الحدود وبلغوا نصيبين بثمانين الفا من عساكرهم وكتبوا الى هرمز يطلبون منه رد ما اخذه انوشروان من بلادهم وخرجت الخزر متفقين مع سائر الاقوام التركية الذين فى تلك الجهة من باب الابواب وبلغوا اذربيجان مغيرين ناهبين وقصد ساوه (١) ولد خاقان الترك السابق ذكره وخال هرمز بعد وفاة ابيه بلاد الفرس بثلاثمائة اوار بعمائة الف من عساكر الترك وعبر نهر جيحون وبلغ هرات وبادغيس وعسكر هناك وارسل من هناك الى هرمز يأمره بصلاح الطرق وتعمير الجسور ليمر من هناك الى بلاد الروم فتحير هرمز من سماع هذا الخبر المدهش واندهش وندم على ما سبق منه من الاعمال السيئة وشاور من بقي عنده من عظماء الفرس فيما يفعل فقالوا له ان مطلوب الروم استرداد البلاد التى اخذها منهم ابوك انوشروان فاذا رددناها اليهم يعودون الى اوطانهم بلا محاربة ومطلوب الخزر النهب والغارة فمتى سلطنا عليهم اهالى اذربيجان وارمينية يفرون الى بلادهم بما حازوه من الغنيمة وعدونا الحقيقى هو الترك وهمتهم مصروفة الى تسخير بلاد الفرس ومنحصرة فيه فاللازم صرف الاهتمام وبذل غاية الجهد والمقدرة فى دفعهم فقبل هرمز كلامهم وعمل بموجبه ودفع الروم والخزر على الوجه المشروح ثم شاورهم بعد ذلك فى كيفية دفع الترك وبعد اللتيا والتى

(١) وهذه الوقعة مذكورة فى جميع التواريخ التى يبين فيها احوال الترك على اختلاف مشاربهم فى الاطناب والايجاز والمبالغة والايغال ووقع فى تاريخ ابن الاثير بدل ساوه شابه بالشين والباء الموحدة وفى مروج الذهب شابه بالياء بدل الباء ابن شب وفى معارف الدينورى خاقان الترك فقط من غير ذكر اسمه وقد قيل ان الوالى المختار كخديو مصر كان يلقب عند قدماء الترك بشاد ويغوع شاد وشادپوت كما اشرنا اليه سابقا فان صح هذا يحتمل ان يكون هذا الخاقان واليا مختارا من طرف ابيه او اخيه بماوراء النهر ملقبا بشاد ويكون ساوه الا لفاظ غلطا ومحرفا منه فى الكتابة لقرب بعضها ببعض ثم بعد وفاة ابيه او اخيه يكون خاقانا مستقلا او نائبا لعمه دوپوخان ويذكر بلقبه السابق والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

عين بهرام چوبين والى ادربيجان قائد العسكر المرشح لدفع الترك بناء على قصة (١) واعد من عظماء الفرس الذى كان خطب والدة هرمز من خاقان الترك لانوشروان وجاء بها من بلاد الترك الى بلاد الفرس فانتخب بهرام اثنى عشر الفا من عساكر الفرس لمحاربة الترك فقال له هرمز متعجبا كيف يقابل لثلاثمائة الف من عسكر الترك باثنى عشر الفا فقال له بهرام ان الغلبة والنصرة ليست بكثرة العسكر بل بالشجاعة والمتانة وقوة القلب واصابة الرئى ولطائف الحيل وحسن التدبير والخدعة وبين لذلك امثلة ومصاديق كثيرة سبقت قبل ذلك فقنع هرمز بذلك فتوجه بهرام بهذا المقدار من العسكر نحو معسكر الترك فالتقى الفريقان وانتشب بينهما المحاربة وفى تلك الاثناء رمى بهرام خاقان الترك بسهم فقتله فتفرق عساكره فجمع ولده (برموده قاله ابن الاثير) شمل عسكره المتفرقة وشرع فى المحاربة وبعد اللتيا والتى انهزمت الا تراك ثانيا وتحصن برمودة فى قلعة هناك فاخذه بهرام اسيرا واخذ جميع ما فى القلعة (٢) المذكورة

---

(١) والقصة ان واحدا من امراء الفرس الحاضرين فى ذلك المجمع قال لهرمز لما ذهبت لخطبة امك لوالدك من خاقان الترك امر الخاقان باحضار بناته لا نتخب من اريدها فالبست زوجته لبنات بعض السوقة البسة بنات الملوك والبست بنتها السة بنات السوقة فما ميها بينتها فعرفت من اصالة جوهرها انها ابنة الخاقان فاخترتها فامر الخاقان لمنجمين بتعيين طالعها فقالوا انها تلد ملك الفرس وفى ايام ملكه يقصد واحد من بلاد الفرس فيرسل الملك المذكور لدفعه واحدا من امرائه صفته كذا وكذا فيقتله ويهزم جيشه ويغتنم جميع ما فى معسكره فوجدوا بهرام چوبين والى اذربيجان على الصفة المذكورة ولما بين الامير المذكور ذلك مات فى محله وفى ساعته اه . منه عفى عنه

(٢) قال المسعودى فى مروج الذهب كان فى القلعة المذكورة خزائن افراسياب التى اخذها من سياوخش وخزائن ارجاسب التى اخذها من كشتاسب وغير ذلك من خزائن الملوك السالفة اه وليت شعرى كيف ترك كيخسرو خزائن ابيه سياوخش واسفنديار خزائن ابيه كشتاسب حين قتلا افراسياب وارجاسب وكيف ترك انوشروان حين استأصل اهل بيت ملك الهيا طلة وانزال جنوده بفرغانة وكيف بقيت تلك الخزائن تلك المدة المديدة مع تقلبات الدهر وثانيا ان هذا الخاقان على قولهم كانه كان وقت المحاربة فى هرات وبادغيس من بلاد الفرس فلاى شى حمل تلك الخزائن هناك كانه جاء بها للتسليم

من خزائن الاتراك واموالهم ومهماتهم وحملها على مائتين وخمسين الف بعير وارسلها مع برمودة الى مدائن لهرمز اه هذا هو كلام لحاسي صحون الفرس الفارغة وخرافاتهم التي رفعت قدر الفرس الى اعلى عليين واشهرتهم في العالم بالشجاعة والشهامة وحطت مقدار الترك الى اسفل السافلين واشهرتهم بالخساسة والدناءة كان اول كلامهم عدم الخوف من الخزر والروم ولزوم صرف العناية والاهتمام لدفع هؤلاء الترك الذين هم اعداء وهم حقا وآخره مغلوبية ثلاثمائة اواربعمائة الف من هؤلاء الاتراك الذين وجب توجيه العناية والاهتمام نحو دفعهم على يد اثنى عشر الفا من جيش الفرس في مدة ساعات يسيرة نعم اذا هزم بهرام كور بعدة مات من جنود الفرس خاقان الترك الذي كان في معسكره مائتان وخمسون الفا من ابطال الاتراك على ما مر بيانه في موضعه كيف يتعجب من هزم بهرام چوبين باثنى عشر الفا من جيش الفرس اربعمائة الفا من شجعان الاتراك وكيف يستبعد منه ذلك ونحن نحمد الله سبحانه وتعالى على ان الفرس لم يكن فيهم هوس الاستيلاء على الدنيا وفتح البلدان والا فمن يشك ويتردد في اقتدارهم على الاستيلاء على جميع الربع المسكون بشجاعتهم هذه وحسن تدبيرهم واصالة رأيهم وحذاقتهم في الحيل والخدعة على ما ادعوه كما مر بيان استيلاء اسفنديار على ممالك الترك والصين والهند باربعة وعشرين الفا من الجيش ولا يستبعد وجود عراض الاقفية الذين يصدقون امثال هذه الخرافات في الدنيا

الامانة الى اهلها اولعله كان سفيها اومجنونا ام يقولون ان بهرام چوبين ذهب الى بلاد الترك بعد قتله الخاقان وهزمه عساكره مع اثنى عشر الفا من الجيش الذي معه ولا يستبعد تجويز امثال هذه الخرافات من مورخي الفرس ومن تبعهم في النقل المجرد من غير تنقيد ولاتحقيق كما قالوا في حق بهرام كور ثم ان مأة وخمسين الفا من الابل من اين وجدت ولو فرضنا لكل عشرة من الابل قيما واحدا البلغ عددهم خمسة عشر الفا فلا يكفي من مع بهرام لذلك ولو فرضنا عدم موت احد منهم في المحاربة فمع من بقي بهرام ومع من قابل عسكر هرمز في الوقعة الاتية الى غير ذلك من المحظورات وليس العجب الا من المسعودي في اثباته تلك الخرافات مع سكوته منه عفي عنه

شعر : ودهر ناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث كبار

ونحن لا نكذب أصل القصة ولا انهزام الاتراك وانما نكذب الوصف والكيفية وقد يفهم من كلام عاصم افندى عند بيانه احوال سفير الروم والانيتنوس السابق ذكره وقوع الخاقان دوپوفى تهلكة عظيمة فى حدود التاريخ المذكور ونجاته منها حيث قال يظن أن السفير والانتينوس المذكور لم ير ولم يشعر التهلكة التى نجا منها الخاقان المذكور فى التاريخ الذى ادى وظيفة سفارته وهى سنة ٥٧٥ م فان هذا من قبيل التصريح بالوقعة المذكورة ان لم يكن مرادها بها غيرها فيحتمل ان يقع له انهزام وانكسار وان لم يقتل ويؤسر مع مخالفة كيفية المحاربة وكمية الجيشين لما ذكروه والحاصل ان الانكار متوجه الى الوصف والكيفية لا الى الاصل كما فى نظائره مما بولغ فيه والملاحظة فى تاريخ وفاة (١) انوشروان وتملك هرمز وفى وقوع هذه الوقعة بعد ١٢ سنة من تملكه تقتضى كون الوقعة المذكورة فى حدود سنة ٥٨٥ او بعدها لا قبلها الا ان النظر الى تواريخ آخر يقتضى صحة كونها فى ٥٧٥ سنة ايضا على ما مر والحاصل لما كانت اقوال المورخين متناقضة فى وفياتهم وتملكهم لا يمكن تعيين تاريخها حتى ان ما ذكر فى خلاصة تاريخ العرب من ان خسرو پرويز ارسل الجيش الى اليمن لاخراج الحبشة منها فى سنة ٥٧٥ م (٢) يقتضى كون الوقعة المذكورة قبلها فضلا

(١) فانه يفهم من التواريخ المنقولة عن تواريخ الافرنج كون مبدأ ملك انوشروان فى سنة ٥٢٣ ومدة سلطنته ٤٨ سنة على الصحيح فتكون وفاته على هذا ٥٧١ سنة وايضا لا شبهة فى كون ولادته صلى الله عليه وسلم فى عصره وان لم يصح ما نسب اليه من قوله ولدت فى عصر الملك العادل وولادته صلى الله عليه وسلم فى ٥٧٠ سنة فلا يسعى ان يكون وفاته قبلها وقد قال ابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم ولد فى آخر ملكه وقال قيل ولد بعد ان مضت من ملكه ٤٢ سنة اه والاول اصح فاذا ضممنا الى سنة ٥٧١ وفاة انوشروان اثنى عشرة سنة التى بين مبدأ ملك هرمز وبين سنة الوقعة كانت المجموع ٥٨٣ سنة ويؤيده قول بعضهم ان هزم خسرو پرويز بهرام بمعاونة الروم وقع فى سنة ٥٩٠ فانه يقتضى ان يكون موخرا عن الوقعة المذكورة على الاقل ٥ سنة والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

(٢) لكن هذا غلط بلا شبهة فان خسرو پرويز لم يملك فى السنة المذكورة بلا شبهة فان هذا القائل هو الذى قال ان هزم خسرو وبهرام وقع ٥٨٠ سنة والذى ارسل الجيش الى اليمن لاخراج الحبشة هو انوشروان فيكون قبل سنة ٥٧١ وفاته قال ابن الاثير بعد قوله السابق ان انوشروان غزا البرجان وارسل جنده الى اليمن فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد اه. منه عفى عنه.

عن تأخرها منها فان تملك خسرو پرويز بعد الوقعة المذكورة والله سبحانه اعلم

ذكر وقوع الخلاف بين كسرى هرمز وبهرام چوبين وانجراره الى فرار بهرام الى بلاد الترك والتجائه الى الخاقان وبعد هذه الوقعة فسد ما بين كسرى هرمز والقائد المذكور بهرام چوبين لوشاية الوشاة وسعاية الساعين بالفساد وهو فى محل المعركة لم يرجع بعد الى منزله ووقع بينهما اختلاف عظيم حتى انجر الامر الى المحاربة وسمل عينى كسرى هرمز وعزله ففر ولده خسرو پرويز الذى مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ومزق الله ملكه بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم عليه بذلك الى بلاد الروم والتجاء بالقيصر موريق واستنجده على بهرام چوبين فانجده بمقدار كاف من العسكر والمال فانتصر عليه فانحاز بهرام الى خراسان فخابر خاقان الترك من هناك واستأذنه فى المصير اليه فاذنه الخاقان فاخذ اخته المسماة كردية المماثلة له فى الشجاعة وخواص اصحابه وذهب معهم الى بلاد الترك والتجأ بالخاقان فاكرمه الخاقان (١) واعطاه المناصب العالية لاجل شجاعته ودرايته **قال المسعودى** ان للفرس كتابا على حدة فى احوال بهرام چوبين عموما وفى بيان تخليصه ابنة خاقان الترك من الحيوان المسمى بسمع (لعله سيمرغ) خصوصا وحيله ومكائده التى ظهرت منه فى بلاد الترك اه وبالاخرى ارسل خسرو لزوجة خاقان الترك هدايا ثمينة والتمس منها ان تحتال فى قتل بهرام ففعلته وقتلته وارسلت

(١) قلت وهذا ايل ساطع وبرهان قاطع على كذب القول السابق اعنى القول بقتل بهرام خاقان الترك واسر ولده اه اوضح هذا القول كيف يقبله الخاقان الذى ملك بعده وهو لاشك ابن المقتول او اخوه او احد قرابته على الاقل مع انضمام قبح كفران ولى نعمه والخروج عن طاعة متبوعه الى جارته على الخاقان وكيف يعطيه المناصب العالية بل يدل هذا على ان سبب غضب هرمز عليه ليس ماذكره المورخون بل كان بين خاقان وبهرام اتفاق سرى على ضرر هرمز وعلى الاقل يدل ذلك على صدور قصور عنه فى المحاربة ولو فرضنا ان التفات الخاقان اليه ليس لذلك وفرضنا صدق ما ذكره المورخون لدل صنيع الخاقان هذا فى حقه على وجود مايعد الان من كمال المدنية اعنى احترام المحارب اذا اسر والتجأ الى محارب آخر فى الاتراك فى ذلك العصر بل على وجودا على منها فانه لايعطى الان الاسارى المناصب قط فضلا عن العالية منها . منه عفى عنه.

رأسه الى كسرى باخراجه من الناووس الذى كان الخاقان وضعه فيه فعلقه كسرى امام قصره فلما اطلع الخاقان على ذلك غضب عليها وطلقها **يقول جامع هذه الحروف** وقد نجز وتم هنا مارمنا بيانه من احوال قدماء الترك ومعاملاتهم مع جيرانهم من الصينيين وقدماء الفرس والروم على حسب جهدى العقير اجمالا واومأنا اثناء البيان الى احوال قدماء الفرس ايماء يصلح ان يكون مدخلا لتاريخ الفرس وكذلك نفعل ان شاء الله فى حق الروس ايضا **قال المورخ الشهير المسعودى** فى حق كتاب من كتب تواريخ الفرس انهم يعنى الفرس يعظمون هذا الكتاب لكونه متضمنا لاخبار اسلافهم وسير ملوكهم اه **ويقول** هذا العاجز لما كان كتابى هذا متضمنا لاحوال قدماء الفرس اجمالا بل لزبدتها واهمها واحوال الروسية ايضا كذلك علاوة على ذكر اسلافنا قدماء الترك وسير ملوكهم ومناقبهم الجليلة وغير ذلك من الاخبار النادرة رجوت ان يوجد فى قومنا الذين لا ازال اقاسى الشدايد واساب راحتى واجلب لنفسى التعب والمشقة واظماء نهارى واسهر ليالى واحبس نفسى على الكتابة والتحرير والتفتيش والتنقير حين تفرج امثالى فى المنتزهات والبساتين فى جمعه وتلفيقه وتطبيق الاخبار المتضادة (١) لاجلهم واستفادتهم مقدار اصابع يدى اللتين امسك باحديهما الورق وبالاخرى القلم واكتب ممن يعظمه ويعرف قدره ويدعو لى بخير فان تقدير الاثر ومقدار صاحبه انما يكون على قدر تقدير مندرجات الاثر المذكور وارباب تقدير مندرجات هذا الكتاب فى يومنا هذا من قومنا

---

(١) وقد بذلت غاية جهدى فى تطبيق القول المتضادة بعضها ببعض واستخراج تواريخ الوقايع بالاستدلال مع عدم ذكرها فى واحد من ماخذى وان انجر الى الاطناب والتطويل ليكون اثرى الحقير صالحا للاستفادة والانتفاع به وهذا القدر شىء كبير كثير لمثلى الذى ينشوى بشحمه من غير معاونة من طرف احد كما قال القائل شعر: نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * والحاصل انى لاافتخر بانى بلغت كنه الامر بل اقول قد اظهرت رأس الخيط ونتوقع التحقيق والتدقيق المطابقين للواقع من الفضلاء الذين يحصلون الان فى بعض مدارس آوروپا التى هى معادن المعارف بمعاونة اهل الاحسان من قومنا على ان الذين حصلوا المعارف فى بخارى التى هى بستان المعارف بمعاونة اهل الثروة ليسوا بمفقودين ايضا فيرجى منهم زيادة التحقيق. منه عفى عنه.

لابزيدون هذا القدر والمافون فغاية ماترجو من خيرهم السلامة من حرح السنتهم وقدوقع الفراغ هنا من تلفيق القسم الاول من المقدمة وجمعه ولنشرع الان فى تلفيق القسم الثانى منها وجمعه * **القسم الثانى من المقدمة** فى بيان احوال الاقوام التركية الذين كانوا جيران قوم بلغار الذين ذكرهم هو المقصد من هذا الجمع والتلفيق واستوطنوا فى الاوروبا الشرقية المشهورة الان بالروسية الجنوبية والصغيرة وذكر وقائع مشاهيرهم على سبيل الاجمال وهو اقتراب من المقصد بخطوات كثيرة بل بمسافة وسيعة والاقوام الذين نذكرهم منهم هؤلاء ١) **السيتيا** ٢) **السرماتيا** ٣) **اللان** ٤) **الهون** ٥) **الآوار** ٦) **الخزر** ٧) **البجناك** ٨) **القفچق** ٩) **الماجار** ١٠) **الباشقرد** ١١) **البرطاس** ولا اهمية لماسواهم بل يذكرون استطرادا اوبترك ذكرهم راسا (١) ١) **السيتيا** ٢) **والسرماتيا** ويقال للسيتيا السيت والاسكيت واسقوتية واسكيف واسكيتس ايضا ولا شك ان هذه الالفاظ المختلفة الظواهر منحرفة ومنشعبة فى الحقيقة من اصل واحد ومرادفة عند قدماء الروم والافرنج للترك والتتار وليسوا قوما مخصوصين مسميين بهذه الاسماء من الترك والتتار كمايظن فى بادى الراى وقد صرح رفاعة بك فى كثير من مواضع من جغرافياه بذلك حيث قال ان اسقوتية امم كثيرة كانوا يسكنون فى الاراضى التى بين نهرى الطونة والدون (تن) وهم منقسمون الى قبائل اشهرهم بالقوة والسطوة فرق كانوا يسكنون على شطوط نهر تانيس (تن) تسمى

---

(١) وانما ذكرت سرماتيا مع سيتيا لارتباط احوال احدهما باحوال الاخر كماترى . ولايذكرهم رفاعة بك فى جغرافياه الابعنوان اسقوتية بالتا والثاء وكارامزين باسكيف واسكيت وفى تاريخ اسكندر باسكيتس واحمد مدحت افندى فى الكائنات بسيتيا وينبغى ان يعلم ان اسقوتية المذكورة فى كلام رفاعة بك غير اسقوچيا الذين فى بلاد انكليز . منه عفى عنه .

الاسقونية السلطانية وعلى الشرق منهم الاسقوتية الرحالة النزالة وكانوا يعيشون بمواشيهم فى سهل بشمال فريم والى الآن لم يزل هذا السهل على حاله لا يخرج به شجر ولا حبوب * ثم ان اسقوتية على كلام هردوط فرقة من امة السافة وهى امة عظيمة رحالة نزالة على شرق بحر الخزر فى آسيا ووصل اسقوتية منها الى آوروپا بعد عبورهم نهر ارکسیس وهو نهر ذو اربعة مصاب وهو نهر الروس او نهر اتل ثم ان هردوط عرف ورسم محال اسقوتية الواسعة وكان الاسقوتيون يحكمون جميع الاراضى التى فى شمال بحر نيطش (يعنى البحر الاسود) وبحيرة ماوس (يعنى بحر اوراق) وكانت محدودة من احدى جانبيها ببحر طونه ومن الجهة الاخرى ببحر تنايس (دون) ويرى هردوط ان ارضها احدى الاراضى الكثيرة الاهل وقد تلاقت جنود الاسكندر مع الاسقوتيين فى آوروپا وآسيا فى آن واحد ومن زمن متريداطس الاكبر محى استقلال الاسقوتيين وكان زمان متريداطس الاكبر آخر استقلال امة الاسقوتية فى آوروپا ومن زمن متريداطس لم يذكر الاسقوتيون الا فى معرض الاختلاف فى انهم امتزجوا بالفاتحين لبلادهم (يعنى هل انقلبوا على المستولين على بلادهم وصاروا اياهم) وهم السرماطة اوابادوهم بالكلية اوهربوا الى الشمال الشرقى اما فقد صرح هنا ان الاسقوتية استولت عليهم السرماطة وكذلك ذكر فى موضع آخر ايضا ان الاسقوتية خلفتهم السرماطة وانهم دخلوا فى طاعتهم وقال فى موضع آخر وكان من قوة الاسقوتية ان تخرج متد الى فارس وقال واذا لاحظنا وجود اوصاف الاسقوتية فى الپرميين والفينيين وغيرهم من الامم الشمالية يمكننا ان نحكم بان تلك الامم من بقايا امم الاسقوتية العظيمة التى تمتد بلاد آوروپا وقال ومن شاطيء سيحون (سير دريا) وشاطئ الاتل فى الغرب تمتد بلاد اسقوتية شمالا الى ارض مجهولة ومن جهة الشرق الى ماوراء سلسلة جبال ايمابوس يعنى بلور وجبال اويغور الى ان قال فلا نطيل البحث عن تلك القبائل المسماة اسقوتيا آسيا التى يظهر لنا انها تتار

الاعصر الوسطى اوالترك وقال ان اسقوتية آوروپا هم من الجنس المسمى الآن التتار او الترك وقال وفى الجنوب الشرقى من الامم الفنية جهة بحيرة آرال سفح جبال آلتاى الاطاع كانت تسكن امة الترك (١) وعلى البعد من ذلك تسكن امة الاويغور والظاهران كلا من هاتين الامتين من بقايا اسقوتية آسيا وقال وعلى شرق هذه الاقاليم المتسعة التى كانت الغوت والهون والسرماطة والاسلاوان تتحارب وتكر وتفر ويتبع بعضها بعضا كان يسكن بواقى اسقوتية آوروپا المعروفين باسم جديد يعنى تتار وقال فى معنى كوه قاف (كافكازيا) انها مركبة من كلمة فارسية ومن كلمة اسقوتية اى تتارية قديمة وقال فى بيان اقليم الهند وملوكها ولما كان سمت ممالك هذه الملوك موافقا لسمت البلاد التى سماها بطلميوس هند اسقوتيا ولسمت البلاد التى سماها قسماس بلاد الهون اوالهنس الابيض فلا مانع من ان يقال ان هذه الاقاليم الهندية قد وقع بها هجوم طوائف اتراك اوتتار ومقل قبل زمان الاسكندر الاكبر بل وقع منهم الهجوم مرارا عديدة على تلك البلاد الهندية اه ماتعلق غرضنا به وهذا القدر كاف فى اثبات المقصود اعنى ان الاسقوتية عبارة عن الترك والتتار والافهو قد ذكر كون الاسقوتية عين الترك والتتار فى الف موضع من جغرافياه المترجمة من الفرانساويه الى العربية فانه لافائدة فى الاطالة والاطناب بنقل كلها بعد اثبات المدعى بنقل هذا القدر ولكنه بقى واحد منها المتمم للعشرة اعلى واغلى واصرح فى المقصود نجعل به هذه المقدمة مسكية الختام بذكره فى آخرها قبل الشروع فى المقصد الاول ان شاالله تعالى لكثرة مناسبته لهذا المحل فارجع هناك من الان ان شئت والحاصل ان قدماء الترك والتتار كما انهم ذكروا عند الصينيين بعنوان هيونغ نو كذلك ذكروا عند قدماء الروم واليونان وعند الافرنج ايضا تبعا لهم بعنوان سيتيا واسقوتية واسكيت الخ وقيل للذين كانوا فى آسيا اسقوتية آسيا وللذين كانوا فى آوروپا اسقوتية آوروپا باضافة اسقوتية الى آسيا وآوروپا والذى مدّ رفاعة بك سابقا هومساكن

(١) يريد بهم القوم الذين ذكروا بعنوان توكيو. منه عفى عنه.

اسقوتية آوروپا وما حده اخيراهو مواطن اسقوتية آسيا ولكن ينبغى ان يعلم ان هذا التحديد تقريبى وباعتبار بعض الاوقات لانه لم تبق امم القرون المذكورة على قرار واحد كما يعلم من وقايعهم وكما ينقل ذلك صراحة عن كارامزين ولننقل الان اقوال من سواه المتعلقة باسقوتية قال الفاضل الكاتب چلبى فى كتابه المسمى بجهان نما ان تتارستان التى تكتب تاتاريا ويقول لها اليونانيون واللاطينيون سيتيا والعبرانيون مأجوج هى على نهرتن (دون) الفاصل بين آسيا وآوروپا وانما قيل لها تتار بالاستلاء طوائف التتار عليها قبل هذا الوقت بثلاثمائة سنة والمتقدمون قسموا هذه القطعة الى قسمين ونحن نقسمها الى ثلاثة اقسام * سرقا ٢) سيتيا ٣) سرماتيا * فالسرقا هى مملكة الصين والخطا * والسيتيا هى مملكة چغطاى والسرماتيا هى التتارستان وحدودها من بحر شروان يعنى الخزر ونهرتن وبحيرة الخطا يعنى بحيرة آرال وبايقال اوهو الظاهر ومن درجة (س) الى (فك) طولا ومن درجة (نه) الى (سز) عرضا شمالها واكثر محالها برار مستوية وهى الصحراء المعروفة فى سائر الكتب بدشت قفچق واهلها منقسمة الى قبائل ويقال لكل قبيلة اوردو ولهم قلاع فى بعض المواضع واورد وقزان معتبر فيما بينهم ويتبع لهذا الاوردو ثلاث قبائل وقت الجهاد هؤلاء ممتازون عن سائر القبائل بالحرب رجالا ولهم مهارة تامة فى الرمى لايتخلف سهامهم عن الهدف اصلا ويخرج من هذا الاوردثلاثون الفا من الغزاة ولهم بلدة على شاطئ نهر اتل تسمى قزان اه فدل اول كلامه على ان مراد اليونانيين وامثالهم بالسيتيا هو التتار وهو المقصود وان كان مابعده يوهم بخلافه وهو فى الحقيقة وهم بنفسه والحق ماعليه الجمهور الآن من مرادفة سيتيا ونظائره الترك والتتار وقوله سرقا وهذه الامة ايضا معروفة عند الافرنج وربما يقال لها ساقا كما مر عن رفاعة بك عن هردوط وترافا وساغا وهذه ايضا الفاظ تشعبت عن اصل واحد بالغلط والتحريف والظاهر انها محرفة من لفظ توركى او الاتراك فقول الفاضل الچلبى فالسرقا هى مملكة الصين والخطاخطأ وسبق قلم قال ابن بطوطة فى رحلته المشهورة عند بيان دخوله القسطنطينية فى رفاقة بيالون خاتون زوجة السلطان محمد اوزبك خان ابنة قيصر الروم

ولما وصلنا الى الباب الاول من ابواب قصر الملك وجدنا به مائة نفر من الحراس معهم قائدهم فوق دكانه وسمعتهم يقولون سراكنو سراكنو معناه المسلمون اه
قلت لاشك ان لفظ سراكنو هو سراقا وليس فى حروف الروم والافرنج حرف القاف بل فيها الكاف فقط وانما قالوا سراقا فيما نقلوا عنهم تعريبا والنون فى آخره يمكن ان يكون غلطا فى سماعه او يكون اصل اللفظ المذكور من محرفات الالفاظ المذكورة وتفسيره بالمسلمين لاينافى كون سراكنو وسراقا وترا كامحرفا من لفظ تورکی او الاتراك بل يؤيده لان الاتراك لما كانوا مسلمين كان معنى سراكنو الذى هو محرف توركى او الاتراك عين المسلمين لكونهما كالمرادف بين عندهم كما ان لفظ الافرنج والروس والانكليز كالمرادف للنصرانى عندنا ولفظ التتار وچواس كالمرادف للمسلم عند الروس وچرمش الى الان ويقال للروم ايلى اوارض روماناعند الافرنج داكيا وداكه ولا بعد فى القول بكون هذين اللفظين ايضا محرفا من ساقه الذى هو محرف من تورك خصوصا اذا لاحظنا تعريف الصينيين اياه الى توكيو فيكون تسميته به لاستيلاء الاتراك عليها كما مر ويذكر والله سبحانه اعلم قال كارامزين ان اليونان قد ذكر والاقوام الذين كانوا يقيمون فى شمالى البحر الاسود يعنى فى الاروپا الشرقية المسماة الان بالروسية الجنوبية باثنى عشر قرنا قبل الميلاد مثل البوسفور والخزر (١) وكيمريان وتاوريد وقد ذكرهم هردوت ايضا فى تاريخه الذى كتبه فى سنة ٤٤٥ قبل الميلاد وقد بنوا بساحل نهر دينيپر على اربعين ويرستا من مصبه بلدة تسمى (اولويا) وذلك قبل الميلاد بخمسة قرون او اكثر وقد دامت هذه البلدة الى طر والضعف على الربع وايضا كانت بلدة (پانتيكاپيه) و(فناغورية) كرسى سلطنة امارة البوسفور التى كانت موسسة من طرف يونان آسيا وكانت بلدة (تنايس) التى تسمى الآن باوزاق ايضا لهم واما بلدة خرصون التى بقريم (ابتداء بنائها مجهول) فقد دامت على استقلالها الى عصر متريداتس وقد اخبرت سكنة بلدة اولويا لاهل اوطانهم يعنى لليونانيين اخبارا صحيحة فى حق احوال الروسية

(١) وهؤلاء الاقوام وان لم يكونوا اسقوتيه وسرماتيا الا انهم لما كانوا فى القطعة المذكورة مجاورين لهم ولوجود فائدة مافى ذكرهم كما ترى ذكرناهم هنا استطرادا . منه عفى عنه.

الجنوبية والكيمريان الذين مر ذكرهم من جنس قوم تسميريان الذين في كيرمانيا طردهم الاسكيف اوالاسقولوط الذين كانوا يعيشون سابقا في ولايتي غرصون ويكاتر ينصلاو في عصر كير (لعله كيروس) ملك الفرس وهؤلاء الاسكيف كانوا يعيشون اولا في شرقي (١) بحر الغز فطردهم من هناك (٢) المساعيون فعبر وانهر وولغا بعد نهبهم قطعة آسيا واستقر وا اخير ابين نهري ايستر وتنايس (يعني طونه اودينستر ودون) وقد اتلف ملك الفرس الكبير دارا كثيرا من جيوشه القوية حين اراد الانتقام من هؤلاء الاسكيف انهبهم وعاراتهم قطعه ميديا (اذربيجان) وكان هؤلاء الاسكيف او الاسكيث يسمون باسماء شتى ويعيشون على حالة البداوة ورحالة نزالة مثل امة القرغز وقالمق الآن وكانوا يحبون الحرية والمعيشة على اختيارهم من غير تحكم احد عليهم اكثر من كل شئ ولم يكن عندهم معارف وصناعة الا انه كانت لهم مهارة تامة في الحرب كانوا يهجمون على العدو دفعة واحدة ويرجعون دفعة واحدة ومع ذلك قبلوا لانفسهم وفيما بينهم مهاجري اليونان واخذوا منهم المعيشة المدنية قبل الكل وكان خانهم وملكهم بنى في بلدة اولويا قصرا عظيما ملوكيا وزينه بانواع زينة اليونان وقد حدث من اختلاط اليونانيين مع الاسكفيين وازدواج بعضهم ببعض اخلاط من الناس كانوا يسمون كلاپيد وكانوا يسكنون

---

(١) وهذا عين مامر عن رفاعة بك ومايجئ عنه في آخر المقدمة فتنبه منه عفى عنه.

(٢) ويقال لهؤلاء القوم مساعي ومسا كيت وماساژيت ومسايطه ايضا والذى ذكره ابن الاثير عند بيان احوال انوشروان بقوله مسقط فالمراد به هؤلاء القوم بلاشبهة وهم ايضا قبيلة من اتراك آسيا وقال بعضهم انهم عبارة عن اسكيت آسيا وقال كارامزين ان هردوت لما ذكر الاقوام الرحالة النزالة في جهة الشمال من بحر الخزر ذكر بعدهم قوم مساعي الذين غلبوا على كير (كيروس) ملك الفرس وقال انهم كانوا يسكنون في البرارى التى يقال لها الان برية قرغز يعنى دشت القفچق وانهم كانوا يشابهون الاسكيف ويتحلون بالذهب وكانوا لايستعملون الفضة والحديد وكانت اسلحتهم من الصفر والنحاس اه وقال في تاريخ اسكندران اهالى سغد التجاؤا الى المسايط الذين هم طائفة من اسكيتس يعني بعدان استولى اسكندر على صغد وقال في هامشه ان طائفة مسايطة هم اهالى تركستان الكائنين على نهر سيحون (سيردريا) اه. منه عفى عنه.

فى غربى اولويا وكانت الطائفة المسماة آلازون (لعلهم الذين سماهم رفاعة بك الاسقوتية السلطانية) من الاسكيف يقيمون بشاطئى نهر غيبانيس المسمى الان بوغا والطائفة الزراعون منهم كانوا يسكنون فى كل طرف من طرفى نهر دينبير والجهة الشمالية وهؤلاء الطوائف الثلاث يعنى كلاپيد والازون والزراع كانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة وكان بين الطائفة الزراعين منهم على بعد مسافة اربعة عشر يوما من مصب نهر دينبير بساحله فى اعاليه مدفن ملوك الاسكيف ومقابرهم وكان يعد موضعا مقدسا عندهم وغير قابل التسخير لعدوهم على زعمهم وكان اوردوهم يعنى فيلقهم الاول وطائفتهم الاولى التى فيها سلطانهم كانت تتردد فى جهة الشرق راحلين نازلين حتى كان ينتهى سيرهم الى بحر ازاق ونهردون وقريم وكان بها يعنى بقطعة قريم قوم تاوريدوهم قوم يحتمل كونهم من جنس كيمريان المار ذكرهم وقد كان هؤلاء القوم يذبحون (١) الغرباء من الناس لالهتهم ومعابدهم التى كانت على جبال سيواستاپول الان وكان يسكن على جهة الشرق من نهردون يعنى فى برية حاجى طرخان قوم كانوا يسمون سرماتيا (چرميش) وعلى قول ايغور الذى كان فى حدود سنة ٣٥٠ قبل الميلاد ان الاسكيف وان اختلطوا بالروم المتمدنة مدة مديدة لم يتركوا الا فتخار بمعاملة اجدادهم الوحشية وقد فارق (٢) وطنهم الفيلسوف الشهير انا خريست تلميذ الفيلسوف سولون حياته لمحاولته تعليم قوانين آثينا (آتينا) وعاداتهم ومعارفها اياهم وكانوا لايبالون باعدائهم اعتمادا على كثرتهم وشجاعتهم وكانوا

(١) وقد خلفهم الروس الآن فى تعظيم تلك المواضع واتخاذها اديرة ومناستير ومواضع الاصنام والاوثان. منه عفى عنه.

(٢) ولاتنس نصيبك مما تقدم آنفامن انهم اول من اخذوا المدنية من اليونان ولاتنس حصتك ايضا مما قدمنا ان عادة قوم ترى مستكرهة لقوم آخرين ليسوا عليها وان كانت مستحسنة فى حدذاتها واما هلاك الفيلسوف اناخريست فلم يكن لمحا ولته تعليم مدنية اليونان بل لمحا ولته تعليم عبادة الاصنام ووثنية اليونان التى هى مستقبحة فى الغاية عند الاسكيف وعند كافة ذوى العقول امثالهم وسيجئى ترجمة حاله فى آخر المقصد الاول انشاءالله تعالى وتنكشف هناك جلية القضية. منه عفى عنه.

يشربون دماء أعدائهم المقتولين ويسلخون جلودهم ويدبغونها ثم يصنعون منها البسة ويلبسونها ويجعلون قباب رؤسهم كوءسا وظروفا يشربون بها الماء وكانوا يسجدون للسيوف وقد شرعت قواهم فى التنزل من عصر فيليبوس ابى اسكندر الماكيدونى وعلى قول واحد من المورخين المتقدمين ان فيليبوس غلب الاسكيف غلبة تامة لابالقوة والشجاعة بل بالحيلة والخدعة ولكنه لم يجد فى نتيجة غلبته وانتصاره عليهم شيأ من الفضة والذهب فى مساكنهم بل لم يجد فيها شيئا سوى الصبيان والنساء والشيوخ الهرمى وقد ضيق متريداتس اوپاتور عليهم بعد تملكه السواحل الجنوبية (١) للبحر الاسود واستيلائه على مملكة بو سفور وقد انمحت وفنيت قوتهم الاخيرة فى غزوة الريم اوروما (الروم) وقوم غوت الذين كانوا يسكنون بفراكية وان كانوا مغلوبين من اسكندر الماكيدونى بساحل نهر طونه ولكنهم نزعوا الاراضى التى بين نهرى طونه ودينيپر من ايدى الاسكيف وغلبوهم عليها فى عصر رئيسهم المسمى بربست قبل الميلاد بسنين علاوة على كونهم عدوا مخوفا للروم وبالاخرى دخلت السرمات (چرميش) الذين كانوا يسكنون بقرب نهر دون اراضى الاسكيف واستولوا عليها وعلى قول ديودر الصقلى ان السرمات قتلوا الاسكيف قتلا عاما وابادوهم بالكلية او قلبوهم الى انفسهم ومزجوهم بهم بحيث تلاشى وجود الاسكيف وانعدم من العالم بالكلية ولم يبق منهم غير اسمهم المشهور ومع ذلك سمت الروم الذين لهم بضاعة مزجاة (٢) من العلم والمعرفة الاقوام الذين ليس لهم اى للروم علم بهم لبعدهم عنهم باسم الاسكيف اما ما ذكره كارامزين

---

(١) كذا فى ترجمة الاصل والصواب الشمالية كما لا يخفى ولعلها فى الاصل كذلك. منه عفى عنه.

(٢) كان اول الكلام ان يونان آسيا قد اخبروا اهل اوطانهم من يونان آوروپا اخبارا صحيحة فى حق الاساكفة وآخره المنقول عن ديودر كان بعكس ذلك ووجهه اختلاف مشارب المورخين واغراضهم والصحيح بالنظر فيما سبق من النقول لاجهالة فى تسمية الروم الاقوام البعيدة عنهم بالاسكيف. منه عفى عنه.

وقد اشرنا فيما سبق الى تضييع اسكندر الماكيدونى جملة صالحة من اوقاته واتلاف كثير من عساكره بمحاربة قوم اسكيتس آسيا وتركستان فى اقليم صغد من ماوراء النهر وسفره الى طرف الهند من غير ان ينال مقصده ويفوز ببغيته والحاصل كما انه اتلف كثيرا من بلوكات ومفارز من عساكره كذلك ذكر فى تاريخ اسكندر رجوع اربعين فارسا وثلاثمائة راجل فقط الى اسكندر من كامل الاوردو (الفيلق) من عسكره الذين كان ارسلهم لمحاربة طائفة من اسكيتس الذين كانوا يسكنون فى شمال نهر سيحون (۱) (سير دريا يعنى فى تركستان) وقال فى التاريخ المذكور ايضا وكانت طائفة آويا من اسكيتس الذين هم من قبائل التتار القدماء متمكنين فى ممالك آوروپا وكانوا مشهورين بمزيد فقر الحال وخصوصا بالانصاف والحقانية وكانوا مستقلين بحكم انفسهم ومطلقى (۲) العنان لذلك حتى ان الشاعر اليونانى الشهير اوميروس ذكرهم فى آثاره واشعاره بالانصاف والحقانية ومدحهم بالتفوق فيها على عامة البشر وبعد مرور ايام من دخول اسكندر ماوراء النهر جاءه سفراء الطائفة المذكورة وسفراء طائفة اخرى من اكبر واعظم قبيلة من اسكيتس المقيمين باوروپا فصرفهم اسكندر بعد ادائهم الرسالة الى اوطانهم وارفق لهم

(۱) وفى الاصل مكتوب بنهر پولتيموس وسيحون مشهور عندهم باوقسارت كما ان جيحون مشهور باوقسوس الا انه لما لم يكن هناك نهر موصوف بالاوصاف المذكورة فى الاصل غير سيحون حملناه عليه. منه عفى عنه.

(۲) يعنى من ان يحكم عليهم احد فان الاحتياج الى حكم الحاكم لدفع ظلم الظالم فاذا لم يوجد الظلم بل وجد اضداده من الحقانية والانصاف والعدالة فلم يحتاج الى الحاكم وقد قيل لو انصف الناس لاستراح القاضى وانا اقول لو انصف الناس لما يحتاج الى القاضى فهذا هو غاية المدح والاوروپاويون وان كانوا مولعين برمى الشرقيين عموما والاتراك خصوصا بالوحشية وعدم المدنية دائما الا ان تواريخهم تكذبهم فى ذلك وترد عليهم قولهم ببيان تمدن الاتراك وتفوقهم على عامة البشر فى احسن الاوصاف الحميدة فى قرون قديمة جدا لا يعرف الاوروپاويون فيها التمدن قط بل لم يسمعوا فيها لفظه واسمه فمن اراد ان يعرف احوالهم فيها بل فى قرون متأخرة عنها جدا فلينظر الى ما قدمنا عن دراپر الامريكى فى بيان احوالهم قبل هذا التاريخ بـ ٤٧٥ سنة يعرف احوالهم فى تلك القرون بالمقايسة عليها. منه عفى عنه.

عـدة انفار من مقربيه سفراء اليهم لعقد روابط الصلح والاتفاق معهم فى الظاهر وجواسيس للاطلاع على مسالك بلادهم واخلاقهم وعاداتهم ومقدار نفوسهم وقواتهم وكيفية قتالهم ومحاربتهم واسلحتهم فى الحقيقة ثم عادت سفراء اسكندر ومعهم سفراء اخرى من حاكم اسكيتس فاخبروه ان حاكمهم الاول قد توفى قبل وصولهم اليه وملك مكانه اخوه وكان المقصد من ارسال هؤلاء الرسل الاعلام بالمودة وحمل الهدايا الثمينة لاسكندر والاعلام بان كلما يكلف به اسكندر تقبل الطوائف الاسكيتية واظهار الرغبة فى ايقاع قرابة المصاهرة بينهم وبين اسكندر بان يتزوج اسكندر ابنة ملك اسكيتس او يتزوج كبراء امرائه ببنات كبراء امراء اسكيتس ان ابى اسكندر عن التزوج وذلك لتأكيد الموالاة والاتفاق الذى بينهما وانه يعنى حاكم اسكيتس مستعد للحضور عنده ان اراد ذلك فاكرمهم اسكندر وعاملهم بالملايمة والمعاملة المناسبة للوقت والحال واعادهم الى اوطانهم قائلا ان وقته لا يساعده الآن التزوج خصوصا بواحدة من بنات طائفة اسكيتس اهـ قال بعض (١) فضلاء محررى العصر فى القسم المتعلق باحوال الروسية من تاريخه ان اول قوم علم فى الروسية الجنوبية من الاقوام الشرقية ملة تسمى سرمانيا (چرميش) كانت هؤلاء يسكنون فى القطعة التى بين بحر البلطيق والبحر الاسود وبحر الخزر وبعدهم عرفت ملة فى جهتهم الشرقية من قطعة آسيا تسمى سيتيا وكان يظن (٢) بناء على المناسبة العظيمة بينهما انهما ملة واحدة ولكن اخبر التاريخ اخيرا انهما ملتان لا ملة واحدة ويخبرنا الآن يعنى التاريخ بالمعلومات الآتية سيتيا وسرماتيا السيتيا متقدمة على السرمانيا من جهة القدم يعنى الوجود ومن جهة الجسامة فانهم يعنى السيتيا قديمة جدا حتى ان

---

(١) الفاضل الشهير احمد مدحت افندى فى تاريخه العمومى المسمى بالـكائنات. منه عفى عنه.

(٢) قلت وهذا الظن وبيان موضعها على هذا الوجه مختصان بهذا الفاضل والا فكونهما ملتين وكون مواضعها بخلاف ذلك معلوم من البيان السابق واللاحق. منه عفى عنه.

التوراة تبحث عنهم حيث قيل فيها ان سيتيا (١) ولد الماجوج وماجوج ولد يافث ويافث ولد نوح وهذا اذا سلم انه خبر سماوى وغير محرف فاما ان لم يسلم ذلك فيمكننا ان نقول بناء على وجود ملل كثيرة فى آسيا ليسوا من ذرية نوح بل من ذرية من قبله على بيان التواريخ (يعنى تواريخ الصين والهنود والفرس والمأخوذة منها) ان سيتيا من اقدم الملل المنتشرة فى اقاصى آسيا ثم منها الى آوروپا آتية من طرف الهند والصين واعظمها * كانت الملة المذكورة ممتدة من نهر ويستولا المنصب فى بحر البلطيق الى منتهى حدود آسيا الشرقية بحيث كانت مملكة الروسية الان بكمالها وتمامها آوروپية وآسيوية داخلة فى حدود اراضى هذه الملة وحيث كانت الحدود الاسيا الشرقية والشمالية غير معلومة فى العصر المذكور يمكن تعيين حدود مملكة هذه الملة العظيمة واوطانهم الجسيمة من شرقى ويستولا وشمالى نهر طونة والبحر الاسود وبحر الخزر ومملكة الصين وقد اعتبر بعض ارباب الجغرافيا القديمة حدودهم من نهر اورال دون نهر ويستولا على ما حررنا ويعدونهم بناء على ذلك من الاقوام الاسيوية

---

(١) اعلم ان نسب بنى البشر مبين فى سفر التكوين واخبار الايام الاول من التوراة ويعد فيهما الماجوج من اولاد يافث الصلبية ولكن لاذكر فيهما لسيتيا فضلا عن بيان كونه ولد ماجوج بل لا يذكر فيهما من اولاد يافث غير اولاد جومر وياوان نعم يذكر فيهما سبتا بالباء الموحدة بين السين والتاء من اولاد كوش بن حام بن نوح فيحتمل ان يتوهم هذا الفاضل من هذا وان كان بعيدا او يحتمل ان يأخذه عن تفسير التوراة تالموت اوغيره من الاسرائيليات وقد ثبت عن جمع من المورخين كون سيتيا من الترك والتتار وقد مر تحقيق كون الترك ولد يافث من صلبه او كون حفيده او حفيد ولده وان يأجوج على تقدير صحة مايقال انه توراة اخوه اعنى اخو الترك او عمه او عم ابيه فلامعنى لجعل سيتيا من اولاده اومقدما على نوح مخالف النص التوراة ان صحت روايته وللجمهور ايضا وتبعا للوهم المجرد نعم ان الذين ينكرون صحة مايقال نقلا عن التوراة فهم ينكرون كون الصين والهند والفرس من اولاد نوح وليس انكارهم فى سيتيا وقصدنا من نقل كلام هذا الفاضل هنا التنبيه على خطائه لئلا يغتر وابه ولوجود فوائد اخرى فيه. منه عفى عنه.

فقط ولكنى(١) اعتبر الحدود الاول لقبولى قول من قال ان اول قوم سكن فى اقليم الروسية الآن هم السيتيا واعتقادى وجزمى بذلك لثبوت تقدم سيتيا على سرمانيا من جهة الموقع ومن جهة الجسامة فان سرمانيا انما افترقوا من سيتيا واستقلوا بانفسهم مؤخرا على ماسيظهر من البيان الاتى فان كانت سرمانيا ممن تجارى سيتيا فى القدم فهى واحدة من القبائل التى تشكلت منها سيتيا وانتشرت فى آوروپا الروسية الحالية واستوطنت بين نهرى ويستولا واورال وجباله والبحر الاسود وبحرى البلطق والخزر على المنوال المحرر ولكن لم تنتشر فى هذه القطعة الوسيعة سرمانيا وحدها بل انتشرت واستوطنت معهم فيها قبائل غيرهم ممن تشكلت منهم مملكة سيتيا ودولتهم كما نوجد مثل هؤلاء القبائل المنفرقة فى جهة آسيا * وكان انتشار سرمانيا وسائر الاقوام المتجاوزة ايامهم فى داخل آوروپا الشرقية بناء على فتحها باسم سيتيا واستيلائهم عليها يعنى تابعين لهم لا انهم دخلوها مستقلين وقد شنت سيتيا الغارات غير ذلك على جهة الجنوب والجنوب الغربى حتى بلغت غاراتهم قبل الميلاد بستة وسبعة قرون قطعات اناطولى والشام ومصر ايضا وحيث كانوا شجعانا وابطالا ومهرة فى فن الحرب لم يقدر خسرو ودارا وخصوصا الاسكندر الرومى على الاستيلاء على ممالكهم مع قصدهم ذلك وصرف غاية القدرة وبذل نهاية المكنة فيما هنالك فى أواخر سلطنتهم وطرء الضعف عليهم وانحطاط قواهم ولكن بموجب قول الشاعر : ولكل شىء آفة من جنسه * قام عليهم بعيد ذلك سرمانيا الذين كانوا تحت طاعتهم

---

(١) وهذه التخطئة والاستدراك انما نشأ من عدم التمييز بين سيتيا آوروپا. وبين سيتيا آسيا والا فكلا الحدودين صحيحان ومراد من عد سيتيا من اقوام آسيا انما هو سيتيا آسيا لا سيتيا آوروپا والذى فى شرقى سرمانيا انما هو سيتيا آسيا دون سيتيا آوروپا. منه عفى عنه.

(٢) ولما اخذ هذا الفاضل ما حرره عن تواريخ الافرنج ولم يذكر فيها من وقايع سيتيا اعنى الترك مع الفرس سوى هذا القدر اكتفى ايضا باثبات هذا القدر وعده شيأ كبيرا مع انه ليس بشىء فى جنب الوقايع المتقدمة فهو معذور فيه لعدم اطلاعه على تواريخ الاسلام وقد عرفت من وقايعهم الكبار التى يتلاشى هذا فى جنبها. منه عفى عنه

ورفعوا عليهم لواء العصيان وضموا سائر الاقوام المتجاورة فى ذلك الى انفسهم وانتصروا بهذا الطريق على سيتيا فسميت الاراضى المحدودة بالحدود السابقة يعنى الاوروپا الشرقية كلها بعد تلك الغلبة باسم سرماتيا وبقى اسم سيتيا فى جهة الشرق من نهر اورال الى نهاية الشرق (١) حافظا لحكمه على ما مر ذكره نقلا عن بعض ارباب جغرافيا القديمة فكما انا اعتبرنا سيتيا اول ممالك لقطعة آوروپا الشرقية واول اهاليها على الاطلاق كذلك نعتبر سرماتيا ثانى اهاليها وثانى حكومة ودولة بها وقد بقى اسم سرماتيا فى آوروپا الشرقية مدة مديدة حتى انهم بقوا فيها الى العصر الثالث والرابع من الميلاد ولكنهم صاروا معروضين على هجوم طائفة اسلاوان الكائنة فى الجهة الشمالية يعنى الغربية من مملكتهم حين تخلصوا من حكومة سيتيا وتحكمهم عليهم وتأسيس الحكومة على اسمهم وتأييدها وكانت المحاربة بينهما سجالا تنتصر هذه على تلك تارة ويكون الامر بعكس ذلك تارة اخرى حتى تولد من مخالطة بعضهما ببعض اخلاط من الناس ليسوا سرماتيا صرفا ولا اسلاوانا محضا مصداق قول القائل ع شبه النعامة لا طير ولا جمل * وامتدت محاربتهما على الوجه المشروع الى ان ظهر فى اواخر العصر الثالث من الميلاد امة وحشية من جنس جرمانيا بل اصلهم تسمى غوتا وقوتا وكوتا وزوتا من غربى مملكة سرماتيا فهجمت عليهم وغلبتهم على مملكتهم ولكنهم لم يضمحلوا بالكلية بل بقيت منهم بقايا بين بحر البلطق وجبال اورال (يعنى فى امكنتهم الحالية) وان كانت بمثابة الخراجية لدولة غوت ثم فى اثناء ظهور الهون واستيلائهم على آوروپا غاب اسم سرماتيا بالكلية ودخلت الاوروپا الشرقية بتمامها بايدى الهون اه ماذكره بعض الفضلاء ببعض اختصار ولننقل الان كلام كارامزين فى حق سرماتيا قال ان القوم الذين سماهم هردوت سرماتا اوصاورماتى كان مبدأ اشتهارهم فى عصر ميلاد عيسى عليه السلام ومنذ استملكت الروم اطراف نهر طونه صارت السرماتيا معلومة لهم ويذكر مورخوهم

---

(١) وهذا الكلام صريح فى ان سرماتيا انما غلبوا على سيتيا آوروپا لا على سيتيا آسيا. منه عفى عنه.

احوالهم منتظمة من هذا الوقت وقد تملكت السرمانيا القطعة التى بين بحراوزاق ونهر طونه وكانوا منقسمين الى قبيلتين عظيمتين احديهما تسمى روقصلان والاخرى بازيغى ولكن الجغرافيين سموا الاراضى التى بين البحر الاسود واقصى الشمال ومماللك جرمانيا من الاوروپا الشرقية والاسيا الغربية من غير مناسبة باسم سرمانيا كما انهم سموها قبل ذلك اسكيفيا وجهة الجنوب من غير تحديد اينوپيا وجهة الغرب كيكتيكا وجهة الشرق هنديا **والحاصل** ان قبيلة روقصلان من سرمانيا استقرت فى سواحل البحر الاسود وبحراوزاق وقبيلة بازيغى منهم تحولت الى داكيا واستوطنت بين نهرى تيس وطونة وشنوا الغارات مدة مديدة على الروم المتمدنة فقبيلة روقصلان انتصر على قوغورت الروم وقبيلة بازيغى اغاروا على ميزيا (بلغار بالحاضرة) ونهبوها فاضطرت الروم الى شراء مودتهم بالذهب **وقد عد** مورخ الروم تاتسيت احدى هاتين القبيلتين من متفقى قومه الروم والاخرى من متفقى جرمانيا **وقد انتجت** محاربة ماركومان نتيجة سيئة فى حق سرمانيا حيث ازالت قوتهم واضعفتهم الا انهم اقاموا بعد ذلك بساحل نهر تيبسيكا او تيصى من الروسية الجنوبية راحلين نازلين على حالة البداوة مدة مديدة وازعجوا الروم ازعاجا شديدا بنهبهم وغاراتهم **ثم قال** بعد ذكرهم لا نجد فى التواريخ كلمة واحدة فى حق روقصلان فى الوقت المذكور والظاهر انهم اختلطوا بالهون وامتزجوا بهم بحيث انقلبوا عليهم او اختلطوا بقبيلة بازيغى واستقروا فى ايلليريا من طرف ايمپراطور ماركيان تحت اسم سرمانيا العمومى فاختلطوا بالغوت هناك وانقلبوا عليهم بحيث زال عنهم اسم سرمانيا لانه لا يوجد حرف واحد فى التواريخ متعلق بهم فى آخر العصر الخامس من الميلاد اه ماذكره كارامزين فى حق سرمانيا **فظهر** من هذه البيانات والنقول ان الاقوام التركية المسماة باسامى سيتيا واسكيت واسكيف واسكونيا الخ المتنوعة المتشعبة بالتحريف من اصل واحد قد ظهروا قبل الميلاد بقرون كثيرة متطاولة بحيث لا يقدر التاريخ على تعيينها وانهم استوطنوا فى آسيا والاوروپا الشرقية فى تلك القرون المتطاولة واشتهرت

احوالهم اشتهاراً لا يخفى على احد ثم انهم انقرضوا بخروج سرماتيا فى حدود العصر الاول من الميلاد وعصيانهم عليهم وغلبتهم اياهم وان سرماتيا كذلك اشتهرت احوالهم من العصر الميلادى الى العصر الخامس منه وانهم انقرضوا فى اواسط العصر الخامس منه ولكن لا يلزم من انقراض سلطنة كلتا الطائفتين فى التاريخ الذى ذكر وانقطاع ذكرهم فى التواريخ بعد ذلك انعدامهم وانمحاؤهم من عالم الوجود بالكلية والذى يظهر من البيانات السابقة وقرائن الاحوال الحاضرة ان بعضهم اختلطوا بالاقوام الغالبة والمجاورة وانقلبوا عليهم وبعضهم بقى فى زاوية وناحية من ممالكهم حافظين لجنسيتهم ومليتهم مع انقراض سلطنتهم وانقطاع ذكرهم فى التواريخ شأن الامم المغلوبة القليلة الاهمية الا ترى ان طائفة القزاق كما يسمون .طائفة الباشقرد ايستاك كذلك يسميهم الروس ايضا وطائفة منهم باوستاك الى يومنا هذا ولا شبهة عند اولى الالباب فى كون لفظ ايستاك واوستاك من اصل واحد مع الفاظ اسكيت اواسكوتيا الخ وقد ذهب بعض فضلاء العصر ان طائفة سيتيا انما سموا به مع كونهم من الترك لقيامهم بحفظ حدود ممالك الترك وحراسة ثغورها وقد يعبر عن حد الشىء وطرفه فى اللغة التركية بچيت فسموا بذلك اولا بچيتلر جمع چيت ثم حرف بعد ذلك الى سيت وسيتيا ثم الى نظائرها ويؤيده وجود قوم چيتا فى عصر تيمرلنك فانه ذكر فى روضة الصفا وغيرها اثناء بيان احوال محاربته بقوم چيتا فى جهة سيبيريا مراراً عديدة ويقويه ايضا وجود بلدة الان وراء بحيرة بايقال مسماة بهذا الاسم ويقويه ايضا ما ذكره رفاعة بك فى جغرافياه ومن الامم المتجاورة لاسقوتية امة الجية وهى امة تقرب من جنس الصقالبة وكانت هذه الامة ساكنة فى سالف الزمان فى البلاد المسماة الان بلاد بلغار اه فعلم من ذلك انهم كانوا يسمون باصل اسمهم الا ان ذكرهم باسقوتية لما كان غالبا ظنوا ان امة الجية غير اسقوتية وعدوهم قوما آخر مجاوراً اياهم وليس كذلك وكذلك سمى عين القوم المذكورين اعنى القوم المسمى باسقوتية ونظائره فى الوقت المذكور باسم بوز قيرلاقا منهم فى البرية المسماة بهذا الاسم ومعناه البرية البيضاء وهى ما بين جبال اورال ونهر ولغا وقاما

اعنى اراضى الباشقرد اوبرية القزاق كلها ثم حرف اللفظ المذكور اعنى بوز فير الى باشقير و باشقرد و باشجرد فهذا القول يؤيد ما قلنا على وجه لا يبقى فيه ادنى شبهة فان طائفة باشقرد على هذا يكون عين سينيا ولا منافاة بين هذا وبين ماسيذكر من ان الباشقرد من بقايا الهون فان هون على هذا البيان والبيانات السابقة ليسوا مغايرين لسيتيا بل هما قوم واحد والتعدد انما هو فى الاسم فقط **وكذلك** من دا الذى يشتبه عليه كون الچرامشة الموجودين الآن فى ولايات قزان و نيژنى و وانكاوپيرمى من بقايا سرماتيا ولاسيما اذا لوحظ تسمية الروس اياهم سرميتسى اليس هى من قبيل التصريح بكونهم سرماتى اوليس ما مر ذكره نقلا عن بعض الفضلاء من تعيين موضع سلطنتهم الاخيرة فى مواضع الچرامشة الآن دليلا وافيا فى ذلك بل نصافيه وقوله ان اسمهم غاب فى اثناء استيلاء هون لا يدل على انعدام وجودهم بل يدل على بقائه **والعجب** من كارامزين حيث لم يتنبه على هذه المادة ولم ينبه عليها غيره مع كمال ظهورها ومع كمال اطلاعه على الاقوام الكائنة هناك واحاطته بهم فاذا كان حال كارامزين هذا فماذا نقول فى غيره ممن لا اطلاع لهم عليهم ولا علم لهم بوجود الچرامشة هناك فانهم معذورون وحقيقة العلم عند الله سبحانه تعالى اللان (١) **قال كارامزين** وقد ظهر مع روفصلان وبازيغى فى زمان واحد طائفة (اللان) ولا شك انهم من جنس السابقين وكان يسكن هؤلاء فى الجنوب الشرقى من الروسية الجنوبية وهم على قول بعضهم من جنس المساعى الذين كانوا يسكنون بين بحر الخزر والبحر الاسود (يعنى فى صحراء حاجى طرخان وحدود داغستان) راحلين

---

(١) قال فى ترجمة القاموس اللان بفتح الهمزة اسم مملكة فى جهة ارمينية واسم طائفة وكانها المملكة التى تسمى الان بطاغسان ودار ملكهم قصبة تسمى قويموق وتبديل الهمزة بالعين من لحن العامة وابو عبدالله اللانى معلم الامراء روى عن البغوى اه والظاهر بل الصواب انه الان بفتح الهمزة وتشديد اللام والافكيف يقال انه بفتح الهمزة لانه لا همزة فى كلمة اللان بل هى لان ادخلت عليه حرف التعريف فعلى هذا ينبغى ان يقال بعد ادخال حرف التعريف الالان كما لا يخفى الا اناجرينا على ما وجدناه وطويناه على غره . منه عفى عنه .

نازلين كسائر اقوام آسيا وكانوا يغيرون على الاطراف والجوانب وكانت غاراتهم في آسيا تصل الى ارمينية وميديا والى الهند الشمالية يشنون الغارات في آوروپا على اطراف بحر الخزر والبحر الاسود وهم كانوا لايبالون بالموت في اثناء المحاربة وكان اشتهارهم بذلك ويحتمل كون آورصى وصبراق ايضا من جنس اللان وكثير من المورخين يذكرونهم في العصر الميلادى وكان هؤلاء يسكنون بين كافكازيا ونهردون وكانوا يتفقون تارة مع الروم ويكونون تارة اعداءلهم وقد ضيق هؤلاء على سرماتيا في وقت ما وطردوهم من شرقي الروسية الجنوبية واستولوا على قسم من شبه جزيرة القريم اه ما ذكره كارامزين وقد ذكر بعض احوالهم في القسم الاول من هذه المقدمة وسيذكر بعض منها في اواخر بيان الهون هنا * وقد ذكر كارامزين اقواما كثيرة في القطعة المذكورة من الترك وغيرهم تركنا ذكرهم لعدم مناسبتهما ولكنه ذكر في ساحل بحر البلطق قوما يسمى وينيد(١) ويتردد في كونهم من جنس اسلاوان الذين هم اصل الروس وكونهم من اقوام آسيا وانهم متى جاؤا هناك ان كانوا من اقوام آسيا ثم قال ان ظن قطعة آسيا منشأ ومنبعا لكافة اقوام العالم يحتمل ان يكون ظنا صحيحا فانه موافق ومطابق على الروايات المقدسة (يعني روايات التوراة) والمشابهة الموجودة في بعض لغات آوروپا بلغات آسيا تؤيد ذلك ومع ذلك لانقدر على تأييد هذا الاحتمال بدلائل تاريخية قط وحيث كان اسلوب معيشة قوم وينيد(٢) مغايرا لطرز معيشة (٣) اقوام آسيا وقد وجدهم التاريخ في قطعة آوروپا نعدهم نحن ايضا من اهالى آوروپا اه الهون الغربية او هون آوروپا قد سبق في القسم الاول

---

(١) كتبه بعض فضلاء عصرنا بالالف بدل الياء الاولى وباسقاط الياء الثانية هكذا (واند) على زنة فاعل ومنشأه زعمهم هذه العلامة الافرنجية علامة الفتحة وليس كذلك بل هي علامة الكسرة المحضة فتبدل وقت الترجمة بالياء علامة للكسرة او تترك بالكلية فيكتب هكذا وند واصله هكذا Венедъ. منه عفى عنه.

(٢) يعني المعيشة البدوية . منه عفى عنه.

(٣) يعني المعيشة الحضرية . منه عفى عنه .

من هذه المقدمة ذكر معاملة هؤلاء القوم مع الصين قرونا كثيرة وان دولتهم الكائنة فى حدود الصين قد انقرضت اخيرا بالكلية وانهم هاجروا بعد ذلك الى جهة نهر اورال وورلغا واسسوا هناك دولة قوية الشكيمة بعد ادخالهم الاقوام التركية المقيمة هناك تحت طاعتهم وانها سميت بالهون الغربية وانها ارعبت اهالى آوروپا وارهبتهم ودامت الى عدة اعصر وقد احلنا ذكر بقية احوالهم على هذا الموضع فنذكر الآن تلك الاحوال فنقول ونع الاختلاف فى تاريخ ورودهم هناك قال رفاعة بك ان امة الهونة تعرف عند الصينيين باسم هيينغ نو وكانت قبل الميلاد بقرنين ساكنة فى الشمال الشرقى من بلاد الصين فتكون منازلهم على هذا فى البلاد المسماة الان ببلاد المغل والقلموق وكانت الهونة من جنس هاتين الامتين واوصافها التى ذكرها بعض المورخين ترشد لذلك ولابد ومن اسباب خروج بعض الامم الهونية من بلادهم الى الغرب وقوع فتن فيما بين بعضهم ببعض وفى سنة ٣٠٠ ميلادية امتدوا الى بشكير التى سميت الهونية الكبرى اوهنغارية ولما حاربت هذه الامة امما اخرى اسياتية هجموا نحو سنة ٤٠٠ ميلادية على سواحل بحر اورزاق الذى كان يسمى بحيرة بالوس ميوتيدة وتملكوا بلاد اللان وادخلوهم فى احزابهم وتغلبوا على المملكة الغوتية ببلاد بولونيا (پولشه) ودخلوا الى بلاد السكندناوة وكان لهم رئيس يقال له اطيلا عطف سلاحه نحو الجنوب فدخل فى حكمه الغرب والجرمانيا وبلاد الداكية والغالية ولكن القوى المجتمعة من امة الافرنك والوزيغوت والرومانيين اوقفت هذه الامة المخربة للبلاد فى سهل شالون بفرانسا ولكن فى السنة التى بعد تلك السنة هدم آطيلا مدينة اكويل (بقربها الآن مدينة تريستة) وكان يمكنه ان يكمل فتوح آوروپا ولا المنية منعته عن ادراك مقصده الاكبر فاختل نظام مملكته العظيمة بخروج الامم المغلوبة تحت ايديهم من الطاعة والاختلاف الواقع بين اولاده الثلاثة فتشتت شمل القبائل الهونية وتمزقت وتوجهت حوجهة بحر اورزاق اه وذكر كارامزين مايقرب من كلام رفاعة بك حيث

قال ان الهون خرجوا من شمالى ممالك الصين وبلغوا الجنوب الشرقى من الروسية الحاضرة بعد قطعهم المسافة البعيدة والبرارى الغير المتناهية وهجموا على ممالك اللان والغوت والروم فقتلوهم وخربوا ديارهم هدما واحراقا بالنار ونهبوا اموالهم وكان ذلك فى حدود سنة ٣٧٧ م وقد عجز مورخوا العصر المذكور عن بيان كيفية هجومهم وتصويرها وقد استغرق الناس على العموم فى بحر الدهشة ولم يكن لاحد طاقة على مقابلتهم حتى ان ملك الغوت الذى كان اشتهر بالشجاعة مائة سنة لم يتجاسر ان يقابلهم بل نجى نفسه من اسارتهم باختيار الانتحار الخ ولما كانت الغوت سببا اصليا لدخول الهون بممالك آوروپا وقد تقدم بيان محاربتهم السرماتيا وعموم ايامهم ناسب ان نبحث عنهم هنا بحثا جزئيا على سبيل الاستطراد كانت هؤلاء فى الاصل من جنس جرمانيا واشتهروا باسامى غوت وقوت وكوت وژوت وكان مبدأ ظهورهم واول اشتهارهم فى اواخر العصر الثالث من الميلاد ولما خرجوا من اصل وطنهم گرمانيا توجهوا نحو الشرق والجنوب واستولوا على الجهة الجنوبية من ممالك سرماتيا كاملا على مامر بيانه وهجموا على بلاد آسيا ايضا دفعات كثيرة وخربوا فيها تخريبات عظيمة ولم تكن غاراتهم وهجماتهم منحصرة على آسيا والآوروپا الشرقية بل استولوا على ممالك رومانيا الحاضرة وردم ايلى بل وعلى ممالك يونان الى البحر الابيض وخربوا هناك ايضا تخريبات جسيمة حتى انهم ارادوا احراق جميع الكتب الكائنة ببلدة آتينا فقال لهم واحد من بينهم وكان صاحب عقل ودراية لانحرق الكتب بل نتركها لليونان فانهم يشتغلون (١) بمطالعتها عن تعلم فن الحرب وصنعة الجهاد والغزو فيبقون مغلوبين

---

(١) قاتله الله ما اعقله وما اداره وعموم اهل الاسلام فى عصرنا هذا من هذا القبيل حيث ان اعداء الدين استولوا على بلادهم فى جميع الاقطار والممالك واستعبدوهم ويسومونهم انواع الهوان والذلة ولم يبق لهم حرية ما فى شىء من الاشياء وهم لا يتركون اشتغالهم بما لا يعنيهم من انواع السفسطة زاعمين انها حقايق وكمالات ولا يخطر ببال احد منهم ان الوطن والحرية والدين اعز من الروح واجلى الحقايق واعلى الكمالات وان تمكين لاعداء من الاستيلاء عليها واختيار السكوت والقعود عن طلب الحيلة فى التخلص عن اسارتهم والتشبث فى اسبابه

ومحكومين لنا بهذا السبب مدة مديدة فقبلوا نصيحته وتركوها * وانقسم هؤلاء على قول بعضهم الى قسمين غربي وشرقي وعلى قول بعضهم الى ثلاثة اقسام (كه پت) و (ويزيغوت) و (اوستر غوت) ولكنهم كانوا متحدين بحسب الحكومة والادارة واسسوا بالاتحاد والاتفاق دولة عظيمة تسمى بدولة غوت وكانت هؤلاء باتفاق المورخين في غاية الوحشة ونهاية البهيمية بل السبعية وكان استيلاؤهم على جهة الجنوب الشرقي في حدود سنة ٢٧٤ حتى انهم على قول بعضهم غلبوا على الهون الغربية ايضا لكنه سبق قلم بل قول جزاف لم تكن الهون محكومين للغوت قط نعم ان قوم وينيد الذين مر ذكرهم صاروا محكومين لهم وقد كان رئيسهم في العصر الرابع من الميلاد گيرما ناريج او گيرما ناريس المار ذكره وقد كان من اشهر ملوك آوروپا واشجعهم ومن كمال شجاعته واسرافه في سفك الدماء كان لا يجترئ احد ان يقابله وقد بلغت مدة تملكه مائة سنة على ما مر بيانه وابلغ دولة الغوت في مدة حكومته مرتبتها العليا وخلاصة الكلام ان في اثناء غلبة امة غوت هؤلاء على كافة

مما لا يجوزه العقل والشرع ويستقبحانه غاية الاستقباح والاشتغال بهذه السفسطة عدا اقبح من كل قبيح وانه لا يداول كل شيء من طلب العلاج لهذا الداء المهلك وانهم لم يغلبونا بالقوة الجسمانية بل بالقوة العقلية والمعارف والمهارة في انواع الصناعة ومقارنة افعالهم باقوالهم وغاية الجد في ذلك وان لنا ايضا استعدادا وقابلية لذلك فلنكتسبها ثم لنتشبث باسباب تخليص الوطن العزيز من ايدي الاعداء ونفض غبار الذل والهوان عن انفسنا ولنعد مجد اسلافنا وعز اوائلنا انا لله وانا اليه راجعون دع التوبيخ بالاشتغال بالسفسطة وقل لي هل ينفع اكتساب المعارف ومطالعة الجرائد اذا لم يقارن الاعمال الاقوال وهل يدفع تلك الجرائد عنا الاهوال هيهات ونحن الى رجال فعالين احوج منهم الى رجال قوالين وحيث اطلع الانكليز مثل هذا الغوتي على ذلك ترك المسلمين استغفر الله بل الذين يدعون الاسلام الذين تحت حكومته هنود اومصريين وغيرهم على اختيارهم يفعلون ما شاؤا ويقولون ما يريدون بل يساعدهم على ذلك لتيقنه بعدم نهوض الاموات قبل يوم القيامة وحيث غفلت الروسية عن هذا صارت يتعرض لمدعي الاسلام ونبهتهم عن سنة الغفلة ولله الحمد ولم يتنبه منهم لهذه الدقيقة الا ايلميسكي عليه من الله ما يستحقه وقصدي من اثبات القصة المذكورة هنا مع الاستعفاء عنها هو التنبيه على ما عليه المسلمون الآن من الغفلة العظيمة ومن الله التوفيق والهداية. منه عفي عنه.

الاقوام المجاورين اياهم وحين لم يبق فى الاطراف والجوانب من يقابلهم ويقاومهم استقرت امة الهون فى اطراف حال اورال ونهر ، وسواحل نهر ايدل يعنى فى اراضى باشقرد الحاضرة فى اوائل العصر الرابع من الميلاد على مامر ذكره وشرعوا فى ضم اقوام آسيا الى انفسهم والحاقهم بهم من جهة ومن جهة اخرى كانوا يرمقون ماتصنعه الغوتية الوحوش السماكة للدماء من انواع الوحشة والفساد فى حق الاقوام المجاورين اياهم وينظرون الى فعائلهم الشنيعة من نظر شزر وكان صدورهم تضيق بها ويحتمل ان يكون بعض الاقوام التركية المحكومين للغوت اشتكوا اليهم عنهم واستمدوا بهم عليهم بملابسة الجنسية والمناسبة القومية والحاصل انه لما مضى مقدار نصف عصر من ابتداء استقرارهم فى المواضع المذكورة وضموا فى تلك المدة الى انفسهم اللان وسائر الاقوام المتجاورة ولحق بهم من بقى وراءهم من قومهم متشتتين ومتفرقين وعظمت بذلك دولتهم وقويت شوكتهم وباعت مرتبتها العليا واستيقنوا بانتصارهم على دولة الغوت الجبار القوية الشكيمة الذين لا يتجاسر احد ان يقابلهم والمئنوا بها فتحوا باب الحرب عليهم فى حدود سنة ٣٧٧م واعلن بينهما الحرب بسبب لم نطلع عليه وكذلك لاندرى من اى طرف كان اعلان الحرب ووقع تلاقى الفريقين وكان رئيس الغوتيه گيرماناريس الشجيع الشهير الذى سبق ذكره مرارا وكان ملك الهون وخاقانهم فى الوقت المذكور بالامير اوبالام بير وحيث ان گيرماناريس الف الغلبة والانتصار مدة مائة سنة ولم يقابل احد ولم يصر مغلوبا قط ولو مرة واحدة حمى غضبه من صنيع هؤلاء القوم الحقير الذليل الآسيوى على زعم الاوروپاويين وشرع فى سوق العساكر بالحدة والشدة واما الخاقان المشار اليه فكان يعد الغوت لاشيئا محضا وكان ملازما لوقاره وسكينة وكان يتعجب من حدة گيرماناريس وطيشه واضطرابه ويستهزىء به وكانت مهارة الهون فى امر الحرب على وجه كانت حدة الغوت وشدتهم فى جنبها لا شيئا محضا العدم نتيجتها ولهذا قال كارامزين

ان مورخوا العصر المذكور عجزوا عن بيان مهارتهم فى الحرب وتصوير كيفيتها وقد انضم اليم فى تلك الاثناء سرماتيا (الجرامشة) الباقين فى طرف الشمال فهجموا عليهم من الجهتين الهون من الجنوب والسرماتيا من الشمال وضيقوا عليهم بهذه الكيفية اشد تضييق ولما آيس گيرماناريس بعد صرف الجهد البليغ مدة مديدة على الوجه المشروح من تخليص نفسه من اسر الهون فضلا عن توقع الغلبة والانتصار عليهم انتحر فى حدود سنة ٣٨٦ وبعد ذلك تقهقرت الغوت الى أوطانهم ورجعت تلك الاراضى اعنى الاوروپا الشرقية التى كانت ملكا اصليا للترك من عصر اسكوتيا وسيتيا وسرماتيا الى ملك الهون التركية ودخلت فى ايديهم بحكم كل شىء يرجع الى اصله وبذلك انقرضت الغوت الشرقية بالكلية ولكن الغوت الغربية التجأت الى الروم واستقروا فى مراكية وبقيت دولتهم هناك ٭ قال كارامزين وملك الغوت وينيشار الذى تملك بعد گيرماناريس وان كان فى الظاهر تابعا لدولة الهون ولكنه كان لايخلو عن الهجوم على سائر الاقوام المجاورة يعنى الشمالية وادخالهم تحت طاعته وقد هجم على قوم آند الذين هم من جنس وينيد المار ذكرهم واسلاوان وكان يظن كونهم من اجداد الروسية واصلهم وكانوا يقيمون فى الجهة الشمالية من البحر الاسود وقتل رئيسهم المسمى بوكس مع سبعين نفرا من اعيانهم قتلا وحشيا فاشتكى هؤلاء يعنى قوم آند بالاخرى منه الى خاقان الهون بالامير ولاذوا به فادبه الخاقان وانقذ قوم آند من اسارة الغوت ثم قال لا شبهة فى دخول قوم آند ووينيد تحت طاعة دولة الهون فان هؤلاء الابطال يعنى امة الهون قد ادخلوا كافة الاراضى الكائنة بين نهر وولغا و نهر رين الذى بين فرانسا وگيرمانيا ومن ماكيدونيا الى جزائر بحر البلطق تحت تصرفهم واجروا احكامهم ونفذوها على كافة الاقوام الكائنة بها اه والحاصل انى لم اطلع على تاريخ وفاة خاقانهم بالامير المار ذكره الا انه يذكر فى التواريخ بعده من

خواقينهم الخاقان الشهير في الافاق آتيلا (١) وانما يرى ذكره في التواريخ من حدود سنة ٤٣٢ ولا ادرى هل بقي الخاقان بالامير الى التاريخ المذكور اوكان وفاته وتسلطن آتيلا قبله او تخلل بينهما خاقان آخر لم يجر له ذكر في التواريخ والله سبحانه أعلم الاان التاريخ يخبر ناانه اعني آتيلا كان يحكم في حدود سنة ٤٣٢ مشتركامع اخيه بلدائم اعدم أخاه المذكور بعد عشر سنين واستقبل بالحكومة وعلى كل حال انه هجم في حدود ٤٤١ سنة على پانونيا وخروا تستان وداكيه التى كانت بيدالغوت وانتصر عليهم وانتزعها منهم ثم عطف سلاحه بعدذلك نحو حكومة الروم و بيزانطيا وانتصر عليهم ايضا واضطر قيصر الروم في ذلك الوقت (تيئودور) او (تهاودوس) الى اداء الجزية والخراج لنفسه وهوالقيصر الذى انبعث أصحاب الكهف في عصره عن رقدتهم عندالمسيحيين المسطور في تواريخ العرب بندوس وفي الحقيقة هوتاوذسيوس (٢) الصغير ابن ارقاذيوس بن تاوذسيوس الكبير فصارت سلطنة الروم خراجية لهم بتلك الكيفية وبعدمرور اربع سنين من هذا قطع القيصر المذكور ما التزم اداءه من الخراج لما رأى من بقاء سلطنه الروم خراجية لقوم هون رحالة نزالة وحشية على زعمهم الباطل مناف لشان سلطنتهم ومغاير لعظمة دبدبتهم فشن الخاقان المشار اليه الغارات على دواخل بلاد الروم وكادان يقلب سلطنتهم ظهر البطن فبادر القيصر الى تقديم الخضوع وخفض جناح الذل ثانيا واظهار الندم والاعتذار واسرع الى قبول جميع مطاليبه واداءها من غير توان فحفظ ملكه بهذه الكيفية من الزوال واغتنمها بعدان امتنع عنها لا يقال لعل هذا العجز والخضوع انما نشأ من ضعف الروم وفقدان قوتهم واقتدارهم في الوقت المذكور لامن كثرة شوكة الهون ووفرة قوتهم واقتدارهم كماقيل في المثل الجدار القصير كل احديقدران ينط عليه

---

(١) ضبط آتيلا في بعض كتب الافرنج بتشديدالتاء المكسورة وتخفيف اللام. وفي اكثرها بالعكس وهو الصحيح منه عفى عنه.

(٢) وفي تاريخ ابن الاثير ان انبعاثهم كان في عصر تاوذسيوس الكبير والذى اخترته نقلته عن تاريخ ابي الفرج الملطي المسيحي القسيس الطبيب. منه عفى عنه.

لا نانقول ان الروم كانت وقتئذ فى نهاية القوة وغاية الشوكة حتى ان القيصر المشار اليه حارب الفرس الذين كانوا اذذاك على غاية من القوة والاقتدار وفى الذروة العليا من الشوكة وكان ملكم وقتئذ بهرام كور المار ذكره وانما كانت غلبة الهون وانتصارهم عليهم لتفوقهم فى القوة والشجاعة ومهارتهم فى فن الحرب بلا شبهة ولما ربط آتيلا سلطنة الروم بالجزية ثانيا على سبيل الجد وجه وجهة همته (١) نحو بلاد آوروپا فتوجه بمعسكر مركب من خمسمائة الف من العساكر الجرار نحو بلاد گيرمانيا فى سنة (٤٥١) م وفتح كافة بلاد آلمانيا وسكندناوه واستولى عليها بالتمام ومد حدود مملكته الى نهر الرين على ماتقدم بل لم يوقفه نهر الرين ايضا حيث عبره وتعداه ودخل مقاطعة من ممالك فرانسا كان يقال لها وقتئذ مقاطعة غول ارغاليا وتقدم الى قبالة بلدة اورليان ولما بلغها استقبله هناك ثلاثة اوردو من دول ثلاث اوردو الرومانيين الكائنة تحت قيادة الجزال (آونيوس) واوردو فرانسا الكائنة تحت قيادة الجزال (مروه) واوردو الويزيغوت الكائنة تحت رياسة الجزال (تاودوريق) متفقين وبعد ان حاربوه مدة اضطروه الى الرجعة وتعقبوه حين رجعته فوقعت بينه وبينهم محاربة دموية فى موضع يسمى شالون من ولاية شامپانيا ثانيا فتلف فيها مايقارب الربع من جيوشه الموجودة فتقهقر من هناك وتوجه نحو ممالك ايتاليا (٢) واستولى عليها وبلغ قبالة بلدة رومية (روما) وحين قصد ان يدخلها خرج اليه الپاپا (سن ليون) واقنعه بنصائحه بل بحيله وخداعه ودسائسه وشيطنته وصرفه عن دخولها فخرب حينئذ بلدة اكويله التى كانت بقرب تربسته ولم يتقدم منها بل عاد الى پانونيا (مملكة ماجار الحاضرة)

(١) هذا على ماذهب اليه البعض وقد قال مراد بك فى تاريخه العمومى ان القيصر مارچينانوس الذى هو خلف القيصر تاوذسيوس هو الذى قطع الجزية وقال لمحصل الخراج ان ذهبى لاحبائى وليس لاعدائى سوى السيف ولما تيقن آتيلا ان الاستيلاء على القسطنطينية غير ممكن اعرض عنها وتوجه نحو فرانسا والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

(٢) يعنى فى السنة الثانية كما مر لا فى سفره هذا منه عفى عنه .

بعدان اخذ الجزية من ملك ايتاليا (والنتين الثالث) وبينما هو فى الاستعداد بجمع الجيوش لتكميل فتوح آوروپا والانتقام من اعدائه مات فجاءة من كثرة العيش والطرب عقيب ضيافة عظيمة (١) وكان ذلك فى سنة ٤٥٣ فبقيت فتوحاته المنوية فى حيز القوة فقط ولم تخرج الى الفعل فالوا لوتأخر اجله قليلا لاتمها بلاشبهة اه من رسالة بعض فضلاء العصر وهو تفصيل مامر عن رفاعة بك (٢) اجمالا فعلى هذا يكون مقر سلطنته ومدفنه فى پانونيا (ماجارستان) ولكن ذكر كارامزين ان اقامته كانت بداكيه فى الخيام والخركاهات وانه كان يجرى السلطنة والاحكام فيها وقال انه لم يكن له رغبة فى الزينة والزخارف والفضة والذهب وانما كان جل همته فى القاء الدهشة والرعب فى العالم والافتخار بكونه غضب الله وبعدم نبت النبات فى موضع اصابته قوائم فرسه وبوفاة هذا الفاتح البطل فى سنة ٤٥٤ انتهت قوة دولة الهون وتصرفهم الى نهايتها اه قلت هو مشهور بين الافرنج بالافتخار بكونه سفاكا ومخربا وكون ما اصابه حوافر فرسه بلقعا والافتخار بكونه غضب الله والله سبحانه اعلم بصحة ماقيل فيه وعنه الا انهم محقون فى تلقيبه بغضب الله كيف لايلقبون شخصا بغضب الله فعل بهم تلك الفعائل وهو مطابق لنفس الامر ايضا فان الله سبحانه انما سلطه عليهم بسبب كفرهم وسائر فحشائهم ولكن نظر بنظر الانصاف الى مافعله الغوت قبلهم ورئيسهم گيرماناريس الم يصدر عنهم مثل ماصدر من الهون من السفك والتخريب والظن على مامر بيانه نقلا عن تواريخ الافرنج انه صدر عنهم ازيد واقبح واشنع مما صدر عن الهون ولنترك المعارضة بماصدر فى عصر الوحشة والجهالة ولنجل انظارنا فيما يصدر عن افرنج عصرنا هذا الذى يفتخرون بكونه عصر تمدن وترق ويدعون كونهم فى غاية الترقى ونهاية من التمدن وينظرون الى من سواهم بنظر الوحشة

---

(١) قيل قتلته مخطوبته الجرمانية غيلة اثناء زواجها ووضع فى ثلاثة توابت من ذهب وفضة وحديد ودفن فى مجرى نهر . منه عفى عنه .

(٢) الا انه قال ان هدمه لا كويله كان فى السنة الثانية من سنة دخوله فرانسا والله سبحانه اعلم بالصواب منه عفى عنه .

والتبربر هل نجدهم يقنعون بما فى ايديهم من الممالك او نجدهم متصفين بكمال الحرص وتمام الجشع بحيث لايشبعهم شىء ماوجدوا مطمعا للاستيلاء على ممالك الضعفاء وكيف يصنعون بقوم يدافعون عن اوطانهم التى هى اعز من ارواحهم حين استيلائهم هل يرفقون بهم او يعاملونهم معاملة الوحوش والسباع الضوارى وماذا يعاملونهم بعد الاستيلاء هل يبثون فيها العدالة والمساواة او يستنزفون دماء اهاليها هيهات الف هيهات اين لهم الماعة وانى فيهم الانصاف والرفق واين فيهم بث العدالة والمساواة بل لايتركون شيئا من الوحشة والفظاعة والفضاحة والشناعة فى حق من قاموا للمدافعة عن اوطانهم العزيزة حين يمدون اليها ايديهم المنحوسة المشؤمة للاستيلاء عليها وانتزاعها عن ايديهم بلاسبب موجب وباعث مقتض اياه سوى الحرص المحض والجشع الصرف وبعبارة آخرى اصح سوى محبه سفك الدماء بغير حق واجراء الوحشة والفساد فمن اراد ان يعرف صدق هذا الكلام فلينظر الى ماكتبه بعض الاوروپاويين فيما اجرته الروسية من المعاملات الوحشية فى حق مسلمى روم ايلى اثناء محاربتها الاخيرة الدولة العلية العثمانيه ايدها الله سبحانه ونصرها او لينظر الى ماحرره المستر ماغمان الاميريكى (١) فيما اجرته الروسية ايضا من المعاملات السباعية فى حق التراكمة حين استيلائها على ديار خوارزم وخيوه وقد حررها عن مشاهدة بعينه لابالسماع وكلاهما ممن يدعون النصرانية واخوة الروسية لايتصور منهما الغلو والمبالغة فيها فضلا عن الكذب والافتراء ومافعله القائد الانكليزى كشتنير فى حق احمد محمد المتمهد السودانى حين استيلائه على خرطوم من اخراج جسده من قبره واحراقه بالنار لعله لم يزل فى الخواطر بعد مع انه لم يصدر عنه شىء ممايوجب عشر عشير تلك الوحشة سوى المدافعة عن وطنه وحمايته وتخليص ابناء جنسه

(١) حرره فى رحلته التى جمعها لبيان ماشاهده بعينه فى سفره المذكور تسمى سياحتنامه خيوه ترجمت بالتركيه وطبعت فى استانبول كماترجمت الى لغات اخرى. منه عفى عنه .

من ايدى الظلمة المخربين للديار والشريعة أعداء الانسانية بناء على ما كتبه ابراهيم فوزى پاشا فى تاريخه * والانكليز من المال التى يدعون تسنم ذروة التمدن والانسانية والترقى والتفرد فيه فى عصرنا هذا مع انه لم ينقل فى تاريخ من تواريخ الامم التى ذكر فيها احوال آتيلا الذى مضى قبل هذا التاريخ بخمسة عشر قرنا وغيره من خواقين الترك الذين جاؤا قبله او بعده ان واحدا منهم فعل مثل هذا الفعل الشنيع الفظيع وحارب الاموات وانتقم منهم حاشا وكلا ثم حاشا وكلا ومع هذه كلها ترمى الاتراك خصوصا والاقوام الشرقية عموما بالوحشة والتبربر وعدم التمدن ومغايرة الانسانية وتمدح الاوروپاويون بل يفتخرون بكمال التمدن والانسانية وما ذلك الا ان مافعله آتيلا وسائر الاقوام الشرقية فى حق بنى آدم اعنى الاوروپاويين فهم مستحقون للرمى بما ذكر وما فعله الاروپاويون فى عصرنا هذا الذى يسمونه عصر التمدن كذبا ومينا ليس فى حق بنى البشر بل فى حق الوحوش والحشرات فى زعمهم اعنى بهم اقوام آسيا وآفريقا واوستراليا فانهم ليسوا عندهم من بنى البشر خصوصا الموحدين الذين لا يقولون بالوهية عيسى ابن مريم عليهما السلام ولا بالوهية مخلوق آخر بل يقولون ربنا الله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ويبرؤن عيسى ووالدته عليهما السلام عما رماهما به اليهود ويقومون بما يليق بهما من التعظيم والتكريم ويصدقون بجميع الكتب والرسل ولهذا كلما يفعله الاوروپاويون فى حقهم فهو عين التمدن ومحض الصواب وهم مستحقون به لكمال التمدح(١) والافتخار وجزيل الثواب ولله در القائل شعر: ورصاص من احببته ذهب كما * ذهب الذى لم نرض عنه رصاص * وسوآل الانصاف لهؤلاء المتعصبين من الله وان برى عبثا فى الظاهر ولكن ما ذا نقول غيره فنقول رزقهم الله سبحانه الانصاف والحقانية كما رزقهما لطائفة

(١) ولسنا نحن معاشر المسلمين فقط نقول هذا بل يقوله المنصفون منهم ايضا وان تلوا قال كارامزين بعد بيان غدر ولاديمر مانوماخ بالقفچق على ما سيجئ عند ذكر بيانهم ان القفچق لما كانوا اعداء النصرانية كان الغدر بهم ونقض عهدهم وسائر المعاملات السيئة فى حقهم جائزة عند الروس بل تقربا الى الله تعالى اه . منه عفى عنه .

اسكيتس الذين مضوا قبل ذلك بالوف من السنة بشهادة تواريخهم * هذا * وقد ظن بعضهم ان لفظ آتيلا مأخوذ عن آتزيل و آتسل الذى هو لفظ ماجارى بمعنى الفولاذ وليس ببعيد فان اسامى قدماء الاتراك كان اكثرها تيمر وتاش وفولاذ وهو جار الى الان فى ديار قزان * وربما يفهم من كلام بعضهم انه كلام افرنجى بمعنى غضب الله نبزه به الافرنج لانه * اسمه الاصلى والله سبحانه اعلم والحاصل ان الخاقان آتيلا هو اول خواقين عرفهم الاورو پاويون من خواقين تاتارستان وتركستان التى كانت روضة الفاتحين النقالة الرحالة النزالة التى كانت يظهر منها الليوث الفاتحون وينتقلون الى اماكن بعيدة وقتا بعد وقت ويخرج منها الاسود الغالبون وينتشرون الى مواضع عديدة حينا بعد حين وثانيهم بالنسبة الى اوغوزخان الذى هو مجهول عند الافرنج * والشوكة والعظمة اللتان حصلتا للدولة هون المعظمة فى حياته مما لا يرى فى كثير من الدول ولكن ما العلاج لما مضى من بداية تأسسها وتشكلها مدة عصر ونصف عصر انقرضت دفعة واحدة بوفاته فى التاريخ المذكور وعدم دراية اولاده وسوء تدبيرهم وادارتهم وصارت كسفينة غرقت وذهبت الى قعر البحر فان كل واحد من اولاده الذين خلفهم ادعى لنفسه الخاقانية فتدافعوا وتنازعوا وتخاصموا بدل ان ينصبوا واحدا منهم ويقوم سائرهم فى مقام الاطاعة والانقياد له ويديروا الامر ويجروا الاحكام بالاتفاق والاتحاد فخرجت سائر الاقوام الذين كانوا يطيعونهم وينقادون لهم خوفا من السيف من تحت تصرفهم وطاعتهم واحدا بعد واحد فى اثناء منازعتهم ومخاصماتهم واسسوا حكومات مستقلة مثل (كه بيت) و (غوت) و (اوار) وانقسمت بقية الهون ايضا بين اولاده فبقى واحد منهم يسمى (دينكى چك) بن آتيلا فى ارض ماجارستان المسماة هنغرية مع من تبعه حافظا الحكومة هنغرية (وينگرية) مدة مديدة وتوجه ولده الاخر (ايرناق) من تبعه من الهون الى اصل وطنهم الذى كانوا خرجوا منه اخيرا اعنى به ما بين اورال وولغا وانتشرت منهم بعض القبائل فيما بين نهرى طونه ودون يعنى سواحل البحر الاسود واستقروا هناك تحت ادارة خانهم المسمى (هوينغار)

وتشكلت منهم ايضا حكومة (١) عظيمة تسمى بحكومة (الخزر) وتشكلت ايضا غير ماذكر حكومات صغار كثيرة منها حكومات (سيداربت) و(قوتربغور) و(اوتربغور) وغير ذلك من الحكومات التى تشكلت فى طرف كامكازيا * والحاصل تشتت شمل القبائل الهونية الكبرى وتمزقت دولتهم العظمى فى طرفة عين بشؤم النزاع والاختلاف هكذا يقول بعض الفضلاء وبعد هونغرى وهو ينغار حكومتين وفيه اشتباه والظاهر بل الصواب انهما حكومة (٢) واحدة والفاظ هونغرى وهو ينغار وهنيغار وانغورة وهنوغارة وانگروس الفاظ متنوعة منحرفة عن اصل واحد مثل سينيا واسكوتيا الخ وبقيت الان منحصرة على لفظ (وينغرية) وهى الماجار ولفظ هونكار وخونكار اللذان يطلقان الان بين العثمانية على السلطان مأخوذان منهم قال كارامزين لما طردت الهون من مقاطعة پانونيا (ماجارستان) من طرف غينيد النمسوى اقاموا مدة بين نهرى دينيستر وطونه (يعنى مملكة رومانيا الحاضرة) مدة وكانت المملكة المذكورة وقتئذ سميت هونبنوار اه فهذا الذى اوقع بعض الفضلا فى الوهم والقول بكونهما حكومتين وليس كذلك بل سميت المملكة المذكورة هونبنوارا وهوينغار لاقامة الهنغرية بها بعد هجرتهم من بلادها قال رفاعة بك بعد ذكره مانقلناعنه سابقا ومنها يعنى من الهون المتشتتة من بقيت على الهونية مستقلة مثل (اوطرغورية) التى هربت داخل بلاد كوه قاف (كامكازيا) وكقبيلة (سابرية) ومنهم من صار دخيلا للغير الغالب ولامانع من كون الروسية اصلها الاول اخلاطا من الهونة وجنس الصقالبة وقال ايضا وامة الاوغرة التى تسمى هنغرية وانغورة وهنوغارة وانوغندورة ويسمى فيما بينهم باسم الماجار الذى هو اسم احد قبائلهم الاصلية كانوا موجودين الى آخر ماسيذكر فى بيان الماجار وقال كارامزين

---

(١) والحاصل ظهر بعد انقراض دولة الهون بلا تأخير من انقاضهم دولة اسلاوان واوارو وغرها اعنى الماجار وخزر وبلغار ويبتدأ ذكرهم من هذا التاريخ فى تواريخ الافرنج. منه عفى عنه .

(٢) نعم لاينكر تشكل حكومة خزر من انقاض دولة الهون وانما الانكار على كون ملكهم هوينغار. منه عفى عنه .

و فى تلك الاثناء نعدت اللان جبال پر يناواستوطنوا فى ممالك اسپانيا و پورتوغاليا اه فيفهم من هذا ان اصل اسپانيا و پورتوغاليا هواللان والله سبحانه اعلم وقدذكر فى اواخر القسم الاول من هذه المقدمة دخول اللان قطعة ماكيدونيا وسائر مواضع آوروپاولكن لم تنقطع اللان عن اوطانهم الاصلية بالكلية وقدذكر اللان فى التواريخ (١) الاسلامية اثناء بيان حوادث العصر السابع والثامن من الهجرة وذكر حملهم اسراء القفجق الى مصر والشام وبيعهم هناك اثناء خروج التتار واستيلائهم على ديار القفجق وظهور ملوك الاتراك المشهورين بالموالى من هؤلاء الاسراء القفجقية واشتراط الملك الناصر السلطان محمد ابن قلاون المصرى القفجقى الاصل فى معاهدته قيصر الروم عدم تعرضه لتجار اللان المترددين الى ديار الشام ومصر وعدم ممانعته اياهم ور بما يكتب العين بدال الهمزة فيقال علان وهو لحن العامة كذا فى ترجمة القاموس * الاوار وقدذكرت نبذة من احوالهم فى القسم الاول من هذه المقدمة والحاصل انهم كانوا فى وقت من الاوقات دولة قوية الشكيمة المالكة على القوة والشوكة الخارقة للعادة من بين القبائل التركية المقيمين بالتاتارستان الكبيرة على ما فى التواريخ ولكن لم نطلع فيها على ان مملكتهم فى اى زاوية كانت من زوايا التاتارستان الكبيرة الواسعة الارجاء الفسيحة الفضاء وفى اى عصر كانت دولتهم وكم سنة كانت مدة سلطنتهم وكيف كانت احوالهم وماجرياتهم فهى مجهولة بالنسبة الينا وقد مر فى القسم الاول بيان كون اصلهم من هياطلة وافتاليت الذين هم من الاقوام التركية المقيمين بما وراء النهر وابادة توكيو سلطنتهم وهربهم مع خاقانهم المسمى (وار) الى جهة آوروپا واشتهارهم مدة باو يغور و سابر وتسميتهم باوار عند دخولهم آوروپا واشتهارهم بعد ذلك هناك بهذا اللقب نقلا عن بعض

---

(١) قال المسعودى ودار مملكة اللان يقال له معص وتفسير ذلك الديانة وله قصور ومنتزهات فى غير هذه المدينة ينتقل فى السكنى اليها وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلاثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان انفذهم اليهم ملك الروم اه . منه عفى عنه .

الفضلاء والانكار على هذا القول من وجوه ومع ذلك قدمرما يدل على كون الاوار مطرودين من طرف توكيو صريحا عند ذكر توبيخ واحد من رؤساء الترك سفير الروم والانيتنوس بل من اقوال سفراء توكيو اقيصر وقد صرح بذلك كارامزين تصريحا لا يبقى معه فيه ادنى شبهة (١) حيث قال لما افسدت اسلاوان فى آوروپا يعنى الشرقية بالنهب والغارة والتخريب وسفك الدماء مدة ثلاثين سنة ظهر من آسيا قوم جديد وفتحوا لانفسهم طريقا بالمحاربة الى سواحل البحر الاسود ولم يكن العالم كله فى العصر المذكور على قرار واحد من جهة القوة والغلبة بل كان على تبدل وتغير دائما (يعنى لكثرة المهاجمة والمهاجرة) وكان القوم المذكورون الذين ظهروا من جهة آسيا هم قوم (اوار) وقد اشتهروا فى التتارستان الكبيرة بالقوة والشوكة ولكن غلبهم الترك على اراضيهم فى العصر السادس من الميلاد واضطروهم الى ترك اوطانهم والهجرة منها اه ومراده بالترك هم الذين مر ذكرهم بعنوان توكيو اعنى قوم بومين قاغان والخاقان ديزابول وقومه فان كارامزين قال بعد ذلك وهؤلاء الاتراك على شهادة مورخى الصين الى آخر ما ذكرنا نقلا عنه فى بيان احوال الخاقان ديزابول وقومه فعلى هذا لا شبهة فى كون الاوار ملة ودولة ذات شوكة وقوة عظيمة شهيرة فى وقت من الاوقات بقطعة آسيا وكونهم مطرودين فى الاخر من جهة توكيو (الترك) واما الشبهة فى كون وطنهم قطعة ماوراء النهر على ماذهب اليه عاصم افندى النجيب ولعل الباعث على تقوله هذا القول عدم ذكر ملة ودولة قوية باسيا تسمى باوار فلما رأى هنا انهم كانوا كذلك ولم يجد لهم مصداقا سوى الهياطلة بماوراء النهر قال انهم هم والله اعلم بسرائر عباده ولكن المفهوم من قول كارامزين السابق انهم كانوا حين قيام دولتهم باسيا وقوتهم وشوكتهم تسمون باوار وقد صرح بذلك بعد حيث قال فى شان هؤلاء الاوار الذين نحن الان فى صدد بيان احوالهم ان قوم اوغر الذين كانوا سابقا تحت طاعة آوار ثم طردوا بعد ذلك من جهة

---

(١) والحاصل ان كون الاوار مطرودين من طرف توكيو المار ذكرهم مما لا شبهة فيه وانما الانكار على القول بكونهم من اهل ما وراء النهر. منه عفى عنه.

الترك سموا انفسهم بعد عبورهم نهر وولغا الى جهته العربية باسم اوار الذين كانوا اشتهروا وقتاما بالقوة والشوكة اه وقد اثبت عاصم نجيب افندى نفسه فى موضع من هامش تاريخه مامعناه اثبت تئوفيلات الذى كتب التاريخ قبل الهجرة بسنتين وبين احوال الترك بيانا واضحا كون اوار طونه اوارا كاذبا وان رئيسهم ادعى لنفسه عنوان الخاغان (الخاقان) وسمى قومه باوار زوراومينا ليثبت لنفسه وقومه اهمية عظيمة فيبيع خدمته للروم بهذا السبب بثمن غال اه فهذا ايضا صريح فى كون دولة الاوار مشتهرة من القديم باسم اوار والا فمن اين يلزم الاهمية (١) وبيع خدمتهم غاليا بمجرد تلقبنه بخاقان وتسمى قومه باوار والهيا طلة وان كانت دولة قوية الا ان تسميم باسم آوار لم ير فى واحد من التواريخ فضلا عن ان يكون لهم بذلك اشتهار ولذلك اضطر عاصم افندى ان يقول انهم اشتهروا باسم آوار بعد دخولهم آوروپا ولكنه لم يتنبه على لزوم التناقض بين قوليه والحاصل ان كونهم دولة قوية فى آسيا مذكور فى التواريخ واما مساكنهم وعصر دولتهم وسائر احوالهم غير مذكورة فيها فلنترك المجهول ولنكتب المعلوم قال رفاعة بك وامة الاوار الاقرب انها اورسية فانها ظهرت اولا تحت حكومة امة السابرية التى هى من امم كوه قاف (ققفازيا) ثم سارت الى نهر طونة وسلبت اقليم سرافة سنة ٤٧٤ (٢) ثم شيدت سنة ٥٦٦ مملكة فى اقليم داكيه وپانونيا وحين كانت بها خربت جميع المانيا الجنوبية ثم ان خشونتهم واختلاطهم بقبائل من بقايا هونية بارض هونيوار وفى اعلى ماجار صار سببا لتسميتهم هون اوارة ولكن قال البوزنطيون

---

(١) لان الانتحال انما يكون لشىء له اهمية واشتهار فتحصل له اى للمنتحل اهمية وقيمة بسببه. منه عفى عنه.

(٢) وهذا ايضا دليل مستقل صريح فى عدم اصل آوار الهيا طلة فان دولة الهيا طلة قائمة على قوتها وشوكتها فى التاريخ المذكور وانما انقرضت فى سنه ٥٥٧ على ما تقدم ذكره. منه عفى عنه.

انهم ليسوا الا اوغرة (١) فلا نجزم باحد الطرفين ثم ان هؤلاء الاوارة ويقال لهم ايضا سلطنة الخاقان كانت تمتد من بحر البنادقة الى البحر الاسود وكان داخلا فيها جزء عظيم من مجرى نهر طونة وويستوله وقد امتدت غاراتهم الى تورنجه واجتمعت فى معسكرهم الحصين رنجيه اموال عشرين اقليما ولكن لم تمكث هذه الامة النهابة على سطوتها وشدة بأسها زمنا طويلا بل ضعفت بالحروب مع البلغار ثم سقطت بقوة كارلوس مانوس سنة ٧٩٦ وكان مبدأ سلطنتهم سنة ٥٦٦ اه والحاصل اختلفت اقوال المورخين فى شان الاوار هؤلاء بحيث لا يمكن استنتاج الحقيقة منها وحاول بعضهم استنتاج حقيقتهم من اشتقاق لفظ اوار فقال يمكن ان يكون محرفا من لفظ يوقارى ويوغارى بمعنى الفوق والعلو سموا بذلك لمجيئهم من الممالك العليا والفوقانية يعنى اراضى باشقرد واعالى نهر وولغا ثم يحرف الى آوار خصوصا فى استعمال الروم واليونان اياه ويمكن ان يكون فعلا مضارعا من آومق بمعنى السقوط والميلان سموا به لميلانهم من اوطانهم الاصلية الى جهة اخرى ويمكن ان يكون كل واحد من الفاظ آوار واوغر واوغرة منحرفا فى الاصل من لفظ اويغور الذى هو اسم لقبيلة عظيمة قديمة شهيرة من الترك اومنحرفا من لفظ اوغرى بمعنى اللص والسارق وقطاع الطريق سموا به لوجود قطع الطريق فيهم كما مر بيانه مرارا والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال وعلى كل حال انهم اعنى آوار قبيلة شهيرة من الترك كانت لهم سلطنة قوية فى وقت ما ولا فائدة معتد بها فى الاشتغال ببيان ماخذ اسمها واشتقاقها وهذا القدر كاف لتنبيه ارباب الذوق ولكن ينبغى ان يعلم ان اقوام اوار هؤلاء واوغر واوغرة وماجار وبلغار وخزر ظهروا فى نظر

(١) وقد مر قريبا نقلا عن رفاعة بك ان امة اوغره هى الهنغرية المسماة بماجار فعلى هذا يلزم كون اوار عين ماجار وتنطبق عليهم صفاتهم ايضا حيث قال فى حق ماجار وكانت تخرج منهم قبائلهم السفاكة للدماء تارة يحمل على آلمانيا وتارة على ايطاليا ثم قال لهذا الاشتباه وقد التبسوا بمعنى الماجار بالاوارة كما التبست الاوارة بالهون الخ. منه عفى عنه.

التواريخ بعد انقراض دولة هون المعظمة فى عصر واحد وفى اقليم واحد اوفى اقاليم وولايات متعددة قريبة بعضها من بعض ومتصلة بعضها ببعض يجمعها اسم آوروپا الشرقية العام وقد تشكلت كلها او اكثرها من انقاض دولة الهون المعظمة وقد كانت فيما بينهم محاربات كثيرة كما انها كانت بين كل واحد منهم وبين اقوام آخر من الاجانب وخلاصة القول فيهم ومجمله انهم من جنس واصل واحد وتمييز كل منهم عن الاخرام يتيسر الى الان لجمعية كثيرة من جمعيات العلوم مع بذل غاية جهدهم ونهاية قواهم فى هذا الباب مدة عدة أعصر فضلا عن مثلى الدرويش الراجل فى قطع مسافات المعارف الخالى اليد عن الالات والادوات والماخذ المنبوذ فى ميدان الانفراد عن الانصار والاعوان وبناء على عسر التمييز بينهم انسب كارامزين الى اوغره وبلغار عين العوادث التى نسبها رفاعة بك الى آوار فى تعين التاريخ المذكور اعنى سلب اقليم سراقة فى سنة ٤٧٤ حيث قال ظهر عقيب انقراض دولة الهون قوم اوغرة وبلغار الذين هم من جنس الهون وهاجروا من مساكنهم الاصلية التى كانت بسواحل نهرى اورال وو ولغا وتوجهوا نحو الجنوب واستملكوا (١) سواحل بحر ازاق والبحر الاسود ومن سنة ٤٧٤ ميلادية شرعوا فى نهب ميزيا (بلغاريا الحاضرة) وفراكيه (روم ايلى) حتى نهبوا اطراف قسطنطينية اه وقال الفاضل المرجانى ايضا بناء على هذا الاشتباه وعدم التمييز فى بيان احوال البلغار من غير ذكر تاريخ الوقعة ان زبير خان من خوانين بلغار قام من سواحل نهر اتل (وولغا) بجيش كثيف وضم الى

(١) والظاهر ان الصواب ماذكره كارامزين والذى ذكره رفاعة بك خطاء لا محالة لانه ذكر ان مبداء سلطنة اواركان سنة ٥٢٢ فاذا كان الامر كذلك كيف يقدرون على سلب اقليم سراقة قبل سلطنتهم بتسعين سنة فان صح ذلك يلزم الخطاء فى تعيين مبداء سلطنتهم اويكون مراده به مبدأ ازدياد شوكتهم وقوتهم لا اصل سلطنتهم والله سبحانه اعلم منه عفى عنه .

نفسه طائفة اسلاوان وكثيرين (١) غيرهـا من الطوائف المجاورة وتوجه قاصدا بلاد الروم وعبر نهر طونة الى جهة روم ايلى فشن عليها الغارات وعم من بها من الاقوام قتلا واسرا ونهبا ولم يزل يسير نحو القسطنطينية حتى بقيت بينه وبينها مسافة ثلاثين ميلا فنزل هناك فاستولى الخوف الشديد والرعب الذى ليس عليه مزيد على القيصر يوستنيان واضطر الى دفن خزائنه واموال الثمينة العالية تحت الفلعة حتى خلص دار ملكه من استيلائهم عليها بغاية الصعوبة والمشقة اه وكارامزين نسب هذه الوقعة لاسلاوان وذكر كون قوم اوغر وبلغار معهم حيث قال مسير بعد ذكره اسلاوان مستتبعا البلغار واوغر وهذه الوحوش يعنى اسلاوان وبلغار واوغر تقدموا الى مدينة القسطنطينية فاضطر القيصر يوستنيان واركان دولته فضلا عن عوام بلدته الى القيام بابراج قلعة البلد وسوره مسلحين منتظرين لمدافعتهم ان هجموا الى المدينة فلم يتجاسر على مدافعتهم من قواد الروم غير وبليسار فدفعهم ببذل الخزائن وتفريقها اكثر من المدافعة بالقوة اه وقال كارامزين فى بيان احوال هؤلاء الاوار الذين نحن الآن فى صدد بيان احوالهم ان هؤلاء الاوار المجهولين لما ظهروا عرضوا الانفاق على الروم فصارت الروم ينظرون اليهم نظرا مشوبا بالتعجب والخوف فان مناظرهم من جهة الهيئة والالبسة كانت تذكرهم وتخطر هم الهون المهيبة المدهشة الذين كانوا قد مضوا قبل ذلك بسنين يسيرة لانه لم يكن بينهم وبين الهون فرق فقط الا فى خصلة واحدة وهى ان الهون كانوا يحلقون شعر رؤسهم بخلاف هؤلاء الاوار فانهم كانوا

---

(١) مراد الفاضل المرجانى بزبيرخان هو قوم الصابرية التى مر ذكرهم مرارا وقد تقدم عن رفاعة بك آنفا ان آوار كانوا اولا تحت طاعة الصابرية فظنه اسم شخص ثم عربه اوحرفه الى زبير وله جسارة عظيمة على مثل ذلك والا فوجود لفظ زبير الذى هو لفظ عربى فى العصر المذكور عندهم اعز واشد امتناعا من وجود الحوت فى رأس الجبل بل من وجود الحظ والاقبال عند الفضلاء فخالف المرجانى رفاعة بك فى نسبته هذه الحادثة الى آوار وكارامزين فى نسبته اياها الى اسلاوان ثم خالفه فى عد بيان خان الذى هو خان الاوار من خوانين بلغار بعد ذلك . منه عفى عنه .

لايحلقونه بل كانوا يبقونه على حاله ويجعلونه ضفائر متعددة ويزينونها بانواع الزينة فقال كبير سفرائهم ورئيسهم للقيصر يوستنيان ان الاوار قوم شجعان لايخافون احدا ولم يغلبوا من احد قط يخطبون مودة يوستنيان ويطلبون منه الاعانة ويلتمسون منه ارضا مناسبة لاقامتهم فلم يرد يوستنيان شيئا من مطاليبهم وهؤلاء القوم وان هربوا من آسيا الا انهم بعد دخولهم آوروپا صاروا ذاقوة عظيمة وشوكة قوية حتى اطاعتهم اوغر وبلغار ولم يقدر قوم آنت (١) ايضا على مخالفتهم وقد هزم خانهم الشجيع بيان جيشهم وقتل سفير الكيناز المشهور ميزا مير ونهب مملكته واسر اهاليها واستولى على موراويا وبوهميا فى مدة يسيرة وكان يسكن بها قوم چخ (چه) وسائر اقوام اسلاوان وانتصر على قرال افرنج ايضا وكان قوم (لونغوبارد) و (غيپيد)(٢) يحاربان بعضهم بعضا حين عودته الى سواحل طونة فالتزم بيان خان طرف قوم لونغوبارد وشتت شمل حكومة غيپيد واستملك كثيرا من اراضى قطعة روم ايلى فوهبت اليه لونغوبارد قطعة پانونيا بحسن رضاهم واستعدوا بانفسهم لغزو ايتاليا . وكانت الاراضى الكائنة بين نهرى ونغا (٣) وايلبه من مستملكات آوار فى سنة ٥٦٨ وقد ادخلوا مملكة دالماسيا ايضا تحت تصرفهم فى العصر السابع من الميلاد ولكن يستثنى منها سواحل البحر وحكومة (٤) الترك (توكيو وسلطنة الخاقان ديزابول) التى تجرى احكامها بين نهرى ايرتش واورال وان كانوا ارعبوا الصين والفارس وارهبوهم واوصلوا غزواتهم الى نفس القريم فى سنة ٥٨٠ واستملكوا

---

(١) قد مر ذكرهم عند بيان الهون ومر ايضا انهم من جنس واحد مع وينيدو اسلاوان وانه يظن كونهم من اصل الروس. منه عفى عنه .

(٢) قد تقدم من انهم جنس نمسة. منه عفى عنه .

(٣) نهر يجرى من مملكة آلمانيا نحو الجنوب ويصب فى بحر آدرياتق. منه عفى عنه .

(٤) وقد مر ذكر هذه الجملة عند بيان هذه الحكومة. منه عفى عنه

البوسفور وحاصروا خرصون ووسعوا مما لكهم جدا الاانهم خرجوا من قطعة آوروپا سريعا وتركوا سواحل البحر الاسود لتصرف آوار * وكانت امة آند واهالى بوهميا ومورااويا من چخ وغيرهم من جنس اسلاوان كلهم تحت حكومة بيان خان وفى خدمته فى تلك الاثناء ولكن كانت طائفة اسلاوان الذين فى اطراف طونة على استقلالهم وقدا غار هؤلاء الطائفة الاسلاوانية فى سنة ٥٨١ بجيش كثيف على فراكيه واطراف روم ايلى وجوانبها حتى تقدموا الى اراضى يونان وكان قيصر الروم تيورى مشغولا فى ذلك الوقت بمحاربة (١) فارس وغزوتهم فلم يقدر لذلك على مدافعتهم فارسل الى بيان خان يطلب منه مساعدته بمدافعتهم وقصر ايديهم من الهجوم فسارع بيان خان الى الى اداء خدمته المطلوبة ومساعدته فاشتهر لذلك بمودة قيصر تيورى وكان لايحب هذه الطائفة الاسلاوانية من القديم لكبرهم ونخوتهم وبعبارة اخرى صادقة لحماقتهم وكان من نخوتهم وحماقتهم ان بيان خان لما ادخل قوم آند تحت تصرفه دعاهم الى طاعته وتبعيته فقال رئيسهم (لاورتياس) وغيره ايضا من الذى يسلب مناصريتنا واستقلالنا ومن يقدر على ذلك لانا تعودنا اخذ المملكة عن الغير فكيف نسلم مملكتنا الى الغير ومادام السيف والحرب موجودين فى العالم يكون الامر كذلك ايضا فى المستقبل وقتلوا سفير الخان وكان بيان خان مغتاظا عليهم لذلك وغضبانا غاية الغضب وكان فى صدد الانتقام واخذ الثار عنهم وارادة تعريف حقيقة الترك وماهيتهم وقدرتهم وغيرتهم اياهم بهذا الوجه فلما صدرت هذه الاشارة عن القيصر فى تلك الاثناء تيقن ان وقت الانتقام واخذ الثار من اسلاوان قد حل وقد انضم الى مصلحة اخذ الانتقام منهم وتعريف حدهم وبيان حقيقة الترك وغيرتهم وقوتهم مصلحتان اخريان احديهما جلب محبة قيصرو وتطييب خاطره والاخرى الاستيلاء على الاموال والخزائن التى

---

(٣) والظاهر من قرائن الاحوال ان هذه كانت اياهم هرمز بن انوشروان حين قصدت الروم بلاده بثمانين الفاو تقدموا الى نصيبين كمامرت الاشارة اليه. منه عفى عنه.

كانت الاسلاوان فدجمعها مدة خمسين سنة من نهب الاطراف والجوانب ولاسيما من نهب مملكة الروم نحمل عليهم بستين الفا من فرسان اوار وشتت جمعينهم فى مدة يسيرة وخرب بلادهم وقراهم وديارهم وكان اسعدهم حالا من نجا برأسه ملتجأ الى الغابات الكثيفة فاستولى بيان خان على كافة داكيا حتى اضطرت اسلاوان الى اعطاء العسكر لبيان خان وصار وابريقون (١) دماءهم ودماء غيرهم ويفارقون ارواحهم وحياتهم لنفع اعداء لهم الذين استولوا على ديارهم واموالهم وكان القتل والهلاك فى اول الامر اوقات المحاربة لازما عليهم • ثم انتقض الصلح بعد ذلك بين القيصر و بيان خان فقصد بيان خان وحاصر القسطنطينية فى سنة ٦٢٦ م مصادفة سنة ٤ ه فلو لم تبد الخيانة نوايا الخان للروم لم تكن ادنى شبهة فى استيلائه على القسطنطينية والاسلاوان وان بذلوا غاية جهدهم وطاقتهم واظهروا نهاية الشجاعة وقتل اكثرهم بهذا الوجه لمنفعة اوار ولم ينج منهم الا القليل الان هؤلاء القليل ايضا نالوا من الخان المعاملة السيئة وسوء الجزاء (٢) بدل المرحمة والاحسان وحسن الجزاء ثم بين كارامزين بعد ذلك عصيان اقوام اسلاوان الكائنين فى بوهميا على آوار و اعادة استقلالهم بقوة السلاح وطرد طائفة من اسلاون قوم اوار من ايللريه بالاتفاق مع الروم وخروج طائفة چخ وسائر طوائف اسلاوان من طاعة اوار فى العصر السابع من الميلاد لظهور الضعف على دولتهم وبقاء اسلاوان طونة فقط تابعة لهم وخروج

---

(١) يعنى كالمسلمين فى عصرنا هذا استغفر الله اخطأت كالمدعين للاسلام المستغرقين فى بحر الحماقة والدنائة المقتولين تحت راية اعدائهم الذين انتزعوا منهم ديارهم وسلبوهم جميع حقوقهم المدنية والشخصيه والدينية انا لله وانا اليه راجعون منه عفى عنه .

(٢) انظر ايها القارى كيف يتعصب كارامزين لاخوانه اسلاوان على الاتراك ويسكت عن معاملة الروس المسلمين الذين تحت حكومتها كيف تسوقهم الى محاربة اخوانهم الجنسية والدينية ثم لاتعطيهم الحرية الدينية فضلا عن المدنية والشخصية ويعاملهم معاملة البهايم ونحن لانشك ان سوء جزاء بيان خان فى حق اسلاوان انما هو بسبب تلك الخيانة التى ذكرها فانها صدرت عنهم بلا مرية فاستحقوا بذلك سوء الجزاء وكذلك نسب نقض العهد الى بيان خان وهذا ايضا فرية بلا مرية بل الظاهر ان القيصر لما فرغ من شغله مع فارس عامله مطابقا لقول القائل قضيت حاجتى كس ام جارتى . منه عفى عنه .

بلغار الذين كانوا احدى القبائل التى كانت تشكلت منهم دولة اوار و حد
اركانها من طاعة اوار فى سنة ٦٣٥ باجتهاد خانهم قوارات خان وسعيه وغيرته
وذهاب ولد قوارات خان الرابع بعد وفاته الى الاوار الذين كانوا فى مملكة
ماجار فيشعر بذلك بوجود حكومة اوار فى الوقت المذكور فى ماجارستان
وبعد ذلك لم ار شيئا فى التواريخ مما يتعلق باحوال اوار مصداق قول القائل
وليس وراء عبادان قرية فما ادرى الى ما صار امرهم ولكن فى قطعة طاغستان
الان مقدار يسير من بقايا آوار يسمون الى الان بهذا الاسم مشهورون بالقوة
والشجاعة وشدة الباس والشهامة وهم اتباع الشيخ شامل عليه الرحمة والغفران
وروح الله روحه ونور ضريحه * ثم يظهر بعد ذلك فى ميدان التاريخ قوم خزر
ويعرفهم اهل آوروپا من ذلك (١) الوقت وان كانوا موجودين فى العالم قبل ذلك
بازمنة كثيرة ومشهورين باسم آخر * الخزر لا شبهة فى كون الخزر من الترك
وانما التردد والتوقف فى انهم متى سموا بهذا الاسم وما سبب تسميتهم به وقد ذكرنا فيما
سبق ان ابتداء ذكرهم فى التواريخ باسم الخزر على ما علمنا فى عصر كسرى
انوشروان اعنى فى اواسط العصر السادس من الميلاد التى هى اوان انقراض
دولة الهون المعظمة ولكن قال كارامزين ان هؤلاء يعنى الخزر من جنس
واحد مع الترك وكانوا يسكنون من القديم فى غربى بحر الخزر وسمى هذا البحر
عند جغرافى الشرق ببحر الخزر بالنسبة والاضافة اليهم وكانوا معلومين
لمورخى الارمن فى العصر الثالث من الميلاد ولكن عرفهم الاوروپاويون
فى العصر الرابع الميلادى مع الهون وعينوا مساكنهم بين بحر الخزر والبحر
الاسود يعنى فى صحراء حاجى طرخان واطرافه اه ووجه تسميتهم بالخزر
على ما يظهر هو صغر (٢) عيونهم وضيقها سموهم به العرب فى بداية ظهور

---

(١) يعنى ان مبداء كونهم معلومين لاهل آوروپا انما هو بعيد انقراض دولة الهون واشتهار دولة آوار . منه عفى عنه .

(٢) والاعتراض عليه بان هذا الوصف موجود فى جميع طوائف الاتراك وقبائلها فلم خص من بينهم طائفة الخزر دون غيرهم كالاعتراض بان وصف قرار المائعات

انوار الاسلام و ابتداء انتشارها الى الافاق وبلوغ فتوحات جيش الموحدين الى تلك الاصقاع لصغر عيونهم وضيقها لكون لفظ الغزر موضوعا لذلك المعنى وهذا بناء على ظاهر الاحوال ولا ينافيه اطلاق هذا اللفظ على من كان منهم في العصر السادس او الثالث الميلادى فان هذا الاطلاق انما كان من طرف المورخين الذى جاؤا بعد تسميتهم باسم الغزر لعلة مذكورة بان ذكروا اسلافهم ايضا بهذا الاسم حين ذكروهم لكونهم من جنس واحد وانما ينافيه لو ثبت اطلاق مورخي العصر السادس او الثالث الميلادى اياه عليهم وهو غير معلوم لنا ولا منافاة على هذا التقدير ايضا فان هؤلاء الغزر لما كانوا معلومين لعرب الحيرة و الانبار الذين كانوا من تبعة الفرس وعرب الشام الذين كانوا تابعين للروم بجميع اوصافهم لاغارتهم على ولايتى ارمينية واذربيجان التابعتين تارة للفرس وتارة للروم دائما بل على ولاية عراق العجم احيانا ووقوع الاسراء منهم بيد الفرس و العرب المذكورين في بعض الاحيان لا بعد في تسمية هؤلاء العرب اياهم بهذا الاسم في العصر المذكور فانا لانجزم بوقوع هذه التسمية بعد الفتوحات الاسلامية وانما نقول به بناء على ظاهر الاحوال و المقصود الاصلى استظهار وقوع هذه التسمية من طرف العرب للعلة المذكورة في اى عصر كان وترجيحه على سائر الاحتمالات وعلى كل حال كانت حكومة الغزر من بين سائر حكومات الترك حكومة ذات قوة وشوكة وقوية الشكيمة وباقية ازمنة طويلة وصاحبة اشتهار وكانت تشن الغارات على بلاد الفرس دائما حتى اعجزتهم تعرضاتهم وغاراتهم فاضطروا الى بناء الحصون الحصينة والقلاع المتينة في ولايتى اذربيجان وارمينية خصوصا بقرب اردبيل ولما لم تندفع غاراتهم بذلك اضطر كسرى انوشروان الى بناء سد ارمينية المسمى بالباب الحديد والباب وباب الابواب منشئا في ذلك بذيل لطائف الحيل على ما مر بيانه وقد كان بينهم وبين الروم في اكثر الاوقات مناسبة ودادية ودامت محاربتهم الروسية من ابتداء

موجود في جميع الظروف فلم تخص القارورة من بينها بهذا الاسم دون غيرها واندفاعه بل عدم وروده ظاهر لاربابه وذلك ان وجه التسمية انما هو لترجيح هذا الاسم من بين سائر الاسماء لا الوجوب اطلاقه على كل ما وجد ذلك الوجه فيه. منه عفى عنه.

ظهور الروس الى انقراض دولة الخزر بايديهم كما سيجيء تفصيله وكانت قياصرة الروم بناء على قول بعض فضلاء العصر نقلا عن تواريخ الافرنج والروم تخطبون مودتهم وتستجلبونهم الى انفسهم بانواع التلطيفات ويبذلون فى ذلك غاية جهدهم ومقدرتهم حتى نقل ان بعض القياصرة اهدى لبعض خواقين الخزر البسة مخصوصة بالقياصرة بحيث لا يجوز استعمالها لغيرهم بوجه من الوجوه وقال ان يوستنيان الثانى لما خلع التجأ الى خاقان الخزر وان القيصر قوپرونيم تزوج ملكة من الخزر فصارت ايمپراطورة الروم والشرق حسب اصولهم وسمى الولد الذى ولدت منها باسم خازار (لازار) وغلب قيصر الروم هرقل الفرس وانتصر عليهم فى سنة ٦٢٦م مصادفة سنة ٤هـ بمعاونة الخزر ايامهم وهى الغلبة التى اخبر بها القران العظيم الشان بوقوعها قبل وقوعها بقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وانتصروا عليهم بعد ذلك ايضا مرارا باعانة الخزر ايامهم وكانت قياصرة الروم يلبسون فى بعض اعيادهم البسة الخزر استمالة لقلوبهم وكانوا يتخذون حرسهم من الخزر وبهذه المناسبة السياسية والصهرية الممتدة بين هاتين الدولتين مدة العصرين دخل بعض من الخزر فى دين النصرانية ومع ذلك لما التجأ بعض اليهود الذين ضيق عليهم القياصرة واضطهدوهم الى اتراك الخزر الذين هم اعنى كافة الاتراك مشهورون فى العالم اجمع بحماية الضعفاء واكرام الغرباء واطلع هؤلاء اعنى الخزر بواسطتهم على حقيقة اليهودية ووجدوها احسن واصح واصوب من النصرانية بمراتب كثيرة وقد كان من عادات الاتراك من القديم طلب الحقيقة دائما وقبولها متى واين وجدوها من غير تعصب ولا استنكاف دخل كثير منهم فى اليهودية ولهذا كان كثير من ملوك الخزر على اليهودية حتى فى اوائل ظهور انوار الاسلام على ما سينقل عن سواحى المسلمين وجغرافييهم ومورخيهم ويهود القرايم الذين هم احسن كافة اليهود الموجودين الآن فى العالم وافضلهم من جهة الانسانية والصداقة وحسن المعاملة على الاطلاق لا شبهة فى كونهم من بقايا يهود الخزر ولما اراد امراء عساكر الاسلام مجاوزة باب الابواب ومحاربة الخزر فى عصر خلافة عمر رضى الله عنه بامره بعد فتحهم ولايتى اذربيجان

وارمينية قال لهم شهريار حاكم باب الابواب انا راضون عنهم ان تركونا فى اوطاننا مستريحين من غير ان يتعرضوا لنا فلم يصغ الامراء اليه ولم يتفكروا فى قوله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ماتركوكم اولم يتذكروه اولم يبلغ وقتئذ اليهم اوتأولوه وقالوا انا لانرضى ان لم نحاربهم فى وسط ديارهم فتعدوا الباب الحديد اعنى السد الذى بناه انوشروان وقصدوا الخزر فى سنة ٣١ تحت رياسة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى وشرعوا فى محاربتهم وانتصروا عليهم وتقدموا الى مدينة البيضاء التى هى على مائة فرسخ من بلدة بلنجر (١) التى هى وراء الباب الحديد على مافى التواريخ وسيجئ بيان كل واحد منها وكان قد شاع بين الخزر ان هؤلاء الموحدين لايموتون ولا يؤثر فيهم السلاح ولهذا كانوا يتحاشون من مقابلتهم ومقاومتهم ولما افضت الخلافة الى سيدنا عثمان رضى الله عنه اجتمعت الخزر فى سنة ٣٢ واختفوا فى غابة ورمى واحد منهم واحدا من المسلمين بنشاب فقتله فتيقنوا بعد ذلك انهم يموتون ويؤثر فيهم السلاح فحملوا عليهم بغتة حملة رجل واحد وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واستشهد رئيسهم عبد الرحمن بن ربيعة وكثير غيره من رؤسائهم بقرب بلنجر وطردوا بواقيهم الى ان ادخلوهم من الباب الحديد ومع ذلك لم يصدر من هؤلاء الاتراك الخزر الذين يرميهم كتبة آلاوروپا وبين فى عصرنا بالوحشة وعدم التمدن ادنى شيء مما صدر عن الجنرال كشننير الذى هو افضل رجال ملة تدعى تسنم سنام التمدن وتنرى ذروة الانسانية فى عصرنا هذا الذى بلغ فيه آورو پاويون غاية التمدن ونهاية الترقى على زعمهم الباطل ودعواهم الكاذب من اهانة الاموات كعجوز طفقت تضرب الذئب الميت انتقاما منه ومما لايزال يصدر عن فرانسا فى حق اهل فاس بل دفنوا كلهم بغاية الاحترام مثل مافعل ياپونيا ذلك النجم الشرقى

(١) قال الحموى فى معجم البلدان والبيضاء ايضا مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب وقال مثل ذلك فى بلنجر ثم ذكر الوقايع الاتية . منه عفى عنه .

بقتلى الروس فى هذه المحاربة الاخيرة واخذوا جسد رئيسهم عبدالرحمن بن ربيعة (١) ووضعوه فى تابوت بكمال الاحترام وصاروا يستسقون به المطر لماشاهدوا فى مستشهدهم من الانوار الساطعة وفى ذلك يقول ابو جمانة الباهلى مفتخرا به وبقتيبة بن مسلم الباهلى شعر :

* وان لنا قبرين قبر بلنجر * وقبر باقصى الصين يالك من قبر *

* فذاك الذى فى الصين عمت فتوحه * وهذا الذى يسقى به سبل القطر *

(١) ولكن لايكون اقدام الاصحاب الكرام على شئ خصوصا سيدنا عمر رضى الله عنه من غير وجه مع ورود النهى عنه (٢) والان بيدى ورقة من رسالة بين فيها فضائل باب الابواب مترجمة من الفارسية الى التركية يذكر صاحبها بسنده المتصل الى ابيهريرة رضى الله عنه مرفوعا فضيلة باب الابواب ويروى عن عمر رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عن فضائل الاعمال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجهاد فى السد الاعظم (يعنى باب الابواب) افضل من عبادة جميع العباد فقال عمر رضى الله عنه ما السد الاعظم يا رسول الله فقال انه جزيرة عظيمة بين الروم والعجم وان عدوها طائفة صغار العيون مداهم الله تعالى فقال عمر هل هو السد الذى دون يأجوج ومأجوج قال بل هو بنى للعجم ويكون فتحه على يدى بنى امية وشهداء الجيش الذى فتحوه افضل جميع الشهداء فى الاخرة اه وهذا الاثر وان لم يكن موجودا فى كتب الاحاديث ولكن لايحكم ببطلان جميع مضمونه بل يحتمل ان يكون بعض منها صحيحا

(١) وهذا الذى بالترك يسقى به القطر هكذا فى بعض النسخ وهو وان كان بحسب المعنى ظاهرا جليا الا ان عيب اللفظى لا يخفى على اربابه الا ان يكون روى البيت الاول ايضا مضموما منه عفى عنه.

(٢) قال فى معجم البلدان بعدان ذكر قصة عبدالرحمن بن ربيعة ووجدت فى موضع آخر ان ابا موسى الاشعرى لما فرغ من غزو اصفهان فى ايام عمر بن الخطاب فى سنة تسع عشره انفذ سراقة بن عمرو وكان يدعى ذوالنون الى الباب وجعل فى مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة وكان ذوالنون ايضا سار فى عسكره الى الباب ففتحه بعد حروب جرت وقال سراقة بن عمرو فى ذلك شعر : ومن يك سائلا عنى فانى * بارض لايواتيه القرار * بباب الترك ذى الابواب دار لها فى كل ناحية مغار * الخ . منه عفى عنه .

واردوا ان لم يذكر فى كتب الاحاديث المتداولة الآن فان جميع الاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيها بل ضاع كثير منها فيمكن ان يكون هذا من ذاك ولو باعتبار بعض مضمونه فلو لم يصدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من مثل هذه الاشارة لما خالف عمر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ماتركوكم ويؤيده مارواه صلة بن زفر عن حذيفة بن يمان رضى الله عنه انه قال حضرت فتح بلنجر فبينا نحن نسير مع حذيفة فقال لى ياصلة قلت لبيك قال كيف انت اذا سار المسلمون الى بيضاء خردو معهم اما النجار (١) حتى ينقضوها حجرا حجرا قلت ان ذلك لكائن قال نعم والذى نفسى بيده ماكذبت ولا كذبت قلت على يد من يكون ذلك قال على يدى غلام من بنى هاشم اخرجه السيوطى فى الجامع الكبير برمز ابن عساكر ولاشك ان حذيفة رضى الله عنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا مما لاسبيل اليه للرأى وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحاح لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الاعاجم حمر الوجوه فطس الانوف صغار الاعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر وفى بعض الرواية عراض الوجوه بدل حمر الوجوه ولما كانت هذه الاوصاف اوصاف الترك بلاشبهة ولم يكن فى الترك طائفة تسمى خوزا وكرمان عجز الشراح عن معرفة المراد بهما وقالوا ان المراد بهما صنفان من الترك وان لم نعرفهما وقال البيضاوى ولعل المراد بهما مافى عصرنا ممالايزال يجرى بين التتار والمسلمين اه يقول جامع هذه الحروف لعل الصادر عنه صلى الله عليه وسلم خزر وقومان او كيمريان وحيث كانا غير معروفين عند الرواة وخوز وكرمان معروفان من العجم ظنوهما انهما كذلك وزادوا جملة من الاعاجم لايضاح ماظنوه وتأييده وقومان عبارة عن قفچق على ماسيجىء عند بيانهم وكيمريان كانوا طائفة من الناس بقطعة قريم على مامر قريبا نقلا عن كارامزين ويؤيد (٢) هذا الوقعة الآتية والله

---

(١) هكذا فى الاصل ولم اعرف اعرابه ولا معناه. منه عفى عنه.

(٢) وجه التأييد اتفاق قفچق الذين هم عين قومان مع الخزر ومحاربتهما المسلمين. منه عفى عنه.

اعلم بالصواب وهى هذه * وفى (١) سنة ١٠٤ هـ دخل جيش المسلمين بلاد الخزر من ارمينية تحت رياسة ثبيت النهرانى فجمع الخزر من قفجق وسائر طوائف الترك جمعا عظيما والتقى الجمعان فى موضع يقال له مرج الحجارة فوقع بينهما قتال شديد ودارت (٢) الدائرة على المسلمين واستشهد منهم خلق كثيروا غنمت الخزر جميع ماى معسكر المسلمين وبلغ المنهزمون الشام فونجهم يزيد بن عبد الملك فقال له ثبيت ماجبنت يا امير المؤمنين ولم أخف من لقاء العدو وقد لاصق الخيل الخيل والانسان الانسان وحاربت حتى انكسر رمحى وانقطع سيفى ولكن الله فعال لمايريد **وقعة الجراح بن عبد الله الحكمى** وبعد الموقعة المذكورة نصب يزيد بن عبد الملك جراح بن عبد الله الحكمى واليا على ارمينية وامره بمحاربة الخزر وقد تجرأت الخزر بعد الوقعة الاولى واحتشدوا الدخول بلاد الاسلام فسار الامير المذكور الى الخزر واخذ منهم اولا قلعة الحصين ثم قلعة برغو ثم فتح بلدة بلنجر فى ربيع الاول من العام المذكور بعد قتال شديد عنوة فاصاب من غنيمة بلنجر لكل فارس ثلاثمائة دينار ثم رد الجراح اولاد حاكم بلنجر واموال والبلدة ايضا اليه وجعله جاسوسا وعينا للمسلمين ثم حاصر قلعة وبندر بعكسر المسلمين وصالحهم فى مقابلة مقدار من الاموال فاجتمع فى تلك الاثناء الطوائف والقبائل من الاطراف والجوانب واخذوا الطريق على المسلمين فاخبر والى بلنجر الجراح بذلك فعاد الجراح فى الحال الى قرية ملى واراد ان يشتوفيها لقرب الشتاء وكتب الى يزيد بن عبد الملك يعلم بالحال ويستنجده فوعده يزيد بالامداد ولكنه مات قبل الانجاز وفى سنة ١٠٦ غزا الجراح اللان وفتح بعض القلاع فيما وراء بلنجر واخذ غنائم كثيرة وضرب الجزية

---

(١) ومن الوقعة السابقة الى هذه الوقعة اعنى فى مدة سنة ٧٢ لانرى فى التواريخ ! وقعة اخرى بينهما . منه عفى عنه .

(٢) وقد حرر الفاضل المرجانى هذه الوقعة على طرز آخر وانا نقلتها من تاريخ ابن الاثير ولعل الفاضل المرجانى اخذها عن موضع آخر والله اعلم بسرائر عباده وكذلك جميع وقايعهم الآتية مع المسلمين نقلتها عن تاريخ ابن الاثير بالمعنى . منه عفى عنه .

على اللان وفى سنة ١٠٧ عزل هشام بن عبدالملك الامير جراحا ونصب مكانه اخاه مسلمة بن عبد الملك واليا على ارمينية فاستعمل مسلمة حارث بن عمرو الطائى ففتح الحارث قصبة وبعض قرى من خزر وفى سنة ١٠٨ حاصر ابن خاقان الخزر بعض البلاد بارمينية فهزمه الحارث مرارا وفى سنة ١٠٩ غزا مسلمة الخزر من طرف اذربيجان وعاد بسبايا كثيرة وغنايم وفيرة سالما وفى سنة ١١١ عزل هشام اخاه مسلمة وولى مكانه الجراح بن عبدالله الحكمى بارمينية ثانيا فدخل الجراح بلاد الخزر من جهة التفليس وفتح مدينتهم البيضاء وعاد سالما الا ان الخزر جمعوا جمعا كثيرا وقصدوا بلاد الاسلام والتقى الجمعان بصحراء اردبيل فى سنة ١١٢ وختمت هذه الوقعة بشهادة الامير جراح ومن معه وانهزام المسلمين وتقدم الخزر الى قرب موصل بالنهب والسلب والتخريب والغارة فولى هشام بعد ذلك سعيد الحرشى بارمينية وامده بالعساكر متتاليا فخلص سعيدا سارى المسلمين واموالهم من ايدى عساكر الخزر الذين كانوا تحت قيادة ابن خاقان الخزر بعد وقايع عديدة يشتمل بعضها على قصة عجيبة واغتنم فوق ذلك اموالا كثيرة من الخزر ودفعهم وفى سنة ١١٣ اغار مسلمة بن عبدالملك على بلاد الخزر وتقدم الى ماوراء جبال بلنجر وقتل ابن الخاقان واخذ منهم اموالا عظيمة فجمع الخزر جمعا عظيما وساروا نحوه فجعل مسلمة المرحلتين مرحلة واحدة ورمى نفسه الى داخل باب الابواب بغاية الصعوبة وفى سنة ١١٤ نصب هشام مروان بن محمد بن مروان واليا على ارمينية بموجب طلبه وامده بمائة وعشرين الفا من عسكر الموحدين فتمكن بذلك من ضبط كافة من فى داخل باب الابواب من اهل طاغستان وغيرهم بعد ماجريات كثيرة وضرب عليهم الجزية ولكن الذى يفهم من التواريخ انه لم يقدر على شىء فى شأن الخزر سوى طرده اياهم الى ماوراء باب الابواب وتخريبه بعض قلاعهم واغتنام اموال طفيفة واخذ اسارى قليلة منهم الا انه ذكر فيها

انه دخل ارض الخزر فى سنة ١١٩ وتعدى مدينة بلنجر وسمندر وبلغ مدينة (١) البيضاء فهرب الخاقان منها وفى خلافة منصور الدوانقى خرجت الخزر فى سنة ١٤٥ من باب الابواب الى بلاد الاسلام وقتلوا فى ارمينية خلقا كثيرا وفى سنة ١٤٧ اغار استرخان الخزرى مع جماعة من الاتراك على ناحية ارمينية واسر كثيرا من المسلمين ومن اهل الذمة ودخل التفليس وقتل من قواد المسلمين حرب بن عبدالله وكثيرا غيره من المسلمين وفى خلافة هارون الرشيد تزوج فضل بن يحيى البرمكى بابنة خاقان الخزر وحملت اليه فى سنة ١٨٢ ولما وصلت الى بردعة ماتت فجأة فرجع من معها الى الخاقان وقالوا له انها قتلت غيلة اى خفية فقصد الخاقان بلاد الاسلام فى السنة الثانية للانتقام وتعدى بباب الابواب بعسكر خزر ففعلوا فى بلاد الاسلام من الافساد مالم يسمع مثله قبله فى تاريخ ما قط واسروا من المسلمين ومن اهل الذمة ازيد من مائة الف انسان واقاموا هناك سبعين يوما فارسل الرشيد خزيمة بن غازم ويزيد بن مزيد فاصلحا ما افسده سعيد (٢) بن سلم والى ارمينية واخرجوا الخزر من بلاد الاسلام هذا اخر ما وقفنا عليه من وقايع الخزر مع المسلمين والنتيجة الحاصلة من هذه البيانات ان المسلمين حاربوا الخزر من وقت خلافة عمر رضى الله عنه الى هذا التاريخ الاخير اعنى سنة ١٨٣ والمجموع مدة ١٦٢ سنة وكانت الحروب بينها سجالا لايرى فيها الحاق مما لكهم بممالك الاسلام بل ولا مدينة واحدة ولاقصبة واحدة ولا قرية واحدة كما ترى ولم تحصل من تلك الحروب ادنى فائدة سوى سفك الدماء والافساد وارتكاب انواع الفضائح

---

(١) ولما قتل الوليد بن يزيد فى سنة ١٢٦ عاد الى الشام وملك بعدالفتيا والتى وقتل فى سنة ١٣٢ من طرف بنى العباس وكان يلقب بالحمار لثباته فى الحرب فلودام على ولايته لاتم فتحه وبموته انتقل الملك الى بنى العباس. منه عفى عنه.

(٢) وهذا اشارة الى ما قال بعضهم ان سبب هذه الحادثة هو قتل سعيد بن سلم والى ارمينية المنجم السلمى واستمداد ولد المنجم المقتول بخاقان الخزر ولايبعد ان يكون سببها كلا الامرين منه عفى عنه.

من الجانبين بل المفهوم منها ان تضرر المسلمين وخسارتهم ازيد من تضرر الحرب وخسارتهم بمراتب وهذا نتيجة استعمال العنف والغلظة والشدة فى موضع اللطف واللين والرفق وثمرة مخالفة قوله صلى الله عليه وسلم السابق فانهم لما رأوا هجوم المسلمين على بلادهم وقتلهم وسلبهم ونهبهم واسرهم ثم عودهم الى بلادهم بما حصلوه فى ايديهم من غير تقيد بضبط بلادهم واجراء احكامهم هناك دائما وشاهدوا هذا الحال منهم مكررا اعتقدوا ان جل قصدهم بل كله هو هذه لا مقصد لهم سواها وهم صادقون فى هذا الاعتقاد فنفروا منهم ومن الاستسلام اليهم والانقياد لهم واتباعهم وعادوهم وابغضوهم واضطروا الى مقابلتهم ومقاومتهم ومجازاتهم ومدافعتهم عن اوطانهم وانفسهم واولادهم واعراضهم واموالهم فان المحاربة والهجوم والنهب والسلب صنعتهم الاصلية وميراثهم الحقيقى لم يريدوا ان يكون حظهم منها انقص من حظ من سواهم بل ارادوا التفوق فيها على الكل فلو انهم (١) ارسلوا اليهم العلماء والصلحاء والوعاظ وعرفوهم حقيقة الدين الحق الاسلامى وكنهه وماهيته وحسنه وحقيته ودعوهم اليه باللطف والرفق لما آل الامر الى هذه الفضائح واقبلوه بحسن اختيارهم وصاروا لهم اعوانا واخوانا وانصارا واحدانا يشهد لذلك طبائع كافة طوائف الاتراك من انقيادهم للحق من غير تعنت وعناد متى ظهر نرشدك الى هذا ان كافة من اسلم من طوائف الاتراك اسلموا باختيارهم بدلالة بعض السواحين فقط كما ستطلع على هذا عند بيان اسلام خزر وطائفة بجاناك وباشقرد وبلغار وسائر اقوام دشت قفچق وكافة قبائل الاتراك ولكن ما دا انصنع سبق السيف العذل وقد اضر المسلمون بالاسلام اضرارا كثيرا باهمالهم هذا الامر وسوء التدبير

(١) وهذا ليس اعتراضا بفعل عمر رضى الله عنه بل بفعل بنى امية وبنى العباس فان بين فعل عمر رضى الله وبين فعلهما فرق كثير فان المطلوب فى عصر عمر رضى الله عنه هو الدعوة فقط وقد وجدت واما ما وراءها من ارسال العلماء والوعاظ فلم يكن فى الامكان لوجود كمال المنافرة بين الفريقين واما عصر بنى امية وبنى العباس فقد حصلت فيه بين الفريقين مناسبة واختلاط بحيث كان فى الامكان ارسال العلماء والوعاظ . منه عفى عنه .

من القديم الحكم لله سبحانه وتعالى ولوشاء الله ما فعلوه الاترى انهم كيف خدموا الاسلام بعد الاهتداء والدخول فيه وصاروا من اصدق (١) خدامه واخلصهم تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم تجدون من خير الناس اشدهم كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ومن تجرد عن لباس التعصب والاعتساف وتزين بحلل الصداقة والانصاف يصادف نظره كثيرا منهم فى صحائف التواريخ ومن جملتهم من الخزر اسحق بن كنداج الخزرى كان فى عصر المعتمد على الله العباسى وقد شغل بيان الخدمات والوقايع التى صدرت عنه فى الاسلام كثيرا من صحائف التواريخ وقد فوض الخليفة المعتمد امارة قطعة آفريقا من باب الشماسية الى نهاية آفريقا اليه بعد ان عزل عنها احمد بن طولون التركى فى سنة ٢٦٩ وولاه الشرطة الخاصة وقلده السيفين لذلك وقد مدحه الشاعر المشهور ابو البحترى بقصيدة بليغة يذكر فيها هذه التولية ومن جملتها هذه الابيات (٢) اشعار:

ان تثن اسحق ابن كنداجيق بى ... ارض فكل الصيد فى جوف الفرا
من معدن الشرف الذى اقرنده ... فى وجه وضاح الاصائل ازهرا
وارومة فى الملك خاقانية ... تعتم افنانا وتكرم عنصرا
اخلق بذى السيفين اوصدق به ... ان يعمل السيفين حتى يحسرا
ما زيد انملة على استحقاقه ... فيقل صبر منافس اويضجرا
ما قد السيفين الا نجدة ... فى الحرب توجب ان يقلد آخرا
قد البس التاج المعود رأسه ... فى الحالتين مملكا ومؤمرا
لاتنكر الخرزات الى ذؤابة ... تحتل فى الخزر الذوائب والذرى

---

(١) ومن انكر خدمة الاتراك للاسلام فهو ادون رتبة من البهايم غير قابل للخطاب. منه عفى عنه.

(٢) وفى معجم البلدان للحموى ان يرم اسحق ابن كنداجيق فى امل الغ. منه عفى عنه.

شرف نزيد بالعراق على الذى عهدوه بالبيضاء (١) او ببلنجر ا
وقدمدحه ايضا بقصائد اخرى جيمية ونونية ومات الامير اسحق فى التاريخ
الذى مات فيه الموفق بالله اعنى سنه ٢٧٨ وولى مكانه ولده الامير محمد
بن اسحق وله ايضا ذكر جميل فى التواريخ ويرى فيها ايضا ذكر نيزك
وحطارمش مقارنا بذكره ولاشك فى كونهما من الترك ويحتمل كونهما من الخزر
والله سبحانه اعلم ولنذكر الآن ماذكره قدماء سواحى المسلمين فى حق الخزر
من المعلومات قال الشيخ ابوعلى احمد بن عمر بن دسته اودامة فى
فصل الخزر من كتابه المسمى بالاعلاق النفيسة الفصل الاول فى الخزر
بين البجاناكية والخزر مسيرة عشرة ايام فى مفاوز ومشاجر وليس بينها
وبين الخزر طريق مسلوك ومناهج مقصودة انما مسيرهم فى مثل هذه المشاجر
والغياض حتى يوافوا بلاد الخزر * وبلاد الخزر بلاد عريضة يصل باحدى
جنباتها جبل عظيم (جبل قفقاز) وهو الجبل الذى ينزل فى اقصاه طولاس
واوغر ويمتد الى بلاد تفليس * ولهم ملك يقال له ايشا والملك الاعظم
انما هو خاقان خزر وليس له من طاعة الخزر الا الاسم ومقدرة الامر على
ايشا اذكان فى قيادة الجيوش بالموضع الذى لايبالى معه باحد فوقه * ورئيسهم
الاعظم على دين اليهود وكذلك ايشا ومن يميل ميله من القواد والعظماء
والبقية منهم على دين يشبه دين الاتراك * ومدينتهم (٢) سارغشن
وبها مدينة اخرى يقال لها هب نلغ او حسلغ (لعلها قتلغ اوقشلق) ومقام
اهلها فى الشتاء فى هاتين المدينتين فاذا كان ايام الربيع خرجوا الى الصحارى
ولم يزالوا بها الى اقبال الشتاء وفى هاتين المدينتين خلق من المسلمين لهم

---

(١) وفى بعض النسخ فى خمليج بدل بالبيضاء ووقع فى معجم البلدان للحموى هكذا فى مادة بلنجر واما فى مادة بيضا فقد ذكره كما هنا ثم قال ويروى عهد وفى خميلج منه عفى عنه.

(٢) وسيجئ عن ابى عبيد البكرى انها ارعيش ولولا ذلك لجزمت بانها صارى قشلاق ويؤيده ما سيجئ نقلا عن كارامزين بانه كانت لهم قلعة تسمى صارى قلعة. منه عفى عنه

مساجد وائمة ومؤذنون وكتاتيب يعني المكاتب وقد وظف ملكهم ايضا على اهل القوة واليسار منهم فرسانا على قدر اموالهم واتساع اموالهم في المعايش هم يغزون البجانا كية في كل سنة وايضا هذا يتولى الغزاة بنفسه ويخرج في مغازيه بعساكره ولهم جمال ظاهر واذا خرجوا في وجه من الوجوه خرجوا باسلحة تامة محلات واعلام وطرادات وجواشن محكمة وركوبه في عشرة الف فارس ممن هو مرتبط به قد اجرى عليهم وفيهم من قد وظف على الاغنياء واذا خرج لوجه من الوجوه هيىء بين يديه مثل شمسة على صفة الدف يحتمله فارس يسير به امامه فهو يسير وعسكره خلفه يبصرون ضوء تلك الشمسة فاذا غنموا جمعوا تلك الغنايم كلها في معسكره ثم اختار ايضا منها ما احب واخذه لنفسه واطلق لهم باقي الغنيمة ليقتسموها بينهم انتهى وفيه وقال ابن خرداذبه في كتابه فتوح البلدان الخزر اسم لهذا الجنس من البشر واما البلدة يعني بلدتهم فهو مصر يسمى باتل ووجه تسميته به انما هو من جهة الاخذ من اسم النهر الذي يجري منه ويصب في بحر الخزر وقراه ليست بكثيرة وملكه ليس بمتسع ايضا وهو مصر واقع بين البحر الخزر والسرير والروس والغزية وقال في موضع آخر منه الخزر كورة (١) خلف بحيرة الخزر واسعة كثيرة الغنم والعسل واليهود وفي آخرها سد اليأجوج ومأجوج (سد ارمينيه او الصين على زعمه) وفي تخومها بلاد الروم ولهم نهران يصبان في البحيرة المذكورة ومدينتهم العظمى على هذين النهرين وفي حدودها من جهة الجرجان جبال منغشلاق وقصبتها مدينة اتل ومن مدنها بلنجار وسمندر (٢) وسوار فهند وخمليج وبلنجر

---

(١) نسب الفاضل المرجاني هذا القول الى ابن دابة وقد طالعت من كتابه نسختين فلم اره فيهما بل هو قول ابن خرداذبه. منه عفي عنه.

(٢) سمندر يذكر بسكون الدال وبضمها مشبعا وبالراى الساكنة بعد الدال سمندر هكذا ولم يذكره في القاموس وانما قال فيه سمند وبلدة بإقليم الروم والله سبحانه اعلم وفي معجم البلدان سمندر بالراء بعد الدال هكذا ذكره عند ذكر باب الابواب وقال ومن اتل مدينة الخزر الى باب الابواب اثنى عشر يوما ومن سمندر الى باب الابواب اربعة ايام ولم يذكر المسافة بين بلنجر وباب الابواب وبين بيضاء وباب الابواب هكذا ذكر سمندر مرتين وقال مرة انها ثمانية ايام من والله اعلم. منه عفي عنه.

وبيضاء اه وقال الشيخ ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكرى الاندلسى القرطبى فى كتابه المسمى بالممالك و المسالك ويلى الباب والابواب مملكة الخزر وكان موضع مملكتهم مدينة بقال لها سمندر وهى على ثمانية ايام من الباب وملكهم الان بمدينة اتل وبينها وبين الاولى سبعة ايام وفيها من كل ملة وانما انتقل ملكهم اليها لان سمندر افتتحت فى اول اسلام ثم رجعت اليهم ودين الخزر اليهودية تهود ملكهم زمن الرشيد فنفوا على ذلك وكان سبب ذلك اكراه ملك الروم من كان فى مملكته من اليهود على النصرانية فتهارب قوم من اليهود الى بلاد الخزر فتهودوا واكثر جيوش الخزر مسلمون وهم ناقلة من خوارزم الحرب وقع فى بلادهم فى صدر الاسلام اجلاهم الى الخزر وظهر منهم فى الحرب بأس وشدة فاقاموا على الاكرام والاحسان واظهار الاسلام ووزير الملك منهم واذا كان للملك حروب مع المسلمين وقف المسلمون من جنده حوزة لا يقاتلون وصومعة المسلمين فى جامعهم الاعظم تشرف على دار الملك وتتصل بهذه المملكة مملكة برغر الى آخر ما يجىء فى المقصد الاول فى بيان بلغار وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور وتسير من بلاد البجاناكية الى بلاد الخزر عشرة ايام فى مشاجر ومفاوز على غير طريقة مسلوكة وبلاد الخزر بلاد عريضة ويتصل بها من احدى جنباتها جبل عظيم يمتد الى تفليس وتفليس اول حد الارمينية * والخزر اسم الاقليم ومدينتهم العظمى قطعتان على الشرقى والغربى من نهر اتل وهاتان المدينتان تسمى احديهما بارعيش والاخرى خنلغ (قتلغ اوقشلاق) والعربية اكبرهما ويحيط بالمدينتين سور ولهما اربعة ابواب ولهم حمامات واسواق ومساجد وائمة ومؤذنون وجملة الخزر مسلمون والنصارى وفيهم عبدة الاوثان واقل الفرق منهم اليهود وملكهم على دين اليهودية ولسان الخزر غير لسان الترك والفرس وهى لغة لا يشاركها لغة من اللغات وللملك سبعة حكام من اليهود والنصارى والمسلمين وعبدة الاوثان اه بحروفه وقال الشيخ ابى عبدالله محمد بن

عبد الرحيم الغرناطي في كتابه تحفة الالباب ونخبة الاعجاب بلنجر مدينة ببلاد الخزر وفي موضع منه بلنجر مدينة بدر بند خلف باب الابواب وفي موضع آخر منه فاما بلنجر فداخل ارض الخزر والخزر كلهم يهود وانما يهود وامن قريب قال ابن زيد البلخي والخزر مدينة تسمى سمندر فيما بين اتل و باب الابواب بها بساتين كثيرة ويقال انها تشتمل على نحو من اربعة آلاف كرم الى حد السرير والغالب على ثمارهم الاعناب وفيها خلق كثير من المسلمين ولهم فيها مساجد وبنيتهم من خشب قد نسجت وسطوحهم مسنمة وملكهم من اليهود قرابة ملك الخزر وبينهم وبين حد السرير فرسخان وبينهم وبين السرير هدنة وقال المقدسي وسمندر بلد كبير عند البحيرة بين نهر الخزر وباب الابواب دورهم خيم الغالب عليها النصارى قوم اطيا (لعله غرتية) يحبون الغريب الا انهم لصوص وهي ارحب من خزر لهم بساتين وكروم كثيرة بنيانهم خشب منسوجة بالقضبان وسطوحهم مسنمة وبها مساجد كثيرة وسمعت ان المأمون غزاهم من الجرجانية ودعاهم الى الاسلام والان استولى الماء على هذه الاراضي حتى لم يبق لها اثر بنيان وكانت سرير مملكة ملك تلك الناحية اهما ذكره الغرناطي بحروفه وقد نقل الفاضل المرجاني امثال هذه النقول في حق الخزر من ابي اسحق الاصطخري والشيخ شمس الدين الدمشقي والمقصد هو اظهار اعتناء كبراء المتقدمين واهتمامهم بضبط احوال هؤلاء الامم وتقييدها وتحريرها مع انهم ليسوا منهم وجعل المنقول عنهم مدارا لاستنتاج نتيجة ما في حقهم وانما نقل عن الاصطخري زيادة على ما حررناه ان ملكهم يلقب بلك وباك وان طول المدينة الغربية فرسخ وان ابنيتهم غير مرتفعة معمولة من اللبد وبعضها من الطين وبها ازيد من ثمانية الاف من المسلمين ونحو من ثلاثين مسجدا وان قصر الملك من الآجر ولا يؤذن لغيره بالبناء من الآجر واربعة من ابواب البلد تفتح على النهر والبواقي على البر ولا شبهة في اندفاع التناقضات التي ترى بين بعض تلك النقول ببعض بحملها على اختلاف الازمان والادوار ولكن القول بمغايرة لغتهم للغة الترك ناش من عدم الوقوف على انواع لسان

الترك الاترى ان الذى ليس له وقوف على غير اللغة العثمانية من انواع اللغة التركية فى عصرنا هذا الاشبهة فى عكمه على لغة قرغز وقراق بكونها غير تركية بل لايشك فى حكمه بذلك على لغة چغتاى وقزان ايضا لكن ونها مغايرة للغة العثمانية التى يعتقد انها التركية فقط دون غيرها مع انها نوع واحد من انواع اللغات التركية والحاصل انه لاشبهة فى كون الخزر من الاقوام التركية وكون لغتهم نوعا من انواع اللغات التركية قال المسعودى فى مروج الذهب دخلت الروس بحر الخزر مستأذنا ملك الخزر بعد الثلاثمائة سنة من الهجرة بخمسمائة مركب فى كل مركب مائة نفر وانتشروا الى بلاد الجيل والديلم وما والاها فقتلوا وخربوا وسبوا وغنموا واقاموا على ذلك شهورا حتى سئموا فرجعوا ولما وصلوا الى بلاد الخزر وحملوا الى ملك الخزر ما وعدوه به وعلم بذلك عسكر ملك الخزر المسمى باللارشة او الاريسية وهم مسلمون ارادوا قتال الروس لاستخلاص اسارى المسلمين واموالهم من ايديهم ولم يمكن الملك ان يمنعهم فاعلم بذلك الروس فخرجوا من مراكبهم واقتتلوا ثلاثة ايام قتالا شديدا فنصر الله المسلمين وانهزم بقية الروس وعد من قتلاهم ثلاثون الفا وكان المسلمون خمسة عشر الفا وفيهم ايضا نصارى فركب المنهزمون منهم مراكبهم وعبروا الى جانب برطاس وتركوا مراكبهم وتعلقوا بالبر فمنهم من قتله برطاس ومنهم من وقع الى بلاد البلغر (١) المسلمين فقتلوهم عن آخرهم اه باختصار وقال ايضا فى كتابه المذكور وبنادى اهل الباب والابواب مملكة يقال لها جيدان وهذه الامة داخلة فى جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية ايام من مدينة

(١) قال المسعودى ان هذه الحادثة مستفاضة فى تلك البلاد التى وقعت هى فيها واربعها ايضا معلوم عندهم وكان بعد الثلاثمائة من الهجرة الا انه لايحصرلى الان وقال كارامزين حين نقلها عن المسعودى انها كانت ٩١٢ سنة م وهى مصادفة ٣٠٠ سنة ه والظاهر ان المترجم ظن ان المسعودى قال فى ٣٠٠ سنة وقد ذكرها الطبرى وابن الاثير على وجه آخر حيث قالا ان الروس هجموا على بردعة وافسدوا فيها افسادا كبيرا فى ٣٢٢ سنة ه والظاهر ان الحادثة واحدة والغلط فى تعيين موضعها الا انهما لم يذكرا قتال عسكر الخزر المسلمين والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

الباب يقال لها سمندر وهى اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت فى بدء الزمان افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلى رضى الله عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة اتل وبينهما، بين الاولى سبعة ايام واتل التى يسكنها ملك الخزر فى ذلك الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من اعالى بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب فى بحر مانطش (يعنى بحر ازاق وهو خطاء بل يصب الى بحر الخزر) وهذه المدينة جانبان وفى وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك فى وسط هذه الجزيرة وبها جسر الى احد الجانبين من سفن وفى هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فاما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر فى خلافة هارون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر امصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك ان ملك الروم نقل من كان فى ملكه من اليهود الى دين النصرانية واكرههم وهو ارمنوس ملك الروم فتهارب خلق من اليهود من ارض الروم الى ارضه على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره واما من فى بلاده من الجاهلية فاجناس منهم الصقالبة والروس وهم فى احد جانبى هذه المدينة يحرقون موتاهم ودوابهم والآنية والحلى والعالب فى هذا البلد المسلمون لانهم جند الملك وهم يعرفون فى هذا البلد بالارسية وهم نافلة من نحو بلاد خوارزم وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو بأس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه واقاموا فى بلده على شروط بينهم احدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها ان تكون وزارة الملك فيهم والوزير فى وقتنا هذا منهم وهو احمد بن كويه وثالثها انه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكر منفردين عن غيرهم لا يحاربون اهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار يركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة ايضا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح

ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر ان يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم باحكام الجاهلية وهي قضايا عقلية فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ما توجبه شريعة الاسلام وليس في ملوك الشرق في هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرف باسماء هؤلاء القوم اللارسية والروس والصقالبة التي ذكرنا انهم جاهلية من جند الملك وعبيده وفي بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير اللارسية في طرف بلدة لعدله وامنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد اخرى فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن فاذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة قال وليس اخبارنا عن ملك الخزر نريد به الخاقان وذلك ان للخزر ملكا يقال له خاقان ورسمه ان يكون في يدي ملك آخر هو وغيره فخاقان في جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه معه حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر من امر المملكة شيئا ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم الا بخاقان يكون عنده في دار مملكته ومعه في حيزه فاذا اجدبت ارض الخزر او نابت بلدهم نائبة او توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم او فاجأهم امر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان وايامه وقد تشاء منا به فاقتله او سلمه الينا نقتله فربما سلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له ودافع عنه لان قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب اتاه هذا رسم الخزر في هذا الوقت فلست ادري في قديم الزمان كان ذلك ام حدث وانما ينسب خاقان هذا لاهل بيت واعيانهم ارى ان الملك كان فيهم قديما والله اعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار في نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من اعاليها يقال له برطاس عليه امم من الترك حاضرة داخلة في جملة ممالك الخزر وعمائرهم

متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر (يعني النهر الذي قال في اول كلامه انه يرد من اعالي بلاد الترك وسماه الآن بنهر (١) برطاس وهو نهر ايدل وولغا لاغير) من حد بلاد البلغار والسفن تختلف فيه من البلغر والخزر اه

وقال الحموي في معجم البلدان خزر بالتحريك وآخره راء وهو انقلاب في الحدقة نحو اللحاظ وهو اقبح الحول وهي بلاد الترك خلف باب الابواب المعروف بالدربند قريب من سد ذي القرنين ويقولون هو مسمى بالخزر بن يافث بن نوح وقال في كتاب العين الخزر جيل خزر العيون وقال دعبل بن علي يمدح آل علي رضي الله عنهم :

وليس حي من الاحياء يعرفه * من ذي يمان ولا بكر ولا مضر *
الا وهم شركاء في دمائهم * كما يشارك انسان على خزر *
قتل واسر وتخريق ومنهبة * فعل الغزاة بساهل الروم والخزر *

وقال احمد بن فضلان رسول المقتدر الى الصقالبة في رسالة له ذكر فيها ما شاهـ. بتلك البلاد فقال الخزر اسم اقليم من قصبة تسمى اتل واتل اسم النهر يجري الى الخزر من الروس وبلغار واتل مدينة والخزر اسم المملكة لا اسم مدينة ولا جيل والمدينة قطعتان قطعة على غربي هذا النهر المسمى اتل وهي اكبرها وقطعة على شرقيه والملك يسكن العربي منها ويسمى الملك بلسانهم بلك ويسمى ايضا باك وهذه القطعة الغربية مقدارها في الطول نحو فرسخ ويحيط بها سور الا انه مفترش البناء وابنيتهم خركاهات لبود الا شيء يسير مبني من طين ولهم اسواق وحمامات وفيها خلق كثير من المسلمين يقال انهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم ولهم نحو ثلاثين مسجدا وقصر الملك بعيد عن شط النهر وقصره من آجر وليس لاحد بناء من آجر غيره ولا يمكن الملك ان يبني بالآجر غيره ولهذا السور ابواب اربعة احدها يلي النهر والآخر يلي الصحراء على ظهر هذه المدينة وملكهم يهودي ويقال ان له من الحاشية

(١) فان سواح المسلمين المتقدمين يسمون نهر ايدل في حذاء بلاد برطاس بنهر برطاس تسمية الهم والانليس هناك نهر يسمى ببرطاس فان كان فالاولى به نهر صور ولكن لارادته هنا بعيدة جدا. منه عفي عنه.

نحو اربعة الاف رجل و الخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الاوثان واقل الفرق هناك اليهود على ان الملك منهم واكثرهم المسلمون والنصارى الا ان الملك وخاصته يهود والغالب على اخلاقهم اخلاق اهل الاوثان يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم واحكام مصرهم على رسوم مخالفة للمسلمين واليهود والنصارى وجريدة جيش الملك اثنا عشر الف رجل فاذا مات رجل منهم اقيم مقامه (غيره) ولا ينقص العدة ابدا وليست لهم جراية دائرة الا شيء يسير نزر يصل اليهم فى مدة بعيدة اذا كان لهم حرب اوضربهم امر عظيم يجمعون له واما ابواب اموال صلاة الخزر فمن الارصاد وعشور التجارات على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر وله وظائف على اهل المحال والنواحى من كل صنف مما يحتاج اليه من طعام وشراب وغير ذلك وللملك تسعة (١) من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين واهل الاوثان اذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء ولا يصل اهل الحوايج الى الملك نفسه وانما يصل اليه هؤلاء الحكام وبين هؤلاء الحكام وبين الملك يوم القضاء سفير يراسلونه فيما يجرى من الامور ينهون اليه ويرد عليهم امره ويمضونه وليس بهذه المدينة قرى الا ان مزارعهم مفترشة يخرجون فى الصيف الى المزارع نحوا من عشرين فرسخا فيزرعون ويجمعونه اذا ادرك بعضه الى النهر وبعضه الى الصحارى فيحملونه على العجل والغالب على قوتهم الارز والسمك وما عدا ذلك مما يوجد عندهم يحمل اليهم من الروس وبلغار وكوثابه والنصف الشرقى من مدينة الخزر فيه معظم التجار والمسلمون والمتاجر ولسان الخزر غير (٢) لسان الترك والفارسية ولايشاركه لسان فريق من الامم والخزر لايشبهون الاتراك وهم سود الشعور وهم صنفان صنف يسمون (٣) قراخزر وهم سمر يضربون

(١) هكذا فى المنقول عنه وقد مرعن المسعودى انهم سبعة فتذكر . منه عفى عنه .

(٢) قدمناه ما فيه فتذكر . منه عفى عنه .

(٣) لعلهم الآن الذين يسمونهم قرا آغاج منه عفى عنه .

لشدة السمر الى السواد كانهم صنف من الهند وصنف بيض ظاهر والجمال والحسن والذى يقع من رقيق الخزرهم اهل الاوثان الذين يستجيزون بيع اولادهم واسترقاق بعضهم لبعض فاما اليهود منهم والنصارى فانهم يدينون بتحريم استرقاق بعضهم بعضا مثل المسلمين وبلاد الخزر لا يجلب منها شیء الى البلاد وكل ما يرتفع منه انما هو مجلوب اليه مثل الرقيق والعسل والشمع والخز والاوبار واما ملك الخزر واسمه خاقان فانه لا يظهر الا فى كل اربعة اشهر متنزها ويقال له الخاقان الكبير ويقال لخليفته خاقان به وهو الذى يقود الجيش ويسوسها ويدبر امر المملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو وله تذعن الملوك الذين يصاقبونه ويدخل فى يوم الى خاقان الاكبر متواضعا يظهر الاخبات والسكينة ولا يدخل عليه الا حافيا بيده حطب فاذا سلم عليه اوقد بين يديه ذلك الحطب فاذا فرغ من الوقود جلس مع الملك على سريره عن يمينه ويخلفه رجل يقال له كندر خاقان ويخلف هذا ايضا رجل يقال له جاوشيغر ورسم الملك الاكبر ان لا يجلس للناس ولا يكلمهم ولا يدخل عليه احد غير من ذكرنا والولايات فى الحل والعقد والعقوبات وتدبير المملكة على خليفته خاقان به ورسم الملك الاكبر اذا مات ان يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتا ويحفر له فى كل بيت منها قبر وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل وتفرش فيه وتطرح النورة فوق ذلك وتحت الدار (١) والنهر نهر كبير يجرى ويجعلون القبر فوق النهر يقولون حتى لا يصل اليه شيطان ولا انسان ولا دود ولا هوام واذا دفن ضربت اعناق الذين يدفنونه حتى لا يدرى اين قبره من تلك البيوت ويسمى قبره الجنة ويقولون قد دخل الجنة وتفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب ورسم ملك الخزر ان يكون له خمسة وعشرون امرأة كل امرأة منهن ملك من الملوك الذين يحاذونه يأخذ طوعا وكرها وله من الجوارى والسرارى لفراشه ستون ما منهن الا فائقة الجمال وكل واحدة من الحرائر والسرارى

(١) كذا فى المنقول عنه ولا يفهم معناه جيدا . منه عفى عنه

فى قصر مفرد ولها قبة مغشاة بالساج وحول كل قبة مضرب ولكل واحدة منهن خادم يحجبها فاذا اراد ان يطأ بعضهن بعث الى الخادم الذى يحجبها فيوافى بها اسرع من لمح البصر حتى يجعلها فى فراشه ويقف الخادم على باب قبة الملك فاذا وطئها اخذ بيدها وانصرف ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة واذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه ويكون بينه وبين الموكب ميل فلا يراه احد من رعيته الا خر لوجهه ساجدا له لا يرفع رأسه حتى يجوزه ، مدة ملكهم اربعون سنة اذا جاوزها يوما واحدا قتلته الرعية وخاصته وقالوا هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه واذا بعث سرية لم تول الدبر بوجه ولا بسبب فان انهزمت قتل كل من ينصرف اليه منها فاما القواد وخليفته فمتى انهزموا احضرهم واحضر نساءهم واولادهم فوهبهم لغيرهم وهم ينظرون وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهما وربما علقهم باعناقهم فى الشجر وربما جعلهم اذا احسن اليهم ساسة ولملك الخزر (١) مدينة عظيمة على نهر اتل وهى جانبان فى احد الجانبين المسلمون وفى الجانب الآخر الملك واصحابه وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك يقال له خز وهو مسلم واحكام المسلمين المقيمين فى بلد الخزر والمختلفين اليهم فى التجارات مردودة الى ذلك الغلام المسلم لا ينظر فى امورهم ولا يقضى بينهم غيره وللمسلمين فى هذه المدينة مسجد جامع يصلون فيه الصلوات ويحضرونه فى ايام الجمعات وفيه منارة عالية وعدة مؤذنين فلما اتصل بملك الخزر فى سنة عشر وثلاثمائة ان المسلمين هدموا الكنيسة فى دار البابونج امر بالمنارة فهدمت وقتل المؤذنين وقال لولا انى اخاف ان لا يبقى فى بلاد الاسلام كنيسة الا هدمت لهدمت المسجد والخزر وملكهم كلهم يهود (كذا) وكان الصقالبة وكل من يجاورهم فى طاعته يخاطبهم بالعبودية ويدينون له بالطاعة وقد ذهب بعضهم الى ان ياجوج ومأجوج هم

(١) ولا ادرى ان هذه المدينة هى الاولى او غيرها فان كانت هى الاولى فمع لزوم التكرار بين ما ذكر سابقا وبين ما ذكر هنا تنافر اولعل منه سقطة ونقل عن الغير يؤيده التاريخ الاتى . منه عفى عنه .

الخزر انتهى من معجم البلدان بحروفه قلت ان كان يأجوج ومأجوج هم الخزر فيكون انوشروان الذى بنى السد دونهم هوذا القرنين وانا اتعجب من هذه الاختلاف الواقعة بين كلام هؤلاء الكبراء المحققين اعنى المسعودى وابن فضلان ولهذا اثبت كلام كل منهما بجنب الآخر بل اتعجب من التناقض الواقع بين كلامى ابن فضلان اعنى قوله وللملك تسعة من الحكام الخ وقوله وعلى المسلمين رجل الخ الان يكون وامك الخزر مدينة عظيمة من كلام غير ابن فضلان ويكون فى العبارة سقطة فيكون المناواة بين كلام ابن فضلان وغيره لابين كلاميه والله سبحانه اعلم * قال ابو الفدا فى تقويم البلدان قال فى اللباب بلنجر مدينة بدر بند خزران وهى داخل الباب والابواب قيل نسبت الى بلنجر بن يافث وقال فى كتاب الاطوال وبلنجر هى اتل مدينة الخزر وقال ابو الفدا فى موضع آخر من كتابه المذكور قبل هذا بورقتين بلنجر مدينة حزرية وهى منسوبة الى الخزر الذين اقامهم الروس وقد يسمى هذا البحر بحر الخزرية نسبة اليها حيث الطول (عا) والعرض (مه له) وهى على نهر يصب فى البحر من شماليها وقال ايضا فى موضع آخر من كتابه المذكور وفى شرقى وشمالى نقجوان مدينة الباب قاعدة سلطنة الباب وهى ثلاث قطع على نهر اتل الكبير عند مصبه فى بحر طبرستان فالقطعة الجنوبية كانت للمسلمين والقطعة الشمالية لليهود والنصارى والمجوس والقطعة التى فى الجزيرة كانت لخاقان الخزر وكان يهوديا ثم خربها الروسية واراد السلطه الخزر منها وعمرت بعد ذلك بالمسلمين فخربها التتار وموضعها حيث الطول (عه) والعرض (مد) اه قلت لاشك ان هذه المدينة هى مدينة اتل كما ذكرها غيره بهذه الكيفية وتسميته اياها بمدينة الباب اماسبق قلم واما من تغيير النساخ واما بناء على تسميتها بهذا الاسم ايضا وهو احتمال بعيد والذى ذكره فى الطول هذه البلاد وعرضها لا يخلو من التسامح والتساهل كما لا يخفى على اربابها والله سبحانه اعلم ولما فرغنا من النقل من سواحى المسلمين وانجر الكلام ان الخزر اقامهم الروس وخرب

بلادهم ناسب ان نذكر هنا نبذة من وقايعهم مع الروس قال كارامزين بعد قوله السابق فى حق الخزر ان العرب وان اسسوا حكومة قوية فى وقت ما الا ان الخزر هزمت جيش بعض الخلفاء من العرب فعدم اقتدار طوائف اسلاوان المنتشرة الى الاطراف والجوانب على مقابلة مثل هذا العدو القوى ومدافعته بديهى وقد وسعت الخزر ممالكهم وحكومتهم فى اواخر العصر السابع والثامن من الميلاد يعنى فى اواسط العصر الاول والثانى من الهجرة الى نهرى دينيپر واوقه وكانت اهالى كيف من صوبرى ورادیمچى وواتچى تحت طاعة الخزر قال نيسطور (١) كانت اهالى كيف يعطون للخزر من كل بيت سيفا وكانوا مع ذلك يعطونهم من كل بيت دلقا على سمل الجزية والخراج وحيث كانت خزائنهم ملآنة بالذهب والفضة وسائر الاشياء الثمينة التى كانوا اخذونها من الروم وسائر اقوام آسيا كانوا يقنعون باخذ هذه الاشياء الطفيفة الحقيرة من اسلاوان الفقراء بالضرورة ويظن ان الخزر لم يضيقوا على اسلاوان تضيقا شديدا فان نيسطور لم يكتب من مثل هذا التضييق شيئا فى حق الخزر مع انه يعنى نيسطور عظم الاذية والجفاء التى اصابت طائفة اسلاوان من طرف آوار وكم هاجدا و هذه الحالات تثبت كلها كون الخزر مدنيين وكان ملك الخزر يسكن من القديم فى مدنية بالانغير (٢) او مدنية اتل وكانت المدينة المذكورة غنية جدا وكثيرة الاهالى وكان موقعها فى مصب نهر اتل من بحر الخزر ولكن انتقل اخيرا الى اوليم تو ربد التى كانت معروفة بكثرة التجارة واختار السكنى بها ومع كون قوم هون وسائر اقوام آسيا ميالين الى التخريب بنت الخزر بساحل نهر دون قلعة تسمى بسرقل (٣) (صارى قلعة) بجلب مهرة المعمارين

(١) اول مورخ من الروس وهذا كله من قول كارامزين وهو الذى ينقل عنه هذا الكلام وغيره. منه عفى عنه.

(٢) وهى مدينة بلنجر بالعربى واصل هذا اللفظ التركى اما بيلگلى باراو بالاننى باراوما اشبهها الان تعيين موضعها فى مصب نهر اتل غلط بلا شبهة كما هو معلوم مما تقدم الان براد القرب والحذاء. منه عفى عنه.

(٣) وقد تقدم فى بيان وقايع افراسياب ان قد كانت لهم ايضا قلعة تسمى بهذا الاسم ولا يبعد كون المدينة البيضاء عبارة عنها يويده كونها مسماة عند الروسية بيلى ويژه كما سيجىء. منه عفى عنه.

من قيصر الروم ويوميلر وحموا ممالكهم من هجوم سائر الاقوام الوحشيه لهذا التدبير ويحتمل ان تكون الخرابة المسماة قاغانوغورود بشچه بقرب خارقف والخرابة المسماة بخزارسكى بقرب وورونژ من خرابات سائر مدن الخزر التى لم نطلع عليها وكانت الخزر اولا وثنيين ثم تهودوا فى العصر الثامن الميلادى الا انهم لم يلبثوا على اليهودية الا قليلا حتى تنصروا (١) فى سنة ٨٥٨م قال وهل يظن انه خطر ببال الخزر الذين بلغوا من القوة والشوكة الى حيث لم يزالوا يغيرون على بلاد الفرس وينهبونها ويخيفون اعظم خلفاء العرب ويجرون سيطرتهم ونفوذهم على قياصرة الروم انقراضهم وانمحاؤهم وهلاكهم واستيصالهم من طرف طائفة اسلاوان الذين كانوا من اقل (٢) عبيدهم وكان ازديادقوة اسلاوان فى طرف الجنوب نتيجة تغلبهم للشمال يعنى لاسلاوان الشمال واخذهم بهم ان الخزر كانوا لم يستملكوا الجهة العربية من نهر اوقه وكان اسلاوان نووغورود وكريوچ وايلمين وميريه مستقلين بحكم انفسهم وفى سنة ٨٦٢م طلبت هؤلاء الاسلاوان وچود وسائر الاقوام الوحشية المشتتة هناك الاخوان الثلاثة (روريك) و(سينيوس) و(تروواز) من قبيلة روس من قوم واراغ من جنس سكندناوة المقيمين وراء بحر البلطق يعنى مملكة اسوج ونروج ودعوهم الى بلادهم ليملكوا امرهم فجاء هؤلاء الاخوان الثلاثة بمن معهم من الاتباع والخدم والحشم فجعلوهم ملوكا لانفسهم وملكوهم امورهم العامة فسميت تلك الاقوام الوحشية بعد ذلك كلهم وكذلك كل من لحقهم باسم الروس لكون ملوكهم المذكورين من قبيلة الروس فمبدأ الروسية التى يعرف كل احد لها

(١) وهذا مخالف للامر سابقا ومخالف للواقع بل كان تنصرهم سابقا على تهودهم نعم يمكن ان يتنصر بعض منهم بعد ذلك ايضا الا ان عادة النصارى ان يكثروا ويعمموا مثل ذلك الامر ما استطاعوا. منه عفى عنه.

(٢) نعم الامر كذلك وهل خطر ببال التتار او الروس حين كانت الروس تحت سيطرة التتار ان الروس يستأصلهم ويحكم عليهم ويسوم بقاياهم انواع الذل والهوان كلا فعرفنا ان حال الدنيا انقلاب وانها دوارة كالدولاب. منه عفى عنه .

الآن من التاريخ المذكور على الوجه المشروح وبعد ذلك شرعت تلك الاقوام الوحشية التى توحدت تحت اسم الروس فى الانتشار والانثنات الى الاطراف والجوانب كتمدد الحية المتلففة خصوصا الى جهة الجنوب وطفقت تمد ايدى التعدى والاستيلاء اليها وكان اول من صار معروضا على تعرضهم وتعديهم هم الخزر وذلك انهم صاروا يخابرون الاسلاوان الذين كانوا فى الجنوب تحت طاعة الخزر بملابسة الجنسية وسار من قوم واراع المذكور بعد مدة يسيرة من التاريخ المذكور اثنان نحو الجنوب احدهما يسمى (اصكولد) والاخر (دير) وانتزعا بلدة كيف من ايدى الخزر فلم يزل القتال والحرب والضرب والسلب بين الخزر والروس الى انقراض الخزر من ايديهم ولما مات روريك الذى هو اول ملوك الروسية وملك مكانه ولده اوليغ واستولى على كافة الاراضى التى بين نووغورد وكيف واخرج قوم راديمچى الذين كانوا تحت طاعة الخزر بالمحاربة من تحت طاعتهم انقادت له طائفة راديمچى الذين كانوا فى شواطئ نهر صور بحسن اختيارهم وفى سنة ٨٨٥م اخرج اوليغ ولاينى ويتبسكى وچيرنيغوف من ايدى الخزر فان خاقان الخزر لما كان مستغرقا فى المعيشة المدنية (١) والزينة الشرقية التى كانت استولت على الممالك الاسلامية فى العصر المذكور اخذا عنهم من جهة وطال اختلاطهم بالروم واهل حرصون واغتروا بكثرة تجارة توريد (قريم) وغناه والفوا التنعم والتلذذ والراحة من جهة اخرى كان طرأ الضعف والرخاوة على شجاعتهم الاصلية وتوجهت قوتهم وشوكتهم نحو التنزل والانحطاط ثم ذكر كارامزين مانقلناه عن المسعودى من اتفاق الروس مع الخزر للدخول والهجوم على بلاد الاسلام نقلا عن المسعودى وقال ان ذلك كان فى سنة ٩١٢م

(١) واخصر العبارة واصدقها التعبير عنها بالسفاهة والحماقة والاسراف والاعمال التى صارت سببا لانقراض دول كثيرة وسقوطها من شامخ العز وذروة الشوكة الى حضيض الذل والضعف والاذكل دولة تبتلى بهجوم اعدائه ولا تنقرض. منه عفى عنه.

(١) فى عصر الكيناز اولغ بن روريك ثم قل ان اسوا تصلا وكيناز الروس الرابع اخرج طائفة واتبچى من تحت طاعة الخزر بالمحاربة ثم استولى على قلعتهم المسماة سرقل (صارى قلعة) المار ذكرها بعد المحاربة الشديدة مع جيش الخزر الذين كانوا تحت قيادة خاقانهم واسم تلك القلعة بالروسية بيلى وبژه ويظن ان الروسية استملكت ايضا ولاية (٢) تامو طرخان وباسم آخر فيا غوربا و الكهم التى كانت فى شرقى بحر اوزاق فى العصر المذكور فان مانيك الممالك كانت كلها محسوبة من ممالك ولاديمير الذى كان كيناز الروسية بعد سوانصلاو وكان ظل حكومة الخزر باقيا فى توريدا (قريم) فقط وكان كيناز الروسية الخامس ولاديمير الاول اعطى هذه الولايات لولده مسيتسلاو وبعد هلاك ولاديمير وجلوس يارصلاو على مسند كينازية الروسية فى سنة ١٠١٩ م طلب قيصر الروم من مسيتسلاو محو حكومة الخزر واستيصالها من قطعة قريم بالكلية وحين كانت دولة الخزر ذات قوة وشوكة التجأت الروم اليها ولاذت بها وخطبت مودتها واوكانوا وثنيين ولما زالت قوتهم وشوكتهم تبرأوا منهم واستعبدوا محوهم واستيصالهم مع انهم كانوا فى ذلك الوقت نصارى وصاروا اخوانهم فى الدين فخرجت الروم بجيشهم الى ارض قريم وانضموا الى عسكر مسيتسلاو وهجموا على الخزر واسروا خاقانهم المسمى غيورغى تسولا واستولت الروم على قريم واقعوا ميستسلا وبلقب ا(؟) بالخدعة فبعد هذه الوقعة انقطعت حكومة الخزر من اوروپا بالكلية ولكنها دامت فى آسيا بساحل بحر الخزر الى العصر الثانى عشر من الميلاد وقد كتب « ليويت راووى » من يهود آوروپا مدائح خاقان الخزر لاخوانه الدينية فى سنة ١١٤٠ م يعنى مسافة ٥٣٥ سنة هجرية اواخر بعد ما

---

(١) وقد بينا هناك كونه غلطا ناشئا من قول المسعودى بعد الثلاثمائة من الهجرة. منه عفى عنه.

(٢) فى مضيق بوسفور من سواحل بحر اوزق ويقال لقصبتها الان بلدة كيرچ. منه عفى عنه.

فهذه حكومة الخزر العظيمة التى حكمت وقتاما على الاراضى الكائنة بين مصب نهر وولغا والبحر الاسود ونهرى دينبير واوقه واخر وامها احكامهم وسطوتهم نزلت الى هذه الحالة بسبب هجوم (اصكولد) و (دير) و (اولبغ) و (ولاديمير) (ومسيتسلاو) من جهة وهجوم تركمان بچناك وقفچق وچركس الذين هم من جنسهم من جهة اخرى هجوما متواليا هكذا يقول كارامزين ذلت اذا نظرنا من جهة الاسباب نقول وقعت الى هذه الحالة من الاهمال وسوء التدبير وسوء الادارة والانهماك فى الترفه والتنعم والسفاهة كما مر بيانه آنفا عن كارامزين نفسه وكما نشاهده الى الان ثم انقرضوا بعد ذلك فى وقت يسير من عالم الوجود بالكلية ولم يبق منهم شئ سوى اسمهم المشهور والظن الغالب ان انقراضهم بالكلية انما كان عند خروج التتار كغيرهم وليس معنى انقراضهم بالكلية انعدام كل فرد منهم وهلاكه بحيث لم يبق منهم احد فان هذه الحال فى هذه الامة العظيمة محال بل المعنى انقلابهم وصيرورتهم الى ملة غالبة بحيث لايبقى بينهما فرق ويأخذ المغلوب اسم الغالب وصنعه وشكله وعادته كما ان كارامزين ذكر انضمام اهالى سرقل (صارى قلعة) منهم الى الروسية فى عصر ولاديمير مانوماخ وبناءهم قلعة بهذ الاسم فى اعالى نهر اوستره تذكارا لقلعتهم السابقة ولا يبعد ان يكون اهالى حاجى طرخان من بقاياهم او اخلاطا منهم ومن غيرهم بل هو الظاهر الاقرب الى الصواب ويؤيده اشتراكهم لطائفة قرايم واهل قريم عموما فى السيماء واللهجة (١) وهل يشك احد فى كون قزاق دون بل اهالى الروسية الجنوبية عموما اخلاطا من بقايا الخزر واسكيت وسائر الاقوام التركية الذين سكنوا هناك بالتعاقب ممن يذكر هنا وغيرهم * البجاناك اوبوشنق وربما يكتب بغير الف بعد الجيم وربما يلحق باخره الياء والتاء وفى تواريخ الروسية يقال لهم پچينغ

---

(١) خصوصا اطلاق لفظ خاخام على الاخ الكبير كما يطلقه اليهود على علمائهم. منه عفى عنه .

وهؤلاء ايضا قبيلة شهيرة من الاقوام التركية والقبائل التتارية الذين وردوا الى القطعة المذكورة من آسيا واسسوا هناك حكومة مستقلة مثل الخزر والقبچق والاوار وغيرهم ودامت حكومتهم هناك مدة مديدة وحاربوا في تلك المدة من جاورهم هناك من سائر الاقوام من قبائل الترك والاجانب ولاسيما الروسية قال بعض فضلاء العصر امامن عنده واما استنباطا من اقوال بعض محرري الافرنج ان اصل هؤلاء من ذرية پچين قيان خان من خوانين المغل المذكور في شجرة (١) الترك لابي الغازي خان وبؤيده وقوع هذا الاسم في تواريخ الروس پچينيغ كما ذكرنا ويكون ما سواه من الالفاظ معربا ومحرفا منه ويرى مساكنهم على تعيين بعض جغرافي المسلمين في شرقي بحر الخزر ومملكة الخزر وعلى قول بعضهم ترى في غربي مملكة الخزر ولكن الكارامزين يعين موضعهم في الروسية الجنوبية بلا التباس كما سيأتي بيان كل ذلك فان لم يكن ما ذكره بعض جغرافي المسلمين من تعيين مساكنهم في شرقي بحر الخزر غلطا يحمل على انهم كانوا اولا هناك ثم جاؤا بعد ذلك الموضع الذي عينه كارامزين ويصرح ابن الفقيه بذلك على ما سيأتي وهو الظاهر من احوال الاقوام الشرقية في تلك القرون من المهاجمة والمهاجرة دائما ويؤيده تعبير كارامزين عنهم بتركمان قال ابو عبيد البكري الاندلسي في كتابه الممالك والمسالك واما البجاناكية فالطريق اليهم من الجرجانية تسير اثني عشر فرسخا الى جبل يقال له حبل خوارزم وهم اي البجاناكية قوم سيارة يتبعون مواقع القطر والكلاء وطول ارضهم مسيرة ثلاثين يوما في مثلها وفي شمالهم بلاد القبچق وفي الجنوب بلاد الخزر وفي الشرق بلاد الغزية اي القرغز وفي المغرب بلاد الصقلب وهذه الامم جميعا دون البجاناكية وهم يغزونهم ولهم ثروة ودواب وسوائم واثاث من ذهب وفضة وسلاح

(١) انظر الى شجرة الترك ص ٥٥ وص ٦٠ طبع پيطربورغ وذكر في ص ٥٥ منه ذكر احفاد اغوز خان پچنه بن كوك خان بن اغوز خان وقال ان معناه هو الساعي. منه عفي عنه.

ولهم مناطق محلات واعلام وبوقات بدل الطبول وبلاد البجاناكية سهول كلها لاجبل فيها ولا معقل لهم فيحلون اليه وحدث جماعة ممن اسروا بالقسطنطينية من المسلمين ان البجاناكية كانوا على دين المجوسية فوقع عندهم بعد اربعمائة من الهجرة اسير من المسلمين فقيه عالم عرض على طائفة منهم الاسلام فاسلموا وصحت نياتهم وانتشرت دعوة الاسلام فيهم وانكر عليهم ذلك سائرهم ممن لم يسلموا فآل امرهم الى الحرب فنصر الله المسلمين عليهم وكانوا فى نحو اثنى عشر الفا والكفار فى اضعاف عددهم فقتلوهم واسلم باقيهم فجميعهم اليوم مسلمون وعندهم العلماء والفقهاء والقراء وهم يسمون اليوم من وقع عندهم ممن استرقه صاحب القسطنطينية اوغيرهم الخوالص ويخيرونهم فى البقاء عندهم على ان يجعلوه كاحدهم ويتزوج عندهم من شاء منهم وبين ان يلحقوه بمأمنه اه ما ذكره البكرى ووفاته على مافى كشف الظنون ٤٨٧ قال بعضهم ان البجاناك قوم فى شمال الاقليم السادس بقرب الصقالبة وشواربهم ولحاهم طويلة ولهم كثرة وقوة ومنعة وقال فى ترجمة عجايب المخلوقات ان البجاناك لهم اغنام كثيرة سمينة جدا بحيث تجر اليتها فى الارض ويكثر عندهم نزول الثلج وقد نزل بهم رسول المقتدر بالله الى البلغار ثم ذكر بعد ذلك قصة من الخرافات وقال ابن الفقيه فى كتاب البلدان وقد انقطع طائفة من الاتراك عن بلادهم فصاروا فيما بين الخزر والروم يقال لهم البجاناكية وليس موضعهم بديار لهم على قديم الايام وانما اتنا بوابها فغلبوا عليها اه قال كارامزين فى خلال بيان تملك ايغور بن روريك الذى هو الثالث من كينازات الروسية ان ايغور بن روريك وان تمكن من الجلوس فى كرسى الحكومة وادب اسلاوان دريولان العصاة فى سنة ٩١٢ ولكن ظهر بعد ذلك بسنتين او ثلاث سنين يعنى فى سنة ٩١٤ م مصادفة سنة ٣٠٢ هـ او بعدهما قوم فى حدود الروسية يسمى بچينيغ وقد ذكروا فى تواريخ الروس والروم والماجار من العصر العاشر الى العصر الثانى عشر من الميلاد بالشهرة وقبل ان نضعهم فى تياتر والتاريخ لازمنا ان

نبحث عن اصلهم وفصلهم * يجرى من شرقى الاراضى التى تسمى الان بمملكة الروس انهار ايرتش وطوبل واورال وولغا وقد خرج من الولايات والكورة الكائنة بين تلك الانهر وسواحلها اقوام كثيرة بصورة مدهشة الى الغاية بعضهم عقيب بعض عصرا بعد عصر وحينا بعد حين الى قرون عديدة مديدة وقد اخافوا اهل آوروپا وازعجوهم بهجماتهم المدهشة المتوالية دائما وهؤلاء الاقوام الكثيرة يحتمل ان يكون بعضهم مخالفا لبعض آخر من جهة اللغة ولكنهم كلهم متفقون ومتحدون من جهة الطبيعة والهيئة والصورة والمعيشة وكانت عاداتهم على العموم اقتناء المواشى والارتحال من مرعى الى مرعى والاصطياد وهؤلاء الاقوام هم الهون واوغر (١) وبلغار وآوار والترك وقد انقرض كلهم وغابوا فى آوروپا يعنى انقلبوا الى اقوام آخر من اهل آوروپا غير اوغر والترك منهم قوم (اوز) (اوغز) وپچنيغ الذين هم قبيلة واحدة مع الترا كمة من هؤلاء الاقوام ايضا وكان قوم اوز (٢) يسكن سابقا بين نهرى وولغا ودون وكان قوم پچنيغ مجاورين لهم فضيق عليهم قوم اوز وطردوهم من سهول سراطاو (صارى طاغ او صارى اطاو) فتوجه پچنيغ بعد ذلك نحو الغرب واستملكوا ولاية ليبيدية التى كانت اوغر استملكوها اولا وبعد ان اقاموا هناك سنين غزوا قوم اوغر (ماجار) فى بيسرابيا (مولداويا ولاخيا) واضطروهم الى تركها والانسحاب الى پانونيا (ماجارستان الحاضرة) واستولوا على الاراضى الكائنة بين نهرى دون وآلوته الذى هو شعبة من نهر طونة وانقسموا الى ثمانى ولايات مستقلة

---

(١) اوغر عبارة عن ماجار وبلغار فمطلق بلغار عليه من قبيل اطلاق الخاص على العام ولذلك لم يعدهم من الاقوام الباقية مع انهم منهم وذلك لدخولهم فى اوغر وكذلك من الباقية قفچق وبجاناك فان بجاناك هم الوشنق لاغير كما سيأتى. منه عفى عنه.

(٢) وقد بقى اطلاق لفظ اوزى على دينيپر عند العثمانية الى الان نسبة الى قوم اوز هؤلاء وقول بعضهم ان اوز اسم لمطلق النهر عند قدماء الترك ثم اطلق على هؤلاء القوم اخذا له لاختصاصهم به غلط محض بل الامر بالعكس والذى هو اسم لمطلق النهر هو اورن بالنون بعد الراى المفتوحة وهذا الاطلاق باق لى الان عند اهل قزان وقزاق. منه عفى عنه.

كانت اربعة منها فى شرقى نهر دينيپر بين الروس والخزر واربعة اخرى منها كانت فى غربيه بولايتى مولدا وياوترانسلوا نيا مجاورين لطائفة اسلاوان الكائنين على نهر بوغا بقرب غالبتسيا التابعين لحكومة كيف الروسيه وكان مطلوبهم وبغيتهم الخاصة اراض ذات عشب ومروج لمواشيهم والمملكة الغنية لاخذ الغنايم منها بالغزو والحرب وكانوا مشهورين بجودة خيولهم وسرعة سيرها وحدة حواسها وكانوا يحيطون باعدائهم باستعمال الرماح والسهام فى طرفة عين وكانوا يختفون من عيون اعدائهم فى لمحة ايضا اذا ضويق عليهم وكانوا يعبرون النهر الكبير العميق فوق خيولهم سابحة وتارة كانوا يستعملون جلود الحيوان الكبير (الطولوم والقربة) مكان السفينة وكانت البستهم البسة الفرس ويحتمل انهم قصدوا بلدة كيف ايضا الا انهم كانوا يتحاشون ويجتنبون عن محاربة عسكر قوى فلهذا توجهوا نحو مولدا ويا وبيسرابيا اللذين كان يسكن فيهما اوغر وبلغار الذين هم من جنسهم ومن اوطانهم وقد اورث هؤلاء هناك دهشة عظيمة وكانوا يخدمون الاجانب بالاجرة ليتغلب بعضهم على بعض وقد استأصل الاقوام الذين كانوا هناك بعضهم بعضا بمعاونة هؤلاء اياهم وقد بذل لهم الروم خزائن جمة من الذهب ليقتلوا اقوام اوغر وبلغار والروس قلت الفولاذ انما يقطع بالفولاذ فلم يحارب هؤلاء بعضهم بعضا بل اتفقوا على محاربة الاجانب فهل يبقى حينئذ لاحد شبهة فى تغليبهم ممالك اوروپا ظهرا لبطن كما كان فى عصر آتيلا كلا ولم تحدث فيهم هذه العادة السيئة فى العصر المذكور فقط بل كانت موجودة حين محاربتهم الصين والفارس ايضا شنشنة اعرفها من اخزم * وعساكر الترك الذين اشتهروا فى بداية امر الخلفاء العباسية بالاتراك العبيد لم يكونوا عبيدا حقيقة بل كانوا من العساكر المستأجرين وهذه العادة السيئة اعنى افناء بعضهم بعضا باقية الى يومنا هذا فى الاقوام الشرقية عموما وفيمن يدعون منهم الاسلام خصوصا لاحاجة الى بيانهم تراهم فى كل كورة اجلت فيها نظرك مصداق قول القائل شعر :

هرلى بكل مكان منهم خلق * تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن

انالله وانا اليه راجعون رزقناالله سبحانه الادراك والبصيرة ثم قال كارامزين فى شأن الغوالص الذين مر ذكرهم قريبا نقلا عن البكرى كان قوم فى جهة الخزر من بلغار قزان يسمون غوالص وكانوا متحدين ببلغار قزان جسنا ودينا وكان بحرالخزر يسمى وقتئذ ببحر الغوالص اوالغوالين (١) نسبة اليهم اه قال المسعودى اثناء بيانه الاقوام الذين فى اطراف باب الابواب وجبال كافكازيا واثناء تعداده القبائل التركية المتصلة بالخزر يلى بلادالخزر فيما بينهم وبين المغرب امم ترك ترجع الى اب واحد وبدءانسابهم حضر وبد وذومنعة وبأس شديد لكل امة منها ملك مسافة مملكته ايام متصلة ممالكهم بعضها ببحر نيطش (بحر الاوزاق والاسود) وتتصل غاراتها بمدينة رومية وبمايلى بلادالاندلس مستظهرة على سائر ما هنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة وكذلك مع صاحب اللان وديارهم تتصل ببلادالخزر فالجيل الواحد منهم يقال له يجبى ثم تليها امة ثانية يقال لها جغرد (والظاهر انها بجغرد) ثم تليها امة ثالثة يقال لها البوكرده ثم تليها امة يقال لها بجناك وهى اشد هذه الامم الاربعة وملوكهم بدو وكان لهم حروب مع الروم بعدالعشرين والثلاثمائة اوفيها وقد كان للروم فى تخوم ارضهم فيما يلى من ذكرنا من هذه الاجناس الاربعة مدينة عظيمة يونانية يقال لها وليدر (٢) فيها خلق من الناس ومنعة بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الامم ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى ارض الروم لمنع الجبال والشجر اياهم ومن فى هذه المدينة وكان بين هؤلاء الاجناس حروب بخلاف وقع بينهم على رأس رجل تاجر مسلم من ارض اردبيل كان نازلا على ارض بعضهم فاستضافه ناس من الجيل الاخر فاختلفت الكلمة

---

(١) وحيث ان سمت قصبة غوالين التابعة لولاية سراطاو موافق لسمت الاقوام المذكورين على بيان كارامزين لابعد فى ان نقول ان اسمها باق من ذلك الوقت ومن القوم المذكورين وان بعدت عن بحرالخزر والله سبحانه اعلم منه عفى عنه

(٢) ولم ادراسم هذه المدينة الاصلى وللروم هناك مدينة خرصون وبو سفور واولو پا كما تقدم. منه عفى عنه.

واغارمن فى وليدر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا كثيرا من الذرية وساقوا كثيرا من الاموال ونمى ذلك اليهم وهم مشاغيل فى حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد القوم جميعا نحو مدينة وليدر فساروا اليها فى نحو ستين الف فارس وذلك على غير احتفال منهم ولا تجمع ولو كان ذلك لكانوا فى نحو مائة الف فارس فلما نمى خبرهم الى ارمنوس ملك الروم سير عليهم اثنى عشر الف فارس من المتنصرة على الخيول بالرماح فى زى العرب واضاف اليهم خمسين الفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر فى ثمانية ايام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من اهل وليدر خلقا من الناس وامتنع اهلها بسورهم الى ان اتاهم هذا المدد ولما صح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفى هؤلاء الاجناس الاربعة من قد اسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة امام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا فى امان الترك اخرجوهم من بلادهم الى ارض الاسلام فابوا ذلك وتوافق الفريقان فى ذلك الوقت فكانت النصرة للروم على الترك لانهم كانوا فى الكثرة اضعاف الترك وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة فقال لهم ملك بجناك قلدونى التدبير فى غداة غد فانعموا له بذلك فلما اصبح جعل فى جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها الف وكذلك فى جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت فى قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنه (هكذا فى الاصل والصواب الميسرة) ومن فى الميسرة الى موضع من خرج من جناح الميمنة) واتصل الرمى واتصلت الكراديس كالرحاء والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها فى الف الف وذلك ان من خرج من كراديس

الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدئ فيرمى فى جناح ميسرة الروم ويمر بميمنتهم فيرمى وينتهى الى القلب ومايخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمى فى جناح ميمنة الروم وينتهى الى الميسرة فيرمى وينتهى الى القلب فيرمى فيكون ملتقى الكراديس فى القلب دائرا على ما وصفنا فلما نظرت الروم والمتنصرة الى مالحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمى عليهم حملوا على القوم مشوشين فى مصافهم فصادفوا صفوف الترك ثابتة ماخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعقبهم الترك بعد الشرق بالحملة على صفوفهم غير مشوشين ما كانوا عليه من التعبية وركضت الكراديس من اليمين والشمال واخذ القوم السيف واسود الافق وكثر صياح الخيل فقتل من الروم والمتنصرة نحو من ستين الفا حتى كان يصعد الى سور المدينة على جثثهم فافتتحت المدينة واقام السيف يعمل فيها اياما وسبى اهلها وخرج عنها الترك بعد ثلاث يؤمون القسطنطينية ثم توسطوا العمائر والمروج والضياع قتلا واسرا وسبيا حتى نزلوا على سور القسطنطينية فاقاموا عليها نحوا من اربعين يوما يبيعون المرأة والصبى منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير وبذلوا السيف فلم يبقوا على احد منهم وربما قتلوا النسأ والولدان وشنوا الغارات فى تلك الديار فاتصلت غاراتهم بارض الصقالبة ورومية ونحو بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة (دانيمارقه) اه بيان معاملة البجانك مع الروس ومحارباتهم اياهم قال كارامزين بعد قوله السابق فى بجاناك واضطرت الروسية ايضا الى طلب موادة هؤلاء البجاناك فان امتلاطها بالروم وتجارتها معهم من غير خوف ومعيشتهم فى نفس مملكتهم بالاطمئنان والراحة كانت مربوطة بموادتهم فان كلا من مصبى دينبير وطونة اللذين هما بابا القسطنطينية وعتبتاها كان بايديهم ومع ذلك كان فيهم كمال الاقتدار على سلب راحة الروسية واطمئنانهم بالاغارة عليها من طرفى نهر دينبير ونهبها وتخريبها وفضلا عن ذلك كان تقوى حكام الكيف باتفاقهم ومعاونتهم

سهلا جدا * وهذا التدبير الاضطراري السيء المبني على الغرض المذكور دام مدة ازيد من ٢٠٠ سنة متلبسا بصور مختلفة وبعدان عاهدوا ايغور كينار الروسية تركوا الروسية على راحتهم مدة خمس سنين قال نيسطور ان اول محاربتهم الروسية كانت في سنة ٩٢٠ ولكنه لم يخبر عن نتيجة هذه المحاربة * وفي اثناء محاربة اسوانصلاو بن ايغور بلغار طونة في سنة ٩٦٧ حين حكومته بالروسية هجمت البجاناك على الكيف فاضطر اسوانصلاو بعد سماعه ذلك الى الرجوع * وفي اثناء عودته مغلوبا من يد تصيمخى (دمستق) قيصر الروم حين هجومه على البلغار ثانيا في سنة ٩٧٢م يعني مصادفة سنة ٣٦٢هـ قتل البجاناك وقطعوا رأسه وجعل خانهم قورا فيه رأسه طاسة وظرفا لشرب الماء والشراب فيها * وفي عصر ولاديمير هجموا على ولاية كيي وزعموا عنها انهزمن لقصة خرافية نقلها كارامزين عن نيسطور مع التردد في صحتها * ثم هجموا بعد ذلك على الروسية وغلبوهم ونجا ولاديمير برأسه بعدان عاين الموت مختفيا تحت الجسر * ثم هجموا بعد ذلك عليها حين كان ولاديمير بنووغورد ونقل هنا ايضا حكاية خرافية عن نيسطور في بيان سبب نجاة اهل الكيف منهم ولا يصدقها. ثم هجموا عليها في سنة ١٠١٥م وكان ولاديمير مريضا بمرض الموت فارسل لمقابلتهم ولده المحبوب بوريس فهلك ولاديمير في تلك الاثناء وجلس مكانه في كرسي حكومة الروس اسوانو پولك ابن اخيه يارو پولك فامر بقتل ابن عمه بوريس فقتلوه بساحل نهر آلوته حين عودته عن محاربة بجاناك * ولما قصد يارصلاو بن ولاديمير الذي كان عصى اباه في حياته اسوانو پولك وسار اليه بعساكر نووغورد دعا اسوانو پولك البجاناك الى الاتفاق معه ولكن انهزم اسوانو پولك عن يارصلاو قبل وصول البجاناك لامداده وكان ذلك في سنة ١٠١٦م ولما استمد اسوانو پولك بالنمسه والماجار في سنة ١٠١٨م على يارصلاو دعا البجاناك ثانيا الى الاتفاق معه فهرب يارصلاو * ولما هجم يارصلاو الى كيف ثانيا في سنة ١٠١٩ هرب منها اسوانو پولك الى بجناك وهجم معهم الى كيف

ولكنهم انهزموا فهرب اسوانوپولك الى بوهميا وهلك هناك ولما هجمت البجاناك الى كيف فى حدود سنة ١٠٤٠ جاء يارصلاو بعسكر نووغورود ووراغ فوقعت بين الفريقين محاربة شديدة انتهت بانهزام بجاناك وقد غرق اكثرهم فى نهر دينيپر ولم ينج منهم الا القليل فتخلصت الروسية بعد ذلك من مهاجمتهم الشديدة الى الابد فبنى يارصلاو فى موضع المعركة ومحل غلبة الروس كنيسة عظيمة من الحجر تذكارا لتلك الغلبة الظاهرة ووسع بلدة كيف الى الموضع المذكور وبنى فى اطرافها سورا من حجر وسمى بابها الكبير بباب الذهب وسمى الكنيسة المذكورة باياصوفيا ومينرپولسكى تشبيها لبلدة كيف بالقسطنطينية * ولما تملك يار وپولك بن ولاديمير مانوماخ وعصاه بعض الطوائف من الروسية ارسل اليهم فى سنة ١١٣٩ م مصادفة سنة ٥٣٤ هـ فرسان البجاناك وفى سنة ١١٦١ م مصادفة سنة ٥٥٧ هـ جاءوا لاعانة الكيناز روصبتسلاو حاكم الروسية وهذا آخر ماذكره كارامزين من احوالهم ولا ادرى كيف صار احوالهم بعد ذلك وانا لا اشك فى كون قوم بوشنق الموجودين الآن من بقاياهم وان ظن ان تسميتهم ببوشنق انما هى بالاخذ من لفظ باشنيا بمعنى المنارة لوجودها فى تلك المملكة او بالاخذ من اسم نهر هناك فان ذلك مما لا دليل عليه وقرب الاسم والموضع بل اتحادهما ادل دليل على ماقلنا بل كثير من الاقوام الذين يعدون الآن هناك من اسلاوان من بقايا الاقوام التركية الذين قطنوا هناك ثم انقرضوا والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال * **القفچق** * اصله التركية بالباء الفارسية بدل القاف ولما عرب ابدلت فاء وربما نكتبه على اصله ولا حرج وقد حرف الى الفاظ اخر ايضا سوى ذلك وهم اعنى القفچق قبائل كثيرة شهيرة من بين الاقوام التركية وقديمة جدا باقية من عصر اوغوز خان على قول ابى الغازى خان الآتى ذكره ولهم معاملات ومحاربات كثيرة مع الروسية اكثر من معاملات من سواهم من الاقوام التركية حتى تكررت بينهما المصاهرة وبذلك صارت لحمة الروسية من التركية مع الاشتباه فى سداها وقد تسلطن انفار منهم فى

الديار المصرية والشامية بعدان استجلبوا هناك ارقاء مملوكين بالالطاف والتوفيقات والتأييدات الالهية وصدرت عنهم فى خدمة الدين الاسلامى وحماية حوزته وحفظ بيضته هممات عالية وغيرات سنية ومساع مشكورة ومواقف محمودة فى صحائف التواريخ مسطورة والى يوم القيامة على الالسنة جارية مذكورة اولهم ركن الدنيا والدين الملك الظاهر بيبرس والملوك القلاونية بعده وهم المشهورون فى التواريخ بملوك الاتراك والموالى وبقاياهم موجودة الى الآن فى برية القزاق المنسوبة اليهم سابقا خصوصا فى اطراف طرويسكى واورنبورغ وبعدهم كارامزين من قوم قومان المشاهير ومتحدا بهم ويطلق عليهم فى تاريخه تارة لفظ اقفچق وتارة لفظ القومان وتارة يعبر عنهم بكلا اللفظين ونهر قوبان الذى يجرى من شرقى بحر اوزاق ويصب فيه يمكن ان يكون وجه تسميته به نسبته اليهم غاية ما فى الباب يكون باؤه مقلوبا من الميم وكذلك كون نهر قاما منسوبا اليهم يرى فى بعض التحريرات الكائنة فى هذا الصدد قال ابو الغازى خان فى بيان مبداء ظهورهم ووجه تسميتهم بالاسم المذكور مات واحد من مقربى اوغوزخان فى بعض مغازيه وبقيت زوجته حاملا ولما حان وضع حملها لم تجد بيتا تضع فيه حملها وكانت الهواء باردة فدخلت جوف شجرة مجوفة ووضعت فيه حملها ولما بلغ ذلك مسامع اوغوزخان سمى الولد المذكور بقپچق لتسمية قدماء الاتراك الشجرة (١) المجوفة به وضمه الى نفسه ورباه مع اولاده ولما عصت الروس واولاخ وماجار وباشقرد اوغوزخان وخرجوا عن طاعته وبغوا عليه وقد كبر الولد المذكور فى ذلك الوقت ارسله بعسكر كثير لمحاربتهم وتربيتهم وردهم الى الطاعة نحو سمت نهرى ايدل وتون (دون) فسار اليهم وردهم الى الطاعة وتسلطن هناك مدة ثلاثمائة سنة وقبائل قفچق كلهم من نسله وذريته ولم يكن فى سواحل نهر دون وايدل وجايق قوم من الاقوام سوى قفچق من لدن عصر اوغوزخان الى عصر جنكزخان فتصرفوها مدة ثلاثمائة سنة (وفى نسخة اربعة

(١) والى الآن يقال للشئ الاجوف اللبن عند اهل القزان قوبشاق وكوبشك ولاشك ان لفظ كاوشاك عند العثمانية محرف منه . منه عفى عنه .

الآف سنة وهذا هو الحق ان صحت هذه القصة وثبت قدم اوغورخان وسيجيء ذكره فى المقصد الثانى) من غير مشاركة احدلهم فيها ولاجل هذا سميت تلك الاراضى بدشت قفچق يعنى برية قفچق نسبة اليهم اه والحاصل انه لما كانت لهم وقتاما فى البرية التي تسمى الآن ببرية قراق وقرغز سلطنة وشوكة ومزيد اشتهار عند جيرانهم الفرس بالنسبة الى اشتهار من سواهم من الاقوام التركية القاطنين هناك سميت البرية المذكورة عموما بالنسبة والاضافة اليهم بدشت قفچق الكائن بمعنى برية القفچق وصار هذا الاسم علما غالبا لها لكثرة تعبير الفرس عنها به ولما وقعت تلك البرية برمتها على حصة جوجى وولده باتوا بعد خروج التتار وتقسيم چنكزخان اربع المسكرن بين اولاده الاربعة واسسوا كرسى سلطنتهم بلدة سراى بناحية من تلك البرية من جهة ومحوا سلطنتهم من ديار قريم باستيلائهم عليها وضموهم وقلبوهم الى انفسهم بحيث لم يبق بين الفريقين فرق ما من جهة اخرى سميت سلطنة جوجى وباتو واولادهما بسلطنة قفچق ايضا كما سميت بسلطنة التتار وغيرهما كما سيأتى فى موضعه وسلطنتهم التى اسسوها اخيرا بعد ان صاروا معروضين لنقلبات كثيرة مملكة قريم وسواحل نهرى دون ودينبير وقد صدرت عنهم هناك معاملات ومحاربات ومصالحات ومصاهرات مع الروسية بملابسة الجوار وامتدت تلك الامور الى ظهور التتار واستيلائهم على اراضيهم وامحاء سلطنتهم بالكلية وكان كرسى سلطنتهم حين كانت سلطنتهم بقريم بلدة سوداق التى بقيت بقيتها الى الآن بساحل البحر الاسود بين يالطه وكفه وفى التركستان بسفح جبل مسمى بقراطاغ هناك من جهته الشمالية داخل ولاية بنى صو المسماة الآن بالروسية سيمر بچينسكى قرية تسمى ايضا سوداق يحتمل ان تكون هى ايضا باقية منهم وذهب بعض فضلاء عصرنا الى ان صوغداق كان عند قدماء الترك اسما لقبيلة او رتبة ومنصب وذهب الى كون اصل صغد سمرقند ايضا هو هذا الصوغداق وليس ببعيد سواء كان رأيه او اخذه عن غيره * ولنبين الآن معاملاتهم مع الروسية نقلا عن كارامزين *

قال كارامزين قنچق اوقومان پالوتيست يعنى بالروسية دخل هـؤلاء القوم فى سنة ١٠٥٥م مصادفة سنة ٤٤٧هـ ولاية پريصلاول وكان رئيسهم وقتئذ شخصا يسمى پالوت (صوابه پولاط سموهم الروس بالنسبة اليه پالوتسيا وكثيرا ما يذكرونهم بذلك كما استطلع عليه اثناء البيان) فصالح المذكور كناز الروسية وصبوولود وكان هولاء من جنس البجاناك والظن انهم مـن جنس قرغز الموجود الان ايضا وكانوا يسكنون سابقا فى برارى آسيا وبقرب بحر الخزر على حالة البداوة والرحلة والنزول ولما دخلوا امالك يعنى ولاية پريضلاول شرعوا فى تضييق قوم اوز (اوغوز) الذين هم من بقايا قوم ذكروا فى التواريخ بعنوان الترك (يعنى قوم الخاقان دبزابول المار ذكره واتباعه) واضطروهم الى الانسحاب الى سواحل نهر طونه فمات كثير منهم هناك من الوباء وانضم بقيتهم الى اليونان والروم وامتزجوا بهم وطردوا البجاناك ايضا من مساكنهم واستملكوا سواحل البحر الاسود الى مولد اويا واغاروا كافة الحكومات فى جوارهم مثل الروم وغيرهم وادهشوهم واخلاق هولاء تبين فى تواريخ الروس باردة حيث ان سفك الدماء عندهم كان بمثابة اللعب فضلا عن النهب والغارة وكانت اقامتهم فى الاخبية والخيام وكانوا يأكلون اللحم النى ويشربون شرابا حاصلا من لبن الرماك (يعنى القمز) ولاشك ان المصالحة بمثل هولاء القوم لاتبقى مدة كثيرة واذا انهم لم يصبروا بعد وقوع المصالحة بينهم وبين الروس الى مجئ اوان الربيع الذى ينتعش فيه الحشرات بل اغاروا على الروسية فى سنة ١٠٦١م تحت قيادة رئيسهم سيقال وانصبوا عليها انصباب المطر وانتصروا على وصبوولود واغتنموا غنائم كثيرة ورجعوا الى نهر دون وهجموا ايضا فى سنة ١٠٦٤م مجددا وانتصروا على كيناز الروسية ايزاصـلاو واخوته واضطروهم الى الفرار وبعد ذلك غلبوا مرة من الروسية ثم اغاروا عليهم ونهبوهم فى ساحل نهر ديصنه وفى سنة ١٠٧٧ استمداولبغ الكيناز الروسى بالقنچق على الكيناز ايزاصلاو فقتل واستولى على چيرنيغوف. وفى التالية لها صالحوا الكيناز وصبوولود فى پريصلاول وقتلوا الكيناز رومـان

اخا الكيناز اوليغ وارسلوه يعني الكيناز اوليغ الى الروم وبعد ذلك بقليل انتصر الكيناز وصيوولود على الاتراك المقيمين فى اطراف پريصلاول وطرد القفچق من اطراف نهر ديصنه وحرول وفى سنة ١٠٩٢ هجمت القفچق على الروسية من جانبى نهر دون ونهبوا وخربوا واحرقوا بالنار واستولوا على بلدة پيصوچين بساحل نهر صوبو وعلى بلدة پيروولوك بساحل نهر بورصقلى ولما مات وصيوولود كيناز الروسية فى سنة ١٠٩٣ وجلس مكانه الكيناز اسواتوپولك ارسلت القفچق اليه سفيرا يطلبون منه المهادنة فحبس اسواتوپولك سفيرهم بناء على ضعف رأيه فشرعت القفچق فى الاغارة على ولاية كيف ونهبها واحراقها بالنار انتقاما فاضطر اسواتوپولك الى طلب الصلح منهم ولكن القفچق لما كانوا مطلعين على طبايع الروس الغدارة لم يصغوا الى طلبه واستمروا على ماهم فيه من النهب والغارة والتخريب وبعد ذلك اتفق حكام الروس كلهم على مدافعتهم وقد كان قبل ذلك من مدة مديدة بينهم شقاق ونفاق ولما قابلوهم انكسروا اقبح انكسار وولوا الادبار وهلك من نجا منهم من القتل بسيوف القفچق مع رئيسهم روصيتصلاو مغروقين فى نهر اوستوغنو ونجى الكيناز ولاديمير مانوماخ من طرف واحد من عسكره بعد ان عاين الموت بعينه فاستولت القفچق على بلدة تورچيسك فخربوها واسروا اهلها وكانت معمورة بقوم (١) من الترك تركوا معيشة البداوة واختاروا الحضارة تابعين للروسية ثم توجهت القفچق بعد ذلك نحو الكيف فخرج اسواتوپولك للقائهم فوقع القتال بين الفريقين بقرب كيف فقتل من معه من العساكر عن آخرهم فرجع الى الكيف بنفرين من العسكر وتحصن فيها ولما آيس من تخليص مملكته من اقوامان بالقوة تشبث لذلك بسبب آخر وهو انه تزوج ابنة طغر اوطغرل خان القفچق وهذا الازدواج وان كان معقولا لكونه فى سبيل تخليص المملكة عن التخريب لكنه لم يترتب عليه فائدة ما فان الكيناز اوليغ اتفق معهم وهجم بامدادهم على الروسية وحاصر

(١) وكونها كذلك معلومة من اسمها . منه عفى عنه .

بلدة چير نيغوف واضطر الـكيناز ولاديمير الى الخروج منها مع اهله وعياله والمجيئ الى پر يصلاول وبعد ذلك صالح قائدان من قواد قومان المسميان آتيلار وكيتان فى سنة ١٠٩٥ م الـكيناز ولاديمير مانوماخ واخذا ولده اسواتصلاو رهنا للامنية وكان كيتان يقيم بقرب البلد بلاخوف وآتيلار كان يقيم فى بلدة راتبار من ولاية پر يصلاول ضيفا ومسافرة فاشار مقربوا ولاديمير الوحوش وار كان دولته العارون عن المدنية والانسانية اليه بنقض العهد المقدس ومخالفة قاعدة اكرام الضيوف التى هى ليس باقل فى التقدس عند الاتراك من العهد وحسنوا له الفتك بكيتان وآتيلار وبمن معهما من القفچق قاطبة غيلة واتفقوا على ذلك فخرجوا فى نصف الليل من البلد مع الاتراك التابعين لهم مسلحين وحملوا على كيتان ومن معه على الغفلة وهم فى اعز النوم والذه ليس عندهم خبر عن شيء قط وقتلوهم عن آخرهم كالوحوش الضارية واخذوا اسواتصلاو وسلموه الى ابيه ولاديمير وكان آتيلار يأكل الغداء فى صباح الليلة المذكورة وليس له خبر عما جرى فرماه اوليغ بن راتيبور بسهم من ثقب كان اعد لذلك الامر فقتله ثم قتلوا كافة من معه من وجوه القفچق واعيانهم واعلنوا بالارتكاب على مثل هذا الغدر الشنيع ماهية الروس وحقيقتهم للعالم ان كان هنالك من لم يعلم ذلك وكانت الوقعة المذكورة فى ٢٤ شباط (١) (فبرال) سنة ١٠٩٥ المذكورة يعنى بعيد المصالحة والمعاهدة ولما تقين اسواتو پولك وولاديمير مانوماخ ان القفچق ينتقمون منهم ويأخذون بثارهم كما ينبغى بلا شبهة اغاروا على بلاد القفچق مجددا واغتنموا مقدارا من الخيل والالبسة وعادوا الا ان القفچق اغروا قلعة للروس بساحل نهر اوصى تسمى يورق فجاء أهلها مع قسيسيهم بلدة كيف وبعد ذلك طلب اسواتو پولك وولاديمير مانوماخ من اوليغ كيناز چير نيغوف ان يقتل ولد آتيلار الصغير الذى كان بقى بيده حين قتله اويسلمه اليها فرد الكيناز اوليغ طلبها لكونه خيانة

(١) يصادف ذلك اواسط صفر من ٤٨٩ سنة هـ منه عفى عنه .

بلا فائدة ولم يعطهما عسكر المحاربة فومان فهما على چبر نيغوف وانتصرا على اوليغ فخرج من چير نيغوف وذهب الى استارى دوب فذهبا هناك وحاصراه فيها فهجمت القفچق فى تلك الاثناء على الروسية متفرقين الى فرق فرقة منهم توجهت الى بريستوف واحرقت هناك قصر الكيناز وفرقة احرقت قلعة بقرب پريصلاول وحاصر طهرا وطغرل خان الذى هو صهر اسوانو پولك مع عسكر القفچق بلدة پريصلاول التى هى كرسى سلطنة ولاديمير مانوماخ وموضع الغدر الباعث على هذه الفظائع فجاءها اسوانو پولك وولاديمير خفية وحملوا على معسكر طهرخان بغتة وقتلوه مع ولده وكبراء القفچق وكانت هذه الوقعة فى ١٩ حزيران (ابونيه) من ١٠٩٥ السنة المذكورة وبينما كان حكام الروس يقيمون الفرح والسرور لاجل هذه الغلبة بل الغدر والحالة انه هجم خان آخر من قفچق يسمى بوناق على كنف وكادان يستولى عليها ونهب الدير (المناستر) المسمى پچيوارسكى ثم احرقه وقتل الرهابين وانصرف بغتا ثم كثيرة ذكر كارامزين فى العصر والموضع المذكورين قوما من الترك وسماهم بيريندى وظن انهم من القوم المذكور بن اولا باسم اوز وترك * وبيريندى لفظ تركى معناه صار مغلوبا فيحتمل ان يذكروا بهذا الاسم بعدان صاروا مغلوبين وتابعين للروس وذكر هنا ايضا عدم اتفاق حكام الروسية ووقوع الخلاف والمنافسة والرقابة بينهم وان كبارهم الاعظم اسوانو پولك دعا الماجار وجلبهم الى الروسية على اولاد روستيصلاو وان الكيناز داويد دعا بوناق خان القفچى على اسوانو پولك وان الانتصار كان فى هذا الطرف بسبب تدبير بوناق خان وشجاعة رفيقه آلتون اوپه وان الماجارا نهزموا افجع انهزام وغرق اكثرهم حين فرارهم فى نهر صان وتعقبهم بوناق خان مسافة يومين وان تلف الماجار بلغ اربعين الفا وان قرالهم نجا بروحه بغاية الصعوبة وان الماجار يدعون فى تواريخهم ان بوناق خان حمل عليهم بغتة وهم نائمون وان هذه الوقعة وقعت فى سنة ١٠٩٩ م مصادفة سنة ٤٩٣ ه

وبعد ذلك انهزم الكيناز داويد مرة اخرى من الكيناز استوانو پولك فاعانه البطل المشهور بوباق‌خان وهزم جيش اسوانو پولك ولما انعقد عقد المصالحة بين اكثر حكام الروس فى سنة ١١٠٠ بعد حدوث ماجريات بينهم وقعت القومان فى توهم هجوم الروسية على بلادهم بالاتفاق فصالحوهم عن اسم جميع خوانيهم فى بلدة صاقرنوى واخذوا الرهائن من الطرفين للاعتماد والوثوق ولكن الروسية نقضوا عهدهم فى السنة الثانية نحو بص ولاديمير مانوماخ ونزلوا من نهر دينبير بالسفن ومن طرفيه من البر ايضا الى مصبه ثم تركوا سفنهم هناك وتوجهوا بعسكر كثيف نحو الشرق وبعد ان ساروا اربعة ايام متصلا وصلوا الى حراسهم المتقدمة الذين كانوا تحت قيادة آلتون اوپه المار ذكره آنفا فحملوا عليهم بغتة وهم عنهم غافلون فهزموهم ثم هجموا كذلك بغتة على بواقيهم ووضعوا فيهم السيف واضطروا من بقى منهم الى الفرار فعلى فى هذه المعركة من كبار خوانين القفچق وشيوخهم (اورص) (واوپه) وتسعة عشر خانا غير هما ولم يتيسر مثل هذا الظفر والغلبة قبل هذا للروسية قط وقد وقع فى اسرهم واحد من خوانين القفچق يسمى بيلدوز فعرض عليهم ان يبيعوا له روحه وحياته بما شاؤا من الذهب والفضة وترجى منهم ذلك ولكن لما كانت المرحمة والانسانية منافية لمدنية الروس الجارية من بداية خلقتهم الى يومنا هذا لم يقبله مانوماخ بل امر بقتله وكان فى الاسارى عدة من الترك والبجاناك الذين كانوا فى خدمة القومان فاقامت الروس لهذه الغلبة امراما عظيمة وفى سنة ١١٠٧م ساق بوناق‌خان مواشى الروس من اطراف پريصلاول ودخلت القومان تحت رياسة قائدهم الهرم شاروخان موضعا يسمى لوبن فهجمت الروس عليهم بالاتفاق على الغفلة بساحل نهر صولى واضطروهم الى الفرار واخذوا كثيرا منهم اسيرا ومع هذه الانتصارات لم تحصل الامنية والاطمئنان للروسية بوجه من الوجوه فاضطر الكيناز اوليغ ومانوماخ الى مصاهرتهم بخطبة بنات خوانينهم لاولادهم وتزويجهن منهم وقعت هذه الوقعة فى ١٢ الكانون الثانى من سنة م ١١٨٠ مصادفة ٥٠١ سنة ه ولكن هذه المصاهرة لم تنتج ايضا فائدة

مطلوبة منها فان الروس هجموا على بلاد القفچق فى سنة ١١٠٩ وما بعدها واستولوا على قلاعهم ومشناهم بساحل نهر دون ولم يكتفوا بذلك بل اتفق حكام الروس كلهم على القومان واستيصا لهم لنفع اوطانهم بتحريض ولاديمير مانوماخ اياهم على ذلك وا كدوا اتفاقهم هذا بالايمان المغلظة فى الكنايس وتوجهوا فى شباط سنة ١١١١ نحو الجنوب فاستقبلهم اهالى بلدة اوجينيق الكائنة بساحل نهر دون بهدايا واظهروا لهم الانقياد والاستسلام فلم يتعرضوا لهم وامر فوا بلدة اخرى تسمى صوغروف وبقيت هاتان البلدتان الى خروج التتار وكانت القومان انتزعوهما من الخزر وا قاموا فيهما وفى ٢٤ مارت انتصروا على القفچق وعبدوا الذالك مع بلاغو وشنيه ولكن تجمعت القفچق واحاطوا بهم من كل جانب بعدبومين وضيقوا عليهم وبعد قليل من الكر والفر تفرقت (١) القفچق وعادت الروس الى اوطانهم بغنائم كثيرة ولم يخطر ببالهم انتزاع المملكة المشهورة باسامى بوسفورو فنا غورياو تاماتارخان التى كانت الروس انتزعها من الخزر ثم انتزعها القفچق من الروس سابقا فتنوسيت تلك المملكة التى كانت قبل كورة مستقلة يحكم بها حاكم مستقل من الروس ومحى اسمها من الالسن بالكلية هكذا يقول كارامزين هنا ويظهر اسفه وحرقة قلبه لهذا القصور ويقبح فعل حكام الروس هذا مع انه مضى عليه قرون كثيرة وصارت المملكة المذكورة من جملة ممالك الروس اوكادت ان تكون حين كتب ذلك نعم ان وظيفة المورخ ليس النقل المجرد بل اهم وظيفته المحاكمة والتنقيد ثم قال وكان الكيناز داويد بن ايعور الذى نال الاعانة من القومان امرارا عديدة مشتركا لسائر حكام الروس فى هذه الوقعة ثم ذكر موت الكيناز سواتو پولك بعدها بسنتين وذكر نبذة من مثالبه ومعايبه وصعود ولاديمير مانوماخ على كرسى الكينازية العظمى واغارة ولده الثالث يارو پولك على القفچق الساكنين باطراف نهر دون واستملاكه منهم البلاد الثلاثة المسماة

---

(١) ونقل كارامزين هاهنا عن نيسطوران رؤس القفچق كانت تطير بايدلاترى اصحابها يعنى الملائكة على زعمه الكاذب. منه عفى عنه .

بيالين وجيشلوى وصوغردف واخذه اسيرا كثيرا منهم ومن قوم ياصه وان ولاديمير مانوماخ طرد فى الوقت المذكور اقوام بيريندى وبجاناك وترك من الروسية وان كثيرا منهم بقوا فى اطراف دينيبر واختاروا خدمة الروسية وتبعيتها وسموا عندهم چورنى كلابوك او چركس ثم ذكر بعد ذلك موت ولاديمير مانوماخ فى سنة ١١٢٥ م ووصاياه لاولاده ومقدارا من مفاخره ومعايبه ومن جملتها انه قال صالحت القومان والقفچق تسع عشرة مرة واسرت من خوانيهم ازيد من مائة خان واطلقت سراحهم واغرقت ازيد من مأتين منهم فى الماء مجازاة وعقوبة ثم قال ان ولاديمير مانوماخ وان ارتكب ظلما عظيما فى حق القفچق من نقض العهد والغدر بهم الا ان هذا أول عند الروس ومعفو وذلك لان القفچق لما كانوا اعداء النصرانية واعداء الله وتعرضوا على الكنائس صار اهلاكهم عند الروس بل عند جميع عالم النصرانية باى وجه كان فرضا لازما عليهم وتقربا الى الله فضلا من كونه مباحا فاين الفجر حينئذ واين الظلم والوحشة ثم قال ولما سمعت القومان هلاك ولاديمير مانوماخ قصدوا الهجوم على الروسية متفقين بالاتراك الذين كانوا يقيمون فى اطراف پيرياصلاول على حالة البداوة ولما استخبر ياروپولك كيناز پيرياصلاول بذلك جلب الاتراك الى داخل البلد وهزم القومان وفى سنة ١١٣٧ طرد كيناز الروسية الاعظم مسيتسلاو القومان الى ماوراء نهر وولغا فضلا عن نهر دون وفى سنة ١١٣٩ لما آلت الكينازية العظمى الى وصيوولود بن اوليغ ذهب مع الكيناز آندرى بن مانوماخ الى بلدة مالوتين لمصالحة خوانين اتراك قومان وقد وقع فى ذلك العصر بين الروس انفسهم اختلال كثير وكانت القفچق والبجاناك مشتركين لهم فى جميع تلك الاغتشاشات ولم يقصر هؤلاء وكذلك بيربندى وچورنى كلابوك او چركس وسائر قبائل الاتراك فى قتل بعضهم بعضا منضمين الى الروس ومشتركين اياهم فى جميع وقايعهم ولما آلت الكينازية الى فيورغى دولغى روكا (طويل اليد) بن ولاديمير مانوماخ فى سنة ١١٥٥

ذهب الى موضع يقال له كانيف (١) مرتين وصالح خوانين القفچق على ما هو عادة حكام الروسية عند صعودهم على كرسى الكينازية فى ذلك الوقت ولكن خالف هذا عادات سائر حكام الروس فى نقض العهد والعذر بل كان وافيا بعهده مراعيا لجانب القفچق الى ان مات حتى ان القفچق لما اغاروا مرة على اطراف دينبير فقتل بعضهم من طرف بيرنيدى واسر البعض طلب الكيناز غيورغى من قوم بيرنيدى اطلاقهم الا ان بيرنيدى ابوا ذلك ولم يطلقوهم وفى سنة ١١٥٩ جاء عشرون الفا من فرسان القفچق الى الروسية لاعانة الكيناز ايزاصلاو بن داويد ولكن لما هرب الكيناز المذكور لخيانة اتراك بيرنيدى عادت القفچق ايضا بالضرورة الى اوطانهم وغرق كثير منهم فى نهر اوصى وبعد ذلك هجموا على الكيف مرة وعلى چيرنيغوف مرة الا انهم اندفعوا من طرف الاهالى واتراك بيرنيدى ولما دعاهم الكيناز ايزاصلاو بن داويد مرة اخرى لاعانته عادوا الى بلادهم بعشرة الاف من اسارى الروس سوى الذين قتلوهم منهم وفى سنة ١١٦١ دعاهم الكيناز ايزاصلاو مرة ثالثة واستولى على الكيف باعانتهم ولكن لما هرب ايزاصلاو عنها لاراجيف اشيعت فى حقه وقتل فى مهربه من طرف المخالفين انهزمت القومان ايضا بالضرورة ودامت اغارات القفچق ومهاجمتهم على الروسية بلا انقطاع فى هذه السنين ولهذا اتفقت حكام الروس قاطبة على مدافعتهم ونزلوا على طول نهر دينبير ووقفوا فى موضع يقال له كانيف ثم عادوا من غير ان يتجاسروا على الهجوم عليهم ولكن اغار منهم كيناز ان فى فصل الشتاء ونهبا دائرتين منهم واغتنما كثيرا من الذهب والفضة وفى سنة ١١٦٨ اتفقت حكام الروس ايضا قاطبة على حرب القفچق وساروا تسعة ايام متصلة من المفازة ولما سمع الذين فى ساحل نهر دينبير من القفچق هذا الخبر هربوا الا ان الروس لحقوا بهم فى ساحل نهر اوريل وهزموهم وخلصوا منهم اسارى الروس وانثنوا راجعين بغنائم كثيرة ثم جاؤا بعد ذلك

---

(١) بساحل دينبير اسفل من كيف * منه عفى عنه .

منفقين الى كابيف ثانيا الا انه تبدل وفاقهم هناك شقاقا فعادوا خائبين وفى سنة ١١٦٩ لما نقل الكيناز اندرى البوغولبى بن غيورغى طويل اليد ابن ولا ديمير كرسى كينازية الروسية من كيف الى ولا ديمير وتوهم الكيناز غليب حا كم كيف من تكاثر القفچق فى اطراف دينبير ومهاجرتهم هناك ارسلوا اليه رسولا وقالوا لاتخف وليطمئن خاطرك فان قصدنا ليس اخافتك ولانريد ان نخاف من احد وانما نريد المعيشة بالراحة بموادة الطرفين ومصافاتهما فاراد غليب ان يحمى ولده الصغير الذى كان يحكم فى پيرياصلاول من سوء قصدهم فى حقه بتطييب خواطرهم بارسال الهدايا اليهم وبينما هو مشغول بهذا الامر هجمت فرقة منهم كانت بساحل نهر فور على قرية ذات كنيسة متعلقة بكنيسة دبساتينوى بكيف ونهبوها ثم احرقوها بالنار فتوجه نحوهم الكيناز ميخايل اخو الكيناز غليب بن غيورغى واستصحب معه الفا وخمسمائة من اتراك بيريندى سوى عسكر الروس فلما لحقوا بهم ونشب القتال بين الفريقين ظهرت علايم الظفر فى طرف القفچق بعد ان قتلوا منهم حامل لوائهم فاراد ميخايل ان يهرب فامسكت اتراك بيريندى بزمام فرسه ولم يتركوه يهرب وهجموا على القفچق ثانيا وهزموهم والجأوهم الى الفرار واخذوا منهم الفا وخمسمائة اسير . وبعد ذلك انهزم واصلكو بن ياروپولك من القفچق فى وقعة وضويق عليه فى بلدة ميخايلف بقرب كيف وبعد ذلك هجمت القفچق على ولاية كيف عابرين نهر بوغا واخذوا مقدارا من الاسارى الا ان الروس لحقوا بهم وخلصوا اربعمائة من اسارى الروس واخذوا فوق ذلك من القفچق مقدارا من الاسارى وقتلوهم وانتصر ايغور بن اسواتصلاو بقرب الوغ طاغ اوروچيشه على اثنين من خوانين قفچق احدهما كباك والاخر كونچاك واسرهما ولما غزا الكيناز وصيوولود بلغار اعانته القفچق * وفى سنة ١١٨٤ مصادفة سنة ٥٨٠ هـ م اتفق جميع حكام الروسية الجنوبية على حرب القفچق فعبروا نهر دينبير وهجموا عليهم وهزموهم فى ساحل نهر اوغلا اواوريل واسروا منهم سبعة

آلاف نفس وفيهم اربعمائة وسبعة عشر خانا من خوانينهم الصغار يعنى شيوخ القبائل ورؤساهم واغتنموا كثيرا من خيول آسيا واسلحة وكذلك انهزم كونچك خان الشهير السفاك بقرب خزول وكان معه قوس كبير (١) كان يحمله خمسون رجلا وكان يرمى بنفسه من غير مباشرة احد وكان معه ايضا مسلم من الخزر كان يرمى نارا خالصة (٢) فلم ينفعا هم شيئا بل اسرهم اهل الـكيف باسلحتهم جميعا وجاؤا بهم الى الكيناز اسوانصلاو ولكن الروس لم يستفيدوا شيئا من تلك الاسلحة لعدم علمهم بكيفية استعماله ولما سمع حكام الروس الشمالية الكيناز ايغور واخوه وصيوولود هذا الخبر تحركت عروق غيرتهما فخرجوا قاصدين قفچق بجيش عظيم طامعين فى الظفر الظاهر والغنيمة الباردة وجازوا شعاب نهر دون وساروا نحو نهر صولى فلما اطلعت القفچق على حقيقة الحال جمعوا من القفچق وغيرهم من الاقوام التركية الذين فى اطرافهم وجوانبهم ما استطاعوا على جمعه واستقبلوا الروس فلما بدئ القتال غلبهم الروس وانتصروا عليهم وطردوهم وشرعوا فى الانبساط واظهار الفرح والسرور فى خيام القفچق واخبيتهم فاشار عقلاء اصحاب ايغور اليه بالعود والانصراف لما رأوا من كثرة القفچق الا انه لما كان سكرانا من شراب الـكبر والغرور والنخوة الفارغة وزادته الغلبة سكرا على سكره قال ان اهل الـكيف انتصروا على القفچق فى ارض الروس ولم يضعوا اقدامهم فى ارض القفچق اما نحن فننتصر عليهم فى وسط ارضهم ونفعل بهم كذا وكذا ونقتل امثال هذه الوحوش والبرابرة ونستأصلهم ونضع الخراج والجزية على بواقيهم ونكتسب بذلك شهرة ابدية الى غير ذلك من الجزافات ورد بها نصيحة العقلاء وتهيأ للهجوم ثانيا وقد تجمعت القفچق

(١) ولعله كان معمولا ومصنوعا على صنعة الميخانيكى اعنى الماكينة . منه عفى عنه .

(٢) قال كارامزين لعله النار القريقى او البارود ولا ادرى ما مراده بالنار القريقى. منه عفى عنه .

المنهزمون ثانيا وكانوا فى صدد الانتقام واخذ الثار من الروس فابعدوهم عن الماء على كل حال وحالوا دونه وحاربوهم مدة ثلاثة ايام برمى النبال من بعد من غيران يقتربوا منهم وكان جمعهم يزيد وقتا فوقتا واحاطوا بالروس من كل جانب ولما بلغ اضطرار الروس الى الماء غايته فتحوا الطريق الى الماء بعد جهد جهيد الاان القفچق لما كانوا اقوياء مستريحين ومتكاثرين لم يتزازلوا قط بل ضيقوا عليهم خط المحاصرة وشددوا عليهم وحملوا عليهم كالاسود الحوارد فقتلوا قسما منهم واسروا البواقى مع الكيناز ايغور و وصيو ولود وكانت هذه الوقعة بساحل نهر يقال له سابقا قيالى ويقال له الآن عند الروسية كاغالى فارسل القفچق بواسطة التجار خبرا الى اهل الكيف قائلين انا قادرون الان على مبادلة الاسارى ولما سمعت حكام الكيف هذا الخبر بكوا واجروا الدموع من عيونهم ثم ان اسواتصلاو كيناز كيف جمع سائر حكام الروس وعساكرهم بقرب كانيف لتخليص اسارى الروس ولكنه لما سمع تباعد القفچق حين سمعوا بجمعه العساكر خاف ان يصيبه ايضا ما اصاب بالكيناز ايغور من البلية ورجع الى مقره بخفى حنين ولما انعكس هذا الخبر الى القفچق زادت جسارتهم وجددوا هجومهم على الروسية واستولوا منها على بلاد كثيرة وحاصروا ابلده پيرياصلاول فجرح الكيناز ولاديمير بن غليب ثلاث جرحات وتخلص من الموت بغاية الصعوبة بعد ان عاينه وانهزمت عسكر الروس واستولت القفچق على بلدة ريم (رومن) واخذوا منها اسارى وغنائم كثيرة واجلوا كثيرا من القرى فى اطراف پوتيقال ايضا من السكان ثم انثنوا راجعين الى اوطانهم بغنائم وفيرة واسارى كثيرة منصورين ومظفرين الا انه اندملت جروح الروس وتسلوا بعودة الكيناز ايغور الى الروسية بالتخلص من الاسارة وذلك ان كونچك خان المشهور فى تواريخ الروسية بالسفاك الذى هو خان هؤلاء القفچق الاتراك الذين يرميهم الروسية خصوصا والافرنج عموما بالوحشة والتبربر وعدم المدنية من القديم اعطى الكيناز ايغور الذى هو خصم روحه وقاصد لاهلاكه واستيصاله بازا وخادما خاصا وساعده للركوب

والصيد وذلك لكون كانت الاتراك مجبولين على الاغضاء عن مساوى اعدائهم بعد الانتصار عليهم ومعتادين مكارم الاخلاق واكرام الضيوف والغرباء على خلاف مايفتريه كذبة الافرنج ومفتريهم عليهم وخصوصا الروس فاستفاد المذكور من ابتلاء القفچق بشرب القمز ومن ظلام الليل فاغفل الخادم وهرب فوصل الى بلدة دونيس من الروسية بعد احدعشر يوما وقد بقى ولده ولاديمير فى الاسارة فزوجه كونجك خان السفاك الوحشى على قول كارامزين ابنته والله سبحانه اعلم. ثم عاد الى الروسية بعد سنتين وجاء اباه قل ان الروسية يكتبون هذه الوقعة بانواع التخيلات بحيث تؤثر فى القراء وبعد ذلك لم يقع شىء يستحق الفكر الى سبع سنين سوى بعض محاربات طفيفة تارة ومصالحات اخرى الا ان القفچق كانوا يخيفون الروسية ويزعجونهم دائما الى ان وفق الكيناز الشاب روستيصلاف لاراحة الروسية وبث الامن والامان فيها بدفع صولة القفچق وهجومهم عنهم بواسطة اتراك بريندى قل كارامزين هنا ان اتراك بيريندى هؤلاء مع كونهم حماة وحراسا صادقين للكيف صدرت عنهم الخيانة ايضا فى بعض الاحيان وذلك ان رئيسهم المسمى كونشودى (لعله كون طوغدى) لما اغضبه الكيناز اسوانصلاو بسبب من الاسباب ذهب الى القفچق وازعج الروسية مدة مديدة باغارته على ولاية دينيبر فاضطر الكيناز روريك الى اعطاء هذا البطل الفارس بلدة دوبژين بساحل نهر اوصى لتخليص الروسية من ازعاجه باغارته المتوالية واسكيناز وصبوولود وان استخدم القفچق باستئجارهم لتأمين حدود الروسية وحمايتها الا انهم كانوا يزعجون الروسية باغارتهم على الروسية الجنوبية من اصلابودسكى اوقراينسكى الحاضرة الى ولاية سر الماو (صارى طاغ او الماو) دائما وخصوصا حدود رزان فاضطر الكيناز المشار اليه الى اخافتهم بجمع جيش عظيم وسار مع والى الشاب قنسطنطين الى البرارى واحرق قرى القفچق ومشتاهم فانسحب القفچق بعد ذلك من سواحل نهر دون الى سواحل البحر الاسود ولما هجمت القفچق فى سنة ١٢٠٢ م مصادفة سنة ٥٩٩ ﻫ على القسطنطينية من جهة روم ايلى استمد قيصر الروم الكسى قومانين بالكيناز رومان غاليتسكى الذى كان

استولى على الكيف قبيل ذلك والتمس منه تخليص اخوانه النصارى من شر القفچق فاغار رومان على بلاد قفچق ونهبها وخلص كثيرا من اسارى الروس واخرج القفچق من القسطنطينية والجاهم الى تخلية روم ايلى بالكلية ثم عاد الى هاليتسيه وبعد ذلك طلب الكيناز روريك بن اولغ الذى اخرج الكيناز رومان من الكيف القفچق الى طرفه بقوة الفضة والذهب ودعاهم الى الاتفاق معه على رومان الذى هو خصمه وخصمهم فاغتنم القفچق ذلك وهجموا على الكيف واستولوا عليها فى الحال ووضعوا السيف فى اهلها وشرعوا فى قتلهم بلا امان لاخذ الثار والانتقام ونهبوها ونهبوا الكنيسة ديساتينوى وكنيسة صوفيا وسائر الكنائس والاديرة وقتلوا الشيوخ الذين لا يصلحون للخدمة واسروا الشبان الذين يصلحون للخدمة حتى الرهابين والقسيسين وقيدوهم وساقوهم كقطيع البهايم الى بلادهم الا ان التجار الاجانب تحصنوا فى الكنيسة الحجرية وخلصوا انفسهم باعطائهم مقدارا من المال فلم يتعرضوا لهم ولم يبق فى الروسية من لم يجر الدموع من عينيه ممن سمع بهذه الحادثة وكان وقوعها فى ١ الكانون الاول من سنة ١٢٠٤ م مصادفة سنة ٦٠٠ ﻫ وبعد ذلك اتفق الكيناز روريك ورومان على غزو القفچق والاغارة عليهم واخذوا منهم بعض الاسارى والحيوانات وفى خلال مقاتلة الروس بعضهم ببعض فى سنة ١٢١٨ م مصادفة سنة ٦١٥ ﻫ تداخلت القفچق فى تلك المقاتلات ايضا وحين سار الكيناز مسيتسلاو الى محاربة ماجار وپالاك (پولشه ولاخيا وبولونيا ولهستان) ومدافعتهم ارفق القفچق واخذهم معه ولما انهزم عسكر الروس فى اول وهلة حملوا ثانيا مع عسكر القفچق وانتصروا على اعدائهم انتصارا تاما واضطروهم الى الفرار وحين تعقبهم الروس بمقتضى غلبتهم اشتغل القفچق ايضا باخذ الاسارى وجمع وامساك خيول الماجار التى هى وظيفتهم وفائدتهم من الحرب قل وقطرا الضعف على القفچق فى عصر اسواتوپولك الثانى وهجومهم الى ولاية دينپر وان دام واستمر فى العصر الحادى والثانى عشر من الميلاد الا انه لم يكن شديدا ومدهشا كالاول ٭ وهم يعنى القفچق وان استملكوا مملكة تاماتارتان

يعني ولاية بوسفور وسواحل بحر اوزاق ولكن لم يضر ذلك فى التجارة فان التجار كانوا يسافرون من غير خوف ولا انزعاج فى عين الوقت الذى كانت الروس يحاربونهم فى ارضهم وكانوا لا يتعرضون (١) للتجار قط واهذا كانت ابواب التجارة مفتوحة دائما بلا انقطاع وكان البحر الاسود وبحر الخزر ونهرى وولغا ودينبير جادات عظيمة مفتوحة للتجارة دائما هكذا يقول كارامزين نعم هيهات تكتم المشاعل فى الظلام ثم بعد ذلك يبتدىء ظهور التتار وخروجهم وقد وصلت الفرقة المغربية منهم الى ارض القفچق فى سنة ٦٢٠ﻫ بعد ان تعدوا ولايتى اذربيجان وهجموا عليهم اعنى القفچق واسروا يورى خان بن كونچك خان حين هرب وقتلوه وفر دانيال خان بن كباك خان وغيره الى جهة بحر اوزاق بل الى داخل الروسية والى كيف وكان بينهم قوتان خان الشهير ايضا وهؤلاء الفارون هم الذين تسببوا لوقوع الروسية فى المصائب التى اصيبوا بها فى اوائل خروج التتار وورطوهم فى تلك الورطة (٢) واما وقايع التتار الخاصة بالقفچق وهى ان باتو خان لما استولى على شمالى الروسية واسس سلطنة مسماة جوجى اولوسى يعنى حصة

(١) انظروا ايها القراء واعتبروا فى قول كارامزين هذا وزنوه بما يفتريه الروس خصوصا والاوروپاويون عموما على الاتراك من الوحشة وعدم المدنية وهذا الذى ذكره كارامزين هل هو موجود الآن فى القرن العشرين الميلادى الذى يدعى كونه عصر غاية التمدن فى الملل الذين يدعون كونهم فى ذروة التمدن تركت هذا الى انصاف القراء وكذلك يرى فى التواريخ ان طرق التجارة وسفر التجار لم تنسد ولم تنقطع قط اثناء محاربة السلطان صلاح الدين بن ايوب اهل الصليب ومع هذا كلا يزال الاوروپاويون يرمون الاتراك خصوصا والشرقيين عموما بالوحشة وعدم المدنية اعطاهم الله سبحانه الانصاف . منه عفى عنه .

(٢) وخلاصتها ان هؤلاء الفارين حرضوا الروسية على قتال التتار ولا سيما قوتان خان فانه كان ابا زوجة مستصلاو غاليتسكى فاتفقت حكام الروسية بعد اللتيا والتى على محاربة التتار وخرجوا لمقاتلتهم وقتلوا فى الطريق عشرة انفار من سفراء التتار ولاقوهم بساحل نهر قالق المشهور الان بقليتسكى بقرب ماريوپول من ولاية يكاتيرينسلاو وحاربوهم وانهزموا منهم بعد ان قتل اكثر امرائهم وعساكرهم فطردتهم التتار الى نهر دينبير وقتلوا ونهبوا وخربوا ثم رجعوا . منه عفى عنه .

جوجي وقسمه الذى خصه به ابيه چكزخان ومملكةباتو وآلتون اوردو على ما سيجيء ذكره سار فى حدود سنة **٦٣٦** ه الى جهة بحر اوزاق لحرب القفچق والروسية الجنوبية فاستقبلهم خانهم الشهير الشجيع قوتان خان المار ذكره آنفا بعسكر القفچق فالتقى الفريقان فى سهول حاجى طرخان وبعد المقابلة والمقاتلة انهزمت القفچق فسار قوتان خان الى مملكة ماجار مستصحبا اهله وعياله واربعين الفا من قوم قفچق فاسكنهم قرال ماجار فى ساحل نهر طونه فانقلبوا بمرور الزمان الى غيرهم من الامم المجاورين لهم وانقرضت دولتهم وسلطنتهم من اصل مملكتهم الى الآن باستيلا التتار عليها وامتزجت بقاياهم هناك بالتتار امتزاج الماء باللبن وانقلبوا اليهم انقلابا ارتفع التميز بينهما وصارا جنسا واحدا واشتركا بعد ذلك فى الملك والسلطنة حتى قبل الدولة هؤلاء التتار الشمالية المستولية عليهم سلطنة القفچق ودولة القفچق ايضا كما سيجيء وتشرفوا بالدخول فى دين الاسلام معهم فعوضهم الله سبحانه عن دولتهم الفائتة دولة ابدية وكذلك الذين اسروا فى تلك المحاربات وبيعوا فى اقطار الارض من الله عليهم بالتشرف بالدخول فى دين الاسلام ونيل مرتبة السلطنة ودرجة الملوكية فى الديار الشامية والمصرية اولهم ركن الدنيا والدين الملك الظاهر (١) بيبرس الصالحى البندقدار وبعده الملك المنصور قلاون واولاده وقد صدر عنهم فى حفظ بيضة الاسلام وحماية حماه وقت غاية ضعفه آثار واى آثار ومساع يمدحها اولو الالباب والابصار فلولا اصيبوا بتلك المصائب بخروج التتار واستيلائهم على تلك الديار لم تكن شبهة فى تنصرهم قاطبة

---

(١) قال العلامة محمد بن شاكر الكتبي فى ذيل تاريخ ابن خلكان نقلا عن عز الدين بن محمد عن الامير بدر الدين انه قال ان مولد الملك السلطان الظاهر بيبرس بارض القفچق سنة خمس وعشرين وستمائة تقريبا وكانت التتارة قد اغارت على بلاد القفچق فاسروا جماعة وكنت انا والظاهر فيمن اسر فبيع فيمن بيع الخ ومن اراد الحقايق فعليه بتواريخ الفت فى الدولة التركية كالتحفة الملوكية واخبار الترك وغيرهما. منه عفى عنه.

فى تلك الاعصار وخلودهم بذلك فى دركات النار واستحقاقهم غضب الجبار وقهر القهار على ما يستفاد من كلام كارامزين (١) قال الشيخ يوسف بن تنكرى بيردى التركى الاصل المصرى المولد فى كتابه النجوم الزاهرة التتار لما عزموا على قصد بلادهم (يعنى بلاد القفچق) فى سنة ٦٣٩ (٢) وبلغهم ذلك كاتبوا انس خان ملك اولاخ ان يعبروا بحر سوداق (البحر الاسود) اليه ليجيرهم من التتار فاجابهم الى ذلك وانزلهم واديا بين جبلين وكان عبورهم اليه فى سنة ٦٤٠ فلما اطمأن بهم المقام غدر بهم وشن الغارة عليهم فقتل منهم وسبى اه وقال النويرى وابن خلدون فى بيان سبب جلب القفچق الى الديار المصرية والشامية واما السبب الموجب للاستيلاء عليهم (يعنى على اتراك القفچق) وبيعهم فى الامصار فهو انه لما ظهر چنكز خان واستولى على البلاد الشرقية والشمالية وبث عساكره فى البلاد وانتهوا الى بلاد القفچق واللان واوقعوا بهم على ما قدمناذكره فى اخبار الدولة الچنكزخانية فبيعت ذرارى الترك والقفچق وجلبتها التجار الى الامصار ثم رجعت عنهم هذه الطائفة التى ندبهم چنكز خان اليهم فى سنة ٦١٦ وهم التتار المغربة وعادوا الى ملكهم چنكز خان واستقرت طوائف الاتراك باماكنهم من البلاد الشمالية وهم اصحاب عمود لا يسكنون دارا ولا يستوطنون جدارا بل يصيفون فى ارض ويشتون باخرى وهم قبائل كثيرة فمن قبائلهم ما اورده الامير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى . . . فى تاريخه قبيلة طقصاويتا وبرج اوغلى

---

(١) حيث قال ان القفچق كانوا يرجعون عادات الروس فى معايشهم على عاداتهم ويتنصرون بغاية السهولة وما امر الآن من تسميهم باسم يورى ودانيال اللذين هما من اسامى الروس يدل على ذلك وكان قوتان خان المذكور صهر مستسلاو كيناز غاليتسيه ولا شبهة فى انجرار امثال هذه المناسبة الصهرية الى امثال تلك المفاسد كما قيل شعر : عدوى البليد الى الجليد سريعة ٭ كالجمر يوضع فى الرماد فيخمد . منه عفى عنه .

(٢) هكذا هنا فان لم يحمل على تعدد الوقعة فلاشك فى كونه غلطا والصواب ماسيأتى عن النويرى وابن خلدون نقلا عن تاريخ الامير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى . منه عفى عنه .

والبرلى وقنقو (اوقنعر اوغلى) وانع اوغلى ودروت وقلاباوغلى وجزنان وقرا بركلى وكنن قال ولم يزالوا مستقرين فى مواطنهم قاطنين باماكنهم الى سنة ٦٣٦ فاتفق ان شخصا من قبيلة دروت يسمى منغوش بن كتان(١) خرج متصيدا فصادفه شخص من قبيلة طقصبا اسمه آق كبك وكانت بينهما منافسة قديمة فاخذه اسيرا ثم قتله وابطأ خبر منغوش عن ابيه واهله فارسلوا شخصا اسمه جامغر اوجلنغر لكشف خبره فعاد اليهم واخبرهم بقتله فجمع ابوه اهله وقبيلته وسار الى آق كبك فلما بلغه مسيرهم نحوه جمع اهل قبيلته وتأهب اقتالهم فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر لقبيلة دروت وجرح آق كبك وتفرق جمعه فعند ذلك ارسل اهله انصر الى دوشى خان بن چنكز خان (صوابه الى باتوخان بن دوشى خان) وكان اوكداى وهو الملك يومئذ بكرسى چنكزخان قد ندبه الى البلاد الشمالية مستصرخا به وشكا اليه ما حل بقومه من قبيلة دروت القفچقية واعلمه انه ان قصدهم لم يجدونهم من يمانع فسار عليهم فى عساكره واوقع بهم واتى على اكثرهم قتلا واسرا وسبيا فاشتراهم منذ ذلك تجار الان فى عصرهم ونقلوهم الى البلدان والامصار واخرجوهم الى بلاد مصر والشام وباعوهم من السلاطين الايوبية فلما انقرضت سلطنة الايوبية انتقل الملك اليهم فملوك الاتراك الذين قاموا بحمل اعباء السلطنة بعد الايوبية من هؤلاء القفچق وقد انعم الله سبحانه عليهم بنعمة الايمان والاسلام وخلعة الملك والسلطنة واجراء الحكم على البلدان فى مقابلة مفارقتهم عن اوطانهم واسارتهم اه

وقال ابن فضل الله العمرى عند بيان دولة التتار الشمالية وطوائف الاتراك فيها واتراك هذه البلاد من خيار الترك اجناسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنبهم الغدر مع تمام قاماتهم وحسن صورهم وظرافة شمائلهم ومنهم معظم جيش مصر لان سلاطينها وامراءها منهم منذ رغب الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل فى مشترى مماليك القفچق ثم انتقل الملك اليهم ومالت الى الجنسية ورغبت فى الاستكثار منهم حتى اصبحت مصر بهم آهلة المعالم

(١) ولاشك فى كونه توتان خان السابق ذكره آنفا. منه عفى عنه

محمية الجوانب منهم اقمار مواكبها وصدور مجالسها وزعماء جيوشها وعظماء ارضها وحمد الاسلام موافقهم فى حماية الدين وجهادهم اقاربهم واهل جنسهم فى الله لايميل بهم حبه ولا يأخذهم فى الله لومة لائم وكفى بالنصرة الاولى نوبة عين جالوت . . . وهذا من معجزته صلى الله حيث قال لاتزال طائفة من امتى ظاهرين على من عاداهم الى يوم القيامة لايضرهم من خذلهم حتى يأتى امر الله وهم الجند الغربي وهذه الطائفة هى الطائفة التى عناها النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله واراده بها فتماسك بهذه الامة رمق الاسلام وبقيت بقية الدين ولولاها لانصدع شعب الامة وهى عمود الملة الخ قلت واصرح من ذلك وادل على المقصود قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغت الملاحم بعث الله جيشا من الموالى اكرم العرب(١) فرسانا واجودهم سلاحا يؤيد الله بهم الدين فانهم كانوا مشهورين بملوك الاتراك الموالى وهم الذين انتصروا على جيش هلاكو مع عجز كافة الملوك عنها وقال الشيخ بدر الدين العينى لماشاء الله انقراض الدولة الايوبية سبق فى علمه الازلى ان صلاح هذه الامة بتولية اولى النجدة والباس وان الترك من بينهم اصلح الاجناس وان فى هدايتهم الى الايمان اصلاحا خاصا لهم وعاما لجميع الناس فاخرج طائفة منهم من الظلمات الى النور وحباهم بانواع العطايا بالبهجة والسرور وقيض الله تجارا اخرجوهم الى الافاق فى ايام استيلاء التتار على البلاد الشرقية وعلى اتراك القفجق مجلبت منهم طائفة الى البلاد الشامية والديار المصرية واخر الدولة الايوبية اه وقال الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصارى الصوفى الدمشقى الشهير بشيخ الربوة فى كتابه نخبة الدهر فى عجايب البر

---

(١) واضافة الاكرم الى العرب كاضافة يوسف فى قولك يوسف احسن اخوته فلايلزم كون الموالى من جنس العرب كمالايلزم كون يوسف من جنس الاخوة على ان هذا اخرج على عادة العرب من اطلاق العرب على جميع اجناس البشر فى محاورتهم يقولون فعل العرب كذا وترك العرب كذا بمعنى فعل الناس وترك الناس كذا ويقولون كيف عربكم يعنون اهلكم وقول بعضهم ان المراد بهم السادات مبنى على التعصب فان الموالى لايطلق من القديم الاعلى غير العرب. منه عفى عنه.

والبحر واما القفچق فمساكنهم فى غياض وجبال من ماوراء دربند شروان ممايلى بحر الروس ولهم عليه مدينة اسمها سوداق والبحر ينسب اليها (فيقال بحر سوداق) ومنها يمتارون لان التجار تقصدها لبيع مايجلبونه اليهم من الثياب وغيرها ولشرا الجوارى والمماليك والقندز والبرطاسى واقام الله من هذه الطائفة بمصر والشام شعر:

قوما اذ قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا اصاروا عفاريتا

والقفچق طوائف كلهم ترك وهم برلو الى آخر مانقلنا عن النويرى آنفا ثم قال وهؤلاء قد صاروا خوارزمية (١) وفيهم طوائف اصغر مماذكرنا وهم طغ وبشقورط وقمنكو وبزانكى وبجنا (لعل بجناك) وقرابوكلو (او بوركلو (٢) اوتوكلو) وارزوچرطن وغير ذلك من افخاذ يطول ذكرها اه فقد عد الباشقرد والبجناك ايضا من القفچق ولا غرو فى ذلك فان فيما بين الباشقرد طائفة من القفچق ايضا الى الآن فى اطراف قصبة اورسكى وكذلك منهم فى برية قزاق المنسوبة اليهم سابقا بدشت القفچق قبائل كثيرة فى شرقى قصبة طرويسكى من ساحل نهر اوى الى ساحل نهرى ايت وطوبل بل الى مسافة بعيدة فى شرقيهما والحاصل ان الاراضى التى طولها ثلاثمائة ويرستا فى عرض مثلها مسكونة ومملوة بقبائل قفچق فقط وعدا ذلك منهم قبائل كثيرة فى ديار خوارزم واطراف خوقند كما قدمنا حتى ان الذين فى اطراف خوقند منهم كان لهم نفوذ تام وشوكة كاملة فى هذه السنين الاخيرة وقد حاز منهم شخص اعرج يسمى مسلمان قل چولاق رتبة هفته باشية على اصطلاح تلك الديار ايام امارة شير على واخيه ملا خان وابنه خدايار خان الذى هو آخر خوانين خوقند وكان له نفوذ تام على هؤلاء الخوانين وكان الحل والعقد كله بيده وكذلك حاز الرتبة المذكورة ولده عبدالرحمن

(١) هكذا فى الاصل ولعل معناه انهم خرجوا من اوطانهم وارتحلوا الى طرف خوارزم والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

(٢) لعل هذا لايبعد كونهم قراقلپاق. منه عفى عنه.

هفته باشی ايام خانية خدايار خان وعارضه فی بعض اموره وخالفه ونازعه حتى آلت تلك المعارضة والمخالفة والمنازعة الى قصد عبدالرحمن هفته باشی اباه اعنى خدايار خان وخروجه من خوقند ومجيئه الى طاشكند بجميع خزائنه وتسليمها الى والى طاشكند قاوفمان برمنها واستيلاء الروس على خوقند وكافة ممالك فرغانة ومحو سلطنتها ومحو خدايار خان واولاده وعبدالرحمن هفته باشی ايضا فى تلك الاثناء انا لله وانا اليه راجعون وكان ذلك فى سنة ١٢٩٣ ومنشأ ذلك كله سوء الادارة والجهالة والغفلة عن احوال الزمان وكيد الاعداء رزقنا الله سبحانه وجميع المسلمين الاستبصار والاعتبار آمين * الماجار * وربما يقال لهم فى آثار المتقدمين مجر ومجفر ومجفرد وقدمر ذكر كونهم من بقايا قوم هون فى آخر بيانهم وهؤلاء مشهورون عند الافرنج من امة الاوغره قال رفاعة بك وامة الاوغرة التى تسمى ايضا هنغرية وانغورة وهنوغارة واوغدورة ولكن يسمون فيما بينهم الماجار باسم قبائلهم الاصلية كانوا موجودين فى القرن الخامس يعنى الميلادى جهة منابع نهر ابل باقليم مكث الى القرن الثالث عشر يسمى هنغريا الكبرى (يعنى اراضى باشقرد الحاضرة بما فيها بلدة بلغار) ثم قربوا فى القرن السابع والثامن والتاسع من شطوط نهرى دون واوزاف ومما يؤيد اقامتهم بهذه النواحى ما يوجد من آثار مدينة مسماة ماجار بالصحارى فى الجنوب الغربى من حاجى طرخان ثم انتهى امرهم الى ان تغلبوا الى الاراضى الواسعة التى تسمى الان باسمهم (يعنى الماجار وهنغرية وونغيرية) وكانت تخرج منهم قبائلهم السفاكة للدماء تارة ليعمل على آلمانيا وتارة على ايطاليا وقد التبسوا بالاوارة كما التبست الاوارة بالهون ولكن كيف يتصور ان المجار ارباب القدود الرمحية ثم الانوف ان يكونوا من ذرية مغل او الهون ذوى الخلقة الشوهاء ولسان الماجار الذى له مناسبة بلسان الترك وغيره من الالسن الشرقية يشبه فى حروفه الاصلية باللسان الفنية وهذا يدل على ان اصل ماجار انما هو خليط ترك او تتار مع الفنية

وعلى قول كارپين روبروقس (١) ان البشكير سلف الماجار او من جنسهم ولغتهم كلغتهم اه وهذا القول يناقض قوله السابق اعنى قوله ولكن كيف يتصوران الماجار الخ وحيث سلمنا خروجهم من منابع نهر اتـل واراضى باشقرد لا بد من تسليم كون اصلهم وجنسهم هو الباشقرد بالضرورة فان فى كلامه ايضا تصريحا بتسمية اراضى باشقرد منغرية كبرى الى القرن الثالث عشر يعنى الى خروج التتار ومراده بمنابع نهراتل منابع آق ايدل وما يصب اليه من سائر الانهر وقد بين كارامزين هذا بيانا صريحا ظاهرا حيث قال وبينما الكيبازا والبغ مقيم فى اطراف نهرى دينستر وبوغا مضطرا (يعنى فى اواخر العصر التاسع الميلادى) جاء الاوغر مع خيامهم وحاصروا ابلدة كيف وهؤلاء الاوغرهم الماجار او القوم المسمى الآن وينغرية وهؤلاء الماجار او الاوغر كانوا يسكنون سابقا بقرب جبال اورال ثم سكنوا فى القرن التاسع بنواحى ليبيدى فى شرقى كيف وقلعة ليبيدن الكائنة بولاية خارقف تخطرنا هذا الاسم وتذكرناه ولما ضيق پچنيغ على هؤلاء الاوغر عبر بعضهم نهر دون وذهب الى حدود مملكة فارس يعنى صحراء حاجى طرخان وتوجه بعضهم الى جهة الغرب والموضع الذى اقاموا فيه بقرب كيف قد سمى فى عصر نيسطور كان يسمى فى عصر نيسطور اوغرسكا ولا ادرى هل اجازهم اولبغ بحسن اختياره او جازوا وتغلبوا بالمحاربة والقوة والغلبة وعلى كل حال انهم عبروا نهر دينيپر واستملكوا مملكة مولداويا وبيسرابيا ولوشينسكى اه ولا تنس ما ذكرنا فى حقهم فى آخر قصة هون نقلا عن كارامزين ولا تحوجنى الى التكرار وراجع هناك قال بعض فضلاء العصر ان

---

(١) قلت وسيجىء فى المقصد الثانى ذكر كارپين روبروقس هذا وانه من مراسيل پاپا الى خواين التتار لدعوتهم الى النصرانية وذهب كارامزين بعد ذكره هذا وذكر تسميته الاراضى الكائنة بين نهر وولغا وجبال اورال واراضى باشقرد الى ان باشقرد تركوا لغتهم الاصلية واخذوا لغة التتار بعد استيلائهم على ديارهم وعندى ان العكس اولى اعنى الذهاب الى ترك ماجار لغتهم الاصلية واخذهم لغتهم الحاضرة لدلالة قرائن كثيرة عليه اعنى على كون لغة الماجار تركية . منه عفى عنه .

الاوغرهم الماجار وذهب بعض المورخين الى كونهم من اويغور مستدلا بتسميتهم باونغر واونغار يااللذين هما ماخوذان من اون اويغور الاان الماجار ينكرون كونهم من اويغور ويحاولون فى هذا الازمنة الاخيرة اثبات كونهم من جنس بلغار ياء **والحاصل** ان المورخين متحدون فى القول بكون اصل الماجار والبلغار والاوار والخزر والباشغرد وجنسهم متحدا (١) ولذلك يطلق لفظ اوغر عند الافرنج على بلغارطونه كما يطلق على الماجار ويحتمل ان يكون اطلاق هذا اللفظ عليهم لامر عارضي لامن جهة اتنوغرافيا وذلك الامر خروجهم من اصل وطنهم السابق الذكر للسرقة وقطع الطريق فان لفظ اوغرى (٢) عند غير العثمانية من الاقوام التركية يطلق على اللصوص والسراق وقطاع الطريق وهذه الاوصاف كانت موجودة فى الماجار سابقا كما مر وباقية الى الآن بكمالها فى بلغار طونة والله سبحانه اعلم **وذكر ابن بطوطة** فى رحلته المشهورة المسماة بتحفة النظار دخوله مدينة ماجار التى سبق ذكرها عن رفاعة بك فى عصر سلطنة السلطان محمد اوزبك خان عليه الرحمة والغفران اعنى فى اواسط العصر الثامن الهجرى حيث قال وسافرت الى مدينة الماجر وهى (بفتح الميم والف وجيم مفتوح معقود وراء) مدينة كبيرة من احسن مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة نزلنا منها بزاوية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطائحى من بطائح العراق وكان خليفة الشيخ احمد الرفاعى رضى الله عنه. وصلينا بها صلاة الجمعة الى آخر ماذكره فى رحلته المذكورة ص ٢٠٠ ج ١ طبع مصر وكان دخوله اليها بعد ارتحاله من مدينة اوزاق وقبل وصوله الى بش داغ (پيتى غوريا) حين سفره من قريم (٣) الى سراى **وقال الجنابى** عند ذكره

(١) قدمر ذلك نقلا عن كارامزين عند ذكر البجاناك وقال رفاعه بك بعد بيان ماجار واوار وبلغار واوغر واذا تأملنا فى اوصاف هؤلاء الاقوام ومنازلهم وازمنة خروجهم يمكننا ان نحكم بكونهم من جنس واحد وان لم نحكم بكونهم ملة واحدة من جميع الوجوه. اه وهو كلام صدق لاغبار عليه. منه عفى عنه.

(٢) ويحتمل ان يكون محرفا من لفظ بوغارى (يوقارى) بمعنى الفوق والاعلى يسمون اولا بذلك لخروجهم من اعالى نهر ايديل اعنى اراضى باشقرد وبلغار ثم يحرف الى يوغر واوغر ونظائر هما والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

(٣) ولذلك قال فى القاموس ماجر على وزن هاجر بلدة بين صرايه واوزاق اه لكن حرفه الناسخ بزيادة نقطة فوق الصاد فوقع مترجمه فى الغلط فاعرفه. منه عفى عنه.

محاربة تيمرلنك وتوقتامش خان فى سنة ٧٩٨ ه لما بلغ تيمر رجوع توقتامــش خان سار اليه ونازله الى ان غلبه على ملكه وفر الى بلغار وتغلغل تيمر فى بلاده حتى وصل الى روس وجركس وما جاور ممن ذلك العصرا نتقل جيل ماجار من طرف الشرق الى طرف الغرب واستوطنوا فى نواحى نهر طونة ام فعلم من هذا ان بعدة مجار المذكورة حربت فى التاريخ المذكور مع سائر البلاد التى خربها تيمرلنك منه وهاجر اهلها الى وينغرية وبلاد ماجار عند اخوانهم الذين كانوا يسكنون فيها من القديم والحاصل ان الذى يفهم من الاقوال السابقة واللاحقة ان الماجار بقوا هناك من دولة هون ثم لحقهم بواقيهم من اطراف جبال اورال وسواحل وولغا تدريجا تدريجا بمرور الزمان والا لايمكن التطبيق بين تلك الاقوال كما لا يخفى والله سبحانه اعلم وقال بعض فضلاء عصرنا ان الماجار جاءت الى اطراف نهرى طونه وتيس تحت قيادة قائدهم آرپاد بدعوة قرال آلمانيا آرنولف اياهم وبعد محو دولة موراويا سكنوا بصحراء تيس وحيث كانوا وقت مجيئهم من آسيا على حالة البداوة من الرحلة والنزول والنهب والغارة بقوا على تلك الحالة فى وطنهم الجديد ايضا مدة مديدة وازعجوا بذلك الآوروپا الغربية ازعاجا شديدا الخ ولنسمع الان كلام بعض سواحى المسلمين وجغرافيهم فى حقهم قال ابو على احمد بن داسة فى كتابه الاغلاق النفيسة الفصل الرابع ذكر المجغرية وبين بلاد البجاناكية وبين بلاد اسكل من البلغارية اول حد من حدود المجغرية جنس من الترك ويركب رئيسهم فى مقدار عشرين الف فارس ويسمى الرئيس كنده (١) وهذا الاسم شعار ملكهم يعنى عنوانه ولقبه لان اسم الرجل المتملك عليهم جله وكل المجغرية يصغون الى ما يأمرهم به رئيسهم المسمى جله من محاربة وممانعة وغيرهما ولهم قباب يسيرون مع الكلاء والخصب وبلادهم واسعة

(١) ولعله بضم الكاف ولعله اصل لفظ القونت . منه عفى عنه .

وحد منها يتصل ببحر الروم ينصب الى ذلك البحر نهران احدهما اكبر من جيحون ومساكنهم بين هذين النهرين فاذا كان ايام الشتاء قصد كل من كان اقرب منهم من احد النهرين ذلك النهر واقام هناك تلك الشتوة صطادون منه السمك ومقامهم فى الشتاء هناك اوفق لهم وبلاد المجغرية ذات شجر ومياه وارضهم ندية ولهم مزارع كثيرة ولهم الغلبة على جميع من يليهم من الصقالبة ويلزمونهم المؤن الغليظة وهم فى ايديهم مثل الاسرى والمجغرية عبدة النيران، يغيرون على الصقالبة فيسيرون بالسبايا مع الساحل حتى يأتوا بهم مرقى بلاد الروم ويقال له كرخ ويقال ان الخزر فيما تقدم كانت قد خندقت (١) على نفسها اتقاء المجغرية وغيرهم من الامم المتاخمة لبلادهم فاذا سارت المجغريه بالسبايا الى كرخ خرجت اليها الروم فسوقوا هناك ودفعوا اليهم المماليك واخذوا الديباج الرومى والزليات وسائر متاع الروم اه * الباشقرت * وربما يتلفظ بالغين المعجمة او الجيم بدل القاف وبالميم والجيم الشين وتأوه تبدل فى العربية فى جميع لغاته والافيقال باشقرد وبشغرد وبشجرد وبجغرد واما الروس والمتروس والافرنج والمتفرنج فيقولون باشكر وعلى كل حال فهم امة عظيمة من الاقوام التركية ومسكنهم الآن نهر وولغا وجبال اورال وفى شرقيها والمشهور انهم كانوا ممتدين قبل هذا التاريخ بمأتى سنة الى نهرى ايلك وقوبدابل الى مسافة فى شرقيهما من صحراء قفاق حال كونهم رحالة نزالة ثم طردتهم القفاق الى مساكنهم الحاضرة وقد صرح بعض السواح المتقدمين من المسلمين كونهم فى طاعة بلغار فى مساكنهم الحاضرة ويعين بعض منهم مساكنهم فى حدود الافرنج كما قال الملك المؤيد ابوالفدا فى تاريخه ومن النصارى ايضا باشقرد وهم امة كثيرة مابين بلاد آلمان وبلاد افرنجه وملكهم وغالبهم نصارى وفيهم ايضا مسلمون وهم شرسوا الاخلاق اه وقال فى كتابه تقويم البلدان بلاد الباشقرد فى الاقليم السابع وهم ترك

---

(١) وتفسر ذلك نقلا عن كما امز ن فى بيان الخزر . منه عفى عنه .

جاور والالمانيين على عهد متوائق وهم مسلمون من جهة فقيه تركمانى نصرهم بشرائع الاسلام واكثر عمائرهم فى نهر دوما لعل طونه وعلى جنوبيه قاعدتهم اه قال القزوينى فى عجايب المخلوقات باشغرت جيل عظيم من الترك بين القسطنطينية وبلغار حكى احمد بن فضلان رسول المقتدر بالله الى ملك الصقالبة (يعنى البلغار) لما اسلم فقال عند ذكر باشغرت وقعنا فى بلاد قوم من الترك فوجدنا هم شر الاتراك واقذرهم واشدهم اقداما على القتل ووجدتهم يقولون للصيف (١) رب وللشتاء رب وللمطر رب وللريح رب وللنار رب وللدواب رب وللماء رب ولليل رب وللنهار رب وللحياة رب وللموت رب وللارض رب وللسماء رب وهو اكبرهم الا انه يجتمع مع هؤلاء بالاتفاق ويرضى كل بعمل شريكه اه ونقل ايضا عن السفير المشار اليه انه قال رأيت قوما يعبدون الكراكى (٢) الا انه لم يقل انهم من الباشقرد ثم قال القزوينى قال لى فقيه من ان اهل باشقرت ان اهل باشغرت امة عظيمة والغالب عليهم النصارى وفيهم جمع من المسلمين على مذهب الامام ابيحنيفة ويؤدون الجزية الى النصارى كما تؤدى النصارى بها الى المسلمين ولهم ملك فى عسكر عظيم واهل باشغرت فى خركاهات ليس عندهم حصون وكان كل حلة من الحلل اقطاعا لمتقدم صاحب شوكة وكان كثيرا ما تقع بينهم خصومات بسبب الاقطاعات فرأى ملك باشغرت

(١) قلت كانهم كانوا على مذهب افلاطون فانه يقول بوجود رب لكل نوع يقال له رب الانواع وللصوفية ايضا قال فى ذلك وتحقيقات ليس هذا محل ايرادها نظر المكتوبات وكذلك قدماء اليونان كانوا يقولون بوجود اله على حدة للبر والبحر والحرب والصلح والتجارة الى غير من من الامور الا انهم كانوا يصورون تمثالا لكل واحد منها ويعبدونه منه عفى عنه

(٢) وتمامه نقلا عنه هذا من اعجب الاشياء وسألت عن سبب عبادتهم الكراكى فقالوا كنا نحارب قوما من اعدائنا فهزمونا فصاحت الكراكى وراءهم فخسوها كمينا منا فانهزموا ورجع الكرة لنا عليهم فعبدها لانها هزمت اعداءنا اه فهذا يدل على انهم قوم لا يعرفون المعروف ولو صدر من غير ذوى العقول بلا اختيار وقصد وروية فكيف اذا كان من ذوى العقول قصدا واختيارا . منه عفى عنه .

ان يستردمنهم الاقطاعات ويجرى لهم الجامكيات من الخزانة دمعا لخصوماتهم نفعل فلما قصدهم التتار تجهز ملك باشغرت لالتقائهم فقال المتقدمون لسنانقاتل حتى تردالينا أقطاعاتنا فقال الملك لست ارد اليكم على هذالوجه وانتم ان قاتلتم فلانفسكم واولادكم متفرق ذلك الجمع الكثير ودهمهم سيف التتار بلا مانع وتركوهم حصيدا خامدين اه قلت بالنظر الى اول كلامه والى قوله يؤدون الجزية الى النصارى ليس هؤلاء الباشقرد الذين فى اطراف اورال بل طائفة الباشقرد الذين فى حدود الافرنج والذى حكاه ابن فضلان انما هو فى شأن باشقرد اورال بلا شبهة قال الحموى فى معجم البلدان باشغرد بسكون الشين والغين معجمة وبعضهم يقول باشجرد بالجيم وبعضهم يقول باشقرد بالقاف بلاد بين القسطنطينية وبلغار وكان المقتدر بالله قد ارسل احمد بن فضلان بن العباس ابن راشد بن حماد مولى امير المؤمنين ثم مولى محمدبن سليمان الى ملك الصقالبة وكان قد اسلم هو واهل بلاده ليفيض عليهم الخلع ويعلمهم الشرايع الاسلامية فحكى جميع ما شاهد منذخرج من بغداد الى ان عاد وكان انفصاله فى صفر سنة تسع وثلاثمائةفقال عندذكر الباشغرد وقعنا فى بلاد قوم من الاتراك يقال لهم الباشقرد فحذرناهم اشد الحذر وذلك لانهم شر الاتراك واقذرهم واشدهم اقداما على القتل يلقى الرجل الرجل فيفرز هامته ويأخذها ويتركه ويحلقون لحاهم ويأكلون القمل يتتبع الواحد منهم قرطقه (قميصه) فيقرض القمل باسنانه ولقد كان معنا منهم رجل قد اسلم وكان يخدمنا مرأيته يوما وقد اخذ قملة من ثوبه فقصعها بظفره ثم اسحها وقال لما رأني جيدة وكل واحد منهم قد نحت خشبة على قدر الاحليل ويعلقها عليه فاذا اراد سفرا اولقاء عدو قبلها وسجد لها وقال يارب افعل بى كذا وكذا فقلت للترجمان سل بعضهم ما حجتهم فى هذا ولم جعلوه به فقال لانى خرجت من مثل فلست اعرف لنفسى موحدا غيره ومنهم من يزعم اثنى عشر ربا للشتاء رب

(١) وللصيف رب وللمطر رب وللريح رب وللشجر رب وللناس رب وللدواب رب وللماء رب ولليل رب وللنهار رب وللموت رب وللحياة رب وللارض رب والرب الذى فى السماء اكبرهم الا انه يجتمع مع هؤلاء باتفاق ويرضى كل واحد منهم ما يعمل شريكه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال ورأينا منهم (٢) طائفة تعبد الحيات وطائفة تعبد السمك وطائفة تعبد الكراكى فعرفونى انهم كانوا يحاربون قوما من اعدائهم فهزموهم وان الكراكى صاحت من ورائهم فانهزموا بعد ما هزموا فعبدوا الكراكى لذلك وقالوا هذه ربنا لانها هزمت اعداءنا فعبدوها لذلك هذا ما حكاه عن هؤلاء واما انا فانى وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشمردية شقر الشعور والوجود جدا يتفقهون على مذهب ابيحنيفة رضى الله عنه فسألت رجلا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم فقال اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية فى مملكة امة من الفرنج يقال لهم الهنكر ونحن مسلمون رعية لملكهم من طرف بلاده نحو ثلاثين قرية كل واحدة تكاد ان تكون بليدة الا ان ملك الهنكر لا يمكننا ان نعمل على شيء منها سورا خوفا من أن نعصى عليه ونحن فى وسط بلاد النصرانية فشمالينا بلاد الصقالبة وقبلينا بلاد البابا يعنى رومية . . . وفى غربينا الاندلس وفى شرقينا بلاد الروم القسطنطينية واعمالها قال ولساننا لسان الفرنج وزيناريهم ونخدم معهم فى الجندية ونغزوا معهم كل طائفة لانهم لا يقاتلون الا مخالفى الاسلام فسألته عن سبب اسلامهم مع كونهم فى وسط بلاد الكفر فقال سمعت جماعة من اسلافنا يتحدثون انه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلغار وسكنوا بيننا وتلطفوا فى تعريفنا وما نحن عليه من الضلال وارشدونا الى الصواب من دين الاسلام فهدانا الله والحمد لله فاسلمنا جميعا

---

(١) قلت فسرما يتعلق به . منه عفى عنه .

(٢) قلت نقل القزوينى هذا وما بعده عن ابن فضلان سهما بان قال ورأيت قوما فيجوز ان يكون هؤلاء قوما آخرين غير باشقرد والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

وشرح صدرنا للايمان ونحن نقدم الى هذه البلاد ونتفقه فاذا رجعنا الى بلادنا اكرمنا اهلها وولونا امور دينهم فسألته لم تحلقون لحاكم كما يفعل الفرنج فقال يحلقها منا المتجندون ويلبسون لبسة الفرنج اما غيرهم فلا قلت فكم مسافة ما بيننا وبين بلادكم فقال من ههنا الى القسطنطينية نحو شهرين ونصف ومن القسطنطينية نحو شهرين ونصف الى بلادنا واما الاصطخرى فقد ذكر فى كتابه من باشجرد الى بلغار خمسة وعشرون مرحلة ومن باشجرد الى البجناك وهم صنف من الاتراك عشرة ايام انتهى من البلدان بحروفه يقول جامع هذه الحروف لا احد يجهل فى هذا الوقت موقع بلاد الباشقرد وموقع بلاد وينغرية (ماجار) والمسافة بينهما وسمتهما ولا كون الباشقرد ساكنين مقيمين فى مساكنهم الحاضرة من الزمان القديم اللهم الا ان يكون من افسد دماغه فى مدارس بخارى اوغيرها وعاده بتصور كون الماهية مجعولة اوغير مجعولة وانها تتركب من الامور المتساوية اولا وان العالم باى حدوث حادث وان الوجود زائد على الذات اولا وان الجنس كيف يمتاز عن المادة والفصل عن الصورة الى غير ذلك من السفسطة التى لامصداق لها فى الخارج وتصورها يفسد الدماغ ويورث الكلال فى الذهن وقد عين هؤلاء الكبراء اعنى ابا الفداء والقزوينى والحموى مساكن باشقرد فى وينغرية وماجارستان فان صدر هذا عن واحد منهم لقلنا انه سبق قلم اووقع غلطا من قلم الناسخ ولايمكننا ان نقول لعلهم كانوا تحت حكومة الماجار قبل مهاجرة الماجار من ارض باشقرد الى مساكنهم الحاضرة فان كلام ابى الفدا والحموى واول كلام القزوينى ايضا يستأصل عرق هذا الاحتمال فالمعرفة والدراية والتحقيق والتدقيق والمهارة فى التصرف فى الكلام على اصوله انما هى فى توجيه مثل هذا الكلام المتناقض المغلق والاقتدار والمكنة انما تظهر فى مثل هذا وذلك انما يمكن بان يثبت صدور هذا الكلام عن هؤلاء الاعلام ووقوعه عنهم غلطا وسهوا اوكونه سهوا عن قلم النساخ وان هؤلاء القوم الذين ذكروهم بعنوان

الباشقرد ليسوا بباشقرد بل هم القوم الفلا فى مستندا الى دليل ما ولوكان ضعيفا اوبان يقال نعم انهم من الباشقرد كما قال هؤلاء الفضلاء وان الباشقرد كانوا اولا فى مملكة وينغرية وماجار ستان والسنتهم كانت عين السنة الماجار ولونهم كان اشقر مثل لون الماجار وجسمهم لافرق بينهم قط الا انهم هاجروا من مسكنهم المذكورة اعنى وينغرية بعد عصر هؤلاء الفضلاء فى الزمان الفلانى واستوطنوا فى اوطانهم الحاضرة اعنى مابين اورال و وولغا وتركوا لغة ماجار وتعلموا لغتهم الحاضرة واسلبوا عن اشقرة وتلونوا بلونهم الحاضر كذلك مستندا الى دليل ماولو ضعيفا اوبان يقال انهم غير باشقرد اورال وانهم تحولوا بعد ذلك عن وينغرية الى المملكة الفلانية ثم اشتهروا هناك بالاسم الفلانى وهم الآن القوم الفلانى او انهم اضمحلوا بالكلية ولم يبق منهم اثر مستندا الى قول اودليل ما ولو ضعيفا ومحتملا فاختر اى شق شئت من هذه الشقوق الثلاثة واثبته ان قدرت حتى ان الفاضل المرجانى لم يتعرض لهذا قط ولم يبد فيه شيئا من الاحتمالات مع ان من عادته ان يذكر فى مثل هذه المسئلة احتمالات لايسبق اليها وهم واهم قط بل قال بعد ان ذكر شيئا مما نقلناه عن ابن داسة فى حق المجغرية هذا يقتضى كون المجغريه طائفة من الباشقرد وينبغى ان يكون اطلاق لفظ كانطون على حكام باشقرد مأخوذا من لفظ كنده المذكور ثم اورد بعده حكاية من الخرافات لاتعلق لها بما نحن فيه قط وكون لفظ كانطون مأخوذا من لفظ كنده وان كان جائزا الا ان عين لفظ كانطون لما كان بمعنى الناحية فى لغة فرانسا او اسويچرة كان أقول بان اطلاق لفظ كانطون على حكام باشقرد لكونهم حكام الناحية اولى واقرب الى الصواب من الذهاب الى الاحتمال الذى ابداه كما يقال الان لحكام الناحية بالروسية زيمسكى لكونه بمعنى حاكم الناحية وهذا شىء ساقنا اليه الاستطراد ولنرجع الى مانحن فيه ثم قال نقلا عن ابى حامد الاندلسى ان الباشقرد فى طاعة البلغار وقال ايضا نقلا عن ابى اسحق الاصطخرى من

باشجرد الى بلغار خمس وعشرون مرحلة والى البجاناك الذين هم صنف من الترك عشر مراحل وباشجرد صنفان صنف فى آخر غزية (قرغز) ووراء بلغار وهم زهاء ألفى الف نفس ومواضعهم محكمة وهم فى طاعة البلغار وصنف متأخم لحدود بجاناك اه وهذا وان حقق الاشكال المذكور من وجه ولكنه لايدفعه بالكلية اما تخفيفه فانه يؤيدان الذى نقل عن ابى الفداء والقزوينى والحموى صحيح لاسهو فيه ولا غلط ولا مخالفة لكون مساكن باشقرد فى اراضيهم الحاضرة من القديم لكون الباشقرد الذين ذكروا غير الباشقرد الذين فى اطراف اورال بل هم صنف آخر منهم كانوا فى حدود الافرنج ومملكة الماجار ولا اشكال فى ذلك لما تقدم مرارا من ان الماجار والباشقرد من جنس واحد واما عدم دفعه الاشكال بالكلية فانه لا يظهر منه انه الى اى شىء آل امرهم وانهم اين ذهبوا وهذا هو اصل الاشكال مع قطع النظر عن كونهم باشقرد اوغيرهم فان التعبير عنهم بباشقرد يمكن ان يكون سبق قلم وغلط النساخ لقرب الالفاظ والاسامى بعضها من بعض فكانه لم يذهب الاشكال قط ولا يمكن الجواب عنه انهم تركوا الاسلام بعد القرون المذكورة ودخلوا فى النصرانية فان ذلك مع كونه بعيدا عن العقل بمراحل لم يتعلق به النقل ابضا قط فانه لو وقع مثل هذا الامر العظيم لذكر فى واحد من التواريخ خصوصا من طرف جمعية ميسيونيير نصارى الذين اذا ظفروا فى مدة سنين باد خال واحد عن السكارى ومدمن الخمر اومن سائر الفساق فى دين النصارى ولو ظاهرا بصرف مبالغ جسيمة من الاموال يشيعون ويشهرون فى جميع العالم انهم ادخلوا الوما فى دين النصارى وان لم يظفروا به يشيعون ذلك كذبا وافتراء كما لايخفى عادتهم الشيطانية هذه على احد فان وقع مثل ذلك فى وقت لم لا شهروا ان العالم صاروا باجمعهم نصارى ومثل ذلك فى كونه مستبعدا عند العقل ومحالا عاديا القول بفنائهم ومحوهم بالكلية فلم يبق اذا من الاحتمالات المذكورة الا القول بتحولهم

وهجرتهم من ديارهم الى ديار اخرى من بلاد الاسلام * وعدم هجرتهم الى بلاد الدولة العلية العثمانية من قبيل البديهي لعدم ذكرها في واحد من التواريخ العثمانية مع كثرتها وانتظامها ولا نقدر ان نقول انهم المسلمون الموجودون الآن في مملكة لهستان (بولونيا پالاك) فان كارامزين يصرح بكونهم من التتار الباقين من توقتامش خان كما سيأتي عند ذكر احواله ويكفينا دليلا على ذلك شهرتهم بذلك واشتهارهم عند اهل القريم والعثامنة بتتار لبقه فاى مناسبة لهم بالقوم الذين نحن الآن بصدد بيان احوالهم * فحينئذ فلا مانع من ان نقول انهم طائفة ميشر الكائنين في ولايات طمبو وپنزا وسرطاو ونيژنى والباعث على الذهاب الى هذا الاحتمال ثلاثة احدها ظهور ان طائفة ميشر ليسوا من التتار الذين وردوا الى ذلك الديار عند خروج جنكز خان ظهورا بينا (١) لوجود الاختلاف بين هاتين الطائفتين من جهة العادات واللهجة واللغة ولاطلاق لفظ ميشر في مقابلة التتار في جميع المحاورات حتى انه يقول الميشر للتتار في معرض السب والتنقيص يا تتار وكذلك يقول التتار للميشر يا ميشار وثانيها القرب بين لفظ ميشر وماجار وباشقرد خصوصا لفظ مچر الذي هو احد فروع لفظ ماجار ومجر على ما تقدم من ان دانسة وكذلك لفظ بشجرد الذي هو احد فروع لفظ باشقرد فلا بعد في كون هذه الالفاظ محرفة عن اصل واحد مثل اسكيت واسكوتيا وسيتيا الخ وهنغرية وهنفارية الخ نحو ما تقدم ومثل الفاظ بغداد بغداذ بغدان بغدين مغدان وبرطاس وبرداس وفرداس ومرداز وموردوا على ما سيجيء ذكره وامثال ذلك مما لا يعد ولا يحصى الا ترى ان الروس والافرنج يقولون للفارس پرسيه وپرسيان وپارت وللعثماني اوتومانى ولنيپون

(١) واول دليل على ذلك هو وجود طائفة ميشچر في تلك القطعة في ابتداء ظهور الروسية على ما ذكره كارامزين نقلا عن نيسطور الذي هو اول مورخي الروسية حيث قال عند تعداد الاقوام الموجودين فيها عند ظهور الروسية وتعيين مساكنهم ان قوم ميشچر وموردوا كانوا في الجنوب الشرقي من قوم ميرا اه انظر كيف جعل هذين القومين متجاورين في ذلك الوقت كما انهما كذلك اليوم. منه عفي عنه .

باپونيا الى غير ذلك من التحريفات حتى فى الالفاظ المتداولة فكما انه لا يلزم كون هؤلاء مغايرين لانفسهم لمغايرة هذه الالفاظ المحرفة كذلك فيما نحن فيه لم لايجوز ان يكون الفاظ ميشر مجر مجغر بشجرد الخ منحرفة من اصل واحد ولم لا يجوز ان يكون اطلاق لفظ باشقرد وبشجرد على قوم ميشر وماجار من الفضلاء المذكورين لشهرة الاولى وعدم شهرة الثانية فى عصرهم اولكون الاولى اصلا والثانية محرفة عنها وثالثها كون بلاد القوم المذكورين الذين نحن الآن بصدد بيانهم قريبة ومجاورة وملاصقة لتلك الولايات حتى انه يمكن ان نقول على ما مر بيانه من ابن داسة وعلى قول كارامزين فى بيان الماجار انها عينها فيكونون وثنيين وعبدة النار فى عصر ابن داسة ثم يتشرفون بالدخول فى دين الاسلام بالسبب الذى ذكره الحموى والقزوينى بعد انسحابهم الى جهة الغرب قليلا على ماذكره كارامزين وبعد ورود التتار الى تلك الديار واستيلائهم على سائر الاقطار وتشرفهم بالدخول فى دين الاسلام فى عصر بركة خان عليه الرحمه والغفران وانقلاب تلك الديار دار اسلام جاؤا الى اقرب ناحية منها من مساكنهم اعنى بها ولايات طنبو وپنزا وسرطاو ونيژنى التى يمكن ان يقال انها مساكنهم الاصلية على ما مر من ابن داسة وكارامزين ثم يبدل اسمهم السابق اعنى مجغر اومجر اوباشقرد اوبشجرد على قول بعضهم الى ميشر كما بدل فى حق هنغرية الى ماجار وتبدل لسانهم الاصلى الى لسان الترك والتتار الذى هو اللسان الرسمى فى تلك الديار فى العصر المذكور ولسان العامة والامة الغالبة ولو معنى فى دائم الاوقات ويؤيد هذا وجود كثير من الفاظ الروس فى لسانهم فان هذا يدل على ان لسان الترك ليس لسانهم الاصلى ويجوز ان يكون لسانهم الاصلى تركيا فيبقى المسلمون منهم على اصل اللسان (١) التركى ويكون وجود كلمات الروس فى لسانهم ناشئا عن كثرة اختلاطهم بالروس وتبدل لسان من

---

(١) ولكن يأبى عن هذا ماتقدم عن الحموى من كون لسانهم لسان الفرنج . منه عفى عنه .

تنصر منهم الى لغة ماجار الآن كما تبدلت اخلاقهم وعاداتهم الاصلية التركية الى عادات النصارى واعلاقهم كالنفرة من اعتقاد المخلوق المتغير الحادث الها ولوكان اعظم المخلوقات وغاية الاجتناب والتباعد عنه حيث تبدلت الى قبول اعتقاد كون اضعف مخلوق مغلوب من اذل خلق الله مقهور مهان ذليل فى ايديهم على اعتقادهم لاعلى اعتقادنا معاشر المسلمين الها وهذا هوالحق فان لسان الماجار تركى فى الاصل بلا شبهة وقد حاول بعضهم على اثبات ذلك بوجود كلمات تركية فى لسان الماجار الى الان وقد مر مثل ذلك عن رفاعة بك وادل دليل عليه كون ادعيتهم فى كنائسهم الى القرن الرابع عشر الميلادى تركية على ماذكره المبر آلاى رتيخ الروسى فى بعض آثاره الاتنوغرافية رهاك نصه والحاصل اذا نظرنا الى ما ذكره غير واحد من المورخين والجغرافيين والاتنوغرافيين من القول باتحاد جنس ماجار والباشقرد تأملنا فى قرب الفاظ ماجار ومجغر ومجر وبشجر وميشر بعضها من بعض ونظرنا مع ذلك الى كثرة وجود طائفة ميشر فيما بين باشقرد الان فى ولايات صمار واورنبور واوفا لايستبعد ما بيناه بل نجد مناسبة تامة بين هذه الطوائف من القديم ويكون ماذكره الفاضل المرجانى ايضا من قوله وهذا يقتضى كون المجغرية طائفة من الباشقرد صحيحا وواقعا فى حاق موضعه واما مادة مخالفة الاشكال والسيماء والالوان التى اوردها رفاعه بك اعتراضا كمامر فليس الامر كما زعم فاناترى ونشاهد بعيوننا ان اربع اخوة اشقاء مثلا اذا ذهب كل واحد منهم الى مملكة مختلفة السمت والجهات وتوطنوا بها واختلطوا باهاليها المختلفة الاشكال والالوان والالسن والاطوار والاخلاق والعادات يأخذ اولاد كل منهم المتولدون فى تلك الممالك عادات اهالى المملكة التى ولدوا فيها واخلاقهم واطوارهم ولغاتهم والوانهم واشكالهم ولو فى الجملة ويكونون بحيث اذا اجتمعوا فى محل واحد لايصدق كون اصلهم من ولاية واحدة وامة واحدة فضلا عن تصديق كونهم اولاد اخوة اشقاء فكيف يكون حال اولاد هؤلاء الاولاد وهلم جرا د هذا بل انظر

الى الاختلاف الموجود بين هؤلاء الا خوة المذكورة فى تلـك الاشياء مانك ترى فيها بينهم تفاوتا عظيما ويظهر هذا التفاوت ظهورا بينا زائد فيمن يقيم فيما بين القفاق والجهة الشمالية على انا نقول ان هذا القائل لم يرمن المغل والتتار الا رعاة الا بل والغنم فحكم بقبح الصورة فى كلهم ولم ير ما ذكره العلامة ابن عربشاه الدمشقى فى وصف التتار بقوله رجالهم بدور ونساء وهم شموس ولم ير ما ذكره غير واحد فى بعض افراد المغل بانه كان حسن الصورة جدا لم ير مثله قط كما سيجيء ذكره فى ولدتوقتاغوخان ايلبصار واوزبك خان عليه الرحمة وما ذكره غير واحد فى اهالى طراز وجكل من بلاد الترك من انهم فى غاية الحسن والجمال وما مر ذكره عن ابن فضل الله العمرى من حسن شمائل الاتراك واعتدال قد ودهم وظرافتهم ولم يتأمل فى التفاوت الفاحش بين اهالى استانبول ونواحها الى اناطولى مل بين اهل القرى واهل البلاد فى كل مملكة فى الاشياء المذكورة مع اتحاد جنسهم واصلهم هذا هو تحليل هذه المسئلة الصعبة بالنسبة الى كيمياء ذهن هذا العاجز ومن رام الزيادة فمجال الكلام واسع خصوصا لمن حصل الفنون والمعارف من معدنها من بلاد التمدن والمعارف الجديدة ويوشك ان يدرك نوابغ فى مدارس قزان واورنبور ايضا يحققون امثال هذه المسئلة تحقيقا شافيا بحيث نستفيد من ثمرات تحقيقاتهم العالية فانى لا ادعى ان هذا هو الحق والصواب الذى لا يقبل النقض والابطال بل الغرض عرض ما ادى اليه ذهنى الكليل وخاطرى الفاتر على انظار الاذكياء ارباب المعارف واصحاب الفنون لينظروا فيه ويتصرفوا بالنقض والابرام والرد والقبول والتسديد والتعديل حتى يظهر لبن الحق والصواب من بين فرث الغلط ودم الشطط ويكون شرابا سائغا للشاربين فان تكميل الصناعة انما يكون بتلاحق الافكار خصوصا فى مثل هذه المسئلة المبتكرة التى لم يتكلم فيها احد وحقيقة العلم عند الله سبحانه وتعالى قال فى المستطرف نقلا عن الشيخ ابى عبد الله الغرناطى دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن

احدهم طوله اربعة اشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشغرد نصف ثنية اخرجت لى من فك احدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها الفا ومأتى مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عضد احدهم ثمانية اذرع وعرض كل ضلع من اضلاعهم ثلاثة اشبار كالوح الرخام اه هذا ونبين احوال الباشغرد الحاضرة فى المقصد الرابع انشاء الله تعالى * البرجان * يذكرهم السواح المتقدمون من المسلمين ويجعلونهم طائفة من الاتراك ويعينون مساكنهم فى حدود الافرنج مثل ماجار وباشغرد قال الملك المؤيد ابو الفدا فى تاريخه ومن النصارى البرجان وهم امة كبيرة بل امم كثيرة طاغيه فشافيهم التثليث وبلادهم فى نهاية (١) الشمال واحوالهم غير معلومة اما لبعد المسافة وشراسة اخلاقهم اه وقال القزوينى البرجان متوغلة فى الشمال ينتهى قصر الليل هناك الى اربع ساعات واهل تلك الديار على المجوسية والجاهلية يحاربون الصقالبة وهم كالافرنج فى اكثر امورهم ولهم حذاقة فى الصناعة ومراكب البحر اه قال ابو عبيد البكرى فاما برجان فهم بعض ولد توبال بن يافث وهم على المجوسية ومملكتهم واسعة وهم يحاربون الروم والصقالب والخزر والترك واشدهم عليهم الروم اقربهم منهم وانما بين قسطنطينية وبين ملكهم خمسة عشر يوما ومملكة برجان عشرون يوما فى ثلاثين يوما وهم لايركبون الدواب الا عند الحروب واذا صالحهم الروم ادوا الى الروم الخراج جوارى وغلمانا من سبى الصقالب اه وقال الحموى فى معجم البلدان برجان بالجيم بلد من نواحى الخزر قال المنجمون هو فى الاقليم السادس وطوله اربعون درجة (كذا) وعرضه خمسة واربعون درجة وكان المسلمون غزوه فى ايام عثمان رضى الله عنه فقال ابو نخيل التميمى * بديبا

---

(١) وقال ابن فضل الله العمرى ويلى خوارزم ارض مدورة وتسمى هذه الارض المدورة مفشلاغ طولها خمسة اشهر وعرضها كذلك وكلها صحراء وسكانها امم كثيرة من البرجان اه . منه عفى عنه .

بجيلان فزلزل عرشهم * كتائب نرجى فى الملاحم فرسانا * وعدنا لاشبان بمثل عداتهم * فعادوا حوالى بين روم وبرجانا * اه يقول جامع هذه الحروف بقى منهم فى عصرنا هذا شر ذمة قليلة فى اطراف قصة اورسكى يقال لهم باشقرد برجان بالاضافة ومن سواهم قد تفرقوا شذر مذر وانقلبوا الى امم شتى فلم يبق منهم اثر ولم يعدهم المتقدمون من الباشقرد بل ذكروهم على حدة فى مقالتهم لا ان هؤلاء الطائفة الباقية منهم يعدون انفسهم من باشقرد ويدعون العصبية فى الارض وقد مر ذكر غزو انوشروان اياهم نقلا عن ابن الاثير وقد قدمنا هناك احتمال كونهم تتارحوجان المنقول ذكرهم عن تواريخ الامم نج ويؤيده عدم ذكرهم فيها قط بعنوان برجان مع كونهم امة عظيمة بشهادة مورخ المسلمين وقد ذكر ابن الاثير غزو قياصرة الروم ايضا اياهم فى العصر الثالث الهجرى فعلى هذا يحتمل كونهم من البجاناك وبالنظر الى الاحتمالين يحتمل كون اصل البجاناك تتارحوجان والله سبحانه اعلم *

البرطاس. قال ابو عبيد البكرى واما بلاد فرداس فهى ما بين الخزر وبلغار بينهما وبين بلاد الخزر خمسة عشر يوما وهم حرب لبلغار وبجاناكية دينهم شبيه بدين الغزية ولهم ارض واسعة سهلة ومشاجر كثيرة وارضهم مسيرة شهر ونصف فى مثلها وينتهى عددهم (لعله عسكرهم) عشرة الاف فارس واكثر اشجارهم الخلنج وبلاد بسكان متاخمة لبلاد فرداس بينهما مسيرة ثلاثة ايام الى آخر ما سيأتى فى بيان بلغار وقال ابو الفدا فى تقويم البلدان مدينة برطاس قاعدة هذا الجنس من الاتراك حيث الطول عو والعرض ن نب ولبرطاس مجالات كثيرة على نهر اتل الذى فى شرقيهم وجنوبهم اه ولا ادرى ان هذه المدينة كانت موجودة فى عصر ابى الفدا اوكتبها بناء على بيان المتقدمين وسيجئ بيانها وقال بعضهم ان برطاس مفرشة على ساحل نهر يسمى بنهر برطاس وهو يصب الى نهر اتل اه وقال المسعودى وبرطاس امة من الترك على ما ذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار واكثر ذلك من السود والحمر اقص ثمنا منها

وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس فى لبسه وهو اغلى عندهم من السمور والعبك وما شا كل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف ويتعذر فى الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من منه الثعالب البرطاسية السود اه قال ابو على احمد بن داسة الفصل الثانى ذكر برداس، البرداس، وبلاد برداس بين الخزر وبين بلغار وبينهما وبين الخزر مسيرة خمسة عشر يوما وهم فى طاعة ملك الخزر يخرج منها عشرة آلاف فارس وليس لهم رئيس يضبطهم وينفذ حكمه فيهم وفى كل محلة منهم شيخ او اثنان يتحاكمون اليه فيما يقع بينهم الا انهم فى الاصل مقيمون على طاعة ملك الخزر ولهم ارض واسعة وهم فى مشاجر ويغيرون على باغار وبجاكية ولهم جلد وشهامة ودينهم شبيه بدين الغزية ولهم رواء ومنظر واجسام فاذا كان من احدهم على الآخر اقدام او ظلم او اضالة بجراحة اوطعن لم يكن بينهم اتفاق واجتماع على صلح ما لم يأخذ المجروح بثاره واذا ادركت الجارية منهم تركت طاعة ابيها واختارت لنفسها من ارادت من الرجال الى ان يجيء ابوها خاطب فيخطبها فيزوجها منه ان اراده ولهم جمال وبقر وعسل كثير واكثر اموالهم الدلق وهم صنفان صنف منهم يحرق الميت والصنف الآخر وهم فى سهل من الارض واكثر اشجارهم الخلنج ولهم مزارع واكثر اموالهم العسل والدلق والوبر وسعة ارضهم مقدار سبعة عشر يوما طولا وعرضا اه بحروفه قلت وهذا القول مقارن للصواب فى مسافة اراضيهم وقال الحموى فى معجم البلدان برطاس بالضم اسم لامة لهم ولاية واسعة تعرف بهم وينسب اليهم الفراء البرطاسى وهم متاخمون للخزر وليس بينهما امة اخرى وهم قوم مفترشون على وادى اتل وبرطاس اسم للناحية والمدينة وهم مسلمون ولهم مسجد جامع وبالقرب منها مدينة تسمى سوار فيها ايضا مسجد جامع ولاهل برطاس لسان مفرد ليس بتركى ولا بخزرى ولا ببلغارى قال الاصطخرى من كان يخاطب بها ان مقدار الناس من المدينتين نحو عشرة الاف رجل لهم ابنية خشب يأوون

اليها فى الشتاء واما فى الصيف فانهم يفترشون فى الحركاهات قال المعاطب وان الليل عندهم لايتهيأ ان يسار فيه فى الصيف اكثر من مرسخ ومن اتل مدينة الخزر الى برطاس مسيرة عشرين يوما ومن اول مملكة برطاس الى آخرها نحو خمسة عشر يوما انتهى بحروفه* تنبيه ذكر الفاضل المرجانى احوال البلغار والبرطاس التى نقلها عن ابن داسة مختلطا بعضها ببعض وملتبسة حيث ينسب الى البرطاس ما يأتى فى بيان بلغار نقلا عن ابن داسة من قولهم انهم يأخذون العشر اذا وردت اليهم سفن المسلمين للتجارة الخ مع ان ابن داسة ذكر احوال كل منهما فى فصل على حدة من غير خلط احوال بعض منها باحوال الآخر ذكر احوال البرطاس فى الفصل الثانى احوال البلغار فى الفصل الثالث كما ذكر الخزر فى الفصل الاول وكذلك نقل الفاضل المرجانى عن ابى عبدالله الغرناطى مثلما نقلنا الآن عن الياقوت الحموى من كون البرطاس مسلمين ووجود مساجد لهم ولم ار هذا فى تحفة الالباب لابى عبدالله الغرناطى مع تفتيشى اياها بالدقة وكذلك قول الحموى وفى قربه مدينة تسمى سوار يوقعنى فى توهم ان الامر اشتبه على الحموى فاثبت احوال بلغار لبرطاس فان غيره كلهم ذكروا مدينة سوار بقرب بلغار ومن مدنهم لابقرب برطاس ومدنهم نعم فى مجموعتى سطر واحد عربى العبارة لم يذكر مأخذه وهو هذا البرطاس ولاية واسعة فى مملكة خزر واهلها مسلمون ولغتهم مغايرة لجميع اللغات اه وقال فى ترجمة عجائب المخلوقات البرطاس قوم فى حدود خزر اذا ملكوا شخصا على انفسهم يأخذون بتلبيبه ويجرونه الى ان يكاد يموت ويقولونه كم مدة تريد ان تتملك فان عين مدة ولم يمت فيها يقتلونه وبعض البرطاس مسلمون اه والفاضل المرجانى اسند العادة المذكورة الى الخزر نقلا عن ابن الاثير ونقل عنه اسلامهم اعنى اسلام الخزر ايضا فى سنة ٢٥٤ بسبب ما ولم ارهما فى تاريخ ابن الاثير مع كثرة تتبعى اياه نعم ذهب ابن الاثير فى موضع من تاريخه كون الخزر كرجيا ولعله سبب المقاربة فى الاسم والموضع وعلى كل حال كيف

يقول باسلاميتهم فى لسنة ٢٥٤ المذكورة بعد حكمه بكونهم كرجيا محققا نصرانيتهم مهذا يدل على انه نقله عن غيره معرفه السياح وبعد ان ذكر الفاضل المرجانى ماذكره السواح والمورخون فى حق البرطاس ذكر عدم علمه بهم وذكر وجود قريتين فى ملحقات قصبة تتوش تسميان الوع برطاس وكوجك برطاس ولم يذكر فيهم غير ذلك يقول جامع هذه الحروف سيجى فى بيان بلغار ذكر كون بلغار وبرطاس ابنى كمارى ابن يافث وكون قوم بلغار وبرطاس من نسلهما ودرينهما نقلا عن روضة الصفا واما مصداق برطاس الآن وقومه فطائفة موردوا فان البرطاس كما يقال لهم فى العربى فرداس وبرداز يقال لهم الان عند اهل ولايات سراطاو وپنزا من المسلمين مرداز فكما يقول اهل القزان وقت السب باچرمش چواش كذلك يقول أهل الولايات المذكورة وقت السب باموقش مرداز ومع قطع النظر عن ذلك يكفى دليلا على كونهم من بقايا برطاس وفرداس وبرداس اطلاق لفظ موردوا عليهم عند الروس فانه يدل على كون الالفاظ المذكورة منحرفة عن اصل واحد وموضعهم الحالى برهان آخر مستقــل لكونهم من بقاياهم ولايبعد ان يتشرف بالدخول فى الاسلام ويتوطن فى موضع قريب من بلغار أعنى به جوار قصبة تتوش كما نقل عن البعض فتكون تلك القريتان منسوبتين اليهم وقد سمعت عدة من الثقات وجود أثر مدينة خربة بقرب أحديهما تسمى خربة مدينة برطاس ووجود أثر مسجد خراب وبعض آثار قديمة ومشاهد متبركة فيها ومجيء بعض الناس لزيارتها كما يذهبون لزيارة خرابة بلغار ويحتمل ان يكون اصل مملكتهم فى قديم الزمان هناك ثم تحولوا الى مواضعهم الحاضرة بسبب انقلابات الاحوال والزمان ولكن بالنظر الى ما مرعن المورخين من قولهم وبلادهم على مسافة خمسة عشر يومابرى انه لم يقع تغير كثير فى الجنوب الشرقى من بلادهم فانهم ممتدون الى الآن على طول نهر صورمن ولايتى سراطاو

وپنزا الى ولايتى بيژنى ورزان واما الجهة الشمالية من بلادهم فلعل وقع فيها نوع من التغير وهم وان كانوا تابعين للخزر تارة وللبلغار اخرى على ما يظهر من اقوال السواح الا انهم حازوا الاستقلالية ايضا فى بعض الاحيان وقد ذكر كارامزين هجوم الروسية عليهم وحدوث وقعة بينهما فى حدود سنة ١١٠٦م مصادفة سنة ٥٠٠ ه وهجوم البرطاس على الروسية فى السنة الثانية ١١٠٧ للانتقام منهم وعودهم الى بلادهم باسارى كثيرة وغنائم وفيرة وقال ان هؤلاء الموردوا كانوا يسكنون من القديم فى ولايتى طنبو ونيژنى مجاورين لبلغار فزان ومتصلين بهم وكذلك يفهم من قول كارامزين حصول الاستقلال لهم اثناء الاحتلال الاول الطارى على دولة التتار ووقائع الامير مماى مع الروسية على ما يأتى بياننا فى محلها وقد صرح بنصبهم حاكما مستقلا على انفسهم ايام حصول الضعف الكلى لدولة التتار ونفسها الاخير كما قال الشاعر . شعر:

واذا تاخ الليث فى عريسها * غن البعوض وزمر الذبان *

واما الآن فهم مقيمون فى الولايات المذكورة تابعون للروسية يتدينون فى الظاهر بالنصرانية وهم انجس خلق الله واقبحهم وشرهم عادات واخلاق بقى الكلام فى انه اذا اصح القول بتشرف بعضهم بشرف الايمان والاسلام اين ذهب هؤلاء فانه لا يوجد الآن فى المسلمين من يسمى برطاسا وموردوا ولا فى موردوا من هو مسلم قلت على تقدير صحة القول المذكور لا شك ان اسلامهم تابع لاسلام بلغار فكما ان طائفة چواش وچرمش وآر وسائر الوثنيين هناك اذا اسلموا يتركون عادات قومهم واخلاقهم ولغاتهم ويأخذون عادات من صاروا سببا لاسلاميتهم اعنى اهل بلغار وتتار واخلاقهم ولغاتهم وينقلبون اليهم انقلابا كليا بحيث لا يذكرون بعد ذلك باسماء اجناسهم الاصلية بل يعدون من اهل بلغار وتتار كما هو واقع الى عصرنا هذا كذلك قوم برطاس (موردوا) تركوا بعد الاسلام عاداتهم واخلاقهم ولغاتهم الاصلية واخذوا عادات اهل بلغار الذين هم متبوعهم ومقتدى بهم فى اسلاميتهم واخلاقهم ولغاتهم

و انقلبوا اليهم بالكلية وعدوا منهم فلم يذكروا بعد ذلك باسم جنسهم الاصلى ولما استولت التتار على تلك الديار وانقرضت دولة البلغار سميت كافة المسلمين فى تلك الاقطار باسم التتار وكذلك يسمون انشاءالله الى قيام الساعة التى يكون الحكم فيها لله الواحد القهار واما بالنظر الى الحقيقة فليست تلك الاقوام بلغارا صرفا ولاتتارا محضا بل هم مخلوطون من اقوام شتى ومعجونون من عقاقير متفرقة كما سيجيء بيانه فى بيان بلغار فى المقصد الاول وبيان اهل قزان فى المقصد الثالث انشاء الله تعالى * الصقالبة (١) وقد عين السواح المتقدمون مواضعهم فى جهة الغرب من مواضع جميع الاقوام المذكورين فعلى هذا يلزم كونهم عبارة عن جميع الاقوام الداخلين تحت اسم اسلاوان من الروس وچه (چيخ) وله (ولاخيا پالاك املاق) يعنى لهستان وبولونيا وبوهميا وغيرهم وهم وان ذكروا الروس فى مقابلتهم ولكن حقيقة الامر المطابقة للواقع هو هذا الذى ذكرنا اعنى كون الروس داخلا فيهم وما ذكره المتقدمون انما نشاء من عدم اطلاعهم على حقيقة الحال ومع ذلك بين اسلاوان الروس وسائر اقوام اسلاوان فرق ولذلك بين كارامزين اسلاوان الروس على حدة بعد بيانه سائر اسلاوان وذهب الى احتمال كون اصلهم انقاض عساكر القوت الكائنين تحت رياسة كيرماناريس وعساكرهون الكائنين تحت حكومة آتيلا المار ذكرهما كماسيجيء تحقيقه فى المقصد الرابع انشاءالله تعالى والحاصل ان اقوام اسلاوان وآوار وبلغار وماجار انما ظهروا فى وقت واحد بعد

(١) قال ابن داسة ان بينهم وبين بلاد الخزر مسيرة عشرة ايام تسير اليها فى مفاوز واراضين غير مسلوكة وعيون مياه واشجار ملتفة وبلادهم سهله ومشاجرهم نزول فيها والعسل عندهم كثير وهم يرعون الخنا زير مثل الغنم ويحرقون امواتهم بالنار ورئيسهم يسمى سوبج ومسكنه فى وسط بلاد الصقالبة ورئيس الرؤساء يسمونه سوبت بلد الخ . وقال القزوينى فى آثار البلاد ارض صقلاب فى غربى الاقليم السادس والسابع وهى ارض متاخمة لبلاد الخزر (يعنى فى وقت ما) فى اعالى جبال الروم وهم قوم كثيرون صهب الشعور حمر الالوان ذو وصولة شديده اه . منه عفى عنه .

انقراض دولة الهون وقدسبق ذكر ازعاجهم دولة الروم مدة مديدة اثناء بيان احوال الاوار اجمالا واستظهر مترجم القاموس كون لفظ الصقالبة مأخوذا من لفظ (١) ثغالباى اليونانى ولكنه لم يذكر معناهما ماهو ويرد عليه أن الصقالبة فى استعمالهم هو جمع صقلاب وعلى قوله لايكون جمعا بل منقولا ومعربا كماهو وكثيرامايطلق المتقدمون الصقالبة على جميع الاقوام الكائنين وراءباب الابواب اعنى شمالى قفقازيا كمامر عن القزوينى من جعله احمد بن فضلان رسول المقتدر الى ملك الصقالبة مع انه رسوله الى ملك البلغار وقال ايضا فى كتابه المذكور عندبيان الصقالبة ارض الصقلاب فى غربى الا قليم السادس والسابع وهى ارض متأخمة لارض الخزر فى اعالى جبال الروم (٢) وهم قوم كثيرون صهب الشعور حمر الالوان ذوصولة شديدة حكى احمد بن فضلان لماارسله المقتدر بالله الى ملك الصقالبةوقد اسلم حمل اليه الخلع وذكرمن الصقالبة امورا عجيبة له ماهو المقصود انظر كيف عبرعن بلغار ولغاوقزان بالصقلاب وكذلك ذكر صاحب القاموس عند بيان بلغر انها مدينةالصقالبة كماسيجىء ووجه ذكرنا الصقالبة هنامع عدم كونهم من الاقوام التركية فى الظاهر والمشهور هو هذا اعنى اطلاق الصقالبة على الاقوام التركية الكائنة فى تلك القطعة كما بينا وكثرة وقوعها وذكرها فى كتب المسلمين ووقوع ذكرها اثناء بيان بلغار فى قول القائل هم قوم متولدون بين الترك والصقالبة فذكرناها ههنا لئلانحتاج الى ذكرهاهناك ولهذا لم نذكر الصقالبةوالبرجان فى الاجمال * فاذا علم من البيانات السابقة استملاك الاقوام التركية والقبائل التتارية القطعة المذكورة قبل ظهور الروسية بقرون كثيرة لايعين التاريخ مبدأها

---

(١) كذا ذكر عند ذكرالصقالبة ووقع فى مادة بلغرعند قول صاحب القاموس مدينة الصقالبة ثقالية بتقديم القاف على الثاء والصواب هو الاول وقال ان ديارهم بين بلغار وبين القسطنطينية وهى مبينة فى كتب الجغرافيا بدبار چهوله وانكروس واملاق وبغدان داخلان فيها . منه عفى عنه .

(٢) لعله الروس ولكن فى الاصل المنقول عنه هكذا . منه عفى عنه .

وتداولهم اياها وتوطنهم بها واحدة بعد واحدة الى عدة قرون بعد ظهور الروسية ايضا يظهر يقينا كون الاراضــي المحدودة بالبحر الاسود جنوبا وبنهرطونه وويستوله واوقه غربا الى منتهى المعمورة من جهة الشمال ملكا صريحا للاتراك فضلا عن الاراضي المسماة الآن بالروسية الجنوبية وتتضح هذه المسئلة كمال الاتضاح اذا حصل الوقوف والاطلاع على موقع الروس وحالهم عند بداية ظهورهم وقد مر بيانه اجمالا عند ذكر الجزر وسيذكر تفصيله فى الجملة فى اول المقصد الرابع انشاءالله تعالى وقد ذكر اسامى اقوام اخرى فى القطعة المذكورة غير ما ذكرناه فى كثير من مصنفات القوم كقوم زيران إومبرا ورراديمچي وواتيچى دمورمسى وليو وبونغرا ولاه بلاسنيا وغير ذلك وقد انقلب كل هؤلاء الى الروس ويذكر كل منهم اليوم بعنوان الروس واذا علم ذلك وما ذكرناه سابقا من انقلاب اكثر تلك الاقوام الذين بيناهم بــعد انقراض دولتهم الى الروس لا يتوقف احد فى الحكم بان تكاثر الروس الى هذا الحد وبلوغه الى تلك الملايين التى يعرفها كل احد ليس مــن جهة التناسل والتوالد فقط بل بانضمام هؤلاء الاقوام المذكورين وانقلابهم اليهم وفق قوله تعالى يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس الآية وخصوصا بعد انقراض دولتى تتار سراى وقزان* وغير ما ذكر فى الروسية اقوام اخر مثل چواش وچرمش (سرمانيا) وآر واهل فينلانديا يقال لهم الفن والامة الفنية كما تقدم ذكره المجرد اثناء النقول عن رفاعة بك خصوصا عند ذكر مــاجار وكذلك البرطــاس (موردوا) يعد من الفنية ايضا وهؤلاء الاقوام يعدون عند المورخين والاتنوغرافيين من الاتراك وليس اطلاق اسم الفن والفنية عليهم من جهة الاتنوغرافيا فانهم وان كانوا مشتركين فى جنس واحد وهو جنس الترك الا انهم ليسوا قبيلة واحدة منها بل قبائل شتى اما چرمش وبرطــاس فقد بيناهما واما چواش فالظن الغالب انهم اصل قوم بلغار كما سنبينه فى المقصد الاول انشاالله واما آر فالظن انهم من قوم آريا كما يدل عليه

لسمهم وهم قوم وردوا من طرف الشرق الى آوروپا وانتشروا فيها
وظن بعض الاتنوغرافيين ان ايران وآريا كلاهما واحد واما اهل فلانديا
فهم ايضا من الاقوام الشرقية عند المورخين والاتنوغرافيين وانما اطلق
الفن والفنية على هؤلاء الاقوام لامر خارج عارض قال الميرآلاى ريتيخ
الروسي فى بعض آثاره الاتنوغرافية ان لفظ الفن كلمة اسوجية او انكليزية
بمعنى البدوى (١) والصحراى سموا بذلك لكونهم من اهل البادية فى
الاصل وكان يسكن فى اراضى ولاية قزان قبل ظهور البلغار طائفتان من
الفن احدهما زيران والآخر موردوا وكانوا يسكنون فى الاخبية ويكتفون
بلحوم الصيد وكان آلاتهم العظام المحددة الخ ويؤيده ما ذكره رفاعة
بك من ان الاقوام التركية الواردين من آسيا الى آوروپا كانت الافرنج
يسمونهم همكسوبية بمعنى الرحالة النزالة والله سبحانه اعلم قال
كارامزين بعد تعداد الاقوام المذكورة نقدر ان نعدهم من جنس واحد
وان نسميهم عموما باسم الفن ونقل عن كثير من المورخين توطن الامة
الفنية فى شمالى آوروپا من البحر المنجمد واقصى شمال آوروپا الى سيبريا
الى اورال وولغا وتوطن اسوج ونروج (شويتسيه ونرويتسيه) معهم
وقال كما انا الاندرى انهم متى جاؤا الى تلك الاراضى التى تسمى بالروسية كذلك
لاندرى فى شمالى روسيه وشرقيها قوما اندم منهم زمانا اه والذى يتعجب
منه ويستغرب فى هذا المقام انحاء تلك الاقوام كلهم وفناؤهم وغيابهم فى
الغرب بعد ان ظهروا من الشرق وجاؤه كالنيرين وسائر الكواكب
وكان الحق سبحانه وتعالى اودع فى الغرب الخاصية المذكورة بالنسبة الى
جميع الاشياء واغرب عن ذلك انعكاس الامر منذ قرون عديدة اعنى مهاجمة
اهل الغرب الى الشرق ولننتظر فيهم ما وقع لاهل الشرق فى الغرب من

---

(١) وهذا يشابه قول كارامزين فى وجه تسمية پالاك بولونيا انهم انما سموا بها
لاقامتهم فى ارض سهلة فان پولون بمعنى الارض السهلة اه وحى اعنى الارض السهلة تسمى
الى الان عندنا بولونا لكن بشرط كونها شاطىء الانهر وذات اعشاب . منه عفى عنه .

الانمحاء والفناء والعقاب وكان طلوع الشمس من مغربها كناية عن هذا وعن ظهور المعارف والفنون بعد غيبوبتها فيه والله سبحانه أعلم باسرار مكنوناته وما اودع فى مخلوقاته ومصنوعاته من مكنوناته وقد ناسب هنا ان نذكر ما وعدنا ذكره عند بيان سيتيا نقلا عن رفاعة بك * قال فى معرض الرد على من يزعم عدم الشجاعة فى اقوام آسيا حين رأى انقيادهم الآن للاجانب انقياد الشاة للراعى بعد بيان طويل فى اوصافهم وفتحهم الاقاليم وشجاعتهم وهؤلاء الفاتحون هم التتار والافغان والمغل والمنچو وغيرهم وكل هؤلاء الامم مشهورون عند عامة المتأخرين باسم التتار وعند المتقدمين باسقوتية آسيا الى ان قال وعندهم قرى الضيف والاغضاء عن مساوى الاعداء وحسن معاملتهم وعدم خيانة حلفائهم واصدقائهم وينضم الى هذه الخصال حب الحرب والسلب ومعيشة الرحالة النزالة وهذا ما كان عليه اسقوتية وهو الى الآن وصف التتار فان اسقوتية تجرؤا على سطوة دارا ولم يخشوا له باسا وجبهوه وافادوا له اعتبارا عظيما وهم وان قرعت اسلحة الرومانيين آذانهم الا انهم لم يذوقوا مرارة احكامهم وقد تغلبوا على آسيا وآوروپا الشرقية ماينيف على عشرين مرة واسسوا ممالك فى بلاد العجم والهند والصين والموسقو فان سلطنة تيمرلنك وجنكز خان قد اشتملتا على نصف الدنيا القديمة وكانت بلاد التتار كالسنان العظيم النقائل تنتقل لامم منها شيئا فشيئا الى غيرها فكانها قد نفد الآن مافيها وصارت خاوية على عروشها فلم يبق من التتار الاحرار المستقلين بحكم انفسهم الامن نمر ولكنهم سادات بلاد الصين اه فمن نظر فيما ذكرنا بامعان النظر وتأمل حق التأمل لا احاله يرتاب فيما ادعينا من ان اصل كافة تلك الاقوام المذكورة هو التراك والتتار وما احسن هاتين الفقرتين من كلام رفاعة بك وما اصدقهما اعنى قوله وكانت بلاد التتار الخ فان كافة الملوك الاسلامية سوى بنى امية والخلفاء العباسية ونزر يسير من غيرهم خرجوا من تلك البلاد ومن الجنس المذكور اعنى الترك والتتار وانتشروا

فى الآفاق والاقطار وصدر عنهم فى نشر نور الاسلام وبث العدالة آثار اى آثار وهذا مع قطع النظر عما صدر عن اوائلهم واسلافهم فى الجاهلية من السطوة والغلبة والانتصار ومن تخلى عن لباس التعصب والاعتساف وتحلى بثياب قبول الحق وحلية الانصاف وطالع تواريخ الغابرين والاسلاف واجال نظره فى احوال الخواقين الاسلاميين ثم الساما نيين ثم الديالمة ثم الغزنويين والاخشيديين والطولونيين ثم السلجوقيين والاتابكيين ثم الخوارزمشاهيين والغوريين والايوبيين (١) والملوك الاتراك والجراكسة

(١) قلت لاخلاف فى كون المعدودين من الترك بين المورخين الا فى السامانيين والديالمة والايوبيين والغوريين فاما السامانيون فالاكثر على انهم من ذرية اكاسرة الفرس ولادليل يدل على خلافه فليكن الامر كذلك ولكن لما كانوا فى بلاد الترك لا بأس بعدهم منهم مجازا وكذلك الديالمة والغوريون واما الايوبيون فالاكثر كذلك على انهم من الاكراد حتى استقر الامر الآن على ذلك ولم يبق فيه خلاف اصلا مع انه لادليل على ذلك سوى كونهم من بلاد الاكراد ومن المحل المختص بهم وكونهم شافعيين ولايخفى على المتأمل المتبصر ان واحدا من هذه الوجوه لاينهض دليلا على كونهم من الاكراد مع قيام ادلة قوية دالة على كونهم من الترك * منها ما قاله القاضى السعيد ابن سناء الملك فى مدح الملك الناصر السلطان صلاح الدين ابن ايوب شعر:

بدولة الترك عزت دولة العرب * وبابن ايوب ذلت بيعة الصلب *

ومنها ماذكره ابن خلكان فى تاريخه فى ترجمة ابى الفرج عبدالله بن اسعد المنعوت بالمهذب نقلا عن العماد الكاتب الاصفهانى حيث قال ثم قال (يعنى الاصفهانى) بعد ذلك ولما وصل السلطان صلاح الدين رحمه الله الى حمص وخيم بظاهرها خرج اليها ابو الفرج المذكور فقدمته الى السلطان وقلت له هذا الذى يقول فى قصيدته الكافية التى فى ابن رزيك شعر :

أأمدح الترك ابغى الفضل عندهم * والشعر مازال عند الترك متروكا *

قال فاعطاه السلطان وقال حتى لاتقول انه متروك اه * ومنها ماذكره فى الروضتين نقلا عن ابن ابى طى حيث قال قال (يعنى ابن ابى طى) وحكى ان الشريف الجليس وهو رجل كان قريبا من العاضد يجلس معه ويحدثه عمل دعوة لشمس الدولة ابن ايوب اخى السلطان بعد القبض على القصور واخذنا فيها وانقراض دولتهم وغرم هذا الشريف على هذه الدعوة مالا كثيرا واحضرها ايضا جماعة من اكابر الامراء فلما جلسوا على الطعام قال شمس الدوله لهذا الشريف حدثنى باعجب ماشاهدته من

بالديار المصرية والشامية واواخر الجنكزيين بالعراق وما وراء النهر والبلاد الشمالية بل الصينية ايضا ثم السلاطين العثمانية ابدهم الله تعالى وقوى شوكتهم لا يرتاب اصلا فى صدق الفقرة الاولى بل يبادر الى التصديق فى اول وهلة بلا تردد فى ذلك ويدرك صدق قول القائل فيما هنالك شعر .

(١) بدولة الترك عزت دولة العرب * وبابن ايوب ذلت بيعة الصلب *

وكذلك قول القائل شعر :

(٢) الحمد لله ذلت دولة الصلب * وعز بالترك دين المصطفى العربي *

جيش من الترك ترك الحرب عندهم * عار وراحتهم ضرب من الضرب *

ولله در القائل لا فض فوه شعر :

وفتية من من كماة الترك ما تركت * للرعد كباتهم صوتا ولا صيتا *

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا صاروا عفاريتا *

الى غير ذلك مما قيل فيهم وانا اسمعك مدائحهم آنافانا بحول الله تعالى رغما على من ينكر ذلك * ومن نظر ايضا الى احوال التتار الحاضرة بل اعراب جميع قبائل

امر القوم قال نعم طامسى العاضد يوما وجماعة من العماء فلما دخلنا عليه وجدنا عنده مملوكين من الترك عليهم اقبية مثل اقبيتكم وقلانس مثل قلانسكم وفى اواسطهم مناطق كمناطقكم فقلنا له ياامير المؤمنين ماهذا الزى الذى مارايناه قط فقال هذه هيئة الذين يملكون ديارنا ويأخذون اموالنا وذخائرنا اه ودلالة هذه الوجوه على كونهم من الاتراك اما الاولان فظاهران لايدافعان فانه لولم يكن تركيا كيف يقول مادحه بدولة الترك ولايقول بدولة الكرد وكيف يعطى لمن قال والشعر مازال عند الترك متروكا ويقول حتى لايقول انه متروك وهذا ظاهر على لاخفاء فيه واما الثالث وان كان فيه احتمال ان يقال فيهم هذا القول من العاضد بسبب عسكر السلطان صلاح الدين فانهم كلهم اوجلهم كانوا اتراكا الا ان الظاهر نسبة هذا القول اليهم بواسطة ذات السلطان والرئيس ويؤيده حكاية الحاكى هذا القول لاجل السلطان فانه يدل دلالة واضحة على انه انما حكاه لكونه تركيا كما لايخفى ولهذا حصل لى ظن غالب بانهم من الترك وان لم اجزم به لمكان الخلاف محمد مراد . منه عفى عنه .

(١) للقاضى السعيد بن سناء الملك يمدح به السلطان صلاح الدين بن ايوب . منه عفى عنه .

(٢) للقاضى محمود بن شهاب الدين من قصيدة يمدح بها الملك اشرف خليل ابن المنصور قلاوون . منه عفى عنه .

الاتراك الذين تحت حكومة الروسية من الظلم والحقارة والذلة والهوان وضرب الجزية عليهم واخذ العسكر منهم واجبارهم اياهم على لبس لباسهم والتزى بزيهم واكل ذبايحهم ولحوم خنازيرهم وتعرضها مع ذلك لامورهم الدينية وسلب اختيارهم وحقوقهم فيها وحقوقهم الشخصية والمدنية عنهم وشاهد سكوت هؤلاء الاقوام واذعانهم وانقيادهم لامثال هذه المذلة التى لايرضاها سوى الانعام كما قال الشاعر شعر :

ولايقيم على ضيم براد به * الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له احد

وعدم قيامهم بطلب حقوقهم البشرية والمدنية والوطنية والشخصية وحريتهم الدينية فضلا عن طلب شرفهم الزائل ومجدهم الضائع مع كثرتهم بهذه الكثيرة وشجاعتهم ومهارتهم فى الحرب يجزم قطعا بصدق فقرته الاخيرة ايضا بلا ارتياب اعنى قوله فكانها نفد الآن مافيها ويترنم بقول القائل : نعم الجدود ولكن بئس مانسلوا * وبقول القائل شعر :

ثم انقضت تلك السنون واهلها * وكانها وكانهم ما كانوا

فانه لولم ينفد مافيها بل بقى من تلك الاسود بقايا وفى الزوايا خبايا لما رضوا بامثال تلك الرذالة فى مثل هذا الزمان الذى نال فيه كل شخص كمال حريته الدينية واسترد كل قوم اتحادهم واستقلالاتهم الملية فان اهل الداغستان والقريم وقزان وتركستان وماوراء النهر وخوارزم لوقاموا كلهم مرة واحدة على سبيل الاتفاق ورفضوا الشقاق والنفاق لامكنهم استرداد حريتهم الدينية وحقوقهم الملية والمدنية ولااحتياج لهم فى ذلك الا الى الحمية الوطنية والغيرة الدينية ولعل سبب انكارهم كونهم من ذرية التتار اشد الانكار هو استحياؤهم من الانتساب الى تلك الليوث نعم انهم محقون فى ذلك فانهم ليسوا من ذرية تلك الليوث واغرب من الكل اعانتهم الاعداء فى استيصال بقاياهم انا لله وانا اليه راجعون وليت شعرى هل يرينا الدهر الخؤن عجب الاراذل ومرقيهم من بقايا هؤلاء الاسود الحوارد والليوث الابطال واحدا ذا حمية وغيرة وشجاعة وشهامة خلفا صدقا لاسلافه يرمع

هفيرته فى تلك العرصة قائلا سأطلب حقى بالقنا والقنابل* فيتبعه ملايين من اشبال الاسود الضوارى ويشمرون عن ساعد الجد وساق السعى والاجتهاد فى اعاده مجد اجدادهم الاقدمين واحياء شرف ابائهم الاولين ويبذلون دون ذلك ارواحهم قائلين شعر:

انا لنأمل ما كانت اوائلنا* من قبل تأمله ان ساعد القدر*

فاما ينالون بغيتهم وامنيتهم واما يموتون كراما او نموت محترقين بنيران الاسف والكدر قائلين شعر:

اليس عظيما ان نلم ملمة* وليس علينا فى الحقوق المعول*

فان نحن لم نملك دفاعا لحادث* تلم به الايام فالموت اجمل*

آه يارب آه وقد اشيع فى وقت ما ان عبدالرحمن خان امير افغانستان سابقا عليه الرحمة والغفران قال فى مجلس مركب من اركان دولته حين جرى ذكر انحطاط الملة الاسلامية وضياع مجدهم السابق وانه هل يمكن لهم الترقى والتنبه واعادة شوكتهم وسطوتهم كما فى السابق ام لا ان هذا الامر يعنى التنبه والسعى والغيرة والحمية واعادة المجد الضايع ان يقع انما يقع من اهل تركستان وقد كتبه بعض فضلاء عصرنا فى اثره فان صح ذلك فلعله قاله استنباطا واستدلالا من احوال اسلافهم الاقدمين كما ان قول القائل شعر:

تركستانده اكيك اولمز قهرمان * هر قولاجنده ياتور بر آرسلان

انما صدر عنهم نظرا الى حالاتهم السابقة بل صدر عنه فى القرون الماضية والافليس فيها قهرمان ولا اسد ولا نمر ولا كركدان بل فيها ارانب ويرابيع وثعالب فقط والعجب ان هؤلاء الاسود العابرين والدوامن فساد الزمان كلهم ارانب ويرابيع وثعالب فحسب كما ان قرود آوروپا وارانبهم ولدت كلها اسودا ولله الامر من قبل ومن بعد شعر:

اغربت حين دعوت الا انه * لا يبلغ الاموات صوت دعاتها *

غيره واسمعت النداء من كان حيا* ولكن لا حياة لمن ينادى*

لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا واذا اراد الله شيئا هيأ له الاسباب بقى من الاقوام الموجودين الآن من الاتراك تحت حكومة الروسية اهل طاغستان وقزاق وقرغز فاما أهل طاغستان بما فيهم من الچراكسة وقمق وچچن ولزكى وغيرهم فيهم من بقايا الاقوام التركية الواردين من جهة الشرق الى الاوروپا فانهم كلما انهزموا من اهل آوروپا كانوا يلتجؤن الى تلك الجبال الشاهقة والاراضى ذات العوارض الصعبة ذكره بعض فضلاء عصرنا نقلا عن كتب اهل التحقق من الافرنج فاما آوار وچچن فقد مرتبذة مما يتعلق بهم اجمالا واما قمق فقد قيل انهم من بقايا قبيلة قنقلى الآتى ذكرها عند ذكر اوغوز خان فى المقصد الثانى واما قرغز فهى فى الاصل قبيلة كبيرة من قبائل الترك من بقايا ذرية اوغوزخان اوذرية بعض مقربيه وامرائه وكان غز مخفف اوغوز وقد خرجوا (١) الى الديار الاسلامية فى اوائل العصر الخامس الهجرى وجرت لهم فيها وقايع كثيرة واشتهروا باسم غز وغزية وقوم اوزالمار ذكرهم الظاهر انهم ايضا منهم وقر فى لغة الترك بمعنى البرية فمعنى قرغزى بمعنى غز البرية باضافة غز الى قر والبرية فى كليهما فان المضاف اليه يقدم فى التركية فيكون اسما مخصوصا لمن سكن فى البرية من غز وعلى كل حال فمساكنهم الآن فى جبال آلاطاغ الشهير عند الروس والمتروس والافرنج افرنج بالتاى محرفا منه سمى به لدوام الثلج فى كثير من ذراه المرتفعة شتاء وصيفا فيرى من بعيد فى الصيف ابقع وابلق ومعنى آلا بالتركية الابقع والابلق وقد عجز الافرنج عن معرفة مأخذ اشتقاقه ووجه تسميته به وهذا هو حقيقته خذوها مجانا وهم كلهم مسلمون ليس فيهم من يتمذهب بمذهب آخر فقط الا ان الجهل فاش وسائد فيهم واما القزاق فليسوا قبيلة واحدة من قبائل الترك والتتار بل هم اصل الترك والتتار ومنشأوهم ومنبعهم وليسوا بقرغز كما هو الشايع المشهور الآن عند الروس والافرنج وذويهم بل هم قبائل لاتعد ولاتحصى من الاتراك

---

(١) وهم اصحاب السلاجقة . منه عفى عنه .

والتتار بقوا على صرافة التركية ومحاضة التتارية من غير ان يختلط انسابهم بانساب قوم آخر قط بخلاف سائر الاتراك والتتار الذين خرجوا من تلك الديار فانهم لم يبقوا على تلك الصرافة و المحاضة بل امتزجوا باقوام كثيرة وصاروا في الحقيقة اخرى ومساكنهم المسماة الآن ببرية قزاق باضافة اليهم هي المشهورة بالتركستان والتتارستان الكبير لكونها اصل منشاء قبائل الترك والتتار ومنبعهم ومهدهم وكانت وقتاما شهرة بدشت قفچق وارضها كمامر عند بيان احوالهم وقبائل الاتراك الساكنة فيها الداخلة تحت اسم قزاق ممتازة بعضها عن بعض من القديم بعض منها مذكور في شجرة الترك لابي غازي خان مثل نايمان وكيرايت وقونكرات وكثير منها غير مذكور فيها مثل آرغون وحباس وطاما وطابن وغيرهم وعدم ذكره اياهم يحتمل ان يكون لعدم علمه بهم ويحتمل ان يكون لدخول بعضهم في التتار وبعضهم في اويغور وبعضهم في الآج وهكذا وان نوسي اطلاق هذه الاسامي اليوم الآن وترك لان كل واحد منهم ينقسم الى شعوب شتى فان التتار كان يقال لهم سابقا اوتوز تتار يعني التتار الثلاثين والاويغور كان يقال لهم اون اويغور يعني الاويغور العشرة والآج يقال الى الان آلتي آلاج يعني الآج الستة وهكذا البواقي وهؤلاء القبائل المسماة الآن باسم قزاق هم الذين عنيتهم في اول المقدمه عند بيان احوال الاتراك الحاضرة لقياس احوال قدماء الاتراك عليهم وكذلك مراد رفاعة بك بقوله المار آنفا وهو الى الآن وصف التتار هؤلاء القبائل فان الاوصاف المذكورة ليس كلها موجودا في تتار قزان وقريم فانهم باختلاط انسابهم بغيرهم لم يبق فيهم اوصاف التتار الاصلية على كمالها وهم اعني تتار قزان وقريم شرذمة قليلة من التتار ومعظمهم الذين كانوا تابعين لدولة سراى بقوا هناك في اوطانهم الاصلية من البرية المذكور بقي تتار كوك اوردو في اطراف نهري وجايق (١) والانهر الستة وتتار آق اورد وفي اطراف نضالى (قاضي على) وآق مسجد و بليدة تركستان واطراف نهر سير وچو وصارى صو وبتي صو و كذلك اراد

(١) كذا في الاصل . مصححه .

رفاعة بك بقوله وكانت بلاد التتار الغربية قزاق هذه لظهور تلك الامم
وخروجهم منها كما بينا وليس اطلاق اسم القزاق على هؤلاء القبائل
من جهة الاتنوغرافيا اعنى السببان يكونوا ذرية شخص يسمى بقزاق
فاشتهروا به كسائر قبائل العرب والترك مثل قريش وتميم وقونكرات
ونايمان كما هو ظن الجهلاء والعوام وانما اطلق عليهم هذا الاسم بعد انقراض
دولة التتار وتفرق كلماتهم بسبب امر خارج عارض وهو ان فى اواخر
دولة التتار ووقت طرو الضعف عليها واوان تفرق كلمتهم كان كثير
من ذرية چنكزخان واولاد الخوانين يخرجون من طاعة السلطان ولا
ينقادون له ويبغون عليه ويدعون الاستقلال لانفسهم وكان كل من
يفعل ذلك يتباعد عن مركز السلطنة ويتوغل فى تلك التربة ويذهب الى
اماكن بعيدة وصعبة منها مع اتباعه هربا من صولة الخان وبطشه به وكان
يقال لهم قچاق بمعنى الفار والهارب ثم حرف اللفظ المذكور وقيل قزاق
فلما كثر فيهم من يفعل ذلك كثر اطلاق هذا الاسم عليهم حتى صار كالعلم
الغالب لجميع تلك القبائل وان لم يوجد الوصف المذكور فى كثير منهم
من قبيل اطلاق اسم البعض على الكل وهذا الوجه ليس مما يستبعد
ويستنكر كيف وله نظير يشهد صحته وهو ان تسمية قزاق دون لبس
الامن هذه الجهة فانهم مجتمعون من قبائل شتى على وجه الهرب والفرار
على ماقيل وهو الظاهر وقد ذكر الفاضل المرجانى هذا الوجه فى تاريخه فانكره
بعض من القزاق وزعم انه ذمهم وشانهم بذلك وليس الامر كما زعم
هنالك اما اولا فلان اطلاق هذا الاسم عليهم بواسطة اتصاف شرذمة
قليلة منهم بالوصف المذكور كما بينا واما ثانيا فلان الفاضل المرجانى
ليس هو اول قائل به ومبتكر اياه بل يوجد اطلاق هذا اللفظ فى قدماء
الترك فانك اذا فتشت التواريخ المبينة لاحوال قدماء الترك ترى فيها كثيرا
ما يقولون خرج فلان قزاقا مع اتباعه وصارت القبيلة الفلانية قزاقا انظر
تاريخ الترك لعاصم نجيب افندى وتاريخ الحاج عبد الغفار افندى القريمى

المؤلف قبله بمئين سنة فالانكار فى ذلك على المرجانى من عدم التتبع نعم انه تسبب له لعدم عزوه الى غيره وظنوا انه من مخترعاته وليس كذلك كما بينا ومن عجيب الاتفاق فى هذا المحل ان خارجيا من عرب الجاهلية كان يسمى حازوقا قال فى القاموس حازوق على وزن فاعول اسم خارجى عبرت عنه بنته او اخته فى مرثيته بحزاق للضرورة حيث قالت شعر :

اقلب (١) طرفى فى الفوارس لا ارى * حزاقا وعينى كالحجارة من القطر *

وليست هى امه كما وهم الجوهرى اه ولا يبعد ان ينتشر خبر هذا الخارجى فى الآفاق ويشتهر امره واسمه بين جميع الاجناس من العرب والترك فيتصل خبره سكان بادية الاتراك بواسطة اتراك اذربيجان الذين لهم اتصال بالعرب فيطلقون هذا الاسم على كل من يوجد فيه وصف البغى والخروج فيغلب على كافة سكان تلك البادية بالتدريج كما ذكرنا فى الوجه الاول ويؤيده قول كارامزين حيث قال فى عضون ذكر قول باصه وقاصوع ان ولايتهم كانت تسمى فى القرن العاشر الميلادى قاصاخة وكانت فيما بين جبال قفقاز و مصب نهر اتل وقوم اوصيتنيست يسمون الجراكسة قاصاخا اه فهذا كالصريح فى دخول هذا اللقب الى تركستان من طريق طاغستان واذربيجان ويمكن ان يكون وجه تلقيبهم به مهارتهم فى الفروسية فكانهم من شدة تمكنهم فوق ظهور الخيل شبهوا بالوتد الذى معناه بالتركى قازق كما قال الامام البوصيرى رحمه الله تعالى شعر :

كانهم فى ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لا من شدة الحزم

ويؤيد هذا الوجه تسمية خيالة الروس بقزاق والله سبحانه اعلم وعلى كل حال ليس الطلاقه عليهم من جهة الاتنوغرافيا بقينا وربما يقول بعضهم انهم كلهم من اولاد آلاج ولا يدرون ان آلاج من هو وربما يوقعهم بعض الشياطين السواح المسميين باسم خواجه الخارجين من تركستان وخوارزم وبخارى

---

(١) قال الشارح الزبيدى هذا رواية ابن الاعرابى وفى رواية عنه . تبصرت فتيان اليمامة هل ارى * وفى رواية الكلبى * تبصرت اظعان الحجاز فلا ارى * ونسبة نص هذا القول للجوهرى خطاء فانه قال امرأته ومثله نص ابن سيدة . منه عفى عنه .

وفرعانة في الغلط بان يقولوا لهم ان المراد بالآج المذكور هو انس بن مالك الصحابي رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من ذريته ويروجون هذا الباطل بدعائه صلى الله عليه وسلم في حقه بكثرة نسل بالتماس امه ام سليم وان رروه بجهة اخرى تحريفا ولايدرون المساكين ان آلاج قبيلة كبيرة من الترك انشعبت منها شعوب كثيرة وهم بعض القزاق وليسوا كلهم وسيجئ ذكرهم عند ذكر اوغوز خان انشاء الله تعالى وهم اعنى القبائل المسميين الآن بقزاق كلهم مسلمون ليس فيهم فرد واحد غير مسلم كما يشيعه شياطين الروس اعنى الميسيونير ترويجا لاباطيلهم ونواياهم الفاسدة واسلامهم وان لم يكونوا قبل اسلام بلغار لكنه لايكون بعده كما نبينه عند بيان بلغار وعالم النصارى عموما والروسية خصوصا يدعون تنصر بعض القبائل منهم وقبوله مذهب النسطورية من النصارى الا انهم لايتفقون في تعيين ذلك البعض فتارة يقولون انه كيرايت وتارة يقولون انه نايمان وتارة يقولون انه اويغور ويجعلون ذلك مستندا ودليلا على جر القزاق الى النصرانية عياذا بالله من ذلك ولايفوتون في هذا الباب دقيقة بل يبذلون فيه غاية جهدهم خصوصا في طرف سيبيريا التي هي مساكن القبائل المذكورة وابعد الاماكن من ممالك سائر الدول خصوصا من الممالك الاسلامية فيجرون فيها مقاصدهم الفاسدة كيف شاؤا بلا معارض يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولئن سلم قبولهم مذهب النسطورية قبل الاسلام هل يكون فيه دليل على اجبار هؤلاء الذين تركوه منذ الف سنة ودخلوا في الاسلام لتيقنهم ببطلان ذاك وحقية هذا على النصرانية كلا انه لحكم قراقوش وربما نذكر هذا في المقصد الرابع انشاء الله تعالى ولنختم المقدمة الآن بهذا القدر ونشرع في المقصد الاول*

المقصد الاول في ذكر احوال بلغار مدينة بلغار وبيان اهلها ووقت دخولهم في حمى الاسلام وماجرى عليهم بعد ذلك من حوادث الايام

الى حين خرابها باستيلاء الكفرة اللئام نذكرها حسب ماوقفنا عليه فى كتب المتقدمين وزبر المتأخرين اعلم ان لفظ بلغار كما انه كان علما لبلدة مخصوصة كذلك كان يطلق على سكنة تلك البلدة ونواحيها وما يجرى فيه حكمها كما يجرى الاطلاق الاخير فى سائر اسامى البلدان الكبار مثل بخارى وخوقند والروم كما قال بعض السياحين بلغار اسم الجيل والامة واسم الناحية والمملكة واسم المدينة فلذلك ترى من تصدى لبيان احوالها يطلق تارة لفظ بلغار ويريد به بلدة مخصوصة ويطلقه اخرى ويريد به مملكة وناحية ويطلقه ويريد به قوما مخصوصين كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فاحفظه وضبطه بضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وبعدها الف والراء المهملة هذا هو الصحيح وان قال فى القاموس انه على وزن قرطق يعنى بغير الف والعامة تقوله بلغار يعنى بالالف لكن صاحب البيت ادرى بما فيه ويقال له ايضا بر غار وبر غر بالراء بدل اللام على الوجهين وبلار ايضا بفتح اللام وحذف الغين حتى قال البعض انه هو الاصل فيه والبقية محرفة منه ويقال له ايضا بلكان بالكاف بلكاف الفارسية بدل الغين والنون بدل الراء كما سيجى كل ذلك ان شاء الله ولكن الاول هو الصواب والمشهور وعلى الالسنة مذكور وفى الكتب مسطور فاذا عرفت ذلك فاعلم ان عادة المتأخرين من المورخين خصوصا فى تاريخ مملكة غير معلومة قد جرت بالبحث اولا عن احوال ارض البلدة او الكوره او الناحية المقصود بالبيان وبيان سمتها وموقعها وطولها وعرضها ويسمى هذا عندهم جغرافيا ثم يثنونه ببيان اهلها وسكانها وبيان احوالهم وعاداتهم وطرق معاشهم ودياناتهم ويسمى عندهم اتنوغرافيا بالتاء اوالثاء ولا علينا ايضا ان نقتفى اثارهم فى ذلك لكونه انفع وافيد فيما هنالك مع قولهم : ان التشبه بالكرام فلاح * فنقول ان الارض التى بها نوم بلغار ومدينتهم وما جرت فيه احكامهم وكثر فيه جولانهم اعنى ما يطلق عليه مملكة بلغار فهى وراء جبال قفقازيا متوغلة فى الشمال وهى

غير بلغار طونه الآن وان كانتا فى الاصل متحدتين ولا يتعلق غرضنا ببيان بلغار طونا الا استطرادا كما سيجيء فيمكن لنا ان نحدها بحسب حكمهم فى غالب الاوقات والاحوال شرقا بجبال اورال ونهره المسمى عندنا معاشر المسلمين بنهر جايق وغربا بملتقى نهرى اوقا وولغا الذى فيه الآن نيژنى نووغورود وما يحاذيه من طرفى الجنوب والشمال وجنوبا بـولايات صراطاو وپنزا وطامبوف وطولا وشمالا الى آخر المعمورة اعنى البحر المنجمد الشمالى فان السياحين والجغرافيين الذين وردوا الى بلغار حين كانت معمورة لم يذكروا وراء بلغار سوى ارض الظلمة ويعنون بها بـلاد سمويد وولاية ارخانكيل وذلك لعدم طلوع الشمس فيها فى بعض ايام كل سنة وكثرة الامطار والثلوج والمشاجر التى نغطى وجه السماء ذات لبروج فعلى هذا يكون بعض بلاد برداس داخلا فيها ولكن لا بأس بذلك فان هذا التحديد تقريبى لا تحقيقى فان تلك المملكة قد اتسعت احيانا جدا حتى استوعبت جميع الاراضى المذكورة الى اقاصى طونه وجبال بلقان واطراف قسطنطينية كما سيجيء وقد تضايقت جدا بحسب التقلبات والتطورات حتى اضمحلت بالكلية اوكادت وعرض عليها اسم آخر احيانا كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى ونحن انما حددنا ما تطاول فيه جولانهم واشتهر باسم بلغار وامتد فيه دورانهم وحولانهم اما الحد الشرقى فارجوه انيكون قريبا من التحقيق فان المفهوم من كلام اكثر السواح ان قوم باشقرد كانوا فى حكومة بلغار ويؤيده انتساب القوم المذكورين الى بلغار قديما وحديثا وان كان كلام بعض السواح يوهم خلافه واما الحد الغربى فارجوا ان يكون ايضا قريبا من التحقيق وسيجيء فى كلام كارامزين مورخ الروسية ما يدل عليه والحد الشمالى ايضا لا يبعد من التحقيق وانما الكلام فى الحد الجنوبى والامر فيه سهل وقد بينا فيه عذرنا واما نفس بلدة بلغار فقد كانت فى قديم الايام من المدن القديمة البناء مشهورة معمورة مقصودة بالتجارة مـن جميع الجهات وكما انها كانت من

المدن المتقدمة بحسب البقاء والحدوث كانت من المدن المتقدمة بحسب تمدن اهلها وتقدمهم فى المعارف بالنسبة الى اكثر بلاد آوروپا واقدم البلاد اسلامامن قطعة آوروپا بعد بقعة اندلس كما سيرد انشاءالله واما الآن فهي خربة ما بقى منها شيء سوى بعض آثارها مثل منارة بعض جوامعها وبعض الابنية وآثار سورها واطلالها الدارسة كما قال القائل شعر :

وبلدة ليس بها انيس * الا اليعافير والاالعيس

وسجيء بعض اوصافها ووقت خرابها فى آخر هذه المقدمة انشاءالله تعالى* واماموقعها من القطعة المذكورة فانها كانت فى اواسط الاقليم السابع بحسب تقسيم القدماء للربع المسكون من الكرة الارضية وفى نهاية قطعة الآوروپا الشرقية وآواخر المنطقة المعتدلة الشمالية باعتبار تقسيم المتأخرين واقعة فى جهة الشرق الشمالى من نهر ادل المشهور الان عند الروسية ومن يشاكلها بنهر وولغا على بعد نصف فرسخ منه بعيد ملتقى قطعتيه الكبيرتين اعنى وولغا وقاما وباسم آخر چولمان حيث العرض الشمالى خمس وخمسون درجة الاشيأ يسيرا والطول الشرقي ست وستون درجة وخمسون دقيقة على ما يظهر من خرائط الروسية كافة وهم (١) يعدون الطول من ساحل المحيط الغربي تبعا لليونانيين القدماء فيكون الطول من جزائر الخالدات ستا وسبعين وفى رسائل كثير من المتأخرين الذين تصدوا لبيان الطول البلدان وعرضها ان طول بلغار (فه) وهو اقرب الى الصواب بالنظر الى سمت قبلتها وقال الملك المؤيد ابو الفدى فى تقويم البلدان ان مدينة بلار يقال لها بالعربي بلغار هى بلدة فى نهاية العمارة الشمالية وهى قريبة من شط اتل من البر الشمالى الشرقي وهى وسراى فى بر واحد وبينهما فوق عشرين مرحلة وهى فى وطأة من الارض والجبال عنها اقل من يوم وبها ثلاث حمامات واهلها مسلمون حنفية ولا يكون بها شيء من الفواكه وحكى لى بعض اهلها ان فى اول فصل الصيف لا تغيب الشفق عنها ويكون

(١) هذا متقدموهم واما المتأخرون منهم فيعدونه من پطربورغ. منه عفى عنه.

ليلها فى غاية القصر وهذا الذى حكاه صحيح موافق لما يظهر بالاعمال الفلكية لان من عرض ثمانية واربعين ونصف يبتدىء عدم غيبوبة الشفق فى اول الصيف وعرضها اكثر من ذلك فصح ماتقدم على كل تقدير اه قلت مراده بما تقدم ما فى الجدول من التقويم المذكور من ان عرض بلغار (ن ه) او (مط ل) يعنى خمسون درجة وخمس دقايق او تسعة واربعون درجة وثلاثون دقيقة وطولها (ف) او (ع) يعنى ثمانون اوسبعون درجة اما بيانه فى الطول فليس ببعيد من التحقيق بالكلية باعتبار المبدأين اعنى جزائر الخالدات وساحل المحيط الغربى واما قوله فى العرض فالظاهر ان الهاء فى الاصل متصلة بالنون هكذا (نه) يعنى خمس وخمسون درجة فيكون مطابقا للواقع ويرتفع الاختلاف ويؤيد ذلك انه قال فى عرض سراى الاصح ان عرضه اربع وخمسون درجة مع قوله ان مسافة مابين سراى وبلغار فوق عشرين مرحلة فانه يعرف يقينا ان بلغار فى شمالى سراى فكيف يقول ح ان عرض بلغار (ن ه) والله سبحانه وتعالى اعلم وسنلم الى بيان ذلك بعد انشاء الله **واختلف** فيمن بناها وانها متى بنيت **قال** فى روضة الصفا انها بناها بلغار بن كمارى بن يافث بن نوح عليه السلام وان اهلها من ذريته فسميت البلدة والمملكة وذريته باسمه وقيل بنيت قبل ميلاد عيسى عليه السلام بعصرين وقيل بناها ذوالقرنين حين خرج من الظلمة ومات بها قاله فى كتاب تركى وسيجىء نقله وقيل غير ذلك وحيث لم يوجد التاريخ فى ذلك لا يمكن التكلم بالظن والحسبان فيما هنالك ولا فائدة فى سلوك مالا يعرف من المسالك **واما احوالها الا تنوغرافية اعنى احوال اهلها** فقد اختلف فيهم ايضا مثل الاختلاف المتقدم فقيل انهم من الترك وقيل بل قوم متولدون بين الصقالبة والترك وقدمر آنفا نقلا عن روضة الصفا انهم من ذرية بلغار بن كمارى بن يافث فيكونون من ذرية ابن اخى الترك ان قلنا ان الترك ولد يافث من صلبه على ما هو الصحيح ومن ذرية اخى الترك ان قلنا انه ابن كومر بن

يافث على ما ذهب اليه البعض كما سيجيء بناء على كون كمارى وكومر شخصا واحدا قال فيها اى فى روضة الصفا ان كمارى بن يافث كان رجلا متعيشا محبا للصيد وكان يركب دائما وكان له ميل تام الى المنتزهات فانتهى سيره مرة فى اثناء اصطياده الى حدود بلغار فرآها ارضا طيبة الهوأ وصحراء متنزهة فاستوطن بها وكان له ابنان احدهما بلغار والاخر برطاس فاختار كل منهما محلا لنفسه وعمر فيه العمائر باسمه وصار كل منهما يصطاد الثعلب والسمور والسنجاب وصنعوا من جلودها البسة حسنة اه وقال ابوالغازى بهادر خان فى تاريخه ان يافث بن نوح عم استوطن بحدود ادل وجايق ومات بها ثم ارتحل ولدالترك الى طرف الشرق اه فعلى هذا يكون بلاد بلغار اصل وطن يافث جد الاتراك وغيرهم ولنذكر هنا ما ذكره الجغرافيون والسياحون من المسلمين وغيرهم فى حقهم من المعلومات قال ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكرى القرطبى الاندلسى بعد بيانه مملكة الخزر ويتصل بهذه (يعنى مملكة خزر) مملكة البرغر (يعنى البلغار) وملكها الان مسلم اسلم بعدالعشرة وثلاثمائة برؤيا رآها وذلك ايام المقتدر وكان هذا الملك يغزو القسطنطينية فى نحو خمسين الف فارس ويشن الغارات الى بلاد رومه والجلالقة والافرنج ومنه الى قسطنطينية نحو من شهرين وهم امة؟ شداد لاتطاق والفارس منهم يقاتل امة من الردم ولايمتنعون منهم الا بالجدران والليل عند البرغر فى غاية القصر سائر السنة يزعم احدهم انه لايقدر ان يطبخ قدره حتى يصبح ويتصل بهوءلاء الروس اه قوله سائر السنة الخ لا يخفى مافيه وقال المسعودى فى مروج الذهب ومدينة البلغر على ساحل بحر مانطش وارى انهم فى الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم اليهم الان ذلك من بوادى غيرهم من الترك (يعنى الاقوام القزاقية) والقوافل مخفرة منهم وملك البلغر فى وقتنا هذا وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة مسلم اسلم فى ايام المقتدر وذلك بعد العشر والثلاثمائة

وذلك لرؤيا رآها وقد كان له وللمج وورد مدينة السلام يعنى البغداد وحمل
معه المقتدر لواء وبنودا ولهم جامع وهذا الملك غزا القسطنطينية فى نحو
خمسين الف فارس فصاعدا فشن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس
وارض برجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية فى خليج آخر
من البحر الرومى لا منفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد مرفيدية واتاهم
فى البحر جماعة من البلغر ينجدونهم واخبروهم ان ملكهم بالقرب وهذا
يدل على ما وصفنا من ان البلغر تتصل سراياها الى ساحل بحر الروم
وكان نفر منهم ركب فى مراكب الطرسوسين فاتوا بهم الى بلاد طرسوس
والبلغر امة منيعة عظيمة شديدة البأس ينقاد اليها من جاورها والفارس
ممن قد اسلم مع ذلك يقاتل المائة والمائتين من الكفار ولا يمنع اهل
القسطنطينية منهم فى ذلك الوقت الاسورها وكذلك من فى هذا الصقع
لايعتصم منهم الا بالحصون والجدران والليل فى بلاد البلغار فى نهاية من
القصر فى بعض السنة ومنهم من زعم ان احدهم لا يستطيع ان يفرغ من
طبخ قدره حتى يأتى الصباح انتهى قلت مراده ببحر مانطش هو بحر
ازاق فقوله ان البلغر على ساحل بحر مانطش خطأ بل بينهما مسافة بعيدة
وقد خطاه ياقوت الحموى فى معجم البلدان ولكن وقع فى نسخته (١)
لفظ برغر بدل بلغر ولذا قال بعد ان ذكر جميع ما ذكره المسعودى
قلت ان جميع هذه الصفة هى صفة بلغار وما اظنها الا واحدا وانهما لغتان
فيه وليس فيه ما انكرته الا قوله ان البرغر على ساحل بحر مانطش وما
اظن بينه وبين ساحل بحر مانطش الا مسافة بعيدة انتهى ما ذكره الحموى
قلت قد تقدم منا ان بلغار يقال له ايضا برغر وبرغار وقد مر اطلاق
برغر فى كلام ابى عبيد البكرى ايضا وقال منجم باشى فى تاريخه
بلغار وهؤلاء ايضا من اولاد يافث ويقال لهم ايضا برغر وبرغار منسوبون
الى الصقع الذى يسكنون فيه وقال شمس الدين الدمشقى واما البلغر

(١) اعنى نسخة مروج الذهب التى بيد الحموى . منه عفى عنه .

فمنسوبون الى الصقع وهم مسلمون اسلموا ايام المقتدر وبعث ملكهم الى المقتدر يطلب منه فقيها يعرفه قواعد الاسلام فاجابه الى ذلك ثم وصل جماعة من البلغر الى بغداد يريدون الحج فاقيم لهم من الديوان الاقامات الوافرة وما استعانوا به وسألهم سائل من اى الامم انتم وما البلغر فقالوا قوم متولدون بين الترك والصقالبة وقال فى موضع آخر وعد صاعد الاندلسي فيهم اى فى الترك الخزر والبلغار اه تنبيه قال ابن الاثير فى الكامل فى اثناء ذكره حوادث سنة ثلاث وثلاثين واربع مائة وفيها وصل جماعة من البلغار الى بغداد يريدون الحج فاقيم لهم من الديوان الاقامات الوافرة فسئل بعضهم من اى الامم هم وما البلغار فقال هم قوم تولدوا بين الترك والصقالبة وبلدهم اقصى الترك وكانوا كفارا فاسلموا عن قريب وهم على مذهب ابيحنيفة رضي الله عنه اه قلت هذا الكلام اما مبنى على اشتباه عام ورود البلغاريين الى بغداد على ابن الاثير اوعلى تعدد ورودهم اليها مرة فى العام الذى ذكره المسعودى اعنى بعد الثلاثمائة وان لم يذكر التاريخ ومرة العام الذى ذكره ابن الاثير فان المسعودى قال ان ذلك فى زمن المقتدر ولا شك ان موت المقتدر سنة ٣٢٠ فبين ما ذكره المسعودى وما ذكره ابن الاثير ازيد من مائة سنة واما ما ذكره شمس الدين الدمشقى فيحتمل كلا منها لانه ما ذكر التاريخ ولكن سياق كلامه حيث ذكر ورودهم الى بغداد بثم عقيب ذكر اسلامهم يوافق كلام المسعودى وان الفاظه وعباراته مطابقة لالفاظ ابن الاثير وعباراته والله سبحانه اعلم وعلمه اتقن واحكم وقال فى رسالة الانتساب وارض البلغار بلاد الاتراك الاسلامية اسلموا فى الدولة العباسية فى خلافة المأمون والواثق واسلم مرة فى خلافة القائم بامر الله ثلاثون الف خركاه اه قلت الظاهر من كلام ابن الاثير ان هؤلا الذين اسلموا فى عهد القائم كانوا من اهل دشت القپچق فانه قال فى حوادث سنة ٤٣٥ اسلم عشرة الاف خركاه من كفار الترك وكانوا يصيفون بنواحي بلغار ويشتون بنواحي بلاساغون اه والخليفة وقتئذ هو

القائم بامر الله وقال ابو علی احمد بن عمر بن دسته وقيل داسة فی كتابه المسمی بالاعلاق النفيسة الفصل الثالث فی ذكر بلكارا وبلكار متأخمة لبلاد برداس وهم نزول علی حافة النهر الذی يصب فی بحر الخزر المسمی اتل وهو بين الخزر والصقالبه وملكهم يسمی المش وهو ينتحل الاسلام وارضوهم غياض ومشاجر ملتفة وهم حلول فيها ٢ وهم ثلاثة اصناف صنف منهم يسمی برصولا والصنف الآخر اسغل والثالث بلكار ومعاشهم كلهم فی مكان واحد ٣ والخزر تتاجرهم وتبايعهم وكذلك الروسية اليهم يصيرون بتجاراتها وكذلك كل من كان منهم علی حافتی ذلك النهر يختلفون بتجاراتهم اليهم كالسمور والفاقم والسنجاب وغيره ٤ وهم قوم لهم زرع وحراثة يزرعون كل الحبوب من الحنطة والشعير والدخن وغير ذلك واكثرهم ينتحلون دين الاسلام وفی محالهم مساجد ومكاتب ولهم مؤذنون وائمة والكافر منهم يسجد لكل من لقی من محبيه ٥ وبين برداس وبين هؤلاء البلغارية مسيرة ثلاثة ايام يغزونهم ويغيرون عليهم ويسبونهم ولهم دواب ودروع وسلاح شاك ٦ وهم مؤدون الی ملكهم الدواب وغير ذلك واذا تزوج الرجل منهم اخذ (١) الملك منهم دابة واذا جاءتهم سفن المسلمين للتجارة اخذوا منهم العشر ٧ وملابسهم شبيهة بملابس المسلمين ولهم مقابر مثل مقابر المسلمين واكثر اموالهم الدلق وليست لهم اموال صامتة وانما دراهمهم الدلق (٢) يخرج الدلق الواحد فيهم بدرهمين ونصف وانما يحمل الدراهم المدورة البيض من نواحی الاسلام يبتاعونها منهم اه وقال الشيخ زكريا بن محمد بن محمود القزوينی فی كتابه عجايب (٣) المخلوقات وغرايب الموجودات بلغار

---

(١) ولعل مراده بذلك ان اخذ العوائد الميرية مختص بالمتزوجين . منه عفی عنه .

(٢) الدلق يقال له بلغة اهل قزان تين والمراد جلده وهو حيوان مثل الفأرة البرية ولهذا يقال بين اهل قزان الی الآن للكاپيك الروسی تين . منه عفی عنه .

(٣) له كتابان كلا هما مشهوران بهذا الاسم الا ان احدهما يختص باسم آثار البلدان او آثار البلاد وهو مطبوع وهذا منقول عنه وانما بنينا الامر علی المشهور فی التسمية . منه عفی عنه .

مدينة على ساحل بحر مانطش قال ابو حامد الاندلسى هى مدينة عظيمة مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط وحولها من امم الترك مالايعد ولايحصى وبين بلغار وقسطنطينية مسيرة شهرين وبين ملوكهم قتال يانى ملك بلغار بجنود كثيرة ويشن الغارات على بلاد (١) قسطنطينية والمدينة لاتمتنع منهم الا بالاسوار حكى ابو حامد الاندلسى ان رجلا صالحا دخل بلغار وكان ملكها وزوجته مريضين مأيوسين من الحياة فقال لهما ان عالجتكما تدخلان فى دينى قالا نعم فعالجهما فدخلا فى دين الاسلام واسلم اهل تلك البلاد معهما فسمع بذلك ملك الخزر فغزاهم بجنود عظيمة فقال ذلك الرجل الصالح لاتخافوا واحملوا عليهم وقولوا الله اكبر ففعلوا ذلك وهزموا ملك الخزر ثم بعد ذلك صالحهم ملك الخزر وقال انى رأيت فى عسكر كم رجالا كبارا على خيل شهب يقتلون اصحابى فقال الرجل الصالح اولئك جند الله وكان اسم ذلك الرجل بلار فعربوه وقالوا بلغار هكذا ذكر القاضى البلغارى فى تاريخ بلغار وكان من اصحاب امام الحرمين وملك بلغار فى ذلك البرد الشديد يغزو الكفار ويسبى نساءهم وذراريهم واهل بلغار اصبر الناس على البرد وسببه ان اكثر طعامهم العسل ولحم القندز (٢) والسنجاب وحكى ابو حامد الاندلسى انه رأى بارض بلغار شخصا من نسل العاديين الذين امنوا بهود عليه السلام وهربوا الى جانب الشمال كان طوله اكثر من سبعة اذرع كان الرجل الطويل الى حقوه

---

(١) قلت وهذا وما مرعن المسعودى والبكرى كله صريح فى ان بلغار قزان هجموا على القسطنطينية مرارا ولا ذكر له فى كتب الافرنج وانما المهاجم عليها فى كتبهم بلغار طونة بعد استيطانهم هناك فى حدود سنة ٤٧٥ م الا ان نقول ان علاقتهم لم تنقطع من هناك بالكلية فى عصرهم واظن ان مصدر هذا القول هو المسعودى فقط والباقون نقلوا كلامه من غير تحقيق فلا يبعدان يشتبه البلغاران للمسعودى وسلم الى ذلك فيما بعد ايضا انشاءالله تعالى . منه عفى عنه .

(٢) هذا وان صح فى حق الكفار منهم لكنه غير صحيح فى حق مسلميهم فانه حرام . منه عفى عنه .

وكان قويا ياخذ ساق الفرس ويكسرها ولا يقدر غيره يكسره بالفاس وكان
فى خدمة ملك بلغار وهو قربه واتخذ له درعا على قدره وبيضة كبيرة
كانها من جبل كبير ويأخذه معه فى الحروب على عجلة لان الجمل لا يحمله ويمشى
الى الحرب على عجلة كيلا يتعب من المشي ويقاتل راجلا بخشبة فى يده
طويلة لا يقدر الرجل الواحد على حملها وكانت فى يده كالعصا فى يد احدنا
والاتراك يهابونه اذ راوه مقبلا اليهم انهزموا ومع ذلك كان لطيفا مصلحا
عفيفا قلت قد نقل هذه الحكاية فى المستطرف عن ابى عبد الله بنوع اختلاف
مع ان الحكاية واحدة فاحببت ان اثبتها هنا وقد كنت رأيت الحكاية المذكورة
فى تحفة الالباب التى هى لابى عبد الله المذكور كما فى المستطرف وهى
الآن ليست عندى قال فى المستطرف قال يعنى ابا عبد الله بعد ذكره ما رأه
فى بلاد بشقرد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا
طويلا طوله اكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى اوديقى
كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته
يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده واعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان
صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كانها قطعة
من جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا
متواضعا كان اذا لقينى يسلم على ويرحب بى ويكرمنى وكان رأسى لا يصل
الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام
واحدة وكانت له اخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار
يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم
وكان اقوى اهل بلغار قبل انها ضمته اليها فانكسرت اضلاعه فمات من ساعته
اه فانظر الى تفاوت ما بين النقلين قلت ويشبه هذه الحكاية ما حكاه القزوينى
ايضا عن ابن فضلان ونصه حكى احمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء

بنى العباس الى بلغار (١) قال لما دخلت بلغار سمعت ان عندهم رجلا عظيما فى الخلقة فسألت الملك عنه فقال نعم ما كان من بلادنا ولكن من خبره ان قوما خرجوا الى نهر اتل وكان قد مدّ وطغى ثم اتوا وقالوا ايها الملك انه قد طفا على وجه الماء رجل كانه امة بالقرب منا فان كان ذاك فلا مقام لنا فركبت معهم حتى صرت الى النهر فاذا برجل طوله اثنا عشر ذراعا ورأسه كاكبر مايكون من القدور وأنفه نصف ذراع وعيناه عظيمتان وكل اصبع الطول من شبر فاخذنا نكلمه وهو لايزيد على النظر الينا فحملته الى مكانى وكتبت

---

(١) وسياق الحموى فى هذه الحكاية هكذا قرات فى كتاب احمد بن فضلان بن راشد بن حماد رسول المقتدر الى بلاد الصقالبة وهم اهل بلغار بلغنى ان فيهم رجلا عظيم الخلق جدا فلما صرت الى الملك سألته عنه فقال نعم قد كان فى بلدنا ومات ولم يكن من اهل البلد ولا من الناس ايضا وكان من خبره ان قوما من التجار خرجوا الى نهر اتل وهو نهر بيننا وبينه يوم واحد كما يخرجون وكان هذا النهر قد مد وطغى ماؤه فلم اشعر الا وقد وافانى جماعة وقالوا ايها الملك قد طفا على الماء رجل ان كان من امة تقرب منا فلا مقام لنا فى هذه الديار وليس لنا غير التحويل فركبت معهم حتى صرت الى النهر واذا برجل طوله اثنا عشر ذراعا بذراعى واذا رأسه كاكبر ما يكون من القدور وانفه اكثر من شبر وعيناه عظيمتان واصابعه كل واحدة شبر فراعنى امره وداخلنى ما داخل القوم من الفزع فاقبلنا نكلم وهو لايتكلم ولا يزيد على النظر الينا فحملته الى مكانى وكتبت الى اهل ديسور (ويسو) وهم منا على ثلاثة اشهر اسئلهم عنه فعرفونى ان هذا الرجل من يأجوج ومأجوج وهم منا على ثلاثة اشهر يحول بيننا وبينهم البحر وانهم قوم كالبهايم عراة حفاة ينكح بعضهم بعضا يخرج الله تعالى لهم فى كل يوم سمكة من البحر فيجيء الواحد بمدية فيجتز منها بقدر كفايته وكفاية عياله فان اخذ فوق ذلك اشتكم بطنه هو وعياله وربما مات وماتوا باسرهم فاذا اخذوا منها حاجتهم انقلبت وعادت الى البحر وهم على ذلك بيننا وبينهم البحر وجبال محيطة فاذا اراد الله اخراجهم يقطع السمك وينضب البحر وانفتح السد الذى بيننا وبينهم قال واقام الرجل عندى مدة ثم علقت به علة فى نحره فمات بها وخرجت فرأيت عظامه فكانت هائلة جدا قال الحموى هذا وامثاله هو الذى قدمت البراءة منه ولم اضمن صحته وقصة ابن فضلان وانفاد المقتدر اياه الى بلغار مدونة معروفة مشهورة بايدى الناس به عدة نسخ ثم ذكر كيفية نهر اتل ذكره مى مادة اتل . منه عفى عنه .

الى ويسو (١) كتابا وبيننا وبينهم الى ثلاثة شهر استخبرهم عن امره فعرفونى ان هذا الرجل من يأجوج وقالوا ان البحر يحول بيننا وبينهم فاقام بين اظهرنا مدة ثم اعتل ومات اه وقال فى تواريخ البلاد والعباد الذى الف فى عهد السلطان محمد چلبى ابن يلدرم بايزيد وهو بلسان تركى مامعربه بلغار ولاية عظيمة وبها ثلاثة من المدن الكبار وهى بلغار وسوار واسفل وبلغار هذه محاطة من الجوانب الاربع بالكفار وقد حفظها الله سبحانه فى وسطهم وملك البلغار من اولاد الاسكندر قبل ان الاسكندر (٢) لما خرج من الظلمة اقام فى بلغار الى ان توفى بها واهل بلغار ارباب الديانة واصحاب المهابة والشهامة وسيرتهم حسنة طيبة والواجب على كافة اهل الاسلام ان يمدوهم بالدعاء حتى ينصروا على الكفار اه وقال فى مجمع الانساب مامعربه البلغار واقعة بين المغرب والشمال وقريبة من القطب الشمالى ولهم مدينتان يقال لاحداها سوار وللاخرى بلغار وبينهما مسيرة يومين وبينها نهر وبساحل ذلك النهر مشاجر كثيرة وهم كلهم مسلمون يحاربون الكفار دائما وفى غاباتهم يكثر وجود الثعلب والسنجاب والقندز اه وقال ابو عبدالله الغرناطى البلغار ذات الجانبين بيوتهم من الخشب وهى على ساحل نهر اتل وجامعهم فى السوق والسوار ايضا على ساحل ذلك النهر وبيوتهم من اللبد ولهم مزارع والخير بها واسع وقال ايضا ولسان

(١) قلت ويسو جزيرة فى بحر ياپونيا فى آخر المعمورة من طرف الشمال المذكورة فى جغرافية رفاعة بك وهذا ليس بذاك بل هذا فى شمالى بلغار قال الحموى انه بكسر الواو بينها وبين بلغار ثلاثة اشهر يقصر عندهم الليل حتى لا يرون الظلمة ثم يطول فى فصل آخر حتى لا يرون الضوء اه قيل انه فى جهة آرخانكيل قال القزوينى وحكى يحيى ابو حامد من الامور العجيبة ان اهل ويسو ويورا اذا دخلوا بلاد بلغار ولو فى وسط الصيف برد الهواء ويصير كالشتاء ويفسد زروعهم وهذا مشهور عندهم لا يخلون احدا منهم يدخل بلغار اه . منه عفى عنه .

(٢) قلت اراد به ذا القرنين بناء على الغلط المشهور بين الناس من ان ذا القرنين هو الاسكندر وهو غلط صريح وخطأ محض وان قال به الجم الغفير والجمع الكثير عفى عنه .

الخزر والبلغار واحدة ولكن لسان البرطاس والروس مغايرة وبلغار اسم مدينة وبها المسجد الجامع واهلها مسلمون وبقرب بها ايضا مدينة يقال لها سوار وبها ايضا مسجد جامع ويكون بهما عشرة الاف بيت وابنيتهم من الخشب ومن مدينة الاتل (وكانت مدينة بموضع حاجي طرخان) الى بلغار نحو مسيرة شهر من البر ويصعد من النهر فى مقدار شهرين وينزل من بلغار الى مدينة الاتل فى مقدار عشرين يوما وقال ابو عبيد البكري وبلاد بلكان متأخمة لبلاد فرداس بينهما مسيرة ثلاثة ايام ومنازلهم على شاطيء نهر اتل وهم بين فرداس وصقلاب وهم قليلوا العدد نحو خمسمائة اهل بيت وملكهم يسمى المس وهو منتحل للاسلام والخزر تاجرهم وتبايعهم وكذلك الروس اه قلت قد تقدم عنه فى اول الفصل فى وصف بلغار ما يخالف ذلك وقد ذكر البلغار بلفظ بو غر وهنا بلفظ بالكان ولا ريب انهما واحد ولكن قوله قليلوا العدد غير صحيح مخالف لما ذكره هو وغيره كما لا يخفى ولعل ذلك صدر عنه على سبيل الذهول او فى العبارة سقطة والله سبحانه اعلم وقال ابو حامد الاندلسي لباس البلغار والخزر والبجاناك قراطق (١) تامة ولباس الروس قصير والبشجرد فى طاعة البلغار والتجارة فى بلغار فى السمور والسنجاب والقاقم والفنك والثعلب والارنب والشمع والنشاب والعسل والبندق والرقيق والغنم والبقر وغراء السمك واسنان السمك والكهربا والكيمخت والسيوف والدروع والخلنج اه وقال فى خريدة العجايب ارض البلغار وهى ارض واسعة ينتهى قصر النهار عند البلغار والروس فى الشتاء الى ثلاث (٢) ساعات ونصف ساعة قال الجو اليقي شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار

---

(١) قراطق جمع قرطق بضم وسكون وفتح معرب كورته وهي القميص وهي اعني كورته مستعملة فى التركية الى الان. منه عفى عنه.

(٢) علم من ذلك ان ساعتهم كانت اطول من ساعة عصرنا هذا او طالت الايام الآن بالنسبة الى ذلك العصر والا فا قصر الايام هناك ست ساعات ونصف ساعة. منه عفى عنه.

عندهم مقدار ما اصلى اربع صلوات كل صلاة فى عقيب الاخرى مع الاذان وركعات قلائل و الاقامة و التسبيح وعماراتها متصلة بعمارات الروم وهم امم عظيمة ومدينتهم تسمى بلغار وهى مدينة عظيمة يخرج واصفها الى حد التكذيب اه ثم قال مع ذلك فى محل آخر وبلغار مدينة صغيرة ليس لها اعمال كثيرة وكانت مشهورة لانها كانت مينا وفرضة لهذه المالك فاكتسحتها الروس واتل وسمندر سنة ٣٥٨ فاضعفتها اه قلت عزا الفاضل المرجانى ذكر هذه الغزية الروسية الى ابن الاثير وابن حوقل ونحن راجعنا الكامل لابن الاثير مرارا كثيرة فلم نر فيه ذكر هذه الوقعة فى العام المذكور وانما ذكر فيه حرب الروس مع بلغار طونه صرح بذلك على ماسننقل عنه فعزوها الى ابن الاثير وهم واما كتاب ابن حوقل فليس عندنا حتى نحكم عليه بشى واما صاحب الخريدة فلم ادر من اين اخذها فانالانرى للروس فى العام المذكور مع البلغار الذى نحن نبينها الآن حربا اصلا والله سبحانه اعلم قلت قد تقدم ذكر بلغار واسغل وسوار فاما بلغار فقد بيناها نقلا بيانا مقنعا وهى وان كانت الآن خربة الا ان موضعها معلوم لدى الكل ومعروف ومشهور وبعض آثارها باقية الى الآن واما الاخريان فليس لهما الآن وجود ولا بقية آثار فان صح اثبات الشيء فى مثل ذلك بالرائى لقلت ان سوار هى صمارا وكانت فى مقابلتها من الجهة الاخرى من نهر ايدل وهذا اولى من القول بكونها سنبر فان لفظ سوار اقرب الى لفظ صمار (١) وان كان موقع سنبر اقرب الى بلغار ولم يتكلم الفاضل المرجانى فى حق اسغل او اسكل بشىء فان جاز القول فى مثل هذا بالظن والتخمين لقلت هنا ايضا ان قوم ايچكين الموجودين

---

(١) قلت قد تقدم فى كلام ابن داسة ان طائفة من قوم بلغار يقال لهم برصولا ولم يذكر هو سوار الذى ذكره غيره فجاز ان يكون هذا الصنف منهم فى موضع صمار وان يكون اسم الموضع المذكور سوار فيحرف بعد ذلك الى صمار ثم يتحول الصنف المذكور من هناك الى جهة الشرق قليلا فيسمى الموضع الذى نزلوا فيه باسمهم فيقال بورصلان والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه .

الآن فى اطراف قصبة چيلابى من بقايا اهالى اسغل اواسكل فانه قد تقدم من ابن داسة تقسيمه قوم بلغار الى ثلاثة اقسام وجعل الاسغل صنف منها فعلى هذا يجوز ان يكون احدهما محرفا من الاخر فان كون هؤلاء من ماشقرد فى طاعة بلغار يؤيد هذا وكون حد بلغار الى مساكنهم بل الى ماوراءها من منتهى المعمورة كما تقدم فى بيان حدود بلغار ولكن اذا تأملنا فى قول ابن داسة المار عند بيان الماجار من ان بين البجاناكية وبين بلاد اسكل من بلغار اول حدود المجغرية يدل على كون بلاد اسكل اوقوم اسكل فى جهة الجنوب الغربى من بلغار دلالة صريحة لكون البجاناكية والمجغرية بالنسبة الى بلغار كذلك كما مر عند بيانهما فعلى هذا ما المانع من القول بكون قصبة سويل التابعة لولاية القزان الكائنة فى جهتها الجنوبية الغربية فى عين الموضع الذى ذكره ابن داسة وسط طائفة چواش وما المانع ايضا من القول بكون طائفة چواش من الصنف المسمى باسكل من البلغارية ويؤيد هذا الاحتمال كون اسم القصبة المذكورة عند التتار وچواش چويل بالجيم المعقودة الفارسية فانه يرشدنا الى كون لفظ چواش مأخوذا من من چويل وكون احدهما محرفا من الاخر بل الاقرب الى الصواب كون طائفة چواش مسماة سابقا بچو فقط كما يسمى بعض طوائف اسلاوان بچه وله فيكون اصل چويل چوايلى يعنى ولاية چو كما يقال قاريلى ياكغليلى بول ايلى بورناق ايلى على عين المعنى المذكور ثم يقال بادنى تخفيف چويل ثم يعرب من طرف سواحى العرب فيقال اسغل اواسكل ثم يغير اسم الطائفة ايضا بمرور الزمان بسبب من الاسباب الى چواش وليس هذا القول مبنيا على مجرد الظن والتخمين وصادرا عن اتباع الوهم المحض بل هو مؤيد بدلائل وقرائن سوى الذى ذكرناه وان لم نقل مثبت بالبراهين اما اولا فكون بلغار متصلة ببرطاس فى هذه القرون الاخيرة بل فى القرون الوسطى اعنى فى العصر الذى بنى فيه بلدة قزان كما سيذكر عند بيان بنائها والظاهر بقاء كل فى موضعه السابق فيكون المتصل ببرطاس من بلغار طائفة چواش

المسماة بلادهم فى القرون الاولى بچوابلى المعرب من طرف سواحى الغرب باسكل واما ثانيا فعدم ذكر واحد من السواح المذكورين طائفة چواش مع ذكر كل منهم جميع الطوائف والاقوام المقيمين فى تلك القطعة حتى الروس الذين هم متوغلون فى جهة الشمال و الغرب وابعد عن بلغار من چواش بعدا فاحشا فلولم تكن طائفة چواش صنفا من البلغار لذكروهم كماذكروا غيرهم واما ثالثا فوجود المشابهة التامة من جهة الشكل والسيماء والالبسة بين طائفة چواش و بين بلغار طونه الذين اخذوااسم النصرانية فى الظاهر وبقوا فى ذروة الجاهلية وا رثنية والوحشة فى الحقيقة وتلك المشابهة لبقاء كل من الطائفتين المذكورتين على عنصرهما الاصلية من غير اختلاط بقوم آخر بخلاف سائر اصناف بلغار قزان الذين اسلموا فانهم لما اختلطوا باقوام اخر زالت المشابهة بينهم وبين چواش واما رابعا فبقاء بعض بلغار قزان على الكفر والجاهلية على ما يفهم من بعض النقول السابقة ولا شك ان المراد بذلك البعض ان صح القول المذكورهم بعض طائفة چواش لاغير واما خامسا فقول طائفة چرمش (سرمانيا) الى الآن لمن يدخل فى دين الاسلام انه صار سواسا (يعنى چواشا) على ما ذكره الفاضل المرجانى فهذا يدل على كون چواش مرادفا عندهم لمسلم وهو يدل على ان اول طائفة اسلمت هناك هى طائفة چواش يعنى بعضهم فلا ينا فى ما ذكر فى الوجه الرابع وهو يدل على اتحاد اصل بلغار وچواش فان اول طائفة اسلمت هناك هى طائفة بلغار بالاتفاق غاية ما فى الباب ان فيه دلالة على ان قوم بلغار كانوا كلهم معروفين عندالجرامشة باسم چواش الذين هم بعض منهم كما ان اهل قزان كلهم معروفون الى الآن عند اهل ما وراء النهر باسم نوغاى لوجود شر ذمة قليلة من طائفة نوغاى فيما بينهم واما سادسا فوجود كثيرة من قرى چواش فى وسط ممالك بلغار المسلمين فيما بين قراهم فانه لا شك ان تلك القرى باقية فى مواضعها الاصلية لا انها

آتية من الخارج بعد اسلام أهل تلك الممالك وهو الظاهر واما مادة مغايرة اللسان فلا تدل على مغايرة جنس بلغار وچواش فانه لادليل لنا على كون أصل لسان بلغار تركيا فيحتمل ان يكون اصل لغتهم لغة چواش ثم يتركون لغتهم الاصليه بعد الاسلام ويأخذون لغة اخوانهم الترك الذين هم جيرانهم لكونهم اصحاب الشوكة العظمى وارباب السطوة الكبرى ومقتدايهم فى اسلاميتهم وخصوصا اذا كان من دلهم على الاسلام منهم واستيلائهم على ديارهم مرارا كثيرة على مايظهر من البيانات السابقة وارادة السطوة واجراء الاحكام فيها واختلاطهم بها كما تركوا سائر عاداتهم الجاهلية واخذوا التمدن ونذروا ذروته كما يشاهد ذلك فيمن يسلم من چواش وچرمش وآر وسائر الكفرة على العموم فى عصرنا هذا ويدل على ذلك دلالة صريحة تبديل بلغار طونه لغتهم الاصلية الى لغة اسلاوان وعاداتهم القديمة الى عادات اقبح منها بمراتب بعد تنصرهم وتحولهم بذلك من زاوية من جهنم الى زاوية اخرى منها اشد منها وافظع ويدل عليه ايضا معرفة جميع طائفة چواش لغة الترك بخلاف چرمش وموردوا فانه لا يعرف التركية منهم الا من كان اختلاط بهم وعلى كل حال فيكون لغة بلغار فى القرون الوسطى والاخيرة تركية محققة لا شبهة فيه وقد اثبت الفاضل المرجانى بما كتب على احجار القبور فى اوائل العصر الثامن الهجرى وببعض مصنفاتهم فى العصر المذكور بالتركية واطال فى ذلك ونحن تركناه لعدم الاحتياج اليه هنالك بل كون لغتهم تركية فى القرون الاولى فضلا عن الوسطى والاخيرة كالمصرح فى اقوال السواهين التى تقدم ذكرها والذى له دخل فيما نحن فيه دلالة العبارة التى نقلها من احجار القبور على كون لغتهم محرفة من لغة چواش لكونها غليظة جدا و قريبة من لغة چواش ولننقل هنا واحدة منها للاستشهاد قال مكتوب على حجر قبر فى قرية باى نيراك هذه العبارة الحكم لله العلى الكبير يونس اول حاجى

بلوى كا رحمة الله . حمة واسعة ومات بلكوى تاريخ جيات جور جيرم جتى جالسور آيخ جيرم بش كوان ات يعنى للحاج بلوى رحمة الله رحمة واسعة كان تاريخ وفاته سنة سبع وعشرين وسبعمائة فى الخامس والعشرين من شهر ثور و نقل مثل ذلك عن مقابر طاش بلكى من مضافات قصبة اسپاس التى هى مركز مملكة بلغار وقال وكذلك يوجد فى كثير من المقابر فى اطراف قزان عبارات مخلوطة بالتتارية والجواشية وفى بعضها جواشية صرفة وفى بعضها چرمشية محضة وهذا كله يؤيد ما ذكرناه عند التأمل وكلامه فى آخر هذه النقول ناظر الى ما ابديناه من الاحتمال اعنى كون اهل بلغار اخلاطا مركبة من الترك وچواش وچرمش وآروان لم يتجاسر على الحكم بذلك صريحا ومما يدل على ما ذكرنا من تحول لغة اهل بلغار من لغة چواش الى لغة الترك وجود التفاوت الفاحش بين تلك العبارات السابقة وبين العبارات التى كتبت بعد ذلك سنة ٨٧٠ على ما نقله الفاضل المرجانى ايضا وهى هذه تاريخ سكز يوز توقسان يتى شعبان آينك اون بشنچى ابردى كم توكل مولاسيد احمد يكرمى اوچ ياشنده شول دار دنيادين دار بقاغه رحلت ايلدى حق تعالى رحمت قلسون اه انظر الى هذا التفاوت الفاحش بين تلك العبارات فى تلك المدة وكان الاولى بالنسبة الى الاخرى لم تخرج من عبارات چواش الى عبارات الترك * هذا * وقد ساقت الدلائل والقرائن التى اسلفنا ذكرها فكر هذا الفقير وذهنه فى حق بلغار وچواش بعد التأمل الكثير والتفكر الوفير والوزن بانواع الميزان والمقياس والضرب بالاخماس فى الاسداد الى هذه النقطة وقد عرضتها على محك انظار القارئين الكرام المنصفين ولا ادعى ان كلما كتبته صواب لا يحتمل خطاء قط فان ظهر صوابها بعد التفكر فيها بما لها وما عليها بالانصاف فبها وان ظهر خطاؤها فلا بأس فيها فانه لا مؤنة فيها على احد غيرى فانا بينا قريبا ان تكميل الصناعة انما يكون بتلاحق الافكار خصوصا فى مثل هذه المسئلة التى هى من قبيل المجهول المطلق على انها ليست من مبتكراتى من جميع الوجوه بل تصريح وتأييد وتقوية لما

ذكره الفاضل المرجانى فى ص ٢٣ وص ٣١ من تاريخه ايماء وتلويحا وزيادة عليه وهذا ايضا من نتايج تلاحق الافكار ولعل من جاء بعدنا يكشف القناع عن وجه الحقيقة والله الموفق **استطراد** بقى من البلاد التى ذكرها السواح المتقدمون مقارنا لذكر بلغار دائما بحيث لم تذكر بلغار الا ذكرت هى معها وقد انقطع الآن ذكرها فضلا عن وجودها مدينة سقسين **كما قال** فى روضة الصفا درسنة ٧٠٣ توقاى (توقتاغو) ونوقاى (نوغاى) درحدودسقسين وبلغار مقاتلة هولناك كرده الخ **وقال** خوارزمشاه آتسز حين حاصره السلطان سنجر فى جملة ابيات شعر:

بخو ارزم آيد بسقسين روم* خداى جهانرا ملك تنك نيست*

وامثال ذلك كثيرة فى كلامهم لا تكاد تحصر وقد عجز البعض عن تعيينها **حتى** قال مترجم البرهان القاطع ولاية غير معلومة ولكن صحح الآن كونها ولاية سقسونية فى مملكة الروم (يعنى آوروپا) يخرج منها طبق لطيف معروف بطبق سقسونية اه **قلت** ولله درالقائل شعر:

سارت مغربة وسرت مشرقا* شتان بين مشرق ومغرب*

فان سقسين هذه غير سقسونية التى فى آوروپا وغير سكسون انكليز وهما غير مذكورتان فى كتب سواح الاسلام **قال** الملك المؤيد ابوالفدا فى تقويم البلدان وفى شمالى هذه الناحية مجرى نهرطنا برس الكبير وعليه مدينة سقسين وبها الآن ولد بركة ملك التتر المسلمين وفيه مدارس ومساجد وشرقى ذلك بنحو بضع وعشر درجة منبع نهر طنابرس الذى يصب فى بحيرة طوما اه بقى الكلام فى معرفة نهرطنا برس وبحيرة طوما ولا يجوز ان يكون نهر دون المشهور عند المتقدمين بتنايس فان المفهوم من كلام غيره الآتى كون سقسين فى شرقى بلغار اوفى جنوبها الشرقى ولم يذكرها الحموى فى معجمه فلو ذكرها لاسترحنا من التعب **وقال** فى تاريخ العباد والبلاد المار ذكره المترجم من آثار

البلاد للتزويني ما معربه سقسين بلدة عظيمة ليست فى التركستان بلدة أعظم منه ودورها سنة فراسخ وبقربها ايضا بلاد مثل سقركند وبوزكند وبجكند وهذه الولاية معمورة وخوفها من الخبل (كذا فى الاصل) وقفچق وليس فيها ماء سوى شعبة ونزعة من نهر اتل وبساحلها بيوت سود (يعنى الاخبية التركية من اللبد) وهم يسكنون فيها ودينهم دين المسلمين ولكنهم لا يصلون الصلاة طول السنة الا فى شهرى شعبان ورمضان اه منتخبا وسيجيء فى كلام كارامزين قوله ولماسمع قوم سقسين ومرابطو بلغار فى ساحل نهر جايق تحشد التتار وحركتهم هربوا الى بلغار الخ وهذان القولان يدلان صراحة على كون سقسين فى شرقى بلغار ولعل مراد ابى الفدا بنهر طنابرس هو نهر جايق اوصقمار والله سبحانه اعلم وزيادة التحقيق محولة على اذكياء الشبان ارباب المعارف وقال فى كشف الظنون عند ذكر بهجة الانوار انها للشيخ سليمان بن داود السوارى الخ فقد افادنا ان سقسين هى عين سوار ذكر عند المتقدمين بسوار وعند المتأخرين بسقسين فهذا ايضا يدل على انها بشرقى بلغار قال الفاضل رفاعة بك ومن هؤلاء الناس الذين كادوا ان يكونوا مجهولين لليونانيين والرومانيين حتى روم بوزانطيا خرجت اسراب متبربرة عرفت باسم بلغار واوار وخزر وما جار وغير ذلك ولم تتفق الفضلاء الى الآن على اصول هؤلاء الاقوام والظاهر انهم مختلطون من قبائل الفنية والاتراك وقال وامة البلغار على كلام البوزنطيين فرع من امة الاوغرة ولكن يظهر منهم ان شبههم بالاتراك اتم من شبههم بهذه الامة ولاشك انهم (بلغار) استفادوا اسمهم من اسم النهر الذى كانوا فى اول امرهم يسكنون عليه لان اقليمهم الاولى المسماة البلغارية الكبرى كان يتصل به نهر الاتل (المسمى ايضا وولغا فارادانهم استفادوا اسم بلغار من وولغا وهذا وهم منه) ويظهر بقرب قزان بقية من آثار دار ملكهم ثم سكنوا (يعنى طائفة منهم) على نهر قوبان ثم على نهر طونه وهناك تغلبوا فى نحو

سنة ٥٠٠ ميلادية على اسلاوون الصربين المستوطنين باسفل نهر طونه ثم تغلب عليهم الاوارة ثم خرجوا من اسرهم سنة ٦٣٥ ميلادية فدخلت تحت طاعتهم فى ذلك الزمان امة القوطرغورة التى هى بقية من الهونة استوطنت جهة بحيرة نيوتيده المسماة الان بحر ازاق وبلغارية طونة التى هى قطعة من تلك السلطنة العظيمة مكثت مدة طويلة تخشى سطوتها سلطنة بوزنطيا (القسطنطينية) * وقال ومن الامم المتجاوره لاسقوتية امة الجية (١) (سيتيا) وهى امة تقرب من جنس الصقالبة وكانت هذه الامة ساكنة فى سالف الزمان فى البلاد المسماة الآن بلاد بلغار ثم بعد ذلك عدت نهر ايستر (يعنى طونه) * وقال وعلى شاطىء نهر وولغا المذكور فى الكتب العربية نهرا ثل جعلت العرب مقام امة الخزر وهى تارة ومنها نصارى ووثنى ومحمدى وعلى حدود الخزر امة البلغار واكثر الجغرافيين يتكلمون عليها فتارة يجعلونها بلغار وتارة بسلار ويجعلون قاعدتها على نهر اتل وانقاضها الباقية على ثمانين ويرسة من سنبر الى الان تدل على عظم شأنها فى سالف الزمان وبعض المشارقة يرى انها ابعد مدن الدنيا شمالا * وقال وامة الخزر يسميها البوزنطيون باوغرة ابيض ظهرت اولا بين بحرى الخزر وازاق ثم لما تخلصت من كونهم مأسورين تحت حكومة الهونية وبلغار مدة يسيرة امتد حكمها الى نهر تبييسة وبقيت مدة القرن السابع والثامن ارجع الامم فى تلك الجهة وبقيت اسمها الى القرن ١٢ من الميلاد * وقال فى بيان اواره ولكن لم تمكث منه الامة النهابة على سطوتها وشدة بأسها زمنا طويلا بل ضعفت بالحروب مع البلغار ثم سقطت بقوة كارلوس مانوس سنة ٧٩٦ وكان مبدأ سلطنتهم سنة ٥٦٦ اه ما انتخباه من كلام رفاعة بك * وقال كارامزين بعد بيان سرماطة وقد ظهر فى تلك الاثناء قوم يسمون اوغر وبلغار ولم يكن المغاربة يعرفونهم

---

(١) زعم ان الجية غير لاسقوتية وهذا وهم فان الجية هى الاسقوتية كما حققناه.
منه عفى عنه.

قبل وهم على قول اليونا نيين من جنس الهون فخرجوا من اوطانهم التي كانت فى قرب وولغا واورال واستملكوا ما بين البحر الاسود وازاق واقليم قريم وشرعوا من سنة ٤٧٤ ميلادية فى نهب اقليم ميزيه (اى البلغارية الحاضرة) وقرا كيه حتى وصلوا الى اطراف القسطنطينية ثم ذكر ظهور اسلاوون فى تلك المدة خلافالما تقدم وهجومهم معا الى القسطنطينية فى عهدالقيصر يوسطنيان سنة ٥٢٧ وسائر معاملاتهم معهم ثم ذكرظهورامة اواره من طرف الشرق وغلبتهم على البلغار ومعاملاتهم مع القيصر فى حدود سنة ٥٦٨ ثم قال ان ملك بلغار (قوارات خان) خرج فى سنة ٦٣٠ ميلادية مصادفة سنة ٩ هجرية من طاعة حكومة اوار وتبعيتهم وقسم قوته على تسعة اقسام كبيرة وملكوا الداكية وپانونية مدة كثيرة وحاربوا فى اقليمى كارنيتيه وبو هميه مع باواريا واسلاوون محاربات عظيمة وحكم (قوارات خان) فى قرب بحرازاق معالمودة والموافقة بالروم ولكن خالف اولاده وصيته الحكمية وقسموا مملكتهم فيها بينهم فبقى كبيرهم (وات باى) فى قرب دون وعبر ثانيهم (قاتراق) الى طرف آخر من النهر المذكور وذهب رابعهم الى حكومة اوار فى پانونيه (هنغرية) وذهب خامسهم الى ايطاليا وثالثهم المسمى اسپاروخ اقام اولا بين نهرى طونه ودينستر ثم غزا فى سنة ٦٧٩ اسلاوون المقيمين بميزية واسس هناك حكومة بلغارية قوية (وهى البلغارية الحاضرة) قلت هذا صريح فى ان تفرق بلغار طونه من بلغار قزان كان فى التاريخ المذكور وهو المصادف سنة ٦٠ ﻫ وهذا مخالف لما مر من المسعودى الا ان نقول انهم اتحدوا بعد ذلك ايضا والله اعلم فليحرر (١) وعلى كل حال فقدافترقت امة البلغار على فرقتين اما فى اول خروجهم من اصل وطنهم

(١) ولكن هذا مجرد احتمال واقوال كافة الافرنج فى هذا الباب دالة على تفرقهم فى التاريخ المذكور وعدم اتحادهم بعدذلك فعلى هذا يحمل قول المسعودى على اشتباه احدى طائفتى البلغار بالاخرى كما ذكرناه. قبل والله اعلم بالصواب . منه عفى عنه.

على ما يومىء اليه اول كلام كارامزين او فى التاريخ المذكور آنفا او بعد
ويقال لمن بقى فى اصل مملكتهم البلغارية الكبرى و لهؤلاء
المهاجرين الى جهة طونة البلغارية الصغرى وربما يقال للاولى
البلغارية الداخلة وللثانية البلغارية الخارجة وربما يقال
للاولى البلغار البيض لتمدنهم بقبول الايمان والاسلام وللثانية البلغار
السود لتسودهم بسود الجهل والكفر وربما يقال للاولى بلغار وولغا واتل
وقزان وللثانية بلغار طونة وربما يقع الناس فى الغلط بعدم التمييز بينهما
فيخلط وقائع هذه بوقائع تلك حتى ان ابن فضل الله العمرى مع علو كعبه فى
جغرافيا وطول باعه فى علم التاريخ وانفراده فى عصره بمعرفة الممالك وامتيازه
بتخطيط ما فيها من المسالك قال ولقد كان فى السرب والبلغار من قديم
دار اسلام وايمان ذكر هذا المسعودى فى مروج الذهب واما آلان فقد تبدلت
بايمانها كفرا وتداولها طائفة من عباد الصلبان اه انظر كيف اشتبه عليه
الامر ولم يدر ان ماذكره المسعودى وغيره هذه البلغار وانها باقية على ماهى
عليه من التمسك بعروة الايمان وحبل الاسلام لم يغيرها عما كانت عليه
اجتهاد الكفرة اللئام وتبقى كذلك انشاء الله الى آخر الايام بموجب وعده
سبحانه يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
ولم يتفطن لما وصف المسعودى به البلغار من عدم غيبوبة الشفق فيها ولم يتنبه
ان هذا الوصف لبلغار اتل لا لبلغار طونة ولم يتامل فيما ذكره غير واحد ان
بين بلغار وقسطنطينية مسافة شهرين او لم يعرف ان هذا الوصف ايضا
هو وصف بلغار قزان لا بلغار طونة ومنشأ الغلط هو الاشتراك فى الاسم
وعدم التأمل فى الاوصاف والموضع وانما ذكرت هذا هنا لئلا يقع المطالع
فى الغلط قال ابن الاثير فى الكامل بعد ذكره ماجرى بين الواسيلى الثانى
قيصر الروم وبين البلغار فى حدود سنة ٤٠٠ وهؤلاء البلغار غير الطائفة
المسلمة فان هؤلاء اقرب الى الروم من المسلمين بنحو شهرين وكلاهما يسمى
بلغارا اه فعلى هذا يخطر بالبال ان ماذكره المسعودى سابقا ومن تبعه من

غزو بلغار القسطنطينية فى التاريخ المذكور هناك لا يكون غزو بلغار اتل بل غزو بلغار طونه فقط وكأنه لم يكن له علم بكون بلغار طائفتين وان التى غزت القسطنطينيه هى بلغار طونة لا بلغار اتل والله سبحانه اعلم ولما افترق بلغار طونه من بلغار قزان تحولوا من حالة المجوسية الى النصرانية فصاروا بذلك كمن غسل البول بالخرى وانتقلوا بذلك من طبقة من جهنم الى طبقة اخرى اقبح منها ولا ادرى فى اى زمان كان ذلك التنصر فعلى قول الفاضل الشهاب القزانى كان ذلك فى سنة ١٨٤ هجرية وكان اسم ملكهم فى ذلك الوقت باغار فتسمى بعد التنصر ميخايل وقال بعض مورخى عصرنا كان ذلك فى حدود ٣٥٠ على يديانى (١) زيمسكس الاول (اظنها شمسية) ولم ينفع الروم تنصرهم اصلا بل كانوا يحاربونهم دائما وقد كانوا ينصرونهم قبل ذلك حتى استعان بهم اليون حين حاصر مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية ولما تنصر بلغار طونة تركوا السنتهم وعاداتهم الاصلية واخذوا السنة اصلاوان وعاداتهم بسبب كثرة اختلاطهم معهم فهم يعدون الى الآن من اسلاوان بحسب العادات واللسان لا بحسب الجنس ونحن لا نبين فى هذا الكتاب احوالهم بل احوال بلغار قزان كما ذكرنا قبل قال كارامزين بعد بيان هجوم بلغار طونة الى قسطنطينية واسرهم ايمپراطور لاتين فى سنة ١٢٠٥ م مصادفة سنة ٦٠٢ هـ وبلغار اتل لم يكونوا مائلين الى الغزاة قلت قدمر اول كلام كارامزين مقارنة بلغار باوغر واكثر الجغرافيين لم يجدوا مصداقا للفظ اوغر وهو لفظ تركى معناه اللص والسارق ولعل هؤلاء الذين خرجوا من اصل بلاد بلغار كانوا لصوصهم وقطاع الطريق خرجوا للنهب والغارة وطبيعة بلغار طونة تدل على ذلك وبقى فى اصل (٢) بلاد بلغار ارباب التمدن والاستقامة والخيار

(١) وهو المشهور فى تواريخ الاسلام بد مستق . منه عفى عنه .

(٢) ومن الآفة العظيمة قول بعض مشاهير ادبا عصرنا بعد بيان اسلام بلغار اتل ولكن البلغار تركوا وطنهم الاصلى فى ذلك الوقت ثابتين على ديانتهم الاصلية يعنى الوثنية وهاجروا الى شبه جزيرة بلقان فلا ادرى ان المسلمين فى اصل مملكة بلغار هل هم فئة من قوم بلغار بقوا هناك او قوم من التتار الذين اخرجوهم من هناك لا يدرى ذلك اه وخطاؤه من وجوه ظاهر فان خروج بلغار من هناك ليس

كما يدل على ذلك طباعهم فى جميع الازمان وربما اطلق لفظ اوغـرو اوغرة على ماجار حتى قال كارامزين لماهلكت الوينفرية فى دينستر سنة ١٢٣٤ ميلادية بقى منه مثل فى غاليتسيا وهو لعب دينستر باوغر لعبا مدهشا اه فعلم من ذلك ان هذا الاسم كان يطلق على ما جار حتى السنة المذكورة وظنى انه محرف من لفظ ايغور لاغير والله اعلم ثـم رأيت فى تاريخ عاصم نجيب افندى انه قال ان بعض المورخين وان بين ان الفاظ اونغر واونغاريا وانكروس منحرفة من لفظ اون واويغور لكن المجار ينكرون فى هذه الاعصر كونهم من اويغور ويدعون انهم من جنس بلغار والله اعلم نعود الى كلام كارامزين قال وبلغار قزان كانوا يرسلون الميرة الى مملكة سوزدل ويشبعون اهلها وكانوا يوصلون بصنائع الممالك الاسلامية المتمدنة ومصنوعاتهم الى الروسية وربما يوجد على بعد ٩٠ ويرسة من قزان و ٩ من وولغا الكتابة الارمنية الباقية من القرن الثانى عشر من الميلاد السادس من الهجرى وهذا يدل على ان الارمن المشهورين بالتجارة كانوا يبادلون هناك بضا بصنائع الشرق بجلود الروسية وفروتهم والسختيان العالى المشهور بالبلغار فى جميع الاقطار باق ومستعمل ومقبول عند الكل الى الآن واسمه يدل على انه من مخترعاتهم واعلى السختيان يستعمل فى الروسية الى الآن ببلاد قزان وكذلك يوجد فى خرابة بلغار الكتابة العربية من سنة ١٢٢٢ والى سنة ١٣٤١ ميلادية وتلك الكتابة مكتوبة على قبور اهل شروان وشماخى ويجد الفلاحين بقرب خرابة بلغار فى بعض الاوقات حلى النساء من الذهب وربما يوجد فيه دراهم العرب وربما يوجد دراهم غير مكتوبة بل فيها نقط ولاشك انها دراهم الاميين فتدل امثال هذه الحالات الخطيرة على ان البلغار المذكورة كانت سابقا على غاية المعمورية اه قلت كلام

بعد اسلامهم كما عرفت ولا شبهة فى كون المسلمين فى تلك الديار من قوم بلغار عند احد وكونه آفة ان المقلدين ربما يصدقونه او يقعون فى الشبهة لشهرة القائل والله الهادى للصواب ولعمرى ان فى اثر هذا القائل خبط كثير لا يحصى فى مثل هذه المسائل لا يخفى على اربابه . منه عفى عنه .

كارامزين هذا وانكان مصداق قول القائل شعر :

اذا انت فضلت امرءاً ذانباهة * على ناقص كان المديح من النقص *
الم تر ان السيف ينقص قدره * اذا قيل هذا السيف اعلى من العصى *

فان تمدن بلغار ومعموريته اعرف واشهر من ان يستدل عليه بمثل هذه الترهات الا انه كما قال القائل شعر :

ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ماشهدت به الاعداء *

وقال ايضا كان يعيش على شطوط وولغاواتل قوم بلغار من مدة مديدة ولعلهم ارتحلوا هناك من سواحل دون (تن) هربا من طاعة خوانين خزر الذين كانوا اتقووا فى العصر السابع الميلادى وهم قد تمدنوا بمرور الايام والدهور وشرعوا فى التجارة وكانوا يتاجرون الروسية بواسطة الانهر الكبيرة والفارس وسائر الممالك الآسوية الغنية بواسطة بحر الخزر اه الآن ماذكره كارامزين من الكلام المتعلق ببلغار فى هذا المحل منتخبا وسنذكر باقيه فى محله انشاء الله وحيث ذكرنا هذا القدر من كلام الجغرافيين والمورخين ممايتعلق ببلغار وسائر الاقوام القاطنة بتلك الديار والواردة عليها والمارة بها اجمالا عن لنا ان نفصل احوالهم بعض التفصيل حسب الاطلاع اه ذكر اسلام بلغار وماجرى عليهم بعد ذلك من الحوادث والوقائع والحروب مع الكفار الاشرار قد ذكرنا سابقا زمان دخولهم فى حمى الاسلام وسببه فلنذكر الآن احوالهم بعد تشرفهم بشرافة الايمان اعلم انهم لما تشرفوا بشرف الايمان لسبق العناية الالهية وتعلق ارادته السنية بسعادتهم وغرسوا الشجرة الطيبة الاسلامية فى وسط بستان مملكتهم ورفعوا الوية الهداية واعلام الشريعة المحمدية بجميع همتهم وزينوا بذلك كرسى سلطنتهم وكان ذلك فى التاريخ المذكور هناك اعنى بعد الثلاثمائة ايام المقتدر بالله اوقبله بقليل اوكثير اقوال والظن الغالب هو الاول والله اعلم تيقنوا ان هذه الشجرة الطيبة لابقاء لها ولادوام بغير السقى والتربية وسقيها انما يكون بماء الفضل والعرفان والعلم والايقان والفقه والوجدان

الجارى من نهرى السنة والقرآن وهم بمعزل عن هذا لكونهم قريبى العهد بالاسلام والايمان ولبعدهم عن بلاد الاسلام خصوصا دار الخلافة مدينة السلام ارسل ملكهم آلماس خان ابن سلكى خان رسولا الى معدن الفضل والعلم بغداد مدينة السلام ليبايع الخليفة مقتدر بالله العباسى وليظهر متابعته له وطاعته اياه ويلتمس منه الفقهاء والعلماء والمهندسين والمعمار والصناعين ليوقفوهم على شعائر الاسلام ويلمموهم احكام الشريعة ومعالم الدين وليبينوا لهم سمت القبلة على الوجه اليقين ويستأذنه فى بناء السور فى اطراف بلده ليتحصن به من الملوك المخالفين له فى الدين لما جرت به العادة من معاداة الكفرة اللئام لمن دخل فى حمى الاسلام وقدمر محاربة الخزر اياهم لدخولهم فى الاسلام والايمان وان لم يكن له مدخل فى تلك البلدان فاجاب له المقتدر بالله بملتمسه وسؤله وتفضل عليه باسعافه فيما رامه وامله وارسل اليه رسوله واصحبه الفقهاء والعلماء والمهندسين وسائر اهل الصناعة المتبحرين وكان الرسول المعين له سوسن الراسى (١) والندر الخرمى وضم اليهم احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد البغدادى الكاتب وامره بان يكتب جميع ما يشاهده ويعاينه فى الطريق وفى بلاد بلغار ومايجاورها من سائر البلاد عن العجايب والغرائب واجناس الامم وعوائد القبائل والسنتهم ودياناتهم وتعبداتهم وكيفية اراضيهم ومساكنهم ومنازلهم وكيفية معايشهم ومقدار الطول الليالى والايام وقصرها وغير ذلك من وقت خروجه من بغداد الى ان يدخلها راجعا ففعل ماامر به والف فى ذلك رسالة وهذه الرسالة مشهورة برسالة ابن فضلان وهى عزيزة الوجود لاتكاد توجد بل ادعى الفاضل المرجانى انها مفقودة بالكلية مثل تاريخ البلغار لقاضى البلغار يعقوب بن نعمان وقال ان الاوروپاويين طلبوهما بنشر الاعلانات مرارا من جميع

(١) سوسن الراسبى هكذا رأيت فى نسخة معجم البلدان للحموى فى مواضع منها بالواو بعد السين وقد ضبطه الفاضل المرجانى بالهاء بدل الواو . منه عفى عنه

الدنيا فلم يظفروا بهما ولكن قوله هذا فى تاريخ البلغار وان كان صحيحا ولكن فى رسالة ابن فضلان يشبه ان لا يكون غير صحيح لان بعض (١) مورخى الروسية صرح بنقله عنها والظاهر انه انما نقل مانقل بلاواسطة الا ان نقول ان الموجود عند الروسية انما هو ترجمتها لاعينها والله سبحانه اعلم وانى لم ارها بعينها وانما ظفرت ببعض النقول منها كما ذكرنا بعضها فيما مر نقلا عن القزوينى وياقوت الحموى وها انا انقل هنا ايضا عما نقله الحموى عنها فى معجم البلدان بعبارته قال بلغار بالضم والغين المعجمة مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد لايكاد يقلع الثلج عن ارضهم صيفا ولاشتاء وقلما يرى اهلها ارضا نا شفة وبناءهم بالخشب وحده بان يركبوا عودا فوق عود ويسمر وها باوتاد من خشب ايضا محكمة والفواكه والخيرات بارضهم لاتنجسب (٢) وبين اتل مدينة الخزر وبلغار على طريق المفاوز نحو شهر ويصعد ليها فى نهر اتل نحو شهرين وفى الحدور نحو عشرين يوما ومن بلغار الى باشجرد خمسة وعشرون مرحلة وقد كان ملك بلغار واهلها قد اسلموا فى ايام المقتدر بالله وارسلوا الى بغداد رسولا يعرفون المقتدر بذلك ويسألونه انفاذ من يعلمهم الصلاة والشرايع لكن لم اقف على السبب فى اسلامهم فرأت رسالة عملها احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر الى ملك الصقالبة ذكر فيها ماشاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها قال فيها ولما وصل كتاب المس بن سلكى

---

(١) وهو الميرالآى ريتيخ الروسى صرح بنقله عنها ومن شرحها للمحرر فرن ومرح بوجودهافى دارالفنون بقزان وقال ياقوت الحموى فى معجم البلدان فى مادة اتل فى حق ابن فضلان ورسالته وقصة ابن فضلان وانفاذ المقتدر اياه الى بلغار معروفة مشهورة بايدى الناس منها عدة نسخ اه فاين ذهبت تلك النسخ كلها كيف وقد اكثر الناس النقل عنها فتجويز انعدامها بالكلية من قبيل تجويز المحال والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

(٢) من الانجساب . منه عفى عنه .

بلطوار (١) (بلكوار) ملك الصقالبة الى امير المؤمنين المقتدر بالله يسأله فيها ان يبعث اليه من يفقهه فى الدين ويعرفه شرايع الاسلام ويبنى له مسجداً وينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة فى جميع بلده واقطار مملكته ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له اجيب الى ذلك وكان السفير له نذير الحرمى (بدر الحرمى مستفاد) فبدأت انا بقراءة الكتاب عليه وتسليم ما اهدى اليه والاشراف والفقهاء والمعلمين وكان الرسول من جهة السلطان سوسن الرسى (٢) (الراسبى مستفاد) مولى نذير (بدر) الحرمى قال فرحلنا من مدينة السلام لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة ثم ذكر مامر له فى الطريق الى خوارزم ثم منها الى بلاد الصقالبة مايطول شرحه ثم قال ولما كنا من ملك الصقالبه وهو الذى قصدنا له على مسيرة يوم وليلة وجه لاستقبالنا الملوك الاربعة الذين تحت يده واخوته واولاده فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا هو بنفسه فلما رآنا نزل وخر ساجدالله شكراً وكان فى كمه دراهم فنثرها علينا ونصب لنا قبابا فنزلناها وكان وصولنا اليه يوم الاحد لاثنتى عشرة خلت من المحرم سنة ٣١٠ عشر وثلاثمائة وكانت المسافة من الجرجانية وهى مدينة خوارزم سبعين يوما فاقمنا الى يوم الاربعاء فى القباب التى ضربت لنا حتى اجتمع ملوك ارضه وخواصه ليسمعوا قراءة الكتاب فلما كان يوم الخميس نشرنا المطرزين الذين كانوا معنا واسرجنا الدابة بالسرج الموجهة اليه

---

(١) فى النسخة التى نقلنا منها هكذا بالطاء بعد اللام وكذلك فى قاموس الاعلام فى مادة بلغار ونسختى مكتوبة فى استانبول وظنى ان صاحب قاموس الاعلام ايضا اخذه من معجم البلدان وان لم يصرح بذلك فالظاهر ان ماخذ كلا نسختى معجم البلدان واحد والا فالظاهر انه بالكاف بعد اللام هكذا بلكوار كما فى مستفاد الفاضل المرجانى . منه عفى عنه .

(٢) هكذا فى النسخة التى نقلت عنه وبينه وبين قوله وكان السفير له نذير الحرمى منافاة كما لا يخفى ولم اقدر على حله فليحرر . منه عفى عنه .

والسماه السواد وعممناه واخرجت كتاب الخليفة وقرأته وهو قائم على قدميه
ثم قرأت كتاب الوزير حامد بن العباس وهو قائم ايضا وكان بدينا
ونثر اصحابه علينا الدراهم واخرجنا الهدايا وعرضناها عليه ثم خلعنا على
امرأته وكانت جالسة على جانبه وهذا سنتهم ودأبهم ثم وجه الينا فحضرنا
قبته وعنده الملوك عن يمينه وامرنا ان نجلس على يساره واولاده
جلوس بين يديه وهو وحده على سرير مغشى بالديباج الرومي فدعا
با الطعام فقدمت اليه المائدة عليها لحم مشوى فابتداء الملكَ واخذ
سكينا وقطع لقمة فاكلها وثانية وثالثة ودفعها الى سوسن الرسول فلما
تناولها جاءته مائدة صغيرة فجعلت بين يديه وكذلك رسمهم لا يمد احد يده
الى اكل حتى يناوله الملك فاذا تناولها جاءته مائدة ثم قطع قطعة وناولها
الملك الذى عن يمينه فجاءته مائدة ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة
وكذلك حتى قدم الى كل واحد من الذين بين يديه مائدة واكل كل
واحد منا من مائدة لا يشركه فيها احد ولا يتناول من مائدة غيره شيئا
فلما فرغ من الاكل حمل كل واحد منا ما بقى على مائدته الى منزله فلما
فرغنا دعا بشراب العسل وهم يسمونه السجو فشرب وشربنا وقد
كان يخطب له قبل قدومنا اللهم اصلح الملك بلطوار (بلكوار) ملك بلغار
فقلت له ان الله هو الملك ولا يجوز ان يخاطب بهذا احدا سيما على
المنابر وهذا مولاك امير المؤمنين قد رضي لنفسه ان يقال على منابره
فى الشرق والغرب اللهم واصلح عبدك وخليفتك جعفر الامام المقتدر
بالله امير المومنين فقال كيف يجوز ان يقال قلت يذكر اسمك واسم
ابيك فقال ان ابي كان كافرا وانا ايضا ما احب ان يذكر اسمي اذا كان
الذى سماني به كافرا ولكن ما اسم مولاى امير المومنين قلت جعفر
بن عبد الله قال فيجوز ان نسمى باسمه قلت نعم فقال قد جعلت اسمى
جعفرا واسم ابي عبد الله ويتقدم الى الخاطب بذلك وكان يخطب اللهم
واصلح عبدك جعفر بن عبدالله امير بلغار مولى امير المومنين قال

ورأيت فى بلده من العجائب ما لا احصيها كثرة منها (١) كذا ومنها قصر (٢) الليل جدا ومنها طول النهار جدا وذلك فى اول الصيف وعكسه فى الشتاء قال وحدثنى الملك ان وراء بلده بمسيرة ثلاثة اشهر قوم يقال لهم ويسو الليل عندهم اقل من ساعة قال ورأيتهم يتبركون (يتفألون) بعواء الكلب جدا ويقولون فى سنة خصب وبركة وسلامة ورأيت الحيات عندهم كثيرة حتى ان الغصن من الشجرة ليلتف عليه عشرة منها واكثر ولا يقتلونها ولا تؤذيهم ولهم تفاح اخضر شديد الحموضة جدا يأكله الجوارى فيسمن وليس فى بلدهم اكثر من شجر البندق ورأيت منه غياضا يكون اربعين فرسخا ورأيت لهم شجر (٣) لا ادرى ما هو مفرط الطول وساقه اجرد من الورق ورؤسه كرؤس النخل له خوص دقاق الا انه مجتمع يعمدون الى موضع من ساق هذه الشجرة يعرفونه فيثقبونه ويجعلون تحته

(١) كناية من حكاية خرافية تركتها لذلك وكنيت عنها بذلك وهى انه قال من ذلك ان اول ليلة بتناها فى بلده رأيت قبل مغيب الشمس بساعة افق السماء وقد احمر احمرارا شديدا وسمعت فى الجو اصواتا عالية وهمهمة فرفعت راسى فاذا غيم احمر مثل النار قريب منى فاذا تلك الهمهمة والاصوات منه واذا فيه امثال الناس والدواب واذا فى ايدى الاشباح التى فيه قسى ورماح وسيوف اتبينها واتخيلها واذا قطعة اخرى مثلها ارى فيها رجالا ايضا وسلاحا ودوابا فاقبلت هذه القطعة على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة ففزعنا من هذه واقبلنا على التضرع والدعاء واهل البلد يضحكون منا ويتعجبون من فعلنا قال وكنا ننظر الى القطعة تحمل الى القطعة فيختلطان جميعا ساعة ثم يفترقان فما زال الامر كذلك الى قطعة من الليل ثم غابت فسألنا الملك عن ذلك فزعم ان اجداده كانوا يقولون هؤلاء من مؤمنى الجن وكفارهم يقتتلون كل عشية وانهم ما عدموا هذا مذ كانوا فى كل ليلة اه وقد نقلها فى ترجمة عجايب المخلوقات عنه على انه رآها فى بلاد بحاناك والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

(٢) تركنا تفصيله لكونه معلوما لاربابه ولمخالفة الواقع . منه عفى عنه .

(٣) قلت ان شجر الخلنج بهذه الكيفية يخرج منه اذاثقب فى اوائل الربيع شراب لذيذ ولكن شجر الخلنج معروف وكثير فى تلك الديار بحيث لا يمكن خفاؤه لمثل احمد بن فضلان المدقق عن اصل كل شىء كما قال الفاضل المرجانى وايضا لا اظن انه يسكر وليس هناك شجر غيره على الوصف المذكور والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

الحكومات الصغار الروسية بالحكومة الموسقوفية حتى صارت ترى فى عيون التتار ايضا كالحكومة المستقلة وصارت لا تطيع مماى ولا تؤديه الجزية التى كانت تؤديها اولا اغترارا بذلك الاقتدار **قلت** لم يكن اغتراره بذلك الاقتدار فقط بل كان جل اغتراره بوقوع الاختلال والاختلاف القوى بين التتار وظنه حلول وقت اخراج رقابهم من رقبة التتار الذى كانوا يتر صدونه منتصار وا محكومين عليهم **قال** فبعد ذلك اظهر له العداوة والعصيان واراد ان يستولى على ممالك بلغار وقزان زعما منه انه تحصل له قوة عظيمة فى مقابلة مماى بالاستيلاء على هاتين البلدتين المعمورتين الغنيتين ففى خلال سنة **١٣٧٦** م مصادفة سنة **٧٧٨** ه ارسل واحدا من امرائه الكبار يسمى ديمترى بن ميخائل الواليسكى بعساكر الروس نحو قزان فلما سمع ذلك من باطراف قزان من التتار خرجوا للقائهم واستصحبوا معهم ابلا بقصد اخافة خيول الروس بها فوقعت بين الفريقين محاربة شديدة فانهزمت التتار (يعنى لقلتهم وعدم استعدادهم) واسرت الروس اثنين من امرائهم يسمى احدهما حسنا والثانى السلطان محمودا واحرقت سفينتين لهم ثم اطلقهما القائد المذكور بعد ان اخذ منهما العهد والميثاق (بصلح الروس) واستلم منهما خمسة آلاف روبلة (يعنى الفدا) وادخل القزان وبلغار فى طاعة ديمترى ابن ايوان حاكم الروس ونصب بها عاشرا من طرف الروس ورجع الى بلاده اه **قلت** وكان البلغاريين كانوا نائمين ما كان يخطر ببالهم ان الروس تفعل منه الافاعيل زاعمين ان الزمان يدوم لهم وكانوا يتعجبون من جسارة الروسية ويرونها مثل اللعب ولم يدروا ان مسالمتهم وعدم محاربتهم ايامهم ايام شوكة دولة التتار انما كانت لضرورة العجز عن مقاومتهم وهم كانوا ينتهزون الفرصة ويستعدون للوثبة من غير امهال متى وجدوا الفرصة كما قال الشاعر شعر:

ان العدو وان ابدى مسالمة * اذا رأى منك يوما غرة وثبا *

قوله ورأيت فى بلده من العجايب مالا احصيها حكاية خرافية وكنيت عنها بقولى منها كذا وهى مع كونها خرافية نقلها فى ترجمة عجايب المخلوقات عن احمد بن فضلان على انه رآها(١) فى بلاد بجاناك لا فى بلاد بلغار كما اشرنا الى ذلك عند ذكر بجاناك وكذلك اخذ القلنسوة من الرأس عند مرور الملك وتعليق العاقل على الخشبة نسبها فى الترجمة المذكورة الى قوم آخر بحسب بلغار وماك تعريب عبارتها وفى وراء بلغار قوم من الكفار اذا رأوا ملكهم يأخذون قلانسهم من رؤسهم واذا كان فيهم رجل عاقل ذكى يربطون الحبل برقبته ويعلقونه على شجرة ويقولون انه يصلح لخدمة ربنا فيموت هناك اه وهذا هو الصواب فان اهل بلغار لما اسلموا كيف يفعلون مايغاير الشريعة ولاسيما ان الاسلام فيهم غض طرى والظاهر ان هذا القوم هم الجواش والقصور فى نقل الحموى وظنى ان اختلاط النساء بالرجال وقت الاغتسال هو عادة الجواش الذين بقوا على الجاهلية فان الحالة المذكورة لاتناسب المسلمين خصوصا عند كون الاسلام عندهم اعز والذ من كل شىء والله سبحانه اعلم بالصواب * وهذا القدر هو الذى اطلعنا عليه من احوال هؤلاء الرسل ولم نطلع وراء ذلك على شىء من احوالهم وعددهم واصنافهم واساميهم وانهم ماذا صنعوا هناك وكم بقى منهم هناك وكم رجعوا ولكننا نعرف بقينا بموجب طلب الملك انهم بينوا سمت قبلتهم ووضعوا محاريبهم على وجه تقتضيه مواقعهم بعد تحقيق طول بلادهم وعرضها حسبما تقتضيه القواعد الفلكية قيل انهم وجدوا سمت قبلتهم مائلة من نقطة الجنوب الى طرف الغرب بنحو اربع عشر درجة مع ان هذا القائل يقول ان طول مكة عزى وطول

(١) وتعريبها انه قال رأيت فيها يعنى فى بلاد بجاناك اذا غربت الشمس يحمر الافق ويسمع عقبه اصوات مخوفة مهولة وتظهر بعد ذلك غيوم سود ويظهر فيها فرسان بايديهم السيوف فيقابل بعضهم بعضا ويقتتلان مقدار ساعة ثم يفترقان فسألت القوم المذكور عن هذه الحالة قالوا سمعنا اباءنا يقولون انها عسكر الجن ولا ندرى غير ذلك اه انظروا الى تفاوت مابين التعبيرين . منه عفى عنه .

الروسية انفسهم من رفية التتار باجراء محاربة حقيقة اه **قلت** قد اعترف هذا المورخ نفسه بان هذه المحاربة لم تكن محاربة حقيقة بل كانت من قبيل غارات اللصوص لتشفى الصدور مع الخوف الشديد من هجمات التتار وانما صدر هذا الفتو ايضا لاجل الاختلال الشديد بين التتار وهو الاختلال الذى قضى عليهم بالتشتت والتفرق **وقال** فى اثناء بيان وقائع سنة ١٤٣٠ م مصادفة سنة ٨٣٤ ه ان الكناز واسيلى الثالث ابن الواسيلى الثانى ارسل عساكر الروس تحت قيادة احد امرائه وهو فيودر بن داويد الى بلغار وولغا وقما فرجعوا بغنائم واسارى كثيرة اه **قلت** وكانت هذه الوقعة حين وقوع الاختلاف بين الوغ محمد خان وبين بعض اقاربه بسراى كما سيجيىء ذكره وكانت جسارتهم هذه استفادة من هذا الاختلاف وهذه الوقعة هى آخر وقائع بلغار فيما اطلعنا عليه ولا ذكر لها فى التواريخ بعد ذلك ولذا قال بعضهم انه خربها الروسية فى هذه النوبة بالكلية **ولعل** هذا القول اقرب الى الصحة والصواب * **والمشهور** عند العوام انه خربها تيمرلنك وليس بصحيح فان آخر طروقه على تلك الديار انما كان فى سنة ٧٩٨ على ما سيذكر فى محله انشاء الله تعالى وهاتان الوقعتان الاخيرتان بعد تلك السنة كما عرفت مع انه لم يذكره احد ممن تصدى بيان وقائع تميرلنك لا هو نفسه ولا غيره مع بيانهم سائر المدن التى خربها فى سفرته الاخيرة ومع بيان الميرآخوند وصوله الى موضع لا يغيب فيه الشفق * **والحق** انه لم يتجاوز حدود سراى فى واحدة من وقائعه فى تلك الديار ولم يضع قدمه المشؤمة المنحوسة فى بلاد بلغار وذكر كارامزين رجوعه فى سفره الاخير من حدود سراطاو **وانما** انتشر ما اشتهر بين العوام من تخريبه اياها من خرافات خصام الدين المسلمى الذى هو اجرأ مخترعى الخرافات واشجع مختلقى الجزافات. **وقال** بعضهم انه خربها الروس حين استيلائهم على قزان وهذا ايضا ليس ببعيد عن صوب الصواب لجواز ان يبقى فيها بقايا بعض العمران من التخريب الاول ويسكن فيها بعض الناس خصوصا الضعفاء منهم والمساكن وان تفرق

اكثر اهاليها فيخربون تلك البقايا بعدا سنيلائهم على قزان ومع ذلك ذكر لى بعض الثقة من اصحابنا نقلا عن رحلة بعض سواح الانكليز بقاء نحو سبعين اثرا من الآثار الباقية من ابنية بلدة بلغار حين قدم اليها بطر الاول مجدد دولة الروسية الشهير ثم هدم تلك الآثار الباقية بعد ذلك بسنين الاسقف لوقا القناشى الروسى المعاند المتعصب الذى ذاق المسلمون من يده اذا واضطهادا كثيرا على ماسيذكر فى المقصد الرابع فلم يبق فيها سوى بعض الآثار الناقصة والظاهر ان القرية الروسية الموجودة الآن هناك انما حدثت فى وقعة لوقا المذكورة من الآثار الباقية هناك الآن اثر الخندق المحيط بالبلد وله مبدأان من ساحل الاتل القديم على ماهو المشهور بين الناس شرقى وغربى ومسافة الساحل المذكور بينهما ازيد من ويرست روسى وهو ممتد الى جهة الجنوب على مسافة ويرستتين تقريبا ويذهب هناك طريق يقال له طريق نوغاى وفى منتهاه آثار حرابة وبناء خراب فى خارج الخندق يقال له بالروسية غور ديشه بمعنى البليدة يقال ان دورة الخندق ثمانية ويرست روسية يعنى فرسخ واحد وبين القرية والبليدة المذكورتين مزارع وحقول ولاشك انهما موضع البلد سابقا ولذلك شاع بين الناس وجدان دفائن وظهورها وقت الحرث وكراب الارض ومنها موضع بناء كبير فى وسط القرية المذكورة طوله من الجنوب الى الشمال III قدما وعرضه من الشرق الى الغرب ٩٨ قدما وقد سقط جدرانها الاربعة بحيث لم يبق منها الامقدار قامة من الخارج وفى زواياه الاربع بقايا جدران المنائر الاربع يكون سمك مابقى من كل منها مقدار عشرة اذرع وبين كل منارتين منها اثر جدارين مبنين من خارج لاحكام البناء وفى كل واحد من الجدار الشرقى والغربى موضعى الباب اوالمنور اعنى الطاقة وفى داخلها آثار السوارى والعمد وبعض آثار الحجر المتصلة بالجدار وفى الجدار الشمالى موضع الباب الكبير وفى يمين الداخل منه اثر منارة كبيرة يقال انها كانت موجودة قبل هذا الوقت بخمسين اوستين سنة اعنى فى حدود سنة (١٢٧٠)ه اخبر واحد من

القرية المذكورة انها كانت موجودة فى صغره وكان برى مدينة قزان من رأسه وغلظ الجدار ذراعان الاربع ذراع وفى جانبه الشرقى قبة وكانت حين زرت خرابة بلغار فى سنة ١٣٢٥ مقفلة وكان مفتاحه بيد القسيس فارسلت اليه اطلب المفتاح فلم يصادفه الرسول فى البيت الان زوجته ارسلته مع ولده ففتح فاذا فيها اصنام وصور فسألته عن اصل القبة المذكورة فقال سيركوا ايكونيك نيقولاى بلغارسكى يعنى كيسته المقرب نيقولاى البلغارى وقال كان فيه حجر طويل مكتوب طوله ثلاثة اذرع قد حملوه الى قزان واودعوه فى دار الفنون فيها فالظاهر انها اعنى القبة المذكورة مقبرة الخوانين وفى الجانب الشمالى من الخرابة المذكورة قبة كبيرة قطرها من الداخل ٢٨ قدما والمشهور بين المسلمين هناك انها محبس الان ولد القسيس وواحد غيره من الروس قالالى انها مخزن الخوانين ومنها قبة ثالثة فى الجهة الجنوبية من الخرابة المذكورة قاعدتها من الخارج ٣٦ قدما و حمنا سمكه مابين (١٨ و ٢٠ ذراعا وهى مشهورة عند الروس بالحمام او القصر الاسود وعند المسلمين بالمدرسة وفيها الرؤس وسائر عظام الموتى والاحجار المكتوبة وسائر الآثار الخارجة من موضع بلغار كتب فى واحد من تلك الاحجار هكذا تاريخ جيات جوز جيرم جيات جال ات يعنى كان التاريخ سنة ٧٢٧ وفى بعضها كتب لفظ شيخ الاسلام بخط جيد وفى بعضها بلغار ليغ بلمش بخط جيد وفى شرقى هذه القبة منارة مشهورة بالمنارة الصغيرة طلعنا على رأسها من باطنها وعدد درجاتها بعد الدخول من باب المنارة ٤٨ درجة وقد غطوا رأسها بالالواح فى هذه السنين الاخيرة وفى قربها من جهة الغرب قبو رشهيرة عند اهالى تلك الديار بقبور الصحابة الذين اسلم اهل البلغار على ايديهم فى زعمهم وقد عرفت تاريخ اسلام اهل البلغار فيما قبل ولا يبعد ان تكون قبور الذين اسلم اهل البلغار على ايديهم فى التاريخ المذكور وفى جهة الشمال من القبور المذكورة بقية بناء يقال انه بناء بنى على قبر شخص اسمه

خواجه بيلام (١) وهذه هى الآثار الباقية الآن وكل واحد منها محيطباعواد شبه الشبابيك من طرف جمعية الآثار العتيقة وهذه صور تلك الآثار ورسومها مكتوب تحت كل منها اسمها وعندى سوى ماذكر رسم بناء آخر مكتوب تحته بالروسية بانه محكمة اوقصرا بيض موضعه فى جهة الجنوب الغربى من القرية المذكورة وهو خراب الآن وفى منتهى رأس الخندق من الشمال الغربى عين ماء راكدة جيدة الماء جدا واهل القرية يستقون كلهم * تنبيه وهذا الذى بينا من كون بلدة بلغار فى الموضع الذى بيناه هو المشهور بين الناس قاطبة قديما وحديثا ولم يكن فيه اختلاف قط وقد حدث الآن قول آخر وهو كون بلدة بلغار فى موضع شهير ببيلار وهو فى منابيع نهر چرمشن فى الجهة الشرقية من البلغار المشهورة وبينهما مسافة ٩٠ ويرست روسى اعنى احد عشر فرسخا وربع فرسخ ولعل دليل من قال به ما وقع فى كلام ابن فضلان نقلا عن ملك بلغار ان بين بلغار واتل مسافة يوم واحد ومسافة ما بين البلغار المشهورة واتل ليست كذلك بل هى مقدار اربعة اوخمسة ويرست روسى من الاتل الموجود الآن واما اذا صح ما اشتهر بين كافة الناس من جريان الاتل من تحت بلدة بلغار فى سالف الايام فلا مسافة بينهما قط وهو اعنى جريان الاتل من تحت البلدة المذكورة صحيح لامجال للانكار عليه فان مثل تلك البلدة العظيمة كيف تبنى على موضع لاماء فيه ووضع الموضع المذكور اعنى موضع الاتل على ما هو المشهور شاهد عدل وناطق بلسان حاله على كونه مجرى الماء فى وقت من الاوقات الا ان نقول بجريان شعبة من نهر چولمان (قاما) منه ومراد الملك بمسافة اليوم مسافة بعض اليوم ومثل هذا شائع فى الكلام ولعل هذا هو الصواب والا فلا وجه للعدول عما اشتهر بين الجمهور مدة قرون متطاولة متشبثا

---

(١) ويمكن ان يكون اصله بيلار فيحرمونه الى بيلام لانه قدم فى بعض النقول السابقة ان اسم الشخص الذى اسلم ملك البلغار واهلها على يده بيلار. منه عفى عنه .

باذيال اداة ضعيفة ومع ذلك فلاشك كون بيلار ايضا من مدن بلاد بلغار ذا اهمية ويستخرج منها الى الآن آثار قديمة وقد كشفوا الى الآن مواضع مقدار اربعين مدينة من مدن بلغار ولا اظن انها تقف الى هذا الحد فقط وقد عرفت ما في كلام ابن فضلان من وجود عدة ملوك في تلك النواحي واظن ان ابن فضلان ذكر في رسالته مواضع مملكة هؤلاء الملوك ومواضع بلادهم واساميها وعدد نفوسها ولو تخمينا كما فعله غيره من السواح والافلاطمية لرسالته وقد ذكر الميرالآي رتيخ الروسي في كتابه اخذه من الرسالة المذكورة مع شرحه للمحرر فرن ووجودهما في خزانة الكتب بكلية قزان فعلى اصحاب الغيرة من الشبان الذين يحسنون اللغه والكتابة الروسيتين بمراجعتهما وترجمتهما ولعلنا نستفيد ايضا من موائد فوائدهم ومن الله التوفيق والهداية والحاصل انها اعني بلدة بلغار خربة على كل حال منذ خمسة قرون وفي زاوية من موضعها على القول المشهور قرية روسية وقد يجيء الزوار لزيارتها ومشاهدة آثارها الباقية من اقطار شتى وخصوصا مسلمي تلك الديار للتبرك بمشاهدها والاسف على انه ليس فيها بيت مسلم يأوي اليه الزوار وانما ينزلون منازل اهل تلك القرية الروسية وربما يوجد فيها بعض المسلمين المقيمين في منازل القرية المذكورة بالاجارة فينزل الزوار منازلهم فهم يقومون بخدمتهم ومايحتاجون اليهم من المسكن والمأكل والمشرب مع انه لو قصد واحد او اشخاص من اصحاب الهمة وارباب الحمية والغيرة لبنى بيت للزوار وجدار جيد حول المسجد الخراب هناك حماية لموضعه من الاسترذال والاستهانة والتنجس بتحصيل الاذن في ذلك من طرف الحكومة وقد كتبت في ذلك لبعض ذوي الهمة فلم يحصل منه نتيجة - هذا وقد ذكر الفاضل المرجاني اسامي عدة اشخاص زعم انهم كانوا من ملوك بلغار وقد اضربنا عن ذكرهم صفحا لعدم استناده على مأخذ معلوم وعدم فائدة في ذكر شيء موهوم وقد ذكر الفاضل المشار اليه

ابياتا بالتركية للشيخ محمود افندى الداغستانى المتوفى بحاجطرخان فى مدح بلغار نثبتها هناللتبرك باثره رحمه الله تعالى .

وهى هذه ابيات

شهر بلغاره كوكل شويله اولبدر مشتاق * همه بلغار كور بنور كوزمزه يقين براق *
شهر بلغاره كوكل قيلمه برابر اصلا * مصر وشام ويمنى شهر خراسان عراق *
مكه طوفينه ديز رهرسنه حجاج نظام * مكه بلغارى مرآن طوف ايلمك ايدر مراق *
خضر اولوجهله مركشنه اولوب بلغاره * طشى ظلمت ايچى نور آب حياتى براق *
ديمه بلغاركه اوسر خدادر الحق * نور تجلى ده يصانبميدر طوق اوزره طاق *

والحق ان هذه الابيات صدرت عنه رحمه الله تعالى بطريق الذوق والحقيقة لا على سبيل صدورها على مذاق الشعراء يعرفه من له ذوق عن مشارب اهل الحقيقة وقد تمثلت بهذه الاشعار لبعض الشعراء حين زرت بلغار ١٣٢٥ سنة. اشعار:

ان كنت مثلى للاحبة فاقدا * اوفى هو آدك لدعةو غرام *
قف فى ديار الظاعنين ونادها * يادار ما صنعت بك الايام *
يادار اين الساكنون واين ذيا * ك البهاء وذلك الاعظام *
يادار اين زمان ربعك مونقا * وشعارك الاجلال والاكرام *
يادار مذ افلت نجومك عمنا * والله من بعد الضياء ظلام *
فلبعدهم قرب الردى ولفقدهم * فقد الهدى وتزلزل الاسلام *
فمتى قبلت من الاعادى ساكنا * بعد الاحبة لاسقاك غمام *
ياسادتى اما الفوآد فشيق * قلق واما ادمعى فسجام *
والدار مذ عدمت جمال وجوهكم * لم يبق فى ذاك المقام مقام *
لاحظ فيها للعيون وليس للا * قدام فى عرصاتها الاقدام *

فصل فى ذكر من اطلعنا على بعض احوالهم واساميهم من علماء بلغار **اعلم** ان من تأمل فى احوال اهل بلغار وتمدنهم وتقدمهم فى المدنية بشهادة اعدائهم على ما وقفت عليه اثناء بيان ما حرباتهم لابرتاب فى وجود كثير

من العلماء والفضلاء فيهم فى جميع القرون السالفة ولكن من سوء حظنا لم نظفر منهم على شيء من الآثار ولم يصادف نظرنا شيئًا منهم من الاخبار فلا يمكننا الوقوف على احوال هؤلاء الاخيار الا ما ندر منهم فى اثناء تراجم احوال علماء سائر الامصار ومن العجب ان اهالى تلك الديار مع وجود كبار العلماء فيهم لم يكن لهم من القديم رغبة فى التأليف والتصنيف وابقاء الاثار حتى يخلد ذكرهم فى بطون الصحائف على مرور الاعصار كما خلد ذكر غيرهم من علماء الامصار والفضلاء الاخيار والصلحاء الابرار وحيث كانت تلك القطعة فى نهاية المعمورة والمسكونة من قطعات الارض ومنقطعة عن سائر بلاد الاسلام بالكلية لم تكن مطروقة للعلماء المعتنين بكتابة الآثار والفضلاء المهتمين بجميع الاخبار من كل الديار وتحرير التواريخ وتراجم احوال الاخيار فلم يكن لهم اختلاط بهم ولا اطلاع على احوالهم حتى يدرجوا اساميهم وذكرهم فى تواريخهم وتراجمهم ولذلك بقيت احوالهم محتجبة بحجب الخفاء بل اندفنت فضائلهم واساميهم معهم فى القبور بل صاروا هباء بحيث لا مطمع فى الوصول الى شيء من خبرهم او الحصول على نبذة بين اثرهم وكانهم من القديم كانوا تابعين لاهل ما وراء النهر فى جميع شئونهم وكانوا يكتسبون العلم والفضائل فيها ويكتفون بقرأة الكتب المصنفة هناك ومطالعتها من غيران يصنفوا شيئًا فى فن من الفنون كما ان اهل تلك الديار معتادون بهذه العادة الى الآن وان لم يبق فى ما وراء النهر شيء من علومها وفضائلها وكمالاتها القديمة وقد بلغ عكوفهم على آثار الغير مبلغا تراهم يسخرون ويستهزؤن بمن تصدى منهم للجمع والتأليف وان كان شيئا يسيرا زعما منهم ان امر التأليف محرم على جنسهم بل مستحيل منهم ومع ذلك ربما يوجد فى كتب العلماء بعض النقول عن علمائهم اوذكر من له تصنيف فى فن من الفنون من المتقدمين منهم والمتأخرين قال العلامة السيد مرتضى الزبيدى فى كتابه تاج العروس شرح القاموس فى مادة البلغار وقد نسب اليه جماعة

من المتأخرين اه وقد سبق فى كتابنا هذا ايضا ذكر يعقوب بن النعمان قاضى بلغار مرارا وان له تاريخا فى احوال بلغار وانه مفقود الآن وان أبا عبدالله الغرناطى لقيه فى بلغار سنة ٥٣٠ ونقل عنه بعض الاخبار وان ابا حامد الاندلسى نقل عن تاريخه وعده من اصحاب امام الحرمين ارخ المرجانى وفاته تارة سنة ٤٥٠ وتارة سنة ٥٥٩ وقد ذكر الفاضل المرجانى فى تاريخه عدة اشخاص منهم وانا اذكرهذا من ذكرهم المرجانى ومن ظفرنا بذكره من غيرهم سواء كان فى الاصل منهم او من غيرهم ولكنه اقام فيما بينهم ولا اعتماد لنا فى ذلك الاعلى الظن والتخمين فى اكثرهم وان كانوا فى حد انفسهم قليلين فاول من ظفرنا بذكره فى التواريخ الفيلسوف انخرسيس اواناخريست التتارى ولا اتيقن انه منهم او ممن فى حواليهم ولكن لا شبهة فى كونه من الترك والتتار المقيمين فى تلك القطعة (١) المذكورة اعنى بها القطعة المسماة الآن بالروسية الجنوبية التى جرت بها احكام البلغاريين فى بعض الاوقات مع ما مر من بيان تسمية تلك القطعة الى منتهى المعمورة الشمالية كلها باسكيتيا فيمكن ان يكون منهم وعلى كل حال لا يجوز ترك ذكره هنا واهماله وهو الذى وعدنا بذكره هنا اثناء بيان حكماء الاتراك وبيان قوم اسكيت وسيتيا الخ الذين هم قدماء الترك والتتار حين نقلنا ما قاله كارامزين فى حق اسكيت وذكره بعنوان اناخريست فتنبه وانا انقل ترجمة احواله هنا من تاريخ الفلاسفة المترجم من الفرانساوية الى العربية من طرف الفاضل السيد عبدالله افندى المصرى المطبوعة فى مطبعة الجوائب بالاستانة بعبارته حرفيا من غير تغير حرف (٢) منها قال فيه جاء هذا الفيلسوف فى مدينة اثينا (٣) فى الاولمبياد السابع والاربعين وقتل بعدان رجع الى

(١) فان قدماء الاتراك والتتار المختلطين بقدماء اليونانيين هم المقيمون منهم فى تلك القطعة وقد صرح كارامزين بكونه من اسكيت آوروپا منه عفى عنه.

(٢) ولو كان خطأ من جهة العربية، منه عفى عنه.

(٣) لعب مخصوص باليونانيين بين اللعبين منه مدة اربع سنوات وقيل انه دور مدة اربع سنين فيكون مبدأوه قبل قدومه الى اثينا سنة ١٨٨. منه عفى عنه.

بلده بمدة قليلة من الزمن ويقال انه ظهر فى عصر جماعة كثيرة من أعظم الفلاسفة المتقدمين وكان انفرسيس تتارى (١) الاصل وكان محترما بين الحكماء غاية الاحترام وكان اخوه يسمى قد ويداس ملك بلاد التتار وكان ابوه يسمى اغنو روس وكانت امه يونانية فلذلك كان جامعا بين اللغتين وكان فصيحا ذانشاط فى كل شيء يعانيه ويتعلق به وكان يلبس فى اغلب اوقاته ثيابا عريضة طويلة مرتفعة الاثمان جدا وكان غذاؤه خصوص اللبن والجبن فقط وكان سريعافى خطبه مع اختصار دقيقافى الفاظه وعباراته ولاجل كونه لا يسام من مطلق شيء يزاوله ويعانيه كان كلماتعلق بامر من الامور أتمه واكمله وكانت سليقته البلاغة والسرعة فى الكلام وكانت عباراته تستعمل كالامثال فكان اذاماثله احد فى النطق بمثلها يقال ان فلانا يتكلم بعبارة تتارية وقد رفض انفرسيس سكنى بلاد التتار وعزم على السكنى بمدينته اثينا فحضر فى تلك المدينة فذهب الى بيت سولون (٢) (اوّل فلاسفة اليونان فعلم ان التتار كانت لهم ايضا فلاسفة فى عين ذلك الوقت وان لم ينقل الينا آثار غير صاحب الترجمة واخبارهم) وقرع الباب فجاءه شخص يفتح له الباب فقال له اخبر سولون بان من فى الباب اتى بقصد زيارته والسكنى

---

(١) وانما قال انه تتارى الاصل ولا شك انه فى الاصل المترجم عنه منسوب الى اسكوتيا كما ذكره كارامزين لما مر مرارا ان اسكوتيا ونظائره مرادف عند اليونانيين والافرنج للتتار وانهم قد ماء التتار. منه عفى عنه.

علم من ذلك انه لم يترك عادة قومه واهله فى اللبس والاكل ويقال لتلك العادة ملية عكس ما نشاهده الآن من سفهاء بلادنا من تغيير زيهم وعادتهم وقياتهم بمجرد قدومهم الى مملكة الاجانب لاخذ العلوم وكسب المعارف فلا يأخذون شيئا سوى تغيير الزى وتبديل القيافة ويزعمون انهم لم يتركوا شيئا من المعارف الاحازوها ولكن الفيلسوف المذكور اخطأ فى شيء كان ينبغى له ان لا يخطأ فيه وهو اخذه اعتقاد اليونان الباطل من عبادة الصنم وتركه اعتقاد قومه الذى هو التصديق بالله الواحد القهار. منه عفى عنه.

(٢) فيكون فى القرن السابع قبل الميلاد فان ولادة سولون على ما فى تاريخ الفلاسفة سنة اربعين وستمائة قبل الميلاد والظاهر من قرائن احوالهما انهما متقاربان فى السن والعمر فدل ذلك على وجود الفلاسفة من الترك والتتار فى العصر المذكور بل قبله كما لا يخفى . منه عفى عنه .

عنده مدة من الز من فارسل سولون يقول ان الانسان لايمكنه قبول الضيوف الابلده او بمحل يكون له فيه التصرف فلما سمع انخرسيس ذلك دخل في البيت وقال يا سولون انت في بلدك وفي بيتك الخاص بك فحينئذ عليك ان تقبل الضيوف فخذ في اسباب الصحبة معي فتعجب من فصاحته وحصل له غاية السرور من ضيافته وعقد معه الصحبة واستمرا على الصحبة والمودة الى آخر عمرهما وكان انخرسيس يحب نظم الاشعار فلذلك نظم (١) جميع قوانين بلاد التتار وضم لذلك منظومة في علم الحرب وكان كثيرا ما يقول شجرة الكرم ينشأ عنها ثلاثة اشياء السكر والخط والندم * وكان يتعجب كثيرا من مجالس آثينا العمومية وذلك ان الحكماء هم الذين يفيدون الاحكام ولايجريها الا الحمقى * وكان يعجب ايضا من الحكم بالعقاب على من حصل منه سب لاحد ولو اقل قليل ولا يلتفتون لمن يحصل منه أعظم من ذلك كاصحاب الالعاب من سبهم الاعيان وغيرهم في العابهم بل يحترمونهم ويكرمونهم * وكان يتعجب ايضا من اليونان في موائدهم حيث يشربون في ابتداء الاكل بالكاسات المتوسطة بين الصغر والكبر وفي آخر الاكل يشربون في الكاسات الكبيرة مع احساسهم بمبادي السكر * وكان لايمكنه ان يتحمل المزح ونحوه مما شأنه ان يكثر صدوره في الولائم * وسألوه ذات يوم كيف العمل في منع الانسان من شرب النبيذ فقال لهم لم يوجد في ذلك طريقة احسن من ان يجعل امام ذلك الانسان شخص سكر ان فيذهب عنده ويختلي معه ويتأمل في احواله * وسألوه ايضا ذات يوم هل في بلادك الآت موسيقى فرد عليهم تبكيتا لهم وقال بل ولا العنب وكان يسمي تدليك المصارعين بالزيت حين اراد تهم اللعب تجهيز الجنون العظيم * وقد تامل ذات يوم ثخن الواح سفينة فنادوه با على صوته وقال ان المسافرين في السفينة ليس بينهم وبين الموت الامقدار اربعة اصابع * وسألوه

(١) قلت ياليتها نقلت الينا حتى نفتخر بها ولعلها موجودة عند الاوروباوين . منه عفي عنه .

ايضا عن آمن اسفن فاجاب بانهاهي التي تأتي الى البرسالة * وكان دائما يكرر ويقول يجب على كل انسان ان يمتلك لسانه وبطنه وكان عند نومه يضع يده اليمنى على فيه وهذا منه اشارة عظيمة الى ان ينبغي للانسان ان يهتم الاهتمام الكلي ويحرص على حفظ لسانه وصونه * وجاءه رجل من آثينا وعيره بكونه من التتار فقال له ان بلدني (١) قد فضحتني وانت قد فضحت بلدك * وسئل ذات يوم هل في الرجال قبيح وحسن فاجاب بان فيهم اللسان وكان يقول الصديق الواحد الموفي بحق الصحبة والصداقة اولى واحسن من اصحاب متعددين لايجتمعون على الانسان الا في حال الثروة والغنى * وكان حين يسئل هل الاحياء اكثر ام الاموات يقول في الجواب من اى قبيل تعدون من فوق البحر * وكان يقول اتخذ الناس الاسواق لاجل غش بعضهم بعضا فيها * وكان ذات يوم مارا من زقاق فسخر به رجل بعقله تخدير فرمقه بطرفه وقال بهدو يا هذا الشاب انك الآن لا تتحمل النبيذ وانت شاب فسيمر بك تحمل (٢) الماء وانت شيخ هرم * وطالما شبه القوانين بنسج العنكبوت (٣) وكان يلوم سولون على دعواه ان كتابة القوانين تمنع شهوات الناس * ومن مخترعاته طريقة عمل اواني الفخار بالدولاب * وذهب انخرسيس ذات يوم الى كاهنة صنم هيكل الشمس ليستخبرها هل يوجد حكيم اعظم منه فقالت له نعم وهو ميزون الشانيسي

(١) قلت وحق العبارة ان يقول ان كان بلدي فضحني فانت قد فضحت بلدك وهذا كما قال الشاعر: يفاخرون باباء لهم سلفوا * نعم الجدود ولكن بئس ماولدوا * وقال آخر: ولست ابالى بعد ان ادرا كي العلا * اكان تراثا نيل ذلك ام كسبا * وقال آخر: وماسودتني عامر عن وراثة * ابى الله ان اسمو بام ولا اب * والاشعار في ذلك كثيرة وفي ذلك كفاية. منه عفى عنه .

(٢) هكذا في الاصل المنقول عنه والسياق يقتضي ان يقول لاتتحمل الماء الخ كما لايخفى . منه عفى عنه .

(٣) وهذا صادق في ملاحظته فان كتابة القوانين لاتمنع الناس من الغي كما نشاهده الآن في بعض الدول وانما يمنعهم اجراؤها من غير مراعات الخواطر كما في الدول المتمدنة. منه عفى عنه .

فتعجب انخرسيس من كونه لم يكن سمع به قط وذهب يبحث عنه في قرية كان هاجر اليها فوجده يصلح محراثه فقال يا ميزون لم يبق لحرث الارض وقت فقال ميزون قد عكست بل وهناك وقت لاصلاح المحراث المكسور وميزون هذا قد عده افلاطون من جملة الحكماء وكان منفردا دائما عن الناس ومضى عمره على ذلك لايجتمع مع احد لانه كان يكره الناس بالطبع ورؤى ذات يوم ابعد في مكان العزلة وهو يكثر في الضحك جدا فقرب منه انسان وسأله ما سبب هذا الضحك الكثير مع عدم وجود احد عندك فقال له هذا هو سبب ضحكي * وكان اكريسوس (١) قد سمع بصيت انخرسيس كثيرا فارسل يعرض عليه هديــة دراهم وترجاه ان يحضر اليه بساردس فاجابه انخرسيس بقوله ياسلطان الليديين اتيت بلاد اليونان لاتعلم اللغة والاخلاق وعوائد البلاد ولست محتاجا لذهب ولا لفضة وسيدخــل على (٢) سرور كبير حين ارجع الى بلاد التتار امهر مما كنت عليه وقت خروجي منها وما حضر عندك لاجل زيارتك لانى اتمنى ان اكون من (٣) اصحابك وبعد ان مكث مدة طويلة ببلاد يونان عزم على الرجوع الى بلاده فلما مر بسيره بمدينة قريبيك رأى اهلها في اشهار العيد العظيم لام الآلهة فنذر (٤) انخرسيس لهذه الآلهه على نفسه

---

(١) كان وقتئذ ملك قوم ليديانس وكان كرسي سلطنته بمدينة ساردس منه عفي عنه.

(٢) نعم لكان يحصل لك فوق ما تحليت لولا تعلمك وثينة يونان والحاصل ينبغي لكل من يتحمل مشاق الغربة وشدائد السفر لتحصيل الفضائل والكمالات ان يغتنم الفرصة وان يكون اقبال قومه اليه ونفعه اياهم بما اكتسبه من الفضائل نصب عينيه ومن مقتضياته الاجتناب عن الرذائل وسفاف الامور وكل ما يكرهه قومه كتعاطي شرب الدخان في عصرنا هذا وتغيير الزي والقيافة والا فليتيقن كونه مثل الفيلسوف انخرسيس هذا والمقصود من مطالعة التواريخ والتراجم الاعتبار واصلاح الاخلاق والله الموفق. منه عفي عنه .

(٣) ولاشك ان تمنيه هذا انما هو لكونه صاحب الفضائل والا لما يلتفت الى ارباب الفضائل كعمير عصرنا هذا. منه عفي عنه .

(٤) بئس ما رأى وبئس ما نذر وبئس ما عزم ياليته لم يره قط ولكن كان امر الله قدرا مقدورا فهذا ادل دليل على انه لايكفي العقل والدراية والفلسفة بمعرفة الله تعالى والالعرفه هذا الفيلسوف واضرابه حق معرفته . منه عفي عنه .

قربانا وعيدا مثل قربانهم وعيدهم وان يرتبهما لها ببلده فى كل سنة ان وصل الى بلاده سالما ، فلما وصل الى بلاده اراد ان يغير عوائدهم القديمة وان يجرى فيها قوانين اليونان فلم (١) يعجبهم ذلك اصلا ، ودخل ذات يوم فى غابة سرابيلدة (هوله) ليو فى ماعليه من النذر الذى التزمه خفية من غير ان يطلع عليه احد فاخذ يعمل المولد لها وهو ماسك بيده طبلة قدام القربان الذى نذره لآلهة اليونان كما يعملون فاطلع عليه شخص من اهل بلاد التتار فذهب الى الملك واخبره بذلك فحضر الملك فى هذه الغابة ورأى اخاه انخرسيس على تلك الحالة فضربه بسهم فغاص فيه فلما قرب خروج روحه صرخ وقال باعلى صوته قد تركت فى الراحة ببلاد اليونان التى كنت قد ذهبت اليها لاتعلم اللغة والاخلاق (٢) وعوائد بلاد ميلادى * ثم انهم جعلوا له عدة جملة صور بعد وفاته لتبقى سيرته (٣) من التاريخ المذكور بحروفه فان كان فيه شىء من جهة العربية فهو عائد الى المترجم لا الى قلت وهذا الذى عاب كارامزين قوم اسكيف به بان قال كما مرحتى ان وطنيهم الفيلسوف انا خريست الذى هو من تلامذة الفيلسوف سولون مارق حياته واتلف روحه لقيامه بتعليمهم قوانين ومعارف آثينا اه قلت واذا تأملت من اول ترجمة هذا الفيلسوف الى آخرها يرشدك الى ما عليه قوم اسكيف اى التتار القدماء من صحة الاعتقاد وطهارة الاخلاق وعدم الركون الى سفاسف الامور كشرب النبيذ وما يترتب عليه من المفاسد فكيف يقبلون مايدعوهم اليه من اخلاق

(١) وهذا الذى نقم عليهم كارامزين فتذكر . منه عفى عنه .

(٢) هكذا فى الاصل المنقول عنه ولايخفى ما فيه من النقصان ولعل الواو زائدة فيكون عوائد مفعول تركت ولايستقيم تركت على المبنى للمفعول لعدم استقامة المعنى فان عوائد لايستقيم عطفه على ما قبله كما لايخفى . منه عفى عنه .

(٣) تنبيه: قال رفاعة بك فى رحلته البارزية عند بيان ما قرأه من الفنون والكتب ثم كتاب رحلة انخرسيس الاصغر الى بلاد اليونان اه فهذا يدل على ان انخرسيس اثنان اكبر واصغر ولاادرى ان صاحب الترجمة هل هو الاكبر اوالاصغر وان الرحلة المذكورة لايهما ومعرفة ذلك مفوضة الى همة اذكياء الشبان من ارباب التحصيل . منه عفى عنه .

اليونان القبيحة وعوائدهم السيئة خصوصا عبادة الاوثان الذى لم يصدر عنهم قط من اول ما ظهروا الى عرصة الوجود الى ان تنوروا بانوار الاسلام وتولوا اموره وما يصدر من بعض الاوروپاويين ومن تبعهم منا من غير تحقيق من انهم كانوا قبل الاسلام يعبدون الاصنام وبعض منهم صاروا نصارى نسطورية لااصل له قط وانما هو من اشاعاتهم الكاذبة لترويج دينهم الباطل وليجبروا الاقوام الشرقية الى اعتناق النصرانية مستدلين بانهم كانوا نصارى قبل ذلك وقد بدأ الروس باجراء ذلك فى قرغز متمسكين باذيال هذه الحيلة منذ مدة مديدة ولكن لم ينفعهم ذلك يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولوكره الكافرون وانت قد علمت أن قتله (١) لم يكن لمحاولته تعليم قوانين اليونان بل لتعظيم الآلهة الباطلة وهم مصيبون فى ذلك لايتوجه اليهم اللوم قط بل هومدار المدح العظيم والثواب الجزيل من الله الكريم وقد مر ما له تعلق بهذا البحث وسيجيء ايضا ولاسأم من تكراره لتحقيق الحق وابطال الباطل لاللتعصب ومنهم الامام الخواجه احمد البرغرى ذكره الفاضل المرجانى وقال وربما يقال الشيخ احمد البرغرى وهو استاذ السلطان محمود بن سبكتيكن الغزنوى وقال فى الكشف الكبير شرح اصول البزدوى قال الشيخ الامام البرغرى وفى موضع قال الامام البرغرى وفى محل وفى الطريقة البرغرية وفى موضع آخر قال الامام البرغرى فى طريقته وفى فوائد الجواهر نقلا عن القنية وفى الجامع البرغرى الخ وفى بعض الكتب ذكر فى فوائد البرغرى كذا وكذا فهذه العبارات تدل باسرها على جلالة شأنه وعظم قدره ولكن لايجزم بان المراد بالبرغرى الواقع فى هذه العبارات كلها شخص بل يمكن ان يكون اشخاص

(١) نعم اننا لاننكر ترسخ اخلاقهم وعوائدهم فى طباعهم واستحسانهم ذلك ودعوتهم من اكتسب العلوم والفضائل فى اقطار العالم سنين عديدة الى التقليد بكريم حضرت وصلاح حضرت الى الآن الا ان امثال هذا موجودة فى جميع الاقوام ولذا قيل ترك العادة محال. منه عفى عنه.

بهذه المثابة والنسبة ونقل الفاضل المرجانى بيتين فارسيتين فى مدح الخواجه البلغار يقال انها رباعيا ودوبيت هكذا * رباعى:

خواجه ملغاركه او وافى اسرار بود * هركه شدبندهءاو برهمه سالار بود *
بشته وكوه وچنكل كر وطن اوست چه باك * لعل را قيمت ازانكه بكوهسار بود *

ولكن لايدرى هل المراد به هو الخواجه احمد المذكور اوغيره والظاهر انه مولان البدح بمثل هذا لايكون الالمثله والله سبحانه اعلم واما النسبة الى برغر فقد تقدم انه يقال لبلغار برغر وبرغار فلاتغفل ومنهم القاضى ابو العلاء حامد بن ادريس البلغارى ذكره الفاضل المرجانى ايضا وقال انه كان موجودا فى حدود سنة ٥٠٠ ذكره تلميذه سليمان بن داود السقسينى الآتى ذكره فى كتابه الذى سيذكر فى ترجمته ومنهم الشيخ سليمان بن داود السقسينى وهو تلميذ القاضى حامد ابى العلاء المذكور آنفا وله كتاب فى الوعظ سماه زهرة الرياض ونزهة القلوب المراض كذا ذكره الفاضل المرجانى فى تاريخه وقال فى كشف الظنون زهرة الرياض فى الموعظة الشيخ الامام تاج الاسلام سليمان بن داود السبتى كذا ذكره الواعظ (١) من تحفة الصلوات ترجمه من كتابه الفارسى المسمى ببهجة الانوار ونزهة القلوب المراض والحق به فوائد كثيرة ورتبه على سبعة وستين مجلسا وهو من الكتب المشهورة فى الموعظة لكنه ليس بمعتبر الا بحروفه ولا يخفى ما فيه من الخبط فى النسبة ومثل ذلك كثير فى كشف الظنون جل اوكله وقع من الطابع فله ثلاثة كتب بهجة الانوار وزهرة الرياض ونزهة القلوب المراض والمرجانى جعل الاخيرين كتابا واحدا وقال فى كشف الظنون بهجة الانوار من حقيقة الاسرار فارسى فى الموعظة للشيخ سليمان بن داود السوارى ثم عربه مع الحاقات وسماه نزهة القلوب المراض ثم زاد عليه وسماه زهرة الرياض

(١) مراده بالواعظ الشيخ حسين بن على الكاشفى الواعظ كما ذكره فى كشف الظنون عند ذكره تحفة الصلوات وقوله من تحفة الخ صوابه فى تحفة كما لايخفى. منه عفى عنه.

وقال فيه نزهة القلوب المراض للشيخ الامام سليمان بن داود المتوفى سنة (بياض) نقله من كتابه الفارسي المسمى ببهجة الانوار وهو على سبعين مجلسا اوله الحمدلله خالق البرية الخ ففي قوله ترجمه من كتابه المسمى ببهجة الانوار ونزهة القلوب المراض سابقا لا بد فيه سقطة كما لا يخفى وفى كون زهرة الرياض زائدة على نزهة القلوب المراض ايضا تردد فان الاولى مرتبة على (٦٧) بابا والثانية على (٧٠) فكيف تكون هى زائدة على الثانية فليحرر (١) ولم يذكر له تاريخا فعلى قول المرجانى يكون من علماء القرن السادس وقد رأيت فى مكة اوراقا متفرقة من كتابه زهرة الرياض بخط قديم بدأ كل مجلس بحديث يرويه بسند شيخه القاضى حامد المذكور كما ذكره المرجانى فى تاريخه ونقل عنه عدة احاديث ولنقل نحن ايضا واحدا منها قال فى ابتداء المجلس الاول حدثنا الشيخ الامام الاجل الاستاذ فخر الائمة غياث الامة شمس الشريعة قامع البدعة محى السنة زين المذكرين تاج المفسرين ابوالعلاء حامد بن ادريس القاضى البلغارى قدس الله روحه وعمر بالرحمة والراحة ضريحه قال حدثنا الشيخ الامام الاجل سيف الحق حسام الدين ابوالمعين ميمون بن محمد بن معتمد المكحولى النسفى رحمهم الله اجمعين باسناده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة الحديث وذكر فى سند الحديث الذى ذكره فى ابتداء المجلس العاشر بعد شيخه ابابكر محمد بن عبدالله السرخكتى وفى الثانى عشر ابراهيم بن اسماعيل بن محمد الحسن الحسينى الخ قال المرجانى ان ابا معين المكحولى النسفى توفى بنسف (٥٠٨) سنة (٢) واباكر محمد بن عبد الله السرخكتى توفى

(١) الا ان نقول ان مراده بالالحاق الالحاق على ما فى الابواب مع تنقيص الابواب اونحمل الامر على العكس ومثله كثير فيه وقوله السوارى افادنا العلم ان مدينة سقسين هى عين مدينة السوار والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

(٢) ومثله فى كشف الظنون عند ذكر التبصرة. منه عفى عنه.

(٥١٨)سنة(١) وزاد فى طبقات تيمية بسمرقند فيكون صاحب الترجمة فى اواخر القرن السادس وشيخه فى اواسطه والله اعلم وقد علم من ترجمتها ان علوم الدين خصوصا الاحاديث النبوية كانت مستعملة فى ديارنا وكان لها رواج فيها ولاهلها اعتناء بها فى تلك القرون السالفة كما انها كانت كذلك فى ماوراء النهر التى هى مرجع اهل ديارنا فى العلوم من القديم فانها اعنى بلاد ماوراء النهر كانت رياض علوم الدين قبل استيلاء الجنكزية عليها ثم بعد استيلا ئهم صارت تتقلص عنها شيئا فشيئا الى ان انتهت الى حالتها الآن من الاكتفاء بقراءة الديباجة من كتب السفسطة من غير اشتغال ببحث واحد من كتب الفقه فضلا عن كتب التفسير والحديث والاخلاق يضيع واحد منهم اربعين وخمسين سنة من عمره فى تقرير الترهات السوفسطائية فقط سواء كان فى بلادنا اوفى بلاد ما وراء النهر ثم يذكر بعد موته بالتقديس فانا لله وانا اليه راجعون الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد وقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون واكثر هم جاهلون متعصبون وليتهم اذ عدلوا عن تحصيل علوم الدين اشتغلوا بالفنون النافعة فى الدنيا والمعارف المفيدة كاهل الآوروپا بدل اشتغالهم بما لايعنيهم فى الدنيا والاخرة نسأل الله تعالى سبحانه ان يوقظنا من رقدة الغفلة ويبصرنا بعيوبنا التى عمت الملة آمين

ومنهم الشيخ برهان الدين ابراهيم بن خضر البلغارى قال المرجانى كتب فى آخر كتاب اصول الحسامى تم الكتاب بتوفيق الله تعالى وقت الظهر فى اليوم الثالث من شهر ربيع الاول ٧٥١ سنة احدى وخمسين وسبعمائة على يد العبد الضعيف الراجى رحمة ربه اللطيف ابراهيم بن خضر البلغارى المدعو بين اصحابه ببرهان رزقه الله علما نافعا وعملا كاملا

---

(٢) ومثله فى كشف الظنون مع بيان كون وفاته بسمرقند وذ قالبا فى طبقات التميمى. منه عفى عنه.

ومنهم الشيخ ابو محمد صدرالدين بن علاوالدين البلغارى قال الفاضل المرجانى وجد فى آخر نسخة من كتاب اصول البزدوى للشيخ ابراهيم بن الشيخ ابراهيم خواجه تلميذ صاحب الترجمة اجازة مكتوبة له من طرف شيخه المذكور قال فى آخرها وانا الداعى لكافة المسلمين ابو محمد صدر الدين بن علاءُ والدين البلغارى بصره الله عيوب نفسه وجعل يومه خيرا من امسه وكان ذلك فى اليوم الثانى والعشرين من شوال يوم الاحد سنة ست وستين وسبعمائة ومنهم الشيخ برهان الدين ابراهيم بن يوسف البلغارى ذكره الفاضل المرجانى ايضا وقال عدفى كشف الظنون شرح آداب الصحائف من تأليفه وقال فيه اى فى الكشف ايضا فصول النسفى فى علم الجدل شرحها برهان الدين البلغارى اوله الحمد لواجب ابدع بقدرته الخ وهل هما الشخص واحدام لشخصين قلت قال فى الكشف فى بيان اداب البحث وشرح برهان الدين ابراهيم بن يوسف البلغارى وهو شرح بقال اقول وله الحمدلله ذى الانعام الخ ومنهم الشيخ محمد البلغارى ذكره صاحب كشف الظنون حيث قال خزينة العلماء وزينة الفقهاء للشيخ محمد البلغارى وهو مختصر فى الموعظة اوله الحمدلله الذى لم يلد ولم يولد الخ اورد فيه من الاحاديث والآثار والحكم اه وذكرهناك فى حرف الميم مفردات البلغارى ولم يذكر غير ذلك ولاندرى فى اى عصر كان صاحب خزينة العلماء ومفردات البلغارى هل كانا من المتقدمين اعنى حين وجود سلطنة البلغار ام كانا من المتأخرين اعنى بعد انقراض سلطنة البلغار فان كثيرا من اهل قزان حتى الآن ينتسبون اليها ويقولون فلان البلغارى كما مر نقلا عن تاج العروس وانما اثبتنا هماهنا نظرا لظاهر النسبة وسيجيء من ذكرهم الزبيدى ممن كانوا فى عصره فى محله انشاءالله تعالى * باشقردناصر الدين الناصرى سمع من ابن علان جزء البطاقة وحدث به وكان اصله من مماليك(١) الناصر ابن العزيز

(١) آخرملوك التركية الايوبية بمصر . منه عفى عنه.

م تنقل فى الخدم وتأمر وكان من اكابر الفضلاء والامراء كثير العقل والفضل وله نظم ونثر ذكر عنه انه قال بقيت عشرين سنة لا اتكلم بالتركى حرصا على تقان اللسان العربى وكان قد سجن عقب كسرة الحمص فلما افرج عنه اعطى اقطاعا به فى طرابلس فتوجه اليها فلما وصل الى دمشق مرض من يوم وصوله فاقام عشرة ايام ومات بدمشق فى الثالث عشر من صفر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وقد اثنى عليه البرزالى والذهبى وذكراه فى معجميهما وكان ينظم الشعر فيقع له منه مايستحسن وقال ابن الزملكانى كان ينظم بالطبع لايتعاطى قواعد الشعر وكان جم المحاسن معمور الوقت بالفكر فى علم او عبادة اونظر وله اهتمام بطريق اولى المعارف وعنده عنهم فوائد ولطائف مع صدق اللهجة والكرم والعفة والسكون ومحبة المذاكرة اه من الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى قلت نعم المدح وحبذا الشهادة من هولاء الاعلام رحمهم الملك العلام واسكنهم فى دار السلام **علم الدين سنجر الباشقردى** قال الفاكهى فى تاريخ مكة اثناء بيان حوادث سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بين ابى نمى صاحب مكة وامير الحاج المصرى علم الدين الباشقردى كلام افضى الى ان اغلق ابو نمى ابواب مكة ولم يمكن احدا من دخولها الـخ وقال فى اثناء بيان حوادث سنة تسع وثمانين وستمائة بعد ذكر فتنة فى الحرم والذى حج بالناس مصر الامير علم سنجر الباشقردى اه ومنهم **القطب الكبير الخواجه حسن صلاح الدين بن عمر البلغارى** كان شيخا كبيرا فى وقته ذا حالات علية ومناقب سنية لقى مشايخ كثيرة واختص من بينهم بالشيخ سعد الدين الحموى المتوفى سنه ٦٥٠ وهو مريد الشيخ نجم الدين الكبرى قدس الله سره وقد قال فى الرشحات ان مولده فى نخجوان قصبة من بلاد اذربيجان اسره القفجق وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة واقام بينهم سبع سنين وتشرف بجذبة قوية فى سن ثلاثين فاختار السياحة ولقى المشايخ الكبار وسكن ببلغار تسع سنين وبخارى ثلاث سنين وبكرمان سبع سنين وسنة بمراغة تبريز

وتوفى بتبريز وعمره ثلاث وتسعون وذلك ليلة الاثنين الثانية والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بسرخاب تبريز انتهى وزعم بعض الناس انه ولد بقرية فى الشمال الغربى من بلدة بلغار تعرف الان بحسن شيخ وقد ذكر الفاضل المرجانى ان سبب تركه هذه الديار اعنى بلغار ان اعداءه اتهموه بفعل شنيع استحق به الرمى من المنارة فهرب الى بخارا والعهدة فى ذلك على الراوى ولا يبعد هذا الا مرمن اهل بلغار بالنظر الى عاداتهم الجارية الآن والله سبحانه اعلم وفى مدة اقامته ببخارا دخل خلق كثير من كبراء هذه الديار اعنى ماوراء النهر فى قيد ارادته منهم الشيخ عمر الباغستانى جد ناصر الشريعة الخواجه عبيد الله احرار قدس سرهما كما ذكر فى الرشحات وممن دخل فى سلك ارادته صدر الشريعة شارح الوقاية قال فى تعديل العلوم له ولقد حكى لى من لا يتهم بالكذب وهو شيخنا صلاح الحق والدين حسن البلغارى قدس الله روحه حكاية عجيبة عن وجدانه روحه الله فى بعض الاحوال الواقعة فذكرت فى المتن ماحكى وان كانت الحكاية لاتليق بهذا الكتاب رجاء ان ينتفع طالب الحق الذى لايعاند ولا يستهزىء باقوال الصادقين وقال فى موضع آخر من كتابه المذكور وقد يكون (١) انوار الوضوء والطاعات وقد بد البعض اصحابنا من مريدى الشيخ حسن البلغارى قدس الله سره نور الوضوء كهيئة النارنج يسعى بين يديه وقال فى آخره ولنختم الكلام بدعاء كان شيخنا صلاح الحق والدين حسن البلغارى قدس سره يواظب عليه وهو اللهم زين ظواهرنا بخدمتك وبواطننا بمعرفتك وقلوبنا بمحبتك واسرارنا بمشاهدتك وارواحنا بمعاينتك ياارحم الراحمين * قد مر ان الروح فى مقام المحبة يسمى قلبا وفى المشاهدة سرا وفى تجلى الذات روحا والحمد لله رب العالمين اه فهذا قد عرفت الاختلاف فى كونه من اهالى بلغار الاصلية اوالوارد اليها من خارج هذا ما اطلعت عليه من علماء اهل بلغار الاصلية واما الواردون اليه من الخارج فاولهم واعظمهم الشيخ احمد بن فضلان بن العباس بن

(١) اسم يكون ضمير مستتر فيه راجع الى نور قبله ذكر فى الكتاب المذكور . منه عفى عنه.

بن راشد بن حماد البغدادى مولى امير المؤمنين ثم مولى محمد بن سليمان كذا ذكره الحموى فى معجم البلدان وقد مر ذكره وبعض النقول عن رسالته بالواسطة فهو اقدم العلماء الواردين الى بلاد بلغار من الخارج فى الظاهر وان جاز قدوم غيره هناك قبله كمن صار سبب الاسلام اهل بلغار وملكها وان لم نطلع على حقيقته وقد اعترض الحموى على مواضع كثيرة من رسائله لافى الاخبار السماعية فقط بل فى اخباره العيانية كما الفته فى وصف الجليد انعقد فوق نهر جيحون وسمكه وقد ادعى فقدان رسالته فى عصرنا هذا كما مر وقد ذكر المحرر الامير الآى ر ينخ الروسى فى ديباجة كتاب له حرره فى تحقيق الآثار العتيقة انه اخذ من الرسالة المذكورة مع شرحها للمحرر فرن وانهما موجودان فى دار الفنون (اونيويرسنيت) بقزان الآن نقول انهما ترجمتها الروسية والمفقود عينها ذكر فيها كما تقدم عن معجم الحموى ان خروجهم من بغداد كان فى احدى عشرة ليلة خلت من صفر ٣٠٩ سنة ووصولهم الى بلغار مارين من بخارى وخوارزم وحامى طرخان الى بلغار فى اثنتى عشرة ليلة خلت من محرم سنة ٣١٠ ولم ادر متى رحل من بلغار ومتى توفى والله سبحانه اعلم ومنهم الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن سليمان الغرناطى صاحب تحفة الالباب ونخبة الاعجاب وقد نقل عنه اشياء فى احوال باشقرد وبلغار وذكر ملاقاته قاضى بلغار يعقوب بن نعمان فى سنة ٥٣٠ ارخ فى الكشف وفاته بانه كان فى نيف وستين وخمسمائة وقد طالعت كتابه المذكور فى الاستانة فى كتبخانة بايزيد الجديدة ومنهم الشيخ ابو حامد محمد بن عبد الرحمن الاندلسى صاحب كتاب المعرب فى عجايب المخلوقات وقد مر عنه ايضا بعض النقول بالواسطة وقد قيل انه دخل ايضا فى بلغار سنه ٥٢٩ وصحب القاضى يعقوب بن نعمان المذكور ودخوله البلغار يستفاد من اقواله ذكر فى الكشف دخوله البغداد مرتين مرة له سنه ٥١٦ ومرة فى سنه ٥٥٥ ولم يرقم فوق سنة وفاته والله سبحانه اعلم ومن جملة ماله تعلق بذكر بلغار وملوكه وعلمائه مانقل عن

الحكيم السنايي الشهير حيث قيل نظما :

سنايي كفته روزی من بعرنی * زبهر کاری بكشتم سوی بازار *
دری مسجد كشوده باز ديدم * ندا آمد برو دوكانه بكذار *
جوان نوقدی ما نند سروی * بزیرسر نهاده كفش ودستار *
بديدم پيش اوكاسه شكسته * كه پارچه نان خشك ونيم آنار *
سرشرا چون بزانو بر كرفتم * ببوسيدم رخشرا چون پدروار *
بكفتم ای جوان اصلت كجايی * بكفتا اصل من از شهر بلغار *
بكفتم ای جوان نسلت كجايی * بكفتا نسل من شهزاده بلغار *
بكفتم ای جوان رغبت چه داری * بكفتا چند سيبی نزد من آر *
دويدم من سبك چت سوی بازار * خريدم چند سيبی بهر آن يار *
بدل كفتم جوانرا زنده بينم * ندا آمد جوانرا مرده پندار *
رسيدم كين جوان روحش پريده * تن پر حسرة وروبش بديوار *
زدم چاك كريبانم بدا من * منادی كرده ام در شهر وبازار *
بتجهيز (١) . . . بكويان * نداكردند نالان شهر وبازار *
باآخر صرف كردم چند دينار * كفن كرد آوريدم بهر آن يار *
كفن دوخته واندام پاك شستم * بمشك وعنبر وكافور تاتار *
بكردم راست تابوتش زشمشاد * روان كردم بكورستان كل زار *
بحكم كور چون صندوق كردم * بيفشاندم كل سيار بسيار *
جوانرا چون بخاك اندر سپردم * بخواندم من كلام الله بسيار *
جوان كفتا كه ای پير خردمند * نصيحت ميكنم دركوش خوددار *
اكر روزی رسی درشهر بلغار * سلام مارسانی جمله يكبار *
ولی ازمردنم چيزی نكويی * بزنهار وبزنهار وبزنهار *
بران مادركه من باناز پرورد * پدرهم برده باشد رنج بسيار *

(١) بياض في الاصل مصححه.

چو خواهر بشنود غمناك گردد * بگردد در زمين بيكس و بى يار *
بگريد مادر مسكين من زار * برادر بشنود مرگ از برادر *
كسى پرسد كه نام اوچه باشد * بگو لطيف محمد نيك كردار *
خدا وندا سنايى را بيامرز * بحق احمد ومحمود مختار *

اه من مجموعة عمدة العارفين الشيخ زين الله النقشبندى الخالدى كتبها له احد تلامذة الملا عبدالرحيم الاوتوز ايمانى حين سفره الشيخ المشار اليه الى مصاه سنة ١٨٧٣ والقصيدة تحتمل ان تكون للحكيم السنايى نفسه اولغيره احدا عن قوله وهذا الذى عناه حسن صديق خان البهوپالى فى بعض رسائله بقوله ولم يخرج من بلغار الا محمد لطيف والشيخ حسن البلغارى والملا شهاب الدين المرجانى وان كان قوله هذا كقول مادح كافور الاخشيدى بقوله ولم يكمل من السودان الاثلاثة الحكيم لقمان و بلال الحبشى ومولينا الكافور اه وكان وفاة الحكيم السنايى فى حدود سنة ٥٢٥ ومن جملة ما قيل فى اهل بلغار وحسنهم ابيات فارسية

همه جور من از بلغاريانست * كه مادامم همى بايد كشيدن *
گنه بلغاريانرا نيز هم نيست * بگويم گر توبتوانى شنيدن
خدايا اين بلا وفتنه از تست * ولكن كس نمى يارد چخيدن *
همى آرند تركانرا ز بلغار * ز بهر پرده مردم دريدن *
لب ودندان آن خوبان چون ماه * برين خوبى نبايد آفريدن *

اه ذكرها فى النفحات فى ترجمة عين القضاة الهمدانى وبيان شطحياته ولم ينسبها الى احد وكان المذكور فى اوائل القرن الخامس فعلم من هذا ان اهل بلغار كانوا يعدون فى الوقت المذكور من الترك وانهم كانوا متصفين بغاية الحسن وانهم كانوا يجلبون الى الاطراف والجوانب ويباعون وبلغنى ان للشيخ سعدى الشيرازى الشهير ابياتا فى مدح نساء بلغار وحسنهن ولكنى لم ارها فى كتبه المتداولة

المقصد الثاني في ظهور التتار (١) واستيلائهم على هذه الديار اعني ديار بلغار وقپچق والروس وسائر الاقوام المقيمين في تلك الاصقاع حتى اللان والماجار وتاسيسهم هناك دولة عظيمة ذات شوكة واقتدار تسمى بدولة قپچق وتتار وآلتون اوردو وبيان اوليائهم من الترك بن يافث الى آخر خوانين سراي وسبب خروجهم من ديارهم وانتشارهم الى سائر الاقطار ٭

اعلم ان التتار جيل من الترك بل هم اصل الترك وقد تقدم منا انه مرادف للترك عند الافرنج حتى انهم يعدون كافة قبائل الاتراك مع ما فيهم من العثامنة وقرامان وتركمان من التتار وقد اسلفنا ايضا انهم كانوا مشهورين عند قدماء الروم واليونان والافرنج باسم سيتيا واسكونيا واسكيت واسكيتس واسكيو وقد تقدم ايضا بيان نسب الترك وماجرياته مستوفى والآن نبين هنا من خلفه من اولاده في ادارة الملك وضبط الامور نازلا الى تتار خان ثم الى آخر خوانين سراي واعتمادنا في هذا النقل على التواريخ الماخوذة عن التواريخ المؤلفة في عصر الملك غازان خان لبيان نسب (٢) چنكزخان

(١) وكان مساكن التتار سواحل نهر آمور اليمنى وجنوبي اير قونسكي من جبال الا طاغ الى نورسعاري شرقا والى مملكة تيبت جنوبا اعني الاراضي التي يقال لها الآن منلستان مغوليا ولهذا اشتهر المسك بمسك التتار بالاضافة اليهم لكونه في ارضهم ومملكتهم كما انه يخرج الآن من هناك ويقال لهم في سابق الزمان اوتوز تتار كانهم كانوا ثلاثين قبيلة وقد مر بيان بعض احوالهم في المقدمة عند بيان معاملات الاتراك مع الصين وان ملوك هيونغ نو كانوا ينتخبون من سيان پي الذين هم تتار الشرق وكذلك مر بيان تتار جوجان فراجع هناك ان شئت. منه عفي عنه .

(٢) ومن اغرب الاشياء واعجب العجاب ماذكره بعض فضلاء عصرنا ان المورخين والمحررين الرسميين مزجوا نسب چنكز بانساب المغل الجديدة وانساب الترك القديمة بناء على الاسباب السياسية في العصر الچنكزي فاني ذكر ذلك في موضعين من تاريخه في حاشيته الاول والثاني ووجه غرابته ان انساب الترك القديمة من الذي بينهما قبل هولاء المورخين والمحررين حتى يقال انهم رجوا نسب چنكزخان بهما وهذا القول لما يصح فيمن جاء بعد المغل والتتار ثم يلحق نسبه بهما واما هما فلا قيل قال واحد من بني مروان لخالد بن يزيد بن معاويه مرة لست في العير ولا في النفير فقال لا الما لدهي ابو سفيان كان في العير وجدي عتبة بن شيبة كان في النفير ان قلت جبيلات غنيمات فقد صدقت اه كذلك نقول السمي بيبوه لچنكزخان فلا غبار عليه وان قلت وجبيلات غنيمات فقد صدقت. منه عفي عنه .

وماجريات اوليائه واسلافه واحواله واحوال اولاده خصوصا على روضة الصفا لمير آخوند وشجرة الترك لابي الغازى خان كما اعتمدنا عليهما في بيان احوال يافث وولده الترك لانعدامها في النقل الى غيرهما فالعهدة في الصحة والسقم عليهما بل على مأخذهما ولا اقول ان جميع مافيهما صحيح لاشبهة فيه بل انبه القراء على ماقدمنا من ان الامور التاريخية ظنية وانها مع ذلك ليست ساقطة عن الاعتبار بل يطلعها المطالع على احتمال الخطاء والصواب فيما لم يعلم دليل احدهما فهذا الذى اداه اليه سعينا ممن رام التحقيق والزيادة فبابهما مفتوح شعر وما انا الامن غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزيه ارشد * واقول وبالله التوفيق وبيده ازمة التحقيق والذى خلفه الترك في الملك وضبط الامور من بين اولاده توتك بن الترك ولما اجاب الترك داعي الحق جلس مكانه ولده الارشد وولى عهده الاعد توتك وكان عاقلا منصفا مدبرا اخترع كثيرا من الرسومات الجارية الى الآن منها الملح فانه خرج يوما بصيد وشوى غزالا فبينما هو يأكل منه اذ وقع لقمة من يده على الارض وكان مملحة فلما رفعها واكلها استطابها فصار بعد ذلك يلقي الملح في الطعام وكان توتك معاصر الكيومرث اول ملوك الفرس وعاش (١) ٢٤٠ سنة املنجه بن توتك (٢) ولما مات توتك جلس مكانه بعده ولده املنجه وعاش مدة كثيرة فلما بلغ سن الشيخوخة ترك السلطنة واختار العزلة وتدارك زاد الآخرة وفوض امر السلطنة الى ولده الارشد ذيب باتوى فجلس على سرير السلطنة وبث العدل والامان في اولاد الترك وكان عاقلا عادلا منصفا شهما ولما اجاب داعي الحق جلس مكانه ولده كيوك خان ولما بلغ عمره النهاية وتوجه نحو الوطن الذى توجه اليه آباؤه وجدوده استقر مكانه على سرير السلطنة ولده الامجد الارشد آلنجه خان المشهور وكان ملكا شهما شجاعا عالى الهمة وافر المعدلة ولهذا كثرت النعم في عصره في بني الترك وبلغت ثروتهم الغاية وانتهى تمولهم الى النهاية وكانوا من عهد نوح عليه السلام الى وقته على طريق الهداية فلما كثرت النعم ظهر سر قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فآثروا الضلالة والغواية

---

(١) قال ابو الغازى و بعضهم لايذكرون توتك في عداد الملوك والاكثر على ماذكرنا . منه عفي عنه .
(٢) ويقال ابلجه . منه عفي عنه .

على الرشد والهداية واتبعوا عدو الله وكفروا با نعم الله وكان النجه خان هذا فى آواخر ايام سلطنة هوشنك ملك الفرس ولما مضت من سلطنته مدة ولدت زوجته له ولدين توأمين فى بطن واحد مسمى احدهما تتار والآخر مغل ولما اسن وكبر ولداه المذكوران قسم مملكته على قسمين وفوض احدهما الى تتار والآخر الى مغل ووصاهما بالتوادد والتعاون والاتحاد وتوجه نحو الآخرة فاشتغل كل منهما بضبط مملكته وربطها * تتار خان ابن النجه خان فلما توفى ابوه اشتغل بضبط مملكته وترتيب امور سلطنته سنين ومضى عمره على غاية من المصافاة والموالاة مع اخيه مغل وكذلك اولاده مع اولاد مغل الى عهد بايدوخان بن اوردوخان بن آتسيز خان بن آتلى خان بن يلنجه خان بن بوقا خان بن تتار خان وكذلك كانت معاملة مغل خان معه ومعاملة اولاده مع اولاده الى عصر تيكز خان السابع من ملوك مغل فلما افضت السلطنة الى بايدو وتيكز خان وقع النزاع والاختلاق بينهما وطفق يزيد وينمو يوما فيوما الى ان تملك من التتار سويبج خان بن بايدو ومن المغل ايل خان بن تيكز فصار منهماما سيذكر ان شاء الله (١) مغل خان ولما اشتغل بضبط مملكته التى عينها له ابوه وقضى وطره من السلطنة وارتحل من هذه الدار الى دار القرار جلس مكانه ولده الاسن الاكبر قراخان وفى عصره انتشر الكفر بين طائفه مغل على وجه لواحس الاب من ولده الذى هوجزء كبده ادنى مساهلة فى احكامهم الباطلة وعاداتهم العاطلة كان يقتل (٢) بلا مهلة ويكرم قاتله ذكرا **غوز خان بن قرا خان الذى هو بمنزلة جمشيد الفرس واسكندر الروم واليونان فى بني الترك** وولد لقرا خان من زوجته ولد ذكر فى غاية الحسن والجمال ولما ولد

(١) ترك بيان احوال خوانين التتار المذكورين مع ان المقصود بيان احوالهم عدم ذلك البيان فى التواريخ لكونها مؤلفة لخوانين مغل لكنهما كشئ واحد. منه عفى عنه.

(٢) قلت فما اشبه تعصبهم وثباتهم فى الكفر بتعصب الروسية وثباتهم فيه الآن. منه عفى عنه.

لم يقبل ثدى امه الى ثلاثة ايام وكان يقول لامه فى المنام مادمت لم تسلمى ولم تهتدى الله لا اقبل ثديك ابدا ولا ارضع لبنك سرمدا ولما كان اسلامها بحسب الظاهر غير ممكن لما مر من تشديدهم على من يخالف رسومهم كائنا من كان اسلمت بحسب الباطن ووحدت الحق سبحانه وتعالى بقلبها واخفت ايمانها من غيرها فقبل ثديها ولما تمت من وقت ولادته سنة كاملة وجاء وقت التسمية على عاداتهم الباطلة جمع ابوه امرائه واعيان مملكته وعمل وليمة كبيرة وجاؤا بالطفل فى المجلس وبينما هم يتشاورون فى اختيار الاسم اذ قال الطفل المليح بلسان فصيح اسمى اغوز خان فاشتهر من ذلك الوقت بهذا الاسم ولما كبر ظهر فيه آثار الرشد والهداية والهمه الحق سبحانه طريق التوحيد والايمان بسابقة العناية ولكن كان لا يبديه ومن ابيه وعميه يخفيه الى ان شاع ذلك بين الناس وذاع فجرى عليه من طرف ابيه وقومه محن شديدة وفتن كثيرة وكم مرة قصدوا هلاكه وكم مرة وقع بينه وبين ابيه مقابلة ومحاربة ولكن لما تعلق ارادة الحق سبحانه بهداية هؤلاء القوم وقاه الله تعالى سبحانه سيئات ما مكروا ومن ضرر ما قصدوا فكان هو الغالب باذن الله على الكل الى ان هلك ابوه فى واحدة من تلك المعارك التى نصبوا له فيها انواع مصائد المهالك فلما استقر على سرير السلطنة بعد موت ابيه الضال واستقل بالامر وصفا له الوقت والحال اجبر قومه على الدخول فى حمى التوحيد ومازال يعاملهم بالتضييق والتشديد فامتنع اعمامه واخواله من ذلك اشد الامتناع وصاروا يجمعون لحربه الجموع ويفرون به الرعاع من كل بقاع فنشاء الحرب بينهم من ذلك اليوم ولم يمس عينه سنة ولا نوم وامتد الى ثلاث وسبعين سنة وهو فى ازدياد فى كل سنة واستمد اعداؤه بملوك الاقوام المتجاورة كالصين والتتار والخطاء فجاؤا يهرعون اليهم ويقاربون الخطا ولكن كانت الغلبة والنصرة فى الاخير له ولاتباعه عليهم كيف لا وقد قال الله سبحانه وكان حقا علينا نصر المؤمنين والعاقبة للمتقين فانهزموا

من بين يديه شرهز يمة وهربوا كحمر مستنفرة فرت من قسورة فاستولى اغوزخان على ممالك التتار وضمهم الى نفسه لكونهم من جنسه ثم سار نحو الخطا فاستولى على بلادهم حيث ارتكبوا القبح والخطا ثم استولى على جميع ممالك الصين واسر منهم البنات والبنين ولم يلتفت الى ما صدر عنهم من البكاء والانين حيث توافقوا مع عدوه المبين ولما اطمئن خاطره من جهة الشرق والشمال ولم يبق فى تلك الجهة مخالف له فى حال من الاحوال وجه وجهة خاطره نحو الجنوب وسار بجيش لا يمكننه كنهه نحو ما وراء النهر وتلك الشعوب فاستولى على تاشكند وسيرام وكذلك على فرغانة وسمرقند وبخارا وبلخ وبلاد غور وكابل وغزنين ولما بلغ كشمير قابل ملكه يغماخان بعساكر كثيرة مستمدين بجبال شامخة وامتد بينهما المحاربة الى سنة كاملة ثم انجلى الحرب على قتل يغما ملك كشمير فاستولى اغوز خان على كشمير وعلى جميع البلاد التى كانت تحت حكومته ثم انثنى راجعا الى بلاده بعد ان نصب فيها حكاما من طرفه وترك عسكرا كافيا لحفظ تلك البلاد وهؤلاء العساكر وذراريهم هم الذين يقول لهم الافرنج والله سبحانه اعلم اسقوتية هندكمامر وعاد اغوزخان الى وطنه من طريق بدخشان وسمرقند بعد ان نصب فى البلاد التى استولى عليها نوابا من طرفه وبعد ان استراح فى وطنه سنة نهض وتوجه نحو بلاد الفرس لقتالهم فقاتلهم مدة تسعة اشهر وغلبهم على بعض بلادهم فصالحه الفرس على ان يكون نهر جيحون المشهور الآن بنهر آمور حدا فاصلا بين بلاد ايران وتوران وان يكون بلاد الهياطلة التى كانت اولا معدودة من بلاد ايران محسوبة من جملة بلاد توران قيل كان ذلك فى الفترة التى بين كيومرث وهوشنك وقيل الصحيح الصواب ان ذلك كان فى زمان الضحاك ثم توجه بعد ذلك نحو الغرب فاستولى هناك على الامم الساكنة فى سواحل بحر الخزر والبحر الاسود وبعض بلاد الروم واليونان والافرنج والاوروپا الشرقية والشمالية بل على اكثر آوروپا وترك هناك بعض عساكره

لحفظ البلاد مساهم اليونان اسقوتية آوروپا وترك قبائل الچراكسة وامم الداغستان والكرج فى بلادهم المخصوصة بهم الآن من جبال قفقازيا واطرافها من الاراضى التى بين البحر الاسود وبحر الخزر ثم توجه منه نحو بلاد اناطولى ومنها الى الشام والى مصر وبعد ان ضبط تلك البلاد وربطها ورتب امورها وشحنها بالرجال بادر الى التوجه نحو وطنه فلما عاد الى مسقط رأسه اولم وليمة عظيمة قيل ذبح فيها تسعمائة جمل وتسعين الفا من الغنم وبينما هو فى ارادة السفر نحو الشرق والجنوب ليتم فتح بلاد الهند اذا اخترمته المنية فحالت بينها وبين تلك الامنية (١) وقد اسلفنا ان اغوزخان هو اكبر خوانين الترك واشهرهم وانبلهم ولهذا يخترع فى ضبط البلاد وربط امور العباد رسوما حسنة وقوانين مستحسنة بالنسبة الى تلك الازمنة التى هى بمعزل عن امثال تلك السياسة من سائر ارباب الرياسة وفرق بنى الاتراك شعوبا وقبائل اشهرهم ايغور وقپچوق وقنقلى وخلج (٢) وقارلق وعين لكل منها ناحية مخصوصة * قال فى تاريخ منجم باشى ان قبيلة عمق من قبائل چركس هى قبيلة قنقلى حرف لفظ قنقلى الى عمق وعين لقبيلة قپچوق البرية الواسعة بين بلاد بلغر والروس وبين

---

(١) قال بعض مورخى عصرنا ان مدة حكومة اغوزخان كانت ١١٦ سنة ويقدر زمان ظهوره سنة ٣٤٠٠ قبل الهجرة وقد اتخذ بلدة ياس الواقعة فى تركستان مقرا لحكومته اخيرا وقد كانت البلدة المذكورة مقر حكومة الخوانين اوزبك وقتا ما اه ولعلها قصبة تركستان فان اصل اسمها يسى ولهذا يقال لمولانا احمد يسويا نسبة اليها ولعل مراده بخوانين اوزبك خوانين آق اوردا فان مقر حكومتهم كانت تلك النواحى كلها كما سيجيء وقال صاحب كنه الاخبار يحتمل ان يكون اغوزخان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وان يلاقيه ويؤمن به اه وكانه استنبط هذا من كونه مومنا فرعم ان ايمانه بواسطته ودلالته وقد عرفت اثناء بيان ديانة الاتراك ان لا حاجة اليه مع كونه ممكنا فى نفسه ولا يبعد ان يكون قنطوراء التى تزوجها ابراهيم عليه السلام ابنته ان صح قول ابى الفرج الملطى من انه ابنة ملك الترك والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

(٢) خلج اصله التركى آلاچ واصله قال آچ كما ذكره ابو الغازى خان فى تاريخه وآلاچ مشهورة ببلاد قزاق يقال لها آلتى آلاچ . منه عفى عنه .

جبال آلاطاغ فانتشر وافيها وامتدوا الى شواطئ نهرى جايق واتل والى ساحل البحر الاسود الشمالى من ارض قريم فسميت تلك البرية الواسعة من حينئذ باسم دشت القبچق بالاضافة اليهم واشتهرت بذلك الاسم واشتهارها الآن ببرية قزاق دقرغز وكان لهم فى ساحل البحر الاسود مدينة تسمى سوداق كانت قاعدة ملكهم مدة مديدة وبقيتها موجودة الى الان بقرب بالنه كما مر بيانه فى المقدمة وبقيت الرسوم التى اخترعها اغوز خان فيما بين قبائل الاتراك مدة مديدة من جملتها آل تمغا حتى بقى الى عصر مرادبك ابن اورخان غازى ابن عثمان غازى جد السلاطين العثمانية ايدهم الله تعالى فانه لما ظفر بفتح روم ايلى اول مرة وغلب على حشرات تلك الناحية وصالحه ملك الصرب وكتبوا كتاب الصلح اعلمه مراد بك بال تمغا ثم اتخذوا بعد ذلك الظفرا كما هو مسطور فى التواريخ العثمانية وبعضها باقية الى الآن وهو شكل الهلال الذى هو تمغا الدولة العلية الى الآن فان هذا الشكل باق من آغوز خان او ممن قبل وليس مستحدث كما زعم وسيجئ انه كان فى عليا قصر ملوك التتار بسراى شكل هلال من ذهب وزنه قنطاران بقنطار مصر وكان يقال للعلم الذى كان به ذلك الشكل ماهچه توغ يعنى علم هلالى كما هو مشحون به كتب التواريخ الچنكزية والتيمورية وكان له من منكوحته ستة بنين على هذا الترتيب كون خان آى خان يولدز خان كوك خان طاغ خان تيكز خان سمى الثلاثة الاول بزوق والثلاثة الاخر اوچ اوق وعين السلطنة للثلاثة الاول ولذرياتهم وقيادة الجيش وترتيب امور الحرب والرسالة للثلاثة الاخر وفى تسميتهم بهذين الاسمين قصة عجيبة تركناها مخافة الاطناب وكان لكل واحد من هؤلاء الاولاد الست اربعة بنين من ازواجهم واولاد اخر من الجوارى والسرارى كثيرة من جملتهم قرغز جد الجيل المسماة بهذا الاسم ثم انتسب لكل واحد من اولاده واحفاده قبيلة من نسلهم باقية الى الآن منتشرة فى برية قزاق يطول الكتاب بذكرهم (١) تنبيه اعلم ان جمعا

---

(١) ومن اراد ان يطلع عليها فعليه بمطالعة شجرة الترك لابى الغازى خان · منه عفى عنه .

من النسابين والمورخين رفعوا نسب السلاطين العثمانية ايدهم الله تعالى الى اغوز خان هذا والى قائى خان ولكن وقع بينهم الاختلاف فى ان ايهما اقدم اغوز خان اوقائى خان ذهب الى كل منهما ذاهب ولكن الصحيح والصواب ان اغوز خان اقدم وقائى خان انما هو بعض احفاد اغوز خان كما حققه صاحب كنه الاخبار وقد علمت نسب اغوز خان الى يافث ولم يذكر فيه قائى خان فتعين ان يكون مؤخرا منه وان يكون بعض احفاده الذين استوطنوا بما وراء النهر وخراسان قال ابو الغازى ان ابناء اغوز خان قدموا الى ماوراء النهر وخراسان مع طائفة تركمان فهذا يدل على انهم قدموا الى تلك الديار فى ذلك الوقت فتلك الديار ملكهم الموروث اباعن جد من قديم الايام **استطراد** اختلف فى وجه تسمية الترکمان تركمانا قال ابو الفدا سموا بذلك لان كل من اسلم من اتراك خراسان وما وراء النهر فى الصدر الاول كان يقال له صار ترجمانا لكونه ترجمانا بين العرب الفاتحين بسبب اختلاطه معهم وتعلمه اللسان منهم وبين من لم يسلم من الاتراك حتى صار ذلك علما لهم اى لمن اسلم منهم ثم قيل بالتحريف تركمان **وقال** فى روضة الصفا لما قدم الاتراك الى تلك الديار واختلطوا باقوامها وامتزجوا بسكانها خرج اولادهم عن حرافة لون الاتراك واشكالهم بمقتضى طبيعة الاقليم بل بارادة الملك الكريم فقيل لهم يعنى بسبب الاشتباه الحاصل ترك مانند يعنى يشبهون الترك فغلب عليهم ذلك وقيل تركمان بالاختصار اه **قلت** لو امكن القول بالرأى فى مثل هذا لقلت انهم انما سموا بذلك لقولهم «ترك من» فى جواب من انت فان هذا اقرب من دينك الوجهين (هذا) قيل كانت مدة سلطنة اغوز خان سنة ١١٦ **كون** خان ابن اغوز خان ولما اجاب اغوز خان داعى الحق قام مقامه ولده الاكبر الارشد كون خان وسلك مسلكه فى اجراء المعدلة والاحسان وكان لابيه وزير عاقل مدبر يسمى ارقل خواجه ابن رئيس قبيلة ايغور فاتخذه كون خان وزيرا لنفسه ومعينا وظهيرا فى تنفيذ

امره واحكام اسه فانتظم بتدبيره امور ممالكه احسن انتظام ونام فى ظل عدالته سائر الانام ولما مضى سلطنته مدة سبعين عاما اجاب داعى الله وتوجه نحو الدار التى حسنت مستقرا ومقاما ثم قام مقامه فى كرسى السلطنة اخوه آى خان وسلك مسلك آبائه الكرام فى بث العدل والامان فيما بين الانام ثم تولى بعده يولدز خان قال ابو الغازى لم اقف على (١) انه ولد من هو ولم اجزم به وانما هو احد احفاد اغوز خان وليس هو ولد اغوز خان من صلبه يعنى المار عند تعداد اولاده ثم تولى بعده ولده تيكز خان ثم ولده منكلى خان وقدم ابو الغازى منكلى خان على تيكز خان وقال انه عاش عمرا طويلا فلما اسن جدا اختار العزلة وفوض امر السلطنة الى ولده ايل خان والاول ذكره فى روضة الصفا هو الصحيح ان شاء الله تعالى وكان ملك طائفة التتار فى عصر ايل خان سونج خان بن بايدو خان كما مر وقدمنا ايضا انه وقع الخلف والنزاع بين طائفتى التتار والمغل فى عصر بايدو خان من ملوك التتار وتيكز خان من ملوك مغل وزاد هذا الخلف والنزاع فى عصر سونج خان وايل خان حتى انجر الى المحاربة والمقاتلة واستيصال المغل وانقضاء دولتهم الى مدة مديدة وذلك ان سونج خان ملك التتار اتفق مع تور (٢) بن افريدون ملك التركستان الجنوبية وماوراء النهر وقيل اتفق مع القرغز على قتال مغل فالتقى الفريقان فى حدود مملكة مغل فنشب بينهما القتال وامتد ايامه مدة مديدة ثم انجلى الحرب عن قتل ايل خان واستيصال عساكره فاستولت الفرقة الغالبة على جميع ممالك مغل فنهبوا اموالهم واسروا نساءهم واولادهم حتى لم يبق نفر واحد من المغل على الحرية بل صار كلهم ارقاء مملوكين قلت الظاهر ان هذه الواقعة كانت بعد تفرق طائفة المغل فرقا كثيرة واختلاف كلمتهم وانحياز من انحاز منهم اى ماوراء النهر وهم التراكمة وبعض اولاد اغوز خان كما مرت

---

(١) ولاادرى لاى شئ قال ذلك ابو الغازى والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

(٢) وهذا بناء على ما مر ان افريدون قسم الارض بين اولاده الثلاثة وقد عرفت ما فيه وقد عرفت ايضا انى ناقل محض هنا فتذكر. منه عفى عنه.

الاشارة اليه سابقا بل هذا متعين والله سبحانه اعلم **وكان** فى جملة من اسروا من المغل ولد لايلخان يسمى قيان وولد لاخى ايلخان يسمى نكوز وكانا تربين وكانا قد تزوجا فى العام المذكور فاتفقا على الفرار فاخذا زوجيتهما وهربا والتجآ الى شعب جبال راسيات ودخلا شعبا فيما بين تلك الجبال الشامخات ليس له الا طريق واحد صعب جدا بحيث لايمكن سلوكه الا واحدا بعد واحد وهو اعنى الشعب واسع جدا فيه مياه غزيرة ومروج كثيرة واشجار ملتفة يقال لذلك الشعب اركنه قون فاقاموا هناك آمنين وتناسلوا وكثروا وصاروا بحيث لايسعهم هذا الشعب لطول المدة قيل انهم اقاموا هناك اربعمائة عام وقيل سبعمائة سنة وهم لايطؤن فى تلك المدة ارضا غير هذا الشعب سوى انهم كانوا يسمعون من آبائهم وجدودهم ان خارج هذا الشعب ممالك واسعة وان اسلافهم كانوا اولا هناك وانما دخلوا هذا الشعب لسبب من الاسباب فعملوا الحيلة فى الخروج منه اذ طمحت نفوسهم الى اوطانهم القديمة والممالك الفسيحة المشتملة للمياه الجارية والهواء الصحيحة فعمدوا الى مكان من الجبل فيه معدن الحديد والنحاس بحيث يؤثر فيه النار ويمكن فتح الممر منه فجمعوا من الحطب والفحم ما لا يحصى واحد ثوا الكير من جلد الحيوانات واوقدوا النار وصاروا ينفخون بالكير من جميع الجوانب حتى ذاب ما فيها من الحديد والنحاس وانفتح (١) الممر فخرجوا من مضيق الى محل فسيح وانتشروا كالجراد الى مكان سحيق وكان ملكهم اذ ذاك شخص يسمى برته چينه من قبيلة قورلاس من نسل قيان المذكور ولم يكن فى ذلك الوقت فيما بين قبائل الاتراك قبيلة اعظم شوكة واشهر تسلطا واشد بأسا من قبيلة التتار وكان سائر القبائل يهابونهم ويذعنون لهم فلما خرج المغل من تلك المضيق بتلك الكثرة التى الفضاء الواسع منها يضيق كرهوهم وقاموا بدفعهم فنشب بينهم القتال وامتد هذا الجدال الى ان انتصر

---

(١) يعنى من سد يأجوج ومأجوج ولعله فى الليلة التى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم به . منه عفى عنه .

مغل على التتار وكسروا شوكتهم وبنوا سد الممانعة امام ذاك البحر التيار واستردوا منهم ما كانوا اخذوه وانتزعوه من اسلافهم ما كان لهم من الديار واشتهرت شوكتهم بين قبائل الاتراك فانقادوا لهم بالاختيار وبالاضطرار ولما بلغت نوبة السلطنة منهم الى بولدزخان ابن منكلى خان ابن تيمر تاش خان من نسل قيان المذكور وهو الملك الحادى عشر من ملوك مغل بعد برته چينه وكان له ابنان من صلبه فماتا وخلف احدهما ولدا يسمى دبون بيان وترك الآخر بنتا تسمى الآن قوا (١) زوج البنت المذكورة من الولد المذكور ولما مات يولدزخان جلس حفيده دبون بيان مكانه على دست السلطنة ومات وسنه دون الثلاثين سنة وخلف ولدين اكبرهما (٢) ابن سبع فلما مات دبون بيان خطب زوجته آلان قوا كثير من كبراء قومها اولاد الملوك فلم ترض بزوج احد وقالت لا اقبل الزوج ابدا بل احفظ ملكى ان يكبر ولدى ومضى على ذلك سنون وبينما هى نائمة فى خركاهها ذات ليلة مع طائفة من النساء اذ ظهر من سقف الخركاه نور ساطع وظهر من بينه صورة شخص ابيض مائل الى الصفرة مليح العينين فلما رأته ارادت ان توقظ من فى حواليه من النساء ولكن لم تقدر ان تنطق بحرف ولم تظهر صوتها وارادت ان تقوم فلم تقدر على القيام ايضا ولم يقدر ان يحرك اعضاؤها فجاء عندها وضاجعها وقيل بل رأت النور فقط ودخل النور المذكور فمها وقيل جيبها فحبلت منه وولدت ثلاثة (٣) اولاد ذكور احدهم

(١) نقل عاصم نجيب افندى من تاريخ رشيدى كون آلانقوا من ذرية قورلاس كانه يستشكله ولا اشكال فيه فان قورلاس هذا جد بعيد لبرته چينه كما مر آنفا. منه عفى عنه،

(٢) واسمه بلكداى واصغرهما ابن ست واسمه بكجداى وقيل بلكنوت وبركنوت اه من شجرة الترك ولم ار بيان احوالهما فى واحد من التواريخ. منه عفى عنه .

(٣) يعنى فى ثلاثة بطون اكبرهم بوقون قتغين واوسطهم بوسقين جالچى واصغرهم بودنجر قيل بالدال وقيل بالزاء ولكن صرح فى شيبانى نامه بكونهم فى بطن واحد ووقع فيما نقل عنه يوقون بالياء وسالجوت بدل جالچى وقد استنبط بعضهم كون السلاچقة من نسل سالجوت هذا لانه وقع فى بعض المواضع سالچيم والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

بوزنجرخان وهوالذى صار ملكا من بين اولاد آلان قوا واليه ينتهى نسب چنكزخان وجميع خوانين التتار والمغل ويقال لذرية هؤلاء الاولاد الثلاثة نيرون بمعنى الاصيل وعالى النسب لتولدهم من النور والى الآن يقال فى رسم القزاق لذرية چنكزخان آق سوياك يعنى العظم الابيض ومفاده الاصيل وقد بذل صاحب روضة الصفا فى تأييد حقية هذه القصة العجيبة جهده بايراد الشواهد من الآيات القرانية مثل خلق آدم عليه السلام من التراب وعيسى عليه السلام من غير اب فلولا ذكره اياه وتأييده وذكر (١) غيره من فضلاء المورخين لما اوردتها فى كتابى هذا لكونها فى الظاهر مما يستبعد وينسب الى الخرافات ولكن لا استحالة فى الحقيقة بالنظر الى قدرة الله تعالى الباهرة وكان ظهور هذه الحادثة العجيبة فى آواخر دولة بنى امية وسعى ابى مسلم (٢) الخراسانى ابنى العباس ولما بلغ بوزنجرخان سن الرشد جلس على كرسى سلطنة مغل وتلقب بلقب قاآن على معنى خان خانان وملك الملوك وشهنشاه فلما مات قام مقامه ولده بوقاخان ثم بعده ولده دوتومين خان ثم ولده قيدوخان ثم ولده بايسنقر ثم ولده تومنه خان ثم ولده قبل خان ثم ولده قوبله خان ثم اخوه بارتان بهادر ثم ولده يسوكى بهادر خان (٣) وهو والد چنكزخان جنكزخان المشهور ابن يسوكى بهادر خان وهو اكبر اولاد يسوكا

---

(١) والحاصل ان هذه القصة وان كانت فى الظاهر خرافية الا ان نقلتها كثيرة وقد ذكرت فى تواريخ الصينين بوجه آخر وايدها البوذيون بتشبيهها بقصة تولد رئيسهم بودا من بنت باكرة على زعمهم وقد استوفى الكلام فيها عاصم نجيب افندى فى تاريخ ترك راجعه . منه عفى عنه .

(٢) وقال عاصم نجيب افندى انها كانت فى العصر العاشر الميلادى وفى اوائل الهجرى والله سبحانه اعلم قلت ولما قيض الله سبحانه من يمهد الملك لبنى العباس هيأ فى ذلك الحين من يهدم ملكهم بعد حين وهذا والله من عجايب الاتفاق ومصداق قول من قال من اهل الدراية بالاستحقاق شعر : سرور الدهر مقرون بحزن * فكن منه على وجل شديد * ففى يمناه كاس من لجين * وفى يسراه قيد من حديد *

(٣) واختلف فى ضبط هذا اللفظ الاكثر على ما اثبتناه فى الكتاب والثانى بالميم قبل الياء وفتح الكاف والثالث بالباء بدل الميم وفتح الكاف والرابع بيائين وفتح الكاف والصحيح هو الاول . منه عفى عنه .

وكان له اربعة بنين غيره وكان ولادة چنكز خان سنة ٥٤٩ فى عشر ذى القعدة والطالع فى الميزان والسبعة السيارة كلها مجتمعة فى البرج المذكور سنة الخنزير على حساب الاتراك وحين ولد كان كفه ملآن من الدم فاخبر اهل الخبرة بانه يكون سفاكا ويملك اكثر ربع المسكون ويقهر اعداءه ويكون مظفرا فى الحروب وسماه ابوه تموچين (١) باسم خان التتار الذى كان ملك فى العام المذكور ولما بلغ عمر تموچين ثلاثة عشر مات ابوه بيسوكا بهادر وذلك سنة ٥٦٢ وفى تلك الايام مات ايضا سوغن چچن الذى كان مدبر اموره وعضد ملكه وعماد مملكته فاستضعف قبائل مغل تموچين فتفرقوا من عنده شذر مذر ولم يبق لديه غير ما قل وندر فحدث بينهم الفتن والجدال وامتدت فى تلك الناحية الحروب والقتال وتقلب بتموچين الاحوال وجرعه الدهر انواع الغصص والاهوال وصار اسيرا مقيدا محبوسا مرات كثيرة وحيث ان الحق سبحانه اراد ان يظهر صفة قهره وجلاله للعالم بواسطته وان يسفك دماء الوف الوف نفس بسيف سياسته ويقهر كثيرا من الملوك والسلاطين الذين كانوا يقولون انا لا غيرى بشدة بأسه وصولته وغير ذلك من الامور من الخير والشرور بسببه ساعده القدر ونجى من كيد من كاد ومكر من مكر وغلب (٢) على الكل اخيرا وكسرهم وقهر وجمع كافة طوائف

(١) لما كان لفظ تموچين من تيمرچى بمعنى الحداد زعم بعضهم انه تيمرچى وكان اصله حدادا ولهذا يسمى به وهم زعم باطل وقد ذكر فى بعض التواريخ بعض احوال اجداد چنكز خان المذكورين ونحن تركنا ذكرها لعدم مساعدة مجموعتنا هذه اياه وقد قيل ان قبل خان اعطاه ملك الصين البسة فاخرة وتاجا وسيفا منه مابعد صدور ماينافى الادب منه حين لعبت ام الخبائث بعقله فى مجلس العشرة ثم تبدلت صداقتهما عداوة بسبب مقتض اياه فابتدئ بينهما الحرب فى حدود سنة ٥٢٩ ه ودامت الى مدة ووقائع يسوكى بهادر اكثر من الكل وقد ذكر طرف منها فى تاريخ ابى الغازى وشيبانى نامه وفى تاريخ عاصم افندى اكثر مما فيهما فراجعه منه عفى عنه .

(٢) والحاصل ان عمر چنكزخان قد مضى من اوله الى آخره فى المحاربة واول من حاربهم تايجوت ومن تبعهم من قبائل الترك والتتار وذلك حين قصدوه لاستضعافهم اياه فانتصر عليهم ثم اونك خان من قبيلة كيرايت وولده سنكون حين قصداه بسبب اغراء

التتار وقبائل المغل اليه واوقفهم لديه وادخلهم تحت اطاعته وعرفهم بلياقته للرياسة وكفايته واما غلب على اونك خان من قبيلة كرايت الذى كان فى ذلك الوقت اكبر خوانين تركستان لقب نفسه على سبيل التمدح والافتخار بچنكز خان قيل لقبه به واحد من رعاياه وكان يدعى الكهانة وعلم الغيب وقال له انى امرت ان القبك بچنكز خان ومعناه شهنشاه وملك الملوك وكان ذلك سنة ٥٩٩ الموافقة لسنة الخنزير وقد بلغ من العمر سنة ٤٩ وهذا العام هو مبدأ استقلاله ثم غلب بعد ذلك على ممالك خطا وقد كان خوارزم شاه اضعفهم وكسر شوكتهم وغلب ايضا على ممالك الصين حتى لم يبق من ينازعه فى الملك اويخالف امره فى ذلك الصقع واستولت هيبته على القلوب وانتشرت صيت تسلطه وشدة باسه الى الآفاق والشعوب وكان فراغه من تخلية الممالك وتصفية الامور بتلك الحروب سنة ٦١١ موافقا لسنة الخنزير ايضا **ذكر سبب خروجه الى بلاد الاسلام وتخريبه البلاد وقتله العباد بالقتل العام من اهل الكفر و الاسلام** لايخفى ان الحق سبحانه مع كونه فعالا لمايريد لايسئل عمايفعل جعل اجراء احكامه واظهار قدرته فى عالم الاسباب مربوطا بشئ من الاسباب الظاهرة ومنوطا بصدور امر من طرف العباد ليكون ذلك حجة وليجعله حجابا على

حاموته چچن اياهما عليه فانتصر عليهما اخيرا ولم يكن وقتئذ اقوى منهما فاستقل بعده ثم تيانك خان من قبيلة نايمان فانه لمارأى زيادة قوة چنكزخان وقتله اونك خان اتفق مع آلاقوش تيكن الاونكوتى وقصداه فانتصر عليهما بعد وقايع عديدة ثم قبيلتا مركيت وتفوت فانهما كانا انضما الى نايمان حين محاربتها اياه فانتصر عليهما ثم قصد بويرق خان النايمانى وقتله ثم اطاعه طائفة قرغز واويغور ثم حارب الخطا وقراخطا وچورچوت وكان له وقائع كثيرة مع آلتان خان الخطائى حربا وصلحا الى ان مات آلتان خان بالتسمم ثم قتل كوچلو بن تيانك خان النايمانى فبعد ذلك لم يبق له من يخالفه من الترك والتتار والمغل والخطا ووقع الامر بعد ذلك بينه وبين خوارزمشاه والحاصل اذا امعنا النظر فى ماجريات چنكز خان نراه مدفوعا ومجبورا ومضطرا الى المدافعة والمحاربة وبعضهم حمل وقايعه على هوس الاستيلاء على العالم وجمع الاتراك تحت رايته واحتج هذا الفكر وان وقع له فى آخر عمره الا ان الظاهر انه لم يكن فيه الفكر المذكور فى اوائل امره والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه.

وجه قدرته وستر السر حكمته ولهذا قال سبحانه ان الله لايغير مابقوم حتى يغير واما بانفسم وقال عز من قائل اذا و اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ومن امعن النظر في تواريخ الامم لايجد دولة من الدول المنقرضة الا يجد سببا او اسبابا لانقراضها من جهة اهلها وارباها واركانها مثل كفران النعم وارتكاب الظلم والفسق والفجور والتهاون باحكام الشريعة واحتقار شعائر الله تعالى التي امر الله سبحانه بتعظيمها مثل اهانة العلم واهله واهل الله تعالى واضاعة الحقوق والآمانات لصرف المناصب الدينية والملية عن اهلها الى غيره والاهمال والغفلة عن احوال الرعايا وغير ذلك مما لايكاد يحصر واشده ظلم الرعايا واهمال احوال الرعايا والمنازعة والشقاق وترك التعاون والوفاق كما ورد واذا ظلم المسلمون بعضهم بعضا مالدولة للكفار وقيل الملك يدوم بالكفار ولا يدوم بالظلم وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم اى قيمتكم وبهاؤكم ومهابتكم من قلوب الكفار والظلم انواع اشدها وافبحها واسرعها تأثيرا في زوال الملك اهانة اهل الله واهل العلم كيف لا وقد قال الله سبحانه من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة وفي رواية فقد آذنته بالمحاربة ومن حاربته صرعته وهذا وعيد ليس فوقه وعيد ولايمكن عليه المزيد **فاذا** احطت بذلك فاعلم ان العلماء والمورخين ذكروا لخروجه اسبابا بعضها ظاهر وبعضها خفي فها انا اذكر ماوقفت عليه في كتب اهل الكمال على سبيل الاجمال بعون الله المتعال **قال** مولانا العارف الجامي قدس سره السامي في كتابه نفحات الانس في ترجمة الشيخ مجد الدين البغدادي مريد الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سرهما ان تركان خاتون ام (١) السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه كانت تحضر مجالس وعظ الشيخ مجد الدين البغدادي وكان ذلك لايلايم طبع بعض ارباب

(١) والظاهر انها ليست بامه حقيقة بل كانت زوجة ابيه فقيل لها انها امه مجازا. منه عفي عنه .

العرض وكانوا ينتهزون الفرصة لتبليغ ذلك خوارزمشاه فى طرز آخر بافراغه فى قالب التهمة والافتراء فلما استولى يوما من الايام سلطنة الصهباء على كرسى عقله وشعوره اما انه كان اعتاده فى اواخر سلطنته اغتنموا ذلك وقالوا له ان امك قد زوجت نفسها من الشيخ مجد الدين البغدادى على مذهب الامام ابى حنيفة يعنى من غير ولى فطار عقله من سماع هذا الكلام وقال بلا توقف ارموه فى البحر لما انه اتى بما يشيننا بين الانام فرموه حالا فى جيحون مغرق فى رحمة الله تعالى فلما بلغ خبره الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره قال فرزند مجد الدين را در آب انداختند ومرد ثم خر ساجدا لله تعالى وبقى فى السجدة زمانا طويلا فلما رفع رأسه قال الحمد لله فسأل بعض الحاضرين عن سبب سجدته وقوله بعد ذلك الحمد لله فقال طلبت من الحق سبحانه دية ولدى مجد الدين فا عطانيه فحمدته لذلك فقيل وما ديته قال ملك خوارزمشاه فلغوا ذلك خوارزمشاه وقد افاق فى ذلك الوقت وصحا وذكروه بما جرى وقت نشوته من القسوة فدهش من استما هذا الخبر ولم يدر باى شئ يزيل عن خاطر الشيخ الكدر ثم ملأ طشت ذهب بالمسجد ووضع السيف القاطع والكفن فوقه ثم وضع الطشت فوق رأسه حاسرا وحضر حضور الشيخ بالتذلل والانكسار حافيا بالمسجد ووقف فى صف النعال وقال للشيخ بالتضرع والا بتهال اخطأت ياسيدى ان كنت تطلب الدية فهذا هو الذهب وان كنت تطلب القصاص فهذا هو السيف وهذا الكفن وهذا الرأس ومالى من هذا الباب مذهب فقال الشيخ كان ذلك فى الكتاب مسطورا وديته جميع الملك ويذهب فيه رأسك ورؤس كثير من الاكابر والاعيان ونحن ايضا على اثرك فرجع خوارزمشاه خائبا مكسور البال وتيقن بحلول البلاء وتقلب الاحوال فلم يلبث بعد ذلك الا قليلا حتى خرج جنكز خان وجرى ماجرى وحكى ايضا ان مولانا بهاء الدين البلخى والد مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى كان ابن اخت

خوارزمشاه وكان مريدوه واتباعه لايحصون كثرة وكان العلامة فخر الدين الرازى يحسده على ذلك على ما هو العادة المستمرة بين ارباب القلوب وعلماء الظاهر فقال يوما لخوارزمشاه ان فيك اسم السلطنة فقط وانك حارس الخزينة واما السلطنة الحقيقية فلبهاؤ الدين ولواراد بهاؤ الدين ان ينتزع الملك عنك لانتزعه بكلمة واحدة وكان خوارزمشاه كثيرا لتوهم منه قبل ذلك فلما قال له هذا الكلام اثر فيه وقوى توهمه فارسل قاصدا الى مولانا بهاؤ الدين يقول له ليتفضل مولانا علينا باستلام الملك منا والجلوس مكاننا ففهم مولانا المقصود وقال مرحباما ميرويم ايكن بجاى مادبكران مى آيند وخوارزمشاه راهم دربنجانكذرند يعنى نحن نذهب ولكن يجيئ مكاننا قوم آخرون ولايترك كون خوارزمشاه ايضا هنا فخرج مع اهله وعياله ومتعلقاته واتباعه الى الروم واستوطن بقونية واكرمه سلطانها علاؤ الدين السلجوقى غاية الاكرام واشار مولانا جلال الدين الرومى فى كتابه المثنوى الى هذا الحال حيث قال شعر:

هيج قومى راخدا رسوانكرد * تادل صاحب دلى نايد بدرد*

يعنى ان الحق سبحانه لايفضح احدا ولايهتك ستره حتى يتاذى قلب صاحب القلب وهذان من الاسباب الخفية التى هى كالمبادى للاسباب الظاهرة وهى كالمرتبة عليها **فمنها** ما ذكره فى روضة الصفا حيث قال ان خوارزمشاه لما اظهر المخالفة للخليفة الناصرلدين الله وحاربه واراد خلعه ارسل الناصر (١) الى جنكز خان يحرضه على الخروج على خوارزمشاه والتعرض لمملكته يريد بذلك اشغال خوارزمشاه عن نفسه وكسر شوكته وكلما منعه العقلاء عن ذلك وخوفوه بوخامة عاقبته لم يفد شيئا ولم يسمع كلام احد فكان بذلك كالباحث بظلفه عن

(١) قال المورخون فى كيفية ارساله نذامر بحلق شعر رأس شخص ثم كتب على رأسه بالنيل رسالته الى جنكزخان وجعل الشخص المذكور فى زى درويش وارسله وذلك خوفا من وقوع كتابه بيد الخوارزم شاهيين فان الطريق انما هو من بلادهم.
منه عفى عنه.

حفته ومظهر القول القائل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه حيث صار سببا لخراب مملكته وانقطاع الخلافة من ذريته اورد فى روضة الصفا بعد ذكره هذا حكاية مناسبة لذلك وهى ان ثلاثة من الزهاد والعباد كانوا يمشون على طريق فوصلوا الى محل فيه عظام بالية فقال كل منهم ليت شعرى عظام اى حيوان هذه فاتفقوا على ان يدعوا الله سبحانه ليحييها فاجتمعت العظام بدعاء واحد منهم وكسيت لحما وعروقا بدعاء الثانى منهم ونفخت الروح فيها بدعاء الثالث وقامت اسدا قويا عظيم الهيكل مهيب الشكل واهلك كلا منهم ومزقهم (١) تمزيقا واكلهم اه وكلام الخليفة وان كان له تأثير فى قلب چنكزخان ووسوس الشيطان فى صدره بنزع الملك من خوارزمشاه ولكن لما كان بينه وبين خوارزمشاه معاهدة ومصالحة لم يسمح نفسه ان ينقض العهد واستقبحه ولم يقبل قول الخليفة اصلا ولم يلتفت اليه قطعا الى ان وقع من غاير خان فى حق چنكزخان من الغدر الذى لا يليق بمن فيه اسلامية بل لا يصدر ممن له ادنى انسانية وهو الثانى من الاسباب الظاهرة وهو اقرب الاسباب وبيانه ان چنكزخان لما فرغ من استخلاص جميع ممالك التركستان بحروب كثيرة فى مدة مديدة ولم يبق هناك من ينازعه من الرجال وصفا له الوقت والحال واجتمع عنده كثير من الاموال اراد ان يستريح من متاعب الحروب وان يقضى بقية عمره باللهو واللعب وان يعمر البلدان ويرفه الرعايا ببث العدل بينهم والامان وبذل الانعام والاحسان وجلب التجار من سائر الاقطار وكان قد سئم من الحروب المتتابعة فى الازمنة المتطاولة وكان يهرب عنها باقصى جهده ويميل الى جانب الصلح مهما امكنه ولو ببذل موجوده خصوصا مع خوارزمشاه فان بلاده كانت اقرب اليه من سائر البلاد وهيبته قد تمكنت فى قلوب العباد وعساكره قد ملأت السهل والوهاد وهو مع ذلك يحب المسلمين ويعظم شعائر الدين فارسل فى حدود

---

(١) وقد صار فعل الناصر المذكور مثل ذلك بعينه فاى معنى فى لعن چنكزخان بعد ذلك اليس المستحق للعن هؤلاء المسببون. منه عفى عنه.

سنة ٦١٢ رسلا الى خوارزمشاه يطلب منه المعاهدة والمهادنة والموادة والمخادنة وتردد التجار والزوار من الجانبين وارسل اليه هدايا عالية وتحفا سامية وهم اعني السفراء محمود يلواج الخوارزمى وعلى خواجه البخارى ويوسف الانزارى فلما تمثلوا بين يديه وبلغوا الرسالة اليه وقدموا الهدايا المرسلة وعرضوها عليه قبل ملتمسه بعد اللتيا والتى بتدبير محمود يلواج ومهارته فى معرفة اساليب الكلام وايراده اياه على وجه يقبله جميع الانام فرجعوا الى چنكزخان مقضيى المرام وحكوا له جميع ما شاهدوه وسمعوه وقبوله المعاهدة والموادة فاستبشر به چنكزخان غاية الاستبشار وصمم ان لا ينقض العهد ابدا مالم ينقضه خوارزمشاه ولو احرق بالنار ولهذا كان لا يصغى الى كلام الخليفة اصلا كما مر آنفا ومر على ذلك مدت ثلاث سنين والتجار والزوار مترددون فى اثناء تلك المدة فيما بين هاتيك الديار آمنين مطمئنين الى ان بدل خوارزمشاه نعمة الله كفرا واحل قومه دار البوار وتسبب لخراب الديار حيث ارتكب ما لا يرتكبه اخس الكفار وذلك ان جماعة عظيمة من تجار بلاد چنكزخان قدموا سنة ٦١٥ الى انرار وهى بلدة بثغر ممالك خوارزمشاه من طرف ممالك چنكزخان بساحل نهر سيحون الشهير بسير دريا وبها وال من طرف خوارزمشاه كان اولا يسمى اينالچق وله قرابة لخوارزمشاه ثم لقبه بغاير خان ومنع من تسميته باسمه الاول فلما ورد هؤلاء التجار الى انرار وهم زهاء اربعمائة نفس ومعهم اموال جسيمة نفيسة وكان بعضهم يعرف غاير خان اولا فخاطبه باسمه الاول لعدم علمه بالمنع عنه غضب غاير خان لذلك وانضم الى ذلك تسويلاته النفسانية له من الطمع فى اموالهم هنالك فارسل قاصدا الى خوارزمشاه وهو حينئذ بالعراق قد رجع من حرب الخليفة بنية الرجوع اليه فى الربيع الآتى يخبره ان جواسيس چنكزخان قد قدموا على هذه الديار فى زى التجار فما ذا تقول فى امرهم وما ذا تستحسنه فيهم من الاراء والافكار وحيث ان زوال ملكه كان قريبا امره بلا تردد ولا تفكر بقبضهم وقتلهم جميعا

فاغتنم الوالى الخائن ذلك لانه كان اقصى مرامه ميما هنالك فقتلهم عن آخرهم واخذ اموالهم كلها فلم ينج منهم غير واحد فرجع هذا الناجى الى جنكزخان واخبره بالحالة الواقعة فارسل جنكزخان قاصدا الى خوارزمشاه يخبره بصورة الحال ويطلب منه غايرخان الغادر ليقتص منه فقتل خوارزمشاه القاصد ايضا وذلك لما اراد الله زوال ملكه ولنعم ما قيل شعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاول ما يجنى عليه اجتهاده *

فلما سمع جنكزخان قتل سفيره ايضا فوق تلك الحادثة استشاط غضبا وتيقن ان خوارزمشاه لم يترك مجالا للصلح فصمم على قصده وحربه فخرج اولا الى فضاء وصعد فوق تل مرتفع هناك وكشف رأسه ووضع خده على التراب وتضرع الى الله تعالى وطلب منه سبحانه النصرة واعتذر بانه مضطر ومجبور فى تلك الحركة لكونه هو المجنى عليه مرارا ولكون اخذ ثار رعاياه واجبا على ذمته ودام على ذلك ثلاثة ايام حتى سمع صوت هاتف دال على نصرته وغلبته وهذا كان دأبه دائما فنزل من التل وامر باحضار العساكر متيقنا بالفوز والظفر وارسل قاصدا الى خوارزمشاه يخبره بقصده فوقع بينهما ما هو(١) هو مسطور فى كتب التواريخ اجمالا وتفصيلا فلا نطيل بذكره هذا المختصر وهذا هو اولية التتار ومغل ومنشأهم واصلهم وفصلهم وانما اشتهروا بالتتار مع ان الملوك حين اشتهارهم وغلبتهم من المغل لكثرتهم واشتهارهم اولا قبل غلبة المغل تنبيه

(١) وسه دريانوت الحموى حيث انشد من لسان خوارزمشاه سامحه الله تعالى اشعار :

قتلت صناديد الرجال ولم اذر * عدوا ولم اترك على حسد خلقا
واخليت دار الملك من كل نازع * وشردتهم غربا وبددتهم شرقا
فلما لمست النجم عزا ومنعة * وصارت رقاب الناس لى جمع ارقا
اتانى سهام الغيب اخمد جمرتى * فها انا ذاقى حفرتى مفرد املقا
ولم يغن عنى ماصنعت ولم اجد * لدى قابض الارواح من احد رفقا
وافسدت دنياى ودينى جهالة * فمن ذا الذى منى بمصرعه اشقى

منه عفى عنه .

مهم قال ابوالفرج الملطى فى تاريخه مختصر الدول بعد ما ذكر صعود
جنكز خان فوق التل ودعائه ثلاثة ايام ما نصه وفى الليلة الثالثة رأى
فى منامه راهبا عليه السواد وبيده عكازة وهو قائم على بابه يقول له
لاتخف افعل ما شئت فانك مؤيد فانتبه مذعورا ذعرا مشوبا بالفرح
وعاد الى منزله وحكى حلمه لزوجته وهى ابنة اونك خان فقالت له
هذازى اسقف كان يتردد الى ابى ويدعوله ومجيئه اليك دليل انتقال
السعادة اليك فسأل جنكز خان من فى خدمته من نصارى الايغور هل
ههنا احد من الاساقفة فقيل له عن (ماردنحا) (١) فلما طلبه ودخل عليه
بالبيرون الاسود قال هذازى من رأيت فى منامى لكن شخصه ليس
ذاك فقال الاسقف يكون الخان قدرأى بعض قديسينا ومن ذلك الوقت
صار جنكزيميل الى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم انتهى بحروفه
وقال قبل ذلك فى بيان اولية جنكز خان وفيها (يعنى سنة ٦٩٩) وهى
سنة الف وخمسمائـــة واربع عشرة للاسكندر كان ابتداء دولة المغل
وذلك ان فى هذا الزمان كان المستولى على قبائل الترك المشارقة
اونك خان وهوالمسمى ملك يوحنا من القبيلة التى يقال لها كرايت وهى
طائفة تدين بدين النصرانية اه ما هوالمقصود بحروفه ايضا قلت لاشك
فى كذب قوليه فى الفصلين وكذبه غنى عن البيان غير محتاج الى الاستدلال
عليه ولكن لما كان المذكور من المشاهير وقوله مقبولا عندالبعض
من الاكابر والاصاغر خصوصا عند طائفة النصارى لكونه نصرانيا
خصوصا فى مثل هذا الامر الذى يتوهم فيه حصول ادنى رواج لدينهم
فانهم يبلونه فى اول وهلة من غيران ينظروا الى صحته وعدمها لا
بأس ببيان بعض مافيه لعل ينتفع به طالب الحق السالم من التعصب
والتعسف فاقول وبالله التوفيق وبيده ازمة التحقيق اما كذب قوله
الاول اعنى ادعاءه ظهور الاسقف لجنكزخان فى منامه فبيانه ان الامور

---

(١) اسم شخص من مخترعات طائفة النصارى ومن منحوترو هامهم. هـ منه عفى عنه.

التاريخية موقوفة على النقل لاسبيل اليه للعقل فلاشك ان ابا الفرج انما نقل تاريخه من غيره والتواريخ التي ذكرت فيها احوال مغل وچنكز خان واولاده كثيرة جداهني ان التواريخ المؤلفة لاجلهم فقط ينوف على مجلدات كثيرة ولم يذكر احد منهم ما ذكره ابو الفرج فلوكان صحيحا مطابقا للواقع لذكروه في تواريخهم اوذكره بعضهم وحيث لم يوجد في واحد منها بان كذبه وانه من مخترعاتهم وثانيا قوله حكاه لزوجته وهي ابنة اونك خان غلط فان الذين اعتنوا بضبط احوال چنكزخان لم يذكروا في تعداد ازواجه ابنة اونك خان وانما ذكروا له خمسة ازواج مشهورة كبار صاحبات الاعتبار وليست واحدة منهن ابنة (١) اونك خان والبقية من ازواجه ليس لهن اعتبار بل هن مثل الجواري بل احس منهن في رسم المغل وانما فائدتهن التمتع بهن فبعيد ان يشاور من مثل چنكز خان ويرجع الى قولهن سيما في مثل هذه الامور الكبار وثالثا ان قوله الاول يشعر بان اونك خان من قبيلة ايغور وانهم نصارى وقوله الثاني صريح في انه من قبيلة كيرايت وانهم نصارى فبينهما تناقض ظاهر والحق ان اونك خان من قبيلة كيرايت وانه كان ملكهم ولكن قوله انهم كانوا يدينون بدين النصرانية كذب محض لا اصل له ولا حقيقة بل هو مخترعات النصارى بل الحق والصواب ان قبائل المغل واكثر قبائل التتار بل اكثر قبائل الترك الكائنين في تلك الناحية كانوا في ذلك الوقت غير متدينين بدين من الاديان سيما النصرانية فانهم كانوا لايعرفونها قطعا لعدم اختلاطهم بهم لعدم الاتصال بين ممالكهم وقد اغتر باقوال هؤلاء الدجالين

---

(١) اما زوجته الاولى التي تزوجها في شبابه وهي ام اولاده وصاحبة البيت وما لكتها التي يقال لها في اصطلاح قدماء الاتراك وعند القزاق الى الآن باي بيچه بهى بورته فوجين ابنة داي سچن رئيس قبيلة قونكرات والثانية كنحوابة التان خان الخطائي والثانية كوى سوزوجة تايانك خان النايماني والرابعة والخامسة ميسولون ويسوكان كلاهما ابنتا واحد من قبيلة التتار هكذاذكره في شيباني نامه وشجرة الترك. منه عفي عنه .

الكذابين بعض مورخي الاسلام من المتاخرين وقالوا بوجود النصرانية فيهم ولم يدروا ان جل بضاعتهم هونشر الاباطيل لترويج النصرانية ولتكليف الضعفاء واجبارهم على التنصر تمسكا بانهم كانوا ولا من النصارى فلو استحكمت النصرانية فيهم على حدما ادعوه لانتشرت النصرانية بين التتار حين بعث البابا بعوثا متعددة فى اوائل ظهور التتار لاجل الغرض المذكور كما سيجيء ولكن لم ينقل عنهم احد ان البعث المذكور انتج فى الغرض المذكور ادنى نتيجة فتنبه* واما الاسلام فانهم كانوا يعرفونه ويعرفون اهله ويعظمونهم وكان فى بلاده نفوس كثيرة من المسلمين وكان التجار المقتولون فى اترار ظلما كلهم مسلمين كما قدمنا وكان المغل والتتار بحيث لو وجد فى ذلك الوقت من يدلهم على الاسلام ويرشدهم الى الايمان بحسن الارشاد واظهروا محاسنه فعلا وقولا لاسلموا عن آخرهم وآمنوا باسرهم وانما بقوا على الكفرمدة لعدم من يدلهم ويرشدهم الى طريق الحق ويجلبهم اليه باظهار مزاياه بل كان يصدر من رؤساء اهل الاسلام ماينفرهم عن الاسلام واهله كما مرمن معاملة خوارزمشاه معهم فضلا عن اظهار محاسنه ولهذا اسلموا عن آخرهم لما استولوا على بلاد المسلمين وغلبوهم على ممالكهم على خلاف العادة فان العادة ان يقلد المغلوب الغالب فى جميع شئونه كماهو مشهود الى الآن وذلك لارتفاع المانع ولاطلاعهم على محاسن الاسلام ولقد اختلف فى ايمان جنكزخان كماسنذكره عن قريب انشاء الله واما حبه وحب اولاده الاسلام واهله وتقديمهم وترجيحهم اياهم سائر الملل فمما لايرتاب فيه من له ادنى المام بتواريخهم فقوله فمن ذلك الوقت صار يميل الى الخ كذب صريح ومصنوع صرف وقوله فى اونك خان وهو المسمى ملك يوحنا فمما يقضى منه غاية العجب فان هذا الملك يوحنا فى تلك الناحية من عجيب مخترعات طائفة النصارى من اهل الاوروبا ولهم فيه آراء مختلفة واقوال مختلقة وحكايات مزخرفة وقصص متناقضة فتارة يجعلونه فى تلك الناحية وتارة يثبتونه فى

بلاد الهند وتارة يملكونه ممالك الحبشة وتارة يجعلونه فى زمن چنكز خان وتارة يجعلونه فى زمن اولاده واحفاده فصاروا بذلك مضحكة لاهل ملتهم الذين تخلصوا من ربقة تقليد القسيسين الرهابين وصرفوا انظارهم الى كشف الحقايق على الوجه اليقين فضلا عن غيرهم كما افصح عن ذلك رفاعة بك فى الجلد الاول من ترجمته لجغرافيا ملطرون الفرانساوى من شاء فليراجعه ولنرجع الآن الى بيان احوال چنكز خان فنقول انه فرغ من الاستيلاء على ممالك خوارزمشاه وفعل فيها مافعل مدة سبع سنين عزم على الرجوع الى بلاده واجتاز فى رجوعه ببخارى فقال لصدر جهان اعنى قاضى القضاة وشيخ الاسلام ارسل الى من له معرفة تامة بشريعتكم فارسل اليه القاضى اشرف وواحدا من الوعاظ فسئلهما عن الاسلام وحقيقته فذكرا له الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج فاستحسن الجميع وصدق الا انه قال فى الحج كما ذكر له بيت الله ان جميع الدنيا بيت الله وبيته لايختص بمكان دون مكان ولكن لما كانت تلك البلاد محلة امر الله الاغنياء بالذهاب هناك ويتصدقوا على الفقراء القاطنين بها لطفا منه تعالى بهم ولما رجعا من عنده الى صدر جهان حكم القاضى شرف باسلامه وحكم الواعظ بكفره قائلا بانه انكر الحج الذى هو احد اركان الاسلام* وانت خبير بانه لو صحت هذه الحكاية لاشك فى ايمانه لانه لم ينكر الحج وانما بين بزعمه حكمة فرضيته وتشريعه تعالى اياه لعباده وهو ليس بانكار والله اعلم بسرائر عباده وكان المغل والتتار فى ذلك الوقت غير متدينين بدين من الاديان ولم يكونوا يعبدون الاوثان والاصنام ولكن كانوا يعرفون الله سبحانه بالفطرة ويوحدونه ويتقربون اليه تعالى بمقتضى الظنون والاوهام وبعض تلك الامور الوهمية باقية الى الان فى بلاد قزاق وماقيل فى بعض التواريخ انهم كانوا يعبدون النجوم والشمس والاصنام غير صحيح سيما القول بعبادة الاصنام والاوثان فان عقول الاتراك اعلى من يعبدوا شيئا صنعوه بايديهم حتى اضطر بعضهم الى القول بان

التوحيد فيهم من مقتضى طبيعة اراضيهم وان كان هذا القول خطابيا فى حدذاته كما مر كل ذلك مستوفى واختلف ايضا فى مقدار عسكر چنكزخان حين استيلائه على تلك البلدان فمن مفرط ومقل ومن مفرط مكثر والصحيح ان عسكره لم ينقص من مائة الف مع كمال الانتظام الذى لم يكن فى غيره من الدول فى ذلك الوقت بل كانوا اشد انتظاما من عساكر دول هذا الزمان مع انتخابه الضباط والقواد من الشجعان اهل التجربة والتدبير بعد طول الامتحان وشدة حكمهم فيمن يصدر منه ادنى مساهلة فى اجراء مأموريته والحاصل ان جميع اسباب الظفر الظاهرية كانت موجودة فيه حتى انه سئل صدرجهان ببخارا حين رجوعه ان خوارزمشاه هل كان يأخذ العوائد الميرية من العلماء فلما اجابه بنعم قال كيف يرجوا النصرة والظفر بهذا المعاملة فان النصرة موقوفة على الدعاء والدعاء يقتضى النشاط وفراغ البال بل الاحسان والانعام ثم امر نوابه بان لا يأخذ والعوائد الميرية من العلماء بل من كافة اهل العلم والتمس منهم الدعاء وسار الى بلده ولما استقر بوطنه الاصلى جمع اولاده واخوانه واقربائه واعيان مملكته واركان دولته فوصاهم بوصايا كثيرة وامرهم بالاتحاد و الاتفاق وحذرهم من المخالفة والمنازعة والنفاق والشقاق ولاسيما عن مخالفة قانونه ونظامه الذى اخترعه من قبل نفسه فى ضبط الامور يقال له يسا اويسق واخرج سهما من كنانته وامر بكسره فكسر ثم اثنين فكسرا ثم الثلاثة ثم الاربعة كذلك ثم اعطى كفا واحدا منها فلم يقدروا على كسره ثم قال هذا مثلكم ان اختلفتم وانفردتم يكسركم العدو واحدا بعد واحد حتى يستأصلكم وان اجتمعتم فلا يقدران يكسركم بل انتم تغلبون ووصاهم ايضا بان يقدموا ارباب الشجاعة والنجدة وان يولوهم على العساكر وان يقلدوا المناصب اهلها وارباها واكد عليهم فى ذلك ووصاهم بوصايا كثيرة غير ذلك وكان له من ازواجه وجواريه كثير من

الاولاد الذكور والاناث حتى قيل ان عددهم بلغ الاربعين ولكن كان المعتبر عنده والمستحق للملك بعده على رسم التتار والمغل اربعة بنين من اكبر ازواجه بورته فوچين ويقال لاكبر الازواج فى رسمهم باى بيچه يعنى صاحبة البيت ويكون المستحق للميراث اولادها فقط دون غير وهذا الرسم باق الى الآن فى بعض قبائل قزان واكبر هؤلاء الاربعة الاولاد (١) جوجى ثم چغطاى ثم تولى ثم اوكداى فقسم ممالكه بين هؤلاء الاربعة فدشت قبچق باسرها وبلاد الدغستان وخوارزم وبلغار وسقسين والروس وما يؤمل اخذه الى منتهى المعمورة وسواحل البحر المحيط الغربى من طرف الغرب لولده الاكبر جوجى خان وبلاد ايغور والتركستان وما وراء النهر باسرها لولده الثانى چغطاى وخراسان وما يؤمل اخذه من ديار بكر والعراقين الى منتهى حوافر خيولهم لولده الثالث تولى خان وهو ابو منكو قاآن وهلاكو وبلاده الاصلية والخطا والصين الى منتهى المعمورة من طرف الشرق لولده الرابع اوكداى قاآن وجعله ولى عهده من بعده ونصبه قاآنا على الكل ومعنى القاآن ملك الملوك وهو بمنزلة الخليفة عند المسلمين ودونه القان ودونه الخان كذا قال البعض والظن الغالب ان القاآن محرف خاقان او الخاقان معرب قاآن والقان مع الخان كذلك وامر الباقين بمتابعته وكذا كل من يصير قاآنا من ذريته يجب على الباقين اطاعته واتباعه ومن خالفه يجب على الباقين محاربته ومقاتلته حتى يفيء الى يساق چنكز خان وامتد هذا الامر مدة ولاية اوكداى قاآن ومنكو قاآن وبعد ان تولى قبلاى قاآن خالفه (٢) بركه خان ونبذ قانون چنكز خان وراء ظهره فلم يجر على وفقه من ذلك الوقت ثم تابعه فى ذلك بعده اخلافه وذلك لتشرفهم بشرافة الايمان

---

(١) ويقال له فى العربية طوشى ودوشى . منه عفى عنه.

(٢) اى ابتداء فلا يردما سيجيء من المناوشة بين كيوك قاآن وباتو خان فان المخالفة هناك من طرف كيوك قاآن لامن طرف باتو كما سيذكر ان شاء الله . منه عفى عنه .

والاسلام ثم تتابعت المخالفة بينهم فى جميع الشعوب لانصباغهم بصبغ لايمان والاسلام بمشية الله وهدايته فلما فرغ چنكز خان من وصاياه اجاب داعى الحق على رغم منه وذلك سنة ٦٢٤ لاربع ليلة مضت من رمضان فى سنة الخنزير بحساب الاتراك وكانت مدة عمره سنة٧٣ ومدة سلطنته بالاستقلال ٢٠ سنة اوكداى قاآن ولما مضى من موت چنكز سنتان اجتمع اولاده واحفاده واخوانه وسائر اعيان بلاده وامراء مملكته فى قرا قورم واجلسوا اوكتاى قاآن على سرير القاآنية بموجب وصية چنكز خان فاستمر على القاآنية (١) الى ان مات سنة٦٤٣ وكان ملكا عادلا شهما محبا للمسلمين وكان مثل آبائه عاريا عن حلية الدين وقد اطنب المير آخوند فى تعداد محاسنه فلا حاجة بنا الى ذكرها كيوك قاآن جلس بعد سنة من موت ابيه اوكداى على كرسى القاآنية بوصية منه وتنصر مع شرذمة من بطانته بدلالة آتابكه قداق خان ولم تطل مدته بل مات بعد سنة من جلوسه وسيجىء واقعته مع باتوخان ابن عمه جوجى خان فى ترجمة باتوخان ان شاء الله * وبموته سلبت القاآنية من ذرية اوكداى وانتقلت الى ذرية تولى خان ثم انتقل حكومة ما وراء النهر من اولاد چغطاى الى اولاد اوكداى بمرور الزمان وتداولتها عدة خوانين منهم وآخر من مات منهم هناك السلطان محمود خان ابن سيورغتمش خان وهو الذى اسر السلطان الغازى يلدرم بايزيد خان فى وقعة تيمرلنك بانقره ومات هناك فى العام المذكور اعنى سنة ٨٠٥ قبل قتل تيمر والله اعلم ولم اطلع على اول من اسلم منهم الا ان قيدو بن قاشين بن اوكداى كان يوالى المسلمين كثيرا خصوصا بركة خان وبواسطتـه

(١) وفى ايام سلطنة اوكداى ومن بعده من اولاد چنكز خان مثل منكو قان وقبلاى قاآن انتشر الاسلام فى ممالك الصين قاطبة ودامت قطعة الصين فى تصرفهم الى سنة ٧٦٩ والجوامع الموجودة الان فى پيكين وغيرها من دواخل الصين انما بنيت فى عصرهم وطائفة دونكان من الذين اسلموا من اهل الصين فى تلك المدة . منه عفى عنه .

لم تنقطع مراسلته مع الملك الظاهر بيبرس وسائر ملوك مصر بعده الى ان توفى سنة ٧٠٩ وقيل سنة ٧٠٢ وهو الاصح وكان المذكور عضد بركة خان ومن بعده من ملوك سراى فى محاربتهم بنى هلاكو وتنكيلهم اياهم قال فى روضة الصفا انه كان يحب العلماء ويباحث الحكماء وكان لايشرب القمز ولا الشراب وكان ذاذهن نقاد وطبع وقاد وكان يقوم قبل طلوع الفجر ويقعد مطرقا رأسه متفكرا على هيئة المراقبة واسند مولانا زين الدين الذى كان ملازماله هذا الرباعى اليه رباعى :

اندر ره حق كه بنده وشاه يكيست * محبوب ومقربان دركاه يكيست *
بتخانه شده ام دوش پنى راديده ام * انكشت بر آورد كه الله يكيست *

وهذا من كلام اهل الاشارة فضلا عن عوام المسلمين فهو مسلم ان شاء الله چغطاى ابن چنكز خان وهو ثانى اولاده كما مر وجلس على مسند الخانية بموجب وصية ابيه بما وراء النهر وكان اشد اولاد چنكز خان فى رعاية يسقه وتسلطن من ذريته بماوراء النهر ثمانية عشر نفرا وكان آخرهم قبول سلطان كان الامير حسين بن الامير قزغن ولاه السلطنة فقتله تيمرلنك مع الامير المذكور سنة ٧٦٠ وولى مكانه سيورغتمش المار ذكره آنفا وقد تسلطن كثير من اولاد چغطاى بممالك الخطا والكاشغر ومغل واشتهروا هناك بخوانين مغل حتى بقوا الى قريب من زماننا والظن ان عقبه موجود الى الان هناك والله اعلم وهذا چغطاى هو الذى اشتهر باسمه سكان ماوراء النهر وقيل لهم چغطاى وبقى هذا الاسم فيهم الى الآن واول من اسلم من اولاده مباركشاه بن قراهلاكو بن موتوركن ابن چغطاى ثم بعده براق خان ولكن لم يسلم معهما جميع اولاد چغطاى ثم لما اسلم طرما شيربن خان اسلم جميعهم ولم يبق منهم بل من جميع طوائف المغل والتتار الذين بماوراء النهر احد على الكفر وكان طرماشير بن خان فى اوائل العصر الثامن وقد ذكره ابن بطوطة فى رحلته وحكى من احواله الغرايب بسماعه ورؤيته ثم لما اسلم توغلق تيمرخان ببلاد كاشغر ومغل

اسلم معه ١٦٠٠٠٠ نفرا من المغل تولى خان بن چنكز خان وهو الثالث من اولاده وهوالذى عين له چنكزخان ممالك عراق وفارس وخراسان وما والاها كما مرلكنه مات قبل ان يتولاها ثم تسلطن من ذريته بتلك (١) الممالك ٩ انفار اولهم هلاكو الذى فعل ما فعل من تخريب بغدا دوقتل الخليفة والاستيلاء على سائر بلادالمسلمين حتى مات كافرا زنديقا باتفاق المورخين سنة ٦٦٣ فى ربيع الاول وقيل الآخر اوصارالى اسفل السافلين وآخر هم السلطان السعيد ابوسعيد خان عليه الرحمة توفى سنة ٧٣٦ وبموته انقطع ذرية تولى خان فى ممالك عراق وتفرق ملكهم شذر مذر وجاء الله سبحانه بقوم آخرين واما فى بلاد الصين فقد بقوا فيهاالى سنة ٩٦٧ ثم انقرضوا واول من اسلم من ذرية تولى نكودار اوغلان ابن هلاكو ولما اسلم تسمى احمد وسبب اسلامه ان طائفة من الرفاعية ويقال لهم الاحمدية نسبة الى سيدى السيداحمد الرفاعى قدس سره اظهروا الكرامات عند هلاكوفتنزل عن شدته بالمسلمين ولكنه ما اسلم كما ظن بل سلم اليهم ولده الصغير نكودار واعطى فى تربيته لهم الاختيار فاسلم الولد على ايديهم وتسمى احمد لكونه اسلم على ايدى الاحمدية ولكن ما اسلم معه منهم الا القليل ولذلك قتلوه سريعا بعد تملكه ثم لما اسلم الملك محمود غازان خان اسلم جميعهم طوعا وكرها وكان اسلامه وتملكه سنة ٦٩٤ بدلالة الحاج نوروز بك من امراء المغل على يد الشيخ ابراهيم الحموى بمقام فيروزكوه فى شعبان واسلم معه سبعون الفا من اكابر مغل وصناديد التتار وقيل اربعمائة الف نفس ولامنافاة بينهما فان الاول محمول على العساكر

(١) وانما قلنا بتلك الممالك فانه قد جلس منهم على مسند القا آنية ببلاد المغل عدة انفار . منه عفى عنه .

(٢) وهم الشيخ ابو يعقوب ومحمد خواجه الدربندى وغيرهما حضروا عند هلاكو ودخلوا النار وشربوا السم والنحاس المذاب فلما عاين هلاكوخان خاف الاولياء وعظم الاسلام كذا فى تاريخ القرامانى نقلا عن البيضاوى . منه عفى عنه .

والامراء الاكابر والثاني محمول على العامة وباسلامه استوعبت انوار الاسلام جميع طوائف التتار وانتشرت الى جميع الاقطار وكان للملك المذكور مكارم ووقائع مشهورة وفي كتب التواريخ مكتوبة ومسطورة (١) رحمه الله تعالى جوجي خان ابن چنكزخان وهو الذي نبين تفاصيل احوال ولاده بتوفيق الله سبحانه وعونه تعالى في هذه الوريقات لكونهم ملوك البلاد التي نحن الآن بصدد بيانها اعني بلاد بلغار وقزان وقريم وغيرها فاقول ان جوجي خان هذا هو اكبر اولاد چنكز خان ويقال له في العربية دوشي وربما يقال له طوشي وكانت وظيفته المقررة له من قبل ابيه الصيد الذي هو احسن وظائف الملوك عندهم وقد تقدم ان چنكزخان عين له البلاد الغربية اعني ممالك بلغار والروس والچركس وخوارزم والقفچق وما والاها وكان بينه وبين اخويه چغطاي واوكداي ضغينة وبرودة دائما ولما استولوا على خوارزم سنة ٦١٧ توجه بمن معه نحو دشت القفچق قيل بامر ابيه وقيل بلا امره واقام هناك مشتغلا بالصيد واللهو والطرب فارغا من الحرب والنهب والقتل والسلب وانما فتح بعض البلاد المجاورة بتلك الممالك صلحا وبعضا آخر عنوة (٢) ولما توجه چنكزخان نحو وطنه الاصلي بعد ان استولى على ممالك خوارزمشاه على ما مر ارسل الى جوجي يعلمه بتوجهه ويامره بالحضور لديه وان يسوق وحوش الدشت اليه فركب مع عسكره وساق الوحوش

(١) قيل انه رأى سيدنا عليا كرم الله وجهه في المنام مرارا وانه كان يباحث ومولانا هبة الله التركستاني العلوم العربية والبيان وكان يغلبه عليها في اكثر الاوقات كان في وقته بمملكته كثير من العلماء الكبراء وكان يكرمهم غاية الاكرام والاولياء العظماء وينعم عليهم نهاية الانعام. منه عفي عنه .

(٢) وما قيل ان في تلك الاثناء ياتيه كبراء الروس وحكامهم واحدا بعد واحد ايحرضونه على قتال الروس ولكن كان جوجي خان يحمله على المكيدة ثم لما تحقق صدقهم هاجم على بلادهم كذب وخرافات لا اصل له وانما اخترعوه لحط التتار عن رتبتهم في الشجاعة بحمل انتصارهم على الروس على نفاق الروس وامداد بعضهم اياهم على الروس. منه عفي عنه .

وصيد الدشت نحوه فاصطادوا منها مالايحصى واهدى له كثيرا من تحف الدشت وطرائفه من جملتها مائة الف حيل ربعها دهم وربعها كميت وربعها سود وربعها بلق واظهر لاخوانه محبة كثيرة واستمال قلوبهم واظهر له چنكزخان عنايات كثيرة ثم ارسله الى مملكته المخصوصة به بعد ان نصحه بنصايح كثيرة تتعلق بامور المملكة وضبط البلاد ومعاملة الرعايا والاعداء وارباب الوداد ولما رجع الى مستقره لم يلبث الاقليلا حتى جاءته منيته وقادته نحو العالم الاخروى رغما على انفه وكان ذلك سنة ٦٢٤ قبل موت ابيه چنكزخان بستة اشهر كان جوجى عادلا كثير المرحمة غير متكلف فى ملبسه ومسكنه ومأكله ومشربه وسائر معاملاته على ما عليه ملوك تلك البلاد من البداوه والسذاجة وكان فى الديانة مثل آبائه وجدوده وخلف سبعة (١) بنين على هذا الترتيب اوردا باتو شوبان واشتهر بشيبان وكذلك اولاده اشتهروا بالشيبانية بركة جمتاى بالتاء وقيل بالباء الفارسية المعقودة بركجار توقايتمر وبقيت مملكة جوجى خان التى يقال لها الوس جوجى يعنى حصته ونصيبه بيد اولاده مدة مديدة بخلاف سائر اولاد چنكز خان وآخر ما انقطع وزال الملك عنهم ببلاد القريم سنة ١٢٩٨ وببلاد قزاق سنة ١٢٦٥ وتسلطن منهم فى تلك المدة اشخاص عديدة كثيرة فى ممالك متعددة كما سنقف على تفاصيل وقائع بعضهم ان شاءالله تعالى ثم استولى (٢) منهم ملوك كثيرة الى بلاد ماوراء النهر وانتزعوها من يد اولاد تيمرلنك وظهر منهم هناك وقائع

(١) قال ابن خلدون ولما أسر التتار بنات خوارزمشاه تزوجهن التتار وتزوج دوشى خان بن چنكزخان باحداهن وقال فى موضع آخر ومنها رسالة اخت السلطان يعنى جلال الدين خوارزم شاه كانت عند دوشى خان اخذها من العيال الذين جاؤا معه واولدها وكانت تكاتب اخاها بالاخبار اه . منه عفى عنه

(٢) من اولاد شوبان ولهذا اشتهروا بالشيبانية نسبة اليه وبالاوزبكية نسبة الى اوزبك خان الآتى ذكره وبقى هذه النسبة بماوراء النهر الى الآن . منه عفى عنه .

كثيرة وآثار جليلة وخيرات كثيرة ذكر كل ذلك تفصيلا يستدعي كتابا على حدة ولهذا اضربنا عن تفصيلها صفحا هنا بل اكتفينا بذكرها في الخاتمة اجمالا ولعله يكون لنا المام به بمشية الله تعالى في محل آخر * **واول** من اسلم من هذه الشعبة بل من اولاد چنكز على الاطلاق بركة خان ابن جوجي وسيجيء بيان ذلك وتفصيل احواله في ترجمته ان شاء الله تعالى وقد ذكر ما جريات جوجي مع ابيه چنكز بطرز آخر تركنا ذكرها لعدم اعتمادنا عليها ولعدم الفائدة في ايرادها **الملك باتوخان ابن جوجي خان الملقب بالصاين** هو ثاني اولاد جوجي كما عرفته عند تعدادهم اجمالا **قيل** لما توفي ابوه جوجي خان في السنة المذكورة ارسل اليه جده چنكز خان يستدعيه هو واخاه الاكبر الاسن اوردا اليه فلما قدما اليه وامتثلا بين يديه عزاهما وطيب خاطرهما واعطى لباتو خركاها ازرق ولاخيه اوردا خركاها ابيض وهذا الخركاه تسمى عندهم (١) اوردا فاشتهر عقب باتو (٢) بكوك اوردا وعقب اخيه اوردا بآق اوردا وفوض امرة الميمنة لكوك اوردا وامرة الميسرة لآق (٣) اوردا اولا مرة الميمنة مزية على امرة الميسرة ويقال للمجموع آلتون اوردا واختار جنكز خان لجانبه دشت القفچق مكان جوجي خان ولده الثاني باتوخان ونصبه خانا فيها واجلسه على كرسيها لرزانته ورجحان عقله وكثرة فضله وغزارة قابليته واستعداده ولقبه بصاين خان يعني الملك

(١) وهذا هو معناها الحقيقي ثم قيل لمعسكر كبير يكون فيه السلطان اوثاقه بالخركاه المذكور اوردو ثم توسع وقيل لكل معسكر كبير اوردو ثم حرفها بعض المستعربين وقال عرضي واورط وهذا مما يوقع في الاشتباه وقيل لبيت صغير في مقابلة الاوردا اوتاغ واوتاق بالغين والقاف ثم قيل بالتخفيف اوطه وهو مستعمل الآن بين الاتراك ويقال في عربيه اوضه. منه عفي عنه .

(٢) فان كوك معناه ازرق وآق معناه ابيض. منه عفي عنه .

(٣) وكان مركز آق اوردو في طرف الشرق من سراي وبساحل نهر سيحون (سير) مثل بلاد صغناق وصبران وهو اسبيجاب وجند واترار وطراز وطرابند وغيرها المفهوم من كلام موسيو شيلر الاميريكي ان صغناق بعد بليدة قاضي على الى جهة الشرق منها ثم صبران المشهور باسبيجاب منه عفي عنه .

الجيد ولقب اخاه اوردا بآ قين خان يعني الملك المغير ثم ارسلهما الى بلاد هما وارسل معهما اخاه اونچيكين لا جلاس باتو مكان ابيه جوجى وامر بامضاء ما كان جوجى نواه فى آخر عمره من غز وبلاد الروس فاول ما جلس باتو على التخت شرع فى تدارك اسباب السفر واحضار آلات النصر والظفر فبينما هو مشغول بذلك اذجاءه نعى جده چنگزخان فى العام المذكور ففسخ عزيمته بالضرورة وتوجه نحو بلاد چنگزخان للتعزية ولمصالح اخرى تتعلق بالملك وخلف مكانه اخاه الاصغر توقايتيمر واخذ بقية اخوته الخمسة معه والصحيح انه سار فى هذه النوبة وحده اومع بعض اخوته وامامسيره مع اخوته الخمسة فانماهو بعدسنتين لقريلتاى المشهور اعنى الاجتماع لاجلاس اوكداى قا آن على سرير القاآنية على الرسم وذلك فى سنة ٦٢٧ واجتمع فيها جميع اولاد چنكزخان واحفاده واخوانه وامرائه الكبار كمامر واجلسوا اوكداى قا آن على سريرا لقا آنية على الرسم المعهود بينهم ولما انقضى ايام سرور هم وقضوا وطر هم من اللهو والطرب توجهوا بهيئتهم الاجتماعية نحو الخطا والصين لمحاربة بعض الملوك هناك لمابلغهم من عصيانه ومخالفته اياهم بعد موت چنكزخان فلما عادوا من السفر المذكور بعد الظفر والفوز بالمطلوب اراد اوكداى قاان آن يتم مانواه اخوه جوجى خان من غزو بلاد الروس والما جار زما والاها من بلاد الكفار الاشرار فاعطى لباتو ثلاثين (١) الفامن العساكر الجرار سوى ما لباتو من العساكر الخاصة به وارسله الى بلاده وضم اليه ولده كيوك قاآن وولد تولى منكو قاآن وولد چغطاى بايدار وجعل الكل تحت رياسة باتو ولما وصلوا الى بلاد باتو من الدشت وانقضت مدة الضيافة وايام الفرح

---

(١) وقد تقدم فى المقصد الاول انه اعطاه ثلاثمائة الفامن العسكر وهى مبالغة بلا شبهة فان العقل لايجوز القيام بمصاريف هذا القدر فى ذلك الوقت. منه عفى عنه.

والسرور امر باتو باحضار العساكر وتهيئة الاسباب ولما تم الامر نهض باتو في حركة وقصد اولا بقية بلاد الدشت وكان ذلك في حدود سنة ٦٣٣ واستولى عليها بتمامها وتقدم الى حدود بلغار ولما قاربوا منابع نهر جائق من جبال اورال هرب قوم سقسين ومرا بطو بلغار الى بلد بلغار واخبروهم بحركة التتار ولكن اقام باتو على قول كارامزين بعد ذلك ثلاث سنين ثم هجم على بلغار واحرقها وامر بقتل اهلها واما على قول الفاضل المرجاني انه استقبلهم هناك امير بلغار الهام خان وصالحهم ودخل تحت طاعتهم لما تيقن من عدم مقاومته اياهم عملا بقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فتخلص بنفسه وخلص مملكته من ورطة هذه المهلكة فاعطوه جميع البلاد والاماكن التي كانت تحت حكومته وقبضة تصرفه على ان يضرب السكة باسمهم وان تكون مملكة بلغار جزءا من ممالكهم واميرها منسوبا اليهم ومختارا في الادارة الداخلية على ماهو عادتهم لمن يلقي اليهم القياد وترك اللجاج والعناد وكان ذلك في حدود سنة ١٢٣٧ ملادية مصادفة سنة ٦٣٥ هـ ثم امر باتو امير بلغار على ماقيل ان يكون معه بعساكره في قتال الروس وان يعينه في ذلك السفر فلم ير بدا من امتثاله لان ذلك اعني اعانته وقت الحاجة كان من شروط مصالحتهم فجمع عساكره وانضم اليه بجموعه على ماهو المشهور بين الناس ثم نهضوا قاصدين بلاد الروس وماوالاها ذلك في حدود سنة ٦٣٥ في اوائل الخريف وكانت الروسية اذ ذاك منقسمة على امارات متعددة وحكومات مستبدة عديدة منها پولوتسكي غالنسيا والينسكي چيرنيكوف اسمولينسكي سوزدل نووغورد وغير ذلك من الامارات الصغار ولم يكن بينهم اتفاق بل هم في شقاق ونفاق كحال المسلمين اليوم حتى قيل ان يارسلاو بن وسيولود كان مع باتو يحرض التتار على قتال الروس ويهون عليهم امرهم ويدلهم على الممار والمسالك فان اخاه (١) يغور

(١) وهو الذي يصرحه بعد ذلك بغيورغي تتذكر. منه عفي عنه

كان حاكما بمملكة سوزدل وهو غير راض به و ينازعه على الحكومة فلما سمع توجه التتار الى الروسية وقصدهم بلادهم اتاهم ليصطنع لهم المعروف فيبال بذلك مقصده الى آخر ماقيل ولكن هذا ومافيل ان بعض حكامهم كان يحرض جوجي خان على قصد بلادهم فرية بلامرية صدرت عمن قصد ستر شوكة التتار وقوتهم وضعف الروس وجبانتهم والاصح فى ذلك ماذكره كارامزين وانا اذكر مقالته هنا نقلا عن ترجمة حسن عطا افندى القاضى سابقا والمرزا اسفنديار افندى نوو بن زاده الصارى طاغى المستافى تولدا والاستانبولى توطنا قال كارامزين لما خرب التتار مملكة بلغار دخلوا بلاد الروس بلاتوقف من بين الغابات الكثيفة وقصدوا ولاية رزان وغيرها من البلاد الواقعة فى شرقى الروس وشماليها ومن امهات بلادها وكرسى سلطنتها وقلب مملكتها من طرف الجنوب الشرقى وارسلوا الى حكام الروس اميرين وامرأة ساحرة للسفارة فلقيهم ولاة رزان بورى واوليغ ورامان اينغورويج وكذلك اهالى مورم وپرونسكي فى قرب نهر ورونيژ وارادوا ان يعرفوا مقصد باتوخان ولم يكن مقصد التتار فى هذه النوبة الصلح والتوادد بل كان جل قصدهم اطاعة الروسية ودخولهم تحت حكومة التتار ولذا قال لهم السفراء ان اردتم الصلح فاعطونا عشر كافة املاككم فاجابهم الحكام المذكورون بانه اذا لم يبق احد من الروس حيا تأخذون جميع املاكهم ثم امروا السفراء بالتبا عد عنهم فاتى السفراء المذكورون بلدة ولاديمر عند غيورغى بتلك السفارة وقد ارسل ولاة رزان ايضا الى حاكمهم الاكبر يخبرونه بقصد التتار ويحرضونه على المقاومة والمدافعة عن الوطن والدين ويستعينونه ويستمدون به ولكن ما اجابهم الحاكم المذكور بشيء اغترارا بنفسه واعتمادا على شوكته وقوته ظنا منه انه يقاوم التتار بنفسه فجعل ولاية رزان قربانا وضحية للتتار واهلها طعما لسيفهم البتار فان يورى لما آيس من الاعانة التقى بعساكره القليلة عساكر باتوخان فى الصحراء ولكن اضمحلت عساكره بالكلية فى اقرب مدة وانفرشوا

فى الارض مع كافة امرائهم منهم حاكم پرونسكى وقولوميندسكى ومورمسكى ولم ينج منهم احد سوى اوليغ اينغورويچ فانه صار اسيرا فتوجه باتوخان بعساكره المهيبة نحو كرسى سلطنة يورى واستولوا فى طريقهم على بلاد پرونسكى وبيلى غوردوايژيستلاوينسا وهدموها وقتلوا اهلها وهجموا على رزان واحاطوا بها وحاصروها وقاتلوا فيها مدة خمسة ايام متوالية وفى اليوم السادس من الحصار احرقوا بعض مواضع السور ودخلوا البلدة بالسلالم بالاستفادة من الدخان وقتلوا اهلها قتلا ذريعا وخربوها وقد هلك الكيناز (يورى) وزوجته وامه وسائر الاعيان والرؤساء من الاهالى حتى الرهابين بحيث لم يبق احد للبكاء والرثا والحزن وصاروا مصداق ماقيل شعر :

سل الديار فهل يبكى بها احد * ام الديار بكت من حال اهليها

وكان ذلك فى ٢١ ديكابر السنة المذكورة وقد قام واحد من البويار (الاعيان) للانتقام من التتار بالف وسبعمائة رجل فصار نصيبهم من سيوف التتار اللحوق بالهالكين وكذلك قام الكيناز وسيوواود بن غيورغى للانتقام من التتار وصد هجماتهم واتفق مع الكيناز رومان اينغورويچ الذى هو ابن اخى كيناز رزان يورى والتقيا مع باتوخان فى قرب قولومنو وانتشب القتال بين العسكرين فقتل من مشاهير قواد عسكر الروس يريمى غليپوويچ والكيناز رومان المذكور واكثر العساكر بسيوف التتار واما الكيناز وسيوولود فقد هرب الى ولاديمير عند ابيه واحرق باتوخان بلدة موسكوا فى ذلك الوقت واسر الكيناز ولاديمير بن غيورغى وقتل قائد جيشهم فيليب وكافة العساكر والاهالى فاستولى الخوف والدهشة على غيورغى الكيناز الاكبر فخرج من بلدة ولاديمير وفوض امر محافظتها والمدافعة عنها على ولديه وسيوولود المذكور سابقا ومستيسلاو وذهب مع ثلاثة من ابن اخيه الى ولاية يارسلاو واقام مع عسكر قليل بساحل نهر سيت الذى يصب على نهر مولوغا وشرع فى جمع العساكر وانتظر الى مجىء اخوانه

خصوصا اخاه بارسلا والذى كان يعد من العقلاء المتيقظين بغاية الانتظار
فظهر التتار تحت قلعة ولاديمير فى الثانى من فبرال (فبرير) سنة ١٢٣٨
مصادفة سنة ٦٣٥ ﻫ كما مر فرآهم اهالى البلدة وتعجبوا من كثرتهم وخفة
حركاتهم واستولى عليهم الخوف العظيم فشجع وسيوولود ومستيسلاو
والقائد بطراوصلاويوكوبج الاهالى ورغبوهم فى القتال فجاء قواد عساكر
باتوخان مع الخيالة (الفرسان) الباب الذهب وسئلوا الروس ان الكيناز
الاكبر هل هو هنا اوتوجه الى جهة اخرى فرماهم الاهالى بالنشاب وقابلهم
التتار بمثل ذلك وصاحوا عليهم ان لاترموا واروهم الكيناز ولاديمير
الذى اسر بموسقوا وقالوا اهل تعرفون كيناز كم فرأوه الاهالى واغواهم
واسالوا الدموع من عيونهم ولكن تجالدوا وكتموا ما بهم من التتار
ولم يصغوا اليهم قطعا فتباعد التتار عن الباب وداروا حول المدينة مرة
يلتمسون موضعا صالحا للهجوم ثم نصبوا خيامهم قبالة الباب الذهب
وعسكروا بها وفى عين تلك الاثناء اراد وسيوولود ومستسلاو الهجوم
على التتار ولكن القائد بطر لما كان عاقلا مدبرا مجربا للامور لم يتركهما
على مرامهما واغترارهما وظن ان الكيناز الاكبر غيورغى يجئ بالعساكر
للمدافعة وتخليص البلدة والوطن فارسل باتوخان فرقة من عساكره
بلا تاخير الى بلدة سوزدل فاستولوا عليها بلا مدافعة ولا ممانعة فى اول
الهجوم وقتلوا اهلها سوى الشبان من الرهابين والراهبات وسكنة
الدير الذين اسروهم ورآى اهالى ولاديمير فى السادس من فبرال ان
التتار يتهياؤن للهجوم ويحضرون الآلات والآدوات لهدم القلعة والصعود
فيها واحاط الاهالى ايضا القلعة بالاخشاب وان كان فى الامكان طلب الصلح
من باتوخان الا ان نخوتهم الفاسدة وغرورهم وكبرهم فى غير موضع
لم يتركهم على ذلك وساقهم الى الهلاك وفى السابع من فبرال هجم
ليوث التتار الى البلدة من جميع الجوانب ودخلوا البلدة الجديدة اولا

من الباب الذهب و (النحاس) و (اصواتي ايرينه) و (نهر كلازمه) وباب (وولغا) فهرب وسيوولود ومسيتسلاو باهلهما وخواصهما الى قلعة پيچورنى اوالقلعة العليا والتجاء زوجة غيورغى آغافيه وبنته وكنه وسائر اولاده وكثير من الاعيان الى الكنيسة فاحرق التتار الكنيسة فمات بعض من التجأ اليها حرقا وهلك بعضهم من سيوف التتار واغتنم التتار جميع الاشياء النفيسة الموجودة فى الكنيسة وقتلوا اكثر الاهالى واسروا الاقل منهم وهلك هؤلاء الاقل ايضا فى معسكر التتار من البرد ولما رأى الكيناز وسيوولود واخوه مسيتسلاو ان لامناص من الهلاك الابالهرب بخرق صفوف التتار فالقوا انفسهم بهذا الفكر الى معسكر التتار فصاروا طعمة لسيوفهم البتار وذاقوا مرارة نخوتهم فى غير موضعها وبعد الفراغ من امر ولاديمير افترق عساكر التتار على فرقتين توجهت فرقة منهما الى البلاد الكائنة على ساحل وولغا يعنى نحو الشمال مثل كاستراما وغالميچينه والاخرى نحو راستوف وپارسلاو يعنى نحو الغرب فلم يصادفوا فى ممرهم مدافعة ومقاتلة تذكر فى موضع من المواضع واستولوا فى فبرال على اربعة عشر بلدا سوى بلدتى اصلا بود وپوغاستنق واخلوا بلاد پرياصلاول اويوريف وديميتريف من السكان بالكلية بقتل اهلها واسرهم وكان الكيناز غيورغ مقيما بساحل نيرسيت الى ذلك الوقت مسبلا دموع عينيه من سماع قتل اولاده واهله وخراب وطنه وهلاك رعاياه سائلا صبرا (١) ايوب ومع ذلك التزم الجلادة واظهر الصلابة واستعد للقتال والمدافعة لى النفس الاخير وقلد قيادة عسكره لشخص من خواصه البويار يارصلاو ما خالكويچ وفى تلك الاثناء اتاه فرقة من طليعته المركبة من ثلاثة آلاف واخبروه بان عساكر التتار قد توجهوا نحو نافاصدين اياما فركب الكيناز غيورغى واخوه اصواتصلاو ورتبا عساكرهما وانتشبت القتال بين الفريقين فلم يمض الى مقدار سويعة حتى انهزمت الروس شر هزيمة وولوا الادبار بحيث لايلوى احد لاحد وهلك الكيناز غيورغى

(١) كذا فى الاصل المنقول عنه. منه عفى عنه.

ايضا تحت سنابك خيول التتار فى ساحل نورسيت وكان ذلك فى ٤ مارت واسروا سيلكوى (لعله من اخوان غيورغى اواولادهم)ولكن لما اظهر النخوة فى غير موضعه قتلوه ورموه فى غابةشرينسكى وبعد ذلك توجه باتوخان بعسكره نحونووغوردواستولوا فى ممرهم على بلدتى وولوك لامسكى وتوير وهلك هناك ولديارسلاوثم ماصروابلده تورژيك ودافع عنها اهلها مدة اسبوعين رجاء ان يعينهم وينصرهم اهل نووغوردولكن من الذى يفتكر فى مثل هذا الوقت غير نفسه ولم يكن قولهم الا ان قالوا نهلك وهلك الوطن ولم يدروا ماذا يفعلون ولم يخطر ببال احد منهم ان يلتمسوا اسباب خلاصهم من هذه الورطة من اتفاق العموم ولو كان ذلك لكان سابقا فاستولت التتار على بلدة تورژيك ايضا وقتلوا اهلها قتلاعاماالاغضابهم اياهم بطول المدافعة وعدم التسليم ثم توجهت التتار نحونووغورد من طريق سيليغرمسكى (غدير كبير فى منبع وولغا) ولم يتركوا فى ممرهم بلدة ولاقرية الاخربوها وجعلوها يبابا ولما لم يبق الى نووغورد الامسافة مائة وبرستا انثنى باتوخان راجعا الى بلاده قيل لكثرة الغابات والمواحل (قلت يعلم من قصده بلاد الروس فى موسم الشتاء انه هرب من مؤونة ترتيب الجسر والمعابر مع كثرة الانهار والمواحل هناك ولما كان آخر مارت ينقطع الطرق هناك مدة عشرين يوماواكثر مع تعب عسكره ونقصانه بطول السفر وكثرة المحاربة ورجع لذلك وذلك من اقبال اهل نووغورد) والا لكان باتوخان مستغرقا فى الغنايم لانه لم يكن فى ذلك الوقت فى الروسية بلدة تساوى نووغورد فى الغنى والثروة وكثرة التجارة بسبب الامن والامان الدائم فصادف مروره فى رجوعه الى بلدة كوزيلسكى من ولاية كالوغا وهذه البلدة وان لم تكن من امهات بلاد الروس الشهيرة الا انه كان له حاكم شاب مغرور منوب الى حكام چيرنيغوف يسمى واسيلى ولما نزل بها التتار استشار خواص ذلك الحاكم وسائرا عيان البلدة فيما يفعلونه من المحاربة

والمسالمة فكانت نتيجة مشاورتهم ان قالوا ان حاكمنا وان كان شابا غير مجرب للامور ولكن من حيث كوننا من معتبرى الروس ومشاهيرهم يلزمنا الموت فى سبيل المدافعة عن الوطن فيخلد ذكرنا الجميل فى صحائف التواريخ فى الدنيا والاجر الجزيل فى العقبى وقرر والامر على ذلك واستعدوا للقتال والمدافعة فاقام التتار حول البلدة سبعة اسابيع ولما رأوا ان اهل البلدة لايسلمون القلعة بلاقتال شرعوا فى هدم السور وهدموه فى اسرع مدة ودخلوا البلدة عنوة وقابلهم الروس بالمدافعة وقاتلوهم كافة بماتيسر لهم من الآلات حتى بالسكاكين وخربوا كثيرا من ادوات التتار التى كانوا يضربون بها القلعة وقتلوا اربعة آلاف من التتار وقاوموهم اشد المقاومة حتى لم يبق منهم احد و اضمحلوا بالكلية وأباد التتار مابقى من الروس فى البلدة وخربوها وسووها بالتراب وسماها البلدة العاتية وصار هذا الاسم فخرا لها فى التواريخ (هكذا يقول الروس) وغاب الكيناز واسيلى فى اثناء المحاربة قيل انه مات غريقا فى دماء القتلى وبذلك اتم باتوخان فتوحاته فى شرقى روسيا وشمالها التى كانت بهاجل قواتها وامهات بلادها وحاكمها الاكبر فأراد الاستراحة قليلا من التعب وتوجه نحو نهردون حيث كان يقيم بها قوم پالوبتسه (يعنى قبچق كامر) وقدمر فى المقدمة بيان وقايعهم بهم فراجع هناك * وادخل باتوخان كافة الاقوام الموجودة بين نهردون (تن) وروولغا تحت حكومته ثم ظفر (١) ثانيا فى حدود الروس واستولى على بلدة مورم وغار وخوف وغيرهما عنوة وكانت تلك البلاد لموردوا (برطاس!) وكانت وقفا لكنيسة ولاديمير ولما رأى اهالى تلك الجهة التى هى تابعة للحاكم الاكبر الروسى تلك الحالة استولت عليهم غاية الخوف وهربوا الى جهات شتى تاركين املاكهم واموالهم يلتمسون المنجى والمخلص من الهلاك وكان عساكر باتوخان تتقدم شيئا فشيئا ولكنهم توجهوا فى هذه النوبة نحو الجنوب فاهدموا هناك

---

(١) فى اوائل الربيع. سنة ٦٣٨ م. منه عفى عنه.

بلدةپرياصلاف وكانت كنيسة ميخايل وحدها تساوى فى الثروة والغنى وكثرة الفضة والذهب لكافة البلاد التى استولى عليها قبل ذلك فقتل رئيس روحانيهم الملقب بسقوپس (الاسقف) واكثر الاهالى وكان فيلق آخر من عسكر باتوخان محاصر البلدة چيرنيغوف فمرج المشهورون بالقوة والشجاعة والبسالة فى ذلك الوقت للقاء التتار وكانوا فى ادارة الكيناز مسيتسلاو ابن غليب اخى اليكناز ميخايل فقاوموهم أشد المقاومة ودافعوا مدافعة الآيس من الحياة ولكن لم يقدروا ان يزعزعوا التتار عن مراكزهم وان يردوهم عن مرامهم فصاروا مغلوبين وانهزموا شر هزيمة واحرق التتار البلدة وسووها بالتراب وذلك فى سنة ١٢٣٩ مصادفة ٦٣٧ سنة هـ ولما حصل التعب لعسكر باتو من المحاربة المتوالية قفلوا راجعين الى ساحل نيردون (تن) للاستراحة واطلقوا اثناء رجوعهم الاسقف پارفيرو من الاسارة وكان مرامهم بذلك ان يستجلبوا قلوب الروحانيين اليهم باصطناع المعروف حتى يحبوهم فيعظون الروس وينصحونهم بترك المحاربة واطاعة التتار بدون المقاتلة وانجى الكيناز مسيتسلاو نفسه من الاسر وهرب الى ماجار مجيء التتار الى كيف واستيلاؤهم عليها وفى سنة ١٢٤٠ مصادفة سنة ٦٣٨ هـ قصد باتو خان جنوب الروسية وكانت من بلادها المشهورة بلدة كيف لكونها من احسن مدنها موقعا وعمارة واكثرها ثروة وتجارة وعلى كل حال لم يكن له بد من اخضاع الروس وادخالهم تحت طاعتهم بالكلية فارسل ابن عمه منكوخان ابن تولى للاستيلاء عليها فجاءها منكو وعسكر فى طرف آخر من نهر دينيپر فلما رآها اعجبه منظرها البهى على مايقول مورخوا الروس فارسل منكوخان الى اهل كيف يدعوهم الى الطاعة وترك المحاربة وقد ادهش الروس مافعله (١) التتار المغربة فى عهد چنكزخان بهم فى ساحل نهر قالقا

(١) وقد مر بيان خلاصته فى هامش المقدمة منذ ذكر القفچق وحاصله ان كافة حكام الروس خرجوا من كيف لطلب التتار ومحاربتهم بتحريض الفارين من خوانين قفچق من صولة التتار خصوصا قوتان خان منهم ماتلقوا التتار بساحل نهر قالقا بقرب

الذى يقال له الآن فاليتسكى بقرب ماريوپول من ولاية يكاترينسلاو ومافعله باتوخان بهم فى رزان وولاديمير ونهرسيت وپيپل وجيرنيغوف وغيرها وتحققت لديهم بتلك الوقايع حقيقة التتار وقوتهم فى المحاربة وكان لهم فيها ابين عبر ولكن عدم التدبير والنخوة يعمى البصائر ويسد طرق الفكر فاغتروا بانفسهم واستولت عليهم الانانية والعجب والغرور وسولت لهم انفسهم انهم احسن ابناء الروس واشجعهم واكثرهم حمية وبسالة وليسوا كغيرهم جبناء خوافين فقرروا الامر فيما بينهم على المدافعة ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا الرسل وكتبوا بدمهم المعاهدة بينهم للمدافعة الى ان يموتوا عن آخرهم هذا هو مدنية الروس فلما رأى حاكمهم الكيناز ميخايل ابن وسيبولود هذا الحال احس بشر عظيم وتيقن ان التتار يفعلون بهم كل شر فى مقابلة هذه الوحشية ان غلبوا فخاف على نفسه وهرب الى ماجار ولما رأى روستسلاف ابن مسيتسلاو ان تحت كيف بقى خاليا اراد ان يتملكها ولكن دانيل المشهور الذى كان حاكما بغالتسيا دخل بلدة كيف بغتة واسر الكيناز روستسلاف ولكنه رأى فى نفسه العجز عن مقاومة التتار فاناب البويار ديميترى مناب نفسه على بلدة كيف وتوجه بنفسه نحو ماجار للاستعانة والاستمداد منها كما جار على التتار ولما سمع باتوخان قتل رسله امتلاء غضبا فجاء بعسكره الجرار وعبر نهر دينيپر واحاط بلدة كيف من كل جانب يقال ان اهل البلدة كانوا يسمع بعضهم كلام بعض بالصعوبة وذلك من كثرة صهيل الخيل ورغاء الابل وصرير بكرات العربية وصياح التتار فشرع ديميترى نائب الكيناز دانيل فى ترتيب عسكره بغاية الدقة والتقيظ فجاء واباسير من التتار لديه فى تلك الاثناء فسئلوه عن احوال التتار وكمية عساكرهم فقال ان العسكر لاتعد ولاتحصى ولايدرى حسابهم غير الله

ماريوپول من ولاية يكاترينسلاو والمشهور الآن بنهر فاليتسكى فقتلوهناك الاالقليل منهم فتعقب التتار المهزمين منهم الى نهر دينيپر واوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا واسرا هذا فى عصر چنكزخان فى اول خروجهم كما مر بيانه فى المقدمة والمقصد الاول عند ذكر بلغار فتذكر. منه عفى عنه.

والعسكر فى ادارة باتوخان نفسه وفيهم من الشجعان المشاهير كبوك ابن الخاقان اوكداى ومنكو ابن تولى وبايدار ابن جغطاى احفاد جنكزخان والشجيع سويداى بهادر الذى سخر بلغار قزان واستولى على سوزدل وغيرهم من مشاهير القواد فكادت مرارة ديميترى تنشق من سماع هذا الخبر ولكنه لم يرب بدا من اللقاء لان الاهالى لم يتركوا مجالا للصلح بقتل السفراء ولاشك انهم قتلوا الاسير المذكور ايضا فان المتجاسر على قتل السفير كيف يترك الاسير فابتدئ الحرب من باب اللاط وجاء التتار بادوات هدم القلعة الى هذا الباب وبدؤا بضرب الباب واستمروا على ذلك ليلا ونهارا حتى هدموه ودخلوا البلد منه وهجموا على اهل البلدة وجعل الاهالى ايضا صدورهم متارس فوقع الحرب الذى لم يسمع مثله فلا تسل عن انكسار السيوف والسنان والخناجر وغير ذلك من الاسلحة وصارت القتلى كالطود العظيم وسالت الدماء كالسيل المنهمر بالقتلى وصارت الحالة انموذجة من القيامة ودامت هكذا الى المغرب فجرح ديميترى اخيرا فانهزمت الروس والتجؤا الى كنيسته ديساتينوى مستصحبين معهم ما قدروا عليه من الاشياء النفيسة الغالية واستجاروا هناك بقبر ولاديمير الذى هو اول من دخل فى النصرانية من ملوك الروس فلم يخلصهم قبر ولاديمير من بأس التتار بل هدموا الكنيسة بالكلية وسووها بالارض وقتلوا من بها واسروا حاكمهم ديميترى وجاؤا به عند باتوخان فلم يتعرض له باتوخان بسوء بل عفى عنه مع جريمته تلك مع ان الروس يرمونهم بالوحشية وعدم الانسانية وقبل ديميترى عفوهم بكمال التعظيم لعلمه بان وجوده ينفع الروس هذا قول كارامزين فاظهر التتار الفرح والسرور لغلبتهم وقد صارت بلدة كيف خرابا يبابا مساوية بالارض فى مدة يومين وثلاثة بعد ان كانت ام بلاد الروس وابهج مدنهم واشتهرت بالثروة والمدنية ذاك الاشتهار وبقيت على تلك الحالة مدة اربعة وخمسة قرون ولم يبق من عظمتها السابقة اثر ولا من مزاراتها الشهيرة خبر حتى ان الزوار والسواح

يأتونها (١) الى الآن برجاء فارغ ويغرون انفسهم بامانى فاسدة فانه لا يدرى احد اين مقبرة اولفة (اول من تنصرت من الروس على الاطلاق) واين مدفن ولاديمير وقد انمحى اعلى واغلى واحسن ما عند الروس من الاثار فى تلك الوقعة ولم يبق باتوخان منها شيئا حتى كسروا الاصنام والاوثان واخذوا ما فيها من الفضة والذهب والجواهر الثمينة ونهبوا الديرات وخربوها وهرب من نجى بنفسه من سيوف التتار سواء كان راهبا اوقسيسا الى الغابات وآنسوا هناك بالوحوش* وبعد ان فرغ باتوخان من امر كيف وسمع ان حكام الروسية الجنوبية هربوا الى ماجار وجه عنان عزيمته نحو ولايات غاليتسيا وولاديمير وحاصر فى ممره بلدة لاديزين واستولى عليها بعد مقاتلة يسيرة واجرى فيها ماجرى فى غيرها وكذلك استولى على كامينتسا وولاديمير وغيرهما والحاصل لم يبق شئ من امارات الروسية سالما سوى نووغورد وانما سلمت هى بحسن تدبير الكنز الكساندر النيفى وكان ديميترى المذكور نائب كيف فى اسارة التتار فى تلك الاثناء ايضا وقد كاد يموت من الحزن والاسف من رؤية خراب ممالك الروس يوما فيوما هكذا فقال يوما لباتوخان ان الروسية فقيرة لايساوى ماتغتنم منهم عشر تعبك ومشقتك وان النمسة والماجار فى غاية الغنى والثروة فان استوليت على بلادهم يحصل لك فائدة عظيمة وايضا ان حاكمهم عدولك وقد استعد لحربك والحزم ان تمحوا مثل هذا العدو القوى قبل ان تجمع جميع قواه وتحذر من غائلته فاثر لباتوخان كلام ديميترى فوجه بجميع عساكره نحو ماجار ونمسة خارجا من الروسية هكذا تمكن ديميترى بكياسته وتدبيره من تخليص الروسية ووطنه من مخالب اعدائه حين اسارته بايديهم هذا قول كارامزين يتبجح بانه اغرى باتوخان وغره وليس كما زعم بل كان قصد باتوخان حين علم ان حاكم ماجار مازال يقبل ويعيد كل من يلوذبه من بطش التتار الانتقام

---

(١) هذا قول كارازين ايضا . منه عفى عنه .

منه وان يعرفه حده ولذلك توجه نحوه واما الروسية فقد علمت انها لم يبق فيها احد يقاوم التتار فان البعض من حكامهم قد قتل فى المحاربة والبعض قد هرب والباقى ليس فيه قدرة المقاومة بل احد سلاحه الهرب متى سمع توجه التتار نحوه* والحاصل لم يبق لاحد فكر امور المملكة بل كان فكر كل شخص فى تخليص نفسه وكان الأحياء منهم يحسدون الاموات ولما عام باتوخان ان الروسية قد صارت جزأ من مملكته ولا احد ينازعه فيها وانه لامعنى فى مقاتلة المغلوبين ومحوهم بالكلية بعد اسقاط قوة المقاومة وان الغرض قد حصل وهو اخضاعهم لسلطنته توجه نحو لهستان فاستولى عليها بالتمام ودخل بلاد ماجار واستولى على بعضها واستولى على اقليم بيسرابيا وبغدان وافلاق وبلغار طونه وفعلوا فيها ما فعلوا بالروسية من القتل والتخريب والنهب والغارة حتى تقدموا الى خرواتستان بلاد بوسنه وآرناوود ووصلوا الى تخوم ممالك نمسه وآلمانيا فحينئذ وقع آوروپا فى غاية الخوف والدهشة بل غشيتهم الحيرة والرعشة وصاروا يراسل بعضهم بعضا يحذره من وقوع الطامة الكبرى والمصيبة العظمى من قبل هؤلاء التتار واشدهم فى ذلك فره دريك ايمپراطور آلمانيا الذى صالح الملك الكامل محمد ناصر الدين الايوبى واخذ منه القدس بالصلح فانه صرف وجهة عنايته من طرف القدس الى جهة حفظ بلاده وصار يكاتب النصارى بلا انقطاع ولافتور يحرضهم على التألف والاتحاد والتعاضد وان يكونوا على قلب رجل واحد وشدة الاحتراس من التتار والحاصل قد دخل النصارى من الخوف والفزع والجزع من التتار مالم يدخلهم قط قبل وبالجملة انهم قد نسوا ماهم عليه من التعزب للصليب منذ مئين سنة ولم يخطر القدس ببالهم لما آيسو من المدافعة عن اوطانهم وبلادهم حتى ان فى اقاليم آوروپا البعيدة جدا منع اهل اقليمى فريزيا والغونيا سنة ١٢٣٨م مصادفة سنة ٦٣٦ هـ من ان يلهو الصيد السمك الى ساحل انكلتره وصاروا يرسلون الرسل للوعظ

بالوقوف والاقامة فى اوطانهم وعدم مفارقتها خوفا من هجومهم ذكر ذلك رفاعة بك فى جغرافياه ولذا قال كارامزين ان آوروپا وان لم تدخل فى حكم التتار ظاهرا وصورة ولكنها كانت داخلة فيه معنى فانه لم يكن لاحد منهم مجال للحركة فى مخالفتهم ومحاربتهم وكان يمكن لباتو ان يستولى عليها باشارة واحدة فى اقرب مدة ولكنهم اوقفوا الحرب ورجعوا من المحل المذكور ولم يجاوزوه الى ماوراءه وقد تعجب الكل من رجوعهم قبل اتمام فتوحاتهم بلاسبب ظاهر مع قدرتهم على ذلك ثم تبين ان رجوعه انما هو لموت اوكداى قاآن وهو الذى عاقه عن اتمام فتوحاتهم فى آوروپا ورجوعهم عنها اه قلت يمكن ان يكون سبب رجوعهم هو هذا الذى ذكره كارامزين ويمكن ان يكون غيره كلحوق التعب الشديد والمشقة الكثيره وطول مدة اسفارهم وايام مقاتلتهم فانهم بقوا فى تلك المحاربات سنين كثيرة فيجوزان يكون رجوعهم للاستراحة ثم يلحق بهاموت اوكداى ثم يترتب عليه وقوع الخلف بين باتو والقاآن كيوك على ماسيذكر وهذا الخلف وان ارتفع بموت كيوك واستقرار القاآن منكو على سرير القاآنية ولكنه لم يتشبث باسباب فتح آوروپا بعد ذلك اما لكبر باتو وتركه الاشتغال بامور المملكة الداخلية فضلا عن الخارجية فى اواخر عمره وتفويضها لولده صرتق ولاخوانه اولامر آخر الله اعلم به ومع ذلك قدوقع بينهم وبين عساكر آلمانيا حرب شديد فى موراوياولكن لاادرى هل كان ذلك الحرب فى ذلك السفر اوبعده وقد جعله ابن خلدون فى زمن بركة خان حيث قال فى اثناء سردوقايعه ثم بعث بركة ايام سلطانه اخاه باتو (صوابه بايدو) الى ناحية الغرب للجهاد وقاتل ملك آلمان من الافرنج فانهزم ورجع ومات اسفا اه وهذا خطاء بلامرية فان ذلك الحرب كان على عهد فره دريك الثانى ايمپراطور آلمانيا على ماذكره غيره فان الايمپراطور المذكور لماسمع توجه التتار نحو بلاده ارسل لمدافعتهم قوة كلية من عساكر شواليا تحت قيادة

ولديه فالتقى العسكر ان فى موراويا واقتتلوا اقتتالا شديدا فانجلى الغبار عن انهزام التتار وكان رئيسهم بايدو * هكذا وقع فى عدة تواريخ وقالوا انه اخو بركة والظاهر انه بايدار بن چغطاى المار ذكره فى اول قصة باتوخان ارسله باتوخان بفرقة من العسكر لقصد بلاد آلمانيا التى انتهت فتوحاتهم اليها فلما انكسروا رجعوا ولم يعودوا اليها ثانيا ومات بايدار هذا بعد رجوعه منكسر امكمودا ومقهورا فاذا تحقق ان هذه المحاربة كانت فى عهد فردريك الثانى تبين انها لم تكن فى ايام سلطنة بركة خان فان الايمپراطور المذكور لم يعش الى ايام سلطنته بل مات فى اواخر سلطنة باتو فى حدود سنة ٦٥١ والله سبحانه اعلم * بناء بلدة سراى . ولما فرغ باتوخان من حرب الروس وغيرهم والاستيلاء على بلادهم واذعنوا له بالانقياد واقروا له باداء الجزية وترك العناد رجع الى مقر سلطنته بكمال الابهة مستغرقا فى مراكز مهمة فبداء ببناء مدينة سراى بالجانب الشرقى من نهر اتل بساحل شعبة منه يقال له آق توبه اى التل الابيض فوق مدينة حاجى طرخان ليجعلها مقر سلطنته وكرسى مملكته وكان ذلك فى حدود سنة ٦٤٠ واتمها اخوه بركة بعده فصارت دار ملكهم الى ان انقرضت دولتهم وسيجيء ذكر تمام اوصافها عند ذكر الملك بركة خان ان شاالله تعالى * ثم شرع باتوخان فى تنظيم الملك وتنسيق الامور وتعمير البلاد وترفيه الرعية وتأمين الطرق واراحة العباد وبداء بدعوة حكام الروس الى تأكيد الانقياد والطاعة وتجديد البيعة فاول من جاء منهم ولبى دعوته وبايعه يارسلاو بن وسيوولود فانه لما لم يربدا من اظهار عبوديته بحضور باتوخان اتاه على كره منه مع استشعار الخوف مع جميع من عظماء الروس فبايعه وعاهده على الامانة والاطاعة وارسل ولده قنسطانتين الى القاآن الكبير اوكداى ثم تابعه فى الحضور عند باتو والبيعة له سائر حكام الروس مثل ولاديمير وقنسطانتين المذكور وبوريس ابن واسيلى وواسيلى بن وسيوولود المتكبر ولم يمنعه كبره ونخوته من

الحضور عند باتوخان واظهار عبوديته له فاتوا عنده وبايعوه واخذوا منه منشورا وبراة تصديقا لكونهم حكاما على مراكزهم ومن جملة من اتاه ايضا دانيل بن رمان حاكم غاليتسيا وكان المذكور ذا عقل ورأى وكان باتو يحبه لذلك ويقربه اليه فاقره على امارته ونصب فى كل كورة وناحية من الروسية حاكما منهم يعنون بكيناز بمعنى الامير وبك وجعل يارسلا والمذكور رئيسا للكل وكان يلقب بالكيناز الاعظم وجعل مقر ادارته بلدة كيف واعطى اخاه ميخايل بلدة چيرنيغوف وكان كينازهم الاعظم يسكن قبل ذلك فى ولاديمير ولعل جعل كيف مقر الامارة الكيناز الاعظم مبنى لامر سياسى وهو كون الكيناز الاعظم تحت نظرهم وكون حركاته وسكناته معلوما لديهم فان بلدة كيف اقرب اليهم من بلدة ولاديمير والوصول اليها اسهل من الوصول الى ولاديمير مع كون الجانب الجنوبى منها تحت ادارة نواب باتوخان من امراء التتار ولكن اخلاف باتوخان لم يتنبهوا لهذه السياسة حيث رضوا بجعل بلدة موسكوا مقرا لادارة الكيناز الاعظم فترتب على ذلك تقوى الروس تدريجا ثم تسلطهم عليهم فى الاخر بالكلية وقد قلنا سابقا ان قنسطانتين ابن يارسلاو ذهب الى القاآن الكبير فرجع بعد سنتين وقد صادف وصوله هناك ضيافة عظيمة ووليمة كبيرة للقاآن وذلك فرحا لتلك الفتوحات ولكن لم يكن بد من ان يذهب الكيناز الاعظم يارسلاو بنفسه لدى القاآن لاظهار عبوديته فسار الى القاآن مع جمع من كبراء الروس وقطعوا الفيافى والبرارى الى ان وصلوا بجهد جهيد الى مقر القاآن بساحل نهر آمور ولكن القاآن اوكداى كان قد مات فى ذلك الوقت وكانت زوجته توراكينا قائمة بروية لوازم السلطنة ومهام الامور وكان اركان الدولة مستعدين بتهيئة لوازم الجلوس وترتيب اسباب اجلاس كيوك بن اوكداى على تخت القاآنية وتتويجه فامر يارسلاو ايضا بالتأخر والانتظار للجلوس فاجرى الاجلاس المذكور سنة ٦٤٤ بعظمة وحشمة وابهة لم تر عين الزمان قبله مثلها

وقد حضر فيه عالم عظيم من جميع اقطار الارض غير اولاد چنكز خان واقاربه وامرائه ووزرائه وقواد العساكر فمن بغداد من طرف الخليفة الشيخ فخر الدين قاضي القضاة ومن الشام اخو الملك الناصر الايوبي صاحب حلب ومن طرف سلطان قونيه ركن الدين ومن الارمن الكنسطبل اخو التكفور حاتم ومن كرجستان الداودان الكبير والصغير ومن وراء النهر والتركستان الامير مسعود بك يلواج ومن خراسان الامير آرغون آغا ومعه اكابر العراق واللور وآذربيجان وشروان ومن طرف الخطا الامير محمود يلواج ومن طرف علاء الدين صاحب الالموت محتشمو قهستان ومن طرف بابا النصارا بنوكنت الرابع وايمپراطور فرانسا زان بلان كاريين من رهبنة فرنسيس وسيجيء ذكره ومن الروس يارسلاو المذكور وحضر الكل بهدايا لائقة بالقاآن وقد عجز قلم المورخين قاطبة عن وصف هذا المجمع ولكن لم يحضره من ابناء چنكزخان باتوخان فقط لانه كان غير راض بقاآنية كيوك على ما قال صاحب روضة الصفا بل ارسل اخاه بركة مع سائر اخوته وتعلل بوجع في رجليه ولما قفل يارسلاو راجعا مات في الطريق فولى باتوخان مكانه ولده قنسطانتين المذكور فتشكلت هناك اعتبارا من سنة ٦٤٠ اربعين وستمائة من تلك الشعبة من التتار اعني من اولاد جوجي خان دولة مستقلة ومملكة واسعة عظيمة جدا بحيث كانت اكثر بلاد الروس الان وبلاد لهچه وافلاق وبغدان واردل والداغستان باسرها وآذربيجان وبلاد قريم ودشت القفچق وخوارزم وسغناق وانزار اعني التركستان الى منتهى المعمورة من جهة الشمال داخلة في تلك المملكة وكانت من جهة الجنوب محدودة بنهر طونة والبحر الاسود وبما وراء بلاد آذربيجان وبحر الخزر وشرقا ببلاد ما وراء النهر وما وراء تركستان وغربا ببلاد الروس الاوروپاوية وشمالا بمنتهى المعمور وقد قال الذهبي والعمري والمفضل وغيرهم من محققي المورخين والمعتنين بضبط احوال الممالك والمسالك ان مسافة تلك البلاد طولا من الجنوب الى الشمال ثمانمائة فرسخ وذلك مسافة ستة اشهر وعرضا من الشرق الى الغرب ستمائة

فرسخ وذلك مسافة اربعة اشهر. وبالجملة ان اكثر بلاد الروسية الآن
كانت داخلة فى تلك المملكة مع زيادة من طرف الجنوب وكانت هذه المملكة
باسرها تسمى بجوجى الوسى يعنى حصة جوجى ومملكة باتو وبرية بركة
ومملكة بركة ومملكة دشت القفچق والمملكة الشمالية والبلاد الشمالية
ومملكة اوزبك وآلتون اوردو يعنى الاوردو الذهب ومملكة التتار
مطلقا وغير ذلك من الاسامى المختلفة ملوك الدشت وملوك القفچق وملوك
الشمال وملوك البلاد الشمالية من القاب ملوك تلك الديار وهذه الاسامى
كلها كانت شاملة لما حوته تلك المملكة وما جرى فيها احكامهم من البلاد كلها
وان كانت بلاد الدشت جزأ منها فى الحقيقة وانما اشتهرت تلك المملكة
بمملكة الدشت ومملكة القفچق ودولة القفچق مع انقراض القفچق واضمحلالهم
بالكلية لكون دار ملكهم وكرسى سلطنتهم بلدة سراى فى ارض دشت
القفچق المشهورة من القديم بهذا الاسم كما قدمناه فى بيان احوال القفچق
ولكون تلك الدشت اعنى البرية مصيفهم ومقرا ومجالا لمعظم عساكرهم
مع انهم لم ينقرضوا بالكلية بل انقرضت دولتهم فقط قال النويرى فى وصف
هذه المملكة وهذه المملكة متسعة الجوانب طولا وعرضا كثيرة الصحراء
قليلة المدن وبها عالم كثير لا يدخل تحت الحد وهذه المملكة قديما هى
بلاد القفچق فلما فاضت عليها التتار صارت القفچق لهم رعايا ثم خالطوهم
وناسبوهم وغلبت طبيعة الارض على الجبلة والاصل فصار الكل كالقفچق جنسا
واحدا لكون المغل بارض قفچق ومصاهرتهم لهم ولكون بلادهم فى ارضهم
وهكذا طول المكث فى كل ارض وبلد يجر النحائز اليها ويحول الغرائز
الى طباعها واتراك هذه البلاد الى آخر ما نقلناه عنه عند بيان احوال القفچق
وقال ابن عربشاه فى وصف دشت قفچق واهلها وكانت دشت القفچق
والبركة بلاد التتار خاصة وبانواع المواشى وقبائل الاتراك غاصة محفوظة
الاطراف معمورة الاكناف فسيحة الارجاء صحيحة الماء والهواء حشمها رحالة
وجنودها نبالة افصح الاتراك لهجة وازكاهم مهجة واجملهم جهة واكملهم

بهجة نساؤهم شموس ورجالهم بدور وملوكهم روس واغنياؤهم صدور لازور فيهم ولا تدليس ولا مكر بينهم ولا تلبيس ولا رواج فيهم لمتاع ابليس دأبهم الترحال على العجل مع امان لا يدانيه وجل الخ واما اضافتها الى بركة فلكونها اول من أسلم منهم واسس الموالاة بملوك الاسلام وخليفة المسلمين واشتهاره بذلك بين اهل الاسلام كما ستقف عليه فى ترجمته واما اضافتها الى اوزبك فلكونه اشهر ملوكها واشدهم سطوة واكثرهم حربا وضربا واختلاطا بالملوك المصرية على ما يجيئ انشاء الله تعالى *

وكان اكثر مجالاتهم فى الدشت وولايات صارى طاغ و پينزا وطنبو وساريچين واطراف نهردون (تن) وبلاد قريم وحاجى طرخان وكانوا يحكمون فى تلك البلاد بالذات اعنى بواسطة الولاة والنواب المنصوبين من امراء التتار واما ما سواها من البلدان كبلاد الروسية واللتوانية وبلاد له وچه واولاخ وغيرها فكانوا ينصبون فيها حكاما من اهل تلك البلاد حسب ما يتفق عليه الاهالى فان اختلفوا كان فيه الاختيار للخان وكانوا يأخذون منهم خراجا معينا فى كل سنة وربما كانوا يأخذون منهم العساكر وقت الحاجة ولم يبق فى الروسية ناحية لم يطئها اقدام التتار ولم يبايعهم حاكمها الا نوروغورد وقد قدمنا ان باتوخان رجع عنه بعد ان لم يبق بينه وبينها الا مائة ويرستا روسية فقد قيل انه رجع عنه لاجل صعوبة الطريق من الوحل والطين والمياه كذا قال كارامزين فى موضع من تاريخه وقال فى محل آخر أن ذلك كان بتدبير حاكمها الكساندر النيفى ولكنه لم يذكر ما ذا كان هذا التدبير عنه وعلى كل حال لم يحضر الكساندر المذكور عند باتو خان وكان يحرض الروس على العصيان والخروج على التتار ويدعوهم الى الاتفاق والاتحاد ولكن لم ينتج ذلك شيئا وقد اطلع باتوخان على هذا الفكر منه فارسل اليه يهدده ان لم يحضر لديه على العادة وقال انت الكساندر كيناز نووغورد اما تعلم ان الله سبحانه سخر لى هولاء الاقوام كلهم وجعلهم مطيعين لى انتمنى انت فقط ان تكون مستقلا فان اردت ان

تعيش حاكما بالا من والراحة فعليك ان تجيء عندي وتتمثل لدي وتقر لي بالطاعة والانقياد بلا توقف فلم ير بدا من تقديم الطاعة والبيعة والانقياد ولو في الظاهر فقدم الى مدينة سراي مع اخيه آندري وبعض بطارقته وبايع باتوخان وعاهده بالطاعة والانقياد فارسلهما باتوخان الى القا آن الكبير فذهبا هناك ووصلا اليه بعد مقاساة انواع التعب والمشقة واستشعار صنوف الخوف والدهشة ثم رجعا الى الروسية سنة ١٢٤٩ ميلادية مصادفة سنة ٦٤٧ هـ وقد اعطاه القا آن جنوب الروسية وكانت اولا تحت ادارة عمال باتوخان وكذلك اعطاه بلدة كيف ونصب اخاه آندري حاكما بولاديمر فاشتكى عمهما سوه‌توسلا منها لباتوخان ولكنه لم يلتفت الى شكايته ولم ينقض حكم القاآن بل اعطاهما منشورا متضمنا الاذن بالتصرف فيها ولا هما القا آن فدام الكساندر المذكور على الطاعة الى ان مات ولم يصدر منه ما يغاير الطاعة في الظاهر وان كان في الباطن محروق الفوآد من اجل تبعيته للتتار وكان مجيئه من بلاد التتار عيدا كبيرا للروسية لانه كان مستندهم ومعتمدهم وقد قدم الى اوردا مرارا كثيرة وقدم للخان هدايا وفيرة من الذهب والفضة واستمال قلوب الخان والامراء وخاص الروسية بهذا التدبير من تعرض التتار وعين ولده واسيلي في نيژني نووغورد هذا ما قاله كارامزين في حقه ولعل هذا هو ما اراده كارامزين من تدبيره واما سائر حكام الروس فلم يخطر ببال احد منهم فكر الخروج من طاعة التتار واعادة الاستقلال بل داموا على الشقاق والنفاق وحل عرى الاتحاد وشق عصا الاتفاق وكان يأتي كل منهم مدينة سراي ويشكو من الآخر الى باتوخان ومن بعده من خوانين التتار فيعزل الخان من يرى المصلحة في عزله وينصب مكانه من يرى المصلحة في نصبه ويشن عليهم الغارات اذا بغوا وخالفوا امره وتمردوا ولكن لم يقع ذلك اعني شن الغارات الامرة واحدة في عهد اوزبك خان كما ستقف عليه في محله انشاءالله واما في سائر تلك المدة المديدة فكانوا مستريحين مطمئنين آمنين لا يتعرض لهم احد من التتار فان

تعرض لهم احد منهم احدا كانوا يعاقبونه اشد العقاب كما ستقف عليه ايضا؛ ولكن اذا صدر ما يغاير الطاعة وما يشعر بنقض العهد فانهم كانوا يعاقبونه بمايقتضيه جرمه من الضرب والحبس والقتل وقدقدمنا ان باتوخان اعطى يارسلاو بلدة كيف واعطى ميخايل بلدة چير نيغوف فكلفه باتوخان بالحضور عنده بمدينة سراي، بعد موت يا رسلاو فلما اتاها امره امراء التتار بالمرور من النار على عادتهم الجارية فى الاجانب وكلفوه ايضا بغير ذلك فلم يفعل زعما منه ان هذه الافعال منافية للنصرانية فهدده باتوخان ان لم يفعل فابى فامر بقتله فقتلوه وهكذا كانوا يفعلون بمن لم يأتمر بامرهم واما اذا لم يصدر منهم شكاية من بعضهم او مخالفة لامرهم فلم يكونوا يتعرضون لهم قط بل كان كلا الفريقين مستريحين ولكن حكام الروس كانوا فيما بينهم فى الشقاق والنفاق والشكاية الى الخوانين دائما فكان ذلهم هذا اعظم خدمة واقوى آلة فى تسخير بلادهم وضبطهم واستمرارهم مدة مديدة تحت حكومتهم وسيادتهم ودام هذا الحال بلا تغير وتبدل مدة مائة وثمان وثلاثين سنة اعنى من سنة ٦٤٠ الى سنة ٧٧٨ ثم وقع الاختلاف بين ملوك التتار وحدث الاختلال فى ضبط البلاد والاقطار بموت بردى بك خان فاغتنمت الروسية تلك الفرصة وابرزوا ما اسروه مدة مديدة من الخروج من رقبة التتار ورفعوا الوية العصيان وحاربوا المرزا مماى وكان قد استقل بخطة قريم فى اثناء تلك الاختلال وغلبوا عليه وكسروه وهزموه ثم لما عاد توقتاميش خان اعادهم الى الطاعة فى سنة ٧٨٣ واستمروا على ذلك طوعا وكرها مدة مائة سنة اخرى تقريبا ثم انقلبت الاحوال وانعكست الآمال ووقع بين ملوك التتار الاختلال وادعى امير كل ناحية لنفسه الاستقلال وحدثت بينهم الجدال والقتال فلا جرم اغتنم الروسية ذلك الاختلال واعادت لبلاده وحكومته الاستقلال الحكم لله الملك المتعال كما يجئ تفصيل ذلك وكانت مدة دوامهم تحت حكومة التتار مائتان واربعون سنة تقريبا ولكن التتار لم يداخلوا فى شئ من امورهم

الداخلية قط بل كانوا يقنعون منهم ببذل الطاعة واداء الجزية وكانت الروسية كلما مات لهم الكيناز يلزم من هو مترشح للجلوس مكانه ان يذهب الى حضور الخان واخذ المنشور منه للحكومة فكان كل من له مناسبة بالحاكم الميت منهم بالبنوة اوالاخوة اوالقرابة يأتى مدينة سراى فيتوسل هذا فى تمشية امره الى الخان بولد الخان وذاك بالوزير وهذا بشيخ الاسلام اوبواحد من قرناء الخان فكل من يتعلق ارادة الخان بكونه كينازا كان يختاره للكينازية ويعطيه المنشور بذلك ويرجع الباقون قائدين فرسه ويضم الخان اليه واحدا من امرائه مع طائفة من العسكر ومعه فرامان الخان فاذا وصل الى مقر حكومتهم كان يدخل اكبر كنائسهم بفرسه فيجتمع لديه اعيانهم وامراؤهم وكبراؤهم فيستدبر الامير المذكور بفرسه اكبر اصنامهم ويقرأ عليهم فرامان الخان المتضمن لتولية من ولاه الخان ويأمر الباقين باطاعته ثم يرجع الى الاوردة ومتى اتاهم الآتى من طرف الخان لمصلحة ما كان الكيناز يستقبله ماشيا من مسافة بعيدة واذا انصرف كان يشيعه كذلك الى مسافة بعيدة وكان من جملة ماضربوا عليهم من الجزية على ما قيل مقدارا معينا من العبيد والجوار كانوا يسلمونها كل سنة وكان محصل الخان ومستوفى الخراج يذهب كل عام فى وقت معين الى بلدة موسكوا لاستيفاء الخراج المضروب عليهم واستلام هؤلاء العبيد والجوار فيريهم الكيناز ويصفهم فى ميدان واسع فينتخب المأمور منهم العدد المعين مما يعجبه ويترك الباقى وهذا الميدان موجود الى الآن فى بلدة موسكوا يقال له بالروسية ديتسكى پول يعنى ميدان الاولاد يقال ان اهل بلدة موسكوا يذهبون باولادهم هناك ويذكرونهم بما فعل التتار بهم ليزيد غيظهم وعداوتهم وغلظتهم عليهم وعلى سائر المسلمين ويحذرونهم من مخالفة اولى الامر منهم ويوصونهم بالحمية الوطنية لئلا يبتلوا بمثل تلك البلية ثانيا ومع ذلك كان كبراء الروسية وامراؤهم يعطون بناتهم باختيار هم للخان او احد اولاده اوامرائه يتوصلون بذلك لاختطاف

اخبارهم والوقوف على اسرارهم الخفية وربما كانوا يريدون بذلك الا ضلال والاغواء بواسطة البنات والبنات عند الروسية من اعظم الاسباب والآلات فى ذلك الى هذه الازمان والاوقات هذا ومع ذلك الاستيلاء والغلبة لم تتعرض التتار لامرهم الداخلية قط دينية كانت او ملكية بادنى تعرض بل تركوهم فى ذلك احرارا مستقلين بحكم انفسهم يجرون احكامهم الدينية والملكية كيف شاءوا بل اذا حصل لهم عائق ومضايقة فى امورهم الدينية كانوا يشكون الى الخان ويرفعونه اليه ويعرضونه عليه فيدفع عنهم العوائق ويزيل عنهم الموانع ويخلصهم من المضايق كما فعلوا فى مادة كنائسهم من الشكاية من طائفة باسقاق فى عصر اوزبك خان كما سيجيء صورة فرمانه فى هذا الخصوص فى ترجمته وهذا عكس ما يفعله الروسية فى حقهم وحق جميع طوائف المسلمين الذين هم تحت تصرفهم منذ استولوا عليهم الى يومنا هذا من اجراء المعاملات الشديدة وتضييقهم بالمضايقات العديدة وابداء الموانع الشنيعة عن التمسك باحكام الشريعة وغصبهم منهم امورهم الدينية بعد ان سلبوا منهم الحكومة والقوة بالكلية ونظمهم اياهم فى سلك العسكرية واستخدامهم اياهم فى الخدمات الردية واخذ الخراج والجزية منهم واذاقتهم انواع الاذية بحيث قد اضاق الخناق وبلغت الروح التراق حسبما نشرحه ان شاء الله فى المقصد الرابع الذى هو نتيجة هذا الكتاب ولب هذا الخطاب لله در من قال شعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم ابطح

ومن العجب انهم مع ذلك يعدون التتار من الاقوام الوحشية ويعدون انفسهم من ارباب المدنية هيهات هيهات شتان ما بين الهيئات والهيئات ولله در من افاد فى مثل هذا واجاد شعر:

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب *

واعجب من هذا ادعاءهم المضاهاة باهل الاوروپا فى التمدن والانسانية كيف يدعون ذلك مع وجود الفرق الظاهر فيما هنالك انسوا معاملتهم بالموسويين اعنى اليهود ولم يمض لها سنتان بل هم متلبسون بها الى الان ام اغضوا عن معاملتهم

بالمسلمين وهم متلبسون بها الآن حيث يلجئونهم الى ترك الاوطان وهجر الاخوان والتشتت فى سائر البلدان بانواع التضييق والعدوان وحالة اهل الاوروپا مى بث العدل والامان وترفيه الرعايا وتعمير البلدان فشتان ما بين المأمون والطعان شعر : يابارق باعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب * نعم انهم يضاهون فى فعلهم هذا باسپا نيابل يتأسونهم فيه ولم يدروا ان صدور هذا الفعل من اسپانيا انما كانت فيما سلف من العصور حيث كانت اهل الاوروپا فى تلك الازمان من التمدن والانسانية فى غاية من النفور فتأسى من يدعى كمال التمدن بمن كان فى مرتبة الحيوان من كمال الجهل وغاية النقصان ولا يتفكرون ان اسپانيا قد جلبت (١) لنفسها الهلاك والبوار بفعلها هذا وليس كلامنا فيما صدر وقت الاستيلاء فانه مستثنى لكونه ضروريا وجبريا ومشتركا بين الكل بل ما صدر من الروسية حين الاستيلاء افضع واقبح من الكل فانه كان من عادات التتار الدعوة اولا الى الطاعة فان قبلوها كانوا لايتعرضون لهم بسوء قط يعرف ذلك من سبر تواريخ وقائعهم وقد فعلوا ذلك بالروسية ولكنهم ماقبلوها بل قابلوهم بسوء مثل السب والشتم وقتل سفرائهم على ما ذكره مورخو الروسية وما كتموه من قبائحهم اكثر وانما الكلام فيما صدر بعد الاستيلاء وقبول الطاعة ونهاية الانقياد وحصول المواثيق والمعاهدات من الطرفين بعدم العصيان والمخالفة وعدم التعرض للدين والسياسة وترك المناقشة ومرور دهور كثيرة على ذلك بحيث لم يصدر من التتار ادنى مخالفة بل كانوا فى المحاربة فليزن المنصف معاملتهما بميزان عقله خاليا عن الاعتساف ومتلبسا بالانصاف يدرك كنه الامور حقيقته والله الهادى الى سبيل الرشاد وكان الروسيه ادركت خطأ التتار فى سلوكهم هذا المسلك * وهذا الذى بيناه ساقنا اليه الاستطراد فلنرجع الآن الاما كنا بصدده ونقول ان باتوخان لما اطمئن

---

(١) اجل نظرك الآن الى الجرائد ترى فيها ما جنى اسپانيا بتضييقها بمسلمى جزائر فيلپپين . منه عفى عنه

خاطره من جهة ضبط البلاد وتنسيق امور المملكة وترفيه العباد خص بعض اخوانه الذى صدر منه فى خلال المحاربة شجاعة واقدام باعطاء بعض الاراضى والولايات من مملكته من جملتهم اعطى اخاه الاكبر اوردا امرة ناحية تشتمل على عشرة آلاف بيوت واقطع لاخيه شيبان ولاية يشتمل على خمسة عشر الف بيت واقطعه ايضا مملكة كورل وغير ذلك من الولايات ٭ قلت قد ذكر المورخون ان چنكزخان كان اعطى حفيده اورده ابن جوجى ولاية غزنين وباميان وبقيت تلك الولاية فى يد ذريته مدة مديدة والله اعلم قلت وهذه المملكة اعنى مملكة باتو وان كانت فى وصية چنكزخان مرتبط بحكومة القاآن ومحكومة عليه كسائر ممالك اولاد چنكزخان الا ان ملوكها لم يذعنوا للقاآن ولم ينقادوا له من اول امرهم ولم يقفوا مع يسق چنكزخان كوقوف غيرهم خصوصا بعد موت باتو وتشرف بركة خان بشرف الاسلام فكانت تلك المملكة مملكة مستقلة بحكم نفسها بل كانت لها تفوق وتسلط وتحكم على غيرها حتى على حكومة القاآن كما ستقف عليه فى اثناء الكلام على ملوكها ان شاء الله تعالى

وقوع الخلف بين كيوك قاآن وبين باتوخان وقصد كل واحد منهما صاحبه ومصداق هذا القيل والقال ومصدق هذا المقال ما وقع بين باتو وكيوك قاآن من المناقشة والجدال وبيانه على الاجمال ان اوكداى قاآن كان حين ولوه القاآنية شرطهم ان يكون القاآنية بعده فى ذريته وقبله الباقون فلما مات تعين ولده الاكبر كيوك بموجب الشرط المذكور للقاآنية وكان المذكور حين موت ابيه اوكداى قاآن غائبا عند باتوخان مشتغلا بفتح بلاد الروس على بعض الاقوال وعند ناحية من مملكتهم على بعض آخر منها وهو الصحيح والصواب فتصرف فى الملك الى حين حضوره امه تورا كينا زوجة اوكداى فلما حضر اجتمع اولاد چنكز خان واحفاده لديه لاجلاسه على سرير القاآنية على حسب اصولهم واجتمع فى

ذلك المجمع خلق لايحصرون من جميع اقطار الارض آسيا وآوروپا
وقد عجزالمورخون عن بيان هذا المجمع واتفقوا على انه لم يقع مثلهعلى
ما مر بيانه آنفا ولم يحضر باتو فى ذلك الاجتماع اما لبعد المسافة واما
لشيء آخر بل ارسل بدله اخاه بركة مع واحد آخر مع اخوته فلم يلايم
هذا الفعل من باتولكيوك قاآن ثم ان كيوك قا آن كان قد تنصر باضلال
آتابكه قداق خان وكان نصرانيا وكان فى بلاد المغل من القسيسين
والرهابين والمطارنة مالايحصى كما سنذكر نبذة من احوالهم فاغتنمت
هؤلاء الشياطين ذلك واظهروا وساويس كثيرة فى اذلال الاسلام والمسلمين
واهانة الدين المبين وهموا باستيصال شائفة المسلمين ولكن كان بين
بلاد آوروپا مملكة كيوك قاآن حائل كبير وهو ممالك باتو وكان
المذكور يحب المسلمين كما قدمنا فالتجاء اليه المسلمون واستغاثوا به واغرى
القسيسون ايضا كيوك قاآن بباتو خان وحسنواله رفعه من البين واستيلاءه
على بلاده فعزل باتو كيوك قاآن من القا آنية وجاهره بالمعصية
فاستشعر كيوك قاآن بذلك معزم على قصده وارسل فرقة من العساكر
صحبة الچيكتاى نوين الى طرف آذربيجان واران وكان بها وقتئذ عمال
باتوخان وامرهم بالقبض على عماله وارسالهم اليه مقيدين والاستيلاء
على اطراف بلاده ولما سمع نواب باتو بذلك وليس عندهم خبر من
اصل القضية بل هو امر فجائى وامر القاآن واجب الاذعان عندهم
ارسلوا الى باتو يعلمونه بذلك ويستشيرونه فيما هنالك ولكن وصل
الچيكتاى قبل عود جواب باتو اليهم فقبض عليهم وهم مستسلمون اليه
لماقدمنا آنفا وقيدهم واراد حملهم اى كيوك قاآن ففى تلك الساعة بعينها عاد
جواب باتو الى نوابه بالقبض على الچيكتاى ومن معه وقيدهم وحملهم اليه
فقامت شيعة اولئك النواب المقيدين وفكوا قيودهم وامسكوا الچيكتاى ومن
معه وقيدوهم وحملوهم الى حضرة باتو فساق الچيكتاى بالماء الحار فلما بلغ
ذلك كيوك قاآن عز عليه وعظم ذلك لديه فجمع ستمائة الف فارس

وقصد باتو وجمع باتو ايضا عساكره وقصده فلما تقاربا بحيث لم يبق بينهما الامسافة عشرة ايام اوثماني مرحلة مات كيوك فاآن فجاءة ذكر ذلك المورخ ابن فضل الله العمري ويفهم ايضا من عبارة روضة الصفا واما مورخوالافرنج والروس فانهم يقولون ان قصد كيوك كان الاستيلاء على الآوروپا وليس بصحيح لانه لوكان كذلك لكان ذلك باتفاق من باتوخان كمالايخفى * وقال ابوالفرج ان ذلك كان لتبديل الهوا وتفريج الهم الحاصل من موت امه توراكينا وليس بالصواب وعلى كل حال فقد كفى الله المؤمنين القتال ونجى المسلمين من شره وشر هؤلاء القسيسين وكلام الدجال وكان ذلك في تاسع ربيع الآخر سنة ٦٤٧ اوبعدها وكانت مدة استقلاله قليلة جدا قيل سنة وقيل ازيد فلما مات اضطرب من كانوا معه من العساكر والامرا ثم اتفقوا على مكاتبة باتو فكتبوا اليه باعلام موت كيوك وعرضوا عليه بانه احق بالجلوس على كرسي القاآنية لكونه اسن اولاد چنكزخان واكثرهم قوة وشوكة واقدمهم رأيا وقال ابوالفرج لما مات كيوك اتفق جميع من معه على تولية باتو لكونه اكبر اولاد چنكزخان واعقلهم وقدم اليه اوغلان غاميش زوجة كيوك لهذه الغاية ورجعت بعد ليلة اه فقال لاحاجة لي بذلك ثم عين للقاآنية منكو بن تولى اخاهلا كو * قال في روضة الصفا ان باتو لما كان ممتازا من سائر اولاد چنكزخان بمزيد الشوكة والابهة التامة ارسل الى اولاد چنكزخان وسائر الامراء يأمرهم بالحضور لديه بدشت قفجق لاجلاس منكو على تخت القاآنية فتمرد بعضهم وامتنعوا عن الذهاب هناك وترك ديار چنكزخان وتوقف اولاد كيوك في محلهم منتظرين الى عاقبة الامر فارسلت سورقوقتي بيكه ولدها منكو لعيادة عمه باتو فاعجبه هذ الصنيع وشاهد فيه آثار القابلية للقاآنية فاتفق مع من كانوا عنده من اولاد چنكزخان والامراء الكبار على اجلاسه لكرسي القاآنية وتم هذا الامر فارسله الى كرسي مملكتهم كلوران مع اخوانه قبلاي وهلاكو

وارتق بوقاوضم اليه اخاه بركة بمائة الف فارس لاجلاسه على التخت ولكن وقع التوقف فى اجلاسه الى سنتين بسبب عدم رضاء اولاد اوكتاى قاآن بذلك فارسل باتو الى اخيه بركه باجلاسه رغماللمعاندين وامره باعدامهم ان خالفوا فرجع المعاندون عن عنادهم سوى نفريسير منهم فتم هذا الامر ورجع بركة مع من معه الى مملكته وقدسبق منا الوعد بذكر بعض احوال القسيسين المنتشرين بممالك المغل والتتار فلاجرم نذكر هنا نبذة من ذلك على سبيل الايجاز اما سبب انتشارهم فلايخفى ان المسلمين والنصارى فى امر نشرالدين على طرفى النقيض وذلك امر مجرب جار من قديم الازمان فان المسلمين عادتهم التقاعد والتقاعس فى امر الدعوةوهداية العباد نشر الدين وكانهم غير مأمورين بذلك بل منهيون عما هنالك مع انه ورد فى ذلك احاديث كثيرة بخلاف النصارى فان لهم اهتماماتاما فى نشرا باطيلهم ودعاء الناس الى تضاليلهم فان دين النصرانية ما انتشر فى آوروپا وسائر البلاد الابكمال الاعتناء منهم وغاية الاجتهاد وكذلك لهم من القديم الى الآن اهتمام تام فى دعوة ملوكهم ودلالة فرقهم وشعوبهم الى الاتفاق والاتحاد ولايخفى ماصدر عنهم ومايصدر الى الآن من الاهتمام فى ذلك على من له ادنى المام بالتواريخ خصوصاعلى قصدالمسلمين حتى هيجوا اهل الصليب قاطبة وحملوهم على محاربة المسلمين كافة حتى انتج ذلك وقائع الاندلس واستيلائهم الى البلاد الساحلية من برالشام حتى ملكوا القدس منهم وبقى فى ايديهم مائة سنة حتى قيض الله سبحانه لحربهم وردهم الملوك الآتابكية والايوبية فبنوا امام تقدمهم سدالممانعة بل استردوامنهم اكثرما ملكوه وامتدت مدة المحاربة بين الفريقين الى اكثر من مأتى سنة وهم مع ذلك لايسأمون من القتال ولايضجر باباهم من التحريض فى ذلك

والاضلال وبينماهم فى اثناء ذلك وقد عاينوا ضعفهم امام المسلمين هنالك اذظهر من طرف الشرق طوفان المغل وزوبعة التتار وخربت أكثر ممالك الاسلام فى تلك الاقطار واستأصلت شائفة الخوارزم شاهيين الذين لم يكن احد من الملوك مثلهم فى القوة والمنعة فى تلك الاعصار وعلموا ان الواح مداركهم خالية عن نقوش الاديان واراضى قلوبهم قابلة لزراعة بذر النصرانية واليهودية والايمان وان فى تنصرهم للنصارى غاية الفائدة وللمسلمين نهاية الخسران فانهم ان تنصروا تقوم هؤلاء من الشرق وهؤلاء من العرب فيتلاشى الاسلام فيما بين هاتين الزوبعتين بالكلية عياذا بالله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فبادر البابا الى سوق القسيسين الى بلاد التتار افواجا افواجا رجاء ان يتم لهم ما قصدوه فيظفروا بالمنى وان لم يتم لهم ما املوه فلا اقل من ان يردوهم عن قصد بلادهم فانهم كانوا غير آمنين من ذلك بل منزعجين منهم غاية الانزعاج ومتوقعين هجومهم فى كل لحظة كما قدمنا قال رفاعة بك فى الجلد الاول من ترجمة جغرافيا ملطبرون ان البابا الذى هو خليفة النصارى امر القسيسين والرهابين ان يجتاز والانهار المنجمدة والجبال القاحلة ليستميلوا قلوب متوحشى ملوك الصحارى لاجل ان ترجع صواعق الاسلام وغاراته القهقرى حيث كانت تهدد دين النصرانية فكان هؤلاء السفراء القسيسون يتجشمون المشاق ويجوبون المفاوز وما هو اخطر منها واشق مما هو مسكون باجناس القبائل المتوحشة وكان دينهم الذى تضعضع وآل الى الخراب والبطلان نجم يهتدون به فى اقتحام هذه العقبات ويتسلون به ولما كانوا مشغوفين بنصرة هذا الدين واعلاء الكلمة بين هؤلاء المتبربرين كانوا يجتازون بلاسلاح اراضى عشرين امة متوحشة حتى يظلوا آمنين مطمئنى القلوب بجانب كرسى المغل المضرس بانواع السلاح وشدة الظلم الذى كانت برزت منه اوامر التخريب والفتك باهل شطوط نهرى هو نغوو ويستوله فى آن واحد ولم يكن مثل هذه الاسفار مقصورة على

افراد القسيسين بل كانت بابات رومه تبعث الى تلك البلاد فرقا فرقا من المتدينين ليوعظوا أهلها حمية لدين النصرانية قال فمنهم الراهب أسقلين ارسله البابا الى خانات المغل سنة ١٢٤٥ يعني الميلادية المصادفة سنة ٦٤٣ هجرية وكانوا يعني المغل قبل ذلك بيسير خربوا بلادله وسيليزيا والوجاده ويحكمون ببلاد الروس بغاية القهر والجبر فتوجه نحو العراق ورجع بخفى حنين وكانت مدة سفره نحو شهرين ثم فى سنة ١٢٤٦ بعث البابا الى الخان باتو الذى كان متسلطنا ببلاد القفچق شخصا يقال له ژان بلانو فرپين ولقبه فى الديانة اخ صغير من اهل رتبة مارى فرنسيس وبعث معه اناسا اخر فاجتاز ببلاد بوهمية يعني چه وبلاد سيليزيا وبلاد له وصادف امم المغل فى مدينة قانو (١) على ساحل نهر دينيپر ثم ببلاد قامانية حتى وصل الى معسكر باتوخان (٢) فرجع

(١) لعلها كانيف اسفل من كيف. منه عفى عنه.

(٢) ولننقل هاهنا كتبه كارامزين نقلا عن رحلة كارپين المذكور وقد وصل كارپين هذا الى قرا قورم وصادف تتويج كيوك قاآن واجلاسه تخت القاآنية قال ان آوروپا كانت على خوف عظيم من التتار دائما فان باتوخان كان على نية الاستيلاء على آوروپا دائما فارسل البابا پريم اينو كينتى الرابع واحدا من رهبان فرانسا يقال له پلان كارپين الى القاآن كيوك اظهارا للمحبة واياخذ منه الامان نامه اعنى براءة الامان فقال المذكور خرجنا من ايتاليا واتيت الروسية سنة ١٢٤٦ حاملا لمكتوب بابا الى كيوك قاآن كتبه استجلابا لمحبته وليربط دين الروسية بكنيسة لاتين ولما وصلنا الى مازوويا لقينا هناك واسيلكا من كيناز الروسية فقال بيانا لعوائد التتار واخلاقهم ان سفركم الى القاآن صفر اليدين ليس بمصلحة بل لابد من الهدايا الثمينة والا فلا يقبلكم القاآن فاشتريا هدايا ثمينة من الفرو والسمور والالبسة المذهبة فارسلنا الى بلده كيف ولم يقبل تكليف بابا فى ربط دين الروس بكنيسة لاتين وقال ان اخى دانيل فى اوردو القاآن الكبير ولا اقدر ان افعل شيئا من غير مراجعته فاتينا بلدة كيف وقد صارت خرابا واهلها يجتمعون حولها مراة قد اضناهم الجوع ينظرون الينا كانهم خرجوا من القبور والذى يراهم لا يملك نفسه من الحزن وكان حدود التتار تبتدئ من تاوريد (قريم) ولما وصلنا الى الحدود وتركنا خيولنا هناك لانعدام مأكله واشترينا خيول التتار لانها كانت تأكل من تحت الثلج واتينا تاوريد فاحاطت التتار بنا وسئلوا عن مقصدنا ومن مجيئنا وذهابنا فاجبناهم باننا رسل بابا الذى هو كبير جميع النصارى ارسلنا الى القاآن الكبير وقال اى ضرر

مثل الاول صفرا ليدين ولم يحصل على طائل وبقى فى سفره مدة سنة اشهر * ثم سفر غليوم روبرقيس وذلك انه شاع بين الفرانساوية مكتوب مفتعل يتضمن دخول خان المغل فى دين النصرانية ولغطت النصارى بذلك حمل ذلك سنت لويز ملك فرانسا على ان يبعث لهذا الامر مريدا قاصرا من رتبة سنت فرنسيس وهو دوبرقيس اورويس بروق ومعه المريد برطلمى القريمونى فسافر هذا القسيس سنة ١٢٥٣ يعنى الميلادية المصادفة سنة ٦٥١ هجرية وسلك الطريق الذى سلكه سلفه وبعد التى واللتيا وصل الى قرا قوم التى هى كرسى سلطنة المغل ورجع بخفى حنين ومنهم مرق پول الجنويزى صاحب الرحلة المشهورة ارسله البابا سنة ١٢٧١ ميلادية مصادفة سنة ٦٧٠ هجرية بعدان قلده رتبة البابوية وكان فى عهد قبلاى قاآن وبقى فى سفره مدة سنة ٢٥ واستخدم فى ديوان

وصل اليه ماحتى اخذ اراضينا جبرا وقوراهن پولشه (له) وماجاروا بى احب الصلح لامحاربه واتمنى ان يقبل القاآن ديننا حتى يخلص نفسه واهله من جزاء الاخرة فلم يردوا علينا شيئا بل اخذوا بعض هدايانا وقنعوا به وارسلونا الى اميرهم مع بعض منهم وكان اسم اميرهم قورمشاه (لعله خرمشاه) ومعه ستون الفامن العسكر يحافظون الحدود الغربي من مملكتهم فارسلنا الامير المذكور بعد الاستجواب الى باتوخان فجاوزنا اراضي پالاويتسه ونهردينيير ودون وولغا ووصلنا الى نهريايق وكانت تلك الاراضي كلها مصيف التتار واما فى الشتاء فكانوا يشتون قريبا من البحر الاسود وقد بنى باتوخان قصورا فى ساحل نهر ولغا وكان تحت يده ستمائة الاف من العسكر مائة وستون الفامنهم من التتار والباقى من النصارى وسائر الاجناس المختلفة وجئنا بعد باتوخان وقد قرب عيد الصليب فمرت التتار بنا من بين النارين زعما منهم ان النار تبطل السحر والا فكار الفاسدة وجاؤا بنا خيمة باتوخان وامرونا بالسجود مرارا حين مشاهدتنا الخيمة فدخلنا الخيمة بغاية التعظيم وقد جلس باتوخان على التخت بالعظمة فاجلسونا الى طرف اليسار وقامت الامراء والوزراء وعائلة الخان حوله على اقدامهم وكانت ازواجه واولاده قاعدين على الكراسى فاعطيناه مكتوب البابا اينوكينتى بغاية التعظيم وقد حرر باللاتينى والاسلاوانى والتتارى (هذا محل دقة) فقرأه باتوخان (هكذا) بالالتفات والدقة وكان يشرب القمز آنا فآنا بكاسات الفضة والذهب وتعزف الموسيقة على الدوام وكان باتوخان مائلا الى الحمرة عظيم الجثة مائلا الى التبسم ملتفتا مع نهاية العظمة شجيعا وقت المحاربة الى الغاية وصاحب دراية وتجربة وشدة وصاحب خدعة ولما قرأ المكتوب

القاآن وكذلك ابوه نيقولاى بولس ثم رجع وقد منح الرحلة المشهورة ومنهم ايضا اندره لوقيمل وقدسافر سنة ١٢٤٥ ليشهر دين النصرانية بين قبائل المغل والتتار وغير ذلك ايضا ممالا يكاد يحصر ولم يزالوا بعد ذلك عدة قرون يسافرون الى تلك البلاد وينتشرون فى الآفاق مثل الجراد ويبذلون اقصى جهدهم فى نشراباطيلهم بين العباد قال وسياحة هؤلاء القسيسين والرهابين قد خدمت علم الجغرافيا خدمة كثيرة حيث كشفوا من احوال الممالك مالم يكد ينكشف مدة مديدة وان كان الباعث على اقتحامهم الاخطار انما هو شيء اجنبي عن العلم انتهى ما فى جغرافيا رفاعة بك منتخبا قلت المفهوم من كلامه انهم لم يظفروا من مقصودهم الذى سافروا لاجله بادنى شيء مع كثرة اجتهادهم فى ذلك واقبالهم بشراشرهم على ما هنالك وقد صرح بان ماشاع بين النصارى من دخول خان المغل فى دين النصرانية من الاكاذيب وليس كذلك

بالتمام امرنا بالذهاب الى القاآن الكبير فشرعنا فى قطع القيافى بالشدة ووصلنا فى اسبوع عيد عروج عيسى عم الى بيسير مين (يعنى خوارزم وخيوا) وتلك الاقوام وان كانوا قبل ذلك ذى شوكة قوية وسلطنة عظيمة الا انه افناهم التتار فصارت بقايا هم تبعة لهم وكانت تلك الولاية فى حدود بحار او كانت فى ادارة شيبان اخى باتوخان ولم نزل نقطع الطريق من القيافى والجبال والسهل والوعر حتى وصلنا الى حذاء بحيرة بايقال فبقيت فى يسارنا ثم وصلنا فى آخر يوليه الى بلاد مغول وهم التتار الاصلى وقسمات القاآن اوكداى ولم يجلس والده كيوك على تخت القاآنية وكانت الامور بيد والدته توراكينا فارسلنا كيوك الى والدته وكانت فى قصر عظيم له باب كبير وفى الباب عساكر كثيرة بايديهم سيوف مجردة فجاءوا بنا عند توراكينا بعد ان امرونا بالسجدة للسراى (القصر) وكانت الوزراء والامراء والعساكر فى غاية الاشتغال بتهيئة لوازم جلوس كيوك قاآن على دست القاآنية فامرونا بالتاخر والانتظار فبقينا هناك شهرا ثم نقلونا الى الارد والذهب وفيه جمع عظيم من جميع وجه الارض وبعد تكلفات كثيرة اجلسوا كيوك على دست القاآنية فى ٢٤ آغستوس والبسوه التاج وبعد عادات كثيرة على عاداتهم ثم توجه الوزراء والعساكر وكافة الاهالى الى كيوك ودعوا له ثم صاحوا نحن كلنا نطلب منك ان تكون قاآنا وآمرا فقال لهم كيوك هل تطيعون امرى وتحاربون عدوى اذا امرتكم بها فاجابوه بانا قبلناه ثم قال كيوك متوجها الى الاهالى وانا ايضا قبلت القاآنية فالبسه الوزراء التاج ثم امسكوا

بل له اصل على ماعرفت من تنصر كيوك قاآن وما جرى بسبب ذلك على المسلمين من المحن (١) وما آل اليه امر كيوك وقد اشتهر ذلك فى جميع الاقطار الاترى الى تبجج ابى الفرج الملطى فى تاريخه حيث قال وكان بمقام اتابكية لـكيوك خان امير كبير اسمه قداق خان وكان معمدا مومنا بالمسيح وشاركه فى ذلك امير آخر اسمه جينقاى فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسنا بقين كيوك خان ووالدته واهل بيته بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحية وارتفع شأن الطوائف المنتمية الى هذا المذهب

من يده وانزلوه من التحت واجلسوه على لبد وقالوا له ان عدلت ورحمت الاهالى يكون معينك وان ظلمت نسلب اللبد الذى انت جالس فيه فضلا عن غيره فعليك بالعدل له ثم قام كلهم ورفعوه بايديهم وجعلوه قاآنا لانفسهم وسلموا له الخزينة التى بقيت من ابيه ثم اولموا وليمة عظيمة واطعموا الا هالى اللحم والقمز اياما كثيرة وكان كيوك وقتئذ ابن اربعين اوخمس واربعين سنة وكان على غاية من العظمة وعاقلا ذادراية واصالة ولـكن كان عبوسا ومتفكرا وقال مقربوه من عبيده النصارى انه مائل الى النصرانية وسيتنصر قريبا فانه يأذن لقسيس النصارى ان يعملوا حول خيمة (قلت فقد فعل ذلك كما ذكرنا) ويعرف كيوك عدة من اللغة الا انه يتكلم بالمغولى وله ترجمان من كل لسان وفى حضوره كتبة السر ولـكن ليس فيه كتابة اصلا بل يرى جميع الامور شفاها اه مانقله كارامزين من كارپين وقد اختصره المترجم غاية الاختصار وقد علم من سكوت كارپين من بيان احوال توراكينا ان ما اشاعته النصارى قاطبة انها تنصرت لا اصل له بل هو من مختر عاتهم المعتادة والا لذكره وتبجح به ثم قال كارامزين وكان اول حكم كيوك خان فى مجلس وزرائه بعد التتوج الامر بجمع العساكر للاستيلاء على كافة آوروپا وارسل الى پاپا اينوكنتى يأمره بالمجيء لديه مع جميع حكام وايمپراطور آوروپا وان تطيعوه والا فيحكم عليهم السيوف اجراء لوصية چنكزخان بعدم ابقاء حاكم على وجه الارض سواهم ففى اثناء جمع العساكر لسفر آوروپا مات فجاءة وجلس مكانه منكو قاآن اه وهذا اهو رأى كارامزين فان صح دل ذلك على كذب ما اشاعته النصارى ايضا فى حقه من التنصر واما ميله اليهم فلاشك فيه لانه مكتوب فى روضة الصفا وغيره كما ذكرنا فى الاصل. منه عفى عنه.

(١) وقد ذكر فى روضة الصفا ان بعض الملاعين منهم تمكن من حمل كيوك قاآن على اصدار الامر والفرامان بخصى كافة المسلمين الذين تحت حكمه وحملت تلك الفر مانات على عربات شتى ففى تلك الاثناء ظهر من الغيب سبع فحمل على ذلك اللعين واقتلع خصيتيه وقتله وحاق به مكره السيئ ونجا المسلمون منه بحيث ان القاآن رجع عن هذا الفكر العقيم لما رأى ما آل اليه امر ذلك اللعين اه مختصرا. منه عفى عنه.

من الفرنج والروس والسريان والارمن والتزم الخاص والعام من المغل وغيرهم ممن هو بينهم ان يقولوا فى السلام برخمر وهو لفظ مركب سريانى معناه باركك مالكى انتهى بحروفه * قلت وقد الجأ الله منه النائرة سريعا بهمة حضرة باتوخان كما مر وهذا قداق خان وصاحبه اللذان اضلا كيوك فالآن ماتنصرا الا باغواء هؤلاء السياحين فهذا من جملة نتائج تحملهم المشاق وركوبهم متون الاسفار واقتحامهم الاخطار وارتكابهم اكل لحوم الخيل وشرب البانها مع انها محرمان فى اديانهم حيث لايوجد فى تلك البلاد فى اغلب الاوقات غيرهما وهذا هو عادة النصارى من سالف الازمان الى هذه الاوان يبذلون جهدهم فى نشر اباطيلهم ولو بارتكاب المحرم ولايسأمون ولايضجرون رجاء ان يفوزوا بشئ من الصيد ولكن لما وعد الله سبحانه باظهار دينه فى كتابه المنزل على حبيبه المرسل لايتروج اباطيلهم ولايؤثر فى احد تضاليلهم ولو اثر فى شرذمة قليلة بعد سنين كثيرة لايكون له دوام وهذا امر مجرب يعلمه من يتأمل فى احوالهم فمثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لصيد الذباب فاذا وقع فيه واحد اواثنان بعد جهد بليغ يامر صاحب الدار واحدا من غلمانه اوجواره بكنس البيت وتطهيره من بيوت العناكب فيهلك العنكبوت ويخرب بيته ويذهب صيده فهذا مثالهم الاترى الى ماوقع لهم من اعظم المصائب فى بلاد ياپونيا سنة ١٥٩٠ م مصادفة سنة ٩٩٩ ه فانه هلك فيها وقتل عشرون الف نصرانى وذهبت كنيستهم الجديدة هباء منثورا وقتل منهم فيها سنة ١٦٣٨ م مصادفة سنة ١٠٤٨ ه سبعة وثلاثون الفا بعد ان جزموا بان ياپونيا قد قبلت النصرانية ودخلوا فيها بالكلية فصار سعيهم مدة ٥٠ سنة هباء منثورا فان ابتداء دعوتهم اياهم كان فى حدود سنة ١٥٤٩م مصادفة سنة ٩٥٦ ه بعد ضعف دولة التتار فى البلاد الشمالية وصار دين النصارى من ذلك الوقت ابغض الاديان على ياپونيا والمصائب التى اصابتهم من دولة الصين حيث قتلت دعاتهم ومن اجاب دعوتهم

شرقتلة مامضى لها خمس اوست سنوات وما دهبت مرارتها من قلوبهم بل هى ممتدة الى الآن وواقعة زمانا بعد زمان ومع ذلك لايساءمون منه ولايضجرون فهذا هو دأبهم دائما واما اهل الاسلام فهم بضد هؤلاء فى كمال الاستغناء عن امثال هذه الامور الاترى الى من اسلموا فى انكلتره وآمريكا ينادون المسلمين باعلى صوتهم يطلبون منهم العلماء لاغير فلااحد يجيب نداهم ويلبى دعوتهم بل الف بعض ارباب القصور رسالة فى تكفيرهم انا لله وانا اليه راجعون فلو اتفق وقوع مثل ذلك للنصارى لامتلاء الآفاق بقسيسهم ورهبانهم هذا وقد ساقنا الاستطراد على ذلك حتى كدنا نخرج من المقصود ولكن الشىء بالشىء يذكر والحاق النظير بالنظير ممالا يستنكر * قلت وهؤلاء القسيسون والرهبان الذين وردوا الى بلاد التتار لنشر النصرانية كان كل واحد منهم يخترع (١) فى ناحية الشمال ملكا نصرانيا يسمى بالملك يوحنا ويذكر منه عجايب وغرائب مع اختلاف ازمنتهم وكان القائل بذلك ايضا ابو الفرج الملطى وجعل اونك خان من قبيلة كيرايت كما ذكرنا وقد كان موت اونك خان على يد چنكز خان سنة ٥٩٩ هجرية وهؤلاء القسيسون كان اسفارهم بعد ذلك بسنين كثيرة كما بينا فكيف يصدق قولهم بانهم رأوه ولقوه اللهم ان نقول ان اونك خان لما كان عندهم من الاولياء لايستبعد حياته بعد موته او ان يظهر لهم بعض قديسانه للترحيب بهم واستمالة قلوبهم حيث ان كلا بذلك حقيق لمجيئهم فى سبيل المسيح من مكان سحيق وليس صدور امثال هذه الخرافات منهم بعجيب وانما العجب صدورها من مثل ابى الفرج الملطى مع اطلاعه على العلوم والفنون ولكن من لم يجعل الله له نورا فماله من نور فاذا ارتكب ابو الفرج الذى هو امثلهم طريقة مثل هذه الخرافات ماذا نقول فى حق غيرهم * وكذب هؤلاء القسيسين فى حكاياتهم الملك يوحنا غنى عن البيان ويكفى فى ذلك تناقض اقوالهم وعدم ذكر

(١) ذكره ايضا فى الجلد الاول من ترجمة جغرافيا ملطبرن الفرانساوى . منه عفى عنه .

المورخين من اهل الاسلام اياه مع شدة توغلهم فى اخبار تلك الناحية اعدل شاهد على كذب قولهم وانه مخترع بلامرية * لايقال ان عدم ذكر مورخى الاسلام اياه انما يكون لعدم اطلاعهم عليه لانا نقول ان هذا ممنوع فان الاسلاميين لهم يدطولى فى الاطلاع على احوال بلاد الاتراك من قديم الايام والنصارى كانوا اولا يستمدون فى الاطلاع على احوال تلك البلاد من كتب الاسلاميين مثل كتاب ابن حوقل والاصطخرى وابى يزيد البلخى وابن خرد اذبه وابن داسته وغيرهم ويعترفون بقصور باعهم فى ذلك حتى ان بطلميوس لم يكن له علم بتلك البلاد صرح بذلك فى جغرافيا رفاعة بك وانما حصل لهم العلم باحوال تلك البلاد بعد انتشار تلك القسيسين فيها كما مر ذلك صريحا فى قول رفاعة بك فالقول بان النصارى يمكن لهم ان يعلموا ما لا يعلمه الاسلاميون بعيد عن جادة الصواب صادر عمن ليس له اطلاع فى هذا الباب خصوصا بعد ظهور التتار فان اكثر وزرائهم وكتابهم وان لم نقل كلهم حتى وزراء القا آن كانوا من المسلمين وانتشروا معهم فى جميع بلدانهم ونشروا انوار الاسلام فى اقطار ممالكهم وضبطوا احوالهم التاريخية والاتنوغرافية فكيف يتوهم انهم لم يطلعوا على ذلك مع اطلاع النصارى عليهات لا يخطر ذلك ببال احد اللهم الا ان كان متفرنجا كلما يسمع ضرطة الافرنج يقول له يرحمك الله فلم يبق لا كذب النصارى فى حكاية تلك الاحوال على ما هو عادتهم المستمرة فى امثال ذلك لترويج اغراضهم الفاسدة هذا * تنبيه قال ابو الفدا فى تقويم البلدان (الاكك) وهى بليدة على جانب الاتل من الجانب الغربى وهى بين سراى وبين بلغار وهى منتصف الطريق بينهما وهى على كل واحدة منهما على نحو خمسة عشر مرحلة والى الاكك ينتهى اوردو ملك التتار ببلاد بركة ولا يتجاوزها اه وقال بعض ارباب الجغرافيا والاتنوغرافيا من الروسية بعد ان نقل عنه هذا الكلام ان فى اعمال سراطاو وبقربها قرية للروسية تسمى اديک وكذلك الجبل المستطيل بقربها يسمى بهذا الاسم وكثيرا ما

توجد بها آثار قديمة مثل الخاتم والسكة المضروبة وكسرات الفخار الصينى تدل على انها من بلاد التتار القديمة ثم استشكل كلام ابى الفدا بانه لو كان مراده باكك هو هذه القرية فقوله والى الاكك ينتهى اوردو ملك التتار غير صحيح لان هذه القرية فى وسط مملكتهم لا فى آخرها اه قلت يحتمل ان يكون مراده ان هذه البليدة هى منتهى اوردو ملك التتار بالذات يعنى منتهى اعمال مدينة سراى ومضافاتها التى كانت تسمى بالاردو وماوراءها متعلق بولايـة بلغار ومن جملة اعمالها ومضافاتها وان كانت من جملة ممالك التتار فانه قد تقدم انهم ابقوا البلغار وما والاها فى يد اميرها على انها من جملة ممالكهم واهلها من جملة رعايا هم فلا محذور فى كلامـه على ذلك ويحتمل ان يشتبه على ابى الفدا موقع اكك هذه التى ذكرها فان ابن بطوطة قد ذكر بليدة اكك عند ذكر سفره من حاجى طرخان الى قسطنطينية وقال انها على عشرة مراحل من سراى وانها منتهى اعمال سراى وبعدها بيوم واحد ترى جبال الروسية فيمكن ان يكون مراد ابى الفدا هو هذه البليدة بل اليقين انه هى هذه فيكون قوله انها على جانب الاتل وانها بين سراى وبلغار مبنيا على الاشتباه فان هذه الاكك التى ذكرها ابن بطوطة ليست على ساحل الاتل ولا بين بلغار وسراى والله سبحانه اعلم توفى الملك الصاين باتوخان سنة ٦٥٣ وقيل بعدها بسنة وقيل سنة ٦٥٠ والاول اصح فيكون مدة سلطنته قريبا من ثلاثين سنة فانه تملك بعد موت ابيه سنة ٦٢٤ كما مر وباقى الاقوال مبنى على الاشتباه والله اعلم قال كارامزيـن نقلا عن كاربين سفير البابا كان باتوخان جسيما وجهه مائلة الى الحمرة ملتفتا مع عظمة مائلا الى التبسم شجيعا فى المحاربة ذا دراية وشدة مجربا للامور ذا خدعة ودهاء اه وقال فى روضة الصفا ولما مات جوجى جلس باتو مكانه واستخلص بقايا قفچق والالان واللاص (لزكى) والروس وبلغار وغير ذلك وجلس على تخت الحكومة بحدود ادل وبنى بها بلدة يقال لها سراى وكان حكمه جاريا على كافة اولاد چنكز

خان ولم يكن هو متقلد الدين ومنصب ولم يعلم شيئًا غير عبادة الله وحده وليس لما يعطيه ويهبه حساب ولا لجوده واحسانه احصاء وكتاب وكان ملوك الاطراف وغير هم ممن قنطوا فى الافاق يتوسلون بخدمته بانواع الهدايا والتقاديم وكان يفرق الاموال قبل وضعها فى الخزانة الى المسلمين والمغل وسائر حضار المجلس وكان لايلتفت الى القليل والكثير وكان التجار يحملون اليه الامتعة والاقمشة من اقطار الارض ويبيعونها منه باضعاف قيمتها وكان يكتب البراءات والفرامين لسلاطين الروم والشام وغير هم وكل من وصل اليه كان لايرجع من غير نيل مقصوده ومطلوبه وكان يرسل العساكر احيانا الى الاطراف والجوانب حسب مقتضى الوقت وبعد موت كيوك جلس منكو على سرير القاآنية بسعيه وكان دائما مشغوفا بالعيش والطرب وهجم عليه هاذم اللذات فى شهور سنة ٦٥٣ ثلاث وخمسين وستمائة اه صرتق خان ابن باتوخان قال ابن خلدون واما هلك باتوخان ابن دوشى خان ولى مكانه اخوه صرتق فاقام ملكاسنتين وهلك سنة ثنتين وخمسين وستمائة وقال العينى وخلف باتو من الاولاد ثلاثة وهم طغان وبركة وبركجار فنازعهم اخوه يعنى اخا باتو المملكة واستبد بها دونهم وكان اسمه صرتق بن دوشى خان فاستقر فى هذه السنة ٦٥٠ فى الملك بالمملكة المذكورة ومات فى سنة ٦٥٢ حتف انفه وكان مدة ملكه سنة وشهرا ولم يكن له ولد اه وقال النويرى واستقر ملك هذه البلاد بيد دوشى خان ثم بيد باتوخان ثم بيد صرتق ابنى دوشى خان ثم فى اولاد باتوخان واخوانه الخ فجعل هؤلاء كلهم صرتق ابن جوجى واخا باتو وجعل العينى وابن خلدون وفاة باتوخان سنة خمسين وستمائة والله وقال منجم باشي وكان صرتق حين وفات ابيه باتوخان عند منگوقا آن فنصبه منگوقا آن خانا مكان ابيه وارسله الى دار ملكه بعد تكميل مهماته ولكنه توفى فى اثناء الطريق قبل وصوله الى دار ملكهم فارسل (يعنى صرتق اومنگوقا آن) مكانه اخاه اولاغچى ابن باتو فمات

فى مدة يسيرة فجلس مكانه بركةخان اه وذكر ابوالغازى ايضامثلماذكر منجم باشى من تولية صرتق بعدباتو وتولية اولاغچى بعد صرتق وان لم يذكر كون صرتق عند منكوقاآن وكان الفاضل المرجانى اخذ عن هذاولكن الذى ينقل عن كارامزين هنا وفيما سيجىء بعد اعنى جعله اولاغچى وزير بركة ومدبر مملكته اوفى بمثابة ناظر المستملكات مخالف له والمنقول عنه هناهو هذا * وقال كارامزين اثناء بيان حوادث سنة ١٢٥٠ مصادفة سنة ٦٤٨ ه وكان حكومة ولادبمر وحكام اوديل فى ذلك الوقت تحت حكم صرتق فان باتو خان وان كان حيا فى الوقت المذكور الا انه كان لا ينظر فى الامور بل كان احالها الى (١) تدبير صرتق وقال ان بوريسا الصغير لما بكى على جده ميخايل الذى قتله باتو خان اضطر ان يذهب الى باب صرتق بن باتو خان وكان صرتق فى ذلك الوقت بعدوذ الروسية ثم صارماً ذونا من صرتق بالرجوع الى الروسية وقال ايضا وفى اوائل سنة ١٢٥٦ مصادفة سنة ٦٥٣ ه وقع تغير عظيم فى اوردو (يعنى مملكة التتار) وذلك ان باتوخان توفى ذلك الوقت واراد ولده صرتق ان يجلس مكان ابيه ولكنه صار قربانا لحيلة عمه بركة فان بركة قتله بامر القا آن (يعنى منكو) وصار خانا مكانه وكان الكساندر النيفى فى الوقت المذكور حاضرا فى اوردو كان اتاه بالدعوة بعدان اناب ولده واسيلى مكانه بنووغورد اه فجعلا اعنى صرتقا منجم باشى وكارامزين ابنا لباتو وكذلك وقع فى محل آخر وسيجىء عنه مثله ايضافى اول المقصد الثالث عندبيان بناء مدينة قزان وقال الحاج عبد الغفار افندى فى تاريخه ولما توفى باتوخان ترك بعده ولدين صارى طاغ وطغان (٢) وتوفى صرتق عقب موت باتوخان وكان طغان صغيرا فتسلطن بركةخان اه فقال العينى انه مات حتف انفه وقال كارامزين

(١) وهذاهو منشأ غلط هؤلاء المورخين الكبار فى شان صرتق من جعله خانا فى تلك السنين . منه عفى عنه .

(٢) وسيجىء بعد ذلك ان طغان بن باتو كان توفى قبل ابيه وان زوجته براقاشين ارادت نصب ولده تدان منگو مكان باتو نقلا عن النويرى وغيره . منه عفى عنه .

انـه قتل عمه بركة ولم يذكر غيرهم سبب موته وقد ذكر ابن خلدون فى قصة طويلة ان بركة استشعر من ابن اخيه سرخاد ابن بايجو محاولة قتله بالسم فقتله الخ ولعله صرتق بن باتو ولكنه جعل ذلك فى اثناء سلطنة بركة خان والله سبحانه اعلم

ابو المعالى ناصر الدين حضرة السلطان بركة خان ابن جوجي بن چنكز خان عليه الرحمة والغفران ولما مات صرتاق جاس على سرير السلطنة مكانه عمه حضرة الملك بركة خان ابن جوجي خان عليه الرحمة وكان ذلك سنة ٦٥٢ على ما ذكره النويرى وابن خلدون والمقريزى والعينى وقد عرفت ما ذكره (١) صاحب روضة الصفا وكارامزين والله سبحانه اعلم ان اى القولين صحيح وايهما خطاء * واختلف المورخون ايضا فيه بانه ابن باتو او ابن جوجي كما ذكر ابن خلدون هذا الاختلاف فى تاريخه ولكن الصحيح (٢) والصواب انه ابن جوجي واخو باتو كما مرت الاشارة اليه مرارا وقد اسلم بركة خان هذا وحسن اسلامه وجعله الله سبحانه سببا لبقاء رمق الاسلام وانتعاشه بعدان شارف الانعدام كما سنذكره ان شاء الله تعالى واتفق المورخون على انه اول من اسلم من اولاد چنكز خان على الاطلاق ولكنهم اختلفوا فى زمان اسلامه انه كان فى ايام سلطنة اخيه باتو او بعد وفاته وبعد ان افضت السلطنة اليه ذهب الى كل منهما ذاهب لكن الحق انه اسلم فى زمن سلطنة اخيه باتو قال القلقشندى وكان اسلامه يعني بركة قبل تملكه حين ارسله اخوه باتو لاجلاس منكو قاآن على كرسي جده چنكز خان فاجلسه (٣) وعاد فمر فى طريقه على الباخرزى شيخ الطريقة فاسلم على يديه وحسن اسلامه ولم يملك بعد اخيه باتو خان الا وهو مسلم اه وقال الذهبى عند ذكر وفات بركة خان وقد سافر من سقسين

(١) اعنى فى تاريخ الوفاة لا فى جلوس بركة مكانه فان هذا لم ينقل عن صاحب الروضة . منه عفى عنه .

(٢) كما ان الصحيح والصواب ان صرتق بن باتو . منه عفى عنه .

(٣) ومثل ذلك فى تاريخ ابن خلدون وكان فى سنة ٦٤٨ . منه عفى عنه .

سنة نيف واربعين الى بخارا لزيارة الشيخ سيف الدين الباخرزى فقام على باب الزاوية الى الصباح ثم دخل وقبل رجل الشيخ واسلم معه جماعة من امرائه فهذا فى ترجمة الباخرزى نقل ابن العوطى اه فهذا صريح فى ان اسلامه قبل تملكه فان تملكه متأخر عن التاريخ المذكور كما ذكرنا آنفا ولكن هذا يوهم ان زيارته للشيخ سيف الدين كان بانشا سفر جديد من بلده ومثله فى تاريخ العينى كما سننقل عنه ان شاء الله تعالى وقال ابن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الابصار فى ممالك الامصار بعد ان ذكر ماجرى بين باتوخان وكيوك قاآن على ما مر فاضطرب من كان معه يعنى مع كيوك بعد موته ثم اتفق رأى الخوانين والامراء على مكاتبة باتو فكتبوا اليه باعلامه بموت كيوك وانه يعنى باتو احق بتخته فيفعل ما يراه فقال باتو لاحاجة لى به وانما ابعث اليه بعض اولاد تولى وعين له منكو قا آن بن تولى وجهزه اليه هو واخونه قبلاى قاآن وهلاكو وآرتق بوكا وجهز باتو معهم اخاه بركة فى مائة الف فارس من بهادرية العسكرية ليجلسه على التخت ثم يعود فاخذه معه وتوجه به ثم اجلسه وعاد فلما مر ببخارى اجتمع بالشيخ سيف الدين الباخرزى من اصحاب شيخ الطريقة نجم الدين الكبرى وحسن موقع كلام الباخرزى عنده فاسلم على يده وتاكدت الصحبة بينه وبين الباخرزى فاشار اليه الباخرزى بمكاتبة الخليفة المستعصم وموالاته ومبايعته ومهاداته فكاتب (١) الخليفة وبعث اليه هدية وترددت بينهما الرسل والمكاتبات والتحف والمهاداة اه قلت وكان اجلاس منكو قاآن سنة ٦٤٨ فيمكن حمل كلام الذهبى على ذلك بان يكون نية زيارة الباخرزى مضمرة فى قلبه حين توجهه لاجلاس منكو قا آن بل

(١) بل فى كلام بعض المورخين ما يدل على ان مكاتبة الخليفة واقعة قبل ذلك حيث قال فى النجوم الزاهرة فى سنة ٦٤٤ قدم رسولان من التتار الى بغداد احدهما من بركة خان والآخر من بايجو فاجتمعا بالوزير ابن العلقمى اه وبايجو هذا قائد جيش هلاكو فى طرف اناطولى . منه عفى عنه .

تكون زيارته مقصودة له بالذات والاجلاس مقصودا بالعرض فحينئذ يرتفع الخلاف بين القولين بقى كلام العينى وهو انه قال وفى تاريخ بيبرس وكان السبب فى اسلام بركة خان ان الشيخ نجم الدين الكبرى كان قد ظهر صيته وارتفع ذكره ففرق مريديه الى المدن العظام ليظهروا بها شعائر الاسلام وارسل سعد الدين الحموى الى خراسان وكمال الدين الشرباقى الى تركستان ونظام الدين الجندى الى قفچق وسيف الدين الباخرزى الى بخارا فلما استقر الباخرزى ببخارا ارسل تلميذا له كبير المحل عنده الى بركة خان فاجتمع به ووعظه وحبب اليه الاسلام واوضح له منهاجه فاسلم على يديه فاستمال بركة عامة اصحابه الى الاسلام وقصد ان يبر الشيخ بشىء قبالة ما اسداه اليه فامر له ببايزة بالبلاد التى هو فيها ليكون وقفا على الفقراء والصلحاء وتجبى اموالها اليه وارسل البايزة الى الباخرزى فلما وصلته قال لرسوله ما هذه قال هذه تكون فى يد الشيخ تحمى كل من يكون من جهته فقال اربطها الى حمار ثم ارسله الى البرية فان حمته من الذباب فانا اقبلها وان كانت لا تحمى الحمار فما عسى يكون لى فيها وابى ان يقبلها فعاد الرسول واخبر بركة بما قال الشيخ فقال بركة انا اتوجه اليه بنفسى فسار نحوه ووصل الى بخارا واقام بباب الشيخ ثلاثة ايام وهو لا يأذن له فى الدخول اليه حتى تحدث معه بعض مريديه فقال ان هذا ملك كبير وقد اتى من بلد بعيد يلتمس التبرك بالشيخ والحديث معه فلا باس بالاذن له فاذن له عند ذلك فدخل اليه وسلم عليه وكان الشيخ متبرقعا فلم يكشف له عن وجهه ووضع بين يديه ماكولا فاكل منه وجدد اسلامه على يده وعاد عنه الى بلده وحسن اسلامه واقام منار الدين واظهر شعائر الاسلام والمسلمين واكرم الفقهاء والعلماء وادناهم وابرهم ووصلهم واتخذ المدارس والمساجد بنواحى مملكته واخذ بالاسلام جل عشيرته ونفذ امره وامتدت ايامه واسلمت زوجته چچك خاتون واتخذت لها مسجدا من الخيم يحمل معها حيث اتجهت ويضرب حيث نزلت وكان من شأنها وشأن زوجها ماسنذكر

ان شاء الله تعالى اه بتغيير ما فى ترتيب بعض عباراته بالتقديم والتأخير وهذا كالصريح فى ان اسلامه بعد تملكه بل قد صرح بذلك حيث قال قبيل هذا ولما ملك البلاد اسلم وحسن اسلامه الخ **وذكر** الملك المؤيد ابو الفدا فى سبب اسلامه قريبا بما ذكر العينى وعبارته فى سياق قصته ان الباخرزى كان مقيما ببخارا فبعث الى بركة يدعوه الى الاسلام فاسلم وبعث اليه كتابة باطلاق يده فى سائر اعماله بما يشاء فرد عليه واعمل بركة خان الرحلة للقائه فلم يأذن له فى الدخول حتى تطارح عليه اصحابه وسهلوا الاذن لبركة فدخل وجدد الاسلام وعاهده الشيخ على اظهاره فحمل عليه سائر قومه واتخذ المساجد والمدارس فى جميع بلاده وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم اه وذكر ابو الغازى فى تاريخه نحوا من ذلك **وقال** ابن خلدون بعد نقله ما ذكره ابن فضل الله العمرى وما ذكره ابو الفدا وساق القصة على ما ذكره المؤيد يدل على ان اسلامه كان ايام ملكه وعلى ما ذكره ابن الحكيم يعنى الشيخ نظام الدين ابا الفضائل يحيى الذى نقل عنه هذه القصة العمرى كان اسلامه ايام اخيه باتو فلم يذكر ابن الحكيم صرتاق وانما ذكر بعد باتو اخاه بركة ولم نقف على تاريخ لدولتهم حتى يرجع اليه وهذا ما ادى اليه الاجتهاد اه ولكن الصحيح الصواب ان اسلامه قبل تملكه كما قدمنا والله اعلم بالصواب **وقال** المقريزى والنويرى واسلم بركة هذا وحسن اسلامه واقام منار الدين واظهر شعائر الاسلام واكرم الفقهاء وادناهم منه وقربهم لديه ووصلهم وابتنى المساجد والمدارس بنواحى مملكته واسلمت زوجته چچك خاتون واتخذت لها مسجدا من الخيم تسافر به **وزاد النويرى** وهو اول من دخل فى دين الاسلام من عقب چنكز خان ولم ينقل الينا ان احدا منهم اسلم قبله ولما اسلم اكثر قومه اه **وقال** الذهبى قال قطب الدين كان بركة يميل الى المسلمين وله عساكر عظيمة ومملكته تفوق مملكة هلاكو من بعض الوجوه وكان يعظم العلماء ويعتقد فى الصالحين ولهم حرمة عنده وكان يميل الى صاحب مصر ويعظم رسله ويحترمهم وتوجه اليه طائفة من اهل الحجاز فوصلهم وبالغ فى احترامهم

واسلم هو واكثر جيشه وكانت المساجد التي من الخيم تحمل معه ولها ائمة ومؤذنون وتقام فيها الصلوات الخمس قال وكان شجاعا جوادا عادلا حسن السيرة يكره الاكثار من سفك الدماء والافراط في خراب البلاد وعنده حلم ورأفة وصلاح ثم ذكر مانقلنا عنه سابقا أعني زيادته للباخرزي تنبيه كنت قد رأيت في نسخ ابن خلدون المطبوعة ببولاق مصر قصة اسلام بركة على يد الباخرزي في الجلد الخامس منها وقد وقع فيها بدل سيف الدين الباخرزي (١) شمس الدين الباخوري وطالما فتشت كتب التراجم فلم اظفر في شيء منها بذكر شمس الدين الباخوري فجزمت بكونه سيف الدين الباخرزي لما في تاريخ ابن خلدون من الاغلوطات الكثيرة الواقعة من النساخ مثل كتابة زاملو بدل باتو وكغودبدل كيوك وسرغاد بدل صرتق وغير ذلك (٢) مما لا يكاد يحصر من اوله الى آخره متى رأيته كذلك في تاريخ العيني والعمري والذهبي والقلقشندي فحمدت الله سبحانه وتعالى على التوفيق ولا بأس بذكر طرف من ترجمته هنا للتيمين والاسترشاد هو من كبار اصحاب الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره قاله مولانا الجامي في النفحات في ترجمته انه لما هديت للشيخ نجم الدين قدس سره جارية من الخطا قال لاصحابه ليلة الزفاف انا الليلة اشتغل باللذة الجسمانية المشروعة فاتركوا انتم ايضا الرياضة موافقة الي وكونوا على الراحة وفراغ البال فلما قال الشيخ ذلك قام الشيخ سيف الدين وملاء ابريقا كبيرا بالماء وقام على باب خلوة الشيخ فلما اصبح الشيخ وخرج من خلوته ورآه على هذا الحال قال له الم اقل لكم ان كلا منكم ليكن مشغولا بلذته وحضوره فلم القيت نفسك الى المشقة بتلك الرياضة فقال في جوابه نعم ياسيدي قلت ذلك ولكن لاشيء الذلي من وقوفي على باب شيخي هكذا فقال له الشيخ اك البشارة يمشي السلاطين ذوى

---

(١) وذلك لقلة اطلاعي في ذلك الوقت على احوالهم واما الان فقد صار اكثر ماجريانهم عندي من قبيل البديهيات بكثرة المطالعة ولله الحمد . منه عفي عنه .

(٢) والمقصود من تحرير ذلك ان لاينسبوني الى الجهل او التحريف وان لايغتروا بما في نسخ ابن خلدون . منه عفي عنه .

الشوكة فى ركابك فجاء يوما واحد من السلاطين لزيارة الشيخ سيف الدين فقال له وقت انصرافه انى قدجئت لحضرة الشيخ بنفر فرس والتمس منه اركبه بيدى فقام الشيخ اجابة لملتمسه فامسك السلطان ركابه واركب الشيخ فاستصحب الفرس واضطرب ونفر فعدا السلطان فى ركاب الشيخ آخذا بعنان الفرس بيده مقدار خمسين خطوة فقال الشيخ للسلطان اتدرى ما سبب جموح الفرس وسره قال ذلك بسبب نفس الشيخ وقص عليه قصة بشارة شيخه بذلك وقال فيها ايضا ان الشيخ نجم الدين قدس سره لما اجلسه الخلوة فى اوائل حاله اتى باب حجرته فى اثناء الاربعين الثانى وضرب باب الحجرة باصبعه وقال ياسيف الدين وانشد بيتا فارسيا يدل على انه من المرادين والمحبوبين لا حاجة الى الرياضات والمجاهدات ثم اخذ بيده واخرجه من الخلوة وارسله الى طرف بخارا اه قلت وقبره فى فتح آباد بخارا على مقدار نصف فرسخ من البلد تقريبا وعلى قبره مدرسة عالية معمورة جدا اسمه سعيد بن المطهر بن سعيد وكنيته ابو المعالى وشهرته الشيخ سيف الدين الباخرزى ولقبه شيخ العالم نعم لما كان سببا لاخراج مثل

(١) وهذه المدرسة ووقفها مختصة باهل قزان لاتحلو قط من اثنين اوثلاثة من فقراء طلبتهم ولا احد يعلم انه من بناها حتى متوليها الذين هم من ذرية الشيخ والمشهور عند اهل بخارى انه بناها واحد من مريديه من اغنياء اهل قزان وقد ذكر فى روضة الصفا وروضة الابرار ان سور تونسى بيكه زوجة تولى وام هلاكو مع كونها مائلة الى النصرانية بنت مدرسة عالية ببخارى مشتملة على ثلاث طبقات ووقفت عليها اوقافا كثيرة وفوضت نظارتها الى الشيخ سيف الدين الباخرزى فعلى هذا القول هى امالها واما البركة خان وكونها مختصة باهل قزان يدل على الثانى وكان اولا على بابها حلقة كبيرة من ذهب خالص وكتابة تاريخ وفاته مع بعض اوصافه بالذهب فسرقتا فى حدود سنة ١٣١٩ وبقيت كتابة اخرى مكتوبة بذهب خالص على خشب الآن بنوس ذكر فيه انه توفى فى ٢٤ ذى القعدة ٦٥٩ سنة عن سن ٧٥ ولكن المكتوب فوق باب ضريحه مخالف له وهو هذا شيخ عالم امام اهل زمان درزما نيكه رفت ازعالم بهرتاريخ سال كلك قضا مقتداى زمانه كردرقم ٦٥٨ وهذا هو الموافق لما ارخه مولينا الجامى فى النفحات وله الاحاديث الاربعين المشهور باربعين الباخرزى وغيره وقد تشرف هذا الفقير بزيارة مرقده سنة ١٢٩٣ وسنة ١٣٢١ والقائمون بنظارة تربته من ذريته مقصود خواجه وغيرهم وهم من العلماء الفضلاء زيد قدرهم وعلاهم . منه عفى عنه .

السلطان بركة من الظلمات الى النور وتشرف بسببه عالم كثير بشرف لاسلام وصار شيخ مثل هذا السلطان وجميع رعاياه حقه ان يلقب بذلك وسبب عدم كشف وجهه للسلطان بركة على ما ذكره العينى ان صح يمكن ان يكون بسبب ان اسلاف بركة قتلوا شيخه الشيخ نجم الدين الكبرى قدس سره فلم يرد ان يواجهه بلاحجاب ولم يطب قلبه بذلك كما فعل النبى صلعم بالوحشى رضى الله عنه بعد اسلامه على ما قيل لقتله عمه حمزة رضى الله عنه قبله ولكن هذا الذى ذكره العينى يستبعده العقول السليمة والصواب ما ذكره ابن فضل الله العمرى من انه قد تأكدت بينهما الصحبة ويمكن ان يكون هذا السلطان الذى مشى فى ركاب الشيخ سيف الدين هو السلطان بركة بل هو احتمال قريب واما وقف بركة على بابه ليلة كاملة او ثلاثة ايام على اختلاف القولين على مامر فلا شك فى انه مكافاة لما صدر عنه فى حق شيخه من الوقوف على بابه والله سبحانه اعلم * وصنف الشيخ نجم الدين ابو الرجا مختار بن محمود الزاهدى صاحب القنية رسالة فى الاعتقاد سماها الرسالة الناصرية نسبة الى ناصر الدين بركة خان واهداها اليه ذكر ذلك ابو الفدا والجنابى وغيرهما قال فى كشف الظنون الفها لبركة خان الجنكزى ورتبها على ثلاثة ابواب الاول فى الدلالة على حقيقة رسالته صلعم الثانى فى ذكر المخالفين لنبوته والجواب عن شبهتهم الثالث فى المناظرة بين المسلمين والنصارى واتمها فى جمادى الاخرى سنة ٦٥٨ اه قال كارامزين التتار لما قبلوا الاسلام اقبلوا اليه بالكلية ولاسيما بركة خان فانه اعلن نفسه بانه حامى القرآن والشريعة والدين وخادمها فاسلم قوم التتار كلهم تبعا لسلطانهم وقد قتلوا واحدا من الروس غيرة لدين الاسلام فى عهد منكو تيمرخان لتكلمه فى حق الاسلام بما لا يليق وملئوا جلده بالتبن اه ثم ان بركه خان لما اسلم ودخل معه اكثر قومه فى الاسلام صار يجلب العلما والفضلاء من اطراف العالم وكاتب الخليفة المستعصم بالله مرات عديدة وبايعه وهاداه كما مر واتم بناء

بلدة سراى وقد تقدم ان اخاه باتو قد ابتدأ ببنا ئها فصارت مـن اعظم لبلدان واحسن المدن وانزهها قـال ابـن عرب شاه (١) فى عجايب المقدور فى وصف مدينة سراى منه وتخت الدشت سراى وهى مدينة اسلامية البنيان بديعة الاركان وكان السلطان بركة رحمه الله لما اسلم بناها واتخذها دار الملك واصطفاها وكانت من اعظم المدن وضعا واكثرها للخلق جمعا، حكى ان رجلا من اعينها هرب له رفيق وسكن فى مكان منحى عن الطريق وفتح له حانوتا يتسبب فيه ويحصل قوتا واستمر ذلك المهين نحوا من عشر سنين لم يصادفه فيه مولاه ولا اجتمع به ولارأه وذلك لعظمتها وكثرة امها وهى على شط منشعب من نهر اتل الذى اجمع السياحون والمورخون وقطاع المناهل انه لم يكن فى الانهر الجارية والمياه العذبة النامية أكبر منه اه وقال ايضا ولما تشرف بركة خان نخلعة الاسلام * ورفع فى اطراف الدشت للدين الحنيفى الاعلام * استدعى العلماء من الاطراف * والمشائخ من الافاق والاكناف * ليوقفوا الناس على معالم دينهم * ويبصروهم على طريق توحيدهم ويقينهم * وبذل على ذلك الرغبات * واماض على الوافدين منهم بحار الهبات * واقام حرمة العلم والعلماء * وعظم شعائر الله وشعائر الانبياء * وكان عنده فى ذلك الزمان * وعند اوزبك خان بعده وجانى بك خان * مولانا قطب الدين العلامة الرازى * والشيخ سعد الدين التفتازانى * والشيخ جلال الدين شارح الحاجبية * وغيرهم مـن الفضلاء الحنفية والشافعية * ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازى * ومولانا احمد الخجندى * رحمهم الله تعالى * فصارت سراى بواسطة هؤلاء السادات * مجمع العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من العلماء والفضلاء والادباء والظرفاء ومن كل صاحب فضيلة * وخصلة نبيلة جميلة * فى مدة قليلة * مالم يجتمع فى سـواها * ولافى جامع مصر ولافى قراها * اه ما تعلق به الغرض منها

(١) وهو قداقام بهامدة سنين عديدة وتزوج فيها وولد له هناك اولاد فهو يخبر عن علم ويقين ولا ينبئك مثل خبير . منه عفى عنه .

وقال ابن فضل الله العمرى وحدثنى الفاضل شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمى الترجمان ان مدينه سراى بناها بركة خان على شط نهر اتل وهى ارض سبخة بغير سور ودار الملك بها قصر عظيم على عليائه هلال (١) ذهب زنته قنطاران بالمصرى ويحيط بالقصر سور وابراج ومساكن لامرائه وبهذا القصر مشتاهم قال وهذا النهر يكون قدر النيل ثلاث مرات واكبر ويجرى فيها السفن الكبار يسافر بها الى الروس والصقلب قال وهى يعنى السراى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ووجوه بر مقصودة بالاجلاب فى وسطها بركة ماؤها من هذا النهر يستعمل ماؤها للاستعمال واما شربهم فمن النهر يستقى لهم فى جرار فخار وتصف على العجلات وتجر الى المدينة وتباع اه وقال ابن بطوطة ومدينة السراى من احسن المدن متناهية فى الكبر فى بسيط من الارض تغص باهلها كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع وركبنا يوما مع بعض كبرائها وغرضنا التطوف عليها ومعرفة مقدارها وكان منزلنا فى طرف منها فركبنا منه غدوة فما وصلنا الى آخرها الابعد الزوال فصلينا الظهر واكلنا طعاما فما وصلنا الى المنزل الاعند المغرب ومشينا يوما عرضها ذاهبين وراجعين فى نصف يوم وذلك فى عمارة متصلة الدور لاخراب فيها ولابساتين وفيها ثلاثة عشر مسجد الاقامة الجمعة احدها للشافعية واما المساجد سوى ذلك فكثيرة جدا وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم اهل البلاد والسلاطين وبعضهم مسلمون ومنهم الاص (اللزكى) وهم مسلمون ومنهم القفجق والجركس والروس والروم وهم نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها اسواقها والتجار والغرباء من اهل العراقيين ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور احتياطا على اموال التجار وقصر السلطان بها يسمى آلتون طاش اه

(١) فهذا صريح فى ان اتخاذ الشكل الهلالى فى علياء البيوت ورؤوس المنائر عادة باقية من قدماء التتار لا انها مأخوذة من القياصرة كما زعم وقد قدمنا انها باقية من اغوز خان وهو كذلك وقد اخطأ خطأ كبيرا وجنى جناية عظيمة من تقول باخذها من العثامنة واخذهم من القياصرة جزافا بغير علم وتسبب بذلك لتعرض الروس بها ورب كلمة تقول لصاحبها دعنى. منه عفى عنه .

تنبيه وقع في نسخ عجايب المقدور المطبوعة بمصر وكالكتة هكذا (وبين بنيان سراى وخراب مابها من الامكنة ثلاث وستون سنةام) وهذا غلط صريح صدر من النساخ والطابع لامن المصنف فانه اعلم باحوالها ولم تكن خرابا في عصره فضلا عما قبل وذلك فانك قدعلمت ان ابتداء بنائها في ايام باتو وذلك في حدود سنة ٧٤٠ وتمامها في ايام بركة خان وذلك في حدود سنة ٧٥٥ فاذا كان ابتداء هذه المدة اعني الثلاث والستين سنة من اول بنائها يلزم ان يكون خرابها على هذا في ايام طقطاى خان وان كان من حين تمام بنائها يلزم ان يكون خرابها في ايام اوزبك خان وكلاهما غير صحيح فان دولة التتار الشمالية في عصرهما وكذلك في عصر جان بك خان بعدهما كانت في اوج الشوكة وانما اول خرابها عند ورود تيمرلنك الى تلك الديار في النوبه الاخيرة وذلك في حدود سنة ٧٩٨ ومع ذلك انها لم تخرب فيها بالكلية بل عمرت ثانية الى ان اضمحلت الدولة القفچاقية والتتارية وانقسمت الى اقسام شتى فهجم عليها منكلي كراى خان القريمى وخربها كما سيجيء ان شاء الله تعالى في اواخر هذا المقصد وانما اراد ابن عرب شاه خرابها الاول فالظاهر بل اليقين ان الناسخ بدل لفظ مائة بلفظ ثلاث وكان اصل العبارة مائة وستون سنة اوسقط لفظ مائة وكانت العبارة مائة وثلاث وستون سنة ومع ذلك ليس هذا مدة دوام دولة السراى بل بلدة سراى الى تخريب تيمرلنك اياها في التاريخ المذكور وقد بقيت الدولة بعدها مع ضعف قريبا من مائة سنة كما ستطلع عليه ان شاء الله تعالى والله سبحانه اعلم تنبيه آخر زعم البعض ان مدينة سراى هذه هي بغچه سراى الواقعة في خطة قريم الموجودة الآن حتى وقع ذلك في التواريخ المعتبرة مثل تاريخ منجم باشى وهذا ايضا خطاء صريح غير محتاج الى البيان فان بينهما ازيد من مسافة شهر وكان قريم في ايام سلطنة البلاد الشمالية ولاية واحدة من جملة ولايتها الكثيرة وكان يسكن بها وال من جهة خوانين السراى الى ان وقع بينهم

داء الاختلال فامتازت ولاية القريم فى تلك الاثناء بنيل كلاه الاستقلال
واتخذت خوانين القريم بغچه سراى هذه كرسى سلطنتهم وامتدت دولتهم
هناك الى اعصر كثيرة واشتهرت اشتهارا تاما بسبب قربها من القسطنطينية
وبلاد الاوروپا فصار ذلك منشاء لذلك الغلط حيث زعموا ان بغچه سراى
هذه هى مدينة سراى وكذلك زعم بعض آخران مدينة سراى هذه هى
مدينة سرايچق الواقعة بساحل نهر جايق وهذا ايضا زعم باطل منشاؤه
الغفلة والقناعة باشتراك الاسم من غير تحقيق بل بين سراى وسرايچق
مسافة نصف شهر والاول بساحل اتل والثانى بساحل جايق ومغايرتهما
لاتخفى على ام المندى والله الهادى * ذكر وقوع الخلف والمحاربة الهائلة
بين السلطان بركة خان عليه الرحمة والغفران وبين ابن عمه هلا
كو بن تولى بن چنكزخان اعلم انه لما تسلطن بركة خان لم يلبث
الاقليلا حتى وقع الخلف بينه وبين ابن عمه هلاكو الظالم الكافر مخرب
بغداد وقاتل الخليفة المستعصم بالله وجرت بينهما المقاتلة والمحاربة الشديدة
وسرت تلك العداوة منهما الى اعقابها بحيث لم يحصل بين هذين
الشعبين وفاق حتى انقطع ذرية هلاكو بموت السلطان ابى السعيد
الايلخانى سنة ٧٣٤ فى عصر السلطان اوزبك خان عليهما الرحمة واختلف
المورخون فى سبب حصول العداوة بينهما فمن قائل انه بسبب ان
عادة اولاد چنكزخان كانت ان يرسلوا من فتوحاتهم وغنائمهم شيئًا
للقاآن الكبير وشيئًا لبيت باتو ولما مات باتو وتسلطن بركة خان لم
يرسل هلاكو اليه شيئًا مما فتحه من البلاد ونهبه من العباد فغضب عليه
بركة خان لاجل ذلك * ومن قائل ان بيت باتوخان كانوا فى دعوى ان
تبريز ومراغة كانتا من حصتهم فى تعيين چنكزخان وتقسيمه فتشبثوا
بذيل ذلك وطالبوا هلاكو واعقابه بذلك * ومن قائل غير ذلك مما ليس
فى اطالة الكلام بذكره طائل ولا يرجع الى حاصل من جملته ما ذكره
النويرى والعينى وغيرهما اذكره هنا لغرابته قالوا انه لما مات صرتاق

بن بانو ارادت براق شبن زوجة طغان بن بانو ان تولى ولدها تدان منكو السلطنة وكانت لها بسطة وتحكم فلم يوا فقها اولاد باتوخان عمومة ابنها وامراء التمانات على ذلك فلما رأت امتناعهم راسلت هلاكو وهو يومئذ ببلاد عراق العجم بصدد افتتاحها وارسلت اليه نشابة بلاريش وقناة بغير بنود وارسلت اليه تقول له قد فرغ التركاش من النشاب وخلا القربان من القوس فتحضر لتتسلم الملك ثم سارت اثر الرسول وقصدت اللحاق بهلاكو واحضاره الى بلاد الشمال فلما بلغ القوم مادبرته ارسلوا فى اثرها واعادوها كارهة وقتلوها ولما وصلت رسالتها الى هلاكو اطمعه ذلك فى ملك هذه المملكة ليضمها الى ما بيده من الممالك فتجهز وسار بجيوشه اليها وكان وصوله بعد قتل براق شبن وجلوس بركة على سرير الملك وانتظام الامر له فوقع بينهما ما سيذكر بعد ان شاء الله تعالى اه منتخبا **قلت** امـا الاول فمما لاشبهة فى عدم صحته* **واما** الثانى فكذلك فى الحقيقة واما بحسب الظاهر فله وجه على ما سيذكر* **واما** الثالث فمما لا ريبة فى بعده عن صوب الصواب فان هلاكو لم يكن مـن العقل والادراك بحيث يقدم على حرب اولاد جوجى ويخالف قانون جده چنكزخان بمجرد سماع كلام امرأة واحدة مع علمه فى ذلك من وخامة العاقبة فانه كان اعلم باحوال تلك المملكة وما فيها من القوة العسكرية وايضا قولهم وهو يومئذ ببلاد عراق العجم الخ ليس بصواب فان هذه المحاربـة اعنى محاربة بركة وهلاكو كانت فى سنة ٦٦٣ باتفاق المورخين كما سيذكر وهلاكو قد فرغ وقتئذ من استخلاص العراقين وافتتاحها جميعا الا ان نقول بتعدد المحاربـة بينهما وقعت احديها قبل واقعة بغداد كما فهم ذلك من تاريخ النويرى والعينى ويؤيده كلام ابن خلدون الآتى فانه كما ستطلع صريح فى تعدد الحرب بينهما احديها قبل واقعة بغداد والاخرى بعدها ولكنه بعيد عن الصحة فان المحاربة الاولى لوكانت قبل واقعة بغداد لما تجاسر هلاكو على قصد الخليفة بعساكره المنكسرة المقهورة ولما تركه بركة خان يتعرض

للخليفة كما لايخفى وقدعلمت اعتراف ابن خلدون بنفسه بقلة الاطلاع باحوال تلك البلاد* قلت لايخفى على العاقل سبب هذه العداوة فان بركة خان عليه الرحمة باسلامه صار مظهر الاوصاف الجمال وحاميا لاهل الاسلام من اهل الكفر والضلال وهلاكو باصراره على الكفر وانغماسه فيه كان مظهر الصفات الجلال وصار اشد الاعداء للملة المحمدية وامته عليه الصلاة والسلام من الله المتعال ولاشك ان مقتضى تلك غير مقتضى هذه ولو لاها لما وقع نزاع فى العالم بين اثنين ولاجدال كماهو معلوم لارباب الكمال وكان بركة يوالى الخليفة فى حياة اخيه باتو ويمنع هلاكو من التعرض له وكان هلاكو لخبثه يبغضه لذلك ولكن كان يضمر العداوة له ولايظهرها فى حياة باتو خوفا من شوكته وصولته ولمامات باتو اظهرها وقصد الخليفة وفعل ما فعل واشتدت العداوة بينهما لذلك واراد بركة خان ان ياخذ ثار الخليفة والمسلمين منه* قال ابن فضل الله العمرى وكذا ابن خلدون نقلا عنه ولما استقل منكوقاآن بالتخت وعلت كلمته جاءت اليه رسل اهل قزوين وبلاد الجبال يشكون من سوء مجاورة الملاحدة وضررهم بهم فجهزاخاه هلاكو فى جيوش جمة لقتال الملاحدة واخذ قلاعهم وقطع دابر دولتهم فلما استولى عليها حسن لاخيه منكوقاآن اخذ ممالك الخليفة والاستيلاء على اعمالها فاذن له فيه فخرج لذلك فبلغ ذلك بركة فصعب عليه ذلك لما كان بين بركة والمستعصم من الموالاة والوصلة وتاءكد المودة بوصية الشيخ الباخرزى فذكره على اخيه باتو الذى كان قدولى منكوقاآن القا آنية وقال له اننا نحن اقمنا منكوقاآن وما جزانا على ذلك الا انه اراد ان يكافينا بالسوء فى اصحابنا وينقض عهدنا ويخفر ذمتنا ويتعرض الى ممالك الخليفة وهو صاحبى وبينى وبينه مكاتبات وعقود مودة وفى هذا ما لايخفى من القبح والشناعة وقبح فعله ذلك على اخيه باتو فبعث باتو الى هلاكو بالنهى عن ذلك وانه لايتعدى مكانه فجاءته رسل باتو بذلك وهو فيما وراء نهر جيحون قبل ان ينفصل بالعساكر فما عبره واقام فى

موضعه ذلك سنتين كاملتين امتثالا لامره حتى مات باتو وتسلطن اخوه بركة فحينئذ قويت اطماع هلاكو وبعث الى اخيه منكوقاآن يستأذن فى امضاء ما كان امره به من قصد ممالك الخليفة وانتزاعها منه وحسن له ذلك فاجابه فسار هلاكو لقصد الملاحدة واعمال الخليفة فاوقع بالملاحدة وفتح قلاعهم واستاحمهم واتهم سبعمائة نفر من اكابر همدان وتلك البلاد المضافة الى باتو ثم الى بركة بالميل الى بركة والمباطنة على هلاكو ومنكوقا آن وقتلهم عن آخرهم وامتد فى البلاد وقصد دشت القفجق وعدى اليه فزحف اليه بركة فى جموع لاتحصى والتقيا واستمر القتل فى اصحاب هلاكو وهم بالهزيمة ثم خال نهر الكر بين الفريقين وعاد هلاكو وعاث فى البلاد وعام فى تيار الفساد واستحكمت العداوة بينهما انتهى مـا ذكراه وزاد ابن خلدون وسار هلاكو الى بغداد فكانت له الوقعة المشهورة اه ولا ادرى من اين اخذ ابن خلدون هذه العبارة وقال هو فى موضع آخر نقلا عن الملك المؤيد انه حدثت الفتنة بين بركة وبين قبلاى قاآن متى آل الامر الى وقوع الحرب بين بركة وبين هلاكو فاقتتلا فى سنة ٦٦٠ فهاتان العبارتان تفيدان تعدد الواقعة بين بركة وهلاكو احدهما قبل واقعة بغداد والاخرى بعدها وهذا هو الذى وعدنا ذكره ولكن لاتنس نصيبك مما قدمنا من عدم صحة ذلك وهو الصواب وما ذكره ابن خلدون هنا وهم اوسبق قلم والله اعلم والحاصل ان السبب لوقوع الحرب بينهما هو طغيان هلاكو وقتله العباد وسعيه فى الارض بالفساد خصوصا قتله الخليفة الذى هو اعظم الفساد ولذلك قال الذهبى الذى هو مورخ الاسلام وممن لا يقول القول الا بعد التحقيق والتطبيق لقول الاعلام ومن اعظم الاسباب لوقوع الحرب بينه وبين هلاكو قتل الخليفة اه وكفى به شهيدا غيران بركة خان لما لم يمكن له القيام بطلب دم الخليفة وثار المسلمين بسببين مانعين له من ذلك احدهما ان اكثر عسكره كانوا فى ذلك الوقت كفارا ومن اسلم منهم قليلا مع قرب عهدهم بالاسلام وترسخ يسق چنكزخان فى قلوبهم وقتل الخليفة

والاستيلاء على بلاد المسلمين ليس بجناية موجبة لقتاله فى يسق چنكزخان بل هو فخر لهم والثانى ان منكوقاآن الذى هو الحاكم المطلق على جميع اولاد چنكزخان وبمنزلة الخليفة بالنسبة الى المسلمين كان اخا هلاكو وقد فعل هلاكو ما فعل بامره واذنه فحرب بركة هلاكو هو حرب منكو قاآن وسائر اولاد چنكزخان صار يتشبث باذيال حيل لابداء شىء يكون فى لظاهر سببا موجبا لقتال هلاكو ويكون هلاكو هو المتعدى والجانى عند قوم بركة فيوافقونه على قتاله واحداث شىء يكون سببا لتفرقة كلمات سائر اولاد چنكزخان وما زال ينتهز الفرصة لذلك ويقترح على هلاكو اشياء كثيرة مثل ادعاء اعمال مراغة وتبريز وطلب ما كان يرسله لبيت باتو من الغنايم وغير ذلك مما ذكره المورخون وزعموا حقيقته وليس كذلك بل كان قصده بذلك حمل هلاكو على الغضب والضجر والسآمة حتى يكون طالب الحربه وقتاله ويكون بذلك جانيا عند قومه ومستحقا لقتاله فيكونون معه يدا واحدة فى مدافعته ومحاربته وبينما بركة خان يدبر انواع التدابير لاجل ذلك اذ مات منكوقاآن وقد خرج بعساكره وقصد بلاد الخطا لعصيان بعض ملوكها واخذ معه اخاه قبلاى واستخلف مكانه اخاه الاصغر آرتق بوكا فلما مات منكوقاآن اتفق امراء العساكر ان يجلسوا على تخت القا آنية مكانه اخاه قبلاى لكونه اكبر ولما سمع بركة خان ذلك الخبر اغتنم الفرصة واستجلب اليه قيدو بن قاشين بن اوكداى بن چنكزخان لما تفرس فيه العقل والتدبير والشهامة والشجاعة وارسله الى آرتق بوكا مع بعض العساكر قائلا بانك انت الاحق بالقاآنية دون اخيك قبلاى لان منكوقاآن رتبك فيها فقم بطلب حقك ولا تطع القبلاى وانا قد ارسلت قيدو بن قاشين مع عساكر ونجدة لذلك وضممت اليه مقدارا من عساكرى فان احتجت الى الزيادة فانا معك فقام آرتق بوكا بطلب القا آنية وبايعه من معه من العساكر فلما سمع قبلاى ذلك الخبر رجع الى بلاده واستقبله آرتق بوكا بمن معه من العساكر فنشب بينهما القتال من ذلك التاريخ وكان ذلك فى سنة ٦٥٨

وامتدت المحاربه بينهما الى سنين كثيرة وكان هلاكو قد توجه فى التاريخ المذكور نحو بلاد الشام باربعمائة الف عسكر واستولى عليها واراد ان يسير الى مصر وبينما هو فى هذا الفكر اذ بلغه موت منكوقاآن ووقوع الخلف بين اخويه قبلاى وآرتق بوكا وبلغه ايضا ان اولاد چغطاى قد رفعوا الوية العصيان فى ما وراء النهر على القاآن بسبب اغواء بركة خان اياهم فاظلمت الدنيا عليه ولم يهنأ بفتح الشام وتكدر خاطره غاية التكدر ولم يستصوب الاقدام على محاربة المصريين تاركا البلاء الاعظم وراءه فكر راجعا الى مقره بعدان ترك بالشام اميرا من امراء المغل اسمه كتبوغا من ارباب الشجاعة والدهاء مع عشرة الآف عساكر فاستاءصلهم صاحب مصر الملك قطز عند عين جالوت كما هو مسطور فى التواريخ وهذا ايضا من اعظم حسنات بركة خان عليه الرحمة حيث صد هلاكو الطاغية بهذا الجيش العرمرم التى لا تطيقها الجبال الشوامخ من مصر بتدبيره ذلك ولولاه لانصدع شعب الامة المحمدية وهى عمود الملة الاحمدية ولما رجع هلاكو الى مقره لم يوفق لشئ سوى انه استمال قلوب اولاد عمه چغطاى واعادهم الى طاعة القاآن ولكن بقى متحيرا فى اموره ومترددا فى افعاله ومتعريا عن شعوره خصوصا بعدان بلغه ما فعله المصريون بعساكره وامبره وبركة خان لا يزال يزيد فى اقتراحه ما يوجب غضبه وما يذهب بفرحه وسروره لما انه قد اطمئن خاطره من طرف القاآن بما وقع بينهم من الفتن والحرب والضرب وبقى احداث سبب من هذا الطرف حتى بلغ غضبه عليه نهايته وصمم على محاربته وعزم على مقاتلته بعدان تردد برهة من الزمان فى التوجه نحو الشام للانتقام من المصريين والتوجه نحو دشت القفچق لحرب بركة فوقع ما سيذكر وذلك ان بركة خان ارسل الى هلاكو سنة ٦٦٠ رسولين يطالبه بحمل ماجرت به العادة الى بيت باتو وبعث معهم سحرة ليفسدوا سحرة هلاكو فاطلع هلاكو على ذلك فامر بالقبض على جميعهم وحبسهم فى قلعة تلا ثم قتلهم بعد خمسة عشر

يوما فلما بلغ بركة قتل رسله انجم العداوة لهلاكو اه من تاريخ المفضل نقلا عن سيرة الملك الظاهر للقاضي ابن شداد وهو نقله عن علاء الدين بن عبدالله البغدادي احد اصحاب الامير سيف الدين بن يلبان الرومي وهو كان وتنئذ عند هلاكو ويقرب منه ماذكره في روضة الصفا حيث قال ما معربه ومن جملة اسباب الوحشة بين بركة خان وهلاكو ان توتار (١) اوغل كان من اقرباء بركة فاتهمه اصحاب هلاكو بالسحر فارسله هلاكو الى بركة صحبة سونجق نو يين يعرفه بجريمته فاعاده بركة الى هلاكو ليحكم فيه بقانون چنكز خان فقتله هلاكو وكان بركة يتوقع منه العفو عنه والاغماض عما صدر منه فكان ذلك في السابع عشر من صفر سنة ٦٥٨ فتكدر خاطر بركة لذلك وصار يرسل اليه الرسل تترى يشنعه ويوبخه ويتحكم عليه بانواع التحكمات فلما جاوز ذلك حد الاعتدال ولم يبق للتحمل مجال قال هلاكو في مجلسه الخاص ان بركة وان كان اخا اكبر مني وانا اصغر منه ولكن لما كان يخاطبني دائما بالتهديد ويعاملني بالعنف والتشديد لم يبق لي بعد ذلك ميدان للتحمل ولا مجال للتجمل فلا اداريه بعد ذلك ولا اجامله فيما هنالك بل اطوى صحائف القرابة واسلك مسلك المخالفة والمضاربة ولما بلغ بركة خان ما قال استشاط غضبا وقال ان هلاكو اخرب بلاد المسلمين واستأصل سلطان الاسلام والمؤمنين واعدم خليفة الزمان وفعل ما فعل برأيه السخيف بلا مشاورة الاخوان ولم يفرق الاعداء من الاخدان فاذا كان توفيق الحق سبحانه رفيقي وعونه ونصرته معي لآخذنه بدم المظلومين ولا تركنه عبرة للعالمين اه * ذكر كيفية هذه المحاربة قال في روضة الصفا بعد ذكره ما تقدم ثم ارسل بركة قريبه نوغاي الذي هو قائد جيشه وله قرابة بتوتار اوغلان المقتول بثلاثين الفا من العساكر الجرار في مقدمته

(١) قلت وهذا احد الذين كان باتو خان ارسلهم تقدمة لهلاكو على الملاحدة حين اوقع بهم وثانيهما بلغاى بن شيبان . منه عفي عنه

فعبر دربند وخيم فى ظاهر شروان فلما بلغ هلاكو ذلك خرج من محله الا طاغ فى شوال سنه ٦٦٠ وارسل فى مقدمته شيرامون نوبان مع سائر الامراء واما وصلوا الى حدود شروان هجم عليهم نوغاى بعسكره وقتل كثيرا من شجعانهم وامرائهم ورجع الى محله مظفرا منصورا وفى ذى الحجة من السنة المذكورة هجم تاباى نويان بعسكر كثير على عسكر بركة وكانوا على مسافة فرسخ من شروان فانهزم نوغاى امامه فلما بلغ ذلك هلاكو نهض فى اوائل محرم مفتتح عام احدى وستين وستمائة من نواحى شماخى وفى الثالث والعشرين منه توجه جميع عساكره مسلحين نحو دربند فلما وصلوا اليها وقت الضحى رأوا طائفة من عسكر بركة على ابراج دربند فهجموا عليهم وازالوهم عن مواقعهم وعبروا دربند واقتتلوا مع المخالفين فانكسر عسكر القفچق يعنى بركة وانهزموا عن آخرهم حتى لم ير منهم اثر فى تلك النواحى وفى غرة صفر قال امراء المقدمة نحن نذهب من عقب العدو بتمام العجلة والسرعة والاصلح ان يرجع شهزاده يعنى ابغا بن هلاكو فابى ابغا الا المسير معهم فامر هلاكو الامراء بالاغارة على اهل الدشت والنهب والسلب فعبروا نهر ترك ووجدوا الدشت ملآنة بالاموال والامتعة وارباب الجمال وليس بها مقاتل ولا ممانع من الرجال فنزلوا فى خيام القفچق وشرعوا فى التلهى مع البنات صواحب الجمال وبينما هم على هذا الحال اذ طلع بركة خان من تلك البرية الواسعة بعساكر كالرمال لا يعلم عددهم الا الله الواحد المتعال وهجموا عليهم بلا امهال واشتد بين الفريقين القتال وامتدت المحاربة من طلوع الشمس الى غروبها وقام سوقها على ساق بين الابطال ثم انهزم عسكر هلاكو اشنع الانهزام وولوا الادبار فلما وصلوا الى نهر ترك منهزمين وارادوا العبور انكسر الجمد وغرق اكثر العسكر وهرب ابغا بشر ذمة قليلة واتصل بهلاكو بموضع شاران فرجعوا منه الى بلادهم مسرعين اه وقال

ابن واصل الحموى وصل الخبر الى الملك الظاهر ان رسل بركة قد وصلوا الى هلاكو وانه ضرب رقاب الجميع وخرج بالعساكر الى ازاق ووصل الى نهركور والى تيمرقبو ولما بلغ بركة وصول هلاكو الى بلاده رسم ان تخلى له البلاد وان لايقف احد بين يديه ولايقاتـله احد ثم اخلوا له البلاد مسافة خمسة عشر يوما ولما وجد هلاكو البلاد وشاغرة وقد هرب عسكر بركة اوغل عسكر هلاكو فى البلاد ونهبوا وغنموا فلما سمع بركة ان عسكر هلاكو قد اوغلوا فى البلاد نادى فى جيشة ان يركب من عمره عشر سنين فركب خلق لايدرى اولها من آخرها واما هلاكو فقد اصبح معتقدا بانه قد ملك بلاد بركة وبينا هو كذلك اذ رأى هواء سموما سخنا فقال ماهذا الهواء السموم فقالوا له هذا الهواء حرارته من انفاس الخيل وكان فى عسكره رجل كبير السن يسمى صمفار اوسنتاى وكان مقعدا قد بطل نصفه وكان لايحضر مرا الا وينكسر من يحاربه وينتصر على عدوه لانه اذا التقى الجمعان نزل عن فرسه ويقول لاصحابه ما انا قاعد هنا فمن شاء يقاتل عنى ومن شاء يدعنى فقال له هلاكو ماتقول فى هذا الجيش فاخذ صمفار مقرعته وتطرقها وقال هذا اقدام مقرعتى ستمائة الف و يفيض من هنا ويفيض من ماهنا يعنى يمينا وشمالا وما اعرف عدد هذا الجيش فعند ذلك رسم هلاكو بان كل من عدا النهر قبل الخان يعنى نفسه مات ثم انهزم هلاكو مع خواص عسكره من المغل فلما قطع النهر وعدا انكسر الجيش وراءه وتزاحموا فى الهروب وانخسف بهم الثلج فلم يسلم منهم من يردخبرا وكان كل من تقدم هاربا غرق ومن تاءخر قتل فاما الذين غرقوا فلا يدرى عدتهم الا الله واما الذين تاخروا فقتلوا جميعا ولما حضر بركة ورأى تلك المقتلة امران تجمع القتلى فجمعوهم وجعلوهم ثلاثة كيمان تلالا عظيمة وقد صفلتهم الامطار والرياح وابيضت عظامهم ينظرهم المسافرون من مسافة يومين وهذه الواقعة تسمى نوبة تيمرقبو وهرب هلاكو فى نفر يسير ولما وقف بركة على مقتلة ورأى مقتلة شنيعة قال قبح الله هلاكو هذا تقتل المغل بسيوف

المغل لو كانت كلمتنا مجتمعة لفتحنا الارض بكما لها اه * وقال الشيخ عماد الدين ابن الكثير وفيها (يعني في سنة ٦٦٠) وقع الخلف بين هلاكو وبين السلطان بركة ابن عمه وارسل اليه بركة يطلب منه نصيبا مما فتحه من البلاد واخذه من الاموال والاسرى على ما جرت به عادتهم فقتل رسله فاشتد غضب بركة وكتب الى الظاهر (١) ليتفق على هلاكو وقال فيها (يعني سنة ٦٦١) التقى بركة قان وهلاكو ومع كل منهما جيوش عظيمة فاقتتلا فانهزم هلاكو هزيمة فظيعة وقتل اكثر اصحابه وغرق اكثر من بقي وهرب هو في شرذمة قليلة من اصحابه ولله الحمد والمنة ولما نظر بركة قان الى كثرة القتلى بكى وقال يعز علي ان تقتل المغل بعضها بعضا ولكن كيف الحيلة فيمن طغى وبغى اوكما قال اه وقال العمرى قصد هلاكو دشت القفجق وعدا اليها واقام ثلاثة ايام فلما كان في اليوم الرابع دهمتهم الخيل وداسهم بركة بجنوده وعساكره ودارت الدائرة على هلاكو حتى هم بالهزيمة فنزل امير كبير كان معه اسمه سنتاى وهو المنسوب اليه عقبة سنتاى بالعراق وامسك برأس فرس هلاكو وقال اين تروح فلما استحر القتل في اصحابه تاءخر حتى صار نهر الكر بينه وبين بركة وجاء بركة حتى وقف على نهر الكر ولم يجد له سبيلا الى العبور ورجع هلاكو وعاث في البلاد وعام في تيار الفساد وفعلت فعلته وقويت العداوة بينه وبين بركة خان اه وقال الذهبي وفيها (يعني سنة ٦٦١) جرت وقعة هائلة بين هلاكو وبركة وكانت الدائرة على هلاكو وقتل خلق من اصحابه وغرق آخرون ونجا بنفسه اه وقال المفضل قبيل ذكره ما تقدم عنه ان هلاكو جمع العسكر وقصد بركة وسار بركة اليه فنزل في ارض الكرج ونزل هلاكو بصحراء سلماس ثم كان الملتقى بناحية شروان فقتل من الفريقين خلق كثير ووقعت الكسرة على هلاكو وعمل في عسكره السيف اثنا عشر يوما وهرب هلاكو الى قلعة تلا وهي في وسط بحيرة

---

(١) يعني الملك الظاهر بيبرس ملك مصر كما سيجيء . منه عفي عنه .

اذربيجان فدخلها وقطع الطريق اليها وعاد كالمحبوس بها اه **قلت** هذا
ايضا مأخوذ من سيرة الملك الظاهر للقاضى ابن شداد ولكن قصر فى
أخذه ولم يستوف المرام وعبارته فنزل بركة فى ارض الكرج ونزل
هلاكو بصحراء سلماس وخوى واخبرنى من اثق به عمن اثق به انه
اجتمع ببعض غلمان من كان فى اسرالتتار من [illegible] اخبر بحضرة
الاشرف صاحب حمص انه حضر كسرة بركة لهلاكو وقال كان جيش بركة
قد كسر عسكر هلاكو الذى سيره مع ابنه وقتل ابنه فجمع هلاكو بقية
من قدر عليه من عساكره وسار الى بركة فلقيه بناحية شروان فقتل من
الفريقين خلق عظيم ووقعت الكسرة على عسكر هلاكو فبقى السيف
يعمل فيهم اياما وهرب هلاكو الخ فهذا مطابق لما فى روضة الصفا من
بعض الوجوه الا انه ما ذكر فيها قتل ابنه وقد ذكره كثير من المورخين
قال المقريزى كانت بينهما يعنى بركة وهلاكو وقعة قتل فيها ولد هلاكو
وكسر عسكره وتفرقوا فى البلاد وصار هلاكو الى قلعة بحيرة اذربيجان
محصورا بها فلما بلغ ذلك السلطان (١) سربه وفرح الناس باشتغال
هلاكو عن قصد بلاد الشام اه **وقال** النويرى ورد التتار المستامنين
سنة ٦٦١ وذكروا ان العداوة قد استحكمت بين بركة وهلاكو وان ولد
هلاكو قتل فى المصاف اه هذا وقد ذكر فى روضة الصفا ان الذى سار
بالجيش هو ابغا بن هلاكو وانه عاد الى ابيه هلاكو بعد انهزام جيشه فبين
ما ذكره وماذكره غيره تناف فان صح ما ذكروا من قتل ولد هلاكو فهو
غير ابغا فان ابغا ما قتل فيها بل عاش وتملك بعد ابيه هلاكو **وقال**
النويرى وركن الدين بيبرس والعينى تبعا لهما ولما بلغ بركة خبر
هلاكو وقربه من البلاد سار بجيوشه للقائه وكان بينهما نهر يسمى نهر
ترك فلما التقوا واقتتلوا كانت الهزيمة على هلاكو فلما وصل الى ذلك النهر
تكردس اصحابه عليه فانخسف بهم فغرق منهم خلق كثير ورجع هلاكو

(١) يعنى الملك الظاهر بيبرس . منه عفى عنه .

بمن بقي معه من اصحابه الى بلاده ونشاءت الحرب بينهم من هذه السنة وصارت العداوة بين هاتين الطائفتين متمكنة وكان فيمن شهد مع بركة في هذه الوقعة ابن عمه نوغاى بن ططر بن مغل بن چنكز خان (١) فاصابته في عينه طعنة رمح فعور ولماقذف النهر جثث الغرقى جمعها نوغاى المذكور مع جثث القتلى اهراما وقال هذه اجساد بنى الاعمام والذرية فلانتركها تأكلها الذياب والكلاب في البرية اه ولكن جعل هؤلاء هذه الوقعة سنة ٦٥٣ وهو سبق قلم ثم قال النويرى ولنوغى هذه اخبار نذكرها بعدان شأ الله تعالى اه قلت هو اكبر قواد جيش بركة وممن اسلم معه واليه ينسب الله أعلم طائفة نوغاى المشهورة بارض قريم وقفقاز وحاجى طرخان واختلف المورخون في جده مغل هل هو ابن جوجى او ابن چنكز خان والاشبه الثانى لانا قد ذكرنا فيما سبق اولاد جوجى وليس فيهم من اسمه مغل واما چنكز خان فله اولاد كثيرة غير الاربعة المذكورين فيمكن ان يكون مغل هذا واحدا منهم والله اعلم والمكتوب في اكثر كتب التواريخ هكذا نوغية بلا الف بعد الغين وزيادة التاء في آخره وتشديد الياء لكن الصحيح ما اثبتناه من انه بنون مضمومة وفتح الغين بعد الواو وسكون الياء بعده وزيادة الالف بعد الحرف المفتوح في عرف العجم للدلالة على فتحة ماقبلها فالاحسن حذفها في العربية ولكن كثيرا ما يستعمل بالالف اتباعا للاصل المنقول عنه واهل ما وراء النهر يسمون اهل القزان نوغي ولا يطلقون عليهم غيره تنبيه قد تقدم في اثناء بيان محاربة بركة وهلاكو ذكر نهر الترك ونهر الكر وهما نهران مشهوران فاما نهر الكر فهو بضم الكاف نهر بجنوب داغستان يمر من تفليس ويجرى الى الشرق حتى يصب في بحر الخزر في قرب ساليان

---

(١) قلت صرح في روضة الصفا ان اصابة السهم لعين نوغاى كانت في آخر الحروب بين بركة خان وبين ابغا الذى توفى بركة خان في اثنائه كما سنذكره عند ذكر وفاته والله اعلم اى ذلك اصح . منه عفى عنه.

قصبة بجنوب مدينة باكو وهو اعظمهما وكان حدا فاصلا بين مملكة بركة وهلاكو فالدغستان كانت فى حصة مملكة بركة واما نهر ترك فهو بكسر التاء وفتح الراء نهر ينبع من جبال قفقاز ويجرى الى الشرق ايضا وراء دربند بمسافة كثيرة حتى يصب الى بحر الخزر بعدان يمر بلدة قزلار فعسكر هلاكو على قول المورخين عبروا هذين النهرين فى الوقعة المذكورة والخسف بهم يمكن ان يكون فى كليهما الان بعض المورخين ذكرانه فى نهر الكر وذكر بعض آخرانه فى نهر الترك والجمع بينهما بان نقول انه فى كليهما واما هلاكو فالظاهر انه عدى نهر الكر دون الترك بل ما عبر در بند بل وقف فى شماخى اوشاران او سلماس على اختلاف الاقوال او هو مبنى على تعدد الوقائع واختلاف الاحوال والله اعلم بحقيقة الحال وقد وقع لبعض المورخين خبط كبير فى هذين النهرين فمن قائل انه يعنى هلاكو عدا سيحون ومن قائل انه عدا جيحون ومن قائل انه عبراتل وبعض النساخ يحرف لفظ أتل ويزيد فى الطنبور نغمة اخرى فيقول آمل اوآمد وكل ذلك خطأ وغلط فاحش والصواب ما ذكرناوالله الهادى * قلت وفى محاربة بركة خان عليه الرحمة ابن عمه هلاكو ومطالبته اياه بدم الخليفة وثار الاسلام والمسلمين عبرة عظيمة للمعتبرين وذكرى كبيرة للمستبصرين ودلالة قوية على ان الله سبحانه متكفل لحفظ هذا الدين كما اخبر فى التنزيل المبين حيث انه سبحانه قيض فى زمن كاد ان ينفصم فيه عرى الاسلام ولم يبق من ينصره بين الانام من نفس بيت چنكز خان الذى اباد ملوك الزمان وحدث بسببه اعظم الحدثان ومن اقرب الناس اليه من يتعصب للدين ويحارب اقاربه وابناء اعمامه لطلب قصاص خليفة المسلمين وينبذ قانون جده چنكز خان وراء ظهره مع كونه اقبح القبائح عندهم وما ذلك الا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم فانه لم ير مثله فى التواريخ بعد القرن الاول الى وقته ولهذا كثر الثناء عليه من كبار العلماء وخيار

الفضلاء وهو حقيق بذلك بل باكثر مما هنالك وقد تقدم بعض ثنائه فى اول ترجمته قال العينى والجنابى وغيرهما وكان بركة يحب العلماء والصالحين ومن اكبر حسناته كسره لهلاكو وتفريقه جموده وفك الاسارى من يده وكان يناصح الملك الظاهر ويكرم رسله ويهاديه وكان لايقطع مكاتبته ومراسلته منه اه قلت وكما انه كسر قوة هلاكو وشوكته وصده بذلك عن قصد بقية بلاد الاسلام كذلك قوى قلوب ملوك الاسلام وحرضهم على قتاله واعانهم بارسال العساكر على ذلك حين جبنوا عن مقاتلته وخشوا بطشته وفرقوا من سطوته حتى انتعشوا بذلك ونهضوا بقوة الجأش لمحاربته كما قال القاضى محى الدين ابن عبدالظاهر وكتب السلطان الى ملك شيزر وملك اللور والى خفاجة يستجيشهم على هلاكو ويعرفهم بما وصلت به الاخبار من جهة الروم فى البر والبحر من كسر بركة له مرة بعد مرة اه وقال ابن خلدون كغيره ولما ملك هلاكو بغداد واستشهد الخليفة واستولى على الموصل خاف الملك الظاهر بيبرس غائلة هلاكو ثم ان بركة صاحب الشمال قد بعث الى الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ يعرفه باسلامه فجعلها الظاهر وسيلة للوصلة والانجاد واغراه بهلاكو لما بينهما من الفتنة والفساد فسار بركة لحربه واخذ بحجزته عن الشام اه بل عن جميع بقية الاسلام وانما ذكر الشام لكونها اقرب البلاد اليه ومتصلة بمملكته وفى هذا تصريح بان البادئ بالمراسلة والمكاتبة هو الملك بركة وهو كذلك صرح به كثير من المورخين بل كلامه وكلامهم صريح فى ان مكاتبته اياه قبل مقابلته ومقاتلته هلاكو قال ابن واصل الحلبى ان هلاكو لما فتح البلاد لم يرسل الى بيت بركة شيئا مع ان چنكزخان كان قد عين لهم الثلث من الغنايم فعظم ذلك على بيت بركة وسير رسله الى الملك الظاهر صاحب مصر يقول له نحن من الشرق وانت من الغرب نأخذ عسكر هلاكو سبيا ولا نبقى منهم رجلا واحدا فانعم له الملك الظاهر بذلك وتقرر الامر بين الملكين على ما

ذكرناه فلما بلغ هلاكو اتفاق الملوك عليه جهز جيشه وطلب بلاد بركة الخ ما ذكر من كيفية الواقعة بينهما ومثله فى تاريخ المفضل وغيره ولكن الصحيح ان مراسلته اياه بعد (١) وقعة هلاكو * **ذكر ارساله عساكره الكائنين عند هلاكو الى الديار المصرية لاعانة الملك الظاهر ووصولهم اليها ومعاملة الملك الظاهر معهم احسن المعاملة** اعلم ان منكو قاآن لما ارسل اخاه هلاكو سنة ٦٥١ لقتال الملاحدة باستدعاء اهل همدان ومن والاها على ما تقدم وضم اليه من كل من اولاد جوجى واولاد چغطاى مقدارا من العسكر للنجدة وكان ذلك فى ايام باتو وبقى تلك العساكر هناك عند هلاكو وكانت وظائف عساكر باتو وعلوفتهم من محصول بلدة اران ومراغة وتبريز وهمدان وحارب هلاكو الخليفة وهؤلاء العسكر عنده هناك وكان ذلك فى اوائل سلطنة بركة ولم يمكنه ارجاع هؤلاء العسكر حين توجه هلاكو لقتال الخليفة مع عدم رضاه بذلك لان توجهه اليه كان فجأة ولم يشعر بركة به والا لتوجه لمنعه بنفسه فضلا عن ارجاع عسكره وايضا ان هؤلاء العساكر كانوا فى مراغة وتبريز وهمدان واران وهذه البلاد كانت فى حصة جوجى واولاده وكانت العمال والولاة ينصب فيها من طرفهم كما مرت الاشارة اليه فى خلال بيان وقعة باتوخان مع كيوك قاآن ولم تدخل تلك البلاد فى قبضة هلاكو الا بعد محاربة بركة اياه ولهذا استمر دعوى تلك البلاد فى اعقاب بركة ولم ينهض احد منهم لحرب بنى هلاكو الاجعل السبب الظاهر له هذه الدعوى كما سيجىء بعض ذلك ان شاء الله ولما استحكمت العداوة بين بركة وهلاكو وآل الامر الى المقاتلة ارسل بركة خان الى هؤلاء العساكر يستدعيهم اليه فان لم يقدروا على اللحاق به يأمرهم بالتوجه الى البلاد الشامية والديار المصرية ليكونوا عونا للملك

---

(١) وكذلك الصحيح ان بدأته الملك الظاهر بالمكاتبة مقدمة على بداءة الملك بركة واما ارسالهما الرسل ففى سنة واحدة ووقت واحد كما سيجىء ان شاء الله فاعرفه . منه عفى عنه .

الظاهر والمسلمين على هلاكو فلم يمكنهم اللحاق به لشدة الاحتراس في تلك الجهة فتوجهوا الى الملك الظاهر فتلقاهم بالقبول وانخرطوا في سلك العساكر الاسلامية وحصلت بهم القوة والفرح والسرور للمسلمين وكان أول وصولهم الى دمشق في سنة ٦٦٠ قال النويري والمقريزي والمفضل وغيرهم يتداخل ألفاظ(١) بعضهم بعضا وفيها (يعني سنة ٦٦٠) خرجت الكشافة من دمشق وغيرها فظفروا بكثير من التتار يريدون القدوم الى مصر مستأمنين وقد كان الملك بركة (صوابه باتو) بعثهم نجدة لهلاكو (يعني على الملاحدة) فلما وقع بينهما الخلف كتب يستدعيهم اليه ويأمرهم ان لم يقدروا على اللحاق به ان يصيروا الى عساكر مصر فوصلوا الى دمشق في السابع والعشرين من ذى القعدة من السنة المذكورة وهم زهاء ألفي فارس وراجل بنسائهم وصغارهم هاربين الى المسلمين وذكروا ان عسكر هلاكو كسره ابن عمه بركة وان ولد هلاكو قتل في المصاف وهرب هلاكو وتفرقت جيوشه في اقطار الارض ودخل هلاكو قلعة بوسط بحيرة اذربيجان وعاد كالمحبوس والمحصور بها وتوجهت هذه الطائفة الى البلاد الاسلامية فلما بلغ ذلك السلطان سر به وفرح المسلمون وزال عنهم ما كانوا يخشونه لاشتغال هلاكو عن قصد بلاد الشام وتيقنوا ان الله منجز وعده ومنزل نصره وكتب السلطان الى نوابه باكرام الوافدين من التتار وسير اليهم الاقامات من مصر من الاغنام والسكر والشعير وغيرها من الحوايج وسير اليهم الخلع والانعامات وغيرها وساروا الى القاهرة ووصلوا اليها يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة من السنة(٢) المذكورة وخرج السلطان للقائهم يوم السبت السادس والعشرين من الشهر المذكور ولم يبق احد من اهل القاهرة ومصر ولم يتأخر بل خرج

(١) الا انه وقع في نسخ النويري وبيبرس سنة ٦٦١ وهو سبق قلم والله اعلم. منه عفي عنه.

(٢) عبارة النويري هنا سنة ٦٦٠ ستين تدل على ان ما سبق عنه خطأ من الناسخ. منه عفي عنه.

الكل لمشاهدتهم وكان يوما عظيما فتلقاهم السلطان وانزلهم فى دور بنيت لهم فى اللوق ظاهر القاهرة وعملت لهم دعوة عظيمة هناك وبعث اليهم الخلع والخيول والاموال ولعبوا الكرة مع السلطان وامر السلطان اكابرهم وامر اكابرهم بمائة فارس وما دونها وانزل باقيهم فى جملة البحرية فحسنت حالهم ودخلوا فى الاسلام وحسن اسلامهم وافردت لهم الجهات واستخرج منها مرتبهم ولما بلغ التتار مانال هؤلاء من الاحسان وما شملهم من الانعام صاروا يتوا فدون جماعة بعد جماعة والسلطان يعتمد مع كل من يحضر منهم مثل ما اعتمد مع من قبلهم اه وقالوا وفى سابع ذى القعدة من سنة ٦٦١ قدم البريد من البيرة وحلب بان جماعة من التتار المستأمنين واردون الى الباب العالى فوق الالف وثلاثمائة فارس من المغل والبهادرية فكتب بالاحسان اليهم وفى سادس ذى الحجة من السنة المذكورة وصلت هؤلاء الجماعة فركب السلطان لتلقيهم فنزلوا عند مشاهدتهم عن خيولهم وقبلوا الارض وهو راكب فاكرمهم وكان السلطان قد رسم بعمارة مساكن لهم فعمرت باللوق فنزلوا بها واحسن اليهم وعاد الى القلعة وفى ثامنه خلع عليهم فاسلموا واختتنوا ثم وردت الكتب بورود طائفة اخرى كثيرة فاحتفل بهم وركب لتلقيهم ثم وردت جماعة اخرى فاعتمد معهم من الاحسان نظير اولئك وكان الواصل الى الخدمة فى هذه المرات (١) الثلاث من اكابر امرائهم كرمون آغا وهو الذى فتح بلاد الترك جميعا وامنعا آغا ونوكا آغا وجبراك آغا وقيان آغا وطبشور آغا وناصفيه آغا ومنقدم وغيرهم فاجتمعوا بمن كانوا وصلوا قبلهم وهم صراغان آغا ورفقته ثم عرض السلطان عليهم الاسلام فاسلموا فقدم كبراؤهم المذكورون وامروا وعينت لهم الاقطاعات والطبلخانات وافيضت عليهم الصلاة والهبات وصار كل منهم كامير مستقل له الاجناد والغلمان واسبغت عليهم النعم ظاهرة وباطنة ثم صاروا يقدمون طائفة بعد طائفة والسلطان يعتمد مع كل من يحضر مثل ما اعتمد مع من قبلهم اه

(١) يعنى الاخيرة اماالاولى فكبراؤهم صراغان وغيره كماسيجىء. منه عفى عنه

ذكر المكاتبة والمراسلة والمهاداة بين الملك بركة خان والملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس البندقدار الصالحى القفجقى الاصل سلطان مصر والشام وماحصل بينهما من المحبة والموادة وما وقع فيها من عجيب الموارده قد أشرنا الى ذلك فيما سبق وذكرنا ان المصرح فى كلام كثير من المورخين ان البادى بالمراسلة هو الملك بركة لكن الاظهر البادى بالمكاتبة هو الملك الظاهر او انهما ارسلا فى وقت واحد على سبيل التوارد وهو الاصح ولكن لم يرسل اول كتبه برسول مخصوص بل ارسله بواسطة ثقة من التجار ووقع ارسال الرسل من الجانبين فى وقت واحد وتلاقى رسلهما فى قسطنطينية كما ستطلع على كل ذلك فى خلال نقل كلام المورخين قال القاضى محى الدين عبدالله بن عبد الظاهر كاتب الملك الظاهر فى سنة ٦٦٠ كتب الملك الظاهر الى بركة كبير ملوك التتار كتابا كتبته عنه يغريه بهلاكو ويوقع بينهما العداوة والبغضاء ويقيم الدليل على أنه يجب عليه جهاد التتار لانه تواترت الاخبار باسلامه ويترتب على ذلك جهاد الكفار ولو كانوا اهله مان النبى صلى الله عليه وسلم قاتل عشيرته الاقربين وجاهد قريشا وامر ان يقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله وليس الاسلام قولا باللسان والجهاد احد ماله من الاركان وقد تواترت الاخبار بان هلاكو لاجل زوجته وكونها نصرانية اقام دين الصليب وقدم مراعاة دين زوجته على مراعاة دينك واسكن الجاثلق الكافر مواطن الخلفاء ايثارا لزوجته عليك وفى هذا الكتاب اغراء كثيرة ووصف ماالسلطان عليه من الجهاد وبعث الكتاب صحبة من يثق به من تجار العلان اه ومثله فى تاريخ بيبرس بادنى اختصار وزاد فيه فى آخره فورد جوابه بماسنذكره وذكر فى خلال حوادث ٦٥٩ سنة والظاهر انه سبق قلم اوتحريف من النساخ والله اعلم وهذا اول كتاب صدر من الملك الظاهر الى الملك بركة ولم يذكروا كيفية وصوله اليه والظاهر من كلام بيبرس المار اعنى قوله فورد جوابه بماسنذكره ان الملك بركة كتب اليه جوابه وارسله اليه مع رسوليه الآتى ذكرهما نقلا قيا بعض رسل الملك الظاهر الذين ارسلهم بكتاب ثان بعدورود

التتار الى مصر فى قسطنطينية على ماسيذكر وهوارل ارسال الرسل من الجانبين وقد صادف ارسالها وقتا واحدا على ماسيظهر من كلام ابن عبد الظاهر ويفهم من كلام الذهبى والمفضل وهذا من عجايب الاتفاق والتوارد الدال على كمال المحبة والتوادد * ذكر **انفاذ الملك الظاهر رسله الى الملك بركة بكتاب ثان بعد ورود التتار اصحاب بركة الى مصر وتلاقيهم رسل الملك بركة فى قسطنطينية** قال القاضى محى الدين ابن عبد الظاهر ولما وصلت جماعة التتار الذين وصلوا اولا الى السلطان واستطلع منهم الحال وعرف احوال الملك بركة ومقامه والطريق اليه جهز الرسل اليه وهم الامير كشربك وهو رجل تركى كان جمدار خوارزمشاه وله معرفة بالبلاد والالسنة والفقيه مجد الدين الروذراورى وسير صحبتهم نفرين من التتار الواصلين من اصحاب صراغان ممن يعرف البلاد وكتب على ايدى الرسل كتابا فيه شىء عظيم من الاستمالة والحث على الجهاد ووصف العساكر الاسلامية وكثرتهم وعدة اجناسهم ومن فيها من خيل وتركمان وعشائر اكراد وقبائل عربان ومن الطاعه من الملوك الاسلامية والفرنجية ومن خالفه ووافقه ومن هاداه وهادنه وان جميعها فى طاعته سامعين لاشارته الى غير ذلك من الاغراء بهلاكو اخزاه الله وتهوين امره والاشلاء عليه وتقبيح الغفلة عنه وافهامه ان كلما يفعله يفعل عنادا له ويعلم فيه بوصول جماعة التتار الذين وصلوا وادعوا انهم من اصحابه وان الاحسان ليهم انما هو من اجله ولما تجهز هذا الكتاب احضر السلطان الامراء والمفاردة وغيرهم من الاعوان فى الايوان وقرأ الكتاب على الجميع واستشارهم فى ذلك فاستصوبوا رأيه ولما كان يوم الخميس ثانى محرم سنة ٦٦١ جلس السلطان مجلسا عاما فيه جميع الناس وجماعة التتار الواصلين ورسل السلطان المتوجهون الى الملك بركة وحضر الامام امير المؤمنين الخليفة الحاكم بامر الله ابى العباس احمد ابن (١) ابى على

---

(١) هكذا ذكر السيوطى نسبه فى تاريخ الخلفا وفى غيره من التواريخ اختلافات كثيرة وخربطة. منه عفى عنه.

الحسن القبى ابن على بن ابى بكر ابـن الخليفة المسترشد بالله وبايعه السلطان بعد ثبوت نسبه عند قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز وبايعه الامرأ والعامة والتتار الواصلون والرسل الى الملك بركة واما نمت هذه البيعة المباركة حصل الحديث معه فى انفاذ الرسل الى الملك بركة فوافق على ذلك ثم قرىء الكتاب ثانيا بحضوره وانفصل المجلس ثم امرالسلطان بعمل نسبته الطاهرة الى النبى صلى الله عليه وسلم فكتبت واذهبت وسيرها الى الملك بركة مسجولا على قاضى القضاة تاج الدين فما كان يوم الجمعة ثانى هذا اليوم يعنى يوم البيعة اجتمع الناس وحضر الرسل المتوجهون الى الملك بركـة فبرز الخليفة وعليه سواده وصعد المنبر وخطب وصلى الجمعة بـالناس ودعى للملك الظاهر وللمسلمين ثم اجتمع الرسل بالخليفة والسلطان وحملهم السلطان من المشافهة ما فيه صلاح الاسلام وعرف اصحابه التتار احوال عساكره وكثرتها وما هو بصدده من جهاد واستخدام وما يبذله من الاموال فى نصرة الدين وقتال الاعداء المشركين وانه محب للملك بركة وداع له بالنصر على الاعداء وموافق له على ما فيه صلاح العالم فركبهم فى الطرائد واعطاهم زوادة شهور كثيرة فتوجهوا فى المحرم سنة ٦٦١ ووصلوا الى بلاد(١)الاشكرى صاحب القسطنطينية فاحسن اليهم وصادف وصولهم هناك وصول رسل الملك بركة الى الملك الاشـكرى فسير هم صحبتهم ورجع الفقيه مجد الدين لمرض حصل له صحبة رسل الملك بركة الامير جلال الدين والشيخ نور الدين على وسافر الامير كشربك ورفقته ووصلت كتب الملك الاشكرى بان رسل السلطان توجهوا سالمين وربما وصلوا الى الملك بركة

(١) وهذا الاشكرى هو ميخايل الرومى من سلالة پالئولوغس استرد القسطنطينية من الافرنج فى حدود سنة ٦٥٥ بعد ان حكموا فيها سنة ٥٥ وكان بينه وبين الملك الظاهر مسالمة وكذلك بين اولاده وملوك مصر كما ياتى واشكرى لقب له ولاولاده ويقال له بـالافرنجية باللام هكذ الشكريس والعثمانية اخذت القسطنطينية من يد ذريته . منه عفى عنه .

صحبة رسله اه بادنى تلخيص وتغيير وهذا كما ترى صريح فى ان ارسال الرسل من الجانبين صادف وقتا واحدا وان رسلهما تصادفا فى قسطنطينية واصرح من هذا ما قاله بعد هذا باوراق ونصه تقدم فى اول السيرة انفاذ رسل السلطان الى الملك بركة واستمالته الى فئة الاسلام واغراؤه بهلاكو والايقاع بدولما وصل الرسل الى بلد الاشكرى صاحب القسطنطينية مرض الفقيه مجد الدين مرجع صحبة رسل الملك بركة الواصلين الى الابواب الشريفة وهم جلال الدين ابن القاضى والشيخ على الدمشقى ونوجه سيف الدين كشربك والنفران من المغل الذين كانا فى رفقته اه ومثله فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى الا انه لم يذكر رجوع الفقيه مجد الدين صحبة رسل الملك بركة بل قال وعاد الفقيه مجد الدين لمرض نزل به ومعه كتاب الاشكرى بمسير الامير سيف الدين ورفقته اه فلا ادرى ايهما اصح ولكن القلب يميل الى صحة ما ذكره ابن عبد الظاهر لانه كتب عن رؤية ومشاهدة وسواه اخذ عنه بلا واسطة او بواسطة قال الشيخ ناصر الدين ابن على فى ارسال الملك الظاهر رسله الى الملك بركة توجه الرسل الى الملك بركة هذا الملك بركة من وراء التتار وهو عدوهم وكان السلطان يخطب وده ويراسله ويهاديه ليكون معه على ذلك العدو وكانت جماعة من اصحابه قد انجذبهم هلاكو ففزوا وحضروا الى الديار المصرية فاكرمهم السلطان وجهزهم صحبة رسله الى بلادهم بعد ان حضروا مبايعة الخليفة وسمعوا خطبته وكان تجهزهم فى المحرم سنة ٦٦١ اه ذكر وصول رسل الملك بركة واداثهم الرسالة وبيان ما اندرج فى كتابه من لذيذ خطابه ووقع الاختلاف بين المورخين فى زمن وصول هؤلاء الرسل وفى مضمون كتابه قال القاضى ابن عبد الظاهر ولما وصل السلطان قريبا من غزة وهو عائد من الكرك وصل اليه البريد من الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة بالديار المصرية يذكر وصول الكتب من الاسكندرية

بو صول رسل الملك بركة وهم الامير جلال الدين بن القاضى والشيخ
نور الدين على ويخبر بوصول رسل الملك الاشكرى ووصول مقدم
الجنوية ورسل السلطان عز الدين صاحب الروم فكتب السلطان بالاحسان
اليهم جميعهم ولما استقر السلطان فى قلعته اجتمع بهم بحضور الامراء
والناس وقرأ الكتاب الذى على يد الامير جلال الدين والشيخ نور الدين
ومضمونه الشكر والثنا وطلب الانجاد على هلاكو والاعلام بماهو عليه
من مخالفة يسق جنكزخان وشريعة اهله وان كل فعله يعنى هلاكو من
اتلاف النفوس بطريق العدوان منه واننى قدقمت انا واخوتى الاربعة
بحربه من سائر الجهات لاقامة منار الاسلام واعادة مواطن الهدى الى ما
كانت عليه من العمارة بالعبادة وذكر الله والاذان والقراءة والصلاة واخذ
ثار الائمة والامة ويلتمس انفاذ جماعة من العسكر الى جهة الفرات
لامساك الطريق على هلاكو ويوصى على السلطان عز الدين ويستدعى
مساعدته وانفصل هذا المجلس وحمل الى الرسل من الانعام ما لا يحصى
وعمل لهم دعوة فى اللوق واستمر تفقدهما فى كل يومى سبت وثلاثاء
يومى لعب الكرة باصناف الانعام والاقمشة وفى يوم الجمعة ثان عشرى
شعبان خطب مولانا الخليفة ايضا بحضور رسل الملك بركة ودعا للسلطان
وللملك بركة وصلى بالناس واجتمع بالسلطان وبالرسل فى مهمات الاسلام
وفى الليلة الثانية حضر رسل الملك بركة الى القلعة فالبسهم مولانا الخليفة
سلام الله عليه بتفويض الوكالة اللاتابك وحمل اليهم من الملابس ما
يليق بمثلهم وكتب السلطان الى مكة شرفها الله تعالى والمدينة النبوية
على ساكنها افضل الصلاة والسلام والبيت المقدس بان يدعى للملك
بركة بعده فى الخطبة وسير الى مكة شرفها الله عمرة شريفة كتبتها
يعتمر له فيها اه وقال الذهبى وفى رجب سنة ٦٦١ جاءت رسل الملك
بركة ملك التتار يخبرون انه يحب الاسلام ويشكو من ابن عمه هلاكو
فارسل اليه الملك الظاهر هديه وصوب رأيه اه وقال ابن كثير وفى

سنة ٦٦١ قدمت رسل بركة قان الى الظاهر يقول له قد علمت محبتي لدين الاسلام وعلمت ما فعل هلاكو بالمسلمين فاركب انت من ناحية وآتيه انا من ناحية حتى نصطلمه اونخرجه من بلاده واعطيك جميع ما في يده من البلاد فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله واكرمهم اه وقال المفضل وفي سنة ٦٦١ وصل رسولان من جهة بركة في حادي عشر رجب احدهما يسمى جلال الدين ابن قاضي دوقات والآخر عز الدين التركماني في البحر الى الاسكندرية وكان مضمون الرسالة انت تعلم اني محب لهذا الدين وان هذا العدو يعني هلاكو قد تعدى على قتل المسلمين واستولى على بلادهم وقد رأيت ان تقصده انت من جهتك واقصده انا من جهتي ونصدمه يدا واحدة ونزيحه عن البلاد وانا اعطيك ما في يده من بلاد الاسلام فشكر له السلطان على ذلك ونفذ اليه هدية حسنة ورسولا اه وقال المقريزي وفي سنة ٦٦١ قدمت رسل الملك بركة بطلب النجدة على هلاكو وهم الامير جلال الدين ابن القاضي والشيخ نور الدين علي في عدة يخبرون باسلامه واسلام قومه وعلى يدهم كتاب مؤرخ باول رجب سنة ٦٦١ احد وستين وقدم ايضا رسول الاشكري فاحسن الى الرسل وعمل لهم دعوة باراضي اللوق وواصل الانعام عليهم في يومي الثلثاء والسبت عند اللعب في الميدان وفي يوم الجمعة ثامن عشري شعبان خطب الخليفة الحاكم بامر الله بحضور رسل الملك بركة ودعا للسلطان وللملك بركة وصلى بالناس صلاة الجمعة واجتمع بالسلطان وبالرسل في مهمات امور الاسلام وفي الليلة الثانية حضر رسل البركة الى قلعة الجبل والبسهم الخليفة بتفويض الوكالة للاتابك وحمل اليهم من الملابس مايليق بمثلهم وخرجت النجابة الى مكة والمدينة بان يدعى للملك بركة ويعتذر عنه وامر الخطباء ان يدعوا له على المنابر بمكة والمدينة والقدس وبمصر والقاهرة بعد الدعاء للسلطان الملك الظاهر اه وهذا كما ترى ليس

فى عباراتهم اختلاف فى مضمون الكتاب وانما الاختلاف فى التاريخ فالذهبى والمفضل جعلا وصول الرسل فى رجب والمقريزى جعل تاريخ تحرير الكتاب الذى بيدهم فى رجب ولاشك فى ان احد القولين خطاء كما لا يخفى والخطاء انما هو فى قول المقريزى لانه ذكر حضور الرسل صلاة الجمعة فى ثامن عشرى شعبان ولا يمكن وصول من خرج من بلدة سراى بمقام اتل فى نصف رجب الى مصر فى اواخر شعبان فى ذلك العصر وهذا مما لا يخفى على ذوى الالباب وايضا قد ذكر الامير بيبرس الدوادار المنصورى فى تاريخه زبدة الفكرة ان تاريخ الكتاب الذى وردصحبة شهاب الدين الغازى ورفقته مستهل رجب من سنة ٦٦١ وهذا الكتاب ليس الكتاب الذى نذكره الآن بل هو كتاب آخر كتبه الملك بركة بعد وصول رسل الملك الظاهر وارسله صحبة شهاب الدين الغازى ورفقته وعاد معهم رسل الملك الظاهر وكان وصولهم فى ذى القعدة سنة ٦٦٢ كما سيجىء الا ان الذى نقل عن تاريخ الامير بيبرس خلط بين الكتابين وخبط خبط عشواء فاشتبه الامر فى بادى الرأى ولهذا قلنا فيما سبق اختلف المورخون فى مضمون كتابه والا فليس فيه اختلاف فى الحقيقة ولهذا اخرنا ذكر ذلك الكتاب الى محله ولم نذكره هنا والله الموفق * ذكر احوال رسل الملك الظاهر المتوجهين الى الملك بركة وهم الامير سيف الدين كشربك ورفيقاه من المعل قال القاضى محى الدين ابن عبد الظاهر وكان اجتماع الرسل بالاشكرى فى آثينا ثم رحلوا الى القسطنطينية فى عشرين يوما ومنها الى دفنسيا وهى ساحل (١) السوداق من جهة الاشكرى ثم ركبوا فى البحر الى البر الآخر

(١) ان ساحل بحر السوداق وهو البحر الاسود فالكلام على حذف المضاف او كان يعرف البحر الاسود فى ذلك العصر بالسوداق فقط وكان سوداق قاعدة ملك القفجق قديما على ساحل البحر الاسود كما مر منه عفى عنه .

ومسيرته مابين عشرة ايام الى يومين بريح طيبة ثم طلعوا الى جبل يعرف بسوداق فالتقاهم الوالى بتلك الجهة فى قرية اسمها القريم يسكنها عدة اجناس من القفجق والروس والعلان ومن الساحل الى هذه القرية مسيرة يوم واحد واسم هذا الوالى طايوق وعنده خيل الاولاغ (يعنى البريد) ثم ساروا من القريم الى بريـة يوما واحدا فوجدوا بها مقدم عشرة الاف فارس حاكما على تلك البـلاد والجهات اسمه توق بوغا ثم ساروا عشرين يوما فى صحرا عامرة بالخركامات والاغنام والمواشى الى نهر اتل وهو نهر حلو سعته سعة نيل مصر وفيه مراكب الروس وهو منزلة الملك بركة وحملت اليهم الاقامات والاغنام طول هذه الطرقات ولما قاربوا الاردو التقاهم الوزير شرف الدين القزوينى وهو يحدث بالعربية والتركية فانزلهم فى منزلة حسـنة وحمل اليهم الضيافة من اللحم والسمك واللبن وغير ذلك واصبح الملك بركة نازلا فى منزلة قريبة فاستحضر الرسل فحضروا والوزير شرف الدين فى خدمتهم فخدموه على العادة وكانوا قد عرفوهم ما يفعلونه عند دخولهم عليه وهو الدخول من جهة اليسار فاذا اخذت الكتب منهم ينتقلون الى جهة اليمين ويكون القعود على الركبتين وان لايدخل احد على خركامه بسيف ولاسكين ولاعدة ولايدوس برجله عتبة الخركاه واذا قلع احد عدته يقلعها على الجانب الايسر وينزع قوسه من القربان ويفك وتره ولايدع فى تركاشه نشابا ولاياكل ثلجا ولايغسل ثوبه فى الاردو فان اتفق غسله ينشره خفية ثم انهم وجدوا الملك بركة فى خركاه كبيرة تسع خمسمائة فارس وهى مكسوة لبادا ابيض ومن داخلها مسترة بسنداب وخطائى ومكللة بجواهر ولؤلؤ وهو جالس على تخت مرخى الرجلين على كرسى عليه مخدة فانه كان به وجع النقرس والى جانبه الخاتون الكبرى واسمها ططغاى خاتون وله امرأتان غيرها وهما جوك خاتون وكهر خاتون وليس له ولد والمشار اليه

بولاية العهد ابن اخيه منكو (١) تيمر بن طغان بن باتو ويعرف باميرا غول يعني الولد الامير وكان عمر الملك بركة اذذاك التاريخ ستا وخمسين سنة وصفته انه خفيف اللحية كبير الوجه في لونه صفرة يلف شعره عندا ذنيه في أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة مثمنة وعليه قباء خطائي وعلى رأسه سرا قوج (٢) وفي وسطه حياصة ذهب بجوهرة معلق بهاصولق بلغاري اخضر وفي رجليه خف كيمخت احمر وليس في وسطه سيف وفي حياصته قرون سود معوجة مقمعة بذهب وعنده خمسون اميرا اوستون على كراسي في الخركاه فلما دخلوا عليه وادوا الرسالة اعجبه ذلك عجبا عظيما واخذ الكتاب وامر الوزير بقرأته ثم نقلهم عن يساره الى يمينه واسندهم الى جنب الخركاه خلف الامرأ الذين بين يديه واحضرلهم القمز وبعده العسل المطبوخ ثم احضرلهم لحما وسمكا فاكلوا ثم امر بانزالهم عند زوجته ججك خاتون ولما اصبحوا ضيفتهم الخاتون في خركاهها ثم انصرفوا آخر النهار الى منازلهم وكان السلطان بركة يطلبهم عنده في سائر اوقاته يسائلهم عن الفيل والزرافة وعن النيل وعن مطر مصر وقال سمعت ان عظما لابن آدم ممتد على النيل يعبر الناس عليه فقالو هذا ما رأيناه ولا هو عندنا وفسر قاضي القضاة الكتاب وبعث نسخة الى الخان يعني بركة وقرئي كتاب السلطان بالترك على من عنده ففرح وابه وكان عند الملك بركة رجل فقير من اهل فيوم اسمه الشيخ احمد المصري له عنده حرمة كبيرة ولكل امير من امرائه عنده مؤذن وامام ولكل خاتون ايضا مؤذن وامام والصغار الذين عندهم لهم مكاتب

(١) وهذا مبني على ان بركة ابن باتو وقد عرفت ان الصحيح خلافه فالصواب حفيد اخيه . منه عفي عنه.

(٢) ويقال له سراغج ويقال له بلسان اهل قزان قالپاق وهو الان مختص بالنسوان والغالب ان تركه للرجال كان في عصر اوزبك خان على ما يفهم مما سيجيئ في ترجمته والظاهر ان اصله صارغچ لفظ تركي والمذكور في التواريخ العثمانية بقاء استعماله الى وقت قريب من زماننا هذا والله سبحانه اعلم . منه عفي عنه .

يتلفظون القرآن اه عزيز ذكر عود رسل الملك الظاهر وارسال الملك بركة معهم رسلا من عنده اليه ثانى مرة . قال القاضى ابن عبد الظاهر ان رسل الملك الظاهر اقاموا عند الملك بركة ستة وعشرين يوما ثم اعطاهم شيئا من الذهب الذى يتعاملون به فى بلاد الاشكرى وخلعت عليهم زوجته المذكورة يعنى ججك خاتون واعطاهم جوابهم وسيرهم ومعهم رسله وهم اربوقا وارنمور واونا ماس فعاد الرسل من جهة الاشكرى وحضروا والعساكر المنصورة لابسة وذلك فى عاشر ذى القعدة سنة ٦٦٢ وما زال الرسل يحضرون الى الخدمة ويشاهدون لعب الكرة وحضروا الطيور وانزلوا باللوق اه وقال ابن كثير وفى سنة ٦٦٢ قدمت رسل الملك بركة خان الى الملك الظاهر ومعهم الاشرف ابن الشهاب غازى ابن العادل ومعهم من الكتب والمشافهة ما فيه سرور الاسلام واهله مما حل ببلا كو واهله اه وقال المقريزى وفى ذى القعدة من سنة ٦٦٢ حضر رسل الملك بركة فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن زيهم واهتمام السلطان وبهجة الخيول وجلالة الفرسان ما بهر عقولهم ووقفوا بجانب السلطان يشاهدون حركات العساكر واصابة رميها واستمر ذلك اياما اه وقال ابن الفرات وحضر رسل الملك بركة فى هذا الوقت (يعنى وقت عرض الملك الظاهر العساكر المصرية فى ذى القعدة سنة ٦٦٢) فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن زيهم واهتمام السلطان وحسن الرجال والخيول المسومة ما بهرهم واستمر وقوف السلطان وهم الى جانبه يشاهدون حركات هذه الجنود واصابة رميها واقاموا اياما على هذه الصفة وقالت رسل بركة للسلطان هذه عساكر مصر والشام فقال بل عساكر المدينة خاصة غير الذين فى الثغور مثل اسكندرية دمياط ورشيد وقوص والذين فى قطعيا فعجبوا من ذلك وذكر الرسول(١) انه ما رأى خيلا ولا عدة فى عسكر السلطان جلال الدين ولا غيره مثل هذا الموكب اه قال الشيخ

(١) يعنى شهاب الدين غازى . منه عفى عنه .

ناصر الدين ابن على فى حسن المناقب السرية ذكر ختان ولد الملك الظاهر محمد بركة واحضر السلطان بيبرس امشاهدة هذا اليوم العظيم من كان فى خدمته من الرسل كرسل الملك بركة ووزير يافا فتعجبوا من ذلك واستهالوا امره ولما انقضى هذا الختان شرع السلطان فى تدبير احوال رسل بركة الواصلين صحبة رسله بعد الاكرام والاحترام وتفهم السلطان من رسله احوال بركة وبلاده ومسافتها ورسومه واخبروه بمنزلة منزلة وان له خركاها تسع خمسمائة فارس مبلدة مرصع داخلها باللؤلؤ والجواهر ووصفوا له حليته وملبوسه على ما امر ومضمون كتابه السلام والود والمحبة وقبول الصداقة وانه عون له على هلاكو كما التمسه السلطان منه اه وقال فى زبدة الفكرة للامير بيبرس الدوادار المنصورى وصلت رسل بركة ملك التتار وعلى ايديهم بتاب منه يتضمن ذكر من اسلم من بيوت التتار وخرج عن زمرة الكفار وتفصيلهم بقبائلهم وعشائرهم وانفارهم وعساكرهم وصغيرهم وكبيرهم قال ودخل فى دين الاسلام اخواننا الكبار واخواننا الصغار وذراريهم واولاد دوداكور بحشمهم واولاد بولاد وكوكا جسوويسونوغاى ومن فى بلادهم فود غو وقراجار وتنسق بوغا وشرامون وبوز باكو ومقدار بجيوشه وسواده وبك قداق باينال وتقوز اوغل وقتلغ تيمر واجى ودريته ودرباى والنومان الذى توجه الى تجريد خراسان وكل من توجه صحبة بايجيو مثل باينال نوين وايكاكو كل هؤلاء اسلموا باسرهم وقاموا بالفرائض والسنن والزكاة والغزاة والجهاد فى سبيل الله وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقرأنا آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون الآية فليعلم السلطان اننى حاربت هلاكو الذى من لحمى ودمى لاعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الاسلام لانه باغ والباغى كافر بالله ورسوله وقد سيرت قصادى ورسلى صحبة رسل السلطان وهم اربو غاوارنمور واوناماس ووجهت ابن شهاب الدين غازى معهم لانه كان حاضرا فى الوقعة ايحكى للسلطان ما رآى بعينه من عجائب القتال ثم ابوضع لعلم

السلطان انه موفق للخيرات والسعادات لانه اقام اماما من آل عباس في خلافة المسلمين وهوالحاكم بامر الله فشكرت همته وحمدت الله تعالى على ذلك لاسيما لما بلغني توجهه بالعساكر الاسلامية الى بغداد لاستخلاص تلك النواحي من ايدي الكفار وتاريخ هذاالكتاب مستهل رجب سنة احدى وستين وستمائة بمقام اتل وهو كتاب مطول مشتمل على اسهاب واطناب هذا من جملته وعادت رسل السلطان صحبتهم وهما الامير سيف الدين كشربك التركي جمدار خوارزمشاه ورفقته فاكرم السلطان رسل بركة ورسل الاشكري الواصلين معهم اه **لكن** ذكر في اول هذا ان هذاالكتاب جاءبه الامير جلال الدين ابن القاضي والشيخ نورالدين علي في سنة ٦٦١ ولاشك في كونه خبطا وغلطا وتحريفا من النساخ وكونه خطاء غني عن البيان خصوصا لمن تامل في احوال الرسل السابقين وما في هذاالكتاب من قوله وسيرت قصادي ورسلي وهم اربوغا الخ فلو كان حامل هذاالكتاب هوالامير جلال الدين ورفقته كيف يقول وهم اربوغا وقوله ووجهت ابن شهاب الدين غازي معهم فانه ماجاء مع الامير جلال الدين ولا في سنة ٦٦١ بل جاء صحبة المذكورين في سنة ٦٦٢ والله الهادي وهذا هو الكتاب الموعود ذكره وقد جعل المقريزي تاريخ هذا الكتاب تاريخا للكتاب الاول وهو ايضا سبق قلم كما ذكرنا هناك فلاتغفل والله يتولى هداك **ذكر رسل الملك الظاهر رسلا الى الملك بركة ثانيا بعد قدوم الرسل منه اليه اول مرة اعني الامير جلال الدين ورفقته وارساله الهدايا الجليلة والتحف الجزيلة اليه كما وقعت الاشارة اليه في اثناء الكلام وهذا** وان كان مقدما على عود رسل السلطان اعني الامير سيف الدين كشر بك ورفقته من عند الملك بركة برسله وكتبه كما يعلم من التاريخين الا انا قدمنا ذاك لتكون القصة بعضها متصلا ببعض قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر والامير بيبرس الداودار المنصوري والمفضل والمقريزي يتقرب الفاظ بعضهم بعضا ونبدأ بكلام ابن عبد الظاهر لانه هو المنتهى لذلك الخبر وغيره انما يستمد من بحره وانما نزيد في غضون الكلام من غيره ماليس فيه قال ورسم

السلطان (يعنى الملك الظاهر بيبرس بعد ورود رسل الملك بركة بكتاب من عنده اول مرة وهم الامير جلال الدين ابن القاضي والشيخ نور الدين على) بتجهيز الهداية الى الملك بركة من كل شيء على اختلافه وكتب المملوك جوابه فى قطع النصف فى سبعين ورقة بغدادية فيها الايات من كتاب الله تعالى واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الترغيب على الجهاد وما ورد فى مصر من الآيات والاحاديث وفى قتال المشركين والاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد وفيه ذكر مواطن العبادات ومواضع الزيارات فى سائر البلاد التى دعى له (يعنى للملك بركة) فيها وفيه شئ كثير فى الترغيب والترهيب والاستمالة والتعظيم له واظهار الميل اليه ووصف كثيرة جنود الديار المصرية وما هى عليه وزيادة عساكرها عن المعتاد وانها كلها موافقة له فى نصرة الاسلام وقرأت الكتاب على السلطان فى حضور جماعة الامرأ وهو يزيد فيه وكذلك الاتابك يمليه ولما تكامل هذا الكتاب وتجهزت الهدية المباركة وهى ختمة شريفة ذكر انها خط (١) عثمان ابن عفان رضى الله عنه (ومثل ذلك فى تاريخ بيبرس وقال النويرى ذكر انها من المصاحف العثمانية) بغلاف اطلس احمر مزركش ضمن درج ادم مبطن بعتابى وكرسى لها عاج وآبنوس مخرم بسفط فضة ونقل فضة خروق بندقى كوامل عدة كثيرة ونماز لوقات للصلاة وسجادات الوانا متنوعة واكسية لوانية الوانا عديدة والاديم والدسوت والانطاع المسردقه والشمعدانات جملة كبيرة سيوف قلجورية باسفاط فضة ودبابيس مذهبة خود افرنجية باطواق فضة وطوارق مذهبة فوانيس فضة باغشية بندقية

(١) والمصحف الذى اشتهر بانه مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وجلبوه من سمرقند الى بطربورغ واودع فى كتبخانة اميراطورية لايبعد ان يكون هو هذا المصحف بان يحمله تيمرلنك من سراى الى سمرقند عند حروبه بتوقتامش خان واستيلائه على سراى على ماسيجئ وهذا احتمال قريب فلا وجه لاستبعاد البعض اياه من غير دليل يستند اليه. منه عفى عنه .

منجبيقات باغشية ومشاعل جمنات وقواعد ها برسمها مكفتة سروج خوارزمية ولجم كل ذلك بانواع السفط بالذهب والفضة قسى حلق دمشقية وقسى بندق وقسى جروخ ورماح قناة واسنة ونشاب بديع الصنعة فى صناديق مجلدة قدوربرام قناديل منهبة بسلاسل فضة مطلاة بالذهب وخدام سود وجوارى طباخات وخيل سوابق عربية هجن نوبية نادرة ودواب فارهة ونسانيس معلمة وبغانغ وقرود بلق وفيل وزرافة وحمير وحشية عتابية وحمير مصرية وثياب اسكندرية ومن عمل دار الطراز وغيرذلك اشيأ كثيرة مستظرفة وتحف مستغربة ولطائف لايوجد مثلها فى خزانة ملك كبير وصحبتها غلمان ومن يقوم بهذه الحيوانات سلم السلطان جميع ذلك الى رسله واهتم بها اهتما ما كثيرا كل ذلك لمصلحة الاسلام وجهز الامير فارس الدين اقوش المسعودى الاسدى والشريف عماد الدين عبد الرحيم الهاشمى العباسى رسولين الى بركة واصحبهما هذه الهدية واعاد معهما رسل الملك بركة وهما الامير جلال الدين ابن القاضى والشيخ نور الدين على والبسهما الفروة من مولانا الخليفة سلام الله عليه واحضرهما خطبته والصلاة معه خلفه وحمعهمابه فحث على اقامة فريضة الجهاد وحملهما من الوصايا للملك بركة والمشافهة والاشكر لمساعى السلطان وما هو بصدده من اقامة الشريعة وسد الذريعة ورفع منار الدين وجهاد المشركين وملازمة العفاف ومعاملة الرعية بالعدل والانصاف وما جمعه من العساكر والجنود التى ليس لها اول ولا آخر ما (١) يعيد انه على الملك بركة وجهز لهم طريدة عظيمة جمعت لاصناف الحيوانات المسيرة هدية وما فيها من الاشياء الفاخرة وجهز فيها عدة كثيرة من الرماة والزراقين والجرخية وحمل معهم مؤنة سنة وسافروا فى (٢) سابع عشر رمضان من سنة ٦٦١ وقد شاهدوا من عظمة

---

(١) وكانه متعلق بقوله وحملهما من الوصايا . منه عفى عنه .

(٢) فتكون مدة اقامة رسل الملك بركة بمصر شهرين وبضعة ايام فان قدومهم اليها كان فى رجب من العام المذكور . منه عفى عنه .

السلطان وكثرة العساكر ما بهر عقولهم فلما وصلوا الى القسطنطينية عوقهم الاشكرى الباليؤلوغس كورميخايل عن المسير لاذية حصلت لها من الملك بركة وقد كان عنده (١) رسل هلاكو فاعتذر اليهم بالخوف من هلاكو لكون بلاده متجاورة لبلاده وانه متى سمع انه مكن رسل صاحب مصر من التوجه الى الملك بركة يتوهم انتقاض الصلح بينهما وربما يتسارع الى نهب ما جاوره من بلاده وكان يماطلهم بهذا العذر من يوم الى يوم ومن جمعة الى جمعة ومن شهر الى شهر وكل ذلك كان مكيدة وخديعة منه حتى بقى الرسل هناك قريبا من سنة كاملة فبلغ ذلك السلطان الملك الظاهر فى رمضان من سنة ٦٦٢ وقيل لما طال مكثهم هناك واقاموا سنة وثلاثة اشهر وهو فى مماطلته قالوا له ان لم يمكنك المساعدة على توجهنا الى الملك بركة فاعدنا الى مصر فاذن للشريف العباسى وحده بالعودة فعاد واخبر بما جرى لكن الصحيح ان السلطان بلغه ذلك قبل عودته فلما سمع السلطان ذلك طلب نسخ الايمان واخرج منها يمين الملك كور ميخايل الاشكرى وهو باللغة الرومية واحضرت البطاركة والاساقفة وتحدث معهم فيمن يحلف بكذا وكذا من الايمان ثم يخرج عنه يعنى يحنث وينكث فقالوا يلزمه كذا وكذا من الامور المخرجة له من دينه وانه يكون محروما من دينه فاخذ خطوطهم بذلك وهم لا يعلمون ما يراد منهم ثم اخرج لهم نسخ ايمان الاشكرى وقال قد نكث بامساك رسلى ومال الى جهة هلاكو ثم طلب الراهب الفيلسوف اليونانى وطلب اسقفا وقسيسا وجهزهم الى الاشكرى وصحبتهم منه المكاتيب وكتب الى الاشكرى وهو يغلظ عليه فى القول يقول له ان كان سبب امساك رسلى فسادها لك مع الملك بركة وكون عساكره افسدت فى بلادك فانا اصلح

١) وكان هلاكو ارسل الاشكرى فى ذلك الوقت يخطب ابنته لنفسه فاجابه الى ذلك وجهزها فلما بلغت قيسارية بلغ خبر موت هلاكو فلم تمكنوها من الرجوع بل حملوها الى ابغا بن هلاكو فتزوجها . منه عفى عنه .

الحال بينك وبينه وكتب السلطان كتابا الى الملك بركة بذلك وسيره الى الامير فارس الدين اقوش المسعودى المتوجه بالهدية الى الملك بركة وامره بالتوسط فى الصلح وان يستشفع له وتوجهت الجماعة المذكورون بذلك فلوقته اطلق الجميع وساروا الى الملك بركة هذا قول القاضى ابن عبد الظاهر والشيخ ناصر الدين بن على والمقريزى الا ان الجملة الاخيرة من قول المقريزى فقط وهذا هو الصحيح ان شاء الله فى اطلاق هؤلاء الرسل ولم اقف فى قول هؤلاء على كيفية وصولهم الى الملك بركة والظاهر انهم ما وصلوا هناك الابعد وفاته وتملك منكو تيمر كما سيجئ وقال المفضل لما عاد الشريف العباسى وبقى الامير فارس الدين قوش المسعودى تأخر ايضا مدة سنين حتى هلك اكثر ما كان معه من الحيوان والرفيق وتسارع الفساد الى غيره ثم ان عسكر بركة قصدوا القسطنطينية واغاروا على اطرافها وهرب البالئولوغس الذى كان فيها وبعث الفارس المسعودى الى مقدم عسكر بركة يقول له ان البلاد فى عهد السلطان الملك الظاهر وصلحه وان القان بركة فى صلح من صالحه وعهد من عاهده وطلب خطه بذلك فكتب له خطه بذلك وانه مقيم باختيار وانه يعنى صاحب القسطنطينية لم يمنعه من التوجه الى الملك بركة ورحل عسكر بركة من القسطنطينية واستصحبوا معهم السلطان عز الدين فانه كان محبوسا فى قلعة من قلاع القسطنطينية (١) فاخرجوه معهم ثم ان البالئلوغس جهز الفارس الى بركة وبعث معه رسولا من جهته ورسالة مضمونها ان يقرر على نفسه ان يحمل اليه كل سنة جملة من الاموال منها ثلاثمائة ثوب اطلس على ان يكون معاهدا ومصالحا له ومدافعا عن بلاده ثم توجه الفارس الى بركة فلما اجتمع به انكر عليه تأخيره فقال ان صاحب القسطنطينية منعنى من الحركة فاخرج له خطه بما كتب به لمقدم عسكره فقال انا ما اوآخذك لاجل الملك الظاهر وهو اولى منى

(١) كان محبوسا فى قلعة وبريجه وولده غياث الدين مسعود فى نفس قسطنطينية . منه عفى ء ء .

باخذك على كذبك وافساد ما ارسله معك ثم ان السلطان عز الدين كتب الى السلطان الملك الظاهر يعرفه جميع ذلك وما صدر من الفارس من التقصير من كونه رحل عسكر بركة عن القسطنطينية بما اوهمه من كون البلاد فى عهد الملك الظاهر وكان قادرا ان يأخذ منه فى مقابلة ترحيله عنه قيمة ما افسد من الهدية لاضطراره الى ذلك فلما رجع فارس الدين الى مصر واجتمع بالسلطان نقم عليه لفعله وقبض عليه واخذ منه ما كان وصل معه من البضائع وكانت قيمتها اربعون الف دينار وكان وصوله فى جمادى الاخرى سنة ٦٦٥ اه لكن فيه نظر فان حبس لسلطان عز الدين كيكاوس انما كان فى سنة ٦٦٢ وتخلصه من الحبس كان فى سنة ٦٦٨ فى عهد منكوتيمر على ما فى اكثر التواريخ كما سيذكر بعضه ان شا الله تعالى الا ان فى تاريخ الذهبى ما يؤيد ما ذكره المفضل حيث قال فاما صاحب الروم عز الدين صار منه كذا وكذا فتغير صاحب الاشكرى عليه فحبسه بقلعة فاغارت طائفة من عسكر بركة على بعض بلاد الاشكرى وحاصروا تلك القلعة فوقع الاتفاق على انه ان سلم اليهم السلطان عز الدين رحلوا فسلمه اليهم وتكفلوا به الى الملك بركة اه ومثله فى تاريخ بيبرس ونصه قد ذكرنا ان بركة ملك التتار قبل وفاته قد جرد جيشا لاخذ استانبول فعادوا واخذوا معهم السلطان عز الدين من قلعة كان معتقلا بها هو واولاده اه الا ان كلام هؤلاء ليس فيه تعرض لرسل الملك الظاهر وكلامهم يدل ايضا على ان قصد استانبول كان فى آواخر عهد بركة خان فعود هم يمكن ان يكون بعد وفاته وبعد تملك منكو تيمر ولكن تنسب هذه الواقعة تارة الى الملك بركة نظرا الى مباديها وتارة الى منكوتيمر باعتبار آخرها وانتهائها ويكون قدوم فارس الدين المسعود بالهدايا الى مصر بعد انقضاء تلك الواقعة فى ايام منكو تيمر ويؤيده ما ذكره ابن الفرات حيث قال جاء رسول الاشكرى سنة ٦٦٧ بكتاب يتضمن رجوع الاشكرى عن المخالفة ويقول انه سير رسل

السلطان بعد ان حلف للسلطان بعد ان اخرهم الى وفاة الملك بركة وجلوس ولد اخيه بعده اه وهذا حاسم لمادة المنافرة والمخالفة ويؤيده ماذكره غير واحد نقلا عن القاضى عز الدين ابن شداد ان رسل الملك الظاهر المتوجين الى الملك بركة بالهدايا اقاموا عند الاشكرى الى سنة ٦٦٥ وقال بعضهم خمس سنين وعلى كل حال يكون وصولهم الى بلاد بركة بعد وفاته فان وفاته كان فى سنة ٦٦٥ كماسيجئ وبالجملة لاخلاف عند التحقيق بين قول من قال ان اطلاق الاشكرى لفارس الدين المسعود انما كان بعد وصول من ارسلهم الملك الظاهر اليه اعنى الراهب الفيلسوف اليونانى ورفقته وبين قول من قال انه بعد اغارة عسكر بركة على القسطنطينية وقول من قال بعد اغارة عسكر منكوتيمر عليها لامكان الجمع بينهما كما ذكرنا واما المشكل هو الجمع بين قول من قال ان تخلص السلطان عزالدين كان فى عهد بركة على مامر وقول من قال انه كان فى ايام منكو تيمر فى سنه ٦٦٨ على ما سيجئ فى ترجمته وان التطبيق بينهما غير ممكن الان نحمل احد القولين على الوهم وعندى ان حمل القول الثانى على الوهم اولى بل هو المتعين لماسيذكر وجهه فى ترجمة منكو تيمر فحينئذ يكون تخلص السلطان عزالدين واطلاق فارس الدين المسعود فى وقعة واحدة فيرتفع الخلاف حينئذ بالكلية والله سبحانه اعلم واما قصد بركة لبلاد الاشكرى وقسطنطينية فقد ذكره غير واحد وكان قصده اياه بعد كسره ابلاكو والظاهر انه كان فى اوائل سنة ٦٦٢ وسببه انه اعلم هو حبس الاشكرى للسلطان عزالدين وميلانه الى ابلاكو وصرح به فى بعض التواريخ ان السلطان ركن الدين الرابع التمس من الملك بركة تخليص اخيه عزالدين من محبس الاشكرى وقد ذكر فى روضة الصفا ما معربه ان السلطان عزالدين كيكاوس لما توهم من اخيه ركن الدين هرب الى قريم فحمله عسكر بركة خان الى حضرته وكان بركة خان ملكا مسلما وامده بالعساكر وارسله الى طرف

الروم اه وقد مر توصيته الملك الظاهر فى حقه فى المكتوب الذى كتبه اليه اول مرة هذا **ذكر ارسال الملك الظاهر الى الملك بركة بعد المرتين الاوليين قال** المقريزى وفى جمادى الاولى من سنة ٦٦٢ توجه قصاد الى الملك بركة واسلم عالم كبير على يد السلطان من التتار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والاسارى ومن النوبة القادمين من عند ملكها **وقال** ايضا وفى رمضان من سنة ٦٦٣ توجه شجاع الدين ابن داية الحاجب الى الملك بركة رسولا ومعه ثلاث عمر اعتمر بها عنه بمكة عملت فى اوراق مذهبة وشئ من ماء زمزم ودهن بلسان وغيره اه **وقال** النويرى وفى سنة ٦٦٣ توجه شجاع الدين ابن الداية الحاجب رسولا الى الملك بركة فى كف غارات الملك بركة عن بلاد الاشكرى حسب سؤاله فى ذلك وسير معه ثلاث عمر اعتمر بها بمكة للملك بركة وسير معه قمقمان من ماء زمزم ودهن بلسان وغير ذلك اه **وقال** ابن الفرات وفى شوال سنة ٦٦٣ توجه شجاع الدين ابن الداية الحاجب الى الملك بركة رسولا من السلطان فى كف غارات الملك بركة عن بلاد الاشكرى حسب سؤال الاشكرى فى ذلك فسيره فى ذلك وفى مهمات اخر وسير معه ثلاث عمر اعتمر بها بمكة شرفها الله تعالى للملك بركة لم يعمل مثلها لما اشتملت عليه من الآيات والاحاديث النبوية والاذهاب وسير معه قمقمان من ماء زمزم ودهن بلسان وغير ذلك وتوجه معه احد اصحاب الملك بركة وهو جمال الدين محمود اه **وهذا** نهاية ما اطلعنا عليه من كيفية مراسلة هذين الملكين الجليلين والاسدين الضرغامين اللذين قيضهما الله سبحانه فى الجنبين للقيام بحماية الدين وحفظا للشرع المستبين والذب عن الاسلام والمسلمين حين توجه حال الاسلام الى الادبار ولم يبق له من الانصار وقصده الكفار من جميع الاقطار جزاهما الله سبحانه خير الجزاء ورضى عنهما احسن الرضا والا فالمراسلة بينهما كثيرة لم تنقطع حتى الممات كما ذكره العلماء الاثبات وفى هذا القدر كفاية لمن اعتبر والكتب المطولة موجودة لمن اقتدر فليراجعها ان

لم يقنع بهذا القدر بحد من الموادة والمواصلة والموالاة والمراسلة بينهما مالا يوجد فيما بين اكثر افراد البشر حتى ان الملك الظاهر من غاية محبته للملك بركة سمى ولده الاكبر باسمه محمد بركة ولنعطف الآن عنان اليراع نحو بيان سائر احوال الملك بركة وما حصل له سوى ماذكرنا من الحركة و بيان هلاك هلاكو وانتقاله من هذه الدار الى دار الجزاء والبوار والاسفل من الدركة ولم ينقل فى تواريخ الروسية من احوال بركة خان عليه الرحمه شئ الاان كارامزين قال ولما تملك بركة فوض ادارة امور الروسية لنائبه اولاوچى فانتظم الامور ثانيا وصارت حكام الروس يترددون الى الامير اولاوچى اه قلت وكانه نصبه ناظرا للمستملكات ولما لم يطلع الفاضل المرجانى على هذا عد الاولاوچى(١) المذكور فى عداد الخوانين كما تراه فى تاريخه ذكر هلاك هلاكو اعلم انه لما تمت عليه الهزيمة امام الملك بركة وتفرقت عساكره ايدى سبا كاد من تراكم الهموم عليه ان يتعطل من الحركة لانه بقى بين العدوين القويين كل منهما قد كسره كسرة شنيعة الملك الظاهر من طرف الجنوب والغرب والملك بركة من جهة الشمال والشرق واخذ الانتقام والثار منهما غاية مرامه ولكن استشعر من نفسه العجز فى ذلك لما شاهد من عبوسة وجه ايامه وهبوط نجم اقباله وسماع ما حصل بين الملكين من المصافاة والموالاة يرش الملح فى جرحه ويزيد فى آلامه ومع ذلك امر بجمع الجيش والعساكر وان يتهيأ للحرب كل من يقدر على حمل السلاح من رعاياه الاكابر منهم والاصاغر حتى ينتقم من بركة اولا ثم من المصريين والشاميين فسمع فى السنة الثانية ان الامير نوغاى قائد جيش بركة قد جاوز الدربند بالجيش لقصد تبريز فارسل هلاكو الشيخ شريف التبريزى نحوه جاسوسا ليرده عن وجهه ان قدر فلما لقيه قال له نوغاى بال هلاكو يقتل الاشراف والاعيان والعباد والزهاد والزوار والتجار والكبار والصغار قال

---

(١) ولكنه تبع فى ذلك اباالغازى خان وبنجم باشى عفى عنه .

الشيخ انه كان اولا عصانا بسبب الفتنة بين احويه قبلاى قاآن وآرتق بوكا ولما اصطلحا الآن زال غضبه وقد ارسل اليه قبلاى قاآن ثلاثين الفا من العساكر الجرار غير مالديه ممن يضرب بالسيف البتار فقصده ليس الا الانتقام فلما سمع نوغاى ذلك حصل له الرعب فيما هناك فرجع الشيخ شريف الى هلاكو واخبره بما جرى فاجزل له العطاء واجرى وامر بتجهيز الجيش وتوجهتم با وفى مركة الى طرف دشت بركة وبينما هو فى هذا التدبير اذ قال له الامير جلال الدين ابن الدوادار الكبير ان فى سواد بغداد وقرى عراق الوفا من اتراك دشت القفجق وفيهم معرفة تامة بطرق تلك البلاد ومسالكها اللازمة فى فن الحرب والجهاد فان اذن لى الخان اجمع منهم عساكر كثيرة وجيوشا كبيرة حتى يكونوا فى مقدمة متناهين توجهنا الى بلاد الدشت فاستحسن هلاكو منه ذلك وامر بامضاء ما اقترحه هنالك فكتبوا له الامر والفرامان الى ولاة ايلخان ونوابه الكائنين بالعراق وبغداد واطراف بلاد قرامان بالمساعدة للامير جلال الدين المذكور فيما يرومه من الامور من اعطاء مايريده من الخزينة من الآلات والخيول وان لايمانعه احد فيما يبطش ويصول فتوجه نحو مقصده فى شهور سنة ٦٦٢ فجمع جمعا عظيما ممن يستحسنه من ارباب النجدة والحرابة ويتوسم فيه الاقدام والشجاعة واخذ من الخزينة مبلغا كثيرا وشيئا كبيرا فلما قضى وطره من ذلك قال لاصحابه هنالك نزور اولا مرقد الامام حسين ثم نتوجه نحو المقصد بلامين فلما عبر بهم الدجلة بهذا العذر قال لهم انا عازم الى الشام ومصر ولااريد ان اجعلكم طعمة لسيوف قفجق اوتقتلوا القفجق بسيوفكم وهم من جنسكم لاجل هلاكو الكافر فمن وافقنى فى هذا فيها والافليرجع الى منزله فانه فى سعة من ذلك فرافقه جميعهم طوعا اوكرها خوفا من المطالبة والمؤاخذة وتوجهوا الى الشام من طريق الخدشة والعانة كذا فى روضة الصفا قلت وكل هذه الحركة كان بتعليم من الملك بركة

فانخرطوا في سلك العساكر المصرية كما تقدم فتذكر فلما بلغ ذلك هلاكو صار كانه رش الملح الى جراحاته وانضم ذلك الى ما سلب عنه اولا من راحاته فغاص بحارالهم وخاض تيار الغم واستولى على مملكة دماغه جيوش الافكار واشتغل في سويدا قلبه اشد النار وامتلاء عروقه من متصاعد البخار حتى افضى ذلك الى ان ابتلى بمرض الصرع فلم يلبث الاقليلا حتى توجه الى لعنة الله كافرا زنديقا مصرا على عداوة الاسلام والمسلمين وحملة زمرة الموحدين وكان ذلك باتفاق المورخين في سنة ٦٦٣ في ربيع الاول وقيل في الاخير ودفن بقلعة تلاعلى رسم كفرة المغل من دفن الجواهر الثمينة والجوار الملاح بحليهن معه لئلايستوحش في حفرته على زعمهم الباطل قال المقريزى مات في تاسع ربيع الاول بالقرب من كورة مراغة بالصرع عن نيف وستين سنة منها مدة تسلطنه عشر سنين اه وعلى هذا يلزم كونه اسن من الملك بركة وسيرد في قول الذهبي مايشعر بمساواتهما في السن وقد مر عن المفضل ما يؤيده ايضا وتقدم عن روضة الصفا ان الملك بركة اكبر منه والله سبحانه اعلم استطراد قال القرامانى نقلا عن تاريخ البيضاوى ان بعض اولياء الله اظهر الكرامة عند هلاكو فصار ذلك سببا لرجوعه عن الكفر والزندقة وتعظيم الملة المحمدية اه اختصارا فاخذ منه بعض العلماء انه اسلم وقال باسلامه وانت تعلم انه (١) ليس فيه القول باسلامه ولادلالة عليه غاية ما في الباب انه تنزل عن عداوته الشديدة للاسلام وصار يعظمه يعنى بالنسبة الى حالته الاولى نعم انه اعطى ولده تكودار لهؤلاء الاولياء للتربية فاسلم على ايديهم وتسمى احمد وتسلطن بعد ابغا كما تقدم ذلك عند بيان اولاد چنكز خان في اوائل هذه المقالة **ذكر وقايع الملك بركة مع ابغا (٢) بن هلاكو** اعلم انه لما مات هلاكو اتفق اركان دولته على اجلاس ولده الاسن ابغا مكانه وذلك

---

(١) لانه ليس في النسخ التي رأيناها لفظ واسلم . منه عفى عنه .

(٢) اصله اباق لكن العرب قالوا ابغا . منه عفى عنه .

بهمة نصر الطوسى الرافضى غويلم هلاكو محقق السفهاء فلما استقر على سرير السلطنة لم يكن له همة الاقصد بلاد بركة وانفاذ مانواه ابوه من الانتقام منه قال العينى والنويرى وغيرهما ان ابغا لما استقر فى المملكة بعد وفاة ابيه فى سنة ٦٦٢ جهز جيشا لقتال بركة خان ملك بلاد الدشت والجهة الشمالية ولما بلغ بركة ذلك جهز جيشا وقدم عليه يبسونوغاى بن ططر بن مغل فسار فى المقدمة ثم اردمه بمقدم آخر اسمه يوسنتاى فى خمسين الف فارس فسبق يبسونوغاى بمن معه وتقدم الى عسكر ابغا ويوسنتاى على اثره فاستشرفت عساكر ابغا على يوسنتاى وهو مقبل فى سواده العظيم كقطع الليل البهيم فتكردسوا وتجمعوا للهزيمة فبصربهم يوسنتاى وقد تحلقوا فظن انهم احاطوا بنوغاى ومن معه فلم يلبث غير قليل حتى انهزم راجعا وفرمسرعا واما نوغاى فانه تبع عسكر ابغا وساقهم واوقع بهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وعاد الى بركة مظفرا منصورا فعظم عنده قدره وارتفع محله وامره وقدمه بركة على عدة تمانات وسار معدودا فى الخانات واما يوسنتاى فعظم دنبه عند بركة وسخط بركة عليه وسأت منزلته عنده اه ومثله فى ابن خلدون وقال الذهبى فى سنة ٦٦٣ ورد الخبر بان التتار ملكوا ابغا ابن هلاكو وان بركة قصده وكسره وقال ابن كثير فى سنة ٦٦٣ ورد الخبر بان خان التتار هلاكو هلك الى لعنة الله وغضبه فى سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة ودفن بقلعة تلا وبنيت عليه قبة فاجتمعت التتار على ولده ابغا فقصده الملك بركة خان فكسره وفرق جموعه ففرح الملك الظاهر بذلك فرحا شديدا اه ومثله فى تاريخ المفضل وفيه وكان يعتريه يعنى الصرع هلاكو كل يوم مرتين ذكر وفاة الملك بركة الى رحمة الله تعالى قال ابن كثير وممن توفى فى سنة ٦٦٥ من الاعيان السلطان بركة خان ابن جوجى بن جنكزخان وهو ابن عم هلاكو وقد اسلم بركة هذا وكان

يحب العلماء والصالحين ومن اكبر حسناته كسره هلاكو وتفريقه جنوده وكان يناصح الملك الظاهر ويعظمه ويكرم رسله ويطلق لهم شيئًا كثيرا وقد قام فى الملك بعده بعض اهل بيته وهو منكو تيمر بن طغان بن باتو بن جوجى وكان على طريقته ومنواله ولله الحمد والمنة اه ومثله بعينه فى تاريخ الجنابى وقال فى روضه الابرار ان بركة خان كان موصوفا بالعدالة والديانة وقد بنى مساجد ومدارس متعددة وبقاع خيرات كثيرة وكانت زمرة العلماء مظاهر لاحسانه دائما وكان ارباب الاستحقاق نائلين الحصص من موائد بذله وانفاقه فوق استعداداتهم ولهذا كان حضوره محط ارباب الفضل والكمال اه وقال العينى وتوفى فى سنة ٦٦٥ بركة خان ملك التتار ببلاد الشمال وهو ابن عم هلاكو وكان قد دخل فى دين الاسلام كما ذكرنا وكان بينه وبين الملك الظاهر صحبة ومودة وكان لايقطع مكاتبته ولا مراسلته من الظاهر وقد وقع بينه وبين هلاكو من الحروب ما ذكرناه وكان يحب العلماء والصالحين ومن اكبر حسناته كسره لهلاكو وتفريقه جنوده وكان اعظم ملوك التتار وكرسى مملكته مدينة سراى توفى فى هذه السنة ولم يكن له ولد ذكر فاستقر عوضه ابن اخيه منكو تيمر بن طغان بن جوجى خان وجلس الى كرسى سراى وصارت اليه مملكة التتار ببلاد الشمال والترك والقفجق والباب الحديد وما يليه اه وقال الذهبى توفى الملك بركة فى سنة ٦٦٥ بارضه فى عشر الستين من عمره فى ربيع الاخير اه قلت فعلى هذا يكون اصغر من هلاكو او مساويا له فى العمر ويكون مدة سلطنته على القول الاصح مقدار عشر سنين اه وقال فى روضة الصفا ان بركة خان ارسل نوغاى لحرب اباقا فى اوائل سلطنته فارسل اباقا اخاه يشموت بعساكر جرار لاستقباله فعبر نهر الكر وتلاقى الفريقان بقرب چقاموران ونشب بينهما نيران القتال فاصاب سهم عين نوغاى فانهزم فلما سمع اباقا هذا الظفر توجه بنفسه وعدا نهر الكر ثم سمع مجىء بركة بثلاثمائة الف عسكر

فرجع وعدا نهر الكر الى جانب مملكته وامر برفع الجسر فجاء بركة بكمال العظمة ونزل فى مقابلته من الجانب الاخر وتراموا من الجانبين اربعة عشر يوما ولما لم يمكن البركة عبور النهر الى جانب اباقا سار نحو تفليس ليعدوا النهر من هناك الى جهة اباقا فمات فى الطريق بعلة القوانج فامر اباقا ببناء السور على ساحل نهر الكر من جانبه فبنوا وحفروا خندقا عميقا وركبوا فيها ابوابا ثم ترك لحفظ تلك الحدود جمعا كثيرا من عسكر المغل والمسلمين ورجع الى مملكته مسرورا ومبتهجا وكان بركة خان مسلما وكان له ميل تام الى صحبة المشايخ والعلماء اه قلت فهذه الوقعة هى الوقعة الثانية مع ابغا ولكن عمل السور انما كان فى عهد منكو تيمر على ما سيذكر نقلا عن الذهبى ويمكن التطبيق بينهما بان اول تلك الوقعة انما كانت فى اواخر عهد (١) بركة خان وهو مصرح به فى كلام الميرآخوند وكان آخرها فى اوائل سلطنة منكو تيمر وهو المفهوم من كلامه والمصرح به فى كلام الذهبى والله سبحانه اعلم وعلمه اشمل واحكم

منكو تيمر بن طغان بن باتو بن جوجي بن چنكزخان وقيل طغان بن جوجي والاول اصح ولما توفى الملك بركة الى رحمة الله تعالى فى التاريخ المذكور جلس مكانه على كرسى السلطنة منكو تيمر بن طغان بن باتو باتفاق اركان الدولة وقد تقدم انه كان مرشحا للسلطنة فى حياة بركة ومر آنفا نقلا عن العينى وابن كثير والجنابي وقال ابن الفرات فى سنة **٦٦٥** جلس منكو تيمر بن طغان على كرسى مملكة القفچق ومدينتها سراى وصارت اليه مملكة التتار بالبلاد الشمالية والقفچق والباب الحديد وما يليه عوضا عن الملك بركة بعد وفاته اه وقال توفى الملك فى سنة **٦٦٥** وهو على دين الاسلام رحمه الله تعالى ولم يكن له ولد يرث الملك من بعده فاستقر الملك بعده لابن اخيه منكو تيمر اه

---

(١) وكان بركة خان محاربا فى جهتين فى آخر عمره فى جهة الروم والقسطنطينية وفى جهة آباقا بن هلاكو، منه عفى عنه.

وقال المقريـــزى وفى صفر من سنة ٦٦٦ كتب (يعنى الملك الظاهر) الى الملك منكو تيمر القائم مقام الملك بركة بالتعزية والاغراء بولد هلاكو اه وقال العينى فصل فى حوادث سنة ٦٦٦ وصاحب البلاد الشمالية التى كرسيها سراى منكوتيمر بن طغان وكتب اليه الملك الظاهر بالتعزية لاجل بركة خان والتهنية لاجل ولايته عوضه وأغراه على قتال ابغا بن هلاكو ثم وقع بينه وبين ابغا حروب كثيرة فكسره ابغا وغنم منه شيئًا كثيرا وعاد ابغا الى بلاده والله اعلم اه وقال الجنابي ثم قام بعده يعنى بركة منكو تيمر بن طغان ابن باتو وكان على طريقته ومنواله ووقع الخلاف بينه وبين ابغا سنة ٦٦٧ فوقع بينهما عدة حروب اه وقال ابن كثير وفى سنة ٦٦٥ التقى ابغا ومنكو تيمر الذى قام مقام بركة خان فكسره ابغا وغنم منه شيئًا كثيرا وعاد ابغا الى بلاده اه وقال الذهبى لما توفى بركـة فى سنة ٦٦٥ تملـك بعده منكو تيمر بن طغان فجمع عساكره وبعثها مع مقدم لقصد ابغا فجمع ابغا جَيشه ايضا وسار الى ان نزل على نهر كور واحضر المراكب والسلاسل وعمل جسرين على النهر ثم عدى الى جهة منكو تيمر وسار حتى نزل على النهر الابيض فعدى منكور تيمر وساق الى النهر الابيض ونزل من جانبه الشرقى ونزل ابغا فى الجانب الغربى ثم لبسوا السلاح وتراسلوا ثم بعد ثلاث ساعات حرك ابغا كوسانه وقطع النهر وحمل على منكو تيمر فكسره وساق ورأه والسيف يعمل فى عسكر منكوتيمر ثم تناجى عسكر منكو تيمر ورجعوا عليهم فثبت ابغا فى عسكره ودام الحرب الى العشاء الاخيرة ثم انهزم منكوتيمر واستظهر ابغا وغنم جيشه شيئًا كثيرا وعدى على الجسر المنصوب ونزل على نهركور ثم جمع كبراء دولته وشاورهم فى عمل سور من خشب على هذا النهر فاشاروا بذلك فقام وقاس النهر من حد تفليس فصار جزءُ كل مقدمٍ مائة وعشرين ذراعا فشرعوا فى عمله

ففرغ السور فى سبعة ايــام ثم ارتحل ونزل المقدم دفان (١) وشرع هناك أ هـ وهذا عين ما ذكره فى روضة الصفا فلا تنس نصيبك مما اسلفنا هناك وقال ابن كثير وفى سنة ٦٦٥ التقى ابغا ومنكو تيمر الذى قام مقام بركة خان مكسره ابغا وغنم منه شيئا كثيرا وعاد ابغا الى بلاده أ هـ وقال ابن الفرات ورد فى سنة ٦٦٧ رسول من عندالاشكرى وتضمن الكتاب الوارد على يديه رجوع الاشكرى عن رأيه الاول من النفور والارعاد والابراق الذى تقدم منه واجيب عنه با كثر من ذلك ويقول انه سير رسل السلطان بعدأن حلف للسلطان بعدان اخرالرسول الى وفاة الملك بركة وجلوس ولداخيه بعده ويسال استمرارالسلطان على صلحه ويسأل الدخول فى صلح السلطان مع ابغا ولد هلاكو ملك التتار وانه يقرر هذا الامر وكذلك مع بيت بركة فحررت نسخة مــن السلطان للاشكرى مضمونها الاجابة الى ملتمسه من اليمين والى تقرير صلحه مع الملك منكو تيمر بن طغان واما ابغا فماله الا السيف وهو مطلوب منا بثار المسلمين وسأل يعنى الاشكرى فى نسخة اليمين ان يكون السلطان صديق صديقه وكان قصده بذلك ان يدخل ابغا بن هلاكو فى هذا اليمين لانه صهره فما اجاب السلطان الى ذلك فلما حلف الاشكرى جهز السلطان رسل الملك بركة الذين كانوا عنده حين وفاة بركة وكان اخرهم لاجـل مخالفة الاشكرى وارسل على ايديهم كتابا الى الملك منكوتيمر ابـن اخى الملك بركـة بالاغراء على بيت هلاكو وان اجفا هم لاتزول والتهويل ببلاد السلطان وعساكره وحديث الاشكرى وتقرير صلحه معه والشفاعة فى امره وجهزت معهم هديه للملك منكوتيمر والله اعلم وقال العينى فصل فيما وقع من الحوادث سنة ٦٦٧ وكان ببابه يعنى الملك الظاهر جماعة من الرسل مــن جهة الملوك فجهز هم وسفر صحبتهم

(١) هكذا هذه اللفظ فى النسخة المنقول عنها لعله ونزل المقدم نوغاى هناك يعنى قائد جيش منكوتيمر . منه عفى عنه .

رسله وهداياه وهم رسل منكوتيمر ورسل جاولا اخى ريدا فرنس ورسل المغرب ورسل الاشكرى صاحب القسطنطينية اﻫ وقال الشيخ ابو على ناصر الدين الشافعى ابن على ولما عاد السلطان الى دمشق المحروسة فى سنة ٦٦٧ صادف وصول رسل ابغا بن هلاكو ورسل الاشكرى ورسل الملك منكوتيمر فلما استقر بقاعة دمشق جلس بايوانها الكبير فاحضر الرسل وسمع مشافهاتهم وجهز رسل ابغا ورسل النكفور ورسل منكوتيمر القائم بعد بركة بالتكريم والتعزيز اﻫ

ذكر قصد الملك منكوتيمر القسطنطينية وقال العينى وفى سنة ٦٦٨ حصل بين منكوتيمر بن طغان ملك التتار بالبلاد الشمالية وبين الاشكرى صاحب القسطنطينية وحشة فجهز منكوتيمر الى القسطنطينية جيشا من التتار فوصلوا اليها وعاثوا فى بلادها ومروا بالقلعة التى بها عز الدين كيكاوس بن كيخسرو السلجوقى سلطان بلاد الروم وكان محبوسا بها كما ذكرنا فى سنة ٦٦٢ فحمل التتار باهله ونسائه الى منكو تيمر فتلقاه بالاكرام وعامله بالاحترام واقام فى بلاد قريم وزوجه بامرأة من اعيان نسائهم تسمى ارباى خاتون من بنات بركة وقال (هذا ايضا من كلام العينى) فى تاريخ بيبرس جهز منكو تيمر جيشا(١) الى استانبول وقصد اخذها من الاشكرى لموجدة صارت بينهما فوصل العسكر المذكور الى استانبول فى زمن الشتاء وعساكر بالتولوغس متفرقة فى البلاد وكان رسول السلطان الظاهر اذذاك الوقت عند الاشكرى وهو الفارس المسعودى فخرج الى جيوش التتار وتحدث مع مقدمهم وقال انا رسول الملك الظاهر صاحب مصر متوجه الى الملك منكو تيمر وانتم تعلمون ان صاحب استانبول صلح مع السلطان وان استانبول مصر ومصر استانبول وبين استاذى واستاذكم

---

(١) وهذا الجيش توجهت من طرف روم ايلى ومن بلاد بلغار طونة ولعله وقع بينهم وبين البلغار قتال وهذا الذى اوقع الفاضل المرجانى فى الوهم فزعم انه بلغار قزان تبعا لابى الغازى خان وليس الامر كذلك وهذا الذى وعدنا ذكره عند ذكر تشكل دولة التتار فتذكر . منه عفى عنه .

الملك منكو تيمر صلح فارجعوا من ههنا فاغتروا بقوله ورجعوا عن استانبول وعبروا ببلادها ونهبوا ماشاؤ وامروا بالقلعة التي كان السلطان عزالدين كيكاوس صاحب الروم مسجونا بها فاخذوه وحملوه الى منكو تيمر كما ذكرناه الآن واما المسعودى فان الاشكرى انعم (١) عليه بمال وقماش وتوجه الى منكو تيمر فهم بضربه لكونه صدجيشه عن استانبول وردهم دون بلوغ المأمول فشفع فيه فعفى عنه ولما عاد الى الملك الظاهر خاف على نفسه من هذه الجريمة واتفق وصول بعض التجار فاخبر السلطان بهذه الاخبار فقبض عليه وضربه واعتقله اه وقال النويرى وفي سنة ٦٦٨ جهز منكو تيمر جيشا الى استانبول وكان رسول السلطان الملك الظاهر ركن الدين يوم ذاك عند الاشكرى وهو فارس الدين المسعودى فخرج المذكور الى عسكر منكو تيمر وقال انتم تعلمون ان صاحب استانبول صلح مع صاحب مصر وانا رسول الملك الظاهر وبين استاذى وبين الملك منكو تيمر مراسلة ومصالحة واتفاق واستانبول مصر ومصر استانبول فرجعوا عنها ونهبوا بلادها فلما وصل الفارس المسعودى فى الرسلية الى الملك منكو تيمر من جهة السلطان انكر عليه كونه صدجيوشه عن اخذ استانبول وكان المسعودى قد فعل ذلك من قبل نفسه وبرأيه لابرأى السلطان الملك الظاهر وامره فلما عاد المسعودى الى الملك الظاهر نقم عليه وضربه واعتقله ولما كان جيش منكو تيمر باستانبول ورجعوا مروا بالقلعة التي فيها السلطان عزالدين كيكاوس صاحب الروم معتقلا بها فاخذوه منها واحضروه الى الملك منكو تيمر فاكرمه واحسن اليه واقام عنده الى ان مات ودامت ايام منكو تيمر الى سنة ٦٧٩ اه وقال ابوالفدا وفيها يعنى سنة ٦٦٨ حصل بين منكوتيمر ابن طغان ملك التتار بالبلاد الشمالية وبين الاشكرى صاحب القسطنطينية وحشة فجهز منكو تيمر الى قسطنطينية جيشا من التتار فوصلوا اليها وعاثوا فى بلادها ومروا بالقلعة التي فيها

---

(١) يعنى فى مقابلة نفاقه وخيانته بعسكر منكوتيمر. منه عفى عنه .

عزالدين كيكاوس بن كيخسرو ملك بلاد الروم محبوسا كما قدمناذكره فى سنة ٦٦٢ فحمله التتار باهله الى منكو تيمر فاحسن اليه وزوجه واقام معه الى ان توفى عزالدين المذكور سنة ٦٧٧ فسارابنه مسعود الى بلاد الروم وصار سلطان الروم اه ومثله بعينه فى مختصره لابن الوردى فهؤلاء كلامهم صريح فى ان نجاة السلطان عزالدين من الحبس فى سنة ٦٦٨ فى ايام منكو تيمر وكذلك اطلاق فارس الدين المسعودى فى كلام اكثرهم هذا مع قطع النظر عن مخالفته لماذكره غيرهم من كون نجاة الاول والطلاق الثانى فى سنة ٦٦٥ على مامر بيانه ونقله عن المفضل والذهبى وبيبرس بعيد عن قبول العقل فانه يلزم على هذا تعويق الاشكرى لرسول الملك الظاهر مدة سبع سنين وهذا ممالايجوزه العقل ولايسوغه النقل لانه تقدم نقلا عن ابن الفرات ان الاشكرى ارسل الى الملك الظاهر فى سنة ٦٦٧ يقول له انه الملق رسله بعدان حلف للسلطان وبعدان اخرهم الى وفاة بركة وانه قد تجدد الصلح بينهما ودخل فى هذا الصلح ايضا الملك منكو تيمر فكيف يجوز للسلطان ان يضرب رسوله لصده جيش منكو تيمر عن استانبول بعد انعقاد الصلح بينهم كلافان هذا مما لايجوز نسبته الى الملك الظاهر وانما يفعل ذلك اذا كان قبل الصلح بل حين مخالفة الاشكرى اياه وارعاده وابراقه عليه ولهذا حكمنا فيما تقدم بان القول بكون واقعة تخلص السلطان عزالدين واطلاق فارس الدين فى سنة ٦٦٨ وهم وهو كذلك ويؤيده ما ذكره المقريزى حيث قال وفيها (يعنى سنة ٦٦٦ وقيل سنة ٦٦٨ تنكر الخان منكو تيمر ابن طغان ملك التتار ببلاد الشمال على الاشكرى ملك القسطنطينية وبعث جيشا من التتار حتى اغاروا على بلاده وحملوا عزالدين كيكاوس بن كيخسرو وكان محبوسا كما تقدم فى قلعة وساروا به وباهله الى منكو تيمر فاكرمه وزوجه واقام معه حتى مات فى سنة ٦٧٧ فسارابنه مسعود بن عزالدين وملك بلاد الروم اه انظر كيف جزم الوقعة

سنة ٦٦٦ (١) ثم عبر بقيل المشهور بضعفه فدل على أن هذا القول ضعيف لا يعتد به وان كثر القائل به فان اصل الوهم من واحد منهم والباقون تابعون له فيه ومثله كثير الوقوع فى الامور التاريخية وابعد من قول الكل ماقاله ابن خلدون قال وزحف يعني منكو تيمر سنة ٦٧٠ الى القسطنطينية لجدة وجدها على الاشكرى ملكها فتلقاه بالخضوع والرغبة فرجع عنه اه قال فى تاريخ بيبرس وابى الفدا المانوفى عزالدين كيكاوس فى التاريخ المذكور قصد منكوتيمر ان يزوج ابنه مسعود ابزوجة ابيه اربای خاتون فكره مسعود هذه البدعة وانف مما فيه من الشنعة وقبح السمعة وتجاوز منهاج الشرعة فلم يمكن له مخلص منها الا بهرب عنها فهرب من هناك واستصحب معه ولدين كانا له احدهما اسمه ملك والاخر فرامرد اه واللفظ لبيبرس ومثله فى تاريخ ابن الوردى وزاد فيه قوله اراد ان يزوجه على رسم المغل وهذا يدل على ان منكو تيمر لم يكن مسلما وهو خلاف ماعليه الجمهور ويكذبه احواله واوضاعه من موالاة المسلمين ومحاربة المشركين الى ان يموت وجعل بركة خان اياه ولى عهده وسكته قال الفاضل المرجانى رأيت درهما مضروبا فى بلغار سنة ٦٧٣ منكوب فيه هكذا منكو تيمرخان الاعظم ضرب هذا الدرهم فى بلغار سنة ٦٧٣ وفى الاخر مكتوب هكذا العز الدائم والشرف القائم توكلى على الله فى محرم سنة ٦٧٨ حمد الله لا اله الا الله وحده لا شريك له اه والذى يكون نقش سكته هكذا كيف يقال انه كافر والعجب من المرجانى حيث نقل عن ابن الوردى مامر منه بعد ان ذكر هذا ولم يرد عليه بل سكت وقد ذكر ابن خلدون قصة مسعود بن عزالدين كيكاوس بوجه آخر وهاك نصه قال بعد ان ذكر محبس عزالدين كيكاوس ثم وقعت بين

---

(١) وقد جعل ابو الغازى قصده بلاد بلغار يعني بلغار طونه عقيب جلوسه قبل محاربته ابغاخان وقال انه يعنى عسكره بقى فى ذلك السفر سنتين فوهم الفاضل المرجانى منه انه بلغار قزان وليس كذلك ومراد ابى الغازى بالبلغار هو بلغار طونه وهو حين قصد قسطينية ولم يذكره ابو الغازى بهذا العنوان لعله لعدم اطلاعه على ذلك والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

الاشكرى وبين منكو تيمر بن طغان ملك الشمال من بنى دوشى خان
ابن جنكز خان فتنة فعزا منكو تيمر القسطنطينية وعاث فى نواحيها فهرب اليه
كيكاوس من محبسه فمضى معه الى كرسيه بصراى فمات هنالك سنة ٦٧٧ وخلف
ابنه مسعود اوخطب منكو تيمر ملك سراى امه فمنعها وهرب عنه ولحق
بابغا بن هلاكو ملك العراق فاحسن اليه واقطعه سيواس وارزن الروم
وارزنكان فاستقر بها وبقى ملكا بها الى سنة ٧١٨ واصابه الفقر وانحل امره اه يعنى
ومات فى السنة المذكورة والله سبحانه اعلم قلت وهذا هو الحقيق بالقبول
فانه بعد ان دخل نور الاسلام فيما بين ملوك تلك الديار ما انقشتهم ظلمة
الكفر نعم قد قل تمسك من جاء بعد بركة خان منهم بعروة الشريعة الى
عصر السلطان اوزبك خان ونعم ما قال ابن فضل الله العمرى ومع ظهور
الاسلام فى هذه الطائفة واقرارهم بالشهادتين فهم مخالفون لاحكامها فى
كثير من الامور . واول هذه الطائفة وآخرها لا يقفون مع ياسة جنكزخان التى
قررها لهم وقوف غيرهم من اتباعه مع مؤاخذة بعضهم لبعض اشد المؤاخذة
فى الكذب والزنا ونبذ المواثق والعهود اه وهذا هو الحق الصريح فلا نلتفت
الى قول من يشعر قوله بتلاعبهم فى الدين حاشاهم من ذلك ومما هنالك
هذا قال المورخ كارامزين الروسى لما قبلت التتار الدين الحمدى ودخلوا
فيه اقبلوا عليه بكليتهم وزاد حرصهم فيه خصوصا الملك بركة فانه لما اعلن
نفسه بانه خادم الشريعة والقران ودين الاسلام اسلم الاهالى كلهم تبعا لخانهم
ولما تفوه واحد من الروس يسمى رومانا فى عصر الملك منكو تيمر بان
دين الاسلام كذب سلخوه وملاه واجلده بالتبن اه وقدمر ذلك فى ترجمة
بركة خان قال الذهبى وابن كثير والعينى وغيرهم وفى سنة ٦٦٩ جاءته
يعنى الملك الظاهر وهو بعسقلان من ديار الشام البشارة بان منكو تيمر
كسر جيش ابغا ففرح السلطان بذلك فرحا عظيما وقال فى تاريخ بيبرس
وفيها (يعنى فى سنة ٦٦٩) ورد كتاب من يسو نوغاى قريب الملك
بركة اكبر مقدمى جيشه نسخة صدر هذا الكتاب من يسو نوغاى

الى الملك الظاهر احمد الله تعالى على ان جعلنى من جملة المسلمين وصيرنى ممن اتبع الدين المستبين واصلى على مختتم الرسالة ومعلم الدلالة امام المرسلين وقوام المتقين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اخوانه النبيين واصحابه المنتخبين ارباب الحق واصحاب التمكين وبعد فان كتابنا هذا مشتمل على معنيين احدهما التحية والسلام ما اليك والثانى انا سمعنا من اربوغا انه لصدق عهده مع ابينا بركة خان استخبر عن اولاده واقربائه ومن اسلم منهم فلما اخبرنا بهذا الخبر اخلصنا المحبة للملك الظاهر الوفى بالعهود وقلنا ما استخباره عنا الا لحمية فى الاسلام وصدق نية فى تجديد العهود وكتبنا هذا الكتاب على يد ارتيمر وتوق بوغا معلما انا دخلنا فى الاسلام وامنا بالله وبما جاء من عند الله فليثق بما قلناه ونستن بسنة ابينا بركة خان ونتبع الحق ونجتنب البطلان ولا يقطع ارسال المكاتبة عنا ونحن معك كالانامل لليد نوافق من يوافقك ونخالف من يخالفك اهـ قال فكتب جوابه صدرت هذه المكاتبة الى سامى المجلس العزيز الاصيل المجاهد فى سبيل ربه المستضئ بنور قلبه ذخيرة المسلمين وعون المؤمنين بيسو نوغاى عمر الله قلبه بالايمان وجعله من امر دنياه واخراه فى امان وعامله بما عامل به التابعين باحسان نعلمه بورود كتاب منه سر السمع والقلب وحكم للتوفيق بالغلب ووجدناه مقصورا على افهام ما هو عليه من صحة الاعتقاد والاقتفاء لاثر الملك بركة خان فى اجتهاده فى الدين وجهاده المشركين وهذا كان ظننا به فانه امر لا يترك مثله ولا يلغى وتلونا قوله تعالى ذلك ما كنا نبغى وحمدنا الله تعالى على ان كثر به حزب المؤمنين وجعله فى ذلك الجانب متبتلا لقتال الكافرين وقد علم ان الرسول جاهد عشيرته الاقربين وانكر على من رضى ان يكون مع القاعدين والقصد التذكار بذلك وابلاغ التحية لمن فى الجانب المحروس ممن نور الله بصيرته حتى اهتدى للحق واقتدى بالملك بركة خان رضى الله عنه فى جهاده وداوم على الجهاد الذى كتب الله لنا اجره فى الغرب ولهم اجرهم فى الشرق حتى تنكسر شوكة الكفار وسيعلم الكفار لمن

مغنى الدار وتخذل انصار المشركين وما للظالمين من انصار وتتمنه تتضمن على الاشلاء على التتار والاغراء بهم (يعني بيت هلاكو وقومه) قال ابن الفرات وفى مستهل هذه السنة ٦٦٩ ورد الى الباب الشريف السلطانى الظاهرى ركن الدين بيبرس الصالحى كتاب من بيسو نوغاى اه ومثله فى المقريزى وقال ابن الفرات ايضا وفى ثانى ذى القعدة من سنة ٦٧٠ وصل الخبر الى السلطان الملك الظاهر ان المرسيلية يعنى الافرنج اخذوا مركبا فيه رسل الملك منكو تيمر والترجمان الذى كان توجه من جهة السلطان الملك الظاهر الى الملك منكو تيمر واحضروا اسرى الى عكا فلما بلغ السلطان ذلك خاف ان يتقربوا بهم الى ابغا فطلبهم من الفرنج فاطلقوا رسل السلطان واعتذروا عن الباقين بانهم ماهم من رعية السلطان ولا اخذوا من بلاد الصلح وانما اخذهم غلمان الرى جار فاحتاط السلطان على المرسيلية فى جميع الثغور فارسلوا الرسل بجميع ما اخذ الى السلطان فحضروا الى دمشق واحضروا كتب منكو تيمر بالعربى والعجمى فاذا فيها مكتوب بانهم اعداء اعدائه وانهم على محبته كما كان ابوهم بركة خان ويطلبون منه النجدة على بيت هلاكو والاعانة لاستيصال شافتهم على ان يكون ما فى ايديهم من البلاد للسطان اه ومثله فى تاريخ بيبرس مختصرا وفى تاريخ الذهبى اخصر منه وقال المفضل وفيها (يعنى فى سنة ٦٧٠) وصلت رسل بيت بركة الى السلطان الى دمشق من عند منكو تيمر بن طغان ارسلهم فى البحر وكانوا لما خرجوا من بلاد الاشكرى صادفهم مركب من المرسيليين فاخذوهم ودخلوا بهم عكا فانكر من بها من المتصرفين عليهم وقالوا نحن حلفنا للسلطان ان لانمنع احدا من الرسل من الوصول الى بابه ثم جهزوهم وسيروهم الى دمشق ولم ترد المرسيليين ما اخذوه منهم وكان معهم هدية فلما اجتمعوا بالسلطان عرفوه بما كان معهم فبعث الى الاسكندرية ومنع من كان بها من المرسيليين من التجار عن التصرف والسفر حتى

يعوضوا ما اخذه اصحابهم وكان مضمون الرسالة التى على ايدى رسل بركة مكتوبا بان جميع ما كان فى ايدى المسلمين من البلاد التى استولى عليها بيت هلاكو تكون للسلطان وطلبوا منه ان ينجدهم عليهم ويعينهم على استيصال بيتهم اه وقال ابن الفرات وفيها (يعنى فى سنة ٦٧٠) توجه رسل الملك الظاهر مبارز الدين الطورى وفخر الدين المعزى صحبة البر وانة الى الملك ابغا فوصلوا الى الاوردو واوصلوا الى الملك ابغا هديته بعد ان عبروا بها بين النارين وقصدهم بذلك تطهير (١) الهدية واختيارها لئلا يكون بها سحراوسم وقال الامير مبارز الدين الطورى للملك ابغا السلطان يسلم عليك ويقول ان رسل منكو وردوا اليه مرارا بان السلطان يركب من جهته ويركب الملك منكو تيمر من جهته واين وصلت خيل سلطاننا كان له واين وصلت خيل منكو تيمر كان له فلما سمع ابغا هذا الحديث انزعج له انزعاجا عظيما وقام وركب وخرجت الرسل الى خيامهم ثم طلب امراءه وعمل مشورة وبعد ذلك خلع على الرسل فاذن له فى السفر فحضروا الى الابواب الشريفة اه قلت قد قصد ابغا بعيد ذلك البيرة ولكنه رجع بخف حنين اذوصل اليها الملك الظاهر بنفسه بعد أن ارسل المنصور قلاوون وخاض الفرات مع عساكره وقتل منهم مقتلة عظيمة وهى وقعة مشهورة وفى الكتب مسطورة ثم قال ابن الفرات وفى شعبان من سنة ٦٧١ جهز السلطان رسل الملك منكو تيمر وجهز صحبتهم الامير سيف الدين الصوابى المهمندار وبدر الدين بن عزيز الحاجب وجهز صحبتهم رسل الملك الاشكرى وسير صحبتهم هدايا وعقاقير وما كان الملك منكو تيمر طلب الحاقه به وكتب الى الملك منكو تيمر بحديث

---

(١) وقد تقدم مثل ذلك عند ذكر احوال باتو والحاصل كان ذلك عادة التتار وكان اطباء هذا العصر استنبطوا بدعة التبخير من هذا كما انهم اخذوا احراق ملابس المرضى وفرشهم من جاهلية الروس فانهم كانوا يفعلون هذا على ما ذكره كارامزين فى بعض مواضع من تاريخه . منه عفى عنه .

ايضا وحضور رسله ومحاصرة عسكره للبيرة والنصرة عليهم وهزيمتهم وما اتفق فى امرهم والله اعلم اه ومثله فى المقريزى مختصرا جدا وفى تاريخه غلط وقال العينى وفى شعبان من سنة ٦٧١ ارسل السلطان الملك الظاهر الى منكو تيمر بهدايا عظيمة وتحف كثيرة اه قال ابن الفرات والمقريزى وفى مستهل رجب من سنة ٦٧٤ توجه السلطان من دمشق الى مصر مدخل قلعة الجبل فى ثامن عشرة وقدمت هدية صاحب اليمن من جملتها كركدن وفيل وحمار وحشى عنابى فسير اليه هدية مع رسله وكذلك رسل الملك منكو تيمر جهزهم الى مخدومهم وسير صحبتهم هدية فاخرة له وللملوك بيت بركة وسير صحبتهم رسله وهم الامير عز الدين ايبك الفخرى والبغدادى احد المماليك السلطانية اه قال الذهبى وفى ربيع الاول سنة ٦٧٦ قدمت رسل بيت بركة فى البحر وطلعوا من الاسكندرية اه قلت قدتو فى الملك الظاهر بيبرس سلطان مصر فى محرم افتتاح سنة ٦٧٦ ثم تملك بعده ولده الاكبر الملك السعيد محمد بركة فيكون قدوم الرسل المذكورين بعد تسلطنه ثم خلع فى سنة ٦٧٨ وولى مكانه اخوه الملك العادل سلامش ثم عزل بعد خمسة اشهر لصغره وتسلطن بدله السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى الالفى فى السنة المذكورة اول الملوك القلاوونية وابوهم واصله ايضا من بلاد القفچوق اشترى بالف دينار ولذا نسب الى الالف قال فى روضة الصفا ان الملك الظاهر رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقلده سيفا فتسلطن بعد جمعة من رؤياه ولما عاد من وقعة البيرة الى دمشق رآه صلى الله عليه وسلم ثانيا فاخذ عنه السيف واعطاه القلاوون فلما استيقظ تيقن ان امره قد بلغ نهايته وان السلطنة تنتقل منه الى قلاوون ففاوضه ووصاه بان يحسن الى اولاده رحمهم الله سبحانه رحمة واسعة ولما جلس الملك المنصور قلاوون على كرسي المملكة بدأ بارسال الرسل الى الملوك يعرفهم بجلوسه ويستجلب محبتهم ومودتهم منهم بل اولهم

الملك منكو تيمر قال فى تاريخ بيبرس لما جلس الملك المنصور قلاوون فى الملك ونظر فى احواله بدأ بما يجب ان تبدأ الملوك بفعله فارسل الى كل جهة بتغير الارسال اليها فارسل الى قيد وملك التتار بالبلاد الشرقية وهو قيد وبن قاشين بن اوكداى بن چنكزخان يغريه باعاديه ويحرضه على مغازيه وارسل الى الملك منكو تيمر ملك التتار بالبلاد الشمالية يخبره بجلوسه على المرتبة الملوكية واستقراره فى سلطنة الممالك الاسلامية ويجدد معه المودة ويحرضه على قتال الكفرة والمردة اه قال ابن الفرات والمقريزى وغيرهما ممن اعتنى بضبط احوال هؤلاء الملوك وفى هذا الشهر (يعنى ربيع الاول من سنة ٦٧٩) توجه شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخاص تركى رسلا الى الملك منكو تيمر فى البحر وكتب على ايديهم كتاب للسلطان غياث الدين انشاء القاضى محى الدين بن عبد الظاهر اه

ذكر وفاة الملك منكو تيمر قال فى تاريخ بيبرس والنويرى وغيرهما ومعهم (١) الهدايا وهى ستة عشر تعبية منها ماهو للملك منكو تيمر ومنها ماهو لنوغاى ومنها ماهو للملك اوكجى اخى الملك منكوتيمر ومنها ماهو لتدان منكو اخى منكو تيمر وهو الذى اخذ الملك بعده ومنها ماهو لتلابغا بن منكو تيمر ومنها ماهو للخواتين چچك خاتون والجى وتونكين خاتون وتونابن خاتون وسلطان خاتون وقطلو خاتون ومنها ماهو للامراء وهم الامير ماؤ وامير الميسرة والامير طيسر امير الميمنة ومنها ما للقتلق زوجة اوكجى ومنها ماهو للسلطان غياث الدين ابن السلطان ركن الدين صاحب الروم وذلك من كل شىء يهدى مثله من الاقمشة الفاخرة والحلل الزاهرة والتحف الثمينة والقسى والجواشن والخود لكل احد على مقداره ولما وصلوا وجدوا الملك منكو تيمر قد مات وجلس مكانه تدان منكو وذلك يعنى جلوسه فى جمادى الآخرة سنة ٦٨٠ وقيل فى شهر ربيع الاول سنة ٦٧٩ يعنى بعيد وفاة الملك منكو تيمر فسلموا اليه التقادم

---

(١) يعنى مع الرسل المذكورين شمس الدين سنقر ورفقته منه عفى عنه .

ففرحوا بها واجتمعوا بعني الرسل ببوغاى وبجميع من سيروا اليه بالاقبال والقبول ووردت كتب الرسل الى الابواب السلطانية مخبرة بذلك وعاد هؤلاء الرسل فى شهر رمضان المعظم قدره سنة ٦٨١ ومعهم رسل من الملك اوكجى وغيره واخبروا بما جرى وقالوا ان الكسرة التى على حمص بلغتهم فى شعبان وكانت فى رابع عشر رجب (١) ان نوبة حمص مشهورة وهى ان ابغا الطاغية ابن الطاغية هلاكو جمع عساكره وزحف بمائة الف عسكر الى بلاد الشام وارسلهم تحت قيادة اخيه منكو تيمر بن هلاكو الى حمص وبقى نفسه فى الرحبة بعساكره الخاصة فنزل منكو تيمر بن هلاكو بظاهر حمص واستقبلهم الملك المنصور قلاوون بالعساكر الاسلامية فانزل الله نصره على المسلمين وولى الكفار الادبار منهزمين وقتلهم المسلمون شر قتلة واسروا وغنموا مالا يحصى وكان ذلك فى رجب سنة ٦٨٠ فمات منكو تيمر اخو ابغا بن هلاكو بعد ذلك الانهزام بمدة يسيرة مقهورا مكمودا وكذلك ابغا لم يلبث بعد ذلك الا قليلا حتى سقط عليلا ومات ذليلا واما منكو تيمر بن طغان ملك البلاد الشمالية وصاحب الترجمة فقد كان وفاته على الصحيح والصواب فى ربيع الاول من سنة ٦٧٩ وبلغ خبر وفاته سمع السلطان بمصر فى سنة ٦٨٠ وقيل بعدها وبهذا السبب غلط بعض مورخى ذلك العصر وقال ان الملك منكو تيمر بن طغان مات فى سنه ٦٨٠ وقال بعضهم فى سنة ٦٨١ والصواب ماذكرناه لماذكرناو لما نذكره والله سبحانه اعلم فبين وفاة منكو تيمر ونوبة حمص الكبرى سنة كاملة وثلاثة اشهر وان رسل السلطان الملك المنصور قلاوون عند الملك تدان منكو الجالس على كرسى السلطنة بالبلاد الشمالية بدل منكو تيمر فى العز والاكرام ونهاية الاجلال وغاية الاحترام وان بين هذين الملكين الود التام كما كان فى سالف الايام فمن احاط بذلك ووعى ما هنالك فلا اظنه يرتاب فى ان قول ابن خلدون ومن تبعه من ان منكو تيمر بن طغان ملك

(١) والذى ورط ابن خلدون فى هذه الورطه هو الاشتراك فى الاسم وقرب زمن موتهما والله سبحانه اعلم فلوكان منكو تيمر شاركهم فكيف يقولون ان الكسرة التى على الحمص بلغتهم فى شعبان وكيف يظهرون لاجله الفرح مع اشتراكهم فيها وباى وجه يأتون عند السلطان قلاوون وكيف يقبلهم السلطان قلاوون بتلك النفاق العظيم كلا . منه عفى عنه .

بلاد الشمال اتفق مع ابغا وزحف فى سنة ٦٨٠ الى الشام فى مظاهرته
الخ زلة قدم وطغيان قلم الان يكون اسير التقليد ومتجمدا فيه كيف
لا وهؤلاء المورخون الذين نقلنا عنهم قد ضبطوا احوال هؤلاء الملوك
ضبطا محكما متقنا بتعيين الاعوام والشهور والايام واكثرهم من مورخى
ذلك العصر وابن خلدون مانقل اخبار هؤلاء الملوك الاعن كتبهم ولاذكر
الاثار الا اخذا من زبرهم كما اعترف به نفسه وقد سردنا نحن ايضا احوالهم
على ترتيب السنين والشهور اخذا من كتبهم كما عرفت وتخطئة مثل ابن
خلدون فى الامور التاريخيه وان كانت ترى فى النظر العامى مستبعدة
ولكن من اجال نظره فى بشريته واعمل قوته الفكرية فى غير
معصوميته وان تخطئته اهون من تخطئة هؤلاء المورخين الكبار الذين اخذ
ابن خلدون الاخبار الماضية من كتبهم لايستبعد ذلك وهان عليه اسناد
الخطاء اليه فيما هنالك والحق احق بالاتباع وشأن المنصف ترك الجدل
والنزاع وانا اقسم ببارئى النسم وخالق النون والقلم وجاعل النور والظلم
قسما بارا ان المحبة والمودة بين ملوك هاتين المملكتين لم تزل تزيد
وتنمو عاما فعاما وشهرا فشهرا الى ان قضى الله سبحانه بانقضاء مدة دولة
الملوك الشمالية وانقراضهم وتشتت شملهم وتفرق جمعهم وان الملوك
الشمالية لم يلوثوا ايديهم بدماء المسلمين ولا اعانوا عليهم احدا قط
كسائر اولاد چنكز خان بل كانوا فى نصرة المسلمين وموالاة الموحدين وجهاد
اعداء الدين دائما قولا وفعلا من لدن الملك باتو وبركة الى زمن انقراضهم
كما عرفت ذلك وتعرفه ان شاء الله فيما بعد وقد كانوا سد اليأجوجى
الروسية ومأجوجها وكان سائر بلاد المؤمنين آمنين من شر الروسية
ومطمئنين ما داموهم ثمة موجودين ولما هد ذلك السد وكان دكاء انتشر
يأجوج الروسية ومأجوجها الى سائر البلاد وشرعوا فى اذاقة انواع العذاب
للعباد وكان وعد ربى حقا ومقدمات اتفاقاتهم المذكورة وان لم تنتج النتيجة

المطلوبة اعنى استيصال بيت هلاكو ورفعهم من البين كما صرحوا به مرارا ولكن لم يكن ذلك من قصور فى بيت بركة وتقاعدهم من الحركة فانهم لم يقصروا فى الهجوم عليهم والزحف اليهم وكسر شوكتهم ودفع صولتهم فاثمر ذلك الكف عن التعرض لبقية بلاد المسلمين والانكسار والانهزام حين التعرض لها وهذا ثمرة عظيمة ونتيجة فخيمة وانما اكتفى ملوك مصر بحفظ الحدود والدفع عن الثغور ولم يزحفوا الى الممالك الايرانية مع دعوة الملوك الصائبة اعنى اولاد باتو اياهم الى ذلك لاشتغالهم باصلاح الامور الداخلية وقتال الافرنج فى البلاد الساحلية فان ترك هؤلاء الافرنج الذين هم فى وسط مملكتهم والاشتغال بقتال بيت هلاكو ودفعهم عن بلاد العراق واصفهان مع غاية بعدها عنهم بعيد عن طور عقول العامة فضلا عن تدابير الملوك المتصفين بالعقول التامة ولهذا اكتفوا باغراء بيت بركة بهم وسوق قيدوا حفيد اوكداى قاآن اليهم وفرغوا بذلك لقتال الافرنج ودفعهم عن البلاد ولولا ذلك لكان الامر فى خطر عظيم من جهتهم مع ان الله سبحانه فى ذلك اسرارا خفية وحكما مخفية اشير الى نظيرها بقوله سبحانه وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم الآية فكما ان الحق سبحانه كف يد حبيبه واصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام عن قريش بعد ان اظفرهم عليهم ليتشرفوا بشرف الايمان ويتخلصوا عن دركات النيران حتى امنوا به عليه الصلاة والسلام وانتظموا فى سلك اكابر اصحابه الكرام ولولا ذلك لحرموا سعادة التشرف بشرف الاسلام كذلك كف الله سبحانه ايدى ملوك مصر عن بنى هلاكو ليتشرف من اراد الله بهم منهم السعادة بشرف الايمان فى اقرب الازمان حتى آمن ولد هلاكو من صلبه نكو دار اولا ثم الملك محمود غازان خان ابن آرغون خان ابن هلاكو وفى زمنه تشرف بشرف الاسلام جميع التتار الكائنين تحت حكومة بنى هلاكو ولم يبق احد من التتار على الكفر بل خرج كلهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم هذا ولنرجع الى بيان بقية
احوال الملك منكوتيمر حسب اطلاعنا عليه قال في روضة الصفا لما وصلت
نوبة السلطنة بما وراء النهر الى براق خان حفيد چغطاى بن چنكز خان سلك
مسلك الظلم والتعدى وجاوز الحد في مصادرات اموال الرعايا فلما فرع
ذلك سمع قيدو خان حفيد اوكداى قاآن وكان خانا في حدود تركستان اراد
ان يدفع ظلمه عن الرعايا فجمع العساكر وقصد براق خان فلما التقى
الجمعان انهزم قيدو فزاد ظلم براق خان وتعديه فلما سمعه منكوتيمر خان
وكان في ذلك الوقت مشهورا بمزيد الشوكة من بين اولاد چنكز خان ارسل
عمه بركجار بن باتو بخمسين الفا من عساكر التتار الجرار لامداد قيدو
وجمع قيدو ايضا عساكره المتفرقة وقصدا براق خان ثانيا فلما التقى الجمعان
انكسر براق خان وعاد الى بلاده منهزما واراد من شدة غيظه نهب اموال
الرعايا كلها فلما بلغ ذلك الخبر قيدو خان وبركجار ومن معهم استشاروا
فيما بينهم فقال بركجار نسوق العسكر نحوه فورا وندفعه من البلاد
ونخلص من ظلمه الرعايا والعباد فقال له قيدو انه اذا اطلع على اننا
توجهنا نحوه لمحاربته يزيد في ظلمه وعمايته وغوايته فيفوت المقصود
الذى هو دفع ظلمه من الرعايا فالاصوب ان نرسل اليه رسولا فصيحا
عاقلا مدبرا عالما باساليب الكلام وقادرا على ايراد ما يفيد المرام
فينصحه ويدعوه الى الصلح والسلم ويحذر وخامة عاقبة البغى والظلم
والطغيان فارسلوا اليه قبچق اوغل وكان ممتازا من بين اقرانه بكمال
العقل والكياسة والفصاحة والفراسة فحصل المقصود بحسن نصيحته
وتقرر الامر على الصلح والتوادد الذى لا يشك في حسن نتيجته وتواعدوا
ان يجتمع هؤلاء الخوانين في فصل الربيع فلما اجتمعوا واجروا
مراسم الفرح والسرور تكلموا وتباحثوا عن سوء عاقبة الظلم وقبحه
وشناعة تخريب البلاد ومصادرة اموال العباد فشكا براق خان من قلة
موارده فتقرر الامر على ان يكون ثلثا بلاد ما وراء النهر لبراق خان

والثلث الباقي لقيدو ومنكو تيمرخان وقالوا لبراق خان فان كان ولابد فعليك ببلاد ابغا بن هلاكو ووعده قيدو بامداده ونصرته بعساكره لهذا المطلوب فحدثت الفتن والقتال والنزاع والجدال بين براق خان وابغا من هذا الوقت وامتدت الى مدة مديدة اه مختصرا وقد تقدم ان منكو تيمرخان توفى فى ربيع الاول سنة ٦٧٩ وهذا هو الصحيح والصواب وقالوا ان سبب موته انه طلع له دمل فى حلقه فبطه فمات منه بموضع يعرف بافاقوية وخلف من الاولاد الذكور تسعة وهم الغى وامه چچك (١) خاتون وكان لها حرمة وبسطة لانها من الذرية القاآنية وبرلك وصراى بغا وطغرلجا وملغان وتدان وطغطاى وقدان بالقاف والدال وقيل بالزاى وقطغان وكان له من الاخوة لابيه تدان منكو واوكجى وكان مدة سلطنة قريبة من ست عشرة سنة وكان فى زمنه اوائل ظهور الدولة العلية العثمانية ايدهم الله سبحانه ما داموا متمسكين بعروة الشريعة الغراء وفى عصره ايضا احصوا نفوس الروس وقيد وهم فى الدفتر وصاروا يأخذون الجزية بموجب ذلك وكان ذلك سنة ١٢٧٦ مصادفة سنة ٦٧٠ ه فبقيت الروس تحت حمل ثقيل بالضرورة لكونهم خاضعين للتتار لاعترافهم بسيادتهم قاله كارامزين الملك تدان منكو خان ابن طغان بن باتو بن جوجى بن چنكز خان وهو الذى قتلت امه بعد موت باتو لمراسلتها هلاكو كما مر ولما مات الملك منكو تيمرخان فى التاريخ المذكور جلس مكانه واستقر فى الملك ودفع اولاد اخيه عنه وكان اكبر اخوته ذكر فى بعض (٢) التواريخ الفارسية ان تدان منكو لما تملك شرع فى الظلم وهرب طغطاى ابن اخيه الملك منكو تيمر من ظلمه الى بعض

(١) اوقد قدم ان برکه خان قد اسلمت زوجته چچك خاتون معه ولم ادر هل هذه هى تزوجها منكو تيمر بعد موت بركة على ما هو عادة القزاق الى الآن او غيرها والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

(٢) وكذا ذكره ابوالغازى خان فى تاريخه . منه عفى عنه .

النواحي اه نقل ذلك الفاضل المرجاني في تاريخه وافروعندي ان هذا غير صحيح فان احواله تشهد بخلافه كما ستطلع عليه ان شاء الله تعالى والظاهران هذا هو تلابغا يدل (١) عليه وقعة تلابغا على ما سيأتي والله اعلم ذكر سلوكه مسلك اسلافه في مراسلته ملوك مصر قد تقدم قدوم رسل الملك المنصور قلاوون الذين كان ارسلهم بالهدايا الى الملك منكوتيمر على البلاد الشمالية وتصادفهم موت منكوتيمر وتسليمهم الهدايا المذكورة الى تدان منكو وفرحه بها وهو اول مناسبتهم ومراسلاتهم وقال بيبرس والنويري وابن الفرات والمقريزي وصاحب سيرة الملك قلاوون وغيرهم وفي رمضان سنة ٦٨٢ وصل نفران رسولا من جهة تدان منكو الجالس على كرسي الملك ببلاد بركة باسلامه وينبئان بتملكه وهما من فقهاء القفجق احدهما يسمى مجد الدين آتا والاخر نور الدين آتا واحضرا على ايديهما كتابا من جهته بالخط المغلي فعرب فكان مضمونه الاعلام بدخوله في دين الاسلام وجلوسه على التخت وانه اقام شرايع الدين ونواميس المسلمين واوصى على الفقهاء الواصلين وان يساعد وهم على الحج المبرور الذي جاؤا له قاصدين وذكرا من السنتهما مشافهة ان الملك سأل السلطان ان ينعته نعتا ينسمى به من اسماء المسلمين وان يرسل اليه علما خليفتيا (٢) وعلما سلطانيا يقاتل بها اعداء الدين فاهتم مولانا السلطان بامرهم وجهزهم الى مكة صحبة الركب بما يحتاجون اليه من جملة صدقاته التي كثرت مؤنتها وعظمت كلفتها وتضاعفت مثوبتها فلما عادوا من مكة المكرمة وحضروا الحضور الشريف كتب الاجوبة على ايديهم واحسن اليهم غاية الاحسان وسفرهم على اتم حال واحسنه اه قال في تاريخ بيبرس وفيها (يعني في سنة ٦٨٢) جهز السلطان سيف الدين بلبان الحلبي الكبير ومظفر الدين موسى بن نمرش رسلا الى تدان منكو ونوغاي وقيدو ومعهما الامير

١ ويدل عليه ايضا ان ابا الغازي لم يذكره بالكلية فاشتبه عليه الامر فاسند الى تدان منكو اوصاف تلابغا فتبعه المرجاني في ذلك. منه عفي عنه.

٢ هكذا في الاصل المنقول عنه ونحن طربناه على غره. منه عفي عنه.

قطعان وشمس الدين بن ابى الشوارب قال فى سيرة الملك المنصور وفى هذه السنة (يعنى سنة ٦٨٥) وصل مجد الدين آنا رسول الملك تدان منكو الذى كان حضر قبل ذلك وتوجه الى الحجاز كما مر ذاكرا ان الاجابة قد حصلت الى جميع مطلوب مولانا السلطان وسير فى جواب ذلك الامير سيف الدين بلبان الغتمى رسولا وسير معه هدايا وتحفا وخيلا مسومة بسروجها وعددها وهى سنة رؤس وتوجهوا وفى هذه السنة وصل رسول نوغاى صحبة زين الدين النيزينى اه قلت لم اقف على ما طلبه السلطان من تدان منكو واعله الاتفاق والاتحاد او عمارة الجامع بقرم بقرينة ما سيذكر و مجموع ذلك او شئ آخر والله اعلم قال ابن الفرات وعاد الملك المنصور من تل العجول الى الديار المصرية ووصل الى قلعة الجبل يوم الاثنين ثالث عشرى شوال من هذه السنة (يعنى سنة ٦٨٦) وجهز لبيت بركة هدايا فاخرة وتحفا زاهرة من الاقمشة النادرة والعقاقير اكثر مما جرت به العادة واصناف البضايع قيمتها الفى دينار لاجل الجامع الذى (١) يعمر بقرم ويكتب عليه القاب السلطان الملك المنصور وارسل ذلك صحبة الرسل وتجهز ايضا معهم حجار نقاش بنقش الالقاب السلطانية على الجامع المذكور ويكتبها بالاصباغ والادهان اه قال فى تاريخ بيبرس والمقريزى وغيرهما وفيها (يعنى فى سنة ٦٨٦) اظهر تدان منكو بن طغان التوله والتخلى عن النظر فى امور المملكة والتزهد عنها والانقطاع الى المشايخ والفقراء والالمام بالعباد والصلحاء والقناعة باليسير عن الكثير فقيل له ان الملك لابد له ملك يسوسه فاشار بانه قد نزل عنه لابن اخيه تلابغا وطابت نفسه بذلك فوافقه الخواتين والاخوة والاعمام والاقارب والالزام وكانت مدة تملكه حول خمس سنين وكان له من الاولاد ازمنكى وسراى تيمور

(١) لم ار ذكر هذا الجامع فى موضع من المواضع الا ان ابن بطوطة قال فى رحلته الشهيرة ولقيت بهذه المدينة يعنى مدينة قريم فلانا وفلانا وخطيب الشافعية ابابكر وهو الذى يخطب بالمسجد الجامع الذى عمره الملك الناصر رحمه الله تعالى بهذه المدينة اه ولعل صوابه الملك المنصور يدل عليه ان الملك الناصر كان حيا فى ذلك الوقت. منه عفى عنه.

وسكباي قال الحاج عبد الغفار افندي ان تدان منكو كان ناقص العقل ولما جاءه سفير مما وراء النهر لتبريك جلوسه تفاوض الوزراء فيما بينهم بانهم يدخلونه على الخان اولا فاستقر رأيهم على انهم يربطون حبلا برجله ويجلسون واحدا تحت سريره يأخذ من رأس ذلك الحبل فاذا شرع في الهذيان يجر الحبل فيمتنع الخان من هذيانه وقالوا ذلك ايضا للخان وقالوا له لا تتكلم بسوى ثلاثة كلام وهي ان تسأل عن احوال الخان المرسل اليه ذلك السفير وصحته وعن احوال مملكته وعن امنيته من تعدى احد ووصوله فرضي الخان فادخلوا السفير فسأل عنه هذه الاسئلة الثلاث فسكت قليلا ثم قال له هل في بلادكم فارة قال نعم فجر الشخص المذكور الحبل فسكت ثم قال له ان سوآلي منك كثير ولكن يجرون الحبل فاشار الوزراء للسفير بالقيام فقام وخرج ولما رجع الى بلده واخبر خان ماوراء النهر بما جرى في ذلك المجلس من الكلام وقد سمع الخان المذكور نقصان عقله قال ان هذه من كلام العقلاء الا سوآله عن الفار ولعل ذلك لكونه من العدو ايضا واما حديث جر الحبل فليس من كلام العقلاء قال عبد الغفار افندي وبعد ان مضى من جلوسه عدة من السنين قال اوكلائه يكفي ما قاسيتم من جهتي فانا قد عزلت نفسي وفرغت عن الخانيه فاجلسوا مكاني تلابغا ففعلوه انه الملك تلابغا بن منكو تيمر بن طغان بن باتو بن جوجي بن چنكز خان تملك في السنة المذكورة بعد نزول عمه تدان منكو عن الملك له على ما هو المشروح باتفاق من اركان الدولة ذكر سفر الكرل وحدوث الوحشة بينه وبين الامير نوغاي ولما استقر تلابغا في الملك اراد ان يغزو بلاد الكرل مغيرا عليها فتجهز وسار بعساكره اليها الا غارة عليها وعزو من فيها وارسل الى الامير نوغاي يأمره بالمسير فيمن عنده من العساكر

---

(١) يريدون بكرل بضم الكاف في اصطلاحهم ملك لهستان او ماجار وكانه محقق من قرال ومنها السفراء اما على لهستان او ماجار وقد صرح كارامزين بكونه الى ماجار وقال مات من عسكر تلابغا من الجوع والبرد مائة الف ولم يبق معه غير زوجته . . . عدى عنه .

ليجتمعا على الاغارة على بلاد كرل فسار نوغاى فى التومانات الذين عنده وتوافيا فى المقصد وشنوا الغارة ونهبوا ماشاؤا وقتلوا من شاؤا ثم عادوا وقد تمكن الشتاء وكثرت الثلوج واستصعبت الطرقات فانفصل نوغاى عنه بمن معه من العساكر وسار الى مشاتيه فوصل سالما هو وكل من معه وصار تلابغا يتعسف البيدأ المتوعرة والفيا فى المقفرة فتاه عن جادة الطريق وناله وعسكره غاية الضنك والضيق وهلك اكثرهم من شدة البرد وعدم القوت واضطر هم الحال الى ان اكلوا دوابهم وكلاب الصيد ولحوم من مات منهم لشدة ماناالهم من الجوع ولم يسلم منهم الا القليل وقيل لم يبق غيره وزوجته فعز ذلك على تلابغا وتوهم ان نوغاى انما فعل ذلك بهم مكرا ومكيدة ليهلك عساكره وبيبد عشائره فيفوز هو بالاستقلال اويكاد فاضمر تلابغا له الغدر وابطن له الشر اه من تاريخ النويرى وبيبرس وابن خلدون وغيرهم ذكر مقتل تلابغا ولما استحكم فى قلب تلابغا ماتوهمه فى حق نوغاى وكان ينقم عليه قبل ذلك استبداده فى الامور فتنكر له تلابغا لهذه الاسباب وصمم الفتك به ووافقه على ذلك من حوله من بطانته من الامراء واولاد منكوتيمر المنحازين الى فيئته فجمع العساكر للايقاع به وكان نوغاى شيخا كبيرا مجربا للامور من لدن سلطنة الملك بركة الى هذا الوقت وكان نافذ الحكم فيما بين اولاد جنكزخان وله معرفة وممارسة بالمكائد فنمى هذا الخبر اليه وبلغه جميع ماهم به وانه جمع العساكر الايقاع به ثم ارسل تلابغا يستدعيه اليه موهما انه يحتاج اليه لمشورة يحضرها واشارة يحصرها فراسل نوغاى والدة تلابغا وقال لها ان ابنك شاب قليل الممارسة بالامور واننى اريد ان ابذل له النصيحة واعرفه بما يعود عليه نفعه من مصالح ملكه وترتيب قواعده وتقرير مصادره وموارده ولا يسعنى ان ابديها له الا فى الخلوة بحيث لايطلع مايها سواه واشتهى ان القاه فى نفر يسير ولايكون حوله احد من العساكر التى جمعها اليه فمالت المرأة الى مقالته وانخدعت برسالته واشارت على

ولدهابهوا فقته والاجتماع به وسماع كلماته وثنت عزمه عن مفاسدته ففرق
تلابغاعساكره التى كان جمعها وارسل الى نوغاى ليحضر عنده فتجهز
نوغاى بجميع من عنده من العساكر وسار من ساعته وارسل الى
اولاد منكو تيمر الذين كانوا يميلون اليه وهم طقطاى وبرلسك
وسراى بغاوتدان بان يلحقوا به ثم اخذ السير يطوى المراسل ويدنى المنازل
حتى اذا اقرب من مقام تلابغا الذى تواعدا ان يجتمعا فيه ترك العسكر
الذين معه واولاد منكو تيمر طقطاى واخوته كمينا فى مكان واستصحب
معه نفرا يسيرا وتوجه نحو تلا بغا لتلقيه آمنا مطمئنا ومعه من اخوته
اولاد منكو تيمر الغى وطغر لجه وبلغان وقدان وقطغان وهم الذين
انحازوا اليه فلما اجتمع تلا بغا ونوغاى واخذ فى الحديث والاستشارة لم
يشعر تلا بغا الاوخيول اصحاب نوغاى قد اقبلت وتسايلت عليه فتحير
فى امره وحاق به ما ابرمه نوغاى من مكيدته ومكره ووقف العسكر
منتظرين ما يأمرهم به نوغاى فامرهم بانزال تلا بغا واخوته الذين كانوا
معه عن خيولهم فانزلوهم ثم امرهم بربطهم فربطوهم ثم قال لطقطاى ان
هذا قد تغلب على ملك ابيك وهؤلاء بنو ابيك قد وافقوه على اخذك
وقتلك وقد سلمتهم اليك فاقتلهم انت كما تشأ فقتلهم جميعا بان كسرت
رؤسهم وكسرت ظهورهم وهم تلا بغاوالغى وطغرلجه (١) وبلغان وقدان
وقطغان أولاد منكو تيمر وكان ذلك فى سنة ٦٩٠ اه ماذكره المورخون
المحققون ولكن فى هذا المقام شئ وهو انهم قالوا قاطبة ان اولاد
منكو تيمر الذين اخلفهم تسعه وعدوهم باساميهم كمامر ولم يعد فيهم تلا بغا
ثم قالوا عند ذكر تلا بغا انه ابن منكو تيمر فعلى هذا يكون اولاده
عشرة لا تسعة الا ان ابن خلدون جعل اخا لتدان منكو وجعل تدان منكو

---

(١) وهو والد اوزبك خان وبقى منه اوزبك خان صغيرا وقيل فى حضن امه وقد ذكر الحاج عبد الغفار افندى القريمى فى تخلصه من الموت وتملكه حكايات كثيرة تركتها لعدم الوثوق بها . منه عفى عنه .

من اولاد منكو تمير وهو خطاء بلا ريب فغالب الظن ان تلا بغا ليس ابنا لمنكو تيمر بل هو ابن اخيه اواخوه ويدل عليه ما قدمنا من قول نوغاى لطقطاى ان هذا قد تغلب على ملك ابيك وهؤلاء بنو ابيك قد وافقوه ، الخ فانه لو كان ابنا لمنكو تمير كيف يصح عليه الحكم بالتغلب على ملك ابيه وكيف يناسب قوله وهؤلاء بنو ابيك قد وافقوه الخ فان مثل هذا انما يقال اذا كان تلابغا اجنبيا كما لايخفى والله سبحانه اعلم ومما ذكره كارامزين من الاحوال الجارية فى الروسية فى عصر تلا بغا خان ، كان آليغ وسوه توسلاو حاكمين بكورسكى فى ذلك الوقت يعنى فى عصر تلا بغا وكان من عادات خوانين التتار ان يقيم من طرفهم احد من امرائهم عند حكام الروس يسمونه باصقاقا (وهو كالسفير فى هذا العصر) وكان الباصقاق فى كورسكى فى الوقت المذكور شخصا يسمى احمد الخوارزمى وكان قد اخذ جباية خراج ولاية كورسكى على ذمته فى (١) مقابلة ثمن اعطاه للخان وكان المذكور على غاية من الظلم بحيث انه كان لايترك احدا من القسيسين والرهبان والامراء الا يأخذ منه الخراج كالعوام وقد بنى بقرب ريلسكى قريتين وكان يجتمع فيها اشقياء التتار ومتلصصوهم وكانوا ينهبون ماحولهم من قرى الروس فاشتكى منه الكيناز آليغ الى تلا بوغاخان فاعطاه الخان عسكرا وامره بتخريب القريتين المذكورتين ففعل فكتب احمد المذكور الى الامير نوغاى شكاية من آليغ وسوه توسلا ويقول انهما عدواك يريدان الافساد بينك وبين تلابغا خان فان لم تنتقم منها سريعا فالعاقبة وخيمة فارسل اليه الامير نوغاى مقدارا من العسكر وامره بالايقاع عليهما فهرب آليغ وسوه توسلاو وقتل احمد من بقى من الاهالى واسرهم كلهم امراءهم وعوامهم ونجى سوه توسلاو روحه بالهرب الى غابة واورونژى وهرب آليغ الى تلابغا

(١) يعنى الالتزام الذى يجرى فى عصرنا هذا ايضا فى بعض الدول الغير المتمدنة. منه عفى عنه .

خان فجدد احمد قريتيه وامتلاءتا بالاشقياء مثل الاول وشرعوا فى ظلم الاهالى اشد من الاول ولم يتركوا فى ولاية كورسكى قرية ولا بلدة معمورة فهرب الاهالى الى الاطراف والجوانب ولم يلتفتوا الى ما يحصل لهم من الاذية من بردالشتاء ولكن كان احمد على خوف من هرب الكينازين فترك اخويه فى القريتين المذكورتين وذهب نفسه الى الامير نوغاى فهجم سوه توسلاو من بين الغابة المذكورة باتباعه على الاشقياء الكائنين فى تلك القريتين وقتلهم عن آخرهم ثم رجع الكيناز آليغ من الاوردو ودفن القتلى من الامراء والعساكر واعلن اخاه سوه توسلاو عاصيا ضرورة دفع الابلاء عن نفسه وعن الاهالى وقال كنا اولاد مظلومين محقين وبرءآء من العيب والقباحة فظهرت الآن قباحتنا وثبت عيبنا ولم نبق محقين فلا يرجى الآن عفونا من طرف الخان ولا حقانيتنا عند الاهالى وكان اللازم عليك ان تذهب الى الخان وان تشتكى اليه من الاشقياء لا انك تهرب الى الغابة كالاشقياء وتفعل هذه الفعائل وانا مستريح مطمئن الخاطر لاقباحة لى فاذهب انت الى الخان واعتذر اليه فلم يقبل سوه توسلاو نصيحته وقال انا مختار فى امرى كلما فعلته فعلته على الاعداء فذهب آليغ الى تلابغا خان وحكى له الحكاية فامره بقتل سوه توسلاو فرجع وقتله وذلك فى سنة ٦٨٢ قال المورخ والعجب ان احدا لم يعب على آليغ فعله هذا بل عدوه من عدالة ذلك الوقت ومدافعة سوه توسلاو عن نفسه ووطنه من الجرم (١) الذى لا يعفى ... الخ ولكن كان آليغ

---

(١) قلت نعم ان الدهر هو ابو العجايب وهذا يقال له ذل العجز ومسكنته امام جبروت القوة وسطوتها كما يصدر الان من الاقوام الشرقية لدى آوروپا اما كان مدافعة المصريين والصينيين عن اوطانهم جرما لايعفى وقتل الانكليز والاورپاويين وظلمهم اياهم عدالة وحقانية وكذلك قتل العسكر الارناودى لقونصلات الروس لاجل تحريكه الفتن جرما لايعفى وكونه مقتولا لاجل هذه المدافعة ونهب الروس زهاء عشرين قرية بساحل البحر الاسود واحراقهم اياها تحت اسم البلغارية واخذهم نصف مليون من الجنيهات وعزل مآت من المأمورين لاجل تلك الحادثة عدالة وحقانية وهذا معنى قولهم القوة تغلب الحق وهو صدق لامرية فيه ومصادقه غير متناهية الان وفى ذلك كفاية. منه عفى عنه.

مظهرا لعدالة الا له فان اخا سوه توسلاو اليكساندر قتل مع ولديه وكان كل ذلك من شطارة التتار فانهم كانوا يخرشون بين حكام الروس ويلقون بينهم العداوة وتفريق الكلمة لاجل استراحتهم واطمئنانهم ثم قال وكان الامير نوغاى بعد ذلك يشدد على تلابغا ويريد منه الانتقام حتى ظفر به يوما من الايام وقتله واجلس مكانه اخاه طقطاى خان اه **الملك طقطاى بن منكو تيمر بن طغان الخ** ولما (١) فرغ الامير نوغاى من امر تلابغا واطمئن خاطره من جهته اجلس طقطاى على كرسى الملك ورتب اموردولته ورتب معه اخوته الذين اتفقوا معه وسلمهم اليه وهم براك وسراى بغا وتدان وقال هؤلاء اخوتك يكونون فى خدمتك فاستوص بهم خيرا وعاد نوغاى الى مقامه وذلك فى سنة ٦٩٠ **ذكر الايقاع بالامراء الذين اتفقوا مع تلابغا على قتل نوغاى** ولما عاد نوغاى الى مقره مظفرا منصورا مطمئن الخاطر اراد ان ينتقم من الامراء الذين اتفقوا مع تلابغا على اتلافه فلما كانت سنة ٦٩٢ جهز نوغاى زوجته بيلق خاتون الى الملك طقطاى برسالة تحملها اليه واشارة تشير بها عليه فلما وصلت الى الاردو تلقاها بالاكرام واحتفل بها غاية الاحتفاء فى الضيافة والتقادم واقامت فى الضيافة اياما ثم سألها عن سبب مجيئها فقالت ان اباك تعنى نوغاى يسلم عليك ويقول لك قد بقى فى طريقك قليل شوك فتنظفه فقال وما هو الشوك فسمت له الامراء الذين ذكر هم لها نوغاى وهم زهاء ثلاثة وعشرين اميرا وهم الذين كانوا اتفقوا مع تلابغا على قصد نوغاى فلما ابلغته هذه الرسالة وقصت عليه هذه المقالة وسمت هؤلاء الامراء طلبهم طقطاى واحدا بعد واحد وقتلهم جميعا (٢) فعادت بيلق خاتون الى نوغاى مقضية المرام

(١) كل هذه الحوادث منقولة عن تواريخ ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى والنويرى وابن خلدون والمقريزى وكذلك ما سيذكر بعد ذلك من نكبته نوغاى واولاده واتباعه يضم الى هؤلاء فى ذلك العينى ايضا ويذكر . منه عفى عنه .

(٢) قال الحاج عبد الغفار افندى ان قتله اياهم انما كان لئلا يزاحموا ولده ايل بصار الذى ولدته زوجته بنت خان خطاى فى الملك بعده والله اعلم . منه عفى عنه .

واعانته بماجرى من حوادث الايام فمكن قلعه وزال فرقه وظن ان الدنيا تدوم له وتصفو له مشاربها فاخذهو واولاده واحفاده واتباعه يتحكمون فى البلاد ويجرون احكامهم على العباد وكان له من الاولاد الذكور ثلاثة وهم جكاونكا وكانا من ام واحدة وطراى من امرأة اخرى وابنة تسمى طفلجه وابن بنت تسمى اقطاجى وكانت ابنته هذه متزوجة لشخص يسمى طازبن منجك فقويت شوكتهم وتمكنت مهابتهم وسطوتهم حتى تغير عليهم الزمان ودارت عليهم الحدثان وجرى عليهم ما سيذكره بعدذالك بفضل الله الملك الديان* ولاجل هذه الامور قال كارامزين ان قواد عساكر التتار صارفى ذلك الوقت يعنى ايام تلابغا وطقطاى كل واحد منهم يتلقب بلقب الخانية وكان قديظن من هذا قرب اضمحلالهم وزوالهم ولكن لما انطمست بصيرة الروس بعبودية التتار لم يخطر ببال احد منهم اغتنام هذه الفرصة للخروج عن رقبة التتار اه ذكر المراسلة بين ملوك مصر اعلم ان الملك المنصور قلاوون ملك الديار المصرية والشامية والحجازية قد توفى فى سنة ٦٨٩ ثم جلس بدله مكانه ابنه السلطان الجليل الملك الاشرف خليل قال ابن كثير فيها (يعنى فى سنة ٦٩٢) ارسل السلطان يعنى الملك الاشرف الامير علم الدين الدوادارى الى صاحب القسطنطينية والى اولاد بركة ومعه تحف كثيرة جدا اه ثم لم ارمن ذكر وقوع المراسلة بين هاتين المملكتين الى مدة مديدة ولعل المراسلة قد انقطعت بينهم بسبب وقوع الفتن والاختلال والنزاع والقتال فى تينك المملكتين فاما احوال الديار المصرية فتطلع عليها بالمراجعة الى الكتب النار يخية المطولة والمختصرة واما البلاد الشمالية فيها نحن نذكر احوالها فى تلك المدة بعون الله تعالى قال كارامزين لما رأى الكيناز الاعظم ديميترى تمكن الامير نوغاى وتحكمه على الخوانين خافه واظهر له التعظيم الزائد ولكن ارسل ابنه اليكساندر الى الاورد وعند الخان بالهدايا فمات اليكساندر هناك وكان آندرى

اخو الكيناز ديمترى ينازعه فى الكينازية وكان ذاهلية ودهاء فاستمال بحيلته قلوب سائر حكام الروس الى طرفه خصوصا الكيناز فيودور ختن (١) نوغاى (مكذا) ثم ذهب الى نوغاى مظهرا العداوة لديميترى وشكا منه اليه واظهر له امره كله على عكسه وخلافه حتى استمال قلبه ايضا وكان الامير نوغاى يعرف جيدا ان سعادة التتار ووفرة غزا ينهم فى شقاوة الروس واختلافهم فارسله مع حكام الروس المتفقين معه الى محاربة ديميترى. ضم اليه مقدارا من عساكر التتار تحت قيادة الامير دودين اخى الخان طقطاى كان ذلك فى سنة ١٢٩٣ مصادفة سنة ٦٩٣ه وكان ديميترى فى ذلك الوقت ببلدة پيرياصلاو التى هى ام بلاد الروسية فتوجه دودين اليها واستولى عليها فهرب ديميترى الى ختنه الصادق دومونت ببلده پصكوف ومع انه كان يمكنهم ان يجلسوا آندرى الى مقام الكينازية العظمى بلا مانع لانعدام من يقاومهم ويمانعهم من عساكر الروس لم يفعلوا ذلك ولم يجلسوه على دست الكينازية بل توجهوا نحو البلاد التى كانت تحت حكومة ديميترى مثل مورم وسوزدل وولاديمير ويوريف وپريصلاول واوكلج وقولمنا وموسكوا ودبيميتريف وموژاى وغير ذلك من البلاد فاستولوا عليها ونهبوها واسروا اهلها وباعوهم كالعبيد حتى ان الروحانيين لم يتخلصوا من هذه البلوى مع كونهم غير مكلفين بالتكاليف الميرية والخانية فى نظام التتار لعلهم من العصاة ولم تقدر الكنايس والاصنام ان تقاوم هجوم التتار وتردهم من النهب بل صارت كلهم حرابايبابا حتى ان دانيل بن اليكساندر كيناز مسكوا لم يقدر ان يحفظ بلدته من نهب التتار مع كونه معهم فى هذا السفر وهرب من نجى من السيف والاسر من الاهالى الى الغابات ثم توجه دودين الى بلده تو ير

---

(١) هكذا يقول كارامزين وقد تقدم ان الامير نوغاى له ثلاثة بنين وبنت واحدة متزوجة من طازين منجك وسيجى وقايعوم بالتفصيل ولعل الامير نوغاى زوجه بعض جوار مطبخه من المجوس عملا بقوله تعالى الخبيثات للخبيثين الاية هذا ان صح ما ادعاه كارامزين والافلا حاجة الى هذا التأويل . منه عفى عنه .

واراد ان يستولى عليها ويخربها ولكن قاومهم اهلها وقاتلوهم وكان ما كمها ميخايل وقتل فى اوردو فرجع اثناء محاربتهم وجمع العساكر الذين كانوا اولا هربوا من التتار وحمل عليهم حملة صادقة فلما رأى الكيناز أندرى انهم لايقدرون ان يستولوا عليها حرض الامير دودين ان يتوجه الى نووغورد فتوجه اليها فاستقبلهم اهلها بالهدايا وقالوا انا كنا نريدان يكون الكيناز آندرى حاكما علينا من مدة مديدة فها نحن راضون به وبكينازيته فارسل الامير دودين الكيناز آندرى الى نووغورود وجعله كينازا بها وتوجه بعسكره الى تتارستان وخرج من حدود الروسية واخذ فيودر الداماد ابن روستيلا ومتفق آندرى معينه بلدة يبرياصلاول لنفسه وحكم بعد ذلك على اصمولينسكى ايضا اه قلت وانت اذا تاملت فى هذه الوقعة بامعان النظر تعلم يقينا ان هذه المصيبة انما هى من امراء الروس مثل آندرى ومتفقيه ومن الاهالى المتمردين وانما قباحة التتار اعانتهم اياهم وعدم اصلاح مابينهم ولعلهم فعلوا ذلك ولكن لم تقبل الروسية ذلك بل المفهوم القريب من الصريح ان الامر كذلك يشهد لذلك صنيعهم باهل نووغورد فانه لوكان قصد التتار قتلهم ونهبهم مطلقا حاربوهم اوسالموهم كما يظن كارامزين لفعلوا باهل نوغوورد مثل ما فعلوا بغيرهم وحيث لم يفعلوا بهم الا المسالمة تبين يقينا ان من سواهم ممن عدوهم من اهل البلاد المذكورة قد عاندوهم وحاربوهم ففعلوا بهم ما فعلوا ولكن كارامزين ابى الا ان يمسح القباحة بالتتار والله سبحانه اعلم **ذكر وقوع الوحشة بين الملك طقطاى والامير نوغاى واسبابها** اعلم ان الامير نوغاى واولاده واحفاده واتباعه قد تحكموا فى البلاد بعد وقعة تلابغا وقتل الامراء المذكورين وما زال تحكمهم واستبدادهم يزيد يوما فيوما حتى انه قتل چوك خاتون زوجة الملك منكو تيمر المتوفى وذلك فانها كانت قد تحكمت على التتار فى عهد زوجها وزمان سلطنة تدان منكو وتلابغا فثقلت وطاءتها عليهم فشكوها الى نوغاى فامر بان تخنق فخنقت وقتل معها اميرا كان يلوذ بها وينفذ اوامرها اسمه بيطر (لعله بيقر) وذلك فى سنة ٦٩٣ وما

وقع فى ابن خلدون من ايهام قتلها فى عصر تلابغا فوهم فاشتد ذلك على طقطاى ثم انضم الى ذلك ميلان الامراء والاعيان الى نوغاى ممن اوجسوا فى انفسهم خيفة منه لامر بلغهم عنه ففارقوه وانحازوا الى نوغاى فقبلهم وآواهم واحسن اليهم حتى زوج واحدا منهم ابنته وهو طاز بن منجك كما مر فطلبهم طقطاى منه فمنعهم فاغضبه ذلك ثم ان زوجة نوغاى بياق خاتون المار ذكرها استشعرت من ولديه جكا وتكا سوء واظهرا لها الا ساءة والامتهان فاغرت طقطاى بهما وارسلت اليه تحرضه عليها فارسل طقطاى فى سنة ٦٩٧ رسولا الى نوغاى واصحبه محراثا وسهم نشاب وقبضة من تراب فلما جاء الرسول اليه وعرض مامعه عليه قال ان لهذه لخبرا او لهذا الرمز اشارة واثرا فجمع كبار قومه وذوى مشورته وقال ماعندكم فى هذه الاشارة وما قصد طقطاى بارسال التراب والنشاب والمحراث فقال كل منهم مقالا وجال فى تاءويلها مجالا فقال مااصبتم القصد وما اجدتم النقد وانا اخبركم بمراده واعرفكم ضمير فوآده اما المحراث فهو يقول ان نزلتم الى اسفل الارض اطلعتكم بهذا المحراث واما النشابة فيقول وان طلعتم الى الجو انزلتكم بهذا السهم واما التراب فيقول اختاروا لكم ارضا يكون فيها الملتقى فعلموا انه اصاب فى تاءويله وفهم فحوى رسالة طقطاى فاعاد الرسول وقال قل لطقطاى ان خيلنا قد عطشت ونريد ان نسقيها من نهرتن وهو نهر بقرب سراى وفيها منازل لطقطاى فعاد الرسول بالجواب وحكاه ما شاهده فى الذهاب والاياب **ذكر الوقعة الاولى بين الملك طقطاى والامير نوغاى وانهزام طقطاى** * فلما عاد الرسول الى طقطاى بالجواب المذكور تيقن طقطاى انه لابد من الحرب وان نوغاى لايتركه فاستعد لمناوشته وعزم على مدافعته ومقاتلته وجمع جيوشه واعد جنوده وجد فى قتاله وهم بنزاله وسار فورا للقائه وذلك فى سنة ٦٩٧ فلما بلغ الامير نوغاى واولاده مسيره نحوه وعزمه لحربه جمع العساكر التى عنده وطلب التومانات التى تحت حكمه والمقدمين

الذين هم اليه مضافون وله منقادرن وهم طاربن منجك وهو ختنه على ابنته وطنفزبن قجان واباجي وقراچين وينجى ابناء قرمشي وغيرهم من الامراء المشهورين الذين هربوا من الملك طقطاى والتجاءوا الى نوغاى ومعهم ما يزيد على ماءتى الف فارس وسار كل منهما لقصد صاحبه فالتقوا على نهر يصى عند كندلان وكندلان ماء كبير بين (١) مقام طقطاى ومقام نوغاى ووقع بين العسكرين حرب عظيم فكانت الكسرة والهزيمة على طقطاى وعساكره فانتهت بهم الهزيمة الى نهرتن فمنهم من عبر فسلم ومنهم من هوى به فرسه فغرق وامر نوغاى عساكره بان لايتبعوا موليا ولايجهزوا على جريح واخذ الغنائم والسبايا والاسلاب وعاد الى مكانه **مقتل اقطاجي ابن بنت نوغاى وقتل الفرنج الجنوية (الجنويز) بسببه** وفى السنة الثانية اعنى سنة **٦٩٨** قتل اقطاجى ابن بنت نوغاى وسبب ذلك ان جده نوغاى لماكسر الملك طقطاى استولى على البلاد يعنى اقليم قرم ونواحيها فارسل ابن بنته الى بلاد قرم لجبى الاموال المقررة على اهلها لانه وهبهاله فسار اليها ومعه امير يسمى الطبرس بن قسر ومقدار اربعة آلاف من العسكر فدخل مدينة كفاوهى مدينة على ساحل البحر الاسود وفيها طائفة من الفرنج الجنوية (الجنويز) وطالب اهلهابمال فضيفوه وقدموا اليه شيأ من الماء كول وخمرا من المشروب فاكل وشرب الخمر وحكم عليه السكر فوثبوا عليه وقتلوه فبلغ خبر مقتله جده الامير نوغاى فارسل عسكرا كثيفا الى قرم صحبة اباجى احد امرائه الذين معه فنهبوها واحرقوها وقتلوا من اهل قرم جماعة وسبوا من كان فيها من تجار المسلمين والعلان والفرنج واخذوا اموالهم ونهبوا صار وكرمان وقرق ار وكرج وغيرها اه كله من تاريخ بيبرس

(١) يفهم من حادثة تلابغا فى بلاد كرل ومن مجىء الروس الى نوغاى ومن هذه النقول والحوادث الاتية ان مقر الامير نوغاى كان فى حدود الروسية اعنى الروسية الجنوبية اوفى بلاد قريم. منه عفى عنه.

والنويرى وغيرهما قال المفضل وفى رمضان من سنة ٦٩٨ وصلت التجار من سوداق واخبروا ان الملك طقطاى الذى جلس على تخت مملكة بركة وصل فى هذه السنة فى اول الربيع الى سوداق ومعه عسكر كبير فامر لاهل سوداق ان كل من كان من جهته فليخرج الى ظاهرها هو واهله وماله فخرج جميع من كانوا متعلقين به وهم اكثر من الثلث ثم امر العسكر فاحتاطوا بالبلد وبقى يطلب اهل البلد واحدا بعد واحد ويعاقبه ويأخذ جميع ماله ثم يقتله الى ان قتل جميع من فى البلد ثم القى فيها النار وتركها دكا كان لم تكن وذلك لان سوداق كان محصولها يقسم بين اربعة ملوك من التتار احدهم الملك طقطاى هذا الذى له صحبة يعنى محبة ومودة ومراسلة بملك مصر فتعدى شركاؤه من الملوك على نوابه ففعل مافعل ﴿ مقتل الامير اباجى واخويه اولاد الامير قرمشى ﴾ قال بيبرس والنويرى وفى السنة المذكورة قتل الامير اباجى واخواه قراجى وبيجى ابناء قرمشى المنفقين مع نوغاى لحرب طقطاى والمعاضدين له كمامر وسبب قتلهم ان هؤلاء الاخوة كانوا ايضا دون نوغاى فى المنزلة والتقدم وعدة العسكر فلما استقام الامر لنوغاى تحكمت اولاده الثلاثة ولم يحصل لاولاد قرمشى ما كانوا يؤملونه منهم فوقع بين الطائفتين خلف فقصدوا يعنى اولاد قرمشى الانفراد عنهم وخرجوا قاصدين بلاد الملك طقطاى وبلغ ذلك نوغاى واولاده فجرد اولاده الثلاثة جكا وتكا وطراى ليردوهم ويمنعوهم من الانحياز الى طقطاى فالتقى الجمعان واقتتلوا يومهم ذلك حتى حجز بينهم الليل فباتوا على تعبيتهم فلما جن الليل هرب من عسكر اولاد قرمشى امير يسمى قطغوا مقدم الف فارس وانحاز الى اولاد نوغاى فاصبحوا وقد فقدوه هو وطائفته فلم يتقدم احد الفريقين لحرب الآخر فلما كان المساء اضرم اولاد قرمشى نارا وازمعوا الرجوع فارسل اليهم اولاد نوغاى ولاطفوهم وخدعوهم وقالوا لهم لاحاجة الى الخلف والحرب ونحن اقرباء والزام والاولى ترك الشنآن وتقرير الصلح كما

كان واستمالوا ينجى وهو الاصغر فمال اليهم وساءلوه ان يلاطف اخويه ويساءلهما فى الموادعة والمسالمة فعاد الى اخيه اباجى وابلغه مقالتهم ولاطفه فى الاجتماع بهم فانقاد الى كلامه وتوجه بنفسه اليهم واما اخوهما قراجين فانه كان اثنتهم جاشا واكثرهم معرفة بدقايق الامور وكان متوليا تدبير عسكرهم فتربص ولم يتوجه مع اخيه فراسلوا والدته فى توجهه فاشارت اليه بالتوجه وتقرير الصلح فتوجه فلما حصل الاخوان اباجى وقراجين عند اولاد نوغاى قتلوهما وشعر ينجى بذلك فلم يعاود اليهم بل نجى بنفسه ونهب اولاد نوغاى تمانات اباجى واخيه واتوا على اكثرهم قتلا واسرا وسبيا فقويت شوكتهم وكثرت عساكرهم وانبسطت ايديهم واستظهروا على من سواهم حتى على ابيهم **الوقعة الثانية بين الملك طقطاى والامير نوغاى واولاده وانتصار طقطاى ومقتل نوغاى فى تلك الوقعة** ولما تمت الهزيمة للملك طقطاى فى النوبة الاولى كما مر وكان المذكور من الغيرة والحمية بمكان ولكن لما كان لايمكنه معاودة القتال على ذلك الحال كان ينتهز الفرصة للانتقام ويقلب لذلك صحائف الليالى والايام فلما دخل سنة ٦٩٩ ووقع بين نوغاى وبين امرائه من الخلف ما وقع واستشعر طقطاى انتكاس امره وقرب حصول نصره من ذلك عزم على حربه للاخذ بثاره واطفا جمرة ناره وشرع فى الاستعداد لذلك واتفق فى ذلك الوقت ان جماعة من امراء نوغاى الذين كان يعتمد عليهم ويعتمدون عليه فارقوه وانحازوا الى طقطاى وهم ماجى وسدن واتراج وآق بغا وطيطا ومعهم ثلاثون الف فارس فازدادت بهم شوكته واشتدت شكيمته وقويت عزيمته فعزم على المسير الى نوغاى واولاده لاسترداد ما استولوا وتغلبوا عليه من بلاده وبلغهم انه هاجم عليهم وانه قد جمع لحربهم من العساكر اعدادا واستصحب لقتالهم من الجيوش ما يكفى له امدادا وكان صحبته من الخانات وامراء التومانات عشرة كاملة مشهورة واخوته الثلاثة برلك وسراى بغا وتندان والامراء الذين

انحازوا اليه من عسكر نوغاى وقد ذكرناهم وركب نوغاى واولاده الثلاثة وامراؤه وعسكره وتأهبوا للقتال واستعدوا للنزال وخرج كل منهما قاصدا الآخر بمن معه من الشجعان والابطال فلما صار بين العسكرين مسافة يوم واحد ارسل نوغاى شخصا من امرائه يسمى بغاو معه مائة فارس ليكشفوا له الخبر ويعلموه اين وصل طقطاى ومن معه من العسكر فساروا ناويا كشف الخبر والاطلاع على الاثر فلما اشرف عليهم خرجوا عليه مسرعين واحاطوا به من كل طرف وقتلوا كل من معه وانجى نفسه بكل جهد من التلف فرجع واخبر نوغاى بانهم قد دهموه فركب نوغاى اولاده ومن معه من العسكر والتقى الجمعان على مكان يسمى كوكانلك واقتتلوا فكانت الكسرة على نوغاى وقت المغرب وانهزمت بنوه وعساكره وتفرقوا شذر مذر وثبت هو على ظهر فرسه وكان قد طعن فى السن وكبر وتغطت عيناه بشعر حواجبه فلا يستطيع النظر فوافاه رجل روسى من عسكر طقطاى وقصد قتله فعرفه نفسه وقال له لا تقتلنى فانا هو نوغاى وانما احملنى الى طقطاى فان لى به شغلا يوجب اجتماعا ولى معه حديث يستلزم استماعا فلم يصغ الروسى الى مقاله بل قتله وحز رأسه لوقته وحاله وحمله الى طقطاى وقال له هذا رأس عدوك نوغاى فقال له وما الذى اعلمك انه نوغاى فقال انه عرفنى نفسه واستوقفنى عن قتله فلم اصغ اليه واجهزت عليه فالم ذلك طقطاى وغضب عليه غضبا شديدا وامر بقتل الروسى فقتل لانه تعدى على مثل هذا الرجل الكبير الشان ولم يحضره لدى السلطان وقال ان السياسة توجب قتله حتى لا يجترئ احد على مثل فعله فان السوقة لا يقتل الملوك وعاد طقطاى الى مقامه وقد انتصر وظفر بمناه وقرت بنصره على اعدائه وانتقامه منهم عيناه واما اولاد نوغاى ومن سلم من عسكرهم فانهم استتروا بجنح الليل واختفوا فى غمار عساكر طقطاى وتنادوا بشعارهم ليظنوهم من اصحابهم وكان شعارهم على ما حكاه من شهد الوقعة معهم اذل يايق فسلموا ليلتهم تلك وساروا مغلسين وعادوا هاربين منهزمين وكان سبى من نسوانهم

وذراريهم الخلق الكثير والجم الغفير فبيعوا فى الاقطار وجلبوا الى الامصار واشترى السلطان والامراء بالديار المصرية جماعة الطوائف التى جلبها التجار فدخلوا دين الاسلام بالرغبة واقاموا الصلوة باجتهاد ومحبة وصاروا من انصار الملة واعوان الامة فقدر الله اجلاءهم من الاوطان وسبيهم من عند الاهل والاخوان ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ويقيم بهم منار الاسلام بمنا ضلتهم عن دين نبيه عليه الصلاة والسلام ومدافعتهم عنه بحد الحسام فسبحان الملك العلام الذى بيده سلطان الليالى والايام اه من التاريخين المذكورين هذا قواهم والله سبحانه اعلم بحقائق الامور وقد كان فى عسكر الطرفين اجناس مختلفة سوى التتار من الروس والجركس والعلان والقالموق فيمكن ان يكون الذين باعوا وبعض الذين بيعوا من تلك الاجناس فان هؤلاء الاجناس انما كان مطمح انظارهم فى الغنيمة والسبايا لاحفظ البلاد وحراسة الرعايا فصاروا يبيعون ماوقع فى ايديهم كائنا من كان وقد قال ابن فضل الله العمرى وهم يعنى التتار ببلاد الشمال مع استيلائهم على جيوش الجركس والروس والماجار واللاص يختلس تلك الطوائف اولاد هؤلاء ويبيعهم من التجار اه فان كان هذا حالهم حال الامن والسلم فماذا تظن بهم حال الحرب خصوصا وقت الاستيلاء والغلبة من طرف طائفة على طائفة اخرى منهم ووقوع الخلف بين اولاد نوغاى وقتل جكا اخاه تكا ولماعاد اولاد نوغاى الى مقامهم من الهزيمة فى السنة المذكورة ورجع اليهم فل عسكرهم الذين سلموا من القتل والاسر استقر جكا فى مكان ابيه واستبد بالملك واستأثر به دون اخويه فاوغر ذلك صدر اخيه تكا لكونهما سواسيان فى الاستحقاق وتغير ضميره وعزم على مفارقته والالحاق بطقطاى هو وجماعته ولله در من قال فى مثل هذا الحال شعر :

اذا انت لم تنصف اخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من ان تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فبلغ اخاه جكا نفاره منه وما ازمعه من الخروج والبعد عنه فخشى من مظاهرته بطقطاى عليه فجهز قوما فى الباطن اليه فقصدوه ليلة من الليالى

وهو راقد فى خركاهه خلى البال فاحاطوا بالخركاه من كل جانب وطعنوه وهو داخلها بالرماح حتى ظنوا انه مات وتركوه وعادوا وبه رمق من الحياة فثارت الضجة فى خيامه واقام الصراخ بين اهله والزامه وسارعوا باعلام اخيه جكا بمصرعه فبادر نحوه سائلا عن امره وموهما انه لم يشعر بقاصدى غدره ودخل عليه فى صورة الزائر واظهر له انه متالم الخاطر واخذ يسائله عن القوم الذين اتوه ويستخبره هل عرفهم حين طعنوه فقال له اخوه ان الذى قتلنى لن تطول مدته وسيفقد عقيب فقدى و انك لتعرفه اكثر منى وهو الذى جاء ليسائل عنى فعلم انه اليه يشير واليه ينصب تلك الحيلة والتدبير فخرج من عنده ودس اليه من تمم قتله جهدا وذلك فى سنة ٦٩٩ وشاع ذلك بين عساكرهم وذاع بين اقاربهم وعشائرهم فانكروه على فعله وشنعوا تدبيره فى حق اخيه وقتله وتعورت قلوبهم وتشوشت خواطرهم وفارقه بعد ذلك كثير منهم اه قلت وهذا العام هو العام الذى انقرضت فيه الدولة السلجوقية وحصل الاستقلال فيه للدولة العلية العثمانية ايدهم الله سبحانه وذلك فى عهد جدهم الامجد السلطان الغازى عثمان خان الاول **مقتل جكابن نوغاى** اعلم ان جكا لما استبد بالملك كان قد اقام له نائبا فى مملكته يسمى طنغوز من اكابر الامراء فلما اقدم جكا على قتل اخيه تكا تنفر هو واصحابه عنه وتيقنوا انه لا يبقى عليهم بعد ما قتل اخاه ولما دخلت سنة ٧٠٠ اتفق النائب المذكور الامير طنغوز مع طاز ابو منجك صهر نوغاى كما مر على التوجه للاغارة على اولاخ والروس فسارا بعساكرهما نحو المقصود فلما خلا احدهما بالاخر تحادثا وتفاوضا فى امر جكا وجراته وقتله اخاه وسوء سيرته وقالا اذا كان هذا لا يبقى على اخيه وشقيقه فكيف يبقى علينا واتفقا على ان يعودا اليه ويقبضا عليه فعادا نحو مقامه فشعر واحد من عساكرهما بانهما قد اتفقا على اعدامه فركب فرسه وسار مسرعا نحوه واعلمه بالحال تنصحا منه وتبرعا فلما تبين صدقه وتيقن انهما دهماه ركب من ساعته فى مائة وخمسين فارسا من جماعته وبطانته ودخل

بلاد اللاز وكان بها مقدم وتمان من عسكره واوى اليهم واقام بينهم وحضر نائبه طنغوز وصهره طاز بن منجك الى بيونه التى تركها فى منزله منهبوها واستولوا عليها ووجدوه قد فاتهما ولما اقام جكا ببلاد اللاز وتحقق عسكره انه حى موجود باق غير مفقود تسلل اليه كثير منهم فكثرت بهم عدته وقويت شوكته فعاد لحرب مخالفيه طنغوز وطاز والتقى الجمعان فاستظهر عليهم وكسرهم وفرق شملهم وسبى وغنم ما شاء واسترد بيونه وغنائمه منهم ولقد حكى لى (١) من شهد الوقعة ان اخته طغلجه بنت نوغاى ركبت الخيول وقاتلته مع الفحول فلما انكسر زوجها ومن معه كانبوا طقطاى يستمدون به ويلتمسون انجادهم بعسكرهم يقاتلون به جكا ويعاودونه فامدهم بجيش صحبة اخيه برلك بن منكو تيمر فلما جاءهم المدد من عند الملك طقطاى دعوا النزال وعادوا الى القتال فلم يكن لجكا بهم قبل فهرب ولحق ببلاد اولاخ وكان ملكها والحاكم عليها متزوجا باحدى اقاربه فطلع الى حصنه واوى الى حضنه معتقدا انه يمتنع عنه فاجتمع اصحاب الحاكم المذكور وارباب مشورته لديه وقالوا له اى الحاكم ان هذا الوارد اليك هو عدو لطقطاى وهو مجد فى طلبه ومتى علم انه عندنا سار نحونا واهلكنا فالصواب هو تعويقه يعنى جكا واعلام طقطاى بامره فقبض عليه وعوقه فى قلعته واسمها طرنوا واطلع طقطاى بامره فامره بقتله فقتله وذلك فى سنة ٧٠١ فخلت مملكة طقطاى ممن ينازعه ويناويه وبلغ من ابادة اعدائه امانيه ولم يبق من اولاد نوغاى الا اصغرهم المسمى طراى وولد لجكا يسمى قراكسك فنجيا شريدين الى بعض النواحى فرتب طقطاى ينجى بن قرمشى موضع اخيه اباجى بن قرمشى وجهز ولديه توكلى بغا وايل باصار الى بلاد نوغاى فاما توكلى بغا فانه استقر فى صقچى ونهر (٢) طنا

(١) هذا قول بيبرس . هنه عفى عنه .

(٢) هكذا فى النسخة المنقول عنها فان كان هذا النهر هو طونه فيكون المراد بصقچى هو ايساقچى بساحل نهر طونه والظاهر ان المراد به هو نهر تن والمراد بصقچى غير ايساقچى ولا يدرى فى اى موضع . هنه عفى عنه .

وما يلي الباب الحديد يعني سواحل البحر الاسود المشتملة على بلاد قرم من طنا الى الباب الحديد من ساحل البحر الخزر وهي منازل نوغاي ورتب معه اخاه صراي بغا واما ايل باصار فاقام بنهر بايق فتكملت بلاد شمال بذلك لطقطاي وصحت **احوال بعض اولاد جوجي خان بغزنة وباميان** اعلم ان چنكز خان لما استولى الى بلاد غزنة وباميان ملكها لابنه الاكبر جوجي خان ثم صارت بعده لابنه اوردا ثم بعده لابنه قنچي ولما هلك المذكور على رأس سنة ٧٠٠ او بعدها وقع الخلف بين ولديه كيلك وبيان في الملك وانضم بعض اولاده وابناء عمه الى كيلك والبعض الاخر الى بيان وكان كيلك قد استقر في الملك بغزنة بعد ابيه ولما اختلفا سار اخوه بيان الى طقطاي مستنجدا ومستمدا به على اخيه فامده وعضده باخيه برلك وسار كيلك الى قيدو مستغيثا ومستعينا به فاعانه وايده ثم التقى الجمعان واقتتل الاخوان فكسر كيلك واستقر اخوه بيان في المملكة لغزنوية واقام بغزنة فتركه برلك بن منكو تيمر وعاد الى بلاده ثم مات كيلك بعد ذلك وترك ولدا يسمى قوشتاي فتوجه الولد الى قيدو واستنجد به فامده بجيش مزحف الى عمه بيان فالتقيا واقتتلا على نهر نبق فغلب عمه بيان على غزنة ولحق بيان لطقطاي واستقر قوشتاي بغزنة ويقال ان الذي غلب عليها انما هو اخوه منقطاي وكان ذلك في سنة ٧٠٩ ولم نقف بعد ذلك على شيء من اخبارهم اه من تاريخ ابن خلدون وبيبرس والعيني **قلت** الظن الغالب ان تلك المملكة اعني مملكة غزنة انضمت بعد ذلك الى ممالك بني هلاكو وغلب عليها ملوك الكرت وحكموا فيها نيابة عن بني هلاكو كما لا يخفى ذلك على من تتبع التواريخ وان لم يعلم تفاصيل احوالها واخبارها وان قوم هزارة الذين في اطراف باميان من بقايا ذرية تلك التتار والله سبحانه اعلم **تحرك طراي بن نوغاي وقتله ومقتل صراي بغا اخي الملك طقطاي بن منكو تيمر** وفي السنة المذكورة اعني سنة ٧٠١ تحرك طراي بن نوغاي لطلب ثار ابيه واخيه ولم يكن له قدرة وقوة

على ذالك فى التعيل والتدبير وبدأ بالتوصل لادراك مطلبه و بلوغ مأربه بما أمكن لهمن الوسائل فلحق اولا بصراى بغا بن الملك منكو تيمر و قد ذكرنا ان اخاه الملك طقطاى رتبه فى مقام نوغاى مع ولده توكلى بغا متوصل طراى اليه واستخدم به فاخدمه فالم ولا ذمه فلما آنس منه الميل اليه كشف له القناع عما فى صدره وفاتحه فى امر اخيه طقطاى و فاوضه فى انه احق منه بالمملكة واقدر على تدبير امور السلطنة واستغواه بامثال ذلك واستهواه ولم يزل يلاطفه و يحسن له الا نتفاض والخروج على اخيه طقطاى فمال اليه واغتر بخداعه ولم يدر ان اقصى مرامه هو تمشية حاله واجراء ما فى باله حين جداله مع اخيه ونزاعه فركب فى ثمانه وعبر نهراتل وهو منجد بفرسانه وكان اخوهما برلك الذى هو اكبر منه عند طقطاى مخطر بباله ان يستشيره فيما نواه من مخالفة اخيه و قتاله وان يستعينه فى شئونه واحواله فترك العسكر فى ناحية و توجه نحوه جريدة فاجتمع معه و شاوره فى شأنه فاظهر له فى الظاهر الموافقه لهواه والمساعدة على ما يهواه لان الوقت هنالك لا يسع غير ذلك ثم بادر لوقته باعلام طقطاى بما هم به اخوه صراى بغا وطراى بن نوغاى من الوثوب عليه فركب طقطاى لوقته فى خواصه وبطانته وجهز نحوهما من احضرهما مقتلا (١) بين يديه وتفرق عسكرهما ثم ارسل طقطاى ولده ايل باصار الى المكان الذى كان قد رتب فيه صراى بغا فستقر فيه عوضا عنه ولماقتل طراى بن نوغاى وصراى بغا بن الملك منكو تيمر جزاء بما كسبا نكالا من الله خاف طقطاى غائلة قراكسك بن جكا بن نوغاى ونوهم من تحركه لطلب ثار جده وابيه وعمه واراد ان يستعمل الدوأ قبل وقوع الداء احتياطا فارسل اخاه برلك فى طلبه فانهزم امامه وهرب

(١) ولهذه الامور ذكر بعضهم طقطاى خان بكثرة سفك الدماء و زعم بعضهم ان هذه كلها لئلا ينازع منهم احد ولده ايل باصار فى السلطنة والاعتماد قول هؤلاء الاعلام. منه عفى عنه .

مع اميرين من اقاربه وهما جريك تيمور وبول قطلو ومعهم نحو من ثلاثة آلاف فارس فطرحهم الانجفال والهرب الى مكان يسمى بدول بالقرب من كرل وقيل كيرك وترجمه تبزن غازبن كراكو والله اعلم فاواهم شيشمن ملك القرب (١) مع اصحابهم واقاموا عنه يغيرون على الاطراف وباء كلون من محصول الاسباق الى يومنا هذا اه من تاريخ بيبرس والنويرى وابن خلدون الا ان ابن خلدون قال فا بعد فى ناحية الشمال فاستنم ببعض الملوك هناك ومنه اعنى وتابع نوغاى واولاده وملوك غزنة وباميان هى التى قال الفاضل المرجانى بعد نقل شئ منها من تاريخ ابن الوردى ماادرى من يكون هؤلاء ولعلهم من حكام آق اوردا او كوك اوردا اه قال المقريزى والعينى وفى سنة ٧٠٢ قدم الخبر بوقوع الجدب والقحط والغلاء ببلاد الشمال بلاد طقطاى وذلك فانهم زرعوا ثلاث سنين فلم ينبت لهم شئ ثم اعقبه موتان فى الخيل والغنم وسائر المواشى وبلغ حالهم من القحط الى ان صاروا يبيعون اولادهم ونساءهم واقاربهم فاشتراهم الفرنج والتجار وجلبوهم الى سائر البلاد والاقطار خصوصا الى مصر اه قال فى روضة الصفا ما خلاصته قد وقعت (٢) المقاتلة الهائلة والمحاربة الصعبة الشديدة بين طقطاى ونوغاى فى حدود سقسين وبلغار فغلب طقطاى على نوغاى فلما استقر طقطاى فى سرير السلطنة وثبت قدماه فيها وخلى الجو من المنازع اراد ان ينتزع ممالك اران واذربيجان من اولاد هلاكو واستولى ذلك على ضميره فارسل الى الملك محمود غازان خان رسولا من اكبر امرائه يسمى عيسى كوكرزل ومعه ما يزيد على ثلاثمائة فارس

---

(١) هكذا فى الاصل المنقول عنه بالقاف والصواب صرب بالصاد كما لا يخفى وشثمن وان كان ملك بلغار طونة الان الصرب لما كانت محكومة عليهم عبر عنهم بالصرب والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه

(٢) وهكذا نقله عنه الفاضل المرجانى بقوله توقتا ونوقاى درحدود سقسين وبلغار مقاتلة مولناك كرده الخ. منه عفى عنه .

وكان زبدة مضمون الرسالة ان مملكة اران وادربيجان كانت فى تخصيص
چنكزخان وتقسيمه وقعت فى حصة اولاد باتو وقد تصرف هلاكو
واولاده فى غلاتها ومحصولاتها على خلاف ذلك منذ سنين فاما الايام
الخالية فلا يمكن تداركها واما الآن فاللازم لغازان خان ان يقرر الحق
فى مركزه ويسلم الامانة لاهلها والا فليتهيأ للحرب وليستعد للقتال
وليعلم ان مرابطينا وارباب حراسة حدودنا من حدود قراقوم الى
ظاهر دربند ما يزيد على عشر تمانات واقفين حاضرين متصلى الخيام
ومتداخلى الاطناب فليقس بقية العساكر على ذلك فلما ادوا الرسالة
بالفاظ لطيفة واستعارات انيقة سالمة من العيوب وعبارات جالبة للقلوب
قال الملك غازان الملك عقيم ودعواه كمثل سقيم وقد انضافت هذه
الممالك الى المملكة الايلخانية المحروسة من عهد هلاكو خان الى
يومنا هذا وحفظناها من تعرض الاعداء باستعمال السيف والسنان
فكيف يمكن له الآن انتزاعها من ايدينا بدون استعمال السيف والسنان
وتفريق الرؤس من الابدان وهل يتيسر وصال عروس المملكة
بمجرد الرسالة والطلب باللسان واعتراه الغضب من كثرة الرسل
وقال لو كان مجيء هؤلاء الرسل لاستخلاص الممالك ينبغى ان يكونوا
اكثر من ذلك والا فيكفى لكل رسول للخدمة خمسة انفار وقد
كان الملك طقطاى ارسل معهم كيس الرز كناية عن كثرة عسكره
فامر غازان خان ان يكبوه على دجج فالتقطته فى الحال اه قلت وكان
ذلك حين استعداده لسفر الشام لقتال الملك الناصر بن قلاوون
سنة ٧٠٣ فلما بلغ الرحبة رجع هو نفسه وترك العسكر مع كبرا
امرائه فكسرهم الملك الناصر اشنع كسرة فلم تطل ايامه اعنى الملك
غازان بعدذلك بل مات فى شوال العام المذكور بعيد انهزام عسكره
ولعل ذلك من الكمد واستيلاء القهر على باطنه لان الملك طقطاى كان
قصده ايضا من طرف آخر على مايفهم من بعض التواريخ ولكن قال

المفضل فى ترجمة طقطاى وهذا الملك يعنى طقطاى لم يبلغ من العمر ثلاثين سنة وكان قد صالح الملك غازان واتفق ان ملوك الدنيا جميعهم فى ذلك الوقت كانوا شبابا لم يبلغ احدمنهم ثلاثين سنة ومبدأ ولايتهم وتملكهم من سنة ٦٩٤ وكان الملك الناصر فى ذلك الوقت لم يبلغ عشرين سنة وقيل ان ملوك الغرب ايضا شباب والله اعلم اه فهذا صريح فى ان الصلح قدتم بينهما والله اعلم قال المغلطاى وصول رسل الملك طقطاى بن منكو تيمر * لم يزل والد هذا الملك وجده من اولياء المملكة المصرية واصدقائها * والمتوددين اليها * والمدلين بتأكيد المحبة عليها * واقتضى اختلاف الدول من الجهتين * واختلاف احوال من سلف من المملكتين * انقطاع رسلهم فلما انتظمت بتملك مولانا السلطان خلد الله ملكه الاحوال * وشمل باقبالها اليمن والاقبال * وبلغ الملك المذكور ما مولانا السلطان عليه من سداد * وما ينالهقاصد من انواع الارفاق والارفاد * وحسن الاصغاء لمن يقول * والرغبة فيمن يوادده بلسان كتاب اورسول * سير رسله الى ابوابه بالهدايا الجارية به عادة هذا البيت على يدهم الكتب المتضمنة للسلام التام والتحية والاكرام والمت بالصداقة الموروثة من الاسلاف * والمحبة القاضية بين القلوب بالائتلاف * فاصغى مولانا السلطان لكتبهم عندما قرأها * واجزل لرسله انواع قراها * وانزلوا بالكبش وافيضت عليهم الخلع السنية ورتبت لهم الاقامات كما يجب * وروعى لهم حق القصد وقصد مولانا السلطان لا يخيب * وتقدمت المراسم العالية بتجهيز ما تجهز معهم من الهدية * كالتعابي السكندرية * ودهن البلسان الخاص وغير ذلك مما تشهد به الخزانة العالية * وجهزتهم رسل من الابواب العالية * وهم الامير سيف الدين الاتابكى احد مقدمى الحلقة المنصورة والامير فخر الدين محمود امير اخور الشمسى بعدان افيض عليهم ملابس الاحسان * وانعم عليهم بالمال الجسيم على قدر الكل منهم من علو مكان * وجهزت لهم المراكب احسن تجهيز وعادوا مشمولين بالتكريم والتعزيز الآن احد

رسل الملك طقطاى تاخر لبقضى حجة الاسلام لانه كان قد حضر هو وحريمه بهذه النية فاعانه مولانا السلطان باحسانه وافتقاده وبره على بلوغ هذه الامنية اه وقال المفضل ودخلت سنة ٧٠٤ هجرية وصاحب بر القفجق الملك طقطاى ابن اخى السلطان بركة وهو مسلم ثم قال هو وبيبرس والمقريزى وفيها وصل من جهة الملك طقطاى ملك التتار ببلاد الشمال رسول الى الابواب العالية اسمه فرنجى ومعه هدية عظيمة ومماليك وجوار وكان وصولهم من طرف البحر الى اسكندرية ودخولهم الى مصر فى اول ربيع الاول من السنة المذكورة فاكرموا غاية الاكرام * وانزلوا بمنظرة الكبش فى خير مقام ورتب عليهم الرواتب وافيض عليهم من الانعام * وتفرج بهم فى الجيزة والاهرام * ثم حضروا بهداياهم وكتاب ملكهم وهو يتضمن الحث على الركوب لحرب غازان ليكون فى المساعدة عليه فاجيب بان الله قد كفاهم امر غازان يعنى بموته فى اواخر العام الاول كما مر وان اخاه خربنده قد اذعن للصلح هذا كلام المقريزى وعبارة المفضل ومضمون رسالتهم انا نحن ارسلنا الى خربنده نطلب منه خراسان الى حد تبريز وفى عزمنا الركوب عليه فتجتمع عساكركم ونتلاقى ونجتمع نحن وانتم على طرده من البلاد وحيثما وصلت خيلكم من البلاد فهو لكم وحيثما وصلت خيلنا من البلاد فهو لنا قال المورخ (١) ولاجل هذا يعنى لازعاج الملك طقطاى ايضا سير خربنده الرسل بطلب الصلح ثم جهز الرسل واعيد جوابه كما مر وجهز الى مرسله انواع التحف والهدايا واللطف وجهز الامير سيف الدين بلبان الصرخدى صحبتهم رسولا من الباب العزيز من طريق الاسكندرية والبحر وقالوا وفى سنة ٧٠٦ عادت رسل الابواب الشريفة من عند طقطاى ملك التتار وهم الامير سيف الدين بلبان الصرخدى وسيف الدين بلبان الحكيمى وفخر الدين

(١) هذا من كلام المفضل ومراده به صاحب النهج السديد الذى هو مأخذ تاريخه. منه عفى عنه.

آباز امير آخور الشمسى وصحبتهم رسول من جهة الملك طقطاى اسمه نامون ومعه هدية سنية وكتاب يتضمن ان عسكر مصر يسير الى بر الفرات ليسير معهم ويأخذ بلاد خربنده ويكون لكل منهما ما يصل اليه عيلما من البلاد فبولغ فى اكرامه واعيد بالجواب بان الصلح قد وقع مع خربنده ولا يليق نقضه فان حدث غير ذلك عمل بمقتضاه وجهزت معه الهدايا للملك طقطاى وسير اليه رسولا الامير بدر الدين بكمش الخزندار وفخر الدين آباز امير آخور الشمسى المذكور اعلاه وسنقر الاشقر احد مقدمى الحلقه قال بيبرس وكان سهولة سفرهم يعنى اياباً من عند الملك طقطاى صحبة الامير سيف الدين بلبان الصرخدى وتيسيره لهم على ما اخبر به سيف الدين الحكيمى المذكور من لسانه انهم استهلوا هلال صفر من هذه السنة فى قرم وسفروا اول الشهر يعنى ركبوا البحر فوصلوا فى العشر الاخير منه الى الاسكندرية وتوجهوا فى الحراريق الى مصر فوصلوها سلخ صفر فكانت المسافة من قرم الى مصر شهرا واحدا اه وقال مفضل ودخلت سنة ٧٠٧ ومن الباب الحديد الى بر القفجاق وصوداق وخوارزم الى حد القسطنطينية فى يد الملك طقطاى بن منكو تيمر الخ وقال النويرى وبيبرس وفى سنة ٧٠٧ وردت الاخبار الى الديار المصرية عن طقطاى ملك التتار بانه نقم على الفرنج الجنوية الذين بقرم وكفا والبلاد الشمالية لامور نقلت اليه عنهم منها استيلاؤهم على اولاد التتار واستجلابهم الى هذه الاقطار. وغير ذلك فارسل جيشا الى مدينة كفا وهى مسقط رؤسهم فاحست الفرنج بوصولهم فهيأوا مراكبهم فى البحر وركبوها وساروا الى بلادهم فلم يظفر جيش التتار منهم باحد فنهب طقطاى اموال من كان منهم بمدينة سراى وما يليها اه وقال بيبرس وفى سنة ٧٠٨ وصلت الاخبار بحركة التتار (يعنى من بالعراق من بنى هلاكو) فرسم بتجهيز جماعة من العساكر المنصورة للتجريد قصدا لاظهار الصيت للقريب والبعيد فلما شرعوا فى التأهب وصلت الاخبار المحققة من جهة المناصحين بتأخر حركة

العدو المخذول وبطلانها فاستقر الفرار وتاءمرت حركة البيكار وقيل كان السبب في سكون حركات العدو لازال عديم العراك هاويا الى الادراك ان قراعولهم المجرد على تخوم ممالكيم تجاه قراغول طقطاى محافظ البلاد التقى مع المذكورين وكبس بعضهم بعضا فكانت الكسرة على قراغول خربنده وكسروا كسرة عظيمه فمانجا منهم الا اليسير وكان ذلك مانعا لمسيرهم وذكروا ايضا ان خربنده جرد جوپان بمن معه من النومان رديفا لقراغوله لمابلغه ما كان منه وكانت هذه الواقعه في ربيع الاخير اه يعنى من السنة المذكورة وفاة ايلبصار ولد الملك طقطاى قال بيبرس والعينى مما تجدد في هذه السنة (يعنى سنة ٧٠٩) وفاة ايل باصار ببلاد التتار وهو ابن طقطاى بن منكو تيمر توفى حتف انفه وكان مرشحا عند ابيه لتقدمه العساكر وتدبير الحروب وممارسة القتال فالموت يقبض ذلك كله وفيها توفى الامير برلك اخو الملك طقطاى اه قلت قد ذكر المفضل وفاتهما فى سنة ٧٠٧ والله سبحانه اعلم وقال بيبرس وفى سنة ٧١٠ حضرت رسل الملوك الى الابواب السلطانية فممن جاء رسل طقطاى بن منكو تيمر ملك بيت بركة وهم علاء الدين على ورفيقه ابن اخى ابكار ارسلهم بهنونه(١) بجلوسه على كرسيه الشريف واستظهاره على من دام منازعته فى شرفه المنيف فاكرموا ووصلوا وجهزوا وسفر معهم بالجواب ناصر الدين محمد بن اليمنى ورفيقه اه وقال المفضل والنويرى والعينى وفى سنة ٧١١ عادت رسل السلطان من عند الملك طقطاى فاعترضهم الفرنج فى ربيع الاول واسروهم جميعهم وكانوا هم واتباعهم وعلماؤهم نحو ستين نفرا ومروا بهم على البلاد الساحلية وقصدوا بيعهم ووصلوا الى طرابلس الشام وعرضوهم للبيع واشتطوا فى الثمن وحلفوا ان لاياخذوا فى ثمنهم الاستين الف دينار عينا فلم يشترهم احد ثم توجهوا بهم الى اياس وعرضوهم على صاحب سيس بهذا الثمن فامتنع ان يبتاعهم ثم توجهوا بهم الى جزيرة المصطكى يعنى صاقز

---

(١) يعنى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لانه كان حصل بينه وبين العساكر فى سنة ٧٠٨ وحشة فعزل نفسه واقام بكرك ثم فى ٧٠٩ سنة وثب طالبا الملكه وظفر بمناه . منه عفى عنه .

فبلغ السلطان ذلك فامر بالقبض على تجار الفرنج الذين بثغر الاسكندرية والحوطه على اموالهم والتزم انه لا يطلقهم ولا يفرج عن اموالهم الا بعد حضور رسله فخرج شكران الجنويزى التاجر متوجها الى جزيرة المصطكى وخلصهم وارسلهم الى الديار المصرية وكان وصولهم الى مصر ومثولهم بين يدى السلطان فى سادس عشر ربيع الاول من سنة ٧١٢ اه وام اقف على مضمون هذه الرسالة وتفصيلها وهذا نهاية ما اطلعنا عليه من احوال الملك طقطاى وفاة الملك طقطاى قال الذهبى وابن كثير وابن الفدا وابن الوردى وابن دوقمق والبرزالى وغيرهم بالفاظ مختلفة متقاربة وفى سنة ٧١٢ مات ملك دشت القفجق المسمى طقطاى بن منكوتيمر وكان عمره حين تملكه سبع سنين وتوفى فى السنة المذكورة وعمره ثلاثون سنة فكانت مدة تملكه ثلاثا وعشرين سنه وكان يحب السحرة والبخشية (١) والحكماء والاطباء ويكرم المسلمين اكثر من الجميع وفيه عدل وميل الى اهل الخير من جميع الملل وكان يرجح الاسلام وكان ملكا شهما شجاعا بطلا مظفرا فى حروبه على اعدائه وكان جيشه هائلا الى الغاية يقال انه جرد مرة تجريدة من كل عشرة واحدا فبلغت التجريدة مائتى الف وخمسين الفا وكانت وفاته فى السنة المذكوره على دين التتار وكان له ولد مليح فاسلم وكان يحب سماع القرآن وان لم يفهمه يعنى معناه وكان قد نوى انه ان ملك البلاد لا يترك فى مملكته غير الاسلام فمات فى حياة والده وترك ولدا فلما مات عهد ابوه طقطاى الى ولده المذكور بعده فلم يتم له الامر ولم يساعده القدر المقدور وكان موته يعنى طقطاى فى رمضان من السنة المذكورة فى موضع يقال له كرنا وكان الملك الناصر ارسل اليه رسلا فى سنه ٧١٢ وهم الامير سيف الدين بلبان الخاص تركى وقراجا الخزندار فلما وصلا الى مصيفه المسمى كرنا وهو على مسافة عشرة ايام من مدينة سراى وجدوا الملك طقطاى هناك مريضا فلم يتمكنا من الاجتماع به لمرضه وانما اجتمعا بخواتينه وقدما ما كان معهما من الهدايا واقاما ينتظر ان عافيته فثخن مرضه ومات فجهزتها الخواتين وكتبوا لهما تسفيرا من قرم بثلاثين الف درهم قرمية آل

(١) البخشية نسبة الى بخش عرف باقچى بمعنى الكاهن وهو عند القزاق موجود الى الان مه عفى عنه

الى اربعمائة درهم مصرية وكان السلطان لما استبطاء خبرهما جهز رسولين آخرين بعدهما وهما علاء الدين آيدوغدى الابطلى وعلاء الدين طبيغا الكرموني فصد وصولهم الى قرم صادفا الخاص تركي والخازندار بقرم عائدين فوصل المذكوران الى الباب العالى بمفردهما وتقدم البا بطلى والكرموني الى كريا اه ما ذكره محققوا المورخين وقال النويرى ولما مات شرمون في سنة ٧١٢ اوفيما يقاربها سار طقطاى بن منكو تمر صاحب البلاد الشمالية فى طلب القرآنية فمات ايضا ولم يلهاه قلت وفيما شبهات الاولى قولهم ان الملك طقطاى تملك وهو ابن سبع سنين غير صحيح لانه قد مر ان ابوه الملك منكو تيمر توفى سنة ٦٧٩ والملك طقطاى تملك سنة ٦٩٠ كما مر فلا يكون عمره حين تملكه سبع سنين وان بقى حين وفات ابيه فى بطن امه بل يكون ازيد كما لا يخفى والثانية قولهم انه مات وعمره ثلاثون سنة كيف يصح مع قولهم بالاتفاق ان اباه توفى فى سنة ٦٧٩ بل يكون ازيد منه وان لم نعد سنة ولادته ووفاته كما لا يخفى والحق فى ذلك ما نقله ابن شهبة عن ابن كثير عن الذهبى ونه يعنى لطقطاى حين وفاته اربعون سنة وكانت دولته ثلاثا وعشرين سنة اه والثالثة قولهم مات كافرا يعبد الاصنام اوعلى دين التتار ينبغى ان يكون هذا ايضا غير صحيح بل الظن الغالب والراجح انه مسلم لما يظهر من افعاله واحواله وموالاته المسلمين كاسلافه وقد مر عن المفضل انه مسلم ومال الى اسلامه الفاضل المرجانى ايضا وغالب (١) الظن انهم انما قالوا بكونه كافرا لعدم ظهور اثار الاسلام منه ظهورا قويا كما ظهر من اسلافه واخلافه وقد قال العمرى فيهم ومع ظهور الاسلام فى هذه الطائفة

(١) قال الحاج عبدالغفار افندى انه كان خانا عظيم الشأن صاحب جود وسخاء حتى كان يهيئ فى سماطه المبذول للعامة كل يوم تسعون حريرا سوى لحوم الضان والبقر والفرس اه وقال كارامزين والظن انه لم يكن متدينا بدين ولم يكن متمسكا بالقرآن اه منه عفى عنه.

واقرارهم بالشهادتين فهم مخالفون لاحكامها فى كثير من الامــور اه وانما انقيادهم للاحكام الشرعية انقيادا كليا انما كان بعد تملك اوزبك خان كما سيجيء بل بقى بعض الاحكام الجاهلية والقوانين الجنكزية بعده ايضاحتى بقى الى آواخرعهد خوانين القريم بل بعضها باق الى الآن فى بلاد القزاق مع كونهم مسلمين باليقين والله سبحانه اعلم بسرائر عباده وقــولــهم جرد مرة تجريدة الخ هو ما نقل من الشيخ نعمان قال العمرى وسئل الشيخ علاء الدين نعمان عن جيوشه يعنى جيوش طقطاى فقال كثيرة يفوت الحصر فقيل كم بالتقريب فقال لااعلم لكن خرج عليه وعلى القاآن الكبير اسنبغا سلطان ما وراء النهر وتغلب وقطع الطريق وقال انا احق بالملك منهما ونهب السيارة واخرج رقبته من ربقة الطاعة القا آن مكتب القاآن الى طقطاى بان يقاتله فجرد اليه من كل عشرة واحدا فبلغ عدة المجردين مائتين وخمسين الفا قال النعمان وهو الذى دخل تحت العدو الاحصاء سوى من انضم اليهم من الطواعية قال والزم كل فارس بغلامين وثلاثين رأسا من الغنم وخمسة رؤس من الخيل وقدرين نحاسا وعجلة برسم حمل السلاح وغزا اسنبغا وكسره وانتصر عليه نصرة ظاهرة ثم عاد مؤيدا منصورا اه قلت كان تسلطن اسنبغا بما وراء النهر فى سنة ٧٠٩ وكان ما ابتداء به امره ان ارسل عسكرا الى خــراسان بقصد انتزاعها من بنى هلاكو ووقع بين الفريقين حرب صعب فيكون وقعة طقطاى فى آخر عمره والله سبحانه اعلم الملك المظفر غياث الــدين السلطان محمد اوزبك ابن طغرل (١) لجا ابن الملك منكو تيمر ولما توفى عمه الملك طقطاى مال الامراء واعيان المملكة واركان الدولة الى طرفه لما راءوا من رشده وشجاعته وصلاحيته للملك وقابليته وزيادة استعداده للسلطنة وشهامته فبايعوه بــالسلطنة واجلسوه على كرسى المملكة الصاينية وتخت سلطنة الجنكزخانية فى شهر رمضان من السنة

(١) وهو الذى قتله اخوه طقطاى مع من قتلهم كما مر. منه عفى عنه.

المذكورة قال المفضل وفى سنة ٧١٢ فى اواخر شهر رمضان جلس على سرير الملك بلاد صحراء القفچق وما و لاها الملك اوزبك خان ابن طغرلجا بن منكو تيمر وكانت ولايته بعد عمه طقطاى بن منكو تيمر قيل انه شاب حسن الصورة فائق الجمال حسن الاسلام شجاع مقدام قتل عدة من الامراء والاعيان وقتل جماعة من البخشية والسحرة اه وقال الذهبى بعد ذكر وفاة الملك طقطاى وقام فى الملك السلطان اوزبك خان وهو بطل شجاع مليح الصورة مسلم فاباد طائفة من الامراء والسحره تسلطن فى رمضان سنة ٧١٢ وامتد ايامه نحو ثلاثين سنة وصاهر السلطان الملك الناصر على اخته ومملكته شمالى شرق وهى من بحر قسطنطينية الى نهر ارتش مسافة ثمانمائة فرسخ وعرضها من باب الابواب الى مدينة بلغار وذلك نحو ستمائة فرسخ لكن اكثر ذلك مراعى وقرى ولها فى ايدى التتار (يعنى فى عصر الذهبى) مائة سنة و كانت قبله لملوك قفچق اه بحروفه وقال ابن كثير وقام بعده اى الملك طقطاى ابن اخيه اوزبك خان وكان مسلما فاظهر دين الاسلام ببلاده وقتل خلقا من امراء الكفرة وعلت الشريعة المحمدية على سائر الملل هنالك ولله الحمد والمنه اه وقال البرزالى وكان للملك طقطاى ١) ولد لم يرفى الجمال احسن منه وكان على دين الاسلام يحب سماع تلاوة القرآن وان لم يفهمه وكان قد نوى انه ان ملك البلاد لا يترك فى مملكته غير الاسلام فمات فى حياة والده وترك ولدا فعهد طقطاى اى ابن ابنه المذكور فلم يتم له الامر واستولى على الملك بعده ابن اخيه اوزبك خان وهو شاب حسن الصورة ايضا فائق الجمال حسن الاسلام شجاع قتل عدة من الامراء والاعيان وقتل جماعة كثيرة من الايغورية وهم البخشيه والسحرة واظهر كلمه الاسلام وجلس على سرير الملك فى اواخر رمضان فى هذه السنة ٧١٢ سنة وهذه المملكة هى المشهورة بمملكة بركة ابن عم هلاكو

(١) وهوايل بصارالماى ذكره فى ترجمة طقطاى خان . منه عفى عنه .

وذكر الشيخ الفاضل علاء الدين نعمان الخوارزمي الحنفي لما قدم دمشق سنة ٧١٧ ان طول هذه المملكة مسيرة ثمانية اشهر وعرضها ستة اشهر والله اعلم اه وقال ابن خلدون واما ملك طقطاى رابع نائبه قطلقتمر لاوزبك ابن اخيه طغرلجا باشارة الخاتون بيالون زوجة ابيه طغرلجا وعاهده على الاسلام فاسلم واتخذ مسجدا للصلاة وانكر عليه بعض امرائه فقتلهم وتزوج الخاتون (١) بيالون امرأة ابيه لما كان كافرا مجوسيا وولى قطلقتيمر نائب عمه على خوارزم واوركانج وعزل عنها الخاتون بيالون وكانت المواصلة بين طقطاى وملوك مصر دائمة ومات طقطاى ورسله عند الملك الناصر محمد بن قلاوون فرجعوا الى اوزبك مكرمين وجدد اوزبك الولاية معه اه وقال ابن دوقمق والعيني بعده ان طقطاى لمامات لم يخلف ولدا ذكرا ولا انثى وكان قطلقتيمر يتولى تدبير المملكة في حياة طقطاى وترتيب احوالها وجباية اموالها وهذا الامير له اخوان وهما سراى تيمر ومحمد خواجه فبعد ان اتفق الامراء والخاتون وهى بخاتون كبرى من خواتينهم كانت زوجة طغرلجا والد اوزبك وكانت تسمى بيالون واتفق معها على اقامة اوزبك بن طغرلجا بن منكو تيمر بن باتو بن جوجى بن جنكزخان واعانته وعضدته وقررت له الجلوس على الكرسى وكان قطلقتيمر قد عاهده انه اذا جلس يسلم ويتمسك بالاسلام ولما جلس دخل في دين الله راغبا واتخذ له جامعا يصلي فيه الصلوات الخمس في اوقاتها وتنكر به بعض امراء التتار واجمعوا على خلعه وهم طغمز وطاز بن منجك الماير ذكرهما ومن تبعهما في ذلك الامر الشنيع فلما جلس واستقر قتلهم

(١) وقد قال الحاج عبد الغفار افندى انه ابى الخاتون بيالون بقي وقت وفاة ابيه طغرلجه في بطنها فرسما وحته ارسلته الى ايمان بك من قبيلة قنغرطى هربا من قتل طقطاى حتى يكبر وجاطقطاى بعد ذلك فلما احتضر طقطاى وندم على قتل اقربائه وتأسف على قطع نسله التى الاحد فاخبرت له بيالون ما فعلت باوزبك خان من حفظها عند ايمان بك فرح بذلك فدعا اوزبك خان وارسل آستاى بك القياتى والاطاى السجوتى لملجىء به مع الامين من العساكر ومات في وصوله اليه ثم ذكر قصة طويلة تركتها لعدم الاعتماد عليها. منه عفى عنه.

وكان معهم جماعة اخرى من الاعيان متفقين معهم فى ذلك وله اخص هؤ
فطلقهم بمكيدتهم اشاراتهم فطلبتهم ان يدخل الى الاردو ويأمر امرا
الاحاد والامراء وجوانبهم بالاجتماع معه فى سيره ليكون دخوله الى الاردو
بعدده فعمل ذلك ولما قرب من مخيمه وهؤلاء فى فئة من اعداده كم
امرائهم كماه رأى الفرصة ممكنة منهم فبذل السيف فيهم فلم ينج منهم
الا القليل واستوثق له عند الدين ابن المسكيرى الامر وتزوج بيالون
ون امرأة ابيه التى ساعدته على الجلوس وذلك ان افتاه من عنده
بلا عن اهل العلم بان اباه كان كافرا مجوسيا وكان عقدها عليها فاسدا واتخذها
نفسه امرأة وكان له اخ يسمى باى تيمر بلى مدينة اوركانج واقليم خوارزم
فعزله وولى بدله قصمتيمر المذكور اوركانج وخوارزم وانكرت عليه ذلك
وعمقته بسمه وقالت له ان الثمرات لك الملك وبذلت المال لمن طلب
مالا والخيل لمن طلب خيلا والقماش لمن طلب قماشا وادت تعزب اهى
وعتدر اليها وتراضيا اه قلت لابد فى حلية المرأة المذكورة له من كون
ابيه لم يدخل بها بل عقد عليها على اصولهم ومات قبل الدخول فان موطوءة
الاب ولو حرام اما بحرم نكاحها عندنا كما هو مقرر فى محله من كتب الفقه ثم
ان هذه المرأة هل هى بنت القيصر صاحب القسطنطينية او غيرها فان السلطان
اوزبك خان قد تزوج بنت القيصر صاحب القسطنطينية وهى ايضا تسمى
بيالون كما ذكر ابن بطوطة عن مشاهدة ومشافهة فى رحلته المسماة
تحفة النظار وذكر فيها سفره معها من بلاد اوزبك خان الى القسطنطينية
مراجعيا ان شئت الوقوف على ذلك وهى مطبوعة فى اوروپا ومصر
وذكر فيها جملة من اوصاف اوزبك خان وخواتينه واولاده ونائبه قطلقتيمور
وسائر امرائه ووصف بلاده وقال بعد ذكر نزوله بمدينة ماجار ووصفها
ووصف اهلها وتجهزنا من المدينة الماجار نقصد معسكر السلطان وكان
على اربعة ايام من الماجار بموضع يقال له بش (١) داغ ومعناه

(١) واسمه ايضا الآن عند الروسيين پيتيغوريا المفيد لهذا المعنى ...

الخمسة عين ماء حار يغتسل منها الاتراك ويزعمون انه من اغتسل منها لم تصبه عاهة ومرض وقال ذكر السلطان المعظم محمد اوزبك خان هذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشان رفيع المكان قاهر لاعداء الله اهل اقسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلاده متسعه ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجار واوزاق وسوداق وخوارزم وحضرته السراى وهو احد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤهم وهم امير المومنين ظل الله في ارضه (يعني ملك الغرب) وسلطان مصر والشام وسلطان العراق يعني السلطان ابا سعيد من احفاد هلاكو والسلطان اوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين ويكون هذا السلطان اذا سافر في محلة على حدة معه مماليكه وارباب دولته وله في قعوده وسفره واموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته ان يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة (١) الذهب مزينة بديعة من قضبان خشب مكسوة بصفائح الذهب وفي وسطها سرير من خشب مكسوة بصفائح الفضة المذهبة وقوائمه فضة خالصة ورؤسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير (٢) ويأتي

---

(١) وهي المسماة عندهم باوردا كما قد مناوهذا ووجه تسميتها بآلتون اوردا وزولتوى اوردا يعني الاوردا الذهب . منه عفي عنه .

(٢) وفي اطرافه الخواتين على مراتبهن عنده فاذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة (يعني طيطغلى) من الخواتين ثم تنصرف سائرهن فيتبعنها الى محلتها فاذا دخلت اليها انصرفت كل واحدة الى محلتها راكبة عربتها ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل وامام العربة نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعربة وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان وامام الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبانا ومثلهم مشاة بايديهم القضبان والسيوف مشدودة على اوساطهم وهم بين الفرسان والفتيان وهكذا ترتيب كل خاتون منهن في انصرافها ومجيئها وكل خاتون تركب في عربة وللبيت الذي تكون فيه قبة من الفضة المموهة بالذهب او من الخشب المرصع وتكون الخيل التي تجر عربتها مجللة باثواب الحرير المذهب وخديم العربة الذي يركب احد الخيل فتى

بعد ذلك كبار الامرء فتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل انسان منهم اذا اتى مجلس السلطان ياتى معه غلام بكرسيه ويقف بين يدى السلطان ابناء الملوك من بنى عمه واخوته واقاربه ويقف فى مقابلتهم عند باب القبة اولاد الامراء الكبار ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام الامثل فالامثل ثلاثة ثلاثة فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد ثم قال ذكر ترتيبهم فى العيد ولما كان صباح يوم العيد وقد صادف يوم الجمعة ركب السلطان فى عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها اذ هى الملكة على الحقيقة ورثت الملك من امها وركب اولاد السلطان كل واحد فى عسكره وكان قد قدم لحضور العيد قاضى القضاة شهاب الدين الساايلى ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضى حمزة والامام بدر الدين القوامى والشريف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تن بك ولى عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضى شهاب الدين

يدعى القشى (لعله كوچر) والخاتون قاعدة فى عربتها وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى اولو خاتون وعن شمالها امرأة من القواعد ايضا تسمى كچك خاتون وبين يديها ست من الجوار الصغار يقال لهن البنات فائقات الجمال متناهية الكمال ومن ورائها ثنتان منهن تستند اليهن وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وباعلاها ريش الطواويس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجوهر شبه الموت (المانّطة) التى يلبسها الروم وعلى رأس اولو خاتون وكچك خاتون مقنعة حرير مزركشة الحواشى بالذهب والجوهر وعلى رأس كل واحدة من البنات الكلاه وهو شبه الاقروف وفى اعلى دائره ذهب مرصعة بالجوهر وريش الطواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى النخ ويكون بين يدى الخاتون عشرة او خمسة عشر من الفتيان الروميين والهنديين وقد لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر وبيد كل واحد منهم عمود ذهب او فضة او يكون من عود ملبس بهما وخلف عربة الخاتون نحو مائة عربة فى كل عربة الثلاث والاربع من الجوارى الكبار والصغار الى آخر ما ذكر بطوله . منه عفى عنه ,

وخطب احسن خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج خشب يسمى عندهم الكشك فجلس فيه ومعه خواتينه ونصب برج ثان دونه فجلس فيه ولي عهده وابنته صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينه وشمال فيهما ابناء السلطان واقاربه ونصبت الكراسي للامراء وابناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على كرسيه ثم نصبت طبلات للرمي لكل امير تومان طبلة وامير تومان عندهم هو الذي يركب له عشرة آلاف فكان الحاضرون من امراء تومان سبعة عشر يقودون مائة وسبعين الفا وعسكره اكثر من ذلك ونصب لكل امير شبه منبر فقعد عليه واصحابه يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم اتي بالخلع فخلعت على كل امير خلعة وعند ما يلبسها يأتي الى اسفل برج السلطان فيخدم وخدمته ان يمس الارض بركبته ويمد رجله تحتها والاخرى قائمة ثم يؤتى بفرس مسرج ملجم فيرفع حافره ويقبله الامير ويقوده بنفسه الى كرسيه وهنالك يركبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كل امير منهم ثم ينزل السلطان عن البرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنه ولي عهده وتليه بنته الملكة وعن يساره ابنه الثاني وبين يديه خواتينه الاربع في عربات مكسوة باثواب الحرير المذهب والخيل التي تجرها مجللة بالحرير المذهب وينزل جميع الامراء الكبار والصغار وابناء الملوك والوزراء والحجاب وارباب الدولة ويمشون بين يدي السلطان على اقدامهم الى ان يصل الى الوطاق والوطاق بكسر الواو وهي افراج (قلت المشهورة في التركية اوطاق بالهمزة المضمومة وربما يبدلون القاف واوا فيقول اوطاو وهذا هو المشهور الآن في تلك الديار ويقال له الآن باللغة العثمانية اسمه بالصاد والطاء والدال) وقد نصبت هنالك باركاه عظيمة والباركاه عندهم بيت كبير له اربعة اعمدة من الخشب مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب وفي اعلى كل عمود جامور من الفضة المذهبة له بصيص وشعاع وتظهر هذه الباركاه على البعد كأنها ثنية يوضع عن يمينها ويسارها سقائف من القطن والكتان ويفرش كل ذلك بفرش الحرير وينصب في وسط الباركاه

السرير الاعظم وهم يسمونه التخت وهو من خشب مرصع واعواده
مكسوة بصفائح فضة مذهبة وقوائمه من الفضة الخالصة المموهة
وفوقه فرش عظيمة وفي وسط هذا السرير الاعظم مرتبة يجلس
بها السلطان وكانت قد [illegible] قبة كبيرة [illegible] لعمر
والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ [illegible] معهم ورأيت ذلك
اليوم مد البصر عن اليمين والشمال من العربات عليها روايا الخمر
فامر [illegible] السلطان بتفريقها على الناس [illegible] الى [illegible] منها
فاعطيتها لجيراني من الاتراك ثم اتينا المسجد ننتظر صلاة الجمعة
فابطأ السلطان فمن قائل انه لا يأتي لان السكر قد غلب عليه
[illegible] من الفجر ومن قائل انه لا يترك الجمعة فلما كان بعد تمكن
الوقت اتى وهو يتمايل فسلم على السيد الشريف وتبسم به وكان
يخاطبه بابا وهو الاب بلسان الترك ثم صلينا الجمعة وانصرف الناس
الى منازلهم وانصرف السلطان الى البارگاه فبقي على حاله الى صلاة
العصر ثم انصرف الناس اجمعون وبقي مع [illegible] ثم كان
رحيلنا مع السلطان [illegible] ووصلنا الى مدينة [illegible] ومعنى
[illegible] عندهم الموضع [illegible] من [illegible] والذي نسب اليه هذه [illegible]
[illegible] من [illegible] ذلك الموضع [illegible]
ثم [illegible] وهي من احسن المدن عظيمة الاسواق مبنية على [illegible]
من [illegible] بالكمال [illegible] سلطان [illegible]
[illegible] متصلة به ويسافرون بالعربات [illegible]
[illegible] وفي آخر فصل الشتاء [illegible]
[illegible] ملك الروم من السلطان
ان [illegible] في زيارة [illegible] عنده [illegible]
[illegible] في [illegible] لمشاهدة قسطنطينية العظمى [illegible] (١)

(١) يعني [illegible] والروم [illegible] في [illegible] الوقت .
[illegible]

خوفا على فلا طفته وقلت له انما ادخلها فى حرمتك وجوارك فلا اخاف من احد فاذن لى وودعناه ووصلنى بالف وخمسمائة دينار وخلعة وافراس كثيرة واعطتنى كل خاتون منهن سبائك الفضة وهم يسمونها الصوم واعطت بنته اكثر منهن وكستنى واركبتنى واجتمعت لى من الخيل والثياب وفروات السنجاب والسمور جملة ثم ذكر سفره الى القسطنطينية وعوده منها الى سراى ثانيا ثم ذكر سفره منها الى خوارزم وقال فى وصف خوارزم وهى اكبر مدن الاتراك واعظمها واجملها واضخمها لها الاسواق المليحه والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الاثيرة وهى ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج موج البحر وهذه المدينة فى طاعة السلطان اوزبك وله فيها امير كبير يسمى قطلو تيمر وهو الذى عمر المدرسة بها وما معها من المواضع المضافة اليها واما المسجد الجامع فعمرته زوجته الصالحة ترابك ولم ارفى الدنيا احسن اخلاقا من اهل خوارزم ولا اكرم نفوسا ولا احب للغرباء وهم اهل مكارم وفضائل والغالب على مذهبهم الاعتزال لكنهم لايظهرونه لان السلطان اوزبك واميره على هذه المدينة قطلوتيمر من اهل السنة وهذا الامير ابن خالة السلطان المعظم محمد اوزبك واكبر امرائه وهو واليه على خراسان وولده هارون بك متزوج بابنة السلطان المذكور التى امها الملكة طيطغلى المتقدم ذكرها وامرأته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة اه ماتعلق غرضنا به فى هذا المحل منتخبا ومن اراد التفصيل فليراجعها قال القاضى محى الدين بن فضل الله العمرى فى المسالك وحدثنى الصدر زين الدين عمر بن مسافر ان هذا السلطان اوزبك غير ملتفت من امور مملكته الا الى جمليات الامور دون تفصيل الاحوال يقنع بما يحمل اليه ولايفحص عن وجوهه فى القبض والصرف ويلبس بدلة قماش كاملة وتخلع التى كانت عليه على من يتفق ممن حوله وقماشه ليس بفائق الجنس ولاغالى الثمن وهو مسلم حسن الاسلام متظاهر بالديانة والتنسك بالشريعة محافظ على اقامة الصلاة ومداومة الصيام مع قربه من الرعايا

والقاصدين له وليست يده مبسوطة بالعطاء ولواراد ذلك لما وفى له به دخل بلاده وفى سلطان مملكته طوائف الچركس والروس والاص وهم اهل مدن عامرة آهلة وجبال مشجرة مثمرة ينبت عندهم الزرع ويدر الضرع وتجرى الانهار وتجنى الثمار ولا طاقة لهم بسلطان هذه البلاد يعنى بلاد بركة وهو اوزبك وهم معه وان كانت لهم ملوك كالرعايا فاذاداروه ببذل الطاعة والتحف والطرف كف عنهم والاشن عليهم الغارات وضايقهم بالحصار وانواع المضايقات وكم مرة قتل رجالهم وسبى نساءهم وذرار بهم وجلب رقيقهم الى اقطار الارض فكل من يجاورونه ومن الملوك يدارونه لعظمة سلطانه عليهم واخذه بخنافهم لقربهم منه قال والقسطنطينية مجاورة لاطراف ممالك القفچوق وهم مع ملك الروم فى طلب دائم واقترابات متعددة فى كل وقت وملك الروم مع توفر جمرته وكثرة حماته وانصاره يخاف سطوته وبطشته ويتقرب اليه بالمداراة ويدافع مع الايام من وقت الى وقت ومازالت تلك حالهم مع ملوك هذه البلاد من ابناء چنكزخان منذ استولوا على تلك الناحية ودبروا امورها ولاتخلو بينهم مدة من تجديد عهود ومسالمة الى مدة توجل بينهم على اشياء تحمل من جهة الروم الى الخان بمملكة القفچوق وقال فى موضع عند بيان قياصرة الروم واما الآن فقد اذل الله لملوك خوارزم وقفچوق رقابهم وسهل صعابهم ومذ ملك هذا السلطان اوزبك خان سامهم الهوان وقرع ابهم المطيعة حتى صار احد سلاحهم الهرب وبذل الطاعة واعطاء السابه اه وبالجملة ان هذا السلطان عظيم الشان كان من اكابر ملوك التتار فى تلك الديار ونال من الاشتهار فى جميع الاقطار اشتهار الشمس فى نصف النهار ولهذا قيل لتلك البلاد بلاد اوزبك ومملكة اوزبك بعدما انتسبت برهة من الدهر الى قفچق وجوجى خان وبركة خان وغلبت هذه النسبة على غيرها حتى قيل لرعاياه ايضا اوزبك وصار هذا الاسم علما لهذا الجيل بسبب غلبة استعماله وكثرة اسفار هذا السلطان الى طرف بلاد اذربيجان وخراسان وحروبه ووقائعه الكثيرة الشهيرة مع بنى هلاكو وكثرة قولهم جاء الاوزبك هجم الاوزبك وبقى هذا الاسم

علماسكان تلك الديار قاطبة عند الاجانب مدة ثم لما هجم الملوك الشيبانيين من ذلك الفحذ الى ما وراء النهر واستخلصوا تلك الديار من ايدى اولاد الامير تيمور واستقروا هناك غلب عليهم هذا الاسم ونسى عمن سواهم لما ان الشهرة والامور العظام متلازمان ثم اطلق هذا الاسم بمرور الزمان على كافة من بها وراء النهر ومرعاة من الاتراك واختص بهم الاستعمال الى الآن على هذا قال ابو الغازى خان الخوارزمى الجنكزى فى تاريخه المسمى شجرة الترك ما معربه ان السلطان اوزبك خان كان ينعم على كل شخص ويكرمه ويحترمه على حسب مرتبته ومنزلته وقد ادخل جميع قومه فى دين الاسلام وتشرف جميع قومه بسبب صاحب الدولة هذا بشرف الاسلام ثم قيل لمملكة جوجى مملكة اوزبك وكذلك يقال ذلك الى يوم القيمة وكان داعدل وانصاف انتهى وقال فى النجوم الزاهرة ولم يلبس اوزبك خان بعد ان اسلم السراقوجات وصار يلبس عياءة من فولاد ويقول لبس الذهب حرام على الرجال ذكر المواصلة والمراسلة بين السلطان اوزبك محمد خان وملوك مصر وقد تقدم ان الملك الناصر لما استبطأ رسله ارسل رسولين عقبهما وهما علاء الدين الايدوغدى الخابطى وعلاء الدين طيبغا الكرمونى وانهما صادفا الرسولين المتقدمين الخاص تركى والخاز بدار بدرم وان الخاص تركى ورفيقه وصلا الى الابواب الشريفة السلطانية فى السنة المذكورة وان المرسولين المذكورين اعنى الايدوغدى ورفيقه تقدما الى كرنا موضع وفاة الملك طقطاى قال البدر العينى وغيره وتقدم الخابطى والكرمونى الى كرنا وهو الموضع الذى مات فيه طقطاى واجتمعا باوزبك خان الذى جلس موضع طقطاى وبنائه قطلقتيمر وجهز معهما من جهته رسولا اسمه منعوش كان قد ورد الى الابواب الشريفة من جهة طقطاى دفعة اولى وارسل قطلقتيمر معه رسالة يعرض فيها على السلطان الصلة بينهم والخطبة له على بنت بركة اخى الملك طقطاى ثم قال وفيها يعنى فى سنة ٧١٤ وصل الى الابواب الشريفة الرسل الذين كانوا ببلاد التتار بالشمال وهما رسولا الباب العزيز المتقدم

ذكرهما ومعهما منغوش رسول الملك اوزبك خان صاحب البلاد الشمالية وابلغوا الرسالة وفاوض منغوش السلطان بما اشار اليه قطلقتيمر من امر الزواج والصلة فحسن ذلك بخاطر السلطان الملك الناصر وحصل للرسول المذكور اكرام زائد ثم جهزه وسفر معه رسولين من الباب العالى وهما سيف الدين اروج وحسين بن صارو وتردد الحديث فى امر المخطوبة واحضارها فلما وصلا الى اوزبك واجتمعا به ابلغا الرساله واوصلا الهديه ثم اعادهما وجهز من عنده رسولا نذكرهم فى السنة الآتية ان شاء الله تعالى اه ومثله فى تاريخ ابن دوقمق باختصار وقال النويرى فيها يعنى فى سنة ٧١٣ وفى يوم السبت سادس وعشرى ذى الحجة وصل الى الابواب السلطانية بقلعة الجبل رسل الملك اوزبك الجالس على كرسى المملكة بسراى زما معها وهى ملكه بيت بركة ومعهم رسل الاشكرى على العادة فانزل رسل الملك اوزبك بمناظر الكبش وشملهم الاحسان السلطانى اه ومثله فى تاريخ المفضل وعبارته وفيها يعنى فى سنة ٧١٣ فى سادس وعشرى ذى الحجه وصل الى الديار المصرية رسل الملك اوزبك خان الذى جلس موضع الملك طغطاى وكانوا مائة واربعة وسبعين نفرا فانزلوهم بالكبش ونزل صحبتهم رسل الملك الاشكرى اه وقال الحافظ المغلطاى وفى يوم السبت سادس وعشرى ذى الحجة سنة ٧١٣ وصلت رسل ازبك صاحب بلاد القفجق وهم جماعة كبيرة عدتهم مائة واربعة وسبعون نفرا وصحبتهم رسل الملك الاشكرى وكان عند ازبك رسل صاحب مصر وهم نفران من مقدمى الحلقة وهما طيبغا الكرموى ونوفى مالك وعلاء الدين الايدوغدى وحضر صحبته الرسل الواصلين بعد ما اقام هناك عشرين شهرا واقام فى البحر صحبة الرسل المذكورين سبعة اشهر واستحضرهم مولانا السلطان يوم الاثنين ثامن وعشرى ذى الحجة اه وقال الصلاح الصفدى وفى خامس عشر ذى الحجة سنة ٧١٣ حضر المنغوش ومن معه من رسل اولاد بركة وهم فى جميع كبير ونزلوا

بالكبش مدة شهر وتوجهوا الى بلادهم اول شهر المحرم سنه ٧١٤ اه وفيه مالا يخفى وقال النويرى فى موضع آخر ووصلت رسله يعنى اوزبك خان الى ابواب مولانا السلطان الملك الناصر سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وغيرها من الممالك الاسلامية وكان وصولهم فى ذى الحجة سنة ٧١٣ وصحبتهم من التقادم لمولانا السلطان مالم تجر بمثله عادة وكان فى جملة رسالته انه هنى مولانا السلطان الملك الناصر باتصال الاسلام من الصين الى اقصى بلاد المغرب وقال انه كان قد بقى فى مملكته طائفة على غير دين الاسلام فلما ملك خيرهم بين الدخول فى دين الاسلام او الحرب فامتنعوا وقاتلوا فاوقع بهم وهزمهم واستاصل شأفتهم بالقتل والاسر وجهز الى مولانا السلطان عدة من سباياهم فاعاد مولانا السلطان رسله صحبة رسل وانعم عليهم وارسل معهم الهدايا الوافرة اه ففيما ذكره العينى وابن دوقمق الذى هو ماخذه نوع مسامحة كما لا تخفى والصواب ما ذكره غيرهما وقال الحافظ المغلطاى فى يوم الخميس مستهل المحرم سنة ٧١٤ طلع الرسل المذكورين وعليهم الخلع جميعهم وفى يوم الثلثاء العشرين من محرم افرج عن بلرغى الصغير بشفاعة اوزبك وفى يوم الاربعاء سادس صفر سافرت رسل اوزبك وتوجه صحبتهم الامير سيف الدين اروج امير طبلخانات والحسام حسين بن صارو من مقدمى الحلقة اه وهذا هو الصواب وما ذكره الصفدى سبق قلم كما لا يخفى ذكر عود هوءلاء الرسل من عند الملك اوزبك قال النويرى وفيها (يعنى فى سنة ٧١٥) فى العشر الاخير من شهرى رمضان عادت رسل السلطان من جهة الملك اوزبك وهم الامير سيف الدين اروج وحسام الدين حسن بن صارو وصحبتهم رسل الملك اوزبك فتوجه رسل السلطان اليه الى الصيد ومثلوا بين يديه وعاد السلطان الى قلعة الجبل بعد ان قضى من الصيد وطرا وكان وصوله فى عشرى شوال واستحضر رسل الملك اوزبك ورسل الملك الاشكرى ورسل صاحب

ماردين وسمع رسائلهم وسير الى الملك اوزبك من الامير علاؤالدين ايدوغدى الخوارزمى وحسين بن صارو وارسل صحبتهما الهدايا والتحف اه ومثله فى تاريخ المفضل وقال فيه ثم جهزهم يعنى رسل الملك اوزبك وسير معهم تحفا كثيرة وهدايا من كل نوع وسير من جهته الامير علاؤالدين الآيدوغدى الخوارزمى وحسام الدين حسين بن صارو الى البلاد القفچاقية فى البحر اه ومثله فى الصفدى مع التعريف وقال ابن دوقمق فيها (يعنى فى سنة ٧١٥) رجعت رسل السلطان من بلاد اوزبك وهما سيف الدين اروج وحسام الدين حسين بن صارو وصحبتهما رسل الملك اوزبك وهم بكناى وتلابغا وعلى بن بكار وآينا خواجا وعمر القرمى فاما على بن بكار فانه مات بالبحر قريبا من استانبول عند قلعة يقال لها كليبولى واما بقيتهم فوصلوا الى الابواب الشريفة ووصل فى صحبتهم رسل الملك الاشكرى صاحب القسطنطينية وانزل كل منهم فى الاماكن التى جرت بها العادة واجريت عليهم الضيافات وسئل رسول الاشكرى دستور الزيارة للقدس الشريف فاجيب وتوجه زائرا وعاد وانقضت هذه السنة وهم مقيمون اه وقال المغلطاى وفى يوم السبت سادس شوال سنة ٧١٥ وصل رسل اوزبك وهم مائةوسبعون نفرا ووصل رسل الاشكرى وفى يوم السبت العشرين من شوال طلع الرسل القلعة واحضروا فى الديوان وفى يوم الخميس خامس عشر ذى الحجة طلع رسل اوزبك والاشكرى وقت العصر ودخلوا القصر وودعوا ونزلوا وسافروا عشية الاثنين تاسع عشرة وسافر صحبتهم ايدوغدى الخوارزمى وحسين بن صارو اه وقال ابن دوقمق وفيها (يعنى فى سنة ٧١٦) رسم السلطان بتسفير رسل اوزبك الواصلين فى السنة الماضية ورسل الاشكرى وجهز السلطان رسلا من جهته وهم علاؤالدين آيدوغدى الخوارزمى وحسين بن صارو وبطرك الملكية المسمى اغريغوريس ومعهم من انواع الهدايا

والتحف والقماش والعدد شى كثير ومن الخيل اثنى عشر فرسا مسرجة وكان سفرهم من الاسكندرية فى اواخر محرم اه فبين قول الملطاى وابن دوقمق نوع مخالفة وميل القلب الى قول الملطاى والله سبحانه اعلم وقال ابن دوقمق فى بيان حوادث السنة المذكورة وقيل انه ما مات خربندا وكان موته فى تلك السنة ارسل جوبان (١) الملك اوزبك ببلاد الشمال يحسن التوجه اليه ليسلم اليه الملك فاستشار اوزبك قطلقتمر مدبر مملكته واشار عليه ان لا يفعل وانه ان صار الى خراسان خرجت المملكة الشمالية من يده واستولى عليها غيره وربما تعذر عليه امر المملكة الاخرى وموته كلاهما موقوف عند رأيه واقام بمكانه ثم قال فى بيان عودة رسل ملك مصر من عند الملك اوزبك ومجيء رسله ورسل الاشكرى اليه وفيها (يعنى فى سنة ٧١٧) كان عود رسل السلطان من عند اوزبكخان وصاحب القسطنطينية وهم المرغدى الخوارزمى و سيف بوز صارو وطرك المكية وصحبتهم رسل اوزبك وهم شريك وهو مقدم بومان ، بعرطاى وقرطاق وعدد القرمى ورسل الاشكرى وهم ... الذى هو كبير منه وحصبدس ... ميخائيل الامرى كايتمانوس وهذه الاسم بالرومى يدل على وظيفته عند مملكه ... يوحنا ... الثالث تادروس ومثلوا بالمواقف الشريف والمعوا رسالات مرسليهم وقدموا هديتهم وكان هدية اوزبك ثلاث سنقاور وست مماليك وبردية وخوذة وولادوسيف ولم يرسل احد قبله من ملوكهم نظير ذلك لان من عادتهم الاقتصاد وانما هذا القدر لعظمة السلطان فى نفسه وكان السلطان قد ارسل له مئتا عده كاملة ما بين جوشن وخودة وخلعة كاملة الحتانى اطلس احمر مزركش وشاش كاورى وبعلطاق فوقانى

(١) هذا ورس السلطان محمد خربندا احد الاعلام لعقلاء الصحاح اخرى عين زبيدة الى مكة بن اسعد غلامه فازان ولفا سمى عين مكة التى تعرف بحزان ثم سرى هذا الاسم الى غيرها وقت ايام السلطان ابى سعيد ودفن بالمقبر ... وصرفه بعطان ... يحد ابة الدت وحمل الى ... ذكرهم ... رحمه الله تعالى منه عفى عنه

مفنوى مقصب مخفف بطرز ذهب وكلوتة دهب وخياصة دهب وخيل مسرجة ملجمة بذهب وسيف محلى بالذهب ومن الخيل فرس سرجه ولجامه مرصع بالجوهر الثمين فسمع السلطان رسالة رسله واقاموا الى ان جهز من يسافر صحبتهم وتوجه رسل الاشكرى الى القدس الشريف وعادوا وعين من الابواب الشريفة رسولان الدوجى من امراء الطبلخانات وبيرام خواجه امره السلطان عند تعيينه للرسلية فاعطاه امرة عشرة وكان مفردا ا ه وقال وفيها (يعنى فى سنة ٧١٧) فى أخر شعبان وصل الى ثغر الاسكندرية مركب من بر القفجق من عند الملك أوربك خان وفيه رسل وصحبتهم مائتا جارية وثلاثمائة مملوك وغير ذلك اه وفى هذ المخالفة لما مر ولعل هذه المرة غير تلك المرة والظاهر ان هذه الارقاء للتجارة لا للهدية والله سبحانه اعلم وقال النويرى وفى هذه السنة (يعنى سنة ٧١٧) فى شهر رمضان عادت رسل السلطان من جهة الملك أوزبك وهم الامير علاؤ الدين الآيدوغدى الخوارزمى ومن معه وصحبتهم رسل الملك اوزبك فمثلوا بين يدى السلطان فى يوم الخميس رابع الشهر وكان السلطان قد خطب الى الملك اوزبك امرأة من بنات الملوك من البيت الجنكزخانى وبعث مع رسله هدية طائلة جليلة المقدار فلما جاءت الرسل اشتطوا فى المهر فطلبو مائة طمان من الذهب والطمان عشرة الاف دينار فيكون جملة ذلك الف الف دينار والف الف فرس والف الف عدة كاملة للحرب وغير ذلك واشترطوا ان يحضر لتسلمها جماعة من الامراء الاكابر ونساؤهم وغير ذلك من الشروط التى لا يمكن الاجابة اليها فنزل السلطان عن هذه الخطبة ونزل عنها الى ماجرت به العادة من المكاتبات بينه وبين الملك اوزبك ثم كان ارسال المخطوبة من غير استدعاء من السلطان والصلة ما سنذكره اه وقال المغلطاى وفى يوم الاحد تاسع وعشرى شعبان سنة ٧١٧ وصلت رسل أوزبك

وصحبتهم آيد وغدى الخوارزمى وحسين بن صارو الذين توجهوا فى ذى الحجة سنة ٧١٥ وفى ثانى صفر سنة ٧١٨ سافرت رسل اوزبك وسافر صحبتهم الطوجى امير طبلخانات وبيرام خواجه مقدم الحلقة اهـ وقال ابن دوقمق وفيها (يعنى فى سنة ٧١٨) سفر السلطان رسل الملك اوزبك الذين جاؤا صحبة علاؤ الدين الآيد وغدى الخوارزمى وحسين بن صارو ورسل الملك الاشكرى وجهز صحبتهم من الابواب الشريفة الطوجى السلحدار وبيرام خواجه واصحبوا من الهدايا النفسية مايليق بالملوك الكبار اهـ ومثله فى المقريزى وزادفيه قوله واعيدوا مع الامير سيف الدين بيرام خواجه بهدية قيمتها عشرة الاف دينار اهـ ذكر تزويج حضرة الملك اوزبك محمد خان كريمة من بنات اقربائه اولاد چنكزخان للملك الناصر السلطان محمد ابن الملك المنصور السلطان قلاوون الالفى القفچقى الاصل سلطان مصر والشام وسائر بلاد الاسلام * قد اكثر المورخون الكبار ذكر هذا التزويج فى تواريخهم اجمالا وتفصيلا اطنابا واختصارا واعتنوا بشانه كما تقدم ذكر بعض مقدماته ولا علينا الآن ان نجمع اقوالهم هنا فان المقصود من هذا الجمع ذكر احوال ملوك تلك الديار وحيث فاتنا اخبار امور هم العظام لعدم تاريخهم المخصوص بهم (١) فلا نفوت ولانضيع ما ذكره الكبار ولو كان فى حد ذاته من جملة الامور الصغار فاقول وبالله التوفيق وبيده ازمة التحقيق قدمر ان قطلقتيمر نائب السلطان اوزبك هو الذى اشار بذلك على رسل الملك الناصر فى اوائل سلطنة السلطان اوزبك ولاشك ان جل قصده بذلك تاكيد المحبة ودوام الموادة والمواصلة بين هذين الملكين بحصول نسبة المصاهرة بينهما فيكونان كشئ واحد يعاضد

---

(١) كيف لانذكره مع ان ارباب الجرايد فى عصرنا كيف يحررون فصولا طوالا فى كيفية تزوج بعض دوق وهوقة آوروپا ويعتنون بشانه اليس اجدر بنا ان نعتنى بشان زواج امثال هؤلاء الملوك العظام منا . منه عفى عنه .

احدهما الآخر ويعاونه فى النوائب وينصره فى محاربة الاعداء وجهاد الكفار لاعلاء كلمة الله الملك الجبار لالميره من الاغراض العديمة الاعتبار وان اوماء الى ذلك قول ابن خلدون فها انا اذكر هنا قوله والنا قد بصير صاحب استبصار قال ابن خلدون كانت بين ملوك التتار من بنى جوجى وبنى هلاكو من الجانبين وقائع متعددة وحروبهم فيها سجال وربما غلب المسلمون (يعنى اهل مصر والشام) وقت الفتنة بين دولة جوجى وبين بنى هلاكو وابعدهم (يعنى دولة الاسلام اهل مصر والشام) عن فتنة بنى جوجى التوسط الممالك بين مملكتهم ومملكة مصر والشام كانت تقع لهم الصاغية اليهم وتتجدد المراسلات(١)والمهاداة بينهما فى كل وقت ويستحث ملوك الترك (يعنى الذين بمصر) ملوك سراى من بنى جوجى على فتنة بنى هلاكو والاجلاب عليهم فى خراسان وما وليها من حدود مملكتهم ليشغلوهم (يعنى بنى هلاكو) عن قصد الشام وياخذوا بحجزهم عن النهوض الى بلاد الاسلام ومازال ذلك دأبهم من اول دولة الترك (يعنى بمصر) وكان رغبة بنى جوجى خان فى ذلك اعظم يفتخرون به على بنى هلاكو(هذا على زعم هذا المورخ الشهير) (٢)ولما ولى سراى الملك اوزبك من بنى جوجى خان سنة ٧١٢ وكان له نائب ببلاد قرم قطلق تيمر وفدت اليه الرسل من مصر على العادة فعرض لهم قطلقتيمر بالصهرية مع السلطان ببعض نساء ذلك البيت على شريطة الرغبة من السلطان فى ظاهر الامر والتمهل منهم فى امضاء ذلك وزعموا ان ذلك عادة الملوك منهم ففعل السلطان ذلك وردد الرسل والهدايا اعواما ستة الى ان استحكم ذلك بينهم وبعثوا اليه المخطوبة طلنباش بنت طغاجى من بنى جوجى سنة ٧٢٠ مع كبير المغل وكان مقعدا يحمل

(١) وقد عرفت مما سبق ان اول مراسلاتهم كان فى عهد الملك الظاهر بيبرس والملك بركة فتذكر بمه عفى عنه .

(٢) وقد جعل مراسلتهم لهذا الغرض ولعدم ملكتهم فزنه بميزان عقلك مع ملاحظة المعاملات السابقة واللاحقة منه عفى عنه.

على الاعناق ومعهم جماعة من امرائهم وبرهان الدين امام اوزبك ومروا بالقسطنطينية فبالغ الاشكرى فى اكرامهم يقال انه انفق عليهم ستين الف دينار وركبوا البحر من هناك الى الاسكندرية ثم ساروا بها الى مصر على عجلة وراء ستور من الذهب والحرير يجرها اكديش يقودها اثنان من مواليها فى مظهر عظيم من الوقار ولما قاربوا مصر ركب للقائهم النائبان آرغون وبكتيمر الساقى فى العساكر وكريم الدين وكيل السلطان وادخلت الخاتون الى القصر واستدعى ثالث وصولها القضاة والفقهاء وسائر الناس على طبقاتهم الى الجامع بالقلعة وحضر الرسل الوافدون عندهم بعد ان خلع عليهم وانعقد النكاح بين وكيل السلطان ووكيل اوزبك وانفض ذلك المجمع وكان يوما مشهودا اه بعبارته وقال النويرى والعينى والمفضل وابن دوقمق والمقريزى وغيرهم يتداخل الفاظ بعضهم بعضا ذكر وصول الخاتون دلنبية وقيل طولونبية وقيل طلنباى وقيل طلنباش بنت طغاجى بن هندو بن بكو بن جوجى قاله ابن دوقمق والعينى وابن خلدون وقال ابن خلدون فى ترجمة الملك اوزبك بنت برلك اخى الملك طقطاى وكذلك فى تاريخ العينى فى (١) محل آخر والله اعلم ايهما اصح فى سنة ٧٢٠ قد ذكرنا ان السلطان قد خطب لاوزبك ملك التتار بنتا من الذرية الجنكز خانية وجهز لذلك آيدوغدى الخوارزمى كما تقدم فى سنة ٧١٦ فلما قراء كتاب السلطان قال الترجمان للرسول لما اراد ان يتكلم بالمشافهة ان القان يقول ان كان فى مشافهتك غير السلام فخاطب به الامراء ثم جمع الامراء مقدمى التمانات وهم سبعون اميرا فكلمهم الرسول فى ذلك فنفروا منه وقالوا هذا لم يقع مثله قط فيما تقدم من حين ظهور جنكز خان الى هذا الوقت وفى مقابلة ما ذا تجهز ابنة من الذرة الجنكز خانية الى الديار المصرية وتقطع سبع بحور ونحو هذا من الكلام ولم يوافقوا على ذلك فى اول يوم ثم اجتمعوا فى يوم آخر بعد

---

(١) وقد تقدم ذلك منه فى اول بيان هذا الامر منه عفى عنه .

ان يوم آخر بعد ان وصلت اليهم هداياهم التى جهزها السلطان اليهم فاعيد الحديث فى ذلك فاجابوا (١) اليه وسهلوه وقالوا ما زالت الملوك تخطب الى الملوك وملك مصر ملك عظيم تتعين اجابته الى ما طلب الا ان هذا الامر لا يكون الا بعد اربع سنين سنة كلام وسنة خطبة وسنة مهاداة وسنة زواج واشتطوا فى طلب المهر والشروط فلما وصل ذلك الى السلطان رجع عن الخطبة والحديث فيها وتكررت رسله الى الملك اوزبك ورسل الملك الاوزبك اليه والسلطان لا يذكر امر الخطبة ولا تتضمن رسائله غير السلام واظهار المودة على العادة ثم لما توجه الامير سيف الدين طوجى من جهة السلطان لاوزبك خان فى سنة ٧١٨ كما مر بالهدايا والتحف وخلعة سلطانية مزركشة مكللة وامتثل بين يديه البسها الملك اوزبك ثم ابتداء هو للامير سيف الدين طوجى المذكور يذكر الزواج وقال ان اخي السلطان الملك الناصر قد خطب الى امراءة من القربة الجنكز خانية فان لم اجب الى ما طلبه ينكسر خاطره فقد جهزت له ما كان قد طلب وعينت له ابنة من البيت الجنكز خانى من نسل الملك بركة بن جوجى فقال طوجى ان السلطان لم يرسلنى فى هذا الامر وهذا امر عظيم لو علم السلطان بوقوعه لجهز لهذه الجهة المعظمة ما يليق وما يصلح لها واراد بذلك دفع الامر الى وقت آخر فقال الملك اوزبك انا ارسلها اليه من جهتى فما وسع الرسول الا مقابلة امره بالسمع والطاعة فلما استقر هذا الامر قال الملك اوزبك احمل مهر هذه الجهة فاعتذر بانه لا مال معه فقال نحن نامر التجار ان يقرضوك ما تحمله فامرهم بذلك فاقترض عشرين الف دينار عينا وحملها ثم قال له انه لا بد لها من

---

(١) ابو العز الناظر هذا صنيعه وقد ذم الكافور الاخشيدى واعظ فلما ارسل اليه شيئا من ميراث قارون مدحه باحسن مدح ولله در الزمخشرى حيث يقول فى مثل هذا الشعر:

فاذا رابت صعوبة فى مطلب ◦ فاحمل صعوبتها على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه ◦ حجر يلين سائر الاحجار . منه عفى عنه .

عمل فرح تجتمع فيه الخواتين فاقترض مالا آخر قيل سبعة آلاف دينار وعمل الفرح وجهزت الخاتون وصحبها جماعة من الرسل وهم ايتغلى وطقبغا ومنغوش وطرجى وعثمان خواجه وكبيرهم بابنجار وهو من كبار المغل وبه زمانة لايستطيع المشى وانما يحمل عند ركوبه ونزوله وكان معهم اثنان آخران فماتافى الطريق وهما بيكتيمر وقرطق وصحبتهم امام الملك اوزبك خان واسمه الشيخ برهان الدين ومعهم قاضى سراى ايضا وعدة من الخواتين ومائة وخمسون رجلا غير المذكورين وستون جارية وقيل الف مملوك ما بين جوار وعبيد وقيل ثلاثة (١) آلاف والله اعلم ومعهم هدية سنية فتوجهوا من جهة الملك اوزبك وركبوا البحر فى ثانى شهر رمضان سنة ٧١٩ وحصل لهم مشقة عظيمة فى الطريق وطال مدتهم وذلك فانهم اقلعوا فى زمن الخريف فلم يوافقهم الريح فاقاموافى بر الروم على مينا ابن منتشا خمسة اشهر وبالغ المذكور فى خدمتهم واكرامهم وكذلك فعل الاشكرى صاحب القسطنطينية فانه بالغ فى اكرامهم ووسع لهم فى الاقامات والانزال وانفق عليهم جملا من الاموال فانهم ومن معهم من اتباع الخاتون والزامها ومماليكها جماعة كثيرة فوق اربعمائة نفر واقاموا فى بلاده مدة ويقال ان جملة ما انفقه عليهم ستون الف دينار وجهز معهم رسلا من جهته فوصلوا الى ثغر الاسكندرية فى العشر الاخير من ربيع الاول سنة ٧٢٠ ولماطلعت الخاتون من المركب جعلت فى خركاه منصبة على العجلة وجرها المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية واجريت لهم الاقامات المتوفرة وجهز السلطان الى خدمتها الامير آقبغا عبد الواحد فى عدة من الامرا والحجاب وثمانية عشر حراقة فركبت الخاتون فى الحراقة الكبرى السلطانية وركب بقية

---

(١) قال الملك المؤيد ابوالفدا وفى هذه السنة يعنى سنة ٧٢٠ فى اثنائه ربيع الاول وصلت اليه فى البحر الى الديار المصرية وكان فى خدمتها مايقارب ثلاثة الاف نفر من رجال ونساء واحتفل بهم الى الغاية مايكون وادرت عليهم الانعامات والصلات اه . منه عفى عنه •

من معها فى بقية الحراريق ووصلت الخاتون الى الساحل المقابل للقاهرة من بحر النيل فى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٧٢٠ وفرشت مناظر الميدان السلطانى لنزولها وخرج كريم الدين الكبير وكيل السلطان ومعه عربيات وبخاتى وبغال وضرب الخيام الحرير الاطلس بالميدان ولما وصلت ركب الامير سيف الدين آرغون نائب السلطنة الشريفة وجماعة من الامرأ والمماليك السلطانية الاكابر وتوجهوا الى خدمتها وحملت من الحراقة فى محفة على اكتاف مماليك نائب السلطنة الى ان استقرت بقاعة الميدان السلطانى وضرب لها ايضا بالميدان دهليز اطلس معدنى كان قد عمل للسلطان ومد لها ولمن معها اسمطة تصلح لمثلها واجريت عليهم الاقامات فلما كان يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر احضر السلطان الرسل وهم رسل الملك اوزبك ورسل ملك الكرج ورسل الاشكرى فمثلوا بين يديه واحضروا الكتب والتقادم ثم امر السلطان نائبه الامير سيف الدين آرغون والامير سيف الدين بيكتيمر الساقى وهو من اخص مماليكه ان يتوجها الى الميدان وينظرا الخوند الخاتون فتوجها اليه ورأيا ها فيما بلغنا ثم نقلت الى قلعة الجبل قيل فى اليوم المذكور قال النويرى وقيل ليلة السبت سلخ ربيع الاول قاله ابن دوقمق والمقريزى والعينى محمولة على عجلة داخل حجلة مغطاة بستور الديباج والاطلس والزربفت تجرها اكديش (١) واحد يقوده اثنان من مماليكها بعمائم على زى بلاد التتار وفى خدمتها الامير سيف الدين آرغون نائب السلطنة الشريفة بالديار المصريه والامير بيكتيمر الساقى والقاضى كريم الدين الكبير حتى استقرت بقاعة اعدت لها بقلعة الجبل كان السلطان

---

(١) اكدش بالفارسية بكسر الهمزة وضم الدال ماتولد بين جنسين مختلفين اونو عين مختلفين كالفرس المولد بين الفرس العربي والتركى والبغل المولد بين الفرس والحمار ولعل المراد هنا البغل كما صرح به النويرى والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

قد انشاها ولم يبن في المملكة الاسلامية مثلها فلما كان يوم الاثنين الثاني من ربيع الآخر جلس السلطان للرسل وحضر كبير هم باينجار وكان مقعدا لايقدر على القيام ولاالمشي وانمابحمل على المحفة ودخل معه اينغلي وطقبغا ومنغوش وطرحى وعثمان خواجه والشيخ برهان الدين امام القان ورسل الاشكرى وقد اجتمع سائر الامراء والاكابر والجيوش والعساكر في جمالهم ولباسهم فاجلس باينجار واخذ منه كتاب اوزبك فبلغ سلام اوزبك وقال قال اخوك اوزبك انت سيرت طلبت من عظم القان (١) بنتا فان لم نسيرها لم يطب خاطرك وقد سيرنا لك من بيت كبير فان اعجبتك خذها بحيث لايحل عندك اكبر منها وان لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فقال السلطان نحن ما نريد الحسن والجمال وانما نريد كبر البيت والقرب من اخي اوزبك وان نكون نحن واياه شيئا واحدا وبلغه ايضا برهان الدين مشافهة فمد الخوان وافيض عليهم من الخلع الحسان نحو خمسمائة خلع واحضر القضاة والحكام وعقد العقد السعيد في جامع القلعة الجديد وكتب الكتاب وعين فيه المعجل والموجل وجملته ستون الف دينار منها ما قدم وهو عشرون الف دينار التي تقدم ذكرها وعقد العقد قاضي القضاة بدرالدين محمد بن ابراهيم بن جماعة وقبل العقد عن السلطان بوكالته نائبه الامير سيف الدين آرغون وخلع على الوكيلين وكيل السلطان وكيل الخان وعلى القضاة ومن حضر ذلك المجلس وكانت خلعة القاضي كريم الدين فرجيتين احداهما وهي الفوقانية اطلس احمر وعليها طرز ذهب مصري فامتنع من لبسها وقال هذا ما جرى لي به عادة فقال له السلطان انا قد

---

(١) بفتح العين معروف يريد به بمعنى النسل والذرية وارادة هذا المعنى من هذا اللفظ معروفة عندهم الى الآن يقولون خان سوياكي يعني نسله ويقال سوياكداش منه عفي عنه

لستثنيناها لك وذلك اكراماله لعلو منزلته عند السلطان وكتب علاؤالدين على بن الاثير كاتب السر صورة العقد بخطه وصورته بعد البسملة هذا ما اصدقه مولانا السلطان الاجل الملك الكبير الناصر على الخاتون الجليلة بنت اخي السلطان اوزبك خان طلنبية بنت طغاجي الخ وكان هذا اليوم يوما مشهودا وبنى بها مولانا السلطان فى ليلتها و قيل ليلة الجمعة الآتية قالوا وهذا امر لم يتفق مثله لاحد من ملوك الترك بالديار المصرية ثم اعاد الملك الناصر الرسل ومن حضر معهم فى خدمتها بعد ان شملهم بالانعام الوافر وجهز معهم الهدايا الجليلة الى الملك اوزبك وغيره وكان عودهم يوم الاحد ثانى شعبان من السنة المذكورة وتاخر منهم القاضي برهان الدين (١) قاضي سراى بسبب الحج فحج وعاد الى بلاده فى سنة ٧٢١ وسافر مع الرسل المذكورين طقصبا الظاهرى امير طبلخانات وقطلوبغا البغدادى امير عشرة وسيذكر عودهما بعد ذكر ما جريات اوزبك خان مع الملك ابي سعيد ان شاء الله تعالى ذكر ابتداء الخلاف بين الملك اوزبك خان وبين الملك ابى سعيد خان سلطان العراقين حفيد هلاكو ووقوع الحرب بينهما بعد ان وضع حرب ما بين هاتين الشعبتين اوزارها برهة من الزمان' وخلاصة هذه الحروب على ما استفيد من تاريخ ابن خلدون وغيره من كتب التواريخ انه لما مات السلطان محمد المشهور بخربنده ملك العراقين واذربيجان فى سنة ٧١٦ كما تقدمت الاشارة اليه كان عمر ولده الوحيد السلطان ابي سعيد رحمه الله اثنتى عشرة سنة فاستصغره الامراء خصوصا وزيره الامير الكبير چوپان عليه الرحمة والغفران الذي هو مدبر مملكته فارسل الى الملك اوزبك يستدعيه لان يملكه بلاد العراق ايضا فامتنع كما مر فاجلسوا السلطان اباسعيد مع صغره ضرورة لعدم غيره من التربة الجنكز خانية هناك ولا يجوز عندهم نصب من سواهم عند وجودهم لكونهم بمنزلة قريش الترك كما قال ابن عربشاه

(١) ولعله الشيخ نعمان الخوارزمي الآتي ذكره بقرينة ما سياتي. منه عفي عنه.

فلما استقر فى التخت فوض زمام الامر وتدبير امور المملكة الى يده (١) فاستبد هو واولاده بالا مور وصاروا يتحكمون فى البلاد ويحكمون بما شاءوا على من شاؤا من العباد حتى صاروا فى الاخير يحكمون على السلطان بنفسه فكرهه سائر الامراء لذلك وضاقت صدورهم بما هنالك وصاروا يكاتبون الملك اوزبك والملك بيسور الذى هو من احفاد چغطاى وكان يحكم ببعض نواحى خراسان منذ ازمان وكان لا يخلو من الهجوم على بعض حدود ممالك اولاد هلاكو دائما وكانت نفسه تحدثه بالاستيلاء على ممالكهم كافة وكان ينتهز الفرصة لذلك فلما ظهر هذا الامر الذى هو اقصى مرامه من عالم الغيب من حيث لا يحتسب اغتنم الفرصة ونهض قاصدا بلادهم حتى استولى فى مدة يسيرة على اكثر بلاد خراسان ووصل الى دامغان وما زندران وكتب الى السلطان الملك اوزبک يحرضه على الهجوم عليهم من طرف آخر ولا يخفى ما بين هاتين الشعبتين من العداوة الذاتية القديمة ووقوع المحاربات الصعبة بينهما كما مر فلما انضم الى ذلک مكاتبة الامراء شكاية من الامير چوپان واستدعاء هم اياه وتحريض الملک بيسور من طرف آخر ووعده المظاهرة تحرك عرق حميته وغلب على ظنه انه يظفر بمناه فارسل عساكره الى بلاد اذربيجان من طرف دربند وشرو ان فى سنة ٧١٨ تحت رياسة نائبه قطلقتيمر وقيل غيره وانما ارسل قطلقتيمر لانجاد بيسور وامداده والله سبحانه اعلم وكان طائفة من عسكر السلطان ابى سعيد قد تعدوا نهر الكر الى جانب دربند وشروان برسم الطليعة فلما عبر عسكر اوزبک مضيق دربند ووقع بصر عسكر السلطان ابى سعيد عليهم هربوا منهزمين ولحقوا بسلطانهم الملك ابى سعيد وانهوا اليه صورة الحال وكيفية الامر فتوجه بنفسه مع عساكره الموجودة عنده ونزل بساحل نهر الكر من طرف اذربيجان وجاء عسكر اوزبک ايضا ونزلوا بساحل نهر الكر من طرف

---

(١) يعنى الى يد الامير چوپان . منه عفى عنه .

دربند و شروان مقابل عسكر اذربيجان ولم يجدوا الى العبور الى طرف آخر سبيلا بسبب ما بالماء من الزيادة والطغيان فلما استشعر السلطان ابو سعيد بعدم كفاية من معه من العساكر جعل عسكره خطا مستقيما بساحل نهر الكر ليريهم كثيرا فى اعين عدوهم وارسل الى وزيره چوپان يستدعيه ويامره باللحوق به مسرعا وقد كان توجه نحو خراسان لدفع يسور ومعه اكثر العساكر فلما بلغه هذا الخبر المفجع وامير يسور قد نفى حيث كان الامير حسين الذى كان اولا مأمورا بمدافعته هزمه بمعاونة عساكر عراق انثنى راجعا الى الملك ابى سعيد ووصل اليه فى اقرب وقت ومعه تمانان من العساكر الجرار فوجد عسكر اوزبك قد رحلوا وتوجهوا الى بلادهم فانهم لما عجزوا عن العبور كانوا قد رحلوا باخذ الغنائم والسبايا من غير قتال ولعل ذلك لما بلغهم من انهزام يسور وخروجه من ارض مازندران وخراسان ٭ ويفهم من بعض التواريخ ان سبب ذلك هجوم الشتاء والله سبحانه اعلم وتوجه چوپان مع عساكره من ورائهم فلم يدركهم ٭ وقال بعضهم ان الملك اوزبك كان فى ذلك العسكر بنفسه وهو غلط فاحش وذكر كثير من المورخين ان غارتهم فى هذه المرة وصلت الى موقان ٭ ولما عاد الملك ابى سعيد والامير چوپان الى مستقرهما صار ايغتشان من الامراء الذين كانبوا الملك اوزبك والملك يسور حيث اكد ذلك هربهم من عسكر اوزبك من غير محاربة وعذباهم بانواع العذاب واهاناهم غاية الاهانة فلم يبق للامراء صبر ولا طاقة على ذلك واعلنوا بالعصيان ورفعوا راية المخالفة فوقع بين الفريقين حرب وقتل من الجانبين الكثير ومن ثم انجلت الحرب عن انهزام الامراء وغلبة السلطان ابى سعيد فقتل من كبراء الامراء بعد وضع الحرب اوزارها الامير ايرنجين وابنه عليشاه وامه زوجة ايرنجين والامير قورمشى وانفلت من هذه الحادثة نفران من اولاد قورمشى والتحقا بالملك اوزبك وحكيا له ما فعل السلطان وچوپان بالامراء الكبراء وشكيا اليه من استبداد چوپان ومصادرة اولاده واتباعه حتى رق قلبه لهما وترحم فجهز مقدما اسمه عيسى كوكرز بثمانى تمانات يعنى ثمانين الفا وامرهم ان يدخلوا الى

البلاد قولا واحدا ويأخذوها اويموتوا عن آخرهم ؛ جهز ايضا عسكرا كثيفا صحبة نائبه قطلقتيمر من طريق خوارزم ليحقق بيسور فى خراسان ويستصحب معه عسكر بيان بن تنجى ملك باميان المار ذكره فتعذر عليهم الوصول وحصل لهم عوائق من الثلوج وضعفت الخيول ووردت الاخبار بوفاة بيسور مقتولا فان الامير حسين الذى كان توجه لقتاله من جهة الملك ابى سعيد اتفق مع كبك خان الجغطاى ملك ماوراء النهر ؛ كان رقيب بيسور فجمعا له جموعا حسب الميسور وقصداه بعساكر وافرة من الجانبين فكانت الدائرة عليه وكان فيها حتفه سنة ٧٢٠ ثم استولى القحط والغلاء على عساكر الجانبين اعنى عساكر اوزبك خان وابى سعيد خان فلم يتفق لهما اللقاء فى هذه السنة ايضا فارسل الملك اوزبك رسلا الى الملك الناصر وهم كراى وبلرغى وبغراس فوصلوا الى مصر فى سنه ٧٢٠ بعد وصول الخاتون وكان مضمون الرسالة الاستنجاد والاستمداد بالملك الناصر على الملك ابى سعيد فلم يجبه الملك الناصر ولم يساعده الى ذلك لما انه كان قد استشعر من الملك ابى سعيد والامير چوپان الميل الى طرف الصلح فقدمه ورجحه لمنافع المسلمين واعاد الرسل المذكورين باقامة العذر ثم ارسل الى الملك ابى سعيد يعرفه بقصد اوزبك اياه ويوصيه بالتنبه والتيقظ فلما بلغهم خبر السلطان اوزبك ممالكهم استيقنوا ان الملك الناصر ناصح لهم وان مودته معهم صحيحة فارسل چوپان اليه رسله صحبة مملوك السلامى للشكر والثناء عليه ولتاكيد الصلح بينهم وبينه ومعهم هدايا جليلة وتحف ومماليك وجوار مما يقرب قيمته خمسين الف تمان والتمان هو البدرة وهى عشرة الاف درهم ويعرفه انه قصد ملاقاة عسكر اوزبك ويطلب منه ان يكون خاطره معه وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ٧٢٠ فكتب الملك الناصر الى نائبه يطلب ان يكون محترسا على من يدخل الى ناحية الشام ويتعدى الفرات واما عسكر الملك اوزبك والملك ابى سعيد فتقابلا على طرفى نهر الكر كما فى السابق عسكر الملك اوزبك فى ساحل الشمالى والملك

ابي سعيد في الجنوبي فاقاما متقابلين كذلك شهرا ينتظر كل منهما نجدة من الملك الناصر فلما لم تظهر النجدة عاد كل منها الى بلاده بلاقتال قيل عادا بعد وقوع الصلح بينهما وقيل بلاصلح فان صح الصلح لكنه مابقي الامدة يسيرة قال العيني ان الملك كبك ملك ماوراء النهر اتفق مع الملك اوزبك لمحاربة الملك ابي سعيد في سنة ٧٢٢ (١) وقصدوا بلاد ابي سعيد وان چوپان توجه نحو خراسان بالجموع للتقاه في فصل الشتاء وقت جمود البحر الذي بينهما يعني جيحون المشهور بآمويه وصيرورته جليدا يصلح للمرور ثم لم يذكر بعد ذلك من تلك الحادثة شيئا * ثم قال وفي سنة ٧٢٣ ورد رسول من الملك ابي سعيد ومعه كتاب منه يتضمن الصلح بين عسكر ابي سعيد وعسكر اوزبك خان وذلك حين كانوا متقابلين على ما مر فانتظم الصلح وزال الشر اه وقال ابن خلدون ان الملك اوزبك طلب من الملك الناصر بعد الالتحام بالصهرية المظاهرة على ابي سعيد وچوپان فاجابه الى ذلك ثم بعث اليه ابو سعيد في الصلح فآثره وعقده وبلغ هذا الخبر الى اوزبك ورسل الملك الناصر عنده فاغلظ في القول وبعث اليه بالعتاب فاعتذر لهم الناصر بانهم دعوه لاقامة شعائر الاسلام ولا يسع التخلف عن ذلك فقبله الملك اوزبك ثم وقعت بينه وبين ابي سعيد مراوضة في الصلح بعد ان استرد چوپان ما ملكه اوزبك من خراسان فتوادع كل هؤلاء الملوك واصطلحوا ووضعوا اوزار الحرب حينا من الدهر الى ان تقلبت الاحوال وتبدلت الامور * هذا كلامه في هذا المحل وقال في محل آخر بعد ان ذكر اول تلك الوقائع بالاختصار ثم عزل اوزبك نائبه قطلقتيمر سنة ٧٢١ وولى مكانه عيسى كوكرز ثم رده سنة ٧٢٤ الى نيابته ولم يزل الحرب يعني بعد انتقاض

---

(١) قلت هذا وهم فان الملك كبك توفي سنة باتفاق المورخين ولعل ذلك بعض اخوانه فبل تملك طرمشرين والله سبحانه اعلم . منه عفي عنه .

(٢) وقيل كركز بضم الكافين وسكون الراء المهملة والزاي المعجمة وقال ابن خلدون ورسم لقطلقتيمر بالتوجه الى خوارزم اه ومثله في العيني فعلى هذا مايكون معنى اعادته وعبارة غير ابن خلدون تدل صريحا على انه استقر بها الى ان مات كما سنذكر . منه عفي عنه .

الصلح ثانيا متصلة بين اوزبك وبين ابى سعيد الى ان هلك ابوسعيد سنة ٧٣٦ﻫ ولم اطلع على تفاصيل تلك المحاربات بل على اجمالها فى كتب التواريخ الا انه ذكر فى روضة الصفا ان السلطان اوزبك ارسل جيشا فى اواخر سنة ٧٣٥ بقصد آذربيجان واران فتوجه السلطان ابو سعيد بجيشه الى اران لمدافعتهم قبل استيلائهم على البلاد وذلك فى اوائل سنة ٧٣٦ فوصل الى حدود شيروان ثم رجع جمع كثير من عسكره بسبب عفونة الهواء وحرارته وعرضت فى تلك الاثناء عارضة قوية لمزاجه يعنى السلطان اباسعيد فتو فى فى الثالث عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة فلما تولى الملك بعده آربا خان توجه الى محاربة عسكر اوزبك فبلغ عسكر اوزبك فى تلك الاثناء واقعة قطلقتيمر من طرف خوارزم وكان المذكور ظهر اوزبك فلما بلغهم ذلك رجعوا اﻫ وقال فيه ايضا ان الامير چوپان لما حارب الملك اباسعيد وانهزم امامه وتوجه نحو الهراة ملتجأ الى الملك غياث الدين صاحبها توجه ولده الامير حسن مع ولده تالش الى طرف خوارزم فاستقبلهما حاكمها قطلق تيمر بغاية الاكرام وارسلهما الى السلطان اوزبك فاكرمهما واظهرلهما انواع العناية وارسلهما مع عساكر كثيرة لمحاربة الچركس فاظهر كل منهما فى السفر المذكور كمال الجلادة وتمام الشجاعة واصيب الامير حسن فيه بجرح فاكرمه السلطان اوزبك غاية الاكرام ولكنه مات من ذلك الجرح ومات ولده تالش حتف (١) انفه اﻫ فدل هذا ان قطلقتيمر كان فى الوقت المذكور نائبا بخوارزم وكان وقعة چوپان سنة ٧٢٨ وقد صرح (٢) ابن بطوطة فى رحلته بكون قطلقتيمر بخوارزم حين قدم اليها وقد ذكر كثيرا من

---

(١) قال ابن بطوطة واما حسن وطالش فانها قصدا خوارزم وتوجها الى السلطان محمد اوزبك فاكرم مثواهما وانزلهما الى ان صدر منهما مالا وجب قتلهما فقتلهما اﻫ والله اعلم بالحقيقة . منه عفى عنه .

(٢) المقصود من ذكر هذه المذكورات بيان بقاء قطلقتيمر نائبا بخوارزم من طرف اوزبك خان فى تلك الاوقات فدل كلام روضة الصفا اولا على انه كان نائبا بها فى حدود سنة ٧٢٨ ثم لم نقف بعد ذلك على اثر له . منه عفى عنه .

اوصافه الجميلة وكان قدومه اليها على مايظهر من كلامه حيث لم يصرح في حدود سنة ٧٣٣ ولم ادر ماذا كانت الوقعة التي ذكرها في روضة الصفا من وقعة قطلقتيمر كما مر والله سبحانــه اعلم وهذا هو ما اطلعنا عليه بغاية الجهد من وقايع السلطان اوزبك والسلطان ابيسعيد رحمهما الله تعالى ولنرجع بعد ذلك الى ذكر ما جرى بين الســلطان اوزبك والملك الناصر سلطان مصر **ذكر عودة طقصبا الظاهري وقطلوبغا البغدادي من عند السلطان اوزبك مع رسله المرسلين الى الملك الناصر وما جرياتهم** قد مر في بيان وقائع سنة ٧٢٠ ان رسل اوزبك الذين وردوا مصر مع الخاتون طلنبية عادوا الى بلادهم يوم الاحد ثاني شعبان من السنة المذكورة وتوجه معهم طقصبا الظاهري وقطلوبغا البغدادي رسولين من عند الملك الناصر الى السلطان اوزبك ووعدنا هناك ذكر عودتهما بعد ذكر ماجريات السلطان اوزبك مع الملك ابي سعيد وقد اتينا الى منتهى تلك الماجريات وان كان اكثرها مؤخرا مما سيذكر بعد ليكون بيان الحوادث متصلا وحيث فرغنا من بيانها فلابد من انجاز ما وعدناه فنقول قال النويري وابن دوقمق في ذي القعدة من سنة ٧٢١ وقال العيني والمقريزي وغيرهم في سنة ٧٢٢ زاد المقريزي مستهل ربيع الاخر والاول اصح عاد رسل الملك الناصر الذين كان ارسلهم سنة ٧٢٠ الى الملك اوزبك صحبة رسله وهم الامير سيف الدين طقصبا الظاهري ومن معه وحضر صحبتهم رســل الملك اوزبك وهم منغوش؟ واروس وارداجق وطغاي يخشي ومعهم كتاب من الملك اوزبك متضمن لعتاب الملك الناصر فتمثل طقصبا بين يدي السلطان حال وصوله واخر رسل الملك اوزبك الى ان عاد السلطان من الصيد وذكر طقصبا ان الملك اوزبك لم يعبأ بهم ولاقام بواجبهم وانه قبل الهدية بجملتها وعند استعراضها اغلظ عليهم حتى خشوا بأســه وبطشه ولم يدعهم يقيمون عنده غير اربعة ايام ومنعهم عن شرأ المما ليك

واظهر الغيظ على السلطان ولم يسأ لهم من حاله على خلاف عادته واكثر ماخاطبهم مرة واحدة ان قال لهم الملك الناصر طيب قالوا له نعم فقال ونحن ايضا طيبون وبعد ذلك لم يحصل لهم الاجتماع به وسبب ذلك نقض ما ابرمه الملك الناصر من جر العساكر الى العراق واذربيجان وامداد اوزبك خان وانجاد عساكره لاستيصال بني هلاكو وانه اقام عساكره على نهر الكر شهرا منتظرا لظهور النجدة والامداد منه حسب وعده فلم يظهر له اثر ولحق بعساكره ضرر كثير اغترارا بوعده وايضا كان ورد الى مصر مع الخاتون طلنبية المجهزة من بلاد اوزبك شيخ كبير معظم عند الملك اوزبك يدعى بالشيخ(١) نعمان الخوارزمي (وسيجيء ترجمته ان شاء الله تعالى) وكان من قصده ان يحج ثم يزور القدس والخليل ويبني له مكانا في القدس ويقيم فيه يعبد الله تعالى الى ان يموت واعطاه الملك اوزبك مالا عظيما ليفرق بعضه للمجاورين في الحرمين الشريفين ويبني بالباقي خانقاها في القدس فلما وصل الى مصر وقع بينه وبين مهمندار الملك الناصر وحشة ورأى من المهمندار تقصيرا في حقه وتنقيصا فلما قضى اربه من الحج والزيارة وعاد الى بلده حكى للملك اوزبك مالقي من مهمندار من الاخراق به والتقصير في شانه ورضا الملك الناصر بذلك فلما انضم الى رجوع رسله من عنده خائبي الامال غضب الملك اوزبك لذلك غضبا شديدا ولم يجد مايسكن غضبه الاقتل شكران الجنوى التاجر ونهب امواله بدلا من تحقير الشيخ نعمان فقتله ونهب امواله وخيب اماله وسكن به غيظه في الجملة وكان شكران هذا تاجرا كبيرا من الافرنج الجنوية وكان له حرمة عظيمة عند الملك المظفر بيبرس حتى كان يخاطبه بالاخ وقدم تخليصه لرسل الملك طقطاي والملك الناصر من ايدي الافرنج حين اسروهم وقد كان القاضي كريم الدين وكيل السلطان اعطاه ستين

---

(١) ولعله هو قاضي سراي المتقدم ذكره .منه عفي عنه .

الف دينار وسكرا وبضاعة سواه تبلغ قيمتها اربعين الف دينار للمتاجرة فى ذلك وتردد بالدفعات الى الجهات والبلاد وصادف كونه فى بلاد اوزبك غضبه ففعل به ما فعل ثم اتفق عقيب ذلك وصول رسل السلطان اليه فعامل بهم ايضا ما سبق من العمل وادعى ان شكران قتل بعض ملوك الجزائر (١) وكتب الى السلطان كتابا ذكر فيه ان الملك الناصر كان وقد وعدنا ان يجهز عسكرا من عنده ليكون عونا لنا على اعدائنا وقد خرجت عسكرنا واقامت مقابل العدو شهرا ولم يحضر من عنده عسكر ولم يظهر لوعده اثر فاخلف وعده الذى منه قد ظهر وايضا انه ما مكن الشيخ نعمان ان يعمر معبدا لله تعالى فى القدس وقد اذن عمارة كنيسة بها الملك الكرج فلما عاد السلطان من الصيد ومثل الرسل بين يديه وسمع مشافهتهم وقرأ الكتاب امر بانزالهم الى مناظر الكبش ولا خلع عليهم على خلاف عاداته ولا عاملهم مثل معاملاته ومنعهم من شراء الرقيق مكافاة لما فعل الملك اوزبك برسله ثم احسن اليهم وخلع عليهم واعادهم الى مرسلهم فى العشر الاوسط من ربيع الاول من سنة ٧٢٢ وارسل معهم رسولا من طرفه يسمى بهاؤ الدين قراقوش الظاهرى الكوندكى احد مقدمى الحلقة المنصورة ومعه هدية سنية وكتاب للملك اوزبك ذكر فيه ان الملك اوزبك لم تطب نفسه بمصالحتنا مع الملك ابى سعيد وانا لم نصالحه الا لاسلامه ودخوله ومن معه فى الدين القويم فلا يجعل لنا منعه من الحج الذى هو احد اركان الاسلام وانه يكون عونا لنا فى نصرة الدين والاسلام واما منع الملك من شراء الرقيق فنحن بحمد الله عن الرقيق فى غنا فان استمررتم على المحبة والصداقة فانتم الاصحاب والسلام اه ذكر هو دهؤلاء الرسل مع رسل من عند السلطان اوزبك قال الحافظ المغلطاى والعينى نقلا عن ابن كثير وفى

---

(١) هكذا فى الاصل المنقول منه ولعله الجراكس والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

٣٤

يوم الاحد ثامن عشري ربيع الاول وقال النويري في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤ وصلت رسل الملك اوزبك متملك سراى والبلاد الشمالية الى الابواب الشريفة وهم منغوش واروس وصحبتهم رسل الملك الناصر الذين كانوا توجهوا في السنة الخالية (هكذا قالوا) وهم بهاؤ الدين قراقوش الظاهري الكوندكي ورفقته ومعهم هدية الملك أوزبك وهي سنقران وجلود الدب الابيض طول كل واحد سبعة اذرع وكسور فقبلت هداياهم وشملهم الانعام وزاد العيني وفي رسالتهم عتب كثير لكون السلطان ما وافقهم على حرب ابي سعيد ونائبه جوبان اه والظاهر انه سبق قلم فان الملك الناصر لما اعتذر في الرسالة السابقة قبل الملك اوزبك اعتذاره كما صرح به ابن خلدون كما مر فبعد قبول الاعتذار لايبقى للعتب ثانيا وجه أصلا خصوصا بعد ان قال الملك الناصر في كتابه فان استمررتم على المحبة والصداقة فانتم الاحباب فان هذا الكلام سد ابواب العتاب كما لايخفى على اولى الالباب والله الملهم المصواب ثم قالا اعنى الاولان وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الاخر سافرت الرسل المذكورون وسافر صحبتهم الامير سيف الدين بكمش وقيل بيكتيمر الساقي الظاهري وبدر الدين بيليك السيفي السلاري المعروف بابي غدة الاستادار احد مقدمي الحلقة المنصورة ومعهما جواب كتاب الملك اوزبك وهدية سنية ثم قالوا وفي يوم الثلثاء السادس عشر من شهر رمضان وقيل يوم الاحد الحادي والعشرين منه في سنة ٧٢٥ عادت رسل السلطان الذين كانوا توجهوا رسلا الى الملك اوزبك وهم الامير سيف الدين بكمش الظاهري ورفقته وصحبتهم رسل الملك اوزبك ورسل الاشكري ومعهم التقام والهدايا فسمع السلطان رسالتهم وانعم عليهم واعادهم الى مرسلهم وسافر صحبتهم الامير سيف الدين الطوجي احد الامراء المصرية وهو الذي كان زواج الخاتون ومجيئها الى مصر بيده كما تقدم وسيف الدين قراديمر احد المقدمين في الحلقة واصحبهم الهدايا فتوجهوا وكان خروج رسل الملك اوزبك من بين يدى السلطان يوم الاثنين السادس من شوال بعدان شملهم

بالانعام والخلع وتوجهوا يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور ثم قالوا وفى يوم السبت عاشر رجب من سنة ٧٢٨ وصلت رسل الملك اوزبك وصحبتهم الطوجى وفرادبمر المار ذكرهما ومدة غيبتهما سنتان وتسعة شهور الاسبعة ايام واحضروا ما معهم من الانعام ثم رسم بعود رسله اليه وتوجه صحبتهم من جهة السلطان سيف الدين ما جار بن ابغان احد امراء العشرات بمصر وصحبته عمه بيلق وكان توجههم فى التاسع عشر من شوال من السنة المذكور قال المقريزى وفى التاسع عشر منه يعنى من شوال سنة ٧٢٨ وقال العينى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال سنة ٧٢٩ عقد نكاح الخاتون طلباى الواصلة من بلاد اوزبك على الامير سيف الدين منكلى بغا السلحدار احد مقدمى الالوف بعدما طلقها السلطان وانقضت عدتها وبنى بها يوم الخميس ثامن ذى القعدة وقال العينى وفى سنة ٧٢٩ حج بالناس الامير أيدمور وكان امير الركب فى العام الاول وكان من جملة من حج فى هذه السنة والدة الامير قوصون ومعها اهله واقاربه وكان قوصون قد سأل السلطان ان يكتب الى الملك اوزبك بسوآل ارسال والدته واقاربه فانه كان له فى بلاده (١) والدته واخوه وابن اخته وجماعة من اقاربه واهله فكتب السلطان الى الملك اوزبك خان وسأله ان يرسل هؤلاء الى مصر وكتب ايضا الى طغاى تيمر فى قرم فجهزهم اوزبك الى مصر فى سنة ٧٢٧ وامر السلطان اخاه صوصون وابن اخته بلجك وسيروا امه به الى الحجاز فى هذه السنة اه قال الحافظ المغلطاى وفى سابع عشرى محرم من سنة ٧٣٠ وصل ما جار المار ذكره مع رفقته جاوا فى البر من الروم ومدة غيبته سنة وثلاثة شهور وسبعة ايام ذكر كارامزين هنا موت الكيناز آندرى المار ذكره قبل هذا وذلك فى سنة ١٣٠٤ م مصادفة سنة ٧٠٤ ﻫ ونزاع الكيناز ميخايل التوبرى المار ذكره مع الكيناز غيورغى الموسكوى فى الكينازية وذكر ترجيح اكثر الروس لجانب الكيناز ميخايل لاسباب وانه جلس دست الكينازية فى توبر واقام بفراغ البال بسنين عديدة وانه لما مات

(١) يدل هذا على انه كان من تلك الديار كما يدل عليه اسمه وكذلك اكثر الامراء بمصر فى تلك الاعصر من تلك الديار كما يدل عليه اسماؤهم مدعى عنه .

الخان طقطاى فى سنة ١٣١٢ وجلس اوزبك خان مكانه لزمه ان يذهب اليه للتبريك والبيعة فذهب اليه وبقى مقدار سنتين لديه فاعطاه اوزبك خان منشورا بتصديق كينازيته وضم اليه مقدارا من عساكر التتار تحت قيادة الاميرطاى تيمر وارسله الى وطنه على العادة وكان ذلك فى سنة ١٣١٥م ثم ذكر وقايع تتعلق بالروسية ثم ذكران غيورغى المذكور كان مقيما باوردو مدة ثلاث سنين وكان يتشبث باذيال الاسباب والوسائل التى يمكنه ان يتشبث بها من تقديم الهدايا والتوسط بالامراء واقارب الخان وتقبيح فعل الميخايل والتملق لتحصيل الكينازية العظمى حتى ظفر بصرف توجه الخان اليه حتى اعطاه جارية من عنده واعطاه منشورا بتصديق كينازيته العظمى على الروسية واعطاه عسكرا تحت رياسة الامير قاوغادى وارسله الى ولاديمر ورسم بعزل ميخايل عنها فاستقبلهم ميخايل بعساكره وقاومهم ولم يرض بالنزول عن الكينازية وكانت الغلبة فى طرفه عليهم حتى اسر الامير قاوغادى وعائلة اخى غيورغى فلم يقتل احدا من التتار بل اكرم الامير قاوغادى واضافه بضيافات لائقة واعطاه هدايا عظيمة وارسله الى الخان واخذ منه الوعد ببيان حقانيته وقباحة غيورغى لدى الخان وبعد اللتيا والتى اصطلح ميخايل مع غيورغى ورد له عائلة اخيه ورضيا بالذهاب الى اوردو والمحاكمة لدى الخان ولكن ماتت فى الاثناء الجارية التى اعطاه اوزبك خان فلما امتثلا لدى الخان واستنطقا شرع غيورغى يعد معايب ميخايل بانه لا يطيع الخان ولا يؤديه الخراج تماما ولا يخلصه الوداد وانه تسبب لقتل الجارية بالتسميم وانه وانه حتى ثار غضب الخان على ميخايل فامر بضرب عنقه ففعلوا وكان كل ذلك فى سنة ٧١٨ ﻫ فجعل الخان غيورغى المذكور كينازا اعظم واعطاه المنشور بذلك وارسله الى ولاديمر واعطاه ايضا قنسطانتين ولد المقتول وامراء توير الذين كانوا معه كالاسارى ففاز غيورغى ببغيته ثم ان ديميترى بن ميخايل المقتول ذهب الى اوردو وتشرف بشرف المثول لدى اوزبك خان وشرع فى تعداد خدمات ابيه ميخايل اليه وخلوصه له وبيان قباحة غيورغى حتى استمال قلب الخان الى طرفه منصبه الخان كينازا مكان ابيه فاشتدت العداوة بينه

الاسباب بين غيورغى وبين ديميترى والبكساندر وقنسطانتين اولاد ميخايل وصار كل من الفريقين بقصد الآخر بسؤ ويريد هلاكه ففى سنة ١٣٢٥م مصادفة سنة ٧٢٥ هـ ذهب الكيناز غيورغى من طريق وولغا وقزان الى اوردو بهدايا كثيرة بقصد ارجاع الكينازية العظمى لنفسه وبينما هو فى اوردو اذ سمع ذلك الكيناز ديميترى فذهب هو ايضا مع اخيه البكساندر من ورائه الى اوردو ولما وقع نظره على غيورغى الذى تسبب لقتل ابيه ثاردمه وفار ولم يملك نفسه حتى سل سيفه فى تلك الساعة وضربه به وقتل فتحير الامراء والوزراء من سوء دأبه هذا فى حضور الخان ولكن اوزبك خان لم يقل له شيئا ومضى على ذلك شهور فظن الوزراء ان الخان عفى عنه سؤ دأبه المذكور واذن الخان البكساندر اخاه بالانصراف فذهب الى توير وبقى ديميترى فى اوردو ثم ان الوزراء ذكروا يوما للخان سؤ دأب ديميترى فامرهم بضرب عنقه فضربوه اه فلينظر العاقل الى ما يفعل الروس بعضهم ببعض ومع ذلك يسندون هذه القبايح الى التتار ويقولون ان اوزبك خان قتلهم ماذا يفعل اوزبك خان اذا كان يقصد بعضهم بعضا بسوء وسعى فى اعدامه واهلاكه وقد ذكر كارامزين قبيل هذا مرحمة اوزبك خان للروسية فى حق كنائسهم ودفع اذية مامور به عنها ونحن اخرنا هذا عن تلك الوقعة ليطرد الوقايع المذكورة ويتصل بعضها ببعض قال كارامزين شرع بعض امراء الباصقاق فى التعدى والاذية واخذ الخراج من الاملاك الكنائسية واوقافها مع كونها معافة عنها فى نظام الخان فتوجه پيطر ميتر پوليد (مطران) الروسية الى اوزبك وشكا منهم اليه فقبل اوزبك خان كلامه فكتب له اليرليغ (الفرمان) بمنع الامراء الباصقاق وكفهم عن التعرض للاملاك الكنائسية وهذه ترجمته ترجمة فرمان اوزبك خان بمرحمة الله العظيم الشان الحى الذى لايموت وقوته القاهرة انا اوزبك بارادة الله تعالى وامره فرمانى على كافة

(١) وهذه الحوادث هى التى عناها بعض مورخى العثمانية بعدان ذكر خوان اوزبك بخوارزم بقوله كان خوانين اوزبك هؤلاء وقتا ما يعزلون مثل ميشل (ميخايل) الثانى روريا و ديمترى ويصبونهم كيف شاؤا اه تفكر وفيه وزنوه بميزان ادراككم . . . ه عفى عنه

الكيناز الا عاظم والاواسط والا دانى وجميع وزرائى وامرائى والدفتر دار والكتاب والباصقاق وسفرائى و جميع اهالى الا طراف التى يجرى فيها حكمى بقوة الله الحى الذى لايموت بان كافة الروحانيين والقسيسين والرهابين من النصارى وغيرهم والكنائس و المعابد الكائنة بالروسية وغيرها و ما يتعلق بها من الاملاك والاوقاف محررة ومعافة من الخراج والتكاليف الميرية لا يتعرض عليها احد قط فان هذه مهيأة كلها فى سبيل الله ومن الدعاة لدولتنا واحكام عائدة الى رؤساء روحانيتهم فليبد عونا ولعائلتنا فمن تعرض على هؤلاء واخذ منهم شيئا فانه يؤخذ منه ثلاثة مثاله جزاءا ومن اداهم فانه يستحق لقهر الله تعالى حرر هذا فى سنة الارنب فى اليوم الرابع من الشهر الاول من فصل الخريف ﴿ قال المورخ ان اوزبك خان قد حرر الروحانيين من الخدمة العسكرية بهذا الفرمان ام ولم اطلع على تاريخ تحريره الا ان كارامزين اثبته فى عداد وقايع سنة ١٣١٩ مصادفة سنة ٧١٩ ه وهو اطول من هذا بكثير ولكن المترجم حذف كثيرا منه و نحن ايضا اقتصرنا على ترجمته بالضرورة و كذلك فى اكثر المواضع المترجمة من تاريخ كارامزين يبقى فيه اشيأ كثيرة غير مترجمة و سببه اختصار المترجم فمن ارادالتفصيل فليرجع الى التاريخ المذكور ان كان من اهله ﴿ قلت فليقابل العاقل هذه المعاملة الصادرة من الاقوام الوحشية بزعم الروسية بمعاملة الروسية المتمدنة الآن بهؤلاء التتار هل توجد بينهما مناسبة هيهات هيهات شتان ما بين تلك الهيئات و هذه الهيئات ولا اريد انا بقولى هذا المعاملة التى صدرت من عهد استيلاء الايوان المدهش الى زمان يكاترينا الثانية من اضطهادهم واكراههم على ترك الدين بانواع العذاب تاسيا باسپانيا وانما اريد به المعاملة الصادرة عنهم فى هذا العصر الذى هو عصر التمدن والترقى عندهم اعنى من سنة ١٨٦٦ الى يومنا هذا من تشبثهم بانواع الحيل الخفية بزعمهم فى ذلك اعنى فى مداخلتهم بالامور الدينية كما سنذكره فى

آخر الكتاب ان شاء الله ولنصرف الآن عنان البراع نحو بيان الوقائع الماضية ناركاو قايع هذا العصر الى محلها قال كارامزين دلمامات غيورغى بسيف ديميترى وقتل ديميترى بسيف الخان قصاصا وجه اوزبك خان الكينارية الى الكيناز اليكساندر اخى ديميترى وابن ميخايل المقتولان وكتب له بذلك منشورا ومنحه ايضا ما لم يمنحه لابيه واخيه من المراحم الخانية ولكن لم تدم له تلك المراحم بل تبدلت غضبا وقهرا ثم ذكر وقعة شفقال خان حادثة شفقال خان قال كارامزين بعد بيان الوقايع المذكورة بالتفصيل ثم ان اوزبك خان ارسل فى ابتدا الربيع من السنة المذكورة ١٣٢٧ ابن عمه الامير شفقال بن الامير دودين (تدان) مع فرقة من عسكر التتار الى توير وكان ذلك لاصلاح بعض الامور التى بلغته بعد رجوع اليكساندر المذكور الى توير فظن الاهالى ان ذلك انما هو لدعوة الروس الى الاسلام واجبارهم عليه وانه يقتل اليكساندر وسائر حكامهم ثم يجلس على تحته وينصب عليهم حكاما ممن معه ويجعلهم عبيدا لهم وشاع ذلك الخبر بين الروسيه شيوعا تاما وصدقوه مع انه غير مطابق للواقع من جميع الوجوه فانه لم يكن مع الامير شفقال عسكر كاف لهذا الامر بل كان معه شرذمة قليلة على انه مخالف لسياسة التتار فانهم كانوا يحمون روحانية الروسية دائما ولم يصدر منهم تعرض للدين قط خصوصا اوزبك خان الذى كان متصفا بالعدالة للرعايا ومشتهرا بالحقانية بين البرايا فان استحالة صدور مثل هذا الامر فى عصره كانت بديهية ولكن ما الحيلة لما كانت الروسية متصفة بالجهالة وقلوبهم منخلعة من خوف التتار لكونهم تحت (١) جبرهم وقهرهم دائما كانوا يصدقون كل خبر من هذا القبيل (قلت يقول كارامزين هذا لدفع التعصب والوحشية عن الروسية مع كونه ظاهر التعصب والوحشة يدل

---

(١) واذا كان الامر كذلك فلاى شئ تستقبح الروس اتهام التتار الروسية الآن فى امثال هذه الامور صدورها من الروس فى جميع الازمان وانخلاع قلوبهم من تكاليفهم الباطلة دائما . منه عفى عنه .

عليه السياق والسباق ولم يدرانه واقع فى وسط التناقض) قال فاجتمع الاهالى عند الكيناز اليكساندر مع كبرأهم للاستشارة فقال لهم الكيناز لكونه شابا خفيف العقل لا يخفى عليكم ان التتار قتلوا ابى ميخايل واخى ديميترى والآن يقصدوننى ويريدون ان يستاصلونا عن آخرنا ويملكوا بلادنا وقد جاء الآن وقت الانتقام (انظروا ايها القراء الكرام الى تعصبه وزيادته فى الطين بلة) وكان الامير شفقال فى ذلك الوقت نازلا بقصر ميخايل مع عسكره فاجتمع الاهالى عند اليكساندر ليلا وساروا معه نحو القصر المذكور وقت الصبح واحاطوا به وهجموا عليه فخرج التتار ايضا من القصر وبدأوا بالمدافعة واقتتلوا قتالا شديدا من الصبح الى الغروب حتى سالت الدماء كالسيل وحملت القتلى الى الاطراف والجوانب فدخلت التتار الى القصر بالضرورة لقلتهم وكثرة الروس وتحصنوا به فاضرم اليكساندر النار على القصر واحرقه بمن فيه من التتار ولم ينج منهم احد حتى قتلوا تجار التتار الذين كانوا فى توير من القديم فلما انتشر هذا الخبر فى اطراف الروسية اندهشت الحكام والاهالى وزلزلوا زلزالا شديدا وغابوا عن حواسهم وايقنوا بالهلاك والبوار ولكنهم كانوا لا يعلمون ان هذه الفعلة الشنيعة هل تجلب المصيبة العظمى لولاية توير فقط أم تعم بلواه كافة الروسية واما اوزبك خان فانه لما قرع سمعه هذا الخبر الموحش غاب عقله ايضا من الغيرة وصاح بالثار والانتقام وحلف انه لا يبقى احدا من هؤلاء الاشقياء حيا على وجه الارض وانه يسوى اماكنهم بالارض وربما توهم ان هذه الفعلة بالمواطأة من جميع حكام الروس وانهم يريدون اخراج رؤسهم من ربقة رقبة التتار ولكن اين كان للروسية فى الوقت المذكور ان يقاوموا سطوة اوزبك خان وان يقابلوا قوة التتار فلما علم اوزبك خان عدم مشاركة سائر امارات الروسية لاهل توير فى الوقعة المذكورة ارسل الى الكيناز ايوان كاليتا ابن دانيل ببلدة موسكوا يدعوه لديه فلما جاء امره بالمسير الى بلدة توير لتربية الاشقياء واستيصالهم بالكلية واعدام كيناز اليكساندر ووعده فى مقابلة خدمته هذه ان يوجه الى عهدته تبة الكينازية العظمى لجميع الروسية وضم اليه خمسين الفا

من عسكر التتار وامر ايضا الكيناز سوزدل اليكساندر بن واسيلى ان يلحق بهم بعسكره فقبله الايوان المذكور طمعا فى الكينازية العظمى وتخليصا لسائر بلاد الروسية من سيوف التتار فانه كان يعرف يقينا ان اوزبك او تحرك بنفسه او امر واحدا من امراء التتار لقلبوا كافة الروسية ظهر البطن فسار هؤلاء العساكر بهيئتهم المجموعة الى تويز * قال كارامزين فى هذا المقام بلسان التأسف والتحسر وبقلم التحمس فلو خرج اليكساندر بعسكره لمقابلة التتار وقاتلهم لابرز حمية وطنية وفدائيته ولكنه لم يكن من اربابها فلم يكن لههم الا تخليص نفسه من الهلاك بسلاح الهرب فقرر ان يذهب الى نووغورد فلم يقبله اهلها ولما قرب التتار الى تويز هرب اليكساندر تاركا قومه المخاصين الصادقين فى بحبوحة البلاء الى پسكوف واخواه قنسطانتين وواسيلى الى الادوغا فنال اهل تويز ما طلبوه وجوزوا بسوء ماصنعوه حيث هدمت التتار مع الايوان بلدة تويز وكاشين وتورژيك وسووها بالتراب وقتلوا اكثر اهاليها واسروا البواقى ومن لم يبلغ اجله نجى نفسه بالهرب الى الغابات ثم ارادت هذه العساكر ان يستولوا الى نووغورود ولكن اهل نووغورد خلصوا بلدهم باظهار الاطاعة واهداء الف روبلة اليهم (فانها كانت كثيرة فى ذلك الوقت) (قلت ان من تأمل فيما سبق من الوقايع يجد ان اهل نووغورد تخلصوا من تلك المصائب التى ابتليت بها سائر الروسية وذلك بحسن صنيعهم وترك العناد لعد وهم القوى وقد قال بعض المورخين ان نووغورد اقدم بلاد الروسية واشدهم تمدنا وفعا ئلهم المذكورة يؤيد ذلك) فلما سمع اوزبك خان خبر هذا الانتقام فرح فرحا شديدا وصار ممنونا من ايوان بن دانيل وانجز وعده اياه حيث نصبه كينازا اعظم لجميع الروسية واعطاه منشورا لذلك وارسل الى بلدة موسكوا فاستراحت الروسية بعد ذلك خصوصا طرفها الشمالى الذى هوا بعد ارض الروسية من التتار وترك حكام الروس خصومتهم فيما بينهم وشكاية بعضهم من بعض الى الخان وصارت بلدة موسكوا ام بلاد الروسية من ذلك التاريخ وبدأت الروس بالاصلاح والترقى وتوحيد الكلمة والرأى وضم الامارات الصغيرة اليها شيئا فشيئا بهمة الكيناز ايوان المذكور

فانه كان من جهة يذهب عند الخان ويتيصبص اليه ويجلب بذلك التفاته
اليه ومن جهة اخرى كان يجتهد فى اصلاح شئون مملكته * قت ومن هذا
قال بعض المورخين ان السبب لقوة الروس هو التتار حيث اعانوا لكيناز
موسكوا على ضم الامارات الصغيرة الى الكينازيه العظمى وتوحيد
حكوماتهم الخ وانت تعلم ان فعل اوزبك خان هذا ما كان عن علم بان
الروسية تتقوى بذلك وان الايوان الثالث من نسل هذا الايوان يخرب
بلدته سراى وان الايوان الرابع يستأصل حكومة قزان بعد سنين
فانه لو علم ذلك لما تركه حيا فضلا عن اعانته ولكن اذا اراد الله شيئا
هياء له الاسباب ولا راد لقضاء الله عود الى قول كارامزين قال وحين حضر
ايوان عند اوزبك خان بعد اتمام امر توير كان احضر معه الكيناز
ايوان والكيناز قنسطانتين اخوى اليكساندر الخائن مشفعا عند الخان لهما وسئل
ان ينصب قنسطانتين كينازا التوير فقبله الخان وارسل الكل الى بلادهم
وامر الايوان ان يتتبع اليكساندر الخائن وان يمسكه ويجيىء به اليه
فقبله الايوان وطلبه من اهل پسكوف فاراد الاهالى الامتناع من تسليمه
اليه ولكن الايوان خوفهم بواسطة ميتروپوليد (مطران) ولعنته عليهم
وحكمه بخروجهم من الدين ان يمتنعوا من تسليمه وذلك اسلامة
الروسية فأخرجوه من بينهم فهرب الى ليتوانيا عند غديمين فرجع
ايوان مع عسكره من پسكوف وبعد عشر سنين من هذه
الوقعة عفى عنه اوزبك خان لكونه صاحب مرحمة بشفاعة
ميتروپوليد ونصب كينازا الى توير ثانيا هذه هى معاملة الوحشيين
بمن صدر منه افتح القبايح بشهادة الاعداء والحسن ماشهدت به الاعداء *
قال وفى اوائل سنة ١٣٤٠ م مصادفة سنة ٧٤٠ ه ملك الايوان المذكور
فاختلف فى الجلوس مكانه قنسطانتين السوزدلى وقنسطانتين التويرى
ولكن ذهب سيمون ولد الايوان المذكور الى اوردو مع اخوانه عند
اوزبك خان وعدد خدمات والده ايوان وطلب منه الكينازية مكانه وعاهده
على الاطاعة والامانة فوجه اوزبك خان الكينازية اليه واعطاه منشور

بداك * ثم قال تقبيحا للتتار بقباحة هى للروسية فى الحقيقة ان التتار مع كونهم صحرا وبين لا يعرفون المدنية صاروا يأخذون المدنية من اوروپا صاروا يؤثرون الراحة على غيرها وحيث كان مدار الراحة على الذهب والفضة كانوا يبيعون مرحمة (١) اوزبك خان على حكام الروسية وكانت حكام الروس يغصب بعضهم من بعض الكينازية بواسطة اعطاء الرشوة والهدايا الى امراء التتار واما الكيناز سيمون فلم يكن ادون من ابيه فى العقل والدراية وكان فى ترقية مملكته وترفيه رعاياه دائما اه وانما كتبنا هذا هنا مع كون تاريخه مؤخرا ليتصل الوقايع بعضه ببعض وقال المفضل وفى سنة ٧٣١ وصلت رسل الى الابواب السلطانية من جهة السلطان محمدشاه صاحب دهلى من بلاد الهند ثم وصل رسل الملك محمد بن عنبرجى صاحب العراق ومدبر دولته يومئذ الشيخ حسن ثم وصل ايضا رسل الملك اوزبك خان فى جماعة كثيرة وقال ايضا وفى سنة ٧٣٢ فى شهر جمادى الاولى وصلت رسل من جهة السلطان اوزبك خان ومعهم هدية سنية واخبروا بوفاة الشيخ نور الدين الذى حضر الديار المصرية صحبة بنت اخى السلطان اوزبك خان التى تزوج الملك الناصر بها فى سنة ٧٢٠ ثم رجع الرسل المذكورون وصحبتهم رسول من جهة الملك الناصر اه وقال العينى وفى سنة ٧٣٥ وصل (٢) اوزبك من البلاد الشمالية ومعهم كتاب يتضمن العتاب بسبب الخاتون التى حضرت من جهتهم وذلك ان الملك اوزبك بلغه من القصاد ان السلطان دخل بها وبعد ايام اخرجها من عنده وزوجها لبعض مماليكه فصعب ذلك على اوزبك وقال فى كتابه ومشافهته ايضا ان السلطان ارسل الى مرات عديدة يطلب بنات الخان وانا ادافع الامر حتى استحييت من السلطان وسيرت اليه من خيار بنات الخان ثم انها اما لم يكن لائقة بخدمتك كان الواجب عليك

---

(١) لو وجدت التتار الان المرحمة بالفضة والذهب لاشتروها بما ملكته ايديهم ولكنهم لايجدونها الآن عند احد. منه عفى عنه.

(٢) كذا فى الاصل ولعله «وصل رسل اوزبك» مصححه.

ارسالها الى مكان خرجت منه والا اعطيتها لبعض مماليكك وما كان يليق لمثلك ان تضيع مثل بنات الخان ونحن نسألك الآن ارجاعها الينا لتكون عند اهلها والجوارى عندك كثيرة والبلاد متسعة فلما وقف السلطان على ما فى الكتاب وسمع ما فى ضمن المشافهة ايضا من العتاب اسرع برد الجواب مع الرسول وقال كلما بلغ لاخى الملك اوز بك فهو كذب ولم يحصل فيها شئ من التفريط اما امر الله تعالى فلا مرد له وهذه المرأة لما سيرها اخى الى دخلت بها واقامت معى سنة ثم ضعفت وماتت الى رحمة الله وقال للقاضى بدر الدين بعد ان عرفه الامر انى اريد اثبات موتها ليقف الرسول عليه فقال القاضى الطريق فى هذا ان يحضر خادمان او اثنان من المماليك ويشهدان انهما شاهدا الخاتون فلانة بنت فلان قد توفيت من ضعف اصابها فاحضر واحدا من الجند واثنان من المماليك فشهدوا عند القاضى بذلك واثبته القاضى بمحضر كتب فاخذه السلطان عنده الى ان جاء الرسول المذكور واوقفه على المحضر المثبت المكمل بالخطوط فسكت الرسول ومن معه وسافروا بعد ايام وسير معهم هدية وكتب الجواب كما ذكرنا اه قلت ان هذا القول مع تضمنه الخرافات والجزافات التى لاتليق بآحاد الناس فضلا عن الملوك مخالف لما ذكره غيره والله سبحانه أعلم قال الحافظ المغلطاى وفى يوم السبت سلخ جمادى الاولى سنة ٧٣٧ وصل رسل الملك اوزبك حضر فى البر من الروم واسمه مراد خواجه وصحبته جماعة وعند وصوله استحضر فى القصر ومن ثالث ربيع الآخر سنة ٧٢٩ لم يصل من عند الملك اوز بك رسول الا هذا واقام بالقلعة مدة ثم سافر يوم السبت الرابع عشر من ذى القعدة وقال وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين ذى الحجة سنة ٧٣٧ سافر سرطقطاى مقدم البريدية وهو امير عشرة رسولا الى الملك اوز بك وسافر من بر الروم وتعدى من صمسون * وفى بكرة يوم الخميس سادس ربيع الاول سنة ٧٣٨ وصل مظفر الدين التاجر من بلاد اوزبك رسولا من عند مغل بغا وسونج بغا وهما من اكابر الامراء وصحبته عدة مماليك وجوار بعضهم تقدمة من عند الاميرين المذكورين والبعض لمظفر الدين

المذكور وكان في صحبته رسول آخر معه فتوفي في بهنساء * وفي يوم الاحد الثالث عشر من جمادى الاخرى سنة ٧٣٩ وصلت رسل الملك اوزبك صحبة سرطقطاي مقدم البريدية الذي كان توجه سنة ٧٣٧ وعدتهم مائة وثلاثة وخمسون نفرا منهم اعيان عشرة ولما وصلوا انزلوهم بالميدان ورتب لهم في كل يوم الفي درهم نفقة وعشرين خروفا وفرسا واستحضرهم السلطان في الثامن عشر منه وكان مضمون رسالتهم انهم يطلبون بنتا من بنات السلطان لملكهم ليفتخر بها ويتاكد الاخوة والصداقة فعلم السلطان مقصودهم من ذلك انهم يريدون ان يفعلوا كما فعل السلطان بهم وبعد ايام طلبهم وخلع عليهم جميعهم وانعم عليهم بجملة من الدراهم وكتب الجواب ان البنات الذين لي صغار وا كبر من ست سنين وعند استحقاق زواجها جهزناها وارسلناها لخدمته ان شاء الله تعالى اه وهذا معنى قول المقريزي حيث قال وفي اول محرم ٧٣٩ سنة قدم رسل الملك اوزبك صحبة سر طقطاي بهدية وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان فجهز اليه هدية وانعم على رسله واعيدوا اه الآن فيه في تعيين شهر مجيئهم فلو لم يكن هذا الخلاف من تغيير النساخ فا لصحيح الصواب هو ما قاله الحافظ المغلطاي لان الوقعة المذكورة في زمنه وهو ادرى بما فيه من غيره وقال الحافظ المغلطاي ايضا وفي يوم الخميس سادس ربيع الاول ٧٤١ سنة وصلت رسل الملك اوزبك صاحب بلاد القفچق منهم ثلاثة اعيان وهم اركتيمر ووالده محمد خواجه وقطلو جار ووالده ابوبكر وبيدر امير شكار واستحضروا يوم الاثنين عاشر الشهر بالايوان ثم اخلع عليهم اركتيمر الطلس ورفقته الاثنين وولداهما طردوحش واعطوا حوائص ذهب ودخلوا بالخلع يوم الخميس الثالث عشر من الشهر وانعم عليهم بجملة كبيرة من المراحم ورتب لهم الرواتب الجيدة ثم مرض اركتمر كبيرهم وتوفي ليلة الخميس السابع والعشرين من الشهر المذكور ونزلت الامراء وحضروا جنازته وصلوا عليه ودفن بالقرافة في تربة صوصون اخو المقر السيفي قوصون وفي ايوم الخميس العشرين من شعبان انعم على الاعيان المذكورين

بفرجيات بطرز ذهب وودعوا وخرجوا وسافروا فى مستهل رمضان عائدين الى بلادهم وقال وفى عشية يوم السبت الخامس عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة توفيت الست الجليلة دلنبيه قريبة الملك اوزبك ملك بلاد القفجق و دفنت يوم الاحد السادس عشر منه بحوش لاولاد الامير آرغون نائب السلطنة بالقرافة وكانت هذه المذكورة لما حضرت من بلادها وتزوج بها الملك الناصر سنة ٧٢٠ على ما تقدم اقامت فى عصمته مقدار ثمانى سنين ثم طلقها (١) فتزوجها منكلى بغا فتوفى عنه فتزوجها صوصون اخو قوصون فتوفى عنها فتزوجها الامير عمر بن الامير آرغون نائب السلطنة فتوفيت فى عصمته كما تقدم اه ما قاله الحافظ المغلطاى ومثله تاريخ ابن شهبة وفى موضع آخر من تاريخ المغلطاى كان وفاتها فى سنة ٧٤٣ والله سبحانه اعلم ذكر وفاة الملك المعظم محمد اوزبك خان رحمه الله تعالى قال ابن دوقمق والعينى وابن شهبة وغيرهم من المورخين الكبار وفى شوال سنة ٧٤٢ توفى القان الكبير اوز بك خان ابن طغر لجا بن منكو تيمر بن طغان بن باتو بن دوشى خان بن جنكز خان ملك التتار صاحب المملكة الشمالية بعدان حكم فى تلك البلاد مدة ثمانية وعشرين سنة وكان ذا بأس واقدام وديانة وعبادة يؤثر الفقهاء والفقراء ويحب العلماء ويسمع منهم ويرجع اليهم ويعطف عليهم ويتردد المشايخ و يحسن اليهم اه قلت

(١) تنبيه قد تقدم تزوجه اياها ثم طلاقها وتزويجها من منكلى بغا وغضب السلطان محمد اوز بك خان على الملك الناصر لذلك نقلا عن عدة من المورخين الكبار وقد قالت الاديبة الفاضلة السيدة زينب بنت على بن حسين بن عبدالله العاملى السورية مولدا والمصرية وطنا ومنشاء فى كتابها الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ما نصه (طولباى) هذه من ذرية جنكز خان تزوجها الملك الناصر قلاوون ولما جاءت اسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة ٧٢٠ الى آخر ما ذكره فى تزويجها ثم قالت وبقيت عنده ممنوحة الكلمة عظيمة لديه حتى انه مال اليها بكليته وجزئياته وسلمها امور داره واعتنى بذلك على حسبها ونسبها وهى وفت له بما ائتمنها عليه وكانت مشهورة بفعل الخير واجراء الشرولها مآثر غريبه من مدارس وصنائع ومساجد وغير ذلك اه حرفيا وغرابته انها لم تذكر طلاقها وتاريخ وفاتها بل ظاهر عبارتها تدل على بقائها فى عصمته ان لم تشتبه اليها بغيرها وان كان بعيدا والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

قد تقدم بعض مناقبه فى اوائل ترجمته وسيجئ ذكر بعض خلوصه للعلماء والمشايخ فى آخر هذا المقصد عند ذكر الشيخ نعمان الدين الخوارزمى ان شاء الله تعالى وقد صنف العلامة على بن ابى بكر بن على النسفى البيكندى شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكى واتمه فى سنة ٧١٩ بخوارزم واهداه الى الملك اوزبك وذكر اسمه فى ديباجته كما فى كشف الظنون لكنه لم يذكر ذكر اسمه فى الديباجة **وما** قالوا من انه حكم مدة سنة ٢٨ انما يصح اذا لم يحسب سنة وفاته وقلنا ان جلوسه كان فى سنة ٧١٣ كما قاله المعصر والا فلا يصح ذلك بل تكون مدة حكومته وسلطنته ثلاثون سنة كاملة كما قال كثير من المورخين **وفى** زمن سلطنته استولى السلطان الغازى عثمان على بروسه وانتقل (١) الى رحمة الله تعالى فى سنة ٧٢٧ وتسلطن بعده خلفه الصدق السلطان الغازى اورخان وقد ذكر ابن بطوطة ملاقاته اياه فى رحلته قبل قدومه الى بلاد الملك اوزبك رحمهم الله تعالى رحمة واسعة **السلطان** المعظم والخاقان الاعظم جلال الدين ابو المظفر السلطان محمود جانى بك خان ابن الملك المعظم اوزبكخان كان هو ولده الاوسط تولى السلطنة بعد وفاة ابيه فى التاريخ المذكور اعنى سنة ٧٤٢ وكان له اخوان احدهما اكبر منه يسمى تنى بك والثانى اصغر منه يسمى خضربك وكان تنى بك هو المرشح للسلطنة بعد ابيه ولكن والدتهما وكذلك اركان الدولة كانوا يميلون الى جانى بك ويرجحونه اليه فملكوه بعد وفاة الملك اوزبك دونه * **ذكر** كارامزين وفاة اوزبك سنة ١٣٤١ وعدد قليلا من ماجرياته ثم ذكر عقيبه شبطة البابا ورسالته اليه ثم ذكر جلوس جانبكخان ومجئ السكيناز سيمون مع مطرانه الى اوردو للتبريك والبيعة له **قال** ابن بطوطة فى رحلته **ذكر** ولدى السلطان وهما شقيقتان وامهما جميعا الملكة طيطغلى التى قدمنا ذكرها والاكبر منهما اسمه تن بك واسم اخيه جان بك ولكل واحد منهما فى محلة على حدة وكان تن بك من اجمل خلق الله صورة وعين له ابوه بالملك وكان له الحظوة والتشريف

(١) فى ٢١ رمضان عن سنه ٧٠ قضى حياته كلها فى الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى . منه عفى عنه

عنه ولم يرد الله ذلك فانه لما مات ابوه ولي يسيرا ثم قتل لامور قبيحة جرت له وولي اخوه جان بك وهو خير منه وافضل وكان الشريف ابن عبد الحميد هو الذي تولى تربية جان بك واشار علي هو والقاضي حمزة والامام بدر الدين القوامي والامام المقرئ حسام الدين البخاري وسواهم حين قدومي ان يكون نزولي بمحلة جان بك المذكور ففعلت ذلك اه وقال الحافظ المغلطاي وفي سنة ٧٤٣ ارسل الملك اوزبك ملك بلاد بركة ولده الكبير تن بك وصحبته معظم الجيش الى بلاد جغطاي (١) يفتحها ويملكها فلما سار اليها انشبت المنية اظفارها وتوفي في شوال سنة تاريخه ببلاد سراي الجديدة وخلف ثلاثة من الاولاد الذكور تن بك المذكور وجان بك وهو الوسطاني وخضر بك وهو الاصغر فلما توفي اوزبك اتفقت الامراء واركان الدولة ان تقيموا جان بك في الملك الى حين حضور اخيه الكبير تن بك ولما بلغ تن بك وفاة ابيه اوزبك خان في السنة المذكورة رجع على اثره طالبا سراي ليدرك الملك ويجلس التخت فلما قرب منه شاور جان بك والدته وقال لها الآن يجيء اخي ويأخذ الملك مني وكانت الاخوة الثلاثة اشقاء لكن والدتهم كانت تحب جان بك اكثر من الاثنين فاتفقت رأيهم ورأي الامراء على قتل تن بك وانه اذا حضر قتلوه فلما قرب خرجوا اليه ليلاقوه فلما وصلوا عنده اجتمعوا لتقبيل يده فضربوه وقتلوه ببلاد سرايجوق ورجعوا الى اخيه الملك جان بك فاخبروه بذلك فاخشي من اخيه الاصغر خضر بك فقتل ايضا واستقل بالملك واستقر ورسم لسائر التتار في مملكته ان يلبسوا عمائم وفرجيات ولم يكن لهم بذلك عادة ورسم ايضا ان لا يجلب مملوك الى مصر وارسل من جهته رسلا وهدية الى صاحب مصر اه وقال في محل آخر وفي سنة ٧٤٣ حضرت الرسل للسلطان من بلاد اوزبك والذي حضر في الرسلية امير من جهتهم يسمى قرا بهادر وصحبته هدية جليلة ست سنافر ومماليك وجوار تركية وجلود سمور من جان بك ملك بيت بركة بالسلام والصلح...

(١) يعني ما وراء النهر ولعل ذلك لكثرة التظلم والتشكي من مالكها قزان خان بن يسور فانه كان في غاية من الظلم ... عفي عنه

وقال الجنابي بعد ان ذكر تملكه وهو يعني السلطان محمود جان بك من اعظم الخواقين الشمالية واعدلهم واعلمهم واورعهم وكان يحب العلم والعلماء فقصده ارباب المعارف والكمالات فامتلأ بسببه مدينة سراى من الفضلاء وارباب المعارف وصارت نزهة الدنيا اه قلت وممن قصد رجاء بره واحسانه العلامة على الاطلاق السعد التفتازاني فانه ذكر اسمه في ديباجة شرحه المختصر للتلخيص تصريحا بتوجهه اليه ونيل مقاصده لديه هكذا ولما وفقت بعون الله للاتمام * وفوضت عنه ختامه بالاختتام * بعدما كشفت عن وجوه خرائده اللثام * ووضعت كنوز فرائده على طرف الثمام * شعر :

سعد الزمان وساعد الاقبال * ودنى المنا واجابت الامال

وتبسم في وجه رجائي المطالب * بان توجهت تلقاء مدين المآرب * حضرة من انام الانام في ظل الامان * وافاض عليهم سجال العدل والاحسان * ورد بسياسته الغرار الى الاجفان * وسد بهيبته دون يأجوج الفتنة طرق العدوان * واعاد ميت الفضائل والكمالات منشورا * ورقم بالاقلام الخطيات على صحائف الصفائح لنصرة الاسلام منشورا * وهو السلطان الاعظم * مالك رقاب الامم * ملاذ سلاطين العرب والعجم * ملجاء صناديد ملوك العالم * ظل الله تعالى على بريته * وخليفته على خليقته * حافظ البلاد * وناصر العباد * ماحى ظلم الظلم والعناد * رافع منار الشريعة النبوية * ناصب رايات العلوم الدينية * خافض جناح الرحمة لاهل الحق واليقين * مادسرادقات الامن بالنصر العزيز والفتح المبين * شعر :

كهف الانام ملاذ الحق قاطبة * ظل الاله جلال الحق والدين

ابو المظفر السلطان جان بك خان خلد الله سرادق عظمته وجلاله * وادام دراء نعيم الانام من سجال افضاله * فحاولت بهذا الكتاب التشبث باذيال الاقبال * والاستظلال بظلال الرأفة والافضال * فجعلته خدمة لسدته التي هي ملتثم شفاه الاقبال * ومعول رجاء الامال ومثوى العظمة والجلال * لازالت محط

رحال الافاضل * وملاذ ارباب الفضائل * وعون الاسلام * وغوث الانام *
بالنبي واله عليه وعليه السلام اه وكان ذلك في سنة ٧٥٢ كما صرح به شرف
الدين خان البتليسي في تاريخه السمى بشرف نامه ولما استقر الملك
محمود ابو المظفر جان بك خان على سرير السلطنة المذكورة حسب المشروح
جاء كيناز الروسية سيمون غوردي بن ايوان خلطه مع مطرانهم للبيعة
وتجديد العهود والمواثيق واظهار العبودية على ماجرت به العادة عند
تجدد الخوانين وتبدل الكينازات ثم ارسلهما الى بلادهما بمساعدة مامولهما
بعد ان امسكهما عنده برهة من الزمان وبعد ذلك شرع في ترتيب امور
الدولة وتنظيم احوال الملة وبدأ بارسال الرسل الى الملوك المتحابين
يعلمهم بجلوسه الى سرير السلطنة على ما جرت به عادات الملوك في مبدأ
جلوسهم فاول ما ارسل الرسل الى مصر كما مر ثم الى سائر الجهات والاطراف
ولكن لم يكن مراسلته بملوك مصر مثل مراسلات اسلافه في كل سنة
بل في بعض الاحيان وسيجيء ذكر بعضها في هذا المقصد ان شاء الله تعالى
واما ملوك مصر فلم اظفر بشيء من المراسلة من جهتهم ولعل ذلك
بكثرة الاختلال الداخلي فيها ولعدم تمكن احد من السلطنة فانه لما توفى
الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٤١ اعني قبل العام الذي توفى
منه الملك اوزبك خان حصل فيها التلاعب بالملوك حتى كان في بعض
الاحيان يحصل عزل الملوك في شهرين مرة واحيانا في اربعين يوما مرة
كما لا يخفى على من تتبع كتب التواريخ قلت ولم اظفر بشيء من وقائع
الملك جان بك خان مع كثرة قوته وزيادة شوكته وامتداد مدته سوى
استيلائه على اذربيجان وانتزاعها من يد المتغلب عليها الظالم الغشوم
الملك اشرف بن تيمرتاش ابن چوپان وتخليصه المظلومين من يده
وذلك في آخر عمره وتفصيل هذه الواقعة على ما بين في كتب التواريخ
المعتمدة ان ملك آذربيجان لما آل الى الملك اشرف بن تيمرتاش بن
چوپان شرع في ظلم الرعايا واذية البرايا وتخريب البلاد وقتل العباد
ونهب الاموال واهانة العلماء والزهاد فترك اكثر اهلها الاوطان وهجروا

الاخوان وتفرقوا على الاطراف والبلدان ولم يكن فى اطراف ممالك آذربيجان وقتئذ مملكة يامن فيها الانسان على نفسه وعياله وماله فان بلاد العراق وخراسان وماوراء النهر كانت قد امتلاءت كلها بانواع الفتن والى هذا اشار العلامة التفتازانى فى ديباجة شرحه المطول والمختصر للتلخيص كمالايخفى على من راجعهما ومن جملة من ترك تلك البلاد وهرب من ظلم الاشرف مبيد العباد القاضى محى الدين البردعى هرب الى البلاد الشمالية وقدم مدينة سراى ولاذ بالسلطان محمود جان بك خان واشتغل هناك بالوعظ والتذكير وكان السلطان المذكور يحضر مجلس وعظه احيانا وفى يوم من الايام ذكر فى اثناء وعظه ظلم الاشرف وجوره على وجه ابكى الحاضرين كلهم ثم توجه الى الملك جان بك وقال ان للملك قوة وقدرة على منعه من الظلم وتخليص عباد الله من شره فان لم يلتفت الملك الى هذا الكلام ولم يخلص عباد الله من ظلمه وجوده يكون ايدى المظلومين غدا يوم القيمة فى ذيله ويكون معاتبا بل معاقبا فتاءثر الملك من هذا الكلام وامر باحضار العساكر وتهيئة اسباب الحرب والضرب فاجتمع فى الاورده فى مدة شهر من العساكر مالايدخل تحت الحصر قيل اجتمع فيه ثلاثمائة الف من العسكر وقيل كان مجموع عساكره فى ذلك الوقت سبعمائة الف فتوجه نحو اذربيجان فى سنة ٧٥٨ فلما بلغ خبر توجه الملك الاشرف لم يصدقه وقال ان العساكر انما يشيعون امثال هذه الاخبار قصد الاخذ المرسومات والمواجب ولما تواتر خبر توجهه وتحقق مروره وعبوره من دربند شروان خرج من ربع رشيدى الذى كان متوطنا بها منذ سنين ونزل فى شنب غازان وارسل الى الامير على قلندر وجمع من اركان دولته الذين كان ارسلهم لاستخلاص بلاد ساوه يستدعيهم اليه وارسل اولاده وعياله وبناته وحواتينه مع اربعمائة حمل بعير من النقود والجواهر والف حمل بعير من سائر نفاس الامتعة والاقمشة بالعساكر الوافرة الى طرف اوجان ولما قرب الملك جان بك اضطرب اضطرابا قويا وامر الخواجه لؤلؤ وخواجه

شكر الله خان ان يذهب بعياله وخواتينه وخزائنه المذكورة الى كريوه مرند وان ينتظر اه على راس عين خواجه رشيد وقال اذا سمعتم اننا قد غلبنا على الخصم فتوجهوا الى تبريز وان كانت القضية بالعكس فتوجهوا نحو مرند وخوى فلما ارسلهم توجه هو بنفسه بعساكره نحو اوجان وكان عساكره يقولون على سبيل السخرية والاستهزاء والتعجب والانانية ان لجام عساكر جان بك من الحبال المفتولة من لحا الاشجار وركابهم من الخشب ويقابل الواحد منا مائة منهم ولما نزل الاشرف اول يوم بساحل نهر مهران ارسل جملة من عساكره طليعة ومقدمة بعد ان اعطاهم الاسلحة التامة واستمال بمغناطيس الذهب قلوب العامة وامر عليهم الوزير اخي چوق وفي اليوم الثاني قسم الحبة على بقية عساكره واستمال خاطرهم وكانوا زهاء عشرة آلاف وطلع اكمة هناك وعسكر بها على رأس طريق دول وبقي منتظرا لما سيظهر من عالم الغيب فظهر من قدامهم سحابة وهبت ريح عاصفة ونزل المطر الكثير والبرد الشديد بحيث ادبرت خيول عسكر الاشرف من شدتها وبينماهم في تلك الحالة اذ ظهر عسكر جان بك خان من طريق سراب ولما وقع نظرهم على مقدمة عساكر الاشرف وطليعته امر عسكره بالاحاطة بهم ولما شاهد امراء الاشرف كثرة عساكر جان بك خان وايقنوا بعدم المقاومة ولوا الادبار منهزمين ونجوا من تلك الورطة بغاية التعب ونهاية الصعوبة وتفرقوا شذر مذر وبينما الملك الاشرف واقف بثنيه سعيد آباد منتظرا للخبر اذ بدا له من طريق دول فارس فلما قرب منه عرف انه من عسكره فلما جاءه اسر الى سمعه كلاما فلم يبق له مجال التوقف فيه فتوجه فورا الى طرف تبريز ونزل في ليلته بشنب غازان وتوجه بالغداة نحو عياله وخزائنه بغاية السرعة والاستعجال بحيث عجز عساكره عن اللحاق حتى لم يبق معه حين لحق بعياله في مرند سوى غلاميه الكرجيين ولما اطلع اهل مرند انهزام الملك الخائن وانكساره شرعوا في نهب خزائنه وامواله التي كان جمعها ونهبها من الناس بانواع الظلم والجور مدة سنين وكانت سببا لجلب هذه المصيبة على رأسه وتفرقت منه خواتينه ايضا

ولما شاهد هو هذه الحالة توجه نحو خوى ونزل بمنزل الشيخ محمد البالقچى وكان المذكور يسكن بصحراء تلك النواحى فاستقبله الشيخ واكرم نزله فى الظاهر ولكن ارسل شخصا خفية الى السلطان جان بك خان لاعلامه به وبمنزله فارسل السلطان مسرعا اميرا من امرائه يسمى بالامير بياض مع عسكر كاف للقبض عليه والمجئ به عنده ولما قبض عليه الامير المذكور ودخل به مدينة تبريز طفق اهل تبريز ينشرون التراب والرماد على رأس الملك الاشرف وصاروا يسبونه بالفاظ قبيحة ثم انزلوه بمنزل والدة الشيخ كحج بتمام الاهانة والاحتقار وكان الملك كاوس الشروانى والقاضى فخر الدين البردعى حاضرين هناك فقبل الملك الاشرف يد الملك كاوس واخذ يتضرع اليه ويبتهل ويبكى لديه فوعده الملك كاوس بمواعيد ولكنه لم يوف بواحد منها ولما ادخلوه على السلطان جان بك ووقع بصره عليه شرع فى عتابه وقال ما حملك على الظلم وتخريب البلاد ونهب الاموال واذية العباد فقال الاشرف ان هذه الامور صدر كلها من الامراء والحكام ولا علم لى بذلك فرحل السلطان جان بك من اوجان ونزل (بهشت رود) (معناه الانهر الثمان) وقد كانت فى تلك السنة زراعة كثيرة هناك فعبر العسكر من بين تلك المزارع ولم تنكسر سنبلة واحدة منها مع مرور تلك العساكر الكثيرة بها فينبغى ان يقاس نتيجة الظلم والعدالة من هناك وما احسن ما قيل بالفارسية شعر :

ظلم نماند وقاعدهٔ ظلم ازو بماند * عادل نماند و نام نيكو يادكار كرد

وكان مقصود السلطان جان بك ان لا يعاقب الاشرف ولا يجازيه بسوء فعاله وقبائح اعماله وشنائع احواله بل كان قصده ان يأخذه معه الى مدينة سراى ولكن قال الملك كاوس والقاضى فخر الدين ان الاشرف مادام حيا لا يقدر اهل هذه الديار ان يناموا ليلة واحدة بالامن والراحة خوفا من مجيئه واستيلائه عليهم وحسنوا له اعدامه والحوا عليه فى هذا الباب فرجع هذا

القول فى ميزان عقل السلطان جان بك وادراكه اعدام الاشرف فحكم بقتل فضربوه بسيف فانقطع به نصفين وكان ذلك بهشت دود فحزوا رأسه وجاؤا به الى تبريز وعلقوه فوق باب مسجد مراغيان ففرح الاهالى بمشاهدة هذا الحال وشكروا الله تعالى لما انجاهم من الشدائد والاهوال وفرقوا الصدقات الى المستحقين من الفقراء وارباب العيال ودخل السلطان جان بك مدينة تبريز بالفى فارس ونزل بدار الامارة وبقى هناك ليلة واحدة وصلى صلاة الصبح بمسجد عاليشاه وكان عسكره نازلين بين الطريق ورودخانه ولم يكن لاحد مجال لان يضع قدمه فى بيوت الرعايا فامر السلطان باحضار خزائن الاشرف كلها وقسمها بين عسكره فقيل فى ذلك شعر:

دانيكه چه كردا شرف خر * او مظلمه بردجان بك زد

ثم توجه السلطان الى جانب اوجان وترك ولده بردى بك فى تبريز بخمسين الف فارس واخذ معه ولد الملك اشرف تيمر تاش وبنته سلطان بخت ثم توجه الى بلاده بالفتح والظفر وعمل الامير محمود المشهور بمحمود ديوان من اكبر الامراء وليمة عظيمة لاجلاس بردى بك خان على التخت واجلسه على سرير السلطنه بمملكة اذربيجان وجعل وزيره سرايتيمر ابن الامير جاروق ثم توجه بنفسه من عقب السلطان جان بك خان اه **ذكر ارسال الرسل الى مصر** قال المقريزى والعينى وفى شعبان من سنة ٧٥٨ قدمت رسل من جهة السلطان جان بك بن اوزبك فركب العسكر والامراء والمماليك والمقدمين واجناد الحلقة الى لقائهم بالزى الفاخر وتمثلوا بين يدى السلطان وقدموا ما معهم الهدايا وهى عدة مماليك وفرو وسمور كثير وسناقر يعنى طيور جوارح واخبروا انه قدم خراسان واستولى عليها فكتب جوابه وذكر السلطان حسن (١) فى جوابه ان ابى واباك كانا شيئا واحدا وغرضنا تجدد المودة اه وقال ابن شهبة وفى شعبان سنة ٧٥٨ وصل الى دمشق رسل من السلطان جان بك بن اوزبك يخبرون بقدومه الى خراسان واستيلائه عليها وانتزاعها من الاشرف بن تيمرتاش الظالم الغاشم واخبروا ان جيش هذا السلطان

(١) ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون. منه عفى عنه .

يقارب سبعمائة الف وكان يوم دخولهم يوما هائلا امر الجيش ان يركبوا بالا طرزة والكلونات المذهبة والتجمل التام ولما وصلوا الى مصر احتفوا بهم ايضا واكرموهم وقبلوا ما معهم من الهدايا وردوهم الى بلادهم اه‍ * ولم ينقل من معاملة هذا الخان العظيم الشان مع الروسية شيء وكان ايامه مضت على الهدو مع الروس الا ان كارا مزين يذكر مرض زوجته مرضا شديدا بحيث عجز عن دوائه الاطباء وانه طلب الرقى من قسيسي الروس مرقاها رئيسهم الكسى فشفيت فاعطاهم في مقابلة ذلك امتيازا لم يعطوا قبل مثله الخ وهذا شيء لا يقبله الوجدان في حق هذا الخان العظيم الشان رحمه الله تعالى بل هو من مخترعات طائفة النصارى عموما والروس خصوصا لترويج اباطيلهم لدى العامة لاغير ذكر وفاة الملك محمود جان بك خان عليه الرحمة والغفران وتسلطن ابنه بردى بك خان قال ابن خلدون وغيره من المورخين الكبار ان السلطان جان بك لما انكفاء راجعا الى بلاده بعد ان ولى على تبريز والده بردى بك اعتل في الطريق فلما اشتد مرضه ويئسوا من برئه طير اركان الدولة الخبر الى ابنه برديبك يعلمونه بالخبر ويطلبونه سريعا ولما بلغه هذا الخبر ولى على تبريز اميرا من قبله قيل وزيره سراى تيمر وقيل الوزير اخي جوق وزير الاشرف اولا واخذ السير الى بلاده ووصل الى سراى وقد توفى ابوه السلطان جانبك في السنة المذكورة اعنى سنة ٧٥٨ وقيل فيما بعدها ودفن ببلدة سراى رحمه الله تعالى رحمة واسعة وما قيل في بعض التواريخ ان ابنه برديبك قد قتله فغلط محض ووهم صريح وكان مدة سلطنته سنة ١٧ وكان ايام سلطنته غرر الايام باتفاق كافة المورخين على اختلاف اجناسهم واديانهم رحمه الله تعالى رحمة واسعة *

محمد بردى بك خان ولما توفى جان بك عليه الرحمة ولى اركان الدولة ابنه المذكور بردى بكخان مكانه واجلسوه على سرير السلطنة في السنة المذكورة ولم ينقل عنه شيء يعتنى بتحريره الا انه قال كارامزين وفي عصر بردى بكخان جاء احد من ابنا الخوانين يسمى محمد خواجه الى موسكوا وطلب من الكيناز ايوان بن ايوان الاول ان يعين حدود موسكوا وحدود الكيناز آليغ وادعى انه ماٴمور بذلك من طرف بردى

بك خان ولكن ابوان لم يلتفت الى قوله ولم يتركه يقدم على شغل من الاشغال وقال ان حدود موسكوا متعينه فى فرمان حضرة الخان وقد كان سمع انه هارب من الخان ثم انه يعنى الامير محمد خواجه قتل بعد ذلك فى اوردو اه وقال ابو الغازى ان بردى بك كان ظالما غشوما فاسقا قاسى القلب ما ترك احدا من اخوانه واقاربه بل قتل الكل وظن ان الملك يدوم له ولم يدر ان الدنيا فانية سريعة الزوال فلم يدم له الملك الامقدار سنتين فمات فى سنة ٧٦٢ وانقطع بموته نسب صاين خان يعنى الملك باتو حتى سار بين الاوزبك مثلا الى الآن ناربوينى بردى بكده كسلدى * يعنى انقطع رقبة الجمل العربى فى بردى بك كناية عن انقطاع نسب صاين خان فيه كانه شبهها فى القوة او فى الطول والاول اظهر وقال كارا مزين انه قتل اباه واثنى عشر من اخوانه وكلف الروسية من الجزية والخراج مالا يطاق فجاء الكسى المذكور اوردو التتار وواجه امه طايدوله وكلمها فى تخفيف الجزيه فكلمت ولده بردى بك خان فى ذلك فقبل شفاعتها وخفف الجزية عنهم وبالجملة انه لم يكن محمود السيرة وقال ابن خلدون ان بردى بك استقل بالدوله وهلك لثلاث سنين من ملكه اه فاذا كان وفاة جانبك خان وجلوس بردى بك فى سنة ٧٥٩ كما قيل يوافق قول ابن خلدون قول ابى الغازى خان المار آنفا فان مراده بالسنتين سنتان كاملتان غير سنة جلوسه ووفاته ومراد ابن خلدون بثلاث دون وفاته والله سبحانه اعلم بسرائر عباده قلت وبموته وقع الاختلال فى دولة التتار ببلاد الشمال وكثر الهرج والمرج ورفع الاعداء رؤس الاستقلال من كل جانب لعدم رئيس يرجع اليه وصاحب من جملتهم الروسية فانها هجمت على البلغار اولا كما مر ثم قاتلت ممامای وغلب عليه فى فوليقو وقطعت الجزية والخراج الى ان جلس توقتامش خان واعادها الى الانقياد كرها كما سيجىء تفصيل كل ذلك ان شاء الله وهذا هو الاختلال الاول الموجب لضعف الدولة بل المفضى الى انقراضها واستيصالها ومدة هذا الاختلال مقدار عشرين سنة قيل ان بردى بك لم يخلف ولدا اصلا كما تقدم من ابى الغازى وقيل بل خلف ولدا صغيرا هو توقتامش خان قال ابن خلدون

ومن مذاهبوه كما ستقف عليه وبالجملة قد استبد قواد الجيوش وامراء الاجناد وولاة النواحي بالملك في كل بلدة من تلك البلاد وكل ناحية من تلك النواحي مثل الحاج شركس استقل بحاجي طرخان ومامای بقرم وخضر بك باعالی جایق وارس خان بسرای وغیرهم واشتغل کل بمحاربة الآخر ومدافعته ومراقبته قال ابن خلدون ولما هلك بردی بك خلف ابنه توقتامش غلاما صغيرا وكانت اخته بنت بردی بك تحت كبير من امراء المغل اسمه مامای وكان متحكما في دولته وكانت مدينة قرم من ولايته وكان يومئذ غائبا بها وكان جماعة من امراء المغل ایضا متفرقين في ولايات الاعمال بنواحي سرای ففرقوا الكلمة واستبدوا باعمالهم فتغلب حاجی شرکس (۱) على ناحية حاجی طرخان وتغلب (۲) ارص خان على عمله يعني بنواحي منقشلاق وجبال خوارزم وايبك خان كذلك وكانوا كلهم يسمون بامراء الميسرة فلما هلك بردی بك وانقرضت الدولة واستبد هؤلاء في النواحي خرج مامای الى القرم ونصب صبيا من ولد اوزبك خان اسمه عبد الله وزحف به الى سرای فهرب منها توقتاميش ولحق بمملكة ارص خان في ناحية جبال خوارزم واستولى مامای على كرسي سرای واجلس عليه الخان عبد الله الذي نصبه ونازعه امير من امراء الدولة ونصب من بني القان آخر اسمه قطلقتيمر فغلبهما مامای وقتلهما ثم انتقل توقتامش

(۱) قلت وفي اطراف حاجی طرخان قبيلة من الاتراك تسمى قبيلة شركس فلعلها من ذريته والله سبحانه اعلم . منه عفي عنه .

(۲) هذا مكتوب في التواريخ بروسجان حسی في تاريخ الفاضل المرجاني وهو غلط بل هو ارص بضم الهمزة والراء بمعنى البخت والاقبال يقال عند القزاق الى الان فلان ارصلی فلان ارصسز يعني صاحب الاقبال وعديم الاقبال وكثير عندهم الآن يسمى ارصبای والذی لایعرف اصل هذه الكلمة يحسبه اورصبای وليس كذلك بل الصواب ما قلنا فاعرف هذا واغتنم . منه عفي عنه .

من مملكته ارص خان فى ناحية خوارزم الى مملكة بنى جغطاى بن جنكز خان فى سمرقند وما وراء النهر والمتغلب عليها يومئذ السلطان تيمر من امرأ المغل فاقام توقتاميش خان هناك ثم تنافس الامراء المتغلبون على اعمال سراى وزحف حاجى شركس صاحب عمل حاجى طرخان الى ماماى فغلبه على سراى وملكها من يدة وسار ماماى الى القرم فاستبد بها ولما زحف حاجى شركس من عمله بعث ارص خان عساكره من نواحى جبال خوارزم فحاصروا حاجى طرخان وبعث الحاجى يعنى حاجى شركس العساكر اليهم مع بعض امرائه فاعمل الحيلة يعنى الامير المبعوث اليهم حتى هزمهم عن حاجى طرخان وفتك بهم وبالامير الذى كان يقودهم وشغل حاجى شركس بتلك الفتنة فزحف اليه ايبك خان وملك سراى من يده واستبد بها اياما ثم هلك وولى بعده بسراى ابنه قارينخان ثم زحف اليه ارص خان من جبال خوارزم فغلبه على سراى وهرب قارينخان ابن ايبكخان الى عملهم الاول واستقر ارص خان بسراى وماماى بالقرم وما بينه وبين سراى فى ملكه ومن جملة مملكته وكان هذا فى حدود عوام سنة ٧٧٦ وتوقتامش فى خلال ذلك مقيم عند السلطان تيمر فيما وراء النهر اه قال كارا مزين بعد تعداد مساوى بردى بك وذمه انه قام عليه واحد من بنى اعمامه يسمى قولپاخان فقتله وجلس مكانه وانه كان (يعنى قولپا) مائلا الى النصرانية بل كان قد تنصر له ولدان فكان هذا ملائما للروسية جدا الا ان ايامه لم تطل بل قام عليه بعد مضى خمسة اشهر من خانيته واحد من اولاد جوجى ابن جنكز خان يسمى نوروزبك بمعونة طايدوله زوجة جان بك خان وام بردى بك خان فقتل قولپاخان وجلس مكانه ثم بعد مدة قام عليه واحد من امراء التتار من اهالى نهر جايق يسمى خضر خان فقتله وجلس مكانه ولكنه لم يتهنأ

بالخانية سوى اربعة او خمسة اشهر ثم عليه ابنه تيمر خواجه الشقى وقتله وجلس مكانه اه قال الحاج عبد الغفـار افندى بعد تعداد مساوى بردى بك خان ووفاته حتف انفه ان الامراء الشيبانية كلفوا طيدوغلى خاتون زوجة اوزبك خان وام جانبك خان (هكذا فى النسخة التى نقلت عنه والصواب زوجة جانبك وام بردى بك خان كما مر نقلا عن كارا مزين وانما وقع الاشتباه من تشارك الاسمين فان اسم زوجة اوزبك خان ام جانبك خان ايضا طيدوغلى خاتون راجع رحلة ابن بطوطة) بالجلوس فى مسند الخانية فابت وامتنعت وقالت ان الخانية الآن يستحقها بنوشيبان بن جوجى بن چنگزخان شرعا وقانونا فنصب الامراء المذكورون خضر اوغلان بن منغتاى خانا قال الفاضل المرجانى انه ابن ابراهيم بن فولاد بن منكو تيمر ابن بادافل بن جوجى بوقا بن بهادر خان ابن شيبان بن جوجى اه والعهدة عليه عود الى ما ذكره الحاج عبد الغفار افندى قال وكان مسكنه فى موضع يسمى آق كول فاعطته طيدوغلى الخركاه التى بقيت من اوزبك خان وكانت عتبتها من الذهب الخالص (ولعلها الخركاه المخصوصة بالخوانين التى اعطاها چنگز خان لباتو خان كما مر فى اول ترجمته ومر وصفها فى ترجمة بركة خان واوزبك خان وبسببها سميت مملكة التتار بمملكة آلتون اوردو كما مر) وكان قصدها بذلك ان تستميل قلب خضر خان ليتزوجها ولكن لم يرض بذلك قوتلوبوغا بك النايمانى الذى هو مدبر مملكة خضر خان بل مزق الخركاه المذكورة وقسمها بين خواصه فغضبت طيدوغله من هذا الصنيع الشنيع واتفقت مع امرائها على عزل خضر خان فعزلوه وطردوه الى وطنه واجلست فى مسند الخانية شخصا مجهولا يسمى بازارچى اوغلان وقتلت اكبر الامراء على بك السلجوقى زعما منها انه لايطيعه فهرب ولده حسن بك وذهب الى خاله حسين بك

من قانكلداى بك الفونكراتى وكان في اليابخوارزم وشكاليه من طيدوغلى وعدد قبايحها ودعاه للانتقام منها فذهبا الى خضر خان المار الذكر ودعوه الى الاتفاق معهم للانتقام منها فقبله بكمال الممنونية فساروا بعساكر كثيفة الى سراى ووقع القتال هناك بين الفريقين فانكسر عسكر بازارجى فهرب وانجى نفسه فامسكوا طيد وغلى الخاتون وقتلوها ثم جلس حضر خان فى مسند الخانية ثانيا وبعد مضى سنة ونصف من خانيته فى هذه النوبة قتله ولده بروت (لعله مريد) وجلس مكانه وعند مرور ثلاثة اشهر قام عليه بعض الامراء وقتله فاختل امور الدولة وتحير الناس وذهب اكثرهم الى جهة قريم والتحقوا بماماى بك بن آلاچ بك القياتى اه وقال كارامزين بعد ذكره مامضى ولما مضى من خانية تيمر خواجه الشقى ستة ايام جاء مماى ميرزا وقتل تيمر خواجه ونصب واحدا من ذرية الخوانين يسمى عبد الله خانا اعظم وقد قام فى تلك الاثناء اشخاص عديدة بدعوى الخانية قام واحد يسمى كلدى بك وادعى انه من ولد جانبك (يعنى ممن قتلهم بر دى بك) واراد ان يجلس فى مسند الخانية فعارضه المرزا مريد اخو خضر خان ودخل بلدة سراى بعسكر كثير (والظن انه قتله ولم يكن من ولد جانبك بل كان دعيا) واستولى المرزا بولاك تيمر على اراضى بلغار واستولى المرزا طاغاى على مملكة موردوا (برطاس) والحاصل اضطربت الامور غاية الاضطراب وكثرت الفتن ولم يدر احد ان الخان من هو ففرحت الروسية بمشاهدة هذا الحال غاية الفرح وتخيلوا انه قدءان وقت تخلصهم من رقبة التتار ولم يدروا انه قد بقى منهم بقايا وان فى الزوايا خبايا والحاصل قد اضطرب من هذا الاختلال كافة الامور وكادت الدولة تضمحل بالكلية وغاب من الناس الشعور وقد تقدم ما يتعلق بهذا المقام فى آخر المقصد الاول فلا حاجة الى التكرار فراجعها احوال الميرزا ماماى ومحاربته الروسية قد تقدم فى المقصد الاول ان الروسية قد عصت التتار

فى اثناء هذا الاضطراب وان ديميترى دونسكى ابن ايوان خليطة ارسل العسكر الى جهة بلغار وقزان واستولى عليها فصعب ذلك على الميرزا ماماى واغضبه غاية الغضب فارسل فرقة من عسكر التتار على الروسية تحت رياسة امير يسمى عربشاه وكان المذكور قصير القامة ولكنه عالى الهمة وصاحب التدبير والشجاعة والدراية فاستولى فى اول الامر على نيژنى نووغورد واحرقها وخربها وانضم اليه عسكر موردوا برطاس واستولى ايضا على سوزدل وخربوا كثيرا من بلاد الروس غير ذلك وقتلوا ونهبوا وعادوا مستغرقين فى الغنيمه وكان ذلك فى آغستوس سنة ١٣٧٧ م مصادفة سنة ٧٧٩ ﻫ ولما عاد التتار الى ممالكهم قصدت الروسية جيرانهم مورد اللانتقام منهم فقتلوا وخربوا ونهبوا واسروا امانساء الاعيان واولادهم فابقوهم اسراء ارقاءاهم واما السوقة فقتلوهم بافضع القتل واشنعه كالجر (١) من ارجلهم فى الازقة والاحراق بالنار واشلاء الكلاب والسباع عليهم والحاصل لم يبقوا من الفضائح التى تليق بمدنية الروسية شيئا الا اجروه ولما سمع المرزاماماى ذلك ثار غضبه وقام لاخذ الثار منهم لكون موردوا من رعاياه فارسل العسكر ثانيا على الروسية ولكن كان كيناز الروسية ديميترى دونسكوى خبيرا به ومتيقظا ومتهيئا للمقاومة فسار نحو عسكر التتار على التعبية وكان عسكر التتار غافلا عن ذلك وغير متهيئ للقتال ولما رأهم ديميترى على هذا الحال هجم عليهم بلا مهلة ولم يمكن التتار من تعبية العساكر فلم يقدروا على المقاومة فولوا الادبار منهزمين ولما سمع ماماى انهزام عسكره سار بنفسه نحو الروسية بعسكر جرار ودخل بلادها يقتل ويخرب وينهب ويأسر حتى وصل الى رزان ثم رجع منها بغنائم لاتحصى واسارى كثيرة الى اوردو واخر الانتقام من ديميترى وموسكوا الى وقت آخر ولما وصل الى اوردو قسم عسكره

(١) ومن هو واقف على احوال الروس ومايفعلونه الآن فى شأن رعاياهم الاسرائيليين لايستبعد امثال هذه المعاملة منهم فى الوقت المذكور فى حق موردوا للانتقام اهم. منه عفى عنه.

قسمين وارسل قسما منهما الى الروسية تحت رياسة المرزا بيكيج ولما سمعه ديميترى حشد عسكره وخرج الى برية رزان واستقبل المرزا بيكيج فى اهالى نهرووزا وحين رأى تجمع التتار عبى عسكره وهجم عليهم بغتة كالاول وهزمهم فى اول الهجوم وقتل منهم مقتلة عظيمة وقد فنى فى هذه النوبة كثير من شجعان عساكر المرزا ماماى والمشاهير من الامـراء وغرق بقاياهم فى نهرووزا ولم ينج منهم الا القليل وذلك ايضا بالاستفادة من ظلمة الليل وانتظرت الروسية صباح الليلة المذكورة مجيىء التتار بلم شعثهم وجمع فلهم ولكنه لم يرمنهم اثر فتقدموا قليلا فراوهم انهم قد هربوا تاركين مهماتهم كماهى فكاد ديميترى يتجنن من شدة فرحه لان هذا كان اول غلبتهم على عساكر التتار النظامية حين مرور مائة واربعين سنة من غلبة التتار عليهم فقوى بذلك قلوبهم وكان ذلـك فى اواسـط آغستوس سنة ١٣٧٨ م مصـادفـة سنـة ٧٨٠ هـ محاربة كوليكوا المشهورة ولما سمع المرزا ماماى هذا الخبر الموحش اراد ان يسير الى الروسية بنفسه ثانيا لاخذ الثار ولكنه تأنى وتبصر لتلف كثير من عساكره واستشعاره القوة من الروسية ولسماعه غلبة توقتامش خان على ممالك ارص خان فى الشرق فشرع فى جمع العساكر من اجناس مختلفة من الجراكسة واللان وپولوينسا (يعنى القفچق) والارمن واليهودى فاجتمع لديه من هؤلاء الاجناس عساكر لا تحصى فارسل الى حـكام كافة الروسية يعلمهم بانه يحذ وحذ وباتوخان وانه يخرب كافة الروسية مثله ولم يكتف المرزا ماماى بذلك بل اتفق على الروسية مع ياغيلا حاكم ليتوانيا المشهور على شرط ان تكون كافة البلاد التى تفتح من الروسية له ويكون هو خراجيا لدولة التتار ويؤديهم الجزية المعينة ولما بلغ ديميترى دونسكى توجه ماماى وقصده بلاده وما جرى بينه وبين ياغيلا من الاتفاق استولى عليه غاية الخوف فدعا المطران واستشاره فاستقر رأيهم على المقابلة والمقاومة فارسلوا الى كافة حكام الروسـية والاهالى يحذرونهم من وخامة العاقبة ويدعونهم الى الاتفاق وان يجمعوا

العساكر ويلحقوا بديميترى على اسرع ما يكون فاجتمع من كافة اقطار الروسية من العساكر النظامية والمتطوعة فى اقرب مدة مالم يؤمل اجتماع نصفه وجاؤا بلدة موسكوا فلما رأهم ديميترى اعجبته كثرتهم وشوقهم الى الحرب والدفاع عن الوطن ففرح فرحا شديدا وتفاءل وتخيل انه يستأصل التتار واظهر الالتفات الزائد للامراء والاهالى واستمال قلوبهم واما اهالى بلدة موسكوا فلا تسئل عن فرحهم حين رؤيتهم هؤلاء العساكر الفدائية المقاتلة للدين والمدافعة عن الوطن وقد غلب عليهم البكاء من شدة فرحهم قال كارا مزين صارت اهالى الروسية كمن استيقظ من نومه ويقولون نموت ونقتل ولا نعطى وطننا ودينا ويبشر بعضهم بعضا بالغلبة والتخلص من غل الاسارة والعبودية للتتار التى امتدت سنة ١٥٠ ويقولون عيب علينا ان نصبر زيادة على ذلك يكفينا المذلة والرذالة التى قاسيناها هذه المدة وكان اتحاد الاهالى والحكام على وجه كانهم روح واحد فى اجسام شتى وكان ذلك استيقاظ الروسية من نوم الغفلة حتى انسلك كثير من شبان الرهابين فى سلك العسكرية وبعد مضى ايام فى الفرح والسرور والضيافة والوليمة خرج ديميترى فى اوائل آغستوس من سنة ١٣٨٠م سنة ٧٨٢هـ بهذه العساكر نحو حدود بلاده ممايلى بلاد التتار مشيعهم القسيسون والرهابين وكافة الاهالى بغاية الخلوص ودعوالهم بالنصرة حتى صارت حالتهم انموذجا من القيامة وقد وقع لهم اثناء سيرهم بعض العوائق من خيانة بعض حكامهم وكان المرزا ماماى فى ذلك الوقت بساحل نهردون (تن) ينتظر لحوق باغيلابه بعساكر ليتوانيا وقد مضى من وصوله هناك ثلاثة اسبوع ولما قرب ديميترى فى سادس سنتابره من العام المذكور من نهردون الذى عسكر بساحله المرزا ماماى عقد هناك مجلس الحرب واستشار سائر امرائه وقرنائه فى ان الانسب ان ينتظروا هناك مجيء ماماى او يسيروا اليه فاستنسب بعضهم الاول ورجح بعضهم الثانى فجاءهم فى تلك الاثناء مكتوب من بعض رها بينهم الذى يسمع كلامه وقد كتب فيه بالاستعجال فى المحاربة وعدم التاخير فقال ديميترى ان ماماى

بتأنى فى مسيره غاية التأنى وينتظر لحوق ياغيلا به ومتى اجتمع (١) ياغيلا مع ماماى يصعب علينا الامر غاية الصعوبة ولا نقدر المقـاومة فالاصلح أن نسير اليهم ونقاتلهم قبل مجيئ ياغيلا فتلقوا ذلك الرأى منه بالقبول وامروا العساكر بعبور نهردون فى الآن فعبروه فى سابع سنتابره وساروا نحو ماماى وفى صباح اليوم الثامن منه جاؤا مقابلة التتار فى ساعة زوالية وتقدم ديميترى كافة عساكره ليبث فيهم روح العبرة واراد الهجوم فمنعه العساكر وسائر القواد وقالوا لو هلكت فمغلوبيتنا مقررة والا صلح ان تقيـم وراء العسكر وترتبهم وتحرضهم من هناك فقال لهم انا معكم اينما كنتم فهل اقدرانا ان اقول لكم ايها الاخوان لا تنسوا الاوطان فاما الموت واما الخلاص من الاسر وانا الامير فعليكم الامتثال فهجم على صف التتار ثم تأخر بعد مناوشة ساعة فاختلط الفريقان بعضهم ببعض وقد انتشروا مسافة عشر ويرستا (اثنى عشر كيلومتر او نصف تقريبا) وحمى الوطيس وقتل من الجانبين خلق عظيم فسالت الدماء كالسـيول المنهمرة بالقتلى فوقعت الكسـرة على الروسـية فطفقوا يهربون وظهرت علائم غلبة التتار وقد جعل ديميترى ربع عسكره اولا فى الكمين تحت رياسة الكناز ولا ديمو بن آندرى فلما رأى انهزام عسـكره امرهم بالخروج من الكمين والهجوم على التتار فخرجوا وهجموا عليهم بغتة ولما رآهم العساكر المنهزمة رجعوا الى مراكزهم وحملوا حملة رجل واحد فظهر لعساكر التتار مالم يكن فى حسبان وانقلب الامر فشرعوا يهربون وكان المرزا ماماى فى ذلك الوقت ينظر احوال الطرفين فوق القلعة هناك مع جمع مـن أمرائه واركان دولته ويلعن الهاربين ولما رأى ان الامر قد انعكس والحال قد انقلب وان المقام بعد ذلك القاء نفسه فى التهلكة انسحـب من محل يرد عساكره ولكن الامر قد تعدى طوره فلم يمكنه ارجاعهم

(١) وقد ادرك ذلك الراهب هذا المشكل وايضا فى التأخير خوف انحلال عقدة الاتفاق ووقوع الشقاق والفتور فى العزيمة كما هو مشاهد فى مثل تلك الامور ولهذا حثه بالاستعجال . منه عفى عنه .

فانهزموا اقبح هزيمة ووضعت الروسية فيهم السيف كيف شاءوا وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد سقط الكيناز ديميترى فى اثناء المعركه جريحا فوجده الكيناز ولاديمير بن آندرى بعد انقضاء المعركة مغمى عليه فلما افاق وفتح عينه ساءله أن الغلبة لمن فقالوا له انت ابوناوكبيرنا فقد غلبت وصار عدوك مقهورا فعانق ديميترى جميع من عنده وبكى من فرحه وجعلوا هذا اليوم عيدا مخصوصاولقبوا ديميترى بلقب دونصكوى يعنى بطل نهر دون واما باغيلا فقد كان قرب من المعركة جدا حتى لم يبق بينه وبينها الا مقدار ثلاثين اواربعين ويرستا فلما سمع غلبة الروسية وانهزام التتار رجع القهقرى ولم يلبث وتعقبه الروسية ولكنهم لم يدركوه واما المرزا ماماى فكذلك هرب من المعركة مع بقايا عساكره تاركا جميع مهماته ولم يتوقف قط هذا قول كارامزين وقد سمعت بعض من طالع تواريخ الروسية سوى تاريخ كارامزين يقول انه لما صار الامر الى ما صار وانقضت المعركة بغلبة الروس وانهزام التتار وانفصل الفريقان من الآخر توقف الروس قريبا من المعركة وكذلك التتار ولما جن الليل غرز الروس فى المعركة اعوادا كثيرا صفوفا مثل صفوف العسكر والبستها لباس العسكر واوقدت فيهانيرانا كثيرة ثم رجعت القهقرى الى مسافةغير قريبة خوفا من رجوع التتار وكان من عزمها ان تهرب لانه قد فنى اكثر عساكرهاوجرح ديميترى وغيره من القواد واما المرزا ماماى فانه لما توقف واظلم الليل استشار مع رؤساء عساكره وقال لو وقع مثل هذا الحال غدا الفنى جميع العساكر فارسل فرسانا ليتفقد احوال الروس ويتحققها فلما رأت الطليعة تلك الاعواد مصطفة فى المعركة ومابيك النيران موقدة فيها من بعد ظنتها عساكر الروس حقيقة وانها متهيئة للهجوم فرجعت واخبرت بذلك المرزا ماماى فلم يرالمصلحة فى التوقف فاخذ الاشياء الخفيفة وترك الاثقال

وسار نحو بلاده ناويا العود الى الروسية لاخذ الثار بعد اصلاح حاله واكمال نقصانه بجمع عسكر جديد من شجعان التتار واما الروس فانها كانت توقفت فى مسافة بعيدة منتظرة للفرار متى جاءت التتار ورأتهم من بعد ولما لم يظهر اثر من التتار فى الغد ارسل من يستكشف عن احوالهم فاخبرهم بذهابهم فاستولوا على اثقالهم واخذوها غنيمة باردة اه *

قلت هذا هو المناسب لحال مثل ماماى فان العقل لا يجوز تقهقره بمجرد هذا القدر عن الانكسار وكارامزين كثيرا ما يهضم من جانب خصمه مع قلة تعصبه بالنسبة الى غيره وقد انقضت هذه المعركة بهذه المثابة ولكن لايخفى على المطالع اللبيب ان من خطايا الميرزا ماماى التى نشأت منها تلك الحالة السيئ فانه لما انكسر عسكره الذى ارسل مع الميرزا بيكيج سلك طريق الاحتياط ولم يستعجل فى الهجوم بل صبر حتى جمع العساكر الوافية الكافية فقد احسن فى هذا فانه طريق الحزم ولكنه اخطاء فى ارساله الى حكام الروس باعلام مقصده من قصده تخريب ممالك الروسية خطاء فاحشا لانه خدم بذلك الروسية ودعاهم الى الاتفاق والاتحاد والتفانى والتعاون للدفاع عن الوطن والذرارى كمالا يخفى وكان اللازم ان يلقى بينهم التفرقة بجلب قلوب بعض حكامهم واعلامه بانه انما ينتقم من الكيناز ديميترى فقط لاغير وان يقاتل ديميترى ويغلبه وبعد غلبته اياه كان يمكنه ان يفعل بهم ما شاء كما فعل طوقتامش خان بعد ذلك واخطاء ثانيا فى اهماله امر القيادة وقت المعركة وتركه طريق الحزم لانه كان اللازم عليه ان يقود العسكر بنفسه كما فعل خصمه الكيناز ديميترى وان لا يأوى الى القلعة وقت القتال واخطاء ثالثا فى جمع العساكر من الاجناس المختلفة لانهم انما يقاتلون طمعا فى الغنيمة لا للوطن ولا لحيازة شرف الغلبة ومتى يرون الغلبة فى طرف العدو يهربون من ساعتهم لايلوون لاحد وربما كانت مغلوبية التتار هى مقصدهم الاقصى ليتخلصوا من رقيتهم كالروسية وظنى انهم هم السبب

فى الانكسار واخطاء رابعا فى تقدمه قبل لحوق متفقه باغيلابه وكل تلك الخطايا انما وقع بالاغترار بكثرة العساكر وتهوين امر العدو الامر الذى اغتر به كثير من الملوك فوقعوا فيما وقعوا فبهذه الاسباب صار الامر الى ماصار والله اعلم بحقيقة الحال* ولكن لايظن ان عساكر ماماى جميع عساكر التتار بل لم تكن تلك العساكر ربع عساكر التتار لانه قد تقدم انقسام الممالك الى اقسام شتى وان المرزا ماماى قد تغلب على ناحية من تلك الممالك الجسيمة اعنى قطعة قرم ولذلك لم يكن قلبه مطمئنا من جهة مملكته وكان دائما خائفا من تغلب غيره عليها **بقية احوال** ماماى ووفاته **قلت** كانت تلك الوقعة خاتمة اعمال المرزا ماماى وآخر احواله فانه لما رجع الى مقره من اعالى آقتوبه اومملكة قريم شرع فى جمع العساكر الجديدة لاخذ الثار من الروسية ولكن وجه القدر وجهة الامر الى جهة اخرى وذلك ان توقتامش خان كان قد جلس فى ذلك الوقت مسند الخانية واستملك سراى وحواليها واطاعه من بقى من امراء التتار المتغلبة كلهم ولم يبق سوى المرزا ماماى ومن معه من الامراء فدعاهم توقتامش خان الى الطاعة والبيعة له فابوا وامتنعوا لما رأوا فى انفسهم القوة وظنوا انهم احق بالملك منه ولم يدروا ان قوة توقتامش خان فى ذلك الوقت اضعاف قوتهم وان الملك لله يؤتيه من يشاء وان الاصلح واللازم جمع الكلمة والوفاق وترك الشقاق ولكن اذا جاء القضا عمي البصر فاصروا على العناد فسار اليهم توقتامش بعساكره الجرارة فالتقى الفريقان بساحل نهر دون على قول الحاج عبد الغفار افندى القريمى فقتلوه هناك فى قصة طويلة يلوح عليها علائم الخرافات فلا يعتمد عليه وبساحل بحر اوزاق بقرب بلدة ماريو پول بمحل (١) انكسر فيه عسكر الروس من التتار المغربة فى عصر چنكزخان فاقتتلوا هناك قتالا شديدا حتى لم يبق متنفس من عسكر المرزا ماماى فانسحب

---

(١) يعنى بساحل نهر كان يسمى اولا قالقا ويسمى الان قاليتسكى. منه عفى عنه.

من المعركة مع بقية امرائه ونسائه وخزائنه وتوجه نحو مملكة قريم ودخل هناك بلدة كفه والتجاء بالجنوبزية وفارقته سائر امرائه هناك والجنوبزية وان قبلته اولا ولكنهم غدروا به في الآخر وقتلوه مع كافة متعلقاته واستولوا على خزائنه وهذا آخر امر هذا الغضنفر رحمه الله تعالى رحمه واسعة وهذا يكفي عبرة للمعتبر فكان المرحوم ثاني الامير نوغاى المتقدم ذكره فتذكر ولكن توقتامش خان اخذ بثاره بعد ذلك من الجنوبزية كما سيجيء في ترجمته وقد رايت نقلا من بدائع الزهور في وقايع الدهور هكذا توفي ممای سنة ٧٨٢ وكان تولى الملك سنة ٧٦٣ بعد كلدی بك اه وهو الموافق والمطابق للواقع فان استقلال توقتامش خان في حدود السنة المذكورة وكذلك يفهم ايضا من تاريخ كرامزين فانه قدمر نقلا عنه ان تلك الوقعة كانت في سنة ٧٨٢ وانها في سنتابزه وقد كان اول السنة المذكورة في آپريل (نيسان) ويكون وفاته في آخر السنة المذكورة والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال هذا ولا اظن ان صاحب مرحمة لايرق قلبه لقتل هذا الاسد الضرغام حامي الملة ولكن ما العلاج اذا كان في جانبه اللجاج فانه يقتل الوف مثله لسلامة الملك رحمه الله سبحانه رحمة واسعة * الملك المعظم ناصر الدين الغازى ابو المجد توقتامش خان بهادر اعلم ان توقتامش خان كان اعظم ملوك التتار شوكة واعلا هم همة واحسنهم سياسة واقواهم جاشا واشدهم سطوة وباسا فلوساعده القدر لكان له شانا عظيما وحالاقويا ولكن كان الدهر غالبا في معاندته ويأمر وكلا دائما بمخالفته كماستقف على تفاصيل ماجرياته وقداختلف المورخون في نسبه فمن قائل ان نسبه يتصل بجوجي خان بواسطة ولده توقاى تيمور قاله ابو الغازى في كتابه شجرة الترك حيث سرد نسبه هكذا توقتامش خان ابن توى خواجه بن توق قل خواجه بن كونجك اوغلان بن ساريجه بن اوز تيمر ابن توقاى تيمور بن جوجي خان ومن قائل انه يتصل به بواسطة غيره من اولاده حيث قال انه ابن

پول خواجه بن مبارك خواجه بن ساسی بوقا بن توقای بن قولی بن اورده بن جوجی بن چنکزخان ذکره فی تاریخ منجم باشی نقلا عن تاریخ جهان ارا للغفاری وقد ذکر الفاضل المرجانی غیر هذا ایضا ومن قائل انه ابن بردی بك خان ابن جان بك خان الخ قال ابن خلدون کما مر فعلی هذا لم ینقطع نسب صاین خان بموت بردی بك خان کما قیل بل بقی الی ازمنة طویلة وهذا القول وما ذکره ابوالغازی هو الذی یمیل الیهما القلب ویطمئن الیهما الخاطر فان ابن خلدون کان فی عصره ومطلعا علی حاله وامره وایضا یظهر کونه من عائلة صائن خان من العبارات التی تجیء بعد ذلك کما ستقف علیها ان شاء الله تعالی واما ابو الغازی خان فانه هو المرجع فی هذا الشان ولکن الاولی ان لا نخوض فی هذا الامر بالظن والتخمین ونکل علمه الی اللطیف الخبیر حیث ان کونه من اکابر ملوك الجوجیة الچنکزیة غیر خفی وستیر ونعطف عنان الیراع نحو بیان احواله من ابتدائه الی انتهائه فنقول مستعینا بعون الله تعالی قال ابن خلدون بعد ذکره ماتقدم من وقوع الاختلال بسرای وذهاب توقتامیش خان الی سمرقند ومکثه عند تیمر ثم طمحت نفسه الی ملك آبائه بسرای فجهز معه السلطان تیمر العساکر وساربها فلما بلغ جبال خوارزم اعترضه هناك عساکر ارص خان فقاتلوه وانهزم ورجع الی تیمر ثم ملك ارص خان قریبا من منتصف تلك السنة فخرج السلطان تیمر بالعساکر مع توقتامیش مدداله الی حدود عمله ورجع توقتامیش فاستولی علی اعمال ارص خان بجبال خوارزم ثم سار الی سرای وبها اعمال ارص خان فملکها من ایدیهم واسترجع ما تغلب علیها امای من ضواحیها و ملك اعمال حاجی شرکس فی حاجی طرخان وانتزع جمیع ما بایدی المتغلبین ومحا اثرهم اه وقال منجم باشی فی تاریخه ان ملك الدشت لما آل الی ارص خان بن جیمطای بن آبیصان بن ساسی بوقا بن توقای بن قولی بن اورده بن جوجی فی سنة ٧٦٩

و تمكن من الجلوس على تخت الدشت اراد ان يجمع بين كوك اوردا وآق اوردا فى ملكه وان يكون حاكما مستقلا بهما فخالفه فى ذلك ابن عمه بول خوجه بن مبارك بن ساسي بوقا (قلت الصواب على ما ذكره ابن عم ابيه) فقتله و بقي منه ولد صغير يسمى توقتاميش خان نجى من تلك المعركة فلما كبر وبلغ اشده التحق بالامير تيمر بسمرقند فاكرمه تيمر غاية الاكرام و وعده ان يسترد مملكة آبائه من يد اعدائه و ان يعطيه اياها و يسلمها اليه فامده بالعساكر مرارا الى ان غلب المخالفين على المملكة اه اختصارا بقدر الضرورة **قلت و تفصيل هذه القضية وشرح هذه القصة على ما فى روضة الصفا هكذا قال فى روضة الصفا** ان الامير تيمر لما وصل حين تعقيبه قمر الدين خان فى المرة الخامسة الى موضع يقال له بوجقان قرع سمعه فى ذلك المحل ان توقتاميش اوغلان صار متوهما من ارص خان وحارب بيك پولاد وانهزم امامه وقصد سمرقند والتجاء الى الملك و انه قد قرب وصوله فارسل لاستقباله من المحل المذكور نوين تيمر اوزبك ليجيء بغصن دوخة بستان الخانية يعنى توقتاميش خان الى سمرقند و رجع هو نفسه الى سمرقند فلما وصل اليه ونزل بلغه ان توقتاميش اوغلان قد قرب من البلد فركب وخرج من البلد لاستقباله فلما تلاقيا وتصافحا دخلا البلد معا فانزله منزلا مناسبا له واضافه بضيافات لم يقرع اذن الزمان مثلها ولما انقضت مدة الضيافة وايام الوليمة والفرح والسرور اعطاه الامير المذكور يعنى تيمور اموالا عظيمة من النقود والجواهر والاقمشة الفاخرة والخيول والجمال والبغال والعبيد والحشم والخركاه والخيم والطبول والعلم والعساكر والخدم وارسله الى (١) سغناق وانزار حاكما بها والظاهر من سباق

---

(١) سغناق و صبران و انزار واترار واسبيجاب وفاراب وطراز وطرابند ويسى و جند كل هذه من بلاد تركستان بسواحل نهر سيحون الشهير الان بسيردريا مابين تاشكند و آق مسجد فى شمالى النهر المذكور الا الجند فانه كان فى جنوبه وكل هذه خراب الان منه عفى عنه.

كلام المير آخوند ان هذه كلها كانت فى سنة ٨٧٨ حيث ذكرها فى اثناء و قائع السنة المذكورة ولكن المصرح فى تاريخ الجنابى اخذا من تاريخ شرف الدين اليزدى ان هذه كانت فى سنة ٧٧٧ وكذلك فى تاريخ شرف الدين الخان البدليسى وعبارة الاول ان تيمر لما غلب على قمر الدين خان تركستان فى سنة ٧٧٧ فوض الغانية ببلاد صبران وسغناق لتوقتاميش الغان الى آخر ما سيذكر بعد ذلك وعبارة الثانى و فى هذه السنة يعنى سنة ٧٧٧ قام بنية الزحف الى خوارزم لكن بسبب عدم اتفاق الامراء والاعيان وجه وجهة عزيمته نحو جته مرة رابعة واستولى على تلك الاقوام و فى اثناء ذلك وصل توقتاميش خان الى ملازمته ونال منه الرعايات وصار منظورا بنظر عاطفته وارسله الى سغناق وفى سنة ٧٧٧ جاء توقتاميش خان عند تيمر ثانيا فاكرمه واحترمه وارسله الى سغناق بعد ان ضم اليه العساكر واجلسه على تخت السلطنة اه ولنكن على هذا الاعتماد ولنرجع الى بيان ما كنا بصدده ولما تمكن توقتاميش خان فى سرير الحكومة سغناق التى كانت تلقب باق اوردا كما تقدم بيانه فى اول هذا المقصد واستقر قدمه فيها ارسل ارص خان عساكر جرارة لا تدخل تحت العد والحد تحت رياسته ابنه قتلق بوغا لمحاربة توقتاميش خان فالتقى الجمعان واقتتلوا مقاتلة شديدة قتل فيها قتلق بوغا ومع ذلك انهزم توقتاميش خان لغلبة عسكر الخصم بكثرتهم وعاد الى تيمر بسمرقند فاعاده تيمر الى سغناق ثانيا بكمال الابهة بعد ان اعطاه من العساكر واسباب السلطنة اكثر من الاول فلما سمع ارص خان عوده اليها جهز عسكرا لقتاله اعظم من الاول صحبة ولده الكبير توقتاقيا و معه كثير من الامراء الجوجية واعيان الدشت فلما التقى الفريقان واشتد بينهما القتال واختلط الرجال بالرجال غلب الخصم بالكثرة ووقعت الهزيمة ايضا على توقتاميش خان وقتل بعض عسكره و تفرق الباقون و هرب توقتاميش خان الى غابات و مشاجر هناك و تعقبه قرانجى بهادر فوصل

توقتاميش الى ساحل سيحون (١) بعد مقاساة شدايد كثيرة وكاد قرانجي يدركه فنزل من جواده وتجرد من ثيابه ثم رمى نفسه الى سيحون فرماه قرانجي بسهم اصاب عضده فخرج الى طرف آخر من سيحون واختفى فى غابات و مشاجر هناك و طلبه قرانچي الى ان يئس منه ثم عاد وقد كان تيمر ارسل للاستخبار عنه الامير ايدكو البرلاسي و من عجايب الاتفاق وقوع مروره بمحل قريب من موضع توقتاميش خان بتلك المشاجر فسمع من بعد انيناو تاوها فتوجه نحوه فرأى توقتاميش خان طريحا كاد يهلك وحيدا ليس معه احد فالبسه مايليق به من الالبسة واطعمه مما كان معه ثم اركبه جوادا وحمله الى تيمر ثالثا وهو فى ذلك الوقت نازل بظاهر بخارى فطيب خاطره ورتب له ما يحتاج اليه من اسباب الترفه. وهياء ما لابد منه فى التلذذ والتمتع وبيما هم فى تلك الحالة اذ قدم الامير ايدكو المنغوتى الذى كان منتظما فى سلك امراء الدشت والبلاد الجوجية هاربا من ارس خان واخبر ان ارس خان فى صدد المجيء بعساكر كثيرة لطلب توقتاميش خان ووصل رسل ارس خان ايضا مقارنا لهذا الكلام وقالوا لتيمر ان ارس خان يقول ان توقتاميش قتل ولدى وافنى قطعة كبدى يعنى قطلق بوغا وهرب اليك والتجاء بك وانت آويته واكرمته فاما ان تسلمه الى واما ان تعين موضع الحرب ومحل الملاقات فقال تيمر انى لا اجد فتوى من مفتى العقل والمروة ان اسلم الى الخصم مظلوما التجاء الى ومستغيثا لاذبى واما حديث تعيين موضع الحرب فكل محل نلتقى فهو موضع الحرب فان الطائر المائى لا يبالى بالمطر ولما اعاد الرسل بهذا الجواب القطعى شرع فى تهيئة العساكر وتكفيل الاسباب والادوات وجمع كافة الوس چغطاى وتوجه نحو الدشت بعساكر لايعد ولا يحصى الى ان نزل موضعا قريبا من انزار وجاء ارس خان ايضا بجنود الدشت

---

(١) وقع فى الاصل هنا كلمة جيحون وهو خطاء وصوابه سيحون ولهذا غيرناه الى الصواب فتنبه منه عفى عنه.

والامراء الجوجية ونزل بسغناق وبقى بين الفريقين مسافة سبعة وعشرين فرسخا ونزل فى تلك الاثناء ثلج عظيم واشتد البرد واجرى حكمه فى الكل حتى لم يبق لاحد مجال الحركة خوفا من سطوته فبقى كل واحد من الطرفين فى تلك المدة مقابلا للآخر بلا قتال ولما اعتدل الهواء قليلا وانكسرت سورة البرودة امر تيمر جمعا من امرائه مثل يارق تيمر وختاى بهادر ومحمد سلطان شاه بتبييت العدو فتوجه هؤلاء حسب الامر نحو العدو ومعهم خمسمائة فارس فالتقوا فى الليل الامير تيمر ملك بن ارص خان وكان قد توجه نحو معسكر تيمر لنك لذلك الامر بثلاثة آلاف فارس فاقتتلوا الى الصباح فطعن تيمر ملك من رجله فرجع منهزما وعاد المذكورون بالظفر والنصرة ولكن قتل فى تلك المعركة يارق تيمر وختاى بهادر ثم ارسل تيمر لنك محمد سلطان شاه للاستخبار فقبض المذكور على شخص من عسكر العدو وعاد الى المعسكر وعاد الامير مبشر ايضا مقارنا لهذا الحال وكان مامورا بهذا العمل ومعه ايضا شخص من عسكر المخالف فظهر من تقرير هذين الشخصين ان الوغ سايقن وكوك سايقن من شجعان عساكر ارص خان قد توجها الى هذا الجانب ومعهما مائة فارس طليعة فالتقوا آق تيمر بهادر والله داد فى ظاهر انزار وان آق تيمر بهادر قتل اثنين من مشاهير عسكر ارص خان وان ابن اخى آق تيمر قتل كوك سايقن وان هندوشاه اسر الوغ سايقن فوصل هندوشاه الى المعسكر مقارنا لهذا الحال ومعه الوغ سايقن فصار هندوشاه بذلك مظهر العناية تيمر لنك والطافه تبين ثم ان ارص خان قد رجع الى بلاده وترك مكانه قرا كيك فركب تيمر لنك بنفسه وجعل توقتاميش خان فى مقدمة العسكر كالطليعة والدليل وتوجه نحو بلاد ارص خان بتمام العجلة والسرعة حتى وصل اليها بعد خمسة عشر يوما فاجروا فيها مراسم النهب والغارة واستوفوا منها حظهم واغتنموا شيئا كثيرا من الغنم والابل وسائر الاجناس المختلفة فبلغ فى تلك الاثناء ان ارص خان قد مات وجلس

مكانه ولده توقتافيا فلم يلبث هو ايضا الا قليلا حتى توجه نحو الاخرة من وراء ابيه ارص خان فجلس مكانه ولده الثانى تيمر ملك خان فرتب تيمر لنك اسباب السلطنة لتوقتاميش خان وارسله الى مملكته واعطاه جوادا اصفر سريع السير وقال اذا طلبت به هاربا تلحق ومتى هربت به من طالب ينجيك من شره ثم ودعه وعاد الى سمرقنده وكان ذلك على ما فى الجنابى نقلا عن اليزدى فى سنة ٧٧٨ وهذا هو المراد ايضا بما تقدم عن تاريخ شرف الدين الخان البتلبسى فتذكره ولما سمع تيمر ملك خان تيمر لنك قد اجلس توقتاميش خان على سرير سلطنة الدشت ورجع بنفسه الى سمرقند توجه نحو توقتاميش خان بعسكر عظيم فلما التقى الجمعان ودارت رحى الحرب انهزم توقتاميش خان ثالثا ونجى بنفسه بعد جهد جهيد وتعب شديد بالجواد الذى كان تيمر اعطاه لمثل هذا اليوم وعاد الى تيمر رابعا مع فارس واحد من خواصه فبذل تيمر ايضا مقدرته لاصلاح حاله وصرف عنايته لتطييب باله وامر كبراء الامراء مثل تيمر اوزبك و يحيى خواجه وولده غياث الدين طرخان وغيرهم بمرافقة توقتاميش خان واجلاسه على سرير السلطنة فتوجه هؤلاء مع توقتاميش نحو سغناق واجلسوه على سرير السلطنة فيها وعادوا ذكر محاربة توقتاميش خان مع تيمر ملك خان وقتل تيمر ملك خان فى تلك المحاربة واستقلال توقتاميش خان بسلطنة دشت القفجق وسراى وكافة البلاد الشمالية اعلم ان توقتاميش خان لما قدم سمرقند كان معه امير من الامراء يسمى اوزبك تيمر ولما وقع القتال بين توقتاميش خان وبين ملك خان فى النوبة الاخيرة وانهزم توقتاميش خان بقى اوزبك تيمر فى بلاد الدشت مدة فقبضوا عليه وجاؤا به عند تيمر ملك خان فعفى عنه فطاف فى تلك البلاد مدة مديدة على اسوء الحال فجأ يوما مجلس تيمر ملك خان وجثى على ركبتيه وسأله ان يرد اليه الوسانه واحشامانه يعنى القبيلة والناحية التى كان حاكما بها اولا فقال له تيمر ملك خان ان

شئت ان تقيم يعني راضيا بحالك هنا فاقم وان شئت ان تذهب فاذهب يعني ليس لك عندي شيء نافع فلما وجد اوزبك تيمر فرصة هرب وقدم سمرقند وقال لتيمرلنك ان تيمر ملك مشغول بشرب الشراب ليلا ونهارا ولا يقوم من نوم الغفلة الى وقت الضحى فلو وقع مائة مهم كبير مثلا لامجال لاحد ان يوقظه من نومه ولهذا اعرض اعيان البلاد وكبراء المملكة عنه ويريدون ان يخلعوه ويجلسوا امكانه توقتاميش خان فلما اطلع تيمرلنك على احوال تيمر ملك خان واوضاعه ارسل رسولا الى توقتاميش خان بسغناق يعلمه باحوال قرينه تيمر ملك خان ويشير اليه ان يجمع اليه عساكر الدشت ويتوجه بهم لمناوشة خصمه تيمر ملك خان وان ينتزع عنه الملك بمساعدة القدر واعانة خالق القوى والقدر فجمع توقتاميش خان عساكر كثيرة من ابطال الدشت وتوجه بهم نحو قراتال الذى كان تيمر ملك خان شتابه فلما سمع تيمر خان توجه توقتاميش خان نحوه جمع عساكره وتوجه نحوه فالتقى الجمعان واقتتلوا اشد القتال ثم انجلى الحرب عن هزيمة تيمر ملك خان فاستقر توقتاميش على مسند السلطنة بدشت القفچق مكان آبائه واجداده بالارث والاستحقاق ثم شتا بسغناق ولما جاء آوان الربيع وجه عنان عزيمته نحو بقلان فاستولى عليه ثم شرعت سلطنته فى الترقي وقوته وشوكته فى التزايد يوما فيوما ويبشره الطالع والاقبال بنيل المرام ومعانقة الامال واما تيمر ملك فانه لما انهزم مام توقتاميش خان توجه نحو هزارته التى كان فوض ضبط احوالها الى محمد اوغلان واستشاره فى دفع توقتاميش خان فرأى محمد اوغلان ان المصلحة فى التوقف فحمل تيمر ملك خان كلامه هذا على الغرض الفاسد فقتله ثم جمع بقية قومه واتباعه واحشامه وقصد توقتاميش خان فالتقيا فى موضع قراتال ونشب بينهما القتال ففى اول حملة قتل تيمر ملك خان وتفرق من كانوا معه وصفا الجو لتوقتاميش خان وكان لتيمر ملك خان نديم يقال له آلنهاق وكان موصوفا بالوفاء ومشهورا بالشجاعة فاراد توقتاميش خان ان

يحسن اليه ويرفع شانه لديه بان ينظمه فى سلك امرائه ويجعله من اخص ندمائه واكبر وزرائه فقال آلنچاق قد مر وقتى فى حياة تيمرملك خان بالامارة والحكومة والرياسة على احسن الاحوال وانقفاء عيشى احسن الى من ان اراك الآن جالسا مكانه على التخت فليأمر الخان الآن تكرما وتفضلا بضرب عنقى وان يضعوا رأس تيمرملكخان فوق رأسى وبدنه فوق بدنى فساعده توقتاميش خان على ذلك واجاب ملتمسه فيما هنالك اه من روضة الصفا ومثله فى تاريخ الجنابى بالاختصار اخذا من تاريخ اليزدى ومثله ايضافى تاريخ منجم باشى مختصرا اخذا من تاريخ جهان‌ارا للغفارى والمفهوم منه ان هذه الوقعة الاخيرة كانت فى حدود سنة ٧٨٠ وقيل بعدها والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل ولعلك تتفطن بما مر فى اثناء العبارة من التصريح بان توقتاميش خان طمحت نفسه فى ملك آبائه وان تيمر لنك وعده ان يرده الى مملكة آبائه وان توقتاميش خان استقر على مسند السلطنة بدشت القفچق مكان آبائه واجداده بالارث والاستحقاق ان توقتاميش خان من اولاد صائن خان لا من اولاد توقاى تيمر ولا من اولاد اورده ابنى جوجى فانهما واولادهما لم يتملكوا بلاد الدشت بالاستقلال بل كانوا امراء الميسرة حكام بعض النواحى كمامر فى اول هذا المقصد فكيف يصح ادعاء اعقابهم الارث وكيف يستقيم وعد استرداد ملك آبائه من يد اعدائه مع انهم اعنى اعداءهم على هذا القول اى على قول من قال انه من ذرية توقاى تيمر او اورده ابنى جوجى ابناء اعمامه فهو واياهم سواء فى استحقاق الملك ولاوجه ايضا حينئذ لقول صاحب روضة الصفا انه جلس على تخت سلطنة الدشت مكان آبائه بالارث والاستحقاق كمالايخفى ولهذا قلنا فيما سبق ان ميلان القلب الى قول ابن خلدون من انه ابن بردى بك خان وان كان الجمهور على خلافه الاان نقول ان مراده بتخت ابائه تخت حكومة آق اوردا او المراد باباته جوجى خان وچنكزخان وهذا هو الذى اقبله والله سبحانه اعلم * مسير

توقتاميش خان الى الروسية ودخوله بلدة موسكوا قال كارامزين ولما جلس توقتاميش خان مسند الخانية ولم يبق له منازع فى الملك ارسل السفراء الى كافة حكام الروسية يخبرهم بجلوسه الى التخت واعدام المتغلبين وعود امور دولة التتار الى مجراها السابق (يلوح بذلك الى الانقياد والطاعة) فقبل ديميترى دونسكوى الكيناز الاعظم سفيره بكمال التواضع وغاية الاحترام ثم ارسل سفيرا الى توقتاميش خان يهدأ باثمينة يهنيه بجلوسه ويظهر له المودة وكذلك فعل سائر حكام الروس ولكن لم يكن توقتاميش خان ممن يقنع بمثل تلك الهدايا بل كان قصده ان يستعبد الروسية مثل باتوخان واوزبك خان وان ينتقم منهم للتتار وان يعيدهم الى حدودهم الاولى فبعد مضى سنة ارسل واحدا من اولاد الخوانين يسمى المرزا آق خواجه مع سبعمائة نفر من فرسان التتار الى الكيناز الاعظم ديميترى وكتب اليه فرمانا يدعوه وسائر كنازات الروسية الى اوردو لديه للبيعة والاذعان للعبودية فلم يبق من سماع هذا الخبر الموحش فى وجوه الكيناز وسائر الحكام والاهالى اثر الدم لانهم كانوا على يقين من عدم الاقتدار على المقاومة ان امتنعوا فان اكثر الشبان الصالحين للعسكرية كانوا قد تلفوا فى المحاربات الممتدة ايام المرزا ماماى فقالوا من اين جاءنا هذا البلاء العظيم حين ظننا بعد ان كسرنا المرزا ماماى وعسكره اننا قد تخلصنا من عبودية التتار واستولى عليهم غاية الحزن والغم وكان ديميترى ايضا فى هذا الفكر ثم ارسل الى المرزا آقخواجه يلتمس منه ان يخرج من بين الاهالى معتذرا بتعصبهم وحماقتهم خصوصا فى مثل تلك الحالة الحرجة ويقول له انه لا يكون مسئولا ان اصابه شئ من طرفهم فعاد المرزا آقخواجه الى اوردو واخبره بمقالته ففرح الكيناز ديميترى لذلك وصار مشغولا باموره الداخلية وتدارك العساكر والاستعداد للمدافعة وكان توقتاميش خان ايضا مشغولا بالتدارك والاستعداد للهجوم والانتقام ولما مضت لذلك سنة نهض توقتاميش خان نهضة الاسد للانتقام وتربية العصاة وسار الى موسكوا فى اوائل سنة **١٣٨٢** مصادفة سنة **٧٨٣ه**

بغتة من طريق بلغار وعبر نهر ادل (وولغا) منها فلما قرع هذا الخبر سمع ديميترى اندهش وتحير فانه كان خبيرا بقوة توقتاميش خان لازالته الاختلاف الواقع بين امراء التتار وجمعهم كلهم تحت راية واحدة كالاول فكان مأيوسا من المقابلة والمقاومة ومستيقنا بالمغلوبية ان حاربهم ومع ذلك كان قد انضم الكيناز آليغ الروسى مع امرائه وعساكره الى توقتاميش خان فبهذا زاد قوة عسكر توقتاميش خان ومتانتها ونقص قوة عسكر ديميترى فصار مغلوبا قبل المحاربة معنى فخرج من موسكوا مع عائلته وهرب واستقبل سائر كينازات الروس توقتاميش خان بالترحيب واطاعوه فاستولى توقتاميش خان على بلدة سيرپوخف وتوجه الى بلدة موسكوا ولما سمع اهل موسكوا توجهه وقربه افترقوا فرقتين فمنهم من اختار الفرار ومنهم من اختار القرار والمدافعة وفر المطران كيپريان الى توير وتولى قيادة العسكر وتدبير الحرب الكيناز اوستى ابن الكيناز آلكيرد الليتوانى فشرع فى تنظيم الامور وتشجيع الاهالى وترتيب العساكر وسد الثغور وغلق ابواب السور واما الاهالى فبعضهم كان مشغولا بالبكا وبعضهم بشرب الخمر يقولون ان سور بلدتنا متين وجدرانها غليظة وقوية وعساكرنا كثيرة فماذا يفعل بنا التتار فلما كان اليوم الثالث والعشرون من آغستوس ظهر فرقة من عسكر توقتاميش خان وتقاربوا من البلد وصاروا يدورون حول السور لمعاينة الموضع الملايم للهجوم والدخول على البلد وسألوا اهل البلد عن الكيناز ديميترى فاجابوهم بانه ليس هنا ولما رأوا قلة العسكر فرحوا وقالوا انهم لو حاربونا لصاروا مغلوبين البتة ولما غابت الشمس غابت هؤلاء العساكر القليلة ايضا من عيونهم وتباعدوا عن البلد فزاد فرحهم بذلك وظنوا انهم هربوا القلتهم وهكذا يفعل العجز ولما اصبحوا رأوا عسكرا حول اطراف موسكوا لايعلم عددهم الا الله وهم تحت قيادة توقتاميش خان فصار الاهالى من مشاهدتهم منحمدين كاصنامهم لاحراك بهم فقربت التتار من السور وشرعوا فى الرمى ومن غاية مهارتهم فى الرمى كان لايخطئ سهم من سهامهم وداموا على هذا الحال ثلاثة ايام متتالية ولكن لما لم يكن لهم

آلة الهدم لم يتمكنوا من دخول البلد بالهجوم ولما كان اليوم الرابع من ابتداء المحاربة وهو السادس والعشرون من آغستوس ارسل توقتاميش خان الى اهل موسكوا يقول لهم ان مقصدى انما كان ديميترى وتربيته واما الاهالى فانى احبهم كحب تبعتى فان استقبلونى بالخبز والملح وتركونى لادخل البلد واتفرج فيه فانى ارجع الى مقرى من غير اضرار بالاهالى ولما بلغ السفراء الاهالى هذا الكلام لم يلتفتوا اليه وخافوا كونه مكرا ولكن كان مع السفراء وا سيلى وسيمون ابناء ديميترى حاكم نيژنى نووغورد فنصحا الاهالى ووعظاهم بترك المحاربة والمعاندة فبعد الاستشارة الطويلة قررأيهم على فتح الابواب ولما فتحوها هجمت التتار على البلد من كل جانب وطفقوا يقتلون من يصادفهم من الاهالى ويخربون البيوت وينهبون الاموال فلم ينج منهم احد سوى الهارب واسروا البواقى وجمعوا من النقود مالايعلم حسابه الا الله حتى وضعوها فى الاكياس وحملوها فى العجلات (العربيات) ولم يتركوا فى خزينة الكيناز حبة ولم يكتفوا بهذا بل نهبوا الكنايس ايضا وكسروا الاصنام واخذوا ما فيها من الفضة والذهب والجواهر ولم يخافوا بأس الله قال والحاصل ان القلم عاجز عن توصيف ما فعلوه ثم انهم ذهبوا راجعين الى بلادهم بغنائم واسارى لا تحصى واستولوا فى ممرهم على بلدة قولومنا ثم توجهوا الى نهر اوقا وعادوا الى اوطانهم منه اه قلت هذا ما قاله كارا مزين ولا يخفى ان من عادتهم ان يجعلوا حبة من قباحة التتار قبة وقبة من شنايعهم حبة وليس فى ايدينا تاريخ حتى نطلع على ما صدر من الروسية ونعرف الحقيقة والذى نجزم به الآن ان هنا مبالغة لا تحصى * ثم قال فلما انصرفت التتار عاد الكيناز ديميترى الى موسكوا مع اخيه ولا ديمر وشاهدا تلك الاحوال المدهشة والتزما التجلد وامر ديميترى بدفن الاموات وعين لكل ثمانين ميتا روبلة روسية فبلغ جميع ما اعطاه ثلاثمائة روبلة فيكون عدد القتلى اربعة وعشرين الفا

وقد قال انهم لم يتركوا احدا سوى من هرب ولاشك ان اهالى موسكوا ليس عدد هم هذا القدرفقط ولا مائة الف فقطبل لايكونون انقص من نصف مليون على الاقل وهذا هو افراط فى المبالغة * قال وكانوا احرقوا المدينة بعد النهب فامر ديميترى ببنائها فشرعوا فى البناء وبينماهم مشغولون بالبناء اذاجاء احد من طرف توقتامش خان بالسفارة الى ديميترى يسمى ميرزا قراچه (١) فاستقبله ديميترى بالتعظيم وسأله عن خاطر حضرة الخان فقال له السفيرانه وان كان جبارا ولكنه صاحب مرحمة يحب المسالمة والآن قد عفى عنك ويريدان يعيش بالوداد والمحبة ففرح به ديميترى وارسل ولده واسيلى مع جمع من امرائه بالهدايا الى حضرة الخان واحتاط ان يسير اليه بنفسه وخاف من ابتلائه بما ابتلى به الكيناز ميخايل ايام اوزبك خان فقنع به توقتاميش خان وعفى عنه ذكرمجيء واسيلى الثانى ابن ديميترى دونسكى كيناز الروسية الى سراى لاظهار تبعته توقتامش خان حسب العادة الجارية قال كارامزين وفى سنة ١٣٩٢ م مصادفة سنة ٧٩٤ ه اغار واحد من اولاد خوانين اوردو يسمى بك قوت (٢) بامر توقتامش خان على ولاية واتكا من الروسية عابرا نهرى وولغا وقزان وكان اهل الولاية المذكورة استوطنوا بها فى عصر اندرى بوغولبسكى مهاجرين اليها من نووغورد وعمروها غاية التعمير مدة ماتى سنة بسبب وسعة ارضها وكثرة تجارتها وبسبب اغارتهم على من كانوا بجوارهم من الاقوام الچودية ولهذا كانوا يعيشون بغاية الراحة وكان حسن حالهم وغناهم هو

---

(١) قراچه ليس هو اسم شخص معين بل هو لقب لكل مقرب الخان مثل القرنا و المابينچى فى اصطلاح الدولة العثمانية ايدهم الله . منه عفى عنه .

(٢) فى الاصل بتقوب ولكن ينبغى ان يكون هكذا . منه عفى عنه .

الذى استلفت انظار التتار وجلبهم اليهم وحيث كانت اغارتهم على الغفلة عجز الاهالى عن حماية بلدانهم المبنية على الاراضى المستوية والمواضع المستنقعة الندية بمقابلة التتار ومدافعتهم فقتل بعضهم فى ميدان الحرب وبعضهم وقع فى الاسر والتجاء اكثرهم الى الغابات الكثيفة والمشاجر الملتفة عازمين على طرد التتار من ديارهم متى وجدوا الفرصة فما مضى من هذه الوقعة الا زمن يسير حتى انضم الى اهل تلك الولاية اهالى نووغورد واوستوغ (يعنى بدعوتهم اياهم وصراخهم بل بامر واسيلى) فنزلوا من نهر وانكا الى نهر قاما و وولغا راكبين السفن الكبار وصعدوا من وولغا الى قزان وژوقوطين اللذين هما من توابع بلغار الكائنة تحت حماية الخان فاغاروا عليهما ونهبوا اموال التجار التى صادفوها وعادوا قلت هكذا يقول كارامزين فى سبب هذه الاغارة ولعل سبب امر توقتامش خان بالاغارة ان صح هو تاخر مجئ واسيلى الى اوردو لاظهار تبعيته وتصديق كينازيته من وقته المعهود فان العادة كانت جارية بالمجىء فى اول جلوسهم وقد تاخر مجىء واسيلى عن جلوسه ازيد من سنتين فان موت ديميترى دونسكى وجلوس ولده واسيلى مكانه كان فى سنة ١٣٨٩ م مصادفة سنة ٧٩١ ه والله سبحانه اعلم ثم قال كارامزين وبعد مرور ستة اشهر من هذه الوقعة توجه واسيلى كيناز الروسية الاعظم الى اوردو لاظهار الطاعة وتجديد البيعة لتوقتامش خان ولم يكن سبب مثوله لحضور الخان منحصرا فى هذا فقط بل افواهه تقوية كينازية موسقوا وتوسيع دائرتها بالتدريج فصار واسيلى مظهرا لما لم ينله غيره من حكام الروس قبله من التفات حضرة الخان وامرائه وتعظيمهم وتكريمهم ومن جملة ما نال واسيلى فى سفره هذا من الامتيازانه تمكن من تحصيل الاذن من حضرة الخان بنصب بوريس غوردتسكى كيناز اباطراف نيژنى وناء بيده فيه واستحصل

الاذن ايضـا من حضرة الخـان بالحاق بلدة تورس التى كانت فى السابق متعلقة وملحقة بجبرنيغوف وبالحاق بلدة مورم وغورو ديتسه وميشچر بكينازية موسكوا وحكومتها والحاصل انه نال جميع ما طلبه وسأله من حضرة الخان من المطالب والامتياز وسبب نيل واسيلى جميع مطاليبه واسعاف حضرة الخان اياه بها مع الالتفات الفائق هو تصادفه وقتا يقتضى ذلك فان توقتامش خان كان فى الوقت المذكور يستعد ويتهيأ لمكافحة عدوه الالد القوى تيمرلنك فخاف ميل الروسية الى طرف عدوه المذكور والتزامه اياه (يعنى فيبقى توقتامش خان بين عدوين وقد كانت الروسية قد سئمت وضجرت من رقية التتار وتحكمهم عليهم منذ سنة ١٦٠ وكان يلتمسون اسباب التخلص منها فلا تفوتون ادنى سبب وجدوه ولا تضيعون اقل فرصة نالوها سواء كان من جهة تيمرلنك اوغيره) قال وقد وعد واسيلى حضرة الخان فى مقابلة التفاتاته واسعافاته المذكورة ان يعينه على تيمرلنك (يعنى ان اقتضى الحال ذلك) حتى باعطاء العساكر وان لم يثبت ذلك فى المحررات الرسمية المعتمد عليها اه وهذه الوقعة وان كانت متأخرة من كثير من الوقائع الآتية الا اننى اثبته هنا نظما للواقع كلها فى سلك نظائرها فان هذه الوقعة كما انها كائنة بين توقتامش خان والروسيه كسوابقها كذلك الوقائع الآتية كلها وقائع توقتامش خان مع تيمرلنك ومراسلته مع ملوك مصر ليس فيها وقعة تتعلق بالروسية

ذكر وقوع الخلاف بين تيمرلنك وتوقتامش خان اولا وبيان سبب ذلك وافضاؤه اخيرا الى محاربات بينهما صعبة كثيرة وتخريب البلاد وقتل العباد حتى الى انقضاء الملك ودخوله فى تصرف الاعداء الاشرار وبقائه بايديهم الى هذه الادوار اعلم ان امر تيمرلنك مع كونه مشهورا لدى الخاص والعام وكونه مظهرا لجلال الحق سبحانه وكونه مريدا للتفرد بالملك وابادة الملوك الكرام وكونه طالبا لادنى سبب وعلة لذلك غنى عن البيان وكذلك مساعدة القدر اياه فى ذلك مستغن عن التبيان ولم يكن مساعدته لتوقتامش خان لمحبته اياه واحقاق حق رامه ونواه بل لـكسر شوكة ارس خان الذى كان اقوى الملوك فى ذلك الزمان

مع محاربته اباه ومنافسته في الحال والشان كما قيل لاالحب على بل ابغض معاوية ولهذا لما استقل توقتامش خان بالملك وانتشرت شهرته وصيته في الآفاق ساءه ذلك وصار يتوهم منه فيما هنالك واضحى يتمنى حصول سبب يتشبث به في مقاتلته ومحاربته في المعارك ولما وجد ما يمكن ان يجعله وسيلة بتأويلات بعيدة لتلك المسالك نهض نهوض النمر لايراده الى موارد المهالك وبيان ذلك ان ممالك آذربيجان والعراقين وخراسان وكلما كان متعلقا ببني هلاكو لما مات السلطان ابو سعيد الذي هو آخر من ملك من اولاده في التاريخ الذي مر ذكره وقع امرها في الهرج والمرج وانقسمت بين ملوك الطوائف ولم يزل الحرب بينهم من ذاك التاريخ الى هذا التاريخ كما مر بيان نبذة منه في ترجمة جان بك خان ولما ظهر تيمرلنك وكان جل قصده تملك جميع الدنيا وقد سمع ما بتلك المملكة من شتات الامر وعدم الاتفاق ارسل اخص اوليائه الحاج سيف الدين الى تلك البلاد بارادة حج بيت الله الحرام في الظاهر وتفحص احوال تلك البلاد وتجسسها في الحقيقة والباطن وهو ليس بانقص من اللنك في الدهاء بل هو اعظم من اعانه في تاسيس الملك فلما رجع اخبره بان الغنم لاراعي لها والبلاد غنيمة باردة لان ملوكها في المحاربة والمقاتلة فيما بينهم فيمكن الاستيلاء عليها واحدة بعد واحدة فلما سمع ذلك رسم تلك الممالك كلها في خريطة ذهنه في عداد ممالكه ولم يشك انه يستولي عليها ويجري احكامه فيها بتمامها بل فيما وراها فقام بكمال الاستعداد قاصدا تلك البلاد وذلك في سنة ٧٨٥ واجرى فيها مراسم القتل والنهب والغارة والتخريب وعم غاراته في تلك النوبة تمام سجستان وزابلستان وقتل اهلها قتلا عاما ثم رجع الى سمرقنده واقام بها ثلاثة اشهر ثم نهض ثانيا بقصد بلاد مازندران واستر آباد في سنة ٧٨٦ وفعل فيها مثل ما فعل في سجستان وغيرها من القتل والنهب والغارة وشتا في تلك السنة بالري ثم نهض في اول الربيع وشرع في التخريب

والقتل والنهب والافساد حتى وصل الى القامة السلطانية من أعمال تبريز واستولى عليها ورجع منها الى سمرقند وشتا بها وذلك في سنة ٧٨٧ وكان تبريز وعراق العرب وبغداد في ذلك الوقت تحت تصرف السلطان احمد بن السلطان اويس الجلايرى الايلخاني وكان بينه وبين توقتامش خان مواصلة ومراسلات وكان عساكر توقتامش خان لايخلو من التردد بين بلاده وبين بلاد السلطان احمد لحمايته وامداده على مخالفيه وفي العام الذى شتا فيه تيمرلنك بالرى كان قاضى سراى قد توجه نحو تبريز برسالة من عند توقتامش خان الى السلطان احمد خان بن السلطان اويس الايلخاني الجلايرى ولما وصل القاضى الى باكو تبين له ان السلطان احمد في بغداد وبين امرائه ببلاد اذربيجان مقاتلة ومحاربة وان البلاد في الهرج والمرج والامن مسلوب من العباد فارسل شخصا الى توقتامش خان يخبره بذلك كله ويعلمه ان حفظ الحدود والثغور واجب على الخان ولا ينبغي التغافل عن عواقب الامور وتفاقم الشرور فارسل توقتامش خان خمسين الف فارس تحت قيادة بعض امرائه مثل يكا اوغلان وبخشى خواجه الى دربند وامرهم بان يقيموا هناك منتظرين الى ما يظهر من وراء حجب الغيب واما القاضى فانه قد مضى في سفره حتى وصل الى بغداد وادى الرسالة للسلطان احمد وبينما هو مقيم ببغداد اذ ظهر من عالم الغيب امر لم يخطر بالبال حتى صار سببا لوقوع الفتن وفساد الاحوال وذلك ان القاضى المذكور كان معه واحد من اولاد المغل فائق الحسن والجمال فحصل للسلطان علاقة بذلك الغلام وفشا هذا الامر بين الانام فرجع القاضى الى بلاده وهو مستغرق في بحر الخجالة والانفعال وحنق السلطان احمد لما صدر منه هذا الحال فاغرى توقتامش خان على ترك معاونته بل حرضه على مخالفته ومناوشته وعلل ذلك بعدم ديانته وامانته وقال ان تربيته واجبة حتى يرجع عن غوايته فارسل توقتاميش خان بعض امرائه مثل الامير بيك پولاد وداودبك وعلى بك وقرانجى

بک وعیسی بک وغیرهم مع عساکر کثیرة الی دربند وامرهم ان یأخذوا العساکر الموجودة هناک معهم ویتوجهوا الی تبریز وان یقبضوا علی السلطان احمد فتوجه هؤلاء المذکورون وکان المجموع قریبا من مائة الف فارس ولما وصلوا الی تبریز وجدوها قد تحصن بها الامیر سنتای الذی هو من اکبر امراء السلطان احمد وقائد جیشه هناک مع الامیر ولی الذی کان اولا والیا باستر آباد ومازندران فشرعوا فی الحصار فاما الامیر ولی فهرب منها وبقی الامیر سنتای محافظا ومدافعا بمن معه من العساکر وامتد الحصار الی اسبوع ثم دخل عسکر توقتامیش خان البلد عنوة ونهبوا ما فیها لممانعة اهلها ومعاندتهم ولما کان السلطان احمد الذی هو المطلوب لم یکن بها بل کان ببغداد رجعوا من هناک واستصحبوا معهم الشیخ کمال الدین الخجندی قدس سره کما سیجیء ذکره ان شاء الله تعالی فی آخر هذا المقصد وکان ذلک فی سنة ۷۸۷ وقال بعضهم فی ذلک مورخا شعر:

نهب تبریز وقتل وغارات او * بود تاریخ نازنین (۷۸۷) تبریز * اه منتخبا من روضة الصفا وذکره مختصرا فی شرفنامه ایضا وذلک هو العام الذی شتا فیه اللنک بسمرقند بعد استیلائه علی استر آباد ومازندران کما مر وهذه الوقعة کما تری لیست هی مع تیمرلنک فان تبریز لیس من جملة مملکته ولا مملکة چغطای حتی نقول انه یدعی ملکه اوملک اسلافه من اولاد چغطای بل کان تبریز واعماله متنازعا فیها بین بنی هلاکو وبنی جوجی وکانت دائما فی ید بنی هلاکو کما تقدم فلا حق حینئذ لتیمرلنک ولا لمورخیه ان یجعلوا تلک الواقعة اظهار المخالفة من طرف توقتامیش خان فی شأن تیمرلنک ومع ذلک فقد اسند تیمرلنک بذلک السبب المخالفة الی توقتامیش خان ونسبه الی کفران النعمة ونسیان الحقوق وبنی جمیع ما فعل بعد ذلک علیه کما سیجیء وتلقی مورخوه ذلک منه بحسن القبول ونسبوا المخالفة وکفران

المعمة بذلك الى توقتاميش خان كلا وليس الامر كما يفترون يعرف كل احدان ذلك افتراء محض وعدول عن الجادة لمراعاة خاطر من يحبونه وهذا ليس من المروة والانصاف والانسانية بل اللازم للمورخ ان يكتب ما هو الحق والصواب له وعليه دون ان يميل الى طرف احد للاغراض النفسانية والله الملهم للصواب ذكر المراسلة بين توقتاميش خان وملوك مصر على ما جرت به العادة بين ملوك هاتين المملكتين قال المقريزى وفى الحادى عشر من ذى الحجة من سنة ٧٨٦ قدم رسل الخان توقتاميش بن اوزبك متملك بلاد الدشت فخرج الامير سودون النائب والامير يونس الدوادار الفائهم وانزلوهم بالميدان الكبير على النيل ثم احضروا الى الخدمة بالايوان فى يوم الاثنين الثامن عشرة ومعهم هدية وهى سبعة سناقر من الطيور الجوارح وسبع بقج قماش وعدة مماليك فلما قرئى كتابهم ظهر انهم رسل متملك بلاد القرم فقطع راتبهم كل يوم خمسمائة رطل لحم ورأس بقر ورأس خيل برسم الذبح والف درهم واخرجوا من الميدان الى موضع بالقلعة وخلع عليهم فى الحادى والعشرين منه اه ومثله فى تاريخ ابن دوقمق مختصرا وقال ابن حجر وفى سنة ٧٨٦ قدمت رسل توقتاميش خان ابن اوزبك سلطان الدشت واسم كبيرهم حسن بن رمضان وكان ابوه نائب القرم ارسل بهم صاحب القرم ومعهم هدية فقبلت وارسلت اجوبتهم اه قلت وكان ذلك فى عهد الملك الظاهر برقوق اول ملوك الجراكسه وكان تسلطنه قبل هذا بعامين فانه تسلطن فى سنة ٧٨٤ ولهذا قال القلقشندى فى هذه الحادثة اعنى حادثة الرسل المذكورين ومن غريب ماوقع انه ورد رسول من الشرق (صوابه الشمال) فى الايام الظاهرية برقوق سقى الله سبحانه عهده واظهر لاهل الطرقات انه رسول من عند توقتاميش خان صاحب بلاد اوزبك ووقعت بطاقته بالقلعه المحروسة بذلك فامر السلطان النائب الكافل واكابر الامراء بالخروج للاقاته على القرب من القاهرة فخرجوا وتلقوه بالتعظيم

على انه رسول توقتاميش خان المقدم ذكره وانزل بالميدان الكبير تعظيما لامره فلما عرض كتابه نظر فيه المقر البدرى ابن فضل الله تعمده الله تعالى برحمته وهو يومئذ صاحب ديوان الانشاء الشريف فوجده غير جار على مصطلح كتب الخانات فى الورق والكتابة فاستفسر الرسول المذكور عن ذلك ونوقش قضيته فاخبر انه من الحاكم بالقرم من اتباع توقتاميش خان فانكر عليه ذلك وحطت رتبته عند السلطان واهل دولته عما كان عليه وعلا بذلك مقدار المقر البدرى ابن فضل الله المشار اليه عند السلطان وشكر له من ذلك ما كان اه وقال الحافظ ابن حجر وفى صفر من سنة ٧٨٧ قدمت رسل توقتاميش خان ومعهم هدية جهزهم تيمرلنك مدبر المملكة اه هكذا وجد فى بعض نسخ تاريخه ولم نعرف مآله ومعناه وقال المقريزى وفى المحرم سنة ٧٨٧ قدمت رسل الخان توقتاميش خان ابن اوزبك فخرج الامراء واجناد الحلقة الى لقائهم ومثلوا بين يدى السلطان وقدموا هديتهم اه وقال العينى وفى سنة ٧٨٧ قدم رسل توقتاميش خان ومعهم هدايا جليلة وقوبلوا بالاحترام اه وقال الحافظ العسقلانى وفى سنة ٧٨٨ تجهز قديد الحاجب و بيكتيمر العلائى الى توقتاميش خان فى الرسلية من صاحب مصر اه ذكر وقوع المناوشة اليسيرة بين عسكر تيمرلنك وعسكر توقتاميش خان قد ذكرنا فيما مر احوال تيمرلنك ونبذه بالنسبه الى ممالك بنى هلاكو بل بالنسبة الى جميع العالم وخروجه بقصد الاستيلاء عليها وعوده من سلطانية ولما وقع من توقتاميش خان ما وقع من ارسال العسكر الى تبريز وفرغ ذلك سمع تيمرلنك اغتنم ذلك و اراده يتخذه وصلة وذريعة لمحاربته فجمع عساكر لا تحصى ونهض من سمرقند فى سنة ٧٨٨ قاصدا بلاد ايران ومحاربة توقتاميش خان ان ظهرت منه ما يوجب ذلك وبقى فى سفره هذا ثلاث سنين ولهذا يقال له عند مورخى تيمرلنك يورس سه ساله فان معناه سفر ثلاث سنين واباد فى هذا السفر كثيرا من الملوك وهزم السلطان احمد واستولى على ممالكه ببلاد اذربيجان وشرده الى بغداد واستولى على كرجستان حتى وصل الى تفليس وبلاد

الداغستان وفعل من الشنائع مالا يوصف كل ذلك لتحريك غيظ توقتاميش خان وعرق غضبه ولعله يقوم مقام المدافعة حيث وصل الى حدود بلاده ولكن لم يظهر من توقتاميش خان ادنى حركة وجاءه فى ذلك الوقت الشيخ ابراهيم الشروانى ملك بلاد الداغستان واظهر له الانقياد ضرورة استخلاص مملكته من شره وقد ذكرت قصته فى عجايب المقدور مستوفاة لكن فى غير محلها ومحلها انما هو هذا ولما جاء اوان الشتاء شتا بقرا باغ ولما انقضت اوان الشتاء توجه فى اول الربيع من سنة ٧٨٩ الى طرف بردع فسمع فى اثناء سيره ان طائفة من عسكر توقتاميش خان يعنى قراغوله مترددون فى سواحل نهر الكر ومرادهم العبور الى طرف آخر منه وانهم قد اغاروا على مملكة شابران التى كان تيمرلنك قد استولى عليها فلما سمع ذلك اغتنم الفرصة وارسل طائفة من عسكره الذين حلقوا التعذيب العباد وتخريب البلاد وسفك الدماء وانواع الفساد والافساد تحت رياسة بعض امرائه الى تلك الجهة وامرهم بالعبور من نهر الكر وتفحص الاحوال وتجسس الاخبار فجاسوا خلال الديار وعبروا النهر المذكور والتقوا طائفة من عساكر توقتاميش خان فسئلوهم عن اصلهم وفصلهم وعن مرامهم وقصدهم فاجابوهم بانا من عساكر توقتاميش خان نحفظ الثغور من عساكر تيمرلنك والظاهر انهم لم يعرفوهم فمجرد سماع ذلك هجموا عليهم هجوم الكلاب فاشتعل نيران الحرب بين الفريقين ولم يمض الاقليل حتى وقع الانكسار والانهزام على عسكر تيمرلنك ولكن تيمر كان قد ارسل من ورائهم طائفة اخرى من العسكر تحت رياسة ابنه وخلفه الصدق ميران شاه فلحق بهم فى تلك الحالة وشرع فى القتال فتأخر عسكر توقتاميش خان واسر ميرانشاه بعض الضعفاء منهم وعاد بهم الى حضور تيمر فقال تيمر لهؤلاء الاسرى ان بينى وبين توقتاميش خان حقوق الابوة والبنوة فما السبب للاقدام على امثال هذه الحركات الغير اللائقة به حتى افضت الى سفك

دماء كثيرة بغير حق بل اللايق به ان يحفظ نفسه من الاقدام على امثال هذه الافعال القبيحة بعد ذلك وان لا يوقظ الفتنة النائمة ثم اطلقهم واوصلهم الى ما منهم اه منتخبا من روضة الصفا وهذا هو قول اسراء انعامه وانعام اولاده وامفاده والافاين التجاوز والتعدى هنا من طرف توقتاميش خان بل كون الامر بالعكس اظهر من الشمس فان سلطان مملكة واحدة هل يستقبح منه حفظ ثغوره خصوصا حين تحرك طوفان البلاء الذى اغرق القسم الاعظم بسيل شروره وتوقتاميش خان اعلم بنيانه واموره حيث كان عنده مدة من ايام عمره وشهوره وهذه هى المناوشة الاولى بين تيمرلنك وتوقتاميش خان واول فتح باب الشرور فى الحقيقة

ذكر المحاربة الثانية بين تيمرلنك وتوقتاميش خان بماوراء النهر اعلم ان تيمرلنك توجه بعد تلك الوقعة الى طرف ارضروم وعدل عن قصد بلاد توقتاميش خان واخره الى وقت لمصلحة فيه بدت له واجرى فيها مراسم القتل والنهب والاسر على ما هو عادته ثم توجه منها الى طرف اصفهان وشرع فيها فى القتل والتخريب وقد كان اللازم لتوقتاميش خان نظرا الى احساناته السابقة ولو كان الاغراض، وانصرافه عن بلاده ولو كان لسبب موجب للاغراض* التغافل عن حركاته الشنيعة والاغماض* وعدم قصده بسوء ولكن اذا اراده الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال* واذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه خيرا كان اوشرا فيقع محتجبا بتلك الاسباب وفق ما اراد ومصداق ذلك ان تيمرلنك لان له خصم قوى يسمى بقمر الدين خان وكان متملكا لبلاد كاشغر وتوقمق واسى كول وجميع بلاد مغل وتلك النواحي وقد وقع بينه وبين تيمر لنك حروب كثيرة فى اوائل ظهور تيمر وقد حصل له من تيمر مضرة كثيرة وعجز عن مقاومته فارسل فى تلك الاثناء رسولا الى توقتاميش خان شاكيا اليه من تيمر لنك وفضائله وشغائله وعدد قبائحه من كونه غير مستحق للملك اولا لا شرعا ولا قانونا وابادته الملوك من اولاد چنگزخان وغيرهم وانتزاع ممالكهم الموروثة من ايديهم بغير حق .. غير ذلك وقال انه لا يبقى عليك ويعاملك

معاملته بغيرك وقد اتاك الله سبحانه قوة ومكنة تقدر بها رفعه من البين ودفع شره من العالم وازالة ظلمه من بنى آدم مع كونه الآن بعيدا عن مملكته ودعاه الى الاتفاق معه على محاربته وقيل انه جاءه بنفسه فلما سمع توقتاميش خان ذلك وقد كان معتنا ظالة فيما هنالك لافعاله الشنيعة عموما ولاستيلائه على خوارزم التى كانت جزأ من مملكة جوجى خان فى تقسيم چنكز خان وكانت بيد آبائه واجداده بموجب ذلك الى ظهور تيمر لنك وصدور الاهانة منه فى حقه فى الوقعة المذكورة خصوصا اجاب الى ملتمس قمر الدين خان وعقد معه الاتفاق على هذا الامر الخير لو تم ولكنه ما تم بل صار سببا لصدور الف ما تم وذلك فانه ارسل (١) جيشا كثيفا الى طرف تركستان وجيشا آخر الى طرف بخارى من طريق خوارزم وكذلك فعل قمر الدين خان فتحرك العسكران بعد الانضمام والاتحاد اعنى عسكر توقتاميش خان وعسكر قمر الدين خان وتوجهوا الى المقصد من دينك الجانبين فاما الفرقة التى توجهت نحو تركستان فانهم تعدوا سغناق وهجموا على سيرام (٢) وحاصروها وكان الحاكم بها من قبل تيمر لنك تيمر خواجه ابن آقبوغا فاستعد للمدافعة وبذل فيها جهده ولما لم يتيسر فتحها بعد محاصرة ايام تركوها وتفرقوا فى الاطراف والجوانب للضبط فلما سمع ميرزا عمر شيخ بن تيمر لنك بهذه الحادثة وكان حاكما باندجان من بلاد فرغانة جمع عساكره وتوجه نحوهم للمدافعة ولحق به الامير سليمان شاه والامير لعل والامير عباس وشيخ تيمر بن آقتيمر بهادر الذين كانوا مستخلفين بسمرقند للضبط والحفظ والحراسة وعبروا سيحون بعد الاتحاد

---

(١) وهذا الجيش يقوده الامير محمود بن الامير كيخسرو الختلانى فان تيمر لنك كان قتل اباه الامير كيخسرو بعد وقعة خوارزم لانه كان يبغضه ويبغض شقاقه من اول ظهوره وهذه القصة ما اخذتها روضة الصفا وهذه الكيفية وان لم تكن مصرحا بها بيانا لا انها تفهم منها فى اثنائها فلا تغفل . منه عفى عنه .

(٢) وهى بليدة صغيرة على جهة الشرق الشمالى من قصبة چمكند مائلة عن الجادة وكانت لها اهمية كثيرة فى قديم الايام لكونها اخذ ثغور الاتراك وانتسب اليها جمع من العلماء ودخلتها فى بعض سياحتى وقيل صبران وهو الاقرب الى الصواب .منه عفى عنه .

و الانفاق والتقى الجمعان بموضع چوكاك او شيلك على خمسة فراسخ من انزار واشتعل بينهما نيران الحرب واشتد القتال من اول النهار الى الغروب ثم وقع الانهزام الى عسكر تيمر فولوا الادبار واستبدلوا القرار بالفرار وتفرقوا شذر مذر ورجع ميرزا عمر شيخ هاربا الى اند جان واشتغل هناك بمحاربة فرقة اخرى من عساكر خضر خواجه خان الذين كانوا تحت رياسة اخيه آنكانوا وهرب الامير سليمان شاه والامير عباس الى سمرقند وتحصنوا هناك واما الفرقة التى كانوا متوجهين الى بخارا من عساكر توقتاميش خان وقمر الدين خان فانهم دخلوا خوارزم وانتزعوها من ايدى نواب تيمر لنك وضبطوا امورها ونصبوا بها اميرا من قبل توقتاميش خان يسمى بالامير ايلتمش ثم توجهوا منها الى بخارا وضبطوا اطرافها كلها بالتمام ولم يبق غير بلدة بخارى فحاصروها اشد الحصار وكان الامير بها والقائم بضبط امورها الامير طغاى بوغا اخو الامير لعل الذى مر ذكره آنفا والامير ملتمس او ايلتمس قوجين فحصنا القلعة تحصينا تاما ووقعت بين الطائفتين محاربة مديدة شديدة وطالت ايام المحاصرة ولم يتيسر الفتح بوجه ما وكان تيمر لنك فى تلك الاثناء باصفهان مشغولا بالتخريب والفساد والافساد وكانت مملكة أصفهان فى الوقت المذكور بيد آل مظفر وكان قصد تيمر ان يستأصلهم بالكلية وكاد ان يفوز بما رام لولا ان يحول بينه وبين ما يشتهيه هذا الذى ظهر فى صفحة الايام فانه سمع فى اثناء كره وفره ما وقع من عسكر توقتاميش خان وقمر الدين خان فى مملكته ومقره فعقد الصلح فورا مع آل مظفر و فوض البلاد اليهم كانهم نواب من جهة وانثنى راجعا الى سمرقند بكمال العجلة وتمام السرعة وأخذ العلامة السيد الشريف الجرجانى قدس سره معه فى هذا السفر وكان مقيما بشيراز قاعدة مملكة اصفهان عند ملوك بنى المظفر وارسل تيمر بعض امرائه قدامه بمقدار من العسكر خفافا ليخبروا بقدومه فيتقوى من بما وراء النهر من عساكره بهم وبسماع مجيئه ولما

سمع عسكر توقتاميش خان بقدومه وانتعش بذلك قوى المحصورين وطالت المدة وفنيت الاقوات وبلادهم بعيدة ولم يستولوا بعد على المعاقل الحصينة مثل بخارى وسمرقند حتى تثبت اقدامهم فى مقام المدافعة بل المعاقل المتينة والحصون الحصينة والاماكن المنيعة كلها بيد امراء تيمر لنك وعساكره وهو بنفسه فى صدد الوصول بجنود غير محصورة ولا يؤتمن من قيام الاهالى التى استولوا عليها جديدا بل هو محقق رأوا ان المصلحة فى الرجوع والانسحاب فاحرقوا سراى تيمر بسمرقند المسمى بزنجير سراى واغتنموا بعض الغنائم ورجعوا الى بلادهم وكانت هذه الحادثة فى آواخر سنة ٧٨٩ او فى اوائل ما بعدها اوفيما بينهما وهذه هى التى وقعت الاشارة اليها فى الرشحات فى ترجمة سيف الدين المقهور بعنوان مجيء عسكر توقمق وهم عسكر قمر الدين خان وفى مقامات الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره المسمى بانيس الطالبين عند تعداد كراماته بعنوان مجيء عسكر قبجق المهيبة فاعرف ذلك وكانت وفاة الخواجه النقشبند قدس سره فى السنة التى بعدها اوفيها ولم يحصل من هذه الوقعة شيء من الفائدة سوى استراحة بنى المظفر واهل اصفهان عموما بانقلاع طوفان البلاء عنهم بسببهم وبقائهم مدة الى مجيء اجلهم الموعود وسوى استرجاع خوارزم من يد تيمر لنك ولكنها لم تلبث فى ايديهم الا قليلا حتى استردها تيمر منهم ثالثا فانتج ذلك محاربة ثالثة بينهما **ذكر توجه توقتاميش خان بنفسه الى ما وراء النهر لحرب تيمرلنك ووقوع المحاربة بينهما مرة ثالثة** قد تقدم ان توقتاميش خان لما ارسل جيشا الى ما وراء النهر من طريق خوارزم استولوا عليها اعنى خوارزم وانتزعوها من ايدى عمال تيمر لنك ونصب توقتاميش خان واليا عليها من طرفه يسمى ايلتميش خان فلما عاد تيمر لنك من اصفهان قبل نيل مرامه بسبب تلك الحادثة ووجد عسكر توقتاميش خان قد رحلوا من ما وراء النهر ورجعوا الى بلادهم سالمين غانمين بعد ان احرقوا قصره المسمى بزنجير سراى

لم يجد شيئا مما يحصل له به التشفي ويسكن به غيظه سوى انتزاع خوارزم من نواب توقتاميش خان لكونها متصلة بماوراء النهر ولكونه مستوليا عليها قبل ولكثرة محصولها ولكونها في طريق الجهات التي كان مطمح نظره فيها فسار اليها بجميع عساكره وانتزعها من يد ايلتمش خان فهرب ايلتمش خان الى سراي وحكى لتوقتاميش خان ما فعل تيمر لنك وشكا اليه من شنائعه فغضب توقتاميش خان عليه لذلك غضبا شديدا وجمع عساكره وتوجه بجيش كثيف الى ما وراء النهر في اول موسم الشتاء من سنة ٧٩٠ لحرب تيمر فلما بلغ ذلك تيمر امر باحضار جميع عساكره الموجودة وتوجه لملاقاة توقتاميش خان وعسكر بموضع يقال له ساغرچي وارسل الى اطراف ممالكه لاحضار بقية عساكره كلها وقد بلغ البرد غايته واجرى حكمه على الكل فقرع سمعه في تلك الاثناء ان طلائع توقتاميش خان قد عبروا سيحون وخيموا بموضع يقال له زرارق فبمجرد سماع ذلك تهيأ للمسير اليهم فاراد بعض امرائه منعه من المسير حتى يستكمل عساكره كلها فلم يصغ اليهم لما انه كان ممتلئا غيظا وخبيرا باحوال الحرب بردا كان الوقت او قيظا وقال في التاخير آفات والغلبة لمن بادر قبل ان مضى وقت الفرصة وفات وتوجه حالا نحوهم مع شجعان عساكره ولحق في تلك الاثناء ابنه المرزا عمر شيخ بعساكر كثيرة من طرف اندجان وهو لاخذ ثار العام الماضي عطشان وكان كونجه اوغلان بن قطاع بوغا وتيمر قتلق بن تيمر ملك خان ابني اروس خان قد هربا من توقتاميش خان الى تيمر لنك لان توقتاميش خان كان قد قتل ابويهما كما مر وكانا في هذا السفر مع تيمر لنك فارسلهما في مقدمته وضم اليهما شيخ على بهادر مع ابطال من رجاله وامرهم ان يأخذوا وراء عسكر توقتاميش خان اعني طلائعه هؤلاء الذين تصدهم وذلك لقطع خط رجعتهم ووصل بنفسه مع سائر العساكر في اليوم الثاني مع طلوع الشمس الى عسكر توقتاميش خان المذكورين على الغفلة وهم آمنون مطمئنون غافلون عما دهمهم فهجم عليهم فجاءة بجميع عساكره هجوم رجل واحد ولم يمهلهم حتى

يسووا الصفوف فاندهشوا ولم يلبثوا الا قليلا حتى انهزموا وولوا الادبار وسلكوا طريق النجاة والفرار ورجعوا الى توقتاميش خان فى معسكره باسواء حال وقد اسر امير من امرائه يسمى ايدكو بخشى فحملوه الى تيمر فلاطف به وصار يستفسره عن احوال توقتاميش خان وكيفيته وكمية عساكره وحصل له كمال الاطلاع باحواله فعاد الى سمرقند ولما مضى ايام الشتاء نهض من سمرقند وعسكر بموضع يقال له آقيار فقدم الامير ميرانشاه فى تلك الاثناء بعساكر خراسان والتحق بابيه تيمر لنك واجتمع عنده عساكر سائر البلاد والامصار ايضا وعمل المرزا عمر شيخ والامير الحاج سيف الدين والامير انكو تيمر جسرا فى مواضع من نهر خجند اعنى سيحون ثم نهض تيمر لنك من آقيار فى ربيع الاول من سنة ٧٩١ ونزل بساحل نهر خجند وعبر جميع العساكر والامراء النهر المذكور الى طرف آخر منه وسار تيمر قتاع وسونجك بهادر فى مقدمة العسكر وارسلوا امامهم عيونا وجواسيس للاستخبار فلما رأى الجواسيس قراغول توقتاميش خان من بعد رجعوا من فورهم واخبروا الامراء بذلك فكمن الامراء المذكورون فى المكامين ولما جا الليل نام قراغول توقتاميش خان بفراغ البال لكونهم لم يروا احدا فى النهار فلما مضى مقدار من الليل خرج الكماة من مكامنهم وهجموا على قراغول توقتاميش خان وهزموهم فعبر القراغول المذكورون نهر ارص ولحقوا بتوقتاميش خان وكان وقتئذ محاصر الصبران (١) فلما اعلموه بتوجه تيمرلنك الى تلك الجهة بعساكر كثيرة راى ان المصلحة فى الرجوع لافى التوقف والرجف وتيقن انه ضيع اللبن فى الشتاء لافى الصيف لان الظفر بتيمرلنك والغلبة عليه انما يتصور فى الشتاء لان تحملهم للشتاء ضعيف ولهذا السر كان توجه توقتاميش خان فى موسم الشتاء ولما فاتت الفرصة فى الشتاء ولم يتيسر المقصود علم ان الحزم فى الرجوع والسلامة فى الساحل فانثنى راجعا الى بلاده فلما اطلع

---

(١) علم من هذا ومما تقدم من محاصرة عسكر توقتاميش خان وقمر الدين خان اياها فى الوقعة السابقة ان تيمرلنك كان قد استولى عليها ولقد كان تلك البلاد لاولاد جوجى خان من عصره وهذا اعنى استيلاؤه عليها وعلى خوارزم من جملة اسباب حركة توقتامش للانتقام من تيمرلنك ايضا . منه عفى عنه .

تيمرلنك على عود عدوه ارسل الامير سيف الدين بالاثقال الى سمرقند وتوجه بنفسه مع العساكر خفافا من وراء توقتاميش خان وارسل اباالشاه الخزانچى ودولتشاه الجيباچى مع طائفة من العساكر طليعة فادركوا ساقة عساكر توقتاميش خان بموضع صارى قاميش فوقع بين الفريقين حرب عظيم ولم يظفر احدهما بالاخر فتوجه كل منهما نحو مقره ونزل تيمرلنك بمنزل يقال له آل قوشون هكذا ذكر هذه الوقعة الثالثة بينهما فى روضة الصفا وكان كل من توقتاميش خان وتيمرلنك حاضرا فيها بانفسهما بخلاف ما تقدم كما عرفت قلت قد ذكر ابن عربشاه فى عجايب المقدور ان توقتاميش خان قد حارب تيمرلنك حين كونه حاكما وملكا بسغناق وتركستان وكسره وهزمه فلقبه السيد بركة فقال له تيمر ياسيدى ان عسكرى قد انكسر فقال له السيد لاتخف * ثم نزل السيد عن فرسه ووقف * واخذ كفا من الحصباء * وركب فرسه الشهباء * ونفخها فى وجه عدوهم المردى * وصاح بقول ياغ (١) قاچدى * وصرخ بها تيمر تابعا ذلك الشيخ النجدى * فرجع عساكره صائحين بقول ياغ قاچدى * وشرعوا ثانيا فى المضاربة والمجالدة وكروا كرة واحدة بهمة متعاقدة * ونهمة متعاضدة * فرجع جيش توقتاميش منهزمين * وولوا على ادبارهم مدبرين * فوضع عسكر تيمر فيهم السيوف * وسقوهم بوفا الفتوح كاسات الحتوف * وغنموا الاموال والمواشى * واسروا الاطراف والحواشى * ثم رجع تيمر الى سمرقنده * وقد ضبط امور تركستان وبلاد نهر خجند * اه وكذلك ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال فى بيان حوادث سنة ٧٧٣ وكانت السلطنة يومئذ انتهت الى توقتاميش خان بالدشت وتركستان فبلغه ما اتفق (٢) السلطان هراه فجمع

(١) ياغى بالترك العدو ويقابله ايل وقاچدى بمعنى هرب يعنى هرب العدو منه عفى عنه .

(٢) قلت هو الامير حسين بن بسلاى بن الامير قزغن سلطان الهرات وهو الذى اباد الملوك ووطد الملك وكان تيمرلنك بمنزلة الوزير وقائد الجيش له فلما لم يبق منازع فى الملك غدر به وقتله واستقل بالملك وكان ذلك سنة ٧٧١ ومثل ما ذكر ابن حجر ان سبب الوقعة المذكوره ذكره ابن عربشاه ايضا ونحن تركناه روما للاختصار . منه عفى عنه .

العساكر وقصد اللنك بسمرقند فالتقوا بين سمرقند وخجند فكانت الكسرة اولا على اللنك ثم عادت على توقتاميش خان فانتصر اللنك ويقال انه كان فى عسكره عابد يعنى نجدى يقال له بركة فلما رأى اللنك الهزيمة تمسك به فصاح العابد على عسكر توقتاميش خان فانهزموا اه وعندى ان هذه الوقعة التى ذكرها ابن عربشاه وابن حجر هى عين تلك المحاربة التى ذكرنا ما آنفا وان لم يذكر فيها هزيمة تيمرلنك فانا نقلناها عن روضة الصفا كمامر وعادة صاحبها وكذلك عادة جميع مورخى تيمر واولاده تنويه شان تيمر واولاده وحط خصمائهم لايخفى ذلك على مطالعى تواريخهم والدليل على ذلك اما اولا فلان توقتاميش خان لم يقع له قبل ذلك مصاف ومحاربة مع تيمر اصلا اعنى بحضور انفسهما كمامر ومن شاء ابا هل فى ذلك بل لم يصر توقتاميش خان خانا وسلطانا فى السنة التى ذكر ابن حجر هذه الوقعة فيها بل حضر بسمرقند فى سنة ٧٨٥ كمامر وتسلطن بمعونته فى السنة المذكورة اوفيما بعدها كمامر وقد ذكر ابن حجران تملكه فى سنة ٧٨٢ كما تقدم ولم يذكر احد ممن اعتنى بضبط وقايع تيمرلنك حربه فى السنة المذكورة سوى محاربته بحسين صوفى والى خوارزم واما ثانيا فان الاميرحاجى بيك بن عم على بيك بن ارغون شاه الجونى قربانى الذى كان حاكما بطوس من طرف تيمرلنك ضرورة بلغه فى اثناء المحاربة المذكورة الآن ان تيمرلنك قد انهزم امام توقتاميش خان ورجع الى ماوراء النهر وان توقتاميش خان حاصره هناك وشاع ذلك شيوعا تاما فخلع اطاعة تيمر املك حيث كانت جبرية وصار يضرب السكة باسم توقتاميش خان ويذكر اسمه فى الخطبة واخذ يضبط البلاد باسمه وتبعه فى ذلك ملوك سربداران كما هو مذكور فى روضة الصفا بعد بيان الوقعة المذكورة ومن المحال ان يشيع هذا الخبر بهذه المثابة وان يقدم احد من آحاد الناس فضلا عن الخواص العقلاء من الولاة والحكام على خلع طاعته لولم يقع هزيمة ما على تيمرلنك ولم

يتحقق ذلك بعده تحقق النهار كما لايخفى على من له ادنى فهم ودراية فتعين ان يكون ما ذكره اعنى ابن عربشاه وابن حجر عين هذه الوقعة بلا امتراء فيحمل ذكرهما اياها فى اوائل احوال تيمر لنك على سبق قلم على انه لولم يحمل على ذلك يلزم التناقض بين كلامى ابن حجر كما عرفت وعدم مطابقة كلام ابن عربشاه للواقع لكن بقى هاهنا شئ وهو انه قد ذكرت قصة السيد بركة فى روضة الصفا فى الوقعة الآتية كما ستقف عليه الا ان تحمل على التعدد فان بين ماذكره ابن عربشاه وابن حجر مغايرة كما ستطلع عليها ان شاء الله تعالى والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل ذكر توجه تيمر لنك الى دشت القفجق وسراى لحرب توقتاميش خان وتخريبه تلك البلدان وهذه هى الوقعة الرابعة بينهما قد ذكرنا فيماسبق ان توقتاميش خان ترك المحاربة وتوجه الى بلاده وان تيمر لنك قد نزل منزلا يقال له آل قوشون من منازل بلاد تركستان وبينما هو مقيم هناك اذ قرع سمعه خبر عصيان الامير حاجى بك بخراسان على ماسبقت الاشارة اليه فارسل لدفع شوكته وكسر صولته ابنه المرزا ميرانشاه بعسكر كاف ثم استشار بقية امرائه فى الحركة الى دشت القفجق وبلاد بركة لمحاربة توقتاميش خان هناك فقالوا له جميعا ان الصواب هو التوجه الى طرف مغولستان لمحاربة خضر خواجه خان واخيه انكاتو فتوجهوا هناك وقتلوا واسروا وغنموا فلماقضوا وطرهم من الفساد والافساد وتخريب البلاد وقتل العباد التى هى اقصى مرامهم ولذلك كانوا خلقوا رجعوا الى سمرقند ووصلوا اليها فى السابع والعشرين من رمضان سنة ٧٩١ وشتوا بها ولما انقضت ايام الشتاء امر تيمرلنك باحضار جميع عساكره امرا مبرما شديدا وارسل القصاد الى اقصى ممالكه لهذا المهم واكد عليهم بان لايراعوا خاطر احد فى جمع العسكر وتهيئة اسباب السفر وامر باخذ فرس زائد بين كل شخصين وان يأخذوا لكل عشرة اشخاص خيمة وان يأخذ كل احد قوت سنة كاملة وبالجملة انه قد اكد فى تكميل اسباب هذا السفر تأكيدا بليغا حتى كان بعدما واحدا

واحدا حتى القدوم والابرة والخيط وامر بفتح ابواب الخزائن واستمالة قلوب العساكر بمغناطيس الذهب والفضة والحاصل انه لم يهمل دقيقة من دقائق الحزم والاحتياط وخرج في شهور سنة ٧٩٢ من سمرقند وتوجه نحو الدشت وبني جسرا على نهر الخجند اعني سيحون وشتا بتاشكند وعرض له المرض هناك وامتد الى اربعين يوما واشتد حتى كاد يهلك ويسلم روحه الخبيثة الى الزبانية ياليتها كانت القاضية ولكن لما كان سفك دماء كثير من المظلومين وخراب كثيرة من البلاد وابتلاء جم غفير من العباد مربوطة بحياته المشؤمة المنحوسة قام من مرضه كانه نشط من عقال ولحق به في تلك الاثناء ابنه المرزا ميرانشاه مع عساكر خراسان وكان تيمرقتلغ وكونجه اوغلان حفيدا ارص خان المار ذكرهما معه في ذلك السفر ايضا وكذلك الامير ايدكو المنغتي خال تيمرقتلغ المذكور ايضا كان معه وهو الذي حرك حمية تيمرلنك وسهل له الامر في هذا السفر كما ذكره في عجائب (١) المقدور بما لا مزيد عليه وكذلك تيمرقتلغ وكونجه اوغلان كانا لا يقصران في تحريضه وحثه على قصد بلاد الدشت لمحاربة توقتاميش خان لكونه قتل ابويهما وقصد

(١) يعني تحريكه وحثه لتيمرلنك ونصرته من توقتاميش خان لا كونه معه في هذا السفر فانه خلط بين تلك الوقايع كما مرت الاشارة وسيأتي ايضا فتنبه وقال فيه ان قبيلة الامير ايدكو تسمى قوبكومات هكذا رأيناها في النسخة القديمة المطبوعة منه بكالكوتا والنسختين المطبوعتين في مصر ولما لم يسمع في قبائل الترك والتتار قبيلة قوبكومات حرفه بعضهم بقبيلة قونكرات لكونها قبيلة كبيرة مشهورة الى الآن بصحراء قبچاق ولكن قال ابو الغازي انه من قبيلة منغت ولهذا قلنا الامير ايدكو المنغتي وهاك نصه معربا كان شخص من قبيلة آق منغت يسمى قتلغ قيا وكان له ولد وبنت فتزوج بنته تيمرملك خان فولد له منها تيمرقتلغ خان وكان اسم ولده ايدكو وكان من ملازمي توقتاميش خان وندمائه ولما هرب توقتاميش خان الى سمرقند جاء ايدكو المنغتي ايضا من ورائه وامر بقصد ارص خان ولما صار توقتاميش خان خانا بسراي كان ايدكو في ملازمته ولما بلغ تيمرقتلغ خان حد التمييز ترك ايدكو منغت ملازمة توقتاميش خان ولازم تيمرقتلغ وكان فيه دغدغة السلطنة فاراد توقتاميش خان قتله فهرب الى تيمرلنك وهرب ايدكو منغت ايضا بعد ستة اشهر الى تيمرلنك وانضم الى تيمرقتلغ اه ملخصا وسيقع له ذكر بعد ذلك ويحصل بعض الايضاحات هناك منه عفي عنه .

قتلهما ايضا والجاءهما والامير ايدكو ايضا الى الهرب وترك الوطن فامسكهم تيمر لنك عنده للدلالة على الطريق وقسم سائر الدلال على امرائه وقواد جيوشه واركان دولته وزعماء مملكته ليدلوهم على طريق الصواب وقت الحاجة والايجاب فلما تكاملت اسبابه بما لا مزيد عليها نهض فى الثانى عشر من صفر سنة ٧٩٣ والشمس فى الدرجة الثامنة من دلو وتوجه باوفى حركة لقصد بلاد الدشت وتخريب ممالك بركة ولما نزل بقرا اسمان وقع التوقف هناك اياما بسبب تعاقب الامطار وتواتر نزول الثلج بالليل والنهار وجاء هناك رسل توقتاميش خان ومعهم الهدايا والتقادم مثل الخيول الرهوان والسناقر وكان مضمون رسالتهم طلب ترك المحاربة والمخاصمة وتجديد عهود المصالحة والمسالمة فكان خلاصة جوابه ان عدد اولا ما فعله فى حق توقتاميش خان من الانعام والاحسان ثم ذكر ما فعله توقتاميش فى مقابلته مرارا من المخالفة والعدوان ثم قال فى نتيجة كلامه انه يعنى توقتاميش خان لما استشعر بتوجهنا نحوه بعساكر جرار واستيقن انه قد طلب لنفسه الهلاك واهل قومه دار البوار يطلب منى المصالحة وترك المحاربة والمقاتلة هيهات هيهات ان يستدرك ما فات ومع ذلك لو كان فى دعواه صادقا كان ينبغى له ان يرسل على بك حتى نتكلم معه فى الخصوص المذكور ثم استشار امراءه الاشرار فى قبول الصلح ورفض السفرا وفى رفض الصلح واختيار السفر فمنعه امراؤه من قبول الصلح قولا واحدا واشدهم فى ذلك الثلاثة المذكورون اعنى تيمر قتلغ وكونجه اوغلان والامير ايدكو فمال الى قولهم ودعا الرسل لديه بعد اربعة ايام وخلعهم الخلع الفاخرة وامسكهم عنده ولم يرسلهم الى مخدومهم كتما لحاله وماله ثم مضى لسبيله مدبرا على عناده ومستمرا فى فساده وافساده وتوقتاميش خان غافل عما توجه اليه من طوفان البلاء لتخريب بلاده فهرب فى تلك الاثناء نفران من ملازمى الامير ايدكو الى توقتاميش خان فارسل تيمر لنك طائفة من عسكره فى طلبهما وتعقيبهما ولكنهم لم يدركوا ورجعوا خائبين هكذا ذكروا وعندى ان هذا كان مصانعة من تيمر لنك والامير ايدكو رئيسى الدواهى لاخبار

قوم الامير ايدكو وتيمر قتلغ وكونجه اوغلان بتوجيهم نحو مهلياء خذوا حذرهم وليخف لوا من عذب توقتاميش خان يوم التقى الجمعان فصارما سبا" تي من اختلال عسكر توقتاميش خان وانخذال قسم اعظم منهم يوم التقى الجمعان وانهزام توقتاميش خان وغلبة تيمر كل ذلك من نتايج تلك المقدمة المصنوعة وهذا معنى قولهم الحرب خدعة وهي التي كانت اعظم سلاح تيمر لنك في حروبه وعلى كل حال قطع تيمر لنك الصحارى والقفاف وقاسي الشدايد في سفره هذا بحيث لم ير مثلها في عمره ولم يوافِ حتى صار رأس شاة لايوجد بمائة دينار ولا المن من الدقيق بمائة وعشرين دينارا وكان عسكره يسدون رمقهم با كل بيض الطيور الوحشية ولحوم الصيد وكان الامراء الكبراء يكتفون بلحسات من السويق ووقع عليهم لاجل ذلك التأخير والتعويق حتى وصلوا بعد اربعة اشهر في رابع عشرى جمادى الاخرى الى نهر يايق ودليلهم هو الامير ايدكو والظاهر انه سلك طريق القافلة المسلوكة الآن من تاشكند (١) الى طرويسكى حيث ذكروا مروره بيلان چق وغيره مايمر به القافلة في زماننا هذا ولما بلغ هناك استشار امراءه في كيفية العبور منه فقال له الدلال ان لهذا النهر ثلاثة معابر فليختر الامير اياشاء فقال تيمر لنك لامصلحة في العبور من تلك المعابر فانه لايؤتمن فيها من كون المخالفين في المكامين فسار الى اعلاه وعبره من غير معبر ثم وصل بعد ثلاثة ايام الى نهر سمور هكذا في نسخ روضة الصفا وليس هناك نهر يسمى سمور والظاهر انه صقمار او صمار والاول اظهر ونزل بساحل فجاءه في ذلك الموضع طلائعه وعيونه واخبروه بقربه المخالفين فاكد على عسكره بان لايفارق احد فرقته وان يلازم كل

(١) وقد ذكر كرامزين ان سلوكهم كان جهة الشمال يعني من سمت پطرپاول وآقمولا بل من ملتقى نهرى اوميا وطوبل وهذا لامناسبة له قط ولعل اصل العبارة نهرى اوى وطوبل فيكون في حدود ازبيرني غالاوسكي المشهور بين قزاق بياغلان . منه عفي عنه .

منهم مكانه الخاص به و ان لا يوقد احد نارا وامرهم بلبس السلاح ثم سار بعد ترتيب الصفوف ورعاية مراسم الحزم والاحتياط حتى نزلوا بموضع يقال له اينك ثم ركب منه صباح يوم السبت غرة رجب من السنة المذكورة وسار بغاية الاحتياط ونهاية التيقظ فجاء جواسيسه فى تلك الاثناء بثلاثة انفار من رعايا توقتاميش خان فاستنطقهم فقالوا ان توقتاميش خان ما كان له خبر عن توجهكم حتى قدم النفران اللذان هربا من ملازمى الامير ايدكو ولما تحقق مجيئكم باخبارهما شرع فى جمع الجموع واعداد اسباب المحاربة والمقاتلة بترك الهجوع وهو الآن قاعد مع عسكره فى قرق كول منتظرا لقدومكم فلما سمع تيمرلنك ذلك الخبر توقف فى محله ذلك ليلحق به بقية عساكره وامر العسكر بحفر الخندق حواليهم واكد عليهم تأكيدا بليغا بان لا يتغافلوا عن دقائق الحزم والاحتياط فباتوا ليلتهم تلك هناك فلما اصبحوا رحلوا ثم لما نزلوا حفروا الخندق حواليهم وهكذا كانوا يفعلون فى كل منزل للاحتياط وفى تلك الاثناء قسم الدنانير والدراهم والخلع للامراء والعساكر واستمال قلوبهم بانواع الاحسان والانعام وصنوف الجواهر وبيناهم قاعدون فى خيامهم مستريحين اذ اخبر عيونهم بانه قد ظهر ثلاث فرق من المخالفين ثم اخبروهم ثانيا بظهور جمع كثير من المخالفين مركب تيمرلنك وتقدم مع ابطال عساكره وامر البقية بالاسراع والاستعجال فجاء طلائعه مقارنا لهذا الحال وقد قبضوا على رجل من اهالى تلك الديار فلما سأله عن الاخبار قال ان قصد توقتاميش خان ان يجركم الى داخل بلاده فامر بقتله لصدقه فقتل ثم امر سونجك بهادر وارغون شاه بالتقدم للاستخبار مع جمع من الاشرار فتقدموا ولما لم يروا احدا رجعوا خائبين فظهر صدق هذا المقتول المظلوم ثم ارسل مبشر بهادر مع جمع من الابطال للاستخبار فالتقوا جمعا من اقوام تلك الديار ونشب بينهم نيران القتال بالطعن بالرماح وبالضرب

بالبنار وبعد اللتيا والتى قضوا منهم على انفار ورجعوا الى تيمر رئيس الاشرار فقالوا له بعد الاستفسار ان خاننا امرنا بالمجيئ الى قرق كول فلما جئناه حسب الامر ما وجدناه هناك وما ندرى لاى سبب تخلف واين ذهب فامر بقتلهم ايضا فقتلوا عن آخرهم وكانوا اربعين فتقرب بدماء هؤلاء المظلومين الى رب العالمين ثم ارسل جمعا من امرائه وعساكره طليعة واكد عليهم فى اعمال الخديعة وقال متى رأيتم فى طرف العدو كثرة فاظهروا انفسكم على سبيل الخديعة والمكيدة ثم اهربوا منهم لينخدعوا بتعقيبكم وكلما يظهر من الكبير والصغير والحقير والخطير فاخبرونى به سريعا فتوجه المأمورون المذكورون فرأوا قراغول توقتاميش خان فسار سابن تيمر نحوهم وكلمهم ثم عاد الى رفقته وارسل واحدا منهم الى تيمرلنك فلما اطلع تيمر على هذا الشان وتيقن انه قد قرب من عدوه وان الموعد قد حان ارسل الامير ايدكو تيمر مع آلاف من الفرسان ليتحققوا كيفية عساكر توقتاميش خان الموجودين هناك وكيفية منازلهم ومواقعهم فتوجه المذكورون ومروا فى مسيرهم بوحل ووصلوا الى قراغولهم ولما تقدموا قليلا بهيئتهم الاجتماعية الاتحادية رأوا جمعا من عساكر توقتاميش خان واقفين على تل هناك منتظرين فارسل الامير ايدكو طائفة من ابطال عسكرهم نحوهم فلما اطلع هؤلاء على انهم توجهوا نحوهم نزلوا من التل المذكور وطلع هؤلاء محلهم فرأوا وراء التل المذكور ثلاث فرق من العسكر واقفين فى الكمين مستعدين للقتال فلما رأوا ذلك ارسلوا الى الامير ايدكو يخبرونه بصورة الحال فساق فرسه نحوهم مع من كان عنده بلا تأمل ولا امهال فلما وقف على كثرة عدوهم رأى ان المصلحة فى الرجوع فامر الذين معه بالرجوع اولا لينجوا من الوحل سالمين ووقف بنفسه فوق التل مع بعض من معه فهجم عسكر توقتاميش خان نحوهم فهرب ايدكو تيمر وولى مدبرا فاصابه قفاه سهم واصاب فرسه سهم آخر وقتل معه كثير ممن كانوا معه من الامراء والعساكر ونجا من لم يدركه

اجله فلما اخبر تيمرلنك بذلك ركب مع ابطال عساكره فورا ولحق بالقوم فاشتد القتال بين الفريقين ثم انفصلوا وعاد كل منهما الى معسكره فاحسن تيمرلنك الى من صدر عنهم فى تلك المعركة الشجاعة والمدافعة حتى امر حجابه ان لا يمنعوهم عن الدخول عليه متى شاؤا وعفى عنهم الجرائم ورفع منهم وعن اولادهم الغرائم ولما قتل الامير ايدكو استولى الخوف والرعب على عسكر تيمرلنك وصاروا بحيث لا يقدرون على غمض العيون وطعم السكرى فى الليالى ثم ارسل تيمرلنك عشرين الفا من عساكره الجرار تحت رياسة ابنه مرزا عمر شيخ وضم اليه جمعا من مشاهير امرائه فما ساروا الا مسافة يسيرة حتى التقوا طلائع توقتاميش خان فارسل الى ابيه تيمرلنك يعلم بصورة الحال فشرع فى تعبية عساكره وترتيب الصفوف وتسويتها ثم ساروا نحوهم ولما تقارب الفئتان تغير الهوا تغيرا كليا وتراكمت الغيوم ونزلت الامطار الكثيرة وامتد ذلك الحال الى ستة ايام ثم انقشعت الغيوم وصحى السماء فشرع تيمرلنك فى تعبية عساكره يوم الاثنين الخامس عشر من رجب الذى قيل فيه وفى رجب ترى العجب من السنة المذكورة اعنى سنة ٧٩٣ بموضع يقال له قندزجه مما لا يغيب فيه الشفق فى اقاصر ليالى السنة ورتب عساكره وفرقهم الى سبعة فرق وقيل ثمانية واستقر جميع عساكره وامرائه وابطاله فى مقرهم المختص بهم ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلبا مستعدين للقتال والحرب ومنتظرين للطعان والضرب فظهر توقتاميش خان فى تلك الاثناء بكمال العظمة والهيبة وتمام الشوكة والابهة وقد عبى عساكره ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلبا وعين لكل موضع منها امراء المشهورين من اولاد جوجى خان مثل ماشوراوغلان وايلمش خان والامير بيك بولاد والامير على اوغلان وسليمان صوفى والامير نوروز وعيسى بيك اخى الامير ايدكو مخت الذى مع تيمرلنك فى السفر المذكور وحسن بك وغيرهم فوقف مقابل عسكر تيمرلنك فلما عاين تيمرلنك كثرتهم وابهتهم نزل من فرسه وصار يتمرغ فى التراب ويتضرع

ويسائل النصر والظفر فقام فى تلك الاثناء الشيخ النجدى السيد بركة والخواجه نظام الدين يوسف والشيخ اسمعيل الذى ينتهى نسبهما الى شيخ الاسلام احمد الجامى قدس سره ورفعوا ايديهم الى السماء بالدعاء حاسرين رؤسهم يسألون نصرة تيمرلنك وانهزام توقتاميش خان وجرى فى تلك الاثناء على لسان الشيخ النجدى السيد بركة تحريضا لتيمر على الحركة توجه حيث شئت فانك منصور فتوجه كل من الفريقين نحو الآخر فنشب بينهما القتال ووقع بينهما حرب صعب وهجم توقتاميش خان بمن معه من الابطال على الفرقة التى فيها تيمرلنك ثم عطف عنانه نحو فرقة المرزا عمر شيخ ثم منها الى فرقة سلدوز وبها الامير شيخ تيمر وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى كاد يفنيهم ويستاء صليم مرة واحدة واخترق صفوفهم وتعداهم الى ورائهم ووقف وراء فرقة تيمرلنك بتعبيته وتهيأ للهجوم عن وراهم ولكن كانت ميسرة توقتاميش خان قد انكسرت امام الامير سيف الدين وكان تيمرلنك قد سار لتعقيبهم فادركه احد من امرائه واخبره بصورة الحال وجاءه ايضا واحد من فرقة المرزا عمر شيخ وقال له مثل ما قال فلما سمع تيمرلنك هذا الخبر عطف عنانه نحو توقتاميش خان فرأى ان رحا الحرب دائرة بينه وبين ولده المرزا عمر فان المرزا لما رأى اصطفاف توقتاميش خان وراء فرقة تيمرلنك واستعداده للهجوم عليها من ورائها كان توجه نحوه وشرعا فى القتال ولما عاين تيمرلنك هذا الحال هاجم عليه بلا امهال وحيث ان ميسرة توقتاميش خان قد انكسرت وعقود نظام عسكره قد انحلت واحوال مرائه ووكلائه قد اختلت وان تيمرلنك قد توجه اليه بجميع قواه بعد ان اجتمعت عنده سائر فرق عساكره وانضمت وانه قد بقى وسط عساكر العدو مثل المركز رأى انه لا مصلحة فى التوقف بعد بلوغ الامر هذا الحد وانه القاء نفسه بيده الى التهلكة بل اللازم تخليص نفسه ومن معه من تلك الورطة فانسل من المعركة فى الحال وتوجه

بمن معه الى بعض الناحية من غير امهال وعدى نهر الاتل الى طرف آخر منه ليتخلص من تلك الاهوال فلما بدا من وراء سحاب الغيب مالم يخطر فى البال وعدا توقتاميش خان نهر الاتل وعبر وتفرق عسا كره شذر مذر استولى تيمرلنك على بلاد توقتاميش خان الكائنة على تلك الجهة اعنى الشرق من نهر الاتل فقتل ونهب واسر وسلب واهدم وخرب وبقى هناك ستة وعشرين يوما وجمع غنائم من اجناس شتى لاتعد ولا تحصى وانتخب اللنك نفسه من الاسارى خمسة آلاف من الولدان والبنات واستاذنه فى تلك الاثناء تيمر قتلق وكونجه اوغلان حميدا ارص خان والاميرا يدكو المنغتى فى الذهاب الى قبائلهم ليجيئوا بهم اليه فاذن لهم بذلك وكتب لكل منهم منشورا بعدم التعرض لهم فيما هنالك فلما ذهبوا ووصلوا الى قبائلهم توجه كل من تيمر قتلق والامير ايدكو بقبائلهما الى جهة من الجهات ذلك بخيال السلطنة وهذا بتمنى الامارة واما كونجه اوغلان فانه عاد الى تيمر مع بعض خواصه ثم توجه تيمر الى بلاده فلما وصل راجعا الى نهر جابق قرع هناك الى سمع كونجه اوغلان ان تيمر قتلق قد اجلسوه على سرير السلطنة فخرج من معسكر تيمرلنك بمن معه هاربا منه وقاصدا لبلاده ولما عبر تيمرلنك نهر جابق ترك الامير سيف الدين مع اثقاله وتوجه بنفسه نحو بلاده بتمام العجلة ووصل الى انزار فى ذى القعدة من السنة المذكورة وشتا هناك ووصل الامير سيف الدين فى محرم مفتتح سنة ٧٩٤ اه ملخصا من روضة الصفا وذكر فى تاريخ منجم باشى نحو ما ذكر فى روضة الصفا على سبيل الاختصار فكانت مدة غيابه فى ذلك السفر احد عشر شهرا ويوافقه ايضا ما ذكره ابن خلدون مختصرا وعبارته قال بعد ذكر حروبه مع قمر الدين خان وغلبته عليه ثم صرف يعنى تيمرلنك وجهه الى شأنه الاول يعنى من الافساد والتخريب فسار الى توقتاميش خان وسار توقتاميش خان للقائه ومعه اوغلان بولاد من اهل بيته فداخل تيمر وجماعة من الامراء معه واستراب بهم توقتاميش خان وقد كان اللقاء

وتصافوا للحرب مصدم يعني توقتاميش خان ناحية من عساكر تيمر يعني الفرقة السلدوزية كما مر وفتك بمن لقيه فيها وانتبذ من المعركة ثم ارتاب تيمر ايضا فرجع الى بلاده اه معلم من ذلك سبب انهزام توقتاميش خان امام تيمر لنك معه كثرة عدده وعدده وكونه في وسط بلاده وحسن احواله وهو مداخلة تيمر لبطانة توقتاميش خان وانخذا لهم عنه وقت اشد الحاجة اليهم كما كان ذلك اعني القاء التفرقة بين امراء خصمه بالمكر والخديعة عادته المستمرة واحد سلاحه وكان اهل الآوروپا تعلموا هذه الحيلة منه حيث لايستولون على ما يستولون من بلاد المسلمين الا بهذا الطريق متسلب الله عقولهم وغيرتهم الدينية وجمعيتهم الوطنية وقال في روضة الابرار ولما الجاء توقتاميش خان تيمر لنك الى التستر بالملحفة والمعجز بين النساء ظهر عكس القضية ومساعدة الاستدراج اخذت بيد تيمر وانتجت انسحاب توقتاميش خان من ميدان الوغاء والسعي والاجتهاد الى سمت الهزيمة اه ويؤيد ماذكره ابن خلدون من مداخلة تيمر ما ذكره الجنابي ايضا حيث قال ثم ان تيمر خرج من بلاده قاصدا لتوقتاميش خان باغراء رئيس الطائفة النوغائية الامير ايدكو بسبب جرى بينه وبين توقتاميش خان وكان خروجه في سنة ٧٩٣ يعني انفصاله من حدود بلاده فلا منافاة لما مر ومعه تيمر قتلغ بن تيمر ملك خان وكينجه اوغلان والامير ايدكو من طائفة توقتاميش خان وكانوا ايعادونه فتوغل يعني تيمر لنك في بلاد الدشت شهورا حتى التقى توقتاميش خان في اقصى بلاد الشمال وهي مملكة بلغار فوقع بين الفريقين قتال لم يعهد مثله واستمر ذلك بينهم نحوا من ثلاثة ايام ثم انجلى الغبار عن انهزام جيش توقتاميش خان فولوا منهزمين وذلك بسبب ان تيمر كان قد ارسل اولا الى زعماء جيش توقتاميش خان بالانخذال عنه وقت القتال ووعدهم على ذلك مواعيد فاتفقوا معه على ذلك فانما زوايوم التقى الجمعان بجمع كثير وتبعهم كل باغ وغاو وهذه القبيلة كلها آقطاي فاختل لذلك عسكر توقتاميش وصار ما صار الخ وماذكره يشابه ماذكره

ابن عربشاه وكانه اخذه عنه وعبارته منه قال في عجايب المقدور بعد ان ذكر ماجرى بين الامير ايدكو وبين توقتاميش خان وهروب ايدكو الى تيمرلنك ومجيئه به الى تلك البلاد فارسل توقتاميش خان الى زعماء مشمه * وعظماء امه * وسكان احقافه * وقطان اطرافه * ورؤس اسرته * وضروس ميمنته وميسرته * فاسند عاصم * والى المقابلة والمقاتلة دعاهم * فاتوا في ثوب طاعته يرفلون * وهم من كل حدب ينسلون * واجتمعوا شعوبا وقبائل * ما بين فارس وراجل * وضارب ونابل * ومقبل وقابل * ومقاتل وقاتل * بمرهف وذابل * وهم قوم نبال النبال * ونضال النضال * لايطيشون سهما * وهم من بني ثعل ارمى * اذا عقدوا الاوتار * اصابوا الاوتار * وان قصدوا الاوطار * وجدوا المقصد جثم اوطار * ثم نهض للمصادمة * واستعد للمقاحمة والمقاومة * بعساكر كالرمال كثيرة * وكالجبال قرة * وحين توافق الصفان * وتناقف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش خان احد رؤس الميمنة * له دم على احد الامراء فطلبه منه وفي قتله استاذنه * فقال ايسمع بالك * وليجب سؤالك * قلت * شعر :

لكن ترى ماقد جرا * الى الورى وماجرى

فامهلنا حتى اذا انفصلنا وعلى المراد حصلنا اعطيتك غريمك * وناولتك خصيمك * فادرك منه ثارك * واقض اوطارك * قال لا ولكن الساعة والا فلا سمع لك ولا طاعة * فقال نحن في كرب مهم * هو من مرامك اهم * وخطب مدلهم * هو من مصابك اغم * فاصبر ولاتعجل * واطمئن ولاتوجل * فما يذهب لاحد حق * ولايضيع مستحق * فلا تلجيء الا عمى على الجرف * ولاتكن ممن يعبد الله على حرف * وكانك بليل الشدة وقد ادبر * وبصباح الفلاح وقد اسفر * فالزم مكانك * ونازل اقرانك * وتقدم ولاتتاخر * واصدع بمانومر * فانجر ذلك الامير * بجمع كثير * واتبعه كل باغ وغاو * وقبيلة كلها واسمها آقطاو * فانطلق بروم *

(١) الانسب الاوكار بالكاف جمع وكر اى اذا رموا نحوا وكار الطيور قاصدين مابها من طير اصابوا المرمى ونالوا المقصد سواء جثم الطير في وكرها او طار ولكن جميع النسخ الذي رأينا بالطاء على انه جمع وطر بمعنى الحاجة وله ايضا وجه . منه عفى عنه .

ممالك الروم * فوصل هو وحشمه الى صواحى ادرنة * واستوطن تلك الا مكنة * فاختل لذلك عسكر توقتاميش * وصارت سهام مراميه عن مراميه تطيش * ولم يربدأ من اللقاء * وصدق الملتقى * فثبت جاشه وجيشه * وعزم وقاره وطيشه * وقدم من الملابه الا بطال * ورتب الخيالة والرجال * وقوى القلب والجناح * وسدد السهم والصفاح * واما جيش تيمر * فانه مستغن عن هذه الامور * لان امره معلوم * ووصفه مفهوم * وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم * ثم تدانى الجيشان واصطدما * واصطليا بنار الحرب واصطلما * والتفت الاقران بالاقران * وامتدت الاعناق للضراب وشرعت النحور للطلعان * واكفهرت الوجوه واغبرت * وكشرت ذءياب الضراب واهرت * وتهارشت نسور الشرور واسبطرت * وتعانشت أسود الجنود وازبارت * وا كتست بريش النبال الجلود فاقشعرت * وهوت جباه الجباه ورؤس الرؤس فى محراب الحرب للسجود معفرت * وثار الغبار * وقام القتام * وخاض بحار الدماء كل خاص وعام * وصارت نجوم السهام * فى ظلام القتام * لشياطين الاساطين رجوما رواشق * ولوامع السيوف فى سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقا وصواعق * ولازالت سواهب المنايا تجوب وتجول * وضراغم السرايا تصوب وتصول * ونقع السنابك الى الجورا فيا * ونجيع السوافك على الدوجاريا * حتى غدت (١) الارض ستا والسموات كالبحار ثمانيا * واستمر هذا اللدد والخصام * نحوا من ثلاثة ايام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتاميش خان وولى الادبار * وفرت عساكره * وانذعرت * وانتشرت جنود تيمر فى ممالك الدشت واستعرت * واستولى على قبائلها * وانى على ضبط آواخرها وآوائلها * واحتوى على الناطق فمازه * وعلى الصامت

---

(١) يعنى بسبب صيرورة طبقة واحدة منها غبارا وارتفاعها الى السماء فنقصت طبقة واحدة من الارض وزادت فى السماء كما ان البحور زادت على سبعة بسبب تلك العساكر التى هى كالبحر الزاخر . منه عفى عنه .

فعازه* وجمع الغنائم* وفرق المغانم *واباح النهب والاسر * واذاع القهر والقسر * واطفأ فتائلهم * واكفاء مقاواتهم * وغير الاوضاع * وحمل ما استطاع * من الاموال والاسر والمتاع * ووصلت طراشته الى آزاق * وهدم سراى وسرايجق وحاجى طرخان وتلك الافاق* وعظمت منزلة ايدكو عنده * ثم قفل قاصدا سمرقنده * اه بعبارته الانيقة واشارته الرقيقه فبان الامر واتضح الحال وزال الاشكال واندفع القيل والقال الا ان قوله ان الامير الذى انخذل من عسكر توقتاميش ذهب بقبيلته الى بلاد الروم واستوطن بضواحى ادرنة وكذلك قوله ان تيمر هدم سراى وسرايجق وحاجى طرخان وغيرها ليس بصحيح فانه لم ينقل عن احد من المورخين مهاجرة احد من بلاد الدشت ومملكة اوزبك الى تلك الجهة فى التاريخ المذكور ولو وقعت لنقلها البعض وان لم ينقلها الكل وكذلك هدم سراى وغيرها فى الوقعة المذكورة لم ينقل عن احد كما وقفت عليه بل جاء عن بعضهم ما يدل على خلافه كما مر ذلك فى عبارة ابن خلدون ويدل عليه ايضا عبارته الآتية والصحيح الصواب ان تيمر لنك لم يخرب سراى وما سواها فى هذه النوبة بل قنع فيها بكسر عسكر توقتاميش خان واخذ الغنائم ثم رجع الى بلاده سريعا كما مر عن ابن خلدون وانما كانت المهاجرة المذكورة وهدم سراى وسرايجق وحاجى طرخان وازاق وقرم وغيرها فى النوبة الاخيرة كما سيذكر هناك ان شاء الله فانتظره وانما ذكر ابن عربشاه ذلك مع انه خلاف الواقع والحال انه مطلع لاحوال تلك البلاد لانه اقام هناك مدة طويلة بعيد تلك الوقعة بسبب انه لم يذكر من ماجريات توقتاميش خان مع تيمر لنك غير وقعة سغناق وانزار على ما مر بيانه ووقعة سواها فبهذا السبب ذكر فى الوقعة كثيرا من احوال الواقعة الآتية غير ما ذكر ايضا ونحن تركناها لنذكرها فى محلها ان شاء الله تعالى واما انه لايش جمع بين الوقعات فنحن لا علم لنا به (١) والله اعلم بسرائر عباده وانما نحرر نحن ما اطلعنا

---

(١) والذى نعرفه ان قصده اظهار الفصاحة وتزويق الكلام فقط لا غير. منه عفى عنه

عنه فى كتب التواريخ فمن شاء فليصدق ومن شاء فلينكر لا اكراه فى ذلك لاحد خذ ما صفا دع ما كدر نعم ذكرهو هنا ماجرى بين توقتاميش خان وبين الامير ابدكو بعد انقلاع تيمرلنك من تلك الديار وبعض ذلك وان كان فى الوقت المذكور لكن اخرناه نحن ليكون الحوادث متصلا بعضها ببعض والله ولى التوفيق ذكر ماجريات توقتاميش خان بعد انقطاع ذلك الطوفان وسكونة بحران قال ابن خلدون وسار اوغلان بولاد يعنى بعد انخذاله من عسكر توقتاميش خان (١) الى سراى ملكها وفتك فى مخلف توقتاميش وعياله وافترق الامراء الذين داخلهم تيمر وساروا الى الثغور واستولوا عليها وجاء توقتامش الى سراى فاسترجعها وهرب اوغلان بولاد الى القرم فملكها وزحف اليه توقتاميش خان فى العساكر فحاصرها وخالفه ابن ارص خان (الصواب حفيده (٢) الى سراى فتغلب عليها فرجع توقتاميش وانتزعها من يده ولم تزل عساكره تختلف على القرم وتعاودها بالحصار الى ان ملكها وظفر باوغلان بولاد فقتله اه والحاصل ان توقتاميش خان لم يزل يبذل همته فى استخلاص مملكته من ايدى الخونة المتغلبين فقتل البعض وشرد البعض حتى استصفاها من شوك تصرف المتغلبة بالتمام وبقى على ذلك مدة من الاعوام وكانت مملكة ليتوانيا التى هى الان جزء من ممالك الروسية مملكة مستقلة فى ذلك الوقت وكان الحاكم بها وقتئذ باغيلا بن آلعيرد وكان المذكور مع كونه خراجيا لخوانين التتار مائلا اليهم ومحبا اياهم وقد ذكر الفاضل المرجانى رحمه الله فى تاريخه ان توقتاميش خان قد كتب بعد الوقعة المذكورة فرمانا لباغيلا المذكور بلسان التتار وقلم الايغور واثبته فى تاريخه بعينه ولكن بسبب تداول الايدى صار بحيث لايفهم اكثره الا بالصعوبة فاحببت ان اذكر خلاصتها بالتعريب وهى هذه توقتاميش خان كلامى لباغيلا قد كنا ارسلنا اليك ذا الرتب السامية قوتلوبوغا وحسن رسولا من

---

(١) وهذا يدل على ان تيمر لم يهدم سراى فى تلك المرة كما لايخفى على المتأمل منه عفى عنه

(٢) يعنى تيمرقتلغ بن تيمرملك خان بن ارص خان . منه عفى عنه .

عندنا وانت ايضا كنت ارسلت الينا رسولا ولكن كان بعض الامراء مثل بك بولادخواجه وبكش توردى وجاق بيردى وداود مع اوباش آخرين ارسلوا شخصا يسمى ايدكو فى العام الماضى الى تيمر يدعونه الى محاربتى ولما وقفنا على مجيئه جمعنا العساكر وقابلناه وحيث ان المذكورين اتفقوا مع تيمور وواضعوه انهزموا اول الناس فانهزم بانهزامهم بقية العساكر فجرى ماجرى ثم ان الحق سبحانه اعاننا على الخونة المذكورين واظفرنا عليهم فارسلنا اليك الآن من طرفنا رسلا رئيسهم حسن وتولوا خواجه فاللازم عليك ان تؤدى لهؤلاء ماهو جارى العادة من اداء الجزية والخراج ممن هم تحت حكومتنا ليوصلوها الى خزينتنا العامرة وليداوم التجار على ما كانوا عليه من التردد فى ممالكنا المعمورة حسب الاصول الجارية واستنسبنا ارسال هذا الفرمان المعلمة بنيشان الذهب حسب اصول الوغ الوس (يعنى الحصة الكبيرة اى مملكة جوجى خان) من محل اردو تحريرا فى ثامن رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة اه فعلم بذلك اشخاص الخونة وان الخائن ليس بواحد بل جماعة كثيرون فصار توقتاميش خان بذلك مصداق ما قيل شعر:

فلوكان اعدائى على تناصروا * فماذاك الامن تعادل انصارى

بل مصداق ماقيل شعر:

فلوكان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وان توقتاميش خان قد ظفر بهم ولم يذهبوا الى بلاد الروم (١) وان توقتاميش خان لم يفرغ بعد الوقعة المذكورة من ازالة المخالفين لمثل هذه الامور اعنى النظر الى الخارج الا بعد سنتين وانه قد تمكنت قدماه فى سرير السلطنة بعد الوقعة المذكورة وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى وفى شعبان من سنة ٧٩٥ وصل رسل تيمرلنك الى الظاهر يظهر له الوداد والكتب على لسان توقتاميش خان سلطان الدشت اه وقال العينى وفى سنة ٧٩٦ دخل السلطان (يعنى سلطان مصر الملك الظاهر برقوق اول ملوك الجراكسة) دمشق يوم الاثنين العشرين من جمادى الاولى وجاء فى دمشق رسل توقتاميش خان متملك بلاد اوزبك خان فقالوا ان القان يسألك ان تكون يدا

(١) واى نافذة لهم فى ذهابهم الى بلاد الروم واى داع على ترك اوطانهم فان المنقول عن الجانى وابن عربشاه ان تيمرلنك حملهم على ذلك بمواعيد واى مواعيد يكونون بعد ذهابهم الى بلاد الروم وامافى النوبة الاخيرة فانهم كانوا مضطرين الى ذلك كما سيجى منه عفى عنه.

واحدة على الباغى تيمرلنك اه ومثله فى تاريخ الحافظ العسقلانى وعبارته وصل السلطان الى دمشق فى العشرين من جمادى الاولى من سنة ٧٩٦ فوصل له قاصد توقتاميش خان ملك القفجق يتضمن السوآل ان يكونوا يدا واحدة على الطاغى تيمرلنك مكذب اجوبتهم اه وقال ابن شهبة وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ٧٩٦ وصل الى دمشق رسل الملك توقتاميش خان الجالس على كرسى اوزبك خان ببلاد القفچق فاحضرهم السلطان فبلغوه سلام مخدومهم ورسالته ومن مضمونها انه يسأل السلطان أن يكون هو واياه يدا واحدا على الطاغى الباغى تيمرلنك اه ومثله فى تاريخ ابن الفرات ايضا وقال فى بدائع الزهور وفى جمادى الاولى من سنة ٧٩٦ جاءت الاخبار بان السلطان خرج من الشام وتوجه الى حلب وحضر اليه قاصد من عند توقتاميش خان ملك التتار بان يكون السلطان عونه على قتال تيمرلنك فاجابه السلطان لذلك اه ومثله فى تاريخ ابن دقمق مختصرا ذكر الوقعة الخامسة بين توقتاميش خان وتيمرلنك وهى الوقعة الاخيرة بينهما وخاتمة التلاق والحاكمة على توقتاميش خان بمفارقة ملكه وايقاع الطلاق والقاضية بشتات امور تلك المملكة وخراب هاتيك الافاق اعلم أن تيمرلنك لما عاد من بلاد الدشت فى التاريخ المذكور سابقا وشتا بانزار وتاشكند ودخل سمرقند بعد مضى ايام الشتاء اراد ان يتوجه الى جهة ممالك عراق واصفهان لاتمام مقاصده هناك فانه كان رجع من تلك البلاد قبل اتمام مشروعه لماسمع من هجوم عساكر توقتاميش خان وقمر الدين خان على مملكته كمامر فلما كسرهما وغلب عليهما صمم عزيمته على سفر العراق ثانيا لاستيصال ملوك تلك البلاد وضمها الى مستملكاته فخرج فى رجب العام المذكور اعنى سنة ٧٩٤ قاصدا لذلك ويقال لسفره هذا عندمورخيه سفر پنج ساله يعنى خمس سنين لانه قد بقى فيه تلك المدة واستولى فيه على كثير من الممالك واباد كثيرا من الملك

والجاء كثيرا منهم الى اصعب المسالك واستاصل بنى المظفر فى رجب من سنة ٧٩٥ واوردجميعهم موارد المهالك وانتزع بغداد من يدملكها السلطان احمد بن السلطان اويس الايلخانى الجلايرى فى سنة ٧٩٦ فهرب السلطان احمد مع عياله وخواصه الى مصر ملتجئا الى الظاهر برقوق ومستنجدابه ثم عطف تيمر عنانه الى جانب ديار بكروما والاها من البلاد واجرى بها عادته من التخريب والقتل والنهب والاسر وتعذيب العباد وبعدان فرغ من ضبط تلك الاصقاع كان من قصده ان يتوجه الى البلاد الشامية لمحاربة الملك الظاهر برقوق سلطان مصر والشام متعللا بانه قد آوى عدوه السلطان احمد الجلايرى وقد كان السلطان برقوق ايضا قد اطلع على قصده وجهز جيشا كافيامع بعض امرائه صحبة السلطان احمد الى حلب لملاقاته فى العام المذكور وبينما هم ينتظرون قدومه المشئوم على حلب الشهباءاذ قرع سمعهم ان طوفان البلاء قد توجه نحو البلاد الشمالية وذلك لتعرض عساكر توقتاميش خان الى اطراف البلاد التى كانت تحت تصرفه وارسال عساكره متعاقبا الى تلك الحدود لمناواته بموجب وعده السابق واتفاقه مع الملك الظاهر برقوق على مامر وبقصد اخذالثار والانتقام من اللنك قال الحافظ ابن حجر بسبب رجوعه (يعنى تيمرلنك) فى سنة ٧٩٦ عن البلاد الشامية انه بلغه ان توقتاميش خان صاحب بلاد الدشت والسراى وغيرها مشى الى بلاده فانثنى راجعا وقصدتبريز وصنع فى بلاد الكرج عادته فى غيرها من البلاد ثم رحل راجعا الى تبريز فاقام بها قليلا ثم توجه قاصدا لبلاد توقتاميش خان صاحب السراى والقفجق وكان توقتاميش خان قد استعد لحربه فالتقيا جميعا ودام القتال وكانت الهزيمة على القفجق والسراى فانهزموا وتبعهم الجغطاى فى آثارهم الى ان الجاوهم الى داخل بلادهم اه وسيجىء منه تفصيل ذلك قال ابن شهبة وفى صفر سنة ٧٩٧ جاء الخبر الى القاهرة

بان تيمر لنك توجه من قراباغ الى ان عدا السلطانية وان السلطان توقتامش خان اخذ اكثر بلاده اه قال ابن خلدون ثم بلغ الخبر (يعنى الى عساكر مصر والشام حين انتظارهم قدوم تيمر لنك على البلاد الشامية) بان تيمر سار من مكانه (يعنى مكانه الذى وهو قراباغ) الى محاربة توقتامش خان وعميت انباؤه مدة بلغ الخبر آخر سنة ٧٩٧ بان السلطان تيمر ظفر بتوقتامش وقتله واستولى على سائر اعماله والله غالب على امره اه وقال الجنابى وفى تاريخ شرف الدين اليزدى ان تيمر لنك لما بلغه استقرار توقتاميش خان على سرير سراى بعد رجوع تيمر الى بلاده (يعنى بعد الوقعة الرابعة) امر بجمع العسكر والمسير الى بلاد الدشت فجمع من الخلايق ما لا يحصى فنهض من مقره وهو وقتئذ فى قراباغ فى جمادى الاولى سنة ٧٩٧ سنة فدخل بلاد الشمال والتقى مع توقتاميش خان وقاتله قتالا شديدا ثم انهزم عسكر توقتاميش خان افنح هزيمة وغلبه على ملكه وفر توقتاميش خان الى بلغار وتغلغل تيمر فى بلاده وقتل من اهل الدشت مقتلة عظيمة حتى وصل الى روس و چركس وما جار وآزاق واوسع بهم القتل والسبى والاسر والنهب والتخريب فمن ذلك العصر انتقل جيل ما جار (يعنى بقاياهم التى كانت بقيت هناك) من الشرق الى الغرب واستوطنوا فى نواحى نهر طونة و قورص (يعنى اللنك) ملك الدشت بعد مجازه من نهر اتل الى واحد من اولاد چنكز خان يقال له قريد اوغلان بن ارص خان ثم سار يعنى اللنك الى حاجى طرخان وسراى فامر بهما فنهب جميع ما فيهما وقتل غالب اهلهما ثم وضعوا فيهما النار فخربوهما تخريبا عظيما بحيث صارا بلادا بلاقع اه وقال ابن دوقمق وابن الفرات و ابن حجر و ابن شهبة والمقريزى يتقارب الفاظ بعضهم بعضا وفى يوم السبت من ذى الحجة من شهور سنة ٧٩٧ حضر الى الابواب يعنى الملك الظاهر برقوق الامير طولو من على شاه الذى كان توجه

رسولا من عنده الى الملك توقتاميش خان هو والخواجه مجدالدين اسمعيل فاخبر السلطان بانه اجتمع بتوقتاميش خان وانه وعد بكل خير (يعنى بامداد الملك الظاهر) واتفق معه على محاربة تيمرلنك فبينما هو كذلك اذجاء الاخبار بان تيمرلنك قصده وطرق بلاده فركب وسار بعساكره وقد خامر اللنك جماعة من اصحاب توقتاميش خان فخالفوه وخذلوه وتوجهوا الى تيمرلنك ثم انهم التقوا وتقاتلوا ودام القتال ثلاثة ايام ثم انكسر توقتاميش خان وهرب الى بلاد الروس كل ذلك*بحضرة قاصد السلطان يعنى الظاهر بر قوق وهو مقيم بسراى فلما جاء خبر الكسرة ركب وتوجه الى القرم ثم مضى منها الى كفا فعوقها متملكها ليتقرب به الى تيمر وما مكنه هو وصاحبه من الجواز حتى اخذ منهم خمسين الف درهم فمكنهم فعدوا الى صمصون فاقاموا بصمصون الى ان صحت عندهم الاخبار بان تيمرلنك ملك القرم وانه حاصر كفا ثمانية عشر يوما وفتحها واخربها فعند ذلك حضر الامير طولو والخواجه اسمعيل ومن معهما الى الابواب الشريفة واخبروا بذلك اه فاذا احطت علما باجمال هذه الوقعة وانهزام توقتاميش خان وتخريب تيمرلنك تلك البلدان وتفريق اهلها تفريقا لم يتفق لهم الاجتماع والالتئام حتى الآن وعرفت اسباب هزيمة توقتاميش خان وهى خيانة بعض الخائنين وخذلان المخذولين واهانتهم خذلهم الله واهانهم بمغامرة تيمر ومداخلته ومكيدته وخديعته على ما هو عادته فهاك تفصيل ذلك الاجمال وشرحه من كلام الميرآخوند الذى هو احد الغالين والمبالغين فى مدح تيمر والمرائه وتنويه شانه والحط عن شأن مخالفيه قال الفاضل الميرآخوند فى روضة الصفا سامحه الله سبحانه بجاه المصطفى ما خلاصة معربه ان تيمرلنك حين كان مشغولا بتسخير مملكة شكى من بلاد داغستان بلغه الخبران عساكر توقتاميش خان قد عدوا دربند تحت رياسة الامير على والياس خواجه وغيرهما من الامرأ الجوجية واستولوا على بعض ولايات شروان التى كانت تؤدي

الخراج الى تيمرلنك فتوجه الى ذلك الجانب فورا فلما سمع عسكر توقتاميش خان ذلك الخبر تركوا البلاد ورجعوا الى ممالكهم وعاد تيمرلنك وشتا بمحمود آباد من بلا داذربيجان (قلت وهذا هومرادابن شهبة وابن حجر من قولهم ان توقتاميش خان اخذ اكثر بلاده وان تيمر قصده فالتقيا جميعا ودام القتال وكانت الهزيمة على القفچق والسراى الخ الا ان المير آخوند لم يذكرهنا القتال قصدا لتنويه شأن تيمرلنك بان عدوه انهزم بمجرد سماع توجهه) ثم قال اعنى المير آخوند وارسل يعنى تيمرلنك فى تلك الاثناء يعنى فى اثناء اقامته بمحمود آباد الشيخ شمس الدين الا لماليغى الذى كان من فضلاء الانام عالما با ساليب الكلام قادرا على ايراد انواعه حسب المرام رسولا الى توقتاميش خان ومعه مكتوب مشتمل على الوعد والوعيد ومحتويا يتعلق بالصلح والحرب والرأى السديد فلما وصل الشيخ المذكور الى سراى وتمثل بين يدى توقتاميش خان واعطاه مكتوب تيمرلنك ونصحه بنصايح مستحسنة ووعظه بمواعظ مستعذبة و مستملحة وحذره من وخامة العاقبة ونبهه بما لا ينبغى الغفلة عنه لارباب الاذهان الثاقبة والاراء الصائبة اثر كلامه فى قلب توقتاميش خان حتى اراد ان يرجع عما هو عليه كان وان يمهد قواعد الصلح والمصافاة وان يشيد مبانى السلم والموالاة ولكن ما تركه امراؤه ممن ورأيه ولقنوه من الاراء وراءه فكتب جوابه بالغلظة والتهديد والخشونة والتشديد ثم ملأ جيب الشيخ شمس الدين من الفضة والذهب وزين قامته بالخلع المزينة بالطراز المذهب واركبه الجواد الاشهب واعاده الى مرسله الذى فاق فى الفتك والافساد ابن اشعب فلما اطلع على ذلك تيمور كادمن غيظه يفور وصمم عزمه على محاربة توقتاميش خان وتوجه بجميع عساكره الى صوب بلاد سراى وحاجى طرخان وذلك فى سابع جمادى الاولى من سنة ٧٩٧ وامر اولا بعرض عساكره وترتيب جنوده واظهار اعلامه ورفع بنوده فطلبوا لذلك اوسع الامكنة وانزهها فوقع اختيارهم على ساحل نهر سمور من ارض داغستان بقرب دربند فاصطفت عساكره الموجودة

فى المحل المذكور بحيث وقعت الميسرة فى سفح الجبل والميمنة متصلة ببحر الخزر ومسافة ما بينهما سبعة فراسخ كلهم مستغرقون فى الاسلحة والحديد بحيث لم ينقل عن احد وجود مثل هذا العسكر فى كمال الاسلحة والالات والعدة والعدة (١) من زمان افراسياب الى هذا الوقت فامرّ كلهم من نظر الاحتياط وبقى فى نظارتهم والبحث والتفتيش عن حركاتهم وسكناتهم من طلوع الشمس الى وقت الظلام ثم استقر كل من الامراء والضباط فى مواضعهم المختصة لهم وتوجهوا نحو المقصد وعبروا دربند ووصلوا الى اقوام من رعايا توقتاميش خان واحاطوا بهم احاطة الدائرة بالنقطة ولكن كانت اضيق من حلقة الميم ثم اذاقوهم العذاب الاليم فلم ينج منهم الا اليسر العديم وقد كان توقتاميش خان ارسل اليه فى تلك الاثناء رسولا يسمى اوتراق فلما رأى ذلك الشخص هجومهم كالشياطين المنتشرة فى الافاق رجع من فوره الى توقتاميش خان واخبره بما رآه من مباغتة عسكر تيمر وهجومهم الى اطراف البلدان فارسل توقتاميش خان من امرائه قرانجى بهادر مع جمع من العساكر والابطال فى الحال فلما سمع تيمر توجهه ونزوله ساحل نهر خوى (٢) وراء تيمر توجه نحوه ليلا وعبر النهر المذكور وقت الصبح وهجم عليهم على الغفلة بلامهلة ثم تقدم ونزل بساحل نهر سونج ٣) وكان توقتاميش خان نازلا بساحل نهر ترك وانشاء هناك الاستحكامات بالعربيات وغيرها فلما بلغه خبر انهزام قرانجى بهادر وتقدم تيمر ترك ذلك الموضع وسار حتى نزل بساحل نهر خوى يعنى بنية الهجوم من وراء عسكر تيمرلنك لا انه تركه هو بامنه فان الهارب لا يتقدم بل يتأخر وهذا قد تقدم فما

(١) قيل كان عددهم سبعمائة الف وتواتر ذلك واما كثرة العدة فلا تسأل عن ذلك منه عفى عنه .

(٢) نهر خوى ويقال بالقاف ايضا بعد الخاء نهران ينبعان من جبال كوه البرز يعنى جبال داغستان ويجريان الى الشرق ثم يتحدان بقرب تيمر قبو ثم يصب ببحر الخزر ويقال له هناك مولاق منه عفى عنه .

٣) نهر ينبع من شمال جبال داغستان ويصب فى نهر ترك بكسر التاء وفتح الراء وهو يصب ببحر الخزر منه عفى عنه .

ذكره فى روضة الصفا من نسبة الهرب اليه هنا انما صدر عنه تنويها بشأن تيمر بالحط عن خصمه قال ثم ارسل توقتاميش خان يطلب بقية عساكره وكان تيمرلنك تقدم الى نهر ترك ونزل هناك فبلغوه بان توقتاميش خان قد اخذ وراء عسكره وهاهو لاحق بهم من عقبهم سائرا على ساحل النهر بابطال عسكر قفجق والامراء الجوجية فلما سمع ذلك رجع من فوره ورتب عساكره ميمنة وميسرة ونزل بحذاء توقتاميش خان وامر بحفر الخندق حول عساكره وانشاء الاستحكامات وامر ايضا بحفر خندق آخر وراء الخندق الاول والاستحكام وامر بالنداء كيد التام ان لا يتحرك احد فى تلك الليلة وان لا يرفع فيها احد صوته واكد عليهم فى التيقظ خوفا من التبييت فباتوا تلك الليلة على غاية من الاحتياط والاحتراس وفى تلك الليلة هرب من عسكر تيمر ايناتج اوغلان الذى كان من اكبر امرائه وكان فى الاصل من تلك البلدان ومن ذرية جوجى خان فلحق بتوقتاميش خان ولما اصبح شرع كل من الفريقين فى ترتيب عساكره وتعبيتها وتصفيف الصفوف وتسويتها وقسم تيمرلنك عساكره على سبع فرق كما فعل اول مرة عين واحدة منها للقتال وامر عليها حفيده المرزا محمد ووقف بنفسه بالستة الباقيه ورائها للامداد وقت الاحتياج وسد الخلل الواقع فيها فظهر فى تلك الاثناء توقتاميش خان بكمال الابهة والعظمة وملاء اصوات الابطال الآفاق وسد غبرة سنابك خيولهم الجو فصار بحيث لا يظهر شئ فى الافاق وشرعوا فى الضرب والطعان وانزال الاقران من ظهر الحصان وهجم الامير كونجه اوغلان الذى كان ضيع فى ملازمة تيمرلنك مدة من الزمان والامير بيك ياروق والامير داود صوفى وسواهم من الامراء الجوجية بعساكر ميمنة توقتاميش خان على ميسرة تيمرلنك فبلغ ذلك سمع تيمر فتوجه نحوهم فورا بعساكره الخاصة وحمل عليهم بجميع قواه فرجع ميمنة عسكر توقتاميش خان الى مراكزهم فتبعهم اكثر عساكر تيمر ظنا منهم انهم

انهزموا فكروا عليهم ثانيافقتلوا منهم الاكثر ورجع الباقون ولما راى توقتاميش خان تفرق عسكر تيمر من عنده هجم عليه كالاسدالهاصر والنسر الكاسر وحمل عليه بجميع عساكره فقام تيمر مع من عنده فى مقام الدفاع ونزل الامير نورالدين الذى هو من خواص امراء تيمر لمك من جواده مع سائر عساكره بنية فداء تيمر بارواحهم وجاء ايضا الامير اللهداد بفرقته ونزل بجنب الامير نورالدين ووصل اليه الحسين ملك قوچين ايضا بعساكره واتحد بالمذكورين ونزلوا جميعا من دوابهم وشرعوا فى الرمى بالنبال ودفاع المخالفين بكل ما يمكن من الضرب والطعن والنضال وكان (١) عساكر توقتاميش خان يهجمون عليهم فوجا فوجا حتى صارت دماء القتلى تجرى فى المعركة كالسيول وجاء فى تلك الاثناء المرزا محمد ولحق باللك ونزل من فرسه مع جميع عساكره الخاصة وهجم باتفاق ابطال جنوده على ميمنة عسكر توقتاميش خان فثبتت الميمنة على هجومهم المتعاقبة ثباتا وصبروا فى محافظة محلهم صبرا لو حضر فيه رستم لاثنى عليهم بالشجاعة وشهدلهم بالشهامة وداموا على ذلك مدة من الزمان ولكن لما تكاثر عليهم المخالفون تكاثرا فاحشا وانصبوا اليهم من كل صوب كالسيل المنهمر ازالوهم من موضعهم وارجعوهم الى مراكزهم وجاء المرزا جهانشاه فى تلك الاثناء بفوج من العساكر لمدد الامير سيف الدين وهجموا بالاتفاق على ميسرة توقتاميش خان فاشتد القتال وزادت الاهوال وامتد هذا الحال حتى ازالوهم ايضا عن محلهم واعادوهم الى مراكزهم ثم خرج الامير على بك الذى كان من اكبر امراء توقتاميش خان واخصهم ومعه اخوانه وعساكره ووقف فى الميدان وطلب الامير عثمان عباس الذى كان من اكبر امراء اللك واشهرهم بالشجاعة للمبارزة فخرج عليه الامير عباس مع عساكره وانقض كل من الفريقين نحو الاخر كالنسر الكاسر واختلط الفريقان وكثر الضرب والطعان فلا تسأل عن مقدار من قتل فى تلك الميدان ثم رجع الامير على بك بعد

(١) وكانت هذه المحاربة على قول كارامزين بموضع يقال له الان بكاتر يتوودار . منه عفى عنه .

برهة من الزمان نحو توقتاميش خان فلما (١) عاين توقتاميش خان ان الحال على هذا المنوال ترك موقعه واختار الرجوع وانثنى راجعا الى بلاده مع خواص امرائه ومن معه من الجيش هذا كلام المير آخوند (وانت خبير بانه ليس هناشئ يوجب الرجوع والانهزام بل كفتاميزان القتال على حد سواء فلا تنس نصيبك مما قدمناه فى الاجمال من كلام المورخين الكبار من ان هذا القتال استمر على ثلاثة ايام بالليل والنهار وان اللنك قد خامر بعض امراء توقتاميش خان فتركوه ولحقوا باللنك وبهذا السبب وقع عليه الانهزام والانكسار فالمير آخوند لم يذكر ذلك على ما هو عادته كما مر مرارا) ثم قال اعنى المير آخوند ولما اطلع تيمرلنك على انهزام توقتاميش خان لم يلبث بساحل نهر قوى الاريشما يتفقد احوال عساكره وينعم على من صدر عنهم فى تلك المعركة من الغيرة والشجاعة والحمية والبسالة ثم توجه من عقب توقتاميش خان مع جميع عساكره وترك ولد المرزا ميرانشاه فى ذلك الموضع مع اثقاله سبب انكسار رجل فى تلك المعركة وضم اليه من امرائه الامير سيف الدين والامير يادكار برلاس مع عسكر كاف ولما وصل الى نهر ادل دعى غورى اوغلان وقال الجنابى مريد اوغلان كما تقدم وقال منجم باشى قويرچق اوغلان وهو الصواب والباقى محرف منه وهو ابن ارص خان وسيجئ بيان بعض احواله ان شاء الله تعالى والبسه خلعة السلطنة وزين وسطه بالكمر المرصع وضم اليه طائفة من ابطال عسكره وارسله الى مدينة سراى برسم السلطنة بزعمه الفاسد ورأيه الكاسد ولاريب انه من جملة من خامرهم تيمرلنك وخدعهم وصاروا سببا لخراب تلك الديار واحلوا قومهم دار البوار فاجتمع لديه امثاله وذووه من الامراء الجوجيه وهرب توقتامش خان منهزما امام اللنك مع طائفة من جيشه وفل من عسكره ودخل مشاجر وغابات هناك

(١) قال كارامزين وقد كاد توقتاميش خان ان ينتصر لو صبر قليلا ولكنه لم يصبر بل استولى الخوف والرعب عليه فترك عسكره هكذا وانصرف. منه عفى عنه

وامتنع بها من بأسه وتحصن من سطوته وشره وتفرق بقية عساكره شذر مذر وسار تيمر رئيس الاشرار بعساكره الجرار وجاسوا خلال الديار لايمنعهم مانع من الافساد والاضرار يقتلون وينهبون ويأسرون ويجمعون حتى بلغوا قريبا من ارض الظلمة حيث كادوا فى النوبة الاولى يصلون اليه وخرب فى طريقه ومسيره جميع البلاد التى صادفها وقتل اهلها قتلا اماما واسر وسبى ونهب واغار وسلب ثم احرق البقية ثم لما فرغ من تخريب تلك الجهة وجه وجهة همته نحو غارة ميمنة الوس جوجى يعنى غربى مملكة جوجى خان فعطف عنانه الى صوب نهر اوزى وارسل الامير عثمان عباس فى مقدمته فادرك المذكور طائفة من الوس اوز بك وفيهم الامير ييك يارق الماز ذكره فهجموا عليهم وقتلوهم ونهبوهم واحرقوا بيوتهم ولم ينج منهم الا القليل ولما سمع باى تيمر اوغلان توجه اللنك الى تلك الجهة سار نحو بلاد الروم وجاوز قوم سربدار(١) الذين كان بينهم وبين اقوام اوزبك عداوة مستمرة بانواع الذرائع والوسائل قلت لعل باى تيمر هذا هو الامير الذى مر ذكر توجهه مع قبيلته الى بلاد الروم فى النوبة الاولى نقلا عن ابن عربشاه وقد قلنا هناك ان ذكر ذلك هنا سبق قلم بل الصحيح انه فى النوبة الاخيرة وقد وعدناه ذكره هنا فنذكر وقد كان مع الامير باى تيمر هذا جماعة كثيرة من تتار تلك الديار فوصلوا الى ديار الروم فاكرمهم السلطان يلدرم بايزيد وخلع امراءهم وكبرائهم الخلع الحمراء زعما منه انه يدفع بذلك فتنتهم وقيامهم ويمنع خروجهم وبغيهم عليه ثم اخذهم معه لمحاربة تيمرلنك فى وقعة انقرة وظهر منهم سبب ذلك هناك ما ظهر وعد ذلك من خطايا يلدرم بايزيد الموجبة فى الظاهر لنكبته وابتلائه هكذا ذكره بعض محققى متاخرى المورخين العثمانيين

---

(١) هكذا فى روضة الصفا ولعلهم اهل بيسرابيا لانهم المجاورون لهم فى الوقت المذكور وطريقهم الى الروم من بلادهم والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

وان ذكر(١) بعض المورخين فى تعيين هؤلاء التتار الذين كانوا معه فى تلك الوقعة وتشخيصهم غير هذا والله سبحانه اعلم بحقايق الامور * ولما فرغوا من تخريب تلك الجهة ولم يتركوا الى نهر اوزى نسمة وجه وجهة عنايته نحو بلاد الروس ليكون محظوظا بغنائمهم واسارا هم ايضا وكان الامير بيك يارق لما هرب من عثمان عباس النجاء ببعض الفياض والمشاجر بساحل نهرتن ولما وصل المشئوم هناك بيا جوجه وماجوجه الذين هم من كل حدب ينسلون هرب مع واحد من اولاده وترك سائر اولاده وازواجه وعياله واملاكه واموال هناك لما تيقن انه ان اخذ الكل لايأتى له النجاة فحازوا جميع املاكه واسروا اولاده وعياله واتوابهم الى تيمرلنك فرق عليهم ورحمهم واعطاهم من الخيمة والكسوة والنفقة مايؤويهم ويستر عورتهم ويقيم اودهم ثم ارسلهم الى الامير بيك يارق قلت لعله صدر عنه فى حقه خدمة ومعروف وصار سببا لعلته فاراد بذلك مكافاته وفى تلك الاثناء لحق به المرزا ميرانشاه بمن معه من الامراء الذين كانوا بقوا معه بالاثقال فتوجهوا مرة ثانية الى جهة آق اوردا اعنى الجهة الشرقية من مملكة جوجى وكانت مملكة ارص خان واجداده واولاده فقتلوا واسروا ونهبوا وسبوا وخربوا وافسدوا حتى شبعوا وملوا ثم رجعوا الى اللنك بغنايم وسبايا لاتحصى وكذلك فعل المرزا محمد سلطان فى ناحية اخرى ولما قضى اللنك وطره من نهب تلك الناحية توجه الى جهة اراق فقتل اهلها قتلا عاما واخربها وتركها بلاقع ثم توجه منها الى طرف قوبان

---

(٢) وهوا بن عربشاه ومن تبعه فانه قال ان هؤلاء كانوا مستوطنين بين سواس وقونيه وهو قرية بلاية فانه ذكر ذهاب التتار الى الروم واستيطانهم بضواحى ادرنه فلو كان هؤلاء التتار الذين اخذهم يلدرم بايزيد معه بمحاربة تيمرلنك الذين كانوا بين سواس وقونيه ابن ذهب هؤلاء التتار الذين استوطنوا بضواحى ادرنه وايضا ذكر هو بنفسه ان هؤلاء التتار لما اخذهم تيمرلنك معه الى ما وراء النهر وقسمهم هناك لحق اكثرهم بالامير ايدكو فهذا صريح فى ان اصلهم من تلك البلاد ومن تلك الاقوام الان نقول انهم وان استوطنوا اولا بضواحى ادرنه ولكنهم رحلوا من هناك الى ما بين سيواس وقونيه فاخذهم يلدرم بايزيد معه لمحاربة اللنك من هناك نعم يرتفع الشقاق ويحصل الوفاق ولعل هذا اقرب الى الصواب والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

وچركس فاجرى فيها رسمه من القتل والاسر والنهب والغارة والتخريب والافساد والحاصل انه ما ترك فى تلك النواحى كلها دقيقة من دقائق القتل والنهب والسبى والتخريب وانواع الفساد الااجراها وترك تلك البلاد كافة قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولاامتا ولما فرغ من نهب بلاد چركس بتمامها سهلها وجبالها قرع سمعه ان الامير اوتركو الذى كان من اكبر زعماء توقتاميش خان ممتازا من بين اقرانه وامثاله بمزيد الحشمة والابهة وكان فى ملازمة اللنك ايضا مدة قد التجاء الى قلعة فولادخان فارسل اللنك الى فولاد يطلبه ويهدده ان امتنع فاجاب فولاد ان ليس من المروة ان اسلم المستجيرين الى خصمه ولى قلاع حصينة وذخيرة كثيرة وعساكر شجيعة يحبون الطعن والضرب ولايهربون من الحرب فليصنع ما شاء فزحف اليه اللنك بجموعه ووصل الى قلعته (١) فوجدها فى غاية من الحصانة ونهاية من المتانة وحواليها كلها غابات ومشاجر فقطعوا الاشجار مسافة ثلاثة فراسخ وبعد اللتيا والتى استولوا على القلعة وخربوها وقتلوا اهلها واخذوا ما فيها وهرب الامير اوتركو الى كوه البرز يعنى جبال چركس ثم ظفروا بها بعد وقعات كثيرة فامر بقتله فشفع فيه واحد من امرائه فشفعه ولم يقتله ولكن امر بوضع قيد ثقيل فى رجليه والظاهر ان هذه القلعة كانت فى ارض القرم ولحق به فى تلك الاثناء محمد اوغلان يعنى من ذرية جوجى خان فجعله دليلا وتوجه الى قلعة سسم فاخربها ونواحيها كلها وكذلك قلعة قرقر وحواليها وقتل اهلها قتلا عاما والحاصل انه جال فى تلك النواحى من اول الربيع الى آخر الخريف يفعل مايشاء لامعارض ولا ممانع ولما جاء آوان اشتداد الشتاء اختار فى اطراف جبال موضعا مناسبا للشتاء فشتابه وقد كان ارسل واحد من امرائه مع طائفة من العسكر لتخريب بلدة حاجى طرخان فجاءه الامير المذكور فى تلك الاثناء واخبر بان امير تلك البلدة المسمى بمجدى فى مقام الامتناع والدفاع

(١) والذى يظهر من وصف روضة الصفا انها القلعة المشهورة اولا بقرق ار والآن بحقود قلعه سى وهو قويق بغچه سراى والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه.

فان لم يتدارك هذا الامر الآن يخشى ان ينجر الى الصعوبة والاشكال فترك المرزا محمد سلطان والمرزا ميرانشاه فى ذلك الشتا مع الاثقال وتوجه بنفسه فى صميم الشتاء بعساكر كالرمال نحو حاجى طرخان فلما قرب من البلد خرج المحمدى طوعا وكرها للاستقبال مارسل اللنك فى ملازمة مفيده المرزا پير محمد طاز والمرزا جها نشاه لتخريب مدينة سراى ونزل بنفسه بحاجى طرخان ولما توجه المذكورون نحو المقصد غدرا بالمحمدى واغرقاه فى نهر ادل وادخلاه تحت الجليد وجعلاه طعمة للحيتان ولاشك ان هذا الامر انما هو بتلقين اللنــك وتعليمه ولما وصلوا الى سراى نهبوا جميع ما فيها ثم اطلقوا فيها النار واحرقوها بجميع ما فيها مكافاة لما فعله توقتاميش خان بقصر تيمر لنك المسمى بزنجير سراى حين هجومه على ما وراء النهر كما مر وقتلوا جميع من فيها وفى حواليها حتى لم يتركوا منهم اثرا ولم يدعوا متنفسا ثم رجعوا الى حاجى طرخان واجتمعوا هناك باللنك فقتلوا اهلها وامروا البواقى بالجلاء عنها ثم نهبو جميع ما فيها وتركوها ككيس الاكياس خالية من الاموال والسكان ثم اطلقوا فيها النار حتى خلت مساوية بالارض ثم انثنوا راجعين الى مشتاهم بغنائم من الصامت والناطق لا تدخل تحت الحد والعد ولــكن قد تلفت اكثر المواشى من شدة الشتاء وقلة الغلة وبلغ القحط والغلاء فى معسكره مبلغا صار رأس الشاة لاتوجد بمائتين وخمسين دينارا والمــن من الدقيق والارز بسبعين دينارا ورأس البقرة بمائة دينار ففرق جميع ما اغتنموه لعساكره ليقوم به أودهم فنفد بهذا السبب جميع ما بايديهم سوى الوبال والاثم وباؤا بغضب من الله خائبين ولــكن لهم من الهاوية مع فرعون وهامان نصيب وقسم ورجعوا خاسرين مصداق قوله تعالى خسر الدنيا والاخرة ليس فى ايديهم شئ سوى تعب الروح والجسم وانتقلوا فى اوائل الربيع من سنة ٧٩٨ من تلك البلاد بعد ان كبسوه سنة كاملة وتوجهوا الى طرف آذربيجان لمحاربة قرا يوسف التركمانيا

ولم يهملوا فى طريقهم وممرهم ببلاد الجركس والكرج وغيرها دقيقة فى القتل والنهب والتخريب وهذا نهاية مابذ لنا فيه جهدنا فى تفصيل اجمال هذه الوقعة المفجعة المولمة اخذا من روضة الصفا بغاية الاختصار والانتخاب ولعل حصل لك بذلك يقين بان تخريب اللنك تلك البلاد بالتمام وقتل اهلها بالقتل العام وتفريقه اياهم تفريقا لم يتفق لهم بعده اجتماع تام وحسن التيام (١) انما هى فى تلك الدوبة الاخيرة لا فيما قبلها كما يوهم به كلام ابن عربشاه كما مر واما تخريبه لبلدة بلغار فلم يصرح به احد من المؤرخين الكبار وانما ذكروا وصوله الى موضع قريب من ارض الظلمة فهذا يدل على انه وصل هناك وكلما وصل اليه قدمه لا يبقى معمورا البتة فيمكن انه خربها ولكن لم يذكره احد بخصوصه ويمكن ان لا يصل اليها لانه لو وصل اليها لخربها البتة ولو خربها لنقل عنهم او عن بعضهم لانها من مشاهير البلدان القديمة فلا يجوز العقل ان لا يذكره احد ممن ذكر تلك الوقعة والصحيح انها خربها الروسية بعد تلك الوقعة سته وثلاثين سنة كما مر فى المقصد الاول وانما اشتهر بان اللنك خربها لانه هو الذى صار سببا لخرابها باستيلاء الروس عليها بتفريقه اهلها فنسب اليه مجازا من قبيل اسناد الشئ الى سببه والله سبحانه اعلم بحقايق الامور ودقائق الخير والشرور **ذكر احوال توقتاميش خان واحوال البلاد المذكورة بعد انقضاء ذلك الطوفان** اعلم انك اذا حطت بجمل تلك القضية ووقفت على تفاصيل تلك البلية تعلم يقينا انه كيف يكون احوال تلك البلاد واى بقى فيها الراحة للعباد خصوصا مع استمرار الشقاق والنفاق وعدم الاتحاد والوفاق فيما بينهم بعد انقلاع اللنك منها الى سائر الآفاق ومع ذلك فقد استمرت دولة السراى

(١) ولكن مع ذلك سار طائفة منهم بعد مضى سنة ١٠٧ من هذه الوقعة الى ما وراء النهر وانتزعوها من ايدى اولاد اللنك واستاصلوهم وازالوا وجودهم من عالم السياسة مرة واحدة واخذوا بذلك ثار اجدادهم وانتقامهم واسسوا هناك دولة جديدة مشهورة بالدولة الاوزبكية وظهر منهم حين ظهور قزل باش امور مشهورة مستحسنة خصوصا منهم عبيدخان وعبد الله خان وولده عبد المؤمن خان وبقى بو اسطتهم رسم الاوزبك الى الآن وكذلك يبقى ان شاء الله الى يوم القيمة طيب الله ثراهم هكذا ينبغى لاولاد الحلال منه عفى عنه

والقفچق مع وجود الاختلال على ما سيجيء ذكره قريبا من مائة سنة تضعف تارة وتنعش اخرى الى ان افترقت الى فرق كثيرة فاضمحلت اخيرا بيد مكلي كراى خان باتفاق من الروسيه التى كانت من اضعف رعاياهم كما سيذكر انشاء الله تعالى فى موضعه فاما توقتاميش خان فقد عرفت فى غضون كلام المورخين انهم احتلفوا فيه فمن قائل انه قتل تيمر فى تلك الوقعة ذكره ابن خلدون كما مر وهو فرية بلا مرية فانك قد حصل لك اليقين من الاطلاع على كلام المورخين ان تيمر لم يظفر به بل هرب منه قبل الى بلغار قاله الجنابي وقيل الى الروس قاله ابن حجر وغيره وقيل الى مشاجر وغابات قاله المير آخوند كما تقدم كل ذلك والصحيح انه توغل فى داخلية بلاده وامتنع من اللنك بغاباتها ومع ذلك لو استبعد عقل جامد تخطئة ابن خلدون فيما مال اليه وقاله نقوى تلك التخطئة بالنقل ايضا كما انها موٴيدة بالعقل قال المحبى بعد نقله عن الذيل على الكامل ان تيمرلنك انتزع الملك من توقتاميش خان وقتله قلت المعروف ان تيمرلنك لم يملك هذه المملكة اصلا وما قتل توقتاميش خان وماذكره وهم فيه اه كلامه فاذا كان كلام صاحب الذيل وهما يكون كلام ابن خلدون ايضا وهما لكونه مثله بل عينه وقول المحبى انه لم يملك هذه المملكة مراده بذلك ملكا مستمرا كسائر بلاده فلا ينافى ما سبق من استيلائه عليها وتخريبه اياها وهنا قول آخر وهو قول ابن حجر وابن عربشاه قالا قتله امير من امراء التتار بعد وقعة تيمر قال ابن حجر العسقلانى وفى سنة ٧٩٨ مات توقتاميش خان الترك صاحب بلاد الدشت قتل فى هذه السنة بعد ان انكسر من اللنك قتله امير من امراء التتار يقال له تيمر قتلغ اه ولكن هنا خطاء اما فى التاريخ او فى الاسم اما كون الخطاء فى التاريخ فلما ذكره الحافظ العسقلانى نفسه حيث قال فى بيان حوادث سنة ٧٩٩ وفيها كانت الوقعة العظمى بين توقتاميش خان صاحب بلاد الدشت وبين الافرنج الجنوية اه وقال ابن الفرات ايضا وفى يوم السبت السادس عشر من جماد الاخرى من سنة ٧٩٩

جاءت الاخبار الى الابواب الشريفة بمصر المحروسة بان القان توقتاميش خان صاحب بلاد الدشت الشمالية الجالس على تخت بركة خان ببلاد القفجق جمع العساكر وقصد صاحب بلاد كفا التي على ساحل بحر القرم التي هي بيد الافرنج الجنوية ووقع بينهم وقعة وتقدم توقتاميش خان لحصارها اه اذ من من البين ان الميت فى سنة ٧٩٨ كيف يقع منه القتال فيما بعدها الا ان نقول انه حشر ونشر وقام من قبره وجرى ما جرى من امره ولذا قلنا ان الخطاء فى ذكر تاريخ الوفات وانما لم نقل بخطاء تاريخ وقعة الجنوية لان لها شاهدا وهو كلام ابن الفرات وكذلك ذكرها العينى ايضا ولكن وقع فى عبارته بدل توقتاميش خان الامير ايدكو حيث قال وفى سنة ٧٩٩ جاءت القصاد من بلاد الدشت واخبروا بانه وقع خلاف بين ايدكو الذى اخذ البلاد من توقتاميش خان صاحب بلاد الدشت الجالس على تخت بركة خان ببلاد القفجق وبين صاحب كفا مدينة على ساحل بحر قرم بيد الافرنج الجنوية وان الايدكو المذكور جمع عساكره وتقدم لحصارها اه وهذا كما ترى مخالف لما ذكره ابن حجر و ابن الفرات وله وجه بين لمن تأمل فى احوال توقتاميش خان وهو الصحيح والصواب وما سواه فسبق قلم من احد الكتاب والله سبحانه اعلم واما كون الخطاء فى الاسم فانى رأيت فى نسخة من تاريخ ابن حجر بالمدينة المنورة استنسخها واحد من تلامذته من نسخته وصححها قد ترك اسم توقتاميش خان بياضا ثم كتب فيه بقلم رفيع غير القلم الاول لفظ احمد التركى بدل توقتاميش خان الواقع فى بعض النسخ وعندى ان هذا هو الصحيح الصواب دون سائر النسخ التى وقع فيها لفظ توقتاميش خان فيكون المقتول فى العام المذكور واحد من امراء ناحية من نواحى تلك البلاد و الصواب ان توقتامش ما مات فى العام المذكور ايضا بل عاش بعده اعواما كثيرة و الدليل على ذلك مع ما تقدم ما ذكره العينى حيث قال وفى سنة ٨٠١ جاء الخبر بان توقتاميش خان صاحب بلاد الدشت وسراى التقى من بعض عسكر ابن عثمان وانه فقد من بين

العسكرين اه وما ذكره في روضة الصفا حيث قال ولما نهض الامير تيمر الى جانب ممالك مغول وخطا ونزل بانزار وكان ذلك في رجب و الشمس في برج جدى من سنة ٨٠٧ قدم اليه قراخواجه رسولا من عند توقتاميش خان وكان يتردد في البرارى والصحارى من مدة مديدة بعد مفارقته من ملكه ومضمون رسالته اظهار الندامة على ما سبق من المخالفة و المنافشة والشكاية من سوء حاله وشتات امره واشتغال باله وانه على وجه لا يقدر ان يتنفس نفسا واحدا بفراغ البال من خوف اعدائه وطلب الانجاد منه والامداد في قمع مخالفيه وقلع منازعيه و معانديه وانه ان اسعفه بمرامه وسماع كلامه يكون من اعز احبابه واخص اخدانه وامثال ذلك من الاستمالة فاكرم تيمر الرسول المذكور غاية الاكرام واحسن اليه بانواع الاحسان لكونه من قدماء ندماء توقتاميش خان ووعده بكل خير ودفع كل شر وضير وقال ارجوان استصفى دشت القفجق والوس جوجى خان من كدورات المنازعين بعد رجوعي من هذا السفر واجلس توقتاميش خان على سرير السلطنة على رغم من خان وغدر وافوض اليه مقاليد تلك البلاد واسلم الى كف كفايته ازمة من سكن بالسهل والجبــال والوهاد ثم اذن لقرا خواجه بالانصراف بعد ان اكرمه وانعم عليه بكل تلائد وطرائف وارسل معه لتوقتاميش خان ايضا من طرائف التحف وتحف الطرائف استمالة لخاطره بتلك التشاريف ولكنه ما قدر له ذلك بل توجه بعيد ذلك الى سفر الآخرة هنالك اه والحقير راقم الحروف لما اطلعت على هذه الاحوال حصل لى الجزم بان توقتاميش خان مامات في التاريخ الذى ذكره ابن حجر وزاد اشتياقى الى الوقوف على تاريخ وفاته يقينا وطالعت في طلب ذلك كثيرا من كتب التواريخ التى تذكر فيها احوالهم رجاء ان اعثر فيها على شئ يشفى الصدور وبينا انا في ميدان الطلب اجول وادور اذ وقفت في ذلك على بيان شاف وكلام كاف يشفي العليل ويروى الغليل وهوما ذكره كارا مزين حيث قال في اثناء بيان وقائع سنة ١٣٩٩ م مصادفة سنة ٨٢٠ هـ بعد ان اظهر

فرحه وسروره بمصائب التتار بفضايح تيمرلنك وبقاء الروسية سالمة من شره أن توقتاميش خان لما سمع بانقلاع تيمرلنك من تلك النواحي جمع عساكره المتشتة واتباعه المنفرقة وحيث ان التتار كانوا مقرين بخانيته دخل بلدة سراى بلا ممانع وجلس مسند الخانية بلا معارض وارسل الى حكام الاطراف والجوانب لاعلام كونه خانا اعظم على جميع مملكة باتو بالاستقلال كما في السابق لكنه لم يلبث الا قليلا حتى خرج عليه تيمر قتلغ وهجم على سراى بغتة فهرب توقتامش منها مع زوجته واثنين من اولاده وخزينته واهالى بيوت من مقربيه وتوجه الى بلدة كيف من مملكة ليتوانيا ملتجاء الى حاكمه الكيناز ويطوفت ومستمدا به على تيمر قتلغ فقبله ويطوفت المذكور بكمال الممنونية واكرم وفاده وحصل له من ذلك غاية العجب والغرور حيث ان اعظم خوانين التتار الذين ادهشوا اوروپا بل كافة العالم واشهرهم واشجعهم واشدهم شهامة يعني توقتامش خان التجاء اليه واستمد به فوعده بالامداد وارجاعه الى الخانية واضمر في قلبه من استيلاء بخار الغرور على دماغه انه يصارع تيمرلنك بواسطة توقتامش خان واتباعه سلالة باتو وجلب في تلك الاثناء بعض قبائل التتار الذين كانوا مترددين ومتحيرين في سواحل بحر اوزاق حيث شتت تيمرلنك شملهم وخرب بلادهم فاسكنهم في قرى ولاية ويلنا وهم الذين بقيت اعقابهم الى يومنا هذا هناك (يعني المسلمين في بلاد ليتوانيا وپولونيا الذين يقال لهم تتار لبقه ولكنهم نسوا اخلاق التتار وعوائدهم ولغتهم بالكلية بطول مكثهم بين الليتوانيين شاهن شر دمة قليلة بين قوم كثيرين و بقي من اسلاميتهم اسمهما ولله الحمد على ذلك) وبعد ان استقر هذا الفكر في قلبه واستولى بخار الغرور على دماغه شرع في حشد العساكر وتهيئة اسباب الحرب والضرب وبينما هو في هذا الشغل اذ اتاه سفير من طرف تيمر قتلغ خان وقال له من لسان تيمر قتلغ المشار اليه سلم الينا عدونا الذى كان وقتاما اعظم الخوانين

وصار الآن اكبر الفارين وهكذا يكون حكم الوقت المتغير دائما
فقال له ويطوفت انا اذهب الى تيمر قتلغ خان فاعطيه الجواب مشافهة
بنفسي وتوجه عقبه الى جنوب مملكة التتار مسرعا سالكا المسلك
الذي كان ولادبيرما ناماخ سلكه حين اغار على پالوتسي (يعني
القبچق وقومان) فلاقى عسكر مغول الذين كانوا تحت قيادة تيمر
قتلغ خان بالذات وراء نهري صولي وخور وليم بموضع يقال له بورصقلي
وحيث كانت المغول مائلين الى الصلح في الظاهر اظهروا الملاينة والملاطفة
لويطوفت وقال له تيمر قتلغ خان ما سبب مجيئكم هنا بالعسكر وانا لم
ادخل ارضكم بالسلاح فقال له ويطوفت ان الله اعطاني استعداد وقوة
تملك الارض كلها فاد الخراج لي وكن ولدي والا تصير عبدالي فطلب
تيمر قتلغ خان الصلح واقر بعظمة الكيناز ويطوفت ومتبوعيته حتى
انه رضي باداء مقدار من النقد في كل سنة خراجا على ما هو مثبت في
اوراقنا التاريخية ولكن لما كان فكر ويطوفت فتح الطريق الى جهة
الشرق بمحاربة التتار على ما مرزاد على الشروط المذكورة وضع التتار
طغراه اوختمه المخصوص به على سكتهم وصرح بعدم حماية توقتامش خان
بوجه من الوجوه ان هم قبلوا الشروط المذكورة فطلب حضرة الخان قتلغ
تيمر منه مهلة ثلاثة ايام حتى يتفكر ويشاور اصحابه فيه وارسل الى
ويطوفت وامرائه الهدايا وطيب خواطرهم قال كارامزين بعد هذا
وظني ان معاملة حضرة الخان مع الكيناز ويطوفت هذه المعاملة واظهاره
الملاينة انما كانت لاستفادة الفرصة وتمديد الوقت حتى يلحق به عساكره
الذين كانوا وراءه ولينضم اليه الامير ايدكو المشتهر بالعقل والدهاء
ولهذا لما جاءه ايدكو ميرزا مع عسكره انقلب فكر حضرة الخان انقلابا
كليا قال ولما لحق به الامير ايدكو ذكر له ما جرى بينه وبين الكيناز
ويطوفت فقال له الامير المشار اليه ان الموت كراما افضل من الصلح
والحياة بقبول هذه الشروط ثم استاءذن حضرة الخان ان يذهب الى

الكيناز ويطوفت بنفسه ويشافهه ولما واجهه فى ساحل بورصقلى قال له ايها الكيناز المغرور أن خاننا المدبر العاقل الاديب خاطبك بلفظ الاب تعظيمالك وتكريما لكبر سنك وانت اصغر منى سنافاللازم عليك أن تطيعنى وتضع ختمى فى سكتك وتعطينى الخراج فلما سمع الكيناز منه هذا الكلام الذى لم يخطر بباله قط انه يسمعه غضب غضبا شديدا وصاح صيحة عظيمة واعلن الحرب حالا ورتب عساكره وامر بالهجوم بلا مهلة فعبروا الى طرف آخر من نهر بورصقلى وصاحوا قائلين نغرم وندق التتار اعداء النصرانية وهجموا على فرقة التتار الذين كانوا مع الامير ايدكو وانتصروا عليهم وانكسريدالامير المشار اليه فزاد غرورويطوفت بذلك وصار اضعاف ما كان سابقا وكان عسكر الليتوانيا يعتمدون على مدافعهم كل الاعتمادو لهذا كانوا لايشكون فى غلبتهم على التتار ولكن لعدم استفادتهم من مدافعهم الفائدة المطلوبة لفقدان من يعرف استعماله حق المعرفة ولكثرة عسكر التتار وقع الامر على خلاف ظنهم وذلك انهم وان انتصروا على شرذمة من التتار الذين كانوا فى معية الامير ايدكو وكسروا احدى يديه الا ان هجوم تيمر قتلغ عليهم بغتة بمعظم عسكر التتار من طرف آخر صار سببا لانكسارهم وانهزامهم وتوليهم الادبارو غلبة التتار عليهم غلبة لايدرى حصول مثلها لجنكز خان وباتو خان على اعدائهما فانه قد هلك فى تلك المعركة فى اقل مدة من عسكر ليتوانيا ازيد من ثلثيها وفرالباقون باقبح هزيمة وقد قتل فيها اكثر من كانوا مع ويطوفت من كينازات الروسية وحكامهم فتعقبهم تيمر قتلغ خان الى نهر دينپر يعنى الى بلدة كيف فافتدى ويطوفت بلدة كيف من حضرة الخان بثلاثة الاف روبلة وافتدى الماستر بثلاثين روبلة وبعد ذلك عين حضرة الخان باصقاقا يعنى سفيرا وحصل الخراج من طرفه ببلدة كيف ثم عاد الى بلاده ثم قال قارامزين وهذه المحاربة اضعفت قوةالليتوانيا بالكلية وجعلت

بلادهم عرضة لتعرضات التتار واقامت الروسية قوة التتار فى الوقت المذكور وانتصار التتار هذا على الليتوانيا الذين هم اخوان الروس جنساو دينا وان اثرت فى الروسية تاءثرا سيئا الا انهم تسلوا عن هذا التاءثر بسلامة استقبالهم من تعرض الليتوانيا عليهم بسبب ضعفهم اه وسيجيئ نقلا عن كارامزين ان الكيناز ويطوفت اخرج توقتامش خان بعد هذه الوقعة من بلاده وهو معلوم بالبداهة فان تيمر قتلغ خان لما غلبه هذه الغلبة كيف لاياءمره باخراج توقتامش خان من بلاده وكيف يقدرويطوفت بهذه المغلوبية على مخالفته والحاصل ان توقتامش خان خرج من ليتوانيا بعد هذه الوقعة وصار يتردد فى اطراف بلاده واكتفى بملكته محاربا الامير ايدكو ومن كان من الخوانين وتحت تصرفه دائما الى ان انشبت المنية به اظفاره وقال كارامزين فى اثناء بيان حوادث سنة ١٤٠٠ م مصادفة سنة ٨٠٣ ه لما مات كيناز توير ميخايل وقع الاختلاف بين اولاده وامرائه فارسل ايوان سفيرا الى تيمر قتلغ خان يطلب الكينازية لنفسه فصادف وصول السفير الى اوردو وفاة تيمر قتلغ خان وجلوس والده شاد بك خان منه فاسعفه شادبك خان بمرامه فاباد ايوان اخوانه والامراء المعاندين واستبد بالحكومة ولم يقصر الكيناز الاعظم فى موسكوا فى اصلاح ذات بينهم بل بذل فيه غاية جهده فانه كان مستريحا وفارغ البال فى تلك الاثناء لقطعه المناسبة بينه وبين التتار بعد وقعة تيمر لنك الاخيرة وكانت الخانية بعد موت تيمر قتلغ مشتركة بين اثنين شاد بک خان وتوقتاميش خان والثالث قوبرچق خان وكانت الروسية لاتدرون لايهم يطيعون اه ولكن هذا يدل على تقدم وفات تيمر قتلغ على وفات قوبرچق والواقع خلافه الا ان نقول ان غرض كارا مزين بيان الاختلاف فى الخانية وذكر قوبرچق اتفاق او اخبار عما كان سابقا اوسبق قلم بان يريد ذكر غيره كابنه براق خان

فذكره خطاء والله اعلم وقال ان شاد بك خان وان كان يدعو حكام الروسية اليه ويطلب منهم الجزيه حسب العادة ولكن الكيناز واسيلى كان لايجيبه ولايلتفت اليه لوجود الاختلاف والاختلال فيما بين التتار وقد كان ويطوفت اخرج توقتاميش خان من بلاده بعد الوقعة السابق ذكرها فصار يتردد فى اطراف مملكته وا كفاف بربة بركة (يعنى محاربا شاد بك لارجاع ملكه) مصادفته يوما عساكر شاد بك خان فى الصحراء فهجموا عليه وقتلوه وكان ذلك فى سنة ١٤٠٥ وسنة ٨٠٨ ﻫ بقرب تومين (١) فصار شاد بك خانا مستقلا ففتح واسيلى ابواب ممالك الروسية لفرارى التتار بعد ذلك وهرب ولدا توقتاميش خان (يعنى جلال الدين وكريم بردى على ماصرح به ابن عربشاه وسيذكر) والتجأ الى الكيناز واسيلى اه فهذا صريح فى انه مامات فى التاريخ الذى ذكره ابن خلدون وابن حجر بل تأخر عنه سنين كثيرة على طبق ما ذكره المير آخوند فى روضة الصفا ثم انى وقفت على ما يحرر ويملى بماء العيون على صدور الطروس ويقال فى حقه لاعطر بعد العروس يؤيد ما ذكره كارا مزين وصاحب روضة الصفا ويطابقه حذو النقطة بالنقطة وهو ما ذكره الفاضل منجم باشى المستغنى عن التوصيف باشتهاره الفاشى حيث قال بعد ان ذكر ما جرى بين توقتاميش خان وبين تيمر لنك نحو ماتقدم ما معربه ان توقتاميش خان هرب من المعركة الى غابة هناك صعب المسلك وعسير المرور مع فل من عسكره وامتنع بها من صولة تيمر لنك ثم ارتحل تيمر من تلك الديار بعد ان اخربها بالتمام ونصب من قبله هناك خانا واما توقتاميش خان فانه تردد بعد ذلك بين القبائل مدة وهجم على بعض المحلات ولكنه لم ينتعش

---

(١) قلت ترمين اثنان احدهما التومين المشهور بقرب طوبل والثانى غير مشهور بقرب طنبوف والظاهر نظرا الى كون توقتاميش فى ليتوان المراد بتومين هو الاخير اعنى الذى بقرب طنبوف فان تلك البلاد كانت اولا من البلاد الاصلية للتتار واعبر بالاتهم والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه

ملكه ولم يتيسر له الاستقلال ومات فى اثناء تلك الاحوال سنة ٨٠٨ فى نواحى تولين وكانت مدة استقلاله ١٧ سنة وكان حكمه يجرى من نهاية المعمورة فى طرف الشمال الى سواحل القرم وكفا وكان خانا عظيم الشان وكان آل چنكز يهابونه ويخافونه اه الا انه وقع فيه اللام فى لفظ تومين بدل الميم وهو سهل ولله الحمد على ذلك وعلى جميع نعمائه والآئه قوله وكانت مدة استقلاله ١٧ سنة وذلك فان مبدأ جلوسه سنة ٧٨٠ وطروق تيمر اخيرا وهربه منه سنة ٧٩٧ وقد زال استقلاله فيها فتكون مدة استقلاله كما ذكر وقوله وكان آل چنكز يهابونه قلت ولهذا هرب منه كثير منهم الى تيمر وجلبوه اليه كما مر وكون وفاته فى التاريخ المذكور ووقوعه فيه بعينه فاة خصمه تيمر لنك من عجايب الاتفاق قال ابن خلكان ولما بلغ جرير وفاة فرزدق بكى وقال اما والله انى بقليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضداو صديق الا وتبعه صاحبه وكذلك كان اه وذلك فان جريرا مات بعده باربعين يوما او ثمانين هذا ولم نطلع على تفاصيل احوال توقتاميش خان فى تلك المدة وقد كنا وعدنا فيما سبق ان نذكر ما جرى بين توقتاميش خان وبين الامير ايدكو بعد نقلاع تيمر لنك من تلك الديار الى وقت وفاة توقاميش خان نقلا عن تاريخ ابن عربشاه فقد جاء الآن وقته فهاك نصه ولاتنس نصيبك مما قدمناه من انه خلط بين الوقعتين قال ولما انفصل تيمر بما حصل * واستقر فى مملكته بعد ما وصل * واتصل ايدكو بحاشيته * وابتهج بصاغيته وغاشيته * اخذ فى التفتيش * من امور توقتاميش * وتحفظ منه وتحرز * ولمناوآته انتصب وتجهز * اذ لم يمكنه رتق ما فتقه * ولا رفع ما خرقه * واما توقتاميش خان فبعد ان تراجع وهله * واستقر فى دماغه عقله * ورحل عدوه ** وحصل هدوه ** جمع عساكره * واستنجد قومه وناصره ** فلا زالت صروب الضراب خراب الحروب

بينه وبين أيدكو قائمة * وعيون السكون كجفون الزمان المتعامى عن صلحهما نائمة * الى ان بلغ مصافهم خمسة عشر مرة * يدأل هذا على ذاك تارة وذاك على هذا كرة * فاخذ امر قبائل الدشت فى التناقص والشتات * وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا فى الانبثاث والانبتات * لاسيما وقد تناوشها اسدان * واظل عليهما نكدان * وقد كان جلهم ذهب مع تيمر * وامسى وهو فى امره محصور * وفى حصره مأسور * فانفلتت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر * ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر * وانحازت الى الروم والروس * وذلك لحظهم المشئوم وجدهم المعكوس فصاروا بين مشركين نصارى * ومسلمين اسارى * كما فعله جبلة بنى غسان * واسم هذه الطائفة قرا بوغدان * فبواسطة هذه الاسباب آل عامر الدشت الى الخلا والخراب * والتفرق والتباب * والانقلاب والانقلاب وصارت بحيث لو سلكها احد * من غير دليل ولا رصد * فانه يهلك على الحقيقة * لاضاعته فى المجاز طريقه * فعلى كل تقدير * سلوكها مهلك عسير * وكانت القوافل اولا تخرج من خوارزم وتسير بالعجل * وهم آمنون من غير ريب ولا وجل * وتأتى الى قرم طولا ومسيرة ذلك نحو من ثلاثة اشهر * وكانت فى طريقه لاتحمل زادا ولا عليقا * ولا يصحبون معهم رفيقا * وذلك لكثرة الامم * ووفور الامن والماكل والمشرب من الحشم * فلا يصدرون الا عن قبيلة * ولا ينزلون الا عنده يكرم ضيفه ونزيله * وكانه قيل فيهم شعر:

متكنفى جنبى عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار

وهم اناس سوادج * ولهم مواش نواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * وعلو الشواهق والبوادى برؤسهم وحواشيهم * وربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما فيها فصيل واحد ولا حمل * ومثل ذلك ايضا الخيول والافراس * ما اسرج لها ظهر والجم رأس * واما الغنم والبقر * فلا يحصى عددها ولا يحصر * وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر * ايم

مشتات ومصائف * كمالهم فى انواع المبرات وظائف * لو قصد هم فقير او غريب * وطالب علم واديب * (١) جمعوا له من الغنم والبقر * والصوف والشعر * والسمن والاقط والوبر * ما يكفيه وذويه الى آخر العمر * واما اليوم فليس بتلك الا ما كن * من خوارزم الى قرم من تلك الامم والحشم متحرك ولا ساكن * وليس فيهما من انيس * الا اليعافر والا العيس * لا يهتدى فيها الخريت * ولا يقربه من الدعاميص كل عفريت * اذ كل ارضها الآن مجاهل * ومنازلها منذ اهل * ومراحلها مهامه ومناهل * انشدنى لنفسه مولانا وسيدنا الخواجه عصام الدين بن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجه عبد الملك وهو من اولاد الشيخ الجليل برهان الدين المرغنانى رحمه الله تعالى فى حاجى طرخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة ٨١٤ وفى يومنا هذا اعنى سنة ٨٤٠ انتهت اليه الرياسة فى سمرقند قوله وقد قاسى فى درب الدشت انواع النكال يعنى حين توجهه نحو المقصد شعر :

قد كنت أسمع أن الخير يوجد فى * صحرا تعزى الى سلطانها بركة
بركت ناقة ترحالى بساحتها * فما رأيتبها فى واحد بركة

يقول جامع هذه الحروف ولو كنت حاضرا فى المجلس مذكور * لقلت مجيبا لمولانا المزبور شعر :

مولاى ترجو بقاء الخير والبركة * فى كورة د ربها رجالكم سلكه
مستتبعا اثره ياجوجه وكذا * ماجوجه فبما قد عمت الهلكة

عودة الى بيان ما جريات توقتاميش خان قال فكانت الواقعة الخمسة عشر علم ايدكو فتشتت وتشرد * وتبذر وتبدد * وغرق هو ونحو

(١) قلت لم يبق الآن من هذه المكارم فى البلدان والعمران مثل بلاد قزان وقرم الا الشئ النزر اليسير واما الصحراء مثل بلاد القزاق فقد بقى الى الان اثرها على كل حال خصوصا الا ما كن القاصية من العمران لبقائهم على المكارم دون العمران وما والاها فانها بسبب مجاورتها ببلاد الكفار اللئام لم يبق اهلها على المكارم الا صلية بل سرى بينهم لؤم الكفار الا القليل النادر وكذلك بلاد اناطولى فانها كانت اولا كذلك ولم تبق الآن على ذلك وسببه المخالطة بالكفرة اللئام . منه عفى عنه

من خمسائة رجل من اخصائه فى بحر الرمل فلم يشعر به احد * واستبد توقتاميش خان بالمملكة * وصفاله دشت بركة * وكان مع هذا متشوقا لاخبار ايدكو واحواله * متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه فى رماله * ومر على ذلك نحو من نصف سنة * وانقطع اثره عن الاعين وخبره عن الالسنة وايدكو كان دعيمص تلك الاعقاص والاحقاف * وممن قطع بسير اقدامه اديم تلك النعال والاخفاف * فصار يتربص ويتبصر * ويتفكر معنى ما قلته ويتدبر * وهو شعر :

ارقب الامر وانتظر فرجا * وانتهز وقته اذا ما جا
وامزج الصبر بالحجى فيه * ورق التوت صار ديبا جا

فلما تيقن ان توقتاميش آيسه * وتحقق ان ليث المنايا افترسه * شرع يتجسس اخبار ويتبع * ويستشرف آثار * ويتطلع * الى ان تحقق من الخبر * انه فى منتزه منفرد من العسكر * فا متطى جناح الخيل * وارتدى جنوح الليل * ووصل السير بالسرى * واستبدل السهر بالكرى * فارعا الى النهضاب فروع الحباب * مقرعا من الربا اقراع الظبا * حتى وصل اليه تيمور وهولا يعلم * وانقض عليه كالقضا المبرم * فلم يفق الا والبلايا احتوشته * واسود المنايا انتوشته * وثعابين الرماح وافاعى السهام نهشته * فحاولهم قليلا وجاولهم طويلا ثم انجدل قتيلا * وكانت هذه المرة من الوقعات السادسه عشر خاتمة التلاق * وحا كمة الفراق وتفرقت اولاد توقتاميش خان فى الافاق * جلال الدين * وكريم بردى فى الروس وكبك وباقى اخوته فى سغناق * انتهى ما ذكره ابن عربشاه فيما يتعلق بهذا المحل اثبتناه بتبديل محل بالمحل وضم المناسب الى المناسب فيما قل اوجل وهذا نهاية ما وقفنا عليه من احوال توقتاميش خان عليه الرحمة والغفران بعد البحث والتنقير والتفتيش الكثير ولامنا فاة بين ما ذكره ابن عربشاه فى كيفية قتل توقتاميش خان وبين ما ذكره منجم باشى وگرامزين لانه يمكن ان يكون وفاته بالكيفية التى ذكرها ابن عربشاه فى التاريخ الذى ذكره منجم باشى على يد شخص يسمى تيمر وهذا هو الصواب لاشك فيه ولا ارتياب قال عبدالغفار افندى القريمى فى تاريخه عمدة

الاخبار ان ايدكو نصب تيمر قتلغ خانا بعد انصراف تيمرلنك وصار يتعقب توقتاميش خان وبعد ان وقعت بينهما معاربات عديدة ادرك ايدكو مرة في ساحل نهر قراطون وفي اثناء تضييقه اياه سقط فرس توقتاميش خان في جرف النهر فمات ولعل هذا هو الصواب ولكن ليس هذا في زمن تيمر قتلغ فانه مات قبل بل في زمن ولده اواخيه شادبك خان وعلى يد شخص يسمى تيمر فاشتبه الامر لاشتباه الاسماء والله اعلم قلت والمسلمون الموجودون الان في لهستان من بقايا عسكر توقتاميش خان ومن بقايا ذرية التتار الذين اقامهم هناك ويطوفت كما مر آنفا اختاروا الاقامة هناك لما كثر الهرج والمرج في مملكة جوجي خان ثم نسجت على عوائدهم والسنتهم عنا كب النسيان بمرور الدهور والازمان ومع ذلك لم يضيعوا دينهم الاسلام الا انه لم يبق فيهم العلم وغرقوا في بحر الجهالة بين الكفرة اللئام وقد استأذنوا (٢) الدولة العلية في المهاجرة الى الممالك الاسلامية في عصر السلطان محمد خان الرابع عليه الرحمة والغفران بواسطة سليم كراي خان القرمي في سنة ١٠٨٢ فارسل الخان عريضتهم الى الباب العالي ولكن بسبب شآمة سعاية بعض الوزراء على خلاف ذلك عند الصدر الاعظم بملاحظة فوت بعض منافعه الشخصية عند قبول ذلك صدر التحرير من الصدر الاعظم برد ذلك ورفضه هذا قال ابو الغازي خان في تاريخه وكان لتوقتاميش خان ثمانية بنين على هذا الترتيب جلال الدين جبار بردي كبك كريم بردي اسكندر ابو سعيد كوچك قادر بردي اه وقد صرح الجنابي نقلا عن الحافظ التاشكندي بوجود ابن لتوقتاميش خان يسمى كوجك محمد وكذلك ذكره منجم باشي ايضا وسيذكره في موضعه والظاهر بل اليقين انه هو كوجك ذكروه بجزء اسمه فلا اختلاف وربما يظن ان يكون هذا هو كوجك محمد خان المشهور كما سيذكر انشاء

---

(١) ومعنى قول ابن عربشاه حتى وصل اليه تيمر هو تيمر هذا الا انه تيمرلنك ولعل منشأ اشتباه المورخين الكبار هو هذا اعني كون قاتله تيمر بن تيمر قتلغ والله اعلم سبحانه. منه عفي عنه .

(٢) سبع سيار ص ١٨٦ . منه عفي عنه.

الله تعالى هذا هو احوال توقتاميش خان بعد انقضاء ذلك الطوفان واما احوال تلك البلاد بعده وبعد موت توقتاميش خان فاعلم ان بعد الوقعة المذكورة فقد تخبطت الامور وتفاقمت الفتن والشرور وكثر الهرج والمرج وقد تقدمت الاشارة الى ذلك فى الجملة وانى كلما اريد ان امر تفاصيل تلك الجمل ارى نفسى كمن وقع فى ارض مجهولة وقد غشيه الظلام من جميع الجهات لفقدان ذكرها فى كتب التواريخ ووجود الاختلاف شتى فيما هو مذكور فيها فى الجملة فلا جرم انى معذور فى عدم ذكرها على الترتيب منتظمة وغاية جهدى ان اطبق بين القولين المختلفين حسب الامكان وارجح احدهما على الاخر بعد وزنهما بميزان الفكر والوجدان قال ابن عربشاه بعد ذكره .ماتقدم فاستقر امر الدشت على متولى ايدكو وصار القاصى والدانى والصغير والكبير الى مراسيمه يصغو يولى السلطنة من شاء ويعزله منها اذا شاء ويأمر فلايخالفه احد ويحد فلا يجاوز فى ذلك الحد فممن والاه قتلغ تيمرخان واخوه شادى بك خان ثم فولادخان ابن قتلغ تيمرخان وفى ايامه تخبطت الامور فلم يسلم لايدكو زمامه وقال لاعزله ولا كرامه انا الكبش المطاع فانى اكون مطيعا * والثور المتبوع فكيف اصير تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق ونجم من ذوى الضغينة بخبو النفاق * وجرت شرور ومحن وحروب واحن وبينما ظلمات الفتن احتبكت ونجوم الشرور فى دياجى الدشت بين الفريقين اشتبكت اذا ببدر الدولة الجلالية من مشارق السلالة التوقتامشية بزغ متهللا وفرع من بلاد الروس مقبلا وكانت هذه القضية فى شهور سنة اربع عشرة وثمانمائة فتعاظمت الامور وتفاقمت الشرور وضعف حال ايدكو وقتل تيمر واستمر الشقاق والنفاق بين ملوك ممالك قفجق الى ان مات ايدكو غريقا جريحا واخرجوه من نهر

(١) هكذا فى النسختين من عجايب المقدور بيدى بتقديم قتلغ على تيمر وهو من تحريف النساخ بل هو تيمر قتلغ بتقديم تيمر على قتلغ فى كافة التواريخ حتى التواريخ الروسية منه عفى عنه .

سبعون بسرابچق والقوه طريحا * اه قلت لابد من تفصيل هذا المقام وشرحه حسب الامكان اما قوله فاستقر امر الدشت الخ فهو صحيح ولذلك زعم بعض المورخين انه صار ملكا قال العيني وفي سنة ٨٠٠ في بلاد الدشت التي كرسيها مدينة سراى الملك ايدكو وقد ذكرنا انه ملك البلاد حين انكسر توقتاميش خان من تيمرلنك وخلت البلاد وكان ذلك في سنة ٧٩٩ ثم قال وفي ٨٠٢ الحاكم في بلاد الدشت الملك سنة ايدكو قيل وفي نسخة بداريس هنا وصاحب قرم وسراى وبلاد الدشت الملك توقتاميش خان ولكن الامير ادكي متغلب عليه وقال وفي سنة ٨٠٣ صاحب الدشت وسراى وقريم الملك ادكي بلاده في امر مريج من اضطراب البلاد الشرقية بسلوك تيمر لنك ومشيه في البلاد وقال وفي سنة ٨٠٤ صاحب الدشت وسراى والبلاد الشمالية الملك ادكي وذكر مثله في سنة ٨٠٤ ولم يذكر ما بينهما من السنين ولا حاجة اليه لانه معلوم مما سبق وما لحق فانظر كيف جعل في تلك المدة حاكما وملكا فيهما وما ذلك الا الاستبداده بالامور وكون الحل والعقد بيده وسيجيء بعض وقائعه في اثناء بيان خوانين تلك المدة وذكر كيفية موته وتاريخه ان شاء الله تعالى واما تيمر قتلغ فالظاهر على ماذكره المرجاني ومنجم باشي وابن تيمر ملك بن ارص خان وان فهم من بيان(١) ابي الغازى خلافه وقد ذكر المرجاني ماذكره ابو الغازى حين بيان خوانين حاجي طرخان والله اعلم بالصواب وعلى كل حال فقد تقدم انه والامير ايدكو جاءوا بتيمر لنك من بلاده في النوبة الاولى

(١) وهو على قول ابي الغازى خان ابن تيمربك ابن قتلغ تيمر ابن تومغان ابن اباى بن اوز تيمور ابن توقا تيمر بن جوجي وذكر المرجاني مثل ذلك عند تعداد خوانين حاجي طرخان وقال في بيان خوانين سراى انه ابن تميرملك خان ابن وسخان بن باداقل ابن توق قل خواجه بن كونچك ابن ساريچه بن اوز تيمر بن توقا تيمر بن جوجي فجعل تيمر قتلغ اسما لشخصين وهذا وهم منه بل هو اسم شخص واحد ومنشا الاشتباه انما جاء من تيمربك فظن انه تيمر ملك بن ارصخان ثم رآى ماذكره ابو الغازى فظن انه غير فذكره كما ذكره ابو الغازى وظن انه من خوانين حاجي طرخان والله اعلم بالصواب. منه عفي عنه.

وحاربا معه توقتاميش خان اشد المحاربة وانهما خدعا تيمرلنك حين انقلاعه من بلاد الدشت حيث استأذناه ليجيئا اليه بقومهما ثم لم يأتياه بل تسلطن تيمر قتلغ وتأمر ايدكو واستمرا على ذلك فى بعض النواحى والظاهر انهما كانا فى جبال خوارزم ثم انهما اطاعا لتوقتاميش خان ظاهرا مدة خانيته فلما فارق ملكه بطروق تيمر الى تلك البلاد ثانيا ونصب تيمر من قبله قويرجق خان خانا لتلك البلاد كما مر وانقلع من تلك الديار قاما بدعوى السلطنة والامارة وصارا يحاربان قويرچق خان من جهة الى ان مات فى سنة ٨٠١ وتوقتاميش من جهة اخرى قال بعض المورخين وفى خلال اقامة تيمر ببلاد اذربيجان سنة ٧٩٩ بعد انقلاعه من بلاد الدشت قرع سمعه المنحوس خبر المحاربة الواقعة بين تيمر قتلغ وبين منصوبه قويرچق خان ففرح به فرحا كثيرا لانهما كانا غدرا به ونقضا عقده اه فهذا يدل ايضا على ان قويرچق خان قد انحرف عنه اخيرا وتخريبه مدينة سراى بعد مضى مدة من نصبه يدل على ذلك ايضا قال منجم باشى ولما انهزم توقتاميش خان (يعنى امام تيمرلنك فى النوبة الاخيرة) على الوجه المشروح نصب تيمرلنك مقامه قويرچق خان بن ارص خان خانا فى سنة ٧٩٧ وعينه حاكما على اولاد جوجى فاشتغل بتعمير البلاد وترفيه العباد حسب الامكان الى ان توفى سنة ٨٠١ اه ولم اقف على شئ من احوال قويرچق خان سوى ما ذكرنا ولهذا ادرجنا ذكره فى ذكر احوال تيمر قتلغ واما احوال تيمر قتلغ سوى ما ذكر فقد تقدم محاربته لينتوا عند ذكر احوال توقتاميش خان وطرده توقتامش خان من سراى نقلا عن كارامزين ونقل الفاضل المرجانى صورة منشور الطرخانية له اعطاها واحدا من افاضل ذلك الوقت يسمى محمد طرخان تركنا ذكرها مخافة الاطناب وتاريخها هكذا تحريرا فى سادس شعبان سنة ٨٠٠ پارس بموضع موچوران بساحل نهر اوزى اه وتقدم ايضا ارسال ايران سفيرا اليه لطلب الكينازية لنفسه توفى وانه توفى قبل

وصول السفير اليه وفى عصره حاربت الروسية اهل بلغار قزان واستولت على اطراف قزان وژوقوطين وكرما نجك كمامر فى المقصد الاول وكان ذلك عام وفاته او قبيله وكان وفاته على ما صرح به منجم باشى فى سنة ٨٠٢ ويفهم من كلام كارامزين السابق فى مادة ارسال السفير انها بعدها والله سبحانه اعلم واما شادبك خان فقد قال منجم باشى انه لما توفى تيمور قتلغ خان فى سنة ٨٠٢ جلس مكانه ولده شادبك خان اه ويفهم من كارامزين ايضا مثله ولكن ابن عربشاه جعله اخاه لا ابنه قال الحاج عبد الغفار افندى لما مات تيمور قتلغ خلف بعده ولدين وقولاد ولكن الامير ابدكو نصب اخاه شادبك خانا مكانه بوصية تيمور من تيمور قتلغ وعين ولده نور الدين ميرزا (١) حرساله فانعم الخان عليه بحكومة حاجى طرخان اه وما ذكره ومقدار ... ، ٣ ذهبا يرماقا من محصول مدينة سراى ابن عربشاه وعبد الغفار افندى اولى بالقبول والله اعلم وقال كارامزين وصار فيودر كينازا فى رزان بمنشور من شادبك خان اه ومر عنه ايضا دعوته حكام الروسية الى طاعته وطلبه الجزية منهم وامتناعهم عن ذلك وكان وفاته على ما ذكره منجم باشى سنة ٨١١ وهو مطابق لما فى مكتوب ايدكو الآتى ذكره من انه كان خانا مدة سنة ٨ ولعله توفى بعد انعزاله عن الخانية وبعد كونه مطرودا من سراى على ما سينقل عن كارامزين والله سبحانه اعلم وقد مران وفاة توقتاميش خان كانت فى عصره وعلى يد عساكره فانعل ماشئت ولابد لك ايضا من الموت واما فولاد خان فقد قال منجم باشى ولما توفى شادبك خان فى سنة ٨١١ جلس مكانه ولده فولاد خان اه وقوله ولده غلط بل ابن اخيه كمامر فتذكر قال كارامزين وفى سنة ١٤٠٧ يعنى مصادفة سنة ٨١٠ ﻫ جاء فولاد خان وطرد شادبك خان عن الخانية وجلس مكانه ولكن كان فيه اسم الخانية فقط والامر كله بيد ايدكو اه وهذا يدل على ان وفاة شادبك خان بعد

(١) وهذا يدل على ان منصب نور الدين المشهور فى اصول حوائين قرم منشاره هو هذا والله اعلم . منه عفى عنه .

انعزاله عن الخانية والله اعلم. ذكر هجوم الامير ايدكو على الروسية ومحاصرته بلدة موسقوا وفرار الكيناز واسيلى منها قال كارامزين بعد ذكره ما مر ان ايدكو كان صاحب دراية وخدعة وكان يجتهد دائما في افساد ما بين كيناز موسقوا ويطوفت والقاء العداوة واحداث المحاربة بينهما وكان يخاطب واسيلى بيا ولدى ويحرضه على حرب ليتوا وكان يفعل مثل ذلك لويطوفت كيناز ليتوا ايضا ولكن لما لم يوفق لما نواه اظهر كانه يريد محاربة ويطوفت بنفسه وارسل الى كيناز موسقوا واسيلى سفيرا يطلب منه الاعانة بالنقود ويعلن له بانه يقصد ليتوا بجيش عظيم خاص ببولاد خان فارسل واسيلى اليه للوقوف على حقيقة الحال يورى وكان ايدكو يسير الى موسكوا بعسكر ثقيل فقبض على يورى في الطريق وسار بعسكره الى موسكوا فلما سمع الكيناز واسيلى هذا الخبر تحير واندهش لانه كان غافلا عن خدعة ايدكو وقد كان له عسكر كاف للمقابلة ولكنه احجم عن مقابلته في الميدان بل رجح الفرار على القرار والتحصن بالحصون على مقابلة التتار فاخذ اهله وعياله وخواصه وهرب الى كاسترما وفوض محافظة موسكوا الى ولاديمير آندرى ويبتر وكثير من امرائه ورؤساء الروحانين فقاسى هؤلاء وسائر عساكر الروس شدايد كثيرة فى محافظة موسكوا بعد ان قرروا الامر على المحافظة والمدافعة ففى اليوم الثلاثين من تشرين الثانى وصل عساكر التتار الى قرب موسكوا وفى اليوم الاول من الكانون الاول وصل ايدكو بنفسه ومعه اربعة انفار من اولاد الخوانين وكثير من الكينازات فعسكر فى قولومنا ثم ارسل فرقة مركبة من ٣٠٠٠٠ من العساكر الى كاستروما لتعقيب الكيناز واسيلى وارسل واحدا من اولاد الخوانين يسمى پولاد (١) الى كيناز توبر ايوان بن ميخايل يأمره ان يلحق مع عساكره وادواته باورد والبتة وكانت عساكره انتشروا فى جميع انحاء ولاية موسكوا واستولوا على پيريصلاول وزاليسسكى ورسطوف وديميتروف

(١) والظاهر ان هذا غير فولاد خان وان كان ارساله ايضا غير بعيد من ايدكو. منه عفى عنه .

وسربوحف ونبژني نووغورد وغوروديج فأجروا فيها مراسم النهب والاسر والغارة ولم تركومن نفود الكنائيس والمناستر حبةللاصنام و عبادها وكائن الروس كانوا اغنا ماوالتتار ذياب جياع حيث كان واحد من التتار يقود اربعين من الروس و كان الامير ايدكو بعد اتمام حصار موسكوا منتظرا لمجيئ ايوان كيناز توير ولكنه احجم عن موافقة ايدكو في استئصال ملته بل خرج مع بعض مقربيه ثم تمارض في الطريق واشاع انه مريض وعادالى وطنه بهذه العلة المختلقة فصمم ايدكو على اخذ موسكوا باطالة مدة الحصار واجاعة اهلها بهذه الكيفية (يعني لفقد ان المدافع والآت الهدم معه) واعلن ان يشتوفي قولو منا فاشتد الحال على اهل موسكوا ولكن ايدكوكان خبيرا بان الكيناز واسيلي مشغول بجمع العساكر وبث روح الحمية والغيرة ودعوة حكام الروسية الى الاتفاق والمدافعة والتخويف من وخامة العاقبة في كاستر ماوقد عادت الفرقة التي كان سيرها لتعقيب الكيناز واسيلي بلانيل المرام و مع هذه كلها بلغه ان واحدا من اولاد جوجي (يعني ممن يعادى ايدكو و لم يطعه) ينوى الهجوم على اوردو يعني بلدة سراى فاقتضى الحال ان يعود الى اوردو للاسباب المذكورة ولكن العود بهذه الاسباب بعد ان بلغ الامر الى هذه الغاية بلانيل المرام ولو في الجملة لما كان منافيا الحمية وسببا لنسبة الخوف اليه ارسل الى اهل موسكوا ورؤسائهم يقول لهم ان قصدي ليس هوالاستيلاء على موسكوا وانما اردت تربية الكيناز واسيلي لامتناعه من اداء الجزية المعتاد من القديم اذا رمتم ان تؤدوا الجزية وتظهروا الاطاعة ارتحل عنكم من غير ايصال ضررما اليكم والى بلدكم ففرح اهل موسكوا بذلك غاية الفرح واحضروا عند ايدكو بالجزية وبهدايا كثيرة واشتروا سلامة موسكوا بثلاثة الآف روبله (وكانها(١) كانت كثيرة في ذلك الوقت) فارتحل ايدكو بعساكره عن موسكوا في ٢١ الكانون الاول ونهب في

(١) والظاهر ان قيمتها كانت وقتئذ اكثر من قيمتها الآن بكثير منه عفي عنه.

مروره ولاية رزان وحربها ولم تقدر الروسية ان تعيد مياه احوالها الى مجراها السابق بعد صدمة التتار هذه الى سنين كثيرة فانه قد فنيت فيها الرجال والاموال وبقيت البقية من غير مأوى ولاقوت مشتغلين بالبكاء والنياح على اقاربهم واموالهم والحاصل قد بلغت شدة الامر الى ان جرت الدماء من عيون الاصنام (هذا قول كارامزين نقلا عن غيره)اه

صورة مكتوب الامير ايدكو الى الكيناز واسيلى بعد الوقعة المذكورة بقليل قال كارامزين حرر ايدكو مكتوبا الى الكيناز واسيلى بعد عوده من سفر موسكوا بمدة يهدده وهذه صورته سلام من ايدكو الى واسيلى مع اولاده وامرائه ثم اعلم ان الخان الكبير قد ارسلنى عليك مع العسكر بسبب انك تعيذ اولاد توقتامش خان وتسكنهم فى فى بلادك وتحفظهم ولا تكرم سفراءنا وتجارنا وزوارنا وسواحنا فهل كانت تعامل كينازات الروسية سابقا مع الخوانين الماضين هذه المعاملة سل الشيوخ كيف كانوا يعاملون معهم كانت الروسية يطيعون لنا ويكرمون المنسوبين الينا ويؤدون الجزية فى وقتها بلاتوان وكأنه لاخبر لك من هذه المعاملة ولاتدرى ما تفعل مضى تيمر قتلغ خان وانت لم تر وجهه فضلا عن ان تكون فى خدمته ولم ترسل له احدا من امرائك ثم تسلطن بعده شادبك خان مدة سنة ٨ ولم تره ايضا ولم ترسل له احدا وقد مضى من تسلطن فولادخان سنتان والآن له ثالث سنة وانت لم تتمثل فى حضوره ولم تسلم عليه وانت اعظم كينازات الروسية ورئيسهم وكان اللازم عليك ارشادهم الى ماهو الصواب وانت تسوقهم وترشدهم الى الفساد والحاصل ان امورك وافعالك كلها غير مستحسنة وكان الواجب عليك حيث لامعرفة لك ان تتعلم الآداب من الشيوخ وان تقبل نصيحتهم فان اردت ان تسلم لك الكينازية فارسل سفيرا فلانا وفلانا وارسل الجزية التى كانت تؤدى سابقا فى عصر جانبك خان وكلما تكتبه الى الخان الاعظم بان

الاهالى مقبرة كذب فانى رأيت بعينى ما ذا تفعل بالخزينه التى تجمعهامن الاهالى لكل زوج حرث روبلة وفيما تضع تلك النقود وهذا فرارك فرار الآبق من سيده اه وكان تحرير هذا الكتاب سنةم١٤٠٩ مصادفة سنة ٨١٢ ه قال وان كان هذا المكتوب وصل الى واسيلى ولكنه لم يبال به ولم يلتفت اليه وذلك لسماعه ان فى اوردو اختلالا فيما بين التتار اه ثم ذكر كيفية الاختلال المذكور ونحن اخرناه لنذكره فى محله المناسب فلاتنسه ذكر ارسال فولاد خان والامير ايدكو سفيرا الى السلطان شاهرخ بن تيمرلنك بخراسان قال المير آخوند فى روضة الصفا لما فرغ السلطان شاهرخ من تخليص ممالك ما وراء النهر والتركستان من ايدى المتغلبين واطمئن خاطره من تلك الجهات ووزع الممالك بين اولاد تيمرلنك وافاده بان نصب كلا منهم حاكما وواليا على ناحية تناسب حاله واستعداده وفد اليه وفود الملوك الكبار ومن جملتهم رسل فولاد خان والامير البطل ايدكو وسائر حكام دشت القفچق فقدموا هداياهم التى معهم مثل السنافر (الصقور) والخيول الرهوان وسائر غرائب الوحوش وهنوه بتلك الفتوحات الجديدة واظهروا له المحبة والوداد فخلع السلطان على الكل وافاض عليهم الصلات من الخيول والنقود وغير ذلك وارسل لاجل فولاد خان والامير ايدكو تحفا شاهانية وهدايا ملوكية وارسل معهم الامير حسنكا الذى كان متصفا بفرط الكياسة وحسن التقرير و البيان رسولا من عنده الى فولاد خان بخطب مخدرة من الذرة الجنكزخانية لابنه المرزا محمد جوكى اه والظاهر من سياق كلام صاحب روضة الصفا ان ذلك كان فى اواخر سنة ٨١٢ ولم يذكر بعد ذلك قضية الزواج ولم اظفر بها فى محل آخر والظاهر انه قد حيل بين العير والنزوان بسبب تقلبات الزمان وفقدان الامن والامان والله سبحانه اعلم و هذا آخر ما وقفت عليه من احوال فولاد خان ولم اقف على تاريخ وفاته واما تيمر خان ابن تيمر قتلغ خان [illegible] منجم باشى وبعد سنتين من جلوس فولاد خان

تسلطن ابن عمه تيمر خان ابن تيمر قتلغ خان اه وقوله ابن عمه الخ مبنى على الغلط السابق منه من جعل شاد بك خان ابنا لتيمر قتلغ خان وفولاد خان ابنا لشاد بك خان وقد قلنا انه خطاء والصواب ما قلناه قال الحاج عبد الغفار افندى لما مات شاد بك خان اراد ولده (١) نور الدين المذكور ان تكون الخانية لابيه ايدكو او لنفسه ولكن اباه لم يرض بذلك بل اجلس تيمر ابن تيمر قتلغ على مسند الخانية ولم يرض نور الدين به بل نصب اخاه الصغير فولاد خان ابن تيمر قتلغ خانا (هكذا فى النسخة التى نقلت عنها والصواب عكسه يعنى كون فولاد خان اكبر من تيمر خان وكونه منصوب ايدكو لما مر من الوقايع وكون تيمر خان اصغر منه وكونه منصوب نور الدين والله اعلم وانا ابنى النقل بعد هذا على ذلك فتنبه) قال ونصب له فى رتبة امير الامراء رجلا همجا من قبيلة اويشين سمى پير محمود وجلس بنفسه اسفل منه ثم جمع العسكر وسار على ابيه للمحاربة فصار ايدكو مستقلا من هذا الوضع وتوجه الى خوارزم فامر نور الدين بنهب جميع الوطانه اى ولايته حتى خرب مسجد ابيه الذى كان مصنوعا من اللبد ومزق لبده واحرق اخشابه بالنار وكان الميرزا جهان كمال زاده يغنى خطابا لنور الدين شعر : بش دونغكوزنى كوته آلماس * پير محمودنى بى لدنك * بش بسرك تارتا آلماس * آتانك اوبن كويدردنك * يعنى امرت پير محمود الذى لا يقدر ان يرعى خمسة خنازير واحرقت بيت ابيك الذى كان لا يقدر ان يجره خمسة من الابل البختى وبسرك هو الابل البختى كذا فسره به فى حاشية النسخة المنقول عنها اه فعلم ان من خافه ايدكو من هجومه على اوردو حين محاصرته موسكوا هو تيمر خان مع ولده نور الدين وان هجومهما تأخر الى هذا الوقت وكان وقوع اصل الاختلاف فى عين ذاك الوقت وسيذكر مآل امر تيمر خان بعد ذلك واما جلال الدين ابن توقتامش خان قال منجم باشى ثم ظهر جلال الدين بن توقتاميش

(١) يعنى ان تكون الخانية لابيه ايدكو او لنفسه

خان فى سنة ٨١٤ (١) وانتزع الملك من يده يعنى من يد تيمر خان منازعه اربعة انفار من اخوته وغيرهم من سائر الامراء واضطربت حوال المملكة واختلت امور الدولة فصارت من هؤلاء محمد بن توقتامش وبراق بن قويرجق بن ارص خان ومحمد سلطان خوانين واحدا بعد واحد اه فعلم لك ان مدة سلطنته لم تطل ولم تجر له معاملة مع الروسية ولذلك لم يعرفه كارامزين كما نقف عليه وقال كارامزين عقيب ذكر مكتوب ايدكو وعدم التفات واسيلى اليه وكان سبب عدم التفاته اليه انه سمع ان فى اوردو اختلالا فيما بين التتار وذلك ان واحدا يسمى تيمر وهو غير معلوم فى التواريخ اتى اوردو وطرد منها فولاد خان وايدكو فسارا الى ساحل البحر الاسود واجلس مكان فولاد خان فى التخت جلال الدين سلطان ابن توقتاميش خان ونصبه خانا اه فظهر انه ما كان يعرف تيمر خان وذلك لقلة مدته جدا وقوله اجلس جلال الدين الخ مبنى على منه الجهالة والتاريخ الذى ذكرهذا فيه قريب من التاريخ الذى ذكره ابن عربشاه ومنجم باشى والحاصل لا خلاف فى التاريخ قال الحاج عبد الغفار افندى بعد ذكره مامر منه ان جلال الدين بن توقتاميش خان كان فى تلك الاثناء مختفيا فى بعض النواحى فلما سمع الاختلال المذكور هجم على تيمر خان ونور الدين ليلا على الغفلة مع اتباعه وخواصه الذين معه فوقعت الهزيمة عليهما فهربا الى خوارزم عند ايدكو بعد ان تخلصا من المعركة فارسل جلال الدين سراى بك البارينى والميرزا جهان باى مع مقدار من العسكر لتعقيبهما فوصلا اليهما فى جوار خوارزم بجبل يقال له قيات آرقاسى وفرقا جمعيتهما وقبضا عليهما وقتلا تيمر خان فى الحال وامسكا نور الدين ليحتالا به فى القبض على ابيه وتوجها به نحو خوارزم وكان المرزا جهان باى يغنى فى اثناء الطريق خطابا لنور الدين على سبيل الملاطفة على ما هو مسطور (٢) فى تاريخ دوست سلطان شعر : طورلق (٣) صاوغان بالاتوش * طورغه

---

(١) وهذا موافق لما مر عن ابن عربشاه فتذكر منه عفى عنه.

(٢) من كلام الحاج عبد الغفار افندى منه عفى عنه .

(٣) يعنى يامن تخلص من الشبكة .

نيچوك توشنونكسن * طورلاق (١) باشدەنى ايش‌بوق * توقتامشقه نيتدنكسن * ولما نزلوا امام باب قلعة خوارزم ورءاهم ايدكو من برج القلعة جعلوا رأس تيمرخان على رأس السنان واروه لايدكو ونادوه نحن جئنا هنا بامر جلال الدين خان وقتلنا عدونا وعدوك تيمر خان وهذا رأسه وحضرة الخان قد خيرك اما ان تسير اليه مكرما واما ان تقعد هنا ونسلم اليك ولدك ونذهب وبعد المشاورة الكثيرة واللتيا والتى قرر ايدكو على قبول مطلبهم بالضرورة ففتحوا الباب وادخلوهم فى البلد فانزل ابنه نور الدين فى منزل زوجته جانيكه خانش بنت توقتاميش خان على طريق الزفاف واضافهم بضيافة عظيمة ولكنه احتاط من المسير بنفسه الى جلال الدين خان فارسل ولده الصغير السيد احمد مع سراى بك وامسك المرزا جهان عنده فلما سمع جلال الدين تلك الماجريات من سراى بك بعد عوده اليه واخباره بها غضب غضبا شديدا ولم يخرج من بيته من شدة اسفه وغضبه الى ثلاثة ايام (يعنى لعدم ظفره بخصمه وخصم ابيه والذى صار سببا لخراب مملكته) ثم خرج فى اليوم الرابع وقتل السيد احمد بن ايدكو ضربه بالة يسمى كستن وجعل بدنه مدقوقا كحبات الخشخاش ولما سمع ايدكو هذه الوقعة المفجعة غضب على المرزا جهان ووبخه ثم اعطاه فرسا واسبابا وخلى سبيله فرجع الى جلال الدين خان واخبره بان السبب (يعنى فى عدم نيل المقصد) هو اسنى بن اسلام قيابك وخيانته فقربه جلال الدين خان اليه وطرد اسنى بك اه والصواب سراى بك كما مرا والاول اسنى بك والحاصل احد الاثنين غلط والنسخة المنقول عنها سقيمة جدا فهذه النقول المتعددة تتفق فى بعض المواد وتفترق فى بعضها اما الاتفاق ففى طرد قولاد خان وايدكو من سراى يتفق فيه قول كارا مزين والحاج عبد الغفار افندى وكذلك قتل تيمرخان يتفق فيه قول ابن عربشاه والحاج عبدالغفار افندى مع زيادة معرفة قاتله فى كلام الحاج عبد الغفار افندى واما

(١) يعنى فى الرأس المكشوف الحقير منه على عنه .

الافتراق فبين كلامي الحاج عبد الغفار افندى وكارا مزين في تعيين محل طرد ابدكو كما عرفت والصحيح فيه قول الحاج عبد الغفار افندى لما سياتى وعلى كل حال فقد قارب الامر وكاد التاريخ ان ينتظم ولله الحمد ولكن لم ير مآل امر فولاد خان في شيء من التواريخ والله سبحانه اعلم

وفات جلال الدين خان وجلوس اخيه كريم بردى خان قال كارا مزين بعد ذكره ما سبق منه في بيان حوادث سنة ١٤١١ وسنة ١٤١٢ ميلاديتين مصادفتين سنة ٨١٤ وسنة ٨١٥ مورتبين ان ويطوفت كيناز ليتوا كان في ذلك الوقت على الوداد والمصافاة مع السلطان جلال الدين خان وكذلك ايوان بن ميخايل كيناز توير مع كيناز موسكوا ولما كان واسيلى بن ديميترى كيناز موسكوا على خوف عظيم من هذه الجهة توجه الى اوردو مع جمع من امرائه بهدايا عظيمة ليستجلب خاطر حضرة الخان اليه وينال محبته ومودته ولكن كان جلال الدين مقتولا قبل وصول الكيناز واسيلى اليه قتله اخوه كريم بردى وجلس مكانه وحيث كان كريم بردى نال من الكيناز واسيلى احسانا واكراما حين كونه في الروسية عند واسيلى قبل مع ممنونية زائدة واظهر له المحبة التامة ووعده بالمسالمة والاعانة على ويطوفت ووعده الكيناز واسيلى ايضا في مقابلة ذلك باداء الجزية تماما واداها الى ان مات ولما اطلع ويطوفت على هذا الاتفاق بينهما جلب الى نفسه واحدا من اولاد الخوانين يسمى بيتصابول وجعله خانا في بلدة ويلنه ثم اعطاه عسكرا وارسله الى اوردو لمحاربة كريم بردى خان ولكن كريم بردى هزمه وفرق جمعه واسره وحز رأسه ثم قتله اخوه غريم (١) بردى واستمر هذا القتل والاستبدال فيما بينهم الى سنة ١٤١٥ يعنى مصادفة سنة ٨١٨ اه قال الحاج عبد الغفار افندى كان الخان جلال الدين جسورا وسريع الغضب وكان لا يلتفت الى اخوانه ولا يعبأ بهم اصلا فانكسر

---

(١) هكذا في الاصل المنقول منه وهو من قبيل جبق بسق دبز بيرلا معنى فان كريم بردى وغريم بيردى شخص واحد والاختلاف انما هو في اللهجة .

خاطر اخيه كبك من وضعه هذا واتفق مع آتابكه يخشي خواجه بن ركتيمور على خلعه وضمه فجمعا العسكر وهجما عليه فوقعت الهزيمة عليهما فهربا وكان اصاب الخان جلال الدين فى اثناء المحاربة سهم من ضلعه فمات من تاثيره بعد ثلاثة اشهر وكان اخوه كريم بردى حاضرا عنده فجلس على مسند الخانية **ذكر قتل كريم بردى خان واخيه جبار بردى خان وجلوس اخيهما كبك خان** قال عبد الغفار افندى بعد ذكر ماسبق وكان كريم بردى مع جبار بردى من ام واحد وهو اصغر من جبار بردى فلما حضر اخوه الكبير جبار بردى فرغ من السلطنة وفوضها الى اخيه جبار بردى وفى ذات يوم ظهر من كريم بردى فى مجلس العشرة اظهار المنة على اخيه فى تفويض الخانية اليه فآل الامر الى المشاجرة والمقاتلة فقتل كريم بردى اخاه جبار بردى بالخنجر فقتل هو ايضا فى المجلس المذكور اوفى الصحراء بعد فراره منه فجلس مكانه اخوهما كبك خان ه قال الفاضل المرجانى ان جلال الدين خان جلس على مسند الخانية سنة وشهرين ثم تملك بعده اخوه كريم بردى فخرج عليه اخوه جبار بردى بعد مضى خمسة اشهر من تملكه وقتله ثم اخوه جبار بردى ثم اخوه كبك خان وكان فى حدود سنة ٨٢٧ فى ممالك الروس اه والعهدة فى ذلك عليه **ذكر ظهور الامير ايدكو ثانيا وقتل كبك خان وغير ذلك من الوقائع** قد تقدم انه بعد انهزامه من تيمور خان ذهب مع فولاد خان الى ساحل البحر الاسود على قول كارامزين والى خوارزم على قول الحاج عبد الغفار افندى وتقدم ايضا توجه ولده نور الدين اليه وسائر ماجرياته ولكن خوارزم لما استولى عليه تيمرلنك متى خرج من يد اولاده ودخل (١) فى يد اولاد جوجى والظاهر ان ذلك كان فى الفترة التى بعد موت تيمرلنك قال فى روضة الصفا وفى سنة ٨١٥ توجه الامراء الكبار بامر السلطان شاهرخ فى نحو خوارزم فترك ولد الامير ايدكو

---

(١) ولعل الامير ايدكو استولى عليه فى ذلك السفر والله سبحانه اعلم منه عفى عنه.

البلد وذهب فانضمت هذه الممالك ايضا الى الممالك المحروسة اه فهذا يدل على ما قلنا ويدل ايضا على ضعف حال ايدكو فانه لولاه لما ترك ولده البلد بلا مقاومة والظاهر ان ولده هذا غير ولده نور الدين فانه كان له اولاد كثيرة ولكن سياق ما سبق يقتضى كون ايدكو بعد السنة المذكورة فى خوارزم الا ان نقول انه كان فى بعض بلادها القريب من مملكة جوجى غيرما استولى عليه الشاعر خيون والله اعلم ويؤيده ما ذكره الحاج عبد الغفار افندى ايضا حيث قال ثم ان ايدكو نصب (١) چكره اوغلان من نسل شيبان خانا فى التركستان ثم هجم بعسكره على كبك خان وكان يشتو فى مصب نهر بوزان (لعله يايق) فى البحر فقتلوه ثم ان ايدكو انكسر خاطره من چكره اوغلان فطرده الى وطنه ونصب مكانه السيد احمد اوغلان من اولاد ميسر (لعله يسور الذى تقدم ذكره فى ترجمة منكو تيمر) وتعقب بنفسه چكره اوغلان ولكنه لم يلحق به فعاد وقد مات السيد احمد اوغلان قبل عوده وكذلك مات چكره اوغلان فى التركستان فنصب واحدا من اولاد ميسر خانا يسمى درويش اوغلان وفى عقله خفة اه قلت وفى خلال هذه السنين حجت زوجة ايدكو قال الحافظ العسقلانى والمقريزى وفى سنة ٨١٩ قدمت دمشق الخاتون زوجة الامير ايدكو صاحب الدشت تريد الحج فى صحبتها ثلاثمائة فارس فحجوا صحبة المحمل الشامى اه ذكر خروج قادر بردى خان وقتله وقتل الامير ايدكو قال الحاج عبد الغفار افندى كان قادر بردى بن توقتاميش خان من ام واحد مع جبار بردى وكريم بردى وفى اثناء قتل اخوته هرب الى قرم او دخل فى قبارطاى وكان معه كثير من الامراء من قبائل شيرين وبارين وآرغون وقفچق وعساكر ايضا

---

(١) وقد جعل المرجانى درويش خان ابنا لبراق خان وچكره اوغلان ابنا لدرويش اوغلان وقال ان له دراهم مضروبة فى بلغار والوغ اوردو وحاجى طرخان اه وسيجيء ذكر براق خان ويظهر هنالك خطاء هذا الكلام منه عفى عنه

وبينما هو جالس فى غرفته ذات يوم ناظرا الى الاطراف والجوانب اذرأى ان كلبا واحدا تهجم عليه كلاب كثيرة وهولا بطيعها فتخضعت منهامها جمها اليها دون طاعة لها فلما شاهد هذا الحال تحرك عرق غيرته ودم حميته وقال انا ادون من هذا الكلب اومطلبى احقر من مطلبه فلما ذا اختار السكوت عن طلب حقى من اعدائى المتغلبين فركب فى الحال مع ثلاثة الآف من اتباعه وقصد ايدكو وكان ايدكو فى طرف آخر من ايدل ولم يتم انجماد ايدل بحيث يصلح للمرور فاستنسب الامراء الاقامة بساحل ايدل الى ان يتم انجماده فقال لهم قادر بردى ايدل طونكسه كيم كچمس ايدكو اولسه كيم آلماس ايدلى طونكماسدن بورون كچمك كرك ايدكونى اولمسدن بورون آلمق كرك يعنى من الذى لا يعبر اذا انجمد الايدل ومن الذى لا يأخذ اذا مات ايدكو ينبغى ان يعبر الايدل قبل انجماده وان يأخذ ايدكو قبل موته فعبروا الايدل بمشقات كثيرة وساروا نحو ايدكو وكان ايدكو خبيرا بهذه القضية فسار هو ايضا نحوهم بستين الفاً من العسكر وارسل ولده الكبير كيقباد فى مقدمته فعاد منهزما فقال له ايدكو باعلى صوته هاى نغاشيسى يمان نرسه نى قيلدك يعنى يامن ردى الخال ماذا فعلت فان امه كانت بنت امير عديم الحمية فهجم قادر بردى خان فى تلك الاثناء ورمى ايدكو بسهم وضربه ايدكو ايضا بسيف وقتله وسقط هو ايضا فى مكانه ونكس حيدر بك القونكراتى الذى كان مع قادر بردى لواء ايدكو وخرج هو يعنى حيدر بك وتكنه بك رتيمور الشرينى وغيرهم من امراء الخان من تلك المعركة سالمين وكان محمد اوغلان بن ايچكلى حسن بن جفاى اخى توقتاميش خان حاضر اهناك فنصبوه خانا لانفسهم بالضرورة لئلا ينشتت جمعيتهم وان كان غياث الدين بن توقتاميش خان حيا فى ذلك الوقت ولكنه لم يكن حاضرا بل كان غائبا وهو المشهور فى التواريخ بالوغ محمد خان واما ايدكو فقد انهزم عسكره وتركوا ايدكو مع واحد فى ساحل غدير هنالك بقصد ان يهلكوه ليلا فاطلع على ذلك جانتيمر مركان وكان سابقا من

خواص توقتامش خان ثم لحق بايدكو ضرورة فاخبر محمد خان وامراءه بذلك فجاؤا معه المحل المذكور فلما اطلع ايدكو على ذلك دخل فى وسط الغدير وصار يشتم جانتيمر المذكور ويهدده فلم يصغ اليه جان تيمر بل رماه بسهم يسمى قرا سويرى بامر محمد خان ثم دخلوا فى الغدير وامسكوه وحملوه الى محمد خان وامرائه فاستمهلهم ان يصلى ركعتين فامهلوه فلما اتم الصلاة طووا صحيفة عمره سامحه الله تعالى وهذا تفصيل ما اجمله ابن عربشاه فى عباراته السابقة الشائقة الا ان قوله فاخرجوه من سيحون غلط من قلم النساخ بل فى عبارته ما ينافيه حيث قال بسرايجق وسرايجق هو بلد بساحل نهر يايق موجود الى الآن بل صوابه من يايق او من غدير بساحل يايق والله سبحانه اعلم وهذا ايضا نشر ما طواه العلامة بدر الدين العينى رحمه الله تعالى حيث قال فى بيان حوادث سنة ٨٢٢ توفى فيها الامير ايدكى بكسر الكاف وفتحها مات فى هذه السنة قتيلا وكان اصل نضبته انه لما استولى على العباد بعد انهزام توقتامش خان كما ذكرنا فى سنة ٧٩٧ كان عنده شخص يسمى درويش خان (١) فجعله ايدكو فى صورة الخان ولكن الحكم والامر والنهى له وليس للدرويش خان غير الاسم وكان لتوقتامش خان ابن يقال له قادر بردى وكان دائما تحارب ايدكو لاجل المملكة ففى هذه السنة اعنى سنة ٨٢٢ مشى قادر بردى على ايدكى ايضا فتلاقيا ووقع بينهما قتال عظيم وحرب شديد وقتل من الفريقين خلق كثير فقتل قادربردى فى المعركة وانهزم اصحابه وجرح ايدكى ايضا جراحات كثيرة وانهزمت عسكره ايضا وهرب ايدكى ظنا منه ان قادر بردى قد انتصر واتى موضعا وهو مشحون بالجراحات فنزل هناك وقال لواحد ممن معه قم واكشف الخبر فان وجدت احدا من عسكرنا فاعلمه الى هنا فذهب يكشف الخبر فاذا (١) بامير من ا ا التتار وكان من جهة توقتامش خان وكان كبيرا عنده

---

(١) قلت قد تبين ان العينى لم يكن له خبر بما مر من الوقايع منه عفى عنه

(١) قوله بامير الخ ان كان المخبر غير جانتيمر المذكور فى كلام عبد الغفار انتهى فهذا الامير هو جانتيمر المذكور وان كان المخبر هو جانتيمر فالمراد من الامير هو محمد خان او امير من امرائه والله اعلم منه عفى عنه

فاخبر ذلك الرجل بامر ايدكى فقال واين هو فدل عليه فجاءه فلما راه ايدكى شرع يعنفه ويتهدده فقال له كان اليوم لنا وفعلنا ما فعلنا فمهما يجيء من يدك فافعل ثم امر لمن معه من اصحابه ان ينزلوا عليه بالسيوف فقطعوه قطعا قطعا ولما جرى ما جرى استولى على مملكة الدشت شخص من ذريـة چنكز خان يقال له محمد خان ولكن الفتنة قائمة والامور مضطربة اهو قال الجنابي والذى افاد الحافظ التاشكندى ان قادر بردى بن توقتامش خان جمع جمعا عظيما فسار على ايدكو فلما التقى الجمعان اصاب قادر بردى سهم غرب فمات فاقام اهل الدولة واحدا من اولاد توقتاميش خان مكانه يسمى(١) بكوچك محمد خان وكان صبيا لئلا ينتقض عقد نظامهم فقاتلوا ايدكو وانتصروا عليه اه فكاد النقلان ينطبقان ويؤيد الثانى ما ذكره فى السبع السيار من ان قتل ايدكو المنغتى رئيس القبيلة النوغائيـة من قبائل التتار واعدام ذاك الخائن منبع الشر والاضرار(٢) كان فى زمن محمد خان وذكر فى ذلك حكاية تركنا ذكرها مخافة الاطناب ولكونه بعيدا عن صوب الصواب وقال بعض المؤرخين فى سنة ٨٢٢ مات الامير بالدشت ايدكى وكان اليه تدبير مملكة سراى ودشت قفچق والسلاطين معه اسم بلا مسمى ولهذا وهم عدة من المؤرخين وسماه صاحب الدشت وعده سلطانا مع انه كان الامير الثانى فانه كان معه امير آخر يقال له تكنا اوچكما فان اكابر الامراء هناك امير الميمنة ثم امير الميسرة وامرة الميمنة كانت رتبة تكنا وامرة الميسرة رتبة ايدكى لكن الشهرة والتدبير كانت لايدكى وله اخبار تطول كنت اجتمعت بانسان رآه وعرف احواله وصحبه مدة سنين فكان يذكر لى عنه غرايب وعجايب فى شجاعته ورياسته وعظمته وفراسته اه قلت كانه اراد بذلك الانسان الذى رآه ابن عربشاه فانه رآه وصحبه وذكره فى عجايب المقدور كما مر بعضه ومدحه واثنى عليه حيث قال بعد ان ذكر ما مر وله حكايات عجيبة * واخبار ونوادر

---

(١) وهذا هو وجه تسميته بكوچك محمد خان ولهذا جزمنا فيما سيأتى ان كوچك محمد خان بن ايچكلى حسن وسيأتى ما له وما عليه منه عفى عنه

(٢) فانه قال فيها ان محمد خان وعد من قتله بتزويج بنته منه الخ وهذا صبى كيف يكون له بنت تزوج منه عفى عنه

غريبة * وسهام ذراه في أعدائه مصيبة * وافكار مكائد * و واقعات مصائد * وله في اصول فقه السياسة نفود وردود * البحث فيها يخرج عن محصول المقصود * وكان اسمر شديد السمرة ربعة * مستمسك البدن شجاعا مهابا ذا رفعة * جوادا حسن الابتسامة * دارأى مصيب وشهامة * محبا للعلماء والفضلاء * مقربا للصلحاء والفقراء * يداعبهم بالطف عبارة * والطرف اشارة * وكان بالنهار صواما * وبالليل قواما * متعلقا باذيال الشريعة * قد جعل الكتاب والسنة واقوال العلماء بينه وبين الله تعالى ذريعة * له نحو من عشرين ولدا كل منهم ملك مطاع * وله ولايات على حدة وجنود واتباع * وكان في جماعات الدشت اماما * نحوا من عشرين عاما * وايامه في جبين الدهر غره * ولياليه دولته على وجه العصر طره * اه قلت لو مس من العلا بيا فوخه عنان السماء * وعد من كثرة صيامه وصلاته وصدقاته وصلاته في عداد كبار الاولياء * لا يستحق المدح والاطراء * كيف فانه هو الذى صار سببا لخراب تلك الديار * بجلب تيمرلنك رئيس الاشرار الى تلك الاقطار * وسل السيف على وجه متبوعه المفخم بغير وجه مشروع واحل قومه دار البوار * حتى بقي اثر تلك الشآمه الى هذه الادوار * والحاصل من عرى عن الغيرة الدينية * وتجرد عن الحمية الوطنية * وقدم منافعه الشخصية * وفوت لتحصيلها المنافع الكلية الملية * لا يستحق المدح بالكلية * كائنا من كان من الافراد البشرية * ونعم ما فعله الامير چوپان حين انهزم امام السلطان ابي سعيد خان اراد ان يتوجه الى طرف مغولستان وان يلتجىء بالقاآن ويستنجده على خصمه السلطان ابي سعيد خان ثم رجع عن هذا الفكر الوبيل وقال في نفسه أن في ذلك احد المحذورين لانه اما ينجد اولا فان كان الثاني يلزم الاغتراب الى يوم الحساب وان كان الاول يلزم اهلاك قومي بجلب الاجانب الى بلادهم فيبقى شناعة هذا الامر في عقبي الى يوم القيمة فالتزم الموت كريما وتوجه الى هراة فتم له هناك ما تم ولكن بقي له الاسم الحسن والمدح الاتم هكذا ينبغي ان يكون لمن يدعي الانسانية والله سبحانه الموفق وقد تقدم ان اصله من قبيلة منغت قال

ابو الغازى والسيد محمدرضا (١) فى السبع السيار فنذكره ذكر الوغ محمد خان قدتقدم نقلا عن تاريخ منجم باشى ذكر محمد بن توقتاميش وذكر محمدسلطان ومر ايضا ذكر كوچك محمد من اولادتوقتاميش خان نقلا عن الجنابى ومر ذكر محمدخان مطلقا نقلا عن العينى والسبع السيار والمشهور ممن سمى بمحمدخان من بين خوانين البلاد الشمالية اثنان الوغ محمد خان وكوچك محمد خان ولا شك ان الذين دكرهما منجم باشى هما هذان ولكنهما ابنا من هما ومن ابوهما وقد جعل الفاضل المرجانى كليهما ابنى تيمر خان واستدل به على دراية تيمر خان ونجابته حيث سمى كلا ولديه محمدا واعتقادى لاظنى فقط انه وهم منه وسبق قلم لانه لم ينقل عن احد ممن تصدى لبيان احوال تلك البلاد بل ثبت عنهم ما يدل على خلافه كما مر عن الحاج عبد الغفار افندى من ان الذى نصبوه خانا فى وقعة قادر بردى والامير ايدكو هو محمد خان ابن ابچكلى حسن وكما مر ايضا عن الجنابى نقلا عن الحافظ التاشكندى من ان المنصوب فى الوقعة المذكورة خانا هو محمد خان من اولاد توقتاميش خان وكذلك يفهم من كلام صاحب السيار فى مواضع عديدة من تاريخه المذكور ان محمد خان الذى هو جد خوانين قرم من اولاد توقتامش خان وقد صرح فى اول تاريخه المذكور عند بيان نسب خوانين قرم وفقا لما ذكره ابو الغازى خان بكونهم من اولاد محمد خان ابن ابچكلى حسن حيث قال منكلى گراى خان ابن حاجى كراى خان ابن غياث الدين بن تاشتيمر بن

(١) وجعله الفاضل المرجانى من قبيلة قونكرات والحاج عبدالغفار افندى جعله من ذرية ابى بكر الصديق رضى الله عنه وجعل احد اجداده الشيخ يحيى الحلوتى واباه الشيخ نجيب الدين بابا توكلاس وقبره فى شرقى حاجى طرخان مشهور يزار وقد تصدى فى بعض المجامع لبيان سلسلة نسبه الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وذلك من الخرافات ولامنافاة بين كونه منفتيا اوقونكراتيا وبين كونه رئيس الطائفة النوغائية على قول صاحب السبع السيار فانه يكون من احدى تينك القبيلتين ورئيسا لطائفة نوغاى والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

محمد خان ابن ايچكلى حسن بن جاناى ابن تولكتيمور ابن كونجه بن روكتيمور بن توقايتيمور بن جوجى خان ابن چنكز خان الخ الاانه سقط هنا عن نسخ السبع السيار قالطبعة مطبوعة اوقلمية ذكر محمد خان ووالده ايچكلى حسن وكذلك سقط ذكر هما عن نسخ كلبن خانان ايضا لكونها ماخوذة عنها والدليل على سقوطهما عنهماادعاؤنا كون خوانين قرم من ذرية محمد خان وكون ذلك مسلما عند الكل وكونهما مذكورين فى تاريخ ابى الغازى كما ذكرنا هنا عند ذكره نسب خوانين قرم فلو (١) لم يكن محمد خان فى عمود النسب كيف يكون خوانين قرم من اربته الا انهما اعنى صاحب السيار وكلبن خانان اخطأا فى جعله محمد الوغ محمد خانا لما سنذكره وقد وقع ذكر محمد خان هكذا فى ديوان الانشاء للمحبى حيث قال كتب فى عهد السلطان بر سباى (٢) الى قان الدشت محمد خان ابن الحسن ابن اخى توقتامش خان هكذا المقام العالى السلطانى الكبيرى الملكى الاعدلى الشمسى شمس الدنيا والدين مؤيد الغزات والمجاهدين قاتل الكفرة والملحدين والمشركين ولى امير المؤمنين الخ وهذه المذكورات نصوص هؤلاء المؤرخين صريحة فى ان محمد خان هو ابن ايچكلى اومن اولاد توقتامش خان فباى دليل نرفض هذه النصوص ونقول ان كلا محمد خان ابنى تيمر خان مع عدم ذكر واحد منهم محمد خان ابن تيمر خان سوى الحاج عبد الغفار افندى نعم وقع فى مواضع كثيرة من تاريخ منجم باشى ان محمد سلطان ابن (٣)

(١) هذا دليل على وجود محمدخان فى عمود النسب واما الدليل على كونه ولد ايچكلى حسن فذكر ابى الغازى اياه فى نسبهم كما عرفت وغير ذلك مما سنذكر بعد منه عفى عنه .

(٢) كان اول تملك الملك الاشرف برسباى فى سنة وبقى ملكا الى سنة ومات فيها حتى انه فتكون هذه المكاتبة فيما بينهما منه عفى عنه .

(٣) فهذا يدل على ان محمد سلطان فى كلامه هو ابن تيمر خان وقد صرح بكون [illegible] منه عفى عنه .

تيمر خان الخ لكن بهذا القدر لايثبت كون كليها ابنى تيمر خان فانه صرح فى اول كلامه بكون والد محمد خان الثانى توقتاميش خان وفقا لماذكره الجنابي واخذاعنه فيجب ان نجعله ابنالايچكلى حسن وفقا لماذكره هولاء المورخون على ان الفاضل المرجانى قدذكرنسب خوانين قرم كما ذكرنا هنا وفقا لما ذكره ابو الغازى وغالب الظن انه اخذذلك عن تاريخه اوعن السبع السيار فيكون ذكر محمدخان ووالده ايچكلى حسن مذكورا فى نسخته فهواذا قد صرح بنفسه بكون احد المحمدين المذكورين ابنا لايچكلى حسن وفقا لغيره من حيث لايشعر * لايقال لعل محمد خان هذا اعنى جد خوانين قرم غير ذينك المحمدين لانه يلزم على هذا ان يكون ثلاثة خوانين فى عصر واحد يسمى كلا منهم محمدا وهذا لم يقل به احد من المورخين فيلزم خرق اجماعهم ومخالفتهم بلاد ليل نعم قد وقع فى تاريخ ابى الغازى ذكر محمد خان ابن تيمر سلطان ابن تيمر قوتلق بن تيمربك بن قتلغ تيمر بن تومغان بن آباى ابن اوزتيمر بن تو قايتيمور بن جوجى عند بيان نسب بعض ملوك اوزبك ببخارى وقد نقل الفاضل المرجانى ذلك عند بيانه نسب ذلك البعض من ملوك اوزبك ببخارى وعند بيانه خوانين حاجى طرخان مع بعض التغيير بالزيادة والتقديم والتاخير فهذا وان دل على وجود محمدخان ثالث فى ذلك العصر فى بادى لانه ليس احد المحمدين المذكورين فان نسب محمدخان بن تيمر خان الذى نحن بصدد بيانه الآن يتصل بتوقايتمر بواسطة ارصخان كما مر وهذا ليس كذلك كماترى وعدم كونه محمدخان ابن ايچكلى حسن بديهى الا انه لايدل عليه فى الحقيقة بل هو مبنى على الاختلاف (١) فى نسب تيمر ملك الذى هو جد الوغ محمدخان بانه ابن ارصخان اوابن قتلغ تيمر بن تومغان

(١) فان المفهوم من بيان ابي الغازى ان تيمرخان واجداده الذين مر ذكرهم سابقاليسوا من اولاد ارصخان بل نسبهم كمانقلناه عنه ههنا ونكره غالف لماذكرهغيره من المورخين . [illegible] .

بن آباى الخ فلا يثبت مدعى الفاضل المرجانى من كون كلا المحمدين ابنى تيمرخان المذكور فثبت انهما ليسا اخوين وظنى ان العامل للفاضل المرجانى على ما ارتكبه هو قول كارامزين حيث قال على ماسيأتى عنه أن الوغ محمدخان طرده اخاه كچيم الخ ولكنه لم يذكر هنا ان كچيم هذا اسمه محمدوقدذكر فى موضع آخر قبله ان اسمه احمد حيث قال فى خلال بيان حادثة من الحوادث وفى الوقت عينه خالف الوغ محمدخان ونازعه خان آخر من خوانين مغل يسمى كچيم احمد الخ وسيذكر ذلك بعد فقوله هذا يمكن ان يكون صحيحا فان الفاضل المرجانى ذكرهو نفسه كچى احمدخان بعد ذكر كچى محمدخان وذكر الحاج عبدالغفار افندى احمدخان عند تعداده اولادكچك محمدخان فيكون على هذا قول المرجانى ان الوغ محمد خان طرده اخوه كچى محمدخان من سراى الخ غلطا ويمكن ان يكون. قول كارامزين غلطا بان يكون الطارد لالوغ محمدخان من سراى هوكچى محمدخان وذلك فان كچى محمد وكچيم احمد لافرق بينهما فى تلفظ الروس فانهم يفتحون الميم الاولى من محمد ويكسرون الثانية بعد التخفيف وميم احمد ايضا فبذلك يتحدان فى التلفظ (١) اتحادا كليا بحيث لايبقى بينهما فرق اصلا ولاشك ان الروس انما اخذوا من التلفظ لامن الكتابة فيصح حينئذ قول الفاضل المرجانى من ان الطارد لالوغ محمد من قزان هوكچى محمدوقدقال كارامزين انه اخوه فتبعه المرجانى فى ذلك وجعله اخاه ولكن لاحجة له فى ذلك ولا يعتمد عليه من جميع الوجوه لانه يجوزان يخطأ كارامزين ويغلط فى جعله اخالالوغ محمدايضا لكونه مخالفالقول غيره من المورخين كما عرفت وعلى تقدير صحة قوله يجوزان يكون اخاه لامه بل هو المتعين

(١) وفرق ما بينهما فى الكتابة هذه العلامة ٮ الدالةعلى السكون بعد الميم الاول من محمد خان هذا الميم لاشك فى كونه ميم محمد فان كچيم لفظ مهمل لا معنى له والصواب كچى فظن الروس ان الميم الاول ملحق بآخره وزادوا عليه علامة السكون منه عفى عنه.

ليوافق قوله قول غيره من عدم كون والدهما شخصا واحدا وكذلك ماذكره الجنابي نقلا عن الحافظ التاشكندى وما ذكره منجم باشي تبعا له من كون كچك محمدخان من اولاد توقتامش خان ينبغى حمله على المسامحة اوعلى الاشتباه بناء (١) على كون ايچكلى حسن من اقرباء توقتامش خان فيكون المعنى من اولاد اعمام توقتامش خان كمامر عن المحبى من انه اعنى محمد خان ابن الحسن ابى اخى توقتامش خان فحج بزول الخلاف ويحصل تمام الوفاق على كون احدهما ولدتيمرخان والثانى ولد ايچكلى حسن فليكن الامر كذلك ونحن نختار ذلك بحسب غلبة الظن القوى لا على اليقين ولكن بقى الكلام فى ان ايامنهما الوغ محمدخان وايامنهما كچك محمدخان فان اعتمدنا على كثرة النقول وجلالة شان القائل من غير تحقيق كماهو شان المقلد الجامد الراضى على نفسه بالوقوف فى حضيض الا نحطاط استعطا ما لمخالفة غيره مع ظهور الحق فى طرف الخلاف لانتوقف فى كون محمد خان ابن ايچكلى حسن هو الوغ محمدخان فانه وقع فى مواضع كثيرة من السبع السيار وكلبن خانان جعل الوغ محمد خان جد خوانين قرم مع مامر عنهما من جعل جد خوانين قرم محمد خان ابن ايچكلى حسن (٢) وكذلك وقع التصريح من الحاج عبد الغفار افندى بان الوغ محمد ابن ايچكلى حسن هو المشهور فى التواريخ بالوغ محمدخان ولكن لدى التحقيق يظهر خلافه اعنى كون الوغ محمدخان ابنا لتميرخان وكچك محمد ابنا لايچكلى حسن لانه يلزم على قولهم كذب الحكمين معا اعنى كون جد خوانين قرم الوغ محمدخان وكون جدهم محمدخان ابن ايچكلى حسن لانا نعلم بالضرورة ان الوغ محمدخان

---

(١) والاظهر ان هذا الوهم منشاؤه كون واحد من اولاد توقتاميش خان مسمى بكوچك توهموا كچك محمد خان هذا الولد المسمى بكوچك لكونه اخا لقادربردى الذى قتل فى تلك المعركة كما قد مر وهذا احتمال قريب مناسب جدا والله سبحانه اعلم منه عفى عنه .

(٢) فيلزم على هذا كون الوغ محمد خان ابنا لا يچكلى حسن منه عفى عنه.

هو الذى انتقل من سراى الى قزان واسس هناك دولة مستقلة وبقى اعقابه هناك الى مدة مديدة كما سيجيء تفصيله بعد انشاء الله ونعلم ايضا باليقين ان خوانين قرم لم ينتقلوا الى قرم من قزان بل انتقلوا اليها من سراى فبطل حكمهم بان الوغ محمد خان جد خوانين قرم ثم ان جعلنا الوغ محمد خان ابنا لايچكلى حسن بطل بالضرورة جعلهم جد خوانين قرم محمد خان ابنا لايچكلى حسن فبطل قولاهم كلاهما واما اذا جعلنا الوغ محمد خان ابنا لتمير خان لا يبطل الا احد قوليهم اعنى جعلهم جد خوانين قرم الوغ محمد خان ويبقى قولهم الثانى اعنى جعلهم جد خوانين قرم ابنا لايچكلى حسن صحيحا سالما لانه على هذا التقدير يكون جدهم محمد خان الصغير ابن ايچكلى حسن فلا محذور وهذا اولى من ابطال قوليهم جميعا مع ان لا شواهد من غيرهم وهو ما ذكره منجم باشى من ان محمد سلطان ابن تيمر خان غزا بلاد الروس واخذ منهم ولا ديمير الخ فان الذى غزا بلاد الروس واخذ منهم ولاديمير هو الوغ محمد خان بعد تاسيسه دولة قزان كما سيجيء فى محله ان شاء الله مع انه جعله ابن تيمر خان وكذلك ذكره الجنابى وان لم يذكروا كونه ابن تيمر خان ولكنه يلزم ذلك على قوله بناء على بيان منجم باشى الا ان منجم باشى تدزل قلمه فى جعله جد خوانين قرم محمد سلطان ابن تيمر خان ولكن هذا لا يصادم ما حققناه فانه استظهار منه فقط لا انه نقل ذلك عن المورخين فانه قال عند (١) شروعه فى بيان خوانين قرم اختلف المورخون فى جد خوانين قرم بعد اتفاقهم على كونهم من ذرية چنكزخان انه من

(١) وقد ذكر منجم باشى ذلك فى مواضع من تاريخه و هاك تعريب ما نصه فى موضع منه حرفيا قال ان المستفاد من كلام الغفارى ان اول من اتخذ قرم دار الملك محمد سلطان ابن تيمر سلطان ابن تيمر قتلغ الخ تسلطن فى سنة ٨٣٠ بعد قتله براق خان وعمر بغچه سراى واقام بها وغزا بلاد الروس مرارا واستصفى ممالكه واشتهرت صيته وفرق مقابه الى ان مات فالظاهر انه جد خوانين قرم وابو حاجى كراى خان وقد ذكر فى بعض التواريخ ان حاجى گراى بن كچك محمد خان ابن توقتامش والغلط فيه انما هو فى نسبته الى توقتاميش اه قلت الغلط فى نسبته الى توقتامش والى تيمر خان بل هو ابن ايچكلى حسن ابن اخى توقتامش فزال الاختلاف واتفق النقول ولله الحمد منه عفى عنه

اولاد توقتامش خان اومن اولاد تيمرخان بن تيمر قتلغ الغ وعندى
انهم من ذرية محمد سلطان ابن تيمرخان الغ وهذا وهم منه نشاء من شهرة
محمد خان ابن تيمرخان بالشجاعة والشهامة وشهرة خوانين قرم ايضا
ازيد من غيرهم عند العثمانيين فوهم ان هذا البطل الشهم القرم
موجد خوانين قرم والحق فى ذلك ماذكره الجنابى حيث قال بعد ان
ذكرما مرعنه نقلا عن الحافظ التاشكندى وكوچک محمد
هذا ابو الخوانين بارض القرم ولكن اهل الدشت لم يقولوا بذلك بل
يقولون ملك بعد توقتامش الكبير توقتامش الصغير ثم ملك الوغ
محمد خان ثم كوك محمد خان وهو الذى عينه التاشكندى خانا فى وقعة
ايدكو اه ونفيه بقوله ام يقولوا بذلك متوجه الى الترتيب الذى ذكره
سابقا مخالفا للترتيب الذى ذكره هنا نقلا عنهم كما يدل عليه الاضراب
لا الى جعل كوك محمد خان اباخوانين قرم فيكون ذلك متفقا عليه عند
الكل فبهذا ايضا بطل قول صاحب السبع السيار ومن تبعه من جعل جد
خوانين قرم الوغ محمد خان فتنبه ولكن قوله اعنى قول الجنابى بعد
ذلك وكان محمد هذا ايدا شجاعا غزا بلاد الروس وغنم واخذ منهم
ولاديمير من بلاد مسقوف اه مشيرا بهذا الى كوك محمد وهم منه ايضا
منشاءه منشاء وهم منجم باشى لما ذكرنا من ان صاحب تلك الامور هو
الوغ محمد و اما كوك محمد خان فلم ينقل عنه شيء من امثالها ولم يقع
له ذكر فى التواريخ بالتخصيص سوى ما مر من ذكره فى وقعة ايدكو
ورسالته لملك مصر (١) ولكن بسبب الاشتراك فى الاسم و الزمان
وعدم انضباط احوالهم فى عصرهم وكون المورخين الذين ذكر وانبذا
يسيرا من احوالهم من الاجانب ومن الممالك البعيدة والناقلين عنهم
من المتاءخرين وبسبب الاوهام الناشئة عن السبب المذكور خلطوا

---

(١) وقد تقدم ان اول تلك الملك الاشرف بر سباى التى كانت فى سنة ٨٢٥ وبقى الى سنة ٨٤١ فيكون تلك المكاتبة فى سنة من تلك المدة عفى عنه .

وقائع احدهما بوقائع الآخر ولم يميزوا احوال هذا عن احوال ذاك
ونسبوا اما لاحدهما الى الاخر فصارت بحيث يعسر تمييزها الا الحديد
البصر الذى له يد طولى فى التواريخ والبحث والتنقيب بعد ان كان
صاحب استعداد عال فى مدداته والاكامة الحوادث المذكورة فى التواريخ
او اكثرها لالوغ محمد خان واما كوچك محمد فالظاهر ان مدة سلطنته
لم تطل او ان حكمه كان منحصرا على اقليم قرم فقط ولم يتملك سراى
وما والاها قط او تملكها مدة يسيرة ولم يصدر عنه ما يذكر وسلم الى
هذا بعد ذلك ومما يؤيد ذلك ماذكره الحاج عبد الغفار بعد ذكره مامر عنه
من وقعة قادر بردى وايدكو ننقله عنه مع شبهتنا فى صحته فصرحا فى صحة اول
القصة والعهدة فى ذلك عليه وهو على تقدير صحته من الوقائع المشتركة
بينهما قال وكان منصور وغازى ونوروز ابناء ايدكو وغياث الدين
بن شاد بك خان فى بلاد الروس (يعنى حين حادثة ايدكو وقتله) فحشدوا
الجنود وتوجهوا لمحاربة محمد خان (يعنى ابن ايچكلى حسن المنصوب
خانا فى وقعة ايدكو) فارسل الخان المذكور الامير تكنه بك لمقابلتهم
فخانه لكونه ختن ايدكو فضبطوا سراى وسلطنوا على انفسهم غياث الدين
ابن شاد بك خان فهرب محمد خان الى جهة قرم مع عساكره ولما توفى
غياث الدين خان بعد سنتين ونصف من خانيته لم يوجد من يصلح للخانية
سوى كوچك محمد خان ابن تيمر خان المار ذكره فنصبوه خانا مع كونه
صغيرا ثم استصغره المرزا منصور فعزله بعد ايام ونصب مكانه براق
خان بن قويرچق خان رغما على من نصحه ونهاه عنه وبعد ايام قلائل قتل
براق خان منصورا المذكور فذهب غازى ونوروز الى كوچك محمد خان
وسلطنوه ثانيا وحيث كان براق خان ظالما غشوما لم يبق عنده احد بل
ذهب كلهم الى كوچك محمد خان ثم هجموا على براق خان فطووا صحيفة عمره
(قلت وسيجيء ذكر براق خان ووقائعه وقتله فانتظر) ثم قال وفى تلك
الاثناء سمع الوغ محمد خان هذا الاختلال فقام من قرم وجاء حاجى طرخان
وانشاء قلعة فى مصب نهرا يدل من بحر القمق (يعنى الخزر) وكذلك انشاء

كچاك محمد خان قلعة على ساحل شعبة من شعب ايدل وتحاربا فى صميم الشتاء مدة ثلاثة أشهر ثم تصالحا بعد ذلك على ان يكون سراى وحاجى طرخان لكچك محمد خان وقرم وما والاها لالوغ محمد خان ورجع كل منهما الى مكانه اه قلت القلب (١) الواقع فى هذه الحكاية على تقدير صحتها غير خاف مما تقدم وهو مبنى على الغلط السابق فلا حاجة الى التكرار والحاصل ان الذى جعله الوغ محمد هو كچك محمد خان وبالعكس كما مر فتكون حكومة كچك محمد خان منحصرة على مملكة قرم ويكون مبدأ انفصال مملكة قرم من ممالك دولة سراى وسلطنة آلتون اوردو من ذلك التاريخ وتكون مراسلة كچك محمدخان بملوك مصر على مامر بناء على قرب مملكته من مصر ويطابق هذا على قول منجم باشى من ان اول من اتخذ قرم وبغچه سراى دار الملك هو محمد خان وان اخطاء كالحاج عبد الغفار افندى فى جعله الوغ محمد خان ابن تيمرخان بناء على استظهاره السابق ذكره لا على النقل ويكون المراد بمحمدخان وغياث الدين الواقعين فى كلام الفاضل المرجانى مبهمين عند مبدأ شروعه فى بيان خوانين قرم هما هذين المذكورين فى هذه القصة أعنى كچك محمدخان وغياث الدين ابن شادبكخان والحاصل ان الوغ محمد خان ابن تيمرخان تسلطن فى أثناء الاختلال المذكور اما قبل تملك كچك محمدخان

---

(١) قلت وادل دليل على كون كلام الحاج عبد الغفار افندى ومن تبعه غلطا ووهما انه عد قاسم خان وعبد الكريم خان واحمد خان ومرتضى خان الخ من اولاد كچك محمد خان ومعلوم بالبديهة ان هؤلاء من ابناء اعمام خوانين قرم وخوانين سراى تسلطنوا بها بعد خروج الوغ محمد خان منها كما سيجيء وعد محمود وخليل والهام ومحمد امين من ابناء الوغ محمد خان وعدهم من خواقين قزان وذكر خروج الوغ محمد خان من سراى مطرودا وتسلطنه بقزان مع انه لم يذكر متى ملك سراى فتعين اذا أن الذى جعله كچك محمد هو الوغ محمد وبالعكس ولا شبهة فى ذلك وبالجملة فقد بان رأس الخيط وكاد التاريخ ينتظم حيث علم مبدأ خانية المحمدين المذكورين ومواضع سلطنتهما لذى العينين بسبب البحث والتنقير والتنقيب منه عفى عنه .

او بعده او كان تسلطنها فى وقت واحد واقام مدة مديدة بسراى واعاد مياه السياسة الى مجاريها الطبيعية وكاد يعيد سلطنة باتو الى حالتها الاصلية لولا تعاكس الطالع المشئوم ولكن انى يحصل الامان من يد الزمان فقد وقعت فى اوائل سلطنته وآخرها فتن ومحن بسبب الشقاق والنفاق وفقد الاتحاد والوفاق لامر اراده الله سبحانه وتعالى حتى انجرت احواله اخيرا الى انفصاله من سلطنة سراى وتأسيسه دولة مستقلة بقزان كما سيجئ تفصيله واما فى اوائل سلطنته فقد نازعه فى الملك كوچك محمد خان كما ذكرت نبذة منه وسنذكر البقية منه انشاء الله تعالى وكذلك نازعه فيه براق خان ابن قويرچق خان ابن ارصخان وبيان احواله(١) على الاجمال انه قد مر نقلا عن منجم باشى انه قام فى عهد جلال الدين خان ابن توقتامش خان اعنى فى حدود سنة ٨١٥ ه وطلب الملك ولكن لم يتمش حاله ولم يتقدم امره ولم ينعم باله فسار اخيرا الى ما وراء النهر واستنجد مرزا الغ بك اذ كان واليا بسمرقند من طرف ابيه السلطان شاهرخ فانجده فاستولى بسببه على بعض النواحى الشرقية من ممالك دولة سراى اعنى حصة آق اوردو التى هى حصة آبائه ارصخان ومن فوقه واشتغل هناك باجراء الحكومة برهة من الزمان قال منجم باشى وبراق الخان المذكور قد التجأ الى الميرزا الغ بك ونال السلطنة بمعونته ومع ذلك حصل منه اضرار كثير بممالك المرزا الغ بك اه قلت كانت تلك المعونة منه للافساد لا للاصلاح ولهذا عادت عليه لا له كما قيل كما تدين تدان والجزاء من جنس العمل ع من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا ولا يحيق المكر السيىء الا باهله * وتفصيل ما اجمله منجم باشى ما ذكر فى روضة الصفا قال فيها فى سياق حوادث سنة ٨٢١ وفى سلخ ربيع الاول قدم براق خان وذلك قبل جلوسه على سرير الخلافة خارجا عن ممالكه بسبب حصول انقلاب الاحوال فيها (يعنى من فتنه تيمر لنك) وعدم طاقته على مشاهدة امور مخالفة لعادات اسلافه والتجأ الى المرزا الغ بك فصار ملحوظا بانواع الانعام ومحظوظا بصنوف الاحسان ثم رتب المرزا الغ بك اسباب سلطنته وارسله الى مملكته اه يعنى لاثارة

(١) اعنى احوال براق خان منه عفى عنه .

الفتن هناك لما فرغ سمعه خبر تسكين الفتنة فيها في الجماة باستقرار محمد خان على كرسي السلطنة فقامت الفتن فيها بر جوعه على قدم وساق وعادت كما في السابق وامتدت الى مدة مديدة الى ان قتل براق خان وذلك معنى قول البدر العيني حيث قال وفي سنة ٨٢٤ صاحب الدشت محمد خان ولكن بينه وبين براق خان وبركة (١) خان فتن وحروب والامور غير مضبوطة اه قلت ولا ادرى اى المحمدين هذا والظاهر انه الوغ محمد وكذلك فيما سيأتي بعد ذلك منه ومن غيره مطلقا ثم قال العيني وفي سنة ٨٢٦ صاحب بلاد الدشت وكرسيها سراى السلطان محمد خان من ذرية چنكز خان اه قلت وقد حصلت الغلبة لبراق خان بعد العام المذكور اما بما مر عن الحاج عبد الغفار افندى من انضمام المرزا منصور بن ايدكو اليه او باسباب اخرى مانه قال في روضة الصفا ولما خرج المرزا الغ بك الى جانب مغولستان في ذي الحجة من سنة ٨٢٧ وشتا بالشاهر خية قدم هناك الامير يماق رسولا الى المرزا الغ بك من عند براق خان الذى جلس على سرير السلطنة قريبا وقدم اليه هداياه التى معه من السناقر والخيول الجياد الرهوان وغير ذلك من تحف الطرائف وطرائف التحف وبشره بجلوس براق خان على مسند آبائه واجداده فسر به المرزا الغ بك واتخذه فالاحسنا لخبرة سمره ثم اذن الرسول المذكور بالانصراف بعد مضي ايام وخلع عليه خلعا وافاض عليه الانعام والاحسان وارسل معه يورس اوغلان الذى كان من خواص مماليكه وترك برلاس الذى كان من كبراء امرائه رسولين من عنده الى براق خان لتهنئته بالجلوس على تخت آبائه وارسل اليه معهما هدايا فاخرة وتحفا نادرة وخلعا مطرزا بالذهب واثوابا منسوجة بالذهب والتاج والكمر والسيف المحلى بالذهب والبند المذهب والخركاه والخيمة والباركاه والدنانير والطبول والبنود وركابخانة وفرش البيت والاوانى وسائر اسباب السلطنة ولوازم الملك من اصناف الملازمين والخواص مثل الركابدار وبا ورچى ونقارهچى فتوجه الامير يماق وترك برلاس ويورس

(١) ولم ادر من بركة خان هذا ولا ينبغي ان يكون بركة بن يادكار فانه ينبغي ان يكون متأخرا عن هذا والله سبحانه اعلم منه عفي عنه .

اوغلان بهذه الاسباب الى دشت القفچق اه ومراده بالجلوس على مسند آبائه جلوسه بمكان ارص خان واجداده واولاده اعنى مملكة آق اوردا وهى اطراف جبال خوارزم وتركستان لاجميع الوس جوجى فان القسم الاعظم منها كان بيد محمد خان او كان ذلك مدة قليلة ثم استرد منه محمد خان كما يدل عليه الوقعات والنقول الآتية ولا سيما هجومه على بلاد الروسية والليتوانية وانما فعل المرزا الغ بك هذا الفعل ليحصل لبراق خان قوة المخالفة والمنازعة مع محمد خان ائلا يحصل له الاستقلال ويزداد شوكته فربما يحصل له منه ضرر ولكن اتاهم امر الله من حيث لا يحتسبون وارى الله فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون كما سيذكر قال البدر العينى فى بيان حوادث سنة ٨٢٨ واما بلاد الدشت التى كرسيها سراى فان فيها اختلافا كثيرا بسبب عدم كبير يرجع اليه الامور فتغلب هناك جماعة من بيت الخانات وغيرهم وكل واحد منهم استولى على الناحية ولم يتفق الامراء على احد كما ينبغى ولكن محمد خان هو المترجح من بينهم اه ذكر مسير براق خان الى جانب تركستان وسغناق ووقوع محاربة هناك بينه وبين معينه ومنجده المرزا الغ بك وخطاء المرزا فى ذلك وانهزامه امام براق خان شر هزيمة وغلبة براق خان عليه غلبة بينة قال فى روضة الصفاقد تقدم التجاء براق خان الى المرزا الغ بك وغلبته على اوردو محمد خان بامداده واستيلاؤه على كرسى شلطنته فى سنة ٨٢٨ ولما انتظم حاله واطمئن خاطره واستراح باله وضع جميع ذلك الاحسان فى طاق النسيان وقام فى مقام الشكر بعده ووضع قدمه خارج حده وتقدم الى حدود سغناق التى كانت فى الاصل مملكة جده وارسل شخصا الى المرزا المذكور برسالة مضمونها انى قد استرجعت تخت جدى ارص خان بيمن همتكم ووصلت الآن الى هذه الديار لاتشرف برؤيتكم فالمأمول ان تكون العنايات الشاهانية شاملة لحالى ومستوجبة لسرور بالى وحيث ان قدومه الى ولاية سغناق كان بلا استيذان واستيجازة يعنى مع كون تلك الولاية فى تصرف التيمورية منذ وقعة ارص خان مع اللنك فى اوائل ولاية توقتامش خان كما مر ومع ذلك كان قرع سمع المرزا

المذكور ان براق خان يقول ان سغناق قد عمرها جدى ارص خان فانا وارثها الآن شرعا وعرفا بالاستحقاق لم يسمع الرسول المذكور جوابا شافيا حسب مرامه وايضا بلغه ارسلان خواجه حاكم سغناق في تلك الاثناء شكايات كثيرة من براق خان وعساكره بانه يعد نفسه مستقلا ويصدر من عساكره ايذاء العباد وتخريب البلاد والاضرار والافساد فعزم المرزا الغ بك على المسير الى جهة سغناق وامر باحضار العساكر وارسل الى والده السلطان شاهرخ بهراة يخبره بذلك فلم يرض السلطان شاهرخ بفتح باب الحرب لكونه سببا لسلب راحة بني ادم وموجبالخراب العالم ومع ذلك ارسل ابنه المرزا محمد جوكى بعساكر كثيرة احتياطا ولما وصل المرزا محمد الى سمرقند وجداخاه المرزا الغ بك قد توجه الى سغناق فسار من خلفه مسرعا ولحق به واتحدت عساكر خراسان بعساكر ماوراء النهر ولم يتخيل احد ان براق خان يتجاسر على مقابلة المرزا الغ بك ومقاتلته (يعنى من غاية غرورهم بما حصل لهم من الغلبة على كافة عساكر بلاد الدشت مرارا ايام تيمورلنك فضلا عن هذه الشرذمة القليلة مع براق خان ولم يدروا ان تلك الغلبات انما كانت بمكائد تيمور وخدائعه واستدراجاته) فسار المرزا الغ بك نحوه مسرعا من غير مبالاة مستحقرا اياه فاستعد براق خان للقتال والاستقبال بابطال الدشت بكمال الثبات وقوة الجاش والبسالة وقد كان في ميدان القتال تلول فلم يظهر اليهم عساكر براق خان بالتمام لاختفائهم وراءها فامر براق خان عساكره ان يهجموا عليهم دفعة واحدة ويحملوا حملة رجل واحد بلا مهلة لما تبين ان الامر لمن بادر فاشتعلت نيران الحرب في الحال وعلت لهيبها وظهرت الاهوال وطار شررها وانتشر وصار الامر انموذجا من هول يوم المحشر وحيث كانت عساكر المرزا مغرورين بكثرتهم ومستغرقين في كبرهم ونخوتهم ولم يعدوا المخالفين شيئالقلتهم ولم يطلعوا على كمينهم وكيفيتهم وقدتهافتت عساكر براق خان عليهم بجمعيتهم وكليتهم انكسرت ميمنة عسكر المرزا في اسرع وقت فقصد عسكر براق خان القلب فقلبوه ايضا ظهرا لبطن وحكموا عليه بالرد فظهر في وجنات عسكر المرزا علامات

الانكسار وآثار العجز والانهزام والذل والصغار ولما عاين امراء المرزا هذه الحالة التي كانوا وقوعها يستبعدون وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وتيقنوا ان الامر قد خرج من قبضة الاختيار وآيسوا من انتظام حالهم بعد ان ولوا الادبار واستيقنوا ان لاينفعهم شيء سوى الفرار بركوب متون العار والشنار فاخرجوا المرزا الغ بك آخذين بعنانه من المعركة وانعزلوا من ميدان الحرب الى ناحية باسرع حركة وخلصوا ارواحهم بذلك من مخالب ابطال دشت بركة وكان پهلوان محمود المازندراني الذي هو من مشاهر الشجعان ومن ملازمي السلطان شاهرخ خان حاضرا في تلك المعركة مع المرزا محمد جوكي وقد ابرز من فنون الشجاعة وضرب الجلادة ما لا مزيد عليه ولما شاهد صعوبة الحال وشدة الاهوال وتيقن عدم تيسر الآمال اخرج المرزا محمد جوكي بجهد جهيد من تلك المعركة وخلصه بغيرته من تلك الورطة المهلكة ثم توجه امرازي والامراء كلهم مع الهاربين بتمام العجلة منهزمين الى سمرقند فنجى بنفسه من لم يبلغه اجله وتركت تلك العساكر التي كان شعارهم الظفر والنصر جميع مامعهم من الالات والاموال والذخائر وصارت تلك الاموال نصيب المستضعفين من عساكر براق خان فحازوا بذلك اسنى المفاخر وبلغ فزع اهل ماوراء النهر منهم مبلغا اراد بعضهم ان يغلق ابواب البلد وان يستعدوا متحصنين بالقلاع لمدافعة الخصم الالد ولكن منعهم من ذلك الفعل الموجب للعار اشراف البلد وسائر الكبار قال (١) فمد عساكر براق خان يد الظلم والتعدي الى اطراف ولاية ما وراء النهر والتركستان وشرعوا في تخريب البلاد وتغريب العباد من تلك البلدان ولم يهملوا دقيقة في النهب والغارة والاسر حسب الامكان يقول راقم الحروف ومن العجب ان تيمرلنك واولاده خربوا جميع الدنيا وفعلوا ما لم يفعله چنكز وهلاكو ومع ذلك لاينسب اليهم شيء من الظلم والتعدي والقبح وكانهم كانوا يفعلونه من انواع القبايح بالالهام والامر من طرف الحق سبحانه كما

---

(١) يعني صاحب روضة الصفا وفيه اشعار الى ان فيما قبله ادنى تغيير في التعبير لا في افادة اصل المرام فانه لا يجوز من غير تصريح بالعزو الى احد منه عفي عنه.

هو اعتقاد اكثر اهل ما وراء النهر ومن تبعهم من الجهلة الى الآن حاشا لله من هذا الاعتقاد السوء واما من سواهم فمتى صدر منه حبة مما لايلايم طبعهم يستعظمونها غاية الاستعظام حتى يجعلونها قبة وينسبون اليه اعاظم الامور ويذكرونه بالقبايح والشرور وهذا ليس من دأب المنصفين وما ذا يكون ما فعله براق خان فى ماوراء النهر فى جنب ما فعله تيمورلنك ببلاد الدشت وليت له حكم الحباب بالنسبة الى البحر والذى ينبغى لمن يتصدى لبيان الوقائع ان لاينحرف عن الجادة المستقيمة وان يبين ما هو الواقع له او عليه من غير ايراد المقدمات العقيمة والاقوال السقيمة ومن البين ان الخطاء فى هذه الوقعة كان فى طرف المرزا الغ بك لما مر من ان براق خان لم يكن طالبا للحروب وسيجىء ذلك صريحا وكانت هذه الوقعة فى شهور سنة ٨٢٩ (٢) عود قال لما قرع هذا الخبر سمع السلطان شاهرخ بهراة امر باحضار العساكر وتهيئة اسباب السفر وتوجه الى ماوراء النهر نورا ارتق ما فتقه المرزا الغ بك ولما وصل الى سمرقند واستراح من تعب السفر شرع فى تنظيم امور ممالك ماوراء النهر وبدأ اولا بالتفحص عن احوال محاربة براق خان والبحث عن كيفية بدائته بالمقاتلة باستقصاء الاثر وتدقيق الخبر واستفسر عن كيفية رسالة براق خان وحقيقة كلماته فى المراسلة فبلغ غور تلك القضية حتى ظهرت فيها الجلية فاثبت القصور لطائفة من امراء ما وراء النهر واحضرهم فى الديوان وامرهم بالضرب عقوبة لجريمتهم فى ذلك الامر وعاتب المرزا الغ بك ووبخه توبيخا شنيعا حتى لم يبق له اختيار فى الامور واعتبار عند الصدور ودام ذلك اياما ثم تحرك بعد مدة ازمان عرق شفقة ابوته فى حقه فرفعه من حضيض المذلة الى اوج العزة وفوض اليه زمام الامور كما فى السابق واما براق خان فانه لما اطلع على قدوم السلطان بعساكر خراسان وسغدان وتيقن عدم مقاومته على تلك العساكر انثنى

(٢) قلت ذكر فى رحلة بعض السواحين انه مكتوب على حجر فوق جبل ساحل نهيرة بيلان اوتى انه حملت الغلبة هنا الميرزا الوغ بك على المغل والتتار فى سنة ٨٢٨ ولاادرى هل هى هذه الوقعة او غيره. منه عفى عنه.

راجعا الى مملكته بما حازه من الغنائم والحظ الوافر اه قلت وكان ذلك في سنة ٨٣٠ وعود براق خان ليس هو من خوف مجيء السلطان فقط بل لانه لم يكن من قصده المحاربة وانما باشرها ضرورة دفع هجوم المرز الغر والافكيف يتصور العاقل قصده بلاد ماوراء النهر مع ان قدمه لم يترسخ في الملك ولم يطمئن خاطره من داخلية مملكته ولا يبعد ان يكون توجهه هناك خوفا من هجوم رقيبه محمد خان او فرار امنه وهو الاقرب ويؤيده ماسيذكر بعد والله سبحانه اعلم قال العلامة العيني في سنة ٨٣٠ صاحب قرم وغيرها محمد خان من ذرية جنكز خان وبلاد الدشت مضطربة فان فيها اختلافا كثيرا بين اكابر الامراء وقال وفي هذا (الشهر يعني الجمادى الاولى من سنة ٨٣٠) جاء الكتاب من المتغلب على قرم واسمه دولت بيردى مشتمل على عبادات رائقة متضمن لابيات واشعار وامثال مشحون بانواع المعاني والبيان والبديع فقرئ على السلطان والعبد الضعيف حاضر هناك في المجلس ولا يعرف واحد لا من القارى ولا من غيره ما فيه من الصناعات وذكر حامل الكتاب ان في بلاد الدشت خباطا عظيما وان ثلاثة من الملوك يتنازعون في المملكة احدهم يسمى دولت بيردى غلب على قرم وما والاها والثاني محمد خان غلب على سراى وما والاها والثالث يسمى براق خان ملك البلاد التي تتاخم بلاد تيمر لنك اه قلت وقد ارسل جواب كتاب دولت بردى خان المذكور ذكره في كوكب الملك وموكب الترك وهاك نصه قال وكانت الكتب التي تصدر من سلطاننا (يعني من سلطان مصر) اليهم (يعني الى ملوك التتار الشمالية) الى ايام السلطان الاشرف بر سباى سقى الله عهده في عرض البغدادي والطرة خمسة اوصال وعنوانه وبسملته وخطبته وغالبه مكتوب بالذهب بالفات طوال بقلم الثلث الثقيل طوله الى ثلثي ذراع وطمغات كالختم يطبع بها على الاوصال من ابيقة الذهب كتب بذلك في ايام الاشرف (١) برسباى سقى الله عهده للقان دولت بردى الذي اخذ عن القان محمد ومحمد اخذ عن ابدكى وابدكى اخذ

(١) وقد تقدم في موضعين ان مبدأ تسلطنه سنة ٨٢٥ ووفاته متملكا سنة ٨٤١ نه عفى عنه.

عن توقتامش خان وتوقتامش اخذ عن ماماى وكان اميرا نظاما فقرى وصار فانا بالشوكة اه بعروده قلت ولم ار ذكر دولت بردى هذا فى واحد من التواريخ وقد عد الفاضل المرجانى دولت بردى خان من خوانين حاجى طرخان ولكن التاريخ الذى ذكره فيه يأبى ان يكون هو هذا الا اذا كان التاريخ الذى ذكره غلطا وهوالظن الغالب ثم رأيت الحاج عبدالغفار افندى جعله اعنى دولت بردى والدحاجى كراى خان القريمى وابن تاشتيمر وجعل غياث الدين الذى جعله غيره والدحاجى كراى اخا لدولت بردى ولكنه اسقط محمدخان بعد تاشتيمر وجعل تاشتيمر ولد ايچكلى حسن كما اسقط صاحب السبع السيار كليهما اعنى محمد خان ووالده ايچكلى حسن مع انهما قائلان بكون خوانين قرم من اولاد محمدخان ولانشك فى ان ذلك السقوط من قلم النساخين فحصل الاتفاق بين ابى الغازى وبين صاحب السبع السيار والحاج عبدالغفار فى نسب خوانين قرم الا فى امر جزئى وهو عدابى الغازى وصاحب السبع السيار غياث الدين من اجداد خوانين قرم واخراج الحاج عبد الغفار افندى اياه من عمود نسبهم واذا نظرنا الى تاريخ دولت بردى هذا وقول صاحب كوكب الملك انه اخذ الخانية عن محمدخان يميل القلب الى صحة ما ذكره الحاج عبدالغفار افندى ويكون جريان الامور وتقلبات الاحوال منتظمة مهما امكن فيكون محمد خان ابن ايچكلى حسن اول من اسس السلطنة بقرم كما قال منجم باشى وان اخطأ فى جعله الوع محمدخان على مامر ويكون ابنه دولت بردى هذا ثانى خوانين قرم وقد ذكر فى السبع السيار تربية دولت كلدى صوفى لحاجى كراى خان فى قصة هى اشبه شئ بخرافات الاقدمين واساطير الاولين يأباها العقل السليم والصواب هو دولت بردى ابوه لا دولت كلدى والله سبحانه اعلم واما عد المورخين حاجى كراى خان اول خوانين قرم فلعله حصل بعد دولت بردى خان ضم ولاية قرم الى مملكة سراى ثم حصل الاستقلال لحاجى

كراى خان بعد تقلبات الاحوال يدل على ذلك ما قاله صاحب السبع السيار والحاج عبدالغفار افندى انه لما تسلطن السيد احمد خان بسراى اراد اعدام حاجى كراى فهرب الى قرم فصار ما صار الخ ويمكن ان يكون دولت بردى هذا من اقرباء كوچك محمد خان او من خصمائه فنزع الخانية منه كما يدل عليه قول صاحب الكوكب اخذ عن القان محمد والله سبحانه اعلم بحقايق الامور وعلى كل حال لم ينقل عنه شيء من الاحوال والظاهر انه لم تطل مدته يدل عليه ما ذكره العينى حيث قال وفى سنة ٨٣٢ صاحب الدشت وقرم محمدخان وفيها قدم يوم الخميس السادس عشر من رجب رسل من عنده ومعهم هدية وكتابان احدهما بالعربى والآخر بلسان ايغور ولم يعلم احد مضمونه وما وجد من يعرف هذه الكتابة اه قلت وهذه المراسلة هى آخر ما اطلعنا عليه فى كتب التواريخ من المراسلات الواقعة بين ملوك التتار الشمالية السرائية وبين ملوك مصر وقد عرفت تاريخ ابتدائها ولا ادرى ان محمدخان هذا اهل هو الوغ محمد اوكوچك محمد يحتمل انه الثانى اذا قلنا ان دولت بردى اخذ الخانية عنه بالغلبة ثم استردها محمدخان ويكون فى قوله والدشت بناء على العادة السابقة من غير تحقيق ويحتمل انه الاول وهو الظاهر فانه اعنى الوغ محمد غلب على خصمه براق خان وقتله فى السنة المذكورة فيمكن انه ارسل الرسل المذكورين الى مصر اعلاما بظفره بخصمه براق خان واستقلاله بالملك والله اعلم فعلى هذا لايكون كتاب السلطان برسباى (١) السابق ذكره جوابا لهذين الكتابين لانه كان لمحمدخان ابن ايچكلى حسن كما مر واما على الاول اعنى على ان يكون المرسل هو كوچك محمدخان فيحتمل انه جواب لهما والله اعلم ذكر مقتل براق خان قال

(١) وقد تقدم قبل هذا فى ثلاثة مواضع انه كان تملك الملك الاشرف برسباى فى سنة ٨١٥ وفاته وهو مالك فى سنة ٨٤١ . منه عفى عنه .

فى روضة الصفا وحين كان السلطان شاهرخ مقيما بصحرا سلماس بعد غلبته على التراكمة وكان ذلك فى سلخ سنة ٨٣٢ قدمه هناك قاصد من ماوراء النهر من عند المرزا الوغ بك واخبره بانه وقع حرب صعب بين محمدخان وبين براق خان فغلب الاول على الثانى وقتله اه قلت وفى تلك السنة حصل الاستقلال بسلطنة بلاد الدشت وسراى كلها لا لوغ محمدخان ولم يبق له فيها منازع يعتدبه والظاهر ان ولاية قرم ايضا دخلت فى حوزته فما قاله منجم باشى من ان محمدخان جلس على سرير السلطنة بعد قتله براق خان فى سنة ٨٣٠ باتفاق جميع الامراء لعله وهم منه اوسقط رقم اثنين من قلم النساخ وقد عرفت ان مبدأ تسلطنه كان فى حدود سنة ٨٢٢ كمامر ولم اطلع على شئ من احوال براق خان سوى ما ذكر الا انه قال كارامزين فى خلال بيان الاختلال الواقع فى بلاد التتار بعد وقعة كريم بردى ولم يزل ملوك التتار يقوم واحد بعد واحد بطلب الملك ويقتل بعضهم بعضا او يغير على بلادنا فيقتل وينهب ويأسر حتى ان واحدا منهم اخذ فى سنة ١٤١٥ مصادفة سنة ٨١٨ ه بلدة يلينسه من بلاد الروس وقتل عاملها وكذلك قام براق خان ابن قويرچق فى سنة ١٤٢٢ مصادفة سنة ٨٢٦ ه وقتل واحدا منهم يسمى خدايداد واغار على الروسية واستولى على بلدة اوديفه منها واسر حاكمها وكثيرا من اهلها واقلق الروسية والليتوانية بتعديه وغاراته وخوفهما فدعا كيناز ليتوانيا كيناز الروسية الاعظم الى الاتفاق لدفع شر المذكور وهجماته وارسل عساكره الى دفعه فورا وقبل كيناز الروسية كلام كيناز الليتوانية فى هذا الباب ولبى دعوته ولكن قبل لحوق عساكر الروسية بعساكر الليتوانية غلبت الليتوانية على المذكور واسروا اثنتين من زوجته فلم يشتركهم الروسية فى المحاربة فارسل قائد الليتوانية احدى المرأتين المذكورتين الى كيناز الروسية بموسكوا والاخرى الى كيناز الليتوانية اه فعلم من هذا ان تملكه لم يقتصر على حكومة آق اوردا بل تملك حكومة كوك اوردا وجوار سراى ايضا ولو

مدة يسيرة ويؤيده ما مر من المورخين الكبار من ذكر اشتراك عدة ملوك في تلك الديار والله سبحانه اعلم وهذا اخر ما اطلعنا عليه من احوال براق خان وقد بقيت لي اعقاب ونالوا السلطنة في الدشت وجميع خوانين قزاق اعني اهالى دشت قفچق كلهم من ذريته وهم اعني ذريته كثيرون فيها الى الآن ولكن ليس في ايديهم شيء بل اكثرهم كاحاد الناس بل هم افقر من كثير منهم وهم اشبه الناس باشراف الحجاز في كثير من الاوصاف والعادات سبحان من لايزال ولايزول ملكه

ذكر هجوم الوغ محمد خان على بلاد خوارزم قال في روضة الصفا ولما نزل السلطان شاهرخ بهرات راجعا من سفر آذربيجان في سابع محرم من سنة ٨٣٤ اتاه آت من طرف خوارزم واخبره بان جيشا كثيرا من عساكر اوزبك قصدوا خوارزم ولما استشعر الامير ابراهيم ابن الامير ملكشاه والى خوارزم من نفسه عدم اقتداره على مقاومتهم ترك البلد وسار الى كات وعيوق وان خواجه اصيل الدين الوزير حصن البلد وتهيأ للمكافحة والمدافعة واستعد للمخالفة والممانعة ولكنه عجز اخيرا عن المحافظة فسخرت جيوش اوزبك ممالك خوارزم وشنوا فيها الغارات وجمعوا من الغنايم ما لايحصى ثم رجعوا الى طرف الدشت اه قلت وهذه وقعة هي التي ذكرها منجم باشي حيث قال مامعربه ولما جلس محمد خان المذكور على كرسي السلطنة بالاستقلال سار سيرة حسنة وعمر المملكة حتى عادت مستحسنة وحيث ان والده (١) تيمرخان كان قتل بمملكة خوارزم سار اليها في سنة ٨٣٤ لاخذ الثار واورث فيها كثيرا من المضار وغزا بلاد الروس ومسقو وسخر منها بلادا كثيرة واخذ الخراج والجزية من البواقي واستقر في مقامه الى ان مات اه ومثله في تاريخ الجنابي وعبارته وكان محمد هذا (يعني كچك محمد خان الذي صار خانا في وقعة قادر بردى وايدكو) ايدا شجاعا غزا بلاد الروس وغنم واخذ منهم ولاديمير بلدة من

(١) ولاتنس ما تقدم ان والده تيمرخان قتل سراى بك البارينى والمرزا جهان باى ايام جلال الدين خان حين فراره مع نور الدين ولد الامير ايدكو الى خوارزم منه على عمد .

بلاد المسقوف اه الا انه اخطأ فى جعله كوك محمد خان كما ان منجم باشى غلط
فى جعله جد خوانين قرم فان صاحب هذه الافاعيل والاوصاف هو الوغ محمد
جد خوانين قزان لا قرم كما مر مرارا فانتبه قال كارامزين وفى سنة ١٤٣٠
مصادفة سنة ٨٣٤ ه او قبلها هجم الامير حيدر من امراء اوردو التتار على
مملكة ليتوا فخرب ونهب وغنم كثيرا واظهر الوداد لواحد من قواد ليتوا
يقال له الغريغورى الغبور ابن پروتاص حاكم منسينكسكى واسره بهذه
الحيلة وكان الخان فى اوردو وقتئذ محمد خان وكان اهل اوردو كلهم يطيعونه
وينقادون اليه وكان يحكم بالعدالة فقبح فعل الامير حيدر من الخيانة وخدعته
واحسن الى غريغورى واطلقه واعاده الى مقره وقال وفى هذه السنة هجم
فيودر بن داويد بامر واسيلى بن واسيلى كيناز الروس على بلغار وولغا
واسر منهم كثيرا اه قلت قدمر هذا فى المقصد الاول اثناء بيان احوال بلغار
فتذكر وقال ايضا ولما مات الكيناز واسيلى الثانى ابن ديميترى الدونى
فى سنة ١٤٢٥ نازع اخوه يورى بن ديميترى ابنه واسيلى الثالث الملقب
بالمكفوف فى الكينازية وجرت بينهما امور وشرور وكان مقصد يورى ان
يتحاكما الى الخان فى الخصوص المذكور وكان واسيلى يهرب من الحضور
عند الخان اما لكثرة الفتن فى اوردو وكثرة تبدل الخوانين واحدا بعد واحد
وقتل بعضهم بعضا واما لاستنكافه من اطاعة التتار بناء على صغره فتراضيا على
ان يحكم يورى فى الولايات التى كان ادخلها تحت تصرفه مدة ست سنوات
وبعد ان مضت منها ثلاث او اربع سنوات اراد عمه يورى ان يفتح باب الحرب
معه ان لم يرض بالمحاكمة الى الخان فرضى بذلك فتوجها فى اواخر
سنة م ١٤٣١ مصادفة سنة ٨٣٥ ه او التى قبلها الى اوردو وكان
لكل منها احباب فى اوردو وبتوسط لدى الخان وكان واسطة الكيناز

(١) ولعل بلغار انفصل فى ذلك الوقت من حكومة سراى والا لما تجاسر الكيناز واسيلى على الهجوم عليها ولما سكت محمد خان عنه مع كونه مطمئن البال فى ذلك الوقت مما عفى عنه .

٤٣

واسيلي الامير بولاد البصقاق في موسكوا يعني العامل والسفير فيها من طرف الخان والميرزاحيدر وواسطة يوزي المرزاتيكين والى قرم وبعد اللتيا والتي وجه الخان الكينازية الى واسيلي وحكم بذلك واعطاه المنشور واجلسه اوغلان بن الخان على كرسي الكينازية في اكبر كنائس مسكوالدى كافة كبار المأمورين ورؤساء الروحانيين فصار بعد ذلك يكتب في مناشير الخان بعنوان الكيناز الاعظم المسكوى وكان قبل ذلك يكتب بعنوان الكيناز الاعظم الولادبميرى ففي تلك الاثناء خرج على الخان محمد خان آخر من خوانين التتار يقال له كچيم احمد فاغتنم المرزاتيكين هذه الفرصة ومال الى طرف كچيم احمدخان وطلب منه بلدة ديمتروف لاجل يوري ذكر انفصال الوغ محمدخان من خانية سراى وخروجه منها قال كارامزين كان الكيناز واسيلي الثالث المكفوف ابن واسيلي الثاني يعيش مع الخان على المحبة والوداد والوفاق والاتحاد و كان يؤديه الخراج بالتمام من غير تعليل ولاتأخير وكان محمد خان لايؤذى الروسية ايضا لاجل ذلك حتى قيل انه خفف عنهم بعض التكالف حتى ان بعض الطوائف من التتار وان كانوا يغيرون على ولاية رزان الا انهم كانوا لايتعدونها الى ولاية موسكوا الاان ظهور الاختلال في اوردو في تلك الاثناء اساء الواسيلي وسلب عنه راحته واورثه الخوف والاضطراب وذلك انه خرج على الوغ محمد خان في سنة ١٤٣٧م مصادفة سنة ٨٤١ اخوه كچيم وطرده من سراى فالتجاء الوغ محمدخان مع اهل بيته واتباعه وخواصه الى بلاد الروس اه وبقية القصة تذكر انشاء الله تعالى في ابتداء المقصد الثالث قال الفاضل المرجاني ان الوغ محمدخان طرده من سراى اخوه كوچك محمدخان في سنة ٨٣٩ بمعونة يادكارخان ابن تيمر شيخ خان الشيباني وتسلطن مكانه بسراى وبقي الى سنة ٨٧٧ ثم تسلطن بعده ابنه كچي احمدخان وتزوج بيكاى بيكه اخت السلطان حسين مرزا ابن بايقرا التيموري وولد له منها تسعة اولاد وهجم على قلعة الكسين من بلاد الروسية ولكن رجع عنها اذ سمع مجيىء الروس بعسكر عظيم

ومجوم دانيال بن قاسم الخانكرمانى واخيه مرتضى بن كچك محمدخان الى دار الملك سراى اه قلت ان هذا المقام يحتاج الى التامل وتعميق النظر فان احوال تلك البلاد فى التاريخ المذكور قد انقطع ذكرها فى تواريخ الاسلام فلم يبق شىء مما يصلح ان يكون مدارا للنقل بعد هذا الا تواريخ(١) الروس وقد عرفت ما ذكره كارامزين فى هذا الباب وليس فيه شىء مما ذكره هنا الفاضل الشهاب ولا ادرى من اين اخذه وقد عرفت ايضا ما ذكرناه فى توجيه قول كارامزين كچيم احمد فان صح التوجيه المذكور اعنى كون المراد به كچى محمد وهو الاحتمال الغالب يصح قول الفاضل المرجانى هنا من ان الذى طرد الوغ محمد من سراى هو كچى محمد وان لم يصح جعل الخبر على ما مر فيحمل على انه اعنى كچك محمد يكون خانا فى بعض النواحى او يكون معزولا عن الخانية برهة من الزمان ثم يحصل له الغلبة اخيرا بتقلبات الاحوال واما مادة معونة يادكار خان بن تيمور شيخ خان الشيبانى لكچك محمد خان فلم اره فى موضع من المواضع مع ان ابا الغازى ذكر عدة من وقائع بركة ابن يادكار فى حياة ابيه وليس فيها ذكر تلك المعونة واما قوله ببقاء كچك محمد خان الى سنة ٨٧٧ فما اشبهه بقول بعض الاعاجم ان فى بلادنا نوعا من الدباء طوله مسافة كذا والحاصل انه فرية بلا مرية لما ستعرف من ان السيد احمد الذى جعله حفيدا له كان ابتدأ سلطنة فى حدود سنة ٨٥٠ (٢) فكيف يتصور بقاؤه فى السلطنة الى التاريخ الذى ذكره مع انه ذكر بينهما سلطنة كچى احمد خان وهذا اعنى كچى احمد خان لم ار ذكره فى شىء من التواريخ سوى ما نقلناه عن كارامزين من قوله كچيم اوكچيم احمد كما مر وقال اعنى كارامزين ايضا بعد ذكره احوال الوغ محمد خان بعد استقراره بقزان واما كچيم الذى صار خانا بالاوردو الكبير اوالاوردو والذهب

(١) فان المثبت فى سواء الكتب اوبعض المجاميع او المسموع من العجائز كل ذلك لايصلح ان يعتمد عليه ولا يورث شيئا من العلم عند اولى الالباب منه عفى عنه.

(٢) اعنى على قول الفاضل المرجانى ايضا حيث قال عند بيان خوانين خان كرمان ان عسكر السيد احمد خان السرائى لما اغاروا على بلاد الروسية فى سنة ٨٥٣ طردهم قاسم خان مع عسكره واسترد منهم ما غنموه فى ساحل نورپوخر اه وسيجىء ذكر هذه الواقعة ولعمرى ان من تبع قول الفاضل المشار اليه من غير تحقيق يقع فى ضبط كثير منه عفى عنه.

اخو محمد خان فانه كان دائما فى الخوف لوجود الاختلال فيها وكثرة اعدائه الداخلى وهجوم بعضهم على بعض على الدوام وانه قتل بيده اعظم خوانين اوردا منصوب اه ولعل منصور ابن ايدكو فيطابق قول عبد الغفار افندى السابق من وجه ذكره عند ذكر السيد احمد الآتى ذكره بعنوان كچيم احمد والظاهر ان الفاضل المرجانى وهم من هذا انه اعنى كچى احمد ابن كچك محمد وانه تسلطن بعده ولكن لوكان المراد بقول كارامزين كچى احمد خان يلزم ان يكون هو الذى طرد الوغ محمد خان من سراى واما مادة تزوجه باخت السلطان حسين بن بايقرا فسنذكرها عن قريب انشاء الله واما مادة هجومه الى الكسين فغريبة بلا مرية لان هذا الهجوم هو للسيد احمد خان كما سيذكر فى ترجمته ان شاء الله تعالى والحاصل ان الفاضل المرجانى قد خلط الامر ولبس وبالجملة ان تحرير وقائع تلك البلاد من بعد وقعة قادر بردى الى سلطنة السيد احمد اعنى وقائع سنة ٢٨ كما هو حقها اصعب من خرط القتاد لعدم مأخذ منتظم يرجع اليه ولكثرة التبدلات والانقلابات فيها كما مر نقلا عن كارامزين اجمالا ولا حاجة الى صرف الفكر فيما لا يمكن منه تحصيل النتيجة (١) والله سبحانه اعلم بحقائق الامور وقد قال الحاج عبد الغفار افندى ان الذى طرد الوغ محمد خان من سراى هو السيد احمد خان ابن جلال الدين خان بمعونة حيدربك الفونكراتى لانه يعنى حيدربك صار عاصيا لالوغ محمد خان حين محاربته كوك محمد خان وانفصل عنه بثلاثين الفا من العسكر وسلطن السيد احمد خان بن جلال الدين خان وطرد الوغ محمد خان من سراى فذهب هو

---

(١) وظنى الغالب بل يقينى ان لا وجود لكچى احمد بل هو غلط نشأ من انحراف كچى محمد الى كچيم آحمد لعدم الفرق بينهما فى تلفظ الروس اصلا والفرق بينهما فى كتابة الروس سكون الميم الاولى ومد الالف فى كچيم آحمد وفتح الميم فى كچى محمد فانهم يحرفونه الى كچى ماحمد ويسكنون الحاء ولم يقع فى تاريخ كارامزين بعبارة كچى احمد قط بل بعبارة كچيم احمد او كچيم فقط فقول الفاضل المرجانى كچى احمد تحريف آخر منه عفى عنه .

الى طرف قزان وتسلطن هناك اه وقال فى موضع آخر ان الوغ محمد خان صار خانا بقزان وجلس السيد احمد بن جلال الدين على التخت بسراى واراد ان يقتل حاجى كراى وجهان كراى فهربا الى جهة قرم اه قلت قد تقدم ذكر حيدر بك هذا نقلا عن كارامزين وان محمد خان قد انكره على مافعل بغر بغوري وقبح فعل هذا فلا يبعد ان يحقد حيدر بك على محمد خان لاجل معاملته هذا ويعرض عنه وينضم الى اعدائه ويحتمل ان يكون ما ذكره الفاضل المرجانى من ان يادكار خان اعان لكچك محمد خان فى طرده الوغ محمد خان من سراى سبق قلم ويكون مراده هو حيدر بك هذا ولا يبعد ان يكون السيد احمد بن جلال الدين مع محمد خان فى تلك الوقعة ثم يقع بينهما منافساة ومحاربات كما ذكر كارامزين وقد ذكر الحاج عبد الغفار افندى عند بيان وقعة قادر بردى وابدكو ان حيدر بك القونكراتى وتكنه بك خرجا من المعركة سالمين مع عدة من الامراء وسلطنوا على انفسهم محمد خان بن ايچكلى حسن ثم ذكر انخذال تكنه بك عن محمد خان الصغير عند هجوم المرزا منصور وغازى ونوروز وغياث الدين عليه كما مر نقلا عنه وذكر قتل حيدر بك فى تلك الوقعة ولاشك انه سبق قلم بل الصواب انه انهزم فى تلك الوقعة وكانه صار بعد ذلك من احزاب الوغ محمد كما صار صاحبه تكنه بك كذلك ثم انهما اعرضا عنه ثانيا فان تكنه بك صار بعد ذلك من احزاب خوانين قرم وقد اشتهر اعقابه فى قرم بمرازى تكنه وهو المراد بقول كارامزين السابق مرزا نبكين قال العينى وفى سنة ٨٤٧ صاحب الدشت وقرم محمد خان اه وهذا يحتمل ان يكون مراده به كچك محمد خان فلا يبقى حينئذ شبهة فى ان الطارد لالوغ محمد خان هو كچك محمد ويحتمل ان يكون مراده به الوغ محمد خان لشهرته ويكون قوله صاحب الدشت وقرم غلطا لعدم شهرة قزان فى ذلك الوقت ولهذا لم يذكره احد من مورخى ذلك الوقت مع انهم ذكروا فضائل الوغ محمد بعد استقراره بقزان وهذا آخر النقل عن تواريخ الاسلام وهذا ايضا هو غاية بذل الجهد والطاقة فى تحرير هذا المقام المغشى

بالظلام الكثيف ولا اقول انى كشفت عنه اللثام ونلت البغية والمرام كلا وانما مهدت الطريق لمن يجئ بعدى من المستعدين ذوى الهمة العالية فى تحقيق الكلام . شعر:

انى وجدت مجال القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ذكر هجوم الامير زاده مصطفى على الروسية وقتله قال كارامزين فى اثناء بيان وقائع سنة ١٤٤٥ م مصادفة سنة ٨٤٩ ه ان الامير مصطفى من اولاد خوانين الاوردو الذهب كان على غاية من العقل والدراية وشجيعا غاية الشجاعة فدخل فى السنة المذكورة مع جمع من التتار ولاية رزان للنهب والغارة فنهبوا واسروا وجمعوا اموالا عظيمة ببيع الاسارى وقت رجوعهم ايضا ولكن لما كان الوقت شتاء والهواء باردة غاية البرودة لم يقدروا ان يعودوا الى اوردو باحمالهم الثقيلة وحيث كان الثلج سقط كثيرا لم يتجاسر احد ان يقدم على السير فاتوا بلدة پيربصلاول من بلاد الروسية وطلبوا من اهاليها بيوتا ليشتوا فيها فلم يقدروا على منعهم لخوفهم منهم وبينما هم مقيمون بها اذ جاء هم عسكر الروس الذين ارسلهم واسيلى من موسكوا وموردوا لاخراجهم من الروسية فلما سمع الامير مصطفى ذلك خرج من پربصلاول خوفا من الاهالى من جهة ومن عسكر الروس من جهة اخرى وتعدى نهر ليبسطان واقام فى شاطئ آخر منه منتظرا لوصول عسكر الروس فوصلت عساكر الروس على التتابع واحاطوا بالامير مصطفى من كل جانب فعسكر موسكوا من طرف وعسكر رزان من طرف وعسكر موردوا من طرف والاهالى من طرف وكل من هؤلاء على غاية من الغيظ والحنق بهم والحرص التام على الانتقام فحملوا عليهم من الجوانب الاربعة حملة رجل واحد فضاق الخناق على التتار من كثرة العدو وشدة البرد وكانوا لايقدرون الرمى من شدتها فلما ايقنوا بالهلاك والاضمحلال ان داموا على الحرب عرضوا على الامير مصطفى ان يستسلموا للروس ولكن الاستسلام كان محالا من الامير المشار اليه مادام به رمق فلم يصغ الى كلامهم قط بل هجم على العدو الذى لايعلم حسابهم الا الله مع رفقائه كالاسد الصائل محاربوهم محاربة شديدة وقتلوا منهم مقتلة

عظيمة حتى ذاب الثلج من كثرة جريان الدماء الحارة وقد اظهر الامير مصطفى من الشجاعة والبسالة ما صاربه مثلا فى الشجاعة بين الناس وتمثالا لها وبعد ان قتل من الروس مقتلة عظيمة سقط على الارض مغشيا عليه من كثرة الجراح فقتلته الروس بعد ذالك فادى مصطفى والحاصل انه ارى العالم بهذه الكيفية جريان دم چنكز خان وتيمرلنك منه واثبت انه خلف الصدق لجنكز خان حتى اضطرت اعداؤه الروسية الى التصديق بشجاعته واستحسنوها منه غاية الاستحسان ثم قال وفى اوائل الربيع من السنة المقبلة خرجت عساكر التتار من اوردو ودخلوا ولاية رزان فنهبوا فيها وغنموا والظاهر ان اغارتهم هذه انما كانت لاخذ ثار الامير مصطفى المذكور ولكنهم لم يفعلوا شيئا كبيرا غير الاضرار اليسير ثم رجعوا يقول راقم هذه الحروف لم ار ذكر الامير مصطفى هذا فى واحد من كتب التواريخ التى طالعتها ولم يذكره الفاضل المرجانى مع انه ربما يذكر من لا وجود له وقد ذكر فى روضة الصفا ان السلطان حسين ابن المرزا بايقرا لما هرب من السلطان ابى الخير فى سنة ٨٦٤ التجاء الى السلطان مصطفى سلطان الوزير (فى مملكة خوارزم) وزوج اخته بديع الجمال من پيربداغ اخى السلطان مصطفى الخ وقال فى موضع منه پيربداغ احمد ولكن تاريخ الوقعتين يأبى ان يكون الامير مصطفى المقتول هو السلطان مصطفى المذكور فى روضة الصفا وقد جرى له ذكر فيها الصفا بعد هذا التاريخ ايضا والله اعلم تنبيه ذكر الفاضل المرجانى فى موضعين من تاريخه ان كچى احمد خان تزوج اخت السلطان حسين ابن المرزا بايقرا بيكاى بيكم وقد نقلنا هنا من روضة الصفا انه زوج اخته بديع الجمال بيكم من السلطان احمد پيربوداغ وذكر فى موضع آخر منها مجيىء اخته المذكورة الى هرات لزيارة اخيها السلطان حسين فى حدود سنة ٨٩٠ مع ولدها الاصغر بهادر سلطان و بنتها خان زاده خانم وتركت ولدها الاكبر محمد فى مستقر سلطنة آبائه ولكن كون پيربوداغ احمد هذا هو كچى احمد خان بعيد جدا فانه على تقدير وجوده لم يبق الى زمان خروج السلطان حسين لما

ذكرنا قبل ولما نذكرمان كان هومن خوانين سراى فيمكن ان يكون هو السيد احمد خان الآتى ذكره ولكنه ايضا بعيد جدا لانه لم يشتهر بپير بوداغ ولان ظل سلطنتهم قد تقلص فى عصره من جهة الشرق كما تقلص من سائر الجهات والظاهر انه من خوانين آقا اوردواعنى خوانين تركستان وخوارزم وقد ذكر فى روضة الصفا ايضا عند ذكر محمد خان الشيبانى فاتح ممالك ماوراء النهر وخراسان ان اباه بوداق ابن ابى الخير تزوج نورى بيكم فى المحل الذى قدم اليه السلطان حسين بن بايقرا مستمدا من ابى الخير خان فولد له منها محمد خان الشيبانى الخ وهنا وان لم يذكر كون نورى بيكم المذكورة اختا للسلطان حسين بن المرزا بايقرا ولكن الظاهر من سياق كلامه انها اخته والا فما الداعى حينئذ على ذكر تزوجه عند قدومه كما لايخفى فيحتمل ان يكون نورى بيكم هذه غير بديع الجمال بيكم السابق ذكرها كما ان پيربوداغ احمد يحتمل ان يكون غير بوداق المذكور الآن ويحتمل ان يكونا عينهما ويقع لفظ پير مكان لفظ شاه ويكون احمد اسمه الغير المشهور وشاه بداق لقبه المشهور فيجمع هنا بينهما او يكون الخطاء من قلم النساخ واما سقوط لفظ شاه من اول بوداق هنا فمعلوم ويكون نورى كذلك لقبها اوواقعا غلطا من قلم النساخ وظنى الغالب هو هذا الاحتمال الاخير فيكون المتزوج باخت السلطان حسين شاه بداغ ابو محمد خان الشيبانى وابن ابى الخير خان ويكون پيربوداغ احمد ومصطفى خان المذكورين فى روضة الصفا ابنى ابى الخير خان والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال **والحاصل** ان الذى ظفرت به فى روضة الصفا هذ الذى ذكرته ولم اظفر فيها ولا فى غيرها بما ذكره الفاضل المرجانى ولا انفى بعدم وجدانى اياه وجوده من نفس الامر فان عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود فلعل الفاضل المشار اليه اطلع فى محل على مالم اطلع عليه الاان عصر كچى احمد خان على تقدير وجوده يأبى عنه اشد الاباء بحيث يكاد يدخله فى جملة المستحيلات

كالصديق الصادق أو فى عداد الموهوم مات كوجودكچى احمد خان نفسه والله سبحانه أعلم ذكر سلطنة السيد احمد خان ابن كچي احمد خان على زعم المرجانى او كچي محمد خان على راى هذا الفقير او ابن جلال الدين خان على قول الحاج عبد الغفار افندى والصواب عندى هو القول الاوسط ولم اطلع على تاريخ وفاة ابيه كوچى محمد خان ومبدأ تسلطنه بعده الا ان اول ذكره وقع فى تاريخ كارا مزين اثناء بيانه وقائع حدود سنة ١٤٤٧ م. مصادفة سنة ٧٥١ ه حيث قال وفى اواخر سنة ١٤٤٧ اظهر يسقوپس (١) رئيس كافة الروحانيين فى الروسية معايب الكيناز شما كى لقوم الروس وعدد قبائحه قائلا انه لم يرد خزائن موسكوا او أصنامها الثمينة الى محالها وانه يصادر الامراء والاعيان الذين هم فى طرف الكيناز واسيلى ويغرى عليه أعزة احبائه ويغويهم وانه يجتهد سرا فى الاتحاد والاتفاق مع اهالى نوغوردوواتكا وحكومة قزان وانه لم يشترك فى مصاريف سفراء الخان السيد احمد الذى هو خان فى كوك اوردوا ونوغاى الروسى (يعنى فى سراى) حين قدموا الى الكيناز واسيلى ولم يعنه فى ارسال الهدايا الى الخان المشار اليه مع سفرائه المذكورين متعللا بانه ليس بخان حقيقى ثم قال خطابا للديمترى (٢) وأعط الإباء ان اباكم واجدادكم كم بذلوا جهدهم فى تحصيل الكينازية العظمى وكم سفكوا لاجلها دماء قوم الروس فينبغى لك أن تتذكره وتتفكر فيه اما تذكر ان محمد خان العارى عن الدين (٣) حاصر موسكوا وكم اهلك فيها من الروس واحرق الكنائس واسر الصبيان وسبى النساء حتى انه لم يترك الرهابنة ولاشك انك مسئول عنها عند الله لاشبهة فيه فان تلك البلايا والمصائب انما نشأت من عدم اعانتك وامدادك الكيناز الاعظم يعنى واسيلى فى ذلك الوقت ومن

---

(١) اى الاسقف وذلك لثقه عما اتفاق الروسية بمنازعته اخا الكيناز واسيلى فى الكينازية منه عفى عنه .

(٢) الظاهر من العبارة الاتية بعيد ذلك انه ابن اليورى المار ذكره منه عفى عنه

(٣) يعنى عن دين الروس وهو عبادة الاصنام واعتقاد التثليث وهو الوع محمد خان وسيجئ قصة قصده موسقوا فى المقصد الثالث انشاء الله منه عفى عنه .

شامتك فجعل محمود ابن خان قزان (١) سفير موسكوا في الغل وانتم لا تصدقون خانية السيد احمد خان اما تدرى ان اباك (٢) قد تحاكم في تلك المملكة (يعني مملكة سراى) مع الكيناز الاعظم اليس اولاد الكينازات المذكورين بل انفسهم في خدمة السيد احمد خان المشار اليه الآن اه فاذا كان صدور هذا التقبيح والتشنيع من پسقوپس في حق شماكي وديمترى في التاريخ المذكور فقد دل على ان مجيئ السفير من عند السيد احمد خان الى موسكوا كان قبل ذلك وتسلطن السيد السيد احمد يكون مقدما على ارسال السفير بالضرورة فقد تبين ان تسلطنه لم يتأخر من سنة ٨٥٠ ه وكذلك وفاة ابيه كچى محمد خان بل يمكن تقدمها عليها فعلى هذا يكون الوقعة الآتية في مبادى تسلطنه وهي ما ذكره كارا مزين اثناء بيان وقائع سنة ١٤٤٦ م مصادفة سنة ٨٥٠ ه بعد ذكر وقعة محمود خان القزاني حيث قال وفي تلك الاثناء هجم طائفة اخرى من التتار ونهبوا اطراف بلدة يليتسه و ولاية موسكوا ولكن الاميرزاده قاسم الذى كان صديق واسيلي خرج عليهم وحاربهم في موضع يقال له بيتوع وشردهم اه ويؤيد كون الوقعة المذكورة في عصر السيد احمد خان (٣) مع عدم ذكره فيها كارامزين الوقعة الآتية متصلة بها حيث قال في اثناء بيان وقائع سنة ١٤٥١ م مصادفة سنة ٨٥٥ ه كان اهل موسقوا في خوف من

---

(١) هذا في نسخة كارا مزين المترجم عنه مع ان الذى جعله محمود في الغل هو كيناز موسقوا واسيلي نفسه لا سفير موسقوا فقط كما سيجيء في المقصد الثالث انشاء الله تعالى ولم اطلع على مراده بهذا التعبير ولعله الستر والله سبحانه اعلم منه عفي عنه .

(٢) يعني اباه يورى بن ديمترى دونسكي حيث تحاكم هو وواسيلي في سراى لاجل الكينازية كما مر ولكن فاته ان الذى تحاكما عليه هو الوغ محمد خان الذى يظاهر كل هذه التوبيخات من لاسقف لضبطه به وحثا على استيماله لاحباللسيد احمد خان منه عفي عنه .

(٣) بل صرح الفاضل المرجاني اثناء بيانه خوانين خان كرمان الوقعة المذكورة في عصره وجعل قائدهم مولام بردى اوغلان ولكن في بينه نوع مغايرة وجعل تاريخه في سنة ٨٥٣ ولكن مساهلته في تطبيق التاريخين كثيرة وعلى كل حال فقد صرح بسلطنة السيد احمد خان في التاريخ المذكور وناقض به ايضا قوله في كچى محمد خان وكچى احمد خان الموهوم وامثال ذلك يصادف كلامه كثيرة سامحه الله . منه عفي عنه .

السيد احمد خان الذى كان خانا فى اوردو نوغاى فانه كان مصرا فى طلبه الاتاوة والخراج من واسيلى وكان يهدده بالمحاربة ان منع من ادائها فارسل الخان المشار اليه عسكرا الى موسقوا تحت قيادة ابنه الامير مازوفشاه فخرج واسيلى من موسقوا اللقائه ولكن لما سمع كثرة عسكر التتار رجع القهقرى وامر الكيناز وينيغوردسكى ان لا يترك عسكر التتار ان يعبروا نهر اوقه وفر بنفسه الى موسقوا ولكن الكيناز المذكور لم يقدران يمانع التتار من العبور بل هرب مع عساكره بمجرد ماوقع نظره على سواد التتار فانتهت عساكر التتار الى موسقوا واحاطوا بها فهرب واسيلى منها الى اوگليچه وتهيأ اهل موسكوا مدافعة ولكن لما كانت التتار اضرموا النار فى المحلات التى باطراف موسقوا وكانت الهواء فى غاية الحرارة والريح شديدة لم يروا شيئا من كثرة النار والدخان وبقوا متحيرين ولما انطفى الحريق خرج عسكر الروس من موسقوا وحاربوا التتار وابعدوهم عن اطراف البلد ثم دخلوا موسقوا واغلقوا ابوابها وتحصنوا فيها وهيأوا الآت المدافعة ولم ينجا سراحد ان ينام فى الليل فلما اصبحوا على غاية من خوف هجوم التتار رأوا انه لم يبق منهم احد لايرى منهم اثر بل ذهب كلهم ثم تحقق بعد التحقيق انهم سمعوا ان الكيناز واسيلى يجىء لمحاربتهم بجيش كثيف فتوجهوا الى بلادهم بالسرعة حاملين ماخف من الغنايم تاركين مايصعب نقله اه ثم قال وكان الكيناز واسيلى بين واسيلى لايعطى الخراج للتتار بالتمام لانه كان فيمابينهم فى اوردو اختلال داخلى دائما ومع ذلك كانت التتار لا ينظرون الى نقصانهم وضعفهم هذا بل كانوا يهجمون على بلاد الروس ويغيرون عليها تترى ولكنهم كانوا يردون من طرف الروسية مغلوبين اه وقال فى اثناء بيان وقائع سنة م ١٤٥٥ مصادفه سنة ٨٦٠ ه ان عسكر احمد خان ابن كچيم هجموا (١) فيها على

(١) وذكر كارامزن هجوم اهل قزان على الروسية دائما ورادة واسيلى محاربتهم ومجيء رسل ملك قزان الى الامير بطلب الصلح وذلك فى ايام حكومة خان القزانى كما سيجىء فى محله انشاء الله تعالى منه عفى عنه.

ولاية رزان وپيزباصلاول ولكنهم رجعوا عنها منهزمين بترك كثير من الجرحى واتهموا قائدهم قزات اوغلان باخذ الرشوة من الروسية اه ثم قال بعد بيان هلاك واسيلى الثالث المشهور بنومنى ابن واسيلى الثانى وجلوس ولده ايوان الثالث على صندلية حكومت الروس فى اثناء بيان وقائع سنة ١٤٦٥ م مصادفة سنة ٨٧٠ ه ان الا يوان الصغير قضى مدة ثلاث سنين فى الكينازية على الصلح والراحة وكانه كان يدارى خوانين سراى بارسال بعض ما كانوا يرسلون اليه من الجزية والامتناع عن اداء البعض وكأنّ احمد خان غضب عليه بعدذلك لامتناعه من ادائها بالتمام فجمع عساكره وقصد الروسية وتوجه الى موسكوا ولكن الله سلط التتار على التتار على اقبال ايوان وبخته وذلك انه لما قرب اوردو احمد خان من اهالى نهر دون خرج حاجى كراى خان عليه بعساكر قريم وحاربه هناك فقتل من الطرفين كثير من التتار وبقيت الروس متفرجين عليهم اه قلت وهذا اول فتح باب الحرب بين خوانين سراى ومتغلبى قرم وكان البادى به متغلبوا قرم وتوسع انفتاح باب اقبال الروسية الذى انفتح سابقا بتطرق تيمر على تلك الديار فى النوبة الاخيرة كما مر * ذكر هجوم السيد احمد خان على الروسية ثانيا وبيان وقعة قلعة الكسين التى نسبها الفاضل المرجانى (٢) لسكچى احمد خان الموهوم قال كارامزين ان الايوان الشاب لم يقع بينه وبين التتار شئ يذكر غير ان بعض المفارز من عساكر احمد خان كانوا يغيرون على ولاية رزان الا انهم كانوا لا يتعدون على ولاية موسكوا وكان الطالع يرقى الروسية وينزل التتار ولما كانت سنة ١٤٦٨ (يعنى م مصادفة سنة ٨٧٣ ه) ارسل قازيمير كيناز ليتوا ولهستان سفيرا الى احمد خان بهدايا ثمينة يدعوه الى الاتفاق على محاربة الروسية ويقول له انت من ذاك الطرف وانا من هذا الطرف فقبل احمد خان وارسل اليه سفيرا من طرفه لتاكيد ذلك وليخبره بانه يسير على الروسية بعد اشهر فبعد ان اتم استعداده للحرب وجمع العساكر خرج قاصدا

(٢) وقد جعل تاريخها فى سنة ٨٧٧ كما تعرفه بالمراجعة الى مستفاده منه عفى عنه.

الروسية بموجب وعده فلما سمع ايوان ذلك الخبر ارسل فيودر (١) بن داويد مع العساكر وجمع من الامراء الى نهر اوقه ليصدوهم عن العبور وليحاربوهم ولما وصل الخان الى قلعة الكسين خرج بنفسه الى قولومنا واراد ان يدير عسكره من هناك وكان معه الامير دانيار (٢) بن قاسم خان مع عسكره وكانت من سياسة ايوان ان يعرض التتار على التتار ويسلط بعضهم على بعض ويلقى العداوة بينهم ويفرق كلمتهم ويشتت شملهم وكان عدد عساكره الذين جعلهم فى مقابلة التتار بلغ مائه وثمانين الفا مستوعبين مسافة مائة وخمسين ويرستا ومع هذه الاسباب القوية كلها كان اسم الخان واسم التتار يورثان الخوف والدهشة في قلوب الروس حتى ان ام ايوان هربت من خوف التتار الى روصتوف ولم تقدر ان تقعد في موسكوا ولما نزل الخان احمد فى الكسين احرق البلد واسر كثيرا من اهاها وغرق كثير منهم في نهر اوقه وبقيت عساكر الروس متفرجين لهذه الاحوال في شاطىء آخر من النهر ولم يحصل منهم ادنى حركة ولما وقع نظر احمد خان على عساكر الروس ورأى ترتيباتهم وانتظامهم تحير من ذلك وتاءثر من كثرتهم فامر عسكره بالتاءخر فتاءخروا بالتأنى والانتظام ولما دخل الليل توجهوا الى بلادهم بالسرعة حاملين ما خف وتاركين الاثقال حتى وصلوا الى بلادهم فى ستة ايام وقد قطعوا تلك المسافة وقت مجيئهم فى ستة اسابيع ولكن الروسية لم تتجاسر ايضا على تعقيبهم لاستيلاء الخوف عليهم كما ذكرنا اه قلت هكذا ذكر مورخ الروس ولعل هنا اسباب اخر مقتضية لرجوعهم مثل الاحتلال والهجوم على كرسى السلطنة من طرف خوانين قرم او غيره كما وقع سابقا وقال الفاضل المرجانى انه بلغه قصد دانيال بن قاسم بلدة سراى من جهة وقصد اخيه مرتضى من جهة اخرى اه الا ان قوله اخيه مرتضى يخالف ما قاله كارامزين فانه جعله ابنه كما سيذكر وعلى كل حال لا يتصور منه الهجوم واما دانيال فيمكن ان ايوان ارسله بقصد الاحتيال لرجوع احمد خان واشاع ذلك فى معسكر احمد

---

(١) وهو الذى هجم على البلغار فى عصر واسيلى سنة ٧٢٢ منه عفى عنه.

(٢) هكذا فى الاصل المنقول عنه بالراء فلا تنسبونى الى الخطاء منه عفي عنه.

خان كما فعل مثل ذلك في الوقعة الآتية فتنبه والله سبحانه اعلم ذكر موقايع السيد احمد خان مع خان قرم منكلي كراى خان وقال كارامزين وفي سنة ١٤٦٧ يعني ميلادية ولعله في نصفها الاول فيكون في أواخر سنه ٨٧١ ه وفقا لما ذكر في السبع السيار توفي حاجي كراى خان القريمي وخلف سنة (١) اولاد نوردولت حيدر اوسميمارا يمغورجي ملك امان وواحد غيرهم ذكر جلوس منكلي كراى خان على مسند خانية قرم بعد ذكر ماجرياته مع بعض اخوانه ثم ذكر اتفاق الروسية مع منكلي كراى خان على المدافعه وقال وكان اتفاقهم على الوجه الآتي وهو ان منكلي كراى خان يعين الروسية على ليتوا التي هي خصميها ويعينه الكنياز ايوان على دولت اوردو الذهب التي هي خصمه وكان هذا الاتفاق مفيدا للطرفين فائدة كثيرة حيث ان دولة سراى انقرضت واستقلت قرم بالخانية ونجي من الخوف وفائدته للروس لاتعد (٢) ولاتحصى حيث انها تخلصت من رقبة التتار التي امتدت الى ماءتين وخمسين سنة ٢٥٠ تخلصا ابديا وغلبت على ليتوا التي كانت تغلب عليها دائما فاستفادت الروس من هذا الاتفاق استفادة كلية وهي وان كانت تعطي لمنكلي كراى خان في مقابلة ذلك شيئا من الخراج الا انه كان بالنسبة الى استفادته من جهتين لاشيئا محضا فان هذا الاتفاق قد خدم لترقي الروس وعظمته خدمات كثيرة ولكن هرب منكلي كراى خان بعد ذلك بمدة يسيرة الى كفه والتجاء الى جنويز بسبب خروج اخيه حيدر عليه وفي عين هذا الوقت جاء كوك احمد پاشا الى كفه من جهة السلطان محمد فاتح عليه الرحمة واستولى عليها وخربها واسر من فيها من جنويز والروس واسر ايضا منكلي كراى خان ايضا وحمله الى السلطان

(١) وقال ابو الغازى خان خلف ثمانية اولاد على هذا الترتيب دولت يار نوردولت خان حيدرخان قتلغ زمان كلديش منكلي كرى خان يمغورچى اوز تيمور اه فظهر ان مراد كارامزين باوسميما رهو اوز تيمور منه عفي عنه .

(٢) قلت لايقدر المورخ ان يصف فائده هذا الاتفاق للروسية حتى وصفه بانه والسبب الوحيد لترقي الروسية الى هذه الدرجة . منه عفي عنه .

فنصبه السلطان خانا الى قرم وارسله هناك ولكن كان احمدخان ارسل ابنه الى قرم بعساكر كثيرة فدخلها واستولى عليها وضبط جميع بلادها فاستولى على الروسية خوف عظيم من هذالجهة فنصب احمدخان فى قرم واحدا من اولادالخوانين يسمى جانبك اوزينى بك خانا فى قرم من جهته وكان جانبك هذا سابقا فى خدمة ايوان فارسل الى ايوان يقول له انه ان طردونى من الخانية فهل يقبلنى ايوان كمافى السابق فسر ايوان بذلك سرورا عظيما وارسل اليه يقول انه قدقبلك سابقا وانت وحدك لا ملك لك والآن كيف لايقبلك وانت صاحب ملك عظيم بل ينظر اليك الروسية بنظر المحبة والمودة وكان ذلك فى سنة ١٤٧٦م مصادفة سنة ٨٨١ ه قال وكان خان اوردو الكبير احمد فى تلك الاثناء يعد خانا كبيرا وكانت الروسية ايضا معترفة بذلك وكانت تؤديه الخراج كما فى السابق ومتى جاء احد من طرف الخان الى موسكوا كان الكيناز الاعظم يستقبله من خارج موسكوا وكانوا يفرشون لمن يقرأ فرمان الخان مفارش من السمور فيجلس عليه ويقرأ فرمان الخان والكيناز الاعظم وامراؤه يسمعونه جاثين على ركبهم وكان فى وسط دار امارة الروس المسماة عندهم بكريملة دائرة مخصوصة لمأمورى الخان يقيم بها سفيرالخان والباصقاق يعنى عامله وكثير من المأمورين وكانوا بهذاالسبب واقفين على اسرار الروسية وحركاتهم وسكناتهم وكانت تلك الحالة لاتلايم طبع صوفية زوجة الكيناز ايوان لكونها من سلالة قيصر الروم فقالت يوما لزوجها ايوان الى متى استمر انا جارية للتتار لااحب ان نخدم لتتار بعد ذلك وان نحترمهم هذا الاحترام وكانت تريد دائما ان تخلص الروسية من رقبة التتار وكانت ذات حيلة وخدعة فمن حيلتها انها كتبت الى زوجة احمد خان كتابا تقول فيه انى امرت فى رؤيايى ان ابنى معبدا فى الدائرة المختصة بمأمورى الخان فى كريملة فارجو من مرحمتكم ان ينقل حضرة الخان هذه الدائرة الى محل آخر ويأذن لى فى بناء معبد فى

محلها من كريملة وارسلته مع واحد من اخصائه بهدايا عظيمة فصار رجاؤه هذا مقبولا لدى الخان وارسل منشورا مشتملا على الاذن بذلك فأخرجوا مأموري الخان من كريملة الى محل آخر وبنوا فى دائرتهم من كريملة كنيسة وسموها بكنيسة اسپاس فكانوا بعد ذلك لايتركون مأموري الخان يدخلون دار الامارة فصارت التتار بهذا السبب لايقفون على اسرار الروسية وعينوا لاستقبال من يجيء من طرف الخان مأمورين مخصوصين وعينوا لنزولهم وقراءة فرمان الخان محلا مخصوصا خارج دار الامارة وكان ذلك من نقصان تدبير الخان المذكور وكانت الروسية تتدرج هكذا فى التخلص من سلاسل رقبة التتار قدما فقدما وكانت التتار ايضا مواظبين على ارسال تلك السلاسل وارخائها قلت كيف لايرسلونه بعد ان انضمت الى الدب المسلسل جم غفير من جنسهم وصاروا يهجمون عليهم معه من كل جانب نعم واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ويقال لهذا انعكاس الامر وانقلا به فان الروسية كانت قبيل هذا بمدة يسيرة على ماكانت عليه التتار الآن من تفرق الكلمة وتشتت الاراء والمقاصد والشقاق والنفاق وكان المورخ كارامزين يتاسف على ذلك ويقول ان هذا من صنيع التتار وخدعتهم وانهم يجتهدون فى تسلط الروس على الروس كما مرعنه نعم كانو يفعلون ذلك حين كان باب الاقبال مفتوحا لهم ولما اغلق باب الاقبال دونهم وفتح للروسية انعكس الامر فسبحان من اقام العباد على ماأراد وهو الفعال لما يريد ولله الامر من قبل ومن بعد ولوشاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون الاترى ما قاله المورخ المذكور بعد ذلك قال وعلى كل حال كان اطمئنان قلب الكيناز ايوان من جهة التتار فى ازدياد دائما لعلمه ويقينه ان خوانين التتار سينقرضون عن قريب انقراضا كليا بسبب محاربة بعضهم بعضا ولذا امسك يده عن محاربتهم وصار يداريهم بتاء دية الخراج لهم وارسال الهدايا اليهم لتنظيم اموره وتحسين احواله بالراحة والاطمئنان وكان فى سنة ١٤٧٤ م مصادفة سنة ٨٧٩ ه يقرأ

فرمان الخان فى موسكوا وكان سفير الخان مرزا قراجق ايضا فيها مع ستمائة نفر من عسكر التتار وكان سفير الكيناز ايضا عند الخان وفى السنة المذكورة كان ٣٢٠٠ من تجار التتار مشغولين فى الروسية بالتجارة وكانوا جاءوها باربعين الف من خيل آسياوفى سنة ١٤٧٥ رجع سفير الكيناز ايوان لازاريف من الاوردو الكبير واخبره بان احمدخان ارسل تربوبزان سفير وينيتسيان الى ايطاليا بحرا ولم يرد ان يحارب عثمانلى اه قلت يفهم من هذا ان مجيئ هذا السفير من طرف قرال ايطاليا انما هو لدعوة احمدخان الى محاربة عثمانلى وانه لم يجبه الى ذلك وقد ناسب هنا ان ننتخب ما المنب فيه السيد محمد رضا افندى فى السبع السيار فى بيان ماجريات احمدخان مع مكلى كراى خان لكونه ملتقيا ما ذكره كارامزين فى بعض النقط ومفرقا اياه فى بعض آخر منها ليكون المطالع على البصيرة قال لما توفى حاجى كراى خان فى سنة ٨٧١ جلس مكانه ولده مكلى كراى خان وبعد ثلاثة اشهر خرج عليه من بنى اعمام السيد احمدخان السرائى نور دولت سلطان فهرب منكلى كراى الى جانب كفه وطمان ولاذ بكفرة جنويز وبعد مدة خرج على نور دولت اخوه كلدى باى باتفاق من سائر اخوانه وقتلوه وبعد خمسة عشر يوما من هذا ظهر مكلى كراى ثانيا وهجم على كلدى باى فانهزم المذكور وهرب الى جانب ايدل واستولى مكلى كراى على جميع ما فى معسكره وقتل اتباعه وجلس الى كرسى الخانية ثانيا وما اشتهر بين الناس من ان عسكر السلطان محمد الفاتح عليه الرحمة اسروه مع كفرة جنويز وحملوه الى السلطان وان السلطان نصبه خانا الى قرم وارسله هناك باعطاء اسباب السلطنة خارج عن دفتر الصدق والسداد بل الصواب فى هذا الباب انه لما تيقن ان طرد كفرة الجنويز الذين استولوا على سواحل قرم بعد دخول القسطنطينية فى حوزة عثمانلى وتطهير قرم من لوث وجودهم وكذلك التخلص من مخالب السيد احمد خان موقوف على التشبث بذيل

السلطنة العثمانية والانتساب اليهم كتب الى السلطان المشار اليه باعلام ذلك فوقع ذلك موقع القبول من السلطان فبعد ذلك ارسل اليه كديك احمد پاشا مع فرقة من العساكر العثمانية ففتحوا البلاد الساحلية واستردوها من يد الجنويزية ودمروهم تدميرا وشتتوا شملهم بتضييقهم بالعساكر العثمانية بحرا وبعساكر التتار برا وكان ذلك فى سنة ٨٨٠ (١) وجعل تاريخ فتحها شفقت (٨٨٠) وبعد ان اطمئن خاطر مكلى كراى من هذه الجهة اراد ان يخلص نفسه من تشويش تخت ايلى يعنى هجوم خوانين الاوردو الكبير وسراى واستعجل فى ذلك وتهالك ولم يراع الحزم والاحتياط فارسل فى طليعته من الامراء المعبر عنهم بقراچو امير لواء شرين مع قبيلته فتقدم على الخان مرحلة واحدة فصادف مكلى كراى فى تلك الاثناء مرتضى سلطان اخا السيد احمد خان وقد ارسله اخوه لتجسس احوال العدو فاظهر له انه متنفر من اخيه السيد احمد خان وهارب منه فصار مكلى كراى ممنونا ومسرورا به واشتغلوا مدة هناك بالعشرة حتى وقف السلطان المشار اليه على اسرار مكلى كراى ونواياه فارسل الى اخيه السيد احمد خان يخبره بذلك فاستعد السيد احمد خان للمدافعة والمقاتلة ولما اطلع مكلى كراى على خدعة السلطان مرتضى حبسه عنده وتوجه نحوما قصده من محاربة السيد احمد خان ولما انتشب القتال بينهما انكسر عسكر البغاة وجرح مكلى كراى وتخلص من مخلب السيد احمد خان وهرب وتحصن فى قلعة قرقر (قرق ار المشهور الآن بقلعة چفود يعنى يهود وهو بقرب بغچه سراى) فتعقبه السيد احمد خان لعلمه بان ازالة وجود مثل هذا الذى يسعى ويجتهد فى تخريب دولة التتار واستيصالهم من اهم المهمات واشد اللوازم شرعا وعقلا فاستولى على بلدة صلغات الواقعة بقرب كفه بعد محاصرتها اربعين يوما ثم توجه الى كفه وغب وصوله ارسل الى محافظ القلعة من طرف الدولة

---

(١) وفى الاصل المنقول عنه سنة ٨٨٧ وهو خطأ بلا ريب كما هو ظاهر من اللفظ الذى جعل تاريخ الفتح ولذا اثبتناه هنا منه عفى عنه.

العثمانية مير ميران قاسم پاشا يطلب منه تسليم القلعة اليه فاظهر له المشار اليه الموافقة والانقياد والمحبة والوداد يعنى لاقتضاء الوقت هذا ففى تلك الاثناء جاء واحد من طرف استانبول ودخل على مجلس الپاشا المومى اليه وعنده سفير السيد احمد خان فقال للپاشا ان السلطان سمع قصد السيد احمد خان فارسل عساكر كثيرة مع المدافع وسائر الاسلحة لمحاربته فامر الپاشا فى عين ذلك الوقت باخراج السفن الى وجه البحر ليرى السفير المذكور كانها جاءت من استانبول حاملة العساكر وامر بضرب المدافع ايضا لالقاء الرعب فى قلوب السيد احمد خان وعساكره ثم قال للسفير المشار اليه ها قد رأيت الحال وسمعت المقال لا نسلم القلعة بدون المحاربة والقتال فقل للخان المشار اليه يستعد للقتال ومبارزة الابطال فلما بلغ السفير المشار اليه ما رآه وما سمعه للسيد احمد خان استولى الخوف عليه واختار الفرار على القرار فتوجه نحو دياره مع عساكره اه ما تعلق به المقصود وسياتى البقية قال كارامزين بعد ذكره ما سبق منه ان احمد خان لما طرد مكلى كراى واستولى على قرم ونصب جانبك خانا على قرم من طرفه وحصل له قوة عظيمة بهذا واطمئن خاطره من هذه الجهة ولم يبق الا تليين الروسية وتربيتها ارسل المرزا پوچق الى الكيناز ايوان الثالث ابن الواسيلى تومنه الثالث يقول له ايحضر كيناز الروسية الى اوردو كما فى السابق وليؤد الجزية تماما مثل ما كانوا يعطونها الخوانين الماضين فاكرم الكيناز ايوان المرزا پوچق غاية الاكرام وقال له انه ينشر الاوامر بين الروسية لجمع الخراج واعطاه هدية وكذلك اعطى للخان ايضا هدايا عظيمة واعاده الى الخان لهذه الخدعة ودفعه بالتى هى احسن ولكن لم يكن للخراج وجود الا فى اللسان فقط قال وفى عين هذا الوقت ارسل ايوان سفيرا الى السلطان اوزون حسن بالعراق يحرضه على محاربة احمد خان ويدعوه الى الاتفاق معه لبغضه جنس المغل فرجع سفير الروس مارق بخى

حنين خائبا قال وفى سنة ١٤٨٠ (يعنى م مصادفه سنة ٨٨٥ ه)ظهر منكلى كراى ثانيا وخرج من مكمنه واثبا وطرد من حكومة قرم جانبك خان الذى كان احمد خان نصبه خانا فى قرم من طرفه كامر وجلس على صندلية الحكومة فهرب جانبك الى الروسية واخبر منكلى كراى بجلوسه ثانيا الكيناز ايوان فارسل اليه ايوان سفيرا مخصوصا للتبريك ولتحكيم الاتفاق السابق وتجديده وافاده انه انما قبل نور دولت وجانبك لئلا يقوما عليه ثانيا بطلب الخانية وحلفا على رعاية هذا الاتفاق وكتب ايوان عهدا على منكلى كراى بانه ان طرد عن الخانية يقبله لنفسه ويحميه ويسعى فى اعادة خانيته بقوة عسكره فان منكلى كراى كان مضطرا الى هذا الشرط لانه صار مطرودا عن الخانية مرتين وبعد وقوع هذا الاتفاق قوى قلب ايوان فصمم على اعلان الاستقلال فمزق فرمان احمد خان الذى ارسله بطلب الخراج ورماه الى الارض وداسه برجله وقتل سفراءه الا واحدا منهم وقال له قل للخان مارأيته بعينك من معاملتى بمنشوره وسفرائه ولا يرسل الى بعد ذلك سفيرا فان فعل اقطع رأس سفيره ولما بلغ هذا الخبر الغريب سمع احمد خان زمجر زمجرة الاسد وزخر زخرة النمر وقال كيف اساء مملوكى كيناز موسكو الادب لسيده هذه الاساءة ماقلب الروسية كافة ظهر البطن وادمرها تدميرا وامر بحشد الجنود حالا قال كارامزين بعد ذكره هذا قال بعض المؤرخين ان ايوان كان متصفا بغاية التدبير لم يكن ليلقى نفسه فى مثل هذه التهلكة ولم يقتل مأمورى احمد خان وانما كان سبب جمع احمد خان العساكر لحرب الروسية تحريض كازيمير قرال لهستان واغراؤه فانه لما رأى ازدياد قوة الروسية التى هى عدوه وانتظام امرها ساعة فساعة وان هذه الحالة مضرة به فى المستقبل ومخوفة اياه اراد كسر قوتها ونقص شوكتها باغراء احمد خان عليها وارسل اليه رسولا من اولاد خوانين التتار الذين كانوا عنده يسمى آق كراى بن مراد يقول له ان مملوكك ايوان يستحقرك ويهزأ بك حيث انه لا يؤدى اليك الخراج لا ينبغى لك ان تتركه على هذا الحال بل عليك ان تهجم على الروسية بعساكر كلية من تلك الجهة وانا اهجم

عليها من هذه الجهة فنعرفه حده كما عرف ذلك اجداده جده وكان الوقت مساعدا لذلك. ذكر مسير احمدخان(١) الى الروسية ودخوله فيها لتربية ايوان وحربه قال وعلى كل حال صمم احمدخان على حرب الروس وحشد عسكرا كثيرا وكان له ابن اخ يسمى قصيده وكان مدبرا شجيعا وكان ينازع عمه احمدخان فى الخانية من مدة مديدة فاستماله اليه بتوجيه ولاية العهد الى عهدته وارضاه بذلك وجعله قائد العسكر التتار وكان مقاولته مع القرال كازيمير ان يهجم احمدخان بعسكر التتار على الروسية من جهة نهر اوقه وكازيمير يهجم عليها بعسكر ليتوا من اعالى نهر اوغر(٢) فى وقت واحد فخرج الخان على هذا الاتفاق قاصدا الروسية فى سنة ١٤٨٠ (يعنى م مصادفة سنة ٨٨٥ ه) ومعه ابن اخيه الامير قصيده وابناؤه الستة وكثير من امراء عسكر التتار وكافة اوردو وكان ايوان فى الوقت المذكور مشوش الخاطر بسبب حدوث نزاع بينه وبين اخوانه واقاربه ولما بلغت هذه الحادثة الروسية استولى عليهم الخوف فارسل الى صديقه مكلى كراى خان سريعا يخبره بماجرى بين احمد خان وكازيمير من الاتفاق على الروسية فاغار مكلى كراى على بلاد ليتوا وشغل كازيمير عن قصد بلاد الروسية وعوقه عن القيام بموجب الاتفاق وارسل ايوان نور دولت من جهة اخرى مع بعض امرائه بفرقة من العسكر لقصد بلدة سراى التى هى كرسى سلطنة احمد خان لما عرف انه لم يترك فيها عسكرا كافيا للحفظ فيستولون عليها او يرجع احمد خان اليها ويترك الروسية فكانت تلك التدابير من احسن التدابير المفيدة للايوان وصارت مصداقا لقول الشاعر شعر:

الرأى قبل شجاعة الشجعان ٭ هى اول وهو المحل الثانى

فانه لاتدبير لكسر جناح احمدخان وارجاعه بلا نيل المرام سوى هذا ثم شرع فى ترتيب العسكر وتعيين القواد واعطاء التعليمات وسوق العسكر فى يونيه ثم خرج بنفسه مع خواصه للقاء احمدخان فى ٢٣ يوليه من السنة

(١) وهى وقعة اوغر التى نسبها الفاضل المرجانى لاحمد خان مطلقا وقال باسره بيد الروسية وقتله وجعل تاريخه سنة ٩٠٨ منه عفى عنه.

(٢) نهيرة تصب فى نهر اوقه فوق موسكوا منه عفى عنه.

المذكورة واخذ وظيفة القيادة العامة على عهدته وكانت ترتيباته العسكرية مطابقة لترتيبات ديميتري دونسكوى وكانت كافة الروسية منتظرين الى نتيجة الحرب وكانوا على خوف عظيم وكان ايوان يقول ان السلطنة ليست فى كسب الشهرة بالمحاربة والغلبة وانما هى فى استراحة الرعايا وكون البرايا فى الامن والامان واكسابهم الثروة ماذا فعل ديمترى الدونى بمحاربته وغلبته على ماى الم يأخذ توقتامش خان بعد ذلك منه الخراج بعد تشتيت عساكره واحراق موسكوا وغارتها وماذا فعل ويطوفت فرال ليتوابتمير فتلغ الم يغتنم انجاء نفسه وسلامة روحه بعد ان افنى كافة عساكره حين قام بنية استيصال التتار فان استعجلت انا ايضا اغترارا بالاقبال الاعمى والبخت التصادفى ليتم امرى فى ساعة واحدة فاما ان اصير مغلوبا فاكون سببا لربط كافة الروسية بغل الاسر متجددا واما ان اصير غالبا فيحتمل ان يجمع التتار شملهم ويخربوا موسكوا ويجعلوها رمادا كما وقع فى عصر توقتامش خان ولهذا كان لايستعجل للمحاربة ويتمنى رجوع احمدخان بالتدابير المذكورة واما احمدخان فانه لما سمع تحشد كافة عساكر الروسية فى اعالى نهر اوقه فى مقابلته وتوجه ايوان ايضا بعساكره الخاصة لمقاتلته ولم ير اثر الحركة من متفقه كازيمير عدل من ساحل نهر اوقه الى طرف الجنوب وقصد جهة نهر اوغر ليقصد الروس من طرف خال من العسكر وليتحد ويجتمع بعسكر ليتوا ولما وقف ايوان على توجه احمدخان الى طرف نهر اوقه ساق عسكره الى تلك الجهة ودخل بنفسه فى موسكوا وكان اهل موسكوا حملوا اشيا هم واموالهم الى كريمل (يعنى دار الامارة والقلعة الداخلية) فلما رأوا مجئ ايوان صاحوا كلهم وقالوا انه هرب من التتار مع انه يأخذ منا كثيرا من الاموال ويأكلها ولم يعط للخان الخراج المعتاد داؤه فاضطره لاجل ذلك الى محاربتنا والآن هرب من التتار واتى موسكوا فيجئ احمدخان من ورائه ويحرق موسكوا فالصواب ان لانتركه ان يدخل فى موسكوا فتأثر من مشاهدة هذا الحال تأثرا زائدا

ولم يتجاسر ان يدخل فى كريملن بل وقف فى كراسني سيلا وقال للاهالى انا ماهربت من التتار وانما جئت لمشاورة رؤساء الروحانيين فقال له الاهالى والروحانيون كافة ان مشاورتنا ورأينا ان لانتوقف هنادقيقة واحدة وان تذهب وتحارب فبعد ان اخذ ايوان دعاء الروحانيين توجه الى معسكره ولحق بالعسكر فى بلدة(١) كريمينيست وارسل الى احمدخان سفيرا مع الهدايا يطلب منه الصلح وترك القتال فلم يقبل احمدخان الصلح وهداياه لشدة غضبه عليه وقال انه يريد تربية ايوان لانه منذ تسع سنين لم يعطنى خراجا فليجئنى بنفسه الآن وليعتذر الى وليؤدى الخراج فاعفو عنه ايضا ما مضى فلم يرض به ايوان فارسل اليه احمد انه ان لم يجئ بنفسه فليرسل الى ابنه او اخاه او القائد نيكيفور فلم يرض به ايوان ايضا فتم بذلك مراسلتهم بالكلام ولم يبق الا المراسلة بواسطة السنان والسهام ولم يناسب طلب الايوان الصلح من الخان لاهل موسكوا خصوصا القسيسين منهم فكتب اليه المطران (ميتروپوليد) كتابا مسهبا يحرضه فيه للقتال ويغريه على الخان اشد الاغراء ولكن لم يباشر الايوان القتال ولم يتجاسر عليه حتى التشرين الاول (اوكتوبر) ولما انجمد نهر اوغر امر عسكره بالرجعة الى بلدة كريمينيست فخافت الاهالى من مشاهدة هذا الحال وقالوا ان ايوان خاف التتار فلايريد محاربتهم وقد جاء احمدخان لاستيصال الخرستيان وافناء النصارى بالكلية وكبنازنا ايوان لايريد مقابلتهم وكثر بينهم اللغط ولما اصبح احمدخان رأى ان الروس تقهقروا الى الوراء بحيث لايرى منهم احد فتعجبوا من ذلك وتشاوروا فيما بينهم ماذا يفعلون بعد ذلك ولاى شئ تقهقرت الروس فقر رايهم على ان الروس كمنوا فرقة من عساكرهم ليجروهم اليهم ويهجموا عليهم بغتة وان هذا خدعة منهم فامر احمدخان ايضا عسكره بالتقهقر خوفا من هجوم الروس عليهم فتقهقرت التتار بكمال العجلة

(١) بلدة بقرب موسكوا على جهة الجنوب الغربي منها وعلى الضفة اليمنى من نهر اوغر . منه عفى عنه.

ايضا ولم يتوقفوا فى محل قط بل رجعوا الى بلادهم لايلوى منهم احدفظنت الروس ايضا ان احمد خان يريد ان يجيىء من ورائهم فيقطع عليهم خط رجعتهم فهربوا بكمال السرعة الى ورائهم كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فكان ذلك من اعجب العجاب حيث ان عسكرين متقابلين هرب كلو احد منهما خوفا من الآخر بلاسبب ولكن الروسية حملوا ذلك على مرحمة ام الهمم وكرامتها يعنى مريم على زعمهم الباطل وسبب آخر لرجوع احمد خان انه سمع ان عسكر الروس دخلوا على اوردو واستولوا عليها كما تقدم توجه عبيدهم نور دولت وغيره مع عساكر الروس اليها فرجع بسبب هذا الخبر المدهش اليها فكان هذا آخر دخول التتار وهجومهم على الروسية بعسكر اوردوولم يقع لهم بعد ذلك الهجوم عليها بعساكر كلية وان وقع منهم بعض الغارات على بعض النواحى منها وكان ذلك انتهاء رقية الروسية للتتار واخراج رؤسهم من ربقتها بالكلية وكان رجوع احمد خان فى سابع التشرين (١) الثانى من السنة المذكورة فاغار احمد خان وقت رجوعه الى بلاد ليتوا غضبا على كازيمير لخلفه الوعد بعد ان تسبب لوقوعه فى هذه الورطة ونهب (٢) اثنتى عشرة بلدا من بلاده ورجع بغنايم كثيرة ولكن اين كان لكازيمير مجال ومقدرة للقيام بما وعد لما اتى من مكلى كراى خان فمضت هذه الوقعة ايضا على المنوال المشروح والحاصل اذا تامل القارى فى احوال ذلك الوقت من امداد مكلى كراى ونور دولت وخان قزان وحاكم خان كرمان اعنى دانيال بن قاسم وكثير من اولاد خوانين التتار الذين كانوا يسكنون فى موسكوا عند ايوان ويخدمونه لايتعجب من هزيمة احمد خان ونصرة ايوان بل يقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله اذا اراد الله شيئا هيأ له الاسباب وينشد من لسان احمد خان شعر: وان كان اعدائى على تناصروا * فما هو الامن تخاذل اخوانى * وقول الشاعر ايضا شعر: فلوكان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه

---

(١) يعنى على تمام ستة اشهر من خروجه . منه عفى عنه .

(٢) كيف يطابق هذا على قوله تفرقت التتار بكمال العجلة ولم يتوقفوا فى محل قط الخ منه عفى عنه .

رمح وثان وثالث * خصوصا اذا وقف على الوقعة الفجيعة الآتية وانما يتعجب من جبانة ايوان مع وجود اسباب النصرة هذه فيه ذكر مقتل السيد احمد خان عليه الرحمة والغفران قال كارامزين ولقد نال احمد خان نصيبا مما نال منه الامير ماماى وذلك انه لما رجع من سفر موسكوا اراد ان يشتو بساحل نهر دون (تن) الصغير فعدل الى قرب بلد ازاق واقام به (قلت لعله بنية استيناف سفر الى موسكوا فى اول الربيع على ما هو عادة ذلك العصر) ففرق عساكره ولم يبق معه من العساكر الا اليسير او لم يبق شيئا فاتفق ايواق (١) خان الشيبانى او التومنى مع امراء نوغاى مثل يغمورچى وموسى وغيرهما على الاغارة عليه وذلك اما طمعا فى الملك او المال الذى اغتنمه فى سفره المذكور من الروسية واللينوا او بتعريض من طرف ايوان اوللمجموع والله اعلم فهجموا على محل حمد خان بغتة مع ستة عشر الفا من فرسان النوغاى فتشتت شمل من معه من خواصه بقتل واسر وفرار فقتل ايواق الشقى المذكور احمد خان عليه الرحمة والغفران بيده واسروا ازواجه واولاده وسائر من معه من بقيتهم واستولوا على جميع ما معه من الاسباب والاموال عليهم من الله اشد النكال ثم توجهوا الى بلادهم بتلك الغنائم والاسارى وبعد ان اكل الشقى المذكور عليه ما يستحق هذا الخزى اقتضت طبيعته الخبيثة ان يسيغه بشرب البول فوقه فارسل الى ايوان بعد استقراره فى مقامه من جهة تومن يخبره بانى اكلت خراجيدا بان قتلت عدوكم احمد خان قال فبعد تلك الوقائع المسطورة انقرضت الخانيه المشهورة بخانية الاوردو الكبير والاوردو الذهب بالكلية وسقط ما بناه باتوخان من اصله وتخلصت الروسية من عبودية التتار تخلصا كليا بعد ان امتدت الى ازيد من عصرين وان بقى اولاد السيد احمد خان فى مقام الخانية مدة الا انهم لم يقدروا ان يهجموا على الروسية بل انحصرت معاملتهم

(١) قلت ليس هذا آياق خان فانه غيره ومتأخر عنه على قول الكارامزين، منه عفى عنه .

وسلطنتهم فى الضفة الشرقية من ايدل (وولغا) واطراف آقتوبه وان وقع الهجوم من بعضهم مثل مرتضى خان ابن السيد احمد خان واخوانه على الروسية الا انهم انهزموا سريعا وطردوا الى بلادهم قلت قد تقدم ان ابتداء هذا السفر كان فى سنة ١٤٨٠ وان رجوع احمد خان كان فى التشرين الثانى منه والظاهران وفاته كانت بعد دخول سنة ١٤٨١م فتكون فى اواخر سنة ٨٨٥ ه والله سبحانه اعلم فتكون مدة سلطنة سنة ٣٥ فان اول وقوع ذكره فى التواريخ كان فى حدود سنة ٨٥٠ رحمة الله تعالى رحمة واسعة فتكون مده تبعية الروس للتتار ٢٥٠ سنة قال وكان الشيبانيون وامراء نوغاى يسكنون فى الاراضى الكائنة بين نهر بوزاولق وبحيرة آرال يعنى ممتدين الى جهة الشمال وهؤلاء الحشرات قد خدموا الروسية خدمات (١) عظيمة باهلاك عدوها القوى احمد خان وصدر منهم ما يلايم سياسة الروس جدا وكان ابواق المذكور (٢) ينتسب الى اولاد چنغز ويرى نفسه لايقا بتخت احمد خان ومستحقا للخانية الكبرى ومساويا لكيناز الروسية الاعظم ولكنه لم يتجاسر ان يطلب الخراج من الروسية وكان يظهر الوداد لها دائما قلت ان الانسان الذى اذا اعتادا كل الخرى واستلذه بطبعه المشئوم لايصبر عنه قال ان الروسية وان تخلصت عن امارة التتار بالكلية ولكن اليكناز لم يترك جمع اموال تسمى بخراج التتار من اهالى الروس بل واظب عليه فانه كان يرسل الهدايا الى خوانين قرم والى بعض ارباب النفوذ فى سراى والى امراء نوغاى والى خوانين قزان يستجلب بها خواطرهم ويستدفع مضرانهم ويستميلهم الى نفسه خصوصا مثل نور دولت وحيدر فى موسكوا واولاد قاسم خان فى خان كرمان فانه كان يعطيهم معاشات كثيرة ومرتبات عظيمة وكانت تلك الهدايا تقتضى جمع اموال عظيمة وتضطر الروسية الى تدارك مصاريف

(١) قلت وقد ذاقوا وبال ذلك بعد استيلاء الروس على قزان منه عفى عنه

(٢) فيه ايماء الى انه ليس فى الحقيقة منسوبا اليوم والا لما فعل ذلك الفعل الشنيع منه عفى عنه

جسمية لم تكن باقل من خراج التتار حين كانت الروسية خراجية لهم
قال وبعد هذه الوقعة ارسل ايوان الى حميمه وصديقه الاخروى منكلى
كراى خان يخبره بوفاة عدو ارواحهما احمد خان عليه الرحمة والغفران
ليشاطره فى الفرح والسرور وليحكم عرى الاتفاق السابق بينهما يقول
له ان حصل له اولاولاده الطرد والاخراج من قرم كما حصل سابقا يكون
مختارا فى ان يقيم باى بلدة شاء من بلاد الروس قال المورخ كارامزين
انظروا الى قدرة الله تعالى الكاملة حيث كانت الروسية محكومة للتتار
قبيل هذا وعبيدا لهم ارتقت الى درجة السيادة وصارت تحمى التتار
وتحكم عليهم قلت نعم الملك لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد لاراد
لقضائه قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء الاية هذا ما ذكره كارامزين فى قتل احمد خان عليه الرحمة
والغفران ولنذكر هنا ما ذكره فى السبع السيار فى ذلك لكونه
مخالفا له ذكر فيه بعد ذكر ما سبق منه ان مكلى كراى لما وقف على
رجوع السيد احمد خان من قلعة كفه الى طرف ايدل اراد ان يتعقبه فخرج
مع خواص عساكره من ورائه وتقدم عليه ولده محمد كراى بخواصه
المطيعة له ولما صادف وصوله الى تخت ايلى يعنى بلاد سراى محاربته
اعوانه واقاربه ومنافستهم فيما بينهم اغتنم هذه الفرصة وهجم عليه بعساكره
الموجودة ولحق به مكلى كراى فى تلك الاثناء واشتركه فى الهجوم عليه
فانكسر عسكر السيد احمدخان وتفرقوا وقتل احمد خان فى المعركة مع
اعوانه اه ويمكن ان يكون محاربوا السيد احمدخان فى الوقت المزبور هم
ايواق الغائن ومنفقوه الاشقياء فيشتركهم مكلى كراى فى قتله فحينئذ
يرتفع الاختلاف بين ما ذكره كارامزين وبين ما ذكر فى السبع السيار
الا فى التاريخ فان المفهوم من السبع السيار انه قتل قبل التاريخ الذى
نقلناه عن تاريخ كارامزين وهو سهل فان صاحب السبع السيار لم
يذكر صريح التاريخ بخلاف كارامزين فيمكن ان يتاخر من الوقائع التى ذكرت
فى السبع السيار بتاريخها سنين كثيرة ولم يذكر كارامزين اشتراك

مكلى كراى فى قتله لعدم وقوفه عليه او لشئ آخر والله سبحانه اعلم،
بقى ان الفاضل المرجانى نسب وقعة السكسين الى دولى احمد خان وهذه الوقعة
الاخيرة اعنى وقعة اوغر للشيخ احمد خان حيث ذكرها فى ترجمته فربما
ينسبنا بعض الفضلاء الى الخطاء والغلط فاقول قد عرفت انى نقلته عن غيرى
والوقائع التاريخية موقوفة على النقل فان كان مانقلت عنه صوابا يكون ماذكرته
صوابا وان كان هو خطاء يكون قولى ايضا خطأ ولا تظنن انى انقل كلما وجدته من غير
تحقيق وتدقيق سواء كان صوابا او خطاء واقول كما قال الشاعر خطأ شعر :

وما انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

كلا بل لا اكتب شيئًا فى مواضع الخلاف الا بعد بذل المجهود فى تعميق
النظر ولا اقول انى مصيب والفاضل المرجانى مخطئ فان وقفت ان له
مأخذا اقوى واصح من مأخذى فانا اول من يرجع من الخطاء ويقبل
الصواب مع ان الفاضل المرجانى نقل نسبة قتل السيد احمد خان الى آپاق
الخائن ونسب بعض الوقائع المار ذكرها فى ترجمة السيد احمد خان
آنفا الى السيد احمدخان فى اثناء بيان خوانين خان كرمان وفاقا لما
ذكره كارامزين وان ذكرها مشوشة ومخلوطا بعضها بالبعض خلافا لما ذكره
فى اثناء بيان خوانين سراى والله سبحانه اعلم بالصواب ذكر اولاد
السيد احمدخان عليه الرحمة والغفران لم يعلم انه كم خلف من الاولاد
وكم منهم جلس فى مسند الخانية المستعار وقد تقدم ذكر اغارة ولده ما
زوفشاه على الروسية فى اوائل سلطنته وكذلك تقدم فى بيان الوقعة الاخيرة انه دخل
فى بلاد الروسية مع ستة من اولاده وانا اذكر هنا من ظفرت بشئ من احواله
فاول من يرى له ذكر فى التواريخ مرتضى خان (١) ابن السيد احمد
خان وقد تقدم نقلا عن كارامزين استيلاؤه على قرم فى حياة ابيه فى

---

(١) وقد جعله الفاضل المرجانى اخا للسيد احمد تبعا لصاحب السبع السيار
وعمه الحاج عبد الغفار افندى من ابناء احمد خان وقد عرفت : التحقيق فى حق
احمد خان فعلى هذا لاخلاف بين هذا القول وما فى الكتاب والله سبحانه اعلم
منه عفى عنه .

وقعةمكلى كراى يعنى نيابة عن طرف ابيه وتقدمت الاشارة عنه ايضا الى اغارته على بعض نواحى الروسية بعد مماة ابيه وقال كارامزيـن ايضا ان المحاربة والمهاجمة بين مملكتى قريم وآلتون اوردو كانت غير منقطعة بعد موت السيد احمد خان ايضا وان كان سلطان تركيا ينصحهم ويمنعهم من الاختلاف فضلا عن المحاربة الا انهم كانوا لايصغون الى كلامه وكان مرتضى خان كلما يقبل موسم الشتاء يضطرب غاية الاضطراب لاجل عسكره من البرد ففى سنة ١٤٨٥ م مصادفة سنة ٨٩٠ﻫ جاء بعض محلات قريم ليشتو فيه فهجم عليه مكلى كراى خان بعسكره بغتة واخذه مع عسكره اسيرا وحبسه فى كفه وخرب مملكة تيمور خان (٢) من ممالك آلتون اوردو فاتفق تيمور خان المذكور مع واحد من اولاد احمد خان وهجم على قريم وكان ذلك فى وقت الحصاد وكان الناس مشتغلين به وغافلين عنه فخلصوا مرتضى خان وعسكره وكادوا يأسرون مكلى كراى خان ورجعوا الى آلتون اوردو سالمين وغانمين فلما اطلع ايوان كنياز الروسية على ذلك ارسل طائفة من عسكر الروس الى آلتون اوردو بناء على الاتفاق والاتحاد بينه وبين مكلى كراى فاستخلصوا كثيرا من عساكر قريم من ايدى عسكر آلتون اوردو وارسلهم ايوان الى قريم. وقال ايضا فى اثناء وقائع سنة ٨٩٢ﻫ بعد بيان اسر الهام خان القزانى الآتى ذكره وبعد ذلك ارسل ايوان الى مكلى كراى يخبره بأسر الهام خان ونصب محمد امين مكانه خانا ويخبره ايضا بقصد اولاد احمد خان بلاد قرم وانه ارسل فرقة من عساكر الروس تحت قيادة نور دولت وبعض قواده وانه صدهم عن بلاد قرم بذلك التدبير وينبهه على مكايدهم ويعرضه على الاتفاق مع ايواق الخائن الشق على استيصال اولاد احمد خان المرحوم فانهم بسبب وقوع مملكتهم بين الروسية وبين صديقهم مكلى كراى كانوا لايتركون سفراءهم الى قرم يصلون الى مكلى كراى بل كانوا يقتلونهم ويأخذون ما معهم من الهدايا والمكاتيب وكان صنيعهم هذا يغيظ ايوان وصديقه مكلى كراى غاية الاغاظة وقال

(٢) ولم ادر من تيمور خان هذا ولا ينبغي ان يكون والد نور سلطان والدة ابراهيم ومحمد امين خان وزوجة مكلى كراى خان كما لايخفى . منه عفى عنه.

وكان بيد نور سلطان بكه زوجة مكلى كراى خان قطعة من الجواهر الثمينة وكان يقال انها دخلت بيد توقتامش خان وقت استيلائها على خزينة ديميترى دونسكى وكان ايوان يبذل غاية جهده فى اخذها من نور سلطان بكه فاخذها منها اخيرا بارسال هدايا ثمينة فزادت المحبة بين ايوان وبين مكلى كراى خان ايضا بهذا السبب حتى توسط ايوان فى حصول الائتلاف والاتفاق بين مكلى كراى خان وقرال ماجار وقال ايضا وفى سنة ١٤٨٧ يعنى م مصادفة سنة ٨٩٢ ﻫ ارسل مرتضى خان ابن احمد خان الاورداوى الى موسكوا مع الشيخ بهلول الذى هو احد امرائه مكتوبين احدهما لنور دولت سلطان ابن حاجى كراى واخى مكلى كراى والثانى للكيناز ايوان ومضمون ما كتبه لنور دولت سلطان المعروض الى جناب حضرة صاحب العظمة والشهرة عماد دين الاسلام اخى الاعز نور دولت سلطان بعد اهداء مزيد السلام مع التحية والاكرام والقيام بمواجب الاجلال والاحترام كما يليق بعلو ذلك المقام لايخفى على حضرتكم ان آباءنا ابناء اب واحد ولكن لما احتجبت بصائرهم بحجب الجهالة وكان حب الرياسة غالبا عليهم قام بعضهم على بعض وعادى بعضهم بعضا واخطأ خطاء فاحشا وسفك بعضهم دماء بعض بغير حق والآن استترت تلك العداوة بل انقطعت وغسلت تلك الدماء المسفوكة بلبن المحبة وانطفت نيران العداوة الماضية بمياه المودة واخوكم مكلى كراى تلوث فى هذه الايام بلوث الحسد مجددا فهو يسعى دائما فى استيصال اهل الاسلام وتفرقة كلمتهم ويجتهد غاية جهده فى انقراضهم وقد ابتلاه الله بانواع البلايا لاجل ذلك ايها الاخ العزيز انت نور وطننا وشمسه يمر اوقاتك فيما بين الكفار اعداء الدين فها انا ارسلت الى حضرتك الشيخ بهلول لاسأل عن احوالك بعد التسليم مع التعظيم والتكريم وارسلت معه قليلا من الهدية نرجو قبولها والذى اقوله انى لا احتمل ان يمر اوقاتك بين الكفار فارجوك ان تكشف جميع اسرارك للشيخ بهلول بلا خوف ولا مبالاة فهل تريد ان تترك الروسية ام لا وقد حرر الفرمان للايوان ايضا فى هذا الخصوص

سلمت فى اى مكان كنت ولاتنس اخوتنا والسلام اه ، ومضمون ما كتبه للايوان فرمان مرتضى خان للايوان اعلم ن اخي نور دولت خان يحبنى دائما فارسله الى فانى اريد ان اخلع مكلى كراى عن الخانية التى لايليق بها واجلس مكانه اخى نور دولت خان وليكن اهله وعياله رهنا فى يدك ومتى جلس على كرسى السلطنة يحسن اليك وباحسانه اليك يفك اهله وعياله منك اه قال المورخ فضحك الكيناز ايوان من خطاباته وتعجب من غروره وتحير من نخوته يعنى ان الوقت كان لايساعده لهذه الخطابات لضعفه وقوة ايوان نعم ان الزمان ابو العجايب قال فامسك ايوان سفير مرتضى خان عنده وارسل الى مكلى كراى بقرم يخبره بما جرى ويقول له ايضا ان قرال لينوا ولهستان يستدعى اخاك الثانى حيدر سلطان الى نفسه خفيا فما ذا تقول وحيث كان مكلى كراى بسيط الرأى قليل التدبير وقد تضجر من معانات الامور لمقاساته الشدايد والمحن كتب الى ايوان يقول له ارسل نور دولت الى اسلمه نصف ملكى يعنى سلطنتى فانه عاقل ومدبر يكون معينى فى رؤية الامور ارجوك ان ترسله الى فانا نسينا ما جرى بيننا سابقا من المنافسة والمناقشة واما اخى حيدر فاتركه يذهب حيث يشاء فانى لا اخافه فكتب اليه ايوان ان صدور هذا الكلام يدل على قلة التدبر فان التملك والترأس لا يبقى الاخوة والمحبة ولا سيما ان اخاك نور دولت قد تسلطن بقرم ولوزمنا يسيرا وله هناك اتباع واشياع فلا يقنع هو بنصف الخانية ومقتضى مودتى لك ان انبك عما يسوءك وان لا ارضى ما يضرك اه قال متنبه مكلى كراى بهذا المكتوب وتيقن انه مخطئ ورجع عما نواه وتخلص من شر نور دولت وان كان اخاه ، وقال ان نور دولت وحيدر اغوى مكلى كراى كانا ذهبا الى الروسية باختيارهما والآن لم يكن لهما اختيار ومقدرة على الخروج منها لكونهما وقعا فى شبكة ايوان وهذا آخر ما وقفت عليه من احوال مرتضى خان ولم ادر متى كان وباى كيفية كانت وفاته رحمه الله تعالى * ذكر احوال

الشيخ احمد خان واخيه السيد احمور خان ابني السيد احمدخان عليم الرحمة والغفران المشهور بالخانية هو الشيخ احمد خان ولكن قد ذكر كارامزين نمه في اوائل حاله اخاه السيد احمورخان ذكره هكذا في موضعين من تاريخه وذكر في موضع ثالث منه بعنوان السيد محمود وقد ذكر الفاضل المرجاني بعد السيد احمد خانية ابنه السيد محمد فهوا اما السيد محمود اوالسيد محمد ولكني اذكره كما رأيتـه في المنقول عنه لاحتمال مغايرتهم والله سبحانه اعلم قال كارامزين وفي سنة ١٤٩١ (يعني م مصادفة سنة ٨٩٧ هـ او قبلها) ارسل ابوان عسكرا تحت قيادة سالتا غان (١) بن نور دولت وبطر بن نيكتي الاو بولبني لمحاربة سلطان اوردو السيد آحمود والشيخ احمد لانهما كانا قصدا بلاد قرم فلما سمعا ان عسكر الروس منتظر اليهما في طرف آخر من نهر تن رجعا عن قصدهما من غيران يفعلا شيئا اه وقال وفي سنة ١٤٩٠ ارسل ايوان الى منكلي كراي سفيرا يسمى كيناز واسيلي رومودانوفسكي يقول له انه مستعد لارسال العساكر لمحاربة عدوك خوانين الاوردو الذهب وصدهم عن بلادك دائما لصيانتك وكان الاورداويون في ذلك الوقت كظل جسم ملك باتو خان يسكنون في الصحراء يرتحلون من محل الى آخر وقد قصدوا مرة بلاد قرم مع حاكم حاجي طرخان عبدالكريم خان ، لكنهم لم يقدروا ان يفعلوا شيئا فان محمد امين خان القزاني كان يحميه من جهة والروسية من جهة اخرى وكانت التركيا ارسلت الى قرم الفي نفر من يكيچرى فهؤلاء كلهم كانوا يحمون قرم ولهذا كانت القريميون يهجمون على بلاد اولاد احمد خان ويحاربونهم ويغيرون عليهم وينهبون اموالهم دائما وقد قتلوا في واحد من محاجمهم الشديدة واحدا من اولاد احمد خان يسمى ايدكي وقال بعد بيان جواب مكتوب ايواق الخائن الآتي ذكره ان سياسته ايوان في الوقت المذكور كانت

(١) هكذا في الاصل المنقول عنه وقد ذكره الفاضل المرجاني عند تعداده خوانين خان كرمان باسم صاتلغان ولعله هو الصواب . منه عفي عنه .

تقتضي ان يسلط خوانين نوغاى على خوانين سراى وان يستاصلهم بهذا التدبير فان مسلكهم كان مساعدا لسياسة ايوان ومطابقا اياها غاية المطابقة قال وفى سنة ١٤٩٢ ارسل ايوان الى مكلى كراى خان سفيرا يسمى لوبان قولبچيف يقول له ان قازيمير كيناز ليتوا متفق مع خوانين اوردو وكلما يهجم اهل اوردو الى قرم انما يهجمون باغراء كازيمير اياهم فاللازم عليه ان يهجم على ليتوا ويعرف حد كازيمير فاجابه مكلى كراى انا مع اخى ايوان جسم واحد ولهذا ابنى الآن بقرب دينيبر فى محل بلد خرب هناك حصارا جديدا اه قال المورخ وهذا الحصار هو المسمى الآن اوچاكف اه ذكر تخريب مكلى كراى بلدة سراى وتفريق اهلها بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك قال كارامزين فى اثناء بيان المحاربة بين الروسية وليتوانيا فى سنة ١٥٠١ ان الروسية استمدت بمكلى كراى على ليتوانيا فهجم مكلى كراى على ليتوانيا وخرب كثيرا من بلاده ونهب واسر حتى كادت ليتوانيا تنقرض بالكلية وتنضم الى ممالك الروسية لولا استمداد قرال ليتوانيا اليكساندر بالشيخ احمد خان السرائى وامداد الخان المذكور اياه ثم ذكر كيفية امداده اياه وممانعة مكلى كراى الشيخ احمد خان فى ذلك وانجرار هذه المخالفة الى تخريب مكلى كراى بلدة سراى كرسى مملكة باتو خان واولاده بعده كما مر حيث قال ان الشيخ احمد خان خرج بعشرين الف من عسكره يعنى يريد امداد ليتوانيا ومنع مكلى كراى من الهجوم عليها لامداد الروسية فعسكر بقرب اوستيا تيخوى سوسنى وبسفح جبل يسمى قزطاغى وعسكر مكلى كراى متغلب قريبا فى طرف آخر من نهر دون (تن) وكان معه خمسة وعشرون الف من عسكر قريم واقام فى استحكام هناك منتظرا القدوم عسكر الروس فانه كان كتب الى اخيه ايوان ان يرسل اليه مقدارا من المدافع والطوبچية بواسطة نهر دون ليخيف بها الشيخ احمد خان وعسكره فارسل اليه ايوان ماطلبه مع واحد من قواده يسمى الكيناز واسيلى نوز درووانى مع انه كان يحارب النمسة من جهة اخرى وارسل ايضاه محمد امين خان مع عسكر قزان ولكن كان مكلى كراى رجع الى بلاده لاستيلاء جيش الجوع والقحط على

معسكره بعد ان كتب الى ايوان بان هؤلاء يعنى اهل آلتون اوردو الذين هم منشاءوه واصله قريبو السقوط ووعده باستيصالهم ومحوهم وكان اهل القريم بعد ذلك لايقصرون فى الهجوم على مملكة الشيخ احمد خان وتخريب قريها وايصال الضرر والخسار اليها مع انها مهدهم الذى تربوا فيه وعشهم الذى خرجوا منه والروسية كانوا يعينونهم فى ذلك والشيخ احمد خان كان منتظرا لقدوم عسكر ليتوانيا لامداده ولمالم ير منهم اثرا كتب الى كناز ليتوانيا يقول نحن جئنا هنا لاجلك مع التزام الوف من المشقة وانت تريد ان تجعلنا اضاحى مكلى كراى فارسل الكيناز اليه هدايا ووعده بارسال العساكر ولكنه لم يف بوعده اماخيانة منه فى هذه اولما نعة عسكر الروس اياه ففى تلك الاثناء سئم امراء الشيخ احمد خان وضجروا من طول القيام على المراقبه والمرابطة فصاروا يهربون الى مكلى كراى واحدا بعد واحد حتى ان احب نسائه اليه هربت الى جهة قريم من غير ان تلتفت الى منع اخيها (١) السيد محمود فلما راى الشيخ احمدخان مما طلة كيناز ليتوانيا ورخاوته وبعبارة اخرى صحيحة دناءته وخيانته غضب عليه وارسل الى ايوان كيناز موسكوا اخص امرائه الامير خازا اوخواجه اوغازى يطلب منه الاتفاق وبعده ان يسلم اليه مملكة ليتوانيا بشرط ان لايعين ولايمدهو يعنى الكيناز ايوان مكلى كراى خان ولاشك ان السياسة دائرة على محور المصلحة فاعجب هذا الصنيع من الشيخ احمد خان الكيناز ايوان غاية العجب وفرح به نهاية الفرح لانفصال هذه القوة العظيمة من ليتوانيا ومع ذلك لم يردان يظهر شيئا يغيظ صديقه القديم مكلى كراى خان لالكون ذلك الامير منافيا للمروة والانسانية فان رعايتها بتفويت المصلحة معدودة عند كافة دول النصارى فى هذا العصر الذى يعد عندهم وعند ذويهم عصر التمدن والترقى من غاية العماقة وعدم العزم والادراك فضلا عن الروسية فى ذلك العصر بل لما فيه من تفويت المصلحة واستبدال الادنى بالذى هو اقوى

(١) وهذا يدل على ان السيد محمود الما ذكره ليس هو اخا الشيخ احمدخان منه عفى عنه.

فان مكلى كراى اذا اغضبته الروسية ينقلب عليها (١) ويتفق مع ليتوانيا
التى تركها الشيخ احمد خان ويهجمون معا على الروسية والشيخ احمدخان
لايقدر على مدافعتهما فكتب ايوان الى مكلى كراى يعلمه بماجرى وقال
انه لايكون ابدا صديقا لعدو مكلى كراى والشيخ احمدخان لايمكنه
ان يتفق مع مكلى كراى وان يتواضع له بل كان يرجح صداقة الروسية
على صداقته والكيناز ايوان وان كان قادرا على ازالة الاختلاف والشقاق
والبغضاء الكائنة بين الخانين المذكورين الا انه لم يفعل ذلك لكونه
منافيا لسياسته ومصلحته فانه كان يعرف انه متى اتفق السنور والفار
فالضرر على دكان العطار فآل الامر بالضرورة الى خرابية سراى
وانقراض دولة آلتون اوردو ودولت التتار والقفچق واضمحلالها من
عالم الوجود بالكلية ودخولها تحت خبر كان وذلك ان مكلى كراى لما
تيقن بانخذال ليتوانيا وانفراد الشيخ احمد خان اغتنم الفرصة وهجم على
سراى فى اول ربيع من سنة ٩٠٧ هـ بغتة وقتل من صادفه من اخوانه
الدينية والنسبية ولم يقصر فى اراقة دمائهم وخرب بلدة سراى وقصر خوانين
آلتون اورد ومن ذرية جوجى خان ابن چنكز خان التى اسسها باتوخان
ابن جده جوجى خان وشرد الشيخ احمد خان الى الصحراء والبرية
واسر كثيرا من الاهالى ولم يترك شيئا من الناطق والصامت الا حازه
واخذه وترك بلدة سراى قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا على حالة
يرثى لها العدو الشامت ثم انثنى راجعا الى قريم وكتب الى اخيه ايوان
يبشره باستيصال عدوه وتخريب دار السلطنة التى اسسها باتوخان ابن
جده جوجى خان وطالما كان يطاطئ رؤس ملوك الروس وكثيرا ما
كان يطير فيها من تلك الرؤس وقال له ليهدأ بالك وليحسن احوالك
فقد محوت عدوك وجعلته بحيث لايقوم لهم بعد ذلك قائمة وفتحت لك
ابواب الفتوح حيث دككت سد يأجوج ومأجوج فمد بصرك نحو الشرق
الى حيث ينتهى اليه طرفك واستيقن انه ملكك وملك ذريتك الى يوم

---

(١) وايضا ينقطع عنها خانية قزان ايضا لكونها تابعة وقتئذ لمكلى كراى .
منه عفى عنه.

القيمة حيث لم يبق فيها ممانع ولامدافع الا الافغان والياپان وكتب اليه اخوه ايوان يشكره على صنيعه قائلا اسپاسيبا بلاغوداريم واس ووصاه ان لايغفل عن ليتوانيا وكانه قال من قلبه انما معاشر الروس نمد بعد ذلك طرفنا وايدينا الى الشرق والشمال والجنوب ايضا حيث انت تقيم فيه الآن ولو بعد حين حيث تيقنت مقدار حميتكم وغيرتكم وديانتكم ودرايتكم وحزمكم واحتياطكم منذ فعل ابواق الخائن بالسيد احمدخان المرحوم وزاد يقيني بفعلك هذا واستيقنت بطروّ الفساد على النسب الجنكزى وخيانة بعض الامهات في شنشنة اعرفها من اخزم * ولعله تمثل بقول الشاعر شعر :

ملكت خراسانا واطراف فارس * وما انا من ملك العراق بايس *

وهذا لايحتاج الى التطويل (١) باير ادالمحاكمة فليحكم كل قارى فيه عقل وفكره فانه بديهى جلى وليعتبر المعتبر من هذا الصنيع العجيب الغريب ولكني اقول مع التاسف غاية الاسف انه مع وقوع امثاله الكثيرة لايحصل الاعتبار للبواقي وهذا الصنيع الشنيع ممتد بين الاقوام الاسلامية الى هذا الان فانا لله وانا اليه راجعون وكانت هذه الواقعة الفجيعة الشنيعة في موسم الربيع من سنة ١٥٠٢ م مصادفة اواخر سنة ٩٠٧ هـ وتاريخها «اياويح سراى هده ودمره مكلى كراى» ونظمته فقلت شعر:

كنت يوما قاعدا مستفرقا * في هموم من مصيبات سراى *

قيل ارخ قلت اياويح سراى * هده ودمره مكلى كراى *

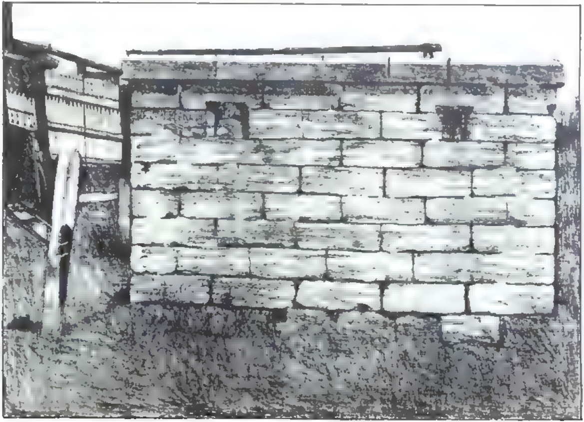
فكانت مجموع مدة بقاء دولة سراى و بلدتها مع كونها معروضة للانقلابات ٢٦٧ سنة فان مبدأ تاسسها كان في ٦٤٠ سنة فقول ابن عربشاه ان بين بناء بلدة سراى وخرابها ٦٣ سنة سهو من قلم النساخ والصحيح سنة ١٦٣ فان بعد هذا القدر من بنائها خربها تيمر املك كما مر ثم عمرت بعد ذلك ثانيا وامتد الى هذا التاريخ وكان

---

(١) ويا ليته ملكها وضبط امرها وضمها الى مملكته ولم يتركها هكذا غنيمة باردة للاعداء انا لله وانا اليه راجعون. منه عفي عنه.



صورة قبة من أبنية بلدة سراى



صورة جدار من جدران بلدة سراى

فيها بعد عمارتها ثانية صاحب البزازية وتلميذه ابن عربشاه المذكور فعلى (١) هذا يكون ابتداء تأسيسها فى ٦٣٧ سنة او قبلها وبقاؤها ٢٧٠ سنة وبعد هذا التخريب الاخير لم تعمر قط (٢) بل استمرت على خرابيتها الى ان بنت فيها جنس النمسة وآلمان ايام يكاترينا الثانية قرية تسمى سريفكه تعريف سراى ثم صارت بعد ذلك قصبة وفيها محلة من المسلمين لهم فيها مسجد ومكتب ولم يبق فيها شئ من الابنية القديمة الا انى ظفرت برسمين من رسوم ابنيتها القديمة عند الحافظ قوام الدين افندى ذى الفقارى احدهما رسم قبة والآخر رسم جدار منقوش قيل انهما اخذا قبل هذا التاريخ بخمسمائة عام يعنى وقت معمورية سراى بعد وقعة تيمرلنك وجدهما واحد من قسيسى الروسيه فى بطون كتاب قديم وفى اطراف جدار منها ابيات بالتركية (٣) سطرين لا يقرأ اكثرها وهما هذان اثبتناهما هنا للتبرك . . . . . .

والظاهر ان القبة هى قبة قصر الملوك المسمى بآلتون طاش على ما مر فى اوائل هذا المقصد والجدار الجدار الذى حوله او جدار المقبرة والله سبحانه اعلم ذكر ما جريات الشيخ احمد خان بعد ذلك وموته فى الغربة والكربة وانقراض ملوك سراى وخوانينها بموته قال كارامزين

(١) اى على الفرض يكون المدة بين ابتداء بناء سراى وبين تخريب تيمرلنك اياها ١٦٢ سنه منه عفى عنه .

(٢) واما القصبة الموجودة الآن بقرب سراى القديمة المسماة اوردا او خان اه رداسى فانما بنيت بعد خراب سراى هذه وتشكل خوانين قزاق وبعد ان زال عنهم اسم خوانين التتار وسراى وان كان الجنس هو الجنس وقد دامت استقلالهم الى ١٢٦٥ سنة وعلى هذا كان دوام سلطنة اولاد جوجى فى تلك القطعة ٦٢٨ سنه وهم آخر من انقرضت سلطنتهم من اولاد جنكزخان وقد عرفت قبل تشكل دولة قريم وقزان وانفصال خوارزم من دولة سراى وقد استقل دولة سيبريا بعد وقعة تيمرلنك واتحدت حكومات الروسية المتشتة على عكس التتار الامر كله لله يفعل ما يشاء منه عفى عنه .

(٣) والابيات تقرأ فى السطر الثانى هذه

هذا نك رحمتى اولسون آلارغه آلار لايق ايدى دعا قيلارغه
يكرمى آلتيده بولدى تمامى بيقلدى طاشيدك بر خوب بناسى
مزين باطنى لعل وجواهر بزنمش ... ... اهل ...

منه عفى عنه .

بعد ذكره ما سبق من تشكره لمكلى كراى ومع ذلك كتب ايوان الى
الشيخ احمد خان يدعوه الى الاتفاق معه ويعده ان يأخذ حاجى طرخان
من يد متغلبيها ويعطيه اياها بشرط ان ينقطع من كيناز ليتوانيا
ويقطع عنه علاقته ولكن الشيخ احمد خان تيقن بعدم الفائدة منه وانه
لا يريد الا نفعه فلم يرض بكونه آلة لاستيلائه على بعض بلاد المسلمين
وقد سئم الحياة الفانية والمعيشة الغير المنتظمة فعزم على سفر
استانبول ومواجهة السلطان بايزيد الثانى واخذ معه اخويه قوزاق وخالبق
(هكذا فى المنقول عنه) فمنعه مأموروا السلطان من الدخول بارض
عثمانلى وقالوا لا سبيل لاعداء مكلى كراى الى استانبول وقد كان
اولاد مكلى كراى يجدون فى تعقيبه فلما ضاق به الخناق توجه
الى مملكة ليتوانيا بالضرورة ولما دخلوا بلدة كيف اخذهم كيناز
ليتوانيا الكساندر وحبسهم وعاملهم معاملة العدو وكتب الى مكلى كراى
يقول ان اعداءك بيدى ان اطلقتهم يضروك فان كنت صديقا لى ومتفقا معى
اسلمهم اليك وكتب اليه يعنى مكلى كراى الكيناز ايوان يحذره منه ويذكره
بما فعل بالسيد احمد خان سابقا وبما فعل بالشيخ احمد خان الآن فلم يلتفت
مكلى كراى الى كلام كيناز ليتوانيا فلم ينفعه ما فعله بالشيخ احمد خان من
سؤ المعاملة المغايرة المروة والانسانية فانه انما ارتكبها طمعا فى تحصيل صداقة
مكلى كراى وفصله من الروسية فقال له الشيخ احمد خان فى مجلس الاعيان
انك سلمت كافة عسكرى لمكلى كراى وصرت سببا لزوال ملكى فلما صاقت
على الارض برحبها التمست لنفسى ملجأ فلم يقع اختيارى الا لك وانت استقبلتنى
استقبال العدو والمحارب وعاملتنى معاملة الاسير وحبستنى فى محبس
مظلم لكن الله العادل موجود نتحاكم انا وانت غدا لديه (قال
ذلك رافعا يديه نحو السماء) فلا يتركك يا عديم الدين والمروة
من غير مجازاة على عدم ديانتك ودناءتك منه الى غير ذلك من كلمات
العتاب والملامة فمات رحمه الله تعالى فى محبسه بمحل يقال له قونه فبموته
انقرض ملوك سراى ثم ابتدئى بعد ذلك عوانين حاجى طرخان (١)

(١) وقد عرفت قبل تشكل دولة قريم وقزان وانفصال اوركانج وكذلك استقل دولة

ومن هذا الوقت وقع فى التواريخ اطلاق اسم نوغاى على خوانين حاجى طرخان واطرافها وخوانين اطراف اورال حتى فى اراضى باشقرد واشتهر بعد ذلك اشتهارا تاما ولم يقع قبل ذلك اطلاق هذا اللفظ الا على الامير نوغاى واستظهرنا هناك كون طائفة نوغاى من قومه وقبيلته ولاجل الاطلاق الاخير يطلقونه اهل ما وراء النهر وقزاق على اهل قزان ايضا والظاهر من كلام كارامزين ان موته تاخر من قدومه الى ليتوانيا مدة سنين ولم يذكر تاريخ وفاته (٢) رحمه الله تعالى رحمة واسعة وكذلك لم اطلع على احوال اخويه الذين كان معه فى سفره المذكور ولله در القائل فى شان امثال هؤلاء الملوك العظام اشعار

سل الارض عن حال الملوك التى خلت * لهم فوق فرق الفرقدين مقام
اساطين معروفون فى كل مشهد * صناديد غر حاكمون كرام
مشاهير فى الآفاق شرقا ومغربا * يشير اليهم حاجب وينام
يابوا بهم للوافدين تراكم * باعتابهم العاكفين زحام
لديهم الوفر من خميس عرمرم * له شوكة تسبى النهى وعرام
ترد عيون الناظرين كليلة * وان كان فيها حدة ورعام
فهل هم على ماهم عليه وحولهم * من العز جند يحضرون لهام
وطف ببلاد خف عنها قطينها * فاوطنها بوم بصيح وهام
وناد قصورا قد عفت غرفاتها * كان بقايا رسمهن رجام
تجبك عن اسرار الشؤن التى جرت * عليهم جوابا ليس فيه كلام

سيبريا واتحدت حكومات الروسية المتشتة على عكس ذلك . الامر كله لله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لارادلقضائه ولا مانع لآلائه منه عفى عنه .

(٢) واظن ان الفاضل المرجانى لم يميز بين هذه الوقعة ووقعة اوغر ولهذا قال ان حمد خان اسر وقتل فى سنة ومراده الشيخ احمد خان والله اعلم منه عفى عنه .

بان المنايا اقصدتهم نبالها * وماطاش عن مرمى لهن سهام
وسيقوا مساق العابرين الى الردى * واقفر منهم منزل ومقام
وحلوا محلا غير مايعهدونه * فليس لهم حتى القيام قيام
الم بهم ريب المنون فغالهم * فهم بين اطباق الرغام رغام
وامسوا احاديثا واصبح ملكهم * هباء وباد التاج ثم وهام
فسبحان رب العرش ليس لملكه * تناه وجل مبداء وختام
رحم الله جميع رحمة واسعة .

تم المجلد الاول ويتلوه المجلد الثانى
اوله وقائع بلد حاجى طرخان .

تصحيح الاغلاط المطبعية التى فى بعض النسخ

خطا	صواب	صحيفه	سطر
وسودر	ولله در من	١٢	١٨
	قال		
هانت عليه	هانت عليه	»	»
دلاته جوال	ملامة جهال		
المجمع يوندن	الجمع يونان	١٠	٩
مصدا	مصداقا	١٦	١
فالقول	لقول	»	٢
بسمعها	يسمعها	»	٩
لعدوانهم	لعداوتهم	»	١٣
الكثر	الكثير	١٩	٨
العبد	الصلبى	»	٢٠
معه	مع	»	٢٤
هذ	هذا	٢٢	١٥
بالابا	بالآباء	٢٣	١٧
نوح	نوحا	٢٥	٦
فل	فقد	»	١٦
نرالة	نزالة	٢٧	٦
مساوى يافان	مساوى فان	»	١٧
يشاهدونهم	يشاهدهم	»	٢٤
وانزهما	وانزهها	٢٨	١٤
معالجتها	معالجته	»	١٥
وماد وقع	وما وقع	٢٨	٢٦
قطرهما	قطرها	»	٢٧
البطر	البط	٢٩	١٦
واذا نضم	واذا انضم	٣٠	٠٢
غذاؤمم	غذائهم	»	٢٤
لم ولن	لم يقع ولن	٣١	٠٣
يلزمها	يلزمهما	»	٠٥
شعشة	شعشعة	٣٢	١٨
والنين	والتين	٣٣	٠٦
وثنين	وثنيين	٣٩	١٧
هذ العصر	هذا العصر	»	٢٠
لا لهية	الالهية	٤٢	١٣
بهذ الاسم	بهذا الاسم	٤٤	٠٧
الملالين	الملايين	»	١٨
سلسة	سلسلة	٤٦	٢٥
بن ابن	بن ابى	٥	٢٩
حلفاء	خلفاء	٥١	٠٧
بالبير	بالبحر	»	١٣
او فوا الكيل	اوفوا الكيل	»	١٧
النفرفة	النفرقة	»	٢٢
النفرفة	المتفرقة	٥٢	٢٤
العسكر منى	العسكر المذكور حتى	٥٣	١٦
ومملكته	ومملكة	»	١٩
سعة	تسعة	٥٤	٠٧
عريسيها	عريسها	٥٥	٠٨
انارة	وتارة	٥٦	١٧
والسماوية	السماوية	»	١٨
ديونهم	ديدنهم	٥٧	٥٢

خطا	صواب	صحفه	سطر	خطا	صواب	صحفه	سطر
قالا	قال	٥٨	١٢	بنحو	بنحو	٦٨	٠٣
الغز	الغزو	٥٩	١٠	سبحالا	سجالا	»	٠٤
يساعر	يساعد	»	٢٠	والافرنج	والافرنج	»	٢٢
و(ووسبون)	او (ووسيون)	٦٠	٠٨	اصلها	اصلهما	»	٢٣
التنشهير	الشهير	»	١٧	فرغ	فرع	٧٤	١٢
العالم بزعم	العالم من يزعم	»	١٨	سبب	بسبب	٧٥	٠٣
فانمحلت	فانمحت	٦٣	٠٧	الخامسه	الخامسة	»	١٣
وبقي (١)	(١) وبقى	»	٨	بنب	بنت	٧٥	١٩
اولجوأوجن)	او (جواوجن)	»	١٠	واريغهم	تواريغهم	٧٦	٢٧
تاذار السنان	التتارستان	»	١٢	ماعرفه	فاعرفه	«	«
مقتاربين	متقاربين	»	١٧	عمظاء	عظماء	٧٨	١٣
بلمة	بلعة	٦٤	٠١	حبيشا	جيشا	٨٩	١٠
سطرتهم	سيطرتهم	٦٤	٠٨	فرس	الفرس	«	١١
موخورا	مورخوا	»	١٢	عد	عدا	٨٠	١٩
الافزنج	الافرنج	»	١٥	طراف	اطراف	٨١	٢٤
چين) عقب	چين)(٢)عقب	»	١٧	السابقة وقلب	السابقة(١)وقد	٨٢	٠٧
الى سنة ٤٥٤	الى سنة ٥٥٤	»	١٨	المذكورة	المذكور	«	١٠
قاغان والغين	قاغان بالقاف والغين .	»	٢٢	دلا	دالا	٨٣	١٥
بمالك	بممالك	٦٠	١٢	كلترك	الترك	٨٥	٠٨
حكواليها طلة	حكومة الهياطلة	»	٢٣	شتاسب	كشتاسب	«	١٠
لاطلاق	الطلاق	»	٢٦	پشهر	ليشهر	٨٦	٠٥
فى بين	فيما بين	»	٢٨ - ٢٧	اوقل يليا	ايلياالنبى	٨٩	٢٣
يعنـى قبل		٦٦	-٢٨	النبى اه انه	اه وقيل انه	٩٠	٠٥
الهجرة سنة	....		٠٢	ومع	مع	٩٠	٠٥
٥٥١				مع	ومع	«	٠٦
				بما	مما	.	.
انى الى	الى	٦٧	٢١	ومناقضه	ومناقضه	٩١	٠١

خطا	صواب	صحفه	سطر	خطا	صواب	صحفه	سطر
مهود	معيود	٩٥	١٣	و بايقال اوهو	او بايقان وهو	١٣٣	١١
وقصر	وانصر	‹‹	‹‹	الغز	الغزر	١٣٥	٠٤
بالاعراز	بالاعزاز	٩٦	٠٣	الحدود	دىود	١٤٠	٠٩
بالمعة	بالمحبة	٩٨	٠٥	توراينه	تورانيه	»	٢٣
سافة	سلفه	‹‹	٢٢	المتجاوزة	المتجاورة	١٤١	١٠
صاجهما	صاحبهما	‹‹	٢٣	قوامم ولكن	قوامم(٢)ولكن	»	١٧
الهرح والمرح	الهرج والمرج	٩٩	١٤	المشروع	المشروح	١٤٢	١٥
مسا ثبت	مساژبت	١٠٤	٠٢	وكذبك	وكذلك	١٤٤	٢٣
واذ	وادا	١٠٦	٠٤	بطاغسان	بطاغستان	١٤٥	٢١
مصدافا	مصداق	١٠٧	٠٧	مناسبة	مناسبته	١٤٦	١١
اليها	الهياطلة	١٠٩	١٦	الافرنجية	الافرنجية	»	٢٢
الة			١٧	علامة	(٥) علامة		
وفد	وفد	١١١	٢٠	يعنى المعيشة	يعنى المعيشة	»	٢٥
لجوبية	الجنوبية	١١٢	١٩	البدوية	الحضرية		
الآسيونية	الآسيويه	‹‹	٢٦	يعنى المعيشة	يعنى المعيشه	»	٢٦
وما ذكرمره	وما مر ذكره	١١٨	٠١	الحضرية	البدوية		
لاتى	الآتى	١٢٠	١٢	اداره	ادراه	١٤٨	٢١
طريقا	طربق	‹‹	١٦	لهفالداء	لهذا الداء	١٤٩	١٩
يهن	يهين	١٢٣	٢١	منهم	منا	«	٢٥
وفقا	وفاة	١٢٤	٠٦	وسكينة	وسكينته	١٥٠	٢٢
بصلاح	باصلاح	١٢٤	٠٩	واستقبل	واستقل	١٥٢	٠٦
من	منا	١٢٥	١٨	من بقاء	من ان بقاء	«	١٤
ستيبعد	يستبعد	١٢٦	١٧	الحزال	الجنرال	١٥٣	١٣
والانيتنوس	والانتينوس	١٢٧	٠٣	الجزال	الجنرال	«	١٤
سبب	بسبب	١٢٨	٠٨	الجزال	الجنرال	«	١٥
أنما	نما	١٣٣	٠٣	اعداد	اعداء	١٥٦	٢٥

خطا	صواب	صفحه	سطر
قالا	قال	٥٨	١٢
الغز	الغزو	٥٩	١٠
يساعر	يساعد	»	٢٠
و (ووسيون)	او (ووسيون)	٦٠	٠٨
التنشهير	الشهير	»	١٧
العالم بزعم	العالم من يزعم	»	١٨
فانمحلت	فانمحت	٦٣	٠٧
وبقى (١)	(١) وبقى	»	٨
اولجوأوجن)	او (جواوجن)	»	١٠
تاتار السنان	التتارستان	»	١٢
مقتاربين	متقاربين	»	١٧
بلمة	بلغة	٦٤	٠١
سطرتهم	سيطرتهم	٦٤	٠٨
موضورا	مورخوا	»	١٢
الافزنج	الافرنج	»	١٥
چين) عقب	چين)(٢) عقب	»	١٧
الى سنة ٤٥٤	الى سنة ٥٥٤	»	١٨
قاقان والفين	قاقان بالقاف والغين .	»	٢٢
بماالك	بممالك	٦٠	١٢
حكواليها طلة	حكومة الهياطلة	»	٢٣
لاطلاق	الطلاق	»	٢٦
فى بين	فى ما بين	»	٢٧ - ٢٨
يعنى قبل الهجرة سنة ٥٥١	. . . .	٦٦	٢٨ - ٠٢
انى الى	الى	٦٧	٢١
بنجو	بنحو	٦٨	٠٣
سبحالا	سجالا	»	٠٤
والافزنج	والافرنج	»	٢٢
اصلها	اصلهما	»	٢٣
فرغ	فرع	٧٤	١٢
سبب	بسبب	٧٥	٠٣
الغامسه	الغامسة	»	١٣
بنب	بنت	٧٥	١٩
واريغهم	تواريخهم	٧٦	٢٧
ماعرفه	فاعرفه	«	«
عمطاء	عظماء	٧٨	١٢
حبيشا	جيشا	٨٩	١٠
فرس	الفرس	«	١١
عد	عدا	٨٠	١٩
طراف	اطراف	٨١	٢٤
السابقة وقد	السابقة (١) وقد	٨٢	٠٧
المذكورة	المذكور	«	١٠
دلا	دالا	٨٣	١٥
كلترك	الترك	٨٥	٠٨
شتاسب	كشتاسب	«	١٠
پشهر	ليشهر	٨٦	٠٥
اوقل يليا	ايليا النبى	٨٩	٢٣
النبى اه انه	اه وقيل انه	٩٠	٠٥
ومع	مع	٩٠	٠٥
مع	ومع	«	٠٦
بما ومنافضه	مما ومناقضه	٩١	٠١

خطا	صواب	صحفه	سطر	خطا	صواب	صحفه	سطر
مهود	معهود	٩٥	١٣	وبايقال اوهو	او بايقال وهو	١٣٣	١١
وقصر	وانصر	”	”	الخز	الخزر	١٣٥	٠٤
بالاعراز	بالاعزاز	٩٦	٠٣	الحدود	دمدود	١٤٠	٠٩
بالمحة	بالمحبة	٩٨	٠٥	نورايته	نورانيه	»	٢٣
سافة	سلفه	”	٢٢	المتجاوزة	المتجاورة	١٤١	١٠
صاجهما	صاحبهما	”	٢٣	قوامم ولكن	قوامم(٢) ولكن	»	١٧
الهرح والمرح	الهرج والمرج	٩٩	١٤	المشروع	المشروح	١٤٢	١٥
مسا ثبت	مسازيت	١٠٤	٠٢	وكذلك	وكذلك	١٤٤	٢٣
واد	وادا	١٠٦	٠٤	بطاغسان	بطاغستان	١٤٥	٢١
مصدافا	مصداق	١٠٧	٠٧	مناسبة	مناسبته	١٤٦	١١
اليها	الهيالملة	١٠٩	١٦	الافرنجية	الافرنجية	»	٢٢
مالة			١٧	علامة	(٥) علامة		
وفد	وفد	١١١	٢٠	يعنى المعيشة	يعنى المعيشة	»	٢٥
لجوبية	الجنوبية	١١٢	١٩	البدوية	الحضرية		
الآسيوتية	الآسيويه	”	٢٦	يعنى المعيشة	يعنى المعيشه	»	٢٦
وما ذكر مره	وما مر ذكره	١١٨	٠١	الحضرية	البدوية		
لانى	الآنى	١٢٠	١٢	اداره	ادراه	١٢٨	٢١
طريقا	طريق	”	١٦	لهذ الداء	لهذا الداء	١٤٩	١٩
بهن	يهين	١٢٣	٢١	منهم	منها	»	٢٥
وفقا	وفاة	١٢٤	٠٦	وسكينة	وسكينته	١٥٠	٢٢
بصلاح	باصلاح	١٢٤	٠٩	واستقبل	واستقل	١٥٢	٠٦
من	منا	١٢٥	١٨	من بقاء	من ان بقاء	»	١٤
ستبعد	يستبعد	١٢٦	١٧	الجزال	الجنرال	١٥٣	١٣
والانبتنوس	والانتينوس	١٢٧	٠٣	الجزال	الجنرال	»	١٤
سبب	بسبب	١٢٨	٠٨	الجزال	الجنرال	»	١٥
انما	نما	١٣٣	٠٣	اعداد	اعداء	١٥٦	٢٥

خطا	صواب	صحفه	سطر	خطا	صواب	صحفه	سطر
من	بمن	١٥٧	٢٣	طلبها	طلبهما	٢٠٩	٢٤
والانيتنوس	والانتينوس	١٦٠	٠٣	١١٨٠	١١٠٨	٢١١	٢٥
تاقبنه	تلقبه	١٦١	٠٩	١٠٥ سنة	سنة ٥٠١	«	«
(٣)	(١)	١٦٢	٠١	امرارا	مرارا	٢١٢	٢٠
لهذا الاشتباه	ولهذا الاشتباه	«	٢٥	وهربهوم	وهربوهم	٢١٥	٢٥
وقب	قف	«	٢٤	فلميا	فلما	٢١٦	١١
انسب	نسب	١٦٣	١٠	ولاراحة	لاراحة	٢١٨	١١
قالميسر بعد	قال بعد	١٦٤	٠٨	٣٩٩	٥٩٩	«	٢٥
(٣) وايلبه	وايلبه (٣)	١٦٥	١٥	ومبع	وجمع الغنائم	٢١٩	٢١
(٣)	(١)	١٦٦	٢٤	اذربيجان	اذربيجان وداغستان	٢٢٠	٠٨
٢٦٢	٢٢٦	١٦٧	٠٩				
عيت	عيبه	١٧٢	٢١				
فونجهم	فوبخهم	١٧٤	٠٦	كا	كله	«	٢٠
الشاء	الشاعر	١٧٨	١١	المدينة	المدنية	«	٢١
قل	قلد	«	١٨	لم يعدونهم	لم يجددونهم	٢٢٣	١٢
البعر	بعر	١٨٠	١٥	الموالى	والموالى	٢٢٤	١١
اسلام	الاسلام	١٨١	٠٥	اصلاحا	صلاحا	«	١٥
واهتمامم	واهتمامهم	١٨٢	١٨	اتراق	اتراك	«	١٧
بخسمائة	بخمسمائة	١٨٣	٠٨	وآخر	فى آخر	«	١٨
فبها	فيها	١٨٧	١٤	تسمى فى عصر نيسطور	٠٠٠٠٠	٢٢٧	١٦
منهن ملك	منهن ابنة ملك	١٨٨	٢٢				
معهه	مع	١٩١	١٣	تغدوا	تعدوا	«	١٧
لهذا	بهذا	١٩٢	٠٢	هذا	منه	٢٢٨	٠٣
بالكية	بالكلية	١٩٥	١١	الاغلاق	الاعلاق	٢٢٩	١٧
اى	الى	١٩٦	٠٢	الشين	والغين	٢٣٠	١٣
سنه	السنة	٢٠٩	١٧	والا	دالا	«	١٤

خطا	صواب	صحفة	سطر
الآن نهر	الان بين نهر	» »	١٦
اعدائنا	اعدائنا	٢٣١	٢٣
نحفلون	نحلفون	٢٣٤	٠٢
من البلدان	من معجم البلدان	» »	٠٧
الغلافى	الفلاى	٢٣٥	٠١
لم	ما	٢٣٦	٢٣
تأمدنا	وتاملنا	٢٣٩	١١
وبشجرو	وبشجرد	» »	١٢
دعمذابل انظر	دع هذا بل انظر	» »	٢٥
زائد	زائدا	٢٤٠	٢
اضالة	اصابة	٢٤٣	١٢
سبب	بسبب	٢٤٤	٢٥
الكبيرة	الكثرة	٢٥٤	١٠
وا ا	واما	٢٥٦	٨
من ذا	من ذراء المرتفعة	٢٥٦	١٨
احوال بلغار مدينة	احوال مدنية	٢٦٠	٢٤
وفيه	وفيها	٢٧٩	١٩
انتجباه	انتخبناه	٢٨١	٢٢
الغظيمة	العظيمة	٢٨٤	٢٤
بضا	بعضا	٢٨٥	١٤
ديلعوهم	ويعلموهم	٢٨٧	٦
لبها	اليها	٢٨٨	١٢
فرأت	قرأت	» »	١٦
شعر	شجرا	٢٩١	٩

خطا	صواب	صحفه	سطر
فطعة	قطعة	» »	٢٠
معروف	معروف	» »	٢٦
جبلا	جبلا	٢٩٢	١٤
ورسورغ	اورنبورغ	٢٩٤	٢٣
البلادان	البلدان	» »	» »
وى بلس	ويلبس فى	٢٩٩	٢٥
هاك	هناك	٣٠٢	٥
جاوزا	جاوزوا	٣٠٤	٥
فم	فلم	» »	٢٠
وحركتهم	وحركتهم	٣٠٥	١٤
بلعار	بلغار	» »	» »
فجازو	فجازوا	» »	٢٢
ولبر	ولبس	» »	٢٥
فنعد	فبعد	٣٠٨	٦
وبلعارا	وبلغار	»	١٧
الاخيره	الاخيرة	٣٠٩	١٣
*		٣١٠	٢١
من	ومن	٣١١	٨
الخسدق	الخندق	» »	» »
مبنين	منبين	» »	٢١
فتم بصارفه	فلم يصادفه	٣١٢	٤
المذكوزة	المذكورة	« «	٩
اداحل	الداخل	« «	١٠
عبد	عند	« «	٢١
ان ان	ان	« «	٢٢

خطا	صواب	صحيفه	سطر	خطا	صواب	صحفه	سطر
الا	الى	٣١٤	٣	سحساه	سبحانه	٣٣٦	٢٥
اثنا	اثنا	٣١٥	٢٥	آمور	آمو	٣٣٧	١٩
بعجب	بعجب	٣١٦	١٣	بعترع	اعترع	٣٣٨	١٠
تابعين	تابعين	« «	١٥	لاالسنة	بالسنة	« «	١١
والتخمن	والتخمين	٣١٧	٨	الذى	الذى	٣٣٩	١٢
اتمة	انمه	٣١٨	٩	بهد	بهذا	« «	٢٣
وقدر	وقدر	« «	١١	مراة	مراة	٣٤٠	١٦
فى	فى السفينة	٣١٩	٢٣	الصحح	الصحيح	٣٤١	١٠
انغرسبس	انجرسيس	٣٢٠	١٦	معمو	معملوا	٣٤٢	١١
جمل	جملة	٣٢١	٤	سالجبع	ساجبع	٣٤٣	٢٦
الصحك	الضحك	« «	٦	كفة	كفته	٣٤٥	٣
وفاتة	وفاته	٣٢٢	١١	اذاو	واذا	٣٤٧	٢
العربية	العربية	« «	١٣	لدينية	الدينية	» »	٨
الفلوت	القلوب	٣٢٤	٢٠	بالكفار	بالكفر	» »	١١
بمحث	بمحث	٣٢٦	٩	جاربه	جاريته	» »	١٦
علاو لدين	علاؤالدين	٣٢٧	١	نحات	نجات	» »	٢٠
م	ثم	٣٢٨	١	الكرى	الكبرى	» »	٢١
لمخلوقات	المخلوقات	٣٣٠	٢١	استما	استماع	٣٤٨	١٤
سنه	سنة	« «	٢٤	بالمسجد	بالمسجد	» »	١٥
سنه	سنة	« «	« «	وخمسائة	وخمسمائة	٣٥٣	١٣
نار	نازلا	٣٣٣	١١	روهامهم	اوهامهم	» »	٢٥
السب	السب الذى	« «	٢٩	ملطرون	مطرون	٣٥٦	٥
ممنوع	مفتوح	٣٣٤	٧	الدغستانى	الداغستانى	٣٥٨	٧
ترونهم	ترونهم	« «	٢٤	لايمان	الايمان	٣٥٩	٢
والآتحاد	والاتحاد	٣٣٥	٦	منه	منها	» »	١٦
وارتجل	وارتحل	« «	١٦	اوصار	وصار	٣٦١	٧

خطا	صواب	صحفه	سطر	خطا	صواب	صحفه	سطر
ولاده	اولاده	٣٦٢	٥	وبان	وكان	٤٠٢	٧
سوارزمشاه	خوارزمشاه	« «	١٧	عند صرتق	صرتق عند	٤٠٣	٣
عند	على	« «	١٩	زبادنه	زيارنه	٤٠٨	٤
أبرضونه	بعرضونه	« «	٢٤	هديت	اهديت	«	١٤
چنكر	چنكز	٣٦٣	٨	متوليها	متوليها	٤٠٩	١٦
چبكز	چنكز	٣٦٤	٣	بركه	بركة	٤١٠	٢٣
هلبها	عليها	« «	٧	لبلدان	البلدان	٤١١	٢
ارزق	ازرق	« «	١٢	اعينها	اعيانها	٤١١	٦
اولامرة	ولامرة	« «	١٥	نخلعة	بخلعة	«	١١
فبها	فيها	« «	١٧	العمدية	المحمدية	٤١٦	٥
بقنة	بقية	٣٦٥	٨	وامدت	وأمتدت	٤١٩	١
مارات	امارات	٣٦٦	٢٠	دركة	بوركة	٤٢١	٥
جميح	جميع	٣٦٧	١٨	جيشة	جيشه	٤٢٢	٧
يوت	ليوث	٣٦٩	٢٥	صبح	اصبح	،، ،،	٩
غيورغ	غيورغى	٣٧٠	١٧	اسحكمت	استحكمت	٤٢٤	١٦
صبرا	صبر	« «	١٨	مالدغستان	فالداغستان	٤٢٦	٢
لى	أبى	« «	٢٠	وكانت	وكانت	٤٣٤	١٧
وقررو	وقرروا	٣٧٢	٤	سل	رسل	٤٣٥	٢
فافام	فاقام	« «	٥	وايض	وايضا	٤٣٧	٧
لاماره	لامارة	٣٨٠	٨	دكر	ذكر	،، ،،	١٧
بالغضور	بالعضور	٣٨٥	٣	الملك	الملك	،، ،،	١٨
فاجنبناهم	فاجبناهم	٣٩٤	٢٨	امزيز	العزيز	٤٤٠	١
السحبىُ	السبىُ	٣٩٧	٢٩	يتاب	كتاب	٤٤١	١١
منه	منهم	٣٩٩	١١	الفنال	القتال	،، ،،	٢٥
لا	الا	٤٠٠	١٨	رسال	ارسال	٤٤٢	١٧
هن	من	٤٠١	٩	كثيرة	كثرة	٤٤٣	١٠

خطا	صواب	صحیفه	سطر	خطا	صواب	صحفه	سطر
امیراطوربة	امپراطوریة	،، ،،	۲۳	عىة	عنه	٤٦٦	۲۱
جروخ	جروح	٤٤٤	۳	لم تنج	لم تنتج	٤٩٦	۲٤
قوش	اقوش	۴۴۶	۱۰	ونصادقهم	وتصادمهم	٤۷۳	٦
مغبوسا	محبوسا	،، ،،	۲۵	آنا	آتا	٤۷۴	۲
اظاهر	الظاهر	۴٤۷	۲	ومجموع	او مجموع	،،	۹
لسلطان	السلطان	،، ،،	۹	معام	مقام	٤۷۵	۱۱
لعضه	بعضه	،، ،،	۱۱	هدا	هذا	۴۷٦	۱۸
النهم	اليهم	،، ،،	۱۳	اقرب	قرب	٤۷۷	٦
المتوجين	المتوجهين	۴٤۸	٤	تنتقم	ننتقم	۴۷۸	۲۰
الی املاکو	لپلاکو	،، ،،	۲۱	طمطای	طقطای	۴۸۰	۲۱
بال	مابال	٤۵۰	۲۲	فيها	فيا	٤۸۱	۲۲
نبج	تبع	،، ،،	۲٤	وانا	وانا	٤۸٤	۱۳
وبنجم	ومنجم	،، ،،	۲٤	جکاو	جکا	٤۸٦	۱۸
بوّيده	يؤيده	٤۵۲	۱۴	سواحم	سواهم	۴۸۷	۱۰
عیر	غیر	۴۵۳	۱۱	ودموه	دموه	۴۸۸	۸
منکور تبمر	منکو تیمر	۴۵٦	۱٦	واخفوا	واحتفوا	،،	۲۳
شاءووامروا	شاءوا ومروا	۴۵۹	۲	لغزنوية	الغزنوية	٤۹۲	۱۳
مکظ	منکو	۴٦۰	۱۳	يستعبه	يستعينه	٤۹۳	۱۲
متکوب	مکتوب	۴٦۱	۱۵	قول	على قول	،،	۲٤
الحمدی	المحمدی	٤٦۲	۱٦	للمواشی	المواشی	٤۹٤	۱۳
دیا	دیار	٤٦۲	۲۲	درحدو	در حدود	٤۹٤	۲۵
وصبرنی	وصیرنی	۴٦۳	۱	دسقسین.	سقسین		
الؤمنبن	المؤمنین	،،	۱٤	الام	الامر	۵۰٤	۱۳
وبهاده	وجهاده	،،	۱۹	لملجیء	للمجیء	،،	۲۵
تنشکر	تنکسر	،،	۲٦	وخواسهم	وخواصهم	۵۰۵	۳
للسطان	للسلطان	۴٦۴	۱٦	افرادهم	انفرادهم	،،	۵

خطا	صواب	صحفه	سطر
ـصلت	حصلت	،،	١١
افسطنطينية	القسطنطينية	٥٠٦	٤
بديه	بديه	٥٠٨	٩
هدالكك	هنالك	،،	٢٣
لى	الى	٥٠٩	١٣
بنته	وبنته	٥٠٩	١٤
وحر	وحرر	،،	١٧
يحاورنة	يحاورونه	٥١١	٨
اسفر هد	اسفار هذا	٥١١	٢٣
سطان	السلطان		
وتزلوا	ونزلوا	٥١٣	٢٥
فطلبو	فطلبوا	٥١٧	١٧
النفسية	النفيسة	٥١٨	٧
لعيره	لغيره	٥١٩	٣
الجانيبن	الجانبين	،،	٥
لسلطان	السلطان	،،	١٨
الندرة	الندرية	٥٢٠	٢٢
ان يوم آحر			
بعد	بعد	٥٢١	١
الحديت	الحديث	٥٢١	٢
فيبا	فيها	،،	٢٦
وصوته	وصورته	٥٢٥	٢
قجع	فجع	،،	١١
	ويقال	،،	١٨
ملك	هذا ابنه ملك		
واراى	والزاى	٥٢٩	٢٥

خطا	صواب	صحفه	سطر
لبن	بين	٥٣٣	١١
السطان	السلطان	،،	٢٣
التقام	التقادم	٥٣٤	٢٢
ولنكاليف	والتكاليف	٥٣٨	٦
لآن	الآن	٥٣٩	٢٤
كبناز	الكيناز	٥٤٠	٢٦
تبة	رتبة	،،	٢٧
قستطانتين	قسطانتين	٥٤١	١١
اخ ى	اخرى	٥٤٢	٢
ق ت	قلت	،،	،،
منشور	منشورا	،،	٢٦
ما	بها	٥٤٣	١٥
والا	ولا	٥٤٤	١
هذ	هذا	،،	١٥
الدى	الذى	٥٤٥	٣
ايوم	يوم	،،	٢٧
ذ	ذا	٥٤٦	٩
لادبية	الادبية	،،	٢١
حسبا	حسبها	،،	٢٦
ى	فى	٥٤٧	١
سلطمته	سلطنته	،،	١٠
شبطة	شيطنة	،،	٢٠
الجهاو	الجهاد	،،	٢٦
المابن	المبين	٥٤٩	١٩
فغاولت	فعاولت	،،	٢٢
بارسا	بارسال	٥٥٠	٩

خطا	صواب	صحفه	سطر
ونهبب	ونهب	»	٢٦
فيه	فيه	٥٥١	١٥
القضبة	القضية	٥٥٢	٣
الحال	العبال	٥٥٢	٦
لاشرف	الاشرف	»	١٤
الاستعال	والاستعجال	»	٢٣
على ونهبها	ونهبها	»	٢٦
زد	زر	٥٥٤	١١
لوربك	اوزبك	»	٢٠
احفلو	احتفلوا	٥٥٥	٢
هدا	هذا	»	٤
كارامرين	كارامزين	»	٢٥
ابوالغارى	ابوالغازى	٥٥٦	٤
فى	فى	»	١٤
وموته	وبنوته	»	٢٠
عباه	عليه	»	٢٣
قبل	قيل	»	٢٧
يله	بله	٥٥٨	٥
عوام	اعوام	»	١٦
وام بردى	وام بردى	»	٢٣
عليه	خرج عليه	٥٥٩	١
فعبله	فقبل	٥٦٠	٣
موردا	موردوا	٥٦١	١٠
بضائم	بغنائم	»	٢٢
فراؤهم	فرأوهم	٥٦٢	٩
شده	شدة	٥٦٣	٨

خطا	صواب	صحفه	سطر
مجلى	مجلس	»	٢٢
وتعدم	وتقدم	٥٦٤	٦
سغناق	بسغناق	٦٧١	١٤
رياسته	رياسة	»	١٤
تبين ثم	ثم تبين	٥٧٣	٢٠
وبين ملك	وبين تيمرملك	٥٧٤	٢١
مام	امام	٥٧٥	١٩
بمقالته	بمقالته	٥٧٧	٢٢
وراك	وتدارك	»	٢٣
واما	ولما	٥٧٨	٢٠
فغرمت	فقربت	»	٢٤
كائمة	كائنة	٥٨٢	١٦
لبس	لبس	٥٨٥	١٨
بالنسيه	بالسنة	٥٨٧	١٨
وارادن	وارادان	"	٢١
اراده	اراد	٥٨٩	١٧
لان	كان	"	١٩
بغير حة غير	بغير حق وغير	"	٢٦
جهة	جيته	٥٩١	٢١
بشيرار	بشيراز	"	٢٣
قدا ه	قدامه	"	٢٥
به	به	٥٩٣	١
ا ن	لمن	"	١٦
ا ص	ارص	"	٢٠
حمنك	خجنك	٥٩٤	١١
جا	جاء	"	١٥

خطا	صواب	صفحه	سطر
آتقا	انفا	٥٩٦	٦
المدكورة	المذكورة	،،	١٨
دكرت	ذكرت	٥٩٧	٥
لم بهمل	ام يهمل	٥٩٨	٢
لايقصرا	لايقصران	،،	١٣
ذ ه •	نحوه	٥٩٩	١٣
سباءتي	سيائتي	٦٠٠	٣
وفق	وقف	٦٠٢	٢٢
وحرى	وجرى	٦٠٤	٥
لسـ ن	لسان	،،	،،
مراته	امرائه	،،	٢١
مدهم	منهم	٦٠٥	١٠
والخدبعة	والخديعة	٦٠٦	٧
له فقال	فقال له	٦٠٧	١٣
قعت	ونعت	٦٠٩	١١
مذكورة	المذكورة	،،	١٢
واواق	وازاق	،،	١٧
وغمرها	وغيرها	،،	٦
لتوفـ ق	التوفيق	٦١٠	٥
مكتب	فكتب	٦١٢	٤
والقاضية	والقاضبة	..	١٥
عشاكره	عساكره	٦١٨	٦
يعجون	يهجمون	٦١٩	٩
سبمب	بسبب	٦٢٠	١٣
الاشرءار	الاشرار	٦٢١	٢
اعاما	عاما	»	٦
و عطامم	واعطاهم	٦٢٢	١٠
يوؤبهم	يؤوبهم	»	١٠
بلاية	بلا مرية	»	٢١
وبحصل	ويحصل	»	٢٧
ثميل	ثقيل	٦٢٣	١٦
جمال	جبال چركس	»	٢١
بمجدى	بمحمدى	»	٢٤
للاستقدال	الاستقبال	٦٢٤	٤
مدنية	مدينة	»	٥
حواليهر	حواليها	»	١١
مور	من	٦٢٦	٦
الجبابي	الجبابي	»	٧
لعساكر	العساكر	٦٢٧	٣
من من	من	»	٥
من بعص	مع بعض	»	٢٦
خبار	اخبار	٦٣٢	٢٥
بعيده فاة	بعد وفاة	٦٣٦	١٠
نكى	بكى	»	١٢
نقلاع	القلاع	»	١٧
علم	على	٦٣٦	٢١
وآحزجوه	واخرجوه	٦٣٩	٢٣
وفولاد	تيمر وفولاد	٦٤٢	٩
آه وماذكره ابن	اه وماذكره ابن	» »	١٢ ١٣
ولم تركو	وما تركو	٦٤٤	٢
فيت	فنيت	٦٤٥	٢
الذرة	الذرية	٦٤٦	٢٠

خطا	صواب	صحيفه	سطر
لزمان	الزمان	»	٢٤
سمى	يسمى	٦٤٧	١٢
موال	اموال	٦٤٨	٣
التعاق	التفاته	»	٧
بخصه	بخصمه	٦٤٩	١٤
ربم بيردى	كريم بيردى	٦٥٠	٢٥
فخصت	متخلصت	٦٥٣	٢
من ا	من امراء	٦٥٤	٢٤
المنحر	المخبر	٦٥٤	٢٧
اريته	دريته	٦٥٨	٩
محدخان	محمدخان	٦٥٩	٢٢
محمدخا	محمدخان	٦٦٠	١٠
الكو	السكون	»	٢٥
فحج	فج	٦٦١	٦
لابطل	لايبطل	٦٦٢	»
منه	هذا	»	٩
مقامه	مقامه	»	٢٤
حامى ا	حاجى	»	٢٥
وقد	وقد	»	٢٦
هدا	هذا	٦٦٣	٧
فحشدو	فحشدوا	٦٦٤	١٢
لسطان	السلطان	٦٦٦	١٣
العلبة	العلبة	٦٦٧	٩
مملكه	مملكة	٦٦٨	٢٢
فبلع	فبلغ	٦٧١	١٧
عبادات	عبارات	٦٧٢	١١
وبسلمته	وبسملته	»	٢٢
الاشرق	الاشرف	»	٢٤
تحقنق	تحقيق	٦٧٤	١٦
فمكن	فيمكن	»	١٨
ف	في	٦٧٥	٢٠
ولابزاول	ولا يزول	٦٧٦	٦
جلاالدين	جلال الدين	»	٢٤
فا التجاء	فالتجاء	٦٧٨	١٩
اموالا	اموال	٦٧٩	٢٢
هواه	هوامش	»	٢٤
ضبط	خبط		٢٩
الجونب	الجوانب	٦٨٢	٢٢
اينو	ايقنوا	»	٢٤
فادى	فارى	٦٨٣	٤
آقااوردو	آق اوردو	٦٨٤	٤
او اصاموا	واصنامها	٦٨٥	١٠
كارامزين	ذكر كارامزين	٦٨٦	١٦
لاسقف	الاسقف	»	٢٣
قياده	قيادة	٦٨٧	٣
اللقائيه	للقائه	٦٨٧	٤
مدافعة	للمدافعة		٩
م	ثم	»	١٦
بين	بن		١٩
ورادة	وارادة	»	٢٥
قران لى لاديمير	قزان الى ولاديمير	»	٢٦

خطا	صواب	صحفه	سطر
باخد	باخذ	٨٨	٢
ذكره	ذكر	٦٩٠	١
غيربم	غيره ثم	«	٥
والسبب	هو السبب	«	٢٦
هد	هذا	٩١	٣
لتتار	التتار	«	٢٠
كانو	كانوا	٦٩٢	١٧
بى	فى	٦٩٥	٢٣
اسفرائه	لسفرائه	٦٩٦	١٤
لوقعة	الوقعة	٧٠٠	١٨
حمد	احمد	٧٠١	١٢
يعطهيم	يعطيهم	٧٠٢	٢٢
الغظاء	الغطاء	٧٠٤	١١
ن	ان	٧٠٧	٢
وهوا	فهو	٧٠٨	٥
والقخط	والقحط	٧٠٩	٢٧
أحمد حان	احمدخان	٧١١	١٢
مربن	مزبن	٧١٣	٢٨
الوفر	الوف	٧١٥	١٤
حمد خان	احمدخان	«	٢٣
جميع	الجميع	٧١٦	٧

تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار

اثر :
الفقير م . م . الرمزى .

المجلد الثانى

اورنبورغ
طبع بالمطبعة الكريمية والحسينية.
١٩٠٨

فهرست الجلد الثانى من تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار

مطالب	صفحة
وقائع بلدة حاجى طرخان	٢
كيفية المكاتبات بين ملوك	١١
مصر وملوك التتار	
علماء مدينة سراى وممالك	٢٢
خوانين التتار	
نعمان الدين الخوارزمى	٢٩
نجم الدين الزاهدى	٣٢
احمد بن عبدالله القريمى	٣٣
احمد بن محمد القريمى	٣٤
المرنعش	
اسحق بن اسماعيل القريمى	٣٦
شرف الدين بن كمال الدين	٣٧
القريمى	
ضياء الدين بن سعد الدين	،،
القريمى	
منهاج الدين ابراهيم بن سليمان	٣٨
السرائى	
محمود بن عبدالله السرائى	،،
محمود بن قطلوشاه السرائى	،،
حافظ الدين محمد البزازى	٣٩
صاحب الفتاوى البزازية	
محمد بن عبدالله السرائى	٤٠
(صورة المسلسل باخذ اليد)	
جمال الدين يوسف بن حسن	٤٢
السرائى	
حق محمد افندى الدشتى وابنه	٤٣

مطالب	صفحة
ابراهيم افندى	
عبدالله عفيف الدين افندى	٤٥
ابن بطوطه وقطب الدين	٤٧
الرازى والتفتازانى	
محى الدين البردعى ،	٤٨
علاؤ الدين بن محمد السيرامى	
نجم الدين عبد الرحيم المعروف	،،
بابن النجام	
كمال الدين الجندى	،،
ابن عربشاه الدمشقى وولده	٤٩
عبد الوهاب	
المقصد الثالث فى بيان احوال	٥٠
قزان	
اول من بنى قزان	٥١
الوغ محمد خان	٥٢
خليل خان وابراهيم خان	٦٠
قصد قاسم خان مملكة قزان	،،
قصد الكناز ايوان بلدة	٦٢
قزان	
قصد ابراهيم خان بلاد الروسية	٦٥
ومحاربته اياهم	
وفاة ابراهيم خان	٦٦
هجوم الروسية الى قزان	٦٧
واسر الهام خان	
محمد امين خان الملقب	٧٠
بابجم خان	

مطالب	صفحة
عبد اللطيف خان ابن ابراهيم خان	٧١
عزل عبد اللطيف خان ونصب	٧٢
محمد امين خان ثانيا	
مسير محمد امين خان على	٧٣
الروسية ومحاربته اياهم	
مراسلة منكلى گراى خان مع	٧٩
الكيناز واسيلى	
ورود نورسلطان بكه الى	٨٠
مسقوا وقزان	
وفاة منكلى گراى خان القريمى	٨١
مرض محمد امين خان وتعيين	٨٣
عبد اللطيف لولاية العهد	
وفاة عبد اللطيف خان	٨٤
وفاة محمد امين خان	،،
شيخ على خان	٨٥
صاحب گراى خان وطرد شيخ	٨٧
على خان من قزان	
هجوم محمد گراى خان وصاحب	٨٨
گراى خان على الروسية وانفصال	
صاحب گراى من خانية قزان	
ونصب صفا گراى خان	٩١
انفصال صفا گراى خان عن خانية	٩٨
قزان وجلوس جان على	
حبس شاه على خان فى مسقوا	١٠٠
قتل جان على خان وخانية	١٠٣
صفا گراى ثانيا	

مطالب	صفحة
مسير الروس الى قزان وانفصال	
صفا گراى وخانية شيخ على	
خان ثانيا ثم انفصاله عنها	
وخانية صفا گرى ثالثا	١٠٩
وفاة صفا گراى ومسير ايوان	١١٣
بقصد ضبط قزان	
ارسال ايوان عساكره الى قزان	
وخروج سيون بكه مع ولده	
اوده ميش گرى منه	
وخانية شيخ على ثالثا	١١٦
مقدمة استيلاء الروس على قزان	١٢١
استيلاء الروس على قلعتى	١٣٨
اوستروغ وآرچه	
قطع امداد چرامشة السواحل	،،
عن اهل قزان	
معركة شديدة بين الفريقين	١٤١
على باب آرچه	
وقعة اشعال اللغم ووقعة	١٤٢
اخرى على باب قزان	
آخر وقايع قزان وسقوطه	١٤٣
فى يد ايوان	
احوال بلدة قزان حين دخلها	١٤٩
الروس	
ذكر ماجرى بعد ذلك من الاحوال	١٥٠
دخول ايوان بلدة قزان	١٥١
امر ايوان بدفن الموتى وتعيينه	

مطالب	صفحة	مطالب	صفحة
موضعا لبناء الكنيسة	١٥٣	ميز گيلدى	
تدبير الاقوام التركية ونظرهم الى	١٥٧	النصرانية والاسلام والمجوسية	٢٢٣
العواقب ليس على نسبة شجاعتهم		فى شرق الروسية	
حال بادكارخان واوتاميش	١٥٩	تنصير الاجانب	٢٢٦
گرای خان		هدم المساجد من طرف الحكومة	٢٢٧
المقصد الرابع فى بيان الاحوال	١٥٩	ماجريات لوقا بن قناش اسقف	٢٢٩
الجارية فى تلك البلاد بعد دخولها		قزان	
حكم الروس		قال الفاضل المرجانى ان اهل	٢٣٠
ملوك الروس وعوائلهم	١٦٨	بلدة قزان عاشوا بلا مسجد الخ	
قبول الروس النصرانية تقليدا	١٧٢	حكاية الشيخ فخر الدين النولاطى	٢٣٢
لملكهم ولاديمير		فتح المحكمة الاسلامية	٢٣٣
جمعية الميسيونير بن	١٦٨	الاورنبورغية ووظيفتها	
كان فى قزان عند		الباعث على احداث يكاترينا	٢٣٨
ضبط الروس اقواما من الوثنيين	١٨٧	هذه الادارة	
انقلبت كثير من قرى المسلمين	١٨٩	مدرسة يكاترينا ببخارى	٢٣٩
قرى چواشية		المفتى الاول محمدجان بن الحسين	٢٤١
اهالى طنبو وپنزا وسراطاو	١٩٠	واعماله	
وجنوبى ولاية سنبر		المفتى الثانى عبدالسلام بن	،،
اهالى قزان آرتى	١٩١	عبدالرحيم	
واول اختلال	١٩٣	المفتى الثالث عبد الواحد	٢٤٢
استيلاء الروس على سيبيريا	١٩٥	بن سليمان	
واحوال هذه الخانية		المفتى الرابع ميرزا سليم گرى	٢٤٣
ظهور يرمق	١٩٩	التوكيلى	
استيلاء الروس على شرقى	٢٠٤	الرسائل التى الفت ضد دين	٢٥٩
نهر قاما		الاسلام	
واقعة ملا عبدالله بن باطرشاه	٢١٢	ترجمة المجموعة الروسية وغيرها	،،

مطالب	صفحة
لائحة ناظر المعارف طولستوى	
افكار الجمعية الفورية التى	٢٦٣
انعقد بقزان فى حق المسلمين	
واقعة منكار الفجيعة	٢٨٢
وفات المفتى سليم گرى التوكيلى	٢٩٠
مكاتبة ايلمينسكى مع	٢٩٠
پابيدانوسف	
المفتى محمديار سلطانوف	٢٩٥
فرمان النظارة الداخلية الى	٢٩٨
الجمعية الاوزنبورغية	
العريضة الى علماء مكة المكرمة	٣١٠
مضبطة علماء مكة المرسلة الى	٣١٢
استانبول	
واقعة بول ايلى من اعمال قزان	٣١٨
واقعة حاجى طرخان	٣١٩
قضية ملا محمد جان الكوجباكى	٣٢٢
قضية ملا حافظ البلبائى	٣٢٠
واقعة قرى چواش فى ولاية	،،
ساراتاغ	
التشديد فى طبع الكتب الشرعية	٣٢٤
حادثة قريه سولاى	٣٢٨
تكليف المسلمين باخذ الرسوم	٣٣٠
عند الامتحان	
الحوادث التى حدثت اثناء	٣٣١
تحرير النفوس الاخير	
حادثة خان اورداسى	٣٣٢

مطالب	صحة
منع التتار من استملاك اراضى	٣٣٣
التركستان	
المنع عن سفر الحج	٣٣٤
فى اصل قانون الروسية ان	٣٦٤
جميع الاديان محترمة	
بيان احوال التتار فى التحصيل	٣٦٧
والتعليم والتعلم	
بيان احوالهم من جهة معايشهم	٤٠٠
وعوائدهم	
عدد المسلمين فى الروسية	٤٠٥
علماء تلك الديار	٤٠٨
رضى الدين الشافعى القزانى	٤٠٩
مرتضى بن قطلغش السيمتى	٤١٠
منصور بن عبد الرحمن	٤١٠
ايشمحمد بن طوق محمد الآدايى	٤١١
يونس بن ايواناى الاوروى	٤١١
عبد الكريم بن بالطاى الفارغالى	٤١١
عبد الرحمن بن طوبمحمد	٤١٢
الطايصوغانى	
عبد السلام بن حسن القاربلى	٤١٢
امير بن نور محمد	٤١٢
ايشنياز بن شير نياز الخوارزمى	٤١٣
القارغالى	
وليد بن مقصود	٤١٣
محمد بن على الداغستانى	٤١٣
فيض الله بن عثمان البلغارى	٤١٤

مطالب	صفحة
بیکچنطای بن ابراهیم البرسکوی	٤١٤
ابوبکر بن ابراهیم القزانی	٤١٤
عبدالخالق بن اعظم التنکی	٤١٥
ولید بن محمد الامین القارغالی	٤١٥
بهادرشاه بن سیارقل	٤١٥
ولید آخوند بن سعید المنزله باشی	٤١٥
سلیمان بن مصطفی	٤١٦
عبدالنصیر ابوالنصر القورصاوی	٤١٦
احمدجان بن امیرخان	٤١٩
عبدالرشید بن عبد الکریم القارغالی	٤٢٠
نعمة الله بن عمر الاوتاری	٤٢٠
محمد رحیم بن یوسف الآشطی	٤٢٠
حبیب الله بن الحسین الاوروی	٤٢١
فخرالدین بن سبحانقل الکیهوچاتی	٤٢١
فضل بن ابراهیم الاچکنی	٤٢٢
عبیدالله بن جعفر الکیزلوی	٤٢٢
عبدالقادر بن سلیمان الشریفی	٤٢٢
جعفر بن عبدی النقشبندی	٤٢٣
ابوالمنیخ بن ابی الفیض القارغالی	٤١٣
سیف الدین بن ابی بکر الشنکاری	٤٢٤
ابراهیم افندی ابن خوجاش القزانی	٤٢٥
امیرخان بن قرچقار	٤٢٧
حمید بن اسلام البورطشی	٤٢٧
عبدالرحمن بن محمد شریف الکرمانی	٤٢٨
حمزة المنجم ابن محمد	٤٢٨
برهان الدین بن محمد شریف الشغایی	٤٢٨
سعید بن احمد الشردانی	٤٢٩
عبداللطیف بن ادهم الیولقی	٤٢٩
زین العابدین بن عبد الله الیولقی	٤٣٠
ولی الدین بن الحسن الحاج البغدادی	٤٣٠
معاذ بن بیکمحمد الفرامالی	٤٣٠
شمس الدین بن عبد الرشید القشقاری	٤٣١
اسکندر بن علی البیره‌کوی	٤٣١
دولتشاه بن عاداشاه الچبنلی	٤٣١
محمد الامین بن سیف الله النلاساوی	٤٣٢
عبد النصیر بن سیف الملک الچقالی	٤٣٢
ابراهیم بن عبد الرشید التاروی	٤٣٢
عبدالرحیم بن عثمان الاوتز ایمانی	٤٣٤
مصطفی بن موسی القزانی	٤٣٥
یونس بن ابراهیم	٤٣٥
اسحق بن سعید الکذاری	٤٣٥

مطالب	صفحه
شاه احمد بن رفيق السماكى	۴۳۵
تاج الدين بن بالچى قل الملى،	٤٣٦
تاج الدين بن عبد الرشيد الايشتراكى	۵۳۷
ايشمحمد بن زاهد الكوباكى	۴۳۷
دولت باقى بن على الاصغر النارووى	۴۳۷
عبد النصير بن ثابت الاچكنى وولده عبد الاحد	۴۳۸
محمد شريف بن ابراهيم البيركوى واولاده	٤٣٨
عبد الحليم بن زين العابدين المورطشى	۴۴۰
هبة الله بن دينمحمد الصلاوچى	۴۴۱
عبد الخالق بن ابراهيم القورصاوى	۴۴۱
فتح الله آخوند ابن الحسين الاوروى	۴٤١
عبد الواحد بن عبد المنان	٤٤٢
زين الله بن اولمزقل القالقانى	٤٤٢
نعمة الله بن بيكتمر الاسترلى باشى واولاده واحفاده	۴٤٢
عبد الخالق بن عبد الكريم	٤٤٤
عبد الغفور بن عبد المنان الجيسطايى	٤٤٤
فخر الدين بن ابراهيم القزانى	۴۴۵
عبيد الله بن ابراهيم البيركوى وولده عبد العلى	۴۴۶
شاه احمد بن يوسف	٦۴٦
نعمة الله بن مناسب البوبى واخلافه	٦٤٧
رحمة الله بن عبيد الله الكيزلوى	٦٤٧
عصمة الله بن عبد الرحمن الشلچلى	٦۴٧
يعقوب بن يحيى	٦٤٧
شرف الدين بن زين الدين الاسترلى وولده كمال الدين	٦٤٧
ميان فيض بخش بن عبد القدوس (ايشان صاحب زاده)	۴۴۸
ذو القرنين بن خليل	٤٤٨
نعمان بن امير الثمنى	٤٤٨
عبد الجبار بن عبد الرحمن التايصوفانى	۴٤٨
حماد بن عيسى القارغالى وولده عبد العليم	٤٤٩
نعمة الله بن عبد الرحيم الاورنبورغى	٤٤٩
سيد بن نور محمد وولده عبد الله	۴۴۹
عبد اللطيف بن سبحانقلى القورچى	٤٤٩
بايمراد بن محرم القزانى	۴۵۰
حبيب الله بن رحمانقلى القزانى	۴۵۰

مطالب	صفحة	مطالب	صفحة
عبدالرحيم بن عاشور الحاجطرخانى	٤٥١	الكبوو چاتى	
عبدالصالح بن عبدالله الكيوكى	٤٥١	فخرالدين بن مصطفى الاگرجوى	٤٦١
وولده على افندى		وولداه احمد ومحمد	
ابراهيم بن محمديار الچالپوى	٤٥١	جعفر بن صالح القولاتقى وبهاء	٤٦٢
عبدالواحد بن عبدالرحمن البواوى	٤٥٢	الدين ايشان	
فتح الله بن صفرعلى المناوزى	٤٥٢	منهاج افندى القزانى المدنى	٤٦٢
نعمة الله بن عبيدالله الالمتى	٤٥٢	تاج الدين افندى القزانى المدنى	٤٦٣
رمقل بن مقصود الايشتراكى	٤٥٢	موسى افندى القزانى المدنى	٤٦٤
عبيدالله بن سبقل الحاجطرخانى	٤٥٣	احمد ضياء الدين الطرخانى المدنى	٤٦٤
عباس بن عبدالرشيد الكوشارى واخلافه	٤٥٣	عماد الدين النوركايى المدنى	٤٦٦
محمدكريم بن اسحاق المهتوى	٤٥٤	محمد ذاكر التمتى المكى	٤٦٧
محمدطيب بن زائد الاورالى	٤٥٤	عبدالجبار بن جعفر الباراوى	٤٦٧
ورفيقه خليل افندى		طاهر بن سبحانقلى الآدايى	٤٦٧
عبدالستار بن عبدالله الطيمازى	٤٥٥	شمس الدين بن يار محمد الزكى	٤٦٨
سعيد بن حميد القزانى	٤٥٥	عبدالنصير بن عبدالرحيم	٤٦٩
عبدالغفور بن سيف الله الطوى	٤٥٦	التاى صويغانى	
كلدى		محمدكريم بن محمدرحيم القزانى	٤٦٩
نظام الدين القورچى ورفيقه	٤٥٦	القسطنطينى واولاده	
عارف السيرانى		صاحب الدين بن زين الدين	٤٧٠
مقصود بن قربانعلى الكولباشى	٤٥٨	النوركايى واولاده ووالده	
عبدالله بن يحيى الجرنوش	٤٥٩	حسن الدين بن زين الدين	٤٧٢
حبيب الله بن رفيق النادرى	٤٥٩	وابناؤه	
عبدالجميل بن اونه قل	٤٦٠	محمدرحيم بن مندان البلدانكاوى	٤٧٣
نورمحمد بن ابراهيم القزانى	٤٦٠	نورالدين بن مفتاح الدين	٤٧٣
محمد ظريف بن عبدالجميل	٤٦٠	الطرخانى	
سيف الدين بن سبحانقل	٤٦٠	عبدالجبار بن زبير التلانچى	٤٧٣

مطالب	صحيفه
تماقی واولاده	
صلاح الدين بن اسحق القزانى	٤٧٣
تاج الدين بن بشير الصوفصوى القزانى	٤٧٤
عبدالعلام بن صالح الجرشوى	٤٧٤
هبة الله بن سيف بطال القارغالى	٤٧٥
تاج الدين بن احمر الآيدارى السمرقندى	٤٧٥
جار الله بن بيكمحمد الصاتشى	٤٧٥
محمود بن محمد الداغستانى (محمود افندى)	٤٧٥
سعيد بن حميد القزانى القسطنطينى	٤٧٦
حسن بن حميد القورصاوى	٤٧٦
عطاالله بن محمد القورصاوى وابنه عبدالرحمن الياركندى	٤٧٧
على بن سيف الله التونتارى وختنه شمس الدين المزارآستى	٤٧٧
اسماعيل بن موسى القشقارى وابنه عبدالرحمن	٤٧٨
شهاب الدين بن بهاء الدين المرجانى	٤٧٨
ائمة قزان والمدرسون المشهرون	٤٨٢
سيف الله بن عالمبك الاجوى	٤٨٢
فخرالدين بن يهودا النورلاتى وولده صدرالدين	٤٨٣
محمدحسن بن شمس الدين	٤٨٣

مطالب	صحيفة
الخان كرمانى	
عبدالعزيز بن حبيب الله الاورمانايى	٤٨٣
عبدالفتاح بن عبدالقيوم الشاچلى	٤٨٤
محمدذاكر بن عبدالوهاب الچيسطايى	٤٨٤
عبدالله بن عبدالغفور الچتمقى	٤٨٤
محمدحسن بن عزة الله الخان الكرمانى واخوه محمدعلى	٤٨٥
احمد بن خالد المنكارى	٤٨٥
شهاب الدين الاسنى	٤٨٥
عبدالناصر بن محمد امين البواوى	٤٨٦
محمدشريف آخوند الطرويسكى وآخوند حاجى احمد الرحمانقلى	٤٨٦
سليمان بن داود الاورنبورغى	٤٨٦
شرف الدين بن مهدى الدوسمى واولاده	٤٨٦
جمال الدين حسن سبحانقل الطرويسكى وخواجه جان الصاتشى	٤٨٨
عبدالله السراتاغى المفتى ببخارى	٤٨٨
فخرالدين الاسابى البخارى واسماعيل التكرمنى البخارى	٤٨٩
سراج الدين ورمضان البخاريان القزانيان	٤٨٩
محمدجان بن عبدالظاهر الرحمانقلى واولاده	٤٨٩

صفحة	مطالب
۴۹۰	احمد اللطیف بن عبد اللطیف القمطقی واولاده
۴۹۰	خیرالله بن عثمان القاضی الاوناوی
۴۹۱	شیخ الوقت زین الله بن حبیب الله الخالدی واولاده
۴۹۸	الخاتمة فی خوانین خان کرمان وغیره
۵۰۱	خوانین قریم
۵۰۲	خوانین اوزبك ببخاری وخوارزم
۵۰۵	وجه اختصاص هذه العوائل بالتسمیة باوزبك
۵۱۲	خوانین قزاق
۵۱۸	ابو الخیر خان
۵۱۹	آبلای خان
۵۲۰	ولی خان ابن آبلای خان
۵۲۰	نوره‌لی خان ابن ابی الخیر خان
۵۲۱	بوکای خان
۵۲۲	جهان گیر خان ابن بوکای خان
۵۲۵	کینه صاری خان

تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار
في وقائع قزان وبلغار
وملوك التتار

اثر الفقير

م . م . الرمزي

الطبعة الاولى

المجلد الثاني

طبع بالمطبعة الكريمية والحسينية بلدة « اورنبورغ »
على مصاريف ملتزمه

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل من هذا المقصد فى بيان وقائع بلدة حاجى طرخان وحيث كان اتصالها بوقائع سراى شديدة وتشكلها بصورة الاستقلال متعقبة لانقراض دولة سراى بل ضعفها ووقائعها قليلة ناسب ان نذكرها فى هذا المحل وهى بلدة مبنية بقرب مصب نهر ايدل (وولغا) من بحر الخزر بين شعبتين من النهر المذكور اكبرهما فى جهتها الغربية وهو الحائل بينها وبين الروسية واصغرهما فى جهتها الشرقية وهى واقعة من العرض الشمالى على ٤٧ (١) درجة و ٣٢ دقيقة ومن الطول الشرقى على ٦٥ درجة و ٤٤ دقيقة وكانت تسمى فى عصور خزر بمدينة ايتل وقد اتخذها ملوك الخزر دار ملكهم وكرسى مملكتهم ثم اشتهرت فى الازمنة المتأخرة باشترخان وحاجى طرخان واژدرهان ذكر هذه المذكورات الفاضل المرجانى فى تاريخه والمشهور عند الروسية آستراخان وقال كارامزين كان اسمها السابق فى التواريخ آتيل ثم سميت بولانفيار (بلنجر) وسميت فى العصر ١٣ الميلادى بصومير كنيت وسميت بعد ذلك باستر خان وبعد دخولها فى حوزة ملوك الاوردو الذهب سموها باستر خان وقال فى موضع حاجى تركان وقال ابن بطوطة فى رحلته ومعنى طرخان عندهم الموضع المحرر من المغارم (قلت بل الشىء المحرر من التكاليف الميرية سواء كان موضعا اوشخصا فلا يؤخذ منه من طرف الحكام ما يؤخذ من غيره) قال والمنسوب اليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركى نزل بموضعها وحرر له السلطان ذلك الموضع فصار قرية ثم عظمت وتمدنت قلت فهذا مخالف لما ذكره الفاضل المرجانى ولعل ما

---

(١) وعلى ما يشاهد فى خرائط الروسية ان عرضها اقل من ٤٧ درجة بمقدار ثلث درجة وطولها اقل من ١٨ درجة من بطربورغ . منه عفى عنه .

ذكره قريب من هذا الموضع او كان خرابا لم يبق منه اثر وقت نزول الحاج
المذكور ولم ادر فى اى زمن كان هذه ومن هو هذا الحاج وما اسم السلطان
المذكور ولا يبعد كونه فى اوائل سلطنة السلطان محمد اوزبك خان وقد تقدم
فى بيان الاختلال الذى بعد موت بيردى بك خان نقلا عن ابن خلدون استيلاء
الحاج شركس عليها فلا بعد فى كون الحاج المذكور هو وفى اطراف حاجى طرخان
قبيلة چركس من القزاق غير چركس، ققفازيا ولعلهم من عقب الحاج شركس
المزبور والله سبحانه اعلم ثم قال ابن بطوطة وهى من احسن المدن عظيمة
الاسواق مبنية على نهر اتل وهى من انهار الدنيا الكبار وهنالك يقيم السلطان
حتى يشتد البرد ويجمد هذا النهر وتجمد المياه المتصلة به ثم يأمر اهل تلك
البلاد فيأتون بالاف من احمال التبن فيجعلونها على الجليد المنعقد فوق النهر
ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل اه ولما
طرق تيمور الاعرج تلك البلاد فى النوبة الاخيرة، خربها كلها على ما مر تفصيلها
وطرأ الشقاق والنفاق بين ملوك تلك الديار وبغى بعضهم على بعض ولم
يتيسر لهم الوفاق واتحاد الكلمة اتخذ بعض منهم البلدة المذكورة دار
ملك لنفسه لمتانة موضعها ومناعة موقعها ولكونها فى الدرجة الثانية من
كرسى المملكة ايام الخوانين الكبار كما مر آنفا عن ابن بطوطة فصارت
مستقلة تارة وتابعة لدولة اوردو الذهب وخوانين سراى تارة اخرى
مصداق قول القائل ع شبه النعامة لا طير ولا جمل ❊ الى ان انقرضت دولة
اوردو الذهب وخربت بلدة سراى بالكلية فى التاريخ المار ذكره آنفا
فحصل لها بعد ذلك نوع استقلال مع قلة توابعها ومضافاتها حتى استولت
عليها الروسية بعد زمن يسير من استقلالها فاول من عرف فيها خانا هو
قويرچق خان ابن ارص خان على قول الفاضل المرجانى ثم ابنه براق
خان وقد مرت ترجمة احوالهما حسب اطلاعنا ولعلهما اتاما بها برهة من
الزمان والله اعلم ثم ذكر الفاضل المرجانى بعده قطلغ تيمر وذكر نسبه هكذا
ابن على تيمر بن قطلغ تيمر بن تومغان بن ابان بن اوزتيمر بن توقاتيمر ابن

جوجي خان والظاهر انه نقله عن تاريخ ابي الغازي خان وقد ذكرهم عند بيان نسب خوانين بخارى من اولاد توقاى تيمر الا انه قال تيمر قتلغ بن تيمر بك بن قتلغ تيمر وقال بدل ابان اباى بالياء بدل النون والظاهر ان تيمر قتلغ وتيمر بك هما اللذان سبقت ذكرهما عند بيان خوانين سراى مستوفى وان تيمر بك هو تيمر ملك فيكون ذكر قتلغ تيمر وباقى النسب سبق قلم او مبنيا (١) على اختلاف الرواية فى نسبهما كما مر والله اعلم ثم قال المرجانى ثم ابنه تيمر بهادر خان وقال ابو الغازى تيمر سلطان والظاهر انه تيمر خان المار ذكره الذى طرده جلال الدين خان ثم قال المرجانى ثم ابنه محمد خان ثم حفيده چواق خان ابن يعقوب بن محمد خان قلت جعل ابو الغازى چواق خان ابن محمد خان والظاهر ايضا ان محمد خان هذا هو المشهور بكوچك محمد خان ابن تيمر خان ان سلمنا على كونه ابن تيمر خان على ما ذهب اليه المرجانى وقد عرفت ما فيه ثم قال المرجانى ثم ابنه منغشلاق خان ثم احمد خان ابن محمد خان الصغير ابن تيمر خان قلت هذا قد تقدم ذكره عند بيان خوانين اوردو وسراى فلا معنى فى جعله من خوانين حاجى طرخان المستقلة وكذلك من قبله على ما ذكرنا سوى چواق ومنغشلاق ثم اعاد ذكر تزوجه باخت حسين بايقرا كانه مزية له وقد مر منا ما له وما عليه فتذكر ثم قال ثم اخوه محمود خان وله دراهم مضروبة بحاجى طرخان وغيرها مكتوب فى بعضها السلطان العادل محمود بن محمد بن تيمر وفى بعضها بزيادة لفظ خان بعد كل اسم قلت لم ار له ذكرا فى محل الان الحاج عبد الغفار افندى قال وابن كوچك محمد خان محمود خان وابناؤه قاسم خان وعبد الكريم خان واحمد خان صاروا خوانين على الترتيب وابن احمد خان مرتضى خان وابنه آق كوبك خان اهو قد جعل هذا احمد خان ابنا لمحمود خان خلاف ما ذكره المرجانى وخلاف ما

---

(١) والباعث على هذا التكلف مع امكان ابقائه على ظاهره من المغايرة هو توافق اربعة اسماء متتابعة اعنى محمد تيمور قتلغ وقتلغ تيمر وتيمر ملك كما تريه وما يعلمو وقوعه وايضا انه ذكر محمد خان الصغير من ذريتهم فتلحر بها على انه اهما المذكوران هناك ومع ذلك لا نسلب عنه الامكان ولا نجزم بما ذكرنا بل نقول انه هو الظاهر والله اعلم بالصواب . منه عفى عنه .

مرعن كارامزين من كون مرتضى خان ابنا للسيد احمد خان وان كان وافق فيه للمرجانى والله سبحانه اعلم ولولا عدم مساعدة التاريخ الآتى لقلت انه السيد محمود اخو الشيخ احمد خان وقد ذكره كارامزين فى مواضع من تاريخه بان يقول السيد احمود خان مرة والسيد محمود مرة اخرى ثم قال الفاضل المرجانى ثم ابنه قاسم خان (١) ووجوده فى حدود سنة ٨٨٠ معلوم قال ثم ابن عمه عبد الكريم خان بن احمد خان بن محمد خان وكان باقيا من سنة ٨٩٥ الى سنة ٩١٠ قلت قد مر نقلا عن الحاج عبد الغفار افندى انه ابن محمود خان واخو احمد خان والله اعلم بالصواب وقد مر عن كارامزين قصد الشيخ احمد خان بلاد قرم بمعونة عبد الكريم خان الحاج طرخانى وصدهم الروسية اياهم عنها فى سنه ١٤٩٠ م مصادفة سنة ٨٩٦ ه وهو اول من يرى له ذكر فى تاريخ كارامزين من خوانين حاجى طرخان والظاهر ان اول استقلالهم بعد موت السيد احمد خان رحمه الله قال كارامزين وفى سنة ١٥٠٨ م مصادفة سنة ٩١٣ ه ارسل منكلى كراى الى موسكوا سفيرا يطلب مطالب عديدة من جملتها ارسال الروسية عساكرها الى حاجى طرخان من نهر وولغا لامداده فى تخريب حاجى طرخان وابادتها بعد ان خرب سراى فيخلد فى الدنيا الى آخر الابد ويكون من ثانى المنظرين فاعتذر اليه الكيناز واسيلى بن ايوان بان الوقت لا يساعده الآن لذلك قال المرجانى ثم ابو سعيد جانبك خان بن براق بن قويرچق ثم ابنه حسين خان كان حيا فى حدود سنة ٩٢٨ قال كارامزين فى خلال بيان حوادث سنة ١٥٢٣ م مصادفة سنة ٩٢٨ ه كان الخان فى الوقت المذكور فى حاجى طرخان حسين بن او ميرشاه جانبك خان وكان يريد الاتفاق مع الروسية ولكنه لم يقدر ان يحمى نفسه من محمد كراى خان القرمى فانه اتفق مع ماماى خان نوغاى وهجم على حاجى طرخان وطردمنها حسين خان واستولى

---

(١) ولايبعد كون قاسم هذا نصيمه المارذكره عند ذكر قصه احمد خان بلاد الروسية فتذكر منه عفى عنه.

عليها ثم قال بعد ذكر قتل محمد كراى القرمى فى السفر المذكور ووقوع
فتنة عظيمة فى قرم بعد قتله وانطفاء نيران تلك الفتنة بجلوس سعادت
كراى خان انه يعنى سعادت كراى خان كتب الى واسيلى يظهر له وداده
ويعلن اقتداره ويقول ان السلطان صديقى وحاميىّ وحسين خان الحاج
طرخانى صديقى وصاحب كراى خان القزانى اخى الخ قلت دكان جلوس
سعادت گراى فى اواخر سنة ٩٣٠ ولعل كتابته الى واسيلى بعد انقضاء
السنة المذكورة فيكون حسين خان حيا فى العام المذكور ثم قال الفاضل
المرجانى ثم آلق خان قلت قد ورد الى قزان من اولاد خوانين نوغاى
واحد يسمى آغالق اخو مامق خان ولعل هذا هو والله اعلم ثم قال ثم
قاسم خان بن السيد احمد خان بن احمد خان بن محمد خان الصغير قتل
فى سنة ٩٣٨ حين هجمت الهوراكسة الى الحاج طرخان اه وقال كارامزين
حين تعداده الوفود الواردين الى الروسية من سائر الدول فى سنة ١٥٣٢
وما بعدها انه ورد الى واسيلى فى التاريخ المذكور من الخان الجديد فى حاجى
طرخان يسمى قاسم خان رسول يريد الاتفاق معه ولكن قبل وصول السفير
المذكور الى موسكوا هجمت الهوراكسة الى حاجى طرخان وقتلوا قاسم خان
وكثيرا من الاعيان ونهبوا اموالا كثيرة ونصبوا فيها خانا يسمى آقوبك وصعدوا
الى الجبال ولكن لم تطل مدة الخان المذكور ايضا بل جلس عبد الرحمن خان
وارسل الى واسيلى يخطب وداده وكان ذلك فى سنة ١٥٣٤ م مصادفة
سنة ٩٤١ هـ ولنا قال الفاضل المرجانى ثم عبد الرحمن خان لم يعلم اسم
ابيه وسلسلة نسبه وكان موجودا من سنة ٩٤١ الى سنة ٩٤٥ قال
كارامزين فى خلال بيان وقائع سنة ١٥٣٤ الى سنة ١٥٣٨ م ارسل ايوان
بن واسيلى الى حاجى طرخان سفيرا لعبد الرحمن خان يدعوه الى الاتفاق
معه فقبل الخان المذكور مع الممنونية لخوفه من خوانين قرم ونوغاى ولكنه
لم تطل مدة خانيته بعد ثم بل هجمت طائفة نوغاى الى حاجى طرخان بعد ا شهر
واستولوا عليها فهرب منها الخان المشار اليه فاجلسوا مكانه خانا يسمى درويش

علی خان اه والظاهر ان هذا کان فی خلال سنة ۱۵۳۵ م مصادفة سنة ۹۴۲ ه
وهذا مخالف لما ذکر الفاضل المرجانی مخالفة کلية حيث قال ثم يعنی بعد خانية
عبد الرحمن خان تسلطن الشيخ حيدر خان ابن الشيخ احمد خان فی سنة ۹۴۴
ثم خلع فی سنة ۹۴۸ وجلس مكانه آق كباك خان ابن مرتضی خان ابن احمد
خان ثم قتله يمغورچی خان فی سنة ۹۴۹ ثم يمغورچی خان ابن بردی بك
سلطان بن مرتضی خان دام تسلطنه الی سنة ۹۶۱ وقبل قتل صاحب كرای
خان فی سنة ۹۵۶ ثم درويش علی خان ابن شيخ حيدر خان مرة اخری
وجعل قاسبولاد سلطان ابن قاسم خان ابن محمود ولی عهده الی آخر ما
ذكره مشوشا ومكررا ومتناقضا بحيث يتعذر الاستفادة والذی نقلت عنه نقلته
بالاصلاح مهما امكن فتنبه ولكن ينبغی ان يعلم ان يمغورچی خان المذكور
هنا ليس هو ما سبق ذكره هند تعداد اولاد حاجی كرای خان وقد ذكر كارامزين
من يسمی يمغورچی من امراء نوغای فی وقعة ايواق الشقی مع السيد احمد
خان وحين كتابته الی ايوان فی شأن الهام خان القزانی علی ما سيجیء ولعل
هذا هو ولنذكر هنا ما ذكره كارامزين الی آخر نفس حاجی طرخان قال وفی
سنة ۱۵۴۲ م وسنة ۹۴۹ ه اتی بلدة موسكوا والی خان حاجی طرخان يادكار
للخدمة فی روسية اه ولعل يادكار الذی صار خانا فی قزان بعد ذلك وقال فی
خلال بيان وقائع سنة ۱۵۴۷ م وسنة ۹۵۴ ه وفی ذلك الوقت كان صاحب
كرای وحده يهدد ايوان بالسيف وقد كان استولی علی حاجی طرخان وخربها
واسر اهلها وادخل اكثرهم الی قرم وجعل طائفة نوغای تابعين ومنقادين لنفسه
الخ قلت وهذا الذی ذكره الفاضل المرجانی ولكنه لم يقتل يمغورچی خان
بل كان هو حيا بعد ذلك كما سيذكر ولعله هرب منه ثم جلس بعد رجوعه والله
اعلم وقال بعد بيان موت صاحب كرای خان وجلوس دولت كرای خان مكانه
وسعيه فی تخليص قزان من يد الروسية كان يمغورچی خان الحاج طرخان متفقا
مع ايوان ومصالحا معه وكان يده ويعينه بعساكره وكان قابولا بك بن آقفوبك
الحاج طرخانی تزوج ببنت جان علی خان اخی شيخ علی خان وقد اعطاه ايوان

بلدة يوربف ليتصرف فيها ويصرف محصولها في مصارفها فلم يكن لايوان عدو
سوى قرم وكان عنده عسكر كاف لمحاربتها ولهذا كان لايخافها قلت وكان
جلوس دولت كراي خان في سنة ٩٥٨ ه ثم قال وكان اهل حاجي طرخان
مجتمعين من اجناس شتى ولم يكونوا من رجال الحرب والضرب وكانوا
يلتجئون الى الروسية لتضييق الهراكسة وخوانين قرم اياهم دائما
حتى ان آخر خوانينهم رضي بالاخرى ان يكون تابعا لايوان وان يعطيه
الخراج ولكنه اغتر بعد ذلك بفرمان سلطان تركيا (١) فاتفق مع دولت
كراي خان القرمي ومرزا يوسف النوغائي وكان مرزا يوسف المذكور
خصما الدا لايوان لاجل بنته سيون بكه وولدها اوتامش كراي فلهذا
كانوا حبسوا سفير ايوان في حاجي طرخان فاغتنم ايوان هذه الفرصة
للاستيلاء على حاجي طرخان وتفكر كون حاجي خان سابقا من بلاد ولاديمير
(٢) ومستيسلاو وان اسمها سابقا تموتوروقان وانضم الى ذلك اغراء واحد
من امراء نوغاي يسمى ميرزا اسماعيل الكيناز ايوان على محاربة يمغورچي خان
وقال له انها من مدن الروسية سابقا والتمس منه ان يخرجها من يد يمغورچي
وان يسلمها الى درويش الذي كان خانا بها قبل يمغورچي فطرده منها يمغورچي
واستولى عليها فارسل ايوان في سنة ١٥٥٤ م وسنة ٩٦٢ ه فرقة من العسكر
تحت قيادة القائد شيماكين والجسور ايفناتي ويشناكف وكان شيماكي ارسل
في طليعته الكيناز اليكساندر الوازمسكي في ٢٩ يونيه من العام المذكور
فنزلوا في الجزيرة الاسود من مضافات حاجي طرخان وقتلوا هناك مئات
من الحاج طرخانيين واستخبروا بان يمغورچي خان اسفل منهم بمسافة
ويرسته ٥ وان التتار متفرقون في جزاير حاجي طرخان فمرت الروسية على

---

(١) وسيجيء ذكره في المقصد الثالث بعد بيان سقوط قزان ه‍ . عفي عنه .

(٢) كنت اعلم بدخل حاجي طرخان في تصرف الروسية فقط قبل استيلاء ايوان مدهش عليها واماتا. وتارقان فقد كان يطلق على شواحل بحر اوزاق ومضيق بوسفور وهي التي استولى عليها الروسية ايام ولاديمير مانوماح وكانت مدة في تصرف ولده مستيسلاو راجع المقدمة عند ذكر الخزر منه عفي عنه .

مدينة سراى المسماة بالتون اوردو التى كانت امراء الروسية وحكامهم طأطؤا لها رؤسهم مئتى سنة وقد خربت الآن وصارت مسكنا للبوم والغراب ولكن ملاحظة القوة الحاضرة احسن من تخطر العجز والفتورات الماضية فدخل شيما كى فى حاجى طرخان فى يوليه من العام المذكور بلا مقاومة احد لكونها خالية من السكان وتعقب الكبناز اليكساندر يمغورچى خان فوجده قد هرب وترك كثيرا من الاسلحة فى مصيفه فتعقبوا الهاربين وقتلوا منهم بعضا واسروا بعضا ونجى البعض وممن نجى يمغورچى خان فتوجه بعشرين نفرا من اتباعه الى بلدة ازاق وبقى اهله وعياله كلهم فى حاجى طرخان فجاؤا بهم وبكثير من الامراء الكبار وسائر الاسارى لدرويش خان فاضطر كلهم الى الاطاعة اياه فاجتمع لديه خمسمائة نفر من الامراء والاعيان و ١٠٠٠٠ نفر من سائر الاهالى فعين درويش خان مساكن فى البلد للامراء والاعيان وفرق البواقى الى الاطراف والجوانب وحلف الكل على اطاعة ايوان واداء الخراج له ٤٠٠٠٠ ذهبا و ٣٠٠٠ سمكا فى كل عام وعلى انه متى مات درويش خان لا ينصبون مكانه احدا بل كل من ينصبه ايوان خانا لهم يكونون تابعين ومنقادين له فكتب هذا فى ورق وكتب فيه ايضا ان الروسية يصطادون السمك فى نهر ايدل (وولغا) من قزان الى حاجى طرخان مع التتار من غير اختلاف ونزاع بينهم فبلغ هذا الخبر ايوان فى اغستوس ٢٩ المصادف ليوم ولادته فسر بذلك سرورا كثيرا وقد كانوا حملوا معهم خمسة من زوجات يمغورچى خان الى موسكوا فاعادهن ايوان الى حاجى طرخان رعاية لخاطر درويش خان فنفست احداهن فى الطريق فهلكت بالهلاك الابدى قلت المشهور فى الالسنة الى الآن ان الميرزا اسمعيل المذكور عليه من الله اشد ما يستحقه قاد عسكر الروسية بنفسه وجاء بهم الى حاجى طرخان وفتح باب البلد بيده الخبيثة جزاه الله بعدله ولا شك انه ليس وحده بل له اتباع من امثاله فحينئذ لا نطيل الكلام بالمحاكمة وايراد اسباب الغلبة والمغلوبية بل كل من

يطالع هذا يعرفها بادنى تأمل وهكذا كان اهل الاسلام يهدمون اساسهم بايديهم وهم مستمرون على هذا الحال الى الآن وكأن الله سبحانه سلب عقولهم فهل دامت الدولة لهؤلاء الخذلة هيهات ثم قال كارامزين ان حكومة حاجي طرخان وان ادت الخراج للروسية الا انه كانت تعد مستقلة ولم يحسن درويش خان التدبير ولم يف بعهده مع ايوان ولم يدم على اتفاقه معه بل قادته جنسيته الى الاتفاق مع دولت كراي خان القرمي وجعل احد ابناء الخان المذكور ولي عهده وخان الروسية فارسل ايوان عسكر المحاربته في سنة ١٥٥٧م وسنة ٩٦٥هـ او قبلها فبعد اللتي واللتيا انهزم درويش خان وهرب من وراء يمورچي خان الى بلدة ازاق فاستولت الروسية على حاجي طرخان استيلاء كليا وادخلوها في حوزتهم في التاريخ المذكور فساد الامان فيها وفي جوانبها واطرافها وتخلص الاهالي من الفتن والنهب والغارة والهجمات المتتالية وصارت التجار يردون اليها من الاطراف والجوانب فصارت محل تجارة عظيمة بمقتضى موقعها ولم تكن للروسية بلدة اكثر فائدة ودخلا منها وصارت سفراء بخارى وخوارزم والچراكسة يفدون الى الروسية تترى يعقدون معها المعاهدات التجارية فعظمت شوكة الروسية جدا وصارت لاتخاف حكومة قرم قطعا وكانت هي ايضا لاتقدر على ايراث ضرر عليها اه قلت وبهذه الكيفية ارتفع لحاف الخواجه نصر الدين هذا ايضا من البين فلم يقع من احد هجوم ولا محاربة ولا نهب ولا اغارة كما كانت تقع سابقا فاستراح الناس وصار كل واحد منهم يشتغل باشغاله الخاصة به وهكذا الى الآن صنيع سوء الادارة وحسن الادارة بصرنا الله تعالى وسبحانه بعيوبنا ويطلعنا على سوء صنيعنا ويوفقنا لاصلاح احوالنا وتحسين افعالنا بالنون والصاد والنبي وآله الامجاد والظاهر ان الروسية خربت وقت الاستيلاء عليها كثيرا من ابنيتها السابقة وسكنت في مساكن اهلها بعد ان طردوهم منها فانحاز اهلها الى طرف منها حتى يقال الى الآن ان مسجدها المسمى باق مسجد نقل من محل ثلاث مرات والمشهور عندهم ان قلعتها المبنية فوق تل واقع وسط البلد باقية من المسلمين لم يتغير

من هيئتها شي سوى انهم حولوا مساجدها كنائس على ما هو عادتهم وزادوا فى داخلها ابنية اخرى والله سبحانه اعلم فصل ولما مر ذكر المراسلات والمكاتبات بين ملوك التتار ببلاد الشمالية وبين ملوك مصر اردت ان اذكر كيفية مكاتباتهم حسب ما اطلعت عليه فى كتب العلماء الذين اعتنوا بهذا الشان لتتميم الفائدة وتكميل العائدة مان هذا الفن مع كونه فما شر بفا فى حد ذاته فيه تفصيل بعض ما تقدم قال الشيخ تقى الدين عبد الرحمن القاضوى المحبى الفصل الاول من الباب الثانى من القسم الاول مكاتبات ملوك الشرق اعظم ممالك بلاد الشرق مملكتان وهما مملكة الاكاسرة وهى ايران الصائرة الى بيت هلاكو ومملكة توران وهى مملكة الخواقين بلاد جنكز خان فاما مملكة الاكاسرة المذكورة فكذا وكذا الخ واما مملكة توران وهى مملكة الخواقين فانها كانت بيد آفراسياب ملك الترك وكانت اخيرا بيد اوزبك وكانت يكتب اليه فى الايام الشهيدية الباصرية الناصرية محمد بن قلاوون سقى الله عهده فى ورق عرض البغدادى الكامل وبعد البسملة الشريفة سطران هكذا

بقوة الله تعالى
وميامن الملة المحمدية

ثم تخلى موضع بيت العلامة ثم تكتب الالقاب الشريفة السلطانية * وهى السلطان الاعظم وبقية الالقاب الشريفة على العادة حسبما يأتى ذكره * ثم بعد الحمد لله وخطبة مختصرة * فقد صدرت الى الحضرة الشريفة العالية حضرة السلطان الكبير الاخ الشفيق العالم العادل القان المعظم الاوحد شاهنشاه الملك اوزبك ايلخان سلطان الاسلام والمسلمين اوحد الملوك والسلاطين عماد الملك سلطان المغل والقفجق والترك جمال ملوك الزمان ركن بيت چنكز خان معز طمغاج صاحب التخت والتاج عضد المتقين ذخر المؤمنين والدعاء يناسبه فاننا نخصه بالسلام واستعلام اخباره ونفاوض علمه الشريف اه والكتابة بالذهب والاسود حسبما شرحناه فى مكاتبة ابى سعيد ايضا (١) ولم يكاتب

(١) والمذكور هناك ان البسملة والحمدلة والخطبة كلها والقاب السلطان كلها بالذهب المزمك وما عداها بالاسود خلا كل ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او ما اضيف اليها او ما يعظم ذكره كالحق والعدل وامثالهما او كل لقب او نعت او كلمة مضافة الى المكتوب منه او اليه فان كل ذلك بالذهب اه منه مى هنه

امد بعده بنظير ذلك وكان قدورد على الابواب الشريفة فى سنة نيف وخمسين وسبعمائة كتاب جانى بك بن اوزبك من اولاد جنكز خان وكتب اليه الجواب الشريف نظير الكتاب الوارد من عنده وهو فى ورق دون البغدادى بثلاثة اصابع مطبوقة * والافتتاح بخطبة مناسبة مكتتبة بالذهب جميعها ثم اما بعد بالاسود خلا ما تقدم ذكره فى مكاتبة ابى سعيد والذى كتب له من الالقاب الحضرة الشريفة العالية السلطانية الاعظمية العالمية العادلية الاكملية القاآنية الاخوية العزيزية الملكية الاشرفية زيدت عظمتها الخ ولما كان فى العشر الاخير من ربيع الاول من سنة ٧٧٦ رسم لى بالكتابة الى القان محمد (٢) ببلاد اوزبك وهو القائم مقام اوزبك على ما قيل على يد رسل الابواب الشريفة بالسلام والمودة والاستعلام الاخبار ونحو ذلك فكتبت اليه فى عرض البغدادى الكامل حسبما رسم به بخطبة مختصرة بالذهب والبقية بالاسود والذهب على ما تقدم ذكره وكتب له من الالقاب بعد المراجعة المقام العالى السلطانى الكبير الاشرفى الاعدلى الشمسى شمس الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين ولى امير المؤمنين خلدت سلطنته والعنوان بالذهب بغير تعريف وعلم له فى بيت العلامة الشريفة بالمفرة العراقيه المشتاق شعبان ونسخة ما كتبت اليه بعد البسملة الشريفة الحمد لله الذى وهبنا ملكا دانت له ملوك الاقطار وازدانت الاسرة والتيجان بما له من عظمة وفخار * واذعنت العظماء لعزة سلطانه الذى شمل الاولياء وقصم الاعداء ببره الجابر وقهره الجبار * وقاد الجيوش الى ان فتح الله على يديه الشريفتين معاقل الكفار * بامره الجارى على الرقاب وعسكره الجرار * ومنحه خدمة الحرمين الشريفين اللذين لم يزل لهما منه الانتساب وبها له

(١) السلطان شعبان من اولاد قلاوون اثنان والظاهر ان هذا هو الثانى وقد تملك من سنة ٧٧٤ سنة الى سنة ٧٧٠ ولم ادر من هو محمد هذا فى مصره ولاشك انه من الملوك المتغلبة زمن الفترة التى بعد بردى بك خان وسيجىء ان ماماى عنده فهو اذا اما عبد الله خان او عبد العزيز او بولاك خان وهو الاظهر واما ما سيذكره القلقشندى من انه يمكن ان يكون ارص خان فبعيد عن الصواب لان ماماى لم يكن عند فتنته منه على هنه

الانتصار * ونشكره على ان اجعل مملكتنا الشريفة هى محل الامامة العباسية فلا جحود ولا انكار * ومرتبتنا المنيفة بما عهد به الينا امير المؤمنين الى قيام الساعة علية المقدار * ونشكره على ان اورثنا ملك اسلافنا الشهداء فاقر العيون وسر الاسرار * وجعل السلطنة المعظمة فى بيتنا المكرم تتنقل تنقل البدور فى بروجها الا انها آمنة من السرار * ونشهد لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل قائمين بنصرتها قانتين بالاخلاص فى كلمتها النعد بذلك من الابرار * ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيد بملائكته المخصوص برسالته ونبوته الذى عظم الله قدره على سائر الرسل كما جاءت النصوص والاخبار * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اولى الفضل والاخيار الذين صابروا وصبروا فجزاؤهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار * صلاة دائمة باقية بدوام الليل والنهار وسلم تسليما * الى هنا بالذهب ومن بعد بالاسود خلا ما استثنى اما بعد فان قلوب الاولياء ان تناءت الاجسام متعارفة بالائتلاف * متقاربة على بعد الديار حيث لا تناكر بينهما ولا اختلاف * لا سيما ملوك الاسلام * الذين هم متحدون بالمصافاة والاستسلام * فان سرائرهم لم تزل متدانية * وضمائرهم متكافية * هذا والمحبة لبيته الكريم قديمة والمودة بين الاسلاف لم تزل مستديمة * فلم نكن ورثنا ذلك عن كلالة * بل تبعنا فيه سبيل السلف الصالح على احسن حالة * لما هو محكم من عقود الاتحاد والولاء * حيث المحبة فى الاباء صلة فى الابناء * وكان لنا مدة مديدة وقد تأخرت رسلنا عن حضرته * ولم يصدر من جهتنا الشريفة لذلك ولا وردت رسله من جهته * ولم يشغلنا عن ذلك الا موافقة الفرنج المخذولين * اعداء الدين * ومقارعتهم فى سائر السواحل بشدة البأس والتمكين * الى ان مكننا الله عز وجل من نواصيهم وصياصيهم بنصر من عنده كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين * والآن صدرت منا هذه الكتابة الى المقام العالى السلطانى، وبقية الالقاب والنعوت الى آخرها حسبما تقدم ذكره * نخص مقامه بسلام ارق من النسيم * والطف مزاجا من التسنيم * وثناء قد ازرى نشره بالعبير

وسرى بشره فغدت تتهلل به الاسارير * ونبدى لعلم المقام العالى زبدة معدلته انه لما بلغنا من عدل الحضرة الشريفة وانصافه للرعايا وتأمينه السبل المخيفة * وسلوكه سنن الاحسان * وتأكيد عقود المحبة على عادة من سلف فى سالف الزمان * قصدنا مفاتحة * بهذه المكاتبة * واردنا بدأته * بهذه المخاطبة * ليعلم مانحن عليه من صحيح الوداد * واكيد الاتحاد * وجميل الاعتقاد * وحسن الموالاة الخالصة من شوائب الانتقاد * وجهزنا بها رسلنا فلان بن فلان و من معهما * لنستدعى ذكره * ونستدنى ولاءه * الذى احكم عقده * لنتأكد المصافاة بين هاتين الدولتين * والمخالصة من كلتا الجهتين * والموالاة بين المملكتين * وليأمر المقام العالى لازال عاليا بتردد التجار * من تلكم الديار * والمواصلة بالاخبار * على حسب الاختيار * ومتابعة الرسل والقصاد * على اجمل وجه معتاد * وقد وجهنا الى المقام العالى اعلى الله تعالى شأنه صحبة رسلنا المذكورين من الاقمشه السكندرية وغيرها على سبيل الهدية والمواهب السنية ما تضمنته الورقة المجهزة طيها * فليأمر المقام العالى دامت معدلته بتسلم ذلك * ويتيقن وفور المحبة من سلطاننا المالك وتأكد اسباب المودة على اجمل المسالك * والله تعالى يجمل ببقاء سلطانه تلك الممالك ويديم عدله المبسوط على الاولياء ويرمى ببأسه الاعداء فى مهاوى المهالك * ويخلد ملكه الذى يفتخر بالملك من مقامه العالى السرر والارائك * بمنه وكرمه والتاريخ ثم حسب المرسوم الشريف والحمد لله ثم الحسبلة * الفصل الاول من الباب الرابع من القسم الاول مكاتبات الحكام واكابر البلاد الشرقية من المغل والقفجق وهم اربعة طوائف الطائفة الاولى المغل والقفجق وامراء الاتراك وهما قسمان القسم الاول الحكام من امراء التوامين(١) والنوينات(٢) والوزراء وغيرهم اعلم ان النوين فى القاب

---

(١) جمع تومن عشرة الاف عسكرى منه عفى عنه

(٢) جميع نون بمعنى الپاشا والقائد منه عفى عنه

مؤلاء بدل الكافلى فى القاب النواب حسبما نتفق عليه بعد فى باب مكاتباتهم وهو نعت يستعمل دائماً لاهل تلك البلاد ولا يستعمل الكافلى اصلا قطلو بوغا(١) أيناق هذا هو احد الاربعة الذين جرت العادة ان يكونوا حكاماً ببلاداوزبك ورسم المكاتبة اليه على ما استقر عليه الحال حين كتب جوابه فى عاشر جمادى الآخر سنة ٧٥٢ فى قطع الثلث بالقلم المذكور صاعق الله تعالى نعمة الجناب العالى الاميرى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى العونى الزعمى المهدى المشيدى الظهيرى النوينى السيفى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين زعيم الجيوش مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة ظهير الملوك والسلاطين سيف امير المؤمنين والدعاء، العلامة اخوه، تعريفه قطلو بوغا ايناق نائب القان جانبك رفقته الثلاثة واحدهم يسمى حسام الدين محمود مثله سواء وزير القان ببلاد اوزبك وهو حسام الدين محمود ايضا ويعرف بمحمود(٢) الديوان فى قطع الثلث بقلم التوقيعات، امام الله تعالى نعمة المجلس العالى الاميرى الكبيرى الذخرى الاوحدى الاكملى المتصرفى العونى الوزيرى الحسامى مجد الاسلام والمسلمين شرف الامراء والوزراء فى العالمين جمال المتصرفين اوحد الاولياء المقربين ذخر الدولة مشير الملوك والسلاطين والدعاء العلامة والده، تعريفه خواجه محمود وزير المملكة القاآنية * خواجه على بك ببلاد اوزبك وهو ممن استجدت مكاتبته عند ما كتب اليه فى سنة ٧٦٥ ورسم المكاتبة اليه الاسم والسامى (٣) بالياء تعريفه اسمه خواجه على بك * مكاتبة ماماى ببلاد اوزبك هو ايضا

(١) قطلو بوغا اسمه وايناق لقبه وقد بقى هذا اللقب فى مملكة خوارزم مدة مديدة وهو لفظ تركى مشتق من اينانمق اعنى الوثوق والاعتماد وليس بعربى محرف من عناق كما ظن فانه لا مناسبة له هنا منه عفى عنه

(٢) وهو الذى اجلس بردى بك خان مسند الخانية فى تبريز بعد قتل الملك الاشرف واولم لذلك كما تقدم فى محله فتذكر منه عفى عنه

(٣) يعنى يكتب هكذا صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى الاميرى بالياء الى آخر الالقاب والعلامة اليه الاسم الشريف والسامى بغير الياء يكتب هكذا هذه المكاتبة الى المجلس السامى الامير الكبير الخ بغير ياء والعلامة الاسم الشريف فاحفظه

ممن استجدت المكاتبة اليه فى العشر الاخير من ربيع الآخر سنة ٧٧٣ وقيل انه يحكم ببلاد اوزبك وهو عند القان محمد الذى تقدم ذكره فى المرتبة نظير ما كان عليه المقر المرحوم السيفى يلبغا العمرى سقى الله عهده عند المواقف الشريفة وكتب اليه فى قطع الثلث بقلم التوقيعات ادام الله تعالى نعمة الجناب العالى الاميرى الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى الاوحدى النصيرى العونى الهمامى المقدمى النوينى السيفى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر ذخر الدولة عضد الملوك والسلاطين حسام امير المومنين والدعاء العلامة والدعاء تعريفه ماماى • الحاكم بالقرم وهو زين الدين رمضان على ما استقر عليه الحال الى اخر سنة ٧٥٠ ورسم المكاتبة اليه فى قطع العادة، العلامة اخوه، صدرت، تعريفه الحاكم بالقرم، الحاكم بازاق مثل سواء اهـ من التثقيف للشيخ عبد الرحمن تقى الدين المحبى انتخابا بقدر الحاجة وقال الشيخ شهاب الدين ابو العباس احمد القلقشندى رحمه الله تعالى فى كتابه صبح الاعشى فى كتابة الانشاء بعد ان بين ملوك التتار بالبلاد الشمالية الى توقتاميش خان اجمالا وقد تقدم بعضه الموضع الثانى من الفصل الرابع من الباب الثانى من المقالة الرابعة فى المكاتبة الى ملوك مملكة توران... وهذه المملكة بيد ثلاثة ملوك عظام من بنى جنكز خان.... صاحب خوارزم ودشت القفجق... الجملة الاولى فى رسم المكاتبة الى قانها (يعنى الخان من بيت بركة واولاد جوجى المشهورين بالملوك الصانية) وقد تقدم ذكر من ولى هذه المملكة بعد اوزبك ولم يكن فيهم من اسمه محمد وقد كان القائم بهذه المملكة فى السنة ٧٨٦ المذكورة (يعنى فى التثقيف حيث ذكر فيه المكاتبة فيها الى محمد خان بدشت القفجق) اسمه ارص خان فهو الذى انتزع المملكة من البك خان المقدم ذكره واصله من خوارزم على ما مر ذكره فى الكلام على المسالك والممالك فيحتمل (١) ان يكون اسمه محمد وارص لقب عليه كما كان خدابنده والد ابى سعيد من ملوك ايران اسمه محمد ولقبه خدابنده والامر فى ذلك راجع

(١) وهذا الذى استبعدناه فى الهامش فتذكر . منه عفى عنه .

الى النقل والله سبحانه اعلم (قلت وكل ذلك قد تقدم) قلت وقد كتب في الدولة الناصرية فرج بن الظاهر برقوق للقان القائم بها في سنة ٨١٢ (١) في قطع البغدادي الكامل من الورق المصري المعمول على هيئة البغدادي ابتداؤه فيه بعد خمسة اوصال بياض بالبسملة في اعلا الوصل السادس بياض من جانبيها عرض اصبعين من كل جهة والسطر الثاني على سمته في آخر الوصل بخلو بياض من الجانبين بقدر السطر الاول والطغراة بينهما بالقاب سلطاننا على العادة مكتوبة بالذهب بالقلم المحقق مزمك بالسواد باعلا الطغراة قدر عرض ثلاثة اصابع بياضا ومثل ذلك من اسفلها وباقي السطور بهامش من الجانب الايمن على العادة وبين كل سطرين قدر نصف ذراع بذراع القماش القاهري والاسماء المعظمة من اسم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واسم سلطاننا والسلطان المكتوب اليه والضمير العائد الى احدهما بالذهب المزمك كما تقدم تقريره في الكلام على مكاتبة صاحب ايران في القديم وهذه نسخة مما انشاءته كتبت باشارة المقر العالي الفتحي صاحب الديوان الانشاء الشريف وهي الحمد لله مؤيد سلطاننا الناصر بعزيز نصره * ورافع قدر مقامنا الشريف باعلاء مناره واعظام ذكره * ومشيد اركان ملكنا الشامخ باسعاد جده العالي والله غالب على امره * نحمده على ما جنبنا من مواقع الحرج * وجعل امور رعايانا بمعدلتنا الشريفة بعد الضيق الى فرج * ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتوارثها عظماء الملوك كابرا عن كابر * ويتناقلها منهم الخلف بعد السلف فيسندها الناصر عن الظاهر * ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله افضل نبي جمع بعموم دعوته مفترق الامم * ووفق بحنيفي ملته بين اقيال العرب واساورة العجم * صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين آخا بينهم فسن لنا المواخاة * ونقى من نغل الضغائن صدورهم ففازوا باكمل المصافاة واتم الموافاة * صلاة تسير بفضلها الركائب * وتترنم بذكرها الحداة فتعم نفحاتها المشارق والمغارب * وسلم تسليما كثيرا

(١) والقان القائم بها في التاريخ المذكور هو نولادخان صورة والمدبر للامور هو الامير ايدكو تمامر فيكون المكتوب المذكور له مدة في مدة .

اما بعد فان الارواح اذا تمازجت تناجت بالضمائر * والقلوب اذا تالفت اغتنت بشواهد الحال عن ابراز مافي السرائر * والاجساد اذا تباعدت تعللت بالمكاتبة في بلوغ الاوطار * والديار اذا تناءت اكتفت بالمراسلة عن تقارب الدار * والمودة اذا صفت لايؤثر فيها البعاد * والمحبة اذا صدقت لاتزال كل يوم في ازدياد ع والاذن تعشق قبل العين احيانا * والوصف يحرك من الشوق اغصانا وافنانا * هذا وان احق ما اتخذته الملوك ذريعة لدواعي الابتهاج * واهم مااهتم به منخت او متوج بتاج * احياء مذهب الملوك السالفة في الوداد * واقتفاء آثارهم الجميلة في موارد المكاتبات على التنائي والبعاد ومن ثمة صدرت هذه المكاتبة الى المقام العالي السلطاني الكبيري الاخوي الفلاني ركن الملة الاسلامية * عماد المملكة الجنكزخانية * ذخيرة الدين خليل امير المؤمنين * زيدت عظمته * ودامت معدلته * نخصه بسلام تهب به الجنوب فتوءثر به في الشمال القبول * ونخص به الى السراي سراها ليكون لها بيت بركة اشرف قدم واكرم وصول * وتمد على خوارزم والدشت فضل رواقه المديد * وتنشر على مملكة السرير لواءه فيعم مابين جيحون وطونا وشمل مابين الخطا والباب الحديد * وتناجي علمه الشريف بانه غير خاف عن شريف مقامه ان من سلف من ملوك مملكتنا العالية الذرى * والمملكة القاآنية المرفوعة الذكر رفيعة نار القرى * لم تزل ملوكهم مجتمعة مع تنائي الديار * موءتلفة على المحبة وان شط المزار * محافظين على تتابع الرسل وان حال دونهم الصفاح مثابرين على توارد الكتب ولو على اجنحة الطير ومتون الرياح * وقد مضت مدة مديدة لم يقدم علينا من المقام الشريف عظم الله تعالى شانه رسول يطفي لواعج الاشتياق * ولاورد عنه كتاب يتعالل المحب بتلقيه عن حقيقة التلاق * بل سد باب المكاتبة حتى كان المكاتبة لم تخلق * واغلق باب المراسلة وان كان باب المحبة بحمد الله لم يغلق * فطمح بخاطرنا الشريف طامح الشوق الزائد * وحملنا موصول المحبة المستغني بمواصلته عن الصلة والعائد * ان نفاتح المقام العالي دامت معدلته بهذه المفاوضة لتجدد من العهود القديمة رسومها * وتطلع من

مشارق المخاطبة نجومها * وتنسخ آية الهجران وتمحوها وتصقل مراة المصافاة وتجلوها * وتستجلب الانس وان صح الميثاق وتذكر الخوطر الوداد وان ثبتت منه الاصول ورسخت الاعراق وتنوب عن نظرنا الشريف في مشاهدة محياه الكريم * ومصافحة كفه التي حديث ودها قديم * وتستطلع اخباره * وتستعرض على تعاقب الازمان اوطاره * وقد اخترنا لتبليغ رسالتنا واداء امانتنا المجلس السامي المقرب الامير خواجه فلان اعزه الله تعالى * وحملناه من السلام ما يهتدي بضوئه الساري * ويفوق بعرفه العنبر الشحري والمسك الداري (١) * ليحكم بحسن السفارة من المخالصة مبانيها * ويعقد منها بمتابعة الرسل والقصاد اواخيها * وجهزنا صحبته كذا وكذا على سبيل الهدية المندوب بذلها وقبولها * والحاكم بصحبة المحبة كبيرها وقليلها * والله تعالى يزيد في ارتفاع قدره الخطير * ويحوطه من ملكه الجنكزخاني ما يحقق انه صاحب التاج والسرير * الجملة الثانية في رسم المكاتبة الى من انطوت عليه هذه المملكة من الاتباع والحكام وهم على اصناف الصنف الاول كفال المملكة قد تقدم ان ترتيب هذه المملكة في امراء الالوس والوزير نحو مملكة ايران وان لم يكن لامير الالوس والوزير بهذه المملكة من نفاذ الامر نظير ما هنالك يعني مملكة ايران الخ ثم قال بعد ان ذكر نحوا مما تقدم نقلا عن التثقيف الحاكم بالقرم وهو زين الدين رمضان في سنة ٧٥٠ ثم استقر بعده علي بك بن عيسى بن تلكتيمر وقد رأيت في بعض التواريخ ان الحاكم بها في حدود سنة ٧٧٦ كان ماماي المقدم ذكره وقد ذكر في التثقيف ان رسم المكاتبة اليه في قطع العادة الخ والذي رايته في دستور يعزى في الاصل للمقر العالي ابن فضل الله انه يكتب اليه في قطع الثلث وان المكاتبة اليه السامي بالياء وتعريفه الحاكم بالقرم والحاكم بازاق مثل سواء على ما ذكر في التثقيف والذي رأيته في الدستور المقدم ذكره انه في قطع الثلث السامي

(١) هكذا في الاصل المنقول والمشهور نسبة المسك الى التتار فيقال لمسك التتاري . عفي عنه .

باليا كمافى الحاكم بالقرم المرتبة الاولى من الطبقة الاولى من المهيع الثانى من الضرب الثانى من القسم الثانى من يكتب له عنه يعنى عن نائب الشام يقبل الارض كما كان يكتب لصاحب بغداد القان احمد بن اويس فى ورقة قطع نصف الحموى بالقلم الثلث الصغير يقبل الارض لدى الحضرة الشريفة العالية المولوية السلطانية العالمية العادلية المؤيدية المالكية القاآنية لازالت عزماتها مؤيدة وآراؤها مسددة وينهى الى العلم الكريم كذا وكذا الخ صاحب السراى ودشت القفجق مثله بابسط القاب اه قال فى ديوان الانشاء بعد ذكر المكتوب السابق الصادر من الناصر فرج وكتب لقان هذه المملكة فى الايام المؤيدية بمثل ذلك من مقاصد الخطبة والطغراة والطمغاة والذهب والسواد ونحو ذلك من انشاء المرحوم الشيخ تقى الدين ابن حجة الى قان هذه المملكة ايضا وهو . . .(١). . . فى الايام الاشرفية برسباى خلد الله ملكه عدة مكاتبات على مثل مقاصد ذلك من الخطبة والطغراة والطمغاة والترميك والذهب والسواد وقطع الورق آخرها من انشاء القاضى شرف الدين ابن العجمى نائب كاتم السر بديوان الانشاء الشريف اه قلت وآخر المكاتبات التى اطلعنا عليها كان فى عهد السلطان برسباى ومحمد خان طيب الله ثراهم وقال القلقشندى القسم الثانى من النوع الاول فى الكتب الواردة على الابواب السلطانية عن اهل الممالك الاسلامية المكاتبة عن هذه المملكة وحالها تختلف باختلاف حال مصطلح اهل البلاد وحال المكتوب عنه فى رفعة القدر وفائدة معرفة ذلك انه اذا عرف الكاتب مصطلح كل مملكة فى الكتابة ظهر له ما هو وارد من ملكها حقيقة وما هو مفتعل عليه ولا يخفى ما فى ذلك من كبير الفائدة وعظيم النفع وارتفاع قدر الكاتب عند ملكه باظهار الزيف بمحك المعرفة ومن غريب ما وقع فى هذا المعنى انه ورد رسول من الشرق فى الايام الظاهرية الشهيدية برقوق سقى الله تعالى عهده واظهر لاهل الطرقات انه رسول من عند توقتاميش خان صاحب بلاد اوزبك الى آخر ما تقدم فى ترجمة توقتاميش خان

(١) هكذا بياض فى الاصل المنقول عنه والظاهر انه محمد خان بن فلان الخ والله سبحانه اعلم .

فراجع هناك انتهى مايتعلق به الغرض من صبح الاعشى وقال الفاضل العلامة المحقق المتقن ابن فضل الله العمرى القسم الاول فى رتب المكاتبات الى عظماء الملوك بايران وتوران وما والاهما من البلاد الشرقية من مجرى الفرات الى مطلع الشمس اعلم ان ايران مملكة الاكاسرة وهى كذا وكذا الخ واما توران فهى مملكة الخواقين كانت بيد افراسياب ملك الترك وهى من نهر بلخ الى مطلع الشمس على سمت الوسط فما اخذ عنه جنوبا كان بلاد السند ثم الهند وما اخذ عنه شمالا كان بلاد القفجق وبلاد الصقلب والجهاركس والروس والماجار ومن جاورهم من طوائف الامم المختلفة سكان الشمال ويدخل فى توران ممالك كثيرة وبلاد واسعة واعمال شاسعة وامم مختلفة لاتكاد تحصى يشتمل على غزنة والباميان والغور وما وراء النهر وهذا النهر الذى يشار اليه يعنى باللام الداخلة على نهر هو جيحون نحو بخارى وسمرقند والصغد والخجند والخوقند وغير ذلك وبلاد تركستان واسترو شنه وفرغانة وبلاد صاغون ومرام وبلاد الخطا نعوبش بالق والماليغ الى قرا قرم وهى قرية جنكزخان التى اخرجته وعريشته التى ادرجته ثم وراء ذلك من بلاد الصين وصين الصين وكل منه ممالك جليلة واعمال حفيلة وملوكها سلاطين عظام وملوك كرام قد اكرمهم الله الآن بالاسلام وشرفهم باتباع نبينا سيد الانام محمد عليه افضل الصلاة والسلام فاما رسم المكاتبة الى القان الجامع لحدودها والناظم لعقودها كما كان ابو سعيد (١) فهو كتاب يكتب فى قطع البغدادى الكامل يبتدأ فيه بعد البسملة وسطر من الخطبة بالطغر المكتتبة بالذهب المزمك بالقاب سلطاننا على عادة الطغراوات ثم تكمل الخطبة ويفتتح ببعدية الى ان تساق الالقاب وهى الحضرة الشريفة العالية السلطانية الاعظمية الشاهنشاهية الاوحدية الاخوية القانية الفلانية من غير ان يغلط فيها الملكية لهوانها عليهم وانحطاطها لديهم ثم يدعى له بالادعية المعظمة المفخمة الملوكية من اعزاز السلطان ونصر الاعوان وخلود الايام ونشر الاعلام وتاءييد الجنود وتكبير الوفود

(١) هكذا فى الاصل المنقول منه ولا يستقيم ولعله كما كان لابى سعيد ونحوه منه عفى عنه

وغير ذلك مما يجري هذا المجرى ثم يقال ما فيه التلويح والتصريح بدوام الوداد وصفاء الاعتقاد ووصف الاشواق وكثرة الاتواق وما هو من هذه النسبة ثم يؤتى على المقاصد ويختم بدعاء جليل ويستعرض الحوائج والخدم ويوصف التطلع اليها ويظهر التهافت عليها وهذا الكتاب يكتب جميع خطبته وطغراه وعنوانه بالذهب المزمك وكذلك كلما وقع في اثنائه من اسم جليل وكل ذي شان نبيل من اسم الله تعالى او لنبينا صلى الله عليه وسلم او لاحد من الانبياء او الملائكة عليهم السلام او ذكر لدين الاسلام او ذكر سلطاننا او السلطان المكتوب اليه او ما هو متعلق به مثل عندنا وعندكم ولنا ولكم وكتابنا وكتابكم كل هذا يكتب بالذهب وما سواه يكتب بالسواد واما مملكة توران فهي منقسمة الى ثلثة اقسام وبها سلطانان مسلمان وسلطان كافر فاما المسلمان فاحدهما صاحب السراي وخوارزم والقرم ودشت القبچق وهي المملكة المعروفة بمملكة بيت بركة وكان صاحبها في الايام الناصرية السلطان اوزبك خان وقد خطب اليه السلطان فزوجه بنتا تقرب اليه وما زال البين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا قديم اتحاد وصدق وداد من اول ايام الظاهر بيبرس والى آخر وقت والملك الآن فيهم من اولاد اوزبك اما جانبك او تن بك واظنها تن بك ورسم المكاتبة اليه ان تكتب بالعربي رسم ما يكتب الى صاحب ايران كما تقدم والا فالاغلب ان يكتب اليه بالمغلي وذلك مما كان يتولاه ايتمش(١) المحمدي وطايربغا الناصري وارغداق الترجمان ثم صار يتولاه توصون الساقي انتهى ما تعلق به الغرض اختصارا وانتخابا بعون الله الباقي **فصل في بيان بعض العلماء الذين قضوا اعمارهم في افادة العلوم ومضوا وكانوا فيها نوا من اول بناء مدينة سراي الى آخر فنائها في اعصر الملوك الذين تقدم ذكرهم** فان قلت ان طائفة التتار قد خربوا الدنيا وقتلوا العلماء وسفكوا الدماء وفعلوا من القبايح ما لم ير مثله في كتب التواريخ منذ خلق آدم عليه السلام فكيف يوجد فيز منهم العلماء الكرام وقد قيل ان بعد ظهورهم وفتنهم انطمست آثار

(١) وكل هؤلاء المذكورين وكافة الامراء ايام القلاوونيين المشهورين بملوك الاتراك من تلك الديار منه عفي عنه .

العلوم وانمحت من عرصة الوجود المعارف والفنون قلت أمّا ما ذكرت من كثرة الفتن وشدة المحن والقتل والتخريب في اول ظهورهم صحيح لا شبهة فيه ولكن لم يؤثر ذلك في انتقاص العلوم وطرو الخلل في المعارف والفنون بل العلوم والمعارف جارية بعد ظهورهم على ما هي عليه قبل خروجهم فان خروجهم لم يكن لمعاداة الدين ولا لبغض الاسلام والمسلمين بل لامر آخر عرفته في اول هذا المقصد فالذي بلغ اجل من العلماء وكتب له الشهادة قتل في تلك المعارك واما انهم قتلوا العلماء قصدا فحاشاهم عن ذلك بل انهم لما قصدوا خوارزم ارسلوا الى الشيخ ابي الجناب نجم الدين الكبرى قدس سره وعرضوا عليه ان يخرج من البلد بجميع اتباعه بالعين ما بلغوا ولكنه ابى بنفسه عن ذلك لما الهمه الله سبحانه من انه يكرم بالشهادة في تلك المعارك وقد قبلوا كلام علماء سمرقند وبخارى حين خرجوا اليهم بالاستيمان وامنوهم على انفسهم واموالهم واتباعهم واشياعهم وقد عرفت ما قاله چنكزخان لعلماء بخارى وتحريره اياهم عن التكاليف الميرية والرسومات السلطانية حين عوده الى وطنه وقد كان وزراؤهم الذين كانوا يديرون امور المملكة الداخلية من جباية الخراج ونصب القضاة والمفتين والمدرسين والائمة والمؤذنين كلهم من المسلمين حتى في اصل مملكة چنكزخان التي يقال لها المملكة القاآنية وهي مملكة المغول والخطا والصين وصين الصين وكانوا يجرون العلوفات والمعاشات على كل احد حسب استحقاقه ويجزلون اعطية المشاهير من العلماء ويفنونهم وقد انتشر انوار الاسلام الى اقصى الصين بواسطتهم وهؤلاء المسلمون الموجودون في وسط بلاد الصين حتى في نفس پكين وينوفون على ملايين انما تشرفوا بخلعة الايمان والاسلام وبنيت لهم فيها المساجد والجوامع حين كان احكامهم تجرى هناك وان قال في ذلك القائلون الجاهلون بالامور التاريخية غلطا وراموا شططا وقد اعترف المورخ كارا مزين بانكبابهم في العلوم الفنون خصوصا الرياضيات منها قبل فراغهم من فتح البلدان وهذا هلاكو الذي هو اشد هم على المسلمين كان في عصره وفي مصره الوف من العلماء من جهتهم

القاضي البيضاوي الذي اكب الناس طرا على تفسيره المؤلف في ذلك العصر والمصر ومن الفلاسفة نصير الدين الطوسي الذي اكب جميع المتفلسفين الى تأليفاته وسموه محققا ولا يخفى مرتبته عند الطاغية هلاكو وليس انكباب الناس الى تأليفهما لعدم تأليف من قبلهما في التفسير والفلسفة فانه كثير جدا بل لما حوى من درر التحقيقات وغرر الدقيقات ولم يستنكف من تسليم ولده نكودار الى الدراويش ليربوه كما شاؤا فربوه ولقنوه الاسلام فاسلم وسمي احمد وقد بنت امه سرقوتني بكه مدرسة عالية مشتملة على ثلاث طبقات ببخارى ووقفت عليها اوقافا لا تعد ولا تحصى مع ميلها الى النصرانية على ما قيل وفوضتها الى الشيخ سيف الدين الباخرزي قدس سره والظاهر انها فتح اباد الذي بجنب مرقده قدس سره وهي الى الآن مختصة باهل قزان كما مر بيانه في اول هذا المقصد ومن علماء تلك الشعبة العلامة قطب الدين الشيرازي والعلامة قطب الدين الرازي والقاضي عضد الدين الايجي اصحاب تأليف مشهورة في المنطق والكلام والاصول والتفسير وغيرها وقد اكب الناس شرقا وغربا في الفنون المذكورة على تأليفهم الى الآن ومن علمائهم صاحب مشكاة المصابيح الشيخ ولي الدين التبريزي وشارحه الطيبي وقد نور المشكاة بنوره المشرق المغرب والمشرق وقس على ذلك سائر الفنون من الصرف والنحو والبيان والفقه والتصوف وقد ذكر غير واحد من المورخين ان السلطان خربنده كان يأخذ معه في جميع اسفاره خيمتين يدرس في احديهما على المذهب الحنفي وفي الاخرى على المذهب الشافعي وتسميان بالمدرسة السيارة وكان طعام الطلبة المذكورة هناك ووظائفهم من مطبخه وخزانته وكان يخدم بنفسه الشيخ علاء الدولة السمناني والشيخ صفي الاردبيلي والشيخ اوحد الدين الكرماني والشيخ العلامة الكاشاني مع انه كان متصفا بالرفض والتشيع واما مملكة بني جغطاي اعني ماوراء النهر فامرها مشهور وفضل فضلائها وعلمائها ومشائخها في جميع الاعصار في الكتب مسطور وفي الالسنة مذكور الا ترى ان كافة محشي الهداية وصاحب

الوقاية وشارحها ومؤلف النقاية وصاحب الكشف الكبير وصاحب المنار في الاصول والكنز والكافي والمدارك وصاحب مفتاح العلوم وشراح التلخيص والجغميني في الهيئة وسائر ارباب الفنون المتداولة بايدي الناس في يومنا هذا كلهم كانوا في زمنهم وكذلك جميع مشايخ النقشبندية والكبروية واليسوية وغيرها كلهم كانوا في عصرهم مكرمين عندهم محترمين لديهم وتفصيل ذلك في كتب التواريخ من راجعها يجد الامر خلاف ماقيل ويحكم على صاحب القيل بالقصور في التتبع والاستقراء والويل واها انقيادهم الى الحق واكرامهم العلماء واحترامهم الفضلاء وتعظيمهم لاوامر الله تعالى فامر لايوجد غير فيهم يعرف ذلك من تتبع احوالهم بعد دخولهم في حمى الاسلام وبهذا ظهر صدق ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وتجدون خير الناس في هذا الشان اشدهم له كراهية الحديث وقد قال جمع من الشراح ان المراد بالشان الاسلام والايمان وان فسره جمع بالامارة (١) والخلافة وفي رواية البخاري لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة وتجدون من خير الناس اشدهم كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام الحديث ولايخفى لذي اللب مافي الجمع (٢) بين قتال الترك وبين قوله وتجدون من خير الناس الخ من الاشارة بان المتصفين بهذا الوصف هم هؤلاء الترك وقد قال جمع من الشراح ان المراد بالترك في هذا الحديث هم التتار والله سبحانه اعلم بحقائق الامور وهذا الذي

---

(١) ولامعنى له بل هو تحريف للمعنى المراد فان ضمير له راجع الى الشان ومن الذي يكره الامارة والخلافة بل كل احد يترنم بقول ياحبذا الامارة ولو على الحجارة وانما المراد بالشان الذي يكرهونه هو الايمان والاسلام قبل الدخول فيه بعد دوام المدى ايضا منه عفي عنه.

(٢) وكاني بالمتعصبين ينظرون الى من نظر شزره يقولون ان هذا مركب من احاديث اربعة فليس فيه جمع من النبي صلى الله عليه وسلم فاقول نعم الامر كذلك ولست بجاهل بما هنالك ولكن مرادي بالجمع جمع الراوي ابي هريرة بالهام من الله تعالى لاجمع النبي صلى الله عليه وسلم منه عفي عنه .

بيناه هو احوال الشعب الثلاثة من بنى چنكز خان واما الشعبة الرابعة اعنى بنى جوجى الذين نحن الآن بصدد بيان احوالهم فقد عرفت ماصدر من بركة خان الذى هو اول من اسلم منهم من المكارم من وقوفه وقيامه بباب الشيخ سيف الدين الباخرزى قدس سره ثلاثة ايام او يوما وليلة على اختلاف الروايتين كما مر وهو اذ ذاك سلطان عظيم ابن سلطان عظيم ابن سلطان عظيم عمن نقل مثل هذا من المكارم ونهاية ما نقل عن هارون الرشيد انه صب (١) الماء على يد واحد من العلماء وان ابنه مامون مشى على رؤس اصابع قدمه لئلا ينتبه يحيى ابن اكثم وهذان مما لهجت بذكره الرواة ولعوابه وعدوه من نهاية المكارم ولا يخفى ما بين ذلك وذين لمن تامل مع انهما من احسن الخلفاء العباسية وقد مر عن كارامزين انكبابهم فى التمسك بالاسلام وحفظ حوزته عن الكفرة اللئام بعد ان اسلم بركة خان واعلن نفسه حامى الاسلام والقران هذا حال نفس بركة واما غيره فننظر ماذا يعطينا كتب التواريخ فان المدار فى ذلك عليها لا غير قال ابن عربشاه ولما تشرف بركة خان بخلعة الاسلام * ورفع فى اطراف الدشت للدين الحنيفى الاعلام * استدعى العلماء من الاطراف * والمشايخ من الافاق والاكناف * ليوقفوا الناس على معالم دينهم * ويبصروهم على طرائق توحيدهم ويقينهم * وبذل فى ذلك الرغبات * وافاض الوافدين منهم بحار الهبات * واقام حرمة العلم والعلماء * وعظم شعائر الله تعالى وشرائع الانبياء * وكان عنده فى ذلك الزمان * وعند اوزبك بعده وجان بك خان * مولانا قطب الدين العلامة الرازى * والشيخ سعد الدين التفتازانى * والسيد جلال الدين شارح الحاجبية * وغيرهم من فضلاء الحنفية والشافعية * ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازى * ومولانا احمد الخجندى * رحمهم الله تعالى * فصارت سراى بواسطة هؤلا السادات * مجمع العلم ومعدن السعادات * واجتمع فيها من العلماء والفضلاء * والادباء والظرفاء * ومن كل صاحب فضيلة * وخصلة نبيلة جميلة * فى مدة

---

(١) ومع ذلك امتن به حيث قال من صب على يديك الماء امير المؤمنين منه عفى عنه

قليلة مالم يجتمع في سواها ولا في جامع مصر ولا في قراها (١) اه وقال في الشقائق النعمانية في ترجمة سيد احمد بن عبد الله القريمي الآتي ذكره روى انه لقي السلطان محمد خان بوماوقد خرج من قسطنطينية متوجها الى ادرنة فسأله السلطان محمد خان عن احوال مدينة قريم فقال كنا نسمع ان بها ستمائة مفت وثلاثمائة مصنف وانها بلدة معمورة بالعلم والصلاح قال المولى القريمي وقد ادركت اواخر هذا النظام قال السلطان وما كان سبب خرابها قال حدث هناك وزير اهان العلماء فتفرقوا والعلماء بمنزلة القلب من البدن واذا عرضت للقلب آفة سرى الفساد الى سائر البدن فدعا السلطان وزيره محمود پاشا وحكى ما قال المولى المزبور وقال قد ظهر منه ان خراب الملك من الوزير فقال الوزير محمود لا بل من السلطان قال لم قال لاي شيء استوزر مثل هذا الرجل قال السلطان صدقت اه رحم الله هؤلاء الارواح الطاهرات كيف كان اصغاؤهم الى قول العلماء وكيف كان اذعانهم وقبولهم للحق ولا تتوهمن ان الكلام في علماء دولة التتار ببلاد الشمال كلها وهذا بيان لحال مدينة قريم فقط فيمكن ان يكون ذلك الحال بعد استقلال قريم لان هذا توهم باطل فان قدوم المولى المذكور الى بلاد الروم انما كان في اوائل المائة التاسعة بعد بلوغه مرتبة الكمال والاكمال في وطنه وفي الوقت المذكور لم تكن القريم مستقلة وانما حصل لها الاستقلال بعيد ذلك كما عرفته ومع ذلك قال ادركت اواخر هذا النظام فاوائله يكون قبله بسنين كثيرة فكيف يتوهم ان المراد به قطعة قريم بل المراد جميع الشمالية من السراي والحاجي طرخان وبلغار وازاق وقريم وسائر البلدان التي كانت تجري فيها احكام الملوك السالف ذكرهم وانما عبر بالقريم لقربها منهم وهكذا كانت عادتهم كانوا يعبرون عن جميع تلك البلاد

---

(١) وهذا وان تقدم في اول هذا المقصد الا ان المقام اقتضى اعادتها **شعر**

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

منه عفي عنه

بالقريم (١) حتى هى. اعنى العادة المذكورة باقية الى الان فاحفظ هذا ينفعك فى مواضع شتى فيما سياتى وغيره ايضا واما التعبير بالمدينة فسبق قلم لاغير والافلا يتوقف عاقل فى اعتقاد استحالة وجود هذا القدر من المفتين والمصنفين فى مدينة واحدة او ولاية واحدة اى ولاية كانت كما لا يخفى وبهذا تبين ايضا كون المراد بقريم كافة حكومة التتار الشمالية المشهورة بمملكة بركة واوزبك ودشت فقچق هذا فقد بان لك الامر وظهر الحال ولكن من اين نجد تراجم هؤلاء العلماء ومن اين نطلب احوال هؤلاء الفضلاء ويا ليت بقى لنا اسم واحد من كل مائة فضلاء عن احوالهم فلا جرم نكتفى بذكر احوال من اطلعنا عليه فى بعض الحواشى ونقنع بالضرورة بتحرير اسماء من عثرنا عليه فى بعض الاطراف المثبتة لازالة الحواشى ونظهر غاية الاسف على اهمال قومنا تراجم علمائهم وتضييع جماعتنا مناقب فضلائهم وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة جملة من العلماء والمشايخ الذين لقيهم هناك فها انا انقل عنها بطريق الانتخاب قال وتزلنا بعنى بمدينة قريم بزاوية شيخزاده الخراسانى فاكرمنا ورحب بنا واحسن الينا وهو معظم عندهم ورأيت الناس يأتون للسلام عليه من قاض وخطيب وفقيه وسواهم ولقيت بهذه المدينة قاضيها الاعظم شمس الدين السائلى قاضى الحنفية ولقيت بها قاضى الشافعية وهو يسمى بخضر والفقيه المدرس علاء الدين اللاصى وخطيب الشافعية ابابكر وهو الذى يخطب بالمسجد الجامع الذى عمره الملك (٢) الناصر رحمه الله تعالى بهذه المدينة والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فاسلم وحسن اسلامه والشيخ العابد الصالح مظهر الدين وهو من الفقهاء المعظمين وامام والى قريم

---

(١) حتى قال مترجم رحلة ما غمان الاميريكى الى خيوه فى اثناء بيان خوانين خوارزم ان خوانين اوزبك كانوا وقتاما يعزلون مثل ميخايل الثانى ويورى وديميترى من ملوك الروس وينصبونهم كيف شاؤا اه ولم يعرف هذا المترجم ان هؤلاء قتلوم سلطان السلاطين السلطان محمد اوزبك خان وان المزلوالنصب كيف شاؤا دام امدة سنه ٢٥٠ كما تقدم كله منه عفى عنه

(٢) وقد تقدم منا فى اواسط هذا المقصد انه سبق قلم بل الصواب الملك المنصور قلاوون لانه هو الذى بناه كما تقدم فراجع منه عفى عنه

تلكتيمر الامام سعد الدين و الفقيه شرف الدين موسى و الشيخ رجب النهر ملكي نسبة الى قرية بالعراق فاضافنا بزاويته بمدينة ازاق ضيافة حسنة و ذكر ملاقاته قاضي ازاق و خطيبه ولم يذكر اسمهما قال وسافرت الى مدينة الماجر وهي مدينة كبيرة من احسن مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة نزلنا منها بزاوية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطائحي من بطائح العراق وكان خليفة الشيخ احمد الرفاعي رضي الله عنه وفي زاوية نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك والروم منهم المتزوج والعزب وعيشهم من الفتوح ولاهل تلك البلاد اعتقاد حسن في الفقراء وفي كل ليلة يأتون الى الزاوية بالخيل والبقر والغنم ويأتي السلطان والخواتين لزيارة الشيخ والتبرك به ويجزلون الاحسان ويعطون العطاء الكثير وخصوصا النساء فانهن يكثرن الصدقة ويتحرين افعال الخير وصلينا بمدينة الماجر صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعد الواعظ عز الدين المنبر وهو من فقهاء بخارى وكبرائها وله جماعة من الطلبة والقراء يقرؤن بين يديه ووعظ وذكر وامير المدينة حاضر وكبراؤها فقام الشيخ محمد البطائحي فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زوادة ثم خلع فرجية مرعز (١) كانت عليه وقال هذه مني اليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن اعطى فرسا ومن اعطى دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله، وقال عند ذكره مدينة سراى وقاضي هذه الحضرة بدر الدين الاعرج من خيار القضاة قلت وقد ذكر ملاقاته بقاضي حمزة ايضا والامام بدر الدين القوامي والامام المقرى حسام الدين البخاري والشريف ابن عبد الحميد نقيب السادات والاشراف ولعل السيد الجليل عبد الحميد العميدي الحسيني والله سبحانه اعلم ثم قال وبها يعني بحضرة السراى من مدرسي الشافعية الفقيه الامام الفاضل صدر الدين سليمان اللكزى (اللزكي) احد الفضلاء وبها من المالكية شمس الدين المصري وبها زاوية الحاج الصالح نظام الدين اضافنا بها واكرمنا وبها زاوية الفقيه الامام العالم نعمان الدين الخوارزمي رأيته بها وهو من فضلاء المشايخ حسن الاخلاق كريم النفس شديد التواضع شديد السطوة على اهل الدنيا يأتي اليه السلطان

---

(١) تفتلك كچى ماهنى منه عفى عنه.

اوزبك زائرا فى كل جمعة فلا يستقبل ولا يقوم له ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه بالطف كلام ويتواضع له والشيخ بضد ذلك وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان فانه يتواضع لهم ويكلمهم بالطف كلام ويكرمهم واكرمنى جزاه الله خيرا وبعث الى بغلام تركى و شاهدت له بركة كرامة له كنت اردت السفر من السراى الى خوارزم فنهانى عن ذلك وقيل لى اقم اياما ثم تسافر فنازعتنى النفس ووجدت رفقة كبيرة آخذة فى السفر فيهم تجار اعرفهم فاتفقت معهم على السفر فى صحبتهم وذكرت له ذلك فقال لى لا بد لك من الاقامة فعزمت على السفر فابق لى غلام اقمت بسببه وهذه من الكرامات الظاهرات ولما كان بعد ثلاث وجد بعض اصحابى ذلك الغلام الآبق بمدينة الحاج طرخان فجاء به الى فحينئذ سافرت الى خوارزم يقول راقم الحروف قد مر ذكر الشيخ نعمان هذا فى اوائل هذا المقصد وفى اثناء ترجمة السلطان اوزبك وما فعله اوزبك برسل الملك الناصر لاجله وبالجملة انه كان من اعيان علماء ملوك السراى واجل مشايخهم وقد ترجمه البرزالى حيث قال وصل ايضا (الى دمشق فى رمضان سنة ٧١٨) الشيخ علاء الدين النعمان بن دولتشاه بن على الخوارزمى فاقام اياما وتوجه الى باب السلطان بالقاهرة ثم حج من هناك واقام بالقاهرة مدة سنة ونصف ورجع الى مخدومه الملك اوزبك خان وهو رجل فاضل سافر من بلده وعمره احدى وعشرون سنة فطاف البلاد واجتمع بالفضلاء وحصل المنطق والجدل والطب وعاد الى بلده سنة احدى وسبعمائة واتصل بملك كهانكتيمر وخدم عنده طبيبا وصار كبير اطباء المارستان بخوارزم ثم اوصل الى الملك طقطاى بن بركة ملك بلاد دشت القفجق فحظى عنده فلما مات هذا الملك وولى بعده اوزبك خان من ابناء الثلاثين وعنده اسلام وعقل وهو حسن الهيئة والصورة سير مبلغا مع علاء الدين النعمان المذكور يعمر بعضه خانقاها بالقدس ويفرق البعض على مجاورى الحرمين الشريفين ومولد النعمان فى نصف رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة بخوارزم اه بحروفه فعلم من ذلك انه كان جامعا للفضائل الظاهرية والباطنية ثم ترك الكل واختار طريق الفقر وتوجه بكليته الى الله تعالى وقد ذكر البرزالى قدومه الى دمشق قبل هذه المرة ايضا فى عصر

طقطای خان حيث قال وذكر الشيخ الفاضل علاء الدين النعمان الخوارزمى الحنفى لما قدم دمشق سنة عشر وسبعمائة ان طول هذه المملكة يعنى مملكة اوزبك مسيرة ثمانية اشهر وعرضها ستة اشهر اه قال البدر العينى ما خلاصته عند ذكره ما حصل لرسول الملك الناصر طقصبا الظاهرى من غيظ اوزبك خان عليه فى سنة ٧٢٢ كما مر ان سبب ذلك قد حضر الشيخ نعمان مع الخاتون طلنبية وكان له وضع عظيم عند اوزبك وله فيه اعتقاد كبير وذلك انه كان عند طقطای وهو يعتقد فيه وان اوزبك اذا حضر عند طقطای كان الشيخ نعمان يقول له فى السر ان الملك يصير لك وانك ملك بعد طقطای فصار الامر كما قال فحظى الشيخ نعمان عنده حظا وافرا وعند ارسال الخاتون طلنبية الى مصر استأذن اوزبك ان يروح معها ثم يزور القدس والخليل ويبنى له مكانا فى القدس ويقيم فيه يعبد الله فاجاب اليه اوزبك واعطاه ذهبا كثيرا فلما وصلوا الى مصر اساء مهمندار معاملته معه واخرق به فغضب لذلك فلما رجع الى بلده اخبر بذلك اوزبك فغضب اوزبك لذلك غضبا شديدا الخ قلت ولم اقف على تاريخ وفاته وبالجملة فقد تبين كونه من الكملاء المعمرين رحمه الله تعالى واياك ان تتوهمه نعمان الدين ابن عبد الجبار الخوارزمى المعتزلى امام تيمرلنك بمشاركتهما فى الاسم والنسبة فانه مقدم عليه بالزمان والفضل والاعتقاد والله الهادى الى سبيل الرشاد وقال ابن بطوطة ايضا ولما اتيت هذه المدينة يعنى خوارزم نزلت بخارجها وتوجه بعض اصحابى الى القاضى الصدر ابى حفص عمر البكرى فبعث الى نائبه نور الاسلام فسلم على ثم عاد اليه ثم اتى القاضى فى جماعة من اصحابه فسلم على وهو فتى السن كبير الفعال وله نائبان احدهما نور الاسلام المذكور والآخر نور الدين الكرمانى من كبار الفقهاء وهو الشديد فى احكامه القوى فى ذات الله تعالى ولما دخلنا المدينة ونزلنا بالمدرسة الجديدة اتى الينا القاضى المذكور ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين المقدسى ومولانا رضى الله بن يحيى ومولانا فضل الله الرضوى ومولانا جلال الدين العمادى ومولانا شمس الدين السنجرى امام اميرها قطلوتيمر اه ولم اقف على ترجمة

واحد من هؤلاء المذكورين ومناسبة ذكرهم هنا لكون ولاية خوارزم من جملة ممالكهم وبهذه المناسبة بعد الامام الشيخ الاجل الشيخ الاكمل نجم الدين ابو الرجا مختار بن محمود بن محمد الغزميني او القزبني الحنفي الزاهد رحمه الله تعالى من اول علماء مملكتهم وغزمين بفتح الغين المعجمة وسكون الزاى والميم المكسورة والياء الساكنة ثم النون بعدها قصبة بخوارزم كذا قيل وكان من كبار الائمة واعيان الفقهاء عاملا كاملا له الاطلاع التام على الخلافيات والباع الطويل في الكلام والمناظرة وله التصانيف التي سارت بها الركبان منها شرح مختصر القدوري والمجتبي في الاصول وزاد الائمة وقنية المنية لتتميم الغنية وكتاب الحاوي والرسالة الناصرية التي مر ذكرها في ترجمة بركة خان وقد ولع الفضلاء بذكرها ووصفها وما ذاك الا لجلالة قدرها وعظم فائدتها وقد اخذ العلوم عن الاكابر مثل محمد (١) بن عبد الكريم التركستاني والمطرزي صاحب المغرب ويوسف بن محمد الخوارزمي وفخر الدين القاضي بديع الغزميني ويوسف السكاكي صاحب مفتاح العلوم وغيرهم وصيته مشهور ووصفه في الكتب مسطور وفي الالسنة مذكور قال بعضهم ان تصانيفه غير معتبرة لكونه معتزليا قلت اعتزاله لا يوجب ذلك فان اكثر تصانيفه في الفقه ولا تعلق لاعتزاله بالفقه وقد اثنى عليه كثير من المحققين منهم صاحب البحر وقد ادرج فرائد مدحه في مواضع من بحره وكتب الفقهاء مملوة بالنقل عن كتبه وكلهم معترفون بجلالة قدره ومغترفون من بحره فلا عبرة بقول الطاعن فيه على ان اعتزاله لا يضر فيما نحن مشترك فيه توفي رحمه الله تعالى في سنة ٦٥٨ على الصحيح وما يخالفه فسبق قلم لا غير والله سبحانه اعلم الشيخ احمد بن ابي يزيد بن محمد شهاب الدين بن زكي الدين العجمي السرائي المشهور بمولانا زاده كان ابوه ناظر الاوقاف ببلاد السراي وكان معروفا بالزهد والصلاح فتضرع الى الله تعالى ان يرزقه ولدا صالحا فولد له احمد هذا يوم عاشوراء سنة ٧٥٤ اربع وخمسين وسبعمائة

(١) هكذا في كثير مما رأيته من التراجم وفي مختصر طبقات التميمي ذكر عكس ذلك حيث قال في ترجمة محمد بن عبد الكريم تفقه على مختار الزاهدي . منه عفي عنه .

ومات ابوه وله تسع سنين فلازم الاشتغال حتى برع فى انواع العلوم وصار يضرب به المثل فى الذكاء وخرج من بلده وله عشرون سنة فطاف البلاد واقام بالشام ودرس الفقه والاصول وشارك فى الفنون وكان بصيرا بدقائق العلوم وكان يقول اعجب الاشياء عندى البرهان القاطع الذى لا يكون للمنع فيه مجال والمشكل الذى يكون لى فيه فكر ساعة ثم سلك طريق التصوف وصحب جماعة من المشايخ ثم رحل الى القاهرة وفوض اليه تدريس الظاهرية فى اول ما فتحت ثم درس الحديث فى الصرغتمشية وقرأ بها علوم الحديث لابن الصلاح بقوة ذكائه حتى صاروا يتعجبون منه ثم ان بعض الحسدة دس اليه سما فمرض وطال مرضه الى ان مات فى محرم سنه ٩١ احد وتسعين يعنى بعد السبعمائة وترك ولدا صغيرا من بنت الاقصرائى (١) وانجب بعده وتقدم وهو محب الدين امام السلطان فى زمانه اه من طبقات التميمى بحروفه والطلاق العجمى عليه انما هو على عادة العرب من اطلاقه على من سواهم كائنا من كان لا لكونه من ديار العجم الاصطلاحى الشيخ احمد بن شمس الائمة السرائى كان واعظا ومتكلما عالما بالالسنة الثلاثة العربية والفارسية والتركية كان يقال له ملك الكلام وكان اعجوبة الزمان وكان مقيما بسمرقند ذكره ابن عربشاه وعده من جملة علماء تيمرلنك الشيخ السيد (٢) احمد ابن عبد الله القريمى قرأ ببلده على حافظ الدين محمد البزازى حين قدم عليه واقام فيه ثم لما ارحل البزازى عنه قرأ على شرف الدين بن كمال القريمى الآتى ذكره ثم لما كثر الهرج والمرج فى بلاده ارتحل الى بلاد الروم فى عهد السلطان مراد خان الثانى فاكرمه واعطاه مدرسة مرزيفون باناطولى وقرأ عليه حين كان مدرسا بها يوسف بن جنيد التوقاتى الشهير باخى چلپى محشى شرح الوقاية ثم اتى القسطنطينية فى زمن السلطان محمد فاتح فعين له كل يوم خمسين درهما وكان السلطان المذكور يحبه غاية المحبة (وقد مر ماجرى

---

(١) ولعله محمد بن محمد جمال الدين الآقسرائى والله اعلم

(٢) وهذا الذى مر ذكره قريبا وذكر قصته مع السلطان محمد الفاتح عليه الرحمة والرضوان . منه عفى عنه .

بينهما من السؤال والجواب في أوائل هذا الفصل فتذكر) وكان يذكر ويعظ ويدرس ابن شاه وكان عالما فاضلا محدثا مفسرا فقيها نحويا وله تصانيف منها حاشية على التلويح وحاشية على شرح العقائد وحاشية على شرح اللب في النحو للسيد عبد الله المشتهر بنقره كار مات بالقسطنطينية ودفن بهايزار ويتبرك به وتستجاب عنده الدعوات اه من الشقائق وطبقات التميمي والكفوي قلت ارخ وفاته في كشف الظنون عند ذكر عقائد النسفي هكذا توفي في سنة ٩٤٣ ولم يرقم فوق لفظ سنة عند ذكر اللباب وشروحه وحواشيه بل ترك بياضا وذكر فيه عند شروح التلخيص وحواشيه هكذا ومنها يعني من حواشي المطول حاشية المولى احمد بن عبد الله القريمي المتوفي بعد سنة ٨٦٢ وهي تامة سماها المعول اولها الحمد لله الذي شرح صدورنا برقم حقائق المعاني الخ فرغ عنها في شوال سنة ٦٨٥ وقال عند تعداد حواشي البيضاوي وتعليقاته وتعليقة السيد احمد بن عبد الله القريمي المتوفي سنة ٨٥٠ وهي الى قريب من تمامه اه قلت فهذه ثلاثة تواريخ مختلفة لوفاته وخير الامور أوسطها مع انه يشهد له تاريخ فراغه من تأليف المعول والله سبحانه اعلم الشيخ احمد بن محمد بن عبد المؤمن ركن الدين القرمي(١) المعروف بالمرتعش لرعشة كانت به يديم معها تحريك رأسه قال ابن حجر قدم القاهرة بعد ان حكم بالقرم وناب في الحكم وولي افتاء دار العدل ودرس بالجامع الازهر وغيره وجمع شرحا على البخاري وكان يرمي بالهنات ولما ولي التدريس قال لاذكرن ما لم تسمعوا فعمل درسا فلا فاتفق انه وقع منه شيء فبادر جماعة فتعصبوا عليه وكفروه فبادر الى السراج الهندي فادعى عليه عنده وحكم باسلامه فاتفق انه حضر بعد ذلك درس السراج الهندي ووقع من السراج شيء فبادر الركن وقال هذا كفر فضحك السراج حتى استلقى وقال ياشيخ ركن الدين تكفر من حكم باسلامك فاخجل اه وقال العراقي كان يذكر بفضل وبراعة وتفنن في العلوم ولكن سمعت قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة يقول لدعانا الامير ارغون شاه بحضور المدرس عنده يعني الشيخ ركن الدين بجامع الماردانى فخطب

(١) ولا تنس هنا وفيما سياتي وجه التعبير بالقريم منه عفي عنه

خطبة مليحة ثم قال (١) السلطان اعجلنا بالخروج الى السرحة عن حفظ الدرس فاخرج كراسا من كمه ليقرأ منه الدرس فقلنا حصل المقصود بما تقدم وقمنا وكانه لم يكن له حافظة وقال العراقي وسمعت والدى يقول انه كان حاضرا سماع صحيح البخارى بمجلس السلطان الاشرف فمر حديث شق الصدر فقال هذا كناية عن شرح الصدر فرد عليه الحاضرون ومنهم شيخنا الشيخ ضياء الدين القرمى وقال له فى الصحيح ان انسا قال كنت ارى ذلك اثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم فسكت ويقال ان الشيخ ضياء الدين كان نائبا عنه بالقرم ومات سنة ٧٨٣ ثلاث وثمانين وسبعمائة رحمه الله تعالى ومن فوائده مانقل عنه الشيخ عز الدين بن جماعة انه قال شرف العلم من ستة اوجه موضوعه وغايته ومسائله ووثوق براهينه وشدة الحاجة اليه وخساسة مقابله اه من طبقات التميمى بحروفه قلت هل يوجد فى الدنيا احد اتفق الانام على مدحه هيهات (١) شعر:

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما * ولو انه ذاك النبى المكرم

وقال آخر ع: فلابد من مثن عليك وقادح * ويكفيه فضيلة تلمذ مثل العز بن جماعة وما سيذكر بعد على ان لما ذكره ابن حجر رحمه الله سرا يعرفه المتأمل والظاهر من كشف الظنون وكلام العينى ان شرحه للبخارى انما كان حين اقامته ببلاده قبل قدومه مصر بل كون ذلك فى اواخر القرن الثامن ايام توقتامش خان قال العلامة العينى فى ديباجة شرحه للبخارى ثم انى لما رحلت (٢) الى البلاد الشمالية الندية قبل الثمانمائة من الهجرة الاحمدية * مستصحبا فى اسفارى هذا الكتاب * لنشر فضله عند ذوى الالباب * ظفرت هناك من بعض مشايخنا بغرائب النوادر * وفوائد كاللآلى الزواهر * مما يتعلق باستخراج ما فيه من الكنوز * واستكشاف ما فيه من الرموز * ثم لما عدت الى

(١) يعنى قال الركن ان السلطان اعجلنا الخ منه عفى عنه

(٢) خصوصا من كان غريبا بين قوم متعصبين كاهل مصر. منه عفى عنه

(١) وهذا يدل على ان البدر العينى قدم تلك البلاد ولم اره فى موضع آخر قط والله سبحانه اعلم منه عفى عنه

الديار المصرية * نلجئني الى شرح هذا الكتاب * امور حصلت فى هذا الباب اه بالاختصار قلت الظاهر ان مراده بغرائب النوادر هو شرح صاحب الترجمة لما فى كشف الظنون حيث قال فى بيان شروح صحيح البخارى وحكى ان بعض الفضلاء ذكر لابن حجر ترجيح شرح العينى بما اشتمل عليه من البديع وغيره فقال بديهة هذا شئ نقله من شرح ركن الدين وقد كنت وقفت عليه قبله ولكنى تركت النقل عنه لكونه لم يتم وانما كتب منه قطعة فخشيت من تعبى بعد فراغها فى الارسال ولذا لم يتكلم العينى بعد تلك القطعة بشىء من ذلك اه ثم قال فى الكشف ومنها شرح الشيخ ركن الدين احمد بن محمد بن عبد المؤمن القرمى المتوفى سنة ٧٨٣ وهو الذى ذكره ابن الحجر فى الجواب عن تفضيل شرح العينى آنفا اه فكلام العينى ونسجه شرحه على منوال شرحه بشهادة ابن حجر واستقصار ابن حجر نفسه عن الاتيان بمثل ما اتى به وخوفه من تعب نفسه كل واحد يدل على جلالة قدره وتبحره فى العلوم وتضلعه من سائر الفنون بالمنطوق منها والمفهوم كما قال الشيخ ولى الدين العراقى ولا ادرى هل لقيه العينى واخذ عنه الشرح المذكور شفاها اولا وقال فى كشف الظنون عند ذكر شروح فصوص الحكم ومن شروحه شرح ركن الدين وهو فارسى فى مجلد ممزوج ذكر فيه انه رأى شرح القاشانى وداود القيصرى وكتب ما خطر بباله ودونه بسراى اه والظاهر انه صاحب الترجمة فدل على ما قدمناه فى اول هذا الفصل ان مرادهم بقرم ليس هو اقليم قرم فقط فتذكر والله سبحانه اعلم **الشيخ اسحق بن اسمعيل بن ابراهيم القاضى بن شعيب بن محمد بن ادريس القاضى نجم الدين القرمى** ذكره السيوطى فى اعيان الاعيان وقال ولد قبل تسع وسبعين (يعنى بعد سبعمائة) وولى قضاء العسكر ومشيخة مدرسة قايتباى مات فى صفر سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة رحمه الله تعالى وذكره السخاوى فى ضوئه واثنى عليه وقدم ابراهيم على اسمعيل وذكره انه يقال له الامامى لكونه فيما قيل ينتسب الى الامام ابى منصور الماتريـــدى وقد بلغنى انه اخذ عن البزازى اه من طبقات التميمى بحروفه وهو كذلك فى مختصره ولكن تاريخ

وفاته على ماذكر فيهما الاشك في كونه غلطا فان المتوفى فيه كيف يتولى مدرسة قايتباي الذي لم يتسلطن الافي سنة ٨٧٢ والصواب ان لفظ الثمان وقع (١) بدل لفظ الثمانين في كليهما وكذلك رقمه فوق لفظ سنة اوسقط عقد من عقود العدد كسبعين مثلا بين الثمان وثمانمائة والله سبحانه اعلم **الشيخ شرف الدين بن كمال القرمي** كان عالما فاضلا جامعا للعلوم الفرعية والاصلية قرأ ببلاده جميع العلوم سيما العلوم الشرعية واخذ الفقه عن المولى حافظ الدين البزازي وكتب له المولى المذكور اجازة في سنة ٨٠٥ ثم درس في بلاده وافاد وصنف واجاد ولما اشرفت بلدة قرم (يعني البلاد الشمالية كلها فان قرم لم تتشكل وقتئذ فضلا عن الخرابية) الى الخراب وكثر فيها الهرج والمرج وتفرقت علماؤها (تذكر ماقاله المولى السيد احمد القرمي للسلطان محمد الفاتح رحمهما الله) رحل الى بلاد الروم فاكرمه السلطان مراد خان وعين له دراهم وعاش في سعة ونعمة الى ان توفي روي ان له شرحا للمنار اه من الشقايق والكفوي وقال في كشف الظنون عند تعداد شروح المنار والعلامة شرف الدين بن كمال القرمي سود شرحا كاملا وتركه ثم انه لما قصد الحج عرضه على علماء الشام فاعجبهم فطلبوا تبييضه فبيضه في طريق الحج وهو شرح بالقول وفرغ منه يوم الثلثاء الخامس والعشرين من شعبان سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة (٢) اوله الحمد لله الذي شرف خواص نوع الانسان بالهداية الخ فصار احسن شروحه اه ولم ار تاريخ وفاته في محل **الشيخ ضياء الدين بن سعد الله بن محمد ابن عثمان الامام العالم العلامة القرمي** كان اماما عالما بالتفسير والعربية والمعاني والبيان والفقه والاصلين ملازما للاشتغال والافادة حتى في حال مشيه وركوبه يتوقد ذكاء وتفقه في بلاده واخذ عن ابيه والعضد والبدر التستري والخلخالي تقدم في العلم قديما حتى كان الشيخ سعد الدين التفتازاني احد من قرأ عليه وحج قديما فسمع من العفيف المطري قال الحافظ جلال الدين السيوطي وكان يقول انا حنفي الاصول شافعي الفروع وكان يستحضر المذهبين ويفتي فيهما

---

(١) لكن على هذا يلزم كونه معمرا جدا كما لايخفى والله سبحانه اعلم منه عفي عنه.
(٢) وفي نسخة الكشف سبعمائة وهو غلط بلا مرية.

وكان تلميذه العراقي اخبرني انه كان يفتي في بلادهم على مذهب ابيحنيفة رح
ايضا وكان يستحضره وكان يقول انا حنفي الاعتقاد والعبادات ربانى ابي على
ذلك وكان لا يرفع يديه في ركوع الصلاة وسجودها وكان اسمه عبيد الله فكان
لا يرضى بذلك ولا يكتبه لموافقته اسم عبيد الله بن زياد قاتل الحسين رضي الله عنه
ولعن قاتل وكانت لحيته طويلة بحيث تصل الى قدميه ولا ينام الا وهو في الكيس
واذا ركب تتفرق فرقتين فكان عوام مصر يقولون اذا رأوه سبحان الخالق فيقول
هو عوام مصر مؤمنون حقا لانهم يستدلون بالصنعة على الصانع اخذ عنه الشيخ
عز الدين بن جماعة والولي العراقي وغيرهما وروى عنه البرهان الحلبي وغيره
ومات سنة ٧٨٠ ثمانين وسبعمائة اه من مختصر التميمي بحروفه الشيخ منهاج
الدين ابراهيم بن سليمان السرائي ذكره في كشف الظنون عند ذكر فرائض
العثماني حيث قال ولها شروح منها شرح الشيخ منهاج الدين ابراهيم بن سليمان
السرائي اوله الحمد لله المتعالى عن مجانسة الضرب الخ ذكر فيه ان شيخه
رشيد الدين اسمعيل بن محمود بن محمد الكردري كتب فوائد المسائل
الضرورية فجمعها وزاد عليها وسماه بمفاتيح الاقفال وفرغ منه في خوارزم
اه قلت ولم اقف على شيء من ترجمة احواله سوى ذلك ولا على تاريخ عصره
ووفاته الشيخ محمود بن عبد الله ابو الثنا السرائي ثم القاهري المعروف
بالكلستاني لكثرة اشتغاله بقراءة كلستان الشيخ سعدي رحمه الله تعالى اشتغل
اولا ببلاده قال العيني كان فاضلا ذكيا فصيحا بالعربي والفرسي والتركي ونظم
السراجية في الفرائض اه من مختصر التميمي بحذف زوائده قلت ارخ في
الكشف وفاته عند ذكر الفرائض السراجية سنة ٨٠١ احدى وثمانمائة
وقال فيه ايضا انيس الوحدة وجليس الخلوة لمحمود بن محمود الحسني
الكلستاني مجلد في المحاضرات على عشر بن بابا اه لا ادري هل هو صاحب
الترجمة او غيره والله سبحانه اعلم الشيخ محمود بن قطلو شاه ارشد الدين
السرائي الحنفي كان عارفا بالفنون الآلية عمدة في الاصول والمعقول والمنطق
وقال الولي العراقي كان احد الائمة في العربية والاصول والحكمة والطب
مات سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة اه من مختصر التميمي بحروفه

الشيخ الامام العالم العلامة والقدوة الجهبذ الفاضل الفهامة حافظ الدين محمد بن محمد الكردري البزازي صاحب الجامع الوجيز المشهور بالفتاوى البزازية كان من افراد الدهر في الفروع والاصول وممن حاز قصبات السبق في العلوم المنقول منها والمعقول اخذ عن ابيه وسائر محقق عصره ومدقق مصره حتى صار علامة زمانه وفريد عصره واوانه محققا واسع الاطلاع مدققا مديد الباع ومهر واشتهر وطار صيته وانتشر والمفهوم من كلام بعض المحققين ان ولادته كان بمدينة سراى لان اباه كان هناك وان كان اصله من كردر موضع بخوارزم وعلى كل حال فقد سكن بمدينة سراى سنين كثيرة وناظر فيها العلماء وباحث الفقهاء ودرس وافتى وصار مرجع الفتيا على الاطلاق ونور بنور علمه الافاق ودخل حاجي طرخان وقرم وبلغار وصنف الكتب المفيدة اشهرها الفتاوى البزازية المسماة بالجامع الوجيز وناهيك بشهرتها استدلالا على علو شأنه حيث صارت هي المعول عليها في الفتوى وقد نقل عن المحقق ابي السعود العمادي مفتي دار السلطنة القسطنطينية انه لما قيل له لم لم تجمع المسائل المهمة ولم تؤلف فيها كتابا قال انا استحيي من صاحب البزازية مع وجود كتابه فانه مجموعة شريفة جامعة للمهمات على ما ينبغي اه وكان تصنيفه اياها بتلك البلاد وقد ذكر فيها ما وقع له بسراى ووقع اسم سراى فيها بعنوان السراى الجديد لكونه مجددا بعد تخريب تيمرلنك اياه قال في الكشف واتمها في عام ثنتي عشر وثمانمائة كما ذكره في اثنائها وله ايضا كتاب في مناقب الامام الاعظم مشهور بالمناقب(١) الكردرية مشتمل على مطالب عالية قيل كان في حفظه الكافي والكنز والقدوري والهداية والوافي وانه اخبر انه ان وضع محافيظه كتابا فوق كتاب وهو واقف على قدميه لوصلت الكتب الى محاذاة اذنيه قيل انه حج ثلاث مرات فسأله سائل انه بأي شيء يعرف الانسان الحلال من الحرام ويتعلم العلم ويبلغ المرام فقال بحفظه مختصرا او مختصرين في الفقه كالكافي والهداية فانه بذلك يعرف العلم ويحصل له غاية العناية وكان معززا محترما لدى ملوك السراى نافذ القول فيهم لا يأخذه في الله لومة لائم وكانه كان سلطانا في تلك

(١) وقد طبعت الآن بحيدر آباد دكن من بلاد الهندية . منه عفي عنه .

البلاد ولهذا قال مولانا عصام الدين شيخ الاسلام السمرقندى لما دخل بلد الحاج طرخان حين رجوعه من سفر الحجاز سنة ٨١٤ ورأى فيها نفود صاحب الترجمة شعر :

متى يحفظ الناس فى بلدة * مصالحها فى يدى حافظ *
فحافظها صار سلطانها * وسلطانها ليس بالحافظ *

ذكره تلميذه ابن عربشاه فى عجايب المقدور وذلك من المنافسات التى لم تزل جارية بين المعاصرين الامن عصمهم الله تعالى سبحانه وقليل ماهم ثم لما كثرت الفتن فى تلك البلاد بسبب داء الاختلاف فيما بين ملوكهم على مامر مفصلا رحل الى بلاد الروم كامثاله وباحث هناك المولى شمس الدين الفنارى صاحب فصول البدائع فغلبه المولى المذكور فى الاصول وغلبه هو فى الفروع قال فى الشقائق وتوفى فى اواسط رمضان سنة ٨٢٧ رحمه الله تعالى رحمة واسعة الظاهر انه توفى ببلاد الروم قال الفاضل المرجانى انه ممن افتى بكفر تيمرلنك قلت لايستبعد ذاك فان تخريبه بلاد خوارزم مرارا وتفريق اهلها وكذلك قبائحه وشنائعه ببلاد سراى وبلاد الروم والشام وسائر البلاد الاسلامية واسر اهلها وجعل اياهم مماليك واستفراشه موطوآت المسلمين واستحلاله تلك القبيحة ونهب اموال المسلمين وغير ذلك من القبايح التى لا يصدر عشر عشيرها عمن فيه ادنى انسانية فضلا عن المسلم كلها كانت فى عصره وفى مصره عليه من الله سبحانه اشد وافظع مايستحقه الشيخ ابو احمد محمد بن عبدالله ابن الشيخ شهاب الدين احمد السرائى رحمهم الله تعالى اتحفنى الشيخ شرف الدين افندى القزانى المجاور بمكة المكرمة سلمه الله تعالى بصورة المسلسل باخذ اليد وقول كل راو وقال لى قل التحيات لله بالحنفيين الخبر وابنه واجازته به لبعض العلماء نقلا عن مجموعة قديمة مودعة فى خزانة الكتب للمدرسة المحمودية بالمدينة المنورة وقال اظن انها بخطه المبارك وهى هذه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد رسوله وعبده قال العبد الضعيف الراجى رحمة ربه اللطيف محمد ابن الفقير الى الله تعالى عبدالله ابن الفقير الى الله الغنى احمد السرائى مولدا والجندى محتدا والحنفى مذهبا اخذ بيدى شيخى الامام العلامة الفقيه

المحدث محى الدين عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر بن سالم بن ابى الوفا القرشى الحنفى وقال لى قل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وقال اخذ بيدى شيخنا الامام العلامة ابو سعيد الحنفى وقال لى قل التحيات لله الى آخره وقال اخذ بيدى الامام ابو العباس احمد بن محمد الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابو عبد الله محمد بن محمد البلخى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى احمد بن محمد بن الحسن الاستر آبادى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال البلخى واخذ بيدى مسعود بن مودود بن محمود الرازى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقالا اخذ بيدينا على بن ابى طالب بن ابى العلا الحنفى وقال قولا التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى قاضى القضاة ابو محمد الحسن بن محمد بن احمد الاستر آبادى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابو عبد الله محمد بن على قاضى القضاة الدامغانى الكبير الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابو العباس احمد بن الناطفى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابو عبد الله يحيى بن مهدى الجرجانى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابو بكر احمد بن على الرازى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابو الحسن الكرخى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابو سعيد البردعى الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى القاضى ابو الحازم الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى محمد بن سماعة الحنفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى محمد بن الحسن الشيبانى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى الامام الاعظم ابو حنيفة الكوفى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى حماد بن ابى سليمان الرخوارى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى ابراهيم النخعى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى علقمة الليثى وقال لى قل التحيات لله الخ وقال اخذ بيدى عبد الله بن مسعود الهذلى وقال لى قل

التحيات لله الخ **وقال** اخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى قل التحيات لله الخ **وقال** اخذ بيدى جبريل وقال لى قل التحيات لله الخ **وقال** اخذ بيدى ميكائيل وقال لى قل التحيات لله الخ **وقال** اخذ بيدى اسرافيل وقال لى قل التحيات لله الخ **وقال** اخذ بيدى عزرائيل وقال لى قل التحيات لله الخ **وقال** وهو مكتوب فى اللوح المحفوظ والحمد لله وحده اه اجازة الشيخ ادام الله (١) بركته يقول العبد الضعيف راوى هذه النسبة الشريفة المسندة ابو احمد محمد بن عبد الله بن الشيخ شهاب الدين احمد السرائى ثم القدسى اخذت يد الشيخ نور الدين حمزة ابن الشيخ شمس الدين محمد الاماسى وبدواده العز شمس الدين محمود وقلت لهما قولا التحيات لله الخ وقرأ على كما اخذ شيخى بيدى وقال لى قل التحيات لله الخ وقرأت عليه واجزت لهما ان يروياه عنى وعن مشايخى وكان ذلك يوم الخميس بعد العصر ثانى شهر رمضان فى فسحة زاوية الاقصى الشريف سنة ٧٧٢ اثنتين وسبعين وسبعمائة اه **قلت** لم اطلع على شىء من احواله واحوال والده وجده وتواريخ مواليدهم ووفياتهم والحديث روى هكذا مسلسلا الى الامام ابى حنيفة رح ذكره ابن همام فى حاشية الهداية حيث قال قال ابو حنيفة رضى الله عنه اخذ حماد بن سليمان بيدى وعلمنى التشهد هكذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اه **ولفظ** مسلم عنه علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كفى بين كفيه كما يعلمنى السورة من القران الخ **قلت** وقد اخرجه عنه الائمة الستة وان لم يكن فيما رووه الاخذ باليد وقال الترمذى انه اصح حديث عنه صلى الله عليه وسلم فى التشهد والعمل عليه عند اكثر اهل العلم اه **قلت** واما التسلسل بهذه الكيفية فما رأيته فى كتب المسلسلات التى اطلعت عليه ولم ار احدا يعرفه فى زماننا وكانه قد انقطع (١) وهو نفيس جدا **الشيخ جمال الدين يوسف بن حسن بن محمود السرائى ثم التبريزى** له حاشية على منهاج البيضاوى فى الاصول وشرح اربعين النووى ذكره فى كشف الظنون وارخ وفاته

---

١) هكذا فى الاصل المنقول عنه منه عفى عنه .

١) ولهذا اثبته هنا برمته وان كان خارجا عن موضوع مجموعتنا هذا منه عفى عنه .

سنة ٩٠٤ الشيخ حق محمد افندى الدشتى ثم القرمى ذكره السيد محمد
رضا افندى فى السبع السيار عند ذكر حفيده الشيخ عبد الله عفيف الدين
افندى وقال ان اصله من دشت قفچق ثم هاجر الى اقليم قرم واستوطن بها
وتوفى فيها الى رحمة الله تعالى ولم يذكر تاريخ وفاته والظاهر من كلامه
فى ترجمة ولده الاتى ذكره انه فى اواسط القرن العاشر الشيخ ابراهيم
افندى ابن حق محمد افندى المذكور آنفا المشهور بتاتار شيخ ابراهيم
ذكره السيد محمد رضا افندى ايضا وقال ان والده حق محمد المذكور لما نام
ليلة بعد ان اتم تلاوة اذكاره واوراده التى كان التزمها بمقتضى سلوكه رأى
فى منامه شيخا نورانيا فاعطاه مصحفا فوضعه على رأسه فلم يستقر ثم وضعه على
ركبتيه فلم يستقر ثم وضعه فوق بطنه فاستقر فلما استيقظ قص رؤياه هذه على شيخ
كان المذكور داخلا تحت ارادته فقال له بعد الاطراق والتفكر ساعة انه يولد
من صلبك ولد صاحب سعادة وشهود ويكون اصلا لارباب سعادة كثيرة فولد
له بعد زمن يسير الشيخ ابراهيم افندى المذكور ولما اتم التحصيل الظاهرى
بالختم العادى مال قلبه الى تحصيل الكمالات الباطنية بمقتضى جبلته واستعداده
وبينما هو متردد فى تعيين المرشد اذ ظهر له فى ليلة من الهاتف ان علاجك
انما هو عند مرشد صاحب سجادة فى القسطنطينية المحمية فتوجه نحوها
ووصل الى باب مرشد عصره الشيخ نور الدين القلبوى قدس سره وقد
اخبر الشيخ المذكور مريديه بقدومه قبل وصوله هناك ولما بقى فى صحبته
سنين عديدة واستفاد من توجهاته العلية وانفاسه القدسية كمالات سنية
واستحق الاستخلاف اجازه شيخه واستخلفه فرجع الى وطنه الاصلى قرم ثم
انه لما رأى بها مظالم كثيرة وامورا مخالفة للشريعة واستشعر من نفسه
عجزا عن تغيير ما هو لرحل اقامته الى القسطنطينية مهاجرا اليها واختار
الاقامة فيها بزاوية كچك اياصوفيا وكان مشغولا بنشر العلوم النافعة خصوصا
بتفسير القران الكريم وبيان معانيه ولبابه من حفظه فى جامع السلطان
محمد الفاتح وصنف كتابين مشتملين على لب القران ومتضمنين بخلاصة
كلام الرحمن احدهما مكانيب والآخر مدارج وكان رحمه الله تعالى متخلقا

بالاخلاق الفاروقية فى اجراء احكام الشرع المطهر واحيا سنن خير البشر ولهذا صدر له الامر من الديوان السلطانى برفع البدع التى كانت انتشرت فى حوالى باباطاغى فالزم تلك الخذلة واسكتهم بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة ثم اباد وجودهم بسيف الشرع المطهر وطهر تلك البقاع من رجس وجودهم الاخر ثم توفى سنة ١٠٠١ احدى والف فبين ولده خلفه الصدق الشيخ عبد الله عفيف الدين افندى تاريخ وفاته بتلك العبارات العربية بعينها * انتقل المرحوم العارف بالله الراسخ المسلم الكل شيخ المشايخ ابراهيم افندى القريمى وقت الظهر من يوم الاحد الثانى عشر من شهر جمادى الآخر سنة ١٠٠١ احدى والف منزوبا بزاوية كهك اياصوفيه بقسطنطينية المحمية واجتمعوا (١) لجنازته علماؤها ووزراؤها وسائر اهلها وصلوا عليه من جامع فاتحها سلطان محمد خان ودفنوه فى خارج باب ادرنه حملوه الى قبره بالرؤس ورؤس الاصابع سمعت من كثيرة الو الاشك فى كونه صاحب انماثة على ما فى الحديث خلد الله جسمه فى الجنة وروحه فى العالى ومن طالع مؤلفاته واطلع على حالاته وكمالاته واجتهاده على الملحدين بخلوص النية لايشك فيما قالوا والله اعلم بحقيقة الحال وحقية المقال اه بحروفه بلاتغيير ولوحظا كماترى والظاهر انه جرره حال صغره * قال السيد رضا وله ايضا فيه هذا التاريخ شعر اى عفيفى فوتنه تاريخ ايجون اهل كمال * شيخ كامل ديدلرهم شيخ اكمل ديدلر (٢) * قال وفى الحقيقة انه لم يكن محصورا فى ساحل السور بل عين له مدفن مخصوص بقرب قبر شيخه بجوار صرت تكيه خارج باب ادرنه ليكون مشرفا بشرف صحبة شيخه المعنوية وحرر على حجر قبره على وجه الاختصار تا تاريخ شيخ ابراهيم الخلوتى وحرر تحت هذه الالفاظ التاريخ المذكور آنفا بعنى المنظوم اه قلت اما المدارج فقد ذكر فى الكشف من غير ذكر مؤلفه وقال مدراج المنان فقط وقد ساق القدر نسخة مخرومة منه الى ملك هذا الفقير فضلا من الله سبحانه للفقير وكرامة للشيخ المذكور وذلك لانى اشتقت الى مطالعة الكتاب

(١) اكلو نى البراغيث منه عفى عنه
(٢) «شيخ كامل» ١٠٠١ «شيخ اكمل» ١٠٠١ .

المذكور بعدان اطلعت على اسمه فى السبع السيار ولما خرجت يوما من الايام الى سوق الكتب اراني واحد منهم كتابا بخط قلم وقال هذا يشبه خط بلادكم فلما طالعته رأيته الكتاب المذكور فكدت اطير من الفرح فاظهرت له الرغبة عنه لعلمي بعادات التجار ثم اشتريته بابخس قيمة فاذا هو فوق ما وصفه السيد رضا افندى ولاشك فى كونه من كرامة الشيخ ابراهيم فان وجود مثل هذا الكتاب الذى هو كعنقاء المغرب فى الندرة بخط قزانى بسوق مكة عند اشتياق الفقير اليه مع عدم سماع اسمه قبل ذلك قط لايشك فى كونه من خوارق العادات رحمه الله تعالى اوله الحمد لله الحى الحليم الحنان الملك المؤمن المهيمن المنان الخ فسر فيه آخر سورة الحشر الا انه ادرج فيه كثيرا من معارف الصوفية وذكر كثيرا من مكاشفاته فصار بذلك مجلدا ضخما فال وجعلت الكتاب كتابين كتاب مدراج الملك المنان فى بيان معارج الانسان وكتاب مواهب الرحمن فى بيان مراتب الاكوان وجعلت فى الكتاب الاول سبع دوائر وفى الثانى خمسا فصار الكل اثنى عشر على عدد الشهور الخ وذكر فيه اسم السلطان مراد الثالث وحربه مع العجم ولعل مراد السيد رضا بالكتابين هو هذا او يكون ذكر مكاتيب سبق قلم والله سبحانه اعلم واما والده الشيخ عبد الله عفيف الدين افندى فقد ذكر فى السبع السيار انه بقى من والده شابا ولذا لم يقبل مشيخة خانقاه والده حين وجهت اليه بل رغب فى التدريس وحيث كان للسلطان مراد الثالث محبة وعقيدة تامة لوالده المرحوم وجه اليه ابتداء بالخط الهمايونى تدريس المدرسة الداخلية ثم كان بعد ذلك تدريجا مدرسا فى الصحن ثم ارسل فى خانية غلامت كراى خان الى مملكة قرم لتسكين نائرة فتنة البغى والفساد بمياه الوعظ والنصيحة بتوجيه منصب قضاء كفه الى عهدته مع ضم منصب منكوب وصفداق اليه ولما وصل هناك اجتمع علماء قرم لامتحانه والقوا اليه مسائل غامضة فحل الكل بانامل فضله وعلمه وصار مسلما اليه الكل ثم بعد برهة لما وقعت له حادثة نبهة من الله ترك منصب القضاء وتوجه الى زيارة بيت الله وقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم مترنما بهذه الابيات شعر

الى متى انت باللذات مشغول * وانت عن كل ماقدمت مسئول *

فی کل یوم ترجی ان تتوب غدا * وانت عزمك بالذ . و يف محلول *
وبعد ان رجع من الحج بالتبری عما سوی الله تعالی اشتغل بالارشاد وتربیة المریدین فی زاویته التی انشأها فی قریة سید ایلی بقرب کفه وتوفی فیها ودفن فی فناء القریة المذکورة یزار ویتبرك به وقد بلغ اولاده من ازواجه وسراریه الی مائة کاملة اه ولم یذکر تاریخ وفاته بل قال فی خانیة بهادر کرای خان وکان وفاة الخان المذکور فی سنة ١٠٥١ فیکون قبلها قال ومن جملة اشعاره
نوجوانم کبی یاری کشیبه یار اوله چق * غم چکرمی قمو عالم آنکا اغیار اوله چق
نوله زار ایلر ایسم کل یوزنکه فرشوشها * بلبل ایتمزمی فغانی کل وکلزار اوله چق
مفتیء عشقه محبتدن اولندقده سوآل * دیدی جائزدر اول عاشق دیدار اوله چق
سن کل کلشن حسنه نیچه مانند اوله سن * باغ عالم کلینك دامنی پرخوار اوله چق
ای عفیفی کورن اول یار وفاداری دیدی * بو بله اولمق کرك اشته کشیه یار اوله چق

وله ایضا اشعار

بغلیوب ابروارنك شکلن کورندی چون هلال *
خلق ییمز ایچمز اولدی عاشق شیدا مثال
کاه را اولدی کهی دالی اولدی ماه نو دلا *
رمز ایدرصان روزه یه کیم اولمق ایستر غیره دال
صوم هجرنك ماه وسال اولسه نکارا غم دکل *
عاشق صادق اوله چق آخری عید وصال
خواب راحتده یتان بیدرد بیلمز قدر رنکی *
درد ایله بیدار اولان عشاقه قیل عرض جمال
حالنك افیونی غدا سن بولمالیدن خسته دل *
بنده ء کمتر عفیفیه دیمز سن کیف حال

وله ایضا

اولکه ذات پاك بیهمتاسنه هو قویمش اد *
یارده کوسترمش آدین آنکا آهو قویمش آد
روح محضه آد ایچون استاد یازمش الف دال *
الفه قد وداله جانا جعد کیسو قویمش آد

ايليوب بر ذره ئى واسع فلكدن دلديمش* انكا بر مهر ضيا كستر قلوب اوقويمش آد

طبع پاكنكدن چقان آب زلال شعرنكه* اى عفيفى اهل دللر جوى دل جو قويمش آد

اه الى غير ذلك من الاشعار الرائقه والحكم الفائقة رحمه الله تعالى وذكرنا ابا هما اعنى الشيخ ابراهيم وولده الشيخ عبد الله العفيفى مع انهما ليسا من علماء دولة سراى قطعيا انما هو استطرادا لذكر الشيخ حق محمد والد الشيخ ابراهيم المذكور ولنتبرك بذكرهما بادنى مناسبة فان الشيء بالشيء يذكر والحاق النظير بالنظير مما لا يستنكر مع انهما من فضلاء التتار هذا فهؤلاء الكبراء المذكورون هنا قد خلد ذكرهم فى بطون الدفاتر بهجرتهم الى الديار التى يخلد ذكر اكابرهم الى يوم القيمة فى بطون التواريخ بعد ان صارت عظامهم رفاتا فى المقابر واما الذين لم يهاجروا الى تلك الديار بل ماتوا فى ديارهم فقد مات ذكرهم بموتهم ودفن فضائلهم بدفنهم انا لله وانا اليه راجعون شعر

فى الناس قوم اضاعوا مجد اولهم * مافى المكارم والعليا لهم ارب
سؤ التأدب ارداهم وارذلهم * وقد يزين وضيع المنصب الادب

ومن جملة من اتى سراى من الخارج الشيخ شرف الدين ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ثم الطنجى المعروف بابن بطوطة الرحال الشهير دخل تلك البلاد ايام الملك محمد اوزبك واقام برهة بمدينة سراى وحاجى طرخان وقد ذكر فى رحلته الشهيرة تحفة النظار من احوال تلك البلاد والسلطان اوزبك خان وقد نقلنا عنها فى مجموعتنا منه فى مواضع عديدة ودخوله هناك على ما يفهم من كلامه ما بين الثلاثين والاربعين سنة بعد السبعمائة وشهرة كتابه تغنى عن التوصيف ولم اطلع على تاريخ وفاته وقد ذكر فى آخر رحلته انه فرغ من تقييدها فى ٣ ذى الحجة سنة ٧٥٦ رحمه الله تعالى ومنهم مولينا قطب الدين محمد بن محمد الرازى شارح الشمسية وغيرها المتوفى سنة ٧٦٦ ومنهم العلامة سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ وقد ذكر شرف الدين البتليسى قدومه الى سراى سنة ٧٥٦ ايام

جانى بك خان بشرحه المختصر للتلخيص كما مر ومنهم القاضى محى الدين البردعى كما مر فى ترجمة جانى بك خان ايضا ومنهم الشيخ علاؤ الدين احمد بن (١) محمد السيرامى المتوفى بمصر سنة ٧٩٥ فانه لما تفقه ببلاده على جماعة وبرع فى الفقه والاصول والبلاغة درس فى خوارزم وسراى وقرم وتبريز وافتى بها ثم اقام بمصر ومات هناك رحمه الله تعالى فى التاريخ المذكور واخذ عنه السيد الشريف الجرجانى ومولانا يعقوب الجرخى وغيرهما من كبار العلماء ومنهم الشيخ الامام نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن نصر الموصلى المعروف بابن النجام مات بالجار وخية فى الثانى من ربيع الآخر من سنة ٧٣٠ ودفن بمقابر الصوفية بدمشق ومولده فى سنة ٦٥٢ بالموصل وخرج من بلده وهو صغير وطوف البلد واقام ببغداد مدة واشتغل بالعلم ثم استقر بمدينة سراى فى مملكة اوزبك خان وكان قدومه الى دمشق فى سنة ٧٢٤ وكان شيخا فقيها طبيبا رحمه الله تعالى ذكرهما العلامة البدر العينى ومنهم الشيخ كمال الدين الحجندى قدس سره كان من اكابر الصوفية وكان على الدوام مشغولا بالرياضات والمجاهدات وقد اقام بتاشكند فى اوائل حاله لقيه هناك والدخواجه عبيد الله احرار قدس سره ثم سكن بتبريز وكانت له اشعار رائقة يريد بها ستر احواله عن الاغيار او يقصد ان لا يكون الظاهر مغلوب الباطن ولما استولى عسكر توقتامش خان على تبريز فى سنة ٧٨٧ كما مر اخذوه معهم الى سراى ولما اعجبه هواء سراى واستحسنها وطاب وقته قال على عادته لستر حاله هذا البيت الفارسى بيت اگر سراى همين ست ودلبر ان سراى * بيار باده كه فارغ شوم از هر دو سراى * قيل له هين اقامته بسراى ان الموضع الفلانى يغربه الماء كثيرا وقت طغيانه ولما قرب وقت طغيان الماء امران يضرب خيمته هناك ففعلوا فاقام بها فمضى وقت طغيان الماء فلم يصل هناك ولم يحصل له خراب اصلا وبعد ان اقام بسراى ١٤ سنة رجع الى تبريز بعد تخريب

---

(١) قلت ذكر فى الفوائد البهية علاؤ الدين على السيرانى وقيل السيرامى وهو الصواب قال اخذ عن السيد جلال الدين الكرلانى صاحب الكفاية واخذ عنه سراج الدين عمر قارئ الهداية تواريخ وفاته سنة ٧٩٠ والظاهر انه هو هذا وانما اختلق فى الاسم سهو عفى عنه .

تيمر لنك تلك الديار وتوفى بتبريز سنة ٨٠٣ وقبره هناك قيل كان له بتبريز خلوة كان يسكن بها وقلما وصل هناك غيره ولما مات رأوها فلم يجدوا فيها غير حصير بال وقطعة آجر كان يتوسدها قدس سره ونور الله مضجعه ورأيت في مجموعة بيتين فارسيين بشبهان البيت السابق ولعل الاول منهما له فاستنسبت ان اثبتها هنا وهما شعر

ساقيا مي بده ومطرب خوش كو بسراى * فارغم ساز بمستى زغم هرد وسراى *
مژده آورد صبا از طرف شهرسراى * مژده كافى بده اى خلوتيع نافه كشاى *

اه ومنهم الفاضل العلامة الشيخ شهاب الدين احمد ابن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشهير بابن عربشاه الدمشقي صاحب عجايب المقدور في احوال تيمور وغيره من المؤلفات كان عالما فاضلا عاملا اديبا ناظما جال في البلاد واخذ عن الاكابر وله تصانيف ولد سنة احدى وتسعين وسبعمائة ومات في رجب سنة ٨٥٤ جود القرآن العظيم بمدينة سمرقند وقرأ بها النحو والصرف على تلامذة السيد الشريف الجرجاني وكان يحضر ايضا مجلس السيد ويسمع دروسه الى آخر ماذكره التيمي قلت اقام بمدينة حاجي طرخان مدة سنين واخذ فيها عن الحافظ البزازي واختص به وقد مر في موضعين من هذا الكتاب ذكره اياه عند قدوم عصام الدين السمرقندي الى حاجي طرخان وقد اكثرنا النقل عنه في هذه المجموعة وقد تقدم ذكر قدوم العلامة الرازي والعلامة التفتازاني والسيد جلال الدين شارح الحاجبية والشيخ احمد الخجندي نقلا عنه وان سراى صارت بواسطة هؤلاء الاعلام معدنا للكمالات الى آخر ماذكر وقد مر ومنهم ولده عبد الوهاب الشيخ الامام العالم العامل البارع الكامل تاج الدين ابو الفضل ولد بحاج ترخان سنة ٨١٣ ونشأ مشتغلا بالعلم مواظبا عليه فاخذ عن ابيه وعن غيره الى ان برع في اوانه وتميز بين اقرانه وكان في الفضائل قريبا من ابيه او مساويا له وتوفي سنة ٩٠١ وله تاليف كثيرة وعليها تقاريظ للعلماء الكبار وكان اكثر تاليفه منظوما اه من الطبقات السنية بالمعنى في بعضها اذا احطت علما

بالتراجم التى قدمنا من اخذ اعلام مصر وسراتها كولى الدين العراقى والعلامة المزابن جماعة عن اصحاب تلك التراجم واقتدائهم فى النسج على منوالهم كالعلامة العينى وانهم اقل من القليل بالنسبة الى من لم يذكر واوعرفت رتبة هولاء فى العلم والفضل وتذكرت ماقاله العينى من ان احدامن الحاضرين لم يفهم ما تضمنه مكتوب دولت بردى خان من نكات المعانى ومحاسن البديع وعلمت ايضا ان مصر قد بلغت فى العصر المذكور فى كثرة العلماء المحققين والفضلاء المدققين والادباء المتفننين مبلغا لم تبلغه قط لاقبل ولابعد وتعلم صحة ماقاله ابن عربشاه وتحكم بانه لم يبالغ فيما قاله قط بل تكلم بالصدق والحق وتعرف يقينا كيف كانت تلك البلاد فى العصر المذكور فى العلم والفضل ثم اذا تأملت فى احوالها من العلم والفضل والتحصيل فى عصرنا هذا وقايستها الى تلك الاحوال تعلم انه اى خزينة ضاعت عنا واى دولة زالت فان كنت من ابناء تلك الديار وفيك ادنى احساس وشعور لااظنك تملك نفسك من البكاء والحزن اسفا متر نما بهذا القول شعر :

بلى الناس قبلى لا كمثل مصائبى * بدمع مطيع كالسحائب الصوائب *
وكنا جميعا ثم شتت شملنا * تفرق اهواء اعراض الهوا كب *
فقدنا زمان العز والمرء جاهل * بقدر العيش قبل المصائب *

وان لم تكن من ابناء تلك الديار او لم يكن فيك احساس وشعور فى حق الكبار فاعلم و اشهد انى ذبت اسفا واموت حزنا وكمدا شعر :

سبور دنى التذكار حول المهالك * ولست عن التذكار نفسى بمالك *

نعم ان الطبائع مختلفة والمشارب متغايرة ولله در القائل لافض فوه

شعر :

اذا كنت لاتدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم *
وما اعظم راحة الغافل * وما اكثر مصيبة الفاضل *

المقصد الثالث فى بيان احوال قزان وماجرى على خوانينها واهلها من حوادث الزمان اعلم ان قزان فى الاصل اسم لنهر (١) بنى فى مصبه من

(١) يجرى من الشمال الى الجنوب وبلدة قزان فى شمال النهر المذكور ونهر ايدل منه عفى عنه .

نهر وولغا بلدة قزان فسميت باسمه وامثالها فى ذلك كثيرة فى تلك البلاد كبليدة منزلة سميت بها لكونها مبنية فى مصب نهر منزلة من نهر اق واما تسمية النهر بهذا الاسم فاما لكونه محفورا كالقدر او لوقوع قدر فيه فان معنى قزان بالعربية قدر او لغير ذلك من الوجوه والله اعلم به واول من بناها وانشأها صرتق خان ابن باتوخان المار ذكرهما قال كارامزين فى بيان ابتداء بناء قزان ان باتوخان ارسل ابنه صرتق مرة مع العساكر لمحاربة الروسية فاستقبلته حكام الروس بالخبز والملح علامة للاطاعة فترك محاربتهم وصالحهم وقبل هداياهم ثم نزل مع عساكره منزلا فامرهم ان ينتخبوا موضعا صالحا للاقامة بحيث يكون موقعه وماؤه وهواءه جيدة تصلح لسكنى الملوك والزارعة ويكون قريبا من بلاد الروسية ليسهل جمع الخراج منهم وليكونوا نصب عيونهم وتحت انظارهم ومراقبتهم دائما فوقع انتخاب امرائه ما امرهم به على موضع (١) بلدة قزان الآن فبنوا فيه بلدة وانشأوا قصورا ملوكية وكان فيه اولاجيات وسائر حشرات وسباع فجيء بساحر فمحاها كلها بسحره وسموها قزانا بمعنى القدر او القمر الذهب فاجتمع فيها خلق عظيم من التتار وسرماتيا (چيرميش) وچواش ووتاك وبرطاس (موردوا) وبلغار وغيرهم وكلهم كانوا مسلمين واهل قزان الآن من نسل هؤلاء الاجناس المختلفة المختلطة وكانت تلك الاقوام المختلفة هربوا سابقا من ولاية راصتوف حين دخل ولاديمر فى النصرانية يعنى واجبرهم على ذلك فاستوطنوا فى تلك النواحى وسميت تلك الديار الى زمن كثير بديار صاين نسبة الى صاين خان يعنى باتوخان وديار صرتق ايضا نسبة الى بانيها صرتق خان وكانت بلدة قزان واقعة فى حدود بلغار اه يعنى فى داخل حدودها قلت الظاهر ان صرتق خان ابن باتوخان اقام بها الى آخر عمرها حيث تقدم انه كان ساكنا فى حدود الروسية عندبيان مجيىء بوريس اليه فى اواخر عهد باتوخان والله سبحانه اعلم واما موقعها فهى فى الاقليم السابع وفى آخر المنطقة المعتدلة وفى آخر درجة ٥٦ من العرض الشمالى والتفاوت بين طولها وبين طول بلدة بلغار المار

(١) والمفهوم من العبارة الاتية ان هذه البلدة التى بناها صرتق كانت قريبة من بلدة قزان الحاضرة والظاهر انها كانت فى كولباشى والله سبحانه اعلم منه عفى عنه .

ذكر ما دقائق يسير قو قد مر تحقيقه في المقصد الاول وهذا كله تقريبي بالاخذ من خرائط الروسية وهي في الضفة الشمالية من نهر وولغا ونهير قزان بين مصب الثاني في الاول وفي جنوبها الشرقي غدير كبير طولاني يسمى بقبان كولي وما تفوه به بعضهم من انها انما سميت قزان لبناء الملك محمود غازان المشهور اياها فهي من قبيل التفوه بان ابليس وادريس ويعقوب وامثال ذلك من الاسماء العجمية انما سمي مسمياتها بها للابلاس والدرس واخذ لعقب وامثالها في ان كلا منها (١) هوس محض وغلط صريح واما مبدأ تشكل الخانية فيها وكسبها الاستقلال بعد تقلب الاحوال الماضية عليها حين كونها جزأ من دولة سراي وآلتون اوردو فهو في سنة ٨٤١ وزوال استقلالها باستيلاء الروس عليها بتاتا في سنة ٩٥٩ فيكون مجموع مدة استقلالها ودوامه ١١٨ سنة وفي حين استقلالها وانفصالها من دولة سراي او قبيل ذلك بيسير وهو الصواب لما مر انفصلت عنها ايضا قرم وبربة قزاق وسيبيريا كما ان خوارزم انفصلت عنها ايام تيمرلنك فبقيت دولة سراي بعد ضعفها الكلي بانفصال هذه الممالك عنها قريبا من سنة ٨٧٠ ولكن انفصلت عنها بعد ذلك حاجي طرخان ايضا واما تفاصيل احوالها فاول من تسلطن وصار خانا بها وضبط امورها واستقل فيها فهو الوغ محمد خان ابن تيمر خان المار ذكره وذلك انه لما ترك سلطنة سراي في سنة ٨٤١ بسبب غلبة اخيه كوك محمد خان ابن تيمرخان على ماذهب اليه الفاضل المرجاني او اخيه كچيم او كوچيم احمد خان على ماذكره كارامزين بسبب الغلط الناشئ عن اشتباه الاسمين في تلفظ الروس كما مر بيانه او السيد احمد خان ابن جلال الدين خان على ما فاه به الحاج عبد الغفار افندي او كوك محمد خان ابن ايچكلي حسن على ما اختاره هذا الفقير كما مر كل ذلك التجأ بمن معه من اهله وعياله وخواصه وكافة اتباعه وهم مقدار ثلاثة آلاف نفس الى الروسية وذهب الى بلدة بيليف من بلاد ليتوا واراد ان يسكن فيها الى ان يدبر امره ويعيد سلطنته بواسطة بقية

---

(١) فانك قد علمت في المقصد الثاني احوال ملوك آلتون اوردو وملوك ايران بني هلاكو وما بينهما من العداوة والمضادة دائما وان اولاد باتو كانوا غالبين عليهم دائما فاين لهم بناء بلدة قزان هاهنا فتنبه .

اتباعه في سراى وبامداد كيناز موسكو واسيلى تومنى ابن واسيلى وظن ذلك منه انما مرانه احسن اليه بنصبه كينازا الى موسكوا دون عمه يورى حين تحاكما اليه في هذا الخصوص بسراى قبيل ذلك وخفف الخراج عن الروسية ومنع الاغارة عليها كما مر كل ذلك عند بيان خانيته بسراى ولكن ظهر من واسيلى خلاف ما ظنه واملوعكس ما امله حيث ارسل اليه بأمره بالخروج من الروسية فتحير الخان من وضعه هذا وكان الوقت موسم الشتا وشدة البرد وتيقن ان الاحسان الى غير اهله كتعليق الجواهر في اعناق الخنازير وصدق قول الشاعر شعر :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف من غدى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

وتيقن ان تملقهم انما هو لعدم القدرة ولكنه لم يلتفت الى سفيره قط لعلو جنابه فارسل واسيلى عسكرا كثيرا قيل اربعين الفا تحت قيادة اخيه الكيناز شيما كو وديمتيرى الاحمر لاخراجه من الروسية بالقوة الجبرية وقد بنى الوغ محمد خان حوله استحكاما من الجليد على ما قيل قال كارامزين ولكن لم يكن هذان الرجلان كسائر القواد بل كانا كرؤسا الاشقيا حيث نهبوا الروسية نهبا كليا ولم يتركوا قرية من قرى الروس الواقعة في ممرهم من غير نهب الى ان وصلوا الى بيليف وجمعوا اموالا عظيما ولما وصلوا الى بيليف عرض عليهم الخان ايضا المصالحة ولكنهم لم يقبلوا ذلك بل هجموا عليهم بلا مهلة فدخلت التتار في استحكامهم وقد قتل في هجومهم هذا ختن الخان ثم ارسل اليهم حضرة الخان في اليوم الثانى اولادهم الثلاثة يطلب منهم المهادنة والامهال الى ان يدبر امره ويعيد سلطنته ويعرض عليهم ان يرهن لهم ابنه محمود ويعدهم بترك اخذ الخراج والجزية منهم ان عاد الى سلطنته وخانيته فلم يصغوا اليه ولم يلتفتوا فطبل اصروا على عنادهم ولجاجهم فلما رأى اولاد الخان الثلاثة ذلك التمرد تحرك عرق غيرتهم وصاحوا بصوت عال باننا نحكم لكم السيف اذا ولما سمع عسكر الروس منهم ذلك ماجوا وماجوا واخذتهم الرعشة فطفقوا يهربون بلا سبب لا يلوى احد منهم على احد بل يهرب كل منهم طرف توجهه فتعجب عسكر الخان من هربهم هذا بلا سبب وقد تقدم ان مجموع اتباعه ثلاثة آلاف واكثرهم

عزل الاسلاح معهم وان عسكر الروس اكثر من عشرة امثالهم فتعقبوهم من ورائهم وقتلوهم كلهم شر قتلة بحيث لم ينج منهم احد سالما ثم عادوا الى حضرة الخان واعلموه بما جرى ولكنه من حيث كونه في غاية من العقل ونهاية من التدبير والدراية لم يغتر بتلك الغلبة الاتفاقية بل استعد للخروج من الروسية حالا خوفا من وخامة العاقبة فتوجه من فوق بلاد موردوا (برطاس) الى جهة بلغار لكونها من بلاد المسلمين وابعد نقطة من سراى حتى كان لاينفذ فيها حكمهم منذ اختلال تيمرلنك وكانت على نوع استقلال من ذاك الوقت والذلك وقعت الاغارة عليها من جهة الروسية مرارا كما مر في محله ولذلك اختار تلك الجهة ليحميها من شر الاعداء ويعيد مجده وسلطنته الزائلة فيها فاتى بلدة قزان وهي خربة فان الروس كانت خربتها سنة ١٣٩٩م وسنة ٨٠٢ه كما مر وبقيت خرابة هكذا مدار بعين ٤٠ سنة ولم يبق بها الا بعض المساكين فحط رحل اقامته بها وبنى بها قلعة حسنة حصينة بقرب (١) القلعة القديمة وجمع الاقوام الذين كانوا في اطرافها من المغل والتتار وبلغار وسرماتيا (چرميش) وچواش واسكنهم في قزان وكانت الاقوام المذكورون في محن عظيم ومشقة شديدة من اغارة الروسية عليهم ونهبهم وقتلهم واسرهم اياهم ففرحوا بقدوم محمد خان فرحا عظيما كانهم كانوا في حالة الاحتضار فقاموا وتعافوا وانتعشت ارواحهم ولم يمض من ذلك اشهر قليلة الا وقد شرع الناس في الهجرة اليها من جميع الاقطار من حاجي طرخان ومن اوردو (سراى) ومن ازاق ومن قرم ومن جميع الاطراف لما ان الفتن قد سادت في تلك البلاد وانتشرت المحن وانعدم الامن والامان في ارجائها مذ اربعين سنة بل اكثر فاستوطنوا بقزان ونواحيها فامتلأت تلك الاراضي بالانسان في اقرب مدة وجعلوا الوغ محمد خان خانا لانفسهم واطاعوه وتشبثوا بذيل عدالته واستأمنوا في ظل هيبته وشهامته فكان محمد خان المذكور ثاني بانيه واول خوانينه العظام فاختلط الاقوام المذكورون ثانيا بعضهم ببعض وصار الكل قوما واحدا وسموا كلهم باسم تتار قزان وزلزلوا الروسية اكثر من مائة

---

(١) وهذه العبارة هي التي اردناه بقولنا سابقا المفهوم من العبارة الآتية منه مفى عنه

سنة زلزالاشديداوابقوافى السنة الناس لانفسهم شهرة عظيمة لما ابدوا فى
تلك المدة من البسالة والشجاعة والحماسة مالم يسمع مثل من غيرهم قط مع
قلتهم وحدوث تجمعهم واستقلالهم ذكر هجوم محمدخان على موسقوا
ورجوعه عنها بغنائم كثيرة ولما تمكن الوغ محمدخان فى مسند الخانية بقزان
واطمئن خاطره وترسخ قدمه لم يكن له هم الاالانتقام من واسيلى تومنى الذى
اغاظه غيظا لايمكن تسكينه الابتأديبه وارجاعه الى حده بسل سيف باتوخان
جده فجمع عسكرا يسيرا وسار الى موسقوا قال كارامزين وفى السنه
الثانية من تشكل خانية قزان ظهر الوغ محمدخان تحت بلدة موسكو ابعسكر
خفيف فهرب واسيلى منها الى وولغا خوفا من سطوة الخان لشبابته وفوض
حراسة موسكوا للكبنار بورى ولد بطريق ليتوا ولكن لم ترد التتار ان
تدخلوا موسكوا بل نهبوا اطرافها وجمعوا منها اموالا جسيمة واسراء فوافولوا منا
ورجعوا الى قزان بغنائم كثيرة قلت كيف يمكن لهم الدخول بموسكوا بتلك
العساكر القليلة بل كان قصد حضرة الخان اظهار السطوة وابراز الشجاعة
وجمع الغنائم لاحتياجهم اليها وقد حصل وهذا هو غاية الشجاعة وماوراءها
فتهور قصد محمدخان الكبير بلاد الروس مرة ثانية قال كارامزين فى
خلال بيان حوادث سنة ١٤٤٥ م وسنة ٨٤٩ ﻫ بعد ذكر وقعة الامير مصطفى
المار ذكرها وفى الوقت المذكور ظهر عدو كبير مخوف للروسية وذلك ان
الوغ محمدخان القزانى سار الى الروسية وقصد نيژنى نووغورد القديم
واستولى عليها وعلى اطرافها ثم توجه منها الى بلدة مورم ولكن جمع واسيلى
تومنى بن واسيلى عسكرا عظيما وكان فى عسكره كثير من امراء الروس مثل
شيما كو وايوان بن آندرى الموژايئى واخيه ميخايل وبريسكى وواسيلى بن
يارسلاو فلما علم الوغ محمدخان ذلك وكان الموسم شتاء والهواء باردة غاية
البرودة راى ان المصلحة فى الرجوع فرجع الى قزان ووقع الحرب اليسير بين
ساقة عسكر محمدخان ومقدمة عسكر واسيلى اﻫ ذكر ثالث سفر الوغ محمدخان
الى بلاد الروسية واسره كينازها واسيلى تومنه قال كارامزين وفى اول ربيع
من السنة الثانية يعنى اول سنة ٨٥٠ ﻫ جاء الخبر الى موسكوا بان الوغ محمدخان

استولى الى نيژنى نووغورد وارسل شبليه الامير محمود والامير يعقوب الى سوزدل (١) فاستولى الخوف العظيم على الكيناز واسيلى لانه كان فرق عساكره فى الشتاء فامر بجمع العساكر وسار بنفسه بعسكر موسكو الملاقاة الشبلين الامير محمود والامير يعقوب واقام ببلدة بوريف ولحق به هناك عسكر كثير وامراء كثيرة فسار الكل قاصدين عسكر التتار فالتقى الفريقان فى ميدان بقرب مناستير يفيموف ولما انتشب بينهما القتال انكسرت التتار وولوا الادبار وتعقبهم الروس قليلا ثم شرعوا فى جمع الغنائم وكان قصد الاميرين المذكورين هو هذا فكروا اليهم راجعين واخذوا من ورائهم واحاطوا بهم من كل جانب وحكموا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا فلم يسلم منهم الا من نجى بنفسه هرباً وسقط الكيناز واسيلى مجروحا فاسروه مع جمع كثير من مقربيه وامرائه وقواده واغتنموا من الاموال ما لا يعلم حسابه الا الله ونهبوا مدنا كثيرة من مدنهم وخربوها واحرقوها بالنار فاخذ الاميران المذكوران الصليب الذهب الذى كان فى عنق الكيناز واسيلى وارسلاه الى امه واولاده فى موسكوا ليكون علامة صادقة على ظفرهم وغلبتهم وتذكرة لها وكانت الوقعة المذكورة فى اوائل يونيه (حزيران) من التاريخ المذكور فلما سمع اهل موسكو الخبر المذكور غابوا عن حسهم ولبسوا ملابس الحزن وشرعوا فى البكاء والانين معانقين بعضهم بعضا وصاروا يضربون فى الكنائس نواقيس المأتم وكان لا يعرف بعضهم بعضا كالسكارى وطفق اهل القرى التى بقرب موسكوا يلتجئون الى كريمله (القلعة الداخلية) تاركين بيوتهم واموالهم وكانوا منتظرين لورود التتار ساعة فساعة ثم ظهر الحريق فيها فى نصف الليل وانتشر فى البلد كلها واحترق فيه زهاء ثلاثة الاف نسمة واما الاموال فلم يعلم حسابه الا الله فهربت ام واسيلى واولاده مع امرائه الى راستوف فلم يبق فى موسكوا فى مدة يوم وليلة حاكم ولا كرسى سلطنة فطفق الاهالى يهربون من موسكوا ولا يدرون اين يذهبون بل كان كل منهم يتوجه الى جهة يميل

(١) وهذه الوقعة هى التى عناها الجنابى ومنجم باشى حيث قالوا ان الوغ محمد اخذ بلاد ولاديمير من الروس منه عفى عنه

اليهافلبه فلم يبق بها امير ولا واحد من رؤسا روحانيبهم وانما بقى العوام والاوباش فصاروا يقتلون الهاربين لئلا يخلو البلد عن المستحفظين وشرعوا فى احكام البلد وقرروا الامر على المدافعة وقد ارسل من جهة امرى حاكم توير بوريس بن اليكساندر عسكرا لنهب تورژيك واطراف موسكوا فصارت حالة موسكو انموذجا من احوال يوم القيامة واهوالها بحيث او صارت التتار اليها الاستولوا عليها فى ساعة واحدة بلا ممانعة احد من غير شبهة ولكن لما كان نظرهم مقصورا على المال وقد استغرقوا فيه لم يسيروا الى موسكوا بل ساروا الى ولاديمير بعد ان استرحوا فى مناستير بفيمف يومين ثم رجعوا منها من طريق مورم الى نيژنى نوفورد الى حضور ابيهم محمد خان بما معهم من الغنائم والاسارى فسار الوغ محمد خان بالاسارى فى ٢٥ اغستوس الى بلدة قورميش ثم ارسل المرزا بيكيج الى شيماكو الذى هو رقيب واسيلى يعرض عليه كينازية الروسية بشرط ان تكون الروسية خراجية وتابعة لمحمد خان فقبل شيماكو سفير الخان بغاية البشاشة واكرمه واضافه بضيافة عظيمة وفرح لاسر واسيلى فرحا زائدا وقبل جميع ما شرط عليه الخان بشرط ان يبقى واسيلى اسيرا الى آخر عمره ثم ضم الى سفير الخان سفيرا من طرفه يسمى فيودر الدوبينى ليتم المعاهدة مع حضرة الخان واما حضرة الخان فانه لما رأى تأخر سفيره المرزا ابيكيج وقد شاع بين الناس ان شيماكو قد صار حاكما على الروسية وانه قتل المرزا ابيكيج وشرع فى جمع العساكر لمحاربة محمد خان وشاع من جهة اخرى ان واحدا من خوانين بلغار يسمى لبى خان استولى على قزان وان الموقع الذى هو فيه لا يساعد الحالة الاقامة فيه مع وجود منه المخاطرى رآى ان المصلحة فى الرجوع وان الاقامة فيه لا يخلو عن المخاطرة وهذا هو سبب عدم تقدمهم الى موسكو امع قلتهم فبعد المشاورة مع اركان دولته قرار اؤهم على انهم يفدون الكيناز واسيلى بمقابلة مال يأخذونه منه ثم يردونه الى مكانه بالشروط التى شرطوها على شيماكو ولما عرضوا ذلك على واسيلى كاد ان يطير من الفرح وقبل جميع ما شرطوا عليه بالعين والراس فاطلقوه فى اول يوم من التشرين الاول (اوكتوبر) مع جميع من كانوا اسروا معه

من امرائه قال المورخ وفى عين يوم الاطلاق حصلت زلزلة عظيمة فى موسكوا انهدمت بسببها ابنية كثيرة وخاف الناس خوفا شديدا وظنوا انه قد قامت القيامة فتوجه واسيلى الى موسكو امع امرائه ومع جمع عظيم من امراء التتار وعساكرهم ليجلسوه الى صندل اليه وكان المرزا ابكيج فى الوقت المذكور فى الطريق مع سفير شيماكو وقد عبروا انهر اوقه من مورم متوجهين الى نيژنى نوغورد ووصلوا الى مناستير دودين فلما سمعوا هناك اطلاق واسيلى وتوجهه الى موسكوا رجع سفير شيماكو الى مورم واوقف الكيناز آبولينسكى قائم مقام دودين المرزا ابكيج فيه اه نعم اذا اراد الله شيئا هيأله الاسباب خيرا كان اوشرا الا ترى ان دولة الروسية لما لم يجيء وقت انقراضها وان شرورا كثيرة منوطة ببقائها انتعشت بتلك الاسباب الموهومة بعد ان ظنت انها سقطت بالكلية وخرجت من يد التتار بعد ان دخلت فيها ولعل هناك اسباب اخر لاطلاق واسيلى غير مذكورة فى التواريخ والا لما استعجل مثل الوغ محمد خان المتصف بكمال العقل والدراية ونهاية التدبير والشجاعة فى اطلاق واسيلى واخراج الدولة العظيمة بالسهولة من يده بعد ان وقعت فيها كما يدل عليه الوقعة الاتية الفجيعة واما البى خان البلغارى فقتله محمود بن محمد خان قاله كارامزين وقد جعله الفاضل المرجانى على بك وعلى كل حال فقد دلت تلك الوقعة اعنى استيلاءه على قزان وجود حاكم البلغار فى الوقت المذكور فتكون بلغار ايضا موجودة فيه وقد قال كارامزين ان محمد خان لما سمع دخوله فى قزان واستيلاءه عليه استعجل ان يعود الى بلغار وقال الحاج عبد الغفار افندى ان الوغ محمد خان اخذ قزان من يد آلتون آى سلطان الشيبانى بالحيلة وضبطه اه فهذا ايضا يشعر بوجود حاكم هناك فى الوقت المذكورة والظاهر ان حكام تلك الناحية كانوا وقتئذ حكاما صورة عارين عن الحقيقة والحمية بل كانوا من قبيل الزنبور الاحمر اكلة اموال الرعايا ظلما كحكام ماوراء النهر وغيرها فى عصرنا هذا وقد ذكر الفاضل المرجانى انتقال الوغ محمد خان من قزان الى قورميش بعد تقرره بقزان اولا واجرى هنا احتمالات خيالية لافائدة فى ذكرها لكونها خالية عن التحقيق وان كانت ممكنة فى حد ذاتها

ولم يذكر شيء من احوال الوغ محمدخان في المدة التي بين سفره الاول والثاني الى الروسية وهي مدة سنة ولا يبعد ان ينشئ في قورميش في تلك المدة بعض القلاع والحصون لكونه اقرب الى الروسية من قزان كثيرا والله سبحانه اعلم

ذكر موت الوغ محمدخان عليه الرحمة والغفران وجلوس ولده محمود خان قال كارامزين وفي سنه ١٤٤٦ م وسنة ٨٥٠ ه في عين الوقت الذي اسر التتار واسيلي ظهر في قزان اختلال عظيم لاجل امور موسكوا وذلك ان محمود بن الوغ محمدخان اراد ان يكون خانا فقتل اباه محمدخان واخاه (١) وجلس مكانه واعلن نفسه خانا فانعدم بظلمه احسن الخوانين واعقلهم واشجعهم اه **قلت** يفهم من ذلك ان حصول هذه الوقعة انما هو سبب الاختلال في امور الروسية فيحتمل ان محمود المبرض (٢) باطلاق واسيلي فحصل ما حصل ويحتمل ان يحصل الاختلاف بينهما في امر آخر فصار هذا الاختلاف سببا لاطلاق واسيلي كما اشرنا اليه سابقا والله سبحانه اعلم وعلى كل حال فوقوع هذه الحادثة وضياع مثل هذا الخان العظيم الشان في مثل ذلك الزمان انما هو من اكبر المصائب على قومنا واعظم الاقبال للروسية انا لله وانا الله راجعون فيكون مجموع مدة خانيته ٢٨ سنة ١٨ سنة منها في سراي و ١٠ سنة في قزان ووقائعه المذكورة هي التي نسبها كثير مورخي الاسلام كالجنابي ومنجم باشي الى كچي محمدخان والحال انه ليس لشيء سوى الاسم المجرد كما قلنا والاشتباه من الاشتراك في الاسم واتحاد عصريهما وبعد هذه البلاد عن بلاد الاسلام وعدم التواريخ من قومنا والله يهدي من يشاء الى صوب الصواب رحم الله الوغ محمدخان المذكور رحمة واسعة **ذكر اغارة عسكر قزان على الشمالي الغربي من بلاد الروسية** **وقال** كارامزين بعد ذكر الوقعة المذكورة وفي العام المذكور اغار سبعمائة نفر من عسكر محمود على بلدة اوستوغ (٣) واستولوا

---

(١) قال الفاضل المرجاني اسمه يوسف. منه عفي عنه.

(٢) وقد قال الفاضل المرجاني عند بيان خوانين خان كرمان ان الاميرزاده قاسم بن الوغ محمدخان اراد ان يتملك قزان ففاوض واسيلي المذكور في هذا الخصوص فوعد بالامداد والاعانة لذلك ان سعي هو في تخليصه من الاسارة فحصل بينهما العهد والميثاق على ذلك فسعي في تخليصه ونجح فلعل محمود خان اضطر الى ارتكاب جنايته والده لدفع هذا الشر والفساد اه والله سبحانه اعلم. منه عفي عنه .

(٣) في ولايت ولوغدا .

عليها وعلى غيرها من البلاد ثم باعوها من اهلها ولكنهم ماتوا غريقين فى نهر ويتلوغ • وقال فى خلال بيان وقائع سنة ١٤٥٥ م وسنة ٨٦٠ هـ بعد بيان وقعة مازوفشاه ابن السيد احمد خان المار ذكرها ومن جهة كان اهل قزان ايضا اعداء للروسية وكانوا يغيرون عليها دائما فاراد واسيلى ان يحاربهم فخرج قاصدا قزان فلقيه فى ولاديمير سفير خان قزان فتصالحا ثم رجعا اه قلت ولم يذكر فى تاريخ كارامزين حوادث له غير ما ذكرنا ولم يعلم تاريخ وفاته الا ان الفاضل المرجانى قال ان وفاته كانت سنة فى ٨٦٨ ثم جلس مكانه بعده ابنه خليل خان ولكن لما اخذ عنه الخانية اخوه ابراهيم بالغلبة عليه فى سنة ٨٧٢ وكانت مدة خانيته قليلة لم يصل الينا ما يعتمد عليه من احواله اه قلت قد ذكر الحاج عبد الغفار افندى ايضا كون صاحب الترجمة ابنا لمحمود وخانا بعده من غير ذكر التاريخ ولم يقع له ذكر فى تاريخ كارامزين بل لم يقع منه شئ من احوال قزان بعد الذى مر ذكره عنه الى سنة ٨٧٢ اعنى مدة ١٤ سنة ذكر خانية ابراهيم خان ابن محمود خان القزانى تسلطن فى قزان سنة ٨٧٢ بعد الغلبة على اخيه خليل خان على ما ذكره الفاضل المرجانى وكانت امه تحت نكاح قاسم خان ابن الوغ محمد خان الذى هرب (١) من اخيه محمود خان مع اخيه يعقوب بعد قتل ابيهما الى الروسية فاعطاهما واسيلى قلعة ميشچر التى كانت على نهر اوقه من ولاية رزان فسموها بخان كرمان وسماها الروس كاسيمسكى (٢) وهى مشهورة الى الآن بهذين الاسمين فانما كان تزوجها بعد موت اخيه محمود ذكر قصد قاسم خان مملكة قزان ومحاربته ربيبه ابراهيم خان القزانى لاجل الخانية بامداد الروسية اياه بعساكر كثيرة قال كارامزين فى اثناء بيان وقائع سنة ١٤٦٧ م و سنة ٨٧٢ هـ ان اهالى قزان ارسلوا الى قاسم خان الذى كان يقيم بخان كرمان تحت حماية الروس وكان صديقا للكيناز ايوان الثالث ابن الواسيلى الثالث المكفوف من صميم قلبه يطلبونه ويدعونه الى انفسهم خفية لينصبوه

(١) وهذا بناء على ما ذكره الفاضل المرجانى ولم اره لغيره فالعهدة فى ذلك عليه منه عفى عنه.

(٢) نسبة الى القاسم المذكور منه عفى عنه.

خانا لانفسهم بعد عزل ابراهيم خان فاخبر قاسم خان الكيناز ايوان بذلك وطلب منه الامداد بعسكر الروس ففرح ايوان بذلك غاية الفرح فان اضرام النار على مزرعة العدو بيد الغير هو غاية مطلوب العقلاء المدبرين وايضا انه كان بينه وبين رعاياه برودة بسبب تبديل مطران موسكوا باخر فاراد اشغالهم واستمالة خواطرهم لمحاربة اعدائهم اهل قزان فارسل اليه عسكرا كثيفا من موسكوا تحت قيادة ثلاثة من قواد الروس فانضموا الى قاسم خان وهو القائد الاكبر على الكل وكان ذلك ايام الخريف وان اقبال الشتاء من العام المذكور اعلاه وكان قصد قاسم خان ان يهجم على قزان فجاءة من غير ان يشعر احد بمجيئه ولكن كان لابراهيم خان خبر منه وقد جمع عسكرا عظيما وارسل قطعة منهم الى ساحل نهر وولغا لاستقبال عسكر الروس وقد كان هذا السفر في غاية الصعوبة للروسية فان الامطار كانت تنزل بلا انقطاع بالليل والنهار بمقتضى الموسم وانقلبت الطرق غير قابلة للمشي من الوحل وكانت خيولهم تموت من التعب وكان عسكر الروس ياءكلون تلك الخيول الميتة من الجوع فلما زادت هذه الاحوال بلة في الطين انقلبوا مدبرين راجعين الى الروسية من غير ان يصغوا الى اوامر احد ولكن ابراهيم خان لم يتجاسر ان يتعقب عسكر الروس الا انه ارسل فصيلة من عسكره الى غالج حدود الروسية ولكنهم لم يقدروا ان يفعلوا شيئا كبيرا فان الكيناز ايوان كان قد دبر امر الحدود من اقامة المستحفظين فيها وكانت طائفة من عسكر الروس توجهت في ٦ الكانون الاول تحت قيادة واحد من قواد الروس نحو ولاية وانكا للاغارة فيها على السرمانيا (الجرامشة) فمروا بالغابات الكثيرة في تلك الثلوج والبرد الشديد في مدة شهر فقتلوا واسروا وافسدوا وغنموا ثم رجعوا الى موسكوا سالمين وفي تلك الاثناء اخرج واحد من قواد الروس مغيري اهل قزان من كوستراما وكذلك اخرج قائد آخر من الروس طائفة من مغيري عسكر قزان من ولاية مورم واضر كثيرا على اهل قزان في ساحل نهر وولغا قلت فهذه الاحوال تدل على ان اهل القزان ايضا اضروا واذروا كثيرا بالروسية قال ثم اراد ايوان ان يضعف

ابراهيم خان ويسقط قوته وان يستميل قلوب الروسية بذلك فجمع كافة عساكره وجميع قواده واعيان الروسية وسار نحو قزان بهذا العسكر الكثيف وخلف مكانه فى موسقوا اخاه الاصغر اندرى واخذ ولده الذى كان عمره عشر سنين ليعلمه العسكرية ولما وصل الى الحد الفاصل بين مملكتى الروسية وقزان جاء الخبر بوصول سفير كيناز ليتوانيا كازيمير فرجع الى موسكوا وارسل من ولاديمر فصيلة من العسكر تحت قيادة واحد من قواده الى ولاية واتكا الى سواحل نهر قاما حيث كان يغير فيها طائفة من عسكر قزان فقتلوا واسروا ونهبوا واحرقوا وافسدوا حتى وصلوا الى سواحل نهر قاما بل الى سواحل النهر الابيض (آق ايدل) وصادفوا هناك سفن التجار فضبطوها حيث كانت تلك الثغور خالية من المستحفظين ولم يصادفوا ادنى مقاومة الا انهم لقوا مائتين من عسكر قزان فقتلوهم عن آخرهم واسروا اثنين من امرائهم ثم رجعوا من پيرمى الكبير من طريق اوستيوغ وكوستراما الى ولاديمر وموسكوا الان ابراهيم خان ارسل الى ولاية واتكا طائفة من العسكر فادخلوهم فى طاعة ابراهيم خان بالسهولة قال وارسل الكيناز ايوان قطعة من عسكر موسقوا تحت قيادة فيودر خريپون رايپولفسكى من نهر وولغا الى قزان فصادفوا فصيلة من عسكر ابراهيم خان الخاص به فاقتتلوا حتى فنيت تلك العساكر واسروا بواقيهم وفى جملة الاسارى الامير خواجه م بيردى المشهور وهنا يتبجج كارامزين ويقول والعجب ان عسكر التتار الذين كانوا لا يزالون يغيرون على الممالك الاجنبية صاروا لا يقدرون على المدافعة من انفسهم ولا يدرى انه لا يكفى للاغارة والمدافعة الشجاعة فقط بل لابد معها من الكثرة وعلى الاقل الكفاءة ذكر قصد الكيناز ايوان بلدة قزان مرة ثالثة قال وفى سنة ١٤٦٩م مصادفة سنة ٨٧٣هـ امر الكيناز ايوان فى اوائل الربيع بجمع العساكر الكثيفة لضرب قزان ضربة قوية وامرهم بالاجتماع فى نيژنى نووغورد فخرج عسكر الروس من موسكوا وقولومنا وولاديمر وسوزدال وموروم وديميتروف وموژاى واوغليچ وراستوف وپارصلاو وكوستراما وغير ذلك من بلاد الروس وساروا

على السفن من نهر وولغا واوقه وغيرهما من الانهر الصالحة لسير السفن وكان المنظر هائلا جدا لكون هذا السفر اول سفر سار فيه عسكر الروس من الانهر (١) على السفن وبينما كان القائد الروسى الكيناز قونستانتين على عزم السفر من نيژنى نووغورد اذورد عليه الامر من الكيناز ايوان بالتوقف فى نيژنى نرغـورد منتظرين اباه وارسال عسكر خفيف الى الاغارة على ممالك قزان قال ولم يبين المورخون سبب انقلاب فكر الكيناز ايوان الان قاسم خان الذى كان محرك هذه الفتن مات فى تلك الاثناء فارسلت زوجته نور سلطان بكه والدة ابراهيم خان الى الكيناز ايوان تثنيه عن فكره فى محاربة ولدها ابراهيم خان وتعده ان تصالح بينهما فظن الكيناز ايوان انه يستولى على مملكة قزان بهذا الطريق بالسهولة من غير محاربة ولكنه ظهر خلاف ظنه فان القائد المذكور لما قرأ فرمان الكيناز ايوان على العسكر قالوا من فم واحد انا لا نرجع من هنا من غير ان ننتقم من اعدائنا التتار قال كارامزين وكان تستعمل اذذاك القوة الجبرية مكان العقل والتدبير فركبوا سفنهم وجاؤا نيژنى نووغورد القديمة واجروا فيها المعاملة الروحانية على عاداتهم ونصبوا شخصا يسمى ايوان رون قائدا ورئيسا لانفسهم وساروا نحو قزان ولما وصلوا الى قريب منها خرجوا من سفنهم وهجموا على اطراف قزان وقت الصبح وحيث كان الاهالى اذذاك الوقت فى لذة النوم واعزه غافلين عن مسيرهم فضلا عن وصولهم استولت عليهم الدهشة والحيرة ولم يقدر احد على مقاومتهم وممانعتهم فدخلوا الازقة الكائنة هناك وساروا نحو القلعة واخرجوا منها اسارى الروس وقتلوا كل من صادفوه من كبير وصغير وذكر وانثى وافسدوا افسادا كبيرا واحرقوا اطراف قزان واحترق كثير من الاهالى فى تلك الحريقة ثم رجع عسكر الروس الى سفنهم المنحوسة بعدما ارتكبوا فظائع شنيعة بغنائم كثيرة وساروا بسفنهم الى جزيرة هناك تسمى جزيرة البقر وخرجوا اليها واستراحوا فيها مقدار اسبوع واحد ثم اتهمت عسكر الروس

١) يعنى فى الاعصر الاخيرة وبعد خروج التتار او من سائر الانهر والا فقد ساروا اولا على نهر دنيپر ودنيستر ودون وولغا بل على البحر الاسود ايضا منه عفى عنه .

قائدهم ايوان رون باخذ الرشوة من اهل قزان وقالوا انه كان بمكننا ان ندخل قزان حين احترق اطرافها فلم يفعل وان لم يمكن الدخول فلاى شئ لا يرجع الى موسكوا بهذه الغنائم والاسارى ولاى شيء يختار القعود هنا فلا بد ان له خطأ وامرا مخفيا ولا نأمن ان يجمع ابراهيم خان العسكر ويهجم علينا وقد كثر القيل والقال من هذا القبيل وقد صدق ظنهم فانهم بينما كانوا فى هذا القيل والقال ادجأ واحد من اسارى الروس الكائنين بقزان واخبرهم بان ابراهيم خان جمع جمعا عظيما من التتار واطراف نهر قاما والنهر الابيض وو انكاو باشقورد (١) ومن اجناس شتى وقصده ان يهجم على معسكر الروس صباحا فوقع عسكر الروس بسماع هذا الخبر فى الهرج والمرج واستعدوا للمقابلة واعطى قائدهم المذكور الاوامر اللازمة وبينما هم فى الانتظار اذ ظهر عسكر قزان فى الصباح وجرى بين العسكرين مناوشة ما لا اهمية فيها وفى تلك الاثناء جاءت طائفة اخرى من عسكر الروس من نيژنى نووغورد تحت قائدهم الاكبر كونستانتين بيزز وبصف وارسلوا الى الكيناز ايوان يخبرونه بوقعة الحال فشرع فى جمع العساكر مجددا من اطراف بلاد الروس بارسال الاوامر وتشويق الاهالى الى الحرب وارسل الكيناز دانيل اليارصلاوى وامره بضم عساكر وانكا الى نفسه فاجابه اهل ولايه وانكا انا حلفنا لابراهيم خان على ان لا نحارب فنحن على الحيادة لا نعين الروس ولا اهل قزان الا انه اذا جا الكيناز الاعظم او احد اخوانه نذهب معه بناء على وعدنا اياه فبقى عسكر الروس مكذا منتظرين مجيئ الامداد فلما لم يجيء عسكر وانكا رجع كونستانتين الى نيژنى نووغورد ففى تلك الاثناء جاءت نور سلطان بك وقالت انما جئت من عند الكيناز ايوان لقطع الحرب وعقد الصلح بينه وبين ولدى ابراهيم خان على مراد ايوان فنزل عسكر الروس بساحل وولغا

---

(١) وهذا هو المراد بما ذكره بعض مورخى الروس فى منتخباته التاريخية عند ذكره طائفة باشقرد وحين حارب الروس ابراهيم خان القزانى وجد مع ابراهيم خان آلايات الباشقرد . منه عفى عنه .

وجلسوا على موائد الاكل لان اليوم المذكور كان يوم الاحد وبينما هم على ذلك اذ ظهر عسكر قزان بغتة فرسانا وراكبين السفن وهجموا عليهم فاصطفى عسكر الروس بغاية التعب والمشقة فنشب بينهما القتال فانحاز عسكر التتار الى جهة اخرى من وولغا وصاروا يرمون الروس بالنبال والرصاص ودام هذا الحال طول الليل ولما اصبح الصبح لم يتجاسر واحد من الطرفين على الهجوم فسار كونستانتين بيزز وبصف الى نيژنى نووغورد وفى هذا الحال جاء الامر لكيناز دانيل البارصلاوى بالمسير الى قزان لينضم الى عسكر الروس الذين هناك وان لم ينضم اليه عسكر وانكا فاستخبر ابراهيم خان عن مسيره فقطع طريقه من النهر بسفنه ووقف الفرسان فى الساحل فنشب القتال بين الفريقين فى الحال واختلط بعضهم ببعض فلا تسأل عن رؤس طارت وأيد طاحت واعضاء انكسرت فالذى لم يقتل من عسكر الروس صار مجروحا او وقع اسيرا ولم ينج منهم الا القليل قال وقد اظهر الكيناز واسيلى الاوختومى الغيرة حيث رد عسكر القزان الى ساحل النهر وخرج عسكر اوستيوغ بخرق صفوف عسكر قزان وهربوا الى نيژنى نووغورد فاشتهر الكيناز دانيل البارصلاوى بالكيناز عديم البخت والاقبال فارسل ايوان اليهم دينارين والبسة ومدحية فاعطوا الدينارين للقسيس وطلبوا منه الدعاء ... قال ولما ايقن الكيناز ايوان انه انخدع من والدة ابراهيم خان جمع فيلقا آخر من جميع اجناس العساكر وامر عليهم افوبه بورى واندرى وضم اليهم اولاد الاعيان (بويار) وكافة الامراء والقواد وفيهم من المشاهير ايوان البورى الباتريكى وايوان الخولمى فساروا من البر والنهر فاضطروا ابراهيم خان الى الصلح على مراد الكيناز ايوان ورد الاسارى من الطرفين قال وهذا اول غلبة نالها الكيناز ايوان فى خصوص قزان وبعد ذلك شرع امر حكومة قزان فى التنزل والانحطاط والضعف .

ذكر قصد ابراهيم خان بلاد الروسية ومحاربته اياهم قال كارامزين وفى

سنة ١٤٧٨ م مصادفة سنة ٨٨٣ هـ نقض ابراهيم خان القزانى الصلح الذى بينه وبين الروسية وهجم على ولاية واتكا فاستولى عليها وكان سبب نقضه الصلح انه بلغه ان ايوان الثالث ابن واسيلى صار مغلوبا فى محاربة نووغورود وتخلص من المعركة مع اربعة انفار فقط من اتباعه وهرب ثم انه لما تيقن كذب الخبر المذكور ندم على فعله ولم ينفعه الندم فان اهالى استوغ ووانكا والقائد الموسكوفى خربوا جميع البلدان والقرى التى بين نبرثى نوروغورد وبين قزان بل خربوا القرى التى بشاطىء نهر قاما واحرقوها بالنار وافسدوا فيها افسادا كبيرا فبذلك انتقم ايوان من ابراهيم خان ولكن لما كانت الريح شديدة رجعوا من نهر قاما ثم طلب ابراهيم خان الصلح فتصالحا اه ولم اطلع على شىء من احوال فيما بين الواقعتين المذكورتين الذى هو مدة سنة ١١ وهى مدة خانية ابراهيم خان ذكر وفاة ابراهيم خان وجلوس اكبر اولاده الهام خان مكانه قال كارامزين لم يبق ابراهيم خان بعد الصلح المذكور الا قليلا ثم توفى وخلف اولادا كثيرة من نساء شتى فوقع بين اولاده بعد وفاته نزاع وجدال فى الخانية وظهر بين وكلائه ووزرائه ما ينافر الاداب وينافى المدنية فان بعضهم كان يريد ان يجلس مكانه ولده الاكبر الهام خان وكان ظهره ومعينه خان نوغاى وبعضهم يريد ان يسلطن ولده الاصغر محمد امين وكان اكبر نصاره منكلى خان القرمى فانه كان تزوج بامه نور (١) سلطان بك بنت المرزا تيمور بعد وفاة ابيه ابراهيم خان وكان ايوان كيناز موسكوا ايضا يريد ذلك لكونه ربيب صديقه منكلى كراى خان ولكن لما كان لالهام خان نفوذا بين الوكلاء سلطنوه ونصبوه خانا فكان ايوان متأثرا من ذلك غاية التأثر فاخذ محمد امين الى موسكوا واعطاه بلدة كاشير للتصرف فيها كتصرف الهام خان فى قزان وكان يترقب احوال الهام خان دائما ويترصد الفرصة لاجل نزع الخانية عنه ان امكن ولهذا اقام فى حدود مملكة قزان واحد

---

(١) قلت تقدم آنفا ان والدة ابراهيم خان هى نور سلطان بكه تزوجت بعد موت ابيه محمود خان بقا . م خان وهنا يقول ان والدة محمد امين خان ابن ابراهيم خان ايضا نور سلطان بكه والظاهر بل الصواب انهما شتان سميتا باسم واحد منه عفى عنه .

من امرائه ليكون مطاعا على حركاته وسكناته وكان اهل قزان لا يحبونه لسوء ادارته ولذلك اضطر الى المصالحة والمسالمة مع ايوان ولكنه لكونه ذي خدعة وحيلة كان يغر ايوان ويغشه ويغير على القرى التابعة للايوان ويغربها دائما اذ قلت شعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

وحيث لم يكن ايوان راضيا بتسلطنه لعلمه بعدم مطاوعته اياه فلابد ان يطلب مايشينه وما يسقطه من علو مكانته ولاشك فى انه اغرى اهالى قزان عليه لينال مارامه ولكنه نسب قبحه الى الهام خان شأن من يحاول لبراءة ذمته من قبحه ونسبته الى خصمه **ذكر هجوم الروسية الى قزان واسر الهام خان** قال كارامزين ولما طالت مدة خدعة الهام خان للكيناز ايوان وعيل صبره اراد ان ينتقم منه فارسل فى نيسان (آپريل) سنة ١٤٨٧ م وسنة ٨٩٣ ﻫ محمد امين خان مع دانيل الخولومى بجيش كثيف الى قزان فوصلوا اليه فى ١٨ مايس وحاصروه واستولوا عليه فى ٩ يوليه بالهجوم واسروا الهام خان فبلغ هذا الخبر فيودر زاپولونسكى الكيناز ايوان بموسكوا فعملوا افراحا وزينة لم يسبق لها مثل قط لكون سببها عديم المثل قط وهو الاستيلاء على قزان الذى هو كرسى مملكة محمود خان الذى اسر الكيناز واسيلى والد ايوان قبل هذا بسنين عديدة وحبسه فى سرب وامر بحمل الهام خان الى موسكوا فجاؤا به هناك مع امه وزوجيته واخوته فلم يبق فى موسكوا احد من الكبير والصغير والغنى والفقير والحر والعبيد والصحيح والسقيم والشريف والوضيع والذكر والانثى لم يخرج للتفرج وتعجبوا من اسر ملك التتار غاية التعجب فان اسر ملك التتار ولو كان ملكا فى ولاية صغيرة متشكلة من جزء من انقاض دولتهم الكبيرة كان فى ذلك الوقت بالنسبة الى الروس من اكبر خوارق العادات ومن جملة المستحيلات التى لا تصدق ان لم تشاهد بالابصار وبعد ان اطمئن خواطرهم برؤيته بعيونهم ارسل ايوان الهام خان الى بلدة وولوغدا مع زوجتيه وارسل امه مع اخوته واخواته الى بيلى اوزير بولاية قارغولوم ذكر كتابة ايواق الخائن الشقى الى ايوان برجاء تخليص

الهام خان من الاسر و الهوان قال كارامزين فى خلال بيان وقائع سنة ١٤٨٩ م
وسنة ٨٩٥ ان الهام خان كان يقاسى انواع الشدائد والمحن فى محبسه
وكان اسارته ومقاساته الشدائد تثقل على ايواق الخائن الشيبانى او النوغائى
فكتب الى ايوان باتفاق جمع من المرازى (١) يطلب تخليصه من الاسر وهذا
صورة ما كتبه ايواق اناخان المسلمين وانت حميمى وصديقى فان اردت
صداقتى ومودتى اطلق اخى الهام خان من الاسارة واية فائدة لك فى حبس
ذلك المسكين انسيت عهدك الذى عاهدت به الهام خان وصالحته وواعدته
بالمودة والمصافاة واما الامراء والمرازى وهم المرزا آلاج (٢) والمرزا موسى
والمرزا يمغورچى وزوجته فكتبوا هكذا انت الكيناز الاعظم ملك عاقل
ومدبر ولايخفى عليك ان آباءنا كانوا احباء لك ولابائك دائما وانت تعلم ان الهام
خان اخونا ونحن نهدى لك السلام مع التعظيم والاكرام ونرجو من مرحمتك
ان تطلق اخانا الهام خان المذكور من الاسارة وان تقبل هدايانا القليلة وقد كان
بيننا وبينك عدو قوى وبسببه كنا مبعدين من دولة الروسية والآن قد
اندفع ذلك العدو (بعنون قاتلهم الله خوانين سراى واوردو الذهب عموما
والسيد احمد خان خصوصا) فنجدد قربنا ونريد مودتكم ومصافاتكم ونطلب
منكم ان يتردد تجارنا فى ممالككم بالتجارة احرارا ومعافين من رسوم الاعشار
اه قال ان ايواق خان وان ادعى كونه فى مرتبة خوانين سراى الاان
ايوان كان يعده فى الدرجة الثانية والمرتبة السفلى وكان لسان حاله ينشد

شعر: يابارقا باعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب *

ولهذا لم يجبه بنفسه بل اجابه بواسطة وكلائه الذين هم فى الدرجة الثانية
بالنسبة اليه وامرهم ان يكتبوه اليه ان الهام خان كاذب ناقض لعهده وحانث
فى يمينه وخادع وغادر وقاطع طريق ولهذا انزلته عن تخته وسرير سلطنته
فهو مملوكى واسيرى لااطلقه من الاسارة ابدا ولا استنكف من موادتكم

(١) جمع مرزا منه عفى عنه .

(٢) وهذان الشقيان كانا متفقين مع ايواق فى قتل السيد احمد خان عليه الرحمة والغفران منه عفى عنه .

ومصافاتكم قط ولكن بشرط ان تمنعوا اشقياء طوائف نوغاى من الاغارة على ممالك قزان التى هى مملكة ولدى محمد امين خان وهم من تبعة ايواق خان والحال انه لا يمنعهم من ذلك فلا يتركنهم يفسدون فيها من بعد ذلك وقد ارسلت واحدا من سفرائه وامسكت البواقى رهنا عندى حتى يراعى ايواق خان الشروط المذكورة ومتى اتم الشروط اطلقهم فى الحال اه قلت هذا جزاء سوء صنيعه فان ذلك الشقى ظن بزعمه الفاسد انه يتقرب الى ايوان بسوء الصنيع والفعل الشنيع ولكنه ظهر خلافه فان الكفرة ايضا يميزون الصادق من الخائن الغادر العاجز بل لم يمض الا زمن يسير حتى وقع على وطنه ما وقع على وطن السيد احمد خان عليه الرحمة والغفران وظهر مصداق قول الشاعر حيث قال شعر: ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت * اشجار نجد ولم يعبأن بالرتم *

والظاهر من اجتهاد ايواق الخائن هذا القدر فى حق الهام خان ان له تعلقا وقرابة به وسيجىء ان احدى زوجتيه كانت من بنات نوغاى وهل تعلقه بهم هو هذا القدر او له تعلق وارتباط (١) بهم سوى ذلك والله سبحانه اعلم وقد توفى الهام خان المذكور رحمه الله تعالى فى محبسه ذلك ولم اطلع على تاريخ وفاته وذكر الفاضل المرجانى ان امه صوفية ايضا توفيت فى محبسها واعيد اخوته واخوانه وزوجتاه الى قزان وكان مدة سلطنته ٩ سنة وقال الفاضل المرجانى انه حارب الروسية فى ساحل نهر زوه فانكسر ورجع منهزما ولم يستطيعوا ان يفتحوا باب القلعة ويدخلوا فيها فاسرته الروس هناك واستولوا على قزان وهو ثانى استيلائهم اه قلت الظاهر ان امراءه ونصاره قد خذلوه لما مر انهم كانوا فى انتخابه خانا فرقتين وانهم كانوا يبغضونه بعد كونه خانا لسوء ادارته ولاسيما لماجات الروسية بمحمد امين خان الذى كانت الفرقة الاخرى فى طرفه سابقا والافقد كانت عندهم وقتئذ قوة كافية لصد الروسية ودفعها وحماية ممالكهم منها مع ان الروسية لم تستول على تلك البلاد الا بهذه الكيفية. واما قول المرجانى ان هذا ثانى استيلائهم يعنى بالنظر الى استيلائهم

(١) وسيجىء ما يدل على ذلك عند بيان خوانين سيبريا فى المقصد الرابع فراجع هناك منه عفى عنه.

قبل تشكل خانية قزان فى ٨٠٢ سنة كما مر والافهذا اول استيلائهم بعده كما عرفت من الوقائع السابقة ذكر سلطنة محمد امين خان المقلب بايجم ابن ابراهيم خان قال كارامزين ولما استولت عساكر الروس على قزان واسروا الهام خان فبقيت شاغرة بلا صاحب وصارت فى قبضة الروس تفكر ايوان فيما يصنع فيها فظهر له بعد التفكر ان جعل مملكة قزان وخانية بلغار تابعة للروسية واستدامتها كذلك متعسر بل متعذر فان التتار كانت حية وقوية فى الوقت المذكور وعندهم من الحمية والانفة والنخوة والشجاعة ما لا يقادر قدره خصوصا بالنسبة الى الروس ولا يتصور منهم والحالة هذه مع كونهم مسلمين ان يطيعوا الروسية التى طالما كانت تحت ادارتهم مع كونهم نصارى لانهم كانوا يعلمون انهم من ذيارت تلك الاسود الضاربة الذين طالما استعبدوا الروسية واجروا فيها احكامهم كما شاؤا ويعتقدون ذلك ويفتخرون بما هناك لا انهم كانوا ينكرونه كما يفعله الآن اهل القزان وانهم لا يبالون بالمغلوبية الموقتة التى هى ايضا جاءت من جهتهم يعنى لارادتهم استبدال محمد امين خان بالهام خان وتيقن انه يحتاج لضبطهم والحالة هذه الى عساكر كثيرة ومصارف وفيرة ووسائل غير متناهية فرضى بتلقيبه بملك بلغار ونصب محمد امين الشاب بواسطة قائده دانيل الخولومى خانا فى قزان واجلسه على سرير سلطنة آبائه بالاستحقاق فصارت مملكة قزان مرتبطة بالروسية بهذه الكيفية وتابعة لها بنوع تبعية وقد تقدم ان ذلك كان فى سنة ١٤٨٧ م وسنة ٨٩٣ هـ (١) قال كارامزين لتأييد تبعيته قزان الروسية بعد ذكر ما مر عنه من امر ايوان صديقه ايواق بمنع طوائف نوغاى من اغارتهم الى ممالك قزان وكان قزان وقتئذ فى حماية الكيناز ايوان وكان ايوان يأخذ منه الخراج ويؤيده ما كتبه محمد امين خان الى ايوان فانه كتب الى ايوان مأموركم فيودر كيسيلف قد جمع من ولاية سيويل عسلاوسمو اوافراسا كثيرة زائدة باسم الخراج فعليكم تنبيهه على انه لا يرتكب امثال هذا الامر المغاير للنظام اهـ

ذكر طرد محمد امين خان من قزان وجلب ماموق خان من نسل شيبان

(١) يعنى بعد مرور سنة (٥٢) من تشكلها منه عفى عنه.

قال كرامزين فى خلال بيان حوادث اواخر سنة ١٤٩٦ واوائل سنة ١٤٩٧ وسنة ٩٠٢ ﻫ ان محمد امين خان كان يجرى فى جميع اموره موافقا لنوايا ايوان ومرامه ولكن اهالى قزان كانوا لا يرضون عنه بسبب ظلمه واطاعته للروسية ولهذا اتفق بعض امرائه سرا على ان يجلبوا ماموق خان الشيبان من برية قفجق وينصبوه خانا لانفسهم وارسلوا اليه يخبرونه بما اتفقوا عليه فاطلع محمد امين خان على ذلك فارسل الى ايوان بموسكوا يستنجده فارسل ايوان الى قزان الكيناز زالر ايولوفسكى بعسكر كثير فهرب ماموق خان من قزان وسكنت الفتنة وانتظمت الامور فاذن محمد امين خان للكينار المذكور فرجع الى موسكوا بعسكره ولما مضى لذلك شهر اذا اتى محمد امين بلدة موسكوا مع اهله وعياله واخبر الكيناز ايوان ان ماموق خان استولى ثانيا الى قزان وطرده منها ولكن كان ماموق خان دنى الطبع خسيس الهمة غشوما ظلوما ولهذا اطفق ينهب اموال التجار ويؤذى الاهالى قبل ان يترسخ قدمه ثم خرج مع متفقيه الى جهة بلدة آرجه للاستيلاء عليه ويجرى عادته فيها من النهب والسلب ولكن عصت البلدة المذكورة عليه وقاومه اهلها اشد المقاومة لما سمعوا من ظلمه فايس من فتحها فكر راجعا الى قزان وقد اغلق اهالى قزان ابواب البلد عليه واتفقوا على طرده ومحاربته ان اصر واقاموا على سور البلد مسلحين وارسلوا الى ايوان يخبرونه بانهم لا يقبلون ماموق خان ولا محمد امين خان بل يريدون ان يملكوا على انفسهم عبد اللطيف خان اخا محمد امين خان ابن ابراهيم خان فكان الامر وفق ماطلبوا وكانت مدة خانيته محمد امين خان فى هذه النوبة تسع سنين ذكر تملك عبد اللطيف خان ابن ابراهيم خان قال كرامزين ولما بلغ ايوان ما ارسل امراء قزان بطلب عبد اللطيف خان فرح وارسل عبد اللطيف خان الى قزان مع الكينار دانيل الخولومى وفيودر باليتسكى وقطعة من العسكر فاجلسوه على سرير سلطنة آبائه بالاستحقاق ثم رجعوا الى موسكوا وكان ذلك فى التاريخ المار ذكره اعنى ٩٠٢ سنة ﻫ واما محمد امين خان فاعطاه ايوان بلدة كاشير وسير پوخ وخوطون من بلاد الروسية ولكن كان اهالى تلك البلاد يكثرون منه الشكاية للكيناز

ايوان لظلمه واذيته اياهم ولما بلغت منه الحوادث نور سلطان بكه بنت المرزا تيمور زوجة منكلى گراى خان القرمى ام محمد امين خان وعبد اللطيف خان حصلت لها غاية الاضطراب والهموم فكتب اليها ايوان بسليها ويقول لها ليطيب خاطرك ولا يحصلن لك ادنى تشويش فكما ان محمد امين خان ولدك كذلك عبد اللطيف ايضا ولدك وليطمئن خاطرك بان خانية قزان لا ينالها سوى ذريانك فسكنت روع نور سلطان بكه بهذا واطمئن خاطرها فكتبت الى قزان تخبره بانها رجعت من مكة المكرمة بايفاء فريضة الحج بالسلامة وانها فى عزم السفر على الروسية لرؤية اولادها وارسلت الى ايوان خانها هدايا نفيسة ثمينة على سبيل الهدية قال كارامزين وفى سنة ١٥٠٠ م وسنة ٩٠٦ ه ارسل ايوان الى قزان عسكرا تحت قيادة الكيناز فيودر بيلسكى لانه بلغه ان ولد الخان الشيبانى المسمى بآغالاق تعرض على مملكة قزان وهدد عبد اللطيف خان فلما سمع آغالاق توجه عسكر الروس رجع الى بلاده ورجع الكيناز بيلسكى الى موسكوا ولكن بقى فى قزان الكيناز ميخايل اكورربى ولوبان الراپولوفى لاجل صيانة الخان ومملكته من تعرض الاجانب ولوبان المذكور هو الذى طرد المرزا يغمورچى والمرزا موسى بعد اشهر حين اراد الطرد عبد اللطيف خان من قزان فمن هذا التاريخ ابتداء اقامة مأمور الروسية بقزان ذكر عزل عبد اللطيف خان واخراجه من قزان ونصب محمد امين خان مرة ثانية قال كارامزين فى خلال بيان وقائع سنة ١٥٠٢ م وسنة ٩٠٨ ه لما كثرت شكاية اهل القزان من سوء ادارة عبد اللطيف خان وتظلمهم منه ارسل الكيناز ايوان الكيناز واسيلى الى قزان للقبض على عبد اللطيف خان فقبض عليه وجاء به الى موسكوا ثم حبسه الكيناز ايوان فى بيلى اوزير الذى حبس فيه ام الهام خان واخواته ونصب محمد امين خان مرة ثانية خانا فى قزان وزوجه زوجة اخيه الهام خان السابق ذكره لانه كان توفى فى محبسه وبقيت زوجته ثم ارسل الى قزان ولما بلغ منكلى كراى القرمى حبس عبد اللطيف غضب غضبا شديدا وقد كان ذلك عقيب محاربة الروس الليتوا وانجاد منكلى كراى اياه وعقيب تخريبه بلده سراى وتفريق اهلها

بالكلية وتبشيره اخاه الكيناز ايوان وتهنيته بذلك فلما ظهر له منه هذا الصنيع السوء بدل المكافاة حصلت له غاية الغضب وكادت موادتهم تنقلب الى المعادات فكتب منكلى كراى الى ايوان يوبخه على ما صدر عنه ويهدده ان لم يتدارك بالتى هى احسن ومما كتبه انه يقول ان عبد اللطيف ولد شاب قد غلب عليه هواه وكان اللازم عليك ان تغمض من تقصيراته وتداريه فعل عقلاء الملوك فالآن لا بد من ان تطلقه من المحبس وتعامل معاملة الخوانين او ترسل الى هنا والافلا يبقى للعهد واليمين والصلح التى بيننا حكم البتة اما ترى انت ان بواسطة مصالحتنا ومعاهدتنا قهرت اعداءك وحصلت قوة كثيرة وها انا ارسلك خاتما ثمينا معمولا من قرن حيوان من حيوانات الهند يقاوم السموم حتى لو شربت السم لايكون له تاثير فيك اه ولما قرا ايوان مكتوب اخيه منكلى كراى تاثر منه غاية التاثر ولكن خاف ان يخرج عبد اللطيف خان من الروسية فاطلقه من محبسه وخصص له معاشا كثيرا يليق بالخوانين وامره ان يقيم بموسكو ليطيب خواطر منكلى كراى ونور سلطان بكه **ذكر مسير محمد امين على الروسية ومحاربته اياهم بعد مضى سنتين من جلوسه الاخير** قال كارامزين كان محمد امين مفتونا بزوجته التى بقيت من اخيه الهام خان وزوجها ايوان اياه ومبتلا بمحبتها وعشقها وكان لايصبر عنها قط وكان كلما تكلفه بشى يفعل وكانت هى صاحبة حمية قوية وغيرة عظيمة فقالت ذات يوم لمحمد امين خان فى اثناء الصحبة والعشرة تحريضا له على عصيان الروس وتهييجا لحميته الراكدة ايش انت فهل انت خان لا والله بل انت واحد من مامورى كفرة الروس ومطيع لكيف ظالم كافر وهو يعزلك متى شاء ويحبسك مثل اخيك الهام خان وتموت مثله فى الحبس اليس عندك ناموس وحمية اسلامية وغيرة دينية اما تعار من تبعية عبيد آبائك الست انت خانا مستقلا ولد ابراهيم خان ماذا حصل لك فعليك بالاجتهاد والغيرة وبذل الهمة فى تخليص رقبتك من رقية الروس واعادة استقلالك ومجد آبائك واجدادك الى غير ذلك من مهيجات حميته وغيرته فاثر كلامها هذا فى محمد امين خان واستولى على باطنه فحلف لها بالله على انه يخلص نفسه من زنجير تبعية الروس او يذهب

روحه في وسط السبيل ثم صار بعد ذلك يلتمس سببا يتوسل به الى مانواه فارسل في سنة ١٥٠٥م واوائل سنة ٩١١هـ الكيناز (١) اوفيمسكي الى ايوان يقترح عليه بعض الاشياء فغضب ايوان على محمد امين خان لبعض الامور فارسل اليه احد كتبته يسمى ميخايل ليبلغ اوامره اليه شفاها وليس عنده خبر مما هو وحيث كان الانقطاع من الروس مترسخا ومجزوما في قلب محمد امين خان اظهر لسفير ايوان المذكور ما اضمره في قلبه واغلظ عليه في القول وقتله وكان وقتئذ ايام سوق (٢) كبير في قزان في اواخر يونيه (حزيران) من العام المذكور وقد اجتمع فيه كثير من كبار تجار الروس لمبادلة اموال آسيا باموال الروسية على عادتهم في كل عام آمنين مطمئنين ليس في قلبهم ادنى خوف فان قزان كان يعد جزأً من اجزاء مملكة الروسية من ١٧ سنة اعني ابتداء تسلط محمد امين خان في النوبة الاولى فامر بقتل هؤلاء التجار وكافة مأموري الروسية هناك فقتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم احد واستولوا على اموالهم فامتلائت قصر محمد امين خان من الفضة والذهب ومخازن اهل قزان من انواع المال والنشب ثم سار محمد امين خان باربعين الفا من عسكر قزان وعشرين الفا من فرسان نوغاى على الروسية من غير تفويت فرصة ووصل الى نيژنى نوغورود بعد ان قاتل في الطريق من قاتله واخذ كثيرا من بلاد الروسية وحاصر نيژنى نوغورود وكان ثلاثة الاف من عسكر ليتوانيا محبوسين في محبس نيژنى فاطلقهم والى نيژنى وفرق لهم السلاح ووعدهم باعتاقهم من الاسر واعادتهم الى اوطانهم باسم الكيناز ايوان ان خدموا خدمة جيدة وحاربوا التتار وكان لهم مهارة تامة في الرمي مثل التتار فقتلوا اغازوجه (٣) محمد امين خان رئيس الطائفة النوغائية رميا بالسهم وكان امام العسكر يحرضهم على القتال ولما رأت طائفة النوغاى قتل رئيسهم فشلوا وارادوا الرجوع فلم يتركهم عسكر قزان ان يرجعوا فنشب بينهم القتال فاصلحهم محمد امين خان بعد جهد جهيد ثم رأى المصلحة في الرجوع فرجع الى قزان بالعجلة

---

(١) هكذا في الاصل المنقول عنه والظاهر انه من التتار . منه عفي عنه.

(٢) وهي التي تحولت بها مكاريا بعد ذلك منه عفي عنه.

(٣) وهذا هو الذي قد اسلفنا من تعلق الهام خان بالطائفة النوغائية منه عفي عنه.

فاستنت الروسية الى عسكر لينوا واعادوهم الى بلادهم وقد ارسل الكيناز ايوان مائة الف عسكر لمحاربة محمد امين خان ولكن القواد لم يريدوا ان يحاربوه فلم يتجاوز وابلدة مورم التى هى حدود الروسية من جهة قزان فرجع محمد امين خان بغنايم وافرة الى قزان من غير ان يمسه سوء فمرض الكيناز ايوان من كدره وحرصه على الانتقام من محمد امين خان وسلم روحه الى قابضها فى ٢٧ اوكتابر (التشرين الثانى) من العام المذكور وقد بلغ من العمر ٦٦ سنة و٩ اشهرا وكانت مدة تملكه ٤٣ سنة و٧ اشهرا قال كارامزين نقلا عن مورخى الروسية ان الايوان الثالث هذا ابن واسيلى كان عاقلا مدبرا وقد ترقت الروسية فى عصره ترقيا زائدا وصارت غنية وعظيمة جدا وتخلصت من اسر التتار واستقلت فانتشر صيته فى آوروپا فضلا عن الروسية قلت كان اصل سعادته ونجاح امره فى تسخير منكلى كراى القرمى واستخدامه فى نواياه وقد بلغ تسخيره اياه مبلغا انه كان لا يكتب الى ربيبه محمد امين خان مكتوبا الا بواسطة ايوان قاله كارامزين فبه قهر اعداءه وتخلص من اسر التتار وبه صار تراسل الدولة العثمانية ولم يعد منه ادنى منفعة لمنكلى كراى الا انه كان يغره ويريه انه يمنع اعداءه من التعرض عليه كما اطلعت على تفاصيل نعم اذا راد الله شيئا هيأله الاسباب واليه المرجع والماب ذكر قصد الروسية الانتقام من محمد امين خان بعد جلوس واسيلى الرابع مكان ابيه ايوان الثالث وتجديده المعاهدة بمنكلى كراى قال كارامزين ولما جلس واسيلى على صندلية الحكومة مكان ابيه ايوان رأى فى الاتفاق والمصالحة مع منكلى كراى خان فوائد لا تحصى وان سعادة الروسية وترقيتها منوطة بها فاراد ان يتبع خطة ابيه ايوان فى استخدامه فى نواياه فكتب اليه يعلمه بموت ابيه ايوان وجلوسه على صندلية الحكومة مكانه وانه يريد ان يجدد المعاهدة والمصالحة التى كانت فى عهد ابيه وطلب ورقة المعاهدة ليطلع عليها وارسل اليه هدايا ثمينة فقبل منكلى كراى هداياه وجميع ما قاله وارسل من طرفه اثنين من كبراء امرائه مع ورقة المعاهدة السابقة فلما اطلع فيها وكلاء واسيلى وجدوها مغايرة لما حررت فى عهد ايوان فطلبوا من السفيرين ان يحرروها على صورة اخرى فساعدهم على ذلك فكتبوها

على ما ارادوا وغنموها بغتمها قلت (هذا من خيانة دينك اليزيدين) وحلفوا من الطرفين عليها ذكر قصد واسيلي مملكة قزان للانتقام ورجوع عساكره منها لا بخفي حنين كما يقال بل باقبح انهزام قال كارامزين كان واحد من اخوة الهام خان (١) يقيم اسيرا في الروسية ببلدة راستوف ببيت آرخاري (رئيس القسسين الاسقف) يسمى بخدايقلي فتنصر في تلك الاثناء فزوجه الكيناز واسيلي اخته الشقيقة بوداكيو بعد ان سماه پيطرو وصار شيطانقلي فطمحت نفسه الخبيثة في ملك قزان فابدى ذلك لواسيلي بن ايوان وقد كان في خاطر واسيلي اخذ الثار والانتقام فطاب وقته من مطابقته لما نواه فاحضر الجيش الكثير وامر عليها اخاه الكيناز ديميتري بن ايوان وكان فيها من كبراء امراء الروس مثل فيودر بيلسكي وشيين والكيناز الكساندر الراستوفي وپاليتسكي وكورسكي وغيرهم من مشاهير الروس فسارت تلك الجيش الكثيف قاصدين مملكة قزان في اوائل سنة ١٥٠٦ م ومفتتح سنة ٩١٢ ه وعبروا نهر وولغا ووصلوا بلدة قزان في ٢٢ مايس وكانت الهواء حارة جدا فالتقى الجمعان بقرب قزان وانتشب بينهما القتال وكاد يقع الانهزام على عسكر التتار لقلتهم لولا ان سترهم السنار فداروا من وراء عسكر الروس وحالوا بينهم وبين سفنهم وقطعوا خط رجعتهم وركبوا عليهم وصاروا يقتلونهم كيف شاؤا ومات كثير منهم مغروقا في الغدير النجس واسر قسم منهم ونجى قليل منهم راكبين سفنهم وخرجوا الى طرف آخر من وولغا وانتظروا مجئ خيالتهم (فرسانهم) فوصل اليه فرسانهم ولما سمع الكيناز واسيلي هذا الخبر كاد يموت من الغيظ فارسل عسكرا آخر الى قزان تحت رياسة الكيناز واسيلي الخوالمي وارسل الى اخيه ديميتري مسرعا يأمره بالصبر وعدم الهجوم الى ان يصل اليه النجدة فلم يصغ اليه ديميتري بل هجم على قزان زاعما انه يجوز الغلبة فوقع عليه انهزام اقبح من الاول وطردوه من قزان الى مسافة بعيدة وقد اقترب وقت السوق الكبير الذي

قلت والظاهر بل اليقين انه اسير مع اخيه الهام خان وهذا هو الغرض من اسرهم والتشديد عليهم بحبسه في بيت وكلاء الشيطان بل غرضهم من اكرامهم ايضا هو هذا منه عفي عنه

تقدم ذكره فى الوقعة السابقة وقد اجتمع التجار من الاطراف والجوانب و فتحوا حوانيتهم ونشروا بضائعهم وعرضوها للبيع والاستبدال وقد نصب لمحمد امين خان وامرائه ووكلائه وسائر الاعيان ازيد من الف خيمة فى ميدان آرچه فهم فى التنزه والمسرة وانواع العشرة وابداء الزينة لغلبتهم على الروس وقد عمت المسرة للكل هؤلاء فى العشرة والتجار فى التجارة والنسوة تحت الستائر والصبيان فى اللهو واللعب يظنون انهم شردوا الروس بالكلية وتمت الغلبة عليهم وليس عندهم خبر من مجيئ العسكر الجديد من موسكوا واقترابهم منهم جدا وبيناهم على هذه الحالة اذ ظهرت عسكر الروس فى ٢٢ يونيه (حزيران) بغتة كبارقة البلاء وهجموا عليهم بلا مهلة فجاءة وطفقوا يقتلونهم قتلا ذريعا فشرع المسلمون فى الدخول الى البلدة والتحصن فيها بغاية السرعة تاركين خيامهم وامتعتهم واموالهم كما هى وكان يمكن الروسية ان يأخذوا البلد فى مدة خمسة او ستة ايام ولكن لما رأوا انواع الاطعمة والاشربة واسباب الراحة وقد بلغ التعب منهم غاية وظنوا انهم ظفروا بهم وصارت البلدة فى قبضتهم يدخلونها متى شاؤا اقبلوا على الاكل والشرب والنهب والسلب حتى نسوا الحرب فاستغرقوا فى الاستراحة والتنعم فى الخيام المنصوبة للخان والامراء وكان قوادهم يتبجحون ويفتخرون بانهم اخذوا بثار تجارهم وانتقموا من اعدائهم قبل مضى سنة واما محمد امين خان فكان ينظر اليهم من برج القلعه ويشاهد حركاتهم وسكناتهم بكمال التيقظ والدقة ويلتمس طرق الهجوم عليهم وينتهز الفرصة ويهيى عساكره لذلك لا يغفل عنهم لحظة فلما رآهم مستغرقين فى السفاهة كالمتنزهين اخرج من البلدة وقت السحر من الليلة الخامسة والعشرين من يونيه (حزيران) عشرين الفا من الفرسان وثلاثين الفا من المشاة وامرهم بالهجوم على عسكر الروس وهم فى الذ النوم حتى مراسهم مطمئنوا البال فهجموا عليهم كالاسود الضوارى وانقضوا كالنسور الكاسرة من كل جانب وركبوا عليهم وصاروا يقتلونهم كيف شاؤا ولم يكن لعسكر الروس هم الا فى الفرار لا ياوى احد على احد وتفرقوا شذر مذر كالغنم الهاربة من الاسد تاركين اموالهم وذخائرهم

ومهماتهم واسلحتهم وعساكر التتار يقتلونهم من ورائهم ويأسرونهم مع انهم لايبلغون عشر عشيرهم من حيث العدد فامتلاء ميدان آرچه بقتلى الروس وابتل بدمائهم وقتل من قوادهم الكيناز فوربسكى وپاليئسكى واسر القائد شيبين وكان يمكن بقاياهم ان يتداركوا امافات من مساهلتهم وعدم تيقظهم الا انه لم يكن احد منهم فى هذا الفكر بل صاروا يهربون بغاية الاستعجال راكبين سفنهم بعد ان قطعوا السلاسل والحبال التى ربطوابها سفنهم لعدم الفرصة لفكها الانخلاع قلوبهم من صولة التتار حتى ان كل من رأى منهم خيالا ظنه تتاريا يروم قتله الاان القائد فيودربن ميخايل الكيسبى وزادين (١) بن نوردولت القرمى رئيسى الفرسان وفقا للذهاب بعسكرهما من جهة البر الى مورم بابداء جرأة ما حتى انهامرا على مفرزة من عسكر قزان بعد جهد بليغ على مسافة ٤٠ ويرسته من نهر صور وقد كان فى عسكر الروس كثير من الممالك الاجنبية مسلحين باسلحة جديدة نارية كالبندق والمدفع وقد تركوا كل ذلك غنيمة لاهل قزان الا ان واحدا منهم لم يترك سلاحه بل حمله الى موسكوا فلما رأه الكيناز واسيلى قال له على وجه اللطيفة انك حفظت سلاحك ولم تحفظ نفسك الم تدران صاحب الصنعة اغلى عندى من الاسلحة ولم يواخذ الكيناز واسيلى احدا من قواده بتصورهم فى التدبير لكون رئيسهم اخاه ديميترى الا انه لم يستعمل قط بعد ذلك فى القيادة قال كارامزين وبهذا الانكسار والانهزام ابتدئى اول اعمال واسيلى كابيه ايوان وكان يجرى فى خاطره دائما ان ينتقم من محمد امين خان وكان لايستريح لذلك قط وكان قواده ايضا لايقصرون فى تحريضه على ذلك حتى هم ان يرسل جيشا الى طرف آخر من نهر وولغا تحت قيادة القائد المشهور دانيل شينه الاان محمد امين خان كتب اليه كتابا دقيقا يريد ان يصالحه وذلك اما لاستشعار قلة قوته او بمشورة من منكلى كراى القرمى فقبل واسيلى منه ذلك بشرط ان يطلق اسارى الروس فاطلق محمد امين خان جميع اسارى

---

(١) لعل جانآى الذى عده الفاضل المرجانى من جملة الخوانين خان كرمان . منه عفى عنه .

الروسية من التجار والعسكر مع سفير الروس سابقا ميخايل (١) بارو پكين وتم الصلح على ان يكون الامر على ما كان عليه في عهد ايوان يعني على نوع تبعية للروسية وعقد اليمين على ذلك الا انها كانت اسما بلا مسمى فان محمد امين خان كان لا يعطيه شيأ سوى بعض الهدايا وصارت حكومة قزان مستقلة في الحقيقة ومضت هذه الحادثة ايضا على هذا الوجه ، ذكر مراسلة منكلى كراى خان مع الكيناز واسيلى وطلبه منه ارسال عبد اللطيف خان اليه واباؤه عنه قال كارامزين في اثناء بيان وقائع سنة ١٥٠٨ م وسنة ٩١٤ ﻫ ان منكلى كراى خان ارسل سفراء الى موسكوا مع مكتوب مشتمل على بنود من جملتها ارسال العساكر الى حاجى طرخان لامداده كما مر في بيان احوال حاجى طرخان وطلب عبد اللطيف خان الى قرم لزيارة والدته نور سلطان بكه وارسال الجزية المقررة فقبل الكيناز واسيلى جميع مطالبه الا ارسال عبد اللطيف خان فانه لم يرد ان يخرجه من يده وكان يخافه ان خرج من الروسية فشاور وكلاءه في ذلك فاشاروا اليه بعدم ارساله فدعى عبد اللطيف خان لديه وعدد عليه ما صدر عنه من الجنايات وحبس ابيه ايوان اياه ثم قال انه عفى عنه لاجل منكلى كراى خان و انه اعطاه بلدة كاشير للتصرف فيها بشرط ان لا يؤذى اهلها وان لا يستحقر دينهم وان لا يخرج من الروسية بلا اذن منه ورخصة وان لا يخابر الدول العادية للروسية وان يخدم الروسية بالصداقة مثل وطنه وان يحلف على ايفاء هذه الشروط والوفاء بها وان واسيلى ايضا يحلف على ان لا يؤذيه ويضيق عليه فحلفا على ذلك وصدقا بينهما عند سفراء منكلى كراى خان وارسل اليه مع سفرائه سفيرا من عنده يسمى ماروزف للتشكر عليه وتأكيد المودة بينهما وصاهبان يلاقى محمد كراى اكبر اولاد منكلى كراى ويعاهد معه فان منكلى كراى كان قد شاخ جدا وتعرف وكان اكثر الامور بيد ولده محمد كراى المذكور ووصاه ايضا بان لا يقبل الحقارة من التتار لكونه

(١) ولعله الذى صار سفيرا هناك ايام عبد اللطيف خان كما مر . منه عفى عنه .

سفير كيناز اعظم وكتب السفير المذكور اليه من قرم بانه حين دخل من باب قصر الخان استقبل جميع امرائه بالتعظيم الا المرزا خدايار فانه لم يعظمه ولم يقم لبلوغ الله خواوب او قولوم يعني عبد وان الخان التفت اليه حين امتثل لديه وسقاه من كؤوس الفضة وانه سقى ايضا جميع الامراء الا المرزا خدا يار مقابلا لفعله السابق بل اشتكاه الى الخان وان الخان وان لم يقل له شيئا عنده الا انه غضب عليه بعد خروجه وطرده من عنده وان اولاد الخان طلبوا منه الهدايا فلم يعطهم شيئا لاجل صنيع المرزا خدايار ولم يرهم الدفتر ولم يسلمهم المكاتيب فارادوا حبسه فاجابهم بانه لا يخاف احدا سوى الكيناز واسيلي ومنكلي كراي خان الى آخر ما ذكر قال وعلى كل حال فقد بقي الامر على الموادة والمصادقاة واستخدام الخان المذكور في اغراض الروسية الى مدة ذكر ورود نور سلطان بكه زوجة منكلي كراي خان بنت المرزا تيمور لرؤية ولديها محمد امين خان وعبد اللطيف خان الى موسكوا وقزان قال كارامزين وفي سنة ١٥١٠ م وسنة ٩١٦ هـ اتت الى موسكوا نور سلطان بكه زوجة منكلي كراي خان لرؤية ولديها عبد اللطيف خان ومحمد امين خان ومعها ولدها من منكلي كراي خان صاحب كراي وثلاثة سفراء من طرف الخان فاستقبلها الكيناز واسيلي بغاية التعظيم واكرم نزلها واضافها بضيافات ملوكية مدة شهر كامل ثم توجهت الى قزان لرؤية ولدها محمد امين خان وبقيت هناك مدة سنة واصلح في تلك المدة بين ولده محمد امين خان وبين الكيناز واسيلي بن ايوان فعادت مياه المصافاة بينهما الى مجاريها السابقة ثم عادت نور سلطان بكه ثانيا الى مسكوا فبقيت فيها في تلك النوبة في قصر الكيناز واسيلي ستة اشهر فقدم اليها غاية التعظيم والاجلال ثم توجهت بعد تلك المدة الى قرم ومعها سفير من طرف الكيناز واسيلي الى منكلي كراي خان يسمى طوچقف وكان الكيناز واسيلي يعتمد على صداقة منكلي كراي ولكنه لغاية شيخوخته كان لا يسمع كلامه ولا ينفذ امره وكان اولاده قلبوا البولاتيكا (السياسة) الى جهة اخرى فاغتر الكيناز واسيلي فيما اعتمد عليه حيث عقد حاكم ليتوا سيگزموند معاهدة مع قرم على ان يؤديهم كل

سنة ١٥٠٠٠ ذهباوقد عجز عن (١) ذلك اسلافه اليكسندر و كازيمير فاعلن الحرب على الروسية بلا سبب وهجم على الروسية الامير احمد والامير بورناش كراى ابنا منكلى كراى خان مع عساكر التتار فى مايس من سنة ١٥١٢ م وقتلوا كثيرا من الروسية فى ولاية بيليف واودويف ونهبوا وسلبوا فكتب واسيلى الى منكلى كراى خان يذكره بالمعاهدة والموادة التى كانت بينهما من مدة مديدة ويحذره من وخامة عاقبة موادته باللتيوا فكتب اليه منكلى كراى خان بانه لا يرضى بما فعل اولاده وانما فعلوا مافعلوا بغير رضاه تابعين لهواهم بمقتضى الشبابة ذكر وفاة منكلى كراى خان وجلوس ولده محمد كراى خان مكانه ومعاملته مع الروسية وفى ذى الحجة سنة ٩١٩ هـ توفى منكلى كراى خان القرمى عن سبعين ٧٠ سنة وكان مدة حكومته ٤٧ سنة مع وقوع الانفصالات فى اثنائها كما عرفت ولم يقع منه شيئ يذكر بسوى امداده واعانته الروسية واحيائه اياها كما مر ومحروه خانية سراى وقد قيل ان طبعه كان ميالا الى انشاء الشعر ومن جملة اشعاره هذه الابيات * ابيات فراقكدين بنم حالم صورار بولسانك اكر جانا * كوكلده نار وكوزده آب ودلده آه اولور پيدا * سننك مرغ خيالكنى ايچنده اصرامق ايچون * بولوبدر كرپكم برله قفس بوديدۀ بينا * منم اول خان منكلش كيم محبت ملكى شاهى من * جهاننك ملك ومالينه غرورم يوقدرر اصلا * سامحه الله سبحانه وعفر له ولما توفى جلس مكانه اكبر اولاده وولى عهده محمد كراى خان قال كارامزين بعد ذكر وفاة منكلى كراى خان وجلوس ولده محمد كراى خان مكانه ان واسيلى كان يحق له ان يبكى على موت منكلى كراى خان دما فضلا عن الدمع ولكنه لم يكن اواسيلى كما كان لا يوان لشبغوفته وخروج الامر من يده ولذا كان يؤمل من الخان الجديد المقتدر اكثر مايؤمل منه من منافع الروسية ولكن لما جلس محمد كراى خان مسند الخانية ظهر خلاف ما امل واسيلى فانه لم يكن يشبه اباه قطلا فى العقل ولا

(١) يعنى عقد المعاهدة مع حكومة قرم كما عرفت مما سبق . منه عفى عنه .

فى الاخلاق ولا فى التدبير ولا فى الديانة وكان لقب رئيس قطاع الطريق اولى به من لقب الخانية فانه وان اعاد سفير الروسية طوچقف الى موسكو ابو عده الموادده والمصالحة فى ابتداء جلوسه الا انه اخذ بعد ذلك من حاكم (لهستان) ليتوا اسيگز موند مبلغا كثيرا من النقود وعقد معه الاتفاق ثم ارسل الى الكيناز واسيلى واحدا من خواصه يسمى دووان برسالة فيها رذالته وحقارته حيث كلفه بتكاليف بعيدة عن الوهم والخيال فضلا عن العقل حيث كتب انه يعنى واسيلى لما اخذ بلدة اسمولينسكى من ليتوا (لهستان) فقد نقض عهده مع منكلى كراى خان فانه كان اعطاها سيگز موند وكتب ايضا كانه جزاء لنقض العهد بتكليف تخلية بلاد برانسكى واسطارى دوب ونووغورد وپوتيويل وغيرها وبتخلية سبيل كافة اسراء قرم وبطلب جزية بلدة اودويف ويطلب ايضا هدايا ثمينة مع نقود كثيرة وكتب انه ان لم يقبل هذه التكاليف كلها فليس عنده الا السيف البتار وفرسان التتار وكلما اجتهد الكيناز واسيلى فى تحصيل مودته وترك هذه التكاليف لم يؤثر قط حتى اطلق عبد اللطيف خان من الحبس لتطييب خاطره وراجع الى كبراء امراء قرم وقالغاى احمد كراى الاعرج لاستمالته اليه وارسل اليه الكيناز ماموتف سفيرا من عنده يعرض عليه انه مستعد لخدمته وامداده فى جميع شؤنه كما فى حياة ابيه منكلى كراى خان ان انفصل من سيگز موند حاكم ليتوا فان هذه التكاليف كانت كلها لاجله ولا خير فى مودته وارسل معه هدايا كثيرة لكن ما العلاج فان عساكر قرم كانوا يغيرون على البلاد التى بساحل بحر ازاق وبلدة ميشير ثم انه وفق لتحصيل الاتفاق معه بعد اللتيا والتى الا انه كان لا يقيم على عهده ولا يفى بوعده فان ولده بهادر كراى اغار على بلاد الروسية بعسكر قرم وخرب كثيرا منها ثم عاد بغنائم وفيرة حتى صارت قرم غنية بها فكتب الكيناز واسيلى يعلمه بذلك فكتب فى جوابه يعتذر اليه ان بهادر كراى ولد شاب تابع لهواه فعليه ان يعفو عنه ثم ارسل واسيلى سفيرا خاصا اليه يسمى البو بارشادرين فاستمال قلبه اليه بعد جهد بليغ بواسطة امه التى حجت وبعض اخوته وامرائه بمواعد كاذبة وحمله على محاربة لهستان ونقض عهده معه مع انه كان قد اخذ من سيگز موند حاكم ليتوا اربعين الف ذهب لعداوة الروس وصنيعه هذا ما كان على وجه محاربة جدية بل لعلمه بانه ان اتبع

واسيلى بيرطله سيكز موند وان انجد سيكز موند بيرطله واسيلى

ذكر مرض محمد امين خان وتعيين اخيه عبد اللطيف خان لولاية العهد

قال كارامزين فى خلال وقائع طويلة تتعلق بمحمد كراى خان وتلونه فى سنة ١٥١٦ م ٩٢٢ ﻫ وفى ذلك الوقت عرض لمحمد امين خان مرض شديد عجز الاطباء عن دوائه وهو انه تورم جميع بدنه من رأسه الى قدمه وسال منه الدم والقيح فارسل الى الكيناز واسيلى هدايا ثمينة يسترضيه ويستحل منه لانه خاف ان يكون مرضه هذا لاجل غدره ونقضه العهد وسفكه دماء كثيرة بغير حق مخالفا للشرع الشريف ومن جملة ما ارسل ثلاثمائة خيل بسروج مزركشة وسيف ملوكى مرصع بالجواهر وطنافس منسوجة بالذهب ومرصعة بالجواهر وخيمة ملوكية مزخرفة وكانت تلك الهدايا كلها وردت اليه من ملك الفرس فارسلها الى واسيلى كما هى فكانت لها اهمية عظيمة عند واسيلى وكان وقتئذ فى موسكوا كثير من التجار الاجانب فلم يقدر احد منهم ان يقومها وكان من جملة مطاليب محمد امين خان ان يعين اخاه عبد اللطيف خان خانا بعده مكانه فقبله واسيلى مع علمه بانه لا يجيئ منه خير له قط وكتب براتا بذلك وارسل ذلك البرات الى قزان مع طوچقف وحلف عليه محمد امين خان والامرأ وسائر الناس ولما بلغ محمد كراى خان القرمى مرض محمد امين خان ساءه ذلك وضاق صدره لانه خاف ان ينصب الكيناز واسيلى خانا فى قزان من يريده لكونه قريبا من قزان فربما ينصب من مخالفيه فيقطع مناسبة بقزان بالكلية فارسل الى الكيناز واسيلى واحدا من خواصه يدعوه الى الاتفاق والمواددة معه وان يعين عبد اللطيف خان ولى عهد لمحمد امين خان وان يجعل ولد نور دولت بدل شاه على بلد ميشير فيكون هو ايضا صديقا اياه على ليتوا ويرد جميع اسارى الروس فقبله الكيناز واسيلى بعد تردد كثير واعاد سفيره لاعلامه مقبوله وبينما هو منتظر لورود سفير جديد للتصديق على المعاهدة المذكورة اذ بلغه ان عساكر قرم قد دخلوا بلدة تولا وانتشروا بولاية رزان وذلك باغراء سيكز موند حاكم لهستان اياه باعطاء نقود كثيرة وكان ذلك فى حدود سنة ١٥١٧ وقد قاست الروسية ولهستان فى تلك السنين من القرميين شدائد كثيرة الى ان اخرجهم الكيناز شاكين بعد مدة من بلدة پوتيوپل

ذكر وفاة عبد اللطيف خان ولي عهد محمد امين خان قال كارامزين وفي سنة ١٥١٨م وسنة ٩٢٤هـ توفي عبد اللطيف خان بموسكـوا فساء ذلك الكيناز واسيلي لانه كان كالآلة والرهن بيده في امور قرم وقزان وان كان فكر محمد كراي خان ان يتداخل في امور قزان بل ان يستولي عليها بواسطة عبد اللطيف خان وعلى حاجي طرخان ايضا قلت ومن احاط علما بسياسة الكيناز واسيلي اولا وآخرا لا يصعب عليه استخراج اسباب موت عبد اللطيف خان رحمه الله تعالى في مثل ذلك الظرف قال ولما سمع محمد كراي خان موت عبد اللطيف خان ارسل الى واسيلي واحدا من اعز وكلائه واسمهم اليه يسمى المرزا آپپاق يطلب منه ان يعين اخاه صاحب كراي خان ولي عهد لمحمد امين خان الذي هو اخوه لامه فان منكلي كراي خان لما تزوج نور سلطان بكه بعد ابراهيم خان ولد له منها صاحب كراي خان وكان المرزا آپپاق وقت ملاقاته الواسيلي متعمما فلم يخرج عمامته من رأسه فتغير وكلاؤه من وضعه هذا اكثير تغير لكونه مخالفا لعادة انتصاري وقالوا له لست انت بحاج ولا من العلماء ارباب العمايم فلاي شئ لا تخرج عمامتك من رأسك فقال اني زرت قبر النبي محمد عليه الصلاة والسلام بامر الخان ولهذا لا ارفع عمامتي من رأسي فتم هذا الصلح على مراد محمد كراي خان بالتمام وصدر اليمين من طرف خان على محاربة اهستان ومن طرف واسيلي على محاربة حاجي طرخان وحلف الكيناز واسيلي والمرزا آپپاق متقابلين ولكن لو كان لهذه اليمين حكم نرى ماذا يظهر بعد ذلك ذكر وفاة محمد امين خان وفي سنة ١٥١٩م وسنة ٩٢٥هـ توفي محمد امين خان من مرضه المذكور ولم يعقب ولدا وكذلك اخوه عبد اللطيف خان فانقطع نسب الوغ محمد خان بموتهما في قزان وكان مجموع مدة تملكه واولاده بقزان ٨٥ سنة وهم سبعة انفار فبموته بلغت قزان حالة الاحتضار كما عرض له المرض باسر الهام خان وتولية محمد امين خان فان الخوانين الذين تملكوا بعدهم لم يدافعوا عنها حق المدافعة ولم يبذلوا جهدهم في تحسين احوالها وترقية امرها وتهيئة اسباب محافظتها وتأمين استقبالها كما ينبغي بل كانوا يرون كونهم خانا بها من قبيل النفي والتغريب

لكون مطمح نظرهم فى خانية قرم فاهملوا لذلك امر قزان اهمالا كليا وبقيت قزان على احتضارها مدة سنة ٩٣٤ﻫ كما سنقف عليه وكانت مدة خانية محمد امين خان فى النوبة الاخيرة نحوا من ١٧ سنة (١) رحمه الله تعالى ذكر نقض واسيلى عهده مع محمد كراى خان ونصبه شيخ على خان خانا فى قزان قال كارامزين كان موت محمد امين خان سببا لحصول اضطراب شديد وتشويش عظيم للكيناز واسيلى فان اهل قزان من الامراء والاعيان ومقربى الخان ارسلوا الى واسيلى يطلبون منه خانا لهم وقد مر معاهدته مع محمد كراى خان فان نصب صاحب كراى خان ابن منكلى كراى خان خانا لهم بموجب عهده مع محمد كراى خان يكون ذلك تقوية له بتسليم قزان وحاجى طرخان الى يده فيجيى بذلك سلطنة باطو الساقطة ويستعبد الروسية ثانيا كما فى السابق وان لم ينصبه خانا يلزم نقض العهد معه وحصول عداوة بينهما فيتفق مع عدوه ليتوا ويفعل بالروسية مايشاء ولم يكن الوقت مساعدا للموازنة وطول التردد والتفكر ولم يكن بد من اختيار احد الامرين اما البقاء فى عبودية التتار الى الابد واما التخلص عنها بالكلية فارسل الى قزان احدا من خواصه يسمى ميخايل بن يورى التويرى يخبر اهل قزان بانه عين للخانية لهم الشيخ على بن الشيخ الله يار حفيد احمد خان الذى هرب من شرور خوانين قرم من حاجى طرخان ايام ابيه ايوان فاعطاه بلدة ميشير وكان يقيم بها رئيسا وكان متطبعا بطبيعة الروس ومتخلقا باخلاقهم جاريا على سياستهم فرضى اهل قزان بذلك واستعدوا لمجيئه وارسلوا طائفة من العسكر لاستقباله فارسله واسيلى الى قزان مع ديميترى بيلسكى فاجلسوه على كرسى سلطنة قزان وخلف الاهالى كلهم على الطاعة والصداقة ولم يبال واسيلى بنقض عهده مع محمد كراى خان فان نقض عهد المسلمين ليس قبيحا عند النصارى كما قال تعالى انهم لا ايمان لهم ولو صدر مثله من المسلمين لملأوا الصحف والآفاق بتقبيحه وتشنيعه وشتمه

(١) قال الفاضل المرجانى ان محمد امين خان اوصى ان يكون اخاه لامه صاحب كراى خان خانا بعده وظاهر الحال يقتضى صحة هذا القول وذكر كارامزين خلافه انه اوصى بان يطلبوا الخان من ايوان وقال المرجانى ايضا ان محمد خان الشيبانى اول من ملك ماوراء النهر من الاوزبكية ارسل الى محمد امين خان من مشاهير مغنيه الغلام شادى العودى . منه عفى عنه.

وفي تلك الاثناء كان المرزا آپپاق سفير محمد كراي خان مقيما بموسكو افلام واسيلي على فعل هذا وقال لاي شيء نصبت مفيد اعدائنا احمد خان خانا بقزان فقال يليق بك ان تملك شيخ علي خانا بقزان مع وجود من اولى منه بخانية قزان عندنا من اولاد منكلي كراي خان وقد عاهدتنا بذلك فلم غدرت ونقضت عهدك فقال له واسيلي سبق السيف العذل وكان ذلك على رغم مني فاني نصدت ان انصب اخا محمد كراي خان او ابنه خانا بقزان واجتهدت في ذلك الا ان اهل قزان ابوا ان يملكوا على انفسهم سوى شيخ علي خان وعزموا على جلب احد من اولاد خوانين نوغاي او حاجي طرخان على تقدير صدور خلاف ما طلبوه فخفت ان يملك قزان واحد من اعداء محمد كراي خان واعدائي فنصبته خانا لدفع ذلك المحذور بالضرورة لا لاجل عداوة محمد كراي خان فسكت المرزا آپپاق وبينما هم في تلك المحاورة اذ بلغ الخبر ان قالغاي بهادر كراي هجم الى لهستان بثلاثين الفا من عسكر التتار ووصل الى بلدة كراكو بعد ان استولى على البلاد التي قبلها وهزم القائد كتمان قنسطنطين الاستروژي واسر منهم ستين الفا وقتل كثيرا ورجع الى قرم بغنائم وافرة وكان محمد كراي مقتدرا ان يفعل بالروسية مثل ما فعل بالليتوا الا انه صبر سنتين اما لمعاهدته واما لامر آخر ورجع المرزا آپپاق الى قرم مستغرقا باحسان واسيلي اليه في مقابلة خيانته مع سفير جديد من طرف واسيلي يسمى بويار بن فيودر كيليمينتنف مكان السفير السابق پرونسكي ومع هدايا كثيرة لمحمد كراي خان ليصبغ بصره ويستر بصيرته بها قال وفي تلك الاثناء ارسل واسيلي سفيرا الى قسطنطينية للسلطان سليم خان لما اطلع ان محمد كراي خان يخافه بل كان اهل الدنيا كلهم يخافونه يسترحم منه ان يمنع محمد كراي خان من الاغارة على الروسية فعاد السفير المذكور منها مقضي المرام فان السلطان المشار منع محمد كراي خان من الاغارة على الروسية واذنه بالتجارة بها والاغارة على ليتوا ولهستان فامتنع محمد كراي خان من الاغارة على الروسية بالضرورة لاجل خوف السلطان ولما توفي السلطان المشار اليه في سنة ٩٢٦ هجم محمد كراي خان على الروسية كالاسد الضاري بلا امهال

فقتل ونهب واسر وسلب واحرق وخرب وانتقم منها لاجل نقض عهده ففرح به سيكزموند غاية الفرح وكانت نتيجة ذلك الهجوم مضرة على الروسية جدا فارسل واسيلى سفيرا الى السلطان سليمان بسرعة يسمى تريتياق فوبين مع هدايا لاجل التبريك بالجلوس على ما عليه العرف والعادة والشكاية من محمد كراى خان فارسل اليه السلطان يامره بترك الاغارة على الروسية فارسل اليه محمد كراى سفيرا خصوصيا يقول له ان الروسية تراسل ملوك العجم وتمدهم بالسلاح والميرة وتريد ان تستاصل الاسلامية من ممالك الاسلام وتبنى الكنائس فى محال الجوامع بها فلم يسمع كلامه ولم يوثر فى السلطان ادنى تاثير لكون ظهير واسيلى ونصارة باشوات كفه وقد ملأ واسيلى جيوبهم بالذهب فابلغوا السلطان ما يسيى محمد كراى خان ثم قال له محمد كراى خان من اين نتعيش نحن ان لم نغر على الروسية فقال له السلطان بالاغارة على لهستان مملكة سيكزموند ذكر خانية صاحب كراى خان ابن منكلى كراى خان القرمى بقزان وطرده منها شيخ على خان قال كارامزين ولما آيس محمد كراى خان من استحصال مرضى السلطان وجه وجهة همته الى جهة قزان وصار يخابر من بها من الامراء والاعيان ويغريهم بشيخ على خان وقد كانت قلوب اهل قزان منحرفة عنه ايضا لاجل تمايله الى الروسية فى جميع شئونه فاتفقوا امره على قبول صاحب كراى خان متى جاء الى قزان وطرد شيخ على خان منها ففى سنة ١٥٢١ م وسنة ٩٢٨ ه وصل صاحب كراى بمقدار من عسكر قرم الى قزان ودخل فيها بغتة وجلس على سرير السلطنة وحبس شيخ على خان مع قارپوف شحنة الروس بها وواسيلى بن يوريى سفير الكيناز واسيلى بها وكذلك تجار الروس ايضا بعد ان اخذ اموالهم ولكنه لم يقتل منهم احدا ثم اذن لشيخ على خان ان يذهب بعياله اين شاء ومع السكونه من نسب (١) توقتاميش خان فخرج شيخ على خان من قزان وذهب الى موسكوا مع صيادى السمك من نهر وولغا بقرب قزطافى ولما

---

(١) وهذا يؤيد ما مر من الحاج عبد الغفار افندى ان السيد احمد خان ولد جلال الدين خان ويؤيده ايضا بعض عبارات السبع السيار ايضا . منه عفى عنه .

دخل حدود الروسية استقبلته الروسية كل مكان بالترحيب والتعظيم ولما قرب من موسكوا استقبله كبرا الامراء من قصر واسيلى بالتعظيم وصافحه الكيناز واسيلى وعانقه وتباكيا وقال له الكيناز واسيلى الحمد لله تخلصت سالما وفى ذلك كفاية وشكره على صداقته واهدى اليه بهدايا عظيمة ووعده باعادته الى خانية قزان ثانيا وسلاه بامثال هذا الكلام وكانت مدة خانيته فى هذه النوبة ثلاث سنين **ذكر هجوم الضرغامين محمد كراى خان القرمى وصاحب كراى خان القزانى على الروسية** قال كارامزين وبينما يحكم الكيناز واسيلى بتلك الرؤيا الخيالية اذ بلغه ان محمد كراى خان اتفق مع طوائف نوغاى ولهستان وهجم على الروسية بالشدة بغتة فارسل عسكر المقاومة تحت قيادة الكيناز بيلسكى والكيناز آندرى اخى الكيناز واسيلى وكانا غير عارفين بفن الحرب ولم يطيعا لمن هو عارف به فلم يلبثا امام عسكر الخان الا قليلا ثم هربا بمن معهما وقتل فى تلك المعركة الكيناز ولاديمير الكوروبى وشرميتف وسائر الشجعان واسر فيودر الآبوايني فتحير الكيناز واسيلى واندهش فان صاحب كراى خان القزانى كان قصد الروسية من جهته فاتحد عسكر قزان بعسكر قرم فى قرب قواومنا فقتلوا واسروا ونهبوا وخربوا كيف شاؤا ولم يصد فى عهد باتو وتوقتامش خان ازيد من ذلك ولا يعلم عدد القتلى والاسرى الا الله وخربوا الكنائيس ونهبوا ما فيها من الفضة والذهب واستغرقوا فى الغنائم ثم سار العسكر المذكور بهيئتهم الاجتماعية الى موسقوا فهرب منها واسيلى وسلمها لختنه المرتد بطر شيطان قلى وذهب الى بلدة وولوق فاندهشت اهل موسكوا وزلزلوا زلزالا شديدا وطفق من باطراف موسكوا من الروس يهربون الى موسكوا مع احمالهم واثقالهم ولما كان ٢٩ من تموز (يوليه) من السنة ٩٢٨ المذكورة اذ ظهر الخان مع عسكره على مسافة عدة اميال من موسكوا وعسكر فيها وقد امتلأت ازقة موسكوا بالعجلات والاحمال والاثقال والاهالى صغيرهم وكبيرهم فى الالتجاء الى كريملبا كين متدافعين ومتزاحمين والمطران والقسيسون فى طلب النصرة من آلهتهم حاملين صلبانهم

واصنامهم وبالجملة كانت اهوالهم انموذجا من القيامة فالتجا والاجل المدافعة عن موسكوا الواحد من نمسة كان عارفا باستعمال المدفع وماهرا فيه ولكن لم يكن له بارود ومن طرف آخر وقع الموت بين الاهالى فى كريملن من الكثرة والازحام فساد الهواء يقول هنا واحد من الاجانب ان اهل موسكوا لما آيسوا من المقاومة ارسلوا الى الخان سفيرا من طرفهم بهدايا كثيرة واموال يسترحمون منه الصلح وترك القتال على انهم يؤدون له الجزية كما فى السابق فرضى الخان وكتبوا بذلك عهدا وارسلوه الى واسيلى للتصديق عليه فصدق عليه وختمه بختمه بغاية الفرح والابتهاج فرجع الخان مع عسكره الى قرم وتعرض فى ممره الى رزان فصده عنه واليها خابارسيموسكى مع واحد من نمسه ماهر فى استعمال المدفع فرجع الى قرم مسرعا من غيران ينتفع منها الا انه سمع ان اهل حاجى طرخان تعرضوا على قرم فتخلصت الروسية من هذا البلاء العظيم ولم يؤده شيئا من الجزية التى التزمها واحسن واسيلى بعد رجوعه الى موسكوا من مهربه الى ذينك المدفعيين النمسويين لتخليصهما الروسية من ذلك الشر العظيم وكان هجوم التتار هذا مصيبة كبرى فى وقت الكيناز واسيلى فانهم خربوا فيه جميع البلاد الكائنة بين نيژنى نووغوردو وورونژ الى نهر موسكوا بالتمام وقتلوا كثيرا واسروا كثيرا وباعوا هؤلاء الاسارى فى كفه وحاجى طرخان وعد بقاء موسكوا سالمة من اكبر الخوارق فعملوا لذلك عيد الصليب وبنوا مناستر سيرتينيا يعيدون فيه ثلاث مرات فى كل سنة للصليب لسلامة موسكوا من هجوم تيمرلنك وهجوم احمدخان وهجوم محمدكراى خان هذا وبينما اهل موسكوا فى هذا الشغل اذ سمعوا ان محمدكراى خان امر بتحشيد الجيش فاستعد واسيلى ايضا للقائه ولكنه لم يهجم ففرق واسيلى ايضا عساكره فى آغستوس قال وفى سنة ١٥٢٢م وسنة ٩٢٩ه هجم محمدكراى خان الى حاجى طرخان فاخذها من يد حسين خان فحصل بذلك مقصد محمدكراى خان الذى هو توحيد قرم وقزان وحاجى طرخان وكان يهتم لذلك كثيرا اهتمام ومع هذا كان مركوزا فى قلبه ان يضم خانية نوغاى وخيوه ودشت قفجق وسيبريا الى خانية قرم ثم (١) محو خانية العجم بالكلية ثم

(١) لو وحد تلك الخانيات وضبطها لرضينا منه احسن الرضا وان لم يضم اليها سواها ولكن لم يحصل ماتمناه . منه عفى عنه .

تهديد آوروپا بعد ذلك وكان واسيلى مطلعا على ذلك باليقين فلو بذل محمد كراى خان ادنى همة وغيرة فى ذلك واتفق مع ليتوا وجعل معينا لنفسه لم تكن ادنى شبهة فى تحصيل مرامه ذلك بغاية السهولة حتى فى استيلائها على موسكوا ولكنه كان يضيع ما حازه بشجاعته فى اقرب مدة لعدم تدبيره **قلت** نعم الفكر هذا وتم فانه فكر ياوز سليم خان رحمه الله تعالى وكانه انعكس منه اليه ولكنه ماتم فتم على اهل الاسلام ماتم ولقد صدق من قال فى حق اهل قرم انهم وان استولوا على مايهجمون عليه ببسالتهم ولكنهم عاجزون عن ضبط مايستولون عليه وحفظه لقلة تدبيرهم ومهارتهم فى الضبط والحفظ وهذه فراسة صحيحة فى حقهم فانهم كم مرة استولوا على بلاد الروسية ولهستان ولكنهم لم يقدروا ان يضبطوا واحدا من تلك البلاد حتى انهم كسروا الروسية بعد استيلائها على قزان مرارا كثيرة ولم يستردوا قزان ولم يكن احد منهم قط فى هذا الفكر بل كان جل قصدهم من الهجوم عليهم هو جمع الغنائم والتعيش بها والمدافعة عن بلادهم فقط **قال** كارامزين ولذلك اى لاجل كون واسيلى مطلعا على اغراض محمد كراى خان السابقة التزم ان يفصل قزان عن حكومة محمد كراى خان باى وجه كان فان ذلك كسر لاحد جناحيه يعنى انه كان يغرى امراء قزان بصاحب كراى خان ويعدهم بمواعيد كاذبة ويمنيهم باماني فارغة يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا حتى ظهر سؤنتيجته بعد مدة بطرد صاحب كراى خان كما ستطلع عليه **قال** كارامزين ولما استولى محمد كراى خان على حاجى طرخان فى العام المذكور وسمع ذلك صاحب كراى خان القزانى قام وقتل سفير الروسية وكافة تبعة الروس واستولى على اموالهم ولما بلغ هذا الخبر المر الروسية اندهشت جميع الروسية ولكن لما بلغهم بعيد ذلك قتل محمد كراى خان بحاجى طرخان انساهم ذلك مرارة ذلك الخبر السيىء **ذكر** قصد الروسية بلاد قزان ورجوعهم عنه بخفى حنين **قال** كارامزين بعد بيان الاختلال الواقع بقرم بعد قتل محمد كراى خان وتملك اخيه سعادت كراى خان فيها بعد اللتيا والتى وعقد واسيلى معه الاتفاق فى الظاهر فكتب واسيلى بعد تطمين خاطره من جهة قرم الى صاحب كراى خان يوبخه على ماصدر عنه

من قتل سفيره وتجاره ويهدده بالحرب ويقول ان الملوك انما يحاربون فى دائرة الناموس والقانون ولا يقتلون السفير والتجار وانت قتلت السفير والتجار وخرقت القانون والناموس فانت مسئول به ومحكوم فليس بينى وبينك الا الحرب ثم ورد بنفسه الى نيژنى نووغورود فى اول الربيع من سنة ١٥٣٢ م وسنة ٩٣٠ ﻫ فارسل عسكرا منها الى قزان مع شيخ على خان والكيناز واسيلى شو يسكى من نهر وولغا بالسفن وارسل القائد باريس غارباتى مع الخيالة والفرسان ولما اتحد هؤلاء القواد بقرب قزان فعلوا فيها من الشنايع ما لا يوصف فقتلوا واسروا ونهبوا واحرقوا ولم يكتفوا بهذا بل بنوا على مصب نهر صورمن نهر وولغا فى ارض قزان بلدة سموها واسيلى صورسكى نسبة الى الكيناز واسيلى وبنوا غير ذلك من القلاع والحصون فى مواضع مهمته من ارض قزان والروس وضيقوا على اهل قزان تضييقا شديدا ومضى صيفهم ذلك بتلك الاشغال وامنوا بذلك لهم الاستقبال ولم يشكوا فى انهم ملكوا قزان ولما دخل وقت الخريف وهجم البرد بعساكره وآن وقت دخول الهوام والحشرات الى مساكنها ومقارها رجعوا الى موسكوا بجموعهم على نية استيناف السفر والحرب فى اول الربيع من العام المقبل

ذكر قصد الروسية بلاد قزان بالحرب فى سنة ١٥٢٣ م وسنة ٩٣١ ﻫ ورجوعهم عنها ايضا خائبين وانفصال صاحب كراى خان من قزان وخانية ابن اخيه صفا كراى خان ابن محمود كراى خان بن منكلى كراى اقبال كارامزين لما استشعر صاحب كراى من نفسه العجز عن مقاومته عسكر الروس وتيقن انهم يجيئون محاربته فى اول الربيع لرسل الى السلطان سليمان سفيرا يعرض عليه التبعية ويطلب منه الحماية من تعرض الروس لكونهم مسلمين وهو سلطانهم فقبل السلطان تبعيتهم ولكنه لم يرسل العسكر لحمايتهم بل ارسل الى سفيره فى موسكوا اسكندر اليونانى المنكوبى يعلمه بذلك يعنى بتبعية مملكة قزان للسلطان ويمنع الروسية من التعرض عليهم فبلغه السفير السفيه الخائن الكيناز واسيلى ثم قال بعد ان ملأ الكيناز جيبه من الاصفر والابيض ان قزان تابعة للروسية منذ عصر ايوان وليس فى يد صاحب كراى

خان ان يأخذها من يد احد و يعطيها آخر يفعل فيها كيناز موسكو ما يريد فان صاحب كراى خان لا يحسن الادارة ولا بد من تربيته وتنبيهه ففرح الكيناز واسيلى بذلك فرحا زائدا و ارسل فى اول ربيع من سنة ١٥٢٤ م وسنة ٩٣١ هـ الى قزان جيشا كثيفا عازما على الحاق قزان فى هذه النوبة بالروسية على كل حال وفيه كثير من كبار قواد الروسية ارباب الاقتدار مثل الايوان بيلسكى وهو القائد العام للعسكر المذكور وغارباطى وزاخارين وسيمون القوربى وايوان ليانسكى وخابارسيمسكى وهو رئيس الخيالة (الفرسان) ومع هؤلاء القواد مائة وخمسون الفا من العسكر ومعهم ايضا شيخ على خان فلما سمع صاحب كراى خان حركة الروس بتلك الكيفية وايس من وصول امداد اليه من السلطان ومن قرم خاف ان يقعد فى قزان بل خرج عنها قائلا للاهالى انى اذهب الى السلطان واجيئ منه بالامداد وخلف مكانه صفا كراى خان ابن اخيه محمود كراى وكان مود عمره اذ ذاك ثلاث عشرة ١٣ سنة فتولى اهل قزان من صاحب كراى خان لتركه اياهم فى مثل هذا الوقت المهم الخطر ورموه بالجبانة والدناءة وبايعوا صفا كراى خان وشجعوه وحلفوا له على انهم يقاتلون الروس لحفظه وحفظ الوطن ولاعلاء كلمة الله الى ان لا يبقى منهم احد وشرعوا فى تحشيد العساكر من سرما تراتار (چرمش) وچواش من اطراف قزان واستعدوا للمدافعة وفى سابع مايس من العام المذكور وصل عسكر الروس الى قرب قزان وعسكروا فى جزيرة من نهر ايدل (وولغا) فويق قزان تسمى غاستينى اوستروف وانتظروا وصول خيالتهم فيها عشرين يوما وقد خرج عسكر القزان ايضا الى الميدان وعسكروا فى مقابلتهم ولم يقع بينهما شيء سوى المناوشاة اليسيرة فكتب شيخ على الى صفا كراى خان فى تلك الاثناء بان اترك القزان واذهب ولا تتسبب لسفك الدماء فاجابه صفا كراى خان تعال نحارب يخذل المغلوب ويتملك الغالب ففى عين الوقت المذكور احترق احد ابراج قزان المبنى من خشب وصار رمادا وبقى قواد الروسية ناظرين اليه ولم يحصل منهم ادنى حركة ولم يتجاسروا على الهجوم وامهلوا لاهل قزان ان يطفئوا الحريق ويسدوا الخلل الواقع

من الاحتراق وفى ٢٨ يوليه (تموز) حوّل الروسية معسكرهم الى جهة
قزان من ايدل وعسكروا بشاطىء نهيرة قزان ولم يقع ايضا محاربة هناك
ولكن احرق اهل قزان كافة الغلال والحبوب والارزاق التى فى اطراف
قزان لئلا تنتفع وتتقوى بها الروسية وقد نفد فى الوقت المذكور ارزاقهم
ولم يبق معهم الا النزر اليسير واخذوا جميع الطرق والمعابر وقطعوا خط
رجعتهم وطرق مواصلاتهم ومخابراتهم فانتشر بين عسكر الروس فى
الوقت المذكور ان عسكر التتار شتتوا شمل خيالة الروس وفرقوا جمعهم
فاستولى على قواد الروس من الخوف مالايوصف حتى غابوا عن حواسهم ولم
يدروا ماذا يصنعون وهموا ان ينزلوا بسفنهم الى نهر قاما دون ان يذهبوا
الى جهة فوق لان عسكر التتار وچرمش قد ضبطوا جهة الفوق واما الجهة السفلى
فهى شاغرة خالية من العساكر فيتركون سفنهم فى نهر قاما ويذهبون الى
بلادهم من طريق وانكا من البر وبينما هم فى هذا الفكر اذ تحققوا بان القائد
خاباريسمسكى مع الخيالة على مسافة عشرين ويرسته (ميلا روسيا) من
قزان بساحل نهر سوبياغ وان اصل الخبر المنتشر ان عسكر چرمش
تعرضوا على خيالتهم وشتتوا شمل مفرزة منها ثم ان القائد المذكور
طردهم وخرق صفوف عسكر قزان وتحداهم بالقوة ولم يلبث الا قليلا
حتى لحق بالمعسكر العام فزال بذلك خوفهم واطمأن خاطرهم ثم قالت فلو صدر
فى الوقت المذكور ادنى حركة من اهل قزان لتم النصر لهم ولكن لم يكن لهم خبر
من حال العدو قال وكان ايوان پالينسكى يجيىء من نيژنى نووغورود من طريق
وولغا بسفن كثيرة مشحونة بذخائر وعساكر وآلات حرب نارية وبارود
فلم يفز المذكور مثل فوز القائد خاباريسمسكى بل صادف موانع وعوائق كثيرة
حتى تلف جميع ما عنده ولم ينج الا بروحه مع قليل ممن معه من العساكر
وذلك ان چرمش قد ضبطوا مواضع مهمة من جوانب ايدل (وولغا) وسدوها
بالاحجار والاخشاب وتركوه غير قابل لمرور السفن فطفقت السفن يضرب
بعضها بعضا فتتكسر وتغرق وكانت الچرامشة يقتلون الروسية بالرمى
بالسهام والاحجار والاشجار الكبار من الجانبين فقتل منهم الوف كثيرة
اكثرهم بالغرق فاصابهم بذلك ضرر كثير حتى صار مثلا يضرب بين الروس

(اس آدنا استرونا چيرميسه آاس دروفوى بيريكيسيا - съ одной-стороны чирмесы, а съ другой биргесы.
يعنى من جهة جرامشة ومن جهة نهر وولغا وساحله فترك پالبتسكى سفنه مع كافة ماقيها ولحق بنفسه مع قليل ممن معه بمعسكر الروس فغنمت الجرامشة والتتار جميع ما فى السفن من الذخاير وآلات الحرب النارية كالمدافع والبنادق والبارود وسائر المهمات والنقود وبدئ القتال بين الفريقين بعد اجتماع عساكر الروس بقرب قلعة قزان ١٥ فى آغستوس مقتل امهر طوپچية قزان فى اليوم الاول فوقع الخوف العظيم على اهل قزان من ذلك حتى لو هجمت الروسية فى الوقت المذكور لوقع الانكسار على عسكر قزان ولكن الله سلم حتى طلبت عساكر نمسه وليتوا الذين كانوا فى عسكر الروسية بالاجرة الهجوم على قزان ولكن كانت قواد الروس يستشعرون فى انفسهم الضعف وكان قد استولى عليهم الخوف بانواع الاحتمالات فلم يأذنوا لهم بالهجوم بل قرروا الامر على الصلح قال كارامزين نقلا عن المورخين ولقد استولى الخوف العظيم على اهل قزان بعد وقعة خابارسيمسكى حتى جمعوا كثيرا من الذهب والفضة واستعدوا للذهاب الى موسكوا عند الكيناز واسيلى لطلب الصلح منه ولكن قواد العساكر ابوا الحرب وجنحوا للسلم من غير سبب وقال بعضهم وقع المرض والموت على عسكر الروس ولذلك ابت القواد عن الحرب واغتنموا الرجوع قبل الهزيمة بهجوم التتار فرجعوا بامراض وموتان فى عسكرهم بدل الغنيمة والفتوح وقدمات اكثر من نصف عساكرهم فى الطريق فصاروا مصداق قول العرب رجع فلان بخفى حنين بل لقولهم ذهب الحمار يطلب القرنين فرجع بلا اذنين وقد صار القائد العام ايوان بيلسكى مظهر القهر الكيناز واسيلى الا انه عفى عنه بشفاعة مطران موسكوا ثم جا من طرف قزان سفراء الى موسكوا بهدايا كثيرة يطلبون منه الصلح وتصديق خانية صفا كراى خان على ان تكون قزان تابعة للروسية صورة وظاهرا كالاول فقبل الكيناز واسيلى منهم ذلك بعد اخذ الرهائن منهم على عدم القيام على الروسية اما لحقن الدماء او لجهالة لمستقبل ثم منع بعد ذلك تجار

الروسية من الذهاب الى قزان وقت السوق المخصوص الذى كان يجتمع فيه تجار الروسية وآسيا فى وسط صيف من كل سنة لمبادلة اموال آسيا باموال الروسية كما مر ذكره فى وقعة محمد امين اما اضرارا باهل قزان واما خوفا منهم على تجارهم وعين للمبادلة المذكورة موضعا من الروسية بنيژنى نووغورد فهى جارية فيها الى الآن تسمى بمكاريا يجتمع فيها تجار الدنيا ولكنه اضر بالروسية فى الجملة فى ضمن اضرار اهل قزان فان الاشياء التى كانت ترد من الروسية الى قزان انقطع ورودها اليها خصوصا الملح وكان السمك المملح يرد الى الروسية من قزان فلم يرد اليها منها بعد ذلك سمك واحد لاحتياجهم الى الملح فتضررت الروسية بذلك ضررا كثيرا فدام الصلح بينهما مدة خمس سنين ولم تحدث فيهما ما يكدر الصفو ذكر حركة اهل قزان وقيامهم على الروسية وسوق الكيناز واسيلى عساكره عليهم ورجوعهم ايضا بلانيل المرام قال كارامزين بعد بيان وقائع قرم وانفصال سعادة كراى خان من خانية قرم وجلوس صاحب كراى خان الذى كان خانا بقزان سابقا على تخت قرم مكانه ان اهل قزان كانوا فى الوقت المذكور على سكونة وقد صلحت احوالهم وانتظمت امورهم وان صفا كراى وان كان على عداوته للروسية بموجب شبابته الا ان اهل قزان كانوا يجبرونه على الهدنة والسكونة ورعاية الصلح دائما حتى صار مجبورا لتجديد العهد والصلح مع الكيناز واسيلى فارسل اليه سفيرا لذلك فى سنة ١٥٢٩ م وسنة ٩٣٦ هـ فارسل الكيناز واسيلى الى قزان الكيناز آندرى البيليموى لاخذ اليمين من صفا كراى خان وامرائه واهل قزان على الصداقة ففعل ثم ارسل واسيلى بعده الكيناز ايوان پالينسكى السابق ذكره فى الوقعة السابقة الى قزان يقيم بها دائما على سبيل النظارة فلما وصل المذكور الى نيژنى نووغورد سمع فيها ان صفا كراى خان استمال اهل القزان الى نفسه وجعلهم اعداء للروسية واتفق معهم على محاربتها ورفض العهد السابق واستعد للقتال والمدافعة ولما وصل الى قزان وجد الامر كما بلغه فان صفا كراى خان لم يلتفت اليه بل استحقره ونال من الكيناز واسيلى فخرج پالينسكى من قزان فى حينه ورجع

الى موسكوا ورفض القصة على الكيناز واسيلى قلت هذا قول كارامزين وعلائم التغيير لائحة فيه فان العاقل كيف يصدق نقض العهد منهم بعيد تجديده وتوكيده من غير سبب مع انهم كانوا يجتهدون فى رعاية الصلح وحفظه مدة خمس سنين بشهادة المورخ المذكور نفسه اكان كلهم مجانين حيث يراعون الصلح فى المدة المذكورة كلها ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ثم ينقضونه بعيد تجديده وتوكيده بلا سبب كيف يتصور صدور ذلك عمن فيه ادنى ادراك وما الذى منعهم من ذلك فى تلك المدة قبل التجديد والتوكيد مع كونه اهون من نقضه بعد التوكيد واى داع كان الى اجبار خانهم على حفظ الصلح فى المدة المذكورة كلها وكيف انقلبت اراؤهم كلهم دفعة واحدة ومن يصدق ذلك لالابل لابد منا من صدور شيء عن اروسية اقتضى قيامهم عليهم ورفض عهدهم لم يذكره المورخ سترالقبائحهم على ما هو عادته وعلى كل حال فقد انجر الامر الى الحرب والقتال قال فغضب الكيناز واسيلى غضبا شديدا وجمع العساكر وارسلهم الى قزان من نيژنى نووغورد فى سنة ١٥٣٠م واواخر سنة ٩٣٦ﻫ وفيهم من القواد المشاهير ايوان بن فيودر بيلسكى السابق ذكره وهو القائد العام فى هذه النوبة ايضا وميخايل غلينسكى وغورباطى وقوبينسكى واوبالينسكى وغيرهم من ذوى الاقتدار وكان صفاكراى خان يستعد للقتال بغاية الحرص والشره لشدة عداوته للروسية ويبذل وسعه فى ذلك حسب الامكان وقد جمع العساكر من الچرامشة من اطراف قزان وجلب ايضا من صهره مماى خان النوغائى ٣٠٬٠٠٠ من فرسان النوغاى وضرب السور فى اطراف قزان من بولاق الى ميدان آرچه ومنه الى نهر قزان وبنى فى اطرافها ابراجا وحصونا وقلاعا ورتب عساكره ترتيبا جيدا ولما وصل عسكر موسكوا هناك قاتلوهم قتالا جيدا وكانوا يقاتلونهم كل يوم فى الميدان ويقع القتال تارة بين المشاة وتارة بين الخيالة وكان صفاكراى خان يحرض عساكره بالذات ويشجعهم على القتال ويبشرهم بالظفر والجنة فكان عساكره يبرزون من الشجاعة والبسالة والغيرة ما لامزيد عليه ولكنهم كانوا يشتغلون فى الليالى اما بالعشرة واما بالنوم من غير حذر من العدو ففى ١٦ يوليه

(تموز) من العام المذكور رأى الشبان من فرقة اوباالينسكى ليلا تحت ضياء القمران الحراس فى برج من ابراج قزان قد ناموا فدهنوا الاخشاب اليابسة وسائر الاشياء القابلة للاحتراق بالقطران و لادهان وجاؤا بها الى ذلك البرج وجاؤا ايضا بالحشيش اليابس واشعلوا فيها النار ثم اخبروا به رئيسهم وسائر رفقائهم فدخل عساكر الروس الى قزان من الفرجة التى حصلت من احتراق البرج المذكور لكونه من الخشب وهجموا على اهل قزان بغتة وصاروا يقتلونهم كيف شاؤا وهم نيام فقتلوا منهم ٦٠٠٠٠ سوى ما احترقوا بالنار وكان فيهم مشاهير الشجعان فقتل كلهم نياما خصوصا الشجيع المسمى آتالق فانه كان من الشجاعة بمكان لا يقاومه ولا يقابل احد فانحاز صفاكراى خان بعد تلك الواقعة الى قلعة آرچه تخلصا من ورطة الهلاك وفى تلك الاثناء هجم عساكر الچرامشة على عساكر الروسية وقتلوا القائد فيودراوباالينسكى وكثيرا من فرقته واخذوا ذخائر الروس ومدافعهم ومع ذلك كان يمكنهم ان يستولوا على قزان فانه لم يبق فيها سوى ١٢٠٠٠ من عسكر قزان الا ان القائد العام ايوان بن فيودر البيلسكى جنح الى الصلح ايضا وقداتهم باخذ كثير من النقود من اهل قزان لينصرف عنهم كما انهم بذلك فى النوبة الاولى فامر العساكر بالرجعة الى موسكو ارغما على اصرار سائر القواد والعساكر على المحاربة وتوجه الى موسكوا بغاية السرعة لنيل الاحسان والانعام من الكيناز واسيلى فانه كان خاله فاستقبله الكيناز واسيلى على صورة الحيوان الوحشى بغاية القهر و الغضب وبشره بالقتل لانه ضيع فتح القزان مرتين بالارتشاء وهم بقتله الا انه عفى عنه ايضا فى هذه النوبة بشفاعة المطران ولكنه قيده ورماه فى الحبس ثم قال كارامزين بعد نقله هذا عن بعض التواريخ وليس هذا فى غيره من التواريخ وليس ايوان بيلسكى ممن يظن فيه ذلك بل كان هو صاحب دراية وصداقة وقد تولى قيادة العسكر ايضا بعد ذلك بثلاث سنين اه قلت وهذا هو الصواب والذى قبله مبنى على ستر ضعف الروسية وعوراتهم يعنى ان رجوع عساكرهم بلا نيل المرام انما كان من اجل خيانة قائدهم لا من ضعف عساكرهم وعجزهم

ذكر انفصال صفا كراى خان عن خانية قزان وجلوس جان على او اينال اخي شاه على خان بن الله يار حفيد احمد خان مكانه قال كارامزين وبعد ذلك ورد الى موسكو من مشاهير امراء قزان مثل الامير تاغاى وابراهيم وتيوكيل (توكل) (١) وغيرهم من المشاهير قبل ان يصل اليها عساكر الروس يعتذرون الى الكيناز واسيلي ويطلبون المصالحة والمهادنة وكان الكيناز واسيلي يعرف انهم لا يوفون بعهدهم ولكن قبل كلامهم رعاية لمصلحة الوقت وقال انا اقبل الصلح بشرط ان تقيموا انتم هنا رهائن وانا ارسل الى قزان بعض امرائي ياخذ من اهلها العهد واليمين وتردون اسارى الروس والمدافع والآلات التي اخذها الجرامشة فرضوا بذلك فارسل الكيناز واسيلي الى قزان سفيرا لاتمام الامور المذكورة والمعاهدة فلما امتثل السفير المذكور بين يدى الخان وقال له ما شرطه الكيناز واسيلي في اتمام الصلح والمعاهدة رفضه وامسك السفير عنده في مقام الرهن وكتب الى الكيناز واسيلي بانه لا يمكن امضاء المعاهدة الا بشرط ان ترسلوا الامراء الذين استرهنتهم الى قزان وبشرط ان تطلقوا جميع اسارى قزان وبشرط ان تردوا المدافع التي اخذها القائد ايوان بيلسكى ثم ترسل الى واحدا من كبراء امرائك سوى هذا السفير لاتمام المعاهدة معه ولما قرأ مكتوب صفا كراى خان على الكيناز واسيلي قامت امراؤه الذين عنده وقعدوا وابرقوا وارعدوا واطالوا السنتهم على امراء قزان الذين عندهم واظهروا البذاء والفحش فقال لهم الامير تاغاى نحن ما كذبنا وما جئنا هنا للحيلة والخدعة بل جئنا بالصداقة فليفعل الكيناز الاعظم ما شاء نحن مستسلمون لقدر الله وقضائه وقد اردنا ان نعيش على المودة والمصافاة كما في السابق وقد قتل كبراؤنا وشجعاننا وبقيت مواضعهم شاغرة خالية فاني يصدر عنا القيام والعصيان واما الخان فهو يقول ما يشاء فانه تابع لرأيه ونحن تابعون لارائنا ونحن لا نريده ولا نطيعه فليذهب مع من عنده من القريميين اين شاء ونحن نعتمد على

---

(١) والظاهر ان هذا اصل التفكيليين وان قال بعضهم ان اصلهم من امراء قريم وهذا القول يرى بعيدا عن صوب الصواب والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

قواتنا فليعين الكيناز الاعظم من شاء خانا لنافقالت الامراء لافرق عندنا بين هذا وبين ذاك يتملك فى قزان من تريدونه ولكن بشرط ان لايصدر القيام والعصيان وتكدير الصفو فقال الامير تاغاى ان شيخ على خان انسب واليق بنا وكانت ادارته الامور حسنة ولكنه غلب عليه اعداؤه بسوء حظنا وحظه فليعين الآن خانا لنا فنحمله معنا ونذهب الى قلعة واسيلى صورسكى ونكتب منها الى اهل قزان والچرامشة وامراء قلعة آرچه وغيرهم باناجئنا مع شيخ على خان فاخرجوا صفاكراى خان من قزان فليذهب اين شاء لايخالف احد منهم فى ذلك لاجل تخليص اساراهم من يد الروسية فرضى الكيناز واسيلى بذلك بعد استشارته مع امرائه فارسل شيخ على خان مع هؤلاء الامراء الى نيژنى نووغورد فكتب الامير تاغاى منها الى امراء قزان وقلعة آرچه وسائر الاعيان يعلمهم بماجرى فرضى الجميع بذلك وخلعوا صفاكراى خان عن الخانية فاراد ان يفتك بجميع من فى قزان من الروسية فمنعه الامراء وطلبوا منه الخروج من قزان فارسل زوجته الى مملكة ابيها ماماى خان النوغائى فاضطره الاعيان بعد ذلك الى ترك قزان خصوصا غورشادنه بكه اخت محمد امين خان وسيداوغلان وسائر المرازى ثم اتفق الجميع على انهم يملكون على انفسهم جان على (١) او اينال اخا شيخ على خان وكتبوا بذلك الى واسيلى معتذرين اليه بانه اذا تملك شيخ على خان فربما يريد الانتقام ممن له دخل فى خلعه سابقا فيفضى الامر الى الفتنة فقبله الكيناز واسيلى وارسل جان على خان من قلعة ميشير الى قزان خانا بها وعمره اذ ذاك ١٥ سنة ثم امره واسيلى بتزوج بنت المرزا يوسف (٢) الذى هو اقوى امرا نوغاى واحسنهم ففعل وكان ذلك بعد دخول سنة ٩٣٧ﻫ فكان مدة خانية صفاكراى خان فى هذه النوبة خمس سنين تقريبا واذا تأمل القارى يعرف فى بادى النظر انه حصل هنا من الامرا المذكورين خيانة والافلا يرى هنا شئ يقتضى الاعراض عن صفاكراى خان والله سبحانه اعلم ذكر حبس

(١) Эналея هكذا فى نسخة كارامزين وهو يحتمل اينال وجان على وقال بعضهم عين على وهو بعيد جدا . منه عفى عنه

(٢) وكان لها كنابسر ايچق وبنته هذه هى سيون بكه الآتى ذكرها مرارا . منه عفى عنه

شيخ علي خان قال كارامزين ولما جرى ما جرى من خانية جان علي وحرمان شيخ علي من الخانية مع اجتهاده غاية الاجتهاد ومخاطرته بروحه مرارا في سبيل ذلك حصلت له غاية الخجالة ونهاية اليأس ادت به الى التشبث باذيال الحيل فصار يكاتب امراء حاجي طرخان ونوغاي خفية يطلب منهم النجدة في استرداد الخانية فبلغ ذلك الكيناز واسيلي فحبسه في بيلي اوزير مع زوجته

ذكر هجوم صفا كراي خان بعساكر قرم على الروسية وايصاله الاضرار الكلي اليها انتقاما منها قال كارامزين ولما تولى جان علي خانية قزان استراحت الروسية مدة ثلاث سنين وكان امور قزان تجري في موسقوا وتكتب الفرامانات والاوامر لها فيها ولكنها كانت غير مستريحة من جهة قرم بل كانت منزعجة منها فان صفا كراي خان لما عادت الى قرم كانت يحرض عمه صاحب كراي للانتقام من الروسية فصار عساكر قرم يغيرون على حدود الروسية دائما وفي سنة ١٥٣٣ م وسنة ٩٤٠ هـ لما استعد الكيناز واسيلي للذهاب الى وولوق لامسكي للصيد والتنزه على عادته بلغه في ١٤ آغستوس وهو بمسكوا ان عساكر قرم قد هجموا على ولاية رزان تحت قيادة صفا كراي خان وقالغاي اسلام كراي عمه وهو اعني قالغاي المذكور يكتب الى واسيلي بانه ما يجيئ للمحاربة بل يجيئ لنصيحة صفا كراي خان ولما استخبر واسيلي بكثرة عساكر قرم خاف وارسل كافة قواده ارباب الاقتدار مع العسكر لمقابلة عسكر قرم وامرهم باخذ سواحل نهر اوقه وضبطها وان لا يتركوا عساكر قرم يعبروها وسار بنفسه ثاني اليوم اعني ١٥ آغستوس الى قولومنا وجمع كافة امرائه الكبار وقرروا الامر على المحافظة والمدافعة وامر بتوديع الاشياء النفيسة بكريمله فبلغه الخبر في ذلك الحين بان عساكر قرم يحرقون كافة البلدان والقرى بولاية رزان ويقتلون وينهبون ويأسرون ويسلبون وانهم يطؤن من يقابلهم كالسيل المنهمر فاستولى الخوف والدهشة على واسيلي فارسل لمقابلتهم القائد ديميتري واو باليسكي ولما راى عساكر قرم عساكر الروس تقهقروا ابر ونهم كانهم يخافونهم فتبعهم عساكر الروس بزعم انهم هربوا فكر التتار اليهم راجعين فانهزمت الروس شر هزيمة فقتلهم التتار عن بكرة

ابيهم سوى الذين اسروهم وسوى قائدهم اوباالينسكي فانه نجى بنفسه من مخلب المنية فتمت تلك المحاربة بغلبة التتار في مدة خمسة ايام وكان صاحب كراى خان يقول انه قد قتل من الروس في تلك المعركة مائة الف وكتب الى واسيلي بان القباحة فيك فان في قرم عساكر كثيرة وليس لهم ما يتعيشون به وانت لا ترسل الهدية فمن اين يتعيش هؤلاء وانا ارسلتهم الى ليتوا ولكنهم ساروا الى الروسية وكان ينبغي لك ان تمنعهم بالهدايا لا بالسيف فان البط لا يخاف بالماء وهؤلاء الاسارى لا يرجعون بل يباعون ان لم ترسل ما تفديهم به وكتب اليه اسلام كراى باني ما حاربت وانما حارب صفا كراى وانا على مودتي للروسية وكتب اليه صفا كراى خان كنت انا حين كنت خانا بقزان بمنزلة ولدك وما هجمت على بلادك قط بل قصدتني انت بسوء وسقت العساكر على مرارا حتى اضطررتني الى ترك خانيتي والفرار وترك الديار والآن قد اعطاني الله قوة واقتدارا بحيث انتقمت منك واورثتك ضررا كليا وجعلت كثيرا من بلادك رمادا واغتنمت من الغنايم ما لا يحصى ولا اكتفى بذلك بل كل من عاداك وغزاك اتفق معه واحاربك وانتقم منك وكان الكيناز واسيلي وقت مجيء هذه المكاتب المشتملة على الشماتة في مرض الموت فمات في الكانون الاول (ديكابر) مكمودا مقهورا مثل ابيه ايوان وكان خاتمة امره مثل فاتحته ثم تملك الروسية بعده ولده ايوان الملقب بغروزني يعني المدهش وعلى يده انقرضت دولة قزان فانفتح سد ياجوج وماجوج وانتشرت ياجوج الروس وماجوجها التي لا ياجوج ولا ماجوج الا هي ولا سد لها الا التتار الى الدنيا كلها قال كارامزين مناحين عد السفراء الواردين الى الروسية بعد تملك ايوان المذكور وبعد بيان غلبة خوانين نوغاى على استرخان ان هؤلاء الخوانين الصغار الصحراويين مثل شيداق ومماى وقوشم(١) وغيرهم كانوا يعيشون على الموادة والمصافاة مع الروسية لما كانت لهم في ذلك

---

(١) لعله كوچم

فوائد جمة وكانوا يشتكون من قوازق ميشبر(١) فانهم كانوا يسوقون ويسرقون خيولهم واموالهم وكانوا يطلبون الهدايا من الروسية دائما ويعدون انفسهم بمراتب خوانين قرم فان لم ترسل الروسية لهم الهدية كانوا يقولون ان اجدادنا قد رأوا موسكو ونحن ايضا نذهب اليها ونراها وكانوا يفتخرون بوجود ثلاثمائة الف عسكر فيهم ويهددون الروسية بها وكانوا يستفيدون من الروسية بالتجارة وكذلك الروسية كانت تستفيد منهم بها وكانوا يجيئون الروسية بخمسين الفا من الخيل للبيع فاذا اعطوا الهدايا من الروسية كانوا لا يتركون عساكر قرم يمرون على اراضيهم الى الروسية وكان شيداق يعد نفسه اكبر خوانين نوغاى وكان ماماى يعد نفسه ولى عهده ونائبه وقد كتب ماماى المذكور الى ايوان المدهش يعزيه بابيه اعزى اخى ايوان وانا أسف على موت ابيك تأسفا كثيرا ولكن ما العلاج فان الموت لابد منه لكل احد وقد مات ابونا آدم وامنا حواء ومن ولد الى عصرنا هذا وكلمامات الوالد يرثه الولد ويقوم مقامه فانا ابكى معك واشركك فى حزنك ولكن لابد من الاستسلام قال كارامزين ان كتابة هؤلاء على هذا النهج الفيلسوفى تشعر بان فيهم العلماء والادباء وان لهم فى الوقت المذكور ادبيات وانهم عقلاء اصحاب التدبير اه قلت وهذا الكلام مبنى على اعتقاد انهم جهلاء(٢) وحشيون وبرابرة كما انه اعنى المورخ كثيرا ما يطلقها عليهم قلت ويقال لماماى هذا ماماى الصغير احترازا عن ماماى الكبير الذى تقدم ذكره وهو صهر صفا كراى خان كمامر وبهذه المناسبة ذكرناهم هنا ومن جملة مشاهير امراء نوغاى ايضا المرزا آلاچ والمرزا موسى وابنه المرزا يوسف الذى تزوج جان على خان بنته كمامر وهى سيون بكه التى تزوجها صفا كراى خان بعد قتله كما سيجئ وكان السلطان سليمان يحبه ويعظمه ويخاطبه فى مكاتيبه

---

(١) والظاهر ان هذا غير قلعة مشبر التى يقال لها قاسم وخان كرمان وقد مران عسكر محمد كراى خان دخلوا عليها وعلى البلاد التى بساحل بحر ازاق فدل هذا والذى هنا انها فى تلك الجهة منه عفى عنه .

(٢) فان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن يعتقد فيهم الجهل منه عفى عنه .

بامير الامراء وطوائف نوغاى بك المكرمين الموجودين فى ولاية اورنبورغ واوفا هم بقية اتباع هؤلاء المذكورين وكان الروس جزاهم بالاكراه مكافأة بمودة هؤلاء وصداقتهم للروسية جزاء سنمارذكر قتل جان على خان وخانية صفا كراى خان ثانيا قال كارامزين لما بين تملك ايوان المدهش وكان الذى يهم ايوان امور قرم وليتوا وقزان فكتب الى قرم وليتوا يطلب منهم الصلح فاجاباه بالاغارة الى بلاد الروسية وتخريبها فعلا واعلن حماية قزان فجدد جان على واهل قزان عهدهما مع ايوان ثم قال بعد بيان وتابع صاحب كراى خان مع اسلام كراى خان انه حصر همه على الانتقام من موسكوا واعادة صفا كراى خان الى خانية قزان ففى سنة ١٥٣٥ م وسنة ٩٤٢ هـ قام الامراء الذين كانوا تحت امر غورشادنه بكه ومرزا بولاط على جان على خان وخلعوه من الخانية وقتلوه فى بلدة آرچه ثم كتبوا الى صفا كراى خان يخبرونه بماجرى ويدعونه الى قزان للجلوس الى الخانية سريعا فجاء بلاتوان وجلس على الخانية ثانيا فزوجه ارملة جان على خان بنت المرزا يوسف النوغائى يعنى سيون بكه فكان مدة خانية جان على خان خمس سنين تقريبا ومدة عمره عشرين سنة رحمه الله تعالى وقال الفاضل المرجانى انه قتلوه فى موسكوا صبرا وما مر رناه نقلناه من تاريخ كارامزين والله تعالى اعلم قال ولما بلغت ماجريات قزان موسكوا ارسل امراؤها الى قزان شخصا يستعلم احوالها ويستطلع على اسرارها وكتبوا كتابا الى غورشادنه بكه واوغلان (هكذا ولعله سيد اوغلان كما مر) وكان الكيناز ايوان وقتئذ ابن ست سنين وكان الامر بيد والدته يلونه وقبل ان يجيئ الشخص المذكور من قزان بلغ منافقوا التتار المقيمين فى ساحل ولغا المنخرطين فى سلك خدام الروسية اخبار قزان اى الامراء المذكورين وقالوا ان اهل قزان فرقتين فرقة فى طرف صفا كراى خان وفرقة فى طرف الروسية وفيهم غورشاد (١) نه بكه بنت ابراهيم خان ومرزا بولاد فان ارسل اليهم شيخ على خان فالظاهر

(١) هكذا فى الاصل المنقول عنه وتقدم ان قاتل جان على خان وداعى صفا كراى خان هى وجماعتها والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

انهم يقبلونه و يطردون صفاكراى خان ويقبلون تبعية الروس فارسلوا الى بيلى اوزبر اناسا مخصوصين وجاؤا منها بشيخ على خان بعد اخراجه من الحبس فاعتذر الى الكيناز ايوان بعد ان اعترف بجرمه وندم عليه واسف على موت اخيه جان على خان فى خدمة الروسية وتمنى ان يكون هو مكانه فاجابه الكيناز كاربوف من طرف الكيناز ايوان ايها الخان لاتذكر الذى مضى فان الكيناز قد عفاه عنك فعليك بعد هذا بالصداقة والامانة ثم اضافه الكيناز ايوان فى قصره مع جمع من امرائه الكبار بضيافة عظيمة ومعه زوجته فاطمة سلطان وقد التقتت اليها يلونه ام ايوان التفاتا فائقا ثم لما ارسلوا الى قزان يخبرون بمجيئهم بخبر شيخ على لم يقدروا ان يصنعوا شيئا فان صفا كراى خان قد قبض ازمة كافة الامور بيد اقتداره واسم يترك للحركة مجالا ذكر مسير عسكر الروس الى قزان وانكسار الفرقة الاولى منهما وانتصار الثانية انتصارا ما قال فاقتضى الحال سوق العسكر الى قزان لمحاربتهم فارسلوا عسكرا تحت قيادة القائد غوندوروف وزاميتسكى من قلعة ميشير ولما قابلوا عسكر قزان هربوا ورجعوا من غير مقابلة فانتشر عسكر قزان بتعقيبهم الى ولاية نيژنى نووغورد فرماهما امراء الروس الى الحبس لسفالتهما حيث هربوا برؤية ظل عسكر التتار من بعيد ثم ساقوا عسكرا آخر تحت قيادة القائد صابوروف وقاربوف فكسر هؤلاء عسكر التتار واسروا كثيرا منهم ومن الچرامشة وطردوا البواقى وساقوا الاسارى الى موسكوا وقتلوهم امام كافة اركان حكوماتهم واظهروا بذلك الى العالم مقدار مدنية الروس ثم ذكر كارامزين بعد ذلك ماجريات قرم من الاختلاف الواقع بين صاحب كراى خان واسلام كراى خان واستقلالية صاحب كراى بقتل اسلام كراى ثم قال انه لما اطمئن خاطره بقتل رقيبه كتب الى الكيناز ايوان بعد ان سلب جميع مافى سفيره بقرم يخبره بقتل اسلام كراى الذى كثيرا مايميل الى طرف الروسية (ولعل السفير المذكور هو سفير اليه) ويطلب منه النقود ويعده فى مقابلته الموادة لكن بشرط ان لايصل منه الى قزان ادنى ضرر فان اصابها منه ادنى ضررا وطلب من اهلها الخراج تكون الدنيا ضيقة عليه ويطلب منه

ان يرسل الى قرم واسيلى شويسكى او تيليپنف او غيرهما من مشاهير امرائه يكون سفيرا بها ورهنا وهو ايضا يرسل واحدا من طرفه سفيرا الى موسكوا وكان عسكر الروس فى الوقت المذكور متهيأ للمسير الى قزان فان عسكر قزان كانوا لا يزالون يغيرون على اطراف موسكوا ويخربونها وينهبونها وكان يقود العسكر المذكور القائد صابوروف وزاسيكين وكانوا معهم خيالة تتار ميشير فالتقاهم عسكر قزان بشاطئ وولغا وكسروهم وهزموهم فرجعوا بشر هزيمة قال وفى الكانون الثانى اول سنة ١٥٣٧ م وسنة ٩٤٣ ﻫ هجم صفا كراى خان بنفسه بغتة الى اطراف مورم فخرج اليه عسكر من موسكوا فرجع الى قزان ولم يقدران يأخذ البلد وحيث كان الروس مصالحا مع ليتوا فى الوقت المذكور ومطمئن الخاطر من جهتها ارادوا ان يرسلوا الى قزان جيشا كثيفا للاستيلاء عليها فجاءهم رسل صفا كراى خان فى تلك الاثناء بطلب الصلح فابوا عن قبوله فى اول وهلة ولكن لما جاءهم كتاب صاحب كراى خان قبلوه ضرورة وكفوا ايديهم عن قزان وكتبوا المعاهدة بها ثم ارسلوا الى صاحب كراى خان يقولون له ان قزان قد اخذها اجداد نا بسفك دماء من عساكرهم وهى تابعة الينا منذ زمن كثير وانت استوليت عليها بالحيلة فباى حق وحجة تدعيها لنفسك ونحن الآن قد عفونا عن صفا كراى كافة قبائحه وصالحناه على ما طلبه منا بشرط ان يحلف على الصداقة والامانة ثم لا يمكننا ان نرسل الكيناز واسيلى شويسكى وتيليپنف لانهما فى وظيفة مهمة هنا ولكنا نرسل غيرهما فانتم هذا الصلح على هذه الكيفية فاستفادت الروس من هذا الصلح فوائد جمة لانها نظمت امورها الداخلية وبنت القلاع والحصون فى مواضع مهمة والحاصل انها قد امنت استقبالها بالتمام وقال فى اثناء بيان وقائع سنة ١٥٣٩ م وسنة ٩٤٦ ﻫ بعد ان بين فساد الامور فى داخلية الروسية بوقوع الرقابة بين امرائها وبيان تعجيز صاحب كراى خان اياها من خارج وكانت حكومة قزان لا تريح الروسية من جهة اخرى بل لا كانت تزال تغير عليها دائما منذ سنتين وقد اغارت على ولاية نيژنى نوغورد وبالاخص مورم وميشير وغوروخف وولاديمير وشويه ويوريف وكاسترا ما وكينيشما وغاليچه واوستوغ وولوغدا واونوتما وواتكا

وبيرمه وغيرها فنهبت وسلبت وخربت * وقال نقلا عن بعض مورخي الروس ان ضرر حكومة قزان بالروسية كان اعظم واشد واكثر من ضرر باتوخان بها فان باتوخان مر بالروسية كالبرق الخاطف واما حكومة قزان فما زالت تريق دماء الروسية كالبحر وتخرب بلادها وتنهب اموالها وتحرق كنائيسها ومناستيرها (اديرتها) وتاسر اهلها حتى صارت الروسية يعني في البلاد المذكورة تترك البلدان والقرى وسكنت في الغابات كالوحوش وكانت التتار اتخذت كنائيسهم واديرتهم اصطبلا وآخورا لخيولهم وكانوا يسيمون من بايديهم من اسارى الروس انواع العذاب بقطع آذانهم وآنافهم ويقلعون عيونهم ويكسرون ايديهم وارجلهم واكبر واعظم واقبح واشنع من هذه كلها انهم كانوا يدخلونهم في الاسلام ويخرجونهم من النصرانية وما كانت امراء الروس يقدرون على شيء مع معاينة هذه الاحوال ومشاهدة تلك الاهوال سوى الكتابة الى صاحب كراي خان القرمي ببيان صبرهم وثباتهم عليها قال المورخ الذي نقل عنه كارامزين انا كتبت هذه المذكورات كلها مشاهدة ومعاينة لاسماعا وقد بقيت(١) الروسية وقتاما وسط نيران فتنة التتار وان كانت امراء الروس يطلبون الصلح من صاحب كراي دائما ولكنهم كانوا لاينالونه وكانت سفراء الخان المذكور كثيرا ماينصرفون في المحاكم الكبار بموسكوا كما ينصرفون في بيوتهم وكان امين كراي ولد الخان يخرب بلدة كاشير وغيرها وينهبها فما كانت الامراء يعدون صنيعه هذا من القباحة بل كانوا يغمضون عنه ويقولون على سبيل الاعتذار من جانبه انه شاب لايعقل ولا يسمع كلام ابيه يفعل مايفعل ثم يرجع ذكر مسير عسكر قرم وقزان الى الروسية ومحاربتها اياها قال كارامزين وفي سنة ١٥٤٠م وسنة ٩٤٧ﻫ كان

---

(١) قلت وهذه المذكورات كلها افتراء واختلاق بعض اختلقوها لتهييج حمية الروسية واغضابهم وهم كذلك الى الان وقد صوروا اثناء الحرب الاخيرة مع الدولة العلية صورة قتل السودان الاطفال الرضع ورفعهم فوق الاسنة وقد نطحوا السنة هذه اطفال اثناء حرب الدولة واليونان الاخيرة وطافوا بهم في البلدان وقالوا ان عساكر الترك قطعوا السنتهم فاذا كان صنيعهم هو هذا في هذا الزمان فماذا تقول في ذاك الزمان والحاصل ان جل امورهم مبنية على الافتراء والبهتان للتحريش بالمسلمين . منه عفي عنه .

صاحب كراى خان يجمع العساكر للمسير الى الروسية وارسل الى صفا كراى خان بقزان يحرضه على المسير اليها ايضا ولكن كان من المعلوم انه لا يسير الا فى اول الربيع وكذلك صفا كراى خان كان لا يفارق ساحل نهر ولغا ففى الكانون الاول من العام المذكور هجم صفا كراى خان بعساكره على اطراف نيژنى ومورم فقابلهم اهالى الولاية المذكورة وسار اليهم القائد ديميترى بعسكر موسكوا من جهة وشيخ على خان القاسمى مع عساكره المنافقين من جهة اخرى وحاربوهم واجبروهم على الرجوع الى قزان فكتب منافقوا امراء قزان الذين كانوا لا يرضون بمسيره هذا بل بجميع اموره الى كيناز موسقوا ايوان يطلبون منه ارسال العساكر ويعدون اعدام صفا كراى خان اوتسليمه الى الروسية ومنهم الكيناز بولاط فحشدت الروس العساكر من جميع بلادها فى ولاديمير وجعلوها تحت قيادة الكيناز ايوان ابن واسيلى شويسكى ولكن لم يرسلوها الى قزان بل كتبوا الى رئيس المنافقين بها الكيناز بولاط يستخبرون منه الاحوال ويعيدونه بمواعيد كاذبة من حطام الدنيا ان وفى هو بعهده ووعده وبغى وغوى وباع دينه باقل من نوى وصاروا ينتظرون الخبر وكانوا يستعدون من جهة اخرى لمقابلة عسكر قرم ويجمعون العساكر لاجلها فى موسكوا وقولومنا لانهم استخبروا ان صاحب كراى خان على نية الهجوم على الروسية فى اول الربيع مع اقامة سفيرى كل منهما فى مقر حكومة الآخر بموجب المعاهدة بينهما وبينما هم على هذا الحال اذ بلغهم ان صاحب كراى خان سار على الروسية بجميع عساكر قرم ولم يبق فيها احد سوى الصبيان والنساء ومعه الطوبجية من العساكر العثمانية وكثير من عساكر نوغاى ثم تحقق ان كافة من معه من العساكر مائة وخمسون الفا وان الكيناز سيمون بيلسكى الروسى قد وعدهم بالدلالة على الطريق والمعابر فخرج القائد ديميترى بيلسكى بعساكر الروس لملاقاة التتار ومدافعتهم وبقى الكيناز ايوان شويسكى مع خادمهم القديم شيخ على خان مع فرقة من العساكر المحشدة للمسير الى قزان فى ولاديمير وكانه للاحتياط من هجوم عسكر قزان من تلك الجهة وكان ذلك فى ربيع سنة ١٥٤١ م

وسنة ٩٤٨هـ صارت الروس يأتون من جميع بلادهم افواجا افواجا ويلحقون بمعسكرهم العام وكان صاحب كراى خان قد عبر نهر تن (دون) ووطأ ارض الروس وحاصر من قلاعها قلعة رازابسكي في تموز (يوليه) من العام المذكور ولكنه لم يتيسر له فتحها وكان الكيناز ايوان ابن عشر سنين في الوقت المذكور وكان(١) يبكي في الكنيسة مع اخيه يوري وكان الاهالي يبكون لبكائهما وكان الايوان يقول في عبادته لصورة مريم على زعمهم وسائر الصور والتماثيل (ياالهنا كما انك انجيت اجدادنا من قور تيمرلنك نجينا ايضا من هذه الفتنة فان تبعتنا ورعايانا ينتظرون المدد والمعونة منا) وقد وقع الاختلاف العظيم بين امراء الروس في موسكوا في كيفية حفظ الكيناز ايوان واخيه فاراد بعضهم ان يخرجا من موسكوا واراد بعض آخر بقاءهما فيها فقال المطران ان نووغورود وپسكوف قريبان من ليتوا التي هي اعداؤنا وكاسترما ويارسلاو وغاليچ كانها بيد القزانيين الذين هم اشد اعدائنا فالارجح ان يقيما في موسكوا فانها بلدة محفوفة ومحفوظة بارواح الاولياء فلا يصيبهما شيء بحفظهم فقر اراؤهم على ذلك وقالوا ان الكيناز شويسكي وشيغ على يحفظان البلدة ونحن نعتمد عليها كمال اعتماد وأتمنهما وصاحوا بصوت عال وقالوا ايها الملك الاعظم اقم معنا بموسقوا وما كنا احياء لا يصل اليك يد احد فشكرهم الكيناز ايوان والدموع يسيل من عينيه وامر بتحصين موسكوا فطفق الاهالي يعانق بعضهم بعضا ويستحلون حقوقهم ويستعدون للموت وحرض ايوان امراءه على الحرب ووعدهم بمواعد حسنة فعاهدوه جميعا على انهم لا يتركون الحرب من غير موت او ظفر وكان صاحب كراى خان قد وصل الى ساحل نهر اوقه وعساكر الروس مصطفون للحرب في طرف آخر من النهر المذكور مستعدون لمدافعتهم ومنعهم من عبور النهر ولما شرع عساكر التتار في عبور النهر منعتهم الروس وصارت الطوپچية العثمانية يرمونهم بالمدافع ولكنهم لم يبالوا بذلك بل تزاحموا في المدافعة والمنع من العبور وتمادوا توافق ذلك فلم يتركوهم يعبرون فلام صاحب كراى خان الكيناز سيمون بيلسكى الدليل على وصفه عساكر

---

(١) انظر تاريخ كارامزين جلد ٨ ص ٥٣ وص ٥٤ منه عفي عنه

الروس بالقلة والضعف وتأخر من ساحل النهر واراد ان (١) يرجع فى حينه ولكن لم يتركه الامراء المجربون للامور وانتظروا الى عاقبة الحرب فابدت الروسية سرورا عظيما المظفريتهم هذه ولم يناموا طول الليل بل امضوه بالصياح والفرح والسرور وصوبوا مدافعهم نحو عسكر قرم فلما شاهد صاحب كراى خان فرحهم وسرورهم هذا والتحاق الروس بهم من كل جانب افواجا افواجا انثنى راجعا الى بلاده قبل الصباح مع عساكره تاركين مدافعهم فاغتنمتها الروسية وفرحوا بها غاية الفرح وارسلوا لتعقيب القرميين فرقة من العساكر مع بعض قوادهم فاسروا بعض ضعفائهم العاجزين عن المشى فاراد صاحب كراى خان ان يفتح بلدة پرونسكى فقاومه محافظوه اشد المقاومة وجاءهم الامداد من موسكوا فى اثناء المحاصرة فتركها ورجع الى بلاده فى ٦ آغستوس ورجع ولده امين كراى ايضا من اوديف فلا تسال حينئذ عن مقدار فرح الروس وسرورهم ولما رجع الكيناز شوبسكى الى ولاديمر مع العسكر استعد للمسير الى قزان ولكنهم شرعوا قبل المسير اليها فى زرع بزر الفساد فى قلوب المنافقين من اهلها واعيانها فجاءهم الخبر بان الكيناز بولاط قد رجع عما نواه من طرد صفا كراى خان او اعدامه وكتب الى ديميتيرى بيلسكى يخبره بذلك وكتبت غورشادنه سلطان الى الكيناز ايوان تخبره بان قزان ستنقرض قريبا وموسكوا انعظم جدا فظننتها الروسية بعد ذلك كامنة وكانت عالمة اديبة ثم ارسل صفا كراى خان الى موسكوا يطلب الصلح والمهادنة فرفضت الروسية طلبها ذكر مسير الروس الى قزان وافسادها فى اطرافها وافضاء ذلك الى انفصال صفا كراى خان وخانية شيخ على خان ثانيا ثم انفصاله عنها قريبا وعود صفا كراى خان اليها ثالثا قال كارامزين فى اثناء بيان وقائع سنة ١٥٤٦م وسنة ٩٥٣ ﻫ قد سئمت الروسية خداع حكومة قزان واغارتها على الروسية دائما وعيل صبرها عنها وكانت تريد ان تنتقم منها دائما ففى العام المذكور سار فرقة من عسكر الروس من موسكوا وفرقة اخرى منهم من واتكا واجتمعتا

(١) وامثال هذه الاقوال من اعجب العجاب اكان هؤلاء مجانين يريدون الرجوع بلا سبب بعد بلوغ الامر الى هذا الحد فان صح فلا شك فى جنونهم . منه عفى عنه

تحت سور قزان فى يوم واحد وساعة واحدة على غفلة من اهل قزان واحرقوا اطرافها وبعض ابنية الخان وقتلوا كثيرا منهم بقرب البلد وفى ساحل نهر زوه واسروا كثيرا واغتنموا وافسدوا ثم رجعوا الى بلادهم بلا مقابلة احد اياهم فظن صفا كراى خان ان هذا من خيانة بعض الامراء فقتل بعضهم وطرد البعض فانحرف الامراء منه فكتبوا الى كيناز الروسية يطلبون منه العسكر ويعدونه باخراج صفا كراى خان مع امراء قرم من قزان فكتب اليهم الكيناز ايوان يأمرهم بالقبض على صفا كراى خان او بطرده اولا ووعدهم بارسال العسكر بعد ذلك واسعافهم بمرامهم فهموا بالقبض على صفا كراى خان فخرج من قزان مع مخلصيه فحصلت الفتنة حينئذ بقزان بين اهلها واهل قرم بها فقتل منهم خلق كثير ثم كتب الكيناز سيد اوغلان وسائر الامراء الى ايوان يطلبون منه شيخ على خان ويحلفون على الصداقة فارسله الى قزان مع ديميترى بيلسكى وپاليتسكى فاجلسوه على مسند خانية قزان ثانيا وزينوا البلد بانواع الزينة لجلوسه ولكنهم لم يفوا بعهدهم فانه كان مرامهم ان ينصبوا شيخ على خان خانا فى الظاهر فقط ويكون الامور كلها فى الحقيقة فى ايديهم يفعلون فيها ما يشاؤن فحجروا عليه وحبسوه فى قصره ولم يتركوه يختلط بالناس وضيقوا عليه تضييقا شديدا وحبسوا الذين كانوا يظهرون الاخلاص والوداد لشيخ على خان وقتلوا منهم البعض والحاصل قامت الفتن على قدم وساق وانسدت طرق المعيشة وفقد الامن قال بعض المورخين كان شيخ على خان يعرف ذلك ولكنه قبل الخانية امتثالا لامر مولاه الكيناز ايوان ولكن تهالكه لتحصيل الخانية بعد ذلك يكذب هذا القول وكان الكيناز چوره المنافق يحاول اقناع اهل القزان بالكلمات المزخرفة لطاعة شيخ على خان ولكنهم لم يغتروا وابغضوه بل ارادوا ارجاع صفا كراى خان وكان هو يقيم بساحل نهر قاما بعسكر نوغاى فاخبر الكيناز چوره المذكور شيخ على خان بذلك وحرضه على الخروج من قزان قبل فوت الفرصة حتى هيأ له السفينة فلما كان يوم عيد هرب به ليلا من قزان وارسله بالسفينة من نهر وولغا الى موسكوا فدخل صفا كراى خان قزان وجلس على مسند الخانية بها ثالثا وقتل المنافق الكيناز چوره وسلخه

وملاء جلده بالتبن عبرة لخونة الملة والوطن وقتل كثيرا من الخونة امثاله وهرب ستة وسبعون نفرا من اقربائه الى موسكو التحريض الروسية على حرب قزان وبعد هذه الوقعة كان صفا كراى خان لا يأتمن على اهل قزان لنفسه ولا يعتمد عليهم وجعل حراسه من عسكر نوغاى نفى الوقت المذكور عينه ورد سفراء چرامشة الجبل الى موسكو وعرضوا الطاعة على الروسية وقالوا انهم مستعدون للسفر معها ان سارت الى حرب قزان وكان الموسم موسم الشتاء فاخروا السفر الى قزان الى موسم الربيع ولكن ارسلوا القائد الكساندر الغور باطى مع فرقة من العسكر الى ساحل نهر ضيا من ارض قزان لتجربة صداقة الچرامشة المذكورين فاغارت الچرامشة على اطراف قزان وجاؤا منها بغنائم كثيرة واثبتوا بذلك صداقتهم للروسية قلت نرى ان هؤلاء الچرامشة الذين كانوا يحاربون الروسية مع اهل قزان بغاية الصداقة والبسالة كما مر قد انفكت الآن من التتار وانضمت الى اعدائهم الروسية وما ذلك الا لسوء ادارة حكومة قزان واهمالهم الامور خصوصا فى جلب خواطر امثال هؤلاء الاقوام المجاورين ودسايس الروسية واجتهادهم فى جلب قلوبهم على عكس حكومة قزان انا لله وانا اليه راجعون ذكر مسير الكيناز ايوان المدهش الى حرب قزان بنفسه اول مرة وعوده عنه خائبا قال كارامزين فى خلال بيان حوادث سنة ١٥٤٧ م وسنة ٩٥٣ ه بعد بيان بلوغ الكيناز ايوان ١٧ سنة من العمر وبيان تزوجه وتلقبه بلقب تسار يعنى القيصر ان خيانة حكومة قزان واذيتهم الروسية على وجه امتلاءت جهة الجنوب والشمال الشرقى على مسافة مائتى ويرسته من موسكوا بعظام الروس ولم تبق فيها بلدة ولا قرية سالمة ودوام الاختلال فيها قد سلبت الصبر عن ايوان فامر بجمع العساكر ولما تكامل جمعه خرج بهم من موسكو قاصدا القزان فى الكانون الاول من العام المذكور ولكنه انعكس الامر حيث نزل المطر مكان الثلج وفسدت الطرق والمعابر وكانت عربات نقل الذخائر والمهمات والمدافع تقعد فى الوحل والطين فوصلوا بالوف من المشقة الى ويلنه التى هى على مسافة ١٥ ويرسته من نيژنى نوغورد فى ٢ شباط من سنة ١٥٤٨ ولما كانوا بجزيرة رابوتكى من نهر وولغا استولى الماء على الجلد

الذى فوق النهر كله وانخسف الجلد فذهبت المهمات والمدافع كلها وكثير
من العساكر تحت الماء وبقى الايوان بتلك الجزيرة ثلاثة أيام محصورا
بالماء ثم تخلص من المهلكة بالف مشقة فتطير من هذا الصنيع ورجع
منها الى موسكو امكمودا مقهورا بعد ان ارسل ديميترى بيلسكى مع فرقة
من العساكر الى قزان وفيهم مملوكهم شيخ على خان وكان صفا كراى
خان ينتظرهم فى ميدان آرچه فانتشب القتل بينه وبين طليعة الروس
فوقع الانهزام على عسكر قزان وقتل من مشاهير شجعانهم
الشجيع غزيق واسر البعض فحرب اهل قزان لاختشاره قرى كثيرة
فى غاليتسه حتى ردهم القائد باكوولف بعسكر كاسترام وقتل منهم الشجيع
اراق فى ميدان غوسيف بساحل نهر بغورقى وكان ايوان قد صمم على اخذ
قزان ومحوها بالكلية ولذلك جدد الصلح مع ليتوا وقوى عزمه المذكور
وكان صاحب كراى خان القرمى يهدده من جهة اخرى وكان قد استولى على
حاجى طرخان واجبر سكان نهر تن وقوبان وطمان على الاسكان بشبه جزيرة قرم
وارسل الى ايوان يخبره بذلك ويهدده ان لم يصالحه ويرسل اليه ١٠٠،٠٠٠
ذهب وحيث كان ايوان عازما على حرب قزان ومن المعلوم ان حرب قزان
هو عين حرب قرم حبس سفير صاحب كراى خان لانه كان متيقنا ومطمئنا
بكفاية قوته واقتداره على المقاومة والمصارعة بجميع سلالة باتوخان حيث
اضمحلت خانية سراى من مدة مديدة وتفرقت البواقى شذر مذر لا يجتمعون
تحت لواء واحد ولا يرضون برياسة احد منهم بل يحرص كل منهم على اضمحلال
غيره باى وجه كان ولا يتفكر فى وخامة عاقبة التفرق والتشتت والروسية
بخلاف ذلك فى الوقت المذكور حيث لم تترك الحكومات الصغار منها بل
جمعت كافة الروسية تحت راية واحدة وتحت حكم حاكم واحد ولم تبق للاختلاف
والاختلال ادنى مجال ونظمت عساكرها على نظام عسكر التتار بمعونة
المنافقين الملتجئين اليها من اولاد خوانين التتار وقد حصل منهم معونة
عظيمة باتباعهم من نفس التتار وجعلهم آلة لايقاع الفتنة والاختلاف بين
البواقى استقلالهم واتخذتهم اعظم وسيلة لخداعهم وايراث الفشل اياهم والطمئن

خاطره ايضا من جهة ليتوا بتجديد الصلح معها وحيث اجتمعت لديه تلك الاسباب
كيف يخاف من حكومة قرم وقزان ومع ذلك كان قد ملأ جيوب باشوات
كفه من الحجر الاصفر حتى لا يبلغ مصائب قزان السلطان سليمان الا مخالفة
للواقع بحيث لا يلتفت السلطان المشار اليه اليها ولا يعبأ بها وقد ظفر بمقصد
هذا ايضا كما سنطلع عليه ذكر وفاة صفا كراى خان رحمه الله تعالى وبقاء
قزان شاغرة بلا رئيس ومسير ايوان اليها مصمما اخذها واستيصالها
ورجوعه عنها ايضا خائبا قال كارامزين وفى مارت من سنة ١٥٤٩ م
وفى صفر من سنة ٩٥٦ هـ توفى صفا كراى خان فى قصره حتف انفه فجأة وخلف
ابنا صغيرا من زوجته سيون بكه بنت المرزا يوسف النوغائى المار ذكرها
التى كانت احب زوجاته اليه وكان عمره اذذاك سنتان فاجلسه اركان الدولة
فى مسند الخانية لئلا ينحل عقد اتفاقهم واجتماعهم وارسلوا الى صاحب كراى
خان بقرم يطلبون منه للخانية لهم ولده على قول كارامزين او ولد صفا كراى خان
الذى كان بقرم يسمى بولك كراى على قول صاحب السبع السيار قلت تملك
المرحوم صفا كراى خان فى النوبة الاخيرة مدة ١٤ سنة تقريبا مع وقوع فصل
يسير فيها فى وقعة شيخ على خان كما مر وبلغ من العمر على ما مر فى اول تملكه
٣٩ سنة رحمه الله تعالى وغفر له قال الجنابى فى تاريخه تحفة الاديب فى حقه
انه كان من اعظم الخوانين واشدهم بأسا ملك سبعا وعشرين سنة كانت
رياض الملك فى زمانه نزهة وممالك النصر فى ايامه معمورة فلما توفى قام فى
ملكه ولده اوده ميش كراى خان وكان طفلا اقام ثلاث سنوات وفى ايامه طمع
الكفار فى قزان ولم يزالوا يتقاربون ويشرفون حتى اخذوها فى زمان شغلى
كراى (شيخ على) خان اه قلت قوله ملك سبعا وعشرين سنة يعنى من غير
اعتبار انفصاله بخانية جان على خان وهو ايضا تقريبى والا فقد وقفت على مدة
خانيته فى النوبتين فتذكر ولما اقام الامراء ولده الصغير المذكور اوده ميش
كراى خان فى مقامه فى الملك وارسلوا الى عم ابيه صاحب كراى خان بقرم
يطلبون منه خانا مقتدرا على حمايتهم من تعرض الاعداء وهو بولك كراى

سلطان بن صفا كراى المتوفى ارسلوا الى ايوان بموسكوا كتابا يطلبون منه الصلح من لسان الخان الصغير فاجابهم الايوان بانه انما يطلبون الصلح بواسطة السفير لا بواسطة الكتابة ثم امر بجمع كافة عساكره مغتنما تلك الفرصة التى بقيت فيها قزان بلا رئيس يدافع عنها ويصدر عن امره ويرجع اليه فى الامور للاستيلاء عليها فجمعوا الاوردو الكبير فى سوزدل وجعلوا مفرزة الاستكشاف فى بلدة شوى وموروم وجمعوا عساكر الحرس والقراغول فى بوريف وحشد الجناح الايمن فى كاستراما والايسر فى يارسلاول فسار ايوان فى ٢٤ التشرين الثانى من موسكوا الى ولاديمير وابقى مكانه بموسكوا الكيناز ولاديمر بن آندرى واخذ اخاه الصغير يورى معه واخذ ايضا شيخ على خان مع اتباعه وكثير من منافقى التتار الذين كانوا هربوا من قزان وكان الشتا فى غاية البرودة فمات كثير من عساكره من البرد وكان مع ذلك يتحمل اذية البرد ومشقته ويحرض عساكره ويشجعهم على المحاربة فاجتمع عساكره كلها فى نيزنى نووغورد ووصلوا الى تحت قلعة قزان فى ١٤ شباط سنة ١٥٥٠ م وسنة ٩٥٧ ه فاقام ايوان مع امرائه وعساكره الخاصة بساحل غدير قزان يعنى جهة الشرقية وعسكر معظم عساكره تحت قيادة شيخ على خان وايوان بيلسكى بميدان آرچه يعنى الجهة الشمالية ووضعوا فرقة من عساكرهم وراء نهر قزان يعنى الجهة الغربية ووضعوا مدافعهم بسواحل بولاق والغدير النجس يعنى الجهة الجنوبية يعنى احاطوا بها من كل جانب وحاصروها حصارا رسميا وانشأوا المتارس وشرعوا فى المحاربة ولا يكتب المورخ عدد هذه العساكر ولكنه يقول ان الروسية لم تتقرب قط بمثل هذه العساكر الى قزان وانما الكيناز الشاب سل سيفه نفسه وصار تمثال الشجاعة لعسكره وكان يحرضهم على القتال ويشجعهم ويرتبهم الترتيبات الجيدة وقدر مرارا جيشهم بمائة وخمسين الف فلا يكون هذا العسكر اقل من مائتى الف بلاشبهة واما القزانيون فكان ملكهم فى المهد وكان كثير من المنافقين من اركان دولته ومدبرى اموره يهرب من قزان ويجيئ معسكر ايوان

وينال منه انواع الالتفات و لاحترام و الاحسان وبعض عبره من اعيان
قزان خفية على الانسلاك فى سلك النفاق مثل هجم فى تلك الاثناء ٦٠،٠٠٠
عسكرا من الروس الى قلعة قزان المبنية من الاخشاب فقابلهم اهل قزان
بغاية البسالة و الشجاعة ودافعوهم دفاع الاسود عن اشباله و اشتد القتال
وامتد طول اليوم الكامل فقتل منهم كثير واسر البعض وممن قتل من
الكبراء المرزا چلپاق من امراء قرم وواحد من اولاد صفا كراى خان من
احدى زوجاته ولكن لما لم تجىء آخر ساعات قزان لم يقدروا ان يأخذوا
القلعة وفى تلك الاثناء تبدلت برودة الهواء حرارة دفعة واحدة وشرع
المطر فى النزول والثلج والجليد فى الذوبان وسدت الطرق والمعابر
وتعطلت المدافع وقلت اقوات عسكر ايوان بل نفدت فاستولى الخوف
على ايوان من نفاد القوت فرجح الفرار على القرار فكر راجعا الى بلاده فى
٢٥ الشباط المذكور بغاية الهموم لحرمانه من اخذ قزان وليس فى قلبه
سواه فكانت مدة اقامته بها عشرة ايام فجعل وقت رجوعه الاوردو الكبير
مع المدافع امامه وسار هو بنفسه مع الخيالة والعساكر الخفيفة فى الساقة
احتياطا لئلا يهجم عسكر قزان الى المشاة من عسكره ويستولوا على المدافع
وكان يلاحظ الاطراف والجوانب والطرق والمسالك بغاية الدقة مؤملا عوده اليها
ثانيا قلت لا يخفى على المتامل ان الله سبحانه قد حفظ قزان فى هذين النوبتين
من شر ايوان بتسليط المياه و الاوحال والقاء الرعب فى قلبه خصوصا فى هذا
السفر حيث رجع بلا سبب بعد ان صارت قزان فى قبضته فلو كان رجوع
صاحب كراى خان من ساحل نهر اوقه على ما مر عجيبا فرجوع ايوان فى
هذه النوبة من غير سبب من قزان اعجب منه بمراتب وفى مثل هذه الامور
يظهر سر القدر ولكن لما لم ينتبه اهل القزان ولم يرجعوا من غيهم ولم
يستيقظوا من نومهم ولم يتوبوا الى الله سلط الله سبحانه عليهم عدوهم
الالد قال تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا صدق الله مولانا العظيم فانظر الى ما فعله المنافقون كيف
برحمهم الله سبحانه بتلك القبايح قال ولما وصل ايوان الى مصب نهر

صيامن ولما راى هناك جبلا مدورا فاعجبته منظرته فاخذ بيد شيخ على وصعد
فوق الجبل معه ومع منافقى امراء قزان وكافة امراء الروس وكان يرى
منه قزان واطرافه ونيژنى وواتكا وولاية سمبر بالتمام فنظر ايوان الى
تلك الجهات وتعجب غاية العجب ثم قال نستولى على قزان ويكون هنا بلدة
نصرانية فاستحسن الحضار قوله وبين له شيخ على ومن معه من المنافقين فوائد
المحل المذكور وكثرة وارداته لخزينة الدولة وكونه منبتا غاية الانبات
وبشروه بدخوله تحت حكومته وكان ايوان قال هذا القول ليسمع منهم تجربة
لحميتهم الميتة فلما تيقن ان ليس فيهم مثقال ذرة من الحمية اطمئن خاطره
وتيقن باستيلائه على قزان واراضيه فرجع الى موسكوا بغاية الفرح والسرور
قال ولما رجع ايوان الى موسكوا ولم يمض وقت لاستراحته واستراحة
عساكره بلغه ان صاحب كراى خان القرمى قد قصد الروسية فامر بجمع
عساكره فاجتمعوا فى قولومنا ولكن لما كان الموسم موسم الخريف لم يظهر
اثر من صاحب كراى خان فتفرقت عساكر الروس بعد شهر ولكن اغار
فى الشتاء عسكر نوغاى على قلعة ميشير واطراف رزان القديم فخرج عليهم
عسكر الروس وردوهم واسروا بعضهم وكان فيما بين الاسارى المرزا تيلاك
(ولعله رئيسهم) ومات الذين هربوا من شدة البرد ولم ينج منهم الا مقدار
خمسين رجلا **ذكر ارسال اهل قزان المرزا يوسف سفيرا الى ايوان يطلبون منه المهادنة وعدم تمامية ذلك وارساله الى قزان عساكره بقصد الاستيلاء عليها وخروج سيون بكه مع ولده اوده ميش كراى من قزان وخانية شيخ على ثالثا** قال كازامزين
اراد اهل قزان ان يخدعوا ايوان مرة اخرى فارسلوا اليه المرزا يوسف يطلبون
منه بواسطته الصلح والمهادنة وكان المرزا المذكور من اكبر امراء نوغاى وصهر
صفا كراى خان المرحوم لانه والد سيون بكه وكان ذا عقل ورشد ودراية حتى ان
السلطان سليمان كان يكاتبه على وجه الخلوص وكان يلقبه فى مكاتيبه بامير
الامراء وكان قصده ان يخلص قزان من ورطة البلاء وحماية بنته وحفيده
اوده ميش كراى وبث الامن والامان وتزويج بنته المذكورة من شيخ على خان
ونصبه خانا بقزان ونصح ايوان كثيرا وافهمه ان اراقة الدماء محرمة فى الانجيل

والقران ونسب ختنه المرحوم صفاكراى خان الى القصور والنقصان وسرد فى هذا الباب كثيرا من البيان فلو تم هذا لتخلص قزان من الحدثان ولو مدة من الزمان ولكنه قد حيل بين الغير والنز وان فان ايوان اجابه بانه ان اتى موسكوا خمسة او ستة انفار من كبراء امراء قزان يظهرهم شروط الصلح ثم امر شيخ على ذلك عقيب ذلك بلا ناء خير ان يذهب مع خمسمائة من فرارى قزان ومع جيش كثيف من الروسية الى مصب نهر ضيا من وولغا المحل الذى اعجبه وقت رجوعه من قزان وقال ما قال ابتناء بلدة فيه على اسمه وارسل لبنائها وبناء الكنيسة فيها بيوتا مصنوعة من الاخشاب المأخوذة من غابة اوغليج محمولة على السفن من نهر وولغا وكان انفائد لعسكر موسكوا يورى بن ميخايل وبولغا كف وكثير غيرهما ومن قلعة ميشير الكيناز خليقف ومن نيژنى نووغورد پيطرس سير برانى ومن واتكا بغتيار زوزين(١) مع الخيالة والرماة فقطع هؤلاء طرق قزان من جميع الجوانب وضبطوا المعابر والمسالك من نهرى وولغا وقاما فلم يتركوا للاستخبار من قزان سبيلا بل حاصروها من بعيد محاصرة رسمية ففى ١٦ مايس يعنى من سنة ١٥٥١م وسنة ٩٥٨هـ ركز الكيناز سير برانى علم الروس فى الجبل الذى تقدم ذكره وفى ١٨ منه هجم على قلعة باطراف قزان وقت الصبح بغتة فقتل منهم ازيد من الف رجل ومائة من امرائهم وهم نائمون وخلص كثيرا من اسرا الروس ثم رجع الى مصب نهر ضيا وانتظر هناك ورود الاورد الكبير منهم وفى ٢٤ منه وصل الاورد الكبير ففرحوا فرحا كثيرا وعملوا زينة وتيقنوا ان المحل المذكور صار من املاك الروسية الجديدة وكانت اطراف الجبل المذكور غابات كثيفة ومشاجر ملتفة فطرح العساكر اسلحتهم واخذوا الفؤس وشرعوا فى قطعها وقلعها وتركوها فى مدة ساعات ميدانا يصلح للبناء ثم شرعوا فى تركيب بناء الكنيسة والبيوت المذكورة واتموا تركيبها وبناء البلدة فى مدة اربعة اسابيع وجعلوا الكنيسة المذكورة على اسم بوژماترى يعنى ام ربهم ويسمى البلد المذكور الآن بسو ياژسكى(ضيا) فلما رأى من باطراف المحل المذكور من الچرامشة

(١) قد مر فى وقعة محمد امين خان ذكر زذى جاناى ابن نور دولت واما بختيار هذا انه والظاهر ان خليقف المذكور من التتار ايضا . منه عفى عنه .

وچواش وفق ماصنعه الروس وعدم تعرض اهل قزان الذين كانوا يطيعونهم
خوفا من سيوفهم من غير رابطة دينية أولغوية صاروا يخافون الروسية فجاؤا
شيخ على خان وترجوه ان يقبلهم لحماية الروسية وعرضوا عليه قبول تبعيتها
قائلين بلسان حالهم شعر دع الاتراك والعربا * وكن فى حزب من غلبا *
ثم ارسلوا كبراهم الى موسكوا واكدوا هناك تبعيتهم للروسية بالايمان ونالوا
التفاتا من ايوان فعفى عنهم التكليفات الميرية والمؤنة المالية الى ثلاث سنين
واعطاهم لتاكيد ذلك فرمانا مختوما بالذهب فقيدوا فى الدفتر من جملة
اهالى البلد المذكور وجهة هذا البلد وماوالاه اعنى جهة اليمين من وولغا
والجهة القبلية من قزان تسمى بجهة الجبل وهى نصف اراضى قزان بل اكثرها
قد خلت فى الوقت المذكور فى حوزة الروس من غير مقاومة احد ثم امرهم
ايوان لتجربة صداقتهم بمحاربة اهل قزان فلبوا دعوته بكمال النشاط وعبروا
الى طرف قزان من نهر وولغا بسفن الروس فشرعوا فى محاربة اهل قزان
بميدان آرچه بمرئً من عساكر الروس فردهم اهل قزان بالرمى بالمدافع
مولوا الادبار منهزمين يطأ بعضهم بعضا الا انهم اثبتوا بذلك صداقتهم
واطاعتهم للروسية ثم لم يزل كبراؤهم يفدون الى موسكوا فوجا بعد فوج
طول الصيف المذكور فيضيفهم ايوان فى قصره بضيافات عظيمة ويعطيهم
الجوائز من الالبسة والاقمشة والخيل والثمن وغير ذلك مما يناسبهم استمالة
لخواطرهم واستجلابا لقلوبهم فصاروا يفتخرون بوطنهم الجديد ويمدحونه
فارسل ايوان الى مملوكه شيخ على وسائر امراء العساكر نقودا كثيرة
واموالا جسيمة فى مقابلة سعيهم واجتهادهم وارسل الى شيخ على كثيرا
من النياشين الذهب (المداليه) ليفرقها على العساكر واما اهل قزان
فقد صاروا فى حيص بيص وكثرت بينهم الفتن وزادت المحن وعم
الشقاق وسادت الخيانة والنفاق والعساكر الموجودة فيها
لا تزيد على عشرين الفا وقد انقطعت مخابرتهم بالخارج بالكلية
وقامت عساكر الروس من مصب نهر صور الى نهر قاما ومنه الى واتكا وخربوا
كافة ما فى اطراف قزان من قرى المسلمين وكان الجالس على تخت مملكة قزان

الصبى المعهود وكانت امه سيون بكه لايرقاءلها دمع قط شفقة على ولده تارة وخوفا على بلدها اخرى وكان الاهالى يستحقر بعضهم بعضا لايرجعون الى قول احد وكانت الخيانة سائدة فيما بينهم وكان الامرأ والكبراء ينحازون الى شيخعلى واحدا بعد واحد لانهم افترقوا فرقتين فرقة تريد الاستسلام للروسية وفرقة تريد محاربتهم ومدافعتهم واكثر هذه الفرقة قرميون وكانوا ينتظرون وصول النجدة من قرم اومن حاجى طرخان او من امرأ نوغاى وكان قوشاق اوغلان يهز سيفه ويرى الشجاعة للحصار ويقول سنفعل بالروس كذا وهكذا وكان القزانيون يبغضونه ويتهمونه بزلة وبسوء قصد على اوده ميش كراى والتسلط على ملك قزان فنسلت امنية اهل قرم فاختاروا الخروج من قزان فرارا لتخليص انفسهم من ورطة الهلاك وكانوا زهاء ثلاثمائة نفس ولكنهم هلكوا كلهم بساحل نهر ... على يد عساكر الروس واسر قوشاق مع خمسة واربعين نفسا من اصحابه واتباعه ... في بلدة ... ومكثوا صبرا ... اهل قزان مع امراء الروس عقد المتاركة وارسلوا الى ايوان يطلبون منه الصلح ويرضون بخانية شيخعلى فتفكر ايوان حينئذ تدبيرا بيه في ضبط الممالك ومداراة الاعداء وهو ان لايزعج العدو غاية الازعاج يعني بحيث يحصل له يأس فيقابله مقابلة اليائس ١ والاحتراز عن اهلاك الانسان حسب الامكان ٢ والاكتفاء بالامر الضرورى حين عدم حصول الظفر الكلى ٣ وان لايضيع ما حصل في اليد ٤ يعني الصلح مع العدو مع تملك ما حصل في اليد من الاراضي ثم قبل الصلح مع مراعاة هذه الامور يعني بشرط بقاء الاراضي التى دخلت في حوزة الروس في ايديهم وبشرط اطلاق جميع اسارى الروس وبشرط تسليم سيون بكه وابن اوده ميش كراى وسائر من كانوا في طرف الخانية من بقايا اهل قرم وذراريهم الى ايوان فرضى اهل قزان بتلك المذلة والعار حيث عجزوا عن استعمال السيف البتار فارسل ايوان من طرفه سفيرا آداشف ليخبر امرأ الروس بانعقاد الصلح وخانية شيخعلى بالوجه الذى سبق آنفا فلما احاط الاهالى وشيخعلى بما جرى علما استولى عليهم من الهموم والغموم ما لايوصف لانقسام مملكة قزان وبقاء احسن اراضيها واكثرها محصولا بيد الروسية فقال شيخعلى اذا بقيت تلك الاراضى المعمورة بيد

الروسية كيف استجلب محبة رعيتي وماذا يكون خانيتي فقال الامرأ هذا هو رأى ايوان فاراد اهل قزان ان لا يقبلوا الشرط المذكور فهددهم امرأ الروس وقالوا اما ان تقبلوه واما ان يأتي ايوان بعساكره ويهلك المخالفين والممتنعين من قبوله فقبلوه بالضرورة واعلنوا للشيخ على ان سيون بيكه وابنه اوده ميش كراى يذهبان الى موسكوا ولما تهيأت سيون بيكه للسفر زارت اولا قبر زوجها صفاكراى خان وتذكرت اوقاتها التى مضت معه بغاية الفرح والسرور وطاحت على قبره وبكت بكاء شديدا وقالت انت سعيد حيث لم تر مثل هذا اليوم انظر الى حال طفلك اوده ميش كراى وطالعه المنحوس قد سلموه كالاسير الى عدوك كفرة الروس فبكى الحاضرون لبكائها وصارت احوالهم انموذجا من القيامة وقال لها الامرأ على وجه التسلى لا تحزنى ان ايوان يكرمك ويحترمك وعنده كثير من الخوانين المسلمين ولعله يزوجك من واحد منهم فركبت عربة مزينة لايقة بالملوك معدة لركوبها ونزلت الى ساحل نهر قزان ونزل كافة اهل قزان لوداعها فركبت السفينة المزينة التى كانت معدة لركوبها مع ولدها اوده ميش كراى ومعها ايضا عيال امرأ قرم وقد اصفر وجهها من شدة اسفها وحزنها وغلب عليها البكاء ولما ركبت السفينة وحان مسيرها ودعت الاهالى بالاشارة وطأطأت رأسها فودعها الاهالى وحيوها جاثين على ركبهم وبكوا بكاء شديدا مرة ثانية ودعوا لها بالخير وكان الكيناز اوباليننسى ينتظرها فى ساحل نهر وولغا فلما وصلت هناك استقبلها بالاجلال والتعظيم وحياها نيابة عن ايوان ثم حملها بجميع من معها الى موسكوا فنفذت مبادى الصلح المذكور على الوجه المشروح ولا يدرى كيف صار حالها حين وصولها بمسكوا ولم ادر اين كان ابوها (١) المرزا يوسف فى الوقت المذكور وكان كل ذلك فى خلال ٩٥٨ سنة فتكون خانية اوده ميش كراى نحوا من ٢ سنتين قال ثم اراد امرأ الروس تنفيذ سائر الشروط وطلبوا من الاهالى تأكيد الصلح باليمين واطلاق كافة اسارى الروس وعينوا لذلك يوما معينا واقامت عساكرهم بين قزان و وولغا وارسل شيخ على الى امرأ قزان يأمرهم بتهيئة قصر الخوانين لنزوله وبات

---

(١) وقد يقال انه لم يتعرض لفعل الروسية هذا ولم يعترض عليه ولم يمانع منها لكونه معاهدا للروسية فى ذلك الوقت والله سبحانه اعلم. منه عفى عنه

ليلته تلك فى الخيمة فلما اصبح الصبح خرج الاهالى كلهم وقرئت عليهم نسخة اليمين والصلح فقبلوا جميع ما فيها الا انهم توقفوا فى ابقاء الجهة القبلية الجبلية للروسية فهددهم الامراء ان لم يقبلوه فقبلوه على رغم منهم ما مضيت النسخة بختم شيخ على وامضاء الاكابر وحلف الاهالى افواجا افواجا الى ثلاثة ايام ثم دخل شيخ على البلد ومعه من امراء الروس بولغاقف وخبارف فاجلساه على كرسى الخانية ثالث مرة فحصل مقصوده لودام وكان قصر الخان حينئذ مملوا باسارى الروس وقد مضى لاكثرهم فى الاسر عشرون سنة فاطلقهم شيخ على كلهم وكذلك سائر الاسارى الذين بيد الناس فبكى الاسارى كلهم من سرورهم وكادوا لا يصدقون اطلاقهم وجاؤا بهم قلعة ضيا الجديدة ووزعوا لهم الالبسة وسائر ما يحتاجون اليه وقال لهم امراء الروس انطلقوا حيث شئتم لا اسر لكم بعد اليوم فذهب بالسفينة الى اعالى وولغا ستون الف اسير سوى من ذهبوا الى طرف واتكا وپيرمى ولم ير فى الروسية يوم اشد واكثر سرورا من اليوم المذكور قال كارامزين وصار كيوم تخلص فيه بنوا اسرائيل من عذاب فرعون وطرد عساكر الروس من لم يطاوعهم من المسلمين من شاطئ وولغا وقاما وقتلوا كثيرا منهم ثم ارسلوا الى ايوان لتبشيره بتمام الصلح ونفاد كافة شرطه على مرامهم القائد بولغاقف ثم رجع القائد دانيل رومودانف وخليقف وبقى القائد خبارف مع خمسمائة نفر من عسكر الروس عند شيخ على لمحافظته ومراقبة احواله وبقى الكيناز سيمون الميكولى المشتهر بالدراية والشجاعة فى قلعة ضيا الجديدة يعنى مع العساكر لمحافظتها ذكر مقدمة استيلاء الروس على قزان قد علمت ان قسما من لحاق الخواجه نصر الدين افندى قد ذهب ولكن بقى قسم آخر منه ورأس الخواجه سالما ولله الحمد وكان يمكنه ان يكمله ويتداركه ان تشبث بالاسباب حسب الاصول ولكنه لم يفعل ذلك بل ضيع طريق الحزم والاحتياط وعكس الامر فصار فعله هذا سببا لذهاب القسم الباقى منه وذهاب رأسه بالكلية وكان امر الله قدرا مقدورا قال كارامزين لو وفى اهل قزان بعهدهم الذى عاهدوه الروسية وداموا عليه وجانبوا ما يغايره ويخالفه لاستمرت قزان دار اسلام دائما ولم تقصده الروسية بسوء قط ولكن جريان

احوال قزان وافعال اهلها ومعاملتهم المغايرة للعهد المذكور اقتضت انقراضها وازالتها من عالم الوجود هكذا يقول المورخ الروسى فلو كان مكانه مورخ مسلم لذكر خلافه ولاسند نقض العهد واعمل بخلافه الى خصمهم لتعصبهم وشدة حرصهم على الاستيلاء على قزان والحاصل انهم لم يزالوا يتهمون اهل قزان بداء هو الصق بهم وجراثيمه مترسخة فيهم ولقد صدق من قال القوة تغلب على الحق ثم قال على وجه اسناد قبائحهم الى خصمهم ان اهل قزان كانوا قد طغوا طغيانا زائدا فلم ينفع الايوان ما كان يبذله لشيخ على من انواع الهدايا النفيسة وتزويجه احدى نسأ الخان السابق منه وكذلك اسداؤه انواع المعروف واصناف الجوائز لاكابر قزان بعنى لمنافقيهم بل ضاع ذلك كله وصار هباء منثورا فانه قد تبين انهم لم يطلقوا اسارى الروس كلهم بل بقى فى ايديهم كثير منهم بل تحقق انهم لم يزالوا يأسرونهم ويقيدونهم بالسلاسل والاغلال وكلما كان ايوان يرسل الى شيخ على يأمره باطلاقهم ويخوفه بوخامة العاقبة ان داموا على المخالفة ام ينفعه ذلك فان شيخ على طلب من ايوان مرارا ان يعيد اليه الاراضى التى بقيت بيد الروسية ولو نصفها فلم يقبله ايوان قط فصار الاهالى مغتاظين على الروس لذلك ولا يسمعون كلام شيخ على وكان شيخ على ايضا يختار السكوت ويغض عنهم وكلما ينبهه امراء الروس الذين كانوا معه على قبح سكونه وغضه وعدم منعه اياهم كان يقول لهم اخاف من وقوع الفتنة لشدة غيظهم بالروسية لضبطها الاراضى المذكورة ولما لم يوجد سبيل لالقاء الفتنة والمخالفة بين شيخ على وبين اهل قزان بالوجه المذكور والحال انه اصل المقصد لكونه وسيلة لتغيير الامور الجارية والاستيلاء على قزان تشبثوا بسبب آخر فاخبروا الشيخ عليا بان امراء قزان يخابرون امراء النوغاى ويراسلونهم خفية ويطلبون منهم خانا لانفسهم ويريدون ان يفتكوا بالشيخ على وامراء الروس الذين معه فى قزان على عادتهم السابقة وحيث كان هذا الامر قد تكرر منهم صدقه شيخ على وقد قيل من يسمع يخل فعمل فى قصره ضيافة دعا لها اكابر اهل قزان وقد عين من خواصه وعساكر الروس اناسا لقتل من يأمرهم بقتله فلما اجتمعوا امر بالقبض على من وقعت عليهم الشبهة وقتلهم المأمورون بقتلهم

وهم مقدار سبعين نفرا فخاف الناس كلهم وصاروا يهربون الى كل جهة
ووقعت الفتنة وسفكت الدماء مدة يومين وتنفرت قلوب الاهالى من شيخ
على ونالت الروسية بغيتهم بهذا الوجه ولما بلغ خبر هذه الفتنة ايوان علم
انه قد مان حين انقراض قزان فارسل اداشف الى شيخ على يخبره بانه لا بد
لتسكين هذه الفتنة من ادخال عساكر الروس بقزان لحماية شيخ على
وسائر الاهالى خصوصا تبعة الروس فقال له شيخ على لمن القباحة فى هذا
الخصوص ان اعاد ايوان الاراضى التى استولى عليها الينا انا متكفل لتسكين
الفتنة والوفاء بالعهد والا فاترك الخانية باختيارى واذهب الى ايوان فانه
لا ملجأ لى فى الدنيا غيره واما ادخال عسكر الروس فى قزان وانا خان فيها
فهذا لا يصير ابدا فانى وان كنت صديقا لايوان ولكننى مسلم لا تسمح لى
الحمية الاسلامية ان اكون لعنة للمسلمين الى يوم القيامة بتسليم قزان الى
الروسية بيدى ومع ذلك فانى مستعد لخدمة ايوان ان كان هو يبذل لى
المرحمة فانى لا اخرج من قزان الا بعد اهلاك اعدائى واعداء ايوان وتعطيل
الآلات النارية يعنى المدافع واخراجها من صلاحية الانتفاع بها وتمهيد
اسباب الاستيلاء عليها بالسهولة من غير حرب يعنى انه يرضى بدخول قزان
فى حوزة الروس ولكنه لا يرضى ان يكون ذلك وهو خان بها فرارا من
توبيخ الناس وتشنيعهم ورميهم اياه بالجبانة والخيانة لا خوفا من الله ولا حمية
للاسلام والمسلمين وطن الشقى بذلك ان خيانته هذه لا تظهر للعالم فرجع
آداشف بهذا الجواب الى موسكوا وبينه لايوان وكان فى موسكوا حينئذ ثلاثة
من امراء قزان وهم الميرزا مير على وكاسترف وعلى مردان فقالوا
لايوان اما اعلمهم بمرامه او بمشورة واتفاق من اهل قزان او من عند انفسهم
فقط ان شيخ على ظالم نهاب قتال غدار لا يريده اهل قزان بل يريدون
التخلص من ظلمه فمتى جاءهم نائب من موسكوا من عند ايوان فهم
متهيئون لاطاعته فلا بد من عزل الظالم المذكور ونصب النائب الروسى
فى قزان يتصرف فيها من طرف ايوان ونحن نترك البلدة ونسكن فى
القرى مطيعين لك والا تكن فتنة عظيمة ونحن صادقون فى قولنا والا نطيع
رؤسنا فى موسكوا فحسن قولهم لايوان وطابق رأيه مطابقة النعل بالنعل فارسل

اداشف الى قزان ثانيا لعزل شيخ على والعمل على مراد اهل قزان وقال لشيخ على انه ان اجتهد فى ادخال عسكر الروس من غير محاربة فى قزان يكون مقبولا عند ايوان وموظفا بوظايف سنية ومظهرا لاحساناته العلية فقال له شيخ على تكرارا لقوله السابق انا لا اطلب التخت فانه لا اقبال لى فيه ولا بخت فقد صرت فى قزان خانا ثلاث مرات فلم اتهنأ بالخانية فى واحدة منها اما من سوء حظى واما من سوء تدبيرى وحياتى الآن على خطر منا وانى عاجز عن حماية نفسى فضلا عن حماية المملكة ولا اريد ان ارى فيها خانا غيرى وانا مطيع لايوان فى جميع ما يأمره به بشرط ان لا يتعرض لدينى (يعنى على عادة الروسية الى الآن) فلتأخذوا قزان سواء بالمحاربة وسواء بالصلح والشرط ولكن لا يكون ذلك من يدى وكلما اجتهد اداشف فى اقناعه وارضائه لتسليم قزان بيده الى الروسية تارة باللطف وتارة بالعنف لم يقبل فقط فتم اتفاقهما على انسحاب شيخ على من قزان على الوجه المشروح فسد افواه المدافع خفية وختم صناديق البارود بختمه وارسلها الى قلعة ضيا الجديدة ثم خرج مع كثير من غلمانه وامراء قزان ومفرزة من عساكر الروس كانه يريد اصطياد السمك من الغدير فلما خرج من البلد اشار الى عسكر الروس بالاحاطة بامراء قزان فاحاطوا بهم فاندهش الامراء من هذا الصنيع واضطربوا ولم يدروا ما يفعل بهم فقال لهم شيخ على على ما تتحيرون وتضطربون انكم لم ترضوا بى واردتم قتلى وشكوتم منى الى ايوان وطلبتم منه نائبا روسيا بدلى فقد حصل مرادكم وصار قزان من ممالك الروس فالآن بحكم فيكم نائب ايوان وكانا نتعاكم عنك ثم ذهب معهم الى قلعة ضيا وكان الكيناز سيمون الميكولى والى قلعة ضيا قد عين للنيابة فى قزان من طرف ايوان فاتى قزان وقال للاهالى ان الامر قد صار على مرامكم وقد عزل عنكم شيخ على خان فهلموا احلفوا على طاعة ايوان فقبل الاهالى ولكن طلبوا من الكيناز الميكولى ان يرسل اليهم المرزا چاپقون والمرزا بورناش من قلعة ضيا ليتكفلا برحمة ايوان ورفقه باهل قزان لكونهما من رعية الروس فجاء المذكور ان قزان بامر الروس فسكن الاضطراب وساد الامن فحلفو على طاعة ايوان ثم

هيأوا قصر الخان للنائب الروسي ومن معه من الكتاب والحراس وغير ذلك ثم ارسلوا عيال شيخ على الى قلعة ضيا ودعوا الكيناز الميكولى النائب الى قزان فاتاها مع عساكر الروس واستقبله الاهالى من ساحل وولغا بالترحيب وحملوا الاسباب والاحمال الى البلدة وبينما تهيأ عساكر الروس لدخول قزان وظنوا انهم ملكوها من غير سفك الدماء اذ انقلبت الامور وانعكست الاحوال دفعة ووقع الاضطراب الشديد بين الاهالى فى طرفة عين وذلك ان الامراء الثلاثة الذين ارسلهم الكيناز الميكولينى الى قزان عند عيالهم لنصيحة اهل قزان (يعنى المرزا چاپقون والمرزا بورناش وواحد غيرهما) قالوا لاهل قزان ان الروسية انما يجيئون لقتلكم واهلاككم واستيصالكم بالكلية فاثر كلامهم فى الاهالى واستولى عليهم الخوف العظيم فانهم كانوا اولا متوهمين ذلك فقوى توهمهم هذا فغلقوا ابواب سور البلد على وجه الروسية وعزموا على منعهم من دخول البلد وتسلحوا وتهيأوا للمحاربة وكلما نصحهم بعض الامراء بالسكون وترك الاضطراب والمخالفة وقالوا لهم ان امراء الروس قد حلفوا على ان لا يمسوا احدا بسوء وان لا يظلموا احدا وان يحكموا بين الناس بالنظام واجتهدوا فى ذلك غاية الاجتهاد ولكنهم لم يقبلوا ذلك قط ونادوا باعلى صوتهم ان ايمان امراء الروس كاذبة صرفة لا اعتماد عليها وقد قال ذلك يعنى بطلان ايمان امراء الروس شيخ على خان ايضا لبعض اقربائه ولما وقع بين الاهالى ما وقع جاء الكيناز الميكولينى واوبالينى واداشف قرب سور قزان بعسكر قليل تاركين العساكر الكلية بساحل بولاق فوجدوا باب الخان مغلقا وقد امتلأ فوق السور بانا س مسلحين وكلما اجتهد بعض الامراء فى تسكين الاهالى لم يمكنه ذلك ولم يرض الاهالى بادخال الروس فى البلد قط وقد اخذوا كثيرا من احمال الروسية واسروا كثيرا من اولاد الامراء والاعيان واسمعوا حاكم موسكوا يعنى احد الثلاثة المذكورين كلاما شديدا فعلمت امراء الروس حينئذ ان چاپقون بك الذى ارسلوه الى قزان لنصيحة الاهالى وفائدة الروس قد قلب رداءه بعد دخوله قزان وتنمر وعكس الامر وصار رئيسا لاهل قزان فى مخالفة الروس ورفع لواء العصيان وندموا على ذلك حين لا ينفع الندم

قلت لايخفى على القارى اللبيب ان الامراء المذكورين ليسوا مجانين حتى يحركوا فتنة تنجر الى استيصالهم لولم يعلموا ذبة الروسية فى اهل قزان يقينا مع علمهم بعدم الظفر بالنظر الى الظاهر ولكنهم علموا ذلك بسبب اختلاطهم بهم وكونهم فى الظاهر كاحد منهم فاختاروا الموت كراما بالمدافعة عن حقوقهم ومقاتلة اعدائهم واستيفاء انفاسهم فى هذا السبيل قال فبات امراء الروس وعساكرهم بقرب قزان ورأوا انه لايفيدهم النصائح وقد كان لديهم من القوة والعساكر مايحولون به بلدة قزان الى الرماد ولكنهم لم يتجاسروا والمحاربة من غير اذن ايوان فرجعوا الى قلعة ضيا وحبسوا جميع امراء قزان وكبرائهم الذين كانوا معهم وارسلوا اشيرميتف الى ايوان يخبرونه بماجريات الاحوال فبلغه الخبر المذكور فى ٢٤ مارت من سنة ١٥٥٢م وفى ١٠ ربيع الآخر من سنة ٩٥٩هـ فارسل شيخ على الى بلدة قاسم قلت وكان انفصال شيخ على من خانية قزان ووقوع الامور المذكورة فى خلال ١٥٥١ سنةم وسنة ٩٥٨هـ والظاهر ان ذلك كان فى أواخر فصل الخريف وصميم الشتاء فتكون مدة خانية شيخ على فى هذه النوبة ١ سنة واشهر فان قيل ماذا فعل صاحب كراى خان وبماذا اجاب اهل قزان فى طلبهم الخان قلت وقد حيل بين العير والنزوان وغدر به الزمان وخان لطلوع شمس اقبال ايوان وذلك انه لم يرض بارسال بولاك كراى سلطان الى قزان لكونه غاضبا عليه لبعض الشان وحابسا اياه فى بعض القلاع بل ارسل عريضة اهل قزان الى السلطان سليمان ويطلب منه دولت كراى سلطان ابن مبارك كراى بن مكلى كراى خان الذى كان وقتئذ فى الاستانة فحرف مخالفوه مقاله وعكسوا ما قاله وفى مقدمتهم امير الامراء بكفه وقالوا للسلطان المشار اليه ان مرامه تبعيد دولت كراى من مركز السلطنة بل اعدامه وفصل مملكة قريم من الممالك العلية وفى دخول ولاية قزان فى حوزته مساعدة تامة لمرامه ذلك واستيلاء الروس عليها مناف لمرامه ذلك ونافع للدولة العلية جدا وما الفائدة لها من كون قزان من جملة مملكتها فليستولى الروس عليها حيث كان فيه منفعة للدولة العلية فصدق السلطان المشار اليه مقال هؤلاء المنافقين اعداء الدين وارسل دولت كراى سلطان الى قريم خانا بها وامره باعدام صاحب كراى خان

واهمل امر قزان بتوهمه الاهمال المذكور نافعا للدولة العلية الى يوم القيمة فتم ماتم والامر كله لله انا لله وانا اليه راجعون ذكر تدارك ايوان لقصد استيصال قزان ونيله بغيته المذكورة بمساعدة الزمان ودخول قزان تحت خبر كان قال كارامزين لما بلغ الخبر المذكور ايوان المدهش فى التاريخ المذكور ارسل شيخ على خان الى بلدة قاسم وارسل صهره دانيل بن رومان مع العساكر الى قلعة ضيا الجديدة واعلن لكافة بلاد الروسية انه قد حان الآن وقت دق رأس قزان وقال كنت اريد ان لا اسفك الدماء يعلم الله ذلك منى ولكنى اريد راحة طائفة النصارى ثم جمع امراءه وشاورهم فى ذلك فقالوا له انت ابونا كلما تفعل فهو حسن ولكن الاحسن ان تقعد انت فى موسكوا وترسل العساكر الى قزان تحت قيادة الامراء ذوى الاقتدار فان اعداء الروسية كثيرة فمتى علموا خلو موسكوا منك تقصدونها فقال انا ادرى بامرى وكيف ادبر فى حفظ موسكوا من قصد الاعداء ثم امر بجمع العساكر من جميع بلاد الروسية فاجتمعوا فى كاشير ومورم وسار الكيناز الكساندر الفرباطى وپيطر الشوى بعساكر موسكوا الى نيژنى نووغورد وسار ميخايل الغلينى الى ساحل نهر قاما وانشأ هناك قلاعا وحصونا وكانت الروسية على الصلح والمسالمة مع الدول الغربية وكان يغمورچى خان الحاجطرخانى ايضا واقعا فى شبكة خدعته يعنى صديقا له والحاصل لم يكن للروسية وقتئذ عدو يخاف سوء قصده سوى حكومة قرم وقد قتل صاحب كراى خان بها كما ذكر آنفا وجلس مكانه دولت كراى خان وكان الخان المذكور يهدد الروسية ويمنعها من التعرض لقزان وكان السلطان سليمان قد كتب الى امراء نوغاى المرزا يوسف وغيره يأمرهم بالاتفاق والاجتماع تحت راية الاسلام وتخليص قزان من مخلب الروسية فينصب فيها خانا من نسل چنكز الا انهم لعدم اختلاطهم ومناسبتهم بالدولة العثمانية واستفادتهم من الروسية بالتجارة معها لم يؤثر فيهم كلامه بل كان يغمورچى خان يعين الروسية بعساكره وكان الكيناز فاسيولا ابن آقفوبك الحاج طرخانى مقيما بموسكوا متزوجا ببنت جان على اخى شيخ على فلم تبال الروسية بتهديد حكومة قرم فانها كانت حينئذ نادرة على

مقاومة حكومتي قرم وقزان و مستعدة لمصارعتهما وفي الوقت المذكور ظهرت الامراض بين عساكر الروسية في قلعة ضيا وهلك كثير منهم بتلك الامراض ولم يبق في البواقي منهم مجال الحركة فامر ايوان السكيناز الغرباطي والشوى ان يذهبا بمن معهما من عساكر الروس الى قلعة ضيا واما اهل قزان فكانوا في بذل الاجتهاد والاستعداد للمدافعة والمحاربة بكمال النشاط وقد ارسلوا الى امراء نوغاي يطلبون منهم خانا لانفسهم وقد انقلبت اراء اقوام الجبة القبلية التي كانوا قبلوا تبعية الروسية خوفا منهم حين رأوا قوتها اولا فلما شاهدوا ضعفهم ونشاط اهل قزان بل لماذا قوا طعم حنظل ظلم الروسية ولو يسيرا من الزمان نقضوا عهدهم بالروسية وصاروا اعداء لهم كالاول وانضموا الى اهل قزان وصاروا يسوقون خيول خيالة الروسية ويسرقون ارزاقهم ويورثونهم انواع الخسار من القتل والاسر ويضيق عليهم اهل قزان من جهة اخرى فاستولى على عساكر الروسية خوف عظيم وقد كان بلغهم مسير يادكار (١) محمد خان من بلاد نوغاي الى قزان فامسكوا الطرق والمعابر للقبض عليه ولكنهم لم يقدروا على ذلك بل دخل المذكور الى قزان بخمسمائة فارس من فرسان نوغاي فنصبوه خانا لانفسهم وحلفوا له على الصداقة والامانة وحلف هو لهم على عداوة الروس ومحاربتها الى آخر انفاسه ثم تبين لايوان ان استيلاء الضعف على عسكر الروس في القلعة الجديدة

---

(١) ولم ار بيان نسبه في موضع من المواضع سوى ما ذكره الفاضل المرجاني من انه يادكار خان ابن قاسم خان ابن السيد احمد خان ابن احمد خان ابن كچي محمد خان الاسترخاني طلبوه اهل قزان من بلد حاجي طرخان اه ولم يبين مأخذه وقد ص عن كارامزين عند بيان احوال حاجي طرخان ما معربه وفي سنة ١٥٤٢ م اتى بلدة موسكوا ولد خان حاجي طرخان يادكار للخدمة في الروسية وقلنا هنالك لعله يادكار الذي صار خانا في قزان بعد ذلك ولعل مراد كارامزين بخان حاجي طرخان هو قاسم خان وان لم يسمه وكان قتله قبل ذلك بعشر سنين فيمكن ان يرجع بعد ذلك الى وطنه ثم يجيء الى قزان وقول ايوان له بعد اسره اما عرفت قوة الروسية يدل على ذلك كما لا يخفى والله سبحانه اعلم منه عفي عنه .

ضياليس، هو من الامراض الجسمانية فقط بل هناك امراض روحانية بسبب استيلاء الخوف عليهم من اعدائهم ومن اعتقادهم انهم فى خارج بلادهم وارض خصومهم فليسوا هم محقين ومتمسكين بالنظام بل هم معتدون وظالمون ولهذا سلط الله عليهم تلك الامراض وقوى اعداءهم فكتب لهم ايوان ومطران يوبخانهم وينصحانهم ويشجعانهم ويقولان لهم انكم كنتم اولا صحيحى الاعتقاد كالاسود على اعدائكم والآن قد فسد اعتقادكم واستولت عليكم الاوهام الباطلة فلهذا ابتلاكم الله بهذه الامراض الى غير ذلك مما ينفث فيهم روح الشجاعة ويزيل عنهم الاوهام والجبانة ثم عقد ايوان ثانيا مجلس المشاورة مع امرائه ودعى شيخ على من قاسم واذن له بتزوج سبونبكه بنت المرزا يوسف ارملة صفا كراى خان المار ذكرها واعطاه هدايا كثيرة واقطعه قرى كثيرة من مضافة قلعة ميشير (قاسم) واراد ان يستصحبه معه للمحاربة فانه كان بادنا وجبانا وكبير السن بل اذ هانه وتدبيره فقال له شيخ على كسائر امرائه ان اطراف قزان محاطة بالمشاجر ومواصل بصعب الدنو منها وكلما يكثر فيها اجتماع الانسان تكثر فيها الامراض والاوجاع والصواب ان تسير هناك شتاء وقت انجماد المياه فاستصوبه ايوان ثم قال العساكر مجتمعة والاسباب مهيأة لا حاجة الى انتظار الشتاء فاستعل اهله وعياله وخرج من موسكوا فى ١٦ ايونيه (حزيران) من العام المذكور قاصدا معسكره العام بقولومنا وكانت زوجته حبلى فاغتمت لمفارقته وبكت كثيرا فلم يمنعه بكاها من قصده بل توجه الى قولومنا فلما وصل هناك رتب عسكره ترتيبا جيدا ونصحهم بالصبر والثبات وشجعهم وبينما هو فى الشغل المذكور اذجاءه الخبر ان عسكر قرم قد هجموا على الروسية وتعدوا الحدود من جهة نهرتن (دون) وتوجهوا نحو رزان فتوقف هناك لمدافعته وارسل شيخ على الى بلدة قاسم مع الكيناز ولاديمر بن آندرى وبعد التى واللتيا جاءه الخبر بقولومنا فى آواخر ايونيه برجوع (١) عسكر قرم من امام بلدة طولا بترك مدافعهم واحمالهم واثقالهم

(١) المذكور فى السبع السيارات هزيمتهم انما كانت من هجوم الكيناز شير ميتف عليهم من وراءهم بتسعين الفا من عساكر الروس بغتة وقطعه خط رجعتهم واما المذكور فى تاريخ

وقتلى كثيرة من القرميين والعثمانيين فسر بذلك سرورا عظيما ثم صمم
ان يسير الى قزان وكانت عساكره تعبوا تعبا شديدا لحملهم السلاح منذ اشهر
كثيرة فاظهروا الشكاية من التعب وطول السفر فقال ايوان لقواده كل من
يذهب معي بعد من اولادي اكتبوا اساميهم في الدفتر ليعلموا وكل من يريد
القعود والرجوع فليقعد وليرجع فاني لا احب الجبان الخواف فنادى كلهم
من فم واحد نذهب كلنا لا يرجع منا احد وننسى تعبنا ثم توجه في ٣ ايوليه
(تموز) الى قزان بعساكره التي لا تسعها الارض بعد ان عبد واستنصر
ربهم التي كان الكيناز ديميتري الدونى اخذها معه حين محاربة ماماي على
نهر دون ثم وضعها في كنيسة قولومنا وزار في طريقه قبر الكساندر النيفى
المتقدم ذكره في المقصد الثاني واستمد من روحه ومن جملة من كان معه
بعض امرأ التتار بعساكر التتار المقيمين ببلدة قاسم وعساكر برطاس (موردوا)
وارسل مملوكه شيخ على بالسفن من طريق وولغا وقد ارسل بعض قواده
بفرقة من العساكر لارجاع اقوام الجهة القبلية الى طاعة الروس ثانيا ففعلوا
فارتفعت الموانع والعوائق كلها وصار الامر بحيث يتم امر قزان بنفخة واحدة
فوصل ايوان الى قزان بمائة وخمسين الف عسكر سوى الموجودين هنالك
سابقا في ١٩ آغستوس المصادف ١٠ رمضان من العام المذكور فنزل في
الجهة الشمالية من وولغا اعني جهة لقزان وارسل مملوكه شيخ على الى جزيرة
هناك تسمى غاستيني اوستروف فجاءه الاقوام المذكورة الجبلية افواجا
افواجا وحلفوا له على الطاعة ثانيا فارسل القائد ميخايل موروزف بالمدافع
لهدم القلعة الحجرية ثم تلقى ايوان في ٢٠ آغستوس وهم مقيم بساحل نهر
قزان مكتوبا من ياذكار خان وامرائه كتبوا فيه ما يسد باب الصلح من ذم
ايوان والنصرانية وذم شيخ على ونسبته الى الخيانة والشر وقالوا نحن
مستعدون لضيافتكم ومنتظرون اليكم والاسباب مهياءة وكان عسكر

كارامزين ان الذي هجم عليهم هو الكيناز شيناتيف بخمسة عشر الف روسيا والله اعلم وقد
قتل فيه قالغاى احمد كراى وحاجي كراى وعلى قول كارامزين المرزا قام بيردى ايضا وعلى
كل حال انهم لم يفعلوا شيأ . منه عفي عنه

ايوان على سنة وبرسته من قزان ينظرون الى بلدة قزان والى مساجده ومنائره والقلعة المبنية من الحجر وسور البلدة المبنى من خشب البلوط المملوبين طبقيته بالتراب كانها كف اليد وفى تلك الايام شرع الامطار فى النزول واستمر الى ايام فطغت المياه وفسدت الطرق وزادت الاوحال التى فى اطراف قزان فاخرجت الروس مدافعهم وسائر اسلحتهم ومهماتهم من سفنهم مدة يومين من غير ان يتعرض لهم احد فاتى فى تلك الاثناء من قزان منافق يسمى المرزا قاماى معسكر ايوان فاخبره بانا كنا ماءتى نفر فقبضوا على رفقائى وانا خلصت نفسى بركوب متن الفرار واخبره ايضا بان يادكار خان والملا قل شريف رئيس العلماء والمرزا ايزينيش النوغاى والمرزا چاپقون وآتاليق واسلام وملكاى وناريقق والمرزا كيبك التومنى ودرويش قد نصحوا الاهالى وحرضوهم وشجعوهم على مقاومة الروس ومحاربتهم فاتفقوا على ذلك واجتمعوا فلم يبق فى احد منهم فكر الصلح قط وان القلعة الحجرية مملوة بالذخائر والاسلحة وفيها ثلاثون الفا من عساكر قزان والفان وسبعمائة من عساكر نوغاى وقد ارسل المرزا يپانچى بفرقة من العساكر الى جهة قلعة آرچه ليجمع هناك عسكرا من الاهالى ويسلحهم ويهجم بهم على عساكر الروسية من ورائهم ويضيق عليهم دائما فاكرمه ايوان فى مقابلة خيانته تلك ثم امر عساكره ان يحضر كل واحد منهم خشبة كبيرة ليستعملها وقت الحاجة لاصلاح الطرق وبناء الابراج والمتارس ثم شرع فى تعبية عساكره وترتيبهم فامر المقدمة بان يقيموا فى ميدان آرچه بساحل نهر قزان اعنى الجهة الشمالية ووضع الطليعة بساحل بولاق اعنى الجهة الجنوبية وامر ملوكه شيخ على بان يقيم على جهة اليسار من الطليعة وراء المقبرة القديمة اعنى جهة الجنوب الغربى واستقر هو مع عسكره الخاص الذى كان يقوده ولاديمر ابن آندرى فى محل يسمى معيشة الخان بساحل وولغا وامر امراءه وقواده امرا مؤكدا ان لا يباشر والحرب قبل ان يشير اليهم ويأمرهم به وحين شرع الصبح من يوم الجمعة الثالث والعشرين من آغستوس المطابق لليوم الرابع عشر من رمضان من العامين المذكورين فى الظهور شرع عسكر ايوان فى الحركة فسار فى مقدمته الكيناز يورى الشيماكى

البروني وفيودر التر وبقوري ومن ورائهما الخيالة والمشاة والرماة والامراء والضباط فمشوا على هيئتهم ولما طلعت الشمس والقت شعاعها فوق بلدة قزان ووقع بصر ايوان عليها في تلك الحالة اعجبه حسن منظرتها وبهجتها فصار ينظر اليها نظر الجائع الى الطعام او للذنيف والظمآن الى الماء البارد فاوقف هناك عساكره وامر بدق الطبول وتصويت المزامير والدواسيق ورفع الاعلام ورفع صورة عيسى التي فوقها الصليب وقد كانت مع ديميتري الدوني حين محاربته مماي وكانوا يرون النصرة منها ومن صورة امه ماشا ونزل ايوان وسائر الامراء من خيولهم وشرعوا في العبادة والدعاء وطلب النصرة من آلهتهم على عادتهم تحت العلم الازرق ثم قال ايوان خطابا لعسكره انكم تشرعون الآن في امر عظيم فكل من يقتل فهو مأجور واهله وعياله لا تضيع ولا تحتاج وحلف على ذلك من اسم الروسية وعاهد ايضا ان يقتل هو وقال لو كانت غاية الروسية وراحة النصارى موقوفة على قتلي فاني ابذل روحي لاجل ذلك فبكت امراؤه وعساكره كلهم وقالوا انت ابونا ونحن كلنا مستعدون لبذل ارواحنا في سبيلك وسبيل كافة الروسية التي هي امنا فركب ايوان فرسه ورتب عسكره ثانيا وشجعهم فجاء بهم قرب قزان وكانت قزان وقتئذ ساكنة وهادئة لا يحس فيها صوت قط ولا يرى على سورها وابراجها احد ففرحت الروس وقالوا ان التتار قد هربوا الى الغابات مع خانهم وعساكرهم وظنوا انهم قد ملكوا البلد بلا حرب ولكن قالت امراؤهم المجربون للامور انه لا بد من الاحتياط والحزم في هذا الخصوص ثم بنوا جسرا على البولاق ومشى عليه سبعة آلاف روسية قاصدين ميدان ارچه وبينما هم يمشون بهذا القصد ولم يبق بينهم وبين القلعة الحجرية الامقدار ماءتي باع اذ فتح باب السور بغتة وخرج منه خمسة عشر الفا من عسكر التتار ما بين خيالة ومشاة وهجموا عليهم دفعة واحدة ولهم زعقات وزمجرة ففرقوا جمعهم وشتتوا شملهم وشرع بواقيهم من القتل في الفرار لا يلوى على احد فجاء الكيناز الشيماكي والترويتوري بعساكرهما ووقفوا امامهم واوقفوهم وجمعوهم فاتاهم في ذلك الوقت العساكر المؤلفة من اولاد الاعيان فاشتدت المحاربة جدا

فلما تكاثرت الاعداء رجع الموحدون ودخلوا القلعة وتحصنوا وقد اسر كثير منهم فاخذت الروس الاسارى ورجعوا الى مراكزهم فاجتمعت الاعداء كلهم ونظروا الى الاسارى وفرحوا فرحا كثيرا لانها لا بغلبتهم فى اول المحاربة ثم احاطت الروسية ببلدة قزان من جميع جهاتها ونصبوا خيامهم وقطعوا طرق مواصلتهم مع الخارج بالكلية ولم يبق لهم رجاء وصول الامداد من خارج سوى الامير يپانچى ومن معه من المتطوعة وسوى من كانوا بقلعتى اوستروغ وآرچه الآتى ذكرهما فلما غربت الشمس اعطاهم ايوان كلهم الاوامر والتعاليم اللازمة وباتوا ليلتهم تلك بلا تشويش فلما اصبح الصبح من الغد قامت الرياح العاصفة الشديدة وضربت بخيمة ايوان وسائر الخيام على الارض وغرقت سفنهم المشحونة بارزاقهم وذخائرهم وغيرها من سفنهم فاستولى الخوف العظيم على الاعداء واندهشوا وظنوا انهم قد هلكوا وتم امرهم وزال عن مخيلاتهم الاستيلاء على قزان وايقنوا بالانهزام والرجوع امام اعدائهم بكمال الذلة والهوان لانعدام ارزاقهم وارزاق حيواناتهم فارسل ايوان الى قلعة ضياوموسكوا اشخاصا لاحضار الارزاق والاسباب اللازمة والبسة الشتاء بنية ان يشتوفيها ان امتدت المحاصرة والمحاربة وفى ٢٠ آغستوس ذهبت مفرزة من فرقة شيماكين وتريقورى لتاخذ موقعا فيما بين ميدان آرچه ونهر قزان ليقطعوا طرق المواصلة بين قزان وبين الچرامشة الذين فى الجهة الشمالية من نهر ولغا وليتصلوا بالجناح الايمن من عسكر الاعداء واقاموا حذاء القلعة الحجرية فهجم عليهم الموحدون من القلعة المذكورة وازالوهم عن مكانهم وجرحوا الكيناز شيماكى المتهور فوصل ديميترى خليقف فى الحال بجميع العساكر المقدمة وفرقة الاعيان فرجع الموحدون لما تكاثرت الكفرة ودخلوا الحصن وباتت ميسرة الاعداء ليلتئذ على كمال اليقظة والاحتياط واعدوا مدافعهم ومتارسهم وحفرت رماتهم حفائر لانفسهم وكمنوا فيها وكمنت الخيالة فى بناء مبنية هناك من حجر يسمى بالروسية داوروى بانى يعنى حمام داورو اوطامر بقرب القلعة الحجرية ولم ينزل ايوان فى مدة بين اليومين من فرسه بل دار فى اطراف قزان ينظر محلا مناسبا للهجوم منه الى البلد وفى ٢٦ آغستوس تحركت الفرقة الكبيرة ليلا من

مركزها وكان ميخايل الوورونتينى على المشاة وعين الكيناز المستيصلاوى مع الخيالة لنجدته وعين ايضا من العساكر الخاصة بايوان فرقة الاعيان للامداد وقت الحاجة فهجموا بتلك الهيئة الى قزان فخرج عليهم اهل قزان ايضا بكمال البسالة والشجاعة ولهم صيحات وزعقات واطلقوا عليهم المدافع والبنادق من الابراج وفوق السور فبقى عسكر الاعداء تحت الدخان واختلط الفريقان بعضهم ببعض واقتتلوا بالرماح والسيوف ولما تكاثرت الاعداء التجأ الموحدون الى القلعة ولكن لم تنقطع المحاربة بل استمر اطلاق المدافع والبنادق من الطرفين الى الصباح هؤلاء من داخل القلعة وهؤلاء من خارجها بل كان الموحدون يهجمون على الاعداء خارجين من القلعة ساعة فساعة ثم يرجعون ويدخلون القلعة واستمر هذا الحال الى الصباح ولم يكتحل عين احد من الطرفين بالنوم حتى بات ايوان يعبد فى كنيسة صورة عيسى وامه وسائر التماثيل ويحرض عساكره على الحرب وينفث فيهم روح الشجاعة ساعة فساعة وقد اضاع اهل قزان فى هذه المحاربة كثيرا من ابطالهم مثل البطل الكبير اسلام بك والبطل سونجالى والمرزا ناريقف وغيرهم وهلك من مشاهير الروسية ليونتى شوشيرين وفى ٢٧ آغستوس وضع ميخايل ماروزف آلات هدم السور فوق تلال مصنوعة وطفقوا يرمون بها الى سور البلد وقد كمن الكيناز وورونتينى بعساكر الرماة ايلاقى بحذاء على مسافة قريبة من البلد بين اليولاق وميدان آرچه يعنى الجهة الشرقية من قزان فشرع هؤلاء ايضا فى الرمى الى البلد من مكمنهم فتستر اهل قزان بالسور ولكنهم هجموا من طرف آخر الى عسكر الاعداء المتفرقين فى الميدان واجتهدوا فى اسر بعض منهم ليقفوا على احوال عدوهم باخبارهم ولكن نائب الروس فى تلك الجهة الكيناز المستيصلاوى ضبط عسكره وهجم بهم على المسلمين والجأهم الى البلد واسر من مشاهيرهم قرامش اوغلان فلما استنطقه ايوان قال ان اهل قزان مستعدون للموت لا يجنحون للصلح فقط وفى اليوم الثانى يعنى فى ٢٨ آغستوس بينما كان الروس منتظرين خروج التتار من القلعة الحجرية ومستعدون لحربهم اذ

ظهر اهل قزان من جهة اخرى خارجين من بين المشاجر والغابات هناك وكان هؤلاء تحت رياسة الامير يپانچى المار ذكره فهجموا على الفرقة المتحيزين بميدان آرچه بغتة واحاطوا بهم وهجموا ايضا على فرقتهم الكبرى وكان عليها الكيناز خليقف فاضطرب اضطرابا شديدا وتمكن من ضبط فرقته وحفظهم من الانهزام بغاية الجهد فلحق بهم فى الحين الكيناز المسيتصلاوى وبورى الآبولبنى وايوان البروني وصدوا هجوم المسلمين ثم ارسل ايوان فصيلة من عسكره الخاص وركب بنفسه فتكاثرت الروس ودخل المسلمون الى الغابات التى خرجوا منها وقد هلك فى هذه الوقعة كثير من كبراء الروس وجرح كثيرون وتحققت الروس من الاسارى ان هذه الفرقة الخيالة جاؤا من المواضع المضبوطة المستحكمة فى طرف قلعة آرچه تحت رياسة الامير يپانچى وهم مأمورون بالهجوم على عسكر الروس وازعاجهم دائما وفى ٢٩ آغستوس تقرب امراء ميمنة الروس شيناتيف وفوروبى من البلد وانشأوا المتارس بساحل نهر قزان واخذ شيماكين وتروبيقورى موقعا بميدان آرچه ففى تلك الاثناء ظهرت فرقة الامير يپانچى من بين الغابات المذكورة وكان المسيتصلاوى وخليقف وآبولبنى متيقظين ومستعدين وقد انشأ سائر عساكر ايوان المتارس من ميدان آرچه الى نهر قزان فشرع الفريقان فى اطلاق المدافع والرمى بالسهام ولكن لم يخرج اهل قزان من القلعة فان انتظام عسكر الاعداء واستعدادهم للمحاربة وانتظارهم اليهم كانت فوق الغاية ولهذا لم تخرج فرقة الامير يپانچى ايضا من بين الغابات وفى اليوم المذكور تم حصار قزان حسب الاصول بحيث لا يمكن الخروج منها والدخول فيها قط وانشأوا المتارس فى جميع جهاتها بزا من الاكياس المملوة بالتراب وفى الموحل من الاخشاب الكبيرة وقد افنوا فى هذا السبيل كثيرا من عساكرهم فاخبر وايوان ليلا بتمام الحصار ذكر تشتيت الروس فرقة الامير يپانچى وكسرهم جناح المسلمين بذلك قال كان عسكر الروس قد تعبوا تعبا شديدا الى آخر الدرجة لكونهم تحت السلاح اسبوعا كاملا من غير استراحة لحظة وكان اكلهم الخبز اليابس (بكسماد) فقط فان ارزاقهم م

قد غرقت وكان الامير بيانچی يهجم عليهم دائما بغتة ويقتلهم ولا يتركهم يستريحون
وكان الذين فى داخل البلد يخبرونه بالاشارات من فوق المنابر بما يلزمه
ان يفعل من الهجوم والرجوع والمواضع المناسبة للهجوم فيعمل بموجب
اشاراتهم فينجح فصار بذلك بلاء مبرما على الروس ترتعد فرائصهم اذا سمعوا
اسم بيانچی فدبر ايوان طريق صد هجماته بان قسم عسكره قسمين
وجعل قسما منهما بحذاء البلد وحماية نفسه وقسما آخر جعله تحت قيادة
الكساندر الفارباطی وهو مركب من ٣٠،٠٠٠ خيالة و١٥٠٠٠ مشاة
وامره بان يكون فى مقابلة الامير بيانچی وان يخدع فى تشتيت شمل فسار
المذكور بتلك الفرقة الى الغابات التى فيها الامير المذكور وكمن نصف
عسكره وراء اكمة فى الغابات المذكورة واظهر نصفه الآخر ولما رات فرقة
الامير بيانچی هذا النصف الظاهر من فرقة غارباطی هجموا عليهم فتقهقر
هؤلاء ليجروهم الى موضع الكمين فتبعتهم فرقة بيانچی لجهلهم بالكمين
حتى دخلوا بين ضربات اعمال الروس فخرج اليهم النصف الآخر من عسكر
غارباطی من مكمنهم واخذوا وراءهم وقطعوا خط رجعتهم واحاطوا بهم من
كل جانب ووضعوا فيهم السيف وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولما فرغوا من امر
هؤلاء شرعوا فى تعقيب الهاربين منهم والذين بقوا فى مركزهم وبعد وقائع
كثيرة تمكنوا من تشتيت شملهم وتمزيق جمعهم بحيث لم يقم لهم قائمة بعد
ذلك فانكسر جناح المسلمين واطمئن قلوب الكافرين من هذه الجهة
وتخلصوا من البلاء العظيم وحصلت لهم غاية القوة وفرحوا بذلك فرحا عظيما
حتى ان ايوان عانق الكيناز الفارباطی المذكور من شدة فرحه وقبله وقد
اسروا كثيرا من المذكورين فامر ايوان بنصب خشبات بحذاء البلد
وربط كل واحد من هؤلاء الاسارى بواحد من تلك الخشبات جزاء لهم فى
مقابلة مدافعتهم عن وطنهم العزيز واظهار المدنية الروسية التى لا تزال هى
عليها الى الآن للعالم وارهابا لبقية المدافعين عن وطنهم العزيز ثم
امرهم ان يتملقوا لابناء جنسهم واهل بلدهم فى تسليم قزان الى ايوان
فيعفوا عن الكل باللسان فصار اهل قزان يرمونهم بالنبال ويقولون

ان موتكم بنبالناخبر لكم من ان تتعذبوا بعذاب الكفار وان تكونوا آلة فى ايديهم لمثل هذه الردالة يعنى تسليم قزان فتعجب ايوان ومن معه من صلابة اهل قزان وشدة عداوتهم للروس واندهشوا من صنيعهم المذكور ذكر سد طريق ماء قزان وتعجيزهم بتلك الحيلة قال كارامزين كان ايوان يريد على ان يستولى على قزان من غيران يتلف عسكره ومن غيران يرتكب ضررا كبيرا فامر المهندس النمسوى الذى كان فى عسكره ان يحفر من ساحل البولاق الى باب آناليق وتومن ليضع فيهما لغما فقال المرزا قاماى المنافق الشقى ان اهل قزان يستقون من عين بجانب باب مير على يجيئ من نهر قزان فالانسب ان تقطع طريق الماء عليهم فناسبه ذلك فامر بالحفر من داورورى بانى المار ذكره فلما حفروا مقدار عشرة ايام سمعوا فوقهم حق النعال وصوت مشى الاقدم فتيقنوا انه طريق الماء المذكور فوضعوا تحته احد عشر برميلا من البارود واخبروا به ايوان فخرج فى ٥ سنتابر (١) (ايلول روم) صباحا فوق حصن هناك فاضرموا النار على البارود المذكور امام عينه فطار طرف من سور البلد مع الاخشاب والاحجار وكثير من الاهالى الى الهواء وامتلاء الجو بالتراب والغبار فاستولى الرعب العظيم على المسلمين وغابوا عن حسهم وبينما هم فى الدهشة والحيرة اذهجم العدو على البلد من المحل المذكور كالسيل المنهر فقاومهم المسلمون وقاتلوهم اشد القتال حتى طردوهم واخرجوهم من البلد وقد قتل من الطرفين خلق كثير واسر بعض المسلمين فظن الاهالى ان قد تم امرهم وانه لابد ان يستولى الروس على قزان وقد استولى عليهم الضعف من فقدان الماء وشربهم المياه المتعفنة المجتمعة فى بعض الاخاديد ولكنهم كانوا مع ذلك يبذلون اقصى جهدهم فى مدافعة عدوهم ويهجمون عليهم كالاسود الضوارى ولا يتركونهم يدخلون فى البلد ويرممون ما انهدم من السور والحصون ويعمرونه ويعيدونه كالاول بل احسن منه فى اسرع ما يكون ولم يحصل لهم ادنى فتور مع توالى الانكسارات وتتابع وقوع اسباب اليأس فى كل يوم وفى كل ساعة

(١) يوم الخميس المصادف ٢٧ رمضان منه عفى عنه

ذكر استيلاء الروس على قلعتي اوستروغ وآرچه قال كارامزين وفي ٦ سبتمبره (ايلول الرومي) امر الكيناز ايوان الكيناز الكساندر الغار باطي وشـوبسكي ان يهجموا عـلى قلعتي اوستروغ وآرچه ويستولوا عليهما وكانت قلعة اوستروغ مبينة في بقعة يصعب الوصول اليها لكونها عاطلة بالاراضي الغدية والمواحل التي لاتثبت الاقدام عليها وسائر العوارض المانعة من الوصول اليها على خمسة عشر وبرستا (ميلا روسيا) من قزان على جهة الشمال منها يعني على جهة قلعة آرچه وكان قد التجأ اليها بقية عساكر الامير يبانچي فتقدم الكيناز الميكولي ومعه اولاد الاعيان والامراء وغير ذلك من مشاهير قواد الروس وتيمينكوف البرطاسي (موردوا) فباغتتهم الروس على الغفلة وانتشب القتال بين الفريقين تحت السور المبنية من نسج اعواد الاشجار الضعيفة المطينة بالاطيان وصاروا يترامون من الطرفين بالنبال فتكاثرت عليهم الروس وملكوا باب السور ودخلوا القلعة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واسروا ماأتي نفر وهدموا القلعة بالكلية وباتوا ليلتهم تلك هناك وفي صباح الغد توجهوا نحو قلعة آرچه وكانت قلعة جيدة معدودة في المرتبة الثانية من قزان وكل امكنة صادفوها في ممرهم من منتزهات اهل قزان ومصيفهم وبساتينهم خربوها ونهبوا مافيها ولما وصلوا الى قلعة آرچه هجموا عليها فجاءة ولما تحقق اهلها عجزهم من المدافعة بعد ان قاوموهم شيئا من المقاومة تركوا اهلهم وعيالهم وهربوا الى مشاجر وغابات هناك فحازت الروس كل ناطق وصامت واسروا النساء والصبيان واطلقوا اسارى الروس الذين كانوا هناك من زمن ابائهم واجدادهم والحاصل انهم اغتنموا منها اموالا جسيمة وهدموا القلعة (١) ورجعوا الى ايوان بعد عشرة ايام بغنائم كثيرة واسارى وفيرة وزالت بالمواشي والارزاق التي جاؤا بها من هناك مضايقة معسكر ايوان وحصلت له غاية الوسعة بمساعدة البحر الغوان بعد ان كانوا في ضيق شديد وغلاء مفرط وقحط مزعج قطع امداد چرامشة السواحل عن اهل

(١) هكذا في المنقول عنه والحال ان فيها الآن حصن والمشهور بين الناس انها باق من المسلمين والله سبحانه اعلم "منه عفي عنه"

قزان قد علمت فيما تقدم ما صدر من چرامشة سواحل وولغا من الهجوم على عساكر الروس وايصال انواع المضرة اليها ومحوهم بعض فرقة كاملة من عساكرها وامدادهم القزانيين بذلك واظهارهم الخلوص والولاء في حقهم واثباتهم بهذا كونهم افضل واصدق من تلك المنافقين الذين قد عرفت احوالهم من فرارهم الى معسكر الروس ودلالتهم اياهم على عورات قومهم واخوانهم فبعد وقعة اوستروع وآرچه وان تخلصت الروس من خوف الهجوم على معسكرهم من غابات آرچه وكونهم معروضين على وقع النبال المتطايرة منها الا ان الچرامشة المذكورين كانوا يزعجون معسكر ايوان ازعاجا شديدا ويوصلون اليهم مضرات كثيرة بالهجوم عليهم بغتة وقطع طريق غاليج التي هي احدى طريق مواصلة الروس ببلاده الاصلية وبجيع الامداد اليه وسوق مواشيهم ونهب ارزاقهم ومهماتهم العسكرية وكانوا ينفسون بهذا الطريق عن اهل قزان المحصورين ويعينونهم اعانة كثيرة فاراد ايوان ان يقطع امداداتهم عنهم فارسل اليهم قطعة من عساكره فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وخربوا ديارهم ونهبوا اموالهم واسروا اولادهم فاذعن البواقي منهم بالطاعة للروسية بالضرورة فبذلك التدبير اطمئن قلب ايوان وقص جناحا اهل قزان وانقطع رجاؤهم من الخارج بالكلية ولم يبق غير الله سبحانه وتعالى ومع ذلك كان عسكر الروس الذين كانوا في تلك الجهة يعني آرچه وغاليچ (شمالي قزان وغربيه) في غاية التعب والمشقة وخوف الهجوم عليهم والمباغتة دائما وكانوا معروضين على مرامي اهل قزان التي كانت ترمي عليهم وعلى الامطار الهاطلة المتوالية بحسب مقتضى الموسم وكانت الروس تحمل تلك الامطار على سحر اهل قزان قال وقد كتب اندري قورپسكي الذي كان اعقل اهل زمانه واعلمهم ما شاهده بعينه تبع الاعتقاد اهل زمانه وبين حقيقة الحال حيث قال ان سحرة اهل قزان كانوا يصعدون الى جدران القلعة كل يوم عند طلوع الشمس فيصيحون ويشيرون بمناديلهم والبستهم الى طرف معسكر الروس فتقوم بعد ذلك ريح شديدة وتثور السحب وتنزل الامطار في الحال كما ينصب المياه من افواه القرب

فتسيل السيول المنهمرة ويبقى عسكر الروس فى ساعة واحدة كأنهم فى الغدران والبحار وبخاميم كأنها زوارق وقوارب فلا يبقى لهم مجال الحركة من مواضعهم قال فاشار القسيسون والاعيان الى ايوان بطلب الصليب الاكبر من موسكوا فجاؤا به وغمسوه فى الماء ورشوا ذلك الماء حول معسكر الروس فبطل سحر اهل قزان وانقطع المطر واستراحت عسكر الروس من التعب اه قلت ان صح هذا الخبر فوجهه ان كثافة ظهور الباطل وشأمته تورث فى ذهاب الحق وزواله وان لم يزهق بالكلية كما ان الباطل يزهق عند مجيئ الحق وظهوره كما استتر جبريل عليه السلام عند كشف خديجة الكبرى رضى الله عنها رأسها وكما ارتفع علم ليلة القدر عن قلب النبى صلى الله عليه وسلم عند منازعة الرجلين والله سبحانه يبتلى من شاء عباده بما شاء ولعل نزول ذلك الامطار كان على سبيل الكرامة لاهل الله وكان على سبيل استعمال حجر المطر الذى مر بيانه فى اول الكتاب عند ذكر يافث والترك فبطلت خاصيته بظهور ذلك الباطل الذى لا ابغض منه على الله ذكر بناء الروس البرج العظيم بقرب سور قزان ليضرب من فوقه بلدة قزان قال ارادت الروس ان تخترعوا شيأ تزعجون وتعجزون به اهل قزان فبنوا برجا عظيما على مسافة اثنين وبرستا من بلدة قزان طوله يعنى ارتفاعه نحو السماء ثمانية عشر ذراعا وله بكرات مثل بكرات العربة ثم جاؤا به قريبا من سور البلد ازاء قبالة باب الخان ووضعوا فيه عشرة من المدافع الكبار وخمسون من المدافع المتوسطة فلما اصبح الصبح صاروا يرمون الى جوامع الناس ومحال الزحام والازقة والدور فى البلد فلما رأى اهل قزان ذلك شرعوا فى حفر الارض تحاميا من اصابة المرامى ومع ذلك كانوا يخرجون من مكانهم ومواضع اختفائهم من غير مبالاة بمراميهم ويهجمون على الاعداء كالليوث ثم يرجعون بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة واما مدافعهم فقد صارت معطلة بمدافع الروس فلم يقدروا ان يفعلوا شيئا كبيرا الا انهم كانوا يتلفون من العدو وينقصون منهم كل يوم الوفا وكان ايوان يعرض عليهم كل يوم بل كل ساعة التسليم او الذهاب مع اولادهم وازواجهم واموالهم وملكهم اين

شاؤا ويقول لهم انكم تحاربون لخان غير مشروع وان بلدة قزان انما كانت مبنية بارض بلغار وبلغار قد استولى عليها الروس وخربها فهي يعني بلدة قزان غنيمة للروسية فكان القزانيون يجيبونه بالرد ووقوع معركة شديدة بين الفريقين على باب آرچه قال وكان ميخايل الووروينتي يتقرب الى برج ارچه وبابه مع من تحت قيادته من عسكر الروس شيئا فشيئا حتى لم يبق بينهم وبينه الاخندق عرضه تسعة ادرع وعمقه احد وعشرون ذراعا وكان عسكر الروس يحاربون بالتناوب متى تعبت منهم طائفة كانت ترجع الى معسكرهم وتجيئ بدلهم طائفة اخرى منهم فتحارب بخلاف اهل قزان فانهم لقلتهم كانوا يحاربون جميعا فتعبت في تلك الاثناء عساكر الطرفين وتركوا القتال للاستراحة وبينما عسكر الروس مشغولون بالاكل تاركين عند مدافعهم شرذمة قليلة للحفظ والحراسة هجم عليهم مقدار عشرة الاف من القزانيين تحت رياسة الامير قراچه وشنتوا شملهم واستولوا على مدافعهم فلما رأى ميخايل هذا الحال هجم عليهم بما معه من اوردو الروس جميعه وكان بعضهم يحرض بعضا قائلين لانعطي أبدانا ولانسلمهم للعدو واشتبك الفريقان معا واختلط بعضهم ببعض ووقع بينهما قتال بالسلاح لابيض لم يرمثله قط فجرح من اشهر قواد الروس پيطر الماروزى وكيناز بورى قاشين وحملا الى معسكر الروس حيين ثم ماتوا وجرح ميخايل الوورونيني من وجهه جرحا بليغا الاانه لم يترك القتال ولم يفارق المعركة وصارت البستة التي عليه مثل القطايف من ضرب بالسيف وطعن بالرماح وقتل كثير من امراء فرسان الروس وكان القزانيون يجبرون المدافع التي اخذوها نحو القلعة فادرك في عين ذلك الوقت والحال عسكر مورم واولاد اعيان الروس الذين لم يشتركوا الحرب فهجموا على القزانيين وقد تعبوا غاية التعب فازالوهم عن مواضعهم واضطروهم الى دخول القلعة قال وكانت هذه الوقعة اشد واعظم من الوقائع السابقة كلها وقد تلفت من الطرفين نفوس كثيرة لاسيما من طرف الروس فان طائفتين منهم قتلوا عن آخرهم وقد كانوا اقوى عساكر الروس واشجعهم ورجال الامور وفي

عين ذلك الوقت هجمت طائفة اخرى من القزانيين على طرف آخر من عسكر الروس الا انهم لم يقدروا ان يفعلوا شيئاً كبيرا لقلتهم قال وكان الكيناز ايوان يشاهد تلك المعركة بعينه فشكر ميخايل الوور وتيني وعسكر مورم على سعيهم وغيرتهم وسأل عن احوال الجرحى وسلاهم واستمال خواطرهم

ذكر وقعة اشعال اللغم ووقعة اخرى على باب قزان قال بقيت عساكر الروس تحت قلعة قزان خمسة اسابيع وقتلوا من القزانيين من عساكرهم واولادهم ونسائهم مقدار عشرة الاف نفس على الاقل ولم يحصل ادنى فتور لغيرة القزانيين ومدافعتهم عن وطنهم وقد قرب اوان الشتا وملت عساكر الروس من طول التعب واستولت عليهم الاوهام فاراد ايوان ان يضيق على اهل قزان اشد تضييق فامر عساكره بترك المرحمة لاى شخص كان من اهل قزان كبيرا وصغيرا ذكرا او انثى وامر في ٣٠ سبتنابره (١) (ايلول الرومى) ان يحفروا حفرة تحت باب آرچه وان يضعوا فيه البارود ويشعلوه ويضرموا النار عليه فيطيروا الباب في الهواء ثم يهجموا على البلد بهيئتهم الاجتماعية ففعلوا ذلك فاندهش اهل القزان وظنوا ان هذا هو آخر ساعاتهم واستولى عليهم السكوت والحيرة ولم يدروا ما الذى وقع فاغتنم الروس هذا الحال وهم متهيئون ومستعدون للهجوم فهجموا على البلدة من باب آرچه وآتالق وتومن وراء متارسهم فلما رأى الموحدون جسارتهم هذه انقضوا عليهم انقضاض البزات والنسور على العصافير والخطاطيف وحملوا عليهم حملة اليائس من حياته والناصح لوطنه والدافع الغيور عن حريمه واختلطوا بهم في خارج البلد واطرافه فوقع بين الفريقين حرب صعب لم ير عين الزمان مثلها وكان ايوان حاضرا هناك بنفسه يحرض عساكره ويقوى قلوبهم فضيقوا على اهل قزان وتكاثروا عليهم فتزاحم القزانيون على الجسور والابواب حيث اضطرهم العدو بتكاثرهم الى دخول البلد رغما عن مقاومتهم الشديدة ومدافعتهم القوية ووصلوا الى سور البلد ودخلوا داخل السور مختلطين بالقزانيين فوقع بينهما حرب شديد في الازقة حتى صعدت قعقعة الاسلحة وتفرقع الآلات البارودية واصوات المحاربين وزمجرة الابطال الى السماء وخلاصة القول ان الحالة

(١) المصادف ٢٢ شوال . منه عفى عنه .

المذكورة صارت انموذجة عن اهوال يوم القيامة ولما تعبت عساكر الطرفين وايقن ميخايل الوورونتيني بالغلبة ان جاءه الامداد ارسل الى ايوان يطلب منه الامداد بعسكر جديد مستريح فلم يتجاسر ايوان على ارسال الامداد والهجوم العمومي خوفا من انقلاب الاحوال وغلبة القزانيين فاذا لم يبق عنده عسكر الاحتياط يتم امرهم في ساعة واحدة وامر عساكره المحاربين بالرجوع فاخرجهم قوادهم وضباطهم بغاية الصعوبة واحرقوا الجسور والقناطر يعني المبنية على الخنادق ولكن بقي ميخايل الووروتيني بعسكره الذين تحت قيادته في برج آرچه وحفروا حوله خندقا واحكموه بالمتاريس وقد اجتهد القزانيون في استرداده منهم غاية الاجتهاد وهجموا عليهم طول الليل ولكن القدر لم يساعدهم على ذلك وقد انهدمت مواضع كثيرة من سور البلد برامي مدافع الروس ومقذوفاتها فرمها اهل القزان في اقرب الاوقات بالاخشاب فتحيرت الروس من شدة اهتمامهم وغيرتهم وسرعة شغلهم مع تعبهم هذا التعب آخر وقايع قزان وسقوطه ووقوعه في يد ايوان قال وفي اول (١) يوم من اكتوبر (التشرين الاول) امر ايوان كافة عساكره بالاستعداد لمحاربة شديدة والتوبة بالاعتراف بجميع ذنوبهم من الزنا والسرقة وغيرهم لدى القسيسين والتضرع الى الاصنام وقال نشرب كلنا دماء القزانيين اونسفك دمانا جميعا في هذا السبيل وكانوا قد وضعوا تحت قلعة قزان مقدارا وافرا من البارود ومن جهة اخرى كانت طائفة من عسكر الروس مشغولين ببناء الجسور وملاء الخنادق بالاخشاب ودفنها وتسويتها بالتراب فارسل ايوان الى القزانيين المرزا قاماي المنافق ومرازى طرف الجبل من امثال المنافقين لعرض التسليم ووعدلهم العفو العمومي ان استسلموا فقالوا انا لانطلب العفو من الاحجار ولا ممن هو معلق في الجدار بل نطلبه من العزيز الغفار ولانخاف من تهديد الكفار ولانعطي شبرا من الارض من غير قتال وطعن بالرماح وضرب بالبتار مادام فينا عين تطرف فاما نقتل اونقتل كراما فلا تلحق بنا عار ولا شنار فامر ايوان عسكره بالاستعداد للهجوم العمومي ثانيا وامر قواده بمراعاة الحزم

(١) الثالث والعشرين من شوال . منه عفي عنه .

والاحتياط في الحفظ والحراسة ومراقبة الطرق والمعابر لئلا يدخل احد من خارج الى قزان ولئلا يخرج منه احد الى الخارج وعين لكل واحد منهم موضعا مناسبا للهجوم وامر بتقديم الخيالة والرماة ومن ورائهم اولاد الاعيان (بويار) ومعظم العساكر تحت قيادة ميخايل الوورو تيني وامر القائد الكمي باصانف بتدمير السور الذي بين بولاق وباغاي اوزبر وامر القائد خليقوف بالهجوم من باب قبان وامر تريغوروف بالهجوم من باب ازبوبلي وعين لآندري فوربسكي باب يلبوغا وليوري شيرميتف باب مورالي والديمتري پليپشف باب تومن وعين لكل واحد من هؤلاء عسكر الاحتياط تحت قيادة قائد آخر على حدة اولهم ايوان نفسه مع عساكره الخاصة وامر كل واحد من هؤلاء القواد ان يحضروا على الصباح في المواقع التي عينت لهم مع عساكرهم فبات عسكر الطرفين ليلتهم تلك بالتيقظ والاحتراس من غير ان يكتحل عين احد منهم بكحل المنام وبات ايوان ايضا ساهرا ليلته تلك في بيت اصنامه مشتغلا بعبادتها والتضرع اليها ولما اصبح الصباح (١) المشؤم المنحوس جدد ايوان اوامره بالاستعداد للهجوم متى شاهدوا اشتعال البارود الذي تحت القلعة وبقي الطرفان كل منهما يراقب صاحبه وينتظر ماذا يبدو منه واي حركة تصدر عنه فارسل ميخايل الوروتيني الى ايوان يخبره بان امر وضع اللغم قد تم وانه يخاف من شعور القزانيين بذلك فيبطلونه فلا ينبغي التأخر في اشعاله ولا دقيقة واحدة فلما بلغ القسيس الذي كان يقرأ الانجيل الى هذا القول منه وتكون (٢) رعية واحدة وراع واحد امر ايوان باشعاله فاشعلوه في الحال فطارت قطعة من بلدة قزان بما فيها من الناس والابنية والبهايم الى الهواء وحصل منها صوت هائل وصار الحال انموذجا من اهوال يوم القيامة ثم اشعلوا بعد ذلك لغما آخر اشد من الاول

(١) وهو صباح الاربعاء الرابع والعشرين من شوال المصادف ٢ اوكتابر والتشرين الاول بحساب الشرق منه عفي عنه.

(٢) قلت وكان هذا ما في انجيل يوحنا من قوله ولي خراف اخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي ان آتي بتلك ايضا فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد اهـ من الباب العاشر والآية ١٦ وكانهم فعلوا ذلك قصدا او وقع اتفاقا من قبيل ان كان الانسان ناطقا فالحمار ناهق والله سبحانه اعلم منه عفي عنه.

قال كان فى احدهما ثمانية واربعين برميلا من البارود وسجد ايوان لصنمه وقال ان الصنم معنا ولذا صار قزان لنا ولما قعد الغبار هجم عسكر الروس على بلدة قزان من كل الجنواب حسب ترتيباتهم المتقدمة واستقبلهم عسكر قزان بكمال البسالة والشجاعة وقوة الجاش كالاسود الضوارى قائلين الله الله ومستمدين من روحانيته صلى الله عليه وسلم ولم يطرأ عليهم ادنى فشل واقل فتور على همتهم مع تلك الاهوال الشديدة وكانوا يدحرجون الاخشاب الكبار من فوق السور على عساكر العدو ويصبون من فوق رؤسهم الحميم والقطران الحار واصرت الروس على الهجوم والموحدون على المدافعة ولم يخطر الهرب والتقهقر فى قلب واحد من عساكر الطرفين فتكاثرت الروس ودخلوا داخل البلد فلا تسل عن كيفية المحاربة الواقعة فى البلد بعد اختلاط عساكر الطرفين واشتباك بعضهم ببعض فمن رام بالنبل ومن رام بالرصاص ومن رام بالحجر ومن رام بالآجر وقطعة الخشب وكلما وجده ومن طاعن بالسنان والخنجر والسكين ومن ضارب بالسيف والعصا واليد ومن عاض بالاسنان ومن جارح بالظفر ومن كاب على الارض ومن طارح من السطح الى الاسفل والحاصل ان الناظر الى قتالهم كان فى غاية الحيرة ونهاية الدهشة واما المحاربون فلم يكن لهم خبر عن شىء لا عن غيرهم ولا عن انفسهم بل كانوا يحاربون كالذئاب الجياع الداخلة فى قطع الغنم وامتلأت الازقة بالقتلى وسال فيها الدماء وكادت الروسية تفشل وتنهزم فارسل ميخايل الوور وتينى الى ايوان يستمد منه بعساكر جديدة يقول لو تأخر الامداد لهلكنا عن آخرنا فامده ايوان بعساكر جديدة مستريحة لم تشترك فى حرب ذلك اليوم ولما تكاثرت الروس وتقووا بامداد العساكر المذكورة تقهقر عساكر القزان الذين كانوا تعبوا غاية التعب وصاروا يلتجئون الى القلعة الداخلية وقصر الخان ولاحت امارة الغلبة فى طرف الروس وقد استولوا على مقدار النصف من البلدة وفى تلك الاثناء جاء يادكارخان الى وسط البلد مع جم غفير من مقربيه واركان دولته فرأى عساكر الروس يتركون صفوف الحرب ويتسللون منها شيئا فشيئا فتيقن ان ذلك لاشتغالهم بالغنائم والسلب والنهب

بكسر الدكاكين والمخازن والبيوت ونقل النقود وسائر الاموال منها الى معسكرهم فانهم لماراؤا تلك الاموال التى لم يروا مقابل ذلك ولا فى رؤياهم لم يصبروا عنها بل تركوا القتال وانكبوا عليها حتى الجرحى منهم رغماً على منع ايوان اياهم من النهب وترك القتال لئلا تنقلب الاحوال فلما رأى القزانيون ذلك اغتنموه وحملوا عليهم حملة رجل واحد ونسوا تعبهم حتى ان الذين كانوا خرجوا منهم من القلعة هاربين صاروا يرجعون ويرمون انفسهم من فوق السور وشرعوا فى قتل الناهبين وطردهم من البلد فلما اطلع ايوان على ذلك تحير واندهش وظن ان الموحدين طردوا عساكره واخرجوهم بالكلية من البلد فاخذ علمهم المقدس عندهم واصنامهم وسار مع جمع عظيم من مقربيه واعيان الروس وقسيسهم نحو الهاربين والمنهزمين من عسكرهم وامرهم بالرجوع الى القتال وخوفهم بغضب اصنامهم عليهم وحذرهم من وخامة العاقبة بانقلاب الاحوال وحرضهم على المحاربة وشجعهم والقسيسون كذلك يخوفونهم بالخروج من دينهم ان لم يرجعوا ووقف ايوان قبالة باب الخان من ابواب البلد وامر عشرين الفا من الخيالة بالهجوم على البلد فلم يقدر عسكر الموحدين ان يقاوموهم ويدافعوهم غير مدة يسيرة من الزمن لانهم كانوا تعبوا غاية التعب مع قلتهم والاعداء كانوا مستريحون مع كثرتهم فلم يثبتوا امامهم وتقهقروا حتى وصلوا الى المسجد الكبير المبنى من الحجر وكان فيه العلماء والمشايخ وطلبة العلوم مع رئيسهم شيخ الاسلام الملا قل شريف افندى فحمل هؤلاء الذوات الكرام على الاعداء حملة واحدة وحاربوهم محاربة لا يرجى صدور مثلها عن شجعان العساكر لا بالدعاء فقط كما هو يدن السفهاء الجاهلين بعادات الله تعالى وحكمته من اظهار قدرته من تحت استار الاسباب ولا بالاستسلام كما هو عادة الجبان الذين لا حمية لهم ولا غيرة بل بالبنادق والسيوف والسلاح الابيض حتى استشهدوا عن آخرهم قبل ان شيخ الاسلام المذكور صعد الى سطح المدرسة مع طلبته وسائر العلماء وصاروا يرمون الروس بالاحجار والاخشاب والآجر حتى استشهدوا عن آخرهم رحمهم الله تعالى فالتجاء الباقون مع يادكار خان الى القلعة الداخلية التى

فيها قصر الخان حيث لم يبق فى البلد موضع يلتجاء اليه ويلاذبه سواه واغلقوا عليهم الباب ودافعوا الاعداء على الباب مقدار ساعة ثم كثرت الروس الباب ودخلوا القلعة الداخلية و كانت قد اجتمعت فى ناحية منها نساء اهل القزان وبناتهم لابسات البسة الزينة التى تلبس فى الاعياد (هكذا قال كارامزين) وفى ناحية اخرى منها اباؤهن واخوانهن وازواجهن واقفين حول الخان فوقعت هناك ايضا بين الفريقين محاربة شديدة ولكن لماتكاثرت الروس وضيقوا على الموحدين توجهوا نحو الباب الصغير من جادة ضيقة وكانوا مقدار عشرة الاف نسمه وكانهم قصدوا الخروج والهرب فجاء هناك واحد من قواد الروس يسمى آندرى قوربسكى مع ماءتى نفر من عسكر الروس لمنعهم من الهرب ثم تتابع اليه المدد والنجدة فلم ينجح الموحدون فى تشبثهم هذا بل صاروا معروضين لتلف عظيم بسبب ضيق الجادة فلما تحققوا العجز عن المدافعة وايقنوا الاضمحلال والهلاك بالكلية التزموا ذلك وآثروه على الاستسلام ولكنهم ارادوا تسليم يادكار خان الى الروس ولعل ذلك لجزعه وطلبه ذلك فصعدوا الى السور من فوق القتلى ونادوا الروس بايقاف الحرب فاوقفوا وساءلهم القائد كيناز ديميترى پالينسكى عن مقصدهم فقالوا اناكنا نحارب مدافعة عن وطننا وخاننا والآن قد صارت البلدة فى حوزتكم فخذوا خاننا ايضا سالما وسلموه الى ايوان يفعل به مايراه فيه ونحن نخرج الى ميدان واسع ونحا ربكم لله وللدين ونريق آخر قطرة من دمائنا فى هذا السبيل ونشا ربكموها فسلموا يادكار خان مع والدته من الرضاعة ومع واحد من كبراء امرائه المقربين يسمى المرزا زانيت (ادزين الدين) الى القائد پالينسكى ثم شرعوا فى الرمى بالبنادق ونزلوا من فوق السور الى اسفل وحملوا على ميمنة الروس وحيث صب عليهم العد والرصاص من الاستحكام ووراء المتارس والطوابى فتيقنوا ان الاستيلاء عليه غير ممكن طرحوا اسلحتهم الثقيلة وانعطفوا نحوا الميسرة ونزعوا البستهم بمرأى من عساكر الروس الذين دخلوا القلعة وضبطوا قصر الخان وطلعوا على اعالى السور ثم خاضوا نهر قزان وعبروه الى طرف آخر منه فاخذ القائد قوربسكى ورومان عليهم الطريق من ورائهم مع

طائفة عن خيالة العدو واحاطوا بهم من كل جانب احاطة السوار بالمعصم واخذوهم فى الوسط فهناك حمى الوطيس واشتدت المحاربة اشتدادا زائدا لايمكن وصفه وقتل من الطرفين نفوس كثيرة وقد بقى فى الوقت المذكور من عسكر الموحدين مقدار خمسة الاف نسمة الا ان كلهم كانوا من الشجاعة والبسالة والحمية والغيرة بمكان بل كانوا تماثيل الشجاعة والبسالة والحمية والغيرة كانوا لايخافون الموت ولايخطرونه ببالهم بل كانوا يخوضون عبابه بكمال النشاط وكانوا فوق من قال فيه القائل * يرى غمرات الموت ثم يزوره * كيف لا وقد التزموه وهواعني الموت شهداء كراما دافعين عن الوطن والدين غاية مرامهم ونهاية بغيتهم فحملوا على صفوف العدو من غيران ينظروا الى تعبهم وجراحتهم حملة الذباب الجياع والاسود الضوارى على قطيع الغنم وضربوا بعضهما ببعض واخرجوا منهم الدمار وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واغرقوهم فى الدماء وكادوا يبيدونهم عن آخرهم لولا لحوق الامداد بهم وخرقوا صفوفهم ورفعوا عن انفسهم الحصار وفتحوا لهم الطريق وساروا من المواحل والاراضى الندية اللينة التى لايقدر خيالة العدو ان يدخلوها لعدم ثبات اقدام خيولهم فيها حتى وصلوا الى الغابات والمشاجر الكثيفة وكادوا ينجون من غائلة العدو وضررهم فلما رأى العدو ذلك انزعجوا انزعاجا شديدا فانهم وان كانوا قليلين الا انهم لما كانوا على الوصف الذى بيناه كانوا يخافونهم اشد الخوف بحيث كان حصول الامن والاطمئنان الخاطر لهم محالا ما بقى واحد منهم فى قيد الحياة لتوهمهم انهم يجمعون الشاردين من قومهم ويحشدون التابعين لهم من غيرهم فيهجمون عليهم بغتة فربما تنقلب الاحوال وكان الامر فى الواقع كذلك فانهم لم يهربوا بترك عيالهم معرضين للاسارة لانجاء انفسهم من القتل فقط بل بنية الانتقام من الاعداء وتخليص عيالهم الاسارة بجمع الشاردين وحشد التابعين ان ساعدهم القدر ولكن خانهم الدهر الخؤن وعاكسهم القدر المقدور الغالب وذلك ان ابو ان ارسل من خيالته مقدارا كافيا لابادتهم واستيصالهم بالكلية تحت قيادة القائد كيناز سيمون الميقولى وميخايل بن واسيلى وشير بميتنف لقطع طريقهم وابادتهم بالكلية فقامت هناك محاربة اخرى وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ولم

يبق منهم متنفس بعدان قتلوا من العدو مثليهم وزيادة ولم يستسلم منهم احد اللهم الا من كان به جراحة شديدة رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وروح ارواحهم ونور ضريحهم وادخلهم الجنة عرفها لهم احوال بلدة قزان حين دخلها الروس هذا الذى بينا احوال هؤلاء الشهداء الكرام واما احوال البلدة بعد خروج هؤلاء الغزاة الحماة ودخول العدو الالد العطشان لدما اهلها فلا تسل عنها فانه لا يمكن وصفها ولا يطيق السامع سماعها وخلاصة القول فيها ان الروس دخلوها من جميع اقطارها ووضعوا السيف على اهلها وانكبوا على قتلهم انكباب الظمآن على الماء البارد بحيث كل من صادفوه من الشيوخ والشبان والكبير والصغير والذكر والانثى قتلوه شر قتلة من غير امان سواء كانوا فى المسجد اوالبيوت اومنازل اخر وا ضرموا فيها نارا وصاروا يهدمون المساجد والمدارس والمعابد وسائر الاماكن الخيرية حتى لم يبق فيها متنفس ولا بناء واحد من المساجد والمدارس حتى لم يبق منها ادنى اثر بل صارت كلها خرابا ودمارا ورمادا واسروا من بقى فى قيد الحياة من الامرأ والنساء والصبيان والحاصل انهم لم يدعوا شيئًا من الوحشة والفضيحة والقباحة والشناعة اللائقة بقوم الروس خصوصا فى العصر المذكور الا ارتكبوها واجروها ووحشة الروس وفضاحتها وقباحتها وشناعتها فى حروبه مع المسلمين من العثمانيين والتركستانيين والخوارزميين والتراكمة والتاشكنديين والخوقنديين فى عصرنا هذا الذى يحق ان يقال ان الروس قد تحولت فيه من الحالة البهيمية بل السباعية الى الحالة الانسانية معروفة مشهورة بين الاوروپاويين والامريكانيين وفى كتبهم مسطورة وفى لوح خيال من كان حاضرا فيها منقوشة فضلا عن كونها معروفة بين المسلمين ومذكورة فى السنتهم فاذا كانت معاملتهم المسلمين حين تحولهم الى الانسانية هى هذه التى يعرفونها كل احد فما ظنك بمعاملتهم القزانيين حين تلبسهم بكمال البهيمية ونهاية السباعية مع غاية غيظهم بهم فهل يمكن وصفها وتحريرها وتصويرها ولو كان الكاتب امهر الماهرين فى فن التحرير واحذق الحاذقين فى صنعة التوصيف والتصوير هيهات فلنحل تصوير تلك الشنائع والفظائع على اذهان القارئين واستعدادات المطالعين قائلا شعر:

فكان ما كان مما لست اذكره * فانهم مداه ولا تسئل عن الخبر *

فصفا الجو للروس وصارت قزان فى حوزتهم بعد ان لم يبق بها احد الا اليعافير ولا التيس وامست مصداق قول القائل شعر :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر *

وكان ذلك فى اليوم الثانى من التشرين الاول (اكتوبر) بالحساب الشرقى من سنة ١٥٥٢م المصادف يوم (١) الاربعاً الرابع والعشرين من شوال سنة ٩٥٩ه تقريبا بناء على التطبيق المدقق فيه المطابق للواقع بين التاريخين الميلادى والهجرى ولذلك متى استفسرت عن تاريخ تلك المصيبة العظمى تسمع من كل جانب من الهاتف نداء:

(ياويح قازان دمرته حيل ايوان) و (تعس الزمان كيف اهان ايوان)

١١ ٢٤ ١٥٩ ٦٣٩ ٤٨ ٦٨   ٥٣٠ ١٢٩ ١١٠ ١٢٢ ٦٨

٩٥٩   ٩٥٩

ولله در القائل شعر :

ثم انقضت تلك السنون واهلها * وكانها وكانهم احلام *

انا لله وانا اليه راجعون ذكر ما جرى بعد ذلك من الاحوال بل الاهوال ولما فرغت الروس من القتل والاسر والنهب وقضوا وطرهم من التخريب والاحراق وبردوا قلوبهم بارتكاب الوحشة والفظائع واجراء القبائح والشنائع ولم يبق من الموحدين من يقاومهم ويمانعهم وارتفع الدخان الحاصل من الاحراق وقعد الغبار القائم من التخريب وحصل الهدو وسكنت الاصوات والعجيج فلا يسمع فيها شئ سوى انين الاسرى والجرحى وبكاء الاطفال والاولاد وما طرأ عليهم من الصياح والضجيج ارسل ميخايل الوور وتينى الى ايوان يبشره بهذا الفتح العظيم الذى هو مقدمة فتح جميع الدنيا للروس ويهنيه بحصول مفتاح سائر الفتوح ويستشيره فى معاملة الاسارى والغنائم ويقول ان هنا اموالا وخزائن لم تخطر ببال احد قط فاستبشر ايوان بتلك

(١) وذلك ان ابتداء دخول السنة ٩٥٩ الهجرية فى ٢٩ من الكانون الاول (ديكابر) بالحساب الغربى من سنة ١٥٥١م وفى ١١ الكانون الثانى من سنة ١٥٥٢ بالحساب الشرقى يوم الثلثاء فاذا جعلنا شهرا ٢٩ يوما وشهرا ٣٠ يوما يكون الامر كما قلنا واما بحساب الرؤية يمكن ان يختلف عنه ولذا قلنا تقريبا واما كونه فى العامين المذكورين وفى يوم الاربعاء فلا شبهة فيه قط . منه عفى عنه .

البشارة العظمى غاية الاستبشار وامر القسيسين ان يقدموا العبادة والتشكر للاصنام والصلبان التى منحتهم تلك المنحة العظمى على زعمهم واول شئ صدر عنه فى ذلك الوقت ان امر ببناء كنيسة للنصارى ثم قدمه الكيناز ديميترى پالينسكى فى تلك الاثناء يادكار خان فوبخه ايوان وقال يا قليل الحظ والاقبال اما عرفت قوة الروسية وخيانة القزانيين فجثا يادكار خان على ركبتيه واظهر الندامة على ماصدر عنه وطلب المرحمة نعفى عنه ثم شرع فى معانقة مقربيه وقواده وامرائه وشيخ على الذى هو اكبر مماليكه والسبب الوحيد لحصول مثل هذا الفتح العظيم للروس اظهارا للفرح والسرور والاستبشار والممنونية منهم لاجل سعيهم وغيرتهم وحميتهم وارسل الى سائر عساكره يشكرهم فى مقابلة خدمتهم وما ابدوه من الصبر والتحمل والسعى والاجتهاد

ذكر دخول ايوان بلدة قزان ثم امر ايوان بتطهير بلدة قزان وازقتها وشوارعها من القتلى والتراب فطهروا من باب مور الى قصر الخان فركب ايوان وسار نحو بلدة قزان وامامه العساكر والقسيسون والاعيان ومعهم معابيدهم من الاصنام والصلبان ووراءه الكيناز ولاديمير ومملوكه شيخ على وكان عند الباب جمع من اسارى الروس فلما وصل ايوان الى الباب سقطوا على رجليه باكين قائلين خلصتنا من جهنم ولم يخطرنا احد ببالهسواك فامر بحملهم الى معسكره واطعامهم من طعامه الخاص به ثم سار فرأى شهداء اهل قزان مكومين فى محل فقال هكذا كان ينبغى لهم او قال هؤلاء لاحاجة لنا بهم لانهم ليسوا نصارى او نحو ذلك ثم رأى قتلى الروس وجيفهم فد عالهم وترحم ولما دخل القصر هنأه الاعيان والامراء والعساكر ثانيا وقالوا ان الارض التى كان يحكم فيها سلطان ارباب الدين الباطل (يعنون دين الاسلام) ويراق فيها دماء النصارى يشاهد فيها الآن ملكنا المعظم والصلبان فامر ايوان باطفاء النيران فان قزان كان ساعتئذ تحت سلطنة النيران واعطى كافة اموال الغنائم والاسار عساكره واخذ هو نفسه ما فى قصر الخان من النقود وغيرها من الاموال الناطقة والصامتة خطاب ايوان عسكره بعد استيلائهم على قزان ثم رجع ايوان الى معسكره وجمع كافة عساكره والقى اليهم

هذا الخطاب ايها العساكر الشجعان ويا ايها الامراء والاعيان وايا ايها القواد العالية الشان قد حاربتم اليوم كلكم لاجل ربكم ودينكم ووطنكم وملككم واكتسبتم بذلك شهرة لم ينلها فى عصرنا هذا احد بل لم ير ولم يسمع مثلها شخص قط فانتم الآن الماكيدونيون الجدد (يعنى عساكر اسكندر الماكيدونى) انتم اولاد ابائكم مقاميث ان اباءكم انتصروا على ماماى مع الكيناز ديميترى دونسكى فالآن لاادرى بماذا ارضيكم وباى شىء اطيب خواطركم يا اولاد الروسية المحبوبين وانتم ايها المقتولون بنواميسهم صرتم من الابرار ومن المقربين عند ربكم وصدقتم كونكم من النصار ومكافئتكم اللائقة موكولة الى ربكم والذى استطيعه هو ان اقدسكم واحرر اساميكم فى الدفاتر وآمر بالدعاء لكم فى الكنائس الكبار الى يوم القيامة وانتم الذين بقيتم احياء فكلكم عندى ابطال محترمون واعدكم ان تكونوا محبتى ومرحمتى والتفاتى لكم لاينقص عنها مقدار ذرة مادمت حيا فليسكن روعكم وليطمئن قلوبكم وخواطركم اه ثم عاد الجرحى وسلامهم وجبر خواطرهم وارسل اخا زوجته دانيل بن رامان فى الحال الى موسكوا لتنشر زوجته والمطران واهل موسكوا بهذا الفتح العظيم ثم اضاف جميع عساكره فاظهروا غاية السرور والابتهاج وتذاكروا فيما بينهم ماقاسوا من ايدى التتار عموما ومن ايدى اهل القزان خصوصا من انواع الحقارة والعذاب والاذية واستبشروا باستراحتهم بعد ذلك من تلك المشقات السابقة وهناء بعضهم بعضا بهذه الغلبة والنصرة التى لم تخطر ببالهم قط

اعلان ايوان العفو العام والصلح والامن والامان وفى اليوم المذكور ارسل ايوان الاوامر باعلان العفو العام والصلح والامن والامان ويأمر الداربين بالعود الى مساكنهم ومنازلهم من غير خوف ويقول ان المطلوب منهم ان يؤدوا الى ما كانوا يؤدونه الى خوانين قزان الماضين من المال لاغير يعنى انه لايتعرض لماسوى ذلك من دينهم واخلاقهم وعاداتهم وان لم يصرح بذلك فرجع اولا اهالى قلعة آرچه وماحواليها وقدمر بيان استيلاء الروس عليها وهرب اهاليها الى الغابات والمشاجر وهى فى شمال قزان الذى يسمى الآن بماوراء قزان ثم رجع چرامشة (سرمانيا) سواحل نهر ولغا فارسلوا

كبرائهم ورؤسائهم الى ايوان فحلفوا له على الصداقة والطاعة وعدم الخيانة والعصيان ولم يذكر كارامزين عودة اهل قزان والحق انه لم يبق منهم متنفس بل استشهدوا عن آخرهم والذى بقى منهم حيا من النساء والصبيان والامراء اخذوهم كلهم اسراء كما مر قال الفاضل المرجانى ان اهل قزان ايضا رجعوا الى منازلهم بعد اعلان العفو والامان ثم قال وقيل ان الاهالى مضوا على هجرتهم وساروا الى اماكن لا يجرى فيها حكم الروس يعنى الجهة الشرقية من نهر قاما المشهورة الآن بارض باشقرد والاقوام المسماة هناك الآن باسم تيبتر من ذرية هؤلاء المهاجرين وقيل ان ذرية المهاجرين المذكورين هم طائفة ميشر الكائنين هناك واما التبتر (١) فهم المهتدون من چواش وچرمش وآر والظاهر ان طائفة ميشر انما هاجر واهناك من طرف الجنوب بعد انقراض دولة سراى وآلتون اوردو او قبل والصحيح ان قوم تيبتر من اهالى اطراف قزان مطلقا من نفس قزان مان اهل قزان لم يبق منهم احد حيا كما قدمنا قال (٢) وانما رجع الى قزان مماليكهم فاستولوا على منازل ساداتهم واملاكهم وادعوا انهم الملاك الحقيقيون فاقرهم الروس على ذلك قال والافنديات الذين يفتخرون الآن بانهم من الاهالى الاصلية هم من ذريات هؤلاء المماليك الاراذل الاخساء قلت هذه ايضا ليس ببعيد ويقال لهم الآن بسته چوخورلرى

امر ايوان بدفن الموتي ودخوله البلد ثانيا وتعيينه موضعا لبناء الكنيسة وفى اليوم الثالث من التشرين الاول امر ايوان بدفن الموتى وتطهير البلد وفى غد دخل البلد ثانيا مع الاعيان والعساكر والقسيسين وعين موضعا لبناء الكنيسة التى بداخل السور القديم وبجنب قصر الخان الذى يسكن فيه والى القزان والمشهور انها كانت اولا مسجدا مخصوصا للخان ويؤيد هذا القول وجود منارة بقربها فى جهتها القبلية الى الآن مشهورة بمنارة الخان ومنارة سيون بكه وهى

(١) قال بعض مورخى الروس ان تبترهم الذين اسلموا من چواش وچرمش وآر وليس بصحيح بل هو اسم عام لمن هاجر من ارض قزان سواء كان مسلما اصليا او مهتديا جديدا منه عفى عنه .

(٢) يعنى الفاضل المرجانى منه عفى عنه.

الباقية من الآثار القديمة مع سورها واماسائر الابنية فبعضها تهدمت وبعضها تغيرت لم يبق على حالها الاصلية شيء منها اما السور فقد امر ايوان بترميم ما انهدم منه واعادة الابراج كما كانت سابقا الا انها لم تبق الى الآن والباقي من السور ما كان في جهة الجنوب والبولاق فقط لاغير واما عند المساجد والمدارس في قزان وقت استيلاء الروس عليها فليس ذلك بمعلوم قال الفاضل المرجاني يروى انه كان داخل القلعة يعني الداخلية فيها قصر الخان مسجد جامع ذو ثماني منارات ومسجد جامع مع مدرسة في موضع كان معروفا بتاجيك ايرماغي وفي موضعه الآن بناء ميري يسمى دوم وكانت ايضا خزانة كتب مكملة احرقتها الروس بعد استيلائهم على قزان بما فيها من الكتب القيمة قصدا وان الجادة الواسعة المنتظمة التي مبدؤها من باب القلعة الى المدرسة الكلية يعني دار الفنون المسماة عندهم اونيوير بستيت والشارع الذي ينزل الى الجانبين بعد الخروج من باب القلعة كانا على هيئتهما الحاضرة الآن وقت حكومة الاسلام ايضا وكان بلد قزان محاطا من جوانبه بسور طرفاه الداخلي والخارجي من خشب وبينهما مملو بالتراب وكان له اربعة عشر بابا فهدمها الروس وبني بموضع كل باب من الابواب المذكورة كنيسة اه قلت وقد تقدم ذكر اسامي بعض تلك الابواب عند بيان الحوادث المفجعة ولم ار بيان مقدار الشهداء ومقدار قتلى الروس في تلك المحاربات وكذلك بيان الاسارى الذين اسروهم بعد الاستيلاء على قزان وقد مر عند بيان خروج قاماي المنافق من قزان عند ايوان في بلدة قزان ثلاثون الفا من عسكر قزان والفان وسبعمائة من عسكر نوغاي وان طائفة من العسكر مع الامير يبانچي وطائفة منهم كانت في قلعة اوستروغ وآرچه فليكن المجموع اربعون الفا ولا يخفى ان الاصول العسكرية في ذلك العصر ما كانت كالاصول العسكرية في عصرنا هذا بل كل من كان قادرا على حمل السلاح كان عسكريا ولو كان هو ما مخصوصا في مثل مملكة قزان التي اهلها قليلة ولا شك انهم لم يستشهدوا الا بعد ان قتلوا من اعدائهم ثلاثة امثالهم على الاقل هذا هو حال قزان ومآل امره وما جرى على اهله من حلوا الدهر ومره فاف لدنيا هذه عاقبتها لاهلها وتبا لدار هذه معاملتها بساكنها بالامس كانوا ملوكا

والبوم صارت فرقة منهم مصر وعين وطائفة ماسورين ولله در القائل شعر :

وبينانسوس الناس والامر امرنا   اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وقد استنسبت ان اثبت هنا ابياتا من قصيدة العلامة الاديب ابو البقا صالح بن شريف الرندى التى يندب بها بلاد اندلس بادنى تغيير فى بعض ابياتها لمناسبة بين وقائع اندلس وقزان من حيث الزمان والكيفية وهى هذه اشعار :

لكل شئ اذا ماتم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لاتبقى على احد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
اين الملوك ذو والتيجان من يمن * واين منهم اكاليل وتيجان
واين ما شاده شداد فى ارم * واين ما ساسه فى الفرس ساسان
واين ما حازه قارون من ذهب * واين عاد وشداد وقحطان
اتى على الكل امر لامرد له * حتى قضوا وكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله * وام كسرى فما آواه ايوان
كانما الصعب (۱) لم يسهل له سبب * يوما وما ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر انواع منوعة * وللزمان مسرات واحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالقازان سلوان
اصابها العين فى الاسلام فامتحنت * حتى خلت منه اقطار و بلدان
كانت اساسا لاركان البلاد فهل * تبقى اذا هد اس الدار اركان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة * ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * ابعد قازان يلهى المرأ اوطان
تلك المصيبة انست ما تقدمها * وما لها مع طول الدهر نسيان
تبكى الحنيفية البيضاء من اسف * كما بكى لفراق الالف هيمان

---

(۱) هو ذوالقرنين على اصح الاقوال خلافا للجمهور الجهال بالتواريخ من قولهم انه اسكندر الماكيدونى الوثنى منه عفى عنه .

على ديار من الاسلام خالية * قد اقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقس وصلبان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة * حتى المنابر ترثى وهى عيدان
آها لذلة قوم بعد عزهم * احال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا فى منازلهم * واليوم هم فى اياد العلج عبدان
فلو تراهم حيارى لادليل لهم * عليهم من ثياب الذل الوان
ولو رأيت بكاهم عند اسرهم * لهالك الامر واستهوتك احزان
يارب ام وطفل حيل بينهما * كما تفرق ارواح وابدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * كانما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان فى القلب اسلام وايمان

هذا وكان من سلاطين المسلمين حين استيلاء الروس على قزان غير خوانين قريم الذين كانوا فى الحقيقة اصحاب قزان كما عرفت السلطان سليمان القانونى عليه الرحمة والغفران الذى كان فى عصره اكبر سلاطين الدنيا وفى ماوراء النهر محمديارخان ابن سيونج محمدخان الشيبانى الذى هو من اخوان اهل قزان لكونه من ذرية جوجى خان ومنسوبا الى اوزبك خان فاما السلطان سليمان فقد عرفت ماغالطه به الوكلاء والافقد كان يكفى منه ان يرسل واحدا من عبيده الى ايوان كيناز الروس بالنهى عن التعرض لقزان وعن تعدى طوره وحده واما محمديارخان بن سيونج محمد الشيبانى فلم يبال بوقوع قزان فى ايدى الروس اولم يكن له خبر من ذلك وكذلك خوانين قريم فانهم وان لم ينقطع اغارتهم بلاد الروس الى سقوط قريم ايضا فى ايديهم الاان اغارتهم لم تكن لاسترداد قزان وحاجى طرخان وسيبريا التى وقعت بيد الروس ولا لاستملاك الاراضى والبلاد بل كانت لنهب الاموال واخذ الاسارى فقط لاغير وهذا الذى يذوقونه الآن من ايدى الروس من انواع العذاب والهوان نتيجة ذلك الاهمال وترك الواجب المتقرر فى ذمتهم من تخليص اخوانهم المسلمين وبلاد الاسلام من يد اعداء الدين مع اقتدارهم عليه فلو ان واحدا من ارباب الهمة والشهامة وجه وجهة همته وغيرته

وسعيه وحميته نحو جمع شمل طوائف التتار المتفرقة وادخال قبائل الاتراك المتشتتة تحت راية واحدة وقوى بهم دعائم سلطنته ونشر بهم الى الاطراف والافاق آثار شوكته وسطوته لكان اعظم سلطان فى العالم ولاجرى احكامه على كافة بنى آدم ولما وصل المسلمون الى هذا الحد من التشتت والتفرق والضعف والتدنى والانحطاط والذلة والمسكنة والرذالة ولكن لم يفتكر فى العصر المذكور احد فى نتيجة اتحاد القومية وفوائد اجتماع الجنسية بل صور والمسئلة بالعكس ووجهوا وجه همتهم نحو مالم ينتج غير سوء النتيجة وبذلوا غاية سعيهم ونهاية جهدهم لما لاينفعهم سوى الشهرة الكاذبة ولذلك لارى بدا من التسليم لقول من يقول ان تدبير الاقوام التركية ونظرهم الى عواقب الامور ليس على نسبة شجاعتهم ولا اقدر ان اكابره فى ذلك بعد ان اثبت صدقه شواهد جريان الاحوال الماضية والحاضرة وليس المدار على الشجاعة فقط بل لابد معها من التدبير والنظر الى العواقب بل المدار كل المدار على التدبير وحسن الرأى فمن اوتيه فقد اوتى السعادة ولله در المتنبى حيث يقول شعر: الرأى فوق شجاعة الشجعان * هو اول ولها المحل الثانى * الاترى فى عصرنا الى الدول الاوروپاوية والى الانكليز وهو لاند اخصوصا باى شئ يضبطون مأتى مليون من بهايم الهنود والوفا من انعام مصر وسائر اقوام افريقا واستراليا وعشرين مليونا او ازيد من اغنام جاوه سوى التدبير ولكن الامر كله لله يفعل مايشاء ويحكم مايريد لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه ولايقع فى الوجود شىء الا باذنه قال جودت پاشا رحمه الله فى تاريخه بعد بيان استيلاء الروس على قزان وحاجى طرخان وعدم اقتدار خوانين قريم على استردادها اجمالا ان استردادها تين المملكتين كان امرا هينا بهمة الدولة العلية فى الوقت المذكور وان لم يقدر عليه خوانين القريم ومع ذلك لم يتشبث بهذا الامر اما خوفا من حصول القوة لخوانين قريم بانضمام مملكتى قزان وحاجى طرخان الى قريم لظهور الميل الى الفتنة والمفسدة فى امزجتهم فلم يستصوب الرأى المذكور وبنيت الادارة على مصالح الوقت واما لاقتضاء اسباب اخر اياه وعدم الاعتبار والاعتداد بالروسية فلم يهتم بهم وبتفقدهم وتقويهم بل انحصرت افكار

الدولة فى الفتوحات الجديدة فى طرف النمسة والحال ان الاهتمام باسترداد هاتين المملكتين كان انفع والزم للدولة العلية فان كون تزايد مكنة دولة وشوكتها وسعة مملكتها وجسامتها على قدر مكنة عناصرها الاصلية وجسامتها امر طبيعى وخميرة مادة الدولة العلية وان كانت فى الاصل وابتداء تشكلها عبارة عن قبيلة واحدة ولكن لما انقلبت قبائل الاتراك الكائنة فى قطعة اناطولى كافة الى تلك المادة بانقراض دولة السلاجقة وصارت كلهم عنصرا عثمانيا بمناسبة الجنسية والقومية حصلت لها بذلك قوة كثيرة وصارت الدولة العثمانية دولة تركية معنى ثم لما فتح السلطان سليم بلاد العرب وانضمت كافة الموحدين الى الدولة العلية وصاروا من اجزائها العنصرية صارت الدولة العثمانية بعد ذلك دولة اسلامية ولكن لما ظهر شاه اسمعيل الصفوى والقى التفرقة العظيمة بين الملة الاسلامية بقى قوم ايران خارجين عن ذلك العنصر وحيث كانوا حدا فاصلا بين مملكة الدولة العلية ومملكة ماوراء النهر تسببوا لحرمان اهالى ماوراء النهر ايضا عن شرف الانضمام الى هذا العنصر وقد كان اللازم على الدولة العلية بمقتضى خلافتها الاسلامية صرف جهدها وبذل قوتها فى جمع الاقوام التى تصلح ان تكون من عناصرها الاصلية من الشرق والغرب والهند والسند وان تدخلهم تحت تصرفها وتضم قواهم الى قوتها الكلية سيما اهالى قفقاز وتتار حاجى طرخان وقزان فانه لا شبهة فى انقلابهم الى الملة العثمانية ودخولهم فى حوزة الحكومة فى اقرب الاوقات بمقتضى قرب المجانسة والاتحاد فى المذهب والديانة فى اكثرهم فعلى هذا لم تكن شبهة فى لحوق مملكة قريم بسائر ولايات الدولة العلية ومعدودة منها فحينئذ لا يبقى لذلك الوهم والخوف ادنى مجال وهذا كان افكار السلطان سليم عليه الرحمة والغفران وكانت نعمت الافكار ولكن عطلت هذه الدقيقة عقب وفاته وتركت واخرج رأس المال من اليد وضيع وتشبث بعالات يظهر بها شأن السلطنة السنية فى الانظار ويعلن وفى الواقع وقع كثير من الامور الداخلية والخارجية مما له شأن عظيم ووسعت حدود ممالك الدولة العلية بفتح كثير من الممالك الجديدة وظهرت فى ذلك امور عظام وجسام ولكن لما لم يكن فى العناصر الاصلية

قدرة تحمل حفظ تلك الممالك الجديدة خرجت كلها من اليد فى وقت يسير ورجعت الممالك الى دائرتها الاصلية وقوتها وجسامتها التى كانت فى عصر السلطان سليم عليه الرحمة بالضرورة فان ضبطت مملكتا حاجى طرخان وقزان فى ذلك الوقت والحقت بممالك الدولة العلية وبوشرت ادارتهما من طرف الدولة بلا واسطة وضبطت التتارستان الكبيرة ايضا بتلك الوسيلة لامكن ضبط كثير من امثال مملكة ماجار بغاية السهولة والحاصل اذا سير على سير السلطان سليم وفكره وترسيمه لكانت قوة الدولة وجسامتها مغايرة لقوتها وجسامتها الحاضرة بالكلية ولكن كان الامر بالعكس فاستفادت الروسية من هذا الخطاء الواقع فى المطالعة السياسية فى عصر السلطان سليمان واكتسبت القوة اولا بضبط قزان وحاجى طرخان وحصلت الاستعداد والاقتدار بالتدريج للتعرض لحدود الدولة العلية اه كلام نفيس مطابق للواقع ولكن لا وجه لتخصيص الخطاء السياسى بالعصر السليمانى بل هو امر مستمر فى جميع الاعصر واما حال يادكار خان واوتامش كراى وعاقبتهما فقد قال كارامزين ان ايوان اخذ اوتامش كراى عنده فى قصره وفوضه الى من يعلمه قوانين الروس ونظاماته ولم يجر له ذكر (١) بعد ذلك وان يادكار خان تنصر فى شباط العام الثانى من اسارته وسمى سيمون وتزوج ببنت حاكم من حكام الروسية تسمى ماريه بنت آندرى كوتوزف واقام (٢) فى بيت على حدة من قصر موسكوا اه وانت تطلع على على معاملة الروس فى حكمهم بالتنصر فى المقصد الآتى ان شاء الله تعالى

المقصد الرابع فى بيان الاحوال الجارية فى تلك البلاد بعد دخولها تحت حكم الروسية ونفوذهم وسلطنتهم الى يومنا هذا وقبل ان نخوض فى هذا العباب يجمل بنا ان نلم الى شيء من اوليات دولة الروسية ليكون كالمدخل الى تاريخها حسب ما اومأنا الى ذلك فى بيان احوال الخزر

(١) نعم ذكره عند ذكره استيلاء الروس على بعض بلاد الچراكسة وبيان احوالهم الشنيعة وذلك بعد استيلائها على حاجى طرخان منه عفى عنه

(٢) وذكر خروجه الى حرب دولت كراى خان القريمى حين مجيئه بلاد الروس بنية انقاذ قزان من يدها ولم ار بعد ذلك ذكره منه عفى عنه

ولنذكر هنا ما ذكره سواح المسلمين المتقدمين نحو ما فعلنا في بيان احوال سائر الامم ليكون تاريخنا على وتيرة واحدة ولنوشحه باقوالهم وبياناتهم ولنجمع كلماتهم المتفرقة في محل واحد قال الحموي في كتابه معجم البلدان روس بضم اوله وسكون ثانيه وسين مهملة ويقال لهم رس بغير واو امة من الامم بلادهم متاخمة للصقالبة والترك ولهم لغة برأسها ودين وشريعة لايشاركهم فيها احد وقال المقدسي هم في جزيرة وبئة يحيط بها بحيرة وهي حصن لهم ممن ارادهم وجملتهم على التقدير مائة الف انسان وليس لهم زرع ولا ضرع والصقالبة يغيرون عليهم ويأخذون اموالهم واذا ولد لاحدهم مولود القى اليه سيفا وقال له ليس لك الاما تكسبه بسيفك واذا حكم ملكهم بين خصمين بشيء ولم يرضيا به قال لهما تحاكما بسيفيكما فاي السيفين كان احد كانت (١) الغلبة له وهم الذين استولوا على بردعة (٢) ٣٣٢ سنة فانتهكوها حتى ردها الله منهم واباده‍م * وقرأت في رسالة احمد ابن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر الى ملك الصقالبة حكى فيها ماعاينه منذ انفصل عن بغداد الى ان عاد اليها فحكيت ما ذكره على وجهه استعجابا به قال ورأيت الروسية وقد وافوا بتجاراتهم فنزلوا على نهر اتل فلم ارا تم ابدانا منهم كانهم النخل شقر حمر لايلبسون القراطق ولا الخفاتين ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على احد شقيه ويخرج احدى يديه منه ومع كل واحد منهم سيف وسكين وفاس لايفارقه وسيوفهم صفائح مشطبة افرنجية ومن حد ظفر الواحد منهم الى عنقه مخضر شجر وصور وغير ذلك وكل امرأة منهم على ثديها حقة مشدودة اما من حديد واما من نحاس واما من فضة واما من ذهب على قدر مال زوجها ومقداره في كل حقة حلقة فيها سكين مشدودة على الثدي ايضا وفي اعناقهن

(١) وهذه العادة الشنيعة باقية الى الآن في بعض ملل آوروپا المتمدنة يقال لها دؤولي بمعنى المبارزة . منه عفي عنه

(٢) وهي الحادثة التي ذكرها ابن الاثير وهذا يدل على وهم المسعودي فيما ذكره من الحوادث وقد مر ذكرها في المقدمة عند ذكر الحرر ديه لوله يكن وهما بل كان مغاير الحدثة بردعة لذكروا المقدسي هنا .

الطواق ذهب وفضة لان الرجل اذا ملك عشرة الاف درهم صاغ لامرأته طوقا وان ملك عشرين الفا صاغ طوقين وكلما زاد عشرة الاف درهم يزيدها طوقا فربما كان فى عنق الواحدة منهن الطواق كثيرة واجل الحلى عندهم الخرز الاخضر من الخزف الذى يكون على السفن يبالغون فيه ويشترون الخرزة منه بدرهم وينظمونه عقدا لنسائهم وهم اقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا يغتسلون من جنابة كانهم الحمير الضالة يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم باتل وهو نهر كبير ويبنون على شاطئه بيوتا كبارا من الخشب ويجتمع فى البيت الواحد العشرة والعشرون والاقل والاكثر ولكل واحد منهم سرير يجلس عليه ومعه جواريه الروقة للتجار فينكح الواحد جاريته ورفيقه ينظر اليه وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحالة بعضهم بحذاء بعض وربما يدخل التاجر عليهم ليشترى من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضى اربه ولا بد لهم فى كل يوم بالغداة ان تأتى الجارية ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتقدمها الى مولاها فيغسل فيها وجهه ويديه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط فى القصعة ثم يمتخط ويبصق فيها ولا يدع شيئا من القذر الا فعله فى ذلك الماء فاذا فرغ مما يحتاج اليه حملت الجارية القصعة الى الذى يليه فيفعل مثل ما فعل صاحبه ولا تزال ترفعها من واحد الى واحد حتى تديرها على جميع من فى البيت وكل واحد منهم يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها وساعة موافاة سفنهم الى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم ولبن وبصل ونبيذ حتى يوافى خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الانسان وحولها صور صغار وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت فى الارض فيوافى الى الصورة الكبيرة ويسجد لها ثم يقول يا رب قد جئت من بعد ومعى من الجوار كذا وكذا رأسا ومن السمور كذا وكذا جلدا حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته ثم يقول وقد جئتك بهذه الهدية ثم يترك ما معه بين يدى الخشبة ويقول اريد ان ترزقنى تاجرا معه دنانير ودراهم فيشترى منى كلما اريد ولا يخالفنى فى جميع ما اقول ثم ينصرف فان تعسر عليه بيعه

وطالت ايامه عاد بهدية أخرى ثانية وثالثة فان تعذر عليه ما يريد حمل الى صورة من تلك الصور الصغار هدية وسألها الشفاعة وقال هؤلاء نساء ربنا وبناته ولا يزال الى صورة صورة ويسألها ويستشفع بها ويتضرع بين يديها فربما تسهل له البيع فباع فيقول قد قضى ربى حاجتى واحتاج ان اكافيه فيعمد الى عدة من البقر والغنم على ذلك ويقتلها ويتصدق ببعض اللحم ويحمل الباقي فيطرحه بين يدى تلك الخشبة الكبيرة والصغار التى حولها ويعلق رؤس البقر والغنم على ذلك الخشب المنصوب فى الارض فاذا كان الليل وافت الكلاب فاكلت ذلك فيقول الذى فعله قد رضى عنى ربى واكل هديتى واذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئا من الخبز والماء ولا يقربونه ولا يكلمونه بل لا يتعاهدونه فى كل ايامه لاسيما ان كان ضعيفا او مملوكا فان برأ وقام رجع اليهم وان مات احرقوه وان كان مملوكا تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير واذا اصابوا سارقا او لصا جاؤا به الى شجرة طويلة عظيمة وشدوا فى عنقه حبلا وثيقا وعلقوه فيها ويبقى معلقا حتى ينقطع من المكث اما بالرياح او بالامطار وكان يقال لى انهم كانوا يفعلون برؤسائهم عند الموت امورا اقلها الحرق فكنت احب ان اقف على ذلك حتى بلغنى موت رجل منهم جليل فجعلوه فى قبره وسقفوا عليه عشرة ايام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها وذلك ان الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ويجعلونه فيها ويحرقونها والغنى يجمعون ماله ويجعلونه ثلاثة اثلاث فثلث لاهله وثلث يقطعون له به ثيابا وثلث يشترون به نبيذا يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها وتحرق مع مولاها وهم مستهترون بالخمر يشربونها ليلا ونهارا وربما مات الواحد منهم والقدح فى يده واذا مات الرئيس منهم قال اهله لجواريه وغلمانه من منكم يموت معه فيقول بعضهم انا فاذا قال ذلك فقد وجب له ذلك لا يستوى له ان يرجع ابدا ولو اراد ذلك ما ترك واكثر ما يفعل هذا الجوارى فلما مات ذلك الرجل الذى قدمت ذكره قالوا لجواريه من يموت معه فقالت احديهن انا فوكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيثما سلكت حتى انهما ربما غسلتا رجليها بايديهما واخذوا فى شأنه وقطع الثياب له واصلاح ما

يحتاج اليه والجارية فى كل يوم تشرب وتغنى فارحة مستبشرة فلما كان اليوم الذى يحرق هو والجارية حضرت الى النهر الذى فيه سفينته فاذا هى قد اخرجت وجعل لها اربعة اركان من خشب الخلنج وغيره وجعل حولها ايضا مثل الاناس الكبار من الخشب ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب واقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلمون بكلام لا افهم وهو بعد فى قبره لم يخرجوه ثم جاؤا بسرير فجعلوه على السفينة وغشوه بالمضربات الديباج الرومى والمساند الديباج الرومى ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت ففرشت على السرير الذى ذكرناه وهى وليت خياطته واصلاحه وهى تقتل الجوارى ورأيتها جوانبيرة(١) ضخمة مكفهرة فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب ونحوا الخشب واستخرجوه فى الازار الذى مات فيه فرأيته قد اسود لبرد البلد وقد كانوا جعلوا معه فى قبره نبيذا وفاكهة وطنبورا فاخرجوا جميع ذلك واذا هو لم يتغير منه شئ غير لونه فالبسوه سراويل وران(٢) وخفا وقرطقا وخفتان ديباج له ازرار من ذهب وجعلوا على رأسه قلنسوة من ديباج سمور وحملوه حتى ادخلوه القبة التى على السفينة واجلسوه على المضربة واسندوه بالمساند وجاؤا بالنبيذ والفواكه والريحان فجعلوه معه وجاؤا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه فجاؤا بكلب فقطعوه نصفين والقوه فى السفينة ثم جاؤا بجميع سلاحه فجعلوه الى جانبه ثم اخذوا دابتين فاجروهما حتى عرقتا ثم قطعوهما بالسيوف والقوا لحمهما فى السفينة ثم جاؤا ببقرتين فقطعوهما والقوهما فى السفينة ثم احضروا ديكا ودجاجة فقتلوهما وطرحوهما فيها والجارية التى تقتل ذاهبة وجائية تدخل قبة قبة من قبابهم فيجامعها واحد واحد وكل واحد يقول لها قولى لمولاك انما فعلت هذا من محبتك فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاؤا بالجارية الى شئ عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجلها على اكف الرجال واشرفت على

---

(١) هكذا فى الاصل المنقول وهو لفظ مركب من كلمتين فارسيتين فجوان بمعنى الشاب والشابة وبيرة بالباء الفارسية بمعنى العجوز ولا ادرى ما المراد به هنا ولعل المراد انها متوسطة والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه . فى النسخة المطبوعة جوا نيرة مصححه .

(٢) هكذا فى الاصل المنقول عنه ولا ادرى معناه واما القرطق فقد تقدم انه معرب كورته بمعنى القميص وخفتان هو القفتان معلوم . منه عفى عنه .

ذلك الملبس وتكلمت بكلام لها فانزلوها ثم اصعدوها ثانية ففعلت كفعلها في المرة الاولى ثم انزلوها واصعدوها ثالثة ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا لها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به فاخذوا الدجاجة والقوها في السفينة فسألت الترجمان عن فعلها فقال قالت في المرة الاولى هوذا ارى ابي وامي وقالت في المرة الثانية هوذا ارى جميع قرابتي الموتى قعودا وقالت في المرة الثالثة هوذا ارى مولاى قاعدا في الجنة والجنة حسنة خضرأ ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي اليه فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانتا معها ودفعتهما الى المرأة العجوز التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ونزعت خلخالين كانتا عليها ودفعتهما الى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المعروفة بملك الموت ثم اصعدوها الى السفينة ولم يدخلوها الى القبة وجاؤا الرجال (١) ومعهم الترس والخشب ودفعوا اليها قدحا من نبيذ فغنت عليه وشربته فقال لي الترجمان انها تودع صواحباتها بذلك ثم دفع اليها قدح آخر فاخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول الى القبة التي فيها مولاها فرأيتها وقد تبلدت وارادت الدخول الى القبة فادخلت رأسها بين القبة والسفينة فاخذت العجوز رأسها وادخلتها القبة ودخلت معها العجوز واخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري فلا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل القبة ستة رجال فجامعوا باسرهم الجارية ثم اضجعوها الى جنب مولاها الميت وامسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلا مخالفا ودفعته الى اثنين ليجذباه واقبلت ومعها خنجر عظيم عريض النصل تدخل بين اضلاعها وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت ثم وافى اقرب الناس الى ذلك الميت فاخذ خشبة فاشعلها بالنار ثم مشى القهقرى نحو قفاه الى السفينة والخشبة في يده الواحدة ويده الاخرى على استه وهو عريان حتى احرق ذلك الخشب الذى قد عبوه تحت السفينة من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها ثم وافى الناس بالخشب والحطب

(١) كذا في الاصل المنقول عنه . منه عفي عنه .

ومع كل واحد خشبة وقد الهب رأسها فيلقيها فى ذلك الحشب فتاخذ النار فى الحطب ثم فى السفينة ثم فى القبة والرجل والجارية وجميع مافيها ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها وكان الى جانبى رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذى معى فسالته عما قال له فقال انه يقول انتم معاشر العرب حمقى لانكم تعمدون الى احب الناس اليكم واكرمهم عليكم فتطرحونه فى التراب فتأكله الهوام والدود ونحن نحرقه بالنار فى لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته ثم ضحك ضحكا مفرطا وقال من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه فى ساعة فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والرجل الميت والجارية رمادا رمددا ثم بنوا على موضع السفينة وكانوا اخرجوها من النهر شيئا بالتل المدور ونصبوا فى وسطه خشبة كبيرة خدنج وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا قال ومن رسم ملوك الروس ان يكون معه فى قصره اربعمائة رجل من صناديد اصحابه واهل الثقة عنده فهم يموتون بموته ويقتلون دونه ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه وتصنع له ما يأكل ويشرب وجارية اخرى يطأها وهؤلاء الاربعمائة يجلسون تحت سريره وسريره عظيم مرصع بنفيس الجواهر ويجلس معه على السرير اربعون جارية لفراشه وربما وطئ الواحدة منهن بحضرة اصحابه الذين ذكرنا ولا ينزل عن سريره فاذا اراد قضاء حاجة قضاها فى طشت واذا اراد الركوب قدموا دابته الى السرير فركبها منه واذا اراد النزول قدم دابته حتى يكون نزوله عليه وله خليفة يسوس الجيوش ويواقع الاعداء ويخلفه فى رعيته ثم قال الحموى هذا ما نقلته من رسالة ابن فضلان حرفا حرفا وعليه عهدة ما حكاه والله اعلم بصحته واما الآن فالمشهور من دينهم دين النصرانية اه كلام الحموى قلت نعم انهم تنصروا بعد عصر ابن فضلان واما فى عصره فقد كانوا على ما حكاه وقد ذكر احراقهم موتاهم غير واحد من المورخين كما تقدم عن المسعودى اثناء بيان احوال الخزر ولاجل الاشتباه نسب صاحب روضة الصفاء احراق الموتى الى الخزر وبين علته والنسبة غير صحيحة وان كانت العلة صحيحة فرضا واما القذارة وعدم الاستنجاء فباقية الى الآن واقبح واغضب شئ

عندهم هو الاستنجاء وكذلك (١) عبادة الاوثان والاصنام باقية الى الآن على حالها قال ابو على احمد بن داسة الفصل السادس فى الروسية فاما الروسية فانها فى جزيرة حواليها بحيرة والجزيرة التى هم فيها نزول مسيرة ثلاثة ايام مشاجر وغياض وهى وبيئة ندية اذا وضع الانسان رجله على الارض تزلزلت الارض من ندوتها ولهم ملك يسمى خاقان الروس وهم يغزون الصقالبة يركبون السفن حتى يخرجوا اليهم ويسبوهم ويخرجوهم الى خزران وبلكار يبيعونهم منهم وليس لهم مزارع انما يأكلون مما يحتملون من ارض الصقالبة واذا ولد للرجل منهم مولود قدم الى المولود سيفا مسلولا فالقاه بين يديه وقال لا اورثك مالا وليس لك الا ما تكسبه لنفسك بسيفك هذا وليس لهم عقار ولا قرى ولا مزارع وانما حرفتهم التجارة فى السمور والسنجاب وغير ذلك من الوبير فيبيعونه من مبتاعيهم ويأخذون بالاثمان الصامت من المال فيشدونه فى احقائهم ولهم نظافة فى ثيابهم ويتسور الرجل منهم باسورة الذهب ويحسنون الى رقيقهم يتنوقون (يتأنقون) فى ثيابهم لانهم يتعاطون التجارة ولهم مدائن كثيرة ويوسعون على انفسهم ويكرمون اضيافهم ويحسنون الى من يلوذ بهم من الغرباء وكل من ينتابهم ولم يسوغوا لاحد منهم اهتضامهم ولا الجور عليهم وكل من اقدم عليهم بمكروه او ظلم اعانوهم ودفعوا عنهم ولهم السيوف السليمانية وان استنفرت طائفة خرجوا جميعهم ولم يتفرقوا وكانوا يدا واحدة على عدوهم حتى يظفروا بهم وان ادعى واحد منهم على آخر دعوى حاكمه الى ملكهم واختصما فان قطع بينهما كان الذى يريد وان لم يتفقا على قوله امران يتحاكما بسيفهما فاى السيفين كان احد كانت الغلبة له فخرجت العشيرتان فقامتا باسلحتهما فتجالدا فايهما كان اقدر على صاحبه كان المحكم فى خصمه بما يريد ولهم اطباء منهم يحكمون على ملكهم شبه ارباب لهم يأمرونه ان يتقربوا بما يريدون الى خالقهم من النساء والرجال والكراع واذا حكمت الاطباء لم يجدوا (٢) بدا من

---

(١) وكذلك وضع الطعام والماء كولات بين ايديها كل ذلك باق الى الآن منه عفى عنه

(٢) قلت قد عم هذا الحكم الجاهلى فى زماننا هذا الذى يقولون انه عصر الترقى والتمدن جميع الدنيا حيث ان الاطباء الجهال الآن لا يعرفون شيئا غير الكرانتينا والبخور وانواع العذاب لبنى البشر قاتلهم الله واستأصلهم فعرفنا ما اخذ هذا الامر القبيح ايضا والحمد لله على ذلك منه عفى عنه

الانتهاء الى امرهم فيأخذ الطبيب الانسان والبهيمة منهم فيطرح الحبل فى عنقه فيعلقه فى خشبة حتى تفيض نفسه ويقول ان هذا قربان لله ولهم رجلة وبسالة فاذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون ان يهلكوهم ويستبيحوا امرهم ويسترقوهم، ولهم جثث ومنظر واقدام وليس اقدامهم على الظهر اى البر وانما غزوهم ومعالجتهم فى السفن، ولهم سراويلات قد اتخذوا الواحدة منها من مائة ذراع اذا لبسها اللابس منهم جمعها على ركبتيه وشدها عندهما، ولا يبرز احدهم لقضاء حاجته وحده انما يصحبه ثلاثة نفر من رفقائه يتحارسونه بينهم مع كل واحد منهم سيفه لقلة امانتهم والغدر الذى فيهم فان الرجل اذا كان له قليل مال طمع فيه اخوه والصاحب الذى معه ان يقتله ويسلبه واذا مات الجليل منهم حفر له قبر مثل بيت واسع وجعلوه فيه وادخلوا معه ثياب بدنه وسواره الذى كان يلبسه من ذهب وطعاما كثيرا واباريق شراب ومالا صامتا ايضا ويجعلون معه فى القبر امرأته التى كان يحبها وهى بعد حية ويسد عليها باب القبر فتموت هناك اه هذا ما ذكره بعض سواح الاسلام المتقدمين فى بعض اوليات الروس وهم معدودون الآن من طائفة اسلاوان التى كانت سواح الاسلام المتقدمون يعبرون عنها بالصقالبة وقد مرت نبذة من بيان كيفية ظهورهم ثم معاملتهم من جيرانهم من الامم التركية الذين كانوا يسكنون هناك نقلا عن كارامزين وانه وان ذهب الى كونهم من اسلاوان تبعا للجمهور، ولكنه لم يجزم بذلك جزما قويا بل جوز كونهم من الاقوام الواردين من آسيا وكونهم من بقايا عساكر الغوت وهون فتذكره وفى عصرنا هذا ايضا كثير من الاتنوغرافيين يشتبهون فى كونهم من اسلاوان والحق انهم ليسوا باسلاوان صرف بل هم مخلوطون ببعض قبائل من اسلاوان وامم اخرى غيرهم ايضا كثيرة، هذا فى بداية ظهورهم واما فى اواسط ادوارهم واواخرها فقد عرفت مما سبق انهم اختلطوا بكثير من الاقوام التركية والتتارية بسبب انقلابهم اليهم حين غلبتهم عليهم ولذلك ترى ان مشابهتهم بالاقوام الاسيوية فى سيماهم ومعاملتهم وطرز معيشتهم اكثر منها بالاقوام الآوروپاوية خصوصا اهل القرى الذين ليس لهم اختلاط بسائر اهل آوروپا حتى ان نساءهم لا يرضون

غالبا بكشف رؤسهن وابداء شعورهن وكان التستر عاما فيهن الى عصر
پيطر الاكبر المشهور فاجبرهن الى الكشف تبعا لاهل آوروپا ومع ذلك
بقى التستر فى نساء اهل القرى اعنى ستر الرأس ولذلك يعيبهم الآوروپا
ويون بمشابهتهم فى العادات وطرز المعيشة بالتتار ، وملوك الروس
منقسمة الى ثلاث طبقات وعوائل الاولى عائلة روريك وقد قدمنا فى
بيان احوال الخزران القبائل المتفرقة المنتشرة من اسلاوان وغيرهم الذين
كانوا يقيمون فى الجانب الغربى من مملكة بلغار قزان اعنى فى سواحل
بحر البلطق دعوا الاخوان الثلاثة روريك .. وسينيوس . وتروڤار .
من عائلة روس من قوم واراغ مـن جنس سكندناوة المشهورة
باسم عام نورمان من وراء بحر بلطق اعنى من مملكة اسوج ونروج
ليملكوهم على انفسهم والحاصل ان هؤلاء الاخوة الثلاثة جاؤا الى الروسية
مع اتباعهم وعساكرهم فى سنة ٨٦٢ م مصادفة سنة ٢٤٨ ﻫ بموجب
طلبهم ، فاستقر روريك بمدينة نووغورد التى هى اقدم واشهر مدن
الروس ، واستقر سينيوس ببلدة بيلى اوزبر حاكما على قوم فين وچود ،
واستقر تروڤار ببلدة ابزبورسكى على قوم كريويچ من اسلاوان ،
وبقيت اسمولينسكى وپولوتسكى حال كونهما ملاءتين بقوم كريويچ على
استقلالهما فان اهلهما لم يشتركوا سائر طوائف اسلاوان فى دعوة هؤلاء
الاخوة فسميت اهالى ولايات پطربورغ الحاضرة وايستلانديه ونووغورد
و پسكوف باسم الروس (يعنى فى ذلك الوقت ثم عم ذلك الاسم جميع
طوائف اسلاوان بل جميع من كان داخلا تحت حكم هذه الاخوة الثلاثة)
ثم مات سينيوس وتروڤار بعد سنتين و بقى ملكهما لروريك فاستقل
بالملك وكان يعطى الولايات التى كان يفتحها بنفسه او بواسطة اقاربه
وامرائه لكبار اقربائه وامرائه من قوم نورمان على سبيل الاقطـاع
وكان ذلك عادة قوم نورمان بل جميع اهل اوروپا فى العصر المذكور
وكان اهالى تلك الولايات بمنزلة عبيد هؤلاء الامراء وكان هؤلاء الامراء
يلقبون بلقب بويار و تلك الاهالى التعسة باسم كرستيان يعنى العبيد

والماليك واستمر (١) هذا الحكم الى وقت قريب من هذا العصر ولذلك كثر فى الروسية البويار وكرستيان وهؤلاء الكرستيان ما تخلصوا من الرقية والاسارة الا بعد حرب قريم وسيواستاپول المشهور ولكنهم بقوا لا اراض وهم الذين يطلبون الاراضى الآن من حكومة الروس وصاروا اعظم ركن ومستند للثوار على مالايخفى على اربابه، واطاعه اعنى روريك امة ميرا وموروم وپولوچان وانقلبوا الى الروسية وليسوا فى الاصل من جنس اسلاوان ولذلك قال كارامزين واعظم مافعله روريك واحقه بالذكر قلبه امة ميرا وموروم ووبص الى الروسية وكان وفاته فى سنة ٨٧٩م مصادفة سنة ٢٦٦ه وكان مدة حكومته مستقلا بعد موت اخويه ١٥ سنة وخلف ولدا صغيرا يسمى ايغور او ليغ من سنة ٨٧٩ الى سنة ٩١٢ وكالة ولما قرب وفات روريك فوض مملكته وولده الصغير ايغور الى اخيه اوليغ ولما اخذ اوليغ زمام الحكومة بيده جمع كثيرا من قوم واراغ الى الروسية واخذ العسكر ايضا من اهالى الروسية وادخل كثيرا من الاقوام والممالك تحت حكومته منها بلدة اسمولينسكى التى كانت باقية على استقلالها وبلدة لوبيچ بالمراف ديبير واستولى على حكومة كيف بعد ان قتل (اصكولد) (٢) و (دير) اغتيالا واتخذ بلدة كيف كرسى سلطنته لكونها اوفق للهجوم منها على سائر الاقوام وسلم مدينة نووغورد والجهة الشمالية من الروسية الى اعيان واراغ فضربوا عليهم الجزية ودام هذا الحال الى آخر حكومة يارصلاو واستولى اوليغ على ولايات چيرنيغوف ووينبسكى واخرجها من حكومة الخزر واستولى ايضا على ولايات كثيرة فى غربى ولاية كيف وقصد القسطنطينية بالفى سفينة من نهر دينيپر والبحر الاسود فى كل سفينة اربعون نفرا وسار بنفسه مع الخيالة من البر من جهة روم ايلى وبلغاريا الحاضرة فى عصر القيصر ليون وهو اعمى

(١) بل زادوا عليه فى عصر بطر المشهور وبكاتريا فانهما اتمهاملا ذلك فى حق مخلصيهم مع كونهما مجددى دولة الروسية منه عفى عنه .

(٢) وتقدم بيانهما وكيفية استيلائهما على كيف وانتزاعهم اياها من الخزر عند بيان الخزر فى المقدمة فتذكر منه عفى عنه.

القيصر المذكور وان وفق لحفظ القسطنطينية بمد السلاسل على فم الخليج الا انهم افسدوا فى البر افسادا كثيرا بالقتل والاسر والتخريب والنهب والغارة حتى اضطر القيصر المذكور الى دفعهم باعطاء المال والمصالحة توفى اوليغ فى سنة ٩١٢م مصادفة سنة ٣٠٠ھ او التى قبلها **ايغورن روريك** من سنة ٩١٢ الى سنة ٩٤٥ وبعد وفات اوليغ الوصى استقل ايغور بن روريك بالملك وقد قام عليه طائفة دريولان من امة اسلاوان فاعادهم الى الطاعة وبعيد ذلك بقليل ظهر امة بجاناك من جهة الشرق فازعجوا الروسية الى اعصر كثيرة كما مر وفى سنة ٩٤٨م قصد ايغور القسطنطينية بعشرة الاف سفينة فى كل سفينة اربعون نفرا فارسل قيصر رومان قائد جيشه فيوفان فهزمهم ولكنهم خرجوا الى قطعة اناطولى وافسدوا فيها افسادا كثيرا وبعد سنتين من هذا جلب ايغور كثيرا من عسكر واراغ من بلادهم واستأجر ايضا قوم بجاناك وقصد القسطنطينية ثانيا فاضطر القيصر الى تجديد المصالحة معه وشرط فى معاهدته اياه ان لا يرسلوا البلغار السود (يعنى بلغار طونه) الى طرف خرصون توفى ايغور فى سنة ٩٤٥م مصادفة سنة ٣٣٤ھ او التى قبلها قتله طائفة دريولان لاجل حرصه وجشعه وكان خروج الروسية من نهر وولغا وبحر الخزر الى طرف عراق العجم واذربيجان على قول المسعودى والى بردعه على قول ابن الاثير وغيره فى عصره **اسواتسلاو الاول بن ايغور** من سنة ٩٤٥ الى سنة ٩٧٢ وحين توفى ايغور كان ولده اسواتسلاو صغيرا فقامت والدته اولغا بتدبير امر الملك وسلمت ولده المذكور الى بويار آصمواد وفوضت تدبير الامور العسكرية الى القائد اصوبنيلد من قوم واراغ وذهبت الى قسطنطينية وقبلت النصرانية فيها بسعى القيصر قسطنطين بوغرانور ودنى وبقى ولده المذكور على الجاهلية وتنصر معها بعض اعيان قوم واراغ وهى تعد عند الروسية من الاعزة وبعد ان كبر اسواتسلاو شرع فى غزو الاقوام المجاورين كبلغار وولغه والخزر وقد تقدم فى بيان خزر انه حارب الخزر وانتزع منهم بلدتهم المسماة بسرقل (صارى قلعه) وممالكهم التى كانت فى سواحل البحر اوزاق المسماة بتاموتارافان وفناغوريا وبوسفور

وحارب قوم ياصه المسمات الآن باوصينست وغزا ايضا بلغار طونه بستين الفا من خيالة الروس بتحريض قيصر الروم نيكيفور اياه على ذلك واستولى على كرسى سلطنتهم بلدة پرياصلاول وكانت على شاطىء نهر طونه بقرب سلستره وهى قصبة صغيرة الآن فمات كبيرهم من كدره ولما سمع اسواتسلاو هجوم قوم بجاناك الى كيف رجع ثم قصد بلغاريا ثانيا بنية ان يتخذ البلدة المذكور مركز حكومته فحاربه قيصر الروم تصيمصخى (المشهور عند المسلمين بالدمستق) وهزمه ثم قتله قوم بجاناك فى مصب دينيپر وقت رجوعه واتخذوا من عظم رأسه قدحا كما مر وكان ذلك فى سنة ٩٧٢ م مصادفة سنة ٣٦٢ ه او التى قبلها وهو الظاهر ياروپولك الاول من سنة ٩٧٢ الى سنة ٩٨٠ ولما مات استواتسلاو وقع الاختلاف بين اولاده الثلاثة ياروپولك واوليغ وولاديمير وكان ياروپولك يقيم بكيف واوليغ بمملكة دريولان وولاديمير بنوغورد فقصد ياروپولك اولا اخاه اوليغ بتحريض قائد جيشه اصوبنيلد المار ذكره فقتل وملك ممالكه فلما سمع ولاديمير ذلك هرب الى نورماندیا التى هى اصل وطن اسلافه وجمع هناك جيشا قويا من قوم واراغ وعاد بعد سنتين وملك نووغورد وتزوج روغنيده ابنة روغولد حاكم پولوتسكى وكريوبيچ جبرا بعد قتل ابيها المذكور وكانت مخطوبة اخيه ياروپولك ثم قصد بلاد كيف وقتل اخاه ياروپولك بالحيلة وباعانة عسكر واراغ وكان ذلك فى سنة ٩٨٠ م مصادفة ٣٧٠ سنة ه او قبلها ولاديمير الاول بن استواتسلاو من سنة ٩٨٠ الى سنة ١٠١٤ وهو من مشاهر ملوك الروس وكانت امه جارية ولما قتل اخاه ياروپولك فى التاريخ المذكور استقل بالحكومة وطرد عسكر واراغ الذين ملكوه بالحيلة وانما ابقى عنده الاعيان منهم المسميين ببويار واقطع لكل منهم مدنا عظيمة كثيرة وبعد ان ترسخ قدمه فى الملك واطمئن بالهظهر فيه الندم على ما صدر عنه من الخيانة فى حق اخيه وغيره وزاد فيه هوس عبادة الاوثان فاتخذ صنما كبيرا رأسه من الفضة ووجهه من الذهب وفى احدى يديه صورة حجر الصاعقة كانه متهيء لان يرمى به من يخالفه يسمى

پيرون ونصبه قدام قصره فى ميدان يسمى اسواشينى خولمه وامر قائد جيشه ان يصنع صنما آخر مثله فى نووغورد ونصبوه بشاطئ نهر وولخوا وكان الرعايا يذبحون لهما البهايم تقربا اليهما وخوفا من قهرهما وكان ولاديمير يتقرب اليهما بذبح الانسان حفظا لعلوشأنه واظهار الزيادة خلوصه، قال كارامزين وقد انقلب ماقدامهما من الميدان دما صرفا من قتل لاجلها وكان ولاديمير اسير الشهوة كثير الشبق مثل خوانين آسيا فى عصرنا هذا وكان له ثلاث نسوة وعينده المذكورة ولما قتل اخاه يار پولك تزوج امرأته الحامل من يار پولك فولدت اسواتوپولك وتزوج امرأة من بلغار ولدت له بوريس وغليب وهما من الاعزة عند الروس وفضلا عن ذلك كان له فى بلدة ويشيغورد ثلاثمائة جارية وفى بيلىغورد ثلاثمائة جارية وفى قرية بريستو مائة جاريـة ولهذا يقول له مورخو الروس سليمان الثانى ولما غلب ولاديمير على غالينسيه وليونه اراد ان يذبح شخصا لمعبوده المذكور شكرا له فاقرع بين اهل كيف فخرجت القرعة على ولد واحد من واراغ وكان قد تنصر فابى ان يسلم ولده وقال مالكم تعبدون خشبة لاروح لها وتتركون عبادة الله الحى القادر خالق السموات والارض ومافيها فغضبت الروس عليه وقتلوه وذبحوا ولده واسمهما فيودر وايوان وبعدان عند الروس من الاعزة وغزا ولاديمير بلغار وولغا مع متفقيه من قوم اتراك وغلبهم فقال له واحد من عقلاء امرائه ان هؤلاء اقوام مدنيون لا يطيعوننا فالاولى بنا أن نلتمس اقواما غير مدنيين ينفذ فيهم احكامنا فاثر فيه كلامه فصالحهم ورجع كما مر فى المقصد الاول واشهر امور ولاديمير عند المورخين واقدسها عند الروسية قبوله النصرانية وادخاله اياها الى الروسية وقد اختلف الاقوال فى سببه الظاهرى مع ترسخ قدميه الوثنية وعلى كل حال ظهر عنده بطلان الوثنية وصار يتسأل الناس عن الاديان الموجودة فى عصره ولما اشتهر ذلك بين ارباب الاديان الاسلام واليهودية والنصرانية بانواعها شرع علماء كل ملة يفدون اليه لبيان حقيقة دينهم ودلائله عليه فوفد اليه علماء الاسلام من بلغار قزان وعلماء اليهود من قطعة قريم وممالك خزرور ؤسا كاتوليك من بلاد نمسه ورؤساء ورتودوكس من الروم وبين

كل واحد منهم حقيقة دينه وماهيته ودلوه عليه وقيل ان ولاديمير هو الذى دعاهم وجلبهم عنده ولما بين علماء الاسلام حقيقة دين الاسلام واصوله وفروعه لم يقل فيه شيئا وكانه استحسنه(١) لكونه دينا طبيعيا الا انه رأى الاختتان كشيء لافائدة فيه واستثقل تحريم الخمر وقال ان تسلى الروس فى الخمر لاعيش لنا بدونها ، وقال لرؤساء كاتوليك ان اجدادنا لم يأخذوا من پاپا ارجعوا الى بلادكم ، وقال لليهود اين اوطانكم فقالوا اصل اوطاننا القدس ولكن غضب الله علينا فشتت شملنا وفرق جمعنا الى اقطار العالم فقال ولاديمير اتدعون الغير الى دينكم مع غضب الله عليكم لا تريد ان نفارق اوطاننا مثلكم ، وجاء فيلسوف(٢) من طرف الروم لا يعلم اسمه فجرح سائر الاديان ومدح النصرانية (يعنى الاورتوذ قسية) وآراه ورقة رسم فيها احوال القيامة بان يذهب بالمؤمنين الى الجنة وبالعصاة الى النار فلما رآها تنفس الصعداء وقال مااحسن حال السعداء وما اسوأ حال العصاة فقال له الفيلسوف وتنصر تدخل الجنة مع السعداء فاعطاه الهدية وصرفه ثم جمع عقلاء ملته وعرض عليهم اقوال هؤلاء الوفود فقالوا ان كل ملة تمدح دينه فان اردت ان تختار احسن الاديان فعليك بارسال جمع من العقلاء الى اطراف شتى حتى يروا عبادات كل ملة بابصارهم ويمتحونها ويختاروا احسنها ففعل وارسل عشرة اشخاص الى بلغار قزان فرأوا ان مساجدهم غير مزينة وعباداتهم غير مطنطنة بل تؤدى بصوت خفى وعلى وجوههم اثر الكآبة والحزن ثم ذهبوا الى بلاد نمسة لمعاينة عبادات طائفة كاتوليك من النصارى فرأوهم ان عبادتهم لاحسن فيها ولا تعظيم وان كانت تؤدى بالطنطنة والدبدبة ثم ذهبوا منها الى القسطنطينية فقال القيصر ان انظار الجهلاء مقصورة على الظاهر لا تنفذ على الحقائق وامر ان يظهروا لهم كيفية عباداتهم فى الكنيسة العظمى بكمال الطنطنة

---

(١) قال كارامزين ولا سيما لما سمع منهم وصف الجنة والحور اللاتى فيها لكونه مغلوب الشهوة اهـ منه عفى عنه .

(٢) قلت ياليت علماؤنا الذين قدموا اليه كانوا فلاسفة يقدرون على ازالة ما اشتبه فيه واستثقله بحكمتهم ولكن كان امر الله قدرا مقدورا . منه عفى عنه .

والدبدبة فرأت الروس ان الكنيسة مزينة بزينة محيرة للمعقول وقد ادت المطران عباداتهم بكمال التجمل وقد اجتمع رؤسا الروحانيين كلهم بكمال التزين وادوا العبادة باصوات حسنة والحان موسيقية وقد علقت بجدران الكنيسة رسوم حسنة وصور مستحسنة فلما رأت جهلاء الروس ذلك دهشوا وذهلوا عن انفسهم وشغفوا بعباداتهم فان عبادة الاصنام كانت مترسخة فى مداركهم ومنه لا تفارقها الا بالاسم وبعض الكيفيات وخيل اليهم ان الله عز وجل ساكن فى تلك الكنيسة حاشا ومختلط ببنى البشر بلا واسطة فرجعوا الى كيف وقالوا لا بد غير دين الروم فقرر رأى ولاديمير ايضا على التنصر ولكنه لم يرض ان يتنصر بيد النصارى الكائنين فى كيف ولا بيد الروم ولكنه اراد ان يأخذ الدين ايضا كسائر الاشياء بالمحاربة فتوجه من نهر دينيبر بالسفن الى بلدة خرصون بارض قريم وكانت بيد الروم ولكنهم كانوا تابعين لقيصر الروم اسما فقط فاستولى عليها باعانة واحد منهم اباه وخيانته على قومه واسمه آناستاس ثم ارسل الى واسيلى وقسطنطين قيصرى الروم يخطب منهما اختهما آنه ويهددهما باخذ القسطنطينية ان ابيا وكان وقتئذ يحاربهما خارجيان فاغتنما ذلك بمقتضى الوقت والحال وقالا ان هذا الازدواج مربوط بنفس ولاديمير فان تنصر نزوجها منه فرضى بذلك ولكنه شرط عليهما ارسال اختهما المذكورة اوّلا الى خرصون للاعتماد فارسلا بعد اللتيا والتى مع كثير من الامراء ورؤساء الروحانيين الى خرصون فانها كانت تعد هذا الازدواج اشد من الموت ولكنها رضيت به بمقتضى الوقت فتنصر ولاديمير بتكليف آنه فى بلدة خرصون وتنصرت سائر الروس ايضا تبعا له وامتثالا لامره ثم ارسل عسكرا الى القسطنطينية لاعانة القيصر فدفعا بهم الخوارج وازالوا الفساد ثم رد ولاديمر بلدة خرصون اليهما تشكرا لهما وكان ذلك فى سنة ٩٨٨ م مصادفة بسنة ٣٧٨ هـ (١) فرجع

(١) وضبط ابن الاثير دخول الروس فى النصرانية ٣٧٥ سنة وذكر فيه الخارجيان وطرف من القصة المذكورة بنوع مغايرة فراجعه ان شئت والله سبحانه اعلم .
منه عفى عنه .

ولاديمير من خرصون الى كيف وحمل معه جميع رؤساالدين وآناستاس المذكور واسباب الكنيسة فاحرقوا الاصنام القديمة الموجودة فى كيف وطرحوا الصنم المسمى بيرون المار ذكره فى نهر دنيپير وامر ولاديمير اهالى كيف بالتنصر والتجمع بشاطى دنيپير للتعمد فيه فزعم العوام ان هذا الدين الجديد لو لم يكن احسن من القديم لما اختاره الكيناز ولاديمر والاعيان على دين آباءنا واجدادنا الاقدمين واجتمع خلق لايحصى بشاطىء دينيپر ودخلوا فى النهر الى حقوهم وصدورهم حاملين اولادهم الصغار فجاء ولاديمر وكافة رؤساء الدين واجروا العرف والعادة التى تلزم النصرانية (وهى العادة التى بين غراف ليون نيقولايويچ تولستوى حقيقتها فى رسالته رد فيها على قرار جمعية الروحانيين فى حقه) ثم حكموا بكون كافة هؤلاء الجم الغفير نصارى وبنى ولاديمر بموضع صنم بيرون كنيسة من خشب الى ان يجلب الاساتذة من الروم لبناء الحجر ثم بنوا كنيسة الحجر بعد سنتين على اسم مريم عليها السلام بزعمهم وعين لتعميرها عشر الجزية ولهذا سميت عندهم بديساتينوى المفيد لهذا المعنى وملاءها بصور واصنام جديدة مجلوبة من الروم واليونان واماغير اهالى كيف فبعضهم قبل النصرانية تقليدا محضا كاهل كيف وبعضهم بقوا على الوثنية الاصلية الى القرن الثانى عشر من الميلاد وبنى ولاديمر مكتبا لاقراء اولاد الاعيان وجبرهم ان يعطوا اولادهم فيه فصارت نساء الاعيان يبكين لذلك فان هذا اعنى اقراء الاولاد كان يعد عندهن بمنزلة السحر والفعل الشر مساويا للموت هذا هو مبدأ النصرانية فى الروسية وقد اورد كارامزين هنا سوالا وهو ان الروس لما تنصروا اى كتاب استعملوا من الكتب المقدسة ومن ترجمه والفه ولم يجب له جوابا قطعيا ولكن قال البعض ان الذى ترجم الانجيل بلغة اسلاوان اخوان احدهما ميفادى والآخر كيريل وقد اخترعت حروفات اسلاوان فى العصر المذكور والحاصل ان ولاديمر اخرج الروسية من الامية الى معرفة القراءة والكتابة واما من جهة الدين فقد انتقل من وثنية الى وثنية اخرى لاغير ولذلك انكر بعضهم كون الروس كتابية منهم الفاضل المرجانى حيث قال نظما **شعر:**

سئلنا عن بني روس * ان امتونا بعرفان
وای القوم هم عندك * كتابیون اوثانی
وما الحکم لما منهم * من الذبح ونسوان
سحصا عن القوم * وجدناهم من الثانی
سافنیسا واملیبا * بهذان حراماں
وکل العلم عند الله * وهذا رأی مرجانی

وهذا عجيب من هذا الفاضل المحقق فان شرط كون الكتابي ليس هو عدم تغيير الكتاب ولا عدم عبادة غير الله ولا عدم اعتقاد غير الله الها بل الكتابي عندنا معاشر الحنفية من له كتاب سماوى مقر بنبي من الانبياء وان بدلوا وان غيروان اعتقد عزيز ابن الله والمسيح بن الله حاشا كيف مان هذا التبديل والتغيير والاعتقاد والعبادة كلها كانت موجودة وقت انزال الله تعالى خطاب باهل الكتاب واتخاذ الاصنام وعبادتها كانا موجودين ايضا فى الوقت المذكور عند طوائف النصارى اللهم الانادرا منهم ومع ذلك سماهم الله اهل الكتاب والروس لم يأخذوا تلك الاصنام والاوثان الامن الروم واليونان وكان الفرق بين الكتابي والوثني على هذا هو وجود كتاب سماوى والاقرار بنبي من الانبياء وعدمهما لا وجود عبادة الاوثان وعدمها وكان الحق سبحانه اعتبر مجرد الانتساب الى كتبه وانبيائه مع مخالفتهما اعتبارا عظيما حيث خص صاحبه بخصائص لا توجد فى الوثنى الذى ليس له هذا الانتساب والله سبحانه اعلم، وقد تقدم فى بيان بجاناك هجومهم الى كيف ثلاث مرات فى عصر ولاديمر وفى آخر عمره عصاه ولده يارصلاو وكان حاكما بنووغورد وادعى الاستقلال لنفسه فجمع ولاديمر عسكرا لتربيته واعادته الى الطاعة فهجمت البجاناك فى الوقت المذكور مرة رابعة فارسل لى دفعهم ولده المحبوب بوريس حاكم روصتوف بذلك العسكر الذين جمعهم لتربية ولده يارصلاو وكان نفسه اذذاك الوقت مريضا فمات بعيد ذلك من غير تعيين ولى العهد فى ١٠١٤ سنة مصادفة سنة ٤٠٥ هـ اوالتى قبلها وخلف ثمانية اولاد وقسم ممالكه فيما بينهم على ان يكون حاكم كيف هو الحاكم الاكبر ولكنه لم يعينه اسواتو پولك

الاول من سنة ١٠١٤ الى سنة ١٠١٩ قد مران ولاديمر تزوج زوجة اخيه بارو پولك وهى حامل منه وانها ولدت ولدا سموه اسواتو پولك وقد تبناه ولاديمير ولكنه كان لا يحبه ولذلك كان حبسه مع زوجته ابنة حاكم بولونيا بيلاصلاو ولما مات ولاديمر خرج اسواتو پولك من الحبس واستمالها الى كيف الى نفسه ببذل خزينة ولاديمر اباهم واعلن نفسه ملكا اعظم المروسية وقتل بوريس ابن ولاديمر بساحل نهر آلوته حين عودته من محاربة بجاناك كما مر وقتل اخا بوريس غليب حاكم مورم بقرب اسمولينسكى حين مجيئه الى كيف لتعزية ابيه وقتل اسوتصلاو حاكم دربولان بقرب جبال قارپات حين فراره منه وكذلك فعل بسائر اولاد ولاديمر واستقل بالحكم ولما سمع يارصلاو بذلك قصده باربعين الفا من عسكر الروس والف من عسكر واراك وبعد (١) اللتيا و التى اضطره الى الفرار ففر الى بوهميه فمات فيها غريبا يارصلاو من سنة ١٠١٩ الى سنة ١٠٥٤ ولما طرد يارصلاو اسواتو پولك اخيرا استقل بالملك ودفع المنازعين مثل كيناز پولوتسكى ووقع بينه وبين اخيه مستيسلاو حاكم تامانا رافان يعنى اوزاق وقايع شتى كانت الغلبة فيها لمستيسلاو ثم اتفقا على ان يكون شرقى دينبير لمستيسلاو وغربيه ليارصلاو ولما توفى مستيسلاو فى سنة ١٠٣٦ استقل يارصلاو بالملك ولم يبق من الكيناز المستقل سوى براچيسلاو كيناز پولوتسكى وهو ايضا كان تحت طاعته وان كان له نوع استقلال وكان يارصلاو حسن السيرة محبا للعلم واهله عاقلا مدبرا وقد ترجمت كتب كثيرة من اليونانية الى الروسية بامره وبنى مكاتب وبث الامن والامان وعمر الممالك ووضع القوانين وسماها روسسكى پراوا يعنى قوانين الروس والمشهور ان له قوانين الكنيسة ايضا ولكن كارامزين يكذبه ويقول انها انما اخترعت فى العصر الرابع عشر وقد مر غلبته على بجاناك وبناء كنيسة من حجر فى موضع غلبته عليهم وتسميته اياها بصوفيا تشبيها لها بايا صوفيا وتوسيعه بلدة كيف وبناء السور فى حواليها

(١) وقد مر طرف من هذه الوقعة عند بيان احوال بجاناك فى المقدمة فراجع هناك ان شئت . منه عفى عنه .

من الحجر والحاصل ان بارصلاو كان من مشاهير ملوك الروس واعاظمهم
وكان وفاته فى سنة ١٠٥٤ م مصادفة سنة ٤٤٦ هـ ٩ ايزاصلاو الاول من
سنة ١٠٥٤ الى سنة ١٠٧٨ م تقلبات كثيرة فيما بينهما وكان بارصلاو قسم ممالك
الروس بين اولاده الخمسة وجعل حاكم كيف حاكما اعظم حسب اصول ابيه
ولاديمر وهو ولده ايزاصلاو وبقى الاتفاق بينهم مدة عشر سنين ثم وقع
بينهم الاختلاف والنزاع فى الملك فلم ينقطع المنازعة بينهم بل زادت بمرور
الزمان وقدمر عند بيان قفچق ان ابتداء ظهورهم فى الروسية كان فى
عصره والحاصل ان الروسية املاءت بالفتنة من اولها الى آخرها وقد خلع
ايزسلاو من تحت الحكومة وطرد من طرف المخالفين مرارا وقتل اخيرا من
طرف واحد من عسكر الكيناز اوليغ بن اسواتصلاو ابن يارصلاو حين
محاربته اباه وكان ذلك فى سنة ١٠٧٨ م مصادفة سنة ٤٧١ هـ اوالتى
قبلها ومن جملة من صعد الى كرسى الحكومة فى مدة كينازية ايزاصلاو وصيصلاو
بن ايزاسلاو ابن ولاديمر يعنى ابن عم ايزاصلاو المار ذكره الآن واسواتصلاو
الثانى اخو ايزاصلاو بن يارصلاو ١٠ وصيوولود الاول بن يارصلاو ومن
سنة ١٠٧٨ الى سنة ١٠٩٣ وقد مرت مدة سلطنته بالاختلال الداخلى
ومحاربات قفچق وقد مر استيلاء بلغار قزان على مورم فى عصره وليس له
شىء يذكر فى التواريخ ١١ اسواتو پولك الثانى بن ايزاسلاو المار ذكره من
سنة ١٠٩٣ الى سنة ١١١٣ عينه عمه وصيوولود ولى عهد لنفسه
وقد مرت مدت سلطنته بمحاربة قفچق والاختلال الداخلى وكان سيئ
السيرة ١٢ ولاديمر الثانى المشهور بما نوماخ ابن وصيوولود المار ذكره
من سنة ١١١٣ الى سنة ١١٢٥ ولما مات اسواتو پولك جلس فى كرسى
حكومة الروس باتفاق الاهالى واعاد رونق السلطنة الزائل كالاول وحارب
قوم قفچق وغيره كما مر عند بيانهم وارسل اليه قيصر الروم الكسى قومنن
بيد المطران تاجا والبسة مخصوصة بالقياصرة وسماه سار الروسية يعنى ملكهم
فلبسه ولاديمر فى كنيسة صرفيا بكيف قال كارامزين وهذه الاشياء محفوظة

فى نصر موسكوا يلبسها ملوك الروسية حين تتوجهم، والحاصل ان ولاديمر
مانوماخ من مشاهير ملوك الروس وممن يذكر اسمه بينهم بالتقديس وقد
مر بيان بعض وصاياه لاولاده فى بيان قوم قفچق وكان وفاته فى سنة ١١٢٥ م
١٣
مصادفة سنة ٥١٩ ه مسيتسلاو الاول ابن ولاديمر مانوماخ من
١٤
سنة ١١٢٥ الى سنة ١١٣٢ ياروپولك الثانى ابن ولاديمر من سنة ١١٣٢ الى
١٥
سنة ١١٣٩ وصيوولود الثانى ابن اوليغ بن استوانصلاو بن يارصلاو المار ذكره
من سنة ١١٣٩ الى سنة ١١٤٦ ولما مات ياروپولك الثانى ملك بعده
اخوه ويچيصلاو بن ولاديمر باتفاق الاهالى ولكن لما جاء وصيوولود
المذكور الى كيف بعساكره سلم ويچيصلاو الكينازية باختياره اليه فدخل
بلدة كيف فى ٥ مارت وجلس كرسى الحكومة ومات فى سنة ١١٤٦
١٦
ايغور الثانى ابن اوليغ ولما تيقن وصيوولود بالموت عين مكانه اخاه ايغور
فجلس على تخت الحكومة بعد دفن اخيه وصيوولود ولكن لم يرض به الرعايا
بل دعوا ايزصلاو الثانى ابن مسيتسلاو المار ذكره فجاء الى كيف بعسكره
١٧
وحارب ايغور وانتصر عليه واخذه وحبسه ايزاسلاو الثانى ابن مسيتسلاو
ابن ولاديمر مانوماخ من سنة ١٠٤٦ الى سنة ١٠٥٤ ولما حبس ايزاصلاو
ايغور بن اوليغ جلس على مسند الحكومة وخرج عليه عمه غيورغى المشهور
بدولغاروكى يعنى طويل اليد ابن ولاديمر حاكم سوزدل وخلعه مرتين
وجلس مكانه باعانة قوم قفچق وفى تلك الاثناء بنى غيورغى المذكور بلدة
موسكوا وكذلك خرج عليه الكيناز ولاديمركو حاكم غاليتسيه وغلبه توفى
١٨
ايزاسلاو فى سنة ١٠٥٤ روصيتسلاو بن مسيتسلاو ولما توفى ايزاسلاو
دعا اهالى كيف اخاه روصيتسلاو وملكوه على انفسهم فخرج عليه غيورغى
١٩
دولغاروكى المذكور وخلعه وكان مدة تملكه مدة ١ سنة غيورغى
دولغاروكى ابن ولاديمر لما خلع غيورغى روصيتسلاو وجلس على مسند
الحكومة جاء الى بلدة كانيف مرتين لمعاهدة قفچق وكان له بعض غزوات

وبنى بعض البلاد ولكنه لم يدم مدته بل مات فى سنة ١١٥٧ ولما مات نهب
اهل كيف جميع ما فى قصره ايزاسلاو[٢٥] الثالث ابن داويد جلس فى التخت
نحوا من سنتين ثم قام عليه سائر حكام الروس وحاربوه وانتصروا عليه
وخلعوه وملكوا روصيتسلاو المار ذكره ثانيا فذهب ايزاسلاو الى مقره الاول
ثم قام ثانيا بطلب الملك وجمع العساكر وحارب روصيتسلاو وحاصره فى بيلى
غورد وفى تلك الاثناء قتله واحد من عسكر روصيتسلاو فحكم روصيتسلاو
بعد ذلك مدة ومات فى سنة ١١٦٧ م مصادفة سنة ٥٦٢ هـ ولكن لم تكن
الروسية فى ذلك تحت حكم حاكم واحد بل كانت منقسمة على اقسام شتى يحكم فى
كل قسم منها حاكم مستقل لا يتبع غيره بوجه من الوجوه ولو اسما اشهرها تسعة
كيف[١] موسقوا[٢] پولوتسكى[٣] غاليتسيا[٤] والينسكى[٥] چيرنيغوف[٦] اصمولينسكى[٧]
سوزدالسكى[٨] نووغورد[٩] وپسكوفسكى مسيتسلاو[٢١] الثانى الوالينى
من سنة ١١٦٧ الى سنة ١١٦٩ جلس على تخت كيف بطلب الاهالى اياه
من والينسكى وكان آندرى بوغولوبسكى كيناز سوزدل ابن غيورغى طويل
اليد يريد ان يحول كرسى الحكومة الى مقاطعة سوزدل ومع ذلك كان عدوا
لمسيتسلاو الوالينى المذكور فاتفق مع سائر الحكام وارسل ولده مسيتسلاو
معهم لمحاربته فهرب مسيتسلاو الوالينى تاركا اهله وعياله فى كيف فدخل
المتفقون فى كيف ونهبوا بيوت كافة الاهالى الى ثلاثة ايام ولم يتركوا فيها شيئا
ولم يكتفوا بذلك بل نهبوا كافة الاديرة والكنائس ديساتينوى وصوفيا وغيرهما
واخذوا جميع ما فيها من الاموال والاصنام والكتب حتى الاجراس ولم يتركوا
فيها شيئا قال كارامزين ان كيف التى هى ام بلاد الروسية لم تر الى الآن مثل
هذه الرزية من الاجانب فضلا من الروسية وهؤلاء من كمال الشقاوة نسوا كونهم
من الروس ام غليب[٢٢] بن غيورغى فنصب مسيتسلاو بن آندرى عمه غليب بن
غيورغى حاكما بكيف وعاد هو نفسه الى سوزدل سريعا مبشرا اباه اندرى بهذا
الفتح العظيم فحول آندرى كرسى الحكومة بعد ذلك من كيف الى ولاديمر ونفذ حكمه
الى كثير من ممالك الروسية وعمر البلاد وبنى المدن منها بلدة وانكاروبوغولوف

التي نسب اليها وغزا بلغار قزان مرتين مرة بين سنة ١١٥٩ وسنة ١١٦٦ ومرة في حدود سنة ١١٧١ كما مر في بيان احوال بلغار وهو ممدوح السيرة في تواريخ الروس ، قال كارامزين انه ادخل كثيرا من البلغار واليهود في النصرانية وكان موته قتلا في سنة ١١٧٤ في بلدة بوغولف مع جميع اهل وعيال من طرف الكيناز الاعظم وصودر جميع امواله واشيائه **واما مسيتسلاو** الواليني فانه جمع العساكر واتفق مع بعض حكام الروس وقصد كيف ثانيا ودخلها الا ان نائب الحاكم بها تحصن في قلعتها فلم يقدر ان يأخذها وفي تلك الاثناء شرع اتراك بيرندي الذين كانوا معه يذهبون الى طرف خصمه ويتركونه واشيع ان غليب اصل حاكم كيف الذي كان خارجها استمال القفجق اليه وقصده فهرب من كيف ومات في تلك الاثناء وكان ذلك في حدود سنة ١١٧٠ ومات غليب بن غيورغي ايضا في تلك الاثناء [٢٣] **ولاديمر الثالث** ولما مات مسيتسلاو وغليب جلس على تخت كيف ولاديمر الثالث كيناز دروغوبور من غير امر آندري ومات بعد ثلاثة اشهر في سنة ١١٧١ [٢٤] **رومان الاول** وبعد وفات ولاديمر نصب آندري رومان ابن بار وپولك كيناز اصموليسنكي كينازا بكيف ولم تطل مدته [٢٥] **اسواتصلاو الثاني** وحيث ان هذا الموضع غير مضبوط وغير منتظمة بحيث يتعسر تعدادهم مرتبا ومنتظما بل يتعذر بسبب كثرة التقلبات والتغيرات ولا فائدة معتد بها في تفصيل احوالهم لفقدان امر عظيم وغريب سوى محارباتهم فيما بينهم اضطررت الى ترك التفصيل فيما بعد واكتفيت ببيان اساميهم اجمالا [٢٦] **وصيوولود الثالث** في حدود سنة ١١٧٧ [٢٧] **روريك الثاني** في حدود سنة ١١٩٠ [٢٨] **رومان الثاني** غالينسكي في حدود سنة ١١٩٣ [٢٩] **مسيتسلاو(١)** الثالث في حدود سنة ١٢١٢ [٣٠] **ولاديمر الرابع** في حدود سنة ١٢٣٠

(١) وكان ورود التتار المغربة الى الروسيه اول مرة مارين من دربند شروان في سنة ووقوع محاربة شديدة بينهم وبين الروسية في ساحل نهر قالقا بقرب ماريوپول وهزمهم الروسية وطردهم الى دينيپر في عصر مسيتسلاو بن رومان هذا . منه عفي عنه

[٣١] ميخايل الاول في حدود سنة ١٢٢٩ بن وصيوولود وكان كينازكيف
حين هجم عليها باتوخان [٣٢] غيورغي بن وصيولود في حدود سنة ١٢١٣
الى سنة ١٢٣٨ وكان كينازا اعظم في ولاديمر وقت هجوم باتو عليها وفقد
تحت سنابك خيول التتار [٣٣] يارصلاو الثاني بن وصيولود في حدود سنة ١٢٤٦
وهو الذي نصبه باتوخان كينازا اعظم على جميع الروسية وسافر الى
قراقورم ليبايع الخاقان الاعظم ومات في الطريق وقت رجوعه [٣٤] اسوياتسلاو
الثالث ابن وصيوولود في حدود سنة ١٢٤٧ [٣٥] آندري الثاني بن يارصلاو
الثاني في حدود سنة ١٢٤٩ [٣٦] الكساندر الاول النيفي في حدود سنة ١٢٤٩
الى سنة ١٢٦٣ وهو تردد في اول امره في اطاعة التتار حتى كتبه باتوخان
يهدده فسار الى اوردو الذهب وبايعه ثم ورد اليها مرارا لانه تفكر في
الخروج عن طاعتهم بعد الدخول كما زعم [٣٧] يارصلاو الثالث ابن يارصلاو
الثاني من سنة ١٢٦٣ الى سنة ١٢٧٢ [٣٨] واسيلي الاول ابن يارصلاو الثاني
من سنة ١٢٧٢ الى سنة ١٢٧٦ [٣٩] ديمتري الاول ابن الكساندر من
سنة ١٢٧٦ الى سنة ١٢٩٤ [٤٠] اندري الثالث ابن الكساندر من
سنة ١٢٩٤ الى سنة ١٣٠٤ [٤١] ميخايل الثاني التويري بن يارصلاو من
سنة ١٣٠٤ الى سنة ١٣١٩ وهو الذي قتله اوزبك خان في اوردو بسبب
سعاية غيورغي الآتي ذكره كما مر في محله [٤٢] غيورغي بن دانيل سنة
واحدة [٤٣] ديميتري الثاني بن ميخايل مقدار ٥ سنة تقدم ان اوزبك خان
قتل ميخايل بسبب سعاية غيورغي ونصبه كينازا اعظم مكانه ثم ان ديميتري بن
ميخايل المقتول وشى به الى اوزبك خان فعزله ونصب ديميتري مكانه ثم
ان غيورغي ذهب الى اوردو للشكاية من ديميتري فذهب ديميتري
ايضا الى اوردو من ورائه فقتله في اوردو على مرئى من اوزبك خان

واركان دولته فقتل اوزبك خان ديميترى المذكور فصاحبه كمامر ٤٣ الكساندر
التويرى الثانى ابن ميخايل واخو ديميترى المقتولين نصب اوزبك خان كينازا
اعظم بعد قتل اخيه ديميترى مدة سنتين ثم وقع وقعة شفقال خان المار ذكره فى محل
٤٤ **ايوان الاول** الشهير بقاليته ابن دانيل من سنة **١٣٢٨** الى سنة **١٣٤٠**
وهو الذى ارسله اوزبك خان لتأديب الكيناز الكساندر السابق ذكره حين
قتل شفقال خان ونصبه كينازا اعظم مكان الكساندر فمن هذا الوقت شرعت
كينازية موسكوا فى التقوى وضم سائر الكينازية اليها ٤٥ **سيمون غوردى**
ابن ايوان من سنة **١٣٤٠** الى سنة **١٣٥٣** وفى اوائل كينازيته توفى اوزبك
خان وجلس جانبك خان مكانه فجاء المذكور مع مطران موسكوا الى
اوردو للبيعة ٤٦ **ايوان الثانى** ابن ايوان الاول من سنة **١٣٥٣** الى سنة **١٣٥٩**
٤٧ **ديميترى الثالث** ابن قسطانتين من سنة **١٣٥٩** الى سنة **١٣٦٢**
وفى عصره شرع الاختلال الاول بين خوانين
التتار فى الظهور ٤٨ **ديمترى الرابع** ابن ايوان الثانى المشهور بدونسكى
من سنة **١٣٦٢** الى سنة **١٣٨٩** وهو اول من اظهر المخالفة لخوانين
التتار وحارب ماماى بمناسبة وقوع الاختلال بين خوانين التتار كمامر ولكن
الذى هيأ له الاسباب جده ايوان قاليته وسيمون غوردى ولذلك يذكر
اسمه فى تواريخ الروس بالتعظيم والتقديس فانه وان لم ينقذ الروسية من
اسر التتار الا انه فتح لاخلافه باب المخالفة والعصيان وهيأ لهم اسباب
المدافعة اكثر من اسلافه ٤٩ **واسيلى الثالث** ابن ديمترى دونسكى من
سنة **١٣٨٩** الى سنة **١٣٢٥** وقد نسج اقمشة السياسة على منوال اسلافه
وقدم قدومه الى سراى لبيعة تونتامش خان ودخوله الى بلغار حربا وتلقيبه
نفسه بفاتح بلغار وقد ساعده طول مدة حكومته ودوام الاختلال فى سراى بين
خوانين التتار ٥٠ **واسيلى الثالث** ابن واسيلى الثانى المشهور بتيمنى بمعنى
مكفوف البصر من سنة **١٤٢٥** الى سنة **١٤٦٢** وقد مضى اكثر مدة

حكومته بمنازعة عمه يورى (غيورغى) واخيه شماكو حتى ان اخاه المذكور سمل عينيه ولذلك لقب بالمكفوف وقدمر قدومه الى سراى للمحاكمة مع عمه يورى عند الوغ محمدخان وطرده الوغ محمدخان المذكور من بلاده عند التجائه اليه بعد خروجه من سراى ووقوعه اسيرا بيده بعد ان استقر الوغ محمدخان فى قزان ايوان الثالث الشهير بايوان الكبير ابن واسيلى الثالث من سنة ١٤٦٢ الى سنة ١٥٠٥ وهو الذى خلص الروسية من رقية التتار بعقد الاتفاق مع مكلى كراى خان القريمى وقدمر بيان ماجرياته مع السيد احمد خان على نهر اوغر وفى عصره وسعيه واعانته حرب مكلى كراى خان مدينة سراى فانقرض خوانين سراى واستقلت الروسية وتزوج ايوان هذا بصوفية ابنة آخر قياصرة الروم واقب بسار يعنى الملك وكانوا يلقبون قبل ذلك بكيناز معناه بك وامير واسيلى الرابع ابن ايوان الثالث من سنة ١٥٠٥ الى سنة ١٥٣٣ وان لم يكن مثل ابيه الا ان انقراض دولة سراى وضعف دولة قزان اعاناه ايوان الرابع الملقب بمدهش ابن واسيلى المار ذكره من سنة ١٥٣٣ الى سنة ١٥٨٤ وهو الذى استولى على مملكة قزان وعلى يده انقرض خوانينها وانتهى عمرها الى آخرها وقدمر تفصيل وقايعها وبعد ذلك نذكر بقية ملوك الروس على الترتيب مع بيان ماجريات احوال اهالى بلاد قزان فاقول تنقسم المدة التى مضت من استيلاء الروس على قزان الى عصرنا هذا بحسب معاملة حكومة الروس مع المسلمين الى ثلاثة ادوار بل الى اربعة الدور الاول دور الفتن والمحن العلانية والاكراه والاضطهاد على ترك عوائد الدين الاسلامى ومايناسبها وهى مدة مائتى سنة ٢٠٠ مع طرح الكسور اعنى من استيلاء قزان الى عصر يكاترينا الثانية والدور الثانى دور الراحة والتنفس وذلك مدة مائة ١٠٠ سنة كاملة اعنى من عصر يكاترينا الثانية الى تولية الكساندر الثانى والدور الثالث دور الفتن والدسائس الخفية والمشقة والتعب والشرور وذلك مدة نصف قرن اعنى من سنة ١٨٦٦ الى ايامنا هذا والدور الرابع هو ايامنا هذا وهو بعد مجهول اما الدور الاول فانه لما دخلت مملكة قزان فى حوزة ايوان لم يقم فيها الا ريثما يدبر امرها

فنصب فيها واليا من طرفه ونائباعنه الكبناز الكساندر الفور بالطى شوبسكى وعين الكيناز واسيلى سبر برنا كى معينالهوابقى الفا وخمسمائة من اولادبويار . ثلاثة الآف من العساكر للمحافظة ثم سافر من قزان قاصدا موسقوا فى ١١ التشرين الاول ووصل الى نيزنى نووغورد فى ١٤ منه فاستقبله هناك الاهالى على اختلاف طبقاتهم من مسافة بعيدة وهناٴوه بهذا الفتح العظيم وشكروه على ماابداه من الهمة وقالوا انقذتنا من عذاب الجحيم الابدى والعقاب السرمدى فانهم هم الذين كانوا اول المعرضين لهجوم اهل قزان لسكونهم فى الحدود ولما وصل الى موسقوا استقبله كافة اهلها بطنطنة لاتوصف وشكروه ومدحوه ودعواله بطول العمر فقال انى وان استوليت على قزان وازلت عنها دولة التتار واسرت خانهم ووضعت عليهم الخراج وابدتهم وافنيتهم وتركتهم بحيث لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة الاانى ماوفقت لتمكين النصرانية وترسيخها فيها بعد والحاصل ان الروسية لما فرغوا من امر قزان وفتحوا لانفسهم باب الفتوحات نحو الشرق والجنوب والشمال بالاستيلاء على قزان وجهوا وجهة افكارهم نحو فتوح تلك الجهات وبث النصرانية فيها وحصروا همتهم فيها وصاروا يتشبثون فى ذلك باذيال انواع الحيل من التلطيف ببذل الاموال والعفو عن الجرايم والتحرير عن التكاليف الميرية واعطاء المناصب والاكراه على ذلك بانواع العذاب والاضطهاد حيث لم يبق وراءهم دولة اسلامية يستمد المسلمون بها ويخاف الروسية بطشها وباٴسها ولذلك تمكنت من اجراء جميع مايريدها فيهم مثل اسپانيا فى شاٴن اهل اندلس بل الروسية اقتدت(١) بهم فى ذلك وكان ابتلاء المملكتين اعنى مملكتى قزان واندلس بتلك المصيبة العظمى فى عصر واحد فشكلت الروسية لتلك الغرض الفاسد فى بلدة قزان وقصبة ضيا التى بناها ايوان فى مصب نهر ضيامن وولغا قبل استيلائه على قزان كما مر فى محل دائرة جمعية مخصوصة

---

(١) ولكن اقتداؤها بها لم يكن على وجه البصيرة فانها لو نظرت الى نتيجة مافعلته اسپانيا بالمسلمين وغاية ماعاملتهم به فى قطعة اندلس وفى جزاير فيليپين من كونه سببا للخراب والتنزل والانحطاط وخروج فيليپين من يدها اخيرا بقيام الاهالى على وجهها لما اقتدت الروسيه بها بل اجتنبت عما فعلته غاية الاجتناب . منه عفى عنه .

من رؤساء الروحانيين تسمى عندهم جمعية ميسيونير بمعنى المرسلين (١) والمبشرين والمهديين عندهم وهم فى الحقيقة ضالون بانفسهم مضلون لغيرهم نواب الشياطين فانه مذ حدثت هذه الجمعية عند طوائف النصارى استراح ابليس وسائر الشياطين من التعب فى سبيل الاضلال حيث فوضوا وظيفة الاضلال اليهم لكونهم امهر واحذق منهم فيها وان لهم مكاتب ومدارس وتعاليم وخزائن مخصوصة بهاوليس بيد ابليس واعوانه شئ من ذلك وكان الشاعر نظم هذين البيتين من لسانهم شعر:

وكنت فتى من جند ابليس فارتقت * بى الحال حتى صار ابليس من جندى
فان مات قبلى كنت مهدت بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

وفضلا عن ذلك فان الحكومة تعينهم وتقوى امرهم وتؤيد اسباب تشبثاتهم بل هم الحكام الآمرون فى الحقيقة وسائر رجال الحكومة من ملكهم الى اصغر البوليس والضبطية مامور والاجراء لما يرسمونه بدسائسهم فى هذا الباب وليست هى خاصة بالروسية بل هى موجودة فى كل طوائف النصارى وهذه المحاربات اعنى محاربة الغربيين بالشرقيين كلها من نتائج تلك الجمعية الابليسية لاسيما حرب انكليز وفرانسا دولة الصين فى سنة ١٨٦٠ م وحرب كافة دول آوروپا دولة الصين فى سنة ١٣١٨ هـ فانهم اعنى دول النصارى يتعصبون لها تعصبا لايمكن وصفه وهم يرمون به الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا مع انه لم يصدر عنهم فى هذا الباب شئ على سبيل المدافعة فضلا عن صدوره على سبيل المهاجمة الا ان تعصب الروس اكثر واشد من الكل ولهم اعنى لدول النصارى فى هذه الجمعية غايتان دينية وسياسية اما الاولى فظاهرة فان كل ملة تحب نشر دينها وتسعى من ورائه لاسيما اذا كانت ملة لايمكن انتشار دينها الا بهذه الكيفية كهؤلاء فان البضاعة الخسيسة لاتباع الا بواسطة السماسرة المهرة واما الثانية فانهم يتداخلون بواسطة هؤلاء الشياطين على شؤن دولة ضعيفة من دول الشرق فيمضغونها ويبتلعونها بالكلية ان تسعها افواههم والا فيبتلعون منها بقدر ما

(١) ولكننى اتحاشى ان اطلق عليهم هذه الالفاظ بل اذكرهم بلقب ميسيونير وان كان بمعناها منه عفى عنه .

تسمه افواههم وهكذا الى ان تفنى وتبيد وللروس خصوصا فيهامآرب اخرى موهومة الفائدة ومتحققة المضرة ابرزتها هؤلاء الملاعبن لعيون رجال الحكومة فى صورة الفائدة الجسيمة وحسنوها لهم بدسائسهم الشيطانية وتمويهاتهم الباطلة وغروهـم بها وهى ان نموفوة دولة ودوام بقائها انما يكون باتحاد (١) ملة رعاياها ودينهم لاسيمادولة تشكلت من اجناس شتى وامم مختلفة ولهذا يلزمنا ان نبذل غاية جهدنا وصرف نهاية مساعينا فى هذا السبيل وان نعده كل منا من اهم الوظائف المقدسة الواجبة فى ذمته وزد على ذلك ضغائنهم وعداوتهم القديمة لاهل قزان وقدمر بيان اظهارهم الاسف من امتداد بعض اسارى الروس فى قزان فهل يشك احد فى انهم يشمرون عن ساق الجد لاخذ الثار والانتقام منهم ويقلبون عليه بقلوب ملئت حقدا واهب حشيت غيظا فماظنك بمن وقع فى هذا التيار هل يبقى سالما كلا الا من ادركته العناية الالهية وليعلم ان مملكة قزان لم تكن مسكونة بالمسلمين فقط وقت استيلاء الروسية عليها بل كان فيها طوائف اخرى وثنية احديها چواش وهم الذين تقدم منا ترجيح كونهم من قوم بلغار فى اوائل المقصد الاول ومساكنهم فى الجنوب الغربى من ولاية قزان متاخمة لبلاد الروسية وثانيها چرمش وقد تقدم فى المقدمة انهم بقايا امةسرماطة الذين كانت لهم شوكة قوية وصولة عظيمة فى وقت ما ومساكنهم فى الشمال الغربى من ولاية قزان وفى ولاية نيژنى نووغورد

---

(١) ولاحاجة فى اثبات بطلان هذا الفكر السقيم والتدبير العقيم والتشبث الوخيم الى اقامة البرهان فان قلب تلك الامم المتكاثرة الى الملة الروسية فى اعلى طبقات الاستحالة بل توهم حصوله من التوهم المستحيل مع تحقق سفك دماء غير متناهية واتلاف ملايين من النفوس من الطرفين فضلا عن الاضرار بالزراعة والتجارة والصناعة التى هى منبع ثروة الحكومة وفى ذلك مالايخفى من خراب الديار وربما يستشهد هؤلاء المخاذيل الملاعين خونة الدولة والملة فى اثبات مدعاهم بمثل الماقيدونيين والرومانيين من الدول المنقرضة واستشهادهم هذا باطل كالمستشهد له وانما كان سبب انقراضهم هو ظلمهم وسوء ادارتهم فلو عدلوا وبثوا الامن والامان لدامت دولتهم والحاصل لاشيء اعون لنمو قوة دولة وازدياد شوكتها ودوام بقائها مثل العدالة واطلاق الحرية ومنح المساواة بين افراد الرعايا مع حسن الادارة والتيقظ لمعاملة الولاة وحكام النواحى مع الرعايا والاهالى منه عفى عنه.

وولاية وانكا وقليل منهم فى ولاية پيرمى وثالثها آر ومساكنهم فى شمالى قزان وفى ولاية وانكا وپيرم وقدتقدم فى اوائل المقصد الثالث ان دولة قزان قد تشكلت من التتار الواردين من طرف سراى وحاجى طرخان ومن قوم بلغار المسلمين ومن هؤلاء الطوائف الثلاث وكان هؤلاء يدخلون فى الاسلام شيئاً فشيئاً باختيارهم من غير ان يدلهم عليه احد من المسلمين فضلا عن الاجبار بل بمجرد الوقوف على الحقائق الاسلامية ومحاسنها التى هى عبارة عـن الصدق والعفاف والطهارة والامانة والمساواة والاخوة الى غير ذلك من الخصال الحميدة الاسلاميه وكان المسلمون فى تلك الاقطار فى العصر المذكور متصفين بكمال الديانة ومتمسكين باحكام الشريعة ومتادبين بادابها كما انهم الآن كذلك وان لم يبلغوا الحد الذى كانوا عليه فى العصر المذكور فلذلك كانت الاقوام الثلاثة يحبون المسلمين ويدخلون فى الاسلام افواجا خصوصا قوم چواش منهم والذين لم يدخلوا فى الاسلام منهم كانوا قد أخذوا بعض عادات المسلمين والآداب الاسلامية كتستر النساء مهما امكن والصدق والامانة وتعظيم يوم الجمعة ولاجل ترسخ هذه العادات فى قلوبهم ترسخا قويا بقيت بعضها الى الآن فيمن لم يتنصر منهم حقيقة وكان اهل بعض القرى يسلمون باسرهم وبعض القرى كان يسلم نصف اهلها وبعضها ربعهم واكثر واقل وبينما الامر كذلك اذ فاجئت فاجعة انقراض الدولة الاسلامية من قزان باستيلاء الروس عليها وتشكلت تلك الجمعية فى قصبة ضبا التى هى فى وسط مسـاكن چواش وشرعت اعضاؤها فى جلب قلوبهم وترغيبهم وتحريضهم على التنصر وعلى ترك العوائد الاسلامية على الاقل بتحريرهم من التكاليف الميرية واعفائهم عن المؤاخذة والمعاقبة على الجرائم وبذل الاموال على فقرائهم والحال ان كثيرا منهم لم يترسخ الاسلام فى قلوبهم لعدم وقوفهم على حقايقه كماينبغى لكونهم قريبى العهد به منهم فطفق بعض منهم يقبل النصرانية ولو ظاهرا فوقعت العداوة والبغضاء بين من تنصر وبين من بقى على الاسلام بل بين من بقى منهم على الوثنيه وبين من بقى على الاسلام بتحريش اعضاء تلك الجمعية بين هذا وذاك وآل الامر الى المشاجرة والمقاتلة فصار المسلمون

يهاجرون من بين المتنصرين والوثنيين الى اماكن فيها القوة والغلبة للمسلمين بل الحكومة امرتهم بذلك حتى انه اذا تنصر ثلاثة بيوت او اربعة من قرية كبيرة امرت البواقى منهم بالتنصر او الهجرة الى محل آخر ولذلك خلت كثير من القرى من سكانها المسلمين وانقلبت قرى جواشية بعد ان كانت قرى مسلمة منها قرية (اج بابا) وقرية (كاوال) وقرية (اورمارى) و (خواجهسان) و (تيكش) و (شغالى) من اعمال قصبة سويل المتعلقة بولاية قزان وقد مر ذكرها فى المقصد الاول وكذلك قرية باى تيراك و جلشك وغيرهما من قرى جواش فى اعمال قصبة تنتش من ولاية قزان فان هذه القرى كانت سابقا قرى مسلمة ثم انقلبت قرى جواشية على ماهو الشائع الذائع بين اهالى تلك الجهات ويدل على ذلك وجود احجار مكتوبة بالاسلامية فى مقابر بعضها كما مر طرف منه فى اول المقصد الاول ويدل على كون بعضها ذلك اسمها مثل قرية خواجهسان فانه لا شبهة فى كونه محرفا من خواجه حسن وهى قرية جواشية الآن فى اهالى نورغوبنه و المشهور بين اهالى تلك الجهات ان مسجدها نقل الى قرية آيدار بقرب قرية اره باقرجيسى وقد اخبرنى ملا احمد صفا افندى الامام بها اعنى بقرية اره باقرجيسى انه رأى عين المسجد المذكور فى قرية آيدار فى اوائل مجيئه الى قرية اره باقرجيسى اماما ثم عمر ثانيا بعد ان ضعف ومثل قرية اج بابا وهى قرية جواشية الآن بقرب آق يكت وقد كانت سابقا قرية اسلامية مسماة بحاجى بابا وذلك ان شخصا مسمى بمحمد افندى كان مدرسا بها وبعد ان اشتغل بالتدريس سنين عديدة توجه الى الحجاز للحج وحين رجوعه من الحج اشتهر عند السلطان سليمان الاول القانونى بالعلم والفضل فنصبه مدرسا فى مدرسة من مدارس استانبول ونال منه عنوان الچلبية فقيل له الحاج چلبى محمد افندى وبعد ان درس فيها عدة سنين اشتاق الى مسقط رأسه فرجع فرأى ان اهل قريته غلب عليهم الجهل وانقلب اكثرهم الى الجواشية ولما رجع الى وطنه اشتهر بحاجى بابا ومنه سرى هذا الاسم الى القرية ثم حرف الى اج بابا وحين قرب اجله اوصى لاقاربه ان يدفنوه فى مقبرة اره باقرچسى ففعلوه حكى لى هذه الحكاية ملا محمد صفا افندى المار

ذكره نقلا عن ملاعبد النصير افندى الشردانى عن استاده ملادين محمد افندى البادرچى وقال كان له يعنى ملادين محمد مهارة تامة فى التواريخ السماعية وقال رأيت فى هامش كتاب الروضة لملاعبد النصير المذكور مكتوبا فى سنة ١٨٥٥ م ان وفاة ملا محمد افندى الچلبى المذكور كان فى سنة ٩٣٩ﻫ وقد زرت الفقير قبره فى سنة ١٣١٦ ﻫ ورأيت عليه حجرا كبيرا مكتوبا ولكنى لم اقدر على قراءة ما فيه فان صح ما قال كان وفاته قبل استيلاء الروس على قزان وقد عرفت ان هذه الجهة اعنى الجهة القبلية من قزان المشهورة لديهم بالجهة الجبليه استولى عليها الروس فى سنة ٩٥٨ ولكن كان انفاذ امرهم فيها بنشر الدسائس والقاء التفرقة والبغض والعداوة بين تلك الامم المختلفة كان قبل ذلك بسنين كثيرة خصوصا فى الاماكن المتاخمة ببلادهم والظاهر ان اهالى ولايات طنبو وپنزا وسراطسا ووجنوبى ولاية سنبر قد فرغ من امرهم بالاستيلاء عليهم بعد انقراض خوانين سراى بل بعد تقلص ظلهم من الجهة الغربية من نهر ولغا ولم يكن استيلاؤهم عليهم بالقوة والغلبة بل بالدسائس والخدعة بان جلبوا رؤساءهم الملقبين بالمرازى (١) الى انفسهم باعطائهم المناصب والاراضى والغابات والممالك ولعل ذلك لقرب مساكنهم من ممالك قريم من جهة ومن بلاد قزاق التى هى اصل بلاد تتار وخوانين سراى من جهة اخرى لكونهم مستقلين بحكم انفسهم فى ذلك الوقت ولذلك لا يوجد فى تلك الولايات مكره الا النادر وهم فى غربى ولاية سنبر وشماليه ومع ذلك لانقول انه لايوجد فيها اكراه فان عدم وجود المكرهين فيها الآن لايدل على عدم وجود الاكراه فيها بل جاز ان يهاجر اهاليها حين اكرهوا الى دواخل بلاد قزاق والى اراضى باشقرد فان اظن الغالب ان طائفة ميشر الموجودين فى اراضى باشقرد انما هاجروا اليها من تلك الولايات فى ذلك الوقت فان تلك الولايات لاشبهة فى كونها ملآنة بالمسلمين لكونها اعظم مجالات التتار حين ازدياد قوتهم ونمو شوكتهم وبلادا خاصة بهم لم يشاركهم فيها غيرهم والمسلمون فيها الآن لايبلغون عشرا من سواهم فان لم يهاجروا

(١) جمع ميرزا مخفف امير زاده بمعنى ولد الامير واولاد الامراء والاعيان واهل قزان وقريم وقزاق يضمون الميم من ميرزا ويسقطون الياء بعدها تحريفا منهم. منه عفى عنه.

هناك فى ذلك الوقت فاين ذهبوا وايضا حصل فيها اكراه المرازى المذكورين بالتهديد باخذ اراضيهم ومماليكهم ومناصبهم التى كانوا اعطوهم اياها قبل ذلك حين وجود قوة ونفوذ فيهم لجلب قلوبهم فاختار بعضهم الدنية على الآخرة فتنصر واعقابهم باقية الى الآن كعائلة ماخمبتف وآملوز وغيرهما وهم الآن فى غاية الفقر والذلة واختار بعضهم الباقى على الفانى فسلب عنهم املاكهم كعائلة ديبيرديف وآقچوربن وباشيف وغيرهم واعقابهم الآن فى غاية الغنى والثروة والعزة تنتقل اليهم املاك الطائفة الاولى شيئًا فشيئا وفى ذلك عبرة للمعتبرين هذا الذى بينا هو احوال الجهة القبلية اعنى الجهة الجنوبية الجبلية، واما اهالى الجهة الشمالية التى يقال لها فى اصطلاحهم قزان آرتى يعنى ماوراء قزان فما اصيبوا به اعظم واشد لكون مقاومتهم الروس اكثر فايسر ما اصيبوا به ان اعضاء تلك الجمعية كانوا يامرونهم بهدم منائر المساجد او بهدم المساجد نفسها متعللين بانها على وشك السقوط والانهدام وانها تضر بسقوطها وانهدامها الانسان فان هدموا كانوا يحكمون عليهم بالنصرانية قائلين ان هذا علامة الاعراض عن الاسلام وان لم يهدموا كانوا يهدمونها انفسهم او كان يهدمها بعض مامورى الحكومة فحينئذ ان سكتوا كانوا يحكمون عليهم بقبول النصرانية لكون سكوتهم اعراضا عن الاسلام ورضا بالنصرانية على زعمهم وان اعترضوا كانوا يقتلونهم او كانوا يعذبونهم عذابا شديدا مثل ان يامروهم بالجثو فوق حصى او حمص منشورة فوق الالواح الى ان يموتوا او يجروا كلمة الكفر على السنتهم وكثيرا ما كانوا يكلفونهم بالتنصر ويكرهونهم على ذلك صراحة فاما ان يقتلوا واما ان يجروا كلمة الكفر على السنتهم تقاة وان حضر بعض المسلمين مواضع اجراء عوائدهم النصرانية ومواسمها كانوا يحكمون بنصرانيته خصوصا اذا اصابه الماء الذى يرشونه اثناء عبادتهم ومن دخل نهرا اثناء هربهم حين طردوه كانوا يحكمون بنصرانيته الى غير ذلك من الطرق والاسباب التى يتعسر تعدادها كاعفاء من يتنصر من التكاليف الحربية وحملها على المسلمين ومن حكموا بنصرانيته بوجه من الوجوه المذكورة اوغيرها كان يستحيل عليه الرجوع الى الاسلام الا اذا هرب الى موضع لا يجرى فيه احكامهم لانهم كانوا يمنعونه من الاختلاط بالمسلمين

منعا باتا كليا ولذلك اذا حكموا بنصرانية اناس قليلين من اهالى قرية كبيرة كانوا يأمرون بواقى الاهالى بالتنصر او بالارتحال منها واذا كان فيها مسجد كانوا يهدمونه ثم لا يسمحون بالاذن ببناء المسجد فى قرب تلك القرية فضلا عن البناء فيها والحاصل انهم كانوا يجعلونهم تحت اشد المراقبة ويقطعون علائقهم بالمسلمين خوفا من رجوعهم الى الاسلام ومنعا اياهم منه ولعمرى ان الذى لا يعرف عادات الروس يحمل بيانى هذا على المبالغة والغلو مع انى عاجز عن بيان عشر معشار ما ارتكبوه فى هذا الباب مع ان كثيرا منها باق وجار الى الآن خصوصا فى جهة سيبريا وبلاد قلموق وجهات آلماتى وتومق التى هى مهد الاتراك ومنبعهم وقد ختموا فى هذه السنين عدة مساجد بختم الحكومة فى تومق وپشكند وغيرهما من بلاد تلك الجهة من غير سبب من الاسباب سوى المنع من عبادة الواحد القهار وبقيت كذلك ثلاث سنين ولم تفتح الا فى هذه سنة ١٣٢٤ التى انا اكتب فيها هذه الاحرف والفضل فى ذلك بعد فضل الله لليابونيا ثم لارباب الاختلال الداخلى ادامه الله فلو لا حرب اليابون وغلبته لكنا نسمع الآن فى طرف سيبريا اخبارا تنصدع منها القلوب وتنشق المرائر وتشيب الرؤس ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين صدق الله مولانا العظيم ونحن على ذلك من الشاهدين واما الحكم على من دخل النهر بالنصرانية فلا تستغرب به بعد ان عرفت ان نصرانية الروس انفسهم كانت بالدخول فى نهر دينيپر على مامر قريبا فان كنت فى ريب منه مع ذلك فانظر ما كتبه رفاعة بك فى ترجمه جغرافيا ملطبرون الفرانساوى حيث قال واكثر قبائل تلنغوتة (صوابه تولنكوت اوتنكوت التى اشتهر الآن بتنغوز) يعيش فى بلاد القلموق بل يسميهم الموسقو القلموق الابيض فمنهم من يضطر ويجبر على المعمودية والتنصر فيهمل بالكلية واجبات الملة اليونانية وشعارها . . . واذا نزلنا نهر تومسك وچوليم وجدنا امتين تتاريتين مسماتين باسم هذين النهرين وقد نصرهم المطران فيلوفية وذلك ان فرقة من عساكر الروسية ذهبت تحت رياسة هذا القسيس فطردت هذه القبائل الى نهر چوليم فحكم هذا القسيس بانهم بمقتضى الاحكام صاروا من اهل المعمودية ونظموا فى سلك

ابناء النصرانية والآن اماخلوا وانفسهم وتحرروا تدينوا بديانة على مقتضى عقولهم مختلطة من دين النصارى وعبدة الاوثان اه بحروفه وكذلك قال فى بعض قبائل تتاريه يسكنون فى شطوط نهر تارا وكذلك حال جميع سكرهين لايتدينون بدين النصرانية سوى شرذمة قليلة منهم واكثرهم متمسكون بالاسلام خفية وبعضهم غلبت عليهم الجاهلية ودام هذا الحال الذى وصفناه من غير ترتيب وانتظام مدة ازيد من قرنين اعنى من سنة ١٥٥٢ م الى سنة ١٧٦٢ م ووقع بسبب هذا الاجبار و الاضطهاد فى اطراف قزان اختلالات فشرع المسلمون يهاجرون الى اراضى باشقرد التى فى شرقى ولاية قزان ونير قاما فانهم اعنى الباشقرد كانوا فى ذلك الوقت مستقلين بحكم انفسهم بحكم فيهم الدكوات وبعض الملقبين بعنوان خان ولم يكونوا تحت حكم حاكم واحد بل كانوا متفرقين فقبلهم الباشقرد واعطوهم الاراضى فسميت هؤلاء المهاجرون باسم تبتر واماهاجر وطائفة ميشر فلم يتغير اسمهم بل داموا على الميشرية الى الآن وهم اعنى المهاجرين مطلقا ان لم يكونوا اكثر من الاهالى الاصلية اعنى الباشقرد فليسوا باقل منهم واول اختلال وقع كان ثانى سنة من استيلاء قزان بعد عدة اشهر منها فى نفس ذلك الشتاء حيث قامت چرامشة سواحل وولغا وقوم آر وقتلوا حاكم الروس الذى كانوا نصبوه عليهم وقتلوا ايضا بعض تجار الروس وقد اجتمع منهم خلق كثير بشاطىء نهر مينى وخندقوا على انفسهم وكان رئيسهم يسمى بوريس صالتيقف فساقت الروس عليهم مقدارا كافيا من العساكر المشاة والخيالة وبعد وقوع القتال من الطرفين تمكنت الروس من تفريق جمعيتهم وقد قتلوا منهم خمسمائة نفر واسروا رئيسهم المذكور وقتلوه باقبح قتل وفى تلك السنة ١٥٥٣ ظهر ايضا اختلال فى الشمال الشرقى من ولاية قزان فى ولاية واتكا وسواحل نهر قاما وامتد هذا الاختلال الى مابعده فساق ايوان لتسكين هذا الاختلال عساكر تحت رياسة سيمون ميكولينسكى وايوان شيرميتف وكيناز آندرى الكورباتى فجاء مولاء فى صميم الشتاء الى شواطىء نهر قاما وميشه التى كانت محل اجتماع ارباب

الاختلال وقد اقاموا هناك بعض القلاع والحصون فاقتتلوا هناك مدة شهر وهدموا تلك القلاع والحصون ثم انعطفوا منها الى ما وراء آشط حاملين اسلحتهم حتى وصلوا الى ما بين ولاية واتكا وبين اراضي باشقرد وكان ارباب الاختلال اختفوا فى غابة كثيفة حدا فبدىء القتال وقتل من ارباب الاختلال وهم السمون والچرامشة وآر مقدار عشرة آلاف من جملتهم الامير جان چورا بن اسماعيل والبطل آليكو الچرميشي الذين كانا اشد الناس على الروس واسر ستة آلاف من التتار وخمسة عشر الفا من النساء والاولاد ثم انثنى بعض قواد الروس نحو سواحل وولغا وقبضوا هناك على الف وستمائة نفر من جملتهم الامير مورز رئيس التتار فقتلوهم كلهم عن بكرة ابيهم وقتلوا كافة روساء التتار ومشاهيرهم قال كارامزين ولم ينطف بعد نيران الاختلال والفتنة فان فرارى اهل قزان كانوا مختفين فى المواضع القريبة والبعيدة وكانوا ينهبون تجار الروس وصيادي السمك ويقتلونهم وقد بنوا بعض القلاع والحصون وكانوا يريدون اعادة سلطنتهم وخانيتهم ويسعون فى ذلك حتى ان يوز باشي ماميچ بيردى الساحلي جلب واحدا من امراء نوغاى (لم يذكر اسمه) وملكه ثم قتله لعدم صلاحيته وقابليته وقطع رأسه وعلقه فى خشبة طويلة وقال له نحن ملكناك للمحاربة وتنظيم الامور وانت لم يكن همك مع مقربيك الا فى ازعاجنا وسلب راحتنا بل استيصالنا والآن يتسلطن رأسك فى تخت عال قال وامتدت الفتن فى اطراف قزان بعد الاستيلاء عليها الى خمسة سنين فما زالت الروسية تجتهد وتصرف مساعيها فى اطفاء نيرانها وتواصل فى ذلك الليل بالنهار حتى تمكنت من تشتيت جمعية ارباب الاختلال وقتلهم وطردهم وتخريب قلاعهم وحصونهم حتى قراهم فهدأت الاحوال بعد ذلك فى الجملة وعمرت قلعتنا چاباقسار ولايش وكانت حربتين واذ عن طائفة باشقرد ايضا بقبول الجزية وذلك فى حدود سنة ١٥٥٧ م اه، وقد مر فى المقصد الثالث ان استيلاء الروس على حاجى طرخان كان بعد سنتين من استيلائهم على قزان وقد مر ايضا هناك بيان سائر احوالها وكيفية استيلاء الروس عليها اجمالا فراجع هناك والحاصل ان بعد استيلائهم

على قزان لم يبق لهم مانع وعائق من التقدم الى جهة الشرق والشمال والجنوب الشرقي ولم يبق فيها من يمانعهم اذا اراد الاستيلاء عليها ولهذا شرعوا في التقدم اليها بخطا واسعة وفراغ بال بلا ممانع بل طفق بعض البكوات يعرض عليهم الطاعة مثل رئيس الجراكسة وخان سيبريا بادكار خان فانه ارسل الى ايوان اثنين من مقربيه في سنة ١٥٥٥ م يعرض عليه الطاعة ويرضى باداء الجزية فسر ايوان بذلك وارسل من طرفه سفيرا اليه لتأكيد العهد بالايمان وكذلك كتب اليه المرزا اسمعيل الذي ادخل الروسية الى حاجي طرخان يقول الله انى قتلت اخي المرزا يوسف (يعني والد سيون بكه المار ذكره مرارا) واولادي واقاربي واتباعي قد فوضوا الى زمام اختيارهم فلم يبق الآن احد من اعدائك وممانعيك فليطمئن خاطر الخ وكان ذلك على ما يفهم من تاريخ كارامزين في حدود سنة ١٥٥٧ م فبذلك انفتح له باب الجنوب والشمال الشرقيين حتى ان شاه طهماسب الصفوي الايراني دعاه الى الاتفاق معه في سنة ١٥٧٠ م على محاربة السلطان سليمان القانوني عليه الرحمة لكنه لم يتجاسر على ذلك وفي سنة ١٥٧٣ م مصادفة سنة ٩٨١ هـ قامت چرامشة سواحل ولغا واهالي الجهة الجبلية على الروسية قياما مدهشا بايعاز من دولت كراي خان القريمي على قول كارامزين فارسل اليهم ايوان عسكرا كثيرا حتى اسكنوا الفتنة ولم يظهر من دولت كراي خان اثر اعانة ولم يذكر كارامزين تفاصيل هذه الوقعة مع تهويلها في العنوان ولم يذكر ايضا حركة المسلمين مع ان ايعاز دولت كراي خان ان صح هذا الاسناد يقتضي ان يكون اولا وبالذات الى المسلمين دون الچرامشة ولعل مراده باهالي الجهة الجبلية هم المسلمون والله سبحانه اعلم **استيلاء الروس على سيبريا** وقبل الشروع في بيان ذلك لابد من ان نبين نبذة من اوائل احوال هذه الخانية على قدر ما وصل اليه علمنا مع نقصان المأخذ التي في ايدينا قال الفاضل المرجاني خوانين سيبريا من اولاد شيبان الذي هو الخامس من اولاد جوجي خان كان دار ملكهم قلعة سيبر وباسم آخر ايسكر على مسافة اثنتي عشرة ويرست من مدينة طوبل اولهم حاجي محمد خان ابن علي بن بيك قوندي اوغلان بن منكوتيمر بن باداقل بن جوجي بوقا بن شيبان

خان ابن جوجي خان ثم ابنه محمودك خان ثم ابنه ابراهيم خان المعروف بآپاق خان ثم ابنه توالق خواجه خان ثم ابنه شماي خان ثم ابنه اوراز خان ثم ابنه بهادر خان ثم ابن عم جده مرتضى خان ابن ابراهيم ثم ابنا كوچم خان وفي عصره استولى على مملكتهم يرمق بن تيماني في سنة ١٠٠٣ﻫ وحيث لم يكن فيه اقتدار على حفظها باعها من الروسية فذهب كوچم خان بعد ذالك الى بلاد باشقرد واقام فيما بينهم ومات فيها ثم ابنه على خان وفي سنة ١٠١٧ﻫ اجتمع قوم التتار الذين في تلك الاطراف وبايعوا ولده على خان ولكنهم لم يقدروا على استرداد دارملكهم ثم اخوه ايشم خان كان موجودا في سنة ١٠١٧ﻫ وهو آخر خوانين تلك المملكة اﻫ تعريبه حرفيا هكذا قال هنا في نسبهم وقد قال فيه عند بيان خوانين خان كرمان هكذا ارسلان على خان ابن على خان ابن كوچم خان ابن مرتضى خان ابن آپاق خان ابن محمود خان ابن حاجي محمد خان ابن قيورچق خان ابن روسخان كان والده على واجداه كوچم ومرتضى على وآپاق ومحمودك وحاجي محمد من خوانين سيبرية والبواقي معدودون من خوانين بلاد بلغار وآلتون اوردو الغور وسخان هذا على قول المرجاني ايضا من ذرية توقايتمير بن جوجي خان لا من اولاد شيبان والصواب الصحيح هو الاول اعني كون خوانين سيبر من نسل شيبان بن جوجي خان صرح بذلك كارامزين وابو الغازي خان الا انه لم يذكر كون اسم آپاق ابراهيم واسقط المرجاني بين جوجي بوقا وشيبان واحدا يسمى بهادر وهو ثاني اولاد شيبان كما ذكره ابو الغازي خان وذكره الفاضل المرجاني ايضا في موضع آخر وقد ذكر كارامزين مايخالفه فانه بعد ذكر سلطنة اوائل الاتراك مثل آتيلا وديزابول في تلك الناحية وما يناسبها ذكر ان اول من تسلطن فيها من التتار المسلمين من نسل شيبان ابواق خان وچينغيس خان وتاپبوغا خان وخواجه وحفيد مار وابو آدير (لعل قادير) وباپولاق خان وقال انه تزوج ببنت خان قزان وكانت لها قرابة باپاق خان وقتل آپاق(١) المار وقتل محمد بن آدير الاپاق وبنى محمد هذا

(١) يعني قتل آپاق الخان المسمى بمار كما تقدم وليس المار اسم فاعل صفة لاپاق بل اسم شخص مفعول لقتل منه عفي عنه.

على مسافة ستة عشر ويرست من مدينة طوبل قلعة سماها ايسكر او سيبر وقال ان تايبوغا او چينغيس بنى بساحل نهر تور قلعة سماها چيمغى واستملكوا نواحي نهر ايرتيش واوبى الكبير واسسوا هناك خانية سيبر وقال ان آغيش بن باپولاق و محمد بن قاضى وغيره من اولاده و يادكار خان الذى صار خراجيا للروس ويكبولاط كلهم من اخلاف محمد بن آدير وكذلك كوچم خان بن مرتضى خان من خوانين قرغيز ثم قال وفى المحررات الرسمية التى حررت فى سنة ١٥٩٧ م ان اول خوانين سيبريا ايواق خان جد كوچم خان ثم محمد خان ثم قاضى خان ثم يادكار خان من ذرية تايبوغا وقال ان فى محاربة ايرتش فى سنة ١٤٨٢ كانت عساكر موسكوا فى شاطئ نهر ايرتش وكانت التتار وقتئذ لا يتفكرون فى سيبريا حتى يظن انهم كانوا لا يعرفون القلعة التى كانت تحت تصرف الكيناز لانق (ولعله تولق الذى ذكره المرجانى) وهذا كما ترى ليس فيه الاسامى التى ذكرها المرجانى والحاصل ليس فى ايدينا فى هذا الباب مأخذ يشفى العليل ويروى الغليل ولا يظهر من بيان كارامزين ايضا كبير فائدة ولا تاريخ تأسس تلك الخانية ولا بيان احوال هؤلاء الخوانين الذى سرد اساميهم وقال رفاعة بك وفى سنة ١٢٤١ من الميلاد (مصادفة سنة ٦٤٠ ﻫ) اسس التتار على شطوط نهرى ايرتيش واوبى خانة تسمى خانة سيبر باسم قاعدتها وتسمى ايضا خانة تورا باسم نهر قريب منها وقال فى موضع آخر وقد كانت مدينة سيبر قاعدة التتار مدة اقامتهم فى اقليم سيبر وهذه المدينة واقعة على ست عشرة ورستة من تبواسك على نهر صغير يسمى سيبركا وقل ان يوجد الآن من مدينة سيبر بعض آثار مبنية اه بحروفه فعلى هذا يكون ابتداء خانية سيبر فى وقت واحد بابتداء خانية سراى وهو المطابق لما ذكره ابو الغازى خان من احوال شيبان من ان اخاه باتو اعطاه شرقى اورال ولكن استقلالها لا يكون الا وقت وقوع الاختلال والاختلاف بين خوانين التتار وحيث لم نجد مأخذا صحيحا نأخذ منه الحوادث فى هذا الباب لم نجد بدا من ان نطويها على غرها ولكنى ارى من آكد الواجبات ان اذكر هنا ان اقوام سيبريا كانوا مسلمين من منذ انتشرت انوار الاسلام فى تلك الاقطار ولاسيما

بعد أن غشيت قوم تتار سوى طائفة فالحق والشاهد العدل لذلك كون اسامي خواتين سيبر قبل كوچم خان اسامي اسلامية كما مر ذكرهم آنفا فما شاع بين العوام من ان كوچم خان ارسل الى عبدالله خان ببخارى يلتمس منه ارسال العلماء لنشر الدين الاسلام في تلك الاقطار فارسل اليه انفارا من سادات اوركانج لا اصل له اى داع هناك لارسالهم من اوركانج دون بخارى القلة العلماء والسادات ببخارى والشجرة التي يذكرونها كذبة محضة لا اصل له كيف تصدق شجرة رتبت بشهادة العمائم الخضر والذوائب الطوال ولعمرى ان هذه فرية بلا مرية ولنعم ما قال الشهاب الخفاجي في امثالهم غراب خرج من عش بلبل وعلوى صح نسبه من دلدل مع ان التاريخ الذى يذكرونه في ارسال كوچم خان السفراء الى بخارى لطلب العلماء كان الخان فيه ببخارى اسكندر خان والد عبدالله خان لاهو ولئن سلمنا على ارسال العلماء بناء على ان اسكندر خان كان خانا اسما فقط وكان الامر بيد ولده عبدالله خان لا نسلم ان طلب كوچم خان العلماء وارسال عبدالله خان اياهم كان لنشر الدين الاسلامي بل كان للتعليم ونشر العلوم فانهم لما كانوا مسلمين غير محتاجين لنشر الاسلام بينهم ولكنهم لما كانوا بعداء من سائر بلاد الاسلام ومراكزها وكانوا سكان البادية في ناحية من العالم كانوا جهلاء محتاجين الى العلماء للتعليم ونشر العلم فيما بينهم وكثيرا ما يستعمل نشر الدين معاشر المسلمين بمعنى نشر العلم لكون الدين والعلم عندنا شيئا واحدا فيكون (١) معنى لنشر الدين لنشر العلم، هذا وقد ذكرنا كون يادكار خان السيبرى خراجيا للروس ثم ذكر كارامزين بعض معاملته معهم وقتله سفير الروس ثم عزل الامير اسمعيل من امراء نوغاى اياه من الخانية ثم ذكر وقوع المعاهدة والمكاتبة بين الروس وبين خان سيبريا الجديد كوچم خان المصدق فيها كون اراضى سيبريا خراجية للروس وذلك في سنة ١٥٦٩ م مصادفة سنة ٩٧٧ هـ ثم ذكر ارسال عبدالله خان

(١) ولا عبرة بقول السائح ميشر اوكيشر منه عفى عنه.

البخاري سفيرا الى ايوان يطلب (١) منه قبول تجار بخاري في كافة بلاد الروسية فضلا عن حاجي طرخان وقزان فقط ثم ذكر بعد ذلك مساهلة كوجم خان في رعاية شروط معاهدته مع الروسية وعدم ادائه الخراج الذي التزمه ومحاولته استجلاب اقوام ايستاك ووغول اليه وارادته تقوية دولته وتأييد استقلاله وانه زوج ولده على ابنة امير طائفة نوغاي تين (دين) محمد وانه كان يحرك الچرامشة ضد الروسية وانه كان يرسل عصائب من رعاياه وعسكره الى حدود بلاد الروسية وشواطئ نهر قاما للغارة دائما حتى انه ارسل قريبه محمد قل بفرقة من العساكر الى شواطئ نهر قاما للغارة فجاؤها وشنوا فيها الغارة وكان ذلك في سنة ١٥٧٣ م مصادفة سنة ٩٨١ هـ ثم ذكر بعد ذلك عصيان قزاق دون وقيامهم على الروسية وظهور يرمق بن تيماقي المشهور بصورة غريبة ووقائعه العجيبة واستيلاءه على سيبريا وتسليمها على الروسية وخلاصته ان يرمق هذا ظهر في سنة ١٥٧٧ م مصادفة سنة ٩٨٥ هـ واجتمع لديه كثير من اشقياء قزاق دون وتوجه بهم نحو الجهة الشرقية من نهر وولغا وحارب هناك الاقوام التتارية والنوغايية ومزق جمعهم ونهب اموالهم واسر اولادهم وخرب بلادهم وكانوا بعد خراب سراى على يد مكلي كراي خان القريمي اتخذوا بلدة سرايچوق التي بساحل نهر اورال كرسي سلطنتهم فخربها عن آخرها بحيث لم يترك فيها حجرا فوق حجر ثم انعطف منها مع جمعه نحو الشمال ومر قريبا من بيرم ووقع له في مره وقائع كثيرة حتى انتهى به السير الى حدود بلاد سيبر التي كانت تحت حكومة كوچم خان وتصرفه في اوكتابر من سنة ١٥٨١ م مصادفة سنة ٩٨٩ هـ وقد انضم اليه كثير من الروس والنمسة وليتوانيا وغيرهم لاستنقاذ اسرائهم الذين كان اسرهم احد امراء نوغاي فاول ما بدا به امره هناك ان اخذ بليدة بساحل نهر تاري كانت تحت امرة الامير يبانچي وشرده منها وخربها ثم اسر اميرا من امراء كوچم خان يسمى تاوزاق فلما بلغ

(١) وهذا يمكن ان يكون مما استدل به المؤرخ فيشر على ان تجار بخارى كان لهم تأثير كثير في انتشار الدين الاسلامي في سيبريا وشواطىء ايرتش وايشم واورال عفي عنه .

هذا الخبر كوچم خان شرع فى الاستعداد للمدافعة فجمع العساكر من أقطار ممالكه واقام استحكاما بساحل ابرتش تحت جبل يسمى جبل چواش وأقام بنفسه هناك وارسل قريبه محمد قل لمدافعة برمق ومعه كثير من العساكر الخيالة فوقع اول القتال بين الفريقين بساحل نهر طوبل ثم على مسافة ١٦ ويرست من نهر ابرتش بموضع كان تحت تصرف الامير قراچه مقرب كوچم خان فاستولى عليه برمق ثم ثالث الوقعة وقعت على نهر ابرتش واشتد الامر هناك فخرج كوچم خان من الاستحكام وطلع فوق جبل چواش وفوض الاستحكام لمحمد قل واستولى برمق على بليدة آتيق ميرزا وقد كثر الجراح فى عسكره فاستشار اصحابه ليلا فيما يفعل بعد ذلك فاشار اليه بعض اصحابه بالعود فابى وصمم على ادامة القتال الى ان يحرز الغلبة اويموتوا عن آخرهم فلما اصبح الصبح وكان ٢٣ اوكتابر على حساب الشرقيين بدئ القتال واشتد الامر جدا وكان الهجوم على الاستحكام الذى اقامه كوچم خان فجرح الامير محمد قل فى تلك الاثناء فحملوه الى الصفة الثانية من نهر ابرتش وصار من نتيجته ان استولى برمق على الاستحكام فذهب كوچم خان نحو بربة ايشم آخذا خزائنه وفى ٢٦ اوكتابره دخل برمق بلدة ايسكر التى هى كرسى خانية سيبر وحازما فيها من انواع الاموال وكان ذلك فى ١٥ رمضان تقريبا من سنة ٩٨٩ هـ (١) بعد سنة ٣٠ من اخذ قزان ثم لم يزل يتتبع اثر كوچم خان ويفتح المراكز واحدا بعد واحد ويجيئى رؤساء القبائل يعرضون عليه الطاعة واداء الخراج حتى فتح معظم بلاد سيبر واسر الامير محمد قل وارسل الى موسكوا ثم بعد فراغه من فتح البلاد وهب كلها لايوان المدهش فارسل هناك العساكر المستوطنين والولاة وسائر الحكام فاستلموها من يده فدخلت تلك الاقطار كلها فى قبضته وتحت تصرفه عفوا من غير تعب ولا نصب ولا وصب وقد قصد كوچم خان بعد ذلك مرارا كثيرة

(١) فعلى هذا يكون مراد الفاضل المرجانى من ذكره تاريخ انتزاع الروس السيبير، ممن يذكر كوچم خان تبعا لابى الغازى خان اما وهما واما تاريخ وفاة كوچم خان والله سبحانه اعلم وقال ابو الغازى خان انه عمر عمرا طويلا وملكه وعمى فى آخر عمره ومات بين قبيلة منغت لانه جاء اليهم بعد استيلاء الروس على بلاده منه عفى عنه

استرجاع ملكه مدة حياته ثم ولده بعد ذلك ثم حفيده كراى خان كذلك مرارا ولكنهم لم يقدروا عليه قال فى بعض تواريخ الروسية ان واحدة من نساء باشقردا تى وقعت اسيرة بيد قرغز ثم تخلصت اخبرت ان كراى خان حفيد كوچم يريدان يهجم على بلاد سيبر وكان ذلك فى سنة ١٦٥٤ م وقال فيه ايضا ان واحدا من طائفة باشقرد اخبران كافة طوائف باشقرد يريدون القيام والعصيان على الروسية والاعانة لكراى خان وكان كراى خان قد استقر فى الوقت المذكور مع ٢٠٠٠ من عساكره فى اعالى نهر ايشم وكان ذلك فى سنة ١٦٦٧ م مصادفة سنة ١٠٧٨ ﻫ فمن يعجب من استيصال چنكز خان بعساكره الجرارة القوية المنتظمة غاية الانتظام المدربة غاية التدريب دولة خوارزمشاه فبالحرى له ان يعجب من نزع واحد من رؤسا الاشقياء سلطنة واحد من ذريته بعد مرور ثلاثمائة سنة وكسور من ظهوره واعجب واغرب من الكل عدم قدرتهم على استردادها بعد موت ايوان المدهش وولده فيودر وضعف دولة الروسية فى اثناء الفترة الواقعة بعدهما سبحان من يتحير عقول الفحول فى صنعه وسبحان مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء من غير سبب ظاهر فى ذلك كله لا يسئل عما يفعل وفى ذلك عبرة للمعتبرين قال الحموى بعد ذكره خراب اسبيجاب واسفه عليه وقد كان اهل تلك البلاد اهل دين متين وصلاح مبين ونسك وعبادة والاسلام فيهم غض المجنى حلو المعنى يحفظون حدوده ويلتزمون شروطه لم يظهر فيهم بدعة استحقوا بها العذاب والجلاء ولكن الله يفعل ما يشاء

اشعار

رمت بهم الايام عن قوس غدرها * كان لم يكونوا زينة الدهر مرة
ومازال جور الدهر يغشى ديارهم * يكر عليهم كرة ثم كرة
فاجلى بهم عنا جميعا فاصبحت * منازلهم للناظر اليوم عبرة اه

كذلك نقول فى حق بلاد قزان وحاجى طرخان وسيبريا وغيرها من بلاد المسلمين التى اصيبت بتلك المصيبة فلا معنى لتبجح كارامزين وفاحته فى هذا الموضع شعر: وقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون ما لقينا * وكل آت قريب والدهر لا يدوم على حالة واحدة الايام دول والحرب سجال *

وفي سنة ١٥٨٢ اثناء فتح برمق بلاد سيبر وقع اختلال كبير في ارض قزان حيث قامت چرامشة سواحل ولغا ورفعوا الوية العصيان على الروسية فاضطر ايوان لارسال العساكر من مورم وغيرها لاطفاء نيران تلك الفتنة حيث عجزت عساكره المستحفظة بقزان عن اطفائها فتمكنوا عن ازالتها بعد اللتيا وقد اسندوا سبب ذلك الى اغراء محمد كراى خان القريمي اياهم كما اتهموا به دولت كراى خان في الفتن الماضية وليس لها سبب سوى ظلم الولاة والعمال ولاسيما شنائع طائفة ميسبوزير لعنهم الله ولكنهم لا يعترفون بذلك قط بل عادتهم ان يمسحوا بنعاستهم مقاعد غيرهم وفي سنة ١٥٨٤ مات ايوان المدهش الظالم الحرى لان يقال فيه ظلما مجسما قال بعض المورخين لو امكن تركيب لوئي الحادي عشر قرال فرانسا مع هنرى الثامن قرال انكلتره وابعاد شخص منهما لكان ذلك الشخص ايوان المدهش ولظلمه المجاوز حده لا تحبه الروسية ايضا ولذلك لا نرى انهم يسمون البوابر الحربية باسمه مع تسميتهم اياها باسامي من لم يصدر عنه عشر ما صدر عن ايوان من الفتوحات الجسيمة النافعة للروسية جدا مثل ولاديمر مانا ماخ وديميترى دونسكي وغيرهما فيودر بن ايوان ولما توفى ايوان بقى له ولدان فيودر وديميترى فجلس فيودر مكان ابيه ايوان وكان لينا الا انه اعانه في تدبير اموره اخو زوجته بوريس غودونف واغراه المذكور على قتل اخيه ديميترى فقتله وكان عمره اذذاك تسع سنين هذا هو المشهور المذكور في اكثر التواريخ وقيل قتله ايوان بنفسه وفي تاريخ كارامزين ٨ ج ص ١٨٩ ما يدل عليه والله سبحانه اعلم بوريس غودونف ولما مات فيودر بن ايوان في سنة ١٥٩٨م مصادفة سنة ١٠٠٨ ه او التي قبلها انقطع بموته نسب روريك وذريته التي هي السلالة الاولى من ملوك الروس فجلس مكانه اخو زوجته المذكور بوريس غودونف لا يعلم احد حكمة فعل الله تعالى وسره فانه لو مات ايوان المدهش في صغره او تأخر سقوط قزان بيد الروسية الى موت فيودر هذا السلم بلاد قزان وغيرها مما اصابها والله سبحانه

(١) وعين الفاضل المرجاني بناء قصبته منزلة في سنة ٩٩١ ه مصادفة سنة ١٥٨٣م والله سبحانه اعلم منه عفي عنه

فى كل فعل من افعاله حكم وان خفيت علينا **ديمترى الخامس الكذاب** وفى عصر بوريس المذكور ظهر فى ليتوانيا شخص ادعى انه ديمترى المقتول ابن ايوان المدهش وانه لم يقتل بل هرب واختفى وظهر الآن وتبعه ناس كثيرون فقصد بهم موسكوا فهزمه بوريس وبينما الاحوال كذلك اذ مات بوريس فى سنة ١٦٠٥ م فجأة فصارت هذه الحادثة الفجائية سببا لتصديق الناس دعوى الكاذب المذكور واتباعهم اياه فاجلسوه على كرسى سلطنة الروس فلم يلبث الاقليلا حتى شرع فى الظلم وطفق يتعرض لمذهب الروس ولاشك ان التعرض للدين والمذهب مما لا يتحمله احد من المليين ارباب الاديان اى دين كان فقام الاهالى على ضده ودخل عسكر شويسكى بلدة موسكوا وقتلوا ديمترى المذكور وحبسوا زوجته الليتوانية واخوتها **واسيلى الخامس ابن ايوان شويسكى** ولما قتل الكذاب المذكور اجلسوا واسيلى ابن ايوان من العائلة المشهورة بشويسكى على تخت الروس بعد اللتيا والتى فى سنة ١٦٠٦ ولكن لم يلبث الاقليلا حتى ظهر شخص ايضا ادعى انه ديمترى المقتول وانه لم يقتل بل هرب واختفى وتبعه ايضا ناس كثير من الاوباش فتوجه معهم نحو موسكوا فهزمه واسيلى فهرب الى كالوغا فقتلوه فيها **سكز موند وابنه ولاديسلاو** ولم يفرغ واسيلى من امر ديمترى الكذاب حتى اعلن سكز موند الثالث الليتوانى الحرب مع الروسية بل هجم عليها من غير اعلان حرب وكسر عسكر الروس ثم ارسل الى مخالفى واسيلى ومبغضيه يأمرهم بطرد واسيلى ويعدهم باجلاس ولده ولاديسلاو على تخت الروس فقبلوا قوله بشرط عدم تعرضه لدين الروسية ومذهبهم وعاداتهم فقبله سكز موند فارسلوا الى ولاديسلاو وشرع عسكر ليتوانيا يدخل بلدة موسكوا افواجا افواجا فهرب منها واسيلى شويسكى وذلك فى سنة ١٦١٠ م فلما استقر قدما سكز موند فى تخت الروس صار يماطل الروسية فى تفويض التخت الى ولده ولاديسلاو ويؤخر الامر من يوم الى غد ومن غد الى مابعد غد فكثر القيل والقال وشاع بين الروسية انه يريد ان يستبد بالامر ويبدل مذهب الروسية الى مذهب ليتوانيا فصاروا

يعرض بعضهم بعضا على القيام والعصيان على سكزموند مدافعين عن مذهبهم حتى قاموا ورفعوا الوية العصيان عليه وانتشب القتال بين الفريقين ودام الاختلال الداخلى مدة سنين بل ازيد حتى فازت الروسية بالغلبة وطردت سكزموند من موسكوا فى سنة ١٦١٣ المطابقة سنة ١٠٢٢ هـ ثم اتفقوا على اجلاس ميخايل الثالث بن فيودر رومانوف على كرسى سلطنة الروس وكان المذكور من اولاد رومان ابى زوجة ايوان المدهش آناستاسيا ام فيودر بن ايوان وهو اعنى ميخايل اول ملك من السلالة الثانية من ملوك الروسية الشهيرة برومانوف والمدة المذكورة بين موت فيودر بن ايوان المدهش وبين تملك ميخايل هذا مشهورة بمدة الفترة وهى مدة ١٥ سنة والملوك الذين تملكوا فيها مشهورون ايضا بملوك الفترة وقد قربت دولة الروس فى خلال تلك المدة احيانا من حالة الانقراض ولكن لما لم يوجد من يجمع كلمات التتار والباشقرد وغيرهم فى مركز واحد لم يصب لهم نصيب منها قط فان صح مالم يزل الروس يتهمون به خوانين قريم من اغرائهم المسلمين والچرامشة ضد الروسية فليت شعرى اين كانوا (١) فى تلك المدة ولعلهم كانوا نائمين استيلاء الروس على شرقى نهر قاما وبلاد باشقرد وما جرى فيها بعد استيلائها من الاحوال والاهوال الروسية وان استولت على بعض شواطئ نهر قاما الشرقية بعد استيلائها على قزان واذعن بعض طوائف باشقرد المقيمين هناك باداء الجزية للروسية على ما تقدمت الاشارة اليه الا ان دواخل بلاد باشقرد كانت مستقلة بحكم نفسها وقد تقدم ان اهالى قزان ونواحيها الذين نجوا من الموت واهالى الجهة الجبلية من طائفة ميشر وغيرهم هاجروا اليها تخلصا من شرور الروس وفتنتها وانهم ليسوا باقل من الاهالى الاصلية اعنى الباشقرد فعلى هذا لو اتفق هؤلاء الاقوام كلهم واجتمعوا تحت راية واحدة وعلى رئيس واحد يجمع كلمتهم ويدبر امرهم وقاموا على قدم المدافعة وحصروا همتهم فيها وبذلوا اموالهم وارواحهم

(١) وقد كان فيهم فى المدة المذكورة خوانين ذوى اقتدار مثل بوراغازى كراى خان وغيره منه عفى عنه .

فى سبيلها لامكنهم حفظ كيانهم واستقلالهم ولقدروا على مدافعة اعدائهم عن اوطانهم وحقوقهم ورد هجماتهم من غير ان يقاسوا لاجلها كثير تعب وصعوبة بالنظر الى كثرتهم وشجاعتهم خصوصا بعد ما عاينوا ما فعلت الروس باهالى قزان وتيقنوا بنوايا ها فى شأن دينهم العزيز الذى لم يبق فى ايديهم غيره وان لم يقدروا على استرجاع قزان ولكن كان هذا موقوفا على ادراك درجة الاستقلال وقيمتها ومرتبة الحرية ولذتها وعزتها وما فى محكومية الاجانب من القبح والفساد والرذالة والمذلة والشرور وعدم الامنية ثم الاجتماع على رأى واحد منهم يسوسهم احسن سياسة ويدبر امورهم احسن تدبير لا يصدرون الا عن امره ولا يفعلون شيئا الا برأيه وهذا الامر المهم الموقوف عليه كان مفقودا فيهم فانهم لم يجتمعوا على رئيس واحد بل اتبع اهالى كل ناحية منهم رئيسا على حدة وهؤلاء الرؤساء لم يوجد فى واحد منهم شرائط الرياسة كلها بل ولا بعضها وانما كانوا مصداق قول الشاعر شعر:

اذا غاب ربان السفينة وارتمت * بها الريح يوما دبرتها الضفادع

ولم يكن فيهم احد مثل چنكز خان وياوز سلطان سليم خان يجمعهم تحت راية واحدة جبرا وقهرا فهم وان صدرت منهم الهجوم على الروسية مرارا ودام الى مدة مديدة ولكنه لما لم يبن على الاصول المرعية ولم يكن بالهيئة الاجتماعية لم ينتج شيئا سوى سفك الدماء من الطرفين وما يترتب عليه من الفساد للطرف المغلوب نعم اذا اراد الله شيئا خيرا كان اوشرا هيأ له الاسباب وبذلك تهيأ للروس اسباب الاستيلاء عليها وسهل لها ذلك ونعم ما قيل شعر:

بذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

والايام دول والحروب سجال والله يؤتى ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء لا يسئل عما يفعل شيئا الا بحكمة بل افعاله تعالى كلها عين الحكمة وان خفى على عقولنا القاصرة وجهها والحاصل ان الحريق الذى دام فى نواحى قزان سنين عديدة سرى بعد ذلك الى اراضى باشقرد ودام فيها ايضا ازيد من مأتى ٢٠٠ سنة وحيث ان التاريخ الذى يبين تلك الوقائع مرتبة منتظمة مفقود غير موجود لدينا كسوابقها فنحن معذورون ايضا فى عدم

اعطاء المعلومات فى هذا الباب ايضا مرتبة منتظمة على وجهها فلا ملام علينا ان اخطأنا فى ذكر بعض الوقائع اوتخطينا بعضها بالكلية فها نحن نسرد ما ظفرنا فى تواريخ الروسية كارامزين وغيره قال كارامزين وفى اثناء توجه يرمق الى سيبريا للاستيلاء عليها فى سنة ١٥٨١ كان الكينا زپليمسكى(١) هجم على قلعة چردين الكائنة باءالى نهر قاما مع جمع كثير من ايستاك ووغل و باشقرد وتتار سيبر فقتلوا ونهبوا واسروا ولكنهم لما سمعوا خبر يرمق عادوا الى بلادهم قال وفى سنة ١٦١٦ م مصادفة سنة ١٠٢٥ هـ لما سمع ميخايل(٢) الثالث بن فيودر مهاجرة اهالى ناحية كركين من نواحى اوفا الشمالية الى الجهة الشرقية من نهر قاما خوفا من مهاجمة اقوام پير مياك ارسل اليهم فرمانا يمنعهم من الهجوم على قوم باشقرد قال وفى سنة ١٦٣٣ م نشر ميخايل المذكور فرمانا يأمر فيه بارسال اشخاص ذوى عدالة ومروة لتحصيل الخراج من قوم باشقرد الكائنين فى نواحى اوفا من غير ان يظلموهم وفى سنة ١٦٤٥ م التى هى آخر سنة تملك ميخايل المذكور ارسل الامر من طرفه الى الوالى غلاد انيف بمدافعة طوائف قالمق الذين كانوا يهاجمون على قرى قوم باشقرد الذين فى سواحل نهر قاما وبحماية هؤلاء الباشقرد من مهاجمتهم بما معهم من عساكر الروس وفى السنة ١٦٤٥ المذكورة مات ميخايل بن فيودر الرومانى وملك مكانه ولده الكسى الاول قال فى مجموعة قوانين الروس كتب فى دفتر قوانين الكسى فى سنة ١٦٤٩ المنع من شراء اراضى باشقرد والتتار وچواش وچرمش ووتاك (آر) ومن استئجارها الى سنين كثيرة ومن انتزاعها من ايدى من استوطنوها حديثا ومن ايدى المتنصرين واعطائها التتار اذا كانت اراضى هؤلاء الاهالى فى الاصل وفى حدود سنة ١٦٥٥ هجمت الباشقرد على جوار فونغور وضبطوها وقتلوا كثيرا من الچرامشة وفى سنة ١٦٦٣ م مصادفة سنة ١٠٧٤ هـ امر والى قزان فوراكين باسكان قوم باشقرد فى نواحى قزان لاجل اتفاقهم مع طائفة قالمق على عصيان

(١) ولم ادر من هذا ولا رأيته فى موضع آخر منه عفى عنه.
(٢) وهو اول من تملك من سلالة رومان فى سنة ١٠٢٢ هـ كما مر آنفا منه عفى عنه.

الروسية والظاهر ان الرئيس فى هذا العصيان والذى قبله والتى بعده هو شخص يسمى بسيد جعفر الرئيس وقد قيل انه حارب الروس مع من تبعه مدة عشرين ٢٠ سنة منها ما قيل انه ثبت وجود قوم باشقرد بين اشقياء سنة ١٦٧٠ ، وفى سنة ١٦٧٣ م اعلم طائفة الباشقرد واذنوا بالتماس معادن الذهب واخبار الحكومة بها اذا وجدوها ووعدوا باعطاء الامتياز والرتب لمن اخبر بها وفى سنة ١٦٧٥ نشر الاوامر الخفية بمنع بيع البنادق والبارود وسائر الآلات الحربية من قوم باشقرد، وفى سنة ١٦٧٦ مات الكسى وفى عصره انضم كثير من ليتوانيا الى الروسية ولم يبق منها الا الجهة الجنوبية اطراف قريم واودبسا وملك مكانه ولده فيودر الثالث ابن الكسى وفى العام المذكور استخبرت الروس باستعداد طائفة باشقرد المقيمين بسواحل نهر كينه لى للاغارة على اطراف نهر قاما فتداركوا الامر، وفى سنة ١٦٧٧ طلب القائد پوشكين الادوات الحربية من حكومته لاستشعار الخوف من باشقرد وقال ان الباشقرد لا يزالون يجيئون الى آبانسكى اصلابودا زرافات زرامات ويفهم من اطوارهم وحركاتهم ان لهم فى ذلك الاجتماع غرضا فاسدا وامر والى اوفا باخذ الجباية والاتاوة من قوم باشقرد الكائنين باطراف نهر طابين من غير توقيف وكانوا قد امتنعوا من ادائها، وفى سنة ١٦٧٨ اعطى والى چردين الاوامر من طرف حكومته باخذ الحذر والاحتياط من جهة باشقرد، وفى سنة ١٦٨٢ مات فيودر ولم يخلف ولدا وكان له اخوان ايوان وپيطر وكان ايوان ضعيفا غير قادر لادارة الامور فاشرك اخاه پيطر لنفسه فى الملك وحيث كان پيطر ايضا صغيرا صارت اختهما الكبيرة صوفيا وصية لهما الى ان يكبر پيطر ـ ففى العام المذكور قبل موت فيودر او بعده قامت طائفة باشقرد على حكومة الروسية واجتمعوا فى قرب اوفا فكتب كيناز الروسية الى القائد بارانتسكى يأمره بجمع عساكره وسوقهم الى محل العصيان وفى ايون (حزيران) استخبرت الروس باحتشاد باشقرد واتفاقهم مع طائفة قالمق للهجوم على الروسية ويفهم من كلام مورخيهم انهم هجموا على ولاية قزان حيث قالوا انه لما هجم قوم باشقرد باتفاق طائفة قالمق على ولاية

قزان في سنتايره من العام المذكور ام برسل الكيناز خاوانسكي الخائن عسكر استرليج الذين كانوا تحت قيادته لدفع هجوم الاقوام المذكورة وفي سنة ١٦٨٣ (١) اجتمع اربعون الفا من طائفة قالمق للهجوم على نواحي اوفا وشتوا في سواحل نهر چور طايلي، وفي سنة ١٦٨٩ م مطابقة للسنة ١١٠٠ ه استقل بطر بالملك وحبس اخته صوفيا في بعض الاديرة وشمر ذيله وحصر افكاره واوقاته في تجديد دولة الروسية وارتكب في ذلك امورا تحير العقول على ما هو مشهور ومعروف وجددها تجديدا بلغت بسببه الآن حالته الحاضرة مع كونها معروضة لانقلابات شتى بعده حتى حاز عنوان پيطر بيليكي يعني پطر الاعظم ومع حذاقته ومهارته في فن السياسة جره عرق النصرانية وحميته الجاهلية الى فكر اكراه سائر الاقوام على النصرانية حتى نشر بذلك الاوامر القطعية وعين مدة ستة اشهر لهجرة من لا يقبل التنصر الى سائر الديار فمن لم يهاجر في تلك المدة من الاقوام الغير النصرانية يعتبر نصرانيا فنشأ من ذلك بعض الاختلالات في بعض النواحي الا ان حذاقته في السياسة غلبت حميته الجاهلية فرجعت عن هذا الرأي الفاسد والفكر العقيم واصطلاحاته للروسية وتنظيماته واشغالاته مشهورة معروفة لدى الكل ليس كتابنا هذا محل بيانها، وفي سنة ١٧١٤ م مصادفة سنة ١١٢٦ ه نشر پطر فرمانات يأمر فيها بقبول طائفة باشقرد للخدمة في بناء المدن التي اراد بناءها في سيبريا وفي سنة ١٦٢٠ اعلن العفو عن جرائم طائفة باشقرد وعصياناتهم القديمة وامرهم ان يرجعوا الى مساكنهم ونشر بذلك الاوامر واكد الاوامر بالمنع من ان يظلمهم احد بوجه من الوجوه وان يعان من اراد منهم ان يخدم في معادن الذهب بنواحي پيرما، وفي سنة ١٧٢٢ نشرت الاوامر بمنع الجواس المرسلين الى نواحي اوفا من تجسس قوم باشقرد قلت وكانهم امنوا من قيامهم وعصيانهم لفناء قوتهم ولم يذكر (٢)

(١) ويحتمل ان يكون الرئيس في هذه المهاجمات الشخص المسمى بالدارمن طائفة باشقرد منه عفي عنه.

(٢) يعني ان پطر عد النفوس ووضع للرجال العوائد المالية والخدمة العسكرية عددا معينا ولكن اهل ولاية حاجي طرخان واوفا بما فيهم من تتار وباشقرد لم يشملهم هذا النظام لكونهم قريبين من الحدود . منه عفي عنه.

التتار والباشقرد الذين كانوا يسكنون فى ولاية حاجى طرخان واوفا فى قانون بطر الاول الذى نظم فى وضع الغرامات المالية واخذ العساكر فى سنة ١٧٢٤ ولما شرع اهالى قزان فى المهاجرة الى اراضى باشقرد فى سنة ١٧٢٥ مجددا هربا من دفع الغرامات المالية واعطاء العسكر نشرت الاوامر بمنعهم من المهاجرة والفرار وقد كان هاجر فى تلك الاثناء ٣٨٩٢ نفسا فاعيد منهم اثنان وتسعون نفسا وتركت البواقى، وفيها نشرت الاوامر ايضا لمنع هجوم باشقرد على معادن الذهب السيبرية ومعامل، وفيها مات بطر الاول ولم يخلف ولدا بل خلف حفيده صغيرا ووصى بان يجلس زوجته يكاتريناالاولى مكانه فملكت سنتين وملك بعدها بطر الثانى ابن الكسى بن بطر الاول وكان عمره اثنتى عشرة سنة وفى عصره عجز غراف (قونت) استروغنف عن دفع مواجمات باشقرد واضطر الى بناء بعض القلاع والحصون فى سنة ١٧٢٨ كذا قيل ولم يبينوا مواضع تلك القلاع والحصون ولا اساميها. وفيها صدرت الاوامر بالمنع عن ظلم قوم باشقرد بموجب عرائضهم بعد ان اخذ منهم الرهائن وفى سنة ١٧٢٩ صدرت الاوامر بان يرسلوا لتحصيل الغرامات المالية والتكاليف الميرية من قوم باشقرد اشخاص ذوو اعراض وانصاف ومروة وتدبير ورفق قلت علم من ذلك ان سبب قيامهم وعصيانهم هو ظلم الحكام والمأمورين كما ان الامر كذلك فى كل ملة ومكان وزمان، وفى سنة ١٧٣٠ مات بطر الثانى عن ١٥ سنة من العمر وتولت مكانه آنه ابنة ايوان فزادت البلة فى الطين بسبب استبداد الولاة وطائفة ميسيونير استفادة من غفلتها واغفالها ، وفى سنة ١٧٣٤ صدر الامر ببناء قلعة على نهر اور لاجل قوم باشقرد وسائر الاقوام يعنى لضبطهم وسميت تلك القلعة اورنبورغ وان يبنى فى بلدة اورنبورغ المذكورة محكمة مخصوصة لباشقرد وان يقبل من قوم باشقرد للخدمة مجانا من اراد منهم ذلك ، وفيها صدر الاذن فى ٣١ مايس من محكمة سينود لطائفة باشقرد باصطياد السمك من نهر قاما والنهر الابيض، وفيها صدر الامر ايضا من المحكمة المذكورة بالقناعة بملح ايلك من غير بيعه وان يحكم لقوم باشقرد ثلاثة اشخاص اثنان منهم من طرف

الخصمين وواحد لامناسبة له باحد الطرفين ويقال لهـذا الحـكم عند الروس تربتسكي صود وباتخاذ دفتر طرخان لباشقرد وميشر ، وفى سنة ١٧٣٥ صدر الامر من محكمة سينود ايضا بمساحة اراضى باشقرد وترتيبها وبناء پوسته خانات فى بعض القرى وبنفى التتار وچرمش وچواش وموقشى برطاس (١) الى آلايات عسكر الروس المسماة باوستزيسكى الكائنة فى سواحل بحر البلطق اذاصدرت منهم الجناية* وفى سنة ١٧٣٦ صدر المنع من المحكمة المذكورة ايضا عن اتخاذ طوائف باشقرد الكائنين فى ولاية اوفى حدادا وعن اقتنائهم البنادق والبارود وسائر الاسلحة واذن لمن طلب هذه الاشياء بالخروج الى جهة اورنبورغ وان يشتغلوا بتلك الصنعة هناك ، وفيها صدر الامر لجنرال رومانسف وكيربلوف بتمييز قوم تيبتر والبابيلى (كذا) عن قوم باشقرد وبمنعهم عن الطاعة قوم باشقرد وفى السنين المذكورة كانت طائفة من باشقرد قاموا على الروسية تحت رياسة كيلمك آبز وقيل قالمق آبز وآقاى يوسف وقابلوا آلايا من عسكر الروس وقاتلوهم فصدر الامر باعدامهم ونزع اراضيهم عنهم موبدا وباعطائها طائفة ميشر الذين كانوا مخلصين للروسية فى ذلك الوقت ، وفى سنة ١٧٣٧ صدر الامر عن الملكة آنه بتشكيل عساكر خيالة من طائفة باشقرد مركبة من ثلاثة الاف نفر يعنى لافناء قوم باشقرد بتسليط بعضهم على بعض والقاء المنفرقة بينهم ، وفيها اعدم مائة وتسعة وعشرون نفرا من باشقرد لعصيانهم قلت لاشك ان الرئيس كيلمك آبز وآقا يوسف من جملتهم واول من شربوا من كائس المنية وقد قيل انهم جلبوا فى العام المذكور الى پطربورغ ، وفيها صدر الامر باخذ عشر الزروع من التتار وباشقرد مثل مايؤخذ من الروس وفيها صدر الامر ايضا باتخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة لمنع عصيان قوم باشقرد وبعدم مساعدتهم بالاجتماع فى اى محل كان لغير الامراء العسكرية ، وفيها حكم فى مجلس الشورى العسكرى المنعقد فى قصبة منزله تحت رياسة تاتيشچوف وصايمبينف بتقسيم قوم باشقرد على اقسام وادارات شتى وتفريق بعضهم

(١) هذا كتب فى الاصل المنقول عنه تفسير الموقشى . منه عفى عنه

عن بعض آخر توسلا بذلك الى منع قيامهم وعصيانهم وتعاضد بعضهم بعضا في ذلك فبنوا في قصبة اوصى واليا وبنى في كراسنا اوفيمسكى حصن وكذلك بنى وعين في سائر المواضع ايضا محاكم وادارات مخصوصة فهذه الامور تدل على قوة العصيان وشدة الاختلال وسببه ظلم الولاة وافساد طائفة ميسيونير لاغير كما هو كذلك الى الآن ولكنه لا يزال ينسب الى تعصب المسلمين وكان المدافعة عن الحقوق يعد تعصبا عند الغربيين ، وفي سنة ١٧٣٨ صدر الامر الملكى بتعيين رؤساً من نفس قوم باشقرد لتحصيل الاموال الميرية منهم ومنع الخمارين من ذلك كما كان الامر سابقا كذلك فهذا يؤيد ما قلناه آنفا وصدر الامر كذلك بفصل نزاع الاراضى الكائن بين طائفة باشقرد وبين طوائف چواش وچرمش وميشر بالعدالة والتسوية ولاسيما بعدم الظلم لطائفة ميشر لكونهم صادقين مخاصين للروسية (كذا) ، وفي سنة ١٧٣٩ اغار خمسمائة وثلاثون نفرا من باشقرد على مساكن قزاق ونهبوا منهم ثلاثين بيتا وخربوها فصدر بعد ذلك الامر الشديد باعادة الاموال المنهوبة الى اربابها والمنع القطعى عن ارتكاب مثل ذلك الامر فيما بعد والتهديد البليغ لمرتكبه فان الحال كان مقتضيا لذلك لجلب قلوب طوائف قزاق اليهم ، وفيها قيدت اعداد نفوس باشقرد في السجلات والدفاتر وفيها صدر الامر بنقل بلدة اورنبورغ المذكورة الى تل (١) احمر في شاطئ نهر جايق (اورال) وبتسمية اورنبورغ القديمة باورسكى قريپوست بمعنى حصن اور وفيها ايضا صدر الامر بانتخاب الروسا والمامورين الملقبين بيصاوول وبوزباشى والكتبة من نفس قوم باشقرد وبالفاء لقب طرخان القديم وبتصديق شراء التتار وميشر وچواش الاراضى التى اشتروها من باشقرد واعتبارها املا كالهم وبتفريق الاقوام المغايرين لباشقرد عنهم واسكانهم على حدة ، وفي سنة ١٧٤٠ صدر الامر بتقسيم اراضى باشقرد وترتيبها بعد تفريق ما بنى القلاع والحصون فيه عن غيره وذلك بموجب عريضة تابياس طرخان من باشقرد ، وفيها صدر الحكم من محكمة سينود بنفى آطاغل فورنايف المتقاعد من العسكرية الى ساحل بحر بلطق لاجل

(١) والظاهر انها اورنبورغ الحاضرة . منه عفى عنه .

افساده وخيانته فى حق رومان ايصايف ورجوعه الى الاسلام بعد تنصره ثم حكم عليه بالاعدام فقال حين بوشر باعدامه انا اعرف معادن الذهب فى اراضى باشقرد وانى قد وجدت فيها حجرا كان قيمته الفا وخمسمائة روبله واعطيته رئيس قصبة منزلـه وكان صافيا براقـا الى الغاية بحيث كان يمكن قراءة الخط فى بروقه ونوره ولكنه لم يسمع كلامه ولم يثبت، وفيها قامت طائفة من قوم باشقرد على الروسية فدل بعض قرغز الصادقين للروسية على رئيسهم المسمى بقرا صقال فقبضوا عليه وسكنت الفتنة وفيها صدر الامر باعلام اعداد باشقرد المسلمين واعداد باشقرد المكرهين واعداد قالمق المتنصرين، وفيها ماتت آنه وملك بعدها بوصية منها ابن اختها ايوان وكان عمره وقتئذ ست سنين فلم تطل مدته بل خلع بعد مدة يسيرة لصغره وقيام ايليزا بيت ابنة بطر الاول بدعوى حق الوراثة فى الملك فملكت فى سنة ١٧٤١ وفى عصرها حررت طائفة باشقرد وتتار وميشر القاطنين بولاية اورنبورغ عن الغرامات الميرية فى سنة ١٧٥٤ بسبب عرض والى اورنبورغ وكلفوا فى مقابلة ذلك بشراء الملح من الخزينة الميرية فقط، وفى سنة ١٧٥٥ اعلن العفو عن طائفة باشقرد الذين كانوا قاموا على الروسية ثم هربوا الى الممالك الاجنبية خوفا من الجزاء والعقاب واذن لهم بالرجوع الى اوطانهم، وفيها اتخذت الاحتياطات اللازمة فى سنتابره خوفا من قيام باشقرد على الروسية ورتب آلاى مركب من خمسة آلاف من تتار قزان ومرازيهم لمقابلة باشقرد القائمين على الحكومة وكانت الزعماء والرؤساء فى هذا القيام ملا عبد الرحمن ميز كلدى وباطرشاه (١) بن على من طائفة ميشر

(١) هذا ما ذكره بعض الاعزة من فضلاء عصرنا وقال بعضهم ان رئيس القائمين فى الاختلال المذكور هو الملا عبد الله بن باطرشاه وقيل عبدالله باطرشاه من طائفه ميشر وقال يظن كونه من قريه كاريشيبووى التابعة لولاية اوفا وذلك ان طائفة باشقرد لما بلغ غضبهم على الحكومة نهايته ونفرتهم منها غايته لاكراهها اياهم على التنصر وهدم ذوله مراقدهم المقدسة عليها بترك الاكراه واجبارها اياهم على شراء الملح الذى كانوا ينتفعون به مجانا عزموا على القيام ورفع لواء العصيان على الحكومة واتفقوا على ذلك وجعلوا الملا عبد الله المذكور رئيسا على انفسهم لكونه اشهر علماء عصرهم فارسل المشار اليه

رسلا الى اهالى قزان وقزاق يدعوهم الى الاتفاق معهم للمدافعة عن حقوق المسلمين فوعدوه بالاعانة والامداد عند القيام والمدافعة وتداخره واحد من اهالى ولاية قزان يسمى اسماعيل آبو كييف من طريق آلاط قبل هذا بثلاث سنين ميل اهل ولاية قزان الى الاتفاق مع اهل ولاية اورنا ان هم قاموا للمدافعة عن حقوقهم ولما هياه الملا المشار اليه اسباب المدافعة حسب الامكان دعا كافة قوم باشقرد بواسطة العلماء على القيام وعين لهم اليوم العاشر من حزيران (ايون) من سنة ١٧٥٥ م للقيام واكدهم بعدم الحركه قبله وبعدم التأخر عنه ولكن قوم باشقرد استعجلوا وقاموا قبل الميعاد حيث قام باشقرد برجان فى ٢٥ مايس من السنة المذكورة وقتلوا رجال الحكومة ومهاجرى الروس وكذلك قام باشقرد طونغاوور واوسيركان وتاميان وسوكون قپچق وچاكمين قپچق الذين هم فى حدود قزاق وقتلوا الروس ورجال الحكومة وصادف هذا القيام استعداد الروس لمحاربة المانيا ايام الفره دريق الثانى فاثر عليها تأثيرا شديدا وكان والى اورنبورغ فى الوقت المذكور نيپلوف المشهور بالدهاء فتشبث لتسكين هذه الفتنة بذيل لطائف الحيل وذلك انه لما ساق العساكر الى مواضع المهمة شرع بواسطة المنافقين فى القاء التفرقة وزرع بزر الشقاق بين قوم باشقرد وبين طائفة ميشر وتيبتر المقيمين بينهم ونال بغيته هذه بسبب اجتهاده ودهائه وجهالة طائفة ميشر وتيبتر وصرف غاية جهده فى منع ملاقاة قوم باشقرد وتاتار قزان بعضهم بعضا وقطع المخابرة بينهم واقام لاجل هذا الغرض عساكر فى المعابر والمسالك وعين جواسيس من منافقي تتار قزان لايصال الاخبار الى الحكومة وكان والى قزان وقتئذ غالووين ومنع بعض المساعدات لاهل قزان من طرف ايمپيراتريتسه ايليزابيت لجلب قلوب اهل قزان وجمع خمسة آلاف خيالة من تاتار قزان وارسل الى اورنبورغ لمقابلة باشقرد ولم يكتف نيپلويف بهذا القدر بل ارسل رسلا الى نور على خان من خوانين طائفة قزاق وامرائهم بهدايا يلتمس منهم منع اختلاط قوم باشقرد بقزاق وعدم قبولهم فى بلادهم وقال انه لاينسي خدمتهم هذه ان فعلوها ونشر المناشر من لسان آخوند بلدة اورنبورغ بين طائفة قزاق المقيمين باطراف اورنبورغ ينصحهم فيها بعدم الاتباع على قوم باشقرد وعدم قبول دعوتهم الى القيام. واما باشقرد فقد رفعوا الوية العصيان فى كل ناحية من نواحي اراضيهم بحيث يمكن ان يقال انهم قاموا كلهم وقتلوا كثيرا من مهاجرى الروس الى اراضيهم وهدموا كثيرا من المعامل والمصانع واحرقوها ولكن لم يكن الامر كما زعموا بل ظهر خلافه حيث لم يحصل لهم ادنى اعانة وامداد من اهل ولاية قزان

وهذا عن ذلك فان طائفة تيبتر وميشر المقيمين فيما بينهم قاموا بضمهم وما كسوهم فى مقاصدهم ولما احس قوم باشقرد انقلاب الامر وعدم قدرتهم وعدمهم على مقاومة الروس حاولوا ان يجاوزوا من نهر جايق الى ارض قزاق حتى يحاربوا الروس مع القزاق بناء على وعدهم السابق وليس لهم خبر عما جرى من الدسائس وجاؤا سواحل نهر جايق لهذا الغرض وقد عين نيبلويف عساكر فى معابر نهر جايق ومواضع مهمة لمنعهم من العبور الى طرف آخر فاستشهد كثير منهم من طرف هؤلاء العساكر ووفق خمسون الف نفس منهم فقط للعبور ولكنهم هل افلحوا بعبورهم هيهات فان اجتهاد تاتار قارغالى وسعيهم بناء على دسائس والى اورنبورغ نيبلويف القى عداوة شديدة بين قوم باشقرد وطائفة قزاق فاسر القزاق كافة نساء باشقرد وبناتهم وسبوهن واجروا عليهن انواع الفواحش والفظائع وطردوا رجالهن فاضطر قوم باشقرد الى محاربة قزاق للدفاع عن حريمهم ونواسهم فحاربوهم فحصلت تلفات عظيمة فى الطرفين (فهذه هى نتيجة الجهالة والحماقة فكيف يقال لهؤلاء انهم انسان فضلا عن تسميتهم مسلمين) ثم اعلن العفو العام من طرف الحكومة واذن لقوم باشقرد بالرجوع الى اوطانهم فرجعوا واما الملا عبد الله المذكور فلم يرجع بل اندس فى غابات كثيفة مع بعض تلامذته فنشرت الحكومة فى ١١ اوكتابر سنة ١٧٥٥ م مناشر فى الاطراف والجوانب بان من قبض عليه حيا فله ٥٠٠ روبلة ثم اعلنت ثانيا فى اول نيسان من سنة ١٧٥٦ م بان من قبض عليه حيا وسلمه الى الحكومة فله الف روبلة فقبض عليه رئيس من طائفة ميشر يسمى سليمان عليه من الله اشتد ما يستحقه فى ٨ آغستوس من العام المذكور بقرية (آزيك) على مسافة ١٥٠ ويرست من بلدة اوفا فارسله الى بلدة اوفا وارسل منها الى اورنبورغ ومنها الى بطربورغ فحكم عليه هناك بالحبس مدة عمره فى قلعة اشليسلبورغ ولما اقام هناك خمس سنين خرج منها حين رأى الحراس مستغرقين فى النوم وقتلهم بالضرب على رؤسهم بالفاس وكانوا خمسة ثم وقع على الارض بجذب القلعة المذكورة ومات بلاسبب فانه لم يرفى بدنه اثر من الجراحة فدفن جسده فى حفرة وراء القلعة المذكورة رحمه الله تعالى واما سليمان الشقى المذكور فمات قبل اخذه المكافاة المذكورة الموعودة فى مقابلة خدمته السنية المشكورة فجلب ولده الذى كان عمره ١٤ سنة الى بطربورغ ونال التفاتات كثيرة واستلم الف روبله وهاد ان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب تم من ترجمة منير افندى هادى من تاريخ اورنبورغسكى كراى المحرر بلغة الروسية وهذا لتفصيل هذا الاجمال نقلته من تفرقة جريدة يولدز عدد ١٣٣ .

وكان قيامهم فى اطراف قصبة اورسكى فقبض المذكوران مع انصارهما واعوانهما وحبسوا فى قلعة اشليسبلبورغ ودفنوا تحت جدرانها الحجرية، وفى سنة ١٧٥٧ رتب آلاى من الف نفر من باشقرد وميشر وسيقوا الى طرف سيبريا وعين لهم مع امرائهم العسكرية معاش مخصوص. وفى سنة ١٧٦١ اذن للمكرمين من باشقرد ببيع آراضيهم من الروسية، وفيها ماتت ايليزابيت وبموتها انقرضت سلالة رومانوف من ملوك الروسية وجلس مكانه پطر الثالث بن فيودر وهو اول ملوك من السلالة الثالثة التى هى سلالة هولستين وخلع وقتل بغيرة زوجته يكاترينا الثانية بعد ستة اشهر من تملكه وملك مكانه يكاترينا الثانية المذكورة المشهورة عند مسلمى تلك الديار بابى پادشاه يعنى الملكة الجدة وذلك لحذاقتها ومهاراتها فى السياسة ورفعها الاكراه والمظالم الجارية الدائمة من لدن ايوان المدهش المستولى على قزان الى عصرها وهى مدة ماءتى سنة وعشر سنين فلا يذكر مسلمو تلك الديار اسمها الا بالتعظيم والمحبة وان كان فعلها الذى فعلته مبنيا على السياسة لا لحبهم ولا لحب دينهم وهكذا شاءن العدالة واللين والرفق والمرحمة وبولايتها ابتدأ الدور الثانى الذى هو دور التنفس والراحة وبعد ان طوى بساط الاكراه والاجبار ورفعت المظالم ونشرت العدالة والمساواة بهمتها طوى سجل المخالفة ورفعت دفاتر المخاصمة والقيام والعصيان من طرف المسلمين ايضا فلا ترى فى التواريخ بعد ذلك اثرا من القيام والعصيان بل اعطوا المساعدة التامة فى امور الدين وبناء المساجد وبناء محكمة الجمعية الاسلامية المسماة بصبرانيا وكل ذلك يجيئ تفصيله فى محل ان شاء الله تعالى وانما نبين هنا ما يتعلق بغير امر الدين من المعاملات ليكون بيان الحوادث مرتبا ومنتظما، ففى سنة ١٧٦٣ اعلن العفو عن الفرارين من الباشقرد وصدر الامر بارجاعهم الى اوطانهم فرجع ٩٨٧٩ نفر من برية قزاق، وفى سنة ١٧٧٦ اعطيت المساعدة لطائفة باشقرد وميشر بتعاطى انواع التجارة وانشاء انواع المعامل والصنائع والفابريقات فى مملكة الروسية وكانت اعداد التتار الملقبين بتيبتر واعداد قوم بوبيل المقيمين فى اراضى باشقرد بموجب تحرير النفوس فى سنة ١٧٨٩ بلغت ٤١٠٠٠

نفسا وزاد فى التحرير الثالث عشرة آلاف، وفى سنة ١٧٩٥ اذن لمفتى المسلمين بشراء اراضى باشقرد، وفى سنة ١٧٩٣ اذن للمفتى محمدجان الحسينى بشراء اراضى باشقرد واسكان الاقوام الغير النصرانية فيها وفى سنة ١٧٩٦ ماتت يكاترينا ومن الحوادث المشهورة فى ايامها خروج شخص من قوازق اورال يسمى پوغاچف بدعوى انه پطر الثالث المقتول وانه لم يقتل بل هرب من ايدى مباشرى قتله وهى حادثة مشهورة وعلى السنة الناس مذكورة وفى عصرها ايضا دخلت قريم فى حوزة الروس وجلس بعدها مكانها ولدها من پطر المار ذكره پاول وسلك فى معاملة المسلمين مسلك امه يكاترينا الثانية وفى سنة ١٧٩٧ صدر الامر باعطاء النقد بدل الطعام لخمسة آلاف وخمسمائة وتسعة عشر نفرا من عساكر باشقرد المستخدمين فى حدود اورنبور لكل واحد منهم روبلة فى الشهر والظاهر انها بالحساب القديم فتكون ثلث روبلة جارية الآن تقريبا، وفى سنة ١٧٩٨ صدر الامر لامراء باشقرد وميشر بترتيب ولاية اورنبور ترتيبا جديدا وبتحرير نفوس باشقرد الموجودين فى ولايتى اورنبورغ وپيرماو تقسيم تلك الاراضى على محاكم تسمى محاكم كانطون (١) (بمعنى محاكم الناحية كما قدمنا فى المقدمة) وفى سنة ١٨٠١ مات پاول وجلس مكانه الكساندر الاول من هذه السلالة ابن پاول وسلك فى معاملته المسلمين مسلك والده پاول وجدته يكاترينا الثانية وفى سنة ١٨٠٢ صدر الامر لطائفة باشقرد الساكنين بولاية اورنبورغ بجمع مصارف انزال عساكرهم الى قصبة منزلة وفيها

(١) ودامت تلك المحاكم هناك الى اوائل النصف الثانى من العصر التاسع عشر وكان الحكام الملقبون بكانطون من طائفة باشقرد وكان لهم نفوذ تام بين الاهالى مع كون رتبتهم رتبة زيمسكى الآن وكان الناس يتظلمون ويشتكون منهم ولما الغيت الكانطونية واحدثت مكانها محاكم وولصنوى اوپراوله يا صار وا يتذكرونهم ويذكرونهم بخير ويتمنون عودهم ثانيا لما رأوا من عدم قابلية وولصنوى اسطرشينه وعدم معرفتهم بشئ وكون الحل والعقد والنقض والابرام بايدى كتبتهم فقط كما قال الشاعر شعر :

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

والحاصل كان لهم هيبة فى قلوب الاهالى وكان الامور فى عصرهم منتظمة وان كان يصدر عنهم الحيف والجور والميل الى اطراف احد الخصمين احيانا وكان نفوذهم لم يرق فى عيون طائفة ميسبونير فصاروا سببا لالغاء تلك المحكمة والله سبحانه اعلم منه عفى عنه.

صدر الامر بمنع اى ظلم وجور كان من طائفة باشقرد بناء على شكاياتهم وفى سنة ١٨٠٣ وضع ترتيب جديد لقطع المخاصمات والمنازعات الواقعة فى اراضى باشقرد وفى سنة ١٨٠٦ صدر منع طائفة باشقرد من الاقامة فى خارج اراضيهم الخاصة بهم بعد ان حددت اراضيهم المملوكة لهم ووضع الاصول والقوانين لاستخدام باشقرد فى الخدمات العسكرية والميرية وفى سنة ١٨٠٧ صدر الامر بموجب عرض والى سيبريا باقامة عساكر باشقرد المأمورين بتشييع ارباب الجناية وتسفيرهم الى سيبريا وبحفظ الممالك فى سيبريا وفى سنة ١٨١١ صدر الامر الى الكيناز وولغونسكى بتشكيل آلايين من الخيالة من باشقرد وآلايا واحدا من قالمق كل آلاى منها مركب من خمسمائة نفر بشرط ان يكون الامراء والقواد والضباط من انفسهم وفى سنة ١٨١٢ لما مست حاجة الروسية الى تزييد قوته العسكرية لمحاربة فرانسا حيث استولت على موسكوا صدر الامر بتشكيل آلاى مركب من الف نفر وثلاثين آلايا مركبا كل واحد منها من خمسمائة من خيالة باشقرد وميشر وفوض هذا الامر الى آطامان اورنبورغ مير آلاى اوغليتسقى وقد استفادت الروسية من خيالة باشقرد فى هذه المحاربة استفادة باهرة وفى سنة ١٨١٨ اذن لباشقرد ببيع اراضيهم وفى سنة ١٨٢٤ وضع النظام والقوانين الجديدة فى شأن الاراضى التى كان يسكن فيها باشقرد ومبشر وفى سنة ١٨٢٥ مات الكساندر الاول وملك مكانه اخوه نيقولاى (١) الاول وفى سنة ١٨٢٦ وضعت قوانين اعطاء البارود والفشنك لعساكر باشقرد وفى سنة ١٨٢٧ وضع النظام للتحديد بين اراضى باشقرد وبين الاراضى التى تركت للميرى وفى سنة ١٨٢٨ صدر الامر للاهالى بحمل الحكام الملقبين بكانطون على العربيات والخيل الى مقصدهم مجانا اذا قصدوه للخدمة الميرية وكانت تلك العربيات والخيول المترصدة لحملهم تسمى الاغا وفى سنة ١٨٣٢ عينت حقوق المالكية لاراضى باشقرد فى جهة اورنبورغ ووضعت فى ذلك نظامات جديدة وفى سنة ١٨٣٣ عين المعاش لائمة آلايات باشقرد

(١) وهو وان لم يكن مثل والده واخيه وجدته فى معاملتهم المسلمين الا انه لم يظهر فى عصره شئ يسيئ المسلمين وغاية ما يقال فى حقه انه هيأ طرق المداخلة الآتية منه عفى عنه.

العسكرية لكل نفر ثلاثمائة روبلة سنوية وهى عبارة عن مائته روبلة جارية آلان وفيها وضعت الاصول الجديدة لبيع اراضى باشقرد واجارتها وعينت حقوقهم فيها وفى سنة ١٨٣٤ صدر الامر باجراء الاحكام العرفية على ارباب الجناية من باشقرد وميشر وفى سنة ١٨٣٥ صدر الامر باعطاء مصاريف ٤٨ نفرا من الخزينة فى مقابلة تسفيرهم المنفيين الى سيبريا من طريق زولوتااوست وفيها قطعت ١٥٨٤٧٢ ديساتينا من اراضى ولاية سراطاو من حدود ولاية اورنبورغ بمقتضى نظام تحرير النفوس السابع وتركت لباشقرد وتركت للميرى ٨٣٧٤٩٧ ديساتينا من الاراضى فى قصبة ولسكى و٥٥٢١٥ ديساتينا فى قصبة خوالين لاجل المماليك الميرية الذين ليس لهم اراض كافية وفيها صدر الامر بترك العساكر الذين اخذوا من اولاد باشقرد وميشر لجنايتهم الى ادارات كانطون دون ان يضموهم الى آلايات عساكر كانطون فان طائفة باشقرد وميشر يعدون من العساكر الخصوصية وفى سنة ١٨٣٦ اسست الاركان الحربية الخصوصية لاجل ادارة عساكر باشقرد وفى سنة ١٨٣٧ حكم على اثنين وخمسين نفرا من باشقرد بتنزيلهم الى مسلك اخس الاصناف واعطى لهم من الاراضى ١٥ ديساتينا فقط من الارض لامتناعهم من لبس اللباس العسكرى المسمى باونيفورما وصدر الامر بدوام هذا الحكم لكل من يخالف القواعد العسكرية بعد ذلك وفيها اذن لباشقرد باخذ الحجج والوثائق من محاكم الروسية لاجل اراضيهم المشتراة بشرط ان لا يكون قيمتها ازيد من الف روبلة وفيها صدر الامر ايضا ببناء مخازن للذخائر والحبوبات فى اراضى باشقرد واقتناء الذخائر والحبوبات فيها للاحتياط وباخذ روبلة واحدة ممن ليس زراعة وفيها ايضا صدر الامر بتبليغ الاوامر المتعلقة بباشقرد الى امرائهم العسكرية بواسطة ولاية والى ولاية اورنبورغ وفى سنة ١٨٣٩ اعطى امراء عساكر باشقرد الذين حازوا ميدالية اصتانصلاو رتبة دواران (يعنى الاصالة وكشى زاده وخاندان) من طرف ادارة الميدالية المذكورة وفيها صدر الامر ان من اراد ان يسافر للتجارة والصناعة من عساكر باشقرد باخذ تذاكرا السفر من امرائهم، وفيها اعطى الحكام المسمون بكانطون من النفوذ ما يساوى نفوذ آستاناواى

وزيمسكى (يعنى حكام النواحى)، وفيها بنيت ايضا مخازن الذخيرة الاحتياطية فى دائرتى الكانطونية السادسة والتاسعة فان الذخيرة لم تكن مقدار الكفاية لقلة الزراع فيها، وفى سنة ١٨٤٢ علت نفوس الاجانب الذين سكنوا فى اراضى باشقرد فزادت على مائة الف نفس فصدر فيها الامر بان من اراد ان يسكن فيها يلزمه الاستيذان من الوالى، وفى سنة ١٨٤٣ عينت الاوصياء لاولاد باشقرد الايتام، وفيها صدر الامر باخذ الصنف الادنى من اهالى اورنبورغ وچيلابى للعساكر الخيالة، وفى سنة ١٨٤٥ وضعت اصول اخذ البدلات العسكرية من باشقرد وقيدت فى الدفاتر، وفيها وضع النظام لجمع البدلات العسكرية من طائفة باشقرد الساكنين فى الكانطونية الثانية عشر، وفيها اجريت اصول الباس اللباس العسكرية المخصوصة بعساكر باشقرد وفيها صدر الامر بحمل الحكام الملقبين بكانطون وعساكرهم الساكنين فى ولايات پيرما وواتكا الى العربيات والخيول مجانا حين سيرهم فى الخدمة الميرية وهذه الوظيفة تسمى بالاغ كمامر وتسمى فى العربية بريدا ، وفيها عين فدية الخلاص من السوق الى الخدمة الميرية وهى ثلاث روبلات لمن كان فى سن الخدمة وروبلة واحدة للصغار وامن تخلص من الخدمة، وفى سنة ١٨٤٧ وضعت على طائفة باشقرد وميشر الغرامة المسماة بغرامة الناحية، وفيها الغيت الكانطونية الاولى واحدثت فى ولايات اورنبورغ وپيرما وواتكا ثلاث عشرة كانطونية من باشقرد واربع كانطونية من ميشر وعينت بدلات الخدمة فى الكانطونية الرابعة والثانية وفيها حرر من خاز رتبة الدورانية من طائفة باشقرد وميشر من كافة المؤنات والغرامات الميرية، وفى سنة ١٨٤٨ صدر الامر بادخال طوائف قرغز وقزاق وسائر الاقوام الآسيوية فى سلك العساكر الخيالة المسماة عند الروسية بكزاچى وقزاق، وفيها صدر الامر بقبول عشرة اولاد من اولاد باشقرد الاذكياء المستعدين اشبة من شعبات المكتب الحربى فى اورنبورغ بمدة خمس سنين لتعليمهم العلوم الهندسية وعين لهم ٥٠٦ روبلة للمصارف السنوية وفى سنة ١٨٤٩ صدر المنع عن ادخال اولاد باشقرد فى سلك كانتانيست وفيها صدر الامر بتعليم علم تلقيح الجدرى لاولاد باشقرد بشرط معرفتهم

لغة الروس، وفى سنة ١٨٥٠ صدر الامر بعدم تفريق اولاد باشقرد الذين نالوا الشهادة (ديپلوما) بعد ختمهم قراءة الفنون فى واحد من مكاتيب الروسية عن الطائفة العسكرية الباشقردية، وفى سنة ١٨٥١ صدر الامر باعطاء معاشاة الامراء العسكرية والمأمورين الملكية من باشقرد من المبلغ الحاصل من بدلات الخدمة الباشقرديه الميرية، وفى سنة ١٨٥٢ الغى جميع ما كان يؤخذ من باشقرد أولا فى مقابلة الخدمة الميرية وغيرها لعدم كونها عامة لجميع الاشخاص وعين مكانها لكل شخص روبلتين وثلث روبلة (ينبغى ان يعلم هذا ليس من كافة النفوس بل من الرجال الذين لهم اراض يزرعونها دون الاناث والاولاد الذين لااراضى لهم)، وفيها صدر الامر بكون واحد من اعضاء القوميسيون الذين وظيفتهم اسكان المهاجرين فى اراضى باشقرد من عساكر باشقرد ومبشر، وفيها عين معاش مخصوص واجرة المسكن لمن كان من اولاد باشقرد فى سلك كانتانيست من آلاى اورنبورغ ولمن دوام فى شعبة علم الطب من دار الفنون فى قزان، وفيها احدثت فى بلدة اوفا محكمة مخصوصة لنظارة اراضى باشقرد واسكان المهاجرين فيها، وفى سنة ١٨٥٣ حررت كافة الامرأ والكتبة والرؤساء والعلماء من جميع المؤنات والغرامة الميرية، وفى سنة ١٨٥٥ م مصادفة سنة ١٢٧٢ﻫ مات نيقولاى اثنأ محاربة قريم وسبواستاپول المشهورة وجلس مكانه ولده الكساندر الثانى من هذه السلالة وكان حليما عاقلا مدبرا ونورا ومع ذلك لم يكن المسلمين كاسلافه القريبة بل غلبته شياطين ميسيونير حتى ابتداء فى عصره الدور الثالث كما سيجئ وهذا ما انتهى اليه علم الفقير من احوال باشقرد ومعاملة الروسية معهم فى تلك المدة بيناها على حسب اطلاعنا القاصر لكن ينبغى ان يعلم ان اراضى باشقرد التى سميت وقتاما منغربة كبرى كما مر فى المقدمة وقدبينا الآن بعض احوال اهاليها كانت واسعة غاية الوسعة ومنبتة وجيدة غاية الجودة وفيها من الغابات المشتملة على انواع الاشجار ما لا يعد ولا يحصى وكذلك فيها من الانهار الكبار والصغار ما لا يحصى كثرة الا انهم لم يقدروا قدر تلك الاراضى حق قدرها بل ضيعوها اضياع شئ لا يعبأ به بان باعوها لاسيما الغابات والمشاجر الجيدة من اعيان الروس الملقبين بآلپاوت

و باپار وغيرهم من الاغنياً بابخس قيمة واقل ثمن ولفظ البيع ايضا انما هو رعاية لظاهر الصورة والافلا بيع فى الحقيقة بل اعطوها مجانا ولم يبق منها فى ايديهم الا القليل وهذ القليل ايضا لا ينتفعون به ولا يستعملونه فى الاستعمال بل يعطلونه ويضيعون الاشجار بالاحتطاب والاحراق والبيع بادنى الثمن وهم عارون عن المعارف والصنائع حتى عن الزراعة ولا ادرى ان هذه الكسالة والبطالة والجهالة فيهم من القديم ام هى شئ حادث وقد نقلنا فى المقدمة عن علماء انتوغرافيا كونهم متجانسين لماجار فان كان هذا صحيحا فسبحان من لا يتغير ويحكم على غيره بالتغير والتبدل بالطلوع والهبوط والترقى والانحطاط ولعل انكار من ينكر القول المذكور انما هو للتفاوت الفاحش بين القبيلتين والله سبحانه اعلم وعلى كل حال فالقباحة فى ذلك فى الحكومة فانها لم تستول على اراضيهم بالحرب بل بالمصالحة وبعبارة اخرى أصح واصدق بالمخادعة ثم استخدمهم فى محافظة حدود ممالكهم الشرقية مدة مديدة اعنى الى ان حصل لها الامن من مهاجمة الاقوام الشرقية ومن اشعار قوم باشقرد فى وصف تلك المحافظة والحراسة شعر:

صقمارنك بويى قوماياق * قو ماياقنك تويى بر ماياق *

شول ماياق توبن صاقلاى صاقلاى * صارغايادر باشقرد خلاياق *

ثم لما اطمئنت من جهة الاقوام الشرقية قالت قضيت حاجتى كس امجارتى حيث شرعت فى تضييع اراضيهم وتقسيمها الى الاجانب والتعرض على دياناتهم فان المكرهين الموجودين فى اراضى باشقرد عموما ونوغايبك خصوصا من ذريات هؤلاء الباشقرد الذين قاموا بحراسة تلك الحدود فكانت ذرياتهم هدفا لتعرضاتها بعد زوال الخوف من اعدائها وحصول الامن لها من مهاجماتهم بدل ان يعاملوهم بالتى هى احسن فحرموهم من دينهم ودنياهم وقد تبين من هذا البيان معاملة الروس مع طائفة باشقرد وميشر الذين فيما بينهم فى الامور المتعلقة بالخدمة الميرية والعسكرية وتأدية الغرامة الميرية فى تلك القرون اجمالا واما معاملتهم مع اهل ولاية قزان فى هذه الامور فقد مر اعلان ايوان المدهش لاهالى قزان بانه يأخذ عنهم ما كان يأخذه خوانينهم السابقون عنهم من المؤنات وليس مبلغه معلوما لنا وقد قال الفاضل

المرجانى انهم كانوا يأخذون من كل بيت مبلغا معينا ولم يذكر المبلغ المذكور ثم قال وكانوا يكذون باتفاقهم معهم واهانتهم اياهم عند ظهور الاعداء احيانا وفى عصر پطر الاول قيدت النفوس فى السجلات وصاروا يأخذون (١) الغرامة من كل نفس من الكفار والمسلمين ويأخذون العساكر من نفوس معلومة نفسا واحدا باسم صالدات وكلفهم ايضا بخدمة لاشمان (جر السفاين من الانهر) واعداد اخشاب بلوط من الغابات لصنع السفاين علاوة على الخدمة العسكرية ثم العيت خدمة لاشمان بعد حدوث السفن البخارية (البواخر) وبقيت الخدمة العسكرية وكان الاخذ لها غير منتظم وجبريا وربما كان الذى يتوجه اليه القرعة العسكرية يهرب او يختفى فى مكان فيؤخذ مكانه غيره ظلما ولهذا كان الذى يتوجه اليه القرعة يقيد ويحبس بعد قرب وقت الاخذ لئلا يهرب وكان مدة العسكرية طويلة جدا عشرون وخمسة وعشرون سنه ثم فى سنة ١٨٧٤ قر النظام باخذ العساكر من عامة الاهالى من التتار وباشقرد واهالى حاجى طرخان سواء فيه اولاد العلماء والاغنياء والاعيان والغى اخذ البدل العسكرى الذى كان جاريا قبلها وذلك الاخذ جبرى بحيث لايمكن التخلص منه بالفرار بل يؤخذ الفار متى رجع الى وطنه ويقيد فى سلك اخس من العسكرية ويدوم ذلك الى ان يتجاوز الفار سن العسكرية والمدة قليلة والحاصل ان القواعد العسكرية فى الروسية مثل قواعد سائر الدول فيها سواء بسواء يستوى فيها المسلمون وغيرهم سوى اهل تركستان وماوراء النهر وفرغانة والداغستان وقرغز وقزاق فانه لايؤخذ منهم العسكر الى الآن واما الغرامة اعنى الويركو فانها مختلفة باختلاف الاجناس والمكاسب فاهل ولاية قزان وسمر ونيزنى ووانكا يؤخذ من فلاحيهم ضعف مايؤخذ من فلاحى باشقرد وكذلك فلاحو الداغستان وماوراء النهر وفرغانة وارباب البساتين منهم لهم اصول وقوانين على حدة واما التجار فيؤخذ منهم على حسب رتبته (٢) فى التجارة لا على حسب

---

(١) وقد مر قريبا مهاجرة اهل قزان الى اراضى باشقرد عند ذلك ورد بعض منهم بفرامان پطر الاول . منه عفى عنه .

(٢) فان التجار عنه ثلاث طبقات الاعلى والاوسط والادنى منه عفى عنه .

ثرونه يستوى فيه المسلم وغيره ولنرجع الآن الى بيان معاملة الروس المسلمين فى امورهم الدينية قلنا فيما سبق ان من لا يعرف عادة الروس وتعصبهم يحمل كلامى الى المبالغة والغلو فلدفع هذا التوهم احببت ان انقل تلك الماجريات عن بعض الطائفة المذكورة اعنى طائفة مبسيونير المثبت فى مجلة روسسكى ويستنيك بقلم بوزيغوبج وامضائه تحت عنوان النصرانية والاسلام والمجوسية فى شرق الروسية وقد الفت المجلة المذكورة فى مارت سنة ١٨٨٣ نمرة ٣ والمترجم للكلام المذكور بعض فضلاء الطلبة بقزان عربته برمته وان لزمه بعض التكرار لاتمام الفائدة واطمئنان القلوب قال النصرانية والاسلام والمجوسية فى الولاية الشرقية من الروسية يعنى ولايات قزان واوفا واورنبورغ، الاقوام الغير الروسية فى تلك الولايات ينقسمون بحسب الجنسية الى قسمين جنس تركى وهم التتار وباشقرد وتيبتر وميشر وجنس فنى وهم چواش وچرمش وموتشى (برطاس) وآرو ينقسمون من جهة الدين الى ثلاثة اقسام مسلم ونصرانى ومجوس المسلمون من جنس الترك تتار وباشقرد وتيبتر وميشر والمكرهون منهم على التنصر «٢٧٠٠٠ نفرا» فى ولاية اوفا و«٤٠،٠٠٠» نفرا فى ولاية قزان والجنس الفنى منقسم الى قسمين نصرانى ومجوسى والنصرانى من الاقوام الغير الروسية فى ولاية قزان بموجب العد والتحقيق «٤٧٥،٧٨٣» وفى ولاية اوفا «٥٥،٢٠٠» والمجوس منهم فى ولاية قزان «١٠،٥٣١» وفى ولاية اوفا «٨١،١٠٠» ولكن اذا حقق الامر غاية التحقيق لا تنطبق الارقام المذكورة الواقع من جميع الوجوه فان المعدودين من النصارى منهم لم يرفضوا المجوسية بالكلية بل لا يهربون من الاسلام ايضا (هو فى الواقع كذلك بل اكثرهم على ذلك كما سيظهره المستقبل) وابتداء احداث قوانين ادخال الاقوام الساكنين على شواطئ نهر وولغا والتشبث باسبابه كان فى عصر ايوان بن واسيلى الملقب بغروزنى (مدهش) بعد امحاء خانية قزان وضمها الى الروسية وصرامة حكومة الروسية وشدتها فى اجراء وظيفة الميسيونيرية (الاكراه والاضطهاد) لم تزل محفوظة ومنتقشة الى الآن فى قلوب الناس واذهانهم وانتشر

لقب غروزنى (مدهش) فيمابين المكرمين وبقى الى الآن مستعملا فى حكاياتهم واشعارهم وتلك الحكايات والاشعار تدل على قساوة من كانوا يباشرون امر الاكراه وشدتهم ووحشتهم لا على رفقهم وحلمهم وفضلا من ذلك عن هدم مساجد المسلمين وطردمن بقى منهم على الاسلام من بين المنتظرين منهم (واوكان منه قليلون وهؤلاء كثيرون) وعدم الاذن والمساعدة لبناء مسجد فى موضع قريب من الكنيسة وعدم المساعدة لاقامة من ابى منهم من التنصر فى موضع يريده ويحبه وفزع امثال ذلك من حقوقهم الصريحة لترويج ادخالهم فى النصرانية مفيدا ونافعا فى نظام ذلك العصر وهذه القوانين التى وضعت لادخال المسلمين فى النصرانية على هذا الوجه والطرز لم تتغير قط الى عصر ونصف عصر ولم يحدث نظام وقانون ينفع المسلمين والمجوس قط وحيث ان الاثر الذى يثبت فائدة تلك التشبثات مفقود من اصل بعسر (١) علينا بيان فائدة تلك القصورات، وانما ابتدأ تاريخ دعوة الاقوام الشرقية الى النصرانية مبنية على الاساس المتين فى العصر الثامن عشر بعد جلب آرخيباستير (٢) (٠٠٠) قزان تيخون وسيلويستر انظار الحكومة الى ذلك الامر باجتهادهما وسعيهما وبعد تشكيل جمعية الميسيونير فى محكمة ايبارخيا (٣) قزان على اصول قوية دائمية وقد احدثت فى دير بلدة ضيا وباغاروسكى فى سنة ١٧٣١ جمعية اخرى لترويج امر جمعية قزان وتقويته ودعوة مسلمى ولايتى قزان ونيژنى ومجوسهما الى النصرانية ونصب ييرا (٤) ماناخ الكسى رايفسكى المشهور بالخدمة الكثيرة فى الدعوة رئيسا لهذه الجمعية الاخرى وقد اعطى المذكور رتبة آرخيما نتريت (٥) وجعل وكيلا حقيقا من

---

(١) اذا كان بيان فوائد تلك القصورات عسيرا بينوا لنا فوائد هذه التكاليف الجارية من سنة ١٨٦٦ الى الآن ماذا حصلتم منها سوى نفرة مسلمى كافة الاقطار منه عفى عنه.

(٢) لقب رتبة من رتب الروحانيين منه عفى عنه .

(٣) محكمة مخصوصة للاساقفة فى كل ولاية من ممالك الروس منه عفى عنه.

(٤) لقب كبير الرهبان منه عفى عنه.

(٥) لقب رتبة من رتب الروحانيين ادون من رتبة اسقف " منه عفى عنه

محكمة سينود بلا واسطة واعطى الاسباب الكاملة الكافية فثابر الكسى المذكور فى الدعوة وزاد ملكته فيها وشوهد بعد ذلك رواجها وفضلا عن ذلك رتب لائحة لترسيخ النصرانية وتقويتها فيمابين الاقوام الغير الروسية على اساس متين وحصل الاذن من محكمة سينود لاعداد عشرين نفرا من غير الروس لرتبة سومشچينك (الخطابة) ممن يكون صلاحيتهم واستعدادهم للامر المذكور ازيد من صلاحية وقابلية الروس ولبناء مكتب روسى لهؤلاء مع المعلمين فيه ومصاريفهم وسائر اسباب المكتب المذكور وطلب الامتياز الخاص والعفو عن الغرامات الميرية ايضا لمن يتنصر او يجتهد فى تحصيل معارف الروس ليكونوا رؤساء الدين والداعين اليه فى المستقبل وليرغب فيه غيرهم وكان الكسى المذكور فعالا نشيطا ومثابرا فى عمله ولذلك ولاعانة الحكومة اياه راج امره وصار يترتب عليه النتيجة ولكن انقلب الامر دفعة واحدة وذلك ان ايلاريون الذى كان ينظر الى استقلال دير (مناستير) ضياوباغار ودسكى بنظر الحسد والحقد نصب ارخيپسقبا (١) على كافيدر (٢) قزان فصار من نتيجته ومقتضى سعيه واجتهاده ان وضع دير ضياتحت نظارة محكمة اپارخيا قزان بموجب فرمان محكمة سينود الصادر فى ١٩ ايونيه (حزيران) سنة ١٧٣٢ فمن هذا الوقت وقع النزاع بين ايلاريون والكسى المذكورين وكاد ان يتوقف الامر الذى بدئ به قريبا بسبب النزاع المذكور ولم يزل ذلك النزاع يزداد يوما فيوما حتى آل الامر الى شكاية ايلاريون من الكسى بانه صرف نقود طائفة ميسيونير فى غير موضعها وانتهى بخروج الكسى من خدمة ميسيونير وجمعيتهم ونصب مكانه شخص يسمى الكساندر كوزمين ولم تكن له مهارة وحذاقة فى امر الدعوة فانجر الامر بسبب الخطاء الواقع فيه الناشى من فقدان المهارة والحذاقة وعدم الدقة والاحتياط الى درجة عدم الامتياز بين جمعية ميسيونير وبين الحكومة

(١) لقب رتبة من رتب روحانى النصارى منه عفى عنه .

(٢) كنيسة مخصوصة يجرى فيها الاسقف معاملة الادخال فى النصرانية على من يريده منه عفى عنه .

الرسمية وافضى الى الشكاية الى الحكومة والنزاع والجدال فاقتضى الحال لترسيخ امر الدعوة وتقويته الى تجديد الجمعية المذكورة وتسميتها بنور كريشچينسكايا كانتورا (محكمة الاهتداء الجديدة) فصدر لاحداث هذه المحكمة فى ١١ سنتابر سنة ١٧٤٠ فرمان قطعى عال وكان الفرمان المذكور مشتملا على پروغرام متضمن لثلاثة وعشرين بندا مفصلة لبناء امور المحكمة المذكورة عليها ولحركتها وسيرها بموجبها وكان خلاصة مضمون بنوده الخمسة الاولى عبارة عن بيان لزوم السعى والاجتهاد فى ادخال النصرانية ونشر عاداتها بين الاهالى قبل كل شئ وبذل السعى والمقدرة فى تقريب المتنصرين من النصارى فى السكنى والاقامة وزرع بزر المحبة والاخوة بينهما حسب الامكان وخلاصة مضمون البنود الستة بعد الخمسة المذكورة عبارة عن بيان التدابير فى اسكان المتنصرين وتخليطهم بالنصارى حتى يحصل لهم ملكة النصرانية وعادات النصارى سريعا باختلاطهم معهم وكان البند ١٣ والبند ١٥ وما بينهما متضمنة للامر ببذل النقود والالبسة لمن دخلوا فى النصرانية قريبا وعفوهم عن الغرامات الميرية والخدمة العسكرية واعطاء النياشين والميدالية وسائر الامتيازات ومن البند ١٦ الى البند ٢٠ بين اعضاء تلك المحكمة ومواضع تحصيل الاموال اللازمة ومصارفها للامر المذكور وفى البند ٢١ والبند ٢٢ بين بناء مكتب دينى لتخريج الروحانيين للمتنصرين وصدر الامر الايمپراطورى لمحكمة سينود بتعيين الخدمة والاسباب اللازمة للمكتب المذكور وفى المادة ٢٣ بين لزوم مراجعة ناظر المحكمة المذكورة ومديرها الى محكمة السينود لتحصيل الاسباب اللازمة لها وتبديل اعضائها . ونصب ديمترى سيچينف الذى كان احد دعاة اكاديميا الروحانية فى موسكوا مديرا للمحكمة المذكورة وبعد ان شرع سيچينف فى اجراء وظيفته بالجد شرع المتنصرون فى الازدياد ولكن كلما زاد المتنصرون زاد الاحتياج الى النقد (فان تنصرهم انما كان للنقد) فاحتيج الى ادخال الناس فى النصرانية بالمواعد وقد بلغ عدد المتنصرين فى السنتين الاوليين الى ١٧٬٣٦٢ نفرا فاعطى ٧٬٤٨٠ نفرا منهم النياشين ووعد ٩٬٨٨٢ نفرا منهم بالمواعيد والامانى وفضلا عن ذلك زاد مصاريف

نقل المتنصرين من قرى المسلمين والمجوس الى مواضع اخر فغيروا نظام ذلك النقل وقابوه بان حكموا بنقل المسلمين او المجوس الباقين على المجوسية الى محال اخرى ان كان عدد المتنصرين اكثر ممن سواهم (وعندى ان هذا الشرط ظاهرى فقط وسواد فى البياض والا فقد اجروه من غير شرط) وفى سنة ١٧٤٢ نقل ديمترى سيچينف الى ولاية نيژنى نووغورد وعين مكانه سيلويستر وكان مديرا فى مكتب سيميناريا بقزان فرأى المذكور ان جريان هذا الامر انما يكون بتكثير المكاتب فبنى فى سنة ١٧٤٥ مكتبا دينيا بديرضيا وقصبة آلابوغا وسار بوكا كشايسكى ففتح بذلك التدبير طريقا جديدا لنشر النصرانية ففى ذلك الوقت شرع المسلمون والمجوس فى دعوة اخوانهم المتنصرين الى الرجوع الى دينهم السابق يعنى الاسلام والمجوس فوقع بذلك السبب نزاع وجدال قوى بين الاهالى وطائفة ميسيونير ولم يرتفع هذا النزاع بالفرمان العالى الايمپراطورى الصادر فى سنة ١٧٤٧ (ومضمونه عبارة عن اجراء مجازاة شديدة على من يقاوم طائفة ميسيونير) وعلى كل حال بلغ عدد المكرهين على قبول طائفة ميسيونير الى سنة ١٧٤٩-٢١٧،٢٥٨ نفرا من الرجال والنساء من اقوام شتى ولكن شرع المتنصرون من ذلك الوقت فى الرجوع من النصرانية الى اديانهم السابقة وسببه المستقل هو دعوة المسلمين واجتهادهم فى ذلك وازدياد عدد مساجدهم وشروعهم فى بناء المكاتب والمدارس فجلب رجوع المتنصرين الى الاسلام هكذا انظار الحكومة واضطرها الى منع ذلك الرجوع بطرق شتى كالوعظ والتهديد والترغيب والترهيب والوعد والتشديد بل بالعقاب الشديد ولكن كل هذا الاجتهاد والسعى والتدبير والتشديد لم يجدى شيئا سوى سعى المتنصرين فى الرجوع الى الاسلام سعيا بليغا وصارت مساعى طائفة ميسيونير محبوطة فلم يجدوا للتشفى بالانتقام من الاسلام والمسلمين شيئا سوى هدم مساجدهم التى هى مواضع عبادة الله الواحد القهار فوضعوا لذلك نظاما لا يليق بغير الروس من بنى البشر على وجه الارض وهو هدم المساجد القريبة من المحكمة السالفة الذكر وشرعوا فى اجرائه بغاية السرعة وهدموا مساجد كثيرة وصارت نتيجة الامر المذكور

تداخل (١) سائر الدول لسياسة الروس واعتراضهم عليها فبدل النظام المذكور الى نظام آخر وهو الاذن ببناء المسجد فى موضع يبلغ عدد المسلمين فيه ٣٠٠ او ٢٠٠ عائلة وفى سنة ١٧٤٩ شرع فى اجراء وظيفة المحكمة المذكورة بالجد والصرامة والشدة اسقف قزان لوقا الكناشى وطفق يرش الملح فى جروح المسلمين وابدى لهم من العداوة مالم يبده احد قبل وانك لايزال يذكر اسمه القبيح بالسؤ بين المسلمين وكان اول ما بدأبه تكثير الكنائس ثم جمع ابناء المسلمين فى المكاتب الاربعة المذكورة سابقا وقد اجرى عليهم ما اراد وحكم فيهم بما يشاء فشرع المسلمون فى تقديم العرائض الى محكمة سينود قائلين بان الكناشى يكره ابناءنا على التنصر ولكن من يسمع شكواهم ومن يقبل عرائضهم وهل يسمع رؤساء السباع شكوى الشياه من الذئاب وهى آمرة باكلها وراضية به ومع ذلك صدر الامر فى ٤ الكانون الاول (ديكابر) من سنة ١٧٥٠ بان من اراد التنصر فليقدم العريضة اولا ثم يقبل والتزم كون تلك العرائض بلغة الروس على ماهو الرسم هناك فانتج هذا الامر وشبهة اجبار طائفة ميسيونير الى التنصر نزول عدد المتنصرين الى درجة الصفر يقول راقم هذه الحروف هكذا نقل عن المقالة المذكورة وليس فيه مايعد اكراها فى الشرع وفى الحقيقة لم ينحصر الامر فى ماذكر فقط بل صدر للاكراه افظع انواع القتل كما ذكرنا والمقالة المذكورة محررة بغاية الاختصار لكتم فضائحهم وشنائعهم وستر عوراتهم وما ارتكبوه من الفضائح مركوزة فى الخواطر مذكورة فى الالسن على سبيل التواتر لاسبيل للانكار وقد بنوا لهذا الغرض الفاسد مكتبا مخصوصا فى قلعة زى ايضا وجرى فيه من الفضائح ما تقشعر منه جلود السامعين وقد بقى بعض ماكنت اسمعه من والدى وسائر الشيوخ رحمهم الله من ماجريات المكتب المذكور فى صغرى وقد شاهدت فى قربها شرقها او غربها حين صباوتى بعض الخنادق وكان والدى رحمه الله يخبرنى بانه احدث من طرف الاهالى حين قتالهم بالروس دفعا لشرهم وامتناعا عن اكراههم وبقرب قصبة منزلة قرية للمكرهين تسمى قدرك وقد سمعت

---

(١) ولم اطلع على كيفية تلك المداخلة منه عفى عنه .

من والدى رحمه الله ومن غيره مرارا ان الروس جمعوا اهالى تلك النواحى فى ساحل نهر منزلة واحاطوا بهم من كل الجوانب وبنوا على النهر المذكور بيتا فوق اخشاب كبار طوال معترضة عليه وجعلوا له بابين من جانبى النهر وادخلوه الناس فرادى من احد البابين واكرهوهم على التنصر فمن قبل اخرجوه من الباب الآخر ومن لم يقبله قتلوه ورموه فى النهر المذكور فامتلاء النهر من جثثهم وعجز عن الجريان فتشكلت القرية المذكورة من هؤلاء المكرهين وسمعتهم يقولون ان الروس انما جاؤا بالاكراه الى ذالك الحد والخنادق المار ذكرها ثم اعادتهم طائفة باشقرد على اعقابهم خاسرين ودليل صحة هذا الكلام عدم المكرهين هناك سوى القرية المذكورة وسوى قرية تسمى نارالة آستى واهالى كلا القريتين من اقبح خلق الله واما قرية بكاكلشر فقد كانوا ثابتين على الاسلام وقد صدقت اسلاميتهم رسميا منذ عهد قريب وكذلك ما حرر فى المقالة المذكورة من احوال الاسقف لوقا الكناشى ليس هو عشر عشيرها فقد صدر عن الملعون المذكور فى حق الاسلام والمسلمين ما يعجز القلم عن وصفه وقد بين الفاضل المرجانى بعض قبائحه على خوف من حكومة الروس حيث قال وفى سنة ١١٥٣ (١) (يعنى هجرية مصادفة لسنة ١٧٤٠ م) ظهر لوقا بن فناش اسقف قزان وجمع جموعا من الروس وشرع فى تضييق المسلمين فى باب الدين وتعرض للمساجد والمنائر بالهدم وعلق فى بعض المواضع صلبانا واكره المسلمين على اتخاذها وقبل بعض اهل القرى تكاليفه فى الظاهر على الكره منهم فقام من اهالى ذلك العصر الملا ايشبولاد وجمع جمعا من المسلمين وحارب معهم الملاعين المذكورين واشتهر صيته بين الناس وبقى ذكره بين المسلمين الى الآن وصار يضرب بعصره المثل ويقال ابن عصر الملا ايشبولاد وعلى

---

(١) هكذا فى نسخة تاريخه القلمية وفسر نقلا من المقالة المذكورة سابقا ان شروع لوقا فى الامر انما كان فى سنة ١٧٤٩ م واما النسخ المطبوعة فقد اسقطت هذه الجملة برمتها وكتب بعض اعزة الافاضل نقلا عن بعض المجامع وفى سنة ١١٥٥ هدمت المساجد فعند ذلك كتب محمد كراى بن سلامت كراى اخو احلام كراى الثانى الى ملك الروس الكسى بن ميخايل انك امرت بتخريب المساجد واحرقت المصاحف ونصرت ارسلان الكرمانى وعندنا كثير من النصارى لانفعل شيئا من ذلك ولا السلطان اه منه عفى عنه .

ما اشتهر بين الناس عزل الاسقف المذكور وحبس فى دير ضيا ومات فيه والمشهور بين الناس ايضا ان وجهه انقلب على قفاه واشتهر هذا الامر ايضا فيما بين الروس وصورت صورته على الكيفية المذكورة وبيعت من الناس مدة مديدة ثم صدر المنع من طرف الحكومة عن تصويرها وبيعها سترا لعوراتهم وصارت وقعة الاسقف المذكورة باعثة على بناء يكابسنه اه كلام المرجانى بتعريبه ولم ادر باى كيفية بنيت يكابسة فى عصره وقد تقدم فى اواخر المقصد الاول ان الاسقف المذكور هدم مقدار سبعين اثرا من الآثار الباقية فى بلدة بلغار والظاهر ان الملعون بقى الى عصر يكاترينا الثانية فختم به امر الاكراه الظاهرى فان الاكراه بالكيفيات المذكورة سابقا ارتفع فى عصرها **قال** فى المقالة المذكورة بعد القول السابق و فى ٦ آپريل سنة ١٧٦٤ صدر الامر من طرف يكاترينا الثانية بالغاء محكمة نوو كريشچينسكايا (محكمة الاهتداء الجديدة) وابطالها فبقيت الوظيفة الميسيونيرية بعد ذلك فى سائر الجمعيات فقط فلو لم تلغ المحكمة المذكورة لترقت امور طائفة ميسيونير **يقول** راقم هذه الاحرف قدمر فى اوائل هذا الكلام ان دور الاكراه والاضطهاد وانواع الفتن والمحن امتدمن زمن ايوان المدهش الى زمان يكاترينا الثانية وانها هى التى رفعت تلك الامور واعطت التوسعة للاهالى فابتدأ بعد ذلك الدور الثانى الذى هو دور التنفس والراحة الخ وحيث انها مشهورة بين اهالى تلك البلاد بالعدالة وحسن السياسة واسمها مذكورة فى السنتهم بالتعظيم والاحترام الى الآن لابد منا من(١) ذكر بعض معاملاتها الحسنة اللينة مع المسلمين وان تلك المعاملات على اى شئ مبنية **فاقول** وبالله التوفيق لاشك ان يكاترينا الثانية رفعت امر الاكراه فى الدين على الطرز المذكور رفعا تاما واعطت المسلمين فى اظهار شعائر دينهم فى اى محل كان الحرية واذنت ببناء المساجد بل بنت المساجد فى بعض المواضع من الخزينة الميرية ولم تقبل شكاية متعصبى الروس فى ذلك بل لم تسمعها قط **قال** الفاضل المرجانى اهل بلدة قزان عاشوا بلا مسجد منذ عصر ايوان المدهش

---

(١) ثم نعود بعد ذلك الى اتمام المقالة الميسيونيرية وماجرياتهم بعد زمان يكاترينا منه عفى عنه .

الى عصر يكاترينا الثانية وانما كان لهم مسجدان فى يكابسة مبنيان من الخشب واما اهالى نفس بلدة قزان فلم يكن لهم مسجد الابناء مصنوع من الالواح كان يعبر عنه بصلاش وذلك لعدم المساعدة من طرف الحكومة ولما قدمت يكاترينا الثانية الى بلدة قزان فى سنة ١١٨١ هـ طلب المسلمون منها المساعدة فى بناء المساجد فاجابتهم الى ملتمسهم واعطتهم ما طلبوا وساعدتهم فى بناء المساجد واجراء مراسمهم الدينية بكمال الحرية فشرع فى بناء الجامع الاول (وهو الجامع الذى صار الفاضل المرجانى اماما فيه فى عصره) وتم بناؤه فى سنة ١١٨٤ ثم بنى الجامع الثانى (وهو المشهور بجامع كريم حضرة) ثم بنيت البواقى بالتدريج ولما بنى الجامعان المذكوران قدم بنيا مين (١) اسقف قزان فى العصر المذكور عريضة للحكومة قال فيها ان مع وجود مسجدين للتتار (فى يكابسة) كيف يساعد لهم فى بناء مساجد اخرى وقد بنوا مسجدين آخرين من الحجر وبنوا لهما منارة عالية يصعدون فيها كل يوم مرارا وينادون الله الله ويزعجون الناس وفضلا عن ذلك ان احدهما قريب من كنيسة چيتيرى ايوانكيلست والآخر من كنيسة ايلزابت فلاى شيء يعطون تلك الوسعة مع كونها منافية ومخالفة للفرمانات الصادرة فى سنة ١٧٤٩ وسنة ١٧٥١ وسنة ١٧٥٣ المشتملة على منعهم من بناء المسجد واختلاطهم مع المتنصرين وشراء املاكهم وعقاراتهم وهم يعنى المسلمين يخالفون تلك الفرمانات بالكلية ويرجع المكرهون الى دينهم السابق (الاسلام) فان كان ولا بد من الاذن ببناء المساجد كان الانسب ان يؤمر وابينائها فى مواضع بعيدة عن البلد وبغير منارة فخالفه والى قزان فى العصر المذكور كباشين صمارين واشار الى يكاتيرينا بامضاء حكمها السابق ومال الى طرف المسلمين باى سبب كان فقالت يكاتيرينا جوابا لعريضة الاسقف المذكور انا لا اقدر على اجبار كافة الخلق الذين خلقهم الله سبحانه على طبائع مختلفة على دين واحد ومنعهم عن غيره وليس هو وظيفتى وحكمى جار على وجه الارض لا على جو السماء فليس المنع من بناء المنارة فى الجو من شأنى فلينادكل احد ربه باى لغة شاء ومطلوبى ان يعاشر رعاياى من

(١) كذا فى الاصل المنقول عنه منه عفى عنه .

النصارى والمسلمين وان يعال بعضهم بعضا بحسن المعاشرة والمعاملة والمجاملة وان يطيعونى فيما آمرهم به من المصالح التى يعود نفعها الى الدولة والملة وان يعيشوا بتمام الراحة بلا مضايقة واصدر هذا الامر الى محكمة سبنود فحكم فى المحكمة المذكورة للمسلمين على الاسقف المذكور فى سنة ١١٨٧ هـ فصار المسلمون بعد ذلك يبنون المدارس والمساجد كيف شاؤا واين شاؤا بعد ان منعوا عن ذلك ازيد من مائتى سنة ومساعدة يكاتيرينا بذلك يمكن ان تكون من طرفها ابتداء ويمكن ان تكون بناء على طلب الاهالى واستدعائهم اياها بواسطة العرائض وقد سمعت الشيخ الفاضل فخر الدين النورلاطى عليه الرحمة انه كان يقول ان المسلمين لما سمعوا عدالة يكاتيرينا حين كونهم فى اشد المضايقة واضطهاد فى امر الدين من طرف مأمورى الروسية طفقوا يرسلون الوكلاء بالعرائض من طرفهم الى بطربورغ يشكون فيها ما بهم من المضايقة والتشديد ويسترحمون ان تزيلها وترفعها عنهم ولكن لقى هؤلاء الوكلاء اشد المقابلة والمدافعة واقبح المعاملة من طرف النظار والوزراء ولم يقدروا ان يصلوا الى يكاتيرينا وذلك انهم اعنى الوزراء كانوا يرمونهم فى اضيق المحابس واشدها ظلاما فكانوا يعذبون فيها بالجوع والعطش وانواع العذاب الى ان يموتوا وكانت يكاتيرينا تفتش المحابس والسجون وتسأل عن احوال المسجونين دائما ولكن الوزراء كانوا يكتمون محبس هؤلاء المساكين عنها ولا يظهرون امرهم لها فلم يكن لها خبر عنهم وانما كان محبسهم فى زاوية مجهولة من زوايا سائر المحابس ولم يكن له طاقة سوى منور صغير فاتفق ان واحدا من العساكر المسلمين وقع له نوبة حراسة السجن فاطلع على امرهم فامرهم بتعليق جرس صغير بجنب المنور وربط الحبل به وارخاء طرف منه الى الخارج من المنور المذكور وقال اذا جاءت الامبراطورة لتفتيش السجون ووصلت الى هذا الحجر الحبل فمتى سمعتم صوت الجرس صيحوا مرة واحدة صيحة عظيمة ففعلوا فسألت يكاترينا عن الصياح واصحابها فحاول الوزراء كتم الامر ولكن العسكر المذكور بين حقيقة الامر وكشف القناع عن وجه القضية فامر بفتح باب محبسهم فاذا بعضهم ماتوا وبعضهم فى حالة

النزع وبعضهم طائح على الارض والذى هو احسن حالا اصار وجهه مثل الكهرباء فامرت باخراجهم واستنطقتهم فبينوا لها حقيقة الحال فلما اطلعت على فاعل ذلك الامر الشنيع ومرتكب هذا الحال الفظيع من الوزراء بعد التحقيق امرت بقتله باشد القتل وافبحه ليكون عبرة لغيره واعادت المسلمين معززين مكرمين نائلين مرامهم ثم نشرت الفرمانات بالغاء المحكمة المذكورة الملعونة ومنع الاكراه والاضطهاد واعطاء الحرية فى اجراء امور الدين كما شاؤا هكذا سمعت من الشيخ المشار اليه اثبته هنا كما سمعته غير اعتقاد صدقه وكذبه ولا يستبعد فى ذلك العصر غير مادة قتل الوزير ومما ينبغى ان يعلم هنا ان المكرهين وان طلبوا الرجوع الى دين الاسلام بتقديم العرائض الى يكاتر ينا الا انها لم تساعدهم فى ذلك بل امرهم بالبقاء على ما هم عليه ولعل هذا لخوفها من ثوران الروس عليها ومما يؤثر عنها ايضا بناء محكمة الجمعية الاسلامية وذلك ان المسلمين كانوا فى نصب الائمة والمدرسين والمؤذنين وبناء المكاتب والمدارس والمساجد سوى المواضع المستثناة وهى التى قربت من اماكن المكرهين ومن المحكمة الملعونة المذكورة وغير بلدة قزان مخيرين غير مكلفين بالاستيذان من الحكومة فى تلك الامور وكانوا يبنون المساجد والمكاتب والمدارس فى اى موضع شاؤا غير تلك المواضع المستثناة على اى وضع وهيئة كانت صغيرة او كبيرة قلت الاهالى او كثرت وكانوا ينتخبون الائمة والمدرسين والمؤذنين بكمال الحرية كيفما شاؤا ولم يكونوا مكلفين بأخذ الفرامين والمناشير لتلك المناصب الدينية من الحكومة ومتى لم يرضوا من افعال بعض الائمة والمدرسين ولم يعجبهم احواله كانوا يعزلونه وينصبون مكانه غيره وكانت الحكومة لا تتداخل فى ذلك قطعا كانها لا تعبأ بهم وكانت الائمة والمدرسون هم الذين يباشرون تقسيم التركات وفق الشريعة من غير مداخلة من جهة الحكومة اصلا ولما الفت يكاترينا تلك المحكمة الملعونة ومنعت متعصبى الروس وشياطينهم من اكراه المسلمين واضطهادهم فى امر الدين رأت ان تبنى محكمة تنظر اعضاؤها وافرادها فى امور المسلمين وتضبطها فبنت تلك المحكمة فى بلدة اوفا التى

هى اكثر الولايات مسلمين وسميت تلك المحكمة بمحكمة دوخاونای صبرانيا يعنى محكمة الجمعية الاسلامية وحيث كانت بلدة اوفا تابعة لولاية اورنبورغ غير مستقلة سميت تلك المحكمة بمحكمة الجمعية الاسلامية الاورنبورغية ثم لما انفصلت بلدة اوفا من ولاية اورنبورغ وصارت ولاية مستقلة بنفسها لم تتغير النسبة السابقة بل دامت الى الآن حيث يقال لها محكمة الجمعية الاسلامية والادارة الشرعية المحمدية الاورنبورغية عادة ورسما وكان صدور الامر والفرامان عن يكاتر ينا ببناء المحكمة المذكورة فى ٢٢ ستابره سنة ١٧٨٨ وتأسيسها وفتحها اول مرة فى بلدة اوفا فى ٤ ديكابر سنة ١٧٨٩ المصادف ٤ ربيع الاول من سنة ١٢٠٤ ه وكان ذلك بمعرفة والى ولاية سنبر واوفا البارون الجنرال ايغلستروم وتقديمه لائحة فى ذلك الى يكاترينا اوّلا حسب استشارتها فى ذلك اياه وهذه صورة تعريب خلاصة فرامان يكاترينا جنرال ايغلستروم قد قبلت لائحتك التى قدمتها ينبغى ان يعرف استحقاقية الائمة وسائر رؤساء روحانية الشريعة المحمدية لمناصبهم بواسطة الامتحان وان يكون نصبهم وتعيينهم لتلك المناصب بفرامان ومناشير مصدقة من طرف مأمورى الولايات وولاتها ماداموا فى ... لكننا وتحت ادارة حكومتنا نأمرك ان تخرج هذ الامر الى الفعل وان تفتح فى بلدة اوفا محكمة جمعية روحانية الشريعة المحمدية بحيث تكون كافة علماء المسلمين (١) تحت ادارتها ونظارتها وتعيين العلماء وتنصيبهم بالامتحان الى مواضع اخرى حسب اللزوم والاحتياج ويعطى لهم المناشير من طرف مأمورى الولايات ويكون النظارة فى اخلاقهم وسائر حركاتهم وسكناتهم لمأمورى الولايات ايضا وقد وجهت رياسة الجمعية المذكورة من طرفنا لجناب آخوند محمدجان الحسينى بعنوان المفتى اكراما منا اياه وينتخب اثنان اوثلاثة من علماء ولاية قزان ليكونوا اعضاء الجمعية المذكورة مع المفتى ويعين لكل واحد من

(١) وكان المسلمون فى ذلك الوقت تحت حكومة الروس منحصرين فى التتار والباشقرد والميشراعى بهم القوم الذين يقال لهم فى خارج ممالك الروسية اهل قزان واما غيرهم فلم يكن تحت حكومة الروسية فى ذلك الوقت سوى النزر اليسير من اهل داغستان الساكنين فى ساحل بحر الخزر. منه عفى عنه.

الاعضاء مائة وعشرون روبلة (ريالا مسكوبيا) معاشا سنويا وقد فوضنا هذا الامر اليك فاعلنه الى الولايات التى فيها المسلمون صدر فى بلدة بطربورغ فى ٢٢ سنتابر سنة ١٧٨٨ م ففتح الجنرال المشار اليه المحكمة المذكورة فى العام الثانى من التاريخ المذكور على ما مر ثم عرض على يكاترينا هذه العريضة، الى صاحبة المرحمة للجميع حضرة امبراطوريتنا الكائنة فى مقام الامبراطورية العالى بناء على فرامانكم العالى الصادر فى ٢٢ سنتابره من العام الماضى فى خصوص تأسيس محكمة دينية لتبعتكم المطيعين المحمديين فتحت المحكمة المذكورة وعينت لها اعضاء هم المفتى الذى عينه حضرتكم وثلاثة اشخاص انتخبوا من علماء ولاية قزان بمعرفة والى ولاية قزان ووالى ولاية واتكا وهم فلان وفلان وفلان فقبلت هؤلاء الاعضاء وصدقت عضويتهم من طرفى ففتحت محكمة الجمعية الشرعية المحمدية فى حضورى فى هذا اليوم وفوضت الى المشار اليهم وعينت لها من طرفى سركاتب وسائر الكتاب وعينت ايضا مقدار المبلغ اللازم لمصارف المحكمة المذكورة وقدقدمت الجداول المحتوية لبيان اعضاء المحكمة المذكورة وافرادها وبيان نظامها واصولها وغير ذلك مع هذه اللائحة ويؤخذ المصاريف العموميه للمحكمة المذكورة من المحكمة العليا ببلدة اوفا حسب الفرامان العالى حرر فى بلدة اوفا فى ٤ ديكابر سنة ١٧٨٩ م بارون ايغلستروم . وهذه المحكمة سوى من ذكروا من الاعضاء سركاتب وسائر الكتبة وترجمان وبواب وهؤلاء الكتاب والترجمان كانوا اولا من الروس والآن جلهم بل كلهم من المسلمين وقوة هذه المحكمة محدودة فى الغاية ليس لها شىء من الامتياز وكان هذا اعنى عدم كونها مالكة لشىء من الامتياز شرطا فى اول تأسيسها وكانت فى اول تأسيسها تحت نظارة وكالة النظارة الداخلية والآن هى تحت نظارة الداخليه بلا واسطة فهى مساوية للمحاكم الكائنة تحت ادارة النظارة الداخلية كمحاكم ولاة الولايات ووظيفة الجمعية المذكورة النظارة لاصول العبادة والتفتيش عنها ورؤية دعاوى النكاح والطلاق وما يقع بين الزوجين مما يتعلق بالشريعة والتفتيش عن اسباب عدم اطاعة

الاولادلوالديهم ورؤية الوصايا والحكم فى الاوصياء وتقسيم المواريث والحكم فى تلك الموادبشرط ان لاتكون المواد التى يراد الحكم فيها مخصوصة بالمحاكم الملكية وغير متعلقة بالاموال وموجبة للجزاء الشديد والافيحال الحكم على المحاكم الملكية وكذلك الزنا ودواعيه ومايتعلق بالنكاح اذا تجاوز الجزاء فيها من حد التوبة يحال الحكم فيها على المحاكم الملكية ومن اهم وظائفها تعيين الائمة والخطباء والمدرسين والمؤذنين فى المواضع اللازمة ونصبهم بالامتحان والبحث والتفتيش عن احوالهم واخلاقهم وسائر حركاتهم وسكناتهم وانهم كيف يؤدون خدماتهم المختصة بهم وكذلك عزلهم موقتا ومؤبدا وتعيين الاجزية عليهم على مقدار عيوبهم وجناياتهم بعد التحقيق والتدقيق ولكنها لاتنفرد فى مادة العزل بل تباشرها بواسطة محكمة الوالى الا ان المحكمة المذكورة ليس لها ان تبطل حكم الجمعيه المذكورة بل اذا لم يرض احد بحكم الجمعية المذكورة فله ان يعرض امره على الوالى ثم ان الوالى يراجع الجمعية بموجب ما فى العريضة من الشكاية فيرفع جوابها مع سائر المعلومات التى جمعها فى الخصوص المذكور الى نظارة الداخلية. وكيفية الامتحان ان اهل محلة اذا احتاجوا الى امام اومؤذن اوخطيب اومدرس ينتخبون واحدا من اهل العلم من طلبة المدرسة مثلا لتلك المناصب ويجمعون مضبطة ممضاة بامضائهم مصدقة لانتخابه لها فان لم يتفقوا على شخص فالعبرة حينئذ بالثلثين ويشترط فى جمع تلك المضبطة كونه فى حضور حاكم يلقب بورلصنوى ومختارى القرية اذا كان فى القرى ولايجوز ان يكون فيها امضاء احد من سائر المحلة ولا امضاشخص يسكن مع ابيه ولو كان كبيرا ولا امضا صغير مع وجود كبير والحاصل شرطها ان يكون من كل بيت امضاء واحد فقط بشرط ان يكون ذلك الواحد كبير العائلة فاذا جمعت المضبطة مطابقة لهذه الشروط تصدق من طرف حاكم ملقب بورلصنوى او من طرف محكمة البوليس او من طرف حاكم البلد ثم ترسل الى محكمة الوالى فان وجدت هناك موافقة للنظام ترسل منها الى الجمعية الشرعية المذكورة فتدعو المرشح لتلك المناصب الى بلدة اوفا وتمتحنه ثم ترسل

الامر الى نظارة الداخلية حسب مايظهراوا استحقاقه من الامامه او الخطابه او التدريس فيجيء له المنشور من النظارة حسب انهائها بواسطة ولاة الولايات فان وقع اختلاف بين اعضاء الجمعية يعتبر طرف الاكثر فان تساوى الطرفان يرجح الجانب الذى فيه الرئيس اعنى المفتى ولاعبرة بطرف المفتى وحده والمفتى يعينه الان نظارة الداخلية ويصدقه الامپراطور ويعطيه الفرامان وقدمر ان المفتى الاول محمدجان عينته الامپراطوريتسه يكاترينا بنفسها وربما كان غيره ايضا كذلك واما انتخابه من طرف الاهالى فلم يسبق له مثيل الى الآن ولم يندرج ذلك فى فرامان يكاترينا وان اشتهر بذلك بين الناس نعم ذكر بعض الاعزة من فضلاء هذا العصر ان هذا اعنى تفويض انتخاب المفتى الى الاهالى كان مندرجا فى الدستور الذى نظم ورتب فى عصر امپراطور الكساندر الثانى سنة ١٨٥٧ (١) فى القسم الاول من الجلد الحادى عشر الذى طبع قبل الطبع الاخير الا انه لم يعمل به فى عصره ايضا بل بقى سوادا فوق بياض الى ان مسح ورفع مرة واحدة فصار من قبيل شريعة نسخت قبل العمل بها واما القضاة فينتخبون من العلماء بمدة ثلاث سنين وحق الانتخاب قيل كان للوالى وقبل كان للاهالى وقدمر ان تعيين القضاة الاولين كان من طرف والى قزان ووالى واتكا ولايخفى ان الولاة لامعرفة لهم بمن يستحق العضوية بدون الاستعانة من الاهالى بمراجعتهم فيه والسؤال عن المستحقين وهذا الاختلاف انما هو فى وجود

(١) هكذا قال والحال ان تنظيمه وترتيبه فى ايام نيقولاى اول وطبعه فى عصر الكساندر الثانى والعبارة المكتوبة على ظهره هكذا :

Сводъ законовъ россійской Имперіи повелѣніемъ Государя Императора Николая перваго составленный изданіе 1857 года.

ولكنه فى انتخاب وكيل المفتى والاعضاء المسمين بالقضاة وهاك عبارته:

1236 Кандидаты для занятія мѣста муфтія избираются магометанскимъ обществомъ и одинъ изъ нихъ по представленію Министра Внутреннихъ Дѣлъ утверждается высочайшею властію. 1817 окт. 24 (29106) 152, 1832, ср. 2 - 5126.

1237 Члены духовнаго собранія также, избираются магометанскимъ обществомъ. Каждый на три года и утверждаются мѣстнымъ начальствомъ, 1 1792 авгус. 17 (17146).

الفرامان فى ذلك وعدمه من طرف الامپراطور فقبل بوجوده وقبل بعدمه والافلاشبهة لاحد فى كون الانتخاب فعلا بين الاهالى وجريانه كذلك مدة مديدة وسنين عديدة فى بلدة قزان فى محكمة مخصوصة بالمسلمين تسمى راطوشجه فى حضور رئيس المحكمة المذكورة وشيخ العلماء الملقب بآخوند وبعد الغاء المحكمة المذكورة اثناء محاربة قريم جرى امر الانتخاب فى محكمة كوتوال فى حضور رئيس المحكمة المذكورة ورئيس الضبطية من الروس وآخوند من المسلمين فبذلك صار هذا الانتخاب شبيها بالرسمى ولم نقل انه رسمى لعدم علمنا بالفرامان (١) ثم فى سنة ١٨٨٩ م حول امر الانتخاب على اختيار المفتى فقط من غير مراجعة احد من الاهالى وقد قال الفاضل المرجانى ان الامر كان كذلك فى اوائل الاحوال كان المفتى يكتب (لعل الى الوالى) بان فلان وفلان وفلانا فاليرسلوا اعضاء لمحكمة الجمعية الشرعيه المحمدية فكان يرسلون بعد تصديق نظارة الداخلية بعضويتهم وعلى كل حال لايكون الاعضاء اعضاء الابتصديق نظارة الداخليه وجميع الضبط وكتابة الدفاتير والفرامان والاعلانات فى تلك المحكمة اعنى محكمة الجمعية الشرعية المحمدية جارية بقلم الروس ولغته لكونهما قلماولغة رسميين وربما ينشر بعض الاعلانات بلغة التاتار وقلمه وربما ينشر بكليهما ثم لايخفى ان الباعث على احداث يكاترينا هذه المحكمة مع كونها محبة للمدنية والمعارف ونشرهما وارباهما ومبغضة للظلم والعدوان ومائلة الى بث العدل والامان بين رعاياها الصادقين المطيعين ليس هو مجرد هذه الامور بل هناك شيئ آخر هو الغرض الاصلى لاحداثها وذلك انها لما عزمت على محاربة الدولة العلية واستخلاص شبه جزيرة قريم من يدها وضمها الى املاك الروسية اقتضت هذه الحالة استمالة قلوب رعاياها وجلب محبتهم الى نفسها ولاسيما المسلمين الذين هم متحدون بالدولة العلية وباهالى قريم جنسا ودينا ومذهبا ولغة لئلا يحدثوا اختلالا داخليا بانضمامهم اليهم وربما توهمت قيام اهل آسيا من القزاق واهل

---

(١) ومرادنا بالفرامان الفرامان المخصوص والافقد علمت وجوده فى الدستور والقانون منه عفى عنه .

بخاری وفرغانة وخوارزم وهجومهم الى الروس بتشويق الدولة العلية ايامهم فتكون الروسية محاطة بالمخاطرات الخارجية والمشاكل الداخلية ايامهم وهذا الذی توهمه وان كان بعيداً بل محالا من الدولة فی ذلك الوقت بكونه من قبيل نهوض المحتضر وحركة الميت الا انها لما كانت متلبسة به نفسها فی حق النصاری الذين تحت يد الدولة العلية كالصرب واليونان حيث كانت محركة ومشوقة اياهم ضد الدولة قاست الدولة نفسها وان كان قياسا مع الفارق وتوهمت التوهم المذكور لكونها عميقة الفكر ومتمسكة بالحزم وعاملة بقول الشاعر شعر: ولا تحقرن كيد العدو فربما * تموت الافاعی من سموم العقارب * ولو فرضنا انها لم تتوهم لا قيام هذا ولا هجوم ذلك فاحداث المحكمة المذكورة لجلب قلوب مسلمی آسياليس بشیٔ ولم يكن ما ارتكبته لتحصيل هذا الفرض منحصرا لذلك بل بنيت فی بلدة اورنبورغ كاروان سرای ومسجدها وكذلك مسجد بلدة طرويسكی فی المحلة الاولی ومسجد ورخنوی اورالسكی ومسجد پطرپاول ومناونای (سوق المعاوضة) باورنبورغ من الخزينة لتحصيل هذا الفرض المذكور حتی قال بعضهم انها خصصت واردات ميناونای (سوق المعاوضة) الكائنة فی اورنبورغ وطرويسكی لمصارف المسجدين المذكورين بهما ولم تكتف بذلك بل اصدرت فرامانا فی خصوص ارسال العلماء من اهل قزان الی بادية قزاق باعطاء المعاشات اياهم من الخزينة[*] لنشر العلوم والمعارف فيما بين اهلها

نقل هذا الفاضل المحترم عبد الرشيد افندی الابراهيمی فی چولپان عن جريدة ترجمان عن جريدة ولاية اوفا بل لها سوی ذلك من المآثر السياسية فقد قيل ان مدرسة ملا ابر نظر ببخاری بنيت بمالها وامرها وذلك ان الملا ابر نظر لما ذهب الی پطربورغ سفيرا من طرف امير بخاری فی ذلك الوقت ووصف ليكاترينا حسن بلدة بخاری وكثرة مدارسها وعلوها وجسامتها ارادت ان تبنی فيها مدرسة من مالها فاعطت السفير المذكور لذلك الفرض مبلغا جسيما وامرت ببناء مدرسة ببخاری تكون اكبر جميع مدارسها واحسنها فغشها الملا ابر نظر وبنی هذه المدرسة المنسوبة اليه الآن فارسل يكاترينا بعد تمامها سفيرا من طرفها الی بخاری ليعاين مدرستها

فاراه الملا ابرنطر مدرسة كوكلتاش التى بقربها وقال انها مدرستها التى بناها من مالها سمعت هذا من مولانا الشيخ فخر الدين النور لاملى عليه الرحمة والغفران والعهدة فى ذلك عليه وعلى كل حال فانها تمكنت بمثل هذه السياسة المبنية على الفكر المتين بالعقل الرزين من دفع هجوم اهل آسيا على الروسية وازالة نفرتهم عنها التى زرعتها اسلافها منذ قرون متطاولة وجلب محبتهم ومحبة رعاياها المسلمين اليها والحاصل انها تمكنت بسياستها الحسنة من استجلاب فوائد للروسية ونيل جميع بغيتها وكافة نواياها من غير اراقة قطرة دم بحيث لولاها لما امكن تحصيلها باستعمال القوة العميا ولو ضحيت فى سبيلها ملايين من العساكر وصرفت خزاين دقيانوس مع كون هذه الامور سطحية ومحدودة فى الغاية الا ان اهل آسيا لما كانوا فى غاية من السذاجة كفت هذه الامور ان يكون صبغة فى عيونهم فحصلت بها كمال المناسبة بينهم وبين الروسية وانتظمت الامور وفتحت طرق المواصلة واستراحت الطرفان من مضرات العدوان والمهاجمة وانتشرت انوار العلوم وانفتحت ازهار المعارف والفنون فى بادية قزاق وخرجت اهلها من ظلمات الجهالة خصوصا مملكة بوكاى خان ولاسيما بعد حصول المناسبة الصهرية بين المفتى محمدجان وبين جهانگير خان اولا ثم بين جهانگير خان والشيخ نعمة الله الاسترلى باشى ثانيا بقى انه مع كون غرضها من بناء المحكمة المذكورة ما ذكر هل اضمرت فى قلبها شرا ومضرة من هذه الجهة للمسلمين ولو بعد حين اعنى بها مالم تزل ترتكبها الحكومة الروسية الى الآن على ماسيذكر ان شاء الله اولا فقد ذهب الى الطرفين ذاهب وحيث ان النظر الى سياسة يكاترينا وديانتها ومحبتها للعلم والمعارف ورغبتها فى نشرها سعيها فى ترقيتهم يجوز الطرفان ولا دليل على القطع والجزم باحدهما فالاولى ان نترك هذا الامر على ابهامه ونفوض العلم بسرائر عباده الى الله وعلى كل حال فان اعطاء يكاترينا هذه الوسعة والحرية المسلمين فى ذلك الوقت وجعلها اياهم من اعضاء الحكومة بعد ان قاسوا انواع الذل والهوان والمهانة والشدائد التى مر ذكر نبذة منها وذابوا تحت اقدام الروس ازيد من مأتى سنة احسان عظيم لاينساه مسلموا تلك البلاد الى يوم القيامة ولذلك تراهم يذكرونها دائما

بالمحبة والتعظيم والاحترام ويذكرون صنيعها بالمسلمين فى مقام الشكر والاستحسان حتى ان نسائهم يتبركون بدراهم مصروبة فى عصرها التى فيها رسمها وصورتها ويعلقونها على رقابهم والحق ان صنيعها بالمسلمين فى تلك الديار جدير بالشكر والامتنان فقد بقى اثر توسعها الى مائة سنة كاملة وكانت تلك المدة بالنسبة الى المسلمين كمدة خلافة عمر بن عبد العزيز فى مدة حكومة بنى امية كما قال بعض اعزة الافاضل حيث لم يقع فيها تعرض لدينهم من طرف احد لا صراحة ولا كناية سوى التشبث باسباب ابقاء المكرمين على ماهم عليه كما سيجئ فضلا عن التشديد والتضييق كان المسلمون قادرون فى تلك المدة على توسعة تلك الدائرة التى رسمها يكاترينا توسعة خارقة المعادة لو اجتهدوا وسعوا فى ذلك بلطائف الحكم ودقائق السياسة والتدبير على الاصول ولكن الاسف كل الاسف على عدم مجئ احد فيها خطر ببا له الفكر المذكور فضلا عن السعى والاجتهاد والتشبث بلطائف الحكم وحسن السياسة واصابة التدبير وانى يكون لهم ذلك وفى اى مدرسة يحصلونه وفى اى كتاب يقرؤن ومن اى فم يسمعون واحوال المسلمين المستقلين باحكامهم فى ذلك الوقت معلومة وتدابيرهم وسياستهم مشهورة فالتماس لطائف الحكم والتدبير الصحيح من مسلمى الروس فى ذلك الوقت كالتماس الحوت من رؤس الجبال فصاروا بغباوتهم هذه مظاهر اتم لمثل الصيف ضيعت اللبن فلا يلومن الا انفسهم والحاصل ان المفتى الاول محمدجان جلس فى مقام الافتاء والرياسة ٣٥ سنة وتوفى فى سنة ١٨٢٤م مصادفة سنة ١٢٣٩هـ ولم يصدر عنه فى تلك المدة مايحق ان يثبت فى التواريخ رحمه الله تعالى ثم عين مكانه للافتاء بمعونة والى اورنبورغ بفرامان امپراطور الكساندر الاول المفتى الثانى عبد السلام ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن فى سنة ١٨٢٥م ودام فى منصبه المذكور ١٤ سنة وتوفى فى سنة ١٨٤٠ على التحقيق ولم يقع عنه مايستحق ان يذكر فى التواريخ فى حق الملة واما فى حق الحكومة فقد صدر عنه خدمات كثيرة سنية كسلفه وقد نال الالتفاتات والمكافـات من الامپراطور فى مقابلة خدماته

المذكورة الا انه كان اعلم من سلفه وقد بنى مسجد اوفا الكبير بسعيه واجتهاده وان كان من مال عبد المؤمن الخواجه السيدى وكان يؤدى الصلوة الخمس والجمعة بنفسه وكان لا يملك نفسه من البكاء وقت الخطبة حتى ان دموعه كان يسيل من لحيته وقد جمع الفاضل المحترم القاضى رضاء الدين افندى طرفا من مكاتيبه المشتملة على انواع المواعظ والنصايح للملة جزاه الله سبحانه اذلك خير جزائه وعفى عن سيئاته وزلاته ثم عين مكانه لمقام الافتا المفتى الثالث عبد الواحد بن سليمان بمعونة بعض كبراء بطربورغ لانه كان اماما بها وكان له معارفة واختلاط بهم بتلك المناسبة وكان ذلك فى التاريخ الذى توفى فيه المفتى السابق فدام فى منصبه المذكور مدة ٢٢ سنة وتوفى فى سنة ١٨٦٢ م مصادفة سنة ١٢٧٩ ه وعلمه وان كان قليلا الا انه يفهم من بعض اموره كونه صاحب حمية وغيرة قال الفاضل المرجانى كان قليل الاختلاط بامراء الروسية وكبرائها حين كونه مفتيا وكان له رغبة فى اصلاح الامور واجراء احكام الشرعية الا انه لم يتمكن من ذلك لقلة علمه وضعف اعوانه وقد منع بعض المتساهلين عن طبع المصحف من غير دقة وتصحيح بواسطة الحكومة وحاول اثبات العيب والقباحة لناظر المعارف فى ذلك الا انه لم يتمكن من ذلك ولما صدر الامر من طرف الحكومة بالغاء الوضع القديم واحداث الوضع الجديد فى بناء المساجد والزام المسلمين على ذلك حاول ان يرفع هذا التضييق الا انه لم يقدر ايضا ان يرفعه وهذه الامور وامثال يدل على حميته وغيرته وكانت محكمة هذه الجمعية الشرعية من اول احداثها الى آخر ايام هذا المفتى الثالث فى دار مستأجرة وقد احدث اخذ مقدار ثمانية كاپيك ونصف من كل نكاح وخمسة عشر كاپيك لكل دفتر من دفاتر المواليد والوفيات فى سنة ١٨٢٩ ولما اجتمع من الثمن المذكور ما يكفى لبناء المحكمة شرع لبنائها فى اواخر ايامه وتمت فى حياته بجميع جهاتها ودائرتها على ما عليه الآن الا انه لم يوفق لدخولها وقد صرفت لبنائها سبعة وخمسون الف روبل وقيل خمسون الف روبل قال الفاضل المرجانى والشايع بين الناس انه كان يكفى لبنائها ثلاثون الف روبل والباقى زائد آه

وبعد مضى سنتين من وفاة المفتى عبد الواحد ميرزا كان المفتى الرابع الميرزا سليم گراى ابن الميرزا شاهين كراى التوكيلى فى سنة ١٨٦٥ م مصادفة سنة ١٢٨٢ هـ وفتح المحكمة الجديدة وشرع فى اجراء وظائفه ولم يكن من زمرة العلماء بل كان ابا عن جد من جملة الامراء الجهلاء الكائنين فى خدمة الحكومة الروسية وكان حائزا رتبة ملازم خيالة الروسية وهو اول شخص اقدم على قبول مقام الافتاء والمشيخة الاسلامية من غير استحقاق وهو خيانة عظيمة لا يغتفر والذين قبله من المفتيين وان لم يكونوا من اعلم علماء تلك البلاد الا انهم كانوا من جنس العلماء والحاصل ان بموت المفتى عبد الواحد وبجلوس المفتى سليم كراى فى مقام الافتاء والمشيخة الاسلامية تم الدور الثانى الذى هو دور الراحة والتنفس بعد دوامه مائة سنة كاملة (١) وابتدأ الدور الثالث الذى هو دور الفتن والدسائس الخفية والمشقة والشرور، وتعيين مثل هذا الجاهل لمقام الافتاء والمشيخة الاسلامية اعلام لكافة المسلمين هناك فى الحقيقة بانهم قد ادبر ايام بختهم وسعادتهم واقبل ايام شقائهم ونحوسهم وان احوالهم السابقة التى كانت قبل تولية يكاتريناالثانية قد عادت اليهم ولكنها ملبسة بملابس اخرى ومصبوغة بصبغ آخر بحيث تكون شاملة للكل دون ان تكون مختصة ببعض دون بعض كما كانت سابقا لانه كان اوائل النصف الاخير من القرن التاسع عشر وقد تغير فيه كل شى حتى انك ترى اشد الادوية بشاعة ومرارة كالجوهر البراق الصافى بحيث تميل اليه النفوس حتى ان بعض الاطباء لو اعطاك بعض الحبوب المسهلة المصنوعة من ابشع الادوية ولم يقل انها مسهلة لا تنقبض منها الطبيعة قط بل تميل اليه ميلا شديدا لكونه على صورة بعض الحلاوة ولا تحس بشئ من تاثيراته الا بعد حركة بطنك ووقوع الاسهال وعلى هذا القياس جميع الاشياء كما لا يخفى على اربابه فحينئذ كيف لا يرمى ميسيونير الروسية قوسهم الكبار وعصيهم الطوال عن ايديهم ويظهرون فى مظاهر اخرى ويتسلحون باسلحة اخرى غير ظاهرة وقد انتشر ميسيونير الجزويت على كافة اقطار العالم

(١) فان اول من جلوس يكاتريناالثانية فى سنة ١٧٦٢ منه عفى عنه .

متخرجين من مكاتب مخصوصة ماهرين فى اصطياد سذج القلوب وكذلك جمع من ميسيونير امريكا (١) وانكلترا قد وردوا الى الروسية وخيموا بسواحل نهري وولغا وجايق (اورال) وبلدة اورنبورغ ونصبوا شراك المكايد والاضلال لصيد ارباب القلوب السذج وشرعوا فى الاصطياد بكمال المهارة فى الخدعة واصطادوا بعض الاقوام المشهورين بنوغاييك فلا جرم بدل ميسيونير الروسية ايضا مسلكهم السابق بمسلك آخر جديد مطابق للزمان ومقتضى الحال بحيث لا يتنفر منه الا الافراد ولا يفطن لكونه مكيدة ودسيسة الا الحذاق وسبب آخر لتغير مسلكهم وشروعهم فى اجراء وظيفتهم الا بليسية بالجد والنشاط والاتفاق والاتحاد بعد مرور تلك المدة من تركهم اياها فى حق المسلمين ان المكرهين السابقين لما لم يتركوا التمسك بالشريعة المحمدية ولو سرا وكانوا يطلبون العود الى المجاهرة بالاسلام رسما بتقديم العرايض فى جميع الاوقات سيما عند تجدد الامپراطور مع مضى تلك المدة من اكراههم وظهر للكل كذب طائفة ميسيونير فى قولهم انهم تنصروا حقيقة واختيارا وتحقق لديهم عدم دخول احد من المسلمين باغواء طائفة ميسيونير فى النصرانيه قط مع انهم ينفقون فى كل سنة الوفا من الروبل فى هذا السبيل ولا شك ان هذه المبالغ تخرج من كيس الاهالى قام الاهالى يؤنبون طائفة ميسيونير ويوبخونهم ويمنمون بعضهم بعضا من اعانتهم خصوصا لما حدثت الجرائد وكثرت صار اربابها ينشرون تكذيبهم وعدم الفائدة فى اعانتهم حتى سمعت ان واحدا من عقلائهم كتب فى بعض الجرائد فى الوقت المذكور ان المبلغ الذى صرفه طائفة ميسيونير من التاريخ الفلانى الى التاريخ الفلانى بلغ خمسا واربعين مليونا من الروبل ولم يشاهد

(١) قال المستر شيللر فى رحلته التركستانية انه وان ارسل الدعاة الى مدن ايرقوتسكى واسترخان واورنبورغ بتشكيل جمعية ميسيونير انكلتره وآمريكا فى عهد الكساندر الاول الا ان الذين نصره هؤلاء عبارة عن اشخاص قليلة وقد نصر الميسيونير جون ميخايل المقيم باسترخان المرزا كاظم بك... وللذين تنصروا بواسطة الميسيونير فريزرفى اورنبورغ محلة على حدة وسموا الكنيسة التى بنوها فى خارج بلدة اورنبورغ كنيسة انكليزية اه معربا منه عفى عنه.

فى مقابلته ادنى فائدة ولم يدخل فى النصرانية فى مقابلة ذلك سوى اشخاص معدودين وهو ايضا فى دفتر ميسيونير فقط واما الذين اسلموا من ارباب اديان شتى فى تلك المدة من غير صرف خمس ديوان (كاپيك) فقد عدوا بالالوف فلو صرف هذا المبلغ فى احتياجات الدولة والملة والوطن من بناء المكاتب والمدارس وشراء الاسلحة وامثالها لترتب عليه فوائد جسيمة ومنافع كثيرة فاللازم بعد ذلك سد باب اعانة ميسيونير الخ ولا يستبعد ذلك فان عيون الروسية كانت قد فتحت فى الوقت المذكور فارتاع طائفة ميسيونير من سماع امثال هذه الكلمات ارتياعا لا يوصف لانهم خافوا من خروج تلك الايرادات الكثيرة التى ليس لهم مورد سواها من ايديهم فيقعون فى اسوأ الاحوال لانهم لا يحسنون شيئا سوى الشيطنة المذكورة وقد كثروا وترسخت اقدامهم المشئومة فى المراكز المهمة الكبار من الحكومة وتمكنوا من اجراء نفوذهم وشيطنتهم بتلك الواسطة واحدثوا بدل محكمتهم التى سبق ذكرها وذكر ابطال يكاترينا اياها جمعية لهم سموها (برانستوا سوانوى غورى) يعنى جمعية الولى غورى والظاهر ان احداثها كان فى حدود سنة ١٨٤٢ او قبلها وكان اعضاؤها كلها او جلها من كبار رجال الحكومة وارباب النفوذ التام فيها فطفقوا يلتمسون انواع الحيل والدسائس لبلوغ المآرب وشرعوا يفتلون لذلك فى الذروة والغارب وقد اعلن ٥٤٠٣ نفسا من المكرهين فى اعمال تتوش من ولاية قزان اسلاميتهم وكذلك نال اهل قرية كبك خواجه فى ولاية قزان رخصته لاعلان اسلاميتهم رسما من الكساندر الثالث حين ورد الى قزان ونزل ضيفا مكرما ببيت ابراهيم اليونسى وهو حينئذ ولى العهد على ما سمعت من بعض الثقات وكل ذلك فى سنة ١٨٦٦م وانضم الى ذلك ازدياد ميل الوثنيين چواش چرمش آر الى الاسلام والمسلمين واهتداء بعض منهم سرا فزاد ذلك حمية طائفة ميسيونير الجاهلية فقاموا وقعدوا وارعدوا وازبدوا وشرعوا يتفكرون فى اختراع حيلة ودسيسة لسد سبيل الله لو قدروا وقبل الشروع فى بيان مشروعاتهم المشئومة لابد من بيان ما هو مناسب لهذا المقام من تلك المقالة الميسيونيرية السابقة

ليحيط القراء علما بما فيها قال فلو لم تلغ المحكمة المذكورة من طرف يكاترينا الانجح امر طائفة ميسبونيرو ترقى كثيرا ولكن من سوء الحظ انعكس الامر حيث شرع المكرهون فى الرجوع الى دين الاسلام وطفق يزيد عددهم يوما فيوما بتأثيرات اثر دعوة الداعين وسعى الساعين من المسلمين ولا يخلو بيان(١) الاحوال الآتية وعرضها على انظار القراء عن الفائدة فى معرفة درجة اضرار المسلمين بامور طائفة ميسبونير واجراء وظائفهم وذلك ان الاقوام الفنية الذين يسكنون فى شواطئ نهر وولغا ليس لهم ثبات فى التمسك بدينهم ولا تصلب لهم فيه بل هم يعتادون بعادة قوم يختلطون بهم ويتخلقون باخلاقهم ويتدينون بدينهم وبعض منهم وان عد وافق الظاهر والرسم من النصارى الا انهم لم يتركوا(٢) عاداتهم القديمة الوثنية حتى انهم يعظمون يوم الجمعة تبعا للمسلمين ويحلقون رؤسهم ويلبسون الكوفيه والطربوش على رؤسهم ويعظمون نوحا وعيسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام فهؤلاء المنصرون لم يتباعدوا من الوثنية قط باعتبار الديانة (كذا) واما المكرهون من التتار فهم على قسمين قدماء واحداث فالقدماء منهم هم الذين اكرهوا بعيد الاستيلاء على قزان وهم قد تعودوا بعادات الروس تماما بسبب كثرة اقامتهم بين الروس واختلاطهم بهم منذ تلك المدة البعيدة وعددهم فى ولاية قزان ٢٨،١٧٦ نفسا واما الاحداث فهم مغايرون للقدماء من جميع الوجوه وهم الذين اكرهوا بعد تأسيس محكمة الاكراه الجديد السابق ذكرها وعددهم انقص من عدد القدماء بكثير وهم زهاء ١٧،٦٠٠ انفسا فى ولاية قزان ومع ذلك ينكر اكثرهم النصرانية ويأبون عنها اباء كليا واما فى ولاية اوفا فكانهم ليسوا بشيء لغاية قلتهم فاذا نظرنا الى هذا يدرك صعوبة ادخال النصرانية فيما بين المسلمين وتمييز هؤلاء المكرهين الاحداث من سائر المسلمين صعب جدا فانهم يتمسكون بالاسلام رغما عن اجتهاد

---

(١) هذا ايضا من جملة تلك المقالة الميسيونيرية . منه عفى عنه .

(٢) قلت انهم ان اسلموا يرفضون عاداتهم الوثنية رفضا باتا ويبغضونها غاية البغض وهذا شاهد عدل لحقانية دين الاسلام وكونه دينا طبيعيا . منه عفى عنه .

المجتهدين فى ادخال النصرانية وترسيخها فيهم فهم يعطون يوم الجمعة ويلبسون ملابس التتار ويحلقون رؤسهم ويذهبون الى المساجد ولو احيانا وتعميدهم اولادهم فى بعض الاحيان واجراؤهم عقد النكاح على اسلوب النصارى انما هو للتستر والتقاة فقط فانهم لو لم يفعلوا ذلك لزمهم اعطاء التكاليف والغرامات الميرية التى عفيت عنهم وسقطت فى مقابلة اظهارهم التنصر وهم وان اعطوا الاراضى مع سائر النصارى يتركون تلك الاراضى ويتحولون الى مواضع فيها اخوانهم الدينية ويعطون فيها الاراضى والحاصل انهم يتحملون كافة الشدائد من جهة المعيشة الحيوية ولا يرضون باطلاق اسم النصارى عليهم قط وهم وان عدوا رسما وظاهرا من جملة النصارى من جدهم السادس والسابع ولكن الاسلام مترسخ فى قلوبهم غاية الرسوخ والدليل القاطع على رفضهم النصرانية واتصافهم بالاسلام تقديمهم العرايض باسم الامبراطور طالبين الخروج الى الاسلام رسما فلما تبين احوال هؤلاء المكرهين وتشوقهم الى الخروج الى الاسلام رسما اجريت من طرف الحكومة انواع التدابير لابقائهم فى النصرانية وترسيخها فيهم وتشبث فى ذلك باصناف الوسائل كتحويل المكرهين الى اماكين الروس البعيدة عن المسلمين كما وقع ذلك فى سنة ١٨٢٩ وسنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤١ يعنى فى ايام حكومة الامبراطور نيقولاى الاول ولكن كل هذه الاسباب والوسائل لم تجد شيئا بل صارت سببا لترسخ الاسلام وتقويه فيهم وفساد طبائعهم واختلال امور معايشهم ولما لم يفد التشبث بتلك الاسباب شيئا ولم يمنعهم من الخروج الى الاسلام اضطرت الحكومة الى التشبث بذيل وسيلة آخر لذلك بان فتحت بموجب الفرامان العالى الامبراطورى قومينة (جمعية) خفيه وذلك فى ٢٩ مايس الرومى من سنة ١٨٥٥ م (يعنى فى آخر ايام حكومة نيقولاى الثانى وخاتمتها) ومن جملة مندرجات ذلك الفرامان العالى ان المكرهين الذين لم يكن تنصرهم بمراجعة كبار القسيسين القريبين منهم يرسلون الى محكمة روحانية النصارى بقزان ويجتهد فى ارجاعهم الى النصرانية باى وجه كان واولادهم الذين لم يعمدوا يؤخذون بواسطة البوليس من ابويهم جبرا

وقهراويه معدون والانكحة التى لم تجر على قوانين النصارى تجرى مطابقة على قوانينهم فمن لم يقبل ذلك ولم يرض به تؤخذ زوجته وكذلك المرأة ان لم ترض تفرق وكان هذا النظام مختصا اولا بالمكرهين مضافات قصبة ماما دش من ولاية قزان ولكن لما لم يرض المكرهون به وردوه ردا شديدا بحيث لم يمكن اجراؤه فيهم (يعنى من غير سفك الدما) الغى فى سنة ١٨٦١ (يعنى فى ايام حكومة الكساندر الثانى) وفى تلك الاثناء بلغ عدد الذين اعلنوا اسلامهم فى مضافات قصبة تتوش فقط من ولاية قزان ٥،٤٠٣ نفسا من الرجال والنساء فمن ذلك الوقت شرع عرايض المكرهين بطلب الخروج الى الاسلام ترد الى الامپراطور متوالية وهذه الحركة بدئت اولا من متعلقات قصبة ضيامن ولاية قزان ثم عمت ولاية قزان كلها ثم سرت منها الى سائر الولايات ولكن لم تتجاوز تلك العرايض حدود محاكم ولاة الولايات الى ما فوقها بل ردت من هناك معللة بانها مخالفة للقوانين والنظام الاان هذا الرد لم يقنع المكرهين دام بمنعهم عن الاقدام على تقديم العرايض وطلب مطالبهم التى هى الرجوع الى الاسلام لانهم كانوا عارفين يقينا بان هذا الجواب والرد ليس من الامپراطور بل من الولاة ومن دونهم فلما رأت رجال الحكومة ذلك واستيقنوا عجزهم عن ابقائهم على النصرانية ومنعهم عن الرجوع الى الاسلام اضطروا الى التشبث لذلك بذيل وسيلة اخرى فصدر الامر فى ١٨ سنة بنفى دعاة المسلمين للاهتداء والاسلام الى قلعة تورخان بسبيريا فوجدوا منهم ٤٧ نفرا ولكنهم لم يستنسبوا نفى جميعهم مرة واحدة فبدات نظارة الداخلية بنفيهم على التدريج بناً على المصلحة المقررة فى القسم الثالث من المحكمة الامپراطورية بان نفوا الثانى بعد انقطاع القيل والقال فى حق نفى الاول وهكذا فعلوا فى الثالث والرابع الاان هذا النفى لم يعم الاشخاص المذكورين كلهم بل بعد نفى بعضهم صاروا يحاكمون المتهمين بتهمة الدعوة فى المحاكم العادية ويحبسونهم ومع ذلك صدر الامر الى مجمع روحانية النصارى بقزان بدعوة المكرهين الى النصرانية بالمواعظ والنصائح ولكن لم يترتب عليها ايضا شيء من الفائدة لعدم مهارتهم وخذاقتهم فى امر الوعظ والنصيحة وقد امر الاسقف كبار القسيسين

بعدم اخذ الصدقة من المكرهين وان يذهبوا الى قراهم فى جميع الاحيان فكان المكرهون يكرهون القسيسين غاية الكراهة بل كان اهالى بعض القرى لا يقبلونهم قط ولا يلتفتون اليهم قطعا فطفقت القسيسون يستعينون فى اجراء قوانين النصارى بينهم بواسطة رجال البوليس الاان هذا الامر لم يلبث الاقليلا حتى ورد الامر الامبراطورى الى مجمع النظار بمنع مداخلة رجال البوليس فى امور طائفة ميسيونير وذلك بسبب انهاء والى قزان بيان وخامة عاقبة المداخلة المذكورة الا ان مصارعة المكرهين بطائفة ميسيونير لم تنقطع بذلك بل زادت وكثر البحث والتفتيش عن دعاة المكرهين وقبضوا على كثير منهم ولكن الرؤسأ منهم لم يقعوا فى الشبكة فوقع الاختلاف لاجل ذلك بين نظارة الداخلية وبين ناظر المفتشين (هكذا فى أصل المنقول عنه ولعله ناظر الاديان) فصدر الامر الامبراطورى فى ١٦ سنتابر من سنة ١٨٦٨م باصلاح المحاكم والمحاكمة فى شأن طالبى الرجوع الى الاسلام فرفعت نظارة الداخلية الامر بعد التفتيش الى مجمع النظار وطلب منهم تخفيف جزأ المحكومين فشرع المكرهون بعد ذلك فى تقديم العرايض باسم الامبراطور بطلب العود الى الاسلام رسما كما كان ذلك فى سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٧٩م وهذه العرايض وان لم تنتج لهم نتيجة حسنة قط الا انهم لم يقطعوها بل داموا على تقديمها فظهر من البيانات السابقة ان التدابير المتخذة لابقاء الوف من التتار المسلمين فى الحقيقة النصارى فى الظاهر والاسم على النصرانية وكافة التضييقات والتشديدات والاضطهادات فى ذلك لم تنتج شيئا سوى توليد بغض الروس وعداوتهم فى قلوبهم وازديادها بسبب ازديادها بمرور الايام وكرور الاعوام وسوى افساد اخلاق اهلهم وعيالهم وايراث النقص والخلل فى معايشهم الحيوية فلم تكن نتيجة تضييقات الحكومة على الوتيرة المذكورة سوى المضرة والخسران وسبب تلك النتيجة السيئة هو عدم مهارة رجال الحكومة وحذاقتهم (يعنى فى اجراء الشيطنة) وتشبثهم بالوسائل المذكورة بعد شروع المكرهين فى الاهتداء والرجوع الى الاسلام ولبغض المسلمين النصرانية اسباب اخر فان المسلمين وان كان فيها بينهم افراد يخدمون

السياسة بالطبع الا انهم يقدمون النقطة الدينية على النقطة السياسية فان طلب الاقوام الاسلامية الذين اضعفوا بسبب تفريقهم وقطعهم مسلمي مركز الاسلام الكائن في الآسيا الوسطى والآسيا الصغرى الواقعتين في جهتنا الشرقية والجنوبية والتماسهم الطريق بحل مسئلة الاسلام والانضمام الى مركز الاسلام بواسطة الآسيا الوسطى التي استولينا عليها قريبا واجتهادهم في ذلك بالدقة امر طبيعي ضروري بالنسبة اليهم وحين كان حدود مملكتنا من جبال اورال فقط استوطن في الآسيا الوسطى اقوام غير منسوبين الى دين من الاديان قط (يعني القزاق والقرغز وهو كذب محض من جميع الوجوه) فصار الاسلام ينتشر بينهم شيئا فشيئا لعدم مهارة رجال حكومتنا في امور السياسة وحين كان طرق سفر الحج ناقصة في الروسية وسلوك طريق القسطنطينية للحج عسيرا وصعبا كان سفر الحج يتيسر لاناس قليلة معدودة ولا شك ان مسئلة الاسلام لما يكون منجرا الى امور كبيرة سياسية وانما كان يكفيهم القاء انظار طائفة ميسيونير اليهم وان يجروهم الى النصرانية بعد ان استوطنوا فيما بينهم وقد تغير الامور الآن ولا يجوز الآن حصر الافكار الى جهة الديانة فقط كما كان الامور اولا كذلك وانتشار الاسلام يحتمل ان يكون سببا وباعثا على الامور السياسية الخطيرة في الآخر وداعيا على مداخلة الدول الاجنبية ولهذا لا يكفي لمنع مسلمي شوالجي ووقفا عن نشر الاسلام قوة طائفة ميسيونير بل لابد من اعانة الحكومة بالدقة. روح الاسلام وتعصب المسلمين له ان السبب في بغض المسلمين النصرانية وبعبارة اخرى اصح سبب نظرهم اليها بنظر الاحتقار وسبب دوام الاسلام وغلبته على النصرانية انما هو حصول المدد والقوة لهم من جهة الشرق من بلادنا (كذبت يا عدو الله ممن يجيء لهم المدد والقوة من هناك لم لا تقول من الله وتصديق قوله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) وقد زعم اولا ان المسلمين المنغمسين في التعصب لا يقدرون على مقاومة طائفة ميسيونير الذين تربوا على اصول المدنية فيما بين نصارى الممالك المتمدنة وان الاسلام مبني على اس الجهالة واعتقاد نصارى آوروپا انه لا يحتمل عدم مغلوبية تعصب

الاسلام لطائفة ميسيونير القوية المتمدنة اصلاوانما نشأ هذا الفكر منهم من عدم دقتهم وعدم معرفتهم هذه المسئلة حق المعرفة ونظرهم اليهم بالنظر السطحي فان الاسلام ليس هو عبارة عن تصديق مالا اصل له ولااساس كسائر الاديان سوى النصرانيه (كذا هل يمكن ان لايضحك الانسان هنا قائلا هاهاهاى) وانما وضع هو على الاساس مثل النصرانية (كذا) ادخال من لايؤمن بالله الاحد الى النصرانية سهل جدا لايحتاج فيه الى قوة طائفة ميسيونير وسعيه وجهده ولكن المسلم كاليهودى (كذا) مؤمن بوحدانية الله الذى علمه محيط بكل شيء والوهيته ايمانا مبينا على الاساس المتين وليس ترجيحه الاسلام على ماسواه من الاديان التى مبناها على التوحيد الالاعتقاده بتقادم دين موسى وعيسى عليهما السلام وبتجدد دين الاسلام ومقبوليته عندالله وكل محمدى يعتقد النصارى انهم فى كمال الجهالة (نعم انهم يقولون فى حق النصارى اولئك كالانعام بل هم اضل) ويعرفون دين موسى وعيسى عليهما السلام ويعتقدون ان دينهما قد تقادم (يعنى نسخ) بظهور محمد صلى الله عليه وسلم وهم يستحيلون فرض كون الحق سبحانه عبارة ومركبة عن ثلاثة ابدأ وعدا عن ذلك انهم يعدون عبادة الصور المرصوصة عن عبادة الاصنام (كيف لايعدونها كذلك واى شيء يكون عبادة الاصنام سواها) وانهم يعتقدون بنبيهم افضل جميع الرسل الى غير ذلك من الاسباب التى تقاوم النصرانية غاية المقاومة وتضر دعاة النصرانية فى شوالحيء ولغا مدة مديدة وبعض هذه الاسباب واقواها معرفة المسلمين القراءة والكتابة وكونهم اصحاب الديانة وارباب المعارف والاخلاق (انظروا الى ملعنتهم وتناقضهم فى رميهم المسلمين بالجهالة والوحشة والتعصب الجاهلى) وسعى علمائهم واجتهادهم الى غير ذلك من الاسباب ومعارف المسلمين العالية (١) وان كانت قليلة وجزئية جدا بالنسبة الى المعارف اللازمة للانسان لكونها ذات جهة واحدة فقط اعنى بها العلوم الدينية التى هى محدودة جدا الا اننا اذا نظرنا اليهم من جهة اخرى اعنى من جهة معرفة القراءة والكتابة نجدهم فيها فوق الروسية الذين فى تلك

---

(١) يعنون معارف العصر الجديدة منه عفى عنه .

الاطراف بمراتب كثيرة وحيث كانت معارف التتار منحصرة فى علوم الدين فلها جهة نافعة وجهة مضرة اما مضرتها فانها تضر معارف النصارى واما منفعتها فان المعارف على كل حال محبوبة لدى أنظار الناس ورغبة المسلمين فى المكاتب والمدارس والاقامة فيها والدوام عليها ازيد من رغبة الروس فيها ويحتمل ان يكون سبب ذلك كون مكاتبهم ومدارسهم دينية واخلاقية فقط وعلى كل حال فان التتار المسلمين لا يفرضون وجود مكتب فى الدنيا لا يقرأ فيه علوم الدين ولذلك نرى التتار ينظرون الى مكاتب الروس بنظر النفرة والعداوة (كذبت او اخطأت التتار لا يتنفر من المعارف اى معارف كانت وانما يعادرونها لكونها محل كفر وفسوق وفجور وضلال واضلال وافساد اخلاق) ويعتقدون انه لا يقرأ فيها الا العلوم المتعلقة بدين النصارى (نعم إنها وان لم تكن منحصرة فيها ولكنها غير خالية عنها وربما يجبرون الصبيان على تعلمها والتتار لا تقبل ذلك وان قتل) ولذلك يرون التحصيل والقراة فى مكاتب المسلمين فرضا على كل احد ولذلك ترى فى كل محلة من محلاتهم مكتبا فضلا عن وجوده فى كل قرية ولا يوجد مسجد الا فى جنبه مكتب على سبيل اللزوم فان لم يكن مكتب او كانت القرية صغيرة لا يمكن بناء مسجد فيها حسب نظام الروسية فانهم ينصبون احدا منهم اماما وهذا الامام يقرئ اولاد اهل القرى فى بيته والمكاتب المشهورة الظاهرة فى ولاية قزان ٤١٨ مكتبا و٢٠٤٧٩ طالبا وفى ولاية اوفا ٣٥٨ مكتبا و١٢٨٦٦ طالبا ولكن اذا دقق النظر واظهر الكل يزيد عدد المكاتب فى ولاية قزان على ٧٣٠ مكتبا وفى ولاية اوفا على ١٠٠٠ مكتب ويربو عدد الطلبة فيها على ٤٠٠٠٠ طالبا فعلى هذا يقع لكل ٧٨٠ نفرا من ذكرا اوانثى من المسلمين فى ولاية قزان مكتب واحد و١٤ طالبا وفى ولاية اوفا يقع لكل ٧٨٤ نفرا كذلك مكتب واحد و٢٠ طالبا فنتيجة هذه الارقام كون القارئين الكاتبين من التتار ٦٠ في ١٠٠٠ وحيث يضطرنا الصدق والحقانية الى التكلم بالصدق لابد لنا من التكلم بالصدق وهو ان دواعى التتار الى كثرة القراءة ليس هو كثرة مكاتبهم فقط بل كون مكاتبهم موضوعة على اصول جيدة بالنسبة الى مكاتبنا (الروسيه) فان

مكاتبهم قديمة جدا (بمعنى ان بداء المكتب والقراءة فيها عندهم من قديم الزمان) والمكاتب تنتقل فيهم بطريق الارث (يعنى من عالم الى عالم) وهم يعني المسلمين يفتخرون بعلم علمائهم وكونهم محققين ومكاتبهم انما بنيت باموالهم على حسب مرامهم ومقتضى اموالهم ليس فيها الا لزوم له قط وعدا عن ذلك فان وضعها وموضوعها للعلوم الدينية والآدابية فقط واما مكاتبنا فليس فيها شيء من هذه الاوصاف فاذا اجلنا النظر الى امور تحصيل التتار يقع النظر فيها على امر آخر غير ما ذكرنا من المكاتب وهو الذي يسمونه مدرسة وهي تعدا كبر من المكاتب يقرأ فيها ازيد مما يقرأ فى المكاتب ويقبل الطلبة فيها من ١٦ سن والمتخرج منها يخرج رئيس متعصبي الشرق وهذه المدارس ايضا كالمكاتب بنيت بخالص اموال المسلمين واجتهادهم وليست تحت تصرف احد ونظارته وتحت نظام ما قط وهي وان كانت فى الاوراق تحت نظارة ناظر المعارف رسما من سنة ١٨٧٤ الا انه لا ناظر لها فى الواقع وفى الحقيقة قط .... والمتخرجون من هذه المدارس كانوا يذهبون الى سمرقند وبخارى لتكميل دروسهم ومعارفهم فى المدارس العالية فيها كما ان متخرجي مكاتبنا العالية يذهبون الى اوروپا لتكميل معارفهم والذين يرجعون منها بتكميل المعارف لم يكونوا يرجعون متعصبين فقط بل كانوا يرجعون منكسري القلوب ومشوشي الخواطر لكون اخوانهم وجنسهم التتار تحت حكومة الروس فكانوا يصيرون اعداء الروس من جهة السياسة وكانت هذه الامور تقع بالخاصة قبل دخول سمرقند وبخارى تحت تصرف الروس يعني حين كونهم متمتعين بكمال حريتهم ورؤية هؤلاء الطلبة تلك الحالة العاليه اللذيذة فيهم ولهذا كان منع من طرف الحكومة اعطاء وظائف الامامة والتدريس لهؤلاء الطلبة الذين كانوا يرجعون من ما وراء النهر ولكن التتار وجدوا لهذا طريقا سهلا جدا وذلك بان كانوا يذهبون الى بخارى فى صورة التجارة وبعد التحصيل هناك كانوا يرجعون هنا ويأخذون الوظائف ولما دخل سمرقند وجارته بخارى تحت تصرف الروس سقطت من اعين التتار فصاروا يذهبون بعد ذلك لتكميل المعارف الى استانبول

ومصر ويختلطون بمسلمى آسيا الصغرى وآفريقا (يظن المسكين ان فى اختلاطهم معهم فوائد ولكن هيهات ذلك) والحاصل أن قوة ميسيونيرنا الناقصين لاتفى لادارة الامور بين تاتار شواطئ نهر وولغا فانه لابد لادخال المسلمين الى النصرانية من قوة زائدة لاتكفيهم القوة الكافية لتنصير الوثنيين ولهذا يرى من المصلحة لحصول النتيجة من هذه المساعى والاجتهاد صرف الحكومة اجتهادها لاضعافهم بستر آثار الاسلام واخفاء علومه عنهم مهما امكن مع الدقة والاحتياط فى عدم ابطال الحرية فى الدين من جهة بذل مساعيها فى حبسهم فى مساكنهم بمنعهم عن السفر الى ممالك خارجية. لابد لقلب مسلمى شواطئ وولغا روسية من امرين تكميل امور الميسيونيرية ولوازمها واضعاف اعتقادات المسلمين بنقص تاثيرات الاسلام فيهم فلابد اولا من البحث والتفتيش عن طرق اضعاف اعتقاداتهم ثم عن طرق دعوتهم الى النصرانية بمراجعة تواريخ طائفة ميسيونير المقتدرين

قد تغيرت (١) النظامات الموضوعة فى شاءن المسلمين (يعنى فى اكراههم) بعد دخول خانية قزان تحت تصرف الروسية بالتمام مرات عديدة ومع ذلك كان بعض تلك التغيرات مناقضا ومنافيا لبعض آخر منها فى بعض الاوقات بالكليه قد وضعت فى عصر ايوان المدهش اصول الظلم والوحشة حيث هدم مساجد قزان وطرد المسلمون منها ومن حواليها ومن الاماكن القريبة من قرى المكرمين بالكلية وكذلك هدم المساجد القريبة من الكنائس وفى عصر ولده فيودر هدم مساجد المسلمين الذين كانوا بنوها مجددة بعلة انها مبنية مخالفا للنظام وهذه الاصول يعنى اصول الظلم وهدم المساجد وتضييق المسلمين دامت الى اواخر العصر الثامن عشر وكانت تلك الاصول تبدل فى تلك المدة وتخترع اصول جديدة لهدم المساجد دائما فانه كلما هدم مسجد اومكتب كانت التتار يبنون بدله مسجدا اومكتبا احسن من الاول حتى ان المساجد والمكاتب لم تزل تزيد

(١) شروع فى بيان تواريخ طائفه ميسيونير ثانيا وان سبقت اولا وكان هذا نذلكة السابق منه عفى عنه .

بمرور الزمان رغما عن هدمها فدبر في مقابلة هذه الاحوال امر جديد بهدم المساجد في سنة ١٧٤٢م . ثم انفتحت للتتار في سنة ١٧٤٤م دنيا جديدة بان وضع فيها نظام جديد لبناء المساجد اوسع من الاول قليلا وذلك بان يؤذن لبناء المسجد في مواضع المساجد القديمة المهدومة اذا كان اهل المحلة ٢٠٠ عائلة الى ٣٠٠ عائلة بشرط كونه بعيدا عن الكنيسة وبشرط عدم تجديد مسجد ومكتب آخر بزيادة اهل القرية او المحلة فشرعت المساجد في الزيادة من ذلك الوقت وحيث لم يكن في النظام المذكور منع عن بناء المساجد في قرى الوثنيين طفق المسلمون ينشرون دين الاسلام بين طائفة باشقرد الذين استوطنوا فيما بين وولغا واورال مهاجرين من سبيريا وكانوا على دين شامانيا ويبنون في قراهم المساجد والمكاتب فصار الاسلام بهذا السبب ينتشر الى اماكن خارجة من مكانه الاول (وهذا كذب محض واختلاق صرف من هذا اللعين فان اسلام طائفة باشقرد اقدم من اسلام التتار ولم يكن في جهة سيبريا في الوقت المذكور دين غير الاسلام وجلب كوچم خان السيبرى بعض العلماء من بخارى وخوارزم لم يكن لنشر الاسلام بل لنشر العلم والتعليم والا فقد كانوا مسلمين من مئتين سنة) وفي عصر يكاتر ينا الثانية قد وضعت سياسة الحكومة على اصول واسعة للمسلمين حيث اخرج امر بناء المساجد من تصرف محكمة روحانية النصارى في ١٧ حزيران من سنة ١٧٧٣ فشرعت المساجد بعد ذلك في ازدياد خارق للعادة حتى ان في مضافاة قصبة ضياعد في سنة ١٧٧٠ ١١٩ مسجدا في ١١٦ قرية وقد كان في ١٠٨ قرية منها مكرهين (يعني ان النظامات كانت تقتضي عدم اذن ببناء مسجد فيها) وعدا عن ذلك فان عدد المسلمين في تلك القرى ١١٦ كان ١٤٠٠٧ نفرا فقط فان قسم هذا العدد مأتين مأتين فقط لكل محلة (يعني على مقتضى نظام سنة ١٧٤٤ كان ينبغي ان لا يبنى في تلك القرى ازيد من ٧٠ مسجدا وعد في مضافات قزان في الوقت المذكور ١١٧ مسجدا

واماماسوى ذلك المذكور من المساجدوان لم يعلم عددها يقينا ولكن يمكن معرفته بالقياس على المذكور وصاروا يبنون فى مدة قريبة مكتبا فى جنب كل مسجد وحيث ان اصول التعليم كانت جيدة ومنظمة من جهة التربية والاخلاق والعلوم الدينية على قول السواح ليپيخين ورېچقوف وغيرهما كانت الاهالى يرغبون فيها ويقبلون عليها وفى ٢٥ فيورال (شباط) من سنة ١٨٨٢ م صدر الاذن ببناء المساجد لقرغز وقزاق فى اراضيهم وصدر الامر فى ٤ سنتابره من سنة ١٨٨٥ ببناء المكاتب فى جنب تلك المساجد وامر ببناء الجدران المحيطة من حوالى مسجدكروان سراى فبعد ذلك مابرحت التتار حتى صارت محبتهم تتعلق بالحكومة وصاروا يحبونها ويمدحونها (هذا امر طبيعى ومع اعترافهم بذلك لايعتبرونه ولايعملون به بل يعاملون بعكسه) وكان المسلمون يقيمون كل طائفة منهم فى محلة وناحية كان كلامن تلك الطائفة فى دنيا على حدة لاخبر لاحدهما عن الاخرى لفقدان الجهة الجامعة بينهم وكانوا يتفكرون الشدائد التى كانوا قاسوها من قبل الحكومة قبل ذلك ويتذاكرونها فيما بينهم ولذلك اسست اهم ادارة الروحانية يعنى المحكمة الشرعية الاورنبورغية وفوض رياستها الى المفتى وعول عليه ادارة الامور الدينية ومنحت له وظيفة وكالة كافة المسلمين (يعنى فى الروسية فى الوقت المذكور) فى طلب مايلزمهم (يعنى الدينية) من الحكومة ومن هذه المحكمة التى بنيت لاستحصال الغرض المذكور يعنى غرض استحصال ازدياد محبة التتار للروسية صارت سببا لاجتماع شمل التتار وازدياد قوتهم فقط والحكومة وان كانت بناها فى مبدأ امرها لاصطياد التتار ولكنها الآن قذى كبير فى عيون الحكومة ففى سنة ١٨٥٠ وضعت التدبيرات الآتية بمصلحة نظارة الداخلية بعد ان قدمت الشكاية بان المسلمين لايقدرون على ادارة امورهم كما ينبغى ا) تركيب الجمعية الشرعية والعاية(١) منها ب) النظر فى امتحان العلماء ونصبهم ورفع من يمتحنونهم ج) الدقة فى ترتيب المحلات فانفتش كل واحد منها على حدة على

(١) يعنى وظائفها منه ودى هنه .

حدة على حدة ا) تركيب الجمعية الشرعية والغاية منها فهو اعنى تركيب الجمعية الشرعية وغايتها ووظائفها تنقسم بحسب النظام الجارية الآن ا) انتخاب اعضاء مخصوصين وتعيينهم للبحث والتفتيش عن مقدار علم الشخص الذى انتخبه اهل لمحلة الامام او التدريس وعن درجة معرفته بالاحكام الشرعية والنظر فيما يعمل فى محلته بعنى فى اجراء وظيفته وعن قبائحه ومعائبه وما يتعلق ببناء المسجد ب) والحكم بموجب الاحكام الدينية فى مثل النكاح والطلاق ج) والحكم ايضا بالحكم الشرعى فى مثل تقسيم التركة د) اجراء دفاتر المواليد والوفيات واعطاء شهادتنامه بموجبها والآن تجرى وظائف الجمعية الشرعية المحمدية على الوجه الآتى ا) اعطاء المنشور لمن انتخبه الاهالى للامامة او التدريس فوض الى الولات بموجب البند ١٢٤٩ من قانون امور الاديان جنبية ب) وبناء المساجد وتعميرها صار مربوطا باذن محاكم (١) الولاة ايضا ج) لما كان كتابة دفاتر المواليد والوفيات واعطاء شهادتنامه بموجبها بقلم الروسية سهلا للحكومة ومناسبها شرط فى سنة ١٨٧٠ من طرف شورى النظارة الداخلية معرفة من يرشح للامامة او التدريس كتابة الروس ولغتها واخذها شهادتنامه مبينة لمعرفة اياها ب) امتحان العلماء ونصبهم ومن يمتحنهم بناء على فكر المستشار الخفى لناظر الداخلية كاظم بك ينبغى ان ينتخب (٢) المفتى والقضاة يعنى اعضاء الجمعية الشرعية المحمدية من طرف الحكومة والائمة والمدرسون من طرف الاهالى انتهت المقالة الميسيونيرية هنا بتعريبها حرفيا بالتمام ولكن لما بلغ الكلام محلا مهما ينبغى فيه زيادة التفتيش والتنقير تركوه مستورا ومخفيا ومغطى

---

(١) بل باذن الاسقف فقط لاغيروكاه، مراده بمحاكم الولاة محاكم الاساقفة . منه عفى عنه .

(٢) علم من ذلك ان خروج انتخاب القضاة من ايدى الاهالى انما كانت فى عصر كاظم بك وباستصوابه . منه عفى عنه .

ومروا به سريعاً مخافة انكشاف عوراتهم ولكن هيهات تكتم المغار بزق الكيس وفى ايدى التتار الآن رسائل كثيرة سوى ذلك مبينة فيها دسائس طائفة ميسيونير وشيطنتهم بالتفصيل وعلى كل فقد تغيرت احوال طائفة ميسيونير فى ابتداء النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى تغيرا كليا من غير وجود سبب مقتض لذلك من طرف المسلمين بل كانت محبة المسلمين تعلقت بالحكومة بعد منحها التوسعة لهم فى الدين كما اعترف به هؤلاء المخاذيل وحصل لهم كمال الراحة واطمأنت قلوبهم فشرعوا فى تعاطى الزراعة والتجارة وانواع الصناعة بالجد والنشاط وصاروا ينقلون بضائع الروسية الى ماوراء النهر وخوارزم وفرغانة وينقلون بضائع تلك الممالك الى الروسية بواسطة قوافل قزاق وكان يصحبهم فى ذلك كثير من تجار الروسية ايضا ولولاهم لما امكن لهم ذلك وفى ذلك كله من الفوائد المالية لدولة الروسية مالا يخفى على اربابه وكانوا يؤدون الغرامات والمؤنة المرية من غير استثقال بهاولا تأخير وكذلك كانوا يعطون العسكر بالقرعة مثل الروسية نفسها بلا فرق فلم يبق اذا سبب لايقاظ الفتن النائمة وتحريك اسباب المحن الماضية والقاء التفرقة والشحناء والبغضاء والعداوة بين رعايا دولة واحدة وابناء وطن واحد والتسبب لاضرار الدولة من وجوه كثيرة سوى بغى وحسد على ترقى المسلمين دينا ودنيا وتعصب جاهلى واغراض فاسدة من خوف خروج موارد الثروة والاعتبار من ايديهم وسقوطهم من اعين قومهم على مامر فلم يبالوا بما يترتب على ذلك من الفساد والافساد وخراب الوطن وتضرر دولتهم وانحطاط قوتها كما هو مشهود الآن لذى العينين فصاروا يعقدون الجمعيات لترتيب الحيل والخدع لاجراء وظائفهم الابليسية وصاروا يؤلفون الكتب والرسائل والمجلات فى ذلك يحرضون فيها بعضهم بعضا ولاسيما رجال الحكومة ويعدونها اقدس الوظائف التى بها تمحى الذنوب وبها يحصل الثواب وبها يدخل الى الجنة وبها ينال فيها الدرجات العلى وبها يحصل الترقى فى الدنيا والاخرى ويجعلونها اهم المهمات واقدم جميع الحاجات وقد قال الفاضل المحترم عبد الرشيد افندى

الابراهيمي في چولپانه رأيت من الرسائل التي الفت ضد الاسلام وطبعت ونشرت من سنة ١٨٦٦ الى سنة ١٨٨٦ خمسين رسالة وذكر فيها منها النصص مع ذكر اسم مؤلفها وعام طبعها تركت ذكرها مخافة التطويل وقد رأيت الفقير في آخر رسالة ملعونة ذكر اسامي مائت من الرسائل المؤلفة في هذا الصدد فلا حاجة الى ذكرها بعد وضوح المرام الان اذكر هنا ترجمة مجموعة روسية (١) ذكر فيها ماجرايات الاحوال مترتبة منتظمة مسلسلة حسب الامكان وان كان اهم دسايسهم غير مذكور فيها فقد التزمت ذكرها وشرح مواضع الابهام منها وايضاحها حسب ماوصل اليه ادراكي القصير وتعلق به علمي القاصر وهي مؤلفة في حدود سنة ١٨٨٦ على مايظهر من انتهاء بيان الحوادث اليها فاقول وبالله التوفيق قال فيها قدم ناظر المعارف السابق القونت ديمتري طولستوف في سنة ١٨٦٦ (٢) لائحة الى نظر الامپراطور العالي بعد معاينة (قزانسكي آديسسكي اچوبني اوكروك) دوائر التعليمات والمعارف واحوال المعلمين الكبار الكائنين بولاية قزان وآديسا ذكر فيها ان تقريب الاقوام الغير الروس الكائنين بتلك الولايات المركبين من امم متعصبين المتمسكين بالدين المحمدي تمسكا شديدا الكثيري المساجد والمدارس الى الروس انما يكون بتعليم لغة الروس وكتابتها فبعد ان صارت اللائحة المذكورة معقولة مناسبة للامپراطور بمعنى انه لما صدر الاذن والمساعدة في اجراء ذلك من غير اجبار وقسر وبشرط عدم الافضاء الى التشويش والفتنة شرع في سنة ١٨٦٧ من طرف

---

(١) وهي تفصيل ما اجمل وابهم في المقالة الميسيونيرية السابقة من الاحوال والاهوال الجارية في دور الفتن والمحن والمشقة الخفية وكلها رسمية سوى بيان اتفاق الجمعية الغورية منه عفي عنه .

(٢) والحاصل ان مبدأ هذه الدسائس والفتن والمحن هو هذا العام وقد كتب والى ولاية اورنبورغ الى الجمعية الشرعية المحمدية الاورنبورغية في ١٢ اكتوبر من سنة ١٨٢٧ تحت رقم ٩١١ بانه لا يعطى المنشور لخدمة المحلات والمساجد لمن لا يعرف بالروسية اه الا ان هذا من قبيل نبح الكلاب لكونه غير رسمي ومع ذلك يشعرنا بوجود هذا الفكر في ذلك الوقت وان كان كمال تخمره في سنة ١٨٦٦ منه عفي عنه .

ناظر المعارف بكمال النشاط والفرح والسرور الى جمع المعلومات اللازمة لاعداد اسباب والتماس طرق مفيدة موصلة الى المقصد المذكور بكمال السرعة مثل قطار اكسپرس
وفى سنة ١٨٦٨ طرح شخص من المسلمين يسمى ميرسيد بن يعقوب اليونسى مسئلة فتح مكتب روسى مخصوص بالمسلمين بمصاريف محاكم الناحية وقد كان المذكور عضوا فى محكمة ناحية ولاية وانكا فوجدت جمعية محكمة الناحية قوله عين الصواب ونفسه محقا فى اختراعه المذكور وان اختراعه واقع فى موقعه وموافق لما كانوا يدبرونه فى الوقت المذكور فنشروا الى محاكم الناحية المتعلقة بالقصبة التى فيها المسلمون اوراقا مضمونها لزوم كون المواضع التى يقرأ فيها المسلمون بالروسية خاصة بهم ولكن لما امتنع المسلمون المقيمون فى اطراف قضاء اصلابود عن القراءة بالروسية كتبت محكمة الناحية فى ١٥ مارت من العام المذكور كتابا الى الجمعية الشرعية المحمدية الاورنبورغية يطلب منها الاعانة فى خصوص حركات الائمة والمدرسين . فكتبت الجمعية المذكورة اليها فى ٢٢ آپريل من العام المذكور هكذا ان الجمعية المحمدية الاورنبورغية مجبورة لحل المسئلة المذكورة الى معرفة المواد الآتية ١ ان المحكمة المذكورة اذا فتحت مكتبا روسيا لاجل المسلمين فهل هى ملتزمة سائر مصاريفه سوى معاش المعلمين؟ ٢ وهل يقرأ فى تلك المكاتب بالروسية فقط ام يقرأ فيها اشياء اخر ايضا ؟ ٣ من يكون المعلمون هل من الروحانيين الغير المسلمين او من غير الروحانيين؟ ٤ فى اى مواضع تكون تلك المكاتب هل فى جميع المحلات عموما او فى بعضها فقط؟ ٥ هل تجبر الطلبة الكائنون فى المكاتب والمدارس الاسلامية على القراءة بالروسية كلهم او كانوا مختارين فى ذلك؟ فما دامت الجمعية المحمدية لم تسمع جوابا لهذه الاسئلة لا تقدر على تدبير ما من طرفها فى هذا الخصوص * فانه كان للجمعية المحمدية خبر عن ادخال مدارس المسلمين تحت تصرف نظارة المعارف وقد كان المفتى كتب الى والى ولاية وانكا فى هذا الخصوص فى ١١ مارت من العام المذكور * وفى ١٩

ينوار من عام ١٨٦٩ كتب من طرف الجمعية التعميمية الكائنة بقضاء صراپول الى المفتى هكذا ان المدرسين يعاندون فى خصوص اقراء المسلمين وتعليمهم بالروسية ولاسيما الآخوند الابراهيمى القارينى فى قضاء اصلابود حتى انه جاء قرية اغرجى وقال للمسلمين هناك ان الذين يقرئون اولادكم بالروسية يعينون من القسيسين فاياكم ان تعطوا اولادكم للاقراء بالروسية وخوفهم بذلك واغراهم والحال ان المقصود من اقرائهم بالروسية هو نفعهم وفائدتهم ولهذا نرجوكم ان تظهروا كونكم حاكما ذا درابة واقتدار لامثال هؤلاء الائمة والمدرسين * فاجابها المفتى بانه قد اجريت التدابير اللازمة فى شأن الآخوند الابراهيمى ولكنى لااستصوب دعوة الخلق فى هذا الخصوص ولااراها حقا اه تقدم آنفا ان نظارة المعارف شرعت فى جمع المعلومات اللازمة الخ وبعد ان جمعت تلك المعلومات فحصت وبحثت عنها ايضا مرة اخرى فى مجلس شورى(١) ناظر المعارف فى ٢ فيورال من سنة ١٨٧٠ ومن التدابير التى رتبت ونظمت فى ذلك المجلس فى شان التتار المحمديين واثبتت فى صحيفة ٥٥٦. الى ٥٦٠ من دفتره المسمى بژورنال شورى نظارة المعارف تحت رقم ٤٢ هى هذه ١ بناء مكاتب روسية ابتدائية قروية وبلدية فى اماكن فيها قرى المسلمين وغيرهم من المصارف الميرية وتعيين معلم روسى عارف بلغة التتار فيها الى ان يوجد معلم تاتارى عارف بلغة الروس مقدار الكفاية وتأليف التتار مكالمة معلمى الروسية فى ساعات معلومة وتعيين جماعة التتار شخصا معتمدا من بينهم لنظارة المعلمين ٢ تسهيل شرائط دخول اى مكتب كان من مكاتب الروسية لاولاد التتار وتسهيل طريق الدخول فى المكاتب الابتدائية

---

(١) والذين وضعوا امضا آتهم لهذا التدبير هم هؤلاء ناظر المعارف ثونت ديميترى طولستوى آ. ى. پوستيليس م. ماغلينسكى آ. وارونف ن. كورنيلف ن. غارت ن. اشتيمان كينازن. ليوبين ث. فالانين وهو مدير مأمورى الاجرا الذى اكد هذا الامر واعلن هذا التدبير من طرف دائرة محكمة الروحانيين فى پيطربورغ الى محكمة الاساقفة بقزان فى ١٥ سنتابر من العام المذكور تحت رقم ١٨ منه عفى عنه.

القروية خصوصا التحصيل استعداد الدخول فى المكاتب التى فوقها كالمكاتب البلدية والرشدية حتى يتعلموا اللغة الروسية وإما تعليم الدين المحمدى اياهم وكذلك مصاريفهم تكون فى ذمة جماعة المسلمين او فى ذمة آبائهم واولياء امورهم ٣ تكليف جماعة المسلمين بفتح درس لغة الروس وكتابتها فى مكاتبهم ومدارسهم بمصاريفهم بمعنى انهم يستأجرون من يعلمها بمصاريفهم ويتعلمونها بشرط ان يعين لهم المعلمون من الروس الذين يتقنون لغة التتار الى ان يدرك من انفسهم المعلمون المتقنون لغة الروس ويلزم عليهم ان يعلموا اولادهم قواعد علم الحساب بلسان الروس ومن معلمى الروس بحيث لا يجوز لاحد من الاولاد الذين يقرأون فى المكتب الاسلامى عدم الحضور للتعلم المذكور ولا يساعده فى ذلك قط ولا يمنع احد من الدخول والحضور فى مكتب الروس وقت قرأة الاولاد فيه سواء كان ممن يقرأ فى المكتب او بانيه او المقرئ والمعلم فيه لئلا يبقى فى قلب احد شبهة فى انهم اى شئ يتعلمون وماذا يفعلون فيه ٤ لا يؤذن لجماعة المسلمين بانشاء مكتب او مدرسة فى محلة لم يكن فيها مكتب ومدرسة اولا الا اذا قبلوا والتزموا فتح درس روسى فيه بمصاريفهم ٥ كون نظارة الدرس مطلقا سواء كان من القسم الاسلامى او الروسى والتصرف فيه مختصتين بناظر المكاتب الابتدائى الملقب (باينسبكتور ناجالنى نارودنى او جيلشچه) ٦ فتح (١) دار المعلمين لاعداد المعلمين من التتار فى موضعين احدهما فى بلدة اوفا والاخرى فى سيمفيروبول (بلدة آق مسجد بقرم) ٧ طلب الاذن والشفاعة والاسترحام من الحكومة بمساعدتها لاجراء الدسائس الآتية ١) بعد تكميل التدابير والقوانين الموضوعة لتقريب التتار المسلمين من الروس بوضع وبعين مدة معلومة (يعنى لتحصيل ما يلزم طلاب الوظائف من الشروط) فاذا امضت المدة المعلومة يطلب ممن ينتخب

---

(١) وبعبارة اخرى دار الشياطين ودار المرتدين ودار الفاسقين وقد فتحت فيهما وفى قزان واورنبورغ ولا يخرج منها احد الا بعد تجرده من الايمان والحياء والدين انا لله وانا اليه راجعون منه عفى عنه

وظيفة الامامة اوالتدريس مثلا شهادتنامه مبينة بانه عارف من لغة الروس وكتابتها وقراءتها مايكفيه لوظيفته المذكورة وانه يعرف القواعد الاربع من علم الحساب وبالجملة يبين فيها انه قد اكمل الدرجة الاولى من المكاتب الابتدائية فمن لم يبرز الشهادتنامه المذكورة لاينتخب لوظيفة من الوظائف الدينية ولايعين لها ولاينصب بها ومن حاز الشهادتنامه المذكورة من (١) اهل قريته يعطى له وظيفة دينية وان لم يكن من نسل ارباب الوظائف (فانما اصل المعنى ما قدمضى وهذا قد حصل الشهادتنامه التي هى اصل كبير عند الروس) ج) بعد مضي المدة الموضوعة المعينة عقب تكميل القوانين المذكورة وتنظيمها لاينتخب احد من التتار المسلمين لخدمة الجماعة ولايعطى له وظيفة ما مثل خدمة الناحية اوالبلدة اوالقرية او محكمة الجمعية الشرعية المحمدية الابعد ابرازه شهادتنامه ناطقة بتطبعه ومهارته بلغة الروس وقراءتها وكتابتها وبعلم الحساب واياك ان تظن هذه التدابير والافكار حصلت لهم سهولة وقامت لهم رخيصة كما يحصل بعض الافكار وقت قضاء الحاجة اوالمشيى اوالصلوة كلا ثم كلا فانك تتفطن من بيان تواريخها انه قدمضى من مبدأ دوران هذه التدابير والافكار الى استوائها ونضجها بالتمام اربع سنين كوامل ولاتظنن ان اعضاء شورى نظارة المعارف وان لم تكونوا مثل بسمارك فى فن السياسة الا ان لهم الماما ما بها كلا ثم كلا بل كل منهم بعداء عن الحقيقة والسياسة والمعارف بمراتب وكلهم تماثيل التعصب المجسم اعضاء الجمعية العوربة المار ذكرها اجل قصدهم اضرار المسلمين وابراز العداوة لهم سواء تضررت دولتهم فى ضمنها اولا والتفكر فى ذلك ليس من وظيفتهم ونصيحة دولتهم ليست عندهم من واجبات ذمتهم وانما يظهرون فى كسوة النصيحة اياما استتارا لاغراضهم الفاسدة وانواع حيلتهم لتمشية دسائسهم وشيطنتهم والحاصل انهم اعنى اعضاء الجمعية الغورية ومنهم ناظر المعارف اجتمعوا (٢)

(١) وانما قال ذلك لان عندهم الشرط فى نيل الوظائف الدينية الكون من نسل ارباب الوظائف كما هو الآن عند الدولة العثمانية كذلك منه عفى عنه

(٢) وسبب هذا الاجتماع وابداء هذه الشيطنة وايجاد هذه المصاعب والمشاكل بعد ان كان الكل ابناء وطن واحد تقدم قريبا فتذكر منه عفى عنه .

اولا بقزان فى سنة ١٨٦٦ زهاء سبعمائة عضو(١) على ماقيل وتذاكروا فى اسباب ضد التتار عن الترقى ووسائل انتشار الجهالة فيهم حتى يتمكنوا من بث روح النصرانية فيهم بسبب ذلك على زعمهم الفاسد واطلقوا عنان تمام الحرية فى الكلام ليظهر لهم غش الدسائس وسمينها فكثر فيها القيل والقال والتنازع والجدال حتى كادوا يتضاربون بالنعال فمنهم من قال الرأى عندى فى ذلك ان نؤسس عدة فابريقات من صندوق جمعية ميسيونر فى اماكن اكثر اهلها التتار ولا نستعمل فيها الا اياهم ونقتنى فيها البط والاوز وسائر الطيور ونستعمل لتربيتها والقيام بشؤنها نساء التتار واولادهم ونبنى لهم فيها المساجد والمكاتب ونعين فيها ائمة ومعلمين يغنون بمعائشا ويرقصون على ايقاعنا ونعين ايضا معلمين يعلمونهم اللغة والكتابة الروسيتين ويكون هؤلاء المعلمون ومدبرو الفابريقات فى غاية الملايمة والملاينة والاخلاق الحسنة حتى لايصدر عنهم ادنى شئ ممن ينفر التتار ونقرئهم فيها الاناجيل المترجمة بلغة التتار ونقول لهم ان هذه من جملة كتبهم المعتبرة الان علماؤهم اهملوا امرها لسبب من الاسباب فبهذه الطريقة يمكن لنا ان نملك قيادهم فى مدة خمسين اوستين سنة وعلى الاكثر فى مدة مائة سنة وكل آت قريب ومنهم من(٢) قال وحيث منحتم الحرية فى الكلام لينكشف الحجاب عن وجه المرام لايسوغ لى كتم الحقيقة التى تختلج فى خلدى على الدوام لئلا اكون خائن ملتى فافتضح بين الانام وذلك ان كافة الفحش والخبث مثل ادمان شرب الخمر والسكر والزنا والتلطخ بانواع النجاسات والقاذورات مختصة بنا معاشر الروس وجميع المحاسن مثل الاجتناب عن المنكرات والانصاف باضدادها مختصة بالتتار يقعدون فى دكانهم يتعاطون البيع والشراء بكمال الصدق والامانة ومتى دخل وقت الصلاة واذن المؤذن يتطهرون كمال الطهارة ويلبسون احسن وانظف ثيابهم ويذهبون الى المساجد

(١) وفيهم الاساقفة والقسيسون وكل من فاق الشياطين فى الاغواء والدسيسة ٠٠٠ .

(٢) وقد قيل ان هذا القول لمولا اسقف اورنبورغ والحاصل انه استقبح تشبثاتهم هذه استقباحا شديدا واستنكرها وتبعه اسقف قزان فى ذلك وكان اشدهم فيها اسقف اوفا ورئيس الجمعية شوالف ٠٠ عفى عنه .

ويعبدون ربهم احسن عبادة فيؤدون حقوق الناس وحقوق ربهم اتم الاداء فهم والحالة هذه كيف يتركون ماهم عليه من تلك المحاسن ويأخذون ماعندنا من تلك الفواحش والخبائث اختيارهم من غير اجبار واكراه كلا فان هذا لا يكون قط الا اذا هددوا بالسيف واخذتهم السيوف بالفعل من كل جانب فحينئذ يقتل من يقتل ويتنصر البواقي ضرورة ولا فكل عمل سوى ذلك عقيم يقينا وقيل غير ذلك من المقالات ايضا ثم قام بعد الكل ابو جهل الجمعية المذكورة وهو شوالفي ففكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر وبسر ثم ادبر واستكبر فقال عندي ماهو اهون وايسر ولقوم التتار اشد واعسر ولنجح اغراضنا الفاسدة هذه اعون وانصر وبه يكون مشروعاتنا الابليسية اخفى واستر بحيث لا يتفطن لكونها دسيسة سوى غريبت بوادي السياسة الذي قاس مسافتها ودقق فيها النظر واهمن وخبر وهو الجاء التتار واضطرارهم الى قرأة لغة الروسية وتعلم كتابتها خصوصا المرشحين منهم للوظائف الدينية كالامامة والتدريس وجرهم بهذه الوسيلة الى سمت الاختلاط بالروسية دائما المفضي الى التطبع بطبائعهم وزوال الحجب الكثيفة والموانع القوية من بين الفريقين فلا يبقى بينهما شيء من الاثنينية الادعوى هذا الاسلام وهذا النصرانية فمتى بلغ الامر هذا الحد فالامر هين نخترع لرفع هذه الاثنينية ايضا تدبيرا آخر مناسبا للوقت والحال فلا يحتاج فيه الى طول المدة ولا الى سفك الدماء في عصر المدنية بل نصل الى المقصد في اقرب الازمان وذلك ان التتار احرار ارون في اجراء امورهم الدينية وفي حق مكاتبهم ومدارسهم وفي شأن التعليم والتحصيل فيها وانتخاب القضاة اعضا الجمعية الشرعية والائمة والمدرسين ونصبهم من جميع الوجوه خصوصا من عصر يكاترينا الثانية وهم يعني التتار اصحاب الغيرة والحمية وارباب الصبر والعزيمة وذووالجد والنشاط والهمة لا يطرأ عليهم الاعياء والتعب ولا ينطرق على هممهم الفتور يتحملون من المتاعب والمشقات ما لا يحتمل من سواهم عشره حيث يداومون التحصيل في مكاتبهم بلادهم ومدارسها سنين عديدة ليس عند اكثرهم من القوت ما يدفع عنه الم الجوع ولا من اللباس ما يرد عنه مضرة البرد واكثر تلك المكاتب والمدارس بحيث لا فرق بينها وبين مأوى البهايم في عدم الحسن والزينة وكثرة الزحام فيها

ومع ذلك فهم يمضون فيها اوقات تحصيلهم بغاية الجد والنشاط والفرح والسرور كانهم في اعلى غرف الجنان بل ربما يشبهونها في اشعارهم الملبة بالجنة حيث يقولون شعر:

بو دنيالرنك اوجماغى * مدرسه لرنك بوجماغى

ولا يكتفى اكثرهم بما فيها من الدروس بل بعد اكمال الدرس فيها يتوجه الى بخارى وكثير منهم ماش على رجليه حاملا كتبه وزاده على ظهره ومع ذلك لا يرى على وجهه اثر السآمة والتضجر والكآبة بل هو فرحان ومسرور كانه ذاهب الى مصلى العيد وبعد وصوله الى البخارى بعد قطع تلك الفيافي والمهامة برجليه في مدة كثيرة لا يجد حجرة يأوى اليها لكون الحجر هناك تباع في مقابلة الثمن وهذا ليس عنده ثمن حتى يشتريها فيضطر الى سكنى مدرسة فتح آباد التي على مقدار ميل شرعى من بلدة بخارى لكون حجرها مجانة ومشروطة لاهل قزان فيلزمه قطع مسافة ثلاثة اميال كل يوم للذهاب الى الدرس وايابه فيدوم على التحصيل هناك على المنوال المشروح بكمال الجد والنشاط سنين عديدة لا يعرفه التنور قط ولا يزوره ولكن ربما يصيبه فيها امراض مهلكة فيقضى نحبه وهو معتقد انه مسعود لكونه من زمرة الشهداء فانه مات في طلب العلم وفي ارض الغربة ليس عنده احد يرجو منه ادنى نفع ومرحمة ويتوجه اليه سوى الله فهو لا يرجو ولا يتوجه الا اياه فياله من سعادة ومنهم من ينتظر حصاد مازرعه اكمل مايكون ومابدلوا مسلكهم ونيتهم تبديلا فاذا اتم الدروس المقروءة هناك فمنهم من يضن به كبراء بخارى فلا يرضون بخروجه منها فيعطونه وظيفة التدريس بمعاش كاف لكونهم سالمين من التعصب وحرصاً على العلم والعلماء ومنهم من يختار الرجوع الى بلاده لتعليم ابناء جنسه ومنهم من يدعوه اغنياء بلاده ويرسلونه مبالغ كافية لشراء الكتب اللازمة ومصروف الطريق فيرجع الى وطنه قائلا والعود احمد وقد ملأ حقائب استعداده وجواليق قابليته بجواهر العلوم ولآلى المعارف ونفائس الفنون وقد زانها بكرائم احجار الاستقامة والوقار والآداب والسكون ومعه من

مايس الكتب الدينية والفنونية مايحير العقول واذا رجع الى بلده وان كانت هناك مدرسة محلولة نصبوه مدرسا فيها والابنى له واحد من الاغنياء او اهل المحلة اوالقربة على حسب درجته فى العلم والفضل والاقبال مدرسة وينصبونه فيها مدرسا ويلتزمون مصاريفه ومصاريف مدرسته من غير مداخلة حكومة فى شئ مما ذكر سوى اعطاء المنشور حسب ابلاغ الجمعية الشرعية المحمدية اليها امره فيدرس المدرس المذكور فى تلك المدرسة مجانا وحسبة لله لايعرف الضجر ولاالسآمة ولاتنزع نفسه الابية قط الى شئ من زخارف الدنيا بل يعد نفسه اسعد اهل زمانه حيث نال بغيته ووصل الى مقصده وهو ايصال النفع الى ملته واخراج اولاد جنسه من ظلمات الجهل الى نور العلم والمعارف وتحسين احوال ابناء جلدته وقد اجتمع لديه مآت من طلبة العلوم المستعدين المتصفين بالاوصاف السابقة فلايخرج من الدنيا الاوقد تخرج عليه مآت من امثاله وخرجوا من مدرسته فضلاء كملاء مثله وكل واحد منهم سالك مسلكه فى التعليم على الاسلوب السابق وهكذا تذهب هذه السلسلة الى امد بعيد لايتقرب اليها شئ من برهان تطبيق هذا العمل الى قوانين الحكومة وبرهان تضايف اراء رجالها اليها فهل والحالة هذه يمكن جر التتار نحو سمت الروسية اوازالة شئ مماهم عليه من الامور الدينية كلا الف مرة كلا الا اذا شرطنا ما ذكرناه فانا اذا شرطنا اهليتهم واستحقاقهم للوظائف والمناصب الدينية بتعلمهم اللغة والكتابة الروسيتين مقدارا كافيا وكلفناهم بذلك ولم نعط الوظائف المذكورة لمن ليس فيه الشروط المذكورة يتركون السفر لتكميل العلوم الى بخارى ويمتنعون عنه ويتحبسون فى اماكنهم لعدم امكان تحصيل الشروط المذكورة فيها بل لا يقدرون على تحصيل ما يلزمهم فى امورهم الدينية لعدم الفراغ وفقدان مساعدة الوقت فان تحصيل الشروط المذكورة لاتكفيه المدة اليسيرة بل لا بد له من زمان كثير خصوصا تعلم اللغة على وجه يستأهل متعلمها الشهادة التامة من طرفنا بانه قد حصل منها ما يكفيه لوظيفته المطلوبة فيبقى الائمة والمدرسون بهذا الوجه جهلاء والعوام جهلاء فى حد

ذاتهم وتصلبهم فى الدين تابع لتصلب العلماء فاذا غشيت الجهالة ائمتهم ومدرسيهم ايضا وتطبعوا بطبيعة الروس وتخلقوا باخلاقهم وتعودوا بعاداتهم ولم يبق بين الفريقين كراهة احدهما للاخرى بل حصلت الالفة الكاملة بينهما بسبب طول الصحبة وكثرة الاختلاط بينهما وقت التحصيل كما هو المشهود بين ارباب التحصيل هان لنا بعد ذلك رفع الحجاب الاخير الموجب للاثنينية والمانع عن الاتحاد لزوال تصلبهم السابق فضلا عن تعصبهم وزد على ذلك تطبع سائر اولاد المكاتب بطبيعة الروس بسبب تعليمهم اللغة والكتابة الروسيتين ومخالطتهم بهم من صغرهم فحينئذ لا ينفعهم استنكاف من يستنكف عن تعلمهما ومخالطتهم ولا تحصيل علومهم فى الخارج فقط فانه لا يعطى له وظيفة التعليم ولا يؤذن له بذلك كما هو جار من مدة مديدة ومع ذلك ننزع انتخاب القضاة اعضاء الجمعية الشرعية من ايديهم ونتولاه بانفسنا ولا نتركهم يقرأون فى مكاتبهم ومدارسهم ماشاؤا وكيف يشاؤا بل نتولى النظارة فيها بانفسنا ونحدد الدروس والكتب التى يقرؤنها ولا نزال نضيق دائرتها حتى تبقى اضيق من سم الخياط ولا نزال نتداخل فى ساحل شؤناتهم وحالاتهم فبهذه الوجوه نوقعهم فى شراكنا ونصطادهم عن آخرهم فى مدة يسيرة من غير وقوع حاجة الى ضياع الوقت والاموال الكثيرة ببناء عدة ابريقات ولا لارتكاب فظائع القتل العام فى عصر التمدن فلما اتم ابو جهل الجمعية هذا الكلام بهذا الوجه قام الشيخ النجدى الذى كان حاضرا هناك وهو ناظر المعارف وقبل بين عينيه وقال هذا هو الرأى السديد والفكر الصحيح الذى ليس له مزيد لا فض فوك ولا نجح حاسدوك فانه وان كثر ارباب الترهات الان امثالك لا يوازنهم الا قليل من الاميات فصفق عليه الحاضرون علامة للاستحسان والقبول وهتفوا وصفروا وغطرفوا والحاصل تلقاه اهل المجلس كلهم بالقبول وسلموا على صحة تلك المقدمات ولم يشكوا فى حصول النتيجة بعد ترتيبها بهذه الكيفيات فان حصول النتيجة بعد صحة المقدمات ضرورية سواء قلنا انه عقلى او عادى او توليدى او واجب على اختلاف المذاهب ولما تم هذا الاتفاق فيما بينهم اخترعوا حيلة

اخرى لخدعة الحكومة بها وجلب انظارها اليها وان الحكومة وان كانت راضية بها بصفة كونها حكومة نصرانية الا انه لابد لها من سبب آخر مناسب ونافع له بصفة كونها حكومة مطلقة مع قطع النظر عن كونها نصرانية وحيلة اخرى ايضا يسترون بها اغراضهم الفاسدة الكائنة تحت تلك التكليفات من ارباب العقول الضعيفة من المسلمين ومن سائر الاجانب اما الاولى اعنى حيلتهم لخدعة الحكومة فانهم قالوا لها ان تقوى كل دولة وبقائها انما يكون باتحاد دين رعاياها ومذهبهم مهما اختلفت اجناسهم وكل دولة فقدت هذه الصفة فلا يمكن تقويها ولو حصلت له قوة فى وقت ما الا ان عاقبتها غير سالمة من الخطر ولا هى آمنة من حدوث حوادث موجبة لكدر بعلة العناصر المغايرة لعنصر الحكومة ولو بمذهب دين ومثلوا لذلك بدولة الروم واليونان القديمة وغيرهما من الدول المنقرضة بالكلية او القريبة من الانقراض ثم قالوا وان دولتنا هذه دولة الروسية مجتمعة وملتئمة من اقوام شتى واجناس مختلفة ولكل واحد منها دين على حدة يدينون به ومذهب مستقل ينتحلونه ولم يدخل واحد منها تحت طاعتنا طوعا وحبا بل بقوة السيف فهم وان كانوا يطيعوننا فى الظاهر لعجزهم عن المخالفة والعصيان الا ان محبة الاستقلال لم تخرج بعد من سويداء قلوبهم وطمعها لم تزل فى اهوائهم وعلوقهم وفى مقدمتهم التتار بل المتصفون بهذه الاوصاف ليسوا الا هم فانهم كانوا حكام هذه البلاد وسادات من سواهم من سائر الاقوام وغيرهم كانوا تابعين لهم واثر هذه السيادة والتبعية باق فى الطرفين الى الآن فان من سواهم مائلون اليهم دائما ويحبونهم اكثر من الروس ويتعودون بعاداتهم ويعظمون ايام جمعهم واعيادهم بل لا يزالون يدخلون فى دينهم سرا ونحن وان سلبنا من التتار كافة قواهم المادية والصورية مذ استولينا على بلادهم ونزعنا الملك منهم بحيث لم يبق منها فيهم شئ يخاف منه الان قواهم المعنوية بعنوان الدين والعلوم والمعارف باق فيهم من غير نقصان لم نقدر ان ننقص منها شيئا مع بذل جهدنا وصرف قدرتنا فيه فضلا عن ان نقدر على سلب كلها بل لا تزال تلك القوة تزيد وتنمو شيئا فشيئا مع مرور

الزمان من منحتهم بكاتريا الثانية تمام الحرية وكمال الوسعة فى امر الدين والتحصيل لكون الامر فى ذلك كله فى ايديهم يقرؤن مايشاؤن وكيف يشاؤن ولا اطلاع لنا عما يحصلونه فى مكاتبهم ومدارسهم وامر انتخاب القضاة والائمة والمدرسين ايضا بايديهم ينتخبون من يوافق مشاربهم ويتركون من يخالفها وليس لنا الا تصديق من انتخبوه وليس هذا الا انشاء حكومة فى داخل الحكومة فهل نأمن والحالة هذه من سوء عاقبة هذا الاهمال ومن ظهور حوادث فى خلال هذه الاحوال فالاحتياط فى تدارك الامر قبل تفاقمه والحزم هو الاجتناب عن الامر المحتمل قبل وقوعه وتمام التدارك لا يمكن الا بجبر قوم التتار الى التنصر فان الدملة لا تريح صاحبها مابقى القيح العصب الذى فى وسطها وكذلك التتار مابقوا على ماهم عليه من الاسلام لا رجاء لنا فى جر سائر الاقوام الى ديننا لكونهم تابعين لهم كما قلنا واما اذا جررنا التتار الى ديننا فسائر الاقوام يهرعون اليه بانفسهم من غير جر كالسيل المنهمر وقد وضعنا طريقا سهلا يسيرا لجبر التتار الى ديننا بحيث لا يشعر به احد ولا يشعرون هم انفسهم ايضا به وهو تكليفهم بمعرفة مقدار كاف من لغة الروس وكتابتها لاحراز منصب الامامة والتدريس والخطابة على وجه لا يعطى لهم المناشير بمنح تلك المناصب الا لمن بيده شهادتنامه ناطقة بمعرفة ذلك المقدار ونزع حق انتخاب القضاة اعضاء الجمعية الشرعية المحمدية من ايديهم وجعله فى ايدينا وجعل مكاتبهم ومدارسهم تحت نظارتنا ومراقبتنا وهذه الامور الثلاثة هى اساس مشروعنا المقدس وهى ضامنة وكافلة بنجاحه على اننا مستعدون لتفريع فروعات مناسبة للوقت والحال عليه فان اعمالنا هذه ليست محدودة وابواب الحيل ليست مسدودة فان حفنا من اصابة ضر وفوت المطلوب من باب واحد ندخل من ابواب متفرقة ولا نطلب من الحكومة سوى الاذن باجراء هذا المشروع المقدس ومد يد المساعدة والاعانة فيه حسب الامكان وهذه نصيحة قدمناها للحكومة اداء لما وجب فى ذمتنا اليها هذا هو خلاصة حيلتهم التى خدعوا بها الحكومة وهذا هو مراد الميسيونير يا كوبلف المشهور الان فى قزان بقوله فلولا اجتهاد جمعية الغورى فى سنة

١٨٦٧ بقزان لاهتدى المكرهون كلهم وحيث انه صدر منها السعى والاجتهاد
بقى بعض المكرهين على النصرانية اه من جريدة بولدز عدد ٥١ واما
حيلتهم لايجاد الحجاب والستر فى قلوب السطحيين ارباب العقول السذج من
المسلمين والاجانب فانهم اظهروا لهم ان هذا التكليف انما هو لكونهم
(الائمة والخطباء والمدرسين) من اعضاء الحكومة الروسية وبيدهم دفاتر
المواليد والوفيات المسماة بدفتر متريكه وانهم مكلفون بترجمتها الى لغة الروسية
فى آخر كل سنة وانه يقع فى ترجمتها خطايا كثيرة لعدم دقة مترجميها ومبالاته
لعدم توجه المسئولية بتلك الخطايا اليه وانه يرد اليهم من طرف الحكومة
دائما اوراق رسمية فيها اوامر وسوآلات واستفسارات وتلك الاوراق كانت
مكتوبة بالكتابة واللغة الروسيتين الرسميتين واذا لا مندوحة لهم من
معرفتهما والترجمة الصادرة من طرف الغير لاتخلو من وقوع الخلط والخبط
والخطأ الموجب للملامة والتكدير بل والتعزير مع ما يترتب على ذلك
من مشقة طلب المترجم واعطاء الاجرة له فى كل مرة فلو عرفوهما الائمة
والمدرسون لتخلصوا من هذه المحذورات كلها ومع قطع النظر عن
ذلك فان معرفتهما صنعة ومعرفة نافعة لصاحبه خصوصا لسكان بلاد الروسية
ولا مانع فى الشريعة المحمدية من تعلم اى علم وصنعة كان وهذا هو خلاصة
حيلتهم فى بيان عذرهم واظهار سبب تكليفهم بهما ظنا منهم ان المسلمين
كلهم غافلون عن دسائسهم الجارية فيما بينهم ونواياهم فى ذلك والحاصل
انهم لما نالوا الاذن من الامپراطور باجرائه بشرط عدم افضائه الى الاختلال
اجتمعوا ثانيا وكرروا النظر فيما دبروه ورتبوه ونظموه ثانيا على ما مر
ثم عرض ناظر المعارف مارتبوه ثانيا على الامپراطور فصدر عنه الاذن
(١) باجرائه والتصديق بما فيه بالشرط المذكور مع الامر بمراجعة النظارة
الداخلية ومشاورتها فيما يتعلق بها وذلك فى ٢٦ مارت سنة ١٨٧٠م
المصادف اواخر سنة ١٢٨٦ﻫ فابلغ ناظر المعارف البلاغ المشتمل على

---

(١) والاذن الاول انما كان لاجل التشبث باذيال تلك الحيل والدسائس وهذا
العرض والاذن لاجرائها منه عفى عنه .

اذن الامپراطور وامره المذكورين المرقم برقم ٣٦٠٩ مع ترتيبات جمعية شورى المعارف الآتى ذكرها لنظارة الداخلية فى آپريل من العام المذكور وهذه صورة ترتيبات جمعية شورى المعارف التى قدمت لنظارة الداخلية ١ لا يؤذن بعد ذلك للمسلمين ببناء مكتب جديد ما لم يلتزموا باستئجار معلم روسى بمالهم علم اولادهم فيه اللغة والكتابة الروسيتين ٢ يكون نظارة التعليم الروسى فى المكاتب والمدارس مختصة بناظر المكاتب الابتدائية الروسية الملقب بانسبكتور ناچالنى نارودنى اشكول ٣ بعد مضى مدة مضروبة لتعلم اللغة والكتابة الروسيتين لا ينتخب للوظائف الدينية والمناصب الرسمية وخدمة محكمة الجمعية الشرعية المحمدية الا من عنده شهادتنامه ناطقة بمعرفتها، فبعد ذلك اصدرت نظارة المعارف امرها المرقم برقم ٨٠ فى ٢٤ ينوار سنة ١٨٧١ الى محكمة الجمعية الاسلامية الاورنبورغية والقريمية باكمال هذه الامور واجرائها من غير تبديل ولا تغيير ولكن كان اينسبكتور (مفتش) مكاتب ولاية اوفا الابتدائية طلب من المفتى سليم گراى التركيلى فى ١٨ سپتابر سنة ١٨٧٠ اعنى قبل ورود الامر اليه من النظارة الداخلية اجراء تنظيمات ژورنال جمعية شورى نظارة المعارف المتقدم ذكرها بالفعل ولهذا كتب المفتى المشار اليه الى النظارة الداخلية ان من الحزم عدم تبديل شىء من اساس امور المسلمين الدينية الى ان تنفتح الجمعية المشكلة تحت نظارة ناظر الداخلية الموجهة الى عهدتها تبديل قوانين المحكمة الدينية لئلا يتطرق سكتة وتأخير على جريان المقاصد الاصلية ورواجها، فكتب اليه نظارة الداخلية ان الحكومة ترجو منك ان تجتهد فى تحسين نشر لغة الروس فيما بين التتار بايراد الادلة المعقولة وبيان فوائدها وان تسعى فى ازالة الحركات المحتمل وقوعها وصدورها عن بعض اشخاص معارضة للحكومة ومعرض عن اوامرها وبعد ورود هذا الامر وان اظهر المفتى المشار اليه استحسانه لهذا المشروع ولزوم السعى والاعانة من طرفه لاجرائه ورواجه الا انه بين عدم امكان اجراء تنظيمات الژورنال المذكور على المدارس الموجودة الآن ولما

ابلغ جواب المفتي هذا لناظر المعارف قال ان التنظيمات المذكورة ليست في حق المدارس الموجودة الآن وطلب من نظارة الداخلية الاعانة في اجراء التنظيمات المذكورة المصدقة من طرف الامپراطور واكمالها وفي ذلك الوقت كان الخبر المذكور انتشر بين المسلمين فانزعجوا منه انزعاجا شديدا واتفقوا على عدم قبول التكليفات المذكورة بوجه من الوجوه وان كان فيه حتفهم ولذلك واطلب ناظر المعارف كتب نظارة الداخلية الى المفتي بامره ببذل جهده وسعيه مهما امكن في منع العلماء من العصيان على الحكومة ومن مخالفة اوامرها في نشر لغة الروس بينهم فبعد ان رتب المفتي نصيحة للعلماء ارسل نسختها الى نظارة الداخلية بعرضها عليها بالعلم انها موافقة ام لا فصدقها الناظر بعد التعديل والتنقيح والتكميل واعادها الى المفتي فارسلها المفتي بعد الطبع بلغة الروس الى العلماء ونشرها بين المسلمين ومضمونها التحريض على تعلم لغة الروسية وكتابتها وبيان لزومها عقلا ونقلا وبيان ان قول القائل ان الذي يجتهد في نشر لغة الروس بين المسلمين مجتهد وساع في الحقيقة في ادخال النصرانية افتراء محض لا محل له من اعراب الصحة وان في صحيح البخاري ما يدل على صحة تعلم لغة اليهود (كذا) الى غير ذلك من النصائح المهمة المناسبة للحية المفتي المذكور. فكان من نتيجة نشر هذه الورقة سقوط محكمة الجمعية الاسلامية من اعين المسلمين وزوال امنيتهم عنها وفقدان اعتمادهم عليها وعدم بقاء نفوذها فيهم وكونها معروضة لملامتهم وتهمتهم واعتقادهم بانه لا خير فيها بعد الآن وانها مقبضة ماكينة الدسائس الشيطانية فان المسلمين كانوا مطلعين على الماجريات المذكورة كلها في وقتها وساعتها ودقيقتها ومواضعها واربابها فكثرت الملامة بعدئذ على اعضاء الجمعية الاسلامية ولاسيما المفتي حتى ان الملا شاهين كراى افندى الچشموى عليه الرحمة والغفران احد العلماء الكرام في الوقت المذكور كتب الى المفتي يشنع عليه ويوبخه بما صدر عنه

واستعمل فيه لسان الحدة فسكت عنه المفتي ولم يتعرض له بسوء مع قدرته في مثل ذلك الظرف على اجراء ماأراده فيه فعد ذلك من محاسنه رحمه الله.
ومن شدة حرص جمعية المبسيونير لم يكتفوا بطلب اجرائه من المفتي فقط بل شرعوا في اجرائه من طرف انفسهم بالفعل ونشروا الاعلانات بين العلماء في العام المذكور اعني سنة ١٨٧٠ مضمونها ان حضرة الامبراطور امر بتعلم اولاد المسلمين الكائنين في المكاتب والمدارس الاسلامية اللغة والكتابة الروسيتين وادخال معلمي الروس في مدارسهم وهاك مامعرب مانشره اينسكتور (المفتش) رأدلف المفوض اليه نظارة وتفتيش مكاتب المسلمين ومدارسهم بدائرة المعارف بولاية قزان خطابا للعلماء بتلك الولاية في ١٣ اغستوس عام ١٨٧٢ تحت رقم ١١٣٥ بالروسية والتركية قال بناء على القانون الامبراطوري الصادر في ٢ فيورال سنة ١٨٧٠ تحت رقم ٤٢ الناطق بلزوم القراءة بالروسية في مكاتب المسلمين ومدارسهم لتضرر كثير منهم بسبب جهلهم بلغة الروسية وكتابتها (كذا) نبين المواد الآتية ١) لاجل جهالة المدرسين بالروسية يعين في مكاتبهم ومدارسهم من يعلم الطلبة بالروسية على حدة ٢) يكون درس هؤلاء المعلمين تعليم لغة الروس وكتابتها وتكلمها والاعمال الاربعة من علم الحساب ٣) المكاتب والمدارس التي بنيت قبل سنة ١٨٧٠ يتخذ فيها اهل المحلة هؤلاء المعلمين بمصاريفهم ، واما التي بنيت بعد العام المذكور لايؤذن بفتحها ان لم يقبل ويتخذ فيها معلمو الروسية وبناء على ذلك يلزم امام كل قرية فيها مكتب اومدرسة بنيت قبل العام المذكور ان يجمع اهلها ويعلمهم النظام المذكور فهل يرضون به اولا والمأمول ان تسعوا في امتثال الامر الامبراطوري واجرائه واتمامه حسب طاقتكم واما المكاتب والمدارس التي بنيت بعد العام المذكور ولم يرض اهل تلك القرية او المحلة باتخاذ معلمي الروس بمصاريفهم فتغلق المكاتب والمدارس المذكورة (١) ويلزمكم ان تبلغوني جواب الاهالي في ذلك

(١) يعني ان المدرسة التي بنيت قبل العام المذكور يطلب من الأهالي اتخاذ معلمي الروسية فيها بمصاريفهم ولكنهم لا يجبرون به ان لم يرضوا به واما المدارس التي يراد انشاؤها بعد العام المذكور لا يؤذن به ما لم يرضوا باتخاذ معلمي الروسية فيها بمصاريفهم والذي انشئت بعده فتغلق ان لم يرض الاهالي بذلك منه . عفي عنه .

سواء كان بالرضاء او بالرد وليضع امام كل قرية او محلة وشيخها ومختارها أمضاءهم فى الورقة التى كتب فيها الجواب * ويلزمكم ايضا ان تكتبوا الى الجواب لهذه الاسئلة ١) ما اسم امام قريتكم وفى اى موضع قرأ ومتى اخذ المنشور وهل يعرف اللغة والكتابة الروسيتين ٢) اى امام يدرس فى المدرسة واى منهم يعلم اولاد المحلة فى بيته ٣) هل فى قريتكم مكتب او مدرسة ومتى بنيت وبمصاريف من تقوم وتربى ٤) وهل للمدرسة وقف ٥) وهل يقرأ فيها بالروسية ٦) وكم كانوا فيها من اولاد المحلة وكم جاؤها من الاطراف والجوانب فى الشتاء السابق (وهو اوان التحصيل هناك) ام ولم يكتفوا بذلك ايضا بل جاؤا ببعض المدارس بمعلمى الروس بنية ادخالهم فيها جبرا فطردهم اهل المدرسة وضربوهم فظهر بعد ذلك علائم الاختلال والاغتشاشات * وفى سنة ١٨٧٣ ابلغ وكيل ناظر المعارف الى نظارة الداخلية ان العلماء فى ولاية قزان يعارضون على ادخال تعليم اللغة والكتابة الروسيتين فى مدارسهم اشد المعارضة ويردونه ردا باتا وطلب منهم ترتيب الجزاء على معارضتهم ومقابلتهم فكتب نظارة الداخلية الى والى قزان تستعلم منهما الاخبار والاحوال وترتيب لائحة فى خصوص اجراء التدابير المذكورة بالنظر الى احوال المحال والمواقع فكتب اليه والى قزان بان نعم ان العلماء والاغنياء غير راضين بادخال اللغة والكتابة الروسيتين ومعلم الروس فى مدارسهم ولا يقبلون اوامر الحكومة فى هذا الباب وسبب ذلك انهم يظنون ان تعليم لغة الروس وكتابتها هو مقدمة ادخالهم فى النصرانية ولهذا يقاومونه اشد المقاومة ولهذا ارى ان لابد من اجراء الجزاء الذى طلبته نظارة المعارف وعدا ذلك ان مسلمى الناحيتين من نواحى قزان امتنعوا من ارسال اولادهم الى مكاتب الروس التى كان حكام تينك الناحيتين فتحها فى جنب المدارس التى فيهما من ان جمعية دائرة المعارف ومأموريها كانوا قد اعترفوا بلزوم ارسال مسلمى تينك الناحيتين اولادهم الى مكاتب الروس المذكورة وكتب ايضا ببيان فكر مدير دائرة المعارف بولاية قزان وهو ان كل

من يترشح لوظائف الامامة والتدريس كما انه يطلب منه شهادتنامة مبينة لمعرفته مقدارا كافيا من لغة الروس وكتابتها كذلك يطلب منه اعترافه بفوائد تعلم اللغة والكتابة الروسيتين فى مدارس المسلمين وبكونه ضروريا لابد منه ويطلب منه ايضا التزامه الاعانة فى ادخال التعليم الروسى فى المكتب او المدرسة التى تحت تصرفه ويؤخذ منه الامضاء على ذلك وكذلك اخبر والى ولاية وانكا بوقوع المخالفة والمقاومة على التكاليف المذكورة فى الولاية التى تحت تصرفه ايضا وقال ان اعظم اسباب عناد المسلمين وافواها خوفهم من تزلزل الدين المحمدى ووقوع الخلل فيه ويزيده تحذير العلماء الكبار الذين لهم نفوذ وتأثير واقتدار ويرى الوالى المذكور لزوم كمال الاحتياط فى ترتيب الجزاء على العلماء ولزوم نصب ائمة ومدرسين يرجى منهم الاعانة فى حصول مقاصد الحكومة المعهودة حين احتيج الى نصب الائمة والمدرسين فاستصوب ناظر المعارف رأى والى ولاية وانكا هذا وفكره وكتب الى والى قزان ايضا ان يعمل به وفى ١ ايول من سنة ١٨٧٤ كتب من محكمة ولاية وانكا الى المفتى هكذا ان نظارة الداخلية ارسلت هنا صورة العريضة التى قدمت اليها من طرف مفتش مدارس التتار وباشقرد وقرغز بولاية قزان فى ١١ ايول من سنة ١٨٧٣ وقد قال فيها المفتش رادلف ان القراءة الروسية فى مكاتب المسلمين ومدارسهم قد ابتدأت بسعى محكمة نامية وانكا فى سنة ١٨٦٨ ولكن الائمة المتعصبين فى قضاء مالمزقد خالفوا هذا الامر وان صدرت المكاتبة فى هذا الخصوص بالمحكمة الشرعية الاورنبورغية ولكن الائمة لم يلتفتوا الى قول المحكمة المذكورة ايضا فان كافة المكاتب الروسية المبنية بجنب مكاتب المسلمين اغلقوا فى سنة ١٨٧٢ والحال ان التدابير المتخذة لايجاد المكاتب الروسية بجنب مكاتب المسلمين كانت قد صدقت من طرف الامبراطور فى سنة ١٨٧٠ وقد نشر الاعلانات الى العلماء الكائنين فى دائرة معارف ولاية قزان فى خصوص الفرامان الامبراطورى الصادر فى ٢ فورال من سنة ١٨٧٠ المرقم برقم ٤٢

والعلماء وان لم ينكروا فائدة القراءة الروسية ولكنهم يتعللون بفقر الاهالى وكونه مانعامن اجراء مثل هذا الامر وانماينكرهاعلى القطع والجزم علماء قضاء مالمزفان لم يتخذ التدابير الشديدة فى مثل هؤلاء العلماء المتعصبين لايمكن اقراء المسلمين بالروسية ولهذا يرى من المصلحة ان يعزل امثال هؤلاء العلماء الذين يخالفون الفرامان الامپراطورى عن مناصبهم وان ينفوا عن اوطانهم ولوعاما واحدا ولما اطلع والى واتكا على ما فى هذه العريضة جمع المعلومات فى خصوص مخالفة علماء قضاء مالمز فتبين له ان هؤلاء العلماء لما كانوا من تلامذة مدرس قرية تونتار الذى له حرمة عند المسلمين صاروا معتبرين عند الاهالى وتحقق لديه ايضا انهم وان امروا الاهالى بقراءة الروسية فى الظاهر رسما الا انهم يقولون لهم فى الخلوة ان الذى يقرأ بالروسية يكون شارب الخمر وغمازا ونماما وصاحب اخلاق ذميمة عموما فاياكم ان تقرؤا اولادكم بالروسية وايضا يقولون ان المسلمين بولاية واتكا لاى شىء يضايق عليهم فى خصوص القراءة بالروسية حال كون مسلمى ولاية قزان غير مكلفين بها . وبالجملة ان الائمة التابعين لقضاء مالمز يجرون فى شأن اوامر الحكومة موافقا لرأى امام قرية تونتار وشيخه ويعلمون به حسب مشورتهما ومتى طولبوا بالجواب يقولون ان الاهالى فقراء ولهذا لا يستطيعون ذلك ويدفعون عدم الرضاء والقبول الى الاهالى وكذلك الاهالى يعترفون بذلك ويتعللون به ويقولون ان الجاهل باحكام الاسلام يكون فاسدا وفاجرا ولهذا نعلم اولادنا احكام الاسلام وآدابه الى ١٤ سنة وبعد ذلك نحتاج الى خدمتهم فاننا فقراء ولهذا لانستطيع الى الاقراء بالروسية * فالظاهر من هذا ان مانع المسلمين عن القراءة بالروسية هم العلماء المتعصبون * ولهذا نرجو المفتى ان يمنع امثال هؤلاء العلماء عن ذلك وان يخبر الوالى بالتدابير التى اتخذها فى هذا الباب . فاجابتها الجمعية الشرعية المحمدية فى ١٧ اكتوبر من العام المذكور هكذا * ان الشيخ على ايشان التونتارى

قدتوفى فى هذه الايام ولكن خننه الامام ابن رحمة الله وكذلك امام قرية
اوربار محمد بن يونس سيدعيان الى حضور الجمعية الشرعية للاستجواب
واما ائمة قرى بورناق وصلاوز واسكى صلاوز وآرباق صلاوز وبانغل
بورا فسيكتب لهم هكذا ادعوا الاهالى للاقراء بالروسية فان القراءة بالروسية
ليست مخالفة الاسلامية فليقرئ الاهالى اولادهم بالاسلامية والروسية
والذى يجرى على خلاف ذلك وينشره بين الناس ولو خفية
يكون مسؤلا موآخذا وهذه صورة ماكتبه مفتى اورنبورغ الى والى
ولاية وانكا فى ١٨ اكتوبر من العام المذكور تحت رقم ٣١٧٤ ان محكمة
ناحية وانكا وان اخترعت مسئلة قراءة الطلبة فى مدارس المسلمين فى
سنة ١٨٦٨ ولكنها نسيت اهم الاشيا فى ذلك ولم تلاحظه فانها لم تهيئ
المال الذى هو الشرط لدوام القراءة بالروسية وهذه هى الجهة المادية
وفكر اجبار الطلبة الذين يقرأون ضرورياتهم الدينية فى المدارس
الصغار التى بنيت بجمع الصدقات من هنا ومن هناك وليس لهم خبر
عن شيء ما فقط بالقراءة بالروسية على سبيل القطع فهو قصور من جهة
المعنى (بل هو نهاية عدم الانصاف وغاية التباعد عن الحقانية) وعروض
الحيرة للمسلمين من امثال هذا الامر طبيعى ولاشبهة فى حصول المخالفة
لامثال هذا التدبير (السقيم) فى الاكثر والاغلب وان لم تكن على سبيل
العموم وخلو المسلمين عن العلوم والمعارف وكونهم مع ذلك متصفين
بفقر الحال معلوم لناه وماهو معلوم لنا ينبغى ان يكون معلوما لمحاكم
النواحى بالطريق الاولى. وقد شوهد فيما بين قوم الروس ايضا من خالف
بناء المكاتب والمدارس خوفا من نقصان من يخدم وقد قاسى مامورو
الحكومة مشقات كثيرة من هذه الجهة فلا يبعد حصول امثال تلك المشقات
فى شأن المسلمين ايضا فان كان مراد محكمة ناحية وانكا هو تاليف المسلمين
بقراءة الروسية ونشر المعارف بينهم بهذه الوسيلة حقيقة كما تدعيه كان
اللازم عليها قبل بناء مكاتب الروس وتعيين المعلمين فيها وقبل كل شئ
بيان فوائد القراءة بالروسية ونشر هذا الفكر بينهم بواسطة اناس معتمدين

ومعتبرين فيما بينهم وكذلك كان اللازم عليها بناء مكاتب الروس فى المواضع المناسبة بان يكون لاهلها ثروة وغنى وقدرة ابنائها والقيام بمصاريفها لانها تكلف ببنائها والقيام بمصاريفها على سبيل الجزاف، ويحتمل ان يجيء وقت يطلب المسلمون فيه القراءة بالروسية من عند انفسهم من غير امر احد اياهم بها فضلا عن الاجبار ولكن هذا الوقت لم يجئ بعد (١) فاللازم افهامهم لزوم القراءة بالروسية باللين والرفق وبواسطة المعتمدين لديهم الى ان يجئ الوقت المذكور وحيث انى عارف بفوائد القراءة بالروسية بذلت جهدى ومقدرتى فى هذا الخصوص حسب الامكان وسابذل استطاعتى فيه بعد ذلك ايضا ولكنى من جهة اقامتى فى موضع واحد لا اقدر صرف جهدى فى جميع نقاط الدائرة العظيمة، ولذلك ارى ان دعوة مأمورى محاكم النواحى ونصيحتهم الاهالى فى هذا الباب تكون فى حقهم اولى وانجع من دعوتى ونصيحتى اياهم اه،

وفى ٥ ايون من سنة ١٨٧٦ ارسل ناظر الداخلية تيماشف الى مفتى اورنبورغ التوكيلى مكتوبا تحت رقم ٢٢٣٣ وهاك تعريبه ان محكمة ناحية قضاء مالمز لماطلبت منك الاعانة والامداد فى شأن ادخال القراءة الروسية فى مدارس المسلمين تركت طلبها المذكور بلا اعتبار ولم تصغ اليه وانا مخلصك فارجوك بغاية التواضع ان تبين لى حقيقة هذا الامر

فاجابه المفتى فى ٣٠ ايول المذكور تحت رقم ٢٧ هكذا وهاك تعريبه لم اترك ما طلبته محكمة ناحية قضاء مالمز بلا اعتبار بل صرفت جهدى فى هذا الخصوص حسب الامكان ونصحت الاهالى ولكن لا يحصل من نصايحى الاثر اللازم من الاثر ولا حق للجمعية الشرعية فى اجبار المسلمين الى القراءة بالروسية بموجب البند ١٢٣٨ من القسم الاول من المجلد ١١ من الدستور وعدا عن ذلك لاحق لاحد فى تشنيع العلماء واسناد المخالفة

(١) ومجيىء هذا الوقت انما يكون اذا مات پوبيدانتسف وچير يواسكى وابغاتف واضرابهم وكافة طائفة ميسيونير ولم يخلفهم احد فى ازعاج المسلمين ويخلون وشأنهم ... عفى عنه.

اليهم فى شأن القراءة بالروسية فانهم مجبورون الى الاتباع لافكار العوام الجهلاء والجرى بموجبها وقد كتبت فى هذا الخصوص الى والى ولاية واتكا ايضا وها انا ارسل مسودته اليكم مع عريضتى هذه فان كان طريق ما لدعوة العلماء الى القراءة بالروسية فارجوكم ان تبينوه لى اه وفى ٢٠ نويابر من سنة ١٨٧٤ صدر الامر من جمعية شورى الدولة ممضى بامضاء الامپراطور بان كافة المكاتب التى ليست تحت نظارة ناظر المعارف وكذلك سائر مكاتب الاقوام الغير الروسية التى اسست حديثا ومكاتب باشقرد وقرغز وتاتار ومدارسهم وكافة مواضع تعاليمهم تحت اى اسم كانت تكون بعد هذا التاريخ تحت نظارة ناظر المعارف وتكون كافتها تحت تصرف مأمورى المعارف ونظارتهم وخاضعة لهم وكل مبالغ عينت لبعض طلبة باشقرد وقزاق من طرف نظارة الداخلية تنتقل بعد ذلك الى تصرف نظارة المعارف وحسابها اعتبارا من اول ينوار الآتى وفوض ترتيب القوانين اللازمة لهيئة مديرى المعارف واعضائها الى نظارة المعارف واختياره وبين لها لزوم كمال الاحتياط وكونه ضروريا جدا فى اجراء النظار والمديرين نظارتهم للدروس المستعملة فى مدارس المسلمين ومكاتبهم ولذلك كتبت نظارة المعارف الى هيئة مديرى المعارف فى ولاية قزان بأمرهم بالكف عن نظارة دروس مدارس الاقوام الغير الروسية التى فوضت اليهم ومداخلتهم فيها بالفعل الى ان يتم ترتيب القوانين اللازمة فى هذا الباب وبالاكتفاء بالاستخبار عن جميع مدارس الاجانب فى كل ولاية وناحية وباخذ حساب الطلبة وترتيب استاتيستقه فقط ثم وقعت بين نظارة المعارف ونظارة الامور الداخلية مراجعات ومكاتبات فى هذا الخصوص يعنى فى ترتيب القوانين المذكورة ولما تمت القوانين قدم نظارة المعارف فى ٢٤ آپريل من سنة ١٨٧٦م عريضة واستدعاء الامپراطور يستأذن فيها تقديم صورة القوانين المذكورة الى مجلس شورى الدولة والقوانين المذكورة عبارة عما تقدم مرارا من اشتراط استحقاق الوظائف

الدينية والمناصب الدنيوية بمعرفة مقدار معين من لغة الروس وكتابتها وابراز شهادتنامه فيها وضرب مدة معينة لتعلمها ولزوم اختلاف تلك المدة بالنظر الى مواضع المسلمين ثم تعيينها لمحكمة الجمعية الاسلامية الاورنبورغية والقريمية وما فى تصرفهما بابتداء سنة ١٨٨٠ م بحيث لايجوز اعطاء الوظائف الدينية والمناصب الدنيوية الا لمن ابرز شهادة لكونه حائز الشروط اللازمة لها على وجه الكمال والتمام واما قبل حلول المدة المذكور وبعد صدور هذا الامر وهى مدة ٤ سنة فيكتفى فيها بطلب شهادتنامه مبينة لمعرفة لغة الروس وكتابتها معرفة صحيحة جيدة فقط وان هذه الشهادتنامه انما تعطى من طرف (پيداغوغيچسكى ساويت) جمعية شورى اصول التدريس او من طرف (پراويتلستوينى اوچوبنى زاويدينيه) مجامع التعليم ومواضعه الملكية الكائنة تحت تصرف نظارة المعارف. واما التفصيلات اللازمة فى خصوص شهادتنامه فتبين من طرف النظار وانه لايؤذن ببناء مكتب اومدرسة بعد ذلك الا اذا التزم بانيه كائنا من كان فتح درس وتعليم روسى فيه بمصاريفه. واما مبلغ المصاريف المذكورة فيعين بمشاورة نظار دوائر المعارف بحكام تلك الناحية الملكية ولا بأس بوقف البانى المذكور او هبته نقدا او اموالا غير منقولة لمصاريف التعليم الروسى السنوية فى المدرسة التى بناها اذا كان ايرادها كافيا للمصاريف المذكورة ولكن يكون المال المذكور كملك التعليم الروسى يصرف ايراده فى مصارف التعليم السنوية التى براها نظار دوائر المعارف وان هذه القوانين لا تجرى فى ولاية سيبريا ولا فى تركستان ولا فى كافكازيا وورائها وانما يرتب لها نظارة المعارف القوانين مخصوصة وتقدمها الى مجلس شورى الدولة وتستأذن منها لاجراء التدابير اللازمة. فلما طالعها جمعية شورى الدولة لم تستصوبها ولم تجدها موافقة للحال والوقت وحكمت بردها الى نظارة المعارف فى اول سنة ١٨٧٨ م وكان الحرب بين الروس وبين الدولة العلية قد بدئت وشرعت فى دورمهم منها فاوقفها نظارة المعارف موقتا ولم يسقها الى الامام ولكن كانت طائفة ميسيونير ينتظرون

صدور الامر القطعي من طرف الحكومة باجراء جميع ما يريدونه في حق المسلمين غاية الانتظار ولا شغل لهم بمساعدة الوقت وعدم مساعدته بل لا يتفكرون فيه فقط وكانوا قد رتبوا فيما بينهم دسائس كثيرة ونسبوها الى الحكومة منها ان والى قزان في الوقت المذكور اسكاراتين نشر فرامانا مدسوسا مشتملا على بنود كثيرة نشرها الى حكام النواحي الملقبة بوولصنوى واسطارشينه والى مختارات القرى ومن مندرجاتها ان اولاد المسلمين يؤخذون الى مكاتب الروس اذا بلغ عمرهم ٧ سنة وتكون مصاريفهم على اوليائهم فمن خالف هذا الحكم يكون محكوما. ويكون مصاريف بناء الكنائس وسائر مؤناته على جميع اهل القرى من غير ان يبين فيها ان المراد باهل القرى هل هم النصارى فقط او الجميع مع انها اعني المنشور المذكور اعطى للمسلمين ايضا وانه يبنى في كل قرية شاخص عال يعلق عليه الناقوس ويضرب في كل حين وكان الوالى قد امرهم بتأخير اعلانها واجراء ما فيها الى سنة ١٨٨٠ ولكن هل يكتم المخارز في الكيس بل شاع بين الناس اجمع في وقته فزاد هذا الفرامان بلة في الطين فان القلق والاضطراب كان قد اخذ من المسلمين مأخذه بتلك التكليفات التي ظهر بعضها اثر بعض في مدة عشر سنين فزاد فيهم القلق والاضطراب وساد فيهم غليان الافكار بل اظلمت الدنيا باسرها فانهم تيقنوا ان هذا للمسلمين فارسل اهالى الجهة الشمالية من بلدة قزان ثلاثة اشخاص من بينهم الى والى قزان يستفهمونه ان هذه الامور الثلاثة المذكورة هل هي في حق النصارى فقط او هي عامة للكل فقال انها خاصة بالنصارى فطلبوا منه شرح ذلك وايضاحه لئلا يغلط حكام النواحي بتعميمها للكل فامرهم بالانصراف ووعدهم بارسال الشرح والايضاح من ورائهم فلما انصرفوا اخذ الوالى دائرة البوليس وژاندارمه كلها ومقدارا كافيا من العساكر البيادة (الرجالة) والخيالة مسلحين وخرج معهم الى تلك الناحية لتأديب الاهالى لانهم خالفوا اوامر الحكومة وعصوها على زعمه استحقوا التاديب والتعذيب فسار بموكبه هذا حتى بلغ قرية منگر على مسافة ٦٠ ويرست من قزان فالقى فيها رحله ثم

جمع المسلمين من جمع القرى فى تلك الناحية وكان الهوا باردة غاية البرودة لان هذا الامر كان فى صميم الشتاء فلما اجتمعوا امرهم بالجثو فوق الثلج ففعلوا فامر الخيالة القزاق الذين هم اقسى خلق الله قلبا و ابعدهم عن الرقة والمرحمة فضربوهم الى ان تعبوا فلم يبد المسلمون ادنى مقاومة ثم امر الوالى بعد ذلك النصارى الذين كانوا اجتمعوا هناك للنظارة والتفرج بضربهم فاجابوه باى ذنب وجناية نضربهم وهم وطنينا وجيراننا نعيش معهم مئين سنة لم نر منهم ادنى سؤ يا ظالم وكان الملعون كلما يضربهم القزاق يصيح لهم هذا لكم دين وهذا لكم اسلام هذا لكم شريعة هذا لكم قرآن وهذا لكم ايضاح وهذا لمخالفتكم الفرامان المذكور وكان هناك رجل مسن جدا من اعيان تلك القرية يدعى بالحاج شاكر فامر بتجريده عن ثيابه وضربه بالسياط ولم يكتف بذلك ولم يشتف صدره الخبيث به بل قام وضرب على رأسه برجله منعلة وقال انا ما اضربك انما اضرب رأس نبيك كذا محمد الذى تتعصب له فلما قضى وطره من الضرب والتاديب واجراء مثل هذا المعاملة الوحشية فى اواخر العصر التاسع عشر من الميلاد انثنى راجعا الى قزان معقود اللواء بالظفر والنصر كانه فتح پيكين او طوكيو فشاع هذا الخبر فى جميع الاقطار وذاع فانخلعت قلوب المؤمنين من الوجل وايقنوا بحلول وقت الشر والاجل فلما انعكس هذا الضر الى پطربورغ ارسلت الحكومة هيئة تفتيش مركبة من ٢٤ شخصا نصفه من طرف المسلمين ونصفه من طرف الوالى ففتشوا الامر بغاية التحقيق والتدقيق فظهر الحق والصدق فى طرف المسلمين وكل القباحة والشناعة فى طرف الوالى اسكراتيين حيث شهد العساكر ودائرة البوليس وژاندارمة كلهم ببراءة المسلمين عن اثر العصيان والمخالفة التى رماهم بها الوالى واقامها سببا لخروجه بهؤلاء العساكر ودائرة البوليس والقائهم فى التعب والمشقة فى صميم الشتاء وقالوا كلهم من فم واحد لم نر اثرا فى المسلمين مما رماهم به الوالى من العصيان والمخالفة واخرجنا فى صميم الشتاء واتعبنا لاجلها فعزلوه وجردوه عن رتبه حيث اتى بما لا ياءتى بمثله احد من احاد الناس فى مثل ذلك الظرف من اظهار ما يجب كتمه واستعجاله بما يجب تأخيره

وتركه الحزم والاحتياط الذين امر بهما من دونه من نظار المكاتب كما مر
وعلى كل حال فنكبته هذه أعظم معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لاساءته الادب
في حقه الشريف صلى الله عليه وسلم فامضى عمره في حقله كآحاد الناس ولم يكفه
ذلك بل تمسخر به طلبة المكاتب العالية الذين يقال لهم استودنت بروابة أحواله
وتمثيلها في تياتر ومرارا عديدة ولم تقدر الحكومة منعهم وهم محبو العدل
والانصاف والحرية والمساواة ومبغضو الحكومة الظالمة المستبدة وعليهم
مدار الاحوال الحاضرة نصرهم الله وفي سنة ١٨٨٠م مصادفة سنة ١٢٩٩ﻫ
قتل الامبراطور الكساندر الثاني بكيفية يعرفها العارفون وكان عاقلا منصفا
حليما ذا سياسة صحيحة وفي عصره اتسعت حدود الروسية جدا من الجنوب
والشرق حيث استولى على ممالك الشيخ الشامل الداغستاني رحمه الله تعالى
واسره مع اهله وعياله وكان ذلك في سنة ١٨٥٩م عقب انقضاء حرب قريم وقد
امتدت محاربة الروسية ٥٠ سنة ودخل ولاية تركستان وطاشكند وسمرقند وما
وراء النهر وخوارزم ومرو وفرغانة كلها في حوزة الروس في ايامه وكانت
الحرب الاخيرة بين الدولة العلية والروسية ايضا في عصره ومع كونه
عاقلا منصفا حليما سياسيا كان اسير تعصب النصرانية ومغلوب دسائس
طائفة ميسيونير كما قدمنا ولهذا جرى منه الامور الوحشية التي
لايليق لشأن من هو ادنى منه بمراتب في عصره وسودت صحائف تاريخه بها
ولا يبعد كون قتله انتقاما من طرف الله تعالى لحزبه المسلمين وهو الظن
الغالب وجلس بعده مكانه ولده وولي عهده الكساندر الثالث كان مدمنا
للشراب ومبتلا بشربه بحيث كان لايفيق قط ومع ذلك كان اسير تعصب
النصرانية اكثر من ابيه حتى شاع بين الناس انه لما عبر نهر طونه بعسكر
الروس اثناء حرب الروس والدولة اخذ قبعته عن رأسه وسجد متوجها
نحو المشرق وقال (اصلاوا بوغ روسيه وسي اودنا وبربيل) يعني الحمد لله
صارت الروسية كلها ملة واحدة يعني ندزال الخوف الموهوم من طرف
الدولة لكونها مغلوبة فيجرون على المسلمين ما يريدون اجراؤه وكان
مطيعا لطائفة ميسيونير جدا ولاسيما پوبيدانتسف الذي هو تمثال تعصب

النصرانية والد عدوالاسلام والاسلامية فانه كان مطيعا له اطاعة الظل لصاحبه ولذلك اشتد الامر فى عصره جدا على المسلمين كما سيذكر والحاصل انه كما استسلم زمام الامور ولم يجلس بعد على التخت رسما كان جل اجتهاده فى اجراء الامور المذكورة وانفاذها باسرع ما يكون بسبب تشويق الروحانيين وتحريضهم اياه على ذلك ففى سنة ١٨٨١ خرج السيناتور كاوالوفسكى (لعله بامر امپراطور) الى ولايات قزان واوفا واورنبورغ لمعاينة احوال المسلمين ومعرفة مقدار مفاومتهم الحكومة وصلابتهم فلما عاد قدم لائحة الى امپراطور قال فيها ان فى اجراء تشبثات نظارة المعارف فوائد جمة بل هو ضرورى لا يتوقع له موانع وعوائق ولاسيما اذا شرط فى اول الامر لاحراز الوظائف الدينية معرفة لغة الروس فى الجملة ثم يزاد بعد ذلك شيئا فشيئا بالتدريج فيكون له تأثير عظيم فى توحيد رعايا الدولة الروسية ويكون هذا التدبير تدبيرا حقيقيا مفيدا جدا فلو شرعت الحكومة فى اجرائها لشوهد لها نتائج عظيمة فى مدة يسيرة اقلها كتابة دفاتير المواليد والوفيات وسائر الاوراق الرسميه بقلم الحكومة الروسية وفيها ايضا قدم ناظر المعارف القوانين المرتبة المنتظمة باتفاق من نظارة الامور الداخلية ونظارة المعارف المتعلقة بنظارة مدارس المسلمين ومكاتبهم المكملة لقرار مجلس شورى الدولة الممضى والمصدق من طرف امپراطور الصادر فى ٢٠ نويابره من سنة ١٨٧٤ حسبما مركله الى مجمع النظار للتصديق والامضاء وحيث كانت القوانين المذكورة مرتبة ومنتظمة بالنظر والقياس الى قوانين مفتش عموم المكاتب وبالنظر الى اصل المرام من النظارة المذكورة كان بين فيها كيفية اتخاذ المكاتب والمدارس والتصرف فيها بالتفصيل ففوض مجمع النظار الامر المذكور بموجب حكمهم وامضائهم باتفاق الاراء فى ٢٨ مايس من سنة ١٨٧٦ الى نظارة الداخلية وامروه بالاستفسار عن آراء ولاة الولايات التى فيها مدارس المسلمين ومكاتبهم من غير ان يقدموه الى الامپراطور للامضاء فاستفسر نظارة الداخلية عن آراء ولاة ولايات اورنبورغ وقزان وانكا ونيژنى وسمبر وصمار وسراطاو وحاجى طرخان

فيه فلما ابدى كل منهم رايه فيه تبين احتياج كثير من مواده الى التبديل من اساسه بالكلية فانجر الامر الى اعتراض ناظر الداخلية على ناظر المعارف فى تلك القوانين وخلاصته ان تلك القوانين تورث القلق والاضطراب وغايات الافكار بين المسلمين فانهم يعتقدونها شيئا مخترعا لتضييقهم واضعاف الاسلام فقط لانه كان من مقتضياتها ان من اراد فتح مكتب جديد او مدرسة جديدة يلزمه ايا من كان تقديم العريضة المبينة فيها شروط فتح المكتب الجديد الى مفتش المكاتب فقط فيقدمها المفتش المذكور بعد ترتيبها الى مدير المعارف ثم ان هذه المدير يكون مختارا فى الاذن بفتحه وعدمه وان وجدت الشروط وقد تقدم بيان الشروط مرارا الا انه زيدت عليها هنا فروع واذناب وهى انه يقدم مع العريضة المذكورة مضبطة من اهل المحلة مؤذنة برضاهم بفتحه وبتكامل الاسباب اللازمة له وبمقدار قوتهم المالية المعدة لمصارفه وان معاش معلم الروس وراتبه السنوى لا يكون انقص من ٣٥٠ روبلة وانه يلزم بناء منزل للتعليم الروسى بقرب المكتب المذكور او المدرسة بناء على القوانين المصدقة من طرف الامبراطور فى ٢٦ مارت من سنة ١٨٧٠ وانه ان صدرت المخالفة والممانعة من طرف متصرف المكتب او المدرسة الموجودة الآن او من طرف الاهالى فى فتح التعليم الروسى وقبوله ادنى مخالفة يخبر به المفتش الى مدير المعارف ويكون المدير المذكور مختارا (١) فى الغاء المكتب المذكور واغلاقه ثم لا يمكن فتح ذلك المكتب المذكور او المدرسة المذكورة الملغاة المغلقة من طرف المدير الا بالتزام المتصرف فيه او بالتزام الاهالى التعليم الروسى وقبوله وامثال هذه المذكورات من التكاليف الباردة فلما اعترض نظارة الداخلية على هذه التكاليف بما ذكر عدل نظارة المعارف عن نشرها الا انه كتب الى مديرى

(١) وقد مر فى جواب ناظر المعارف لاعتراض المفتى ان هذا الحكم غير شامل للمكاتب الموجودة الآن بل هو مختص بالمكاتب الجديدة التى تفتح بعد ذلك وهذا دأب حكام الروس دائما يذكرون الشيء اجمالا ثم اذا اعترض عليه بشيء يقولون ان هذا خاص بكذا ثم يدعون بعد ذلك عمومه وله نظائر ومصاديق كثيرة منه عفى عنه.

المعارف يأمرهم بالعمل بهذه الكيفية ١) الزام النظار والمفتشين النظارة في المكاتب والمدارس التي تحت تصرفهم وان يشرعوا في النظارة بالاحتياطات اللازمة وان يدخلوا المدارس بالاحتياط وان يعاينوا كيفيات تعاليمهم وان يقفوا على المعلومات الاستاتيستقيه وان ينصحوا المدرسين والطلبة قولا مهما امكن، ولكن لايكلفونهم بشيء على سبيل الوجوب (١) والبت ثم يرتبون من خلاصة معاينتهم لائحة ويقدمونه على المدير وهو يقدم نسخة منها الى نظارة المعارف ٢) ينبغي أن يبتدأ اختلاط النظار بمدارس المسلمين من مواضع يسكن فيها المسلمون مختلطين بالروس او المكرهين ثم يعمم ذلك شيئًا فشيئًا بالتدريج من المواضع التي يكون اكثر اهاليها مسلمين وفي مثل هذا الاختلاط والمعاينة على رأي ناظر المعارف وزعمه فائدتان ١) حصول التسلي والاطمئنان (٢) في قلوب المسلمين بسبب اختلاط هؤلاء النظار بالمدارس ومعاينتهم اياها بالكيفية المذكورة بان مكاتبنا ومدارسنا ليست مهملة بحيث لاحاكم لها ولاناظر بل لها حاكم وناظر وانها تابعة لنظار سائر المكاتب وحصول هذا الاطمئنان يفيد المقصد الاصلي فوائد جمة ٢) حصول الاطلاع والوقوف على احوال المدارس وترتيباتها وعلى طرق معايش المتعلمين وطبائعهم وسائر خصوصياتهم فيحصل بذلك العلم والمعرفة بطرق التصرف فيها وترتيب القوانين لاجلها*

ثم قدم ناظر المعارف هذه الترتيبات والتدابير الى انظار مجمع النظار فلما لم ير المجمع المذكور مانعا من اجراء هذه التدابير مع كونها مفيدة وموجبة لتمرن المسلمين وتدربهم للقوانين المصمم ترتيبها للنظارة في مدارس المسلمين يعني لكونها كالمقدمة لها امضوا التدابير المذكورة بناء على الحكم الممضى من طرف امپراطور في ٥ فيورال من سنة ١٨٨٨ م فبناء عليه ابلغ نظارة المعارف التدابير المذكورة الى رؤساء نظار دوائر

---

(١) اباز اتيلونى تربيوات منه عفي عنه.

(٢) ما ابعده عن العقل والحقيقة فهل يطمئن خواطر الشياه بتصاحب الذئب ونظاراتهم اياهم هيهات منه عفي عنه .

المعارف وامر بتفويض نظارة مدارس ولاية قزان خصوصا لشخص مناسب من نظار دوائر التعاليم ففوض رئيس النظار نظارة مدارس المسلمين بولاية قزان لمفتش دوائر المعارف ومستشار استات واسيلى بن واسيلى رادلف فنشر رادلف المذكور فى ١٥ آپريل من العام المذكور اعلانا من طرفه لعلماء قزان اعلن فيه بانه يشرع من التاريخ المذكور فى نظارة المكاتب والمدارس فى ولاية قزان ومعاينتها بامر الحكومة وطلب منهم (اسويدينيه) حساب الطلبة ببيان مقدار البالغين ومقدار الصبيان منهم وانه كم منهم يداوم المكتب والمدرسة ليلا ونهارا وكم منهم يحضرها نهارا فقط . ومع كون مضمون هذا الاعلان معتدلا ومعقولا (١) ليس فيه ما يخاف منه صار سببا لغليان افكار التتار وكثرة القيل والقال بينهم فقاموا وقعدوا وارتجوا وارتعدوا ثم اجتمع العلماء مع الاغنياء والاعيان وعقلاء الملة وتشاوروا فيما بينهم بانهم كيف يردون الجواب لرادلف فاستقر رأيهم على طلب النسخة من الامر الصادر من امپراطور فى ٥ فيورال سنة ١٨٨٢ الذى هو سنده فى هذا الطلب فلم يتجاسر على اعطائه لكون طلبه مخالفا لمضمونه الذى هو عدم طلب شيء منهم على سبيل الوجوب وبعد ذلك ذهب والى قزان فى ذلك الوقت چركاسف مع رادلف المذكور فى الكانون الاول (ديكابر) من العام المذكور الى مدارس قزان واعلن الطلبة وسائر المسلمين المجتمعين بان مدارس المسلمين صارت تحت نظارة ناظر المعارف بناء على الامر الصادر من الحكومة فى ٥ فيورال ١٨٨٢ سنة ونصب رادلف ناظرا ومامورا لمدارس تتار فلم يصغ المسلمون الى قوله قط سوى واحد من المدرسين بل ردوه ردا عنيفا باتا مستندين على (پريبد استاويتل) المحاضر التى بايديهم وعدم سبق مثل هذا الامر قط وكون مدارسهم دينية فقط فترك رادلف بعد ذلك مخابرته مع العلماء وذهابه

---

(١) كيف يكون معقولا بعد تقدم الانذار والتخويف منذ سنين ومع وقوفهم على مقاصدهم الاصلية واغراضهم الفاسدة فى ذلك مع ان جوابهم ايضا معقول ومطابق للنظام فلاى شيء امتنع من تقديم نسخة الامر ان كان طلبه معقولا موافقا للنظام منه عفى عنه.

الى المدارس ولم يصدر عنه بعد تكليف ما الى ان استعفى من منصب النظارة فى سنة ١٨٨٤ فانه كثر غليان افكار المسلمين وكان يحرضون بعضهم بعضا على الثبات على الانكار وعدم القبول وصاروا يقدمون العرائض الى الحكومة ومضمون هذه العرائض مع كثرتها واختلاف عباراتها يرجع الى شئ واحد وهو عدم الرضاء ببقاء مدارس المسلمين تحت نظارة ناظر المعارف وطلب اخراجها منه ووضعها تحت نظارة الجمعية الشرعية المحمدية لكونها دينية محضة فكما ان مدارس الروس الدينية محررة من نظارة ناظر المعارف بل تحت نظارة رؤساء الروحانيين لكونها دينية محضة فكذلك تقتضى قانون العدالة والمساواة ان تكون مدارسنا كذلك لكونها دينية محضة لايقرأ فيها شئ سوى علوم الدين. الآن نظارة الداخلية لم تعر سمع الاعتبار الى مطالبهم المعقولة هذه ولم تصغ اليها بل رماها فى زاوية الاهمال ولم يكتف بذلك بل كتب الى المفتى المرزا سليم كراى فى آغستوس من سنة ١٨٨٣ يطلب منه الاعانة فى اجراء التكاليف المذكورة المعقولة المطابقة للنظام (كذا) ونصيحته العلماء بقبولها والاذعان لها. فاجابه المفتى بان حمل العلماء على قبولها والاذعان لها بالسهولة غير ممكن فى مثل هذا الظرف الذى سادفيهم الخوف والنفرة منذ سنين عديدة بحيث صاروا ينفرون ويتوحشون من ظلالهم والتداخل فى هذا الامر يكون باعثا على فتنة عظيمة وموجبا لاختلال كبير وانى بصفتى ناصحا للحكومة وعضوا من اعضائها لا اريد حدوث فتنة بين رعاياها فضلا ان اكون متسببا لها فارجو من مراحمكم ان تسامحونى وتعفونى عن هذه الخدمة التى تكون نتيجتها شرا محضا ومضرة بحتة فخلص نفسه بهذا الجواب المنطقى المناسب الذى هو احلى من العسل من تلك الورطة وهذا ماجرى فى ولاية قزان واما ولاية اوفا فقد ادخل فى كثير من مدارسها التعليم الروسى وان لم ينتج كبير نتيجة ولم يعترف الاهالى بدخول مدارسهم تحت نظارة ناظر المعارف بل ينظرون الى نظارتها بعين السخط وكونها مخالفة للنظام مع ان والى اوفا بين فى حسابه الذى رفعه الى امبراطور

سنة ١٨٨٥ بلزوم كون النظارة فيها بكمال الدقة والتيقظ واعتبار جهة الاخلاق وعدجواز التاخير والبطاءة فيها واما ولاية پنزا فقد كان رأى واليها السابق تاتيشچوف المستشار الخفى الزام التعليم الروسى وبذل السعى والغيرة فيه بمنع اعطاء الوظائف الدينية لمن لايقبله الا ان الوالى الذى بعده كتب الى الامبراطور لائحة فى سنة ١٨٨٣ م ذكر فيه عدم خلوص التتار ونشاطهم فى اقراء اولادهم بالروسية وانه لم يحصل ادنى ثمرة من بناء نظار دوائر المعارف المكاتب الروسية من اموال اهالى الناحية لاقراء اولاد التتار واجتهادهم فيه وقد كان اولاد التتار قد شرعوا فى القراءة الروسية فى المكتب الذى بنى بمصاريف اهالى الناحية فى قرية شادلانسه من مضافاة كرينسكى الا انه لممات الامام الذى كان يسعى فى هذا الخصوص فى سنة ١٨٨٢ تركوا القراءة والقرى التى فيها الروس والتتار يرسل فيها بعض التتار اولادهم الى مكاتب الروس والسبب فى الاحتراز عن القراءة الروسية هو قوة تأثير العلماء ورؤساء الدين فى الاهالى وشدة تمسكهم بالدين والفكر فيه وترجيح القراءة الاسلامية وتعلم كتابتها على القراءة الروسية وتعلم كتابتها بمراتب ولهذا تراهم اذا صرفوا كتابتهم لايبالون بكتابة الروس ولايلتفتون اليه واما ولاية صمار فقد شرع فيها فى امتحان طلاب الوظيفة من القراءة الروسية بواسطة قوميسر القضاة من سنة ١٨٨٢ بامر محكمة والى الولاية فاعترض المفتى على هذا الامر محتجا بان حق الامتحان بموجب النظام انما هو وظيفة الجمعية الشرعية المحمدية فاجابته المحكمة المذكورة بان حق الامتحان من الامور الدينية ومايتعلق بالاحكام الشرعية هو وظيفة الجمعية الشرعية واما الامتحان من القراءة الروسية فلادخل لها فيه وليس هو وظيفتها فلم يغيره بسبب اعتراضه ثم توفى المفتى المرزا سليم كراى التوكيلى فى غنوار (الكانون الثانى) من سنة ١٨٨٥ م المصادف ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٣ ه ودفن فى مقبرة اوفا ومن خيراته انه بنى مسجدا باحداث محلة ثانية ببلدة اوفا ومكتبا بجوار المسجد القديم لايتام المسلمين واولاد الفقراء وهو وان لم يبذل تمام جهده وغاية وسعه فى المدافعة

عن حقوق المسلمين وشرف الاسلام على مايقتضيه اسلاميته الا انه لم يقبل تكاليف الحكومة قبولا اعمى ولم يذعن لها وانما دفع الامر عن نفسه مفوضا امر الاسلام والمسلمين الى الله كقول القائل ع نجوت وارهنهم مالكا ﴿ سامح الله سبحانه عن زلاته وهفواته ومساهلاته والطامة الكبرى انما قامت بعد وفاته وبعد ان توفى امتدت اعناق كثير من العلماء نحو المنصب الحلول منهم الملا محمدى الذى كان فى مقام النيابة عن المفتى السابق موقتا والفاضل الشهير الشيخ شهاب الدين المرجانى والملاعبد البارى الباوشى القزلبارى والملا سمرقند آخون الصوكولى وغيرهم وقدقدموا العرائض الى الحكومة بطلبه ولكن الحكومة كانت اعقل من ان يمنح المنصب المذكور العلماء بعد اخراجه من ايديهم فسكتت عن اجابتهم وطفقت تجيل انظارها فى الاطراف والجوانب لعلها تصادف من يغنى باشعارها ويرقص على ايقاعها ويكون لينا لاسنانها فيتمضعه اولا ويتمضع المسلمين بواسطته كيف شاء فيختاره وينتخبه للمنصب المذكور وقد كان فى الوقت المذكور كثير من التتار مستخدمين فى دوائر الحكومة على مراتبهم منهم من حاز رتبة الجنرالية مثل المرزا مير صالح البكچورى وكان مقيما باورنبورغ ومنهم شاهمردان الابراهيمى وكان ترجمانا عند الجنرال كاوفمان بطاشكند ثم صار رئيس قونصل من طرف حكومة الروسية فى جده سنة ١٣٠٩ﻫ ومات فى عامه حين رجوعه من مكة بعد ايفاء فريضته الحج بعده ومنهم محمديار سلطانوف المفتى الحالى وكثير غيرهم وكان وظيفة انتخاب المفتى فى مثل الظرف المذكور بيد اكبر حكام الروسية واشدهم نفوذا وهم طائفة ميسيونير على انه قلما يوجد فى الروسية حاكم مجرد عن وظيفة الميسيونيرية ولهذا صارت طائفة ميسيونير يكاتب بعضهم بعضا يتشاورون فيمن ينتخبون ومن يكون فى يدهم آلة صماء ومقبضة محضة لتدوير ماكنته دسائسهم ولاسيما منهم نيقولاى (١) بن ايوان ايلمينسكى وقنسطنطين بطراويچ

---

(١) مات ايلمينسكى فى سنة ١٨٩١ واما پوبيدانيسف فهو حى الى الآن وكانه ثانى المنظرين ويقع ذكرهما بعد ذلك مرارا منه عفى عنه

پوبيدانتسف اللذين احدهما فرعون هذه الامة والآخر ابوجهلها فى هذا الزمان ولا بدان اكتب هنا بعض ماجرى بينهما من المحاورات فى هذا الخصوص على سبيل الانتخاب من مكاتب ايلمينسكى ليعلم منه مرتبة عداوتهم للاسلام واجتهادهم فى شيطنتهم منها ماكتبه ايلمينسكى الى پوبيدانتسف فى ١٨ فيؤرال سنة ١٨٨٥ م عقب وفاة المفتى السابق وهو هذا انجاسر ان اخبرك بشئ سرا بشرط ان تكتمه جدا ان ارباب الجرايد طفقوا يذكرون اشخاصا مترشحين لمنصب الافتاء ورياسة الجمعية الاسلامية بدلا عن المفتى المتوفى منهم عالم من علماء قزان ومنهم (١) چنكز الجنكزى الميرآلاى المتقاعد ومنهم شخص آخر لا استحضره اما العالم القزانى فلا استحسن انتخابه قط فان علماء قزان كلهم متعصبون واما چنكز فانه وان كان تعيينه اولى من تعيين العالم ولكن فيه ضرر آخر لنا فانه رجل متمدن ذونسب وحسب شهير وصاحب منصب وثروة فهو من تلك الجهات يورث الشرف والزينة للاسلام والمسلمين وايضا يخاف من تأثيره فى قرغز وقزاق وسراية نفوذه فيهم وتقوية اسلاميتهم ولعل الحكومة تلغى محكمة الجمعية الاسلامية بالكلية فان فعلت هذا لكان اولى واما الذى انتخب (٢) فى سنة ١٨٨٣ من طرف أهل قزان فيقال انه متعصب ولكن عندى ان الذى لا يعرف لسان الروس ومدنيته وان كان متعصبا اولى ليكون مفتيا من الذى يعرفهما خصوصا اذا كان ذانسب وحسب وصاحب الجاه والذى حصل فى دار الفنون فهو اضر واشد منه ومنها ما كتبه اليه فى ٢١ آپريل سنة ١٨٨٥ م ايضا وصلنى مكتوبكم المحرر فى ١٢ آپريل ولكن اخاف ان ارسال الجواب وقع فى التاخير ان العائلة السلطانية عدة اخوان وقرينتهم المهتى على مسافة ١٠٠ او ١٢٠ ويرست من قصبة منزلة فى شرقيها ولهم فيها املاك وعقار وهم متوسطون فى الرتبة والمعيشة ليسوا باحاد الناس وليسوا بارباب المناصب العالية وليسوا فقراء وليسوا من الاغنياء الكبار وليسوا اصحاب

(١) واحد من ذرية چنكز خان كان مقيما بقزان وغيرها .

(٢) يعنى قاضيا وعضوا للجمعية وهو الملا همدى افندى عفى عنه .

التأثير والاعتبار والمرشح لمنصب الافتاء منهم ليس من متخرجى دار الفنون الا انه يعرف لغة الروس وكتابتها معرفة جيدة وعدم دخوله فى دار الفنون لعله بسبب من الاسباب التى لا اعرفها اقول هذا الكلام بناء على سماعى من الناس منذ مدة مديدة وبالقياس والتخمين لا باختلاطى ومعرفتى اياهم مشافهة وارجو ان يكون كلامى هذا مقرونا بالصحة ومن جهة الحمية الملية لا يسمع تعصبهم فهو مناسب لمنصب الافتاء والرياسة للجمعية الاسلامية لكونه مأمون الغائلة والضرر ولا يوجد اولى منه واعلى واظن ان ليس بينه وبين اهالى بلدة قزان قرابة ولا اختلاط وليس له عندهم اعتبار وأما مير صالح بكچورين فليس كذلك فابعاده من هذا المنصب مفيد عندى ونافع ينبغى ان يعرفه الغراف طولستوى (ناظر المعارف) برؤيته فى سنة ١٨٧٦ وان يسمع فى حقه واحواله اقوالا كثيرة وقد نال اعتبارا عظيما عند الوالى الجنرال كرژ اناولسكى وكان فى عصره يدبر الامور العظام وحيث انه واقف على لغات اقوام آسيا وعارف بانسابهم وعالم بسياسة آسيا وصاحب تجربة فيها فله معرفة على نسبة درجته واعتباره ، والحاصل يظن انه مائل الى طرف الخيرا ويكون شره اقل من شر غيره لا ينبغى لنا ان نمدح من ليس فى ديننا (كانه يريد انه مستحق للمدح لولا هذا) وعلى كل حال ينبغى للمفتى ان يعرف بنفسه من غير تعليم احد اياه انه ادون من الاسقف وينبغى لنا ان نتباعد من اهل قاسم وفريم فانهم محبو العلم واصحاب الحمية الملية ومنها ما كتبه اليه فى ٢٩ آپريل من العام المذكور يعنى بعد ثمانية ايام من مكتوبه السابق وهو هذا كنت كتبت فى ٢١ آپريل جواب مكتوبك الذى استفسرت فيه عن بكچورين وسلطانف المحرر فى ١٢ منه غب وصوله الى فى ٢٠ منه وقد تأخر فى الطريق بسبب عدم انتظام الطرق ولاشك انه وصل لانه مسوكر وقد كنت رجحت فيه السلطانف وقد رأيت شاه مردان الابراهيمى العام الماضى فى قزان حين عودته من پطربورغ الى طاشكند فرأيته طويل القامة حسن الصورة ذاهبية يظهر فيه آثار التمدن وقد سمعت انه كان فى ايام كاوفمان صاحب اختيار وتصرف تام بسبب معرفته انواع

اللغات الاسيوية وصاحب السياسة والمهارة التامة في ممارسة الامور والحاصل يمكننا ان نقول انه في اعلى درجة من المدنية والمعرفة مع كونه حائزا رتبة (ديستويتلنى استانسكى ساويتنيك) مستشار وله اقتدار تام على افادة مرامه بكلام فصيح وقوة قلب فهو يحرز الغلبة على رؤسا الروحانيين الروسيين حالا بلا شبهة ومنشاء آخر للخوف منه انه كان فى خدمة مركز ادارة ولاية تركستان مدة مديدة فهو مع كمال عقله ودرايته مطلع على كافة احوال مسلمي تلك الولاية واحوال الادارة هناك ومقاصدهم بل هو واقف على احوال كافة المسلمين على وجه الارض ووزنها بميزان عقله وله معارفة تامة مع كثير من الناس من اقوام آسيا من قرغز وآفغان وهند وغيرهم بسبب اختلاطه معهم فان حصل له مع ذلك فكر الاتحاد الاسلامي فهو يعرف طرقه وفضلا عن ذلك فانه مقتدر على ايفاء المحاورات الروسية واداتها تحريرا وتكلما بكمال الفصاحة وله وقوف تام على العلوم والفنون العصرية واشتغال بها علما وعملا فله اقتدار تام على افادة مرامه وقت الحاجة بوجه موافق حسب علمه ودرايته بناء على طريق الحرية الكلية وله ايضا اقتدار على تمشية ما يريد عند اي حاكم كان وفتح ابواب كبيرة وسترا عين حكامنا بتعظيم مقامه ودرجته وكان المفتي السابق التوكيلي ليس بشيء في جنبه، وخلاصة الكلام ان استمالة مثله الينا غير ممكن لنا وانما المناسب لنا من نقدر على تدويره باليد وباللسان ومن اذا تكلم بالروسية يخطيء فيخجل ويحمر وجهه واذا كتب بها يكتب مخلوطا بالخطاء الكثير واذا رأى اصغر الحكام يرتعد فرائصه هيبة منه فضلا عن الولاة واني وان اكتب هذا بموجب المقدمات العقلية من غير تجربة الا انه لا يبعد عن صوب الصواب ولا يترتب عليه ضرر اه ، هكذا يقول هنا في حق المفتي السابق وقد كتب في حقه في مكتوب آخر ما معناه هذا ان الوالي الجنرال بيزاق اخطأ في انتخابه المفتي من اغنياء الاعيان النافذ الكلمة عند الكل من نسل ذوى الرتب التوكيليين ولاشك ان الحكام اعتبروا معرفة التتار التمدن الروسي وادبياته والتمدن الروسي انه ابضر اخلاق الروسي واعتقادهم وعاداتهم فقط الخ يعني ان التمدن والآداب والمعارف عند اي

قوم كانت انما تنافى النصرانية دون الاسلام فالتتار اذا حصل منه الاشياء باى لغة
كانت لا تضر اسلاميته واعتقاده بل تقويه وترسخه هذا هو رأى ايلمينسكى
فانه اعترض الى تكليف الحكومة التتار بالقراءة الروسية الى ان مات ولعلى
اذكر بعض كلماته المتعلقة بهذا المطلب بعد ذلك فلينظر القراء الكرام الى
تعصبهم واعتنائهم بامور التتار كلياتها وجزئياتها غاية الاعتناء بحيث لا
يهملون شيئاً منها ولا يبعدونه عن انظارهم ومراقبتهم ولا اقول انه اصاب
فى وصف شاهمردان الابراهيمى فانى وان لم اسيئ ظنى فيه بموجب اذكروا
موتاكم بخير لا اقول انه كان خير الملة من المفتى الحالى واعتقادى فى هذا
المفتى انه ليس كما زعم ايلمينسكى بل هو دين محب لملته ولكن ليس الامر
بيده ولا معونة له من الملة والحاصل ان قرعة انتخاب المفتى بعد هذه
المراجعات والنقض والابرام خرج باسم المفتى الحالى سعادتلو محمديار
بن محمد شريف السلطانى سلمه الله سبحانه وادام بجسده اصلهم من
طائفة باشقرد قرية مجتى التابعة لقصبة منزلة من ولاية اوفا وكان آباؤه
واجداده حائزين رتبة الكانطونية ومستخدمين من طرف الحكومة فى
هذه الخدمة من مدة مديدة وهذا اللفظ اعنى كانطون بمعنى الناحية بلغة فرانسا
او اسويجرة فمعناه حاكم الناحية ثم الغيت الكانطونية واحدث بدلها
زيمستوا المفيد لهذا المعنى وكان المذكور قبل كونه مفتيا فى منصب ميراواى
سودية وهو يساوى منصب المستنطق او هو هو فاذا قسناه الى سلفه يصدق
فيه قول القائل ع ان هذا الكعك من ذاك العجين وام يشرع فى اجراء وظيفته
الا فى مارت وجمادى الآخرى من سنة ١٨٨٦ م مصادفة سنة ١٣٠٣ ﻫ بعد
مضى ١٣ شهرا من موت سلفه والذى حدث بعده ان نظارة مدارس
المسلمين كانت فوضت الى احمرف فى ١٩ آپريل من سنة ١٨٨٥ بعد
استعفاء رادلف عنها كما مر ولكنه لم يتفق له اختلاط بالعلماء والمدرسين
ولا مكاتبة رسمية معهم فقط وكان من رأيه ان ادخال مدارس المسلمين
تحت نظارة ناظر المعارف انما يمكن بالتدريج بان يخالط واحد من نظار
مكاتب الروسية العلماء واغنياء التتار بطريق غير رسمى ويحصل معهم

بهذه الكيفية المعارفة والالفة والانسية ويستجلب اليه اعتمادهم ومحبتهم فاذا عمل بهذه الوتيرة لفتح بالتدريج طريق لمداخلة امورهم ومدارسهم واخذ حساب طلبتهم واصلاح اصول تدريساتهم فحينئذ لما يحتاج الى النظارة الرسمية واما التكاليف الرسمية فقد اوقعت العلماء وسائر المسلمين فى شبهة سلب اختيارهم فى تعليم علوم الدين الاسلامى وقصد ابطال دينهم واخراج مدارسهم من كونها دينية محضة الى غيرها قلت وكان هذا غير وافق على مقاصد الروسية ونواياها فى حق المسلمين اوعلى اطلاع المسلمين على دسائسها ولما شرع المفتى الحالى فى اجراء وظيفته طلب من الحكومة تغيير امتحان المرشحين للوظائف الدينية بواسطة محكمة البوليس فخاف والى صمار من مراجعة المفتى فى رفع الامتحان المذكور فطلب من نظارة الداخلية تصديق الحكومة الامتحان المذكور وامضاءه فيه فى آپريل من سنة ١٨٨٦ وفيها ايضا طلب زيمسكى صمرانيا فى اعمال قصبة بوگلمه امتحان المرشحين للوظائف الدينية فى مجلس شورى المعلمين ولهذا كتب نظارة الداخلية الى والى صمار فى مايس من العام المذكور يقول ان نشر لسان الروس بين المسلمين وان كان ذا اهمية كبرى وفوائد جليلة ومطلوبا جدا الا ان الوصول الى المقصد ينبغى ان يكون بغاية الاحتياط وعلى طريق التدريج وموافقا لرأى شورى الدولة وقرارهم المصدق فى ٢٠ نوبابره من سنة ١٨٧٤ ومطابقا لنظام مجمع النظار الصادر فى ٥ فيورال من سنة ١٨٧٢ وغاية ما ساعد به نظارة الداخلية انه اذا اجتمع شخصان فى طلب وظيفة يرجح الذى يعرف اللغة الروسية عملا بمادة ١٢٠٧ من القوانين التى رتبت لمحكمة قريم الشرعية من الجلد ١١ من كتاب الدستور فبعد ذلك فسخ الامتحان المذكور فى ولاية صمار ايضا وكانت الائمة يأخذون المناشير بغير امتحان من الروسية الى ان عم نظام الامتحان الجميع وبعد ذلك جرت المخابرة والمكاتبة ووقعت المشاورة بين نظارة المعارف ونظارة الداخلية فى تقديم قوانين سنة ١٨٧٦ بعد المحاكمة الى مجلس شورى الدولة الا انهم قدموا قبل تنظيم تلك

القوانين وتعيينها كلا الاستيذان من الامبراطور فى ادخال المواد الآتية لتكون كالتوطئة والمقدمة (يعنى للتنصر) ١) الزام المرشحين لوظيفة ما من الوظائف الدينية معرفة لسان الروس وتعلمها فى مكتب من مكاتب الروسية الآوروپاوية ذى درجة واحدة ٢) وادخال قراءة لغة الروس فى مدارس المسلمين الكبار لزوما بشرط اغلاق المدرسة التى لا تقرأ فيها اللغة الروسية ٣) تجرى هذه القوانين فعلا بعد مضى سنة من امضائها فى الامصار وبعد مضى سنتين منه فى القرى انتهى تعريب مافى المجمع المذكور مع تخلل بعض مايتعلق به فى خلاله وفى العام المذكور دعى المفتى سلطانوف الى پطربورغ بعيد شروعه فى اجراء وظائفه فمر على قزان فى ٢ ذى القعدة من سنة ١٣٠٣ هـ المصادف اوائل آغستوس من العام المذكور وطلب من الفاضل المرجانى رفاقته على ماذكره الفاضل المرجانى فى مستفاده وطلب رفاقة غيره ايضا من العلماء والاعيان على ماسمعته من بعض الثقة فابوا فلما امتثل بين يدى ناظر الداخلية طلب منه امضاءه على قبوله ورضاه بادخال التعليم الروسى فى المدارس الاسلامية ففعل على ماشاع بين الناس ولا ادرى حقيقته ولا اصدق هذا الخبر بل اعتقد انه خبر صادر عن بعض اعدائه وحساده فشاع بين الناس وليس حضرة المفتى ممن لاديانة له ولا حمية وقد نبذته الملة وراء ظهورهم بناء على هذا الخبر الكاذب فتضررنا بذلك ضررا لايجبره شئ ابا الله وانا اليه راجعون ولو فرضنا صدقه على سبيل فرض المحال فالملام لا يتوجه اليه فقط بل الى اعيان قزان ايضا حيث ابوا مرافقته فى هذا السفر مع توقعهم وقوع مثل هذا الامر فلو كانوا معه لما اقدم عليه وحده من غير مشاورتهم لكونهم معه وحصول قوة القلب بمرافقتهم وحصول قوة القلب فى مثل هذه المواضع بسبب رفاقة اضعف خلق الله مع اليأين بعدم حصول ادنى نفع ومدد منه معلوم بالذوق لكل صاحب وجدان وعلى كل حال فقد سبق السيف العذل ووقع ماقدره الله سبحانه فى الازل لاراد لقضائه ولامعارض لحكمه ولله در القائل لافض فوه   شعر:

تبارك من اجرى الامور بحكمة * كما شأ لاظالما اراد ولاهضما
فمالك شئ غير ماالله شأه * فان شئت طب نفسا وان شئت مت كظما
فلنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر الحوادث من غير عتاب احد فى هذا الخصوص وملامته قائلين شعر:

فلوكان هذا موضع العتب لاشتفى * فوآدى ولكن للعتاب مواضع

فنقول وعلى كل حال شرعت الحكومة بعد ذلك فى زيادة تكاليفها لتكون النتيجة على مقدار المقدمة فقرر آراؤهم على المواد الآتية وختم عملهم بتصديق الامبراطور اياها وامضائه فيها فى ١٦ ايول من سنة ١٨٨٨ م مصادفة سنة ١٣٠٩ ه يعنى بعد مضى سنتين من امضاء المفتى ثم ارسلها ناظر الداخلية الى محكمة الجمعية الاسلامية وامرها بابلاغها المسلمين واجرائها بينهم فترجمت من طرف المحكمة المذكورة وطبعت منها نسخ فى مطبعتها الحجرية ونشرت بين العلماء وهذه صورة نسخة منها بعبارتها حرفيا

اونوترنيخ ديل مينسترى باشقه ملتلرنك دوخاونى اشلارونلرى تورغان ديبارتاميه نمن ٧ نچى سنتابره ١٨٨٨ نچى يلده نومر ٤٧٧٧ شاه اعظمنك امرى ايله

اورنبورغسكى دوخاوناى صبرانياغه امر

پادشاامپراطور اعظم حضرتلرى مينستر اونوترينيخ دېلنك صونوى بوينچه اورنبورغسكى دوخاوناى صبرانيانك اوكروغنده بولغان دوخاونى كشيلرنى آبرازاوبتلنى صينزى اوچون (يعنى ابرازاوت اېتونك مقدارى اوچون) اوشبو ايل ١٦ نچى ايولده بوتوبانده ذكر ايدلاچك پراويل يعنى تنظيماتنى وضع قيلورغه بيوردى ١ نچى دوخاونى صبرانياده زاسيداتيل بولورلر فقط شول كشيلر گنه قابسيلر كم غمنازيه نك اولگى دورت كلاسنده ياكه اويازنى يا غرادسكى اوچيلشچه لرده ياايسه تاتارسكى اوچيتلسكى اشكوللرده اوقاه تورغان فنلردن امتحان توتقان بولورلر ياايسه اقل مرتبه مينستر ناروونى پراسوشچينيه نك ايكى كلاسلى نارودنى اوچيلشچه سنده امتحان توتقان بولورلر ٢ نچى الوغراق درجه ده بولغان دوخاوينلرنى يعنى قالالرده آخون وخطيبلرنى تعيين قيلغانده آنلردن بر كلاسلى

نارودنی اوچیلشچه‌ننك پروغرامه‌سی ایله امتحان قیلنغانلقدان سویدیتلسوا یعنی شهادتنامه طلب قیلنور......

اورنبورغ اورال هم سبیر طرفنداغی قزاق عسکرلرنك ملالرینه هم باشقه عسکریه امامارینه اوشبو پراویلنی اعلام قیلمق خصوصنده وایننوی‌مینسنردن خبر آلنور ۳نچی قریه‌لرگه امام اوله‌چق کیمسه‌لردن امامقغه تعیین قیلنغان وقتده اورسچه سویلاشه هم اوقی بیلماکندن اوبازنی اوچیلشچه‌ننك جمهورندن بیرلگان شهادتنامه طلب قیلنور ٤نچی بوقاریده مذکور بولغان تنظیمات ایله ۱۸۹۱نچی یل‌ننك برنچی غنوارنده عمل قیلنه باشلاب شول وقتدن مقدم لوازمکه تعیین قیلنه تورغان آدملرکه بو تنظیمات تکلیف قیلنماسون .. بن (یعنی مینستر) پادشاه اعظمننك بوندابن الوغ امری خصوصنده وایوننی مینستر ایله نارودنی پراسوبشچینیه مینستربنه معلوم ایتوب دوخارنی صبرانیاغه‌بیوره‌من‌اوزبنه تیوشلی‌راصپر یزبنیه‌لرنی‌تدبیرلارنی قلماقغه.

اورنبورغیه جمعیهء اسلامیه‌ده ترجمان صرق احمد تدرغولف .

محکمهء اسلامیه‌ننك لیتوغرافیه‌سنده طبع ایدلدی ۱۸۸۹نچی یلده ام معناه بالعربیة:

من شعبة نظارة الداخلية التي تبحث من وظائف علماء الاديان السائرة فی ۷ سنتابره ۱۸۸۸سنة بامر الملك الاعظم .

فرمان الی الجمعية الاسلامية الاورنبورغية . ان الامپراطور الاعظم امر فی۱٦ ایول هذا العام یعنی سنة۱۸۸۸م بوضع التنظيمات الآتية ادناه فی تعيين مقدار تمدين العلماء ارباب الوظائف تحت نظارة الجمعية الاسلامية الاورنبورغية بموجب رفع نظارة الداخلية اياه ۱ لا يكون عضوا فی الجمعية الاسلامية الا من كان له امتحان من الدرجات الاربع الاولی من المكاتب الاعدادية او مكاتب القصبات او الولايات اومن الفنون التی تقرأ فی دار معلمی التتار اومن دار التعليم التی تحت تصرف نظارة المعارف ذات درجتين ۲ یطلب من المرشحين للوظائف الكبيرة

كآخون وخطباء في الامصار شهادتنامه مبينة امتحانه بموجب (١) پروغرام دار التعليم العمومية ذات درجة واحدة. يغ.ابر في خصوص اعلام هذه التنظيمات ائمة العساكر القزاق (الخيالة) الساكنين في جهة اورنبورغ واورال وسيبر وسائر ائمة العساكر مع ناظر الحربية ٣ والمرشحون للامامة في القرى يطلب منهم شهادتنامه كائنة من طرف جمعية المعلمين في مكاتب القصبات مبينة انه عارف بلغة الروس وكتابتها ٤ يشرع في العمل بموجب التنظيمات المذكورة من اول غنوار (الكانون الثاني) من سنة ١٨٩١ ولا يكلف بها من يرشح للوظائف قبل حلول الوقت المذكور انا (ناظر المعارف) آمر الجمعية الاسلامية بموجب الامر العالي الصادر من الملك الاعظم بعد اعلامي اياه ناظر الحربية وناظر المعارف باتخاذ التدابير اللازمة اياما اه. الامضاء صوفي احمد قدرغولف الترجمان في الجمعية الاسلامية الاورنبورغية طبع في المطبعة الحجرية للمحكمة الاسلامية في ١٨٨٩م يعني مصادفة سنة ١٣٠٦هـ * هذا بيان مقدار تعلم اللغة والكتابة والفنون الروسية لتحصيل استحقاق حيازة الوظائف الدينية واما كيفية الامتحان وحيازة الشهادتنامه فيها فهاك بيانها انقلها عن جريدة الترجمان العدد ٤ الصادر في ٥ فبورال من سنة ١٨٩١م وفي ٨ رجب من سنة ١٣٠٨هـ بالتقريب وهو نقلها عن العدد ١٤ من جريدة الحكومة الرسمية قالت منه ترجمة نظامنامة مصدقة من طرف ناظر المعارف في ٣٠ ديكابره (الكانون الثاني) من سنة ١٨٩٠ في خصوص كيفية امتحان المرشحين للوظائف الدينية من التعاليم الروسية ١) ان كيفية امتحان

(١) تنبيه واعتذار الشائع بين الناس الى الآن ان الخطباء في البلد والمدرسين بها يكلفون بقراءة اربع درجات من غمنازيه اوما يضاهيها حتى ذكروا ذلك في اشعارهم حيث قيل م قاضي آخون دورة كلامني اولوب اوتسون • دورة كلامني اوقغان ملا بولسه • الى غير ذلك ولذلك وقع في المضبطة المكية هكذا لايتولى القضاء والتدريس والخطابة في البلد الا من اتم فنونا اربعة الخ وهذا الاعلان ليس فيه ذكر المدرسين اصلا والخطباء في الامصار ليسوا كالقضاة اعضاء الجمعية الاسلامية وانما اجرى في المضبطة نحوما اشتهر في الالسنة . منه عفي عنه .

اعضاء الجمعية الاسلامية الاورنبورغية والآخون والخطباء في الامصار وائمة عساكر قزاق ماعدا قزاق اورنبورغ وائمة القرى وعساكر قزاق اورنبورغ انماتبين وتعين على الطريق الآتي بموجب فرمان الامبراطور الصادر في ١١ اوكتابر من سنة ١٨٩٠ ٢) يعمل بموجب هذا النظام في ولايات اورنبورغ[١]، واوفا[٢]، وقزان[٣]، وحاجي طرخان[٤]، وصمار[٥]، وسراطاو[٦]. وسمبر[٧]، وپنزا[٨]، واتكا[٩]، ونيژني[١٠]، وپيرمي[١١]، وطمبوف[١٢]، ورزان[١٣]، وطوم[١٤]، وتابول[١٥]، وموسقوا[١٦]، وپطربورغ[١٧]، وخرسون[١٨]، وكاستراما[١٩]، وينيسي[٢٠]، وايركوت[٢١]، واورال[٢٢]، وسيمي پولاط[٢٣]، وآق منلا[٢٤]، وتورغاي[٢٥]، وبوكاي ايلي[٢٦]، ٣) يشكل في مكتب كل ولاية وكل قصبة يلزم فيها الامتحان جمعية للامتحان وتكون هذه الجمعية مركبة من ثلاثة اشخاص يكون احدهم رئيسا واحدهم معلم اللسان (شاع بين الناس ان احدهم من القسيسين ولهذا وقع في المضبطة المكية احدهما البابا) ٤) والجمعية المذكورة انما ترتب في مكاتب الولايات واما المواضع التي ليست فيها مكاتب الولايات فترتب في المكتب الذي يعينه ناظر مكاتب الولايات ٥) ويجري الامتحان من سنتابره الى اول مايس في جميع الايام التي يكون المكتب فيها مفتوحا ومن كان عمره اقل من سنة ٢١ لايقبل للامتحان ٦) الذي يريد الامتحان يقدم لناظر المكتب مع عريضته تذكرة اوشهادتنامه من دائرة البوليس مبين فيها انه من هو وكم سنه وشهادتنامه ايضا من المكتب الذي قرأ فيه القرأة الروسية ويلزم ان يكتب طالب الامتحان عريضته بيده واما المرشح للامامة في القرى اولعساكر قزاق الاورنبورغية فيجوز ان يكتب عريضة غيره ٧) الذي يلزمه تحصيل مايقرأ في مكاتب الولايات اوانموذج مايحصل في مكاتب القرى بالنظر الى وظيفته المطلوبة لايسأل عن لسان اسلاوان وانما يسأل من اصول الاملاء

عن قواعد حروف الهجاء الاملائية ٨) ان المذكورين فى المادة ١ والمادة ٢ ممن يجرى عليهم الامتحان من القراءة والكتابة اذا لم يقدروا على الامتحان من جهة لايمتحنون من جهة اخرى قطعا ٩) الذى يراد امتحانه من پروغرام مكتب الولاية يلزمه ان يكتب الكتابة الروسية من حفظه وان يقدر على كتابة مايقراؤه من الكتاب وان يكتب مادة معلومة او مبحثا معينا مثل مايتلفظه بلسانه وان يفهم مايقراؤه فهما جيدا وان يعرف قواعد الصرف الروسى المتعلقة بالاملاء ١٠ الذى يراد امتحانه من پروغرام مكاتب القرى يلزمه ان يقدر على الكتابة من حفظه وان يقدر على كتابة مبحث قرأه فى الامتحان وان يفهم مايقرأوه فهما جيدا وان يعرفه ويقرره ١١) الذى يراد امتحانه من القراءة والكتابة الروسيتين ينبغى ان يقدر على قرأة مبحث من كتاب لم يقرأه قبل وان يفهمه فى الجملة وان يقدر على تعريفه وتقريره وان يقدر على كتابة ماقرأه من حفظه وان يقدر على قراءة الخط الجلى وان يعرف قواعد الاشارات والعلايم والذى يراد امتحانه بموجب المادة ٩ والمادة ١٠ ينبغى ان يقدر على القراءة بالاستخراج من الكتابة والخطوط ١٢) الذى يراد امتحانه من القراءة الروسية فقط تفتش جمعية الامتحان وتبحث عن معرفة اللغة الروسية بعد امتحانه بموجب المادة ١١-١٣ ان درجات الامتحان تتعين بالاصول الخمسية بمعنى ان (٥) اشارة الى كمال المعرفة الجيدة (٤) اشارة الى المعرفة الجيدة فقط (٣) اشارة الى اللياقة (٢) الى عدم اللياقة (١) الى انه لم يعرف شيئا ١٤ الذى حاز الدرجه الثالثة فى الامتحان يعطى شهادتنامه بموجب الصورة المعلومة الآتية وحيث ان صورة العريضة لطلب الامتحان وصورة الشهادتنامة التى تعطى بعد اداء الامتحان اندرجتا فى الصحيفة التى حررت بالروسية لم نر اللزوم فى ترجمتهما وثبتهما هنا اه من الجريدة المذكورة بتعريبها حرفيا وهذه هى النتيجة القطعية للمذاكرات و المحاورات بالنقض والابرام والتعديل و التبديل المار ذكرها تفصيلا مسلسلة ممتعة الصادرة فى مدة ٢٤ سنة كاملة فعلى هذه النتيجة استقر الامر وجف القلم

واستراحت رجال الحكومة من المحاورات الطويلة والمراجعات الغير المنقطعة في هذا الخصوص والقوا الاقلام من ايديهم ولم يبق الا اجراؤها وتطبيقها على العمل فوقع الامر على مأموري الاجراء وجاءت نوبة المصارعة بينهم وبين المسلمين وجاءت اربع نسخ من الاعلان الذي نشرت من محكمة الجمعية الاسلامية الى بعض علماء اورنبورغ في آواخر آپريل من العام المذكور وكذلك الى سائر العلماء العظام فلا تسأل عن مقدار المساءة التي حصلت للمسلمين بعد ذلك فانهم غابوا عن حواسهم وصاروا مسلوبي الحواس والشعور ولم يدروا ماذا يفعلون والى اي باب يذهبون والى من يشتكون وطفق بعضهم يذهب الى الجمعية الاسلامية يراجعهم فيما يفعلون وشرعوا يقدمون العرائض الى الجمعية الاسلامية والى الولاة والى النظار والى الامبراطور يتظلمون من تلك التكاليف الجائرة المائلة عن قانون العدالة ونقطة المدنية المجحفة للحقوق ويلتمسون منهم سحبها وتحريرهم عن تبعتها حتى زادت العرائض المقدمة في هذا الخصوص على ثلاثة آلاف عريضة على ما اشتهر حتى صاروا اعني رجال الحكومة يمتنعون عن قبول عرائضهم اعني استلامها اصلا فلم يقابلوهم الا بالرد والتعنيف والتوبيخ والتهديد كانهم جنوا على الحكومة جناية عظيمة لا تغفر والذي قابلهم بالسكوت كالجمعية الاسلامية فهو احسنهم مقابلة ومع ذلك لم يحصل للمسلمين اليأس الكلي لعدم مجيء وقت الاحتضار بعد بل اتى الاخبار بمجيئه فقط وربما يخبر بمجيء شيء ولا يجيء فان التخلف في اخبار غير الله جائز وواقع وكل يوم هو في شأن ولله در القائل شعر:

ولرب حادثة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

الا انهم شرعوا في تعيين الائمة في المواضع الخالية في الجملة وفي تقديم الامتحان لدى الجمعية الاسلامية واخذ شهادتنامه منهم ليصيروا اماما او خطيبا متى وجدوا محلا خاليا لئلا يضطروا الى الامتحان بالقراءة الروسية بعد حلول الاجل الموعود وانقضاء المدة المضروبة بناء على البند الرابع ولما حلت السنة ١٨٩١م المصادفة السنة ١٣٠٨ه في احدى جماديها التي ضربت

اجلالاجراء التكاليف المذكورة فعلا حصل اليقين بجدية ذلك التعيين ووقع الوباء العام والطاعون المبيد للانام حيث منعت منح الوثوق الدينية لمن لم يستوف تلك الشروط على ذلك النمط المبسوط وصار التصميم باتاء نبها من قبل الحكومة المشار اليها فضاق الخناق وبلغت الروح التراق وعز الخلاص ولات حين مناص وترى المسلمين سكارى وماهم بسكارى ولكن الخطب الذى وقع عليهم شديد فحينئذ وقع اليأس الكلى واشتد الناموس الملى فاجتمعت عظماء الامة واعيان الملة من جميع الولايات وكتبوا عريضة طويلة الذيل والاردان للامپراطور الكساندر الثالث بارق العبارات والطف الاشارات مشتملة على انواع الاسترحام والاسترقاق بحيث يلين اقسى الحجر ويذيب الفولاذ يسترحمون منه ان يكشف عنهم البلاء المذكور ويطلبون منه ان يزيل الوباء المسطور حيث ان دواءه بيده وارسلوها اليه على يد عصابة من اعيان الملة ومشاهير الامة فاكرم وفادتهم واضافهم ضيافة ملوكية واركبهم مركباته الخصوصية واباح لهم السير والتفرج فى بساتينه الامپراطورية الا انه لم يقبل عريضتهم ولم يسمع افادتهم وانما قال لهم انه لاضرر فيها لكم وليس فيها ماتخافون وليس الامر كما تظنون بل مقصودنا بالتكليف بها حصول الفوائد والمدنية لكم حتى تنتظموا فى سلك امم متمدنة وتجنوا ثمراتها فى المستقبل وهو حكم لاابطله وطالبكم شئ لااجيبه ولا افعله ارجعوا الى اوطانكم فارغى البال واشتغلوا باشغالكم من غير اصغاء القيل والقال فرجعوا بخفى حنين ولهم تاوه وانين ولم يعاملوا بتخييب رجاءهم فقط بل صار بعضهم محكوما عليه بالجزاء للذهاب الى پطربورغ بلاتذكرة المرور فان حكام قزان لم يسمحوا له باعطاء تذكرة المرور وپاسپورط حين سمعوا انهم يذهبون هناك لتقديم العريضة وصار كاتب العريضة المذكورة محكوما عليه بالحبس مدة ثلاث سنين فامتنعوا فلما راؤا منه المعاملة انقطع رجاؤهم عن غير الله تعالى واقرب الاشياء لتصوير احوالهم فى الوقت المذكور وقوع الكسوف الكلى دفعة من غير ان يكون به علم لاحد وفى ٤ نويابره من سنة ١٨٨٧ كتب ناظر الداخلية الى المفتى الحالى

سلطانى كتابا تحت رقم ٢٩٦٥ يقول فيه (١) ان اكثر المدرسين لا يكتمون جوابالسؤآل مدير دائرة المعارف بولاية اورنبورغ واستفساره عن احوال المكاتب والمدارس والطلبة معاذ يلزمهم ان يكتبوا المواد الآتية ويسلموها الى النظار والمفتشين فى ٢٠ ينوار كل عام (١) مواضع المكاتب والمدارس ومواقعها (٢) مقدار نفوس تلك المواضع وانهم من اى جنس وفى اى دين (٣) اسامى المدرسين ومابه شهرتهم (٤) المواضع والمدارس التى قرأوا فيها (٥) مقدار الذكور والاناث من الطلبة واعدادهم (٦) العام الذى فتح فيه المكاتب والمدارس ومبدأ الدروس ومنتهاها (٧) كون المكتب مكتبا فى اصل بنائه اومستأجرا (٨) وجود وقف المكتب وعدمه وانه قائم بخراجة من ومصروفه ، فعليكم ان تبذلوا همتكم فى هذا الخصوص وتعينوا فيه وتأمروا المدرسين بايفاء خدماتهم واداء وظائفهم وان تخبرونا بتدابيركم فيه ، فكتب اليه المفتى المشار اليه فى ٢٥ نويابر المذكور كتابا تحت رقم ٦١٧ انه بناء على القوانين المسطورة فى الجزء الاول من المجلد الحادى عشر من الدستور لادخل للجمعية الشرعية المحمدية فى امور المكاتب والمدارس فلهذا لا يمكننى نشر الفرامين والاوامر بين المدرسين فلو تشبثت فرضا بالتدابير الرسمية لكنت خارجا عن وظيفتى وحيث ان عدد المدرسين الذين تحت نظارة الجمعية المذكورة كثير جدا وملاقاتى بكلهم متعذر بل محصورة على اشخاص معدودة منهم لا يمكننى ايضا ان انصحهم واعظهم فى صورة خصوصية نعم الجواب الشافى والعجب منهم غاية العجب انهم ينتزعون المكاتب والمدارس والمدرسين من ايدى الجمعية المذكورة ثم يحاولون جعلها آلة لاجراء دسائسهم قاتلهم الله ·

وفى سنة ١٨٩٠ كتب رئيس جمعية الشورى الموقتة الكائنة بخان اوردوسى الى الجمعية الشرعية المحمدية كتابا مرقما برقم ٤٦٩ مضمونه

---

(١) وانما اخرنا هذه عن سابقها مع كونها متقدمة عليها لتكون الحوادث بعضها متصلا ببعض منه عفى عنه .

ان الرجال الكبار من قزاق بوكاى ايلى لايعرفون اسم الامپراطور وولى عهده فضلا عن صغارهم وليس لهم خبر عن كون بوكاى ايلى تحت تصرف الروسية وقد امر واحد من مفتشى المكاتب المؤذن اثناء تفتيشه ان يعلم الاولاد اسم الامپراطور فلم يصغ المؤذن الى قوله ولم يعتبره ولهذا عليكم ان تامروا المدرسين بتعليم الاولاد اسم الامپراطور وولى عهده وان يخبروهم ويعلموهم بكون بوكاى ايلى تحت حكومة الروسية وتصرفها وليصغ المؤذن ايضا الى قول المفتش ويعتبره فكتب اليه من طرف الجمعية الشرعية فى ١٣ مارت من العام المذكور تحت رقم ٤٦٩ بان الائمة المدرسين وان كان امتحانهم فى حضور الجمعية الشرعية المحمدية الا ان امور التدريس والتعاليم ليست بيد الجمعية المذكورة بموجب النظام قلت السوآل والجواب كلاهما من الطرز الاول الا ان هذا الامر اقبح فان الجمعية الشرعية ليست تحت نظارة جمعية الشورى المذكورة وتصرفها حتى تامرها بشىء ما . وان تعليم الاولاد ليس من وظائف المؤذنين وهكذا حال مامورى الروسية لايعرفون وظائفهم فلو صدر مثل هذا بلا دون منه عن واحد من المسلمين لاقاموا عليه قيامة وجعلوا حبته قبة وصاحوا باعلى صوتهم بانهم برابرة لا يعرفون النظام وكتبوا اليه باشد التوبيخ والتشنيع واوسعوه سبا وشتما واثبت فى ژورنال (سجل) الجمعية الشرعية الاورنبورغية فى ٨ ينوار سنة ١٨٩٢ هكذا اخبر مفتش القسم الثانى من ولاية قزان فى اوراقه المحررة فى ١٤ الكانون الاول (ديكابره) سنة ١٨٩١ الى الجمعية الشرعية المحمدية بان قليلا من الطلبة الكائنين بمدارس قزان يقرأون بالروسية ولا يقرا احد من الطلبة الكائنين بمدرسة پورغاواى بالروسية فى الغرفة المختصة بتعليم الروسية مع ان الطلبة البالغين ١٦ سنة من العمر مجبورون بتعلم اللغة والكتابة الروسيتين بموجب النظام والقرار الصادر فى ٢٦ مارت من سنة ١٨٧٠ ولهذا لباٴمر الجمعية الشرعية المحمدية من طرفه بتعلم الطلبة الكائنين فى المدارس بالروسية عموما ولكن يكتب جواب المفتش المذكور

هكذا ان وظيفة الجمعية الشرعية المحمدية بناء على القانون المسطور فى الجزء الاول من المجلد ١١ من الدستور هى امتحان الائمة والمدرسين والنظارة الى خدماتهم الدينية وتحقيق النزاع الواقع بين العائلة وليس لها حق بموجب النظام فى المداخلة بامور المكاتب والمدارس فلو فعلتها ونشرت الاوامر والفرامين فى هذا الخصوص لكانت متعدية عن حقها اه قلت وكان اللازم ان يكتب اليه والى غيره ممن كان فى رتبته او اعلى منها ولكنها ادون من نظارة الخارجية بان امر الجمعية الشرعية بشىء ماليس من وظيفتك وفى سنة ١٨٩٢ كتب ناظر المعارف القونت ديلانف الى مديرى المعارف بولايات موسقوا وقزان واورنبورغ البيانات الآتية بناء على المعلومات والحسابات المجتمعة من طرف مديرى دوائر المعارف. بانه بلغنى انه يوجد ويستعمل فى مكاتب المسلمين ومدارسهم سوى الكتب المطبوعة والدينية دفاتير قلمية كتب فيها مدايح المسلمين عموما والاتراك خصوصا وذم الروسية نظما وكتب فيها ايضا دخول المسلمين تحت تصرف الروسية وكونهم عسكرا لها (يعنى على طريق الاسف والتحسر) وبين فيها غلبة المسلمين وانتصارهم فى وقت من الاوقات بيانا ظاهرا وان تلك الاشعار تنشد من طرف طلبة المكاتب والمدارس فى البيوت والمجالس والجمعيات وعدا عن ذلك تستعمل فى المكاتب والمدارس الآثار المنافية لسياسة دولة الروسية المطبوعة فى استانبول وقد بين فى تلك الآثار كون سلطان استانبول خليفة كافة المسلمين على وجه الارض وانه يوجد بين المعلمين والمدرسين كثير ممن قرأوا فى بخارى ومصر واستانبول وايران، وحيث ان هذه الامور كلها ليست مما ينبغى يلزم أن تنحصر الدروس فى المكاتب الاسلامية ومدارسها فى الكتب المصدق عليها من طرف ناظر المطبوعات بالروسية وليكن المعلمون والمدرسون من تبعة الروسية وممن قرأوا فى الروسية اه يروى ان هذا الامر مع انتشاره فى ٢٦ آغستوس سنة ١٨٩٩ اخر اعلانه الى سنة ١٨٩٢ قلت وسيجىء تفصيل ذلك وسببه عن قريب انشاالله وفى العام المذكور نشر والى طمبوف اوامر الى

محاكم الضبطية باعطاء الحسابات اللازمة فى شان مكاتب المسلمين ومدارسهم الكائنة فى تلك الولاية، وفى ١١ مايس عام ١٨٩٢ كان ژورنال (سجل) الجمعية الشرعية الاورنبورغية هكذا كتب محكمة والى ولاية وانكا بان ژوميسر قصبة يلابوغا بين فى عريضته ان المدرسين فى هذه الناحية يعاندون النظار والمفتشين ولا يرضون بتسليم الكتب القلمية الكائنة فى المدارس؛ فبناء عليه يلزم المحكمة الشرعية المحمدية اعانة النظار والمفتشين وامدادهم بنشر الاوامر والفرامين بين العلماء، ولكن لا يمكن المحكمة الشرعية موافقة محكمة الولاية المذكورة فى هذا الكلام فان المكاتب والمدارس تحت تصرف نظارة المعارف بموجب القانون والنظام والمدرسون من جهة كونهم معلمى الدين ليسوا بتابعين للمحكمة الشرعية من تلك الجهة يعنى ان العلماء تابعون للمحكمة الشرعية من جهة الدين فقط لا من جهة تحصيل العلوم والمعارف فان الحكومة فصلتهم عنها من تلك الجهة وسلبتها عنها، وفى ٩ ستابره من سنة ١٨٩٢ نشر والى ولاية اورنبورغ الذى هو قومانذان العساكر الخيالة ورئيسهم فى تلك الولاية فرامانا مضمونه على ان اولاد العساكر الخيالة المسلمين يذهبون بعد قراءتهم بالروسية نهارا الى المدارس التى بنيت فى قديم الزمان ابلا ويقرأون فيها علوم المسلمين وحيث ان القراءة بالاسلامية مخلوطة بالروسية مضرة آمر الضباط والرؤساء فى القسم الاول والثانى امرا قطعيا باغلاق المدارس الموجودة فيهما فان اراد العساكر الخيالة تعلم دينهم فعليهم ان يتعلموه فى المكاتب الروسية (الاشقولا) فقط لا غير، ولكن لا يعطى المعاش والشهرية للمعلم بالاسلامية، ولا يؤذن لازيد من ثلاثة دروس فى الاسبوع، ويعين اوقات هذه الدروس ايضا الضباط والرؤساء، (*) فاثر هذا الفرامان فى العساكر الخيالة تأثيرا سيئا جدا فقدم بعضهم عرائض الى حضرة المفتى الحالى وطلبوا منه الاعانة فى رفع هذا الظلم الصريح والتكليف القبيح فقدم حضرة المفتى عرائضهم المذكورة الى نظارة

(*) وهذا احدى علل الهجرة وترك الاوطان.

الداخلية وكتب مكاتيب خصوصية غير رسمية الى بعض المأمورين، فكتب نظارة الداخلية اليه فى ٤ ديكابر من سنة ١٨٩٣ جوابا تحت رقم ٦٤٥٣ هكذا ان العساكر الخيالة يلزمهم المعرفة بالروسية فان ترددوا الى مدارس المسلمين يضر ذلك معرفتهم بالروسية هذا فى حق الاولاد ولما الكبار فلهم ان يترددوا الى المدارس ويقيموا فيها كيف شاءوا لامانع لهم من ذلك ولهذا صارت عريضتكم فى هذا الخصوص ساقطة الاعتبار. اه اقول اظن ان هذا لايحتاج الى المحاكمة وبيان انصاف الوالى وناظر الداخلية لكونه مكشوفا ظاهرا وكان هؤلاء المساكين خلقوا لاجل خدمة الروسية فقط لاغير وفى سنة ١٨٩٩ نشر الاعلان من طرف مدير دائرة المعارف بولاية قزان انه بناء على اعلان نظارة المعارف الصادر فى ٢٦ آغستوس من سنة ١٨٩٩ تحت رقم ٢٠١٨٨ يقرأ فى مدارس المسلمين بالروسية ٢ والمدرسون يأخذون حساب الطلبة ويسلمونه الى المفتشين فى كل ما يس ٣ ومن ليس بيده شهادتنامة من طرف المفتشين لايكون معلما فى المكاتب والمدارس ٤ والكتب المطبوعة فى الممالك الاجنبية لاتدخل فى المكاتب والمدارس فصاح المدرسون فى تلك الاقطار والدائرة من فم واحد انهم لايقبلونه قط ولايسمعون مثل هذا الاعلان ابدا وردوه ردا بليغا لم يختلف فيه اثنان الا ان واحدا من المدرسين والمتشيخين فى قصبة ..... ومن تبعه فى جميع شؤنه على العمى قبلوه وامضوا فيه من غير اكتراث مع انه افنى جميع عمره برؤية عيوب العلماء الكبار وغيبتهم وتفسيقهم وتضليلهم وتكفيرهم ولايزال على هذا الحال الى الآن ولما خاف قيام اهل محلته عليه وعزلهم اياه عن منصبه بايجاد سبب ما التجاء الى حضرة المفتى وكتب اليه انه ما امضى فيه لقبوله اياه ورضاه به بل لوصوله وسماعه بمافيه مع ان الاعلان المذكور لم يكن من طرف حضرة المفتى بل من طرف مدير المعارف كما مر مع ان الامضا لايؤخذ لرضاه بل لسماعه والعمل بموجبه رضى ام لا وهذه مما قاساها مسلموا تلك الديار من الاهوال والشدايد من طرف الحكومة الجائرة الظالمة فى حق دينهم والحاصل انه لما صدر الامر

القطعى من طرف الامبراطور بلزوم قراءة اللغة والكتابة الروسيتين على من هو موشح للامامة والخطابة تحير المسلمون فى أمرهم ووقعوا فى حيص بيص وامتنعوا من طلب الوظائف بعد ذلك بعضهم لعدم استيفاءه الشروط المذكورة وبعضهم لاستنكافه من طلب شهادتنامه من مكاتب الروس ومعلميهم وان استوفى الشروط والجدول الآتى كاف لاراءة التفاوت الفاحش بين امتحان السنة المذكورة ومابعدها وبين امتحان ماقبلها وهو هذا

السنين الميلادية	الائمة والمعلمون فقط	الجامع بين الخطابة والتعليم	الجامع بين الخطابة والتدريس	الذين عجزوا عن الامتحان
١٨٨٩	١١٣	٣٠٧	٢٨	٣٠
١٨٩٠	١٤٦	٣٤٥	٥٤	٣١
١٨٩١	٠٣٠	٠٣٨	٠٤	٤١
١٨٩٢	٠٢٩	٠٤٤	٠٨	٠٤
١٨٩٣	٠٤٢	٠٨٩	١٦	٠٩
١٨٩٤	٠٣٨	١٢٢	٢٦	٠١

فاذا نظرنا الى الارقام المذكورة نجد عدد الممتحنين شرع فى الزيادة من كل صنف بعد السنة ١٨٩١ المذكورة تدريجا وسببه حصول المساهلة فى الامتحان من الروسية للاسباب الآتية ١ غليان افكار العامة وحصول الهيجان فيهم ٢ ان المسلمين ارسلوا الى علماء مكة المكرمة عريضة طويلة الاردان يشكون اليهم فيها مالقوه من طرف حكومة الروسية من هذه التكاليف المغايرة لقانون العدالة ويسترحمون منهم ارسال مضبطة الى باب المشيخة ليبلغ احوالهم واهوالهم الى شوكة مولانا السلطان فيخابر الحكومة المشار اليها فى رفعها وسحبها وديباجة عريضتهم هكذا اشعار :

اسادتنا لكم شأن كبير * بكم مما نحاذر نستجير
خذوا ثار الديانة وانصروها * لقد حامت حواليها النسور
ونحن بغفلة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
تجاذبنا الاعادى باصطناع * فينخدع المغول والفقير

فباق فى الديانة تحت خزى * تثبطه الشويهة والبعير
ويمضعنا النصارى اى قلب * على هذا يقرو لا يطير
مضى الاسلام فابك دما عليه * وهل يطفى الجوى الدمع الغزير
فيا اسفاه يا اسفاه حزنا * بكرور ماتكررت الدهور
نحور اذا دهينا بالرزايا * وهل مصغ الى بقر يخور
اليس لنا ابى النفس شهم * يدور مع الدوائر اذ تدور

بسم الله الرحمن الرحيم الى جناب حضرات كعبة الآمال ، شموس سماء السعادة والاقبال ، قبلات توجه امانى الرجال ، عرى الشريعة النبوية ، انصار الملة المصطفوية ، ساداتنا شيخ الاسلام ، مفتى بلد الله الحرام ، (الشيخ صالح كمال) الى كافة الانام ، وفاتح بيت الله الحرام ، (الشيخ عبد الرحمن الشيبى رحمه الله) بنص من النبى عليه الصلاة والسلام ، ومولانا خلاصة سلالة السادات ، رفيع الدرجات ، مامن شرف الاهوله حاوى ، مولانا السيد عبد الله نجل سيدنا ومولانا ومرشدنا السيد محمد صالح الزواوى ، وكافة العلماء العظام ، والمشايخ الكرام ، لازلتم محفوظين من جميع الحوادث والآفات ، وملحوظين من طرف الله سبحانه بلحاظ الاجلال والاكرام وانواع العنايات ، ولازلتم ظهور الضعفاء ومعينهم من صرصر البليات ، وسائر النكبات ، بالنبى وآله الامجاد الكرام ، عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام ، المعروض على اعتابكم العلية * والمرفوع الى سدتكم السنية * بعد حمد من منه البداية واليه النهاية * وصلاة من هو شمس الهداية * القائل بدأ الدين غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للذين يصلحون ما افسده الناس بالدراية * وآله الذين هم سفن السلامة من بحر الغواية * واصحابه نجوم الاهتداء فى ظلمات الضلالة والعماية * انه لايخفى على حضراتكم العلية * ان الحكومة الروسية قصدت ابطال الشريعة النبوية * وازالتها بالكلية * من هذه الديار التى رميت بسهام البلية * الخ وختامها بهذه الابيات اشعار :

قد استجرنا بكم من كل حادثة * ان لم تجيروا فقد ضاقت بنا الحيل
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم * وانتم يا عباد الله اخوان

اما نفوس ابيات لها همم * اما على الخير انصار واعوان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان فى القلب اسلام وايمان

ثم بعد ذلك الامضاءآت فجمعت المضبطة من علماء بلد الله الحرام ومشايخها العظام بعد ان اخذ مولانا السيد عبدالله الزواوى دام مجده وعلاه الاذن فى ذلك من الشريف بطريقة عجيبة فان العلماء ممنوعون مالك عن جمع اى مضبطة كانت من غير اذن الشريف فجمع ٤٩ امضاً وامتد اتمامها الى ازيد من شهر وكان ذلك بهمة مولانا السيد عبدالله الزواوى زيد قدره وعلاه ولولاها لما انمت وديباجة المضبطة بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يامجيب السائلين * وسامع دعاء الداعين * ومفرج كرب المكروبين * وملجأ اللاجين * وجار المستجيرين * نتوسل اليك باوجه الوسائل * والواسطة العظمى لكل راج وسائل * عبدك ونبيك * وكليمك ونجيك * وخليلك وصفيك * واميتك على وحيك * معلم الخير * والمنقذ بهديه من كل هم وضير * ابى القاسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم * وشرف وكرم * وبعد ان تنظر بعين عنايتك . . . . وبعد فننهى الى سدة مقام المشيخة الاسلامية * مع الامل الاكيد فى تحقيق اجابة الامنية * ان اخواننا اهل الايمان * من سكان بلاد قزان * التابعة للدولة الروسية الآن * قد بعثوا الينا عريضة طويلة الاردان * يشكون فيها ما هم عليه من المضايقة فى الامور الدينية * والتكاليف المغايرة للشريعة الاسلامية * وللطريقة المحمدية * من قبل الدولة الروسية * اقلها يصم الآذان * ويجلب لكل مسلم الاحزان * الخ وكان المرتب لها الاديب الفاضل الشيخ عوض رحمه الله تعالى كاتب المحكمة الشرعية (١) وكان ورود العريضة المذكورة فى رجب سنة ١٣٠٨ بواسطة البوستة ولكن لم يتيسر جمعها لبعض الاسباب الا فى اول سنة ١٣٠٩ * فلما تم جمعها طبعت منها مقدار ٥٠٠ نسخة ووزع بعضها فى الحرمين وبعضها فى مصر وبعضها فى الاستانة للنظار والحكام والباشوات والسفراء والاعيان وارسل قليل منها الى بلاد قزان فقدمت

(١) توفى فى آخر سنة ١٣٢٤ بعد نزوله من منى رحمه الله تعالى. منه عفى عنه.

اصلها اولا الى مولانا السيد اسعد المدنى المقيم والمدفون بالاستانة العلية رحمه الله تعالى فقراءها من اولها الى آخرها وكلما قرأ شرع وجهه فى التغير وظهر فيه اثر التأثر التام وزاد تغيره وتأثره الى تمامها زيادة بينة ثم امر برفع الاصل الى باب المشيخة وامر مؤذن جامع يلدز الشيخ عثمان بارائة امامها شيخ الاسلام فى سلاملق وامره ان يقول ان مولانا السيد امر بذلك وذلك لئلا يقع التساهل من شيخ الاسلام فى هذا الباب بل يهتم اشد الاهتمام واخذ نسخا من المطبوعات وقال لى اترجم خلاصتها بالتركى واقدمها لمولانا السلطان اعز الله انصاره بيدى فقدمها مولانا شيخ الاسلام ومولانا السيد ايضا ترجمتها بالتركية ملخصة فارسل مولانا السلطان اعز الله انصاره الى دولة الروسية نوطة فى هذا الخصوص بواسطة سفيره فى بطربورغ ولا يخفى على احد مقدار تأثيره ا ٣ مهاجرة المسلمين ومغادرتهم الديار المذكورة فانهم لما رأوا اصرار الحكومة على اجرائها مع ظهور الحوادث والمفاسد الآتى بيانها على التوالى لم يبق شىء غير الهجرة من الديار المذكورة وترك الاوطان العزيزة هو اكبر من القتل فطلبوا من الحكومة الاذن فى الهجرة حيث لم يرفع عنهم التكاليف المذكورة فاذنت لهم الحكومة بالهجرة فى اول وهلة ظنا منها انهم لا يقدرون عليها ولا يقدمون اليها فلما رأتهم انهم شرعوا فيها بالجد وطفقوا يهاجرون تباعا خصوصا الفقراء الذين لا يظن بهم انهم يهاجرون صد الامر الامبراطورى بالتشبث باسباب منعهم عنها مهما امكن ولاشك ان اعظم سبب هجرتهم هى التكاليف المذكورة فشرعوا فى التساهل فيها قليلا بان يعطوا شهادتنامه لمن لم يستوف الشروط المذكورة بالتمام اذا كان عارفا بالتكلم والكتابة الروسيتين ولو قليلا فاستمر الامر على ذلك الى الآن ولولا هذا لساء الاحوال وزاد الاهوال ولو دام الاهالى فى هجرتهم لالغت الحكومة التكاليف المذكورة بالكلية من غير ريب ولكن ولكن ولكن ... يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فلم يلبثوا الا قليلا حتى شرع بعضهم فى الرجوع الى اوطانهم وابطال هجرتهم ولم يكتفوا بالرجوع بل اخذوا يحرضون الاهالى الى عدم الهجرة والثبات فى اوطانهم فتركوا الهجرة ودامت

تلك الاحوال ولكن من غير تشديد ٤) موت الامبراطور الكساندر الثالث وتملك الامبراطور الحالى فان لتبدل الملوك تاثيرا فى تبدل الامور والاحوال خصوصا اذا كان الثانى معتدلا بالنسبة الى الاول مع كون زوجة الثانى خالية عن التعصب الدينى ومائلة الى الحرية والمساواة مثل يكاترينا الثانية لكونها المانية الجنس مثلها بخلاف زوجة السابق فانها فى غاية التعصب رئيسة طائفة ميسيونير وحاميتهم ومقويتهم ومؤيدتهم ٥) ان ايلمينسكى كان منكرا لتشبثات الحكومة لجر المسلمين الى النصرانية بهذا الطريق اعنى بطريق تكليفهم بتعلم اللغة والكتابة الروسيتين اياهم اشد الانـــكار ومعترضا عليهم فيه وكان يقول ان هذا لا ينفعنا بل يضرنا فانه من قبيل اعطاء السلاح بيد الاعداء وطريقتهم القديمة فى التعليم والتعلم كانت كافية فى انحطاطهم وتدينهم ومفضية بهم الى الانقراض والاضمحلال بالكلية ولو بعد حين وايد ذلك بضرب المثل بمن تعلم الروسية واستقام ولم يتعلمها قط وضل كما لا يخفى ذلك لمن يطالع مكاتيبه الابليسية فلما نشاء العلماء الجدد الذين استوفوا الشروط المذكورة بالتمام ظهر صدقه فى هذا الكلام فان العلماء كانوا سابقا اذا جاءهم واحد من الضبطية بامر من طرف الحكومة كانوا يخافونه ويهابونه بحيث كانوا يأخذهم الرعشة فلا يستطيعون تاخير اجراء الامر المذكور اوعدم وضع امضائهم على الورق الذى بيده وان لم يعرفوا مافيه فضلا على اكبر منه واما هؤلاء العلماء الجدد فلم يكونوا كذلك بل صاروا ينظرون الى الامر فى الورق الذى جاء به فان كان مطابقا للنظام وانه وظيفته وانه يلزمه اجراؤه او الامضاء عليه كانوا يامرونه بالانصراف والمجيئ فى وقت آخر متعللين بانهم مشغولون بشغل ضرورى اوان وقته لا يساعده فلا يمكنه الالحاح فان الح فرضا كانوا يوبخونه ويطردونه قائلين انه لا يعرف النظام وان الالحاح عليهم ليس من وظيفته وان لم يكن مطابقا للنظام وانه ليس من وظيفتهم كانوا يطردونه من اول الامر بالتوبيخ والتشنيع بانه لا يعرف القانون والنظام والحاصل انهم صاروا يقاومون رجال الحكومة ويحاوبونهم بطريق القانون والنظام بعد ان كانوا فى ايديهم آلة صماء

يديرهم اصغر رجالهم كيف شاء فلما شاهدت رجال الحكومة هذا الحال ادركوا ان استماهم اخطاءت الحفرة وان النتيجة التى كانوا يتوقعونها اعنى التطبع بطبيعة الروس لايرى منها اثر قط وكانها ممتنعة الحصول وايقنوا ان ايلمينسكى ادرك ذلك قبل وقوعه بالقاء الشيطان بموجب قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الآية فعرض الفتور لعزمهم السابق فسلكوا طريق المساهلة لذلك واما الامور التى حدثت فى خلال تلك المدة ولها مناسبة لتلك التكاليف وتعلق بها بها بنوع ما ولاجلها آثر المسلمون الهجرة فهى كثيرة نذكر فيهاهنا ماله وجود فى الحافظة منها بناء مكتب سيمينار يا بقزان وهو ان طائفة ميسيونير اشتروا عراصا بين المسجد الاول والثانى ببلدة قزان وبنوا بها مكتبا كبيرا جدا يسمى سيميناريا بمعنى المكتب الدينى وغرضهم من بنائها اقراء اولاد المكرمين قوانينهم الدينية وغرضهم الوحيد من بنائهم فى الموضع المذكور الذى هو وسط المسلمين دون ان يبنوها فى طرف الروس منها هو اضرام النار والقاء الجمر فى قلوب المسلمين ورش الملح فى جراحاتهم ونثر التراب فى عيونهم وتنكيدهم واظهار عداوتهم لهم لاغير وكان ابتدأ بنائها فى حدود سنة ١٨٧٢ وكان اكثرهم سعيا واجتهادا ومباشرة فيها ايلمينسكى فاثر ذلك فى المسلمين تاثيرا سيئا جدا وشاهدا عدلا لنواياهم الكاسدة واغراضهم الفاسدة فان لسان حالها ناطقة باعلى صوتها بانى مابنيت فى هذا الموضع الالاجل اولادكم ايها المسلمون وقد فرط المسلمون فى اهمالهم شان تلك العراص حتى آل امرها الى ماذكر وندموا عليه حين لم ينفعهم الندم ومنها ان من عادة حكومة الروسية طلب الامضاء من الاهالى فى مثل هذه التكاليف الباطلة على رضائهم بها لئلا يتمكنوا من الرجوع والعدول عنها بعد القبول مثلا ولها ايضا فى ذلك غرض آخر وهو الاصل فيه فان الطلب المذكور يكون تارة من اصل الحكومة وتارة من الدوائر الصغار كحكام النواحى والولاة فان كان الثانى فالغرض منه دفع تبعة المسؤلية والعتاب عن انفسهم اذا وقعت الشكاية منهم الى الدوائر الكبار بانه وقع

منهم الا كراه والاجبار بان يكروه ويقولوا انهم رضوا بذلك وهذا امضاآتهم الداطقه به وان كان الاول فالغرض منه دفع العار والشنار وستر العورات اذا بلغ الامر الى الدول الاجنبية فشرعوا فى تشنيعهم وتوبيخهم وتعييرهم بالظلم واجحاف الحقوق بان يبرزوا تلك الامضاآت اليهم ويقولوا انهم لم يفعلوه الابرضائهم بل بطلبهم فيدفعون بذلك عنهم قبح نسبة الظلم اليهم واياك ان تظن هذا مجرد اختراع الوهم وانه اختلاق محض كلا بل هو امر واقعى فان بعض مرخص الدولة العلية لما احتج على ظلم الروسية برعاياها المسلمين ببيان تلك المعاملات المار ذكرها فى مؤتمر بيرلين سنة ١٨٧٨م وافحم بذلك مرخص الروسية ابرز مرخص الروس بعد ايام مضبطة فيها امضا نحو اربعمائة نفر من ائمتهم انكروا فيها حصول التشديد والتضييق فى امر الدين من حكومة الروسية وقالوا ان كل كلام فى هذا الباب فهو كذب وانهم طلبوا تلك المعاملات برضاهم من الحكومة لاحتياجهم اليها فاسكت بذلك مرخص الدولة العلية وكذبه واخجله بين ملاء من مندوبى الدول فلم يقل غير لعنهم الله ولم يدر هو ولا غيره من مندوبى الدول ان المضبطة المذكورة امامزورة واماماخوذة بالجبر والتهديد واما ماخوذة من المنافقين والمتساهلين فانه كيف لا يكون هذا القدر من المنافقين والمتساهلين فيما بين عشرة آلاف نسمة من العلماء فلو انهم جلبوا هناك عدة من العلماء المتدينين المتصلبين واخذوهم تحت ضمانتهم وحمايتهم من اصابة مكروه من طرف الروس لقولهم الحق لتبين حقيقة الامر والحاصل لا عبرة بالامضاء فى مثل هذا الامر فانه ماخوذ جبرا وتهديدا اوماخوذ من المنافقين الذين يغنون بغناء الروس ويرقصون على ايقاعهم فاعرف ذلك واحفظه فى حافظتك حتى لاتلوم الابرياء فان لم تقنع بذلك فدونك ما ذكره موسيو شيلر الاميركانى فى رحلته التركستانية حيث قال بعد ذكره ماجريات السيد عظيم باى وايشان خواجه التاشكنديين وامتناع الثانى بتزويج ابنته من الاول (ان السيد عظيم اخذ بمعاونة بعض ضباط الروسية من والى تاشكند امرا مضمونه ان ايشان

حواجه لايزوج ابنته بعد البلوغ من احد الابعد عرضها على السيد عظيم ورده اياها وكاف ابشان خواجه بوضع امضائه على هذا الامر ومثل هذا الامر الغير المناسب لا اظن انه موجود فيما بين السود الوحوش الكائنين في الاميريكا الوسطى) ام ماذكره موسيو شيلر فاذا عرفت ذلك فقد شرع حكام النواحي بعيد هذه التكاليف بدون امر من الدوائر الكبار في طلب الامضاء من العلماء على رضاهم بها والحوا في ذلك وهددوهم باغلاق مكاتبهم ومدارسهم بل ومساجدهم ان لم يرضوا بهما و بوضع الامضاء خصوصا نظار المكاتب الملقبين باينسبكتور (مفتش المكاتب) منهم مأمور ملقب باصطاباواي واورانيك فنشأ منه مفاسد كثيرة حيث عزل بعض العلماء وحبس البعض منهم ونفي وسفر بعض آخر واقفل بعض المكاتب والمدارس حتى كان هؤلاء النظار يستصحبون معهم معلم الروسية الى قرى المسلمين الذين فيها المكاتب والمدارس ويكلفون العلماء والمدرسين بقبولهم في مكاتبهم ومدارسهم وربما وضع بعض العلماء امضاءهم على ذلك مضطرا في الظاهر خوفا من العزل او الحبس او النفي والتسفير ولا يخفى على القراء الكرام ان العلماء ليسوا وكلاء في هذا الامر من طرف العامة ولا هذا مكتوب في مشورهم حتى يكلفون بذلك ويكون امضاؤهم معتبرا وسندا على اجرائهما غاية ما في الباب ان امضاء العلماء يكون دليلا على رضاهم باقرأ اولادهم الصغار الذين لهم ولاية عليهم واما غيرهم فلا ولاية لهم عليهم وان كانوا اولادهم اذا كانوا كبارا فحينئذ فما معنى طلب الامضاء منهم في امور يتعلق بالعامة وما معنى جعله حجة على العامة وكيف يمكن تطبيقه على العقل والنظام وهل مثل هذا الامر المغاير للعقل والنظام جار في ممالك الملل والدول المتمدنة حاشاثم حاشا فقد تبين صدق قول موسيو شيلر الاميركاني ان مثل هذا النظام لايكون فيما بين السود في الاميركا الوسطى قلت ولعله موجود في القبائل الوحشية في دواحل آفريقا على انه لو سعى جماعة كثيرة من العلماء والاعيان لحاجة المسلمين لدى الحكومة تطلب منهم الوكالة فان عجزوا عن اثباتها رتب عليهم الجزاء بقي الكلام في تشخيص

هؤلاء النظار و مفتشى المكاتب الذين احيل عليهم نظارة المدارس الاسلامية وتفتيشها ولكنى اعتذر للقرأ الكرام فى هذا الباب لعجز قلمى عن استقصاء دنائتهم وما فيهم من الاوصاف الرذيلة والاخلاق البهيمية من السكر الدائم ومايتفرع عليه من الرذائل والذمايم واستشعار نقصانى فيه وان افرغت مافى جعبتى فى هذا الباب وانما اكتفى فيه بايراد مادتين وقعتا قريبا من وقتنا هذا احدهما وقعة بول ابلى من اعمال قزان وذلك ان اينسبكتور (ناظر المكاتب) فى تلك الناحية جأ قرية بول ابلى فى سنة ١٩٠٣م مصادفة سنة ١٣٢١هـ ومعه اثنان او ثلاثه من معلمى الروسية ليعين واحدا منهم معلما فى مكتب القرية المذكورة والباقى فى قرية اخرى ونزل بيت امام القرية المذكورة ومعلم مكتبها الملا افضل جان بن الملا مفتاح الدين وهو سكران والامام المشار اليه فى الحمام مع زوجته فدخل اينسبكتور المذكور من غير استيذان الى غرفة النساء لكونه سكرانا ولجهله بعادات المسلمين من اتخاذ غرفة مخصوصة بالنساء لكونه مخالفا لعاداتهم من اشتراك الكل فى النساء ففزع اولاده الصغار الذين هناك لكونه روسيا وسكرانا خارجا عن الانسانية الى البهيمية فسألهم عن والديهم فاجابوا بانهما فى الحمام فارسل واحدا منهم ليخبرا باهم بمجيئه وامره بالرجوع سريعا فرجع الامام بغاية العجلة ودخل الغرفة المذكورة عليه وحاول ان يفهمه بكون صنيعه هذا مغايرا للانسانية ومقتضى العقل فضلا عن المروة والمدنية وامره بالقيام والخروج ولكن انى له الفهم واناله الخروج فاخذ الامام بيده وجره الى الخارج واخرجه من الدهليز وهو لايعرف غير ان يقول انا جئتك بمعلم فعليك بقبوله فاجلسوه فى عربيته واخرجوه الى خارج الدار فلما احس اهل القرية بحقيقة الحال امسكوا بعنان فرسه المشدود على العربية وادخلوه فى دار رجل منهم وطفقوا يضربونه وحيث لم يبلغ اجله المسمى ادركه حاكم تلك الناحية الملقب بوواصنوى اسطرشينه فانقذه من ايديهم واخرجه الى الجادة فشرع يعدى فرسه ويشتد فخلص نفسه من قبضة قابض الارواح بهذه الكيفية فقدم عريضة كاذبة

الى العدلية بان امام القرية المذكورة ضربه ضربا مبرحا لاجل مجيئه اليه بمعلمى الروسية ثم اغرى اهل القرية بضربه بل بقتله واستشهد بذلك بمن معه من معلمى الروسية فشهدوا وفق دعواه فانكر الامام المذكور وبين حقيقة الحال وما جرى من المفاسد واخلاله بالآداب والانسانية وشهد من طرفه الماءمور الملقب باصطاناوى والماءمور الملقب باورانتيك وقالا انه جاءنا حين انصرافه من تلك القرية وهو سكران فافتخر بانه ضرب الامام وطلب منا بينا ليفجر بها فلم تقبل عدالية الروسية هذه الشهادة مع انهما روسيان بل قبلت شهادة المعلمين وحكمت على الامام بالحبس مدة سنة كاملة فقدم الامام عريضة الى محكمة سينات لاستيناف حكمه فايدت المحكمة المذكورة ايضا ماقررته العدلية من الحبس مدة سنه فحبسوا فانظروا الى معاملة الروسية فى مثل هذه الامور وثانيهما وقعة ملا هادى افندى الحاجطرخانى التياكى وذلك ان اينسبكتور حاجى طرخان جاء مدرسة ملا هادى افندى المذكور ليكلفه بقبول معلم روسى فى مدرسته اوليفتشها ومعه المعلم بالروسية اسحق افندى الاسكندرى من اهل حاجى طرخان فدقا الباب وكان ملا هادى اذذاك الوقت فى الصلاة فخرج واحد من الطلبة الصغار واخبرهما بانه فى الصلاة فقال له اينسبكتور قل له ليتم صلاته سريعا فقال له الطالب المذكور فلما اتم صلاته ضربه بعود صغير لاساءته الادب وعدم صبره الى اتمامه بنفسه وهما اعنى اينسبكتور واسحق افندى يريان ذلك فسبه اينسبكتور وشتمه سبا وشتما لا يصدر عن واحد من آحاد الناس فى حق مثله ولم يكتف بذلك بل قدم عريضة الى الوالى اقام فيها الحجة على زعمه انه لا يستحق التعليم والتدريس ولا يستاهلهما فعزله الوالى من التعليم والتدريس وحجره عنهما فامتنع عنهما بموجب حكم الوالى الجائر شهورا الى ان عزل الوالى المذكور من طرف الله تعالى وجاء بدله وال آخر فاذنه فى التعليم والتدريس وكانت هذه الواقعة ايضا فى السنة المذكورة سابقا وهؤلاء الاشخاص الذين عينتهم حكومة الروسية المتمدنة لاخراج المسلمين من ظلمات الجهالة

والوحشة الى نور المعارف والمدنية بزعمهم ونصبوهم نظارا لمدارسهم الدينية التي لايقرأفيها سواها ولايعرف فيها غير المدنية كما سبق اعترافهم بذلك في المقالة الميسيونيرية وهذه معاملتهم مع العلماء رؤساء اهل الدين فان كان لاحد صبر ايوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام فليصبر وقس على ذلك سائر معاملاتهم ومنها اذيتهم وجفاهم في حق بعض العلماء وابتلاؤهم بملايا بسبب رميهم بتهمة تعليم اولاد المكرهين والمهتدين من چواش وچرمش وآر وهذا كثير جدا يقتضي ذكر كلها مجلدا على حدة فلنكتف منها بذكر بعض المواد ايضا منها قضية الملا محمد جان الكاوجياكي رحمه الله تعالى وتفصيله ان بين قريتي نوركاى والمت من القرى التوابع لقصبة منزلة من ولاية اوفاقرية چواش تسمى بكمت (تحريف بكمحمد) وليس في تلك الاطراف والجوانب قرية سواها من قرى چواش مع انهم لايعرفون لغة (١) مخصوصة بچواش نط فاهتدى عائلتان من اغنياء القرية المذكورة اهتدأ غير رسمية لعدم الاذن لهم في الوقت المذكور بالاهتدأ وكانوا يتعلمون الضرورية الدينية من علمأ الاطراف والجوانب وكانوا يصلون ويصومون ويعطون الزكاة والعشر والفطرة ولمابلغ هذا الامر الحكومة ارسل اليهم القسيسين ليعظوهم وقريتهم تابعة في نظام الروس لقسيس قرية قرامالى فعملوا فلم يذعنوا لهم وجاهروا بالاسلام فهددوهم بالحبس والتسفير فلم يؤثر فيهم فسفروهم الى سيبريا فهدى الله سبحانه بعد تسفيرهم كثيرا منهم الى الاسلام حتى لم يبق في قريتهم على المجوسية سوى عائلتين وصاروا يتعلمون الاحكام الدينية ويعلمون اولادهم القرآن من بعض علماء الاطراف و الجوانب خفية ولمارأت طائفة ميسيونير ذلك بنوا هناك كنيسة و مكتبا

---

(١) وكانا يدعيان ان القرية المذكورة من قرية التتار وان اهلها تتار مكرهون وتمسكا في ذلك بكون اسم قريتهم بكمت تحريف بكمحمد ووجود قرية مسلمة بقربها مسماة بهذا الاسم و عدم معرفتهم بلغة چواش وكلها معقولة منه عفي عنه .

بحبيا ونصبوابها قسيسا واجبروهم الى دوام الكنيسة وارسال اولادهم فى المكتب وهددوهم بالتسفير ان لم يفعلوا ذلك ففعل بعضهم هذا الفعل نفاة واباه الاكثرون ولم يبالوا بتهديدهم وقد رجع المسفرون فى ذلك وقد قوى ايمانهم اكثر من الاول وهم يعظونهم بالثبات ويشجعونهم ويهونون لهم امر التسفير وكان جل قصد القسيس ان يطلع على من يعلمهم الدين والقرآن وكان اكثر ظنه ان الذى يفعل ذلك هو امام قرية كاوجياك ومعلمها ملا عبد الغنى ابن الحاج الملا محمد جان وامره ان لا يفعل ذلك وحذره من وخامة عاقبته فقال له والده الملا محمد جان المذكور ان وظيفتنا هو تعليم من يحضر مدرستنا كائنا من كان فان تكره تعلمهم الديانة الاسلامية فصرلهم انت قراقولا وحارسا فشكامنه الى الحكومة وحيث كان المشار اليه غيورا ذا حمية اسلامية وغيرة دينية لم ينكر التعليم وقت الاستنطاق فلو انكره لماجرى عليه شئ بل اجاب بمثل ما اجاب به القسيس بل زاده وقال ان مقتضى ديانتنا الاسلامية ان لا نرد احدا جاءنا يتلقن الاسلام او يتعلم الديانة الاسلامية كائنا من كان سوآء كان مجوسيا او روسيا فلو جئت انت او ولدك او من هو اعلى منك رتبة لتلقن الاسلام او لتعلم الاحكام نلقنه ونعلمه فان لم نفعل نكون آثمين وقرأ قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وقال ذم الله الينا اهل الكتاب فى هذه الآية تحذيرا ايانا عن ان نكون مثلهم فقال له المستنطق ان هذا مخالف لقانون الدولة وفى ذمتكم يمين على ان لا تخالفوه فقال له ان الله سبحانه اعظم واجل منكم وحقه اكبر من حقكم ونحن ما حلفنا لكم اليمين بالاطاعة فى كل شئ بل بالاطاعة فيما لا يخالف الشريعة واما المعصية ومخالفة امر الخالق فلا طاعة علينا فيها المخلوق قط كائنا من كان وعليكم لنا ايها الروسية عهد فى مقابلة اطاعتنا اياكم ان لا تكلفونا ولا تامروننا بما يخالف شريعتنا فلما سمعوا منه هذه الكلمة الحقة ورأوا منه هذه الصلابة والمتانة والثبات حبسوه وولده المذكور الملا عبد الغنى فى محبس بلدة اوفا حتى يحكم عليها بشئ

فمات رحمه الله تعالى فى محبس اوفا فى حدود سنة ١٨٩٢ وسفروا ولده
الملا عبد الغنى افندى الى سيبريا وهو الآن هناك امام فى قرية على بعد
سبعين وبرست من بلدة ايركوتسكى بقرب بحيرة بايقال وكان عمر
المرحوم جاوز السبعين رحمه الله تعالى ومثلها ايضا قضية المرحوم الملا
حافظ وكان اماما فى قرية قوناق قل التابعة لقصبة بلباى من ولاية اوفا
ايضا فانهم بدلالة اهل قرية يسقل من قرى نوم چواش هناك الى الاسلام
وتلقينه اياهم وتعليمهم الاحكام الاسلامية فحبس فى محبس بلباى ومات هناك
بعد ان مضى من حبسه ٦ اشهر بلغنى ان عمره كان تسعين سنة رحمه الله
تعالى وامثال ذلك كثيرة جدا والائمة فى القرى المختلطة بالمكرهين كانوا
منبهين من طرف الحكومة بعد قبول احد من المكرهين فى المساجد
واخراجهم منها ان دخلوا فانهم كانوا يحضرون الجمع والجماعات ومهددين
بالعزل والحبس والتسفير ان لم يفعلوا ذلك وكان كثير منهم يفعلون ذلك
خوفا من الحكومة وقل من خالف هذا الامر وهم اصحاب الحمية الدينية
والغيرة الملية الذين كانوا يرجحون جانب الله على جانب الحكومة وعذابه
على عذابها فليزن العاقل معاملة الحكومة الروسية هذه فى آخر العصر
التاسع عشر بل اول العصر العشرين الميلادى وليحكم فيها بمقتضى
عقله الخالص الصافى عن شائبة الوهم والتعصب وليقسها على
معاملة سائر الدول المتمدنة ولا سيما حكومتى آمريكا وانكلتره
هل يجد موافقة لها اولا بل مطابقة لمعاملة القبائل الوحشية فى دواخل
آفريقا لاشك انه يجدها كذلك مطابقة النعل بالنعل ويشبه القضيتين
ايضا حادثة ثلاث قرى من قرى نوم چواش التابعة لولاية سراطاو وتفصيلها ان
اهالى هذه القرية هداهم الله سبحانه للاسلام وقد قرأ بعض منهم فى بعض
المدارس الاسلامية منهم الملا يعقوب وقد بذل القسيس الذى هم تحت تصرفه
بموجب نظام الروسية اقصى جهده فى ردهم من الاسلام فابوا الا الثبات
عليه خصوصا الملا يعقوب وتلامذته فلما فرغ القسيس المذكور كافة ما فى
جعبته من الحيل والدسائس ورآهم على غاية من المتانة والصلابة والثبات

وان حيله ودسائسه لم يؤثر فيهم ادنى تأثير سلك مسلك اسلافه من استعمال القوة والشدة فجمع جمعا عظيما من الروس المتعصبين فى تلك الاطراف والجوانب وتوجهوا نحو قرية الملا يعقوب حاملين النبابيت والعصى الكبار وضربوا بها اهل القرية عموما والملا يعقوب خصوصا وقصدوا قتله ضربا فسقط المومى اليه مغمى عليه كانه ميت وانقطع نفسه فغرزوا ابرة متينة تحت ظفر قدمه فلم يتحرك فظنوا انه مات فرجعوا زاعمين انهم نجحوا فى تشبثهم هذا واستراحوا فقام الملا المشار اليه وقدموا عريضة للوالى وحيث كانت الحادثة قد عظمت وليست اول مرة بل لها سوابق كثيرة لزم الوالى ان يخرج بنفسه لتحقيق الامر المذكور حق تحقيقه وحسم مادة النزاع والخصومة فلما كان اليوم الذى يقدم فيه الوالى اعد كل من الطرفين الخبز والملح لاستقبال الوالى بهما على ما هو عادة اهالى تلك البلاد من القديم عموما حتى وقت استقبال الملوك ايضا فلما قرب الوالى وسمع الاهالى صوت الجرس الذى علق على فرسه خرجت قوم الروس ونسوا خبزهم وملحهم وتركوا باب البيت مفتوحا فجاء باذن الله تعالى كلب كبير اسود واخذ الخبز وذهب فى سبيله واما المهتدون فانهم لما سمعوا صوت الجرس اخذوا الخبز والملح بالتبسى واستقبلوا الوالى بالادب والسكينة والوقار وقدموا الخبز والملح اليه فاعجبه حسن سمتهم وآدابهم وسكينتهم ووقارهم واما قوم الروس كانوا على غاية من الطيش والخفة وفى مقدمتهم القسيس فلما رأوا المهتدين قدموا الى الوالى خبزهم وملحهم تذكروا انهم نسوهما فزاد طيشهم وخفتهم فشرعوا فى الصياح والنباح والرطانة بلغتهم يقولون نوخليب سول زابيل طاشچى سبچاص وامثال ذلك ومن اين يأتون بهما فقد وقعا فى محلهما فلما رأى الوالى هذه الحركة البهيمية منهم استشاط غضبا وسبهم وشتمهم ورجع الى مقره حالا وكتب الى پطربورغ بان الامر قد عظم جدا وليس تسكينه وازالة النزاع والخلاف فى وسعه بل لابد من ارسال الهيئة التفتيشية فارسلوا هيئة تفتيشية مركبة من اربعة وعشرين نفرا لكل من الطرفين اثنى عشر نفرا واظن انه قد حضر هناك اسقف سراطاو الذى هو اصل محرك هذه الفتن

فاخرج من فمه وقت التفتيش والتدقيق كلمة مغايرة للنظام بموجب حرارة تعصبه الجاهلية وذلك انه لما رأى ميل الهيئة الى طرف. اعطاء الحرية للمهتدين وتركهم ومايشتهون من الدين قال الاحمق المذكور ان صدر هذا الحكم من الحكومة لايبقى احد من المجوس الوثنيين غير داخل فى الاسلام بل كلهم يسلمون فاخذه المحامى بقوله هذا حيث كان عاريا عن التعصب وقال ان هذا ليس بقبح وعيب مانع من اعطاء الحرية فقد علم ان جل قصدكم هو هذا المنع وهو مخالف للنظام * فان اصل النظام الآن هو هذا وانما كان سوادا فى بياض ولم يخرج بعد الى الخارج ولكنه لا يخفى على المحامى وهو سند قوى معتبر عنده فحكموا بمنع ترددقسيسى الروس اليهم وبتركهم على ما ارادو واما اختلاطهم بالمسلمين فهو ممنوع من الاول ولم يكن داخلا فى الدعوى حتى يزيله المحامى ايضا وانما كان الدعوى ببقاؤهم تحت تصرف القسيس وعدمه ولما نشر فرامان ١٧ اوكتابر من سنة ١٩٠٥ من طرف الامپراطور المبين لحرية الدين واللسان والقلم والوجدان كان هؤلاء اول من اعلنوا اسلامهم واثبتوه رسما ومنها التضييق والتشديد فى طبع الكتب وقد سبق عند بيان حقيقة دسائسهم بيان تصورهم التعرض لكتب المسلمين والمداخلة فيها ولما حملوهم تعليم اللغة والكتابة الروسيتين بالكيفية السابقة وسدوا بذلك باب السفر وطرقه الى بخارى وسائر بلاد الاسلام للتعلم وتحصيل العلوم وتوسلوا بها الى تقليل تحصيل العلوم الدينية فى نفس مملكة الروسية ايضا لاشتغالهم مدة من الزمان فى اوان التحصيل بتعلم القرأة الروسية ارادو ان يتعرضوا الى الكتب وافهموا الحكومة الروسية ان تركهم على ماهم عليه من تحقير الكفار وسبهم وشتمهم كيف شاوا مع انهم يريدون بهم اياناً مناف لكوننا ملة حاكمة وكونهم ملة محكومة ومخل بشرفنا ومغاير لعظمتنا بل لابد لنا من منعهم عنه واخراج امثال تلك الكلمات من كتبهم وان لا نأذن بطبعها حين استئذانهم فقر الامر على ذلك فلما استأذنوا لطبع القرآن وكتب الفقه مسحوا منها جميع

الفاظ الكفر بجميع صيغها حتى افظ الكفارة لزعمهم انها مشتقة من الكفر ودالة عليه ومسحوا سورة الكافرون بتمامها ومسحوا باب الحيض والنفاس وكتاب الجهاد وكافة كلمة الكفر والكفارة من كتب الفقه لزعمهم الاول عبثا ومنافيا للآداب والباقى للعلة الاولى فاشتد الامر على المسلمين جدا وشرعوا فى تقديم العرايض ببيان قبح ذلك ووخامة عاقبته حتى هبت ريح النصر والغلبة الى جهتهم ووفقوا لاصدار الامر من طرف الحكومة بالغاء ذلك التكليف الجائر الباطل لكن بعد ان بلغت ارواحهم التراقى وقد ظهر هنا صدق مضمون المثل المشهور حبك الشئ يعمى ويصم فان الروس كانوا ينكرون تارة كونهم كفارا وكانوا يقولون ان المراد بالكفار فى القرآن وغيره من لادين له كقوم چواش وچرمش وآرو وتارة كانوا يستدلون ويحتجون على المسلمين بزعمهم الباطل على حقيقة النصرانية بسورة الكافرون فان ظاهر قوله تعالى لكم دينكم مخاطبا للكفار مطلقا يدل على حقية دينهم بموجب مدلول اللام فهنا خالفوا كلا دعويهم وناقضوا كلا قوليهم ولم يبرد حرارة هذا التكليف البارد ولم يسترح المسلمون منه حتى ظهر تكليف آخر ابرد واشد واقبح واشنع من الاول نظير مصداق قوله تعالى ومانريهم من آية الاهى اكبر من اختها وذلك ان شيطنتهم المذكورة لما بطلت من غير ان تنتج نتيجة مطلوبة لهم طفقوا يلتمسون دسيسة اخرى رجاء ان يظفروا ببغيتهم فى الخصوص المذكور وبيناهم فى هذا الطلب والالتماس اذ ساعدهم الحال وظهر امر لم يكن فى الحسبان وذلك ان بعض السواح البطالين لما اتموا سياحتهم وبطالتهم فى استانبول ومصر والحرمين المحترمين واضاع وقته بالتفرج والتنزه فى ديكلى طاش وچنبرلى طاش وبيكقوز وبوغازايچى وكاغد خانه وفلان خانه واوزبكية وجيزة واهرام وغير ذلك ونفد ماعنده من النقد اليسير وجاع بطنه واضطر الى الرجوع الى بلاده فرجع وقد تغيرت قيافته وكلماته وحركاته وسكناته وصار كشغال (ابن آوى) وقع فى عدة من ظروف الصبغ حين ذهب الى قرية ليلا للسرقة واشباع بطنه فتلون بانواع اللون فسمى نفسه

بالطاوس الاسمانى (السماوى) فصار ملكا للوحوش والسباع ايضا صار معلما لاولاد بعض اغنياء تلك البلاد فشرع فى اطالة اللسان فى شأن بعض كبرأ العلماء العظام كتيس شرع فى نطح الجبل واملا بقول الشاعر شعر: ياناطح الجبل العالى ليكلمه * اشفق على الرأس لاتشفق على الجبل * وكان يعلم الصبيان بعض الابيات العربية والتركية ويلقنهم اوزان الجرر من غير شعور كان يقول فاعلاتن مفاعلن مستفعلن فانه لايعرف العروض ولا انشاء الشعر فتعصب عليه اتباع العلماء الكرام المذكورين ووشوابه الى الحكومة قائلين انه حصل العلم فى بلاد الاسلام وانه من تبعة الدولة العثمانية وانه يعلم الاولاد اشعارا مشعرة بقوة الدولة المشار اليها وانه خليفة المسلمين على وجه الارض الى غير ذلك مما سيذكر تفصيله (١) وقد كان هذا غاية بغية نظار المكاتب الملقبين بانسبكتور فاغتنموه ورفعوه حالا الى نظار المعارف بضم زيادة كثيرة اليه وقالوا قد تحقق لدينا انه يستعمل فى مدارس المسلمين فى ولايات قزان واورنبورغ وغيرهما كتب مطبوعة فى خارج بلاد الروسية وقلمية وفيها اشعار بلغة التتار متضمنة لتقبيح كون التتار تحت حكومة الروسية كالاسارى وذمه وتشنيعه ومدح السلاطين العثمانية وسائر خوانين المسلمين وتجسم قواهم وتأبيد كونهم غالبين فى الآخر وامثال ذلك وبعض هذه الاشعار وان كان مشتملا على مدح الروس ايضا (كذا) الا ان اكثرها فى مدح المسلمين وانهم ينشدون هذه الاشعار فى اوقات فراغهم وعند ابائهم وامهاتهم وسائر الجمعيات وينشرونها حتى انه يوجد نسخة منها فى يد كل من يقرأ ويكتب وفى كل بيت من بيوتهم وفى مدارسهم وان الصبيان يتلقونها من افواه آبائهم وامهاتهم فيكتبونها ويحملونها معهم الى المكاتب والمدارس وان الطلبة الكبار هم الذين ينظمونها وينشؤونها آخذين مضامنها من الكتب الكبار المؤلفة فى استانبول ضد

---

(١) وقد مر ايضا اثناء بيان تاليف الحكومة ووعدنا بذكر تفصيله وسببه وهذا هو الموعود فتذكر منه على هنه .

الروسية كمايرى فى بعض كتبهم ان سلطان تركيا غالب على جميع وجه الارض وان كافة المسلمين تابعون للسلطان فى الحقيقة فى اى مملكة كانوا فى الظاهر وقد ظهر لنظارة المعارف ان هنا شيئا آخر غير الامور الدينية (يعنى الامور السياسية) فان بعض المدرسين قد حصلوا العلوم فى تركيا ومصر حتى ان بعضا منهم ليسوا بتابعين للروسية اصلا وكان ذلك فى اوائل ابون من سنة ١٨٩٢ م فلما تبادلت الافكار بين نظارة المعارف ونظارة الداخلية فى كيفية التدابير اللازمة لرفع هذا المحذور على زعمهم وقر رأيهم على شئ الى اواسط نوبابر كتب نظارة المعارف الى نظار المكاتب بأمرهم بغاية الصداقة بمنع استعمال غير الكتب التى طبعت فى مملكة روسية باخراجها عن المدارس وبمنع من كان تحصيله فى خارج ممالك الروسية عن التعليم والتدريس وباخذ الامضاء عنهم على ذلك شاؤا اوابوا ورفع حقيقة الامر والماجريات وارسال امضا آتهم اليه وكتب نظارة الداخلية الى الولاة يأمرهم باعانة النظار المذكورين واعطاء القوة الكافية لهم فقامت القيامة على رؤس المسلمين عموما وعلى رؤس العلماء خصوصا حيث شرع النظار المذكورون فى جمع الكتب القلمية والمطبوعة فى خارج بلاد الروسية واخراجها من المدارس وبيوت العلماء ومنع المدرسين الذين كان تحصيلهم فى خارج مملكة الروسية ولو زمنا يسيرا وقد نشأت منها حادثة قصبة الجيسطاى الواقعة فى سنة ١٣١٠ فشرع المسلمون فى تقديم العرايض ثانيا الى محكمة الجمعية الاسلامية والى ناظر المعارف ونظارة الداخلية وحيث لم تنتج تلك العرايض نتيجة مطلوبة اخذوا يهاجرون بلادهم فاخيرا ارسلوا هيئة مركبة من ١٨ نفرا من ولايات اورنبورغ راوفا وقزان الى بطر بورغ لتقديم عريضة مشتملة على استرحام ابقاء الكتب الدينية على حالها وحيث كان الوقت مقتضيا لتأخير ما ارادته الحكومة من تضييق دائرة الكتب لزيادة هيجان الاهالى وغليان افكارهم واستعدادهم على الهجرة بالجد قبل ملتمسهم فى الظاهر وارجعوا الى مقارهم مسعفين بمرامهم وكان ذلك فى خلال سنة ١٨٩٤ م فانفسحت تلك الغيوم موقتا لتظهر فى

وقت آخر مناسب بلون آخر واغمض في حق المعلمين الذين كان تحصيلهم في خارج بلاد الروسية لمقتضى الوقت والحال ومنها تكليفهم المسلمين بافنال دكاكينهم يوم الاحد الذى هو عيدهم تعظيما له وقد طلبوا فسخ هذا الحكم الجائر ايضا من الحكومة بتقديم العرايض فلم يجابوا له ومنها ما هو اطم من ذلك كله وهو انه اشتهر بين المسلمين ان جمعية مبسيونير نظموا دفترا قسموا فيه قرى المسلمين الى نظارة القسيسين بمعنى انه ان ساعد الوقت ورفع الاسلام عن تلك البلاد بالكلية وحكم بنصرانيتهم رسما تكون القرية الفلانية تحت ادارة القسيس الفلانى والقرية الفلانية تحت تصرف القسيس الفلانى الخ فاضطربوا لذلك اضطرابا شديدا الا انهم لم يستيقنوا به الى ان دخل واحد من تجار المسلمين (١) بيت قسيس قرية چكن من القرى التابعة لقصبة بوگلمه من ولاية صمار الكائنة بشاطى نهر اق وقدم اليه هدية وناوله خمرا فلما لعبت به وبعقله فاتحه بالكلام فى هذا الباب وسأله عن صدق الخبر المذكور وكذبه فقال القسيس انه صادق لا شبهة فيه وان القرية الفلانية وقعت فى حصتى وهذا هو الدفتر المبين فيه ذلك واعطاه الدفتر فسقاه التاجر ايضا من الخمر الى ان صار لا يعقل شيئا فاخذ الدفتر وخرج من بيته فاطلع المسلمين على حقيقة الحال فايقنوا بوقوع الشر وعود الزمان الذى مضى قبل بكانزينا الثانية ووقعوا فى حيص بيص وصاروا ينتظرون وقوع الفتن ليلا ونهارا بحيث اذا راوا واحدا من المأمورين كانوا يظنون انه جاء لاجراء الامر المذكور واخراجه الى الفعل حادثة سولاى وبينما هم كذلك اذ وقع الوباء البقرى وصدر الامر من الحكومة بسوكرة البقر وقتل المصاب منها بالوباء على ان يعطى قيمته من طرف شركة السوكرة وذلك فى حدود سنة ١٨٨٤م فجأ المأمور الملقب باصطانا واى قرية سولاى التابعة لقصبة بوگلمه من ولاية صمار لابلاغ الامر المذكور اهاليها

---

(١) اسمه احمد جان وكذلك اخذه واحد آخر يسمى ولدان من قسيس قرية نيقولين التابعة لقضاء بوگلمه وكذلك القاضى جلال الدين المقصودى من واحد من قسيسى بلدة اوفا كلاهما بواسطة سقى الخمر الخبائث . منه عفى عنه

واخذ الامضاء منهم على رضاهم به وقد كتب فى ورقة سند السوكرة اسامى الروس للتصوير والتمثيل فقط ولما شاهد الاهالى ذلك لم يشكوا فى كونه دسيسة من طرفهم وان مادة السوكرة فهى حجاب وستر لمرامهم وزادتهم كون الاسامى مكتوبة بالروسية ولم يشكوا فى كون المراد بها هم انفسهم فصاحوا من فم واحد انهم لا يقبلونه قط ولا يضعون امضاءهم على الورقة المذكورة ابدا فحاول المأمور المذكور ان يأخذ منهم الامضاء بالتهديد والاكراه فامسكوه وضربوه ضربا جيدا حتى انه انقذ نفسه من ايديهم بغاية الصعوبة فرفع الامر الى الوالى فحمى غضبه وجاءهم بنفسه وهو يرعد ويبرق فعاملوه معاملة المأمور ورموه بالفاس الا انه لم يصبه بل اصاب عربته فشرد ثم جاءهم بالعساكر وقبض عنهم على عدة ائمة واعيان وزجهم فى السجن(١) وحكم على بعضهم بحبسه مدة اربع سنين وعلى بعضهم اقل بعد ان حكموا بعزلهم منهم الملا آخون جان من قرية اوچايدى فلما اتم المشار اليه حبسه وهى مدة اربع سنين واطلق سراحه خرج الى استانبول مع بعض رفقائه وكيلا من طرف اهالى بعض القرى التى هناك واعطى عريضة لمولانا السلطان ايده الله تعالى واعز انصاره ببيان احوالهم وما لقوه من طرف الحكومة الروسية وطلب الهجرة الى ممالك الدولة العلية حرسها الله تعالى رسما وطلب مخابرة الدولة فى ذلك حكومة الروسية وتوسط فى ذلك ببعض الكبرا فى استانبول فنجح فى تشبثه ذلك فبعد ان تبادلت المخابرة بين الدولتين وسأل حكومة الروس الاهالى عن توكيلهم الملا آخون جان المذكور فى طلب الهجرة من الدولة العلية اعترف به البعض وانكره البعض الآخر خوفا من بطش الحكومة بهم فاذنت لمن اعترف بالهجرة فهاجر عدة عائلة من عدة قرى وقد عين لهم من طرف الدولة العلية اراض ميرية جيدة جدا فى طرف ملاطية لو اجرى الامر على مرسوم اولى الامر فى ذلك لدامت الهجرة الى

---

(١) وذلك بعد التفتيش والتحقيق وشهادة واحد من افراد ژاندارمه وواحد من الائمة يسمى من قرية .... عليه من الله اشد ما يستحقه وحلفهما على ان المسلمين قد عاندوا وعصوا والالا ثبتت القباحة للوالى ولكان مثل اسكاراتين. منه عفى عنه.

الآن ولرأينا هناك الآن عدة من قرى التتار معمورة ولكن لعن الله الخونة الذين باعوا دينهم وناموس الدولة من سفارة الروسية وكسر رقابهم وهذا هو مبدا الهجرة ثم تلاهم عدة عائلة من طرف اورنبورغ ومن طرف اوفا ومن ولاية قزان ومنها تكليفهم المسلمين باخذ رسم من يطلب شهادتنامه من القرأة الروسية وذلك انهم لايفوتون دقيقة فى اذية المسلمين وهم يعرفون حرمة اتخاذ الصور والتماثيل عند كافة المسلمين بالاجماع ويعرفون ايضا توبيخ المسلمين اياهم بعبادة الصور واستهزائهم بها فارادوا ان يصبغوهم بصبغهم مهما امكن وهو اتخاذ الصور ولايمكن تكليفهم به من غير سبب فلذلك اخترعوا له اولا سببا من الاسباب بان ادعوا كذبا وميانا بعض المهرة فى قرأة الروسية يأخذ شهادتنامة باجرا الامتحان المطلوب ثم يعطيها لشخص آخر مرشح للوظيفة التدريسية وما يماثلها لعدم اهليته بها فلابد اذا من اخذ رسم من يطلب الشهادتنامه حتى لايتاتى له الحيلة المذكورة والا فلايعطى له الشهادتنامه فامتنع الاهالى عن ذلك فى اول وهلة ثم لما رأوا اصرار الحكومة عليه قبلوه بالضرورة ولم يقع منهم فى هذا الخصوص كبير مقاومة وتقديم العرائض وكانهم استصغروه وقالوا انا الغريق فما خوفى من البلل * مع انه شئ كبير حرام باجماع الامة ومع ذلك تحته دسيسة كبيرة وهى انهم كانوا جعلوه مقدمة لتكليفهم بوضع تلك الصور فى المحاريب ليستيقنوا ان الامام الذى يؤمهم هو صاحب الصورة الذى استوفى شروط الامامة باخذ شهادتنامه من جمعية الامتحان الروسية بلا شبهة لا غيره فلا شك فى صحة امامته ولا شبهة فى ذلك ولا افسببهم الذى ابدوه ليس سببا اقط فانك قد عرفت فى شروط الامتحان الصادرة من نظارة المعارف ان من شروطه وجود تذكرة المرور (پاسپورط) او شهادتنامه من دائرة البوليس وشهادتنامة من المكتب الذى قرأ فيه القراءة الروسية ولا يخفى على اربابه ان الاشكال يكتب فى التذكرة والپاسپورط وهى قائمة مقام الرسم فليكتبوها فى شهادتنامة ايضا ولا شك فى امتناع الاتفاق فى جميع الاشكال فلا يتاتى فيها الحيلة وان امكنت فى تبديل الاسم وايضا اكثر الامتحانات لاتجرى الا بالصعوبة وبالارتشا فالحيلة المذكورة

فى مثل هذه الامتحانات لا تتصور والحاصل لا شبهة فى كون ورأهذا التكليف لحكومة الروسية غرضا فاسدا الا انها لم تتمكن الى الآن من اظهاره واجرائه فهى تتوقع وقتا مساعدا له ونحن معاشر المسلمين ننتظر الفرج الحوادث التى حدثت اثناء تحرير النفوس الاخير لا يخفى على المطلعين على احوال العالم ما وقع للروسية من تحرير النفوس سنة ١٨٩٧ م ولا يخفى الغرض منه ايضا ولكنه لما صادف وقت غليان افكار المسلمين وانسلاب اعتمادهم على الحكومة واتهامهم اعضائها ورجالها بالخيانة والخدعة اتهاما صحيحا مطابقا للواقع لا وهميا محضا التكررها وقوعها منهم فى حقهم مرارا صار باعثا على حدوث حوادث كثيرة ومفاسد عديدة لعدم قبول المسلمين ذلك وامتناعهم عن بيان اعدادهم واسمائهم واصنافهم لزعمهم ان لذلك الامر مدخلا فى تكليفهم بالتنصر بل هو مقدمته وقولا زعمهم انما هو بالنظر الى الواقع والافهم كانوا جازمين بذلك ومعتقدين اياه اعتقادا قويا لا يتزلزل والحكومة وان نشرت عليهم اولا اعلانا مبينا لغرضها منه اشعورها بما سيقع منهم بمقتضى الوقت الا ان الذين كتبوا الاعلان المذكور لما كانوا قطع خشب ذات روح لم يزد الاعلان المذكور الابلة فى الطين وصار سببا لازدياد تهمتهم وغليان افكارهم لكونه مجملا ومبهما جدا مع انه كان مطبوعا فى قطع نصف ورقة وكان اللازم عليهم ان يكتبوه مفصلا بحيث يزيل جميع الشبهة ويفهم كل احد فاذا ليست القباحة فى ذلك فى المسلمين فقط بل اكثرها فى الحكومة وفيمن كتب الاعلان فان المسلمين انخلعت قلوبهم بمطارق الحيل والدسائس منذ سنين عديدة فهم مدفوعون الى هذه التهمة من طرف ارباب الحيل بالضرورة وبلا اختيار كما قال الشاعر شعر :

من جلب الناس الى ذمه * ذموه بالحق والباطل

من اوقف نفسه فى مقام التهمة فلا يلومن الا نفسه فالمسئول بموجب تلك المفاسد والمظالم اعضاء الحكومة ومرتبوا الاعلان لا غير والامتناع منها صدر فى بعض المواضع من جميع اصناف الاهالى بان اتفق العلماء والعوام على

على ذلك وفى بعض المواضع من طرف الاهالى فقط دون العلما والعلما فى مثل
هذه المواضع كانوا يعظون العوام وينصحونهم ويبينون لهم الغرض من هذا
التحرير ويقولون أن العناد فى مثل هذا الامر وخيم العاقبة ولكن
العوام كانوا لا يرجعون عن عنادهم وامتناعهم لقوة اعتقادهم السابق وانهامهم
العلماء ايضا وانسلاب اعتمادهم عليهم حيث وقع من كثير منهم الامضاء على
قبول القرأة الروسية رغما عن مقاومة العوام فصار العلماء لذلك مصاديق
صحيحة لمضمون البيت السابق وكان العوام يصيحون لهم باعلى اصواتهم
يكفى يا ايها الفجار يا حطب النار بيعكم ايانا بابخس ثمن وهو حفظ وظايفكم
وكانوا يقولون لمن لم يقع منهم الامضاء ولم ينسلب اعتمادهم عليهم اذا نصحهم
هاياه لان كنا نعتقدك امينا صادقا متصلبا فبعت ايضا نفسك ودينك من الروس
وتريد ان تبيعنا الآن وقد صدر منهم الضرب كثيرا من العلماء والمأمورين
فاضطرت الحكومة الى استعمال قوة الجبر فاخرجت العساكر الى كثير من المواضع
فضربوا بعض الاهالى وحبسوا البعض ونفوا البعض الى سبيريا وعزلوا كثيرا
من العلماء عن وظائفهم وتفصيله يفضى الى الطول وفى ذلك كفاية وهذه
الحوادث هى من متفرعات تلك التكاليف الجائرة ولولاها لما وقعت شىء
منها ومنها حادثة خان اورداسى وهو محل اقامة خواتين التتار وكرسى
سلطنتهم بعد خراب سراى وسرايچق وواقع بينهما وقد دخل تحت تصرف
حكومة الروس فى حدود سنة ١٢٦٢ صلحا من غير اراقة قطرة دم فيه
فلم يمض على ذلك الاسنين يسيرة حتى شرعت الحكومة المذكورة فى بث
النصرانية ونشرها فيه والتشديد والتضييق على اهاليه فى الامور الدينية
وتكليفهم بقرأة الروسية لزوما بحيث لو لم يقبلوها لاقفل مدرستهم مكافاة منهم
اياهم بذلك فى مقابلة تسليمهم اوطانهم ومملكتهم صلحا ففعلوا ولما تعين الملا
صفى الله افندى مدرسا به واجتمع لديه كثير من الطلبة خصوصا من طائفة قزاق
اقفلوا مدرسته فى سنة ١٨٩١ بلا سبب وطردوا الطلبة منها فى صميم الشتاء
فاضطر المشار اليه ايضا الى مغادرته فرجع الى قزان وعين مدرسا فى
المدرسة المرجانية التى كان تحصيله فيها ولما بنوا فيها اعنى فى خان اورداسى

مسجد آخر فى عدودسنة ١٩٠٣ م مصادفة سنة ١٣٢٠ ه شرطت الحكومة ان يكون الامام والمدرس فيه من اهالى الموضع المذكور (١) ومنعوا اخذه من الخارج كما يفعلون ذلك فى حق المكرمين مع ان اكثرهم من اهالى اطراف قزان فانظروا بنظر الانصاف والاعتبار الى معاملتهم هذه فى شأن اهالى بلدة كانت قاعدة سلطنة المسلمين من لدن عصر باتوخان الى يومنا هذا اعنى مدة سنة ٦٦٠ مع انهم اخذوها صلحا ولو كانوا اخذوها عنوة وقهرا باتلاف الاموال والنفوس مثل مملكة قزان لكان لهم نوع عذر اعنى عذر الاقوام الوحشية المتبربرة وهو اخذ الثار والانتقام ومنها منع التتار مطلقا سواء كانوا تجارا اوضباطا اومأمورى الملكية من استملاك الاراضى والعقار فى بلاد تركستان وفرغانة وماوراء النهر وخوارزم بل من الاستيجار بمدة ازيد من سنة وفى ذلك لها اعنى لحكومة الروسية مقصدان (احدهما) انها جازم فى زعمها باتمام نواياها واغراضها السابقة الذكر فى حق التتار ولو بعد حين فلاتريد ان يتخلص منها احد منهم بالمهاجرة الى تلك البلاد (وثانيهما) وهو اقواهما الخوف من اطلاع التتار اقوام تلك الديار على دسائس الروسية المنوى اجراؤها فى شأنهم فانهم سذج غفل لاعلم لهم بامثال تلك الدسائس فوقوعهم فى شبكتهم قريبة سهلة جدا فهم يخافون غاية الخوف من فوت هذا الغرض بتنبيه التتار اياهم على دسائسهم وليس هذا وهما صرفا بل هو مطابق للواقع فمن ادعى انه وهم صرف فليبين السبب الصحيح فى تخصيصهم بالمنع عن ذلك من بين كافة الاقوام التابعة للروسية وقد وقع له شاهد وهو ان الشياطين قالوا لاهالى تلك البلاد ان فى القرآن تكرارا كثيرا ولا فائدة فيه ولاحاجة اليه فالاولى ان تخرجوه من القرآن وتطبعوه مجردا عنه فيسهل حفظه وفهمه فاغتروا بذلك ورضوا به واقروا الامر عليه فلما اطلع التتار على ذلك نبهوهم على وخامة عاقبته جدا وقالوا لو فعلتم ذلك مع مخالفته للشريعة والاسلامية لحكمت الحكومة بانسلاخكم من

---

(١) وسببه جهالة اهالى الموضع المذكور كما هى حالة اهل البدو وهى اقصى بغية رجال الحكومة كما عرفته . منه عفى عنه .

الاسلام وانسلاككم فى السلك الكفر محتجة بتغيير القرآن الذى هو عين الكفر فانتبه الاهالى على قبح ماهموا به ورجعوا عنه حالا فلما بلغ هذا الامر الحكومة صمموا على منع التتار عن تملك الارض والعقار فى تلك الديار حذرا عن خطرهم وقالوا كل موضع فيه التتار ففيه الخطر وشرعوا فى التشديد على من استثنى منهم من هذا الحكم وهم الذين كانوا مستوطنين بها قبل استيلاء الروس عليها اوقبل صدور هذا المنع فان التتار لهم مسجد واحد فى البلد الجديد بتاشكند الذى انشئ بعد استيلاء الروس عليها لسكنى الروس والتتار وهولا يسعهم الآن وهم محتاجون الى احداث محلتين سوى المحلة الاولى على الاقل وهم يستأذنون الحكومة لبناء مسجد ثان منذ عشر سنين فلا ينالون منها الاجواب الرد حتى ان واحدا ممن صاروا واليا بها استأذن اسقف آلمانى الذى فوض اليه نظارة اديان اقوام تلك الديار طالبة بواسطة التلغراف فى هذا الخصوص لكونه ليبراليا فجاءه من اللعين المذكور تكدير وتوبيخ مضمونه ان فى طاشكند يعنى قديمها وجديدها كذا مائة من المسجد وللروس ثلاث كنائس فقط ومع ذلك لا تجتهدون انتم فى زيادة الكنائس بل تسعون فى زيادة المساجد وهذا يدل على قلة ديانتكم وعدم حميتكم النصرانية وامثال ذلك مع ان اهل المحلة المذكورة ليسوا تتارا فقط بل فيهم كثير من الاهالى الاصلية وهذه معاملتهم فى بلاد ومملكة كانت منذ خلقها الله تعالى بلادا ومملكة اسلامية ومنها منعهم عن سفر الحج وذلك لزعمهم بانهم يشاهدون هناك شوكة الاسلام وقوته يتعلمون الافكار المخالفة لسياسة الروسية ويوسعون معلوماتهم وقد الفوا فى ذلك رسالة مخصوصة ودام منعهم هذا عن اداء فريضة من فرايض الاسلام واركانه الخمسة مدة سنين كما يعرفه كل احد وكان بعض السياسيين يعارضونهم على هذا الحكم الجائر ومع ذلك لم يمتنع التتار عن المجيء الى الحج بل كانوا يأخذون الباسپورط للذهاب الى آوروپا للتجارة اوللشيء آخر ثم كانوا يجيئون الى الحج وقد استتبعوا لانفسهم بعض طائفة قزاق ايضا اليس هذا غاية العار ونهاية الشنار

لدولة عظيمة مثل دولة الروسية ولما كثر اعتراض فرقة المعترضين وتحذيرهم عن وخامة عاقبة هذا المنع ولو بعد حين ارسلت الحكومة الى الحج بعضا من طرفها لتحقيق المعاملة هناك فكتب الماجريات وكافة المعاملات هناك كما هي و عرضها عليهم فوجدوها على عكس ماظنوا وخلاف ماتوهموا بل وجدوها مفيدة لهم جدا فرفعوا المنع بعد ذلك وتشبثوا بتسهيل اسبابه فى السكة الحديدة ودن البحر فلله الحمد ع مصائب قوم عند قوم فوائد * وقد بلغ اجتهاد حكومة الروس فى انسا المسلمين الدولة العلية بل اسمها مبلغا ان بعض الكتبيين قدم القسم الثانى من مستفاد الاخبار للفاضل المرجانى للصنزور (انجمن معارف) الاستيذان بطبعه فضرب على جميع لفظ سلطان وعثمان وما اشبه ذلك مماله نوع تعلق ومناسبة للدولة العلية ومسحها وكان فيه ترجمة احوال الشيخ المنصور والشيخ شامل (رحمهما الله تعالى الداغستانيين) فضرب عليها بالتمام ولنكتف بهذا القدر من بيان تلك المعاملات السيئة خوف الاطالة وايراث السآمة محيلا بواقيها على علم القرأ بالمقايسة على ماذكر وهذا معاملاتهم فى امر الدين واما معاملتهم فى امور الدنيا فلايحسبونها شيئا ولايعدونها من المصائب كاخذ الغرامات والنوائب الميرية منهم من غير تمييز بين فقير وغنى وبيع حوائجهم البيتية الضرورية ان عجزوا عن ادائها واخذ اولادهم عسكرا اسوة للروسية فى ذلك والباسهم البستهم واطعامهم ذبائحهم ولحوم الخنزير وسوقهم لمحاربة اخوانهم المسلمين فضلا عن محاربة من سواهم مع ان محاربة الكفار تحت حكم الكفار ورايتهم غير جائز للمسلمين وربما تحاول الروسية اقناع بعض المغفلين بل اغفالهم بكون منافع الوطن مشتركة بين الكل وان منافع تلك الغرامات والنوائب وخدمة العساكر راجعة الى الكل لاشتراكهم فى الوطن وهذا وان اغفل به المغفل الاان حديد البصر لايغفل به ولايصدقه فان الوطن انمايكون مشتركا اذا كان الكل مشتركين فى منافعه ومطلقى العنان فى الانتفاع بها كيف شاؤا ومتى شاؤا على السوية بين افراد واصناف اهله من غير فرق بين جنس وجنس وبين

صنف وصنف وبين فرد وفرد وانت قد عرفت حرمان المسلمين عن الانتفاع باعز حقوقهم وامتناعهم عن اجرائها كيف شاؤا ومقاساتهم فى ذلك انواع الشدايد فهل يصدق بعد ذلك القول السابق وهل يقال ان المسلمين مشتركون فى الوطن حاشا وكلاثم حاشا وكلا لايصدقه ولا يغفل به الا البهايم بل الامة التى تبينت احوالهم بل اموالهم لاوطن لهم فى الحقيقة اذ لانعنى بالوطن ماعرفه الفقهاء فى باب المسافر ولاما يعتقده اكثر الناس من انه يولد فيه الانسان ودفن فيه اجداده العظام وسيدفن هو ايضا بعد عدة ايام فان هذا يشترك فيه البهايم ايضا وانما نعنى بالوطن الوطن الحقيقى الذى تكون كافة حقوق ابنائه على اختلاف اجناسهم واصنافهم اصلا ودينا محفوظة مرعية واعراضهم مضمونة وافرة لايستشعر بعضهم عن بعض ادنى سؤ ولاينوقعه ولابتوهمه بل يكون بعضهم معاضدا او معاونا للبعض وآخذا بيده وقت الحاجة ويجتمعون على موائد فائدته ومغتذون بغذائه بالسوية كما يتقاسمون نوائبه ومؤناته بالسوية ويجمعهم اسم الوطنى او همشرى او هموولايات او زيملاك على اختلاف اللغات وان اختلفت اجناسهم وادبانهم وهذه المزايا لايمكن وجودها مجتمعة على سبيل الحقيقة فى مثل ممالك الروس التى كثرت فيها العناصر المختلفة والاديان المتضادة الابرعاية قوانين الحرية والعدالة والمساوات والانصاف لابالجبر والقهر والتشديد والتضييق والاضطهاد وهضم الحقوق والاعتساف كما زعمت الخونة المخاذيل بل هذه كلها سعى فى خرابها ودمارها وتزلزل دعائها واركانها كما ونحن الآن مقدمتها وقد يمثل للوطن الحقيقى الذى وصفناه بمائدة قوم من اجناس شتى جمعوا بينهم نقدا على قدر ثروة كل منهم وطبخوا بها اطعمة شتى واعدوا اشربة نافعة متعددة تلتذبها النفوس وتنتفع ثم قعدوا حوالى المائدة وصاروا يأكلون منها مايشتهون وكيف يريدون من غير حجر ومنع من احد لاحد مالم يصدر عنه تعد واخلال بالراحة العمومية بعضهم يأكل بيده وبعضهم بالشوك وبعضهم بالملعقة لااحد يعيب احدا ومثل هذا الوطن

يمكن ان يكون ممالك آمريكا وآوروپا الاصلية وياپونيا وللوطن المجزى بمائدة قوم مركبة من اجناس شتى احضروا كذلك اطعمة واشربة متعددة وقعدوا حوالى المائدة الا ان اطرافهم اناس سود الوجوه قباح المنظر فى ايديهم مطاريق اذا مد بعض القوم يده الى بعض الطعام ضربوه بالمطرقة من غير سبب قط وقالوا له لاتأكل من هذا بل كل من هذا ولاتأكل هكذا بل كل هكذا وربما جروه من يده واقاموه من مكانه وطردوه وبعضهم اكل مايشتهى كماينبغى من غيران يحجر عليه احد بل كان هو الآمر بضرب ذاك وطرده وربما كان الثمن الذى اعطاه المطرود اكثر من الثمن الذى اعطاه الآخر وكذلك الخدمة ومنه لا يقال لها شركة حقيقية عادلة بل يقال لها جمعية الاشقياء وهذا مثال ممالك الروسية بعينها حيث انها يستوفى حقوقها من غيرها بالتمام ولكنها لاتفى بما لغيرهم فانها تأخذ ائمة المسلمين للعسكرية مع هضم حقوقهم ولاتأخذ احدا من قسيسيها مع انهم متساوون فى الرتبة امام القانون لكون كل منهم ارباب الوظائف الدينية واجتماعهم فيها وشمول هذا اللقب كلا منهم لدى القانون ومن اغرب الاقوال هنا ان القسيسين لهم جهة اخرى فمن تلك الجهة حرروا عن العسكرية وليست هى فى ائمة المسلمين وهى كونهم ذوى معارف سوى مايتعلق بالدين وغرابته من وجهين احدهما انا لانسلم ان التحرير والعفو عن العسكرية لاجل المعارف (١) التى حاز وها بل هو لكونهم ارباب الوظائف الدينية كما مر آنفا وثانيهما انا اذا سلمنا فرضا انه لاجل حيازة المعارف لانسلم ان ائمة المسلمين كلهم عارون عنها وان القسيسين كلهم حائزون اياها بل فى كلا الفريقين من حازها ومن خلاعنها ولكن اذا وجد من حازها فى القسيسين عشرة فى مائة يوجد فى ائمة المسلمين خمسون فى مائة وهذا مما لا مجال لانكاره لمن يعرف حال الفريقين فاذا كان ائمة

(١) فلو كان العفو لاجل المعارف لعفى عنها من هم اكثر لها جمعا وان لم يكن قسيسا وليس كذلك مع عفى عنه .

المسلمين اولى بالتحرير والعفو عن العسكرية فانعكس الامر والحاصل كون العفو عن العسكرية للوظيفة لا لغير ما بديهى (١) وظلم الحكومة فى عدم عفوها الائمة ثابت لا محالة وماسوى ذلك من الكلام بالمل وقد اخذ فى هذه الحرب الاخيرة اعنى حرب ياپونيا مآت من الائمة وبقى وظائفهم ومواضعهم شاغرة خالية وكان نصف المقتولين فيها من المسلمين فدماء هؤلاء المساكين المظلومين المغدورين لاى شىء اريقت وعن اى حقوقهم دافعوا واى مجدهم وعزهم حفظوه واى فائدة كانت تحصل لهم ان كانت الغلبة فى طرف الروسية هل كانت ترد لهم جميع حقوقهم المسلوبة وتعاملهم بالعدالة والمساواة والانصاف وتمنحهم الحرية هيهات لو كان الامر كذلك لقامت قيامة كبرى على رؤس المسلمين الآن (٢) واى ضرر لهم اذ كان الامر بالعكس والحاصل ان المصدق لقول من قال انهم يدافعون عن اوطانهم ومنافعهم ومصالحهم غبى بليد مغفل غاية الاغفال فانه قد تبين من البيان السابق ان لا وطن لهم فى الحقيقة بل هم كبنى اسرائيل بيد القبط فان كان لبنى اسرائيل وطن حين كونهم بيد القبط يكون للتتار وطن حين كونهم بيد الروس على هذا الحال وحيث ظهرت من البيانات السابقة حقيقة الحال وكنهه بحيث لم يبق اقل شبهة وادنى ريبة لاحد وتبينت الاسباب والعلل الغائية لهذه التكاليف الغير المشروعة والامتناع عنها تحقق بطلان تمويه الروسية وستر اغراضها الفاسدة ونواياها الجائرة تحت استار نشر المعارف بين قوم التتار وادخال المدنية فيهم بهذا الطريق وانكشف ايضا كون نسبة قوم التتار بسبب هذا التمويه والستر الى التعصب والهرب من التمدن والمعارف والصناعة التى من جملتها تعلم اللغة والكتابة الروسيتين الذى لهم فيه فوائد جسيمة كما ورد من عرف لسان

---

(١) فان هذا العفو انما هو لكونهم مشغولين بخدمة الحكومة بسبب هذا الوظيفة منه عفى عنه .

(٢) فانا سمعنا كثيرا من كبراء الروس المنصفين يقولون ادعوا لياپونيا فلولا حربها وغلبتها الروسية لكان الامر فى حقكم قطيعا جدا . منه عفى عنه .

قوما من شرهم فان كلا الامرين باطلان لامحل لهما من اعراب الصحة قط
اما الاول فانك قد عرفت المقصود والغرض من التكاليف المذكورة بعنعنتها فمن يصدق بعد ذلك دعوى نشر المعارف وادخال التمدن فيهم بهذا الطريق فلو فرضنا ان الامر كذلك على سبيل فرض المحال فلتبتدئ اولا من الروسية بتعليمها اعنى المعارف والمدنية القسيسين ونشرهما بينهم حيث ان كثيرا منهم لايعرف قاعدة الضرب وطريقه من الحساب الابتدائى بل العامى حيث يقولون دوبزى دوا ترى دوبزى ترى چيتيرى يعنى الاثنان فى الاثنين ثلاثة والثلاثة فى الاثنين اربعة وقس على هذا سائر معارفهم ثم تنتقل بعد ذلك الى حكام الناحية الملقبين بو واصنوى واسطارشينه ثم ينتقل بعد ذلك الى سائر عوامهم المشهورين عندهم بكراستيان الذين لايقل عددهم عن اربعين مليونا ثم اذا بلغت النوبة المسلمين يبتدأ من حكام الناحية الملقبين بوولصنوى واسطارشينه منهم فانه لا فرق بينهم وبين البقر فى الخلو عن المعارف ومعرفة اللغة والكتابة مع انهم من اعضاء الحكومة حقيقة وقد تقدم فى اصل تصويرانهم عدم تعيين احد من المسلمين لمثل هذه الخدمة والوظيفة ان لم يعرف من اللغة والكتابة الروسيتين مقدارا كافيا لوظيفته وخدمته ثم سكتوا عنه بعد ذلك بالكلية ولم يكلفوا احدا منهم بذلك حين اقاموا القيامة على رؤس العلماء بتكليفهم بهما وكانهم رقوا للمسلمين ولم يرقوا لجنسهم وكذلك تعللهم واحتجاجهم بلزوم كتابة دفتر المواليد والوفيات المسمى عندهم بمتريكه بالروسية باطل فانه مع كونه منافيا للتعليل السابق غير مستقيم بوجه من الوجوه فان منافعها اعنى منافع كتابته بالروسية راجعة الى الحكومة والائمة ليس لهم معاش من طرف الحكومة حتى تكلفهم بها فليس لها حق فى اصل تكليفهم بها فضلا عن تكليفهم بهذا القدر الذى مر بيانه فكيف يرتكب لهذه الامور لهذه العلة الضعيفة التى تستحق ان يقال فى حقها انها لا شئ محض مع انه يمكن تداركها بكتابة كتاب وواصنوى او باستئجار كاتب خصوصى موقتا وكيف يصدق منها هذه التمويهات والترهات مع منعها اهل قرية فقيرة جدا مركبة من خمسين عائلة

مثلاهن بناءمكتب حين ارادوا بناءها لتعليم اولادهم ضروراتهم الدينية باخراج نفقة بنائه عن نفقات عيالهم وعدم اذنها به اياهم الا بشرط بناء مكتب روسي بجنبه على مايراه اينسبكتور وتعيين معاش لمعلم روسي اقله ٣٥٠ روبلة في كل سنة واى مدخل لهذا في نشر المعارف وكتابة دفتر المواليد واى عدالة وانصاف هذا ومن الذى لا يلعنها حين يتفكر في مثل ظلمها هذا ومن الذى يصدق بتمويهاته تلك والحاصل لا حق لحكومة الروسية في تكليفها المسلمين بهذه التكاليف الغير المشروعة وازعاجهم بها لهذه العلة الجزئية ولا لعلة نشر المعارف وتعميمها وتعللها بذلك تجهيل لهم وتغرير ولا يغتر به الا الغفل البله السذج العقول كما لا يخفى على اولى الالباب وارباب العقول من الفحول واما الثانى اعنى نسبة المسلمين الى التعصب الخ فباطلة باطلة ايضا بلا شبهة ناشئة عن عدم معرفة معنى التعصب اوعن عدم اطلاعه على احوال المسلمين فان التعصب معناه الاستنكاف عن قبول الحق بعد ثبوته بدليل ثبوتا بينا لاشبهة فيه كاستنكاف الكفرة عن قبول الاسلام بعد ظهور حقيته وصنيع المسلمين ليس كذلك بل هو ثبات على الحق بعد ظهور حقيته ويقال له تصلب فانهم قد استيقنوا غرض الحكومة بتلك التكاليف وهو اضلالهم عن الحق والثبات على الشئ انما يكون بالامتناع عن ضده وجميع ما ينافيه ويؤدى الى محوه واستئصاله واما المعارف والمدنية فهما مالهم وضالتهم يأخذونها اين وجدوا ومتى ظفروا به وحاشاهم ان يهربوا عنها ولايلزم من هربهم من تكاليف الحكومة الظالمة المستبدة للغرض الفاسد هربهم من المعارف والمدنية فانهما غير متوقفان على اللغة والكتابة الروسيتين بل لهما ابواب كبيرة اصلية وهما من ابوابهما الصغار العارضية المصنوعتين بنقب جدار جهالة الروسية الاصلية من جهة آوروپا فطفقوا يقتبسون منهما على مقدارهما ومقدار حوصلتهم واهل آوروپا اخذوهما من معدنهما اعنى العرب فالمسلمون كافة على اختلاف اجناسهم قادرون على تحصيلهما من معدنهما بل لا يزالون يسعون ويجتهدون في تحصيلهما ليلا ونهارا ولكن الروسية

ومن والاهم ينسبون التتار الى الهرب منهما افتراء وبهتانا وماذا يقولون غير هذا؟ هل يقولون هربوا عن دسائسنا؟ حاشا ولهم فيها مآرب اخرى فانهم يريدون ان يسدوا عليهم على زعمهم ابواب المعارف والمدنية كلها سوى باب الروسية فيحصلونهما منه فيضطرون الى اعتقاد تفرد الروسية بهما فيفضى هذا الى تعظيم الروسية وخضوعهم لها كما ان هذا يبدو من حصاهما في مكاتبهم ولكن هيهات التتار عن اعتقاد ذلك فانهم صاروا ارباب المعارف واصحاب المدنية في بداية ظهورهم قال كارامزين ان التتار لم يلبثوا بعد ظهورهم وتأسيسهم سلطنة متعددة الا قليلا حتى شرعوا في تحصيل المعارف وطفقوا يترجمون كتب الهيئة والحساب وسائر الرياضيات الى لغاتهم الخ العالم الرابع فاو كانت نية الروسية نشر المعارف وادخال المدنية فيهم كما يدعون لسهلوا لهم طريقهما بان يبيحوا لهم تحصيلهما باى لغة كانت واين كانتا وممن كانتا بل كانوا يأمرونهم بذلك ولكن انى لهم هذا بل هم يجتهدون بغاية جهدهم في سد طريقهما وابوابهما غير طريق الروسية وبابها كما قلنا فمن حمل كلا منا هذا على التحامل على الروسية او المبالغة فعليه بما حرره ابو محررى مسلمى الروسية صاحب الترجمان الاعز اسمعيل مرزا زيد قدره وعلاه ١٢٣ في العدد من جريدته المذكورة الصادرة في ٢٠ رمضان سنة ١٣٢٤ ه وهذا تعريب عبارتها كنا نوينا قبل ذلك بعشرين سنة بنشر كتاب يسمى قاموس (١) الاعلام بالتركية ولما جمعنا الجزء الاول منه بدلنا اسمه بدريای بيلوك (بحر العلوم) ليكون علامة ظاهرة على اشتماله على كثير من المعلومات وارسلناه (يعني الجزء الاول منه) الى ديوان انجمن المعارف بپطربورغ استيذانا بطبعه بموجب النظام وكنت مطمئنا وآمنا من صدور الاذن به من جهة الفن والادب ولم تكن الازمنة السابقة مثل هذا الزمان فلزم على ان اتخذلى ظهيرا في پطربورغ حذرا عن اصابة ضرر من هذا الوجه لجريدتنا الترجمان ففعلناه فبلغني خبر

(١) دائرة المعارف منه عفى عنه .

مصادرة الكتاب وعدم امكان الاذن بطبعه فقط فى الاسبوع الذى وصل الكتاب فيه الى پطربورغ ولسنا ممن لا يعرف سياسة غراف تولستوى وپوبيدانسوف ولكنا كنا غافلين عن بلوغ الامر هذا الحد وكنت اعلنت بنشرى كتاب درياى بيلوك فى جريدة ترجمان ايضا غير الترجمان فوقع الاعلان المذكور بيد ايلمينسكى الذى كان حيا فى ذلك الوقت بقزان فلما اطلع المذكور على نشر التتار القاموس العلمى والفنى طار عقله من رأسه فكتب حالا الى رئيس الوزراء بپطربورغ پوبيدانسف مكتوبا مفصلا بين فيه تضرر الروسية حالا واستقبالا من نشر المعارف بين التتار بهذا الاسلوب فنشر پوبيدانسف او امره على مقتضى الوقت والحال فمن اراد تفصيله فليراجع المجموعة المشهورة بمكاتيب ايلمينسكى بلغة الروسية المنتشرة فى قزان فاثر على مصادرة كتاب قاموس الاعلام تأثيرا عظيما وادركنا كنه الامر وحقيقته ولكنا كما اعلنا بنشره فبدلت اسم الكتاب ثانيا الى خزينة الاخبار وارسلت نسخة اخرى منه الى انجمن المعارف بتفليس للاستيذان بطبعه باسم المرحوم صفر على بن وليبكف الكافكازى ملتزما كافة المسؤلية على نفسى فى ذلك واخبرته بالماجريات السابقة بالتفصيل فاذن انجمن المعارف المذكور بطبعه ونشره حيث لم يجد فيه شيئا من الضرر لسياسة دولة الروس لكونه من كتب الفنون والعلوم وسلمه الى صفر على افندى المذكور فشرعت فى طبعه بلا مبالات وبينا انا على هذا اذ جاءنى خبر رسمى من انجمن معارف پطربورغ بمصادرة درياى بيلوك واخذ عنى الامضاء بالفرامان الذى جاء من والى قريم على عدم اقدامى على طبعه وانا مستمر على طبعه فلما تم طبعه ارسلت نسخا منه الى تفليس ثانيا بمقتضى النظام وفرقت ١٢٣ نسخة منه الى المشتركين فلما ارسلوا النسخ المذكورة من تفليس الى پطربورغ استشاطوا غضبا وارادوا ان يحاكمونى ويقفلوا مطبعتى ولكن لما كان طبع الكتاب على اسم شخص آخر باذن من انجمن معارف تفليس لم يجدوا طريقا الى ذلك ولم يروه موافقا لحكمة الحكومة بل اخبروا انجمن معارف

تفليس بالماجريات وامروه بارسال كل ما يجيئه من بغچهسراى الى
بطربورغ فمنعوا بهذا الطريق عن نشربقية قاموس الاعلام اه قلت
وهاكم تعريب نص مكتوب ايلمينسكى المذكور فى هذا الخصوص
المكتوب ٥٢ فى ٦ ديكابر سنة ١٨٨٩ تنشرع فى نشر جريدة بلسان
قزاق وقرغز علاوة على جريدة ولاية آقمولا بامر والى بربة قزاق
قالپاقى من اول سنة ١٨٨٩ وقد وردتنى نسخة منها العدد ٤٨
الصادر فى ١ ديكابر وقد رأيت فى آخر صحيفة منها اعلانا مضمونه ان
جريدتنا الترجمان تدخل فى اول سنة ١٨٩٠ الى سنة ٨ من ابتداء تأسسها
وقد التزمت ان ادرج فيها الادبيات والسياسات وسائر المعلومات
المفيدة المنشطة واخبار الدول والملل والمقالات والبنود
المفيدة للمسلمين بالترتيب وابذل فيه غاية جهدى لئلا يغفل اخوانا
المسلمون من احوال الزمان والتزمت ان ادرج فى قسم التفرقة والادبيات
منها حكاية ملاعباس عن احواله التى طرأت عليه فى آوروپا وآفريقا
ونشرع ايضا فى اول السنة الآتية فى طبع اوقيانوس اللغات بلسان الترك
ولاشك ان تمام طبعه يمتد الى سنين كثيرة وهو كتاب مفصل جامع للفنون
والعلوم واخبار كافة الملل والدول والممالك والاقوام والعلماء
والامراء والعظماء والابطال والمشاهير ويخمن كون هذا الكتاب من
الآن عبارة عن ٤٠٠٠ صحيفة اه وقد اظهر صاحب جريدة التتار
الترجمان على كلام ارباب المعارف مهارته فى مدة سنة ٨ وقد فهم مقصوده
ومرامه منها وهو جمع المسلمين الكائنين تحت تصرف الروسية الذين
تفرقوا واختلفوا بسبب مرور الايام الكثيرة والاعوام العديدة واختلاف
اجناسهم وقبائلهم واحداث الاتحاد بينهم بسرد الادلة الفلسفية الاسلامية
ونشر المدنية الآوروپاوية المنخولة بمناخل استانبول المخلوطة بآداب
آسيا انا ما قرأتها بنفسى الابعض اعدادها فى الجملة ولكن الذين يطالعونها
بالتدقيق يجدون فيها اقوالا مضرة على سياسة الروسية وجمعيتها الدينية
ولايغلوا استلفات انظار اولى الابصار الى تناسبها بجريدة قرغز وحدوث

الاتصال والمماسة بينهما من الفائدة الاترى الى امتداد سلسلة المماسة من نفوه سراى بخطة قريم الى بلدة اومسكى من بلاد سبيريا وتتعجب منه كيف يخابر مسلمو هاتين الجهتين المختلفتين بعضهم ببعض مع وجود هذه المسافة البعيدة واختلاف النسب بينهم وقد وعد الترجمان بنشر حكاية ملاعباس واوقيانوس اللغة ويمكننا ان نقطع ونجزم بانه يجتهد فى اعلاء شأن الاسلام بمهارته فى الكلام بالموازنة والمقايسة بين النصارى واهل الاسلام مستمدا بكلام السائح المذكور ... فاذا اطلع المسلمون على تواريخهم ولاسيما الذين تربوا فى غيمنازية والمكاتب الحربية ودار الفنون وقرأوا فيها احوال چنكزخان وتيمرلنك ووقفوا على استعباد خوانينهم الكبراء الروسية مدة مديدة لايستبعد حصول افكار فيهم مخوفة للروسية وظهور غيوم مضرة من افق المسلمين امثال ذلك يورثنا غموما واوهاما كثيرة فى خصوص تشبثاتنا فى نشر مدنية الروس فيهم فان حصول العلم والمعارف لهم مثل ماذكر يكون سدا مانعا فى طرق تشبثات هذا الطرف الخ وقال فى ٢١ مكتوبه الصادر فى ١٥ فيورال سنة ١٨٨٤ بعد ان بث شكواه من اقلام المسلمين مثل الميرزا عليم وصاحب الترجمان العجز على فم استرامف فى اعتراضه على القرآن انا استلفت نظرك الى شئ مهم جدا وهو ان محرر جريدة الترجمان وناشرها يبذل جهده فى نشر الفنون والمعارف على اسلوب آوروپا بين مسلمى الروسية مبنية على مقاصد اسلامية ومزينة ومصبوغة بها ويسعى ايضا فى جمع ملايين كثيرة من مسلمى الروسية المتكلمين بالسنة مختلفة المقيمين فى اماكن متعددة ولم شملهم فى مركز واحد واحداث اتحاد بينهم (كانحادنمسة) ويعرف غاية قوته بواسطة جريدته فى جعل اللغة العثمانية لغة اصلية لجميع مسلمى الروسية اما يلزم التفكر فى نتيجة هذه الامور وان اسمع ان جرايد الترك والكتب الدرسية بلسان الترك لاتزال تتزايد سنة فسنة ومندرجات هذه الكتب ومضامينها معارف أوروپاوية ومرتبة على ترتيبها واما من جهة اللغة فتركية فكان السبب لنشر تلك المعارف الاوروپاوية بين التتار هو غصپرنسكى

صاحب الترجمان لكن لا بواسطة الروسية بل بواسطة اخرى فماذ تقول فى هذا الترتيب؟ اليس مبنيا على الحكمة والاساس القوى والمكر والحيلة والحاصل ان ارباب الافكار المستقبحة من التتار يحاولون مدحجاب على ابصار الروسية بمايشبه الدلائل العقلية والمقدمات المبنية على اساس الحرية ويريدون وراء الحجاب المذكور تأسيس اصول مرجع المسلمين فى الروسية فالذى يورث القلق والاضطراب هو الجمعية الاسلامية باوفا فان الجمعية المذكورة مركز مسلمى قريم وكافكاز وغيرهما من جهة الدين والمعيشة وطائفة قرغز وان كانوا منفصلين عنها الا ان قلوبهم منجذبة اليها على عادتهم القديمة فلاجرم انهم يرجعون الى هذا المرجع وينضمون الى هذا الاتفاق وظنى ان هذا الامر ممكن الحصول جدا وانما يتوقف على قابلية اعضاء الجمعية المذكورة واستعدادهم وسعيهم واجتهادهم ولم يوجد فى واحد من رجالها الى الآن من فيه تلك القابلية فهم وان لم يحصل لهم الى الآن لاجل ذلك فكر اتحاد اوفا مرجعا ومركزا ولكنهم يفعلون ذلك فى المستقبل لامحالة فمايكون نتيجته بعد ذلك وماذا نصنع فى مقابلته وهذا الفكر يقلقنا ويزعجنا ليلا ونهارا فمن اين حصل هذا الفكر وليس له اصل فى القرآن ولا فى الشريعة وانما احدثت يكاترينا الثانية هذه الجمعية بقصد تدبير امور المملكة ولعلها كانت مفيدة فى ذلك الوقت وكانها احدثتها فى مقابلة اسقفية النصارى ولكن بينهما فرق فان تدبير الاسقفية لايتعدى خارج ابيارخيه واما مفتى اوفا فهو بمثابة المطران بل فوقه وعلاوة على ذلك فان قوانين الزمان قد تغيرت الآن ووقع بين الانام والاقوام فكر القومية ووقع كل قوم فى فكر ايجاد مركز لانفسهم اولحوق مركز موجود اولا وطفقوا يسعون لذلك فخطر فى قلبى ان اللازم الغاء مركز اوفا يعنى الجمعية الاسلامية بها وان لانتصب مفتيا آخر بعد موت هذا المفتى التوكيلى ويكون تعيين الائمة وسائر الامور المتعلقة بالشريعة المحمدية وظيفة محكمة الولايات ويكون لبعض العلماء مدخل فيها تحت نظارة شعبة الاديان الغير الروسية ويرتب لذلك بعض قوانين

مختصرة وغير مفيدة للاسلام (١) اه وله امثال ذلك كثيرة ولعل بعض ارباب الحمية يترجمها ترجمة لايقة وينشرها بين المسلمين ليعرفوا مقدار سعيهم وجهدهم فى اطفاء نور الله الذى ابى الله الا ان يتمه ولو كره الكافرون فمن احاط علما بهذه الماجريات فكيف يصدق تمويهم واكاذيبهم فى قولهم ان قصد الحكومة بهذه التكاليف نشر المعارف بين التتار وادخال المدنية فيهم وانهم اعنى التتار لايحبون المعارف والمدنية ويهربون عنهما بل يجزم يقينا ان قصدهم سجود التتار اليهم واعتقادهم فيهم انهم هم الحائزون المعارف والمدنية لاغير بسد سائر ابواب المعارف والمدنية وطرقهما عليهم دون باب الروسية والتتار انما يهربون من ذلك لكونه مبنيا على اساس جرهم الى جهنم واما نفس المعارف والمدنية فحاشاهم من عدم محبتهما وهربهم عنهما بل هم يسعون ويجتهدون ليلهم ونهارهم فى تحصيلهما تحت هذه التضييقات والتشديدات وينالون منهما بغيتهم على شهادة هؤلاء الاعداء الذين يقصدون استيصالهم وهم يعرفون قوله صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة المؤمن اخذها اين وجد وقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين ولايستنكفون ايضا من تعلم اللغة والكتابة الروسيتين ولايمتنعون عنهما قط بل يعرفونهما ويستزيدون منهما دائما بحيث لايوجد فيهم الآن ينفرد بكتابة الاسلام فقط بل كل من يعرف منهم كتابة الاسلام يعرف كتابة الروس وكثير منهم ممن يسكن بين الروسية ينفرد بمعرفة خط الروس دون الاسلام بل يعرف كثير منهم الآن الكتابة الفرانساوية حتى ان الذى يقيم منهم فى بلاد الاجانب وفى الاماكن المقدسة مدة ٣٠ سنة لم ينس الكتابة الروسية قط ويستعملها وقت ارسال المكاتب فى كتابة العنوان واما اللغة الروسية فلا اظن وجود شخص منهم لايعرفها وا لو فى الجملة فاذا نسبة الاباء والامتناع من تعلمهما ايضا باطل لااصل لها فهى اما مبنية على الجهل باحوال التتار اوعلى التعصب والافتراء والبهتان

---

(١) من ترجمة سقيمة وخط سقيم جدا لكن بالانتهاء والاخذ من نحوى كلامه غالبا منه عفى عنه.

للغرض الفاسد مع العلم فان التتار انما يبغضون تكاليف الحكومة بها
لاجل الغرض السابق ويمتنعون عنها اشد الامتناع ويجهرون بعدم
رضاهم بها الى ان يموتوا ولا يقبلونها ابدا واما نفس التعلم والتمدن وتحصيل
المعارف مع المحافظة على الاعتقاد الصحيح والديانة الاسلامية والآداب
الشرعية والاحتراس والاحتراز عن طرو ادنى تغيير فيها فحاشاهم ان يستنكفوا
عنه ثم حاشاهم ونسبته اليهم اختلاق محض وافتراء وبهتان صرف نعم انهم
يهربون عن كل شئ اى شئ كان اذا كان مفضيا بهم الى الخلو عن الاعتقاد
الصحيح وانسلاخهم عن الديانة الاسلامية وعروهم عن الآداب الشرعية
اشد الهرب ويجتنبون عنه اشد الاجتناب بحيث لا يقربون منه ولا يرضون
به ولا يقبلونه وان كان فوائده فى الظاهر اظهر من الشمس لافضائه الى
الهلاك الابدى والعذاب السرمدى فانهم ليسوا كمجنون اوشره يقدم على
شرب شراب لذيذ رائق مع علمه بكونه مخلوطا بسم قاتل فى ساعته فان
كان هذا تعصبا فالتتار اذا متعصبون ولا يبالون به كما قال الامام الشافعى
رضه الله تعالى عنه شعر: ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان انى رافض
هذا هو حقيقة الحال لا تتعداه مقدار شعرة وكثير من الناس خفى عليه الامتناع
والهرب عن التعلم والامتناع عن قبول التكاليف المذكورة المبنية على الاغراض
الفاسدة المذكور ولكن اذكياء التتار وعقلاؤهم لا يخفى عليهم ذلك بل
يفرقون بينهما فرقا جيدا ويعدون الاول تعصبا باطلا وعنادا والثانى تصلبا
فى الدين وثباتا فى الحق وكمال الديانة ولاجل عدم الفرق المذكور ان
واحدا من اهل تلك الديار لما نشرت الاوراق المنقولة مندرجاتها سابقا من
محكمة الجمعية الاسلامية اخذ ورقة منها وخرج الى استانبول وواجه ارباب
الجرائد فيها لادراج التكاليف المذكورة فى جرائدهم واعلانها فى العالم ومن
جملتهم عطوفتلو احمد مدحت افندى مدير ترجمان الحقيقة اذذاك واكبر
واشهر المحررين العثمانيين على الاطلاق قال له فى اول وهلة انا اتعجب
من صنيع قوم التتار واستنكافهم من تعلم اللغة والكتابة الروسيتين مع
انهما صلاح لازم اقتناؤه فى تلك الديار وهم اذكياء ارباب القابلية

والاستعداد واصحاب الحمية والفتوة والغيرة الملية فلاى شئ لا يبنون مدرسة او مدارس متعددة فى مراكز وجهات مختلفة و جعلوها دار الفنون يقرأ فيها جميع الفنون ويتعلم فيها كافة اللغات فيصيرون ارباب المعارف والفنون وعارفين بجميع اللغات من غير ان يفسد اعتقادهم وينطمس انوار ديانتهم فتكون هذه اسلحة فى ايديهم يردون بها كيد الكائدين ومكر الماكرين كما اننا بنينا دار الشفقة هنا لاجل الغرض المذكور بعينه والمتخرجون منها يتخرجون كما وصفنا من كونهم ارباب الفنون والمعارف واصحاب العرفان بجميع اللغات من الفرانساوية والانكليزية واللاطينية والشيطانية من غير ان يتغير اعتقادهم ادنى تغير فقال له الشخص المذكور فهل يصلح اعنى من تخرج من دار الشفقة بهذه الكيفية ان يكون شيخ الاسلام ؟ فقال بغاية الاستبعاد لا فقال هل يصلح ان يكون قاضيا او مفتيا ؟ فقال كذلك لا فقال فهل يصلح ان يكون مدرسا او اماما ؟ فقال كذلك مستبعدا لا فقال لم ؟ فقال لان هذه الوظائف لما كانت من الوظائف المقدسة الدينية لا يصلح لها الا من كان تحصيله فى احدى المدارس الدينية ودار الشفقة لم تبن لذلك بل للمصالح الدنيوية فقال اذا كان متخرج دار الشفقة لا يصلح الواحدة من هذه الوظائف المقدسة مع كونها تحت نظارة ارباب ديانة وحمية من المسلمين كيف يصلح متخرجوا تلك المدارس مع كونها تحت نظارة الاجانب الذين غرضهم هذا الذى ذكرنا لتلك الوظائف المقدسة فان حكومة الروس ضنت بمنح نظارة المدارس الدينية للمسلمين وتركها لهم كيف تمنح لهم نظارة امثال تلك المدارس لهم؟ وانت لا تظن ائمة تلك الديار كائمة انا طولى تقعدون مع قومهم فى القهاوى ويشربون الدخان ويلعبون الطولة وفى رؤسهم عمائم كبار فاذا صار مغلوبا يقول له اخس قومه بوخ بيدك امام كلا فان الامام هناك اى امام كان يكون حائزا وظيفة الافتاء والقضاء والتعليم لعدم تحمل ثروة الاهالى المالية اتخاذ اشخاص متعددة لتلك الوظائف المختلفة فاطرق مليا وتفكر ثم رفع راسه وقال ها آناسن صادديغم بونك فكرى بونلرى كاور يابهق فقال الشخص

المذكور نعم لاشك فى ذلك وامتناع التتار عنها لاجل ذلك لا لشىء آخر والا فهم لا يهربون عن المعارف والمدنية ولبسوا ممن لايعرفون اهمية اللغة والكتابة الروسيتين فى تلك الديار وهكذا الحكم بين صاحب النظر السطحى وصاحب النظر العميق المطلع على الحقايق فلو دام الافندى المشار اليه على هذا الرأى لاصاب ولكنه لما اجتمع فى جمعية العلم المنعقد فى استوقهلم من بلاد اسوج بعد ذلك مع رادلف الروسى المار ذكره وسمع منه اسناد التعصب الى التتار رجع عن رأيه هذا وكانه نسيه وصدق كلام رادلف المذكور كانه سمعه من فم الملك وسلك فى شأن التتار مسلك التفريط وكتب فى حقهم ما هو مسطور فى رسالته الجولان كما انه سلك فى ذمهم بالجهالة ايضا مسلك الافراط فى الجلد الرابع من القسم الاول من تاريخه المسمى بكائنات اثناء بيانه معاملة الروسية مع المسلمين خلاصته ان مسلمى التتار بلغوا من الجهالة بسبب تشديد الروسية وتضييقه عليهم فى امر الدين وباب التعليم مرتبة (١) البهايم حيث انهم لايعرفون من احكام الاسلام سوى كلمتى التوحيد والشهاده ومعرفتهم اياهما ايضا عن تغيير وتحريف معناهما ثم اظهر كمال اسفه على ضمهم آدات النسبة بالروسية اوف الى اواخر الاسماء المقدسة كقولهم محمدف وحسينف الخ اليس بين اسناد التعصب اليهم وبين هذا التحسر والتأسف مباينة ومنافاة كثيرة وليت شعرى لم لايتنبه الفضلاء الادباء على التناقض الواقع فى كلاميهم مع ان كلا الامرين باطل لا اصل له والصحيح الصواب ماقال للشخص المذكور نعم ان لكلامه فى تاريخه مصداقا لا ابوح بذكره هنا ولعل لايخفى على الذكى الفطن والحاصل ان التتار لايهربون عن تعلم اللغة والكتابة الروسيتين قط اذا خلوا فى تعليمهما وانفسهم اعنى لوكان تعلمهما باختيارهم وبايديهم من غير ازعاج احد واكراهه بل العقلاء منهم يستقلون المرتبة التى عينتها الحكومة ويودون ان اعضاء الجمعية الاسلامية لايعرفونهما اقل

(١) فلو قال ان مراد الروسية انزالهم الى مرتبة البهايم فى الجهالة بالتضييق والتشديد لواستطاعت لكان صوابا مطابقا للواقع منه عفى عنه .

من معرفة النظار اومن معرفة المحررين والمحاميين الكبار على الاقل وراقم هذه الحروف ايضا في هذا الراى لكن بشرط سلامة الاعتقاد والدين وبقاء الاستقامة والديانة والآداب الاسلامية كلها على حالها وبشرط جعل هذه الاشياء اصلا واساسا عليها وجعل ماسوى هذه كائنا ما كان فروعا على هذه واعتقاد هذه الاشياء كالغذاء الذى لابد منه لكل احد فى كل حال وهذه المعارف والفنون الدنيوية كالدواء المر البشع الذى يعافه الطبع ولكن يحتاج اليه لالجأ الضرورة واضطرارها ايانا الى استعمالها احيانا لدفع ضرر المرض العارض لنا اوكالثياب الغليظة الثقيلة التى يتعب الانسان حملها وتضيق نفسه ولكن لايجد بدا منها لدفع ضرر البرد عن نفسه او كبيت الخلاء الذى يكرهه الانسان بالطبع ولايشتهى الدخول فيه قط ولكن متى الجأته الضرورة لايجد بدا من الدخول وهذه الاعتقادات ليست تخيل محض بل هى واقعية ومطابقة للواقع ولكن لايعرفها كل احد بل من نور الله تعالى بصر بصيرته بكحل منطوق قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله صلى الله عليه وسلم اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها ولهذا اعنى لعدم معرفة كل احد ذلك عكس كثير من الناس القضية فى هذا الزمان فى كل ممالك وبلدان وفى اى دين كانوا من الاديان فانك ترى احدهم اذا حاز شيئا من تلك الفنون العصرية والمعارف الجديدة او اللغة والكتابة الاجنبية يرى نفسه افضل الناس ويحسبه انه حاز جميع الكمالات واستوفى جميع ما خلقه الله سبحانه لاجله وطفق يزدرى بغيره ممن لامعرفة له بها ويستهزئ به ويتمسخر منه ويقول انه عريض القفا وقديمه وان كان ذلك الغير اعلم الناس بما خلق لاجله وعاملا به وافضل الناس عند الله فقد قلب الامر وجعل الاصل فرعا والفرع اصلا بل ترك الاصل بالكلية واخذ الفرع واكتفى به وكأن الله سبحانه خلقه لاجله وارسل رسله وانزل جميع كتبه الالهية لتعليمه وليس عنده خبر انه متى خرج روحه يظهر افلاسه وان معارفه لم يبق لها لزوم واهمية قط فان الطب انما يحتاج اليه فى عالم الكون والفساد وكذلك

الهندسة والمساحة والجغرافية والانتوغرافية وغيرها من العلوم الدنيوية انما يحتاج اليها فى هذه الحياة الدنيا واما فى الآخرة التى يكون الناس فريقين فقط فريق فى الجنة وفريق فى السعير فلا يحتاج اليها فقط فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساألون فاذا فما معنى الافتخار والتبجح والاستكبار بها اليس هو من غاية الجهالة ونهاية الشقاوة ولا يكتفون بهذا القدر بل يبذلون غاية جهدهم فى التشبه بأربابها من الكفرة الذين قال الله تعالى فى فى حقهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى أيضا ولما جاءهم الحق فرحوا بما عندهم من العلم ويسعون غاية السعى فى تقليدهم فى جميع شؤنهم من الملبس والماكل وسائر الحركات والسكنات حتى فى هز الكتف وترقيص الحواجب وتعويج الشفاه وقت التكلم وحلق اللحى وتوفير الشارب حتى فى ترك حجب(١) النساء وهذه علة اخرى لامتناع التتار عن اخذها عنهم فان افعال الشركاء والمعلمين وعاداتهم لاشك فى سرايتها الى الشركاء والمتعلمين وليس قصدنا بذلك تنفير الناس عن تلك المعارف بل عن هذه الفضائل والتنبيه على قبحها والتحذير عنها الا عن تلك المعارف فان تلك المعارف لابد لنا منها بمقتضى جريان الاحوال لمعايشنا وامورنا واحتياجاتنا الحيوية فى اى مملكة وتحت تصرف اية دولة كنا خصوصا الرؤساء الذين يكونون اعضاء فى مثل تلك الجمعية وقادات وادلاء للملة وحماة للدين والامة فان اعضاء الجمعية المذكورة لو كانوا فى الفقه مثل الامام محمد وفى الزهد مثل ابراهيم بن ادهم وفى الكلام كالباقلانى وفى الفلسفة كابن سينا وفى الفصاحة كسحبان لا يقدرون على ادارة الامور واجراء وظيفتهم كما ينبغى وحماية الملة والمدافعة عن حقوقهم فى عصرنا هذا الا اذا انضم الى المذكورات حيازتهم معارف العصر وفنونها ولاسيما

---

(١) واين لهم الصلاة والصيام وسائر الاعمال الشرعية ولا يحصل منهم أدنى فائدة للاسلام والمسلمين لسانا وكتابة حين يسعى افقر المسلمين واضعفهم فى حفظ بيضة الاسلام مع انهم يعدون انفسهم من أرباب الترقى نعم ترقوا فى الجهالة والضلالة منه عفى عنه .

معرفتهم بلغة وكتابة الدولة التي هم تابعون لها وقوانينها مثل مايعرفها اكابر رجالها مع الحمية الدينية والغيرة الملية وتقديم خوف الله على خوف المخلوق كائنا من كان وما احوجنا الى امثال هذه الرجال العظام اشد الاحتياج لحفظ كياننا ليس احتياجنا اليهم انقص من احتياجنا الى الغذاء لحفظ حياتنا وبقائنا بلاشبهة ولابقاء ولادوام لملتنا الابهم ووجود امثال هؤلاء الرجال العظام الحائزين لجميع تلك الاوصاف وان كان محالا بالنظر الى الظاهر ولكن ظهور الامور العظام وحدوث الانقلابات الجسام في اقطار العالم وكثرة ذلك مع مرور الايام والاعوام خصوصا في هذا الزمان يمنعنا من اليائس من وجودهم وحدوثهم باذن الله تعالى واذا اراد الله شيئا هيأله الاسباب عسى يكون من الطاف الله مالم يخطر في البال ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا ولله در القائل شعر عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته امر * آخر لله في الخلق الطاف لقد خفيت * تحار فيها العقول الجوهريات. وعسى الله ان يجعل بينكم وبين القوم الذين عاديتم منهم مودة الآية فلاينبغي لنا ان نيائس من رحمة الله بل علينا ان ندأب في العمل بالتشمير عن ساعد الجد في الليل والنهار لبلوغ تلك المراتب الكبار وليس ذلك على الله بعزيز ان الله لايضيع اجر المحسنين وان ليس للانسان الاما سعى لاينبغي لاحد ان يورث الفتور لهمته باستبعاد الامور واستصعابها بل ينبغي ان يكون عالي الهمم فان الله سبحانه يحب معالي الهمم ويكره سفاف الامور واما بلوغ مرتبة الاجتهاد وجوازه وامكانه فلا دخل له هنا قط ولا ينبغي التفكر والتكلم فيه اصلا بل لنا ان نجتهد ونسعى هذا امر وظيفتنا ع كل من يمشي على الدرب وصل * آخر على المرء ان يسعى بمافيه نفعه. وليس عليه ان يساعده القدر * فان ذلك شأن الربوبية فان لم نبلغ مرتبة المجتهد المطلق نبلغ مرتبة المجتهد في المذهب اومرتبة قريبة منها حتى نقدر ان نستعمل بعض القواعد الفقهية المطابقة لهذا العصر كقاعدة المشقة تجلب التيسير. وقاعدة الضرر يزال. وامثال ذلك ولاحاجر لواسع رحمة الله ولكن الدعوى هي التي تفسد الامر والله الموفق بقي شيء

لابد لنا ان نذكره هنا وهو ان بعض المغاذيل افن الحكومة ان تحتج على المسلمين في جواز تكاليفهم المذكورة بامر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بتعلم كتابة اليهود وليس فيه لهم حجة بل هو حجة عليهم للمسلمين فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكلف اليهود بتعلمهم كتابة العرب مع كونه صلى الله عليه وسلم حاكما بل امر كاتبه بتعلم كتابتهم حيث قال تعلم كتابة يهود فاني ما آمنهم على كتابي فتعلمت فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت اكتب له اليهم واذا كتبوا اليه قرات له اه فهذا يدل دلالة صريحة على لزوم تعلم الروسية كتابة المسلمين لا على تكليفهم بتعلم كتابة الروسية كما زعموا نعم انه يدل على جواز تعلمها وليس الكلام فيه وكانهم احتجوا بذلك على من قال بحرمتها وجعلها دليلا على الامتناع من تعلمها ولكن هذا من قبل الغريق يتشبث بكل حشيش او مقصوده التعلم المذكور اعني التعلم لمساعدة الحكومة على تحصيل غرضها المذكور ولاشك حينئذ في حرمته **دفع توهم** وربما يتوهم هنا ان لكل دولة اى دولة كان حق المراقبة والنظارة لاحوال رعاياها على العموم سواء كانت من الاحوال المتعلقة بالمكاتب والمدارس او غيرها ولا يسوغ لها الاهمال قط والاغماض عما يصدر عنهم ماينافي سياستها وما تتضرر هي به فكيف تتظلم المسلمون من جعل الحكومة مدارسهم تحت نظارتها ويأبونه ولا يرضون به وهو ليس بظلم ولا مختص بالروسية **قلت** هذا التوهم انما نشأ من عدم معرفة معنى النظارة التي يأباها المسلمون وهي المداخلة في شؤن مدارسهم كلها من كيفية بنائها واسكان الطلبة فيها وترتيبات الدروس وتعيينها وتعيين اوقاتها ومقدارها وتعيين الكتب الدرسية والمعلمين والمدرسين الى غير ذلك من الشؤن التعليمية وهذا كما ترى كيف يرضى بكونها في ايدي النظار الذين تقدم ذكر اوصافهم وكيف يقبلون كونها تحت تصرفاتهم وكيف لا يأبونها وكيف يكون حالهم اذا رضوابها والى اين يكون مآل ديانتهم واما المراقبة والانتباه على احوال المسلمين عموما واحوالهم التعليمية خصوصا والتفتيش والبحث عنها بواسطة المأمورين المتمدنين

الخالين عن التعصب فحاشاهم ان يأبوه فانه عناد واستكبار ومخالفة لامر الحكومة العادل وهم يعرفون ذلك كمال المعرفة وقد تبين من البيانات السابقة ان قصدهم هو سد طرق الفنون والمعارف وابوابها كلها على المسلمين غير طريق الروسية وبابها للغرض المعهود وقد طلب اهل القزان الاذن من الحكومة فى انشاء جريدة بلغتهم مدة عشرين سنة فلم تساعدهم فى ذلك وكيف تساعدهم فى نشر الاخبار والمعارف بلسان اهل قزان حتى انهم لو قدروا على اقناعهم بان الشمس لا تطلع ولا تجرى وان المطر لا تنزل الا بالروسية ومعارفها وان جريان الفصول الاربعة على هذا الترتيب والنظام ليس الا بامر الروسية ومعارفها لفعلوا ولكن ليس هناك من ليس عنده خبر من حقيقة الحال فمن احاط بتلك الماجريات علما فقد تحقق عليه مقدار ديانة التتار وتصلبهم فيها وانفرادهم بالابتلاء بتلك البليات دون غيرهم وصبرهم عليها تلك المدة المديدة ومتانتهم وثباتهم على الحق وانه قد تحقق فيهم مضمون قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الآيات وقوله تعالى فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية وقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الآية فانهم جاهدوا فى تلك المدة كلها ولا يزالون يجاهدون الى الآن ولا يأخذهم فى الله لومة لائم فان المجاهدة ليست مختصة بالضرب بالسيوف وقوله تعالى ويستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم فان اهل الاندلس انمحوا فى اقرب مدة بادنى اكراه وهؤلاء لا يزالون يحفظون دينهم ومليتهم وقوميتهم مع تلك المعاملات الشديدة طول مدة مديدة من دولة قوية من غير ان يصل اليهم ادنى مدد من الخارج اليس من اعجب الاشياء واغربها مقاومة امة قليلة ضعيفة لا يبلغ عددهم فى اول امرهم ثلاثة ملايين هذه المقاومة العجيبة فى تلك المدة الطويلة دولة قوية تخافها سائر الدول تبلغ عدد نفوسها ١٣٠ مليونا على الاقل بحيث لا تقدر ان تنال شيئا من بغيتها منهم سوى الاذية كما قال تعالى لن يضروكم الا اذى الآية بل يكون الامر بالعكس واغرب من ذلك كله اصرار تلك الدولة على مقاصدها المذكورة وتحصيل

اغراضها الفاسدة منهم بلا سآمة ولا ضجر ولا فتور باختراع انواع الحيل فيها مع اراءة الزمان لهم خلاف ما راموه دائما وحصول التجارب الكثيرة لهم في تلك المدة الطويلة واعترافهم بذلك واعلانهم به بواسطة جرائدهم منها ما نقلته جريدة بولديز عن حيات الكنيسة الروسية من مقالة كبير طائفة ميسيونير بقزان الشوبير بياكوبلوف خلاصتها التأسف واظهار التحسر على مساهلة الميسيونيرين في وظائفهم وتفويتهم الفرصة الصالحة لها وعلى منع يكاترينا الثانية امر الاكراه والاضطهاد والغائها المحكمة المؤسسة لذلك الامر على مامر بيانه وعلى عود ٣٠،٠٠٠ نفس من المكرهين الى دين الاسلام بموجب فرامان امپراطور الصادر في ١٧ اوكتابر سنة ١٩٠٥ م وعلى ازدياد قوة دين الاسلام في الروسية وسرايته الى طوائف چواش وچرمش وآر واستيعابه اياهم تماما واجتهاد التتار في نشره بينهم الخ ومثله في جريدة ترجمان نقلا عن جريدة تلغراف قزان وفيها التحسر على عدم معاونة من الحكومة لطائفة ميسيونير الخ وليت شعري ما معنى عدم معاونة الحكومة بعد تلك التكاليف المار ذكرها وكانها اراد بالمعاونة ضرب رقاب المسلمين حتى يتنصروا والا فغير ذلك قد فعل كما مر ومنها ما كتبه الفاضل المحترم عبد الرشيد افندي الابراهيمي في جريدته الفت من مقالة مادموزل چيچيرنه التي نطقت بها في ١٧ آپريل سنة ١٩٠٦ وهي ايضا عبارة عن اظهار التحسر على عدم ترتب النتيجة المطلوبة على تشبثات الحكومة في خصوص تنصر التتار مع بيان كيفية تشبثاتها في العصر السادس عشر والسابع عشر على نحو ما تقدم من المقالة الميسيونيرية وعلى ميل طوائف چواش وچرمش وآر الى الاسلام والمسلمين وعلى اجتهاد المسلمين في نشر الاسلام بينهم اكثر من اجتهاد الروس في نشر دينهم وعلى ان اساس الدعوة الى الدين في الاسلام احسن من اساس دعوة النصارى وعلى ان الديانة والمعارف والمدنية اكثر في المسلمين من الروس وعلى ان نفوس المسلمين في ولاية اوفا اكثر من نفوس الروسية فيها بكثير حتى ان فيها ١٦٠٠ مسجد بينما كان فيها للروسية ٣٠٠

كنيسة وبجنب كل مسجد مكتب اومدرسة مع ان الحكومة لاتعطيهم شيئا لبنائها بل هم يبنونها من اموالهم وان الذين يعرفون القرأة من المسلمين اكثر من الروسية بحيث يوجد القراء منهم ٤٠ فى مائة على الاقل وعلى ان الكتب عندهم من جميع الفنون كثيرة جدا وانهم يطالعون جرائد الروس ويردون المقالات الميسيونيرية فيها بحيث لايتركون مقالة منها بغير رد وان الجمعية الغورية فى اكاديميا قزان وان تشكلت فى خصوص جلب التتار نحو الروسية ولكن لم يكن لها فيهم ادنى تأثير بل صارت سببا لتحرك (١) عصبية التتار وتقدمهم بحيث حصل لهم فى مدة سنة ٢٠ من الترقى بسبب سوء تدبير طائفة ميسيونير مالا يتوقع حصوله لهم مائة سنة ١٠٠ لولاه والتشبث بعد ذلك فى تدبير جلب التتار نحو الروس والفكر فيه اعداد عدو جديد للحكومة والتتار يفرحون بمغلوبية الروسية من ياپونيا جدا ويقولون انه انتقام الهى من الروس فى مقابلة ظلمهم لدين الاسلام (لاشك فيه يقوله كل احد بل اختلاله الداخلى ايضا كذلك بل هو اكبر من ذاك) ثم انتقلت الى تدابير شيستاكوف واياميسنكي وبناء مكتب لاقراء اولاد المكرمين فيه ومدحتها وذكرت نجاحها واومأت فى غضون كلامها الى لزوم اتحاد التدابير المذكورة فيها بعد الخ والحاصل انهم مع تيقنهم بعجزهم عن تحصيل اغراضهم الفاسدة المذكورة واعترافهم بذلك وبمضرتها عليهم لاارى فى كلام احد من عقلائهم وادبائهم بيان وخامة عاقبتها وتسببها لخراب المملكة بالكلية (٢) وكونها سوادا لايزول فى صحائف

---

(١) وهذا هو محل الاستشهاد من كلامها فان التكاليف الاخيرة انما هى من مخترعاتها الابليسية كما مر بيانها مفصلا .منه عفى عنه .

(٢) اعنى رسما وممن كانوا فى الطبقة العليا منهم وفى الدوائر الكبار من حكومة الروسية والا فكثير منهم يلومون الحكومة لتلك التشبثات الجائرة ولا سيما من يقيم منهم بين المسلمين مجاورين اياهم ومختلطين بهم كتب بعض اعزة الافاضل فى بعض آثاره ان واحدا من مأمورى محاكم القضاء جاء بلدة اوفا وقال قد عجزنا من اجراء تدابير الحكومة العمياء فى حق مكاتب المسلمين ومدارسهم فانها تنشر اوامر وفرمانات مخالفة للمعيشة والعادة ليست نتائجها سوى الضرر المحض فى حق المسلمين

تاريخ الروسية فى القرن العشرين وسببا لكونهم مسخرة ظاهرة امام كافة الدول والملل المتمدنة وغير المتمدنة وفوات اوقات امثال هذه الامور الوحشية حتى فى اواسط قارة آفريقا ولكن اذا تأمل المتأمل فيما فعلته الروسية ولاتزال تفعله الى الآن فى حق الاسرائليين بل فى حق من يطلب منها من قومها حريته وسائر حقوقه لايستغرب ذلك منها بل يخاف صدور مثل ذلك عنها فى شأن التتار وليس هو ببعيد ان لم يكن عناية ووقاية من الله والحاصل ان بخار تعصب النصرانية استولى على ادمغتهم استيلاء لايرجى زواله بالسهولة وهذه الاحوال كلها من تأثيره وستره عقولهم ومداركهم بالكلية واعجب واغرب وابدع من ذلك كله تمنيهم حب التتار اياهم مع معاملاتهم هذه ونقمهم منهم ببعض الروس حتى ان والى اورنبورغ لما جاء قارغالى سنة ١٣١٩ لتفتيش مدارسهم وتضييقهم والتشديد عليهم ورأى فرار صبيان المكتب عنه وبغضهم وعابهم وقال انتم تلقنون اولادكم عداوة الروس تنفرونهم منهم ولايدرى ان الاولاد والصبيان لايخفى عليهم شئ من معاملاتهم لرؤيتهم اياها باعيونهم اوسماعهم باذانهم لكثرة ذكر الناس اياها وكثرة سؤال بعضهم بعضا ماذا صدر عن الحكومة فى حق المسلمين وباى شئ كلفوه واى شئ حدث فى شأنهم حتى انهم اذا رأوا مأمورا من مأمورى الروس يخافون ان يكون مجيئه لتعليق الصلبان عليهم وهذا ليس فيه ادنى مبالغة فاذا كيف يحبون الروسية وكيف

وفى حق الحكومة ايضا حتى اننا نستحيى ان نظهر انفسنا لعيون وطنيينا المسلمين الذين نعيش معهم ونعاملهم بكمال المحبة ومتى اجتمعنا بالمسلمين يحمر وجوهنا خوفا من مذاكرتهم ايانا فى شأن تلك الاوامر الجائرة اه وقد سمعت الفقير باذنى كثيرا منهم يلعن الحكومة فى هذا الخصوص عموما وعلى طائفة ميسيونير خصوصا لكونهم محركى هذه الفتن وقد مرمرارا توصية كثير منهم ايانا بالدعاء ليابونيا لقبح نية الحكومة فى شأن المسلمين لولا حربها وغلبتها اياها . ولكن فى هذه الايام صار كثير من ارباب طرف الحرية منهم يكتبون فى جرائدهم بتقبيح تدابير الحكومة الجائرة وكون المسلمين مظلومين ومغدورين عسى الله سبحانه ان يخلق لنطقهم هذا تاثيرا . منه عفى عنه .

لايبغضونها وكيف لايفرحون بمصيبتها ومغلوبيتها(١) وماذنبهم فى ذلك وكيف ينقمون ويعابون به ولاى شيء لايوبخون ولايلومون ولايذمون انفسهم حيث صاروا هم السبب فى ذلك كله وكانهم يريدون ان يكون التتار كالكلاب يضربها اصحابها وهى لاتترك نصحهم ولاتبغضهم ولكن التتار لايقبلون ذلك ويبغضونهم جدا المعاملا انهم المذكورة حتى بلغ بغضهم اياهم مبلغا صار لفظ الروس اقبح الفاظ السب والشتم بحيث لايبقى بعد اطلاقه الاالمضاربة بخلاف سائر الالفاظ القبيحة كيا كلب وياخنزير ويا كافر فان كل ذلك دونه فعلى هذا صار تشديدات الروس وتضييقاتهم عليهم لطفا ورحمة من الله شأنهم من جهة اخرى حيث ان بغضهم اياهم ونفرتهم عنهم صار سببا لتباعدهم وتنفرهم عن اخلاقهم وعاداتهم فان عاملوهم بالرفق واللين والانسانية والمدنية لكان يخاف من ميلهم اليهم وركونهم شيئا فشيئا والآن حيث يتوقع الدخول فى دور جديد يخاف من ذلك والله المدبر بل صار يقع شيئا فشيئا (٢) وبعد الاحاطة بجميع ما مر لايستغرب بمغلوبية الروسية فى هذا الحرب الاخير من اليابان فان الحكومة لما كانت مهتمة ومعتنية ومشغولة بامر

---

(١) مع ان كثيرا من عقلائهم ومنصفيهم سيتوصوننا بالدعاء لليابونيا ويصرحون بنوايا الحكومة فى حق المسلمين لولاحربهم اياها كما مر آنفا منه عفى عنه .

(٢) كتب فى بعض اعداد المؤيد الغراء مانصه «التعصب ابن الاضطهاد» «نابوليون الاول» كنت أقرأ بالامس كتاب الدكتور اومارا طبيب نابوليون الخاص فى جزيرة القديسة هيلانة وفيه آراء ذلك الرجل الكبير فى مواضيع مختلفة . فوصلت الى محادثة ٢٧ يناير سنة ١٨١٦ ورأيته يحادث طبيبه الانكليزى فى أحوال انكلترا لذلك العهد قال «لو اننى ولى الامر فى انكلترا لبدأت أولا باتخاذ الوسائل العاجلة لوفاء الدين العمومى فاحتكر لهذه الغاية أموال الكنائس . وانتم لو حررتم الكاثوليك فى انكلترا من عبودية القوانين الصارمة والتقاليد القديمة فانكم تستفيدون كثيرا . ولست أعلم ما الذى يمنع حكومتكم عن اطلاق الحرية للكاثوليك فبينما نرى الامم جميعها تتخلص هذه الايام من ربقة التعصب وتحطم قيوده الذميمة اراكم أنتم تحرصون على قوانينكم القديمة التى لاتليق لهذا العصر وهى جديرة بالقرون الماضية المظلمة . لما عرضت مسألة تحرير الكاثوليك فى انكلترا لاول مرة كنت مستعدا أن أدفع ٥٠ مليونا من الجنيهات فى سبيل حبوط تلك المساعى حتى لا يتم المشروع لانه لو تم لاضر بمصلحتى فى ارلندا وأفسد على مشروعاتى السياسية . ذلك لانكم يوم تحررون الكاثوليك وتساوونهم

من التكاليف المذكورة والقسم الاعظم من رعاياها الشاغل قسما اعظم من اراضيها الحائز موقعا اهم فى ممالكها مشغولا بمقاومة تهاعديم النشاط فى الكسب خائر القوى مترددا بين البقاء فيها والهجرة منها كيف تفرغ لنشر المعارف بين افراد رعاياها وتنسيق عساكرها وتحسين شؤنانها وكيف تزيد ثروتها المالية ولم يكن تضييقها مختصا بالمسلمين فقط بل كان عاما الكل طائفة من رعاياها حتى لجنس الروس اما تضييقها وتشديدها فى حق الاسرائيليين واهل بولونيا (لهستان پالاق) فمعروف ومشهور فى حق الروس نفسها فانه كان يشدد على طائفة ملكان المسماة لديهم باستارى وبره يعنى الدين القديم جدا ومن جهة اخرى كان دائرة معارفها ضيقة جدا لم تزل تضيق على اربابها وتجعلهم تحت مراقبة المتعصبين الملقبين بلقب سانسور (صيزور) ولم يكن تضييق هؤلاء المتعصبين اعداء المعارف والانسانية بسبب انصباغهم بصبغ المسيونيرية عليهم اقل من تضييقهم على المسلمين حيث كانوا لايساعدونهم فى تحصيل اى فن شاؤا ولا اى مقدار شاؤا ولا قراءة اى كتب شاؤا بل كان كل ذلك معينا محدودا بتحديدهم وتعيينهم

بالبروتستانت فى بلادكم يتحولون فى الحال الى رعية صادقة أمينة مخلصة الولاء. لو تخلص الكاثوليك من بعض قيود العبودية الحاصرة وجازلهم ارسال نواب منهم الى الدر امان وغير ذلك تجدون للحال انهم يعدلون عن تعصبهم الذى تشكون منه ويقطعون عن تمسكهم الشديد بمبادئهم الخاصته لان التعصب ابن الاضطهاد — وتعصب الكاثوليك فى بلادكم ناتج عن قسوة شرائعكم فى معاملتهم فاذا ألغيتم تلك القوانين وغيرتم هاتيك الشرائع وحللتم القوم من قيودهم وعاملتموهم كما تعاملون البروتستانت لا تفوت سنوات معدودة حتى يتلاشى بغضهم وتزول أحقادهم ويقوم مقام ذلك شئ كثير من التساهل والاخاء. والاولى بكم أن تقتدوا بى وأن تعاملوا كاثوليك انكلترا كما عاملت انا بروتستانت فرنسا». هذه آراء نابوليون منذ مائة سنة . خلاصتها (ان الضغط يوجب الانفجار) وهو ما عبر عنه بقوله ان (التعصب ابن الاضطهاد) وقد علمت انكلترا من ذلك الحين ان الرجل كان صادقا فى كلامه وان رأيه هو الصواب فلما ابيح للكاثوليك حق المدنية فى انكلترا اذا بهم صاروا أصدقاءها فتلاشى بغضهم الدينى والجنسى واتفقوا مع سائر أفراد الامة على السعى وراء اعلاء مجد الدولة الانكليزية. اه بعبارته .

وما كانوا يساعدونهم في اخراج كتب مفيدة من آوروپا وهذا مع قلة ارباب المكاتب والتحصيل ولهذا كانت المعارف عندهم بالنظر الى ذاتها و بالنظر الى اربابها قليلة محدودة جدا الان المعارف عند هولاء المتعصبين عبارة عن مسائلهم الدينية من اعتقاد التثليث في ذات الله تعالت وتقدست وما يتفرع عليه مما يستهجن ذكره وعبادة الالواح المصبوغة ولذلك طلب قوراپاتكين من الحكومة ارسال قطار كامل من تلك الالواح المصبوغة ليستعين بها على الياپان فوقع (١) القطار المذكور من سوء حظهم بيد المارشال اوياما فلم ينتفع به سوى اسارا هم بيد ياپونيا فان ياپونيا فرقها اليهم وقال استأنسوا بآلهتكم التي كنتم تتوقعون منها العون والنصرة فخذلتكم وليس هذا ببدع منهم فانهم كانوا يستنصرون بصورة مريم عليها السلام على زعمهم ويستغيثون بها في محاربة ديمترى دونسكى مع مماى وحين توجه تيمرلنك نحو بلادهم وحين توجه الامير ايدكو نحو موسكوا على ما تقدم ونسبوا بقاء الروسية سالمة منهم وانتصار ديمترى دونسكى على مماى اليها وعظموها اشد تعظيم واجتمعوا لديها وعبدوها وكذلك فعل ايوان المدهش حين حارب اهل القزان كما صرح به كارامزين وقال في مطالع شموس السير (٢) المؤلف لبيان وقائع قارلوس الثاني عشر ملك اسوج المسمى في تواريخ العثمانيين تيمرباش مع الپطر الاكبر ملك الروس : وصارت مدينة موسقوا في الخوف والحزن عندما بلغها خبر هذه الهزيمة ومن كبر هؤلاء الاهالي وجهلهم ظنوا ان غلبتهم (الاسوج) تجل ان تكون بشرية وانما اعتقدوا ان الاسوجيين سحرة وصار هذا الرأى عندهم عاما حتى انهم استغاثوا بالمقدس نيقولاس (اوغو تنيك نيقولاى) وهو استاذ مسقوبي وصورة هذه الاستغاثة غريبة فلا بأس بذكرها هنا وهي يا مار نيقولاس يا مفرج كروبنا وصارف همومنا انت ذو القدرة الغير المتناهية هل اذنبنا في قرباننا وركوعنا وسجودنا

(١) وقد شاع بين المسلمين ان الروس يقولون ان المارى نيقولاى غضب عليهم لارسالهم مع صوره صور صار يفيم اللقى وجده قريبا في ولاية نيژنى . منه عفي عنه .

(٢) وهو معرب من الفرانساوية . منه عفي عنه .

اوفى خضوعنا وخشوعنا اوفى افعال الشكر لك متى استحقنا ان تتركنا هكذا
فقد تضرعنا اليك لتغيثنا من هؤلاء الخلق المهولين ارباب الاساءة والفجور
والارعاب المتلفين الذين لا ينقادون فقد هاجموا علينا كاسرين كالاسباع
والذئاب الثاكلة لاولادها وازعجونا وجرحوا وقتلوا منا الجم الغفير
نحن قومك ولما كان من المستحيل ان يحصل هذا من غير سحر فترجاك
يامار نيقولاس ان تكون ناصرنا وحاملو لوائنا وان تنقذنا من هؤلاء السحرة
ونطردهم بعيدا عن حدودنا مع مايستحقونه من الجزاء انتهت وفى اثناء
شكوى المسقوبيين لمارى نيقولاس ماحصل لهم من الهزيمة كان كرلوس
الثانى عشر يشكر الله عز وجل ويستعد لنصرة جديدة اه قلت ولما حصل
الانتصار للروس على الاسوجيين فى الآخر لاشك انهم اعتقدوه من مارى
نيقولاى على عادتهم القديمة وبقى هذا الاعتقاد فيهم مع نمو وازدياد بما
حصل لهم من الانتصارات المتعددة على الامم المتجاورة الى زماننا هذا وزعموا
انهم استحقوها بسبب اعتقاداتهم المذكورة لتلك الصور وتعظيمهم وعبادتهم
اياها واستغاثتهم بها ولم يدروا ان هذا استدراج من الله تعالى فى حقهم
بموجب قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى
لهم ليزدادوا اثما وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون واملى لهم ان كيدى متين وغير ذلك من الايات ولذلك طلب
قوراپاتكين تلك الصور ليستغيثوا ويستنصروا بهم على اعتقادهم والحاصل أن
انتصارات الروس بعد محوها دولة التتار لم تكن بالمهارة والحذاقة والمعارف
بل لاسباب اخر ليس هذا محل بيانها ولا تخفى على اربابها ولم يكن انتفاخ
الروس بالعظمة والكبر الا كانتفاخ ذكر الدجاج الرومى وعلى الخصوص
لم يكن قوراپاتكين من ارباب المعارف كفوا لقواد ياپونيا وانما كان
مبدأ امره ان انتصر على تركمان تكه فى موضع كوك توبه تحت قيادة الجنرال
اسكوبلف سنة ١٨٧٣ ثم امضى اكثر اوقاته فى تلك الاقطار ونظم بلدة
عشق آباد (اصحاباد) ثم ترقى الى رتبة نظارة الحربية دفعة على سبيل الطفرة
لسبب لا اذكره هنا ولم ير المدارس الكبار ولم يجرب الامور فزعموا ان

الذى انتصر على تركمان تكه ينتصر على ياپونيا كما زعموا ان چيرنايف لما انتصر على اهل تركستان وطاشكند ينتصر على العثمانيين فتبين خطأهم فى كلا الزعمين حيث كانت النتيجة بخلاف مازعموا فى كلا الوقعتين ولم يدروا ان ياپونيا ليس عنده تعصب دينى ولا يشتغل رجال حكومة ميقادو بمحاربة رعاياه وازعاجهم وربط ايديهم عن الشغل والكسب وتحصيل المعارف والمدنية والترقى فبها بل كل فرد منهم يواصل ليله بنهاره فى تحصيل المعارف والمدنية والصناعة والتنسيقات العسكرية وجمع الثروة وتسهيل طرق الكسب والمعاش من جميع وجوهه واعداد الآلات والبواخر الحربية بكمال الحرية والنشاط وقد تيقن ذلك اعنى الفرق الكثير بين استعداد الدولتين للحرب وقوتهما افراد من كبار رجال الروسية وقد نقل عن الكسى انه كان غير راغب للحرب وكارها له ونقل عن الادميرال ما كارف الذى مات غريقا امام پورت آرتور انه قال انى متيقن بمغلوبيتنا فانا لم نشتغل فى مدة خمسين سنة بسوى امور طائفة ميسيونير ولم نهتم ولم نعتن فى تلك المدة بسواها فليجيئوا هنا وليقاتلوا ياپونيا وكذلك طلبة المكاتب الكبار كانوا غير راضين بمسلك الحكومة وكانوا يعترضون عليها دائما ويكونون معرضين لسخطها وغضبها وعقابها اياهم بالحبس والنفى لغلبة بخار تعصب النصرانية وكان لسان حال كل منهم يقول ع نصحت فلم افلح وغشوا فافلحوا. ولكن كانوا لا يقولون ع فمادمت لاانصح وان مت فانعى لى . بل لم يزالوا يعترضون عليها منتظرين الفرصة لاحداث الاختلال ومستعدين له دائما فلما تمت مغلوبية الروس بافظع مايكون وانكشفت حقيقة الحكومة وتبين سوء مسلكها عيانا لذى العينين ولم يبق احد لم يفهم سوء تدبيرها وصرف عنايتها الى مالا ينبغى الاعتناء به وعدم اهتمامها بمايهتم به ووجدوا لهم انصارا اقاموا قومة رجل واحد لاصلاح شئون الحكومة وتقويم مسلكها الاعوج ولم يبالوا ببذل ارواحهم فى ذلك فضلا عن الاموال ورأوا ذلك اهون شئ فى سبيل انقاذ الوطن وتخليص الملة عن الهلاك والبوار والدمار والانقراض وسنى سرعة اجابة العوام والعملة وتلبيتهم

دعوتهم فى اول وهلة هو انه كانت اصابتهم ايضا حصة عظيمة من ظلم الحكومة من جهة الدنيا والمال وان لم يكن من جهة الدين فانها كانت تحمل عليهم من الاموال للميرى (ويركو) مالايطيقونه وهم فى غاية الفقر عاجزون عن اعاشة انفسهم واعاشة عيالهم ليس لهم تجارة وليست لهم اراض يتعيشون بالزراعة وليس لهم صناعة وان الحكومة لم تعلمهم ذلك ولم تبن لهم مكاتب لاجل تعليمهم اياها وهم قد تخلصوا عن رقبة الاعيان الملقبين ببويار بعد حرب قريم وسواستاپول وهؤلاء الاعيان عندهم من الاراضى والغابات والعقارات والمزارع وسائر الاملاك مالايعد ولايحصى وهذه الثروة لم تحصل لهم الا بواسطة هؤلاء التعسا واباءهم واجدادهم وهم يضيعونها فى انواع السفاهة من الاكل والشرب والقمار وفى سبيل الفواحش فى الروسية وبلاد آوروپا وفضلا عن ذلك ان كثيرا من رجال الحكومة يعطون الرتب العالية والمعاشات الوافرة والنياشين والمداليات الفضية والذهبية من غير صدور ادنى خدمة منهم للوطن والملة وهم يفتخرون بها ويتعاظمون ويتكبرون ويحتقرونهم ويزدرؤنهم وعلى ظهورهم اعلى ما يكون من الثياب وصدورهم ملآنة من النياشين والمداليات ويضيعون النقود التى يعطونها باسم المعاش والرواتب من الخزينة التى جمعت من اموال هؤلاء التعسا فى سبل الفساد والاسراف والتبذير والفاحشة والتنزه فى بلاد آوروپا وهؤلاء التعسا يكادون يموتون من هم وعيالهم من الجوع والبرد فلما افهمهم الطلبة قبح هذه الاحوال وكونها مما لايطيقه بنو البشر وعدم استحقاقهم لذلك ادنى استحقاق تيقنوا انهم هم العدو وتمكنت عداوتهم فى قلوبهم بحيث لايبالون بما يفعلون بهم ماشاؤا فصار من نتيجتها اعلان الامپراطر حرية الاديان والوجدان والقلم واللسان ورضاه بفتح مجلس النواب والمبعوثين وذلك فى ١٧ اكتوبر من عام ١٩٠٥ وفتح مجلس النواب والمبعوثين فى ١٧ آپريل من عام ١٩٠٦ الا انهم طردوا بعد دوامه مدة شهرين وبضع ايام من غير حصول المطاليب وقد مضى الى الآن من وقوع هذا الاختلال سنة ونصف

سنة تقريبا (١) والفريقان فى التجاذب والتضارب على ما يعرفه كل احد واكثر الآوروباويين يفرحون بذلك لانهم يشتهون انقراض الروسية وعلى الاقل ضعفها ولذلك لايزالون يحرضون الطرفين على الثبات على ماهم عليه وربما يعاونون الاهالى باعطاء النقود والآلات وميعاد موزاحد الطرفين هو اجتماع المبعوثان اجتماعهم الثانى وقد حان الآن وقته فان فازوا فيه بمطالبهم فقد تخلصت الروسية من الوبل وتحصل لها حينئذ قوة زائدة وشوكة فائقة وتتحسن احوالها وتصلح وتصير الدول كلها تخافها حقيقة فى اقرب الاوقات فان موقعها متين منيع فان خوفها انما هو من جهة آوروبا واما سائر جهاتها فلا خوف لها منها قط ومملكتها واسعة واراضيها صالحة للزراعة منبتة ومحصولاتها كثيرة والاسباب موجودة وانما كان النقصان فى فقدان حسن الادارة فان انضم هو ايضا الى ما ذكر فلا شبهة فى كون الروسية اكبر دول العالم وان يكن الثانى اعنى غلبة الحكومة الظالمة المستبدة على مريدى الاصلاح فالله يعلم حينئذ مايؤول اليه امرها والزمان حبلى بالحوادث وقد دخل فى شهره التاسع فننظر ما ذا يلد ذكرا ام انثى وكل آت قريب (٢) **تنبيه**

ربما يظن من البيانات السابقة ان حكومة الروسية لا تزال تستحقر دين الاسلام وشعائره ويعامل المسلمين بالظلم والضيم فى سائر المعاملات وليس الامر كذلك انما هى اعنى معاملتها بالظلم مخصوصة بامر الدين ولكنها لاتظهرها فى صورة الظلم بل فى قالب النصيحة وارادة الخير وتريد بذلك ستر مرامها كما تقدم الا انها لشدة حرصها وشرهها فى نشر النصرانية وتعميمها يجاوز الحد من حيث لاتشعر وهى تظن ان مرامها يخفى على المسلمين وانهم لا يفطنون لذلك واما اصل قانونها ونظامها الآن فجميع الاديان وشعائرها متساوية فى الاحترام من غير فرق بين دين ودين وان كان الدين الرسمى

---

(١) بل مضى لها الى الآن اكثر من سنتين وهم على هذا الحال منه على عنه .

(٢) قلت وقد حصل هذا الاجتماع الثانى ايضا فى فورال عام ١٩٠٧ وطردوا فى اوائل ايون ثم اخترعوا قانونا جديدا لانتخاب الاعضاء احتالوا بذلك لتقوية نفوذ الحكومة واضعاف نفوذ مخالفيها وقد انتخبت الاعضاء الآن للمجلس الثالث وسيفتتح فى اول نوبابر من العام المذكور فنرى ما ذا يكون منه وكل آت قريب .

لديها الآن هو دين الروس عنى ان الجزاء الذى يترتب على من احتقر دين الروس وشعائره يترتب عين ذلك الجزاء على من احتقر دين المسلمين من غير فرق كائنا من كان فكما ان كنيسة الروس محترمة كذلك مساجد المسلمين محترمة معدودة من مواضع عبادة الله حتى ان صاحب اعظم جناية لو دخل اصغر المساجد لا يجوز لافراد البوليس وژاندارمه والعساكر وسائر رجال الحكومة الدخول فيه واخراجه منه فى النظام فان فعلوا ذلك كانوا قد ارتكبوا جناية اعظم من جناية الجانى المذكور حيث هتك حرمة حرم الله واخرج من التجأ الى حرمه منه بل يحيطون بالمسجد من الخارج من جميع جوانبه الى ان يخرج الجانى بنفسه وكذلك من احتقر القرآن او النبى صلى الله عليه وسلم او دين الاسلام يترتب عليهم اشد الجزاء وليس هذا سوادا فى بياض بل هو مرعى الاجراء وجار بالفعل وكذلك المسلمون مساوون لسائر الملل والروس امام المحاكم فى جميع الحقوق لا يظلمون ولا يضامون قط بل كثيرا ما يراعى جوانبهم وهم مطلقوا العنان فى اجراء عباداتهم من الصلاة وغيرها فى اى موضع كانوا فى بيوت الروس وفى البواخر وفى واغون السكة الحديدة من غير اعتراض ولا كراهة من احد حتى انهم اعنى الروس يعدون المياه اذا ارادوا التوضى ويعدون لهم مواضع الصلاة ويؤدى المسلمون الصلاة بالجماعة فى البواخر فى محل مختص بقپودان مع ان الدخول فيه ممنوع ولا يظهر لهم القپودان ادنى كراهة واذا طلب المسلم من جاره الروسى التفسح لاجل اداء الصلاة يفسح له من غير اظهار ادنى كراهة فكما ان النظام ان يؤخذ من طلبة الروس نصف النواون فى بواخر ولما كذلك النظام بعينه لطلبة المسلمين اذا كان بيده شهادة تامة من محكمة البوليس او حكام الناحية بكونه من الطلبة وكما انه لا يؤخذ الاجرة من الروس اذا لم تكن الحوائج زائدة على واحد پود (١٣ اوقه وثلث اوقه) اذا سلمها الواغون البضاعة كذلك المسلم لا تؤخذ منه الاجرة لذلك القدر وكما ان الكتب والاوراق وسائر ما يتعلق بالمعارف الروسية يؤخذ منها اجرة قليلة بالنسبة الى سائر الاشيا اذا سلمها لواغون البضاعة كذلك النظام فيما يتعلق بمعارف المسلمين من غير فرق وخلاصة

الكلام ان المسلمين اسوة للروسية فى سائر المعاملات والانتخابات (١) لا فرق بينهم وبينهم قط فى معاملة من المعاملات سوى ما مر بيانه وقد عرفت انهم يطبقونه على النظام فى الظاهر وكثير منهم مائلون الى الاسلام والمسلمين وكثير منهم يسلمون ويتعلمون الضروريات الدينية ويتمسكون بالاحكام الشرعية خفية ولاسيما الاعيان المقيمون بين المسلمين ويوصون ورثتهم واولياءهم بدفنهم فى مقابر على حدة وعلى رسم المسلمين وعاداتهم بعد ان يرضوا القسيسين ببذل حجر بطربورغ لهم للسكوت وكثير منهم من الرجال والنساء يهاجرون الى بلاد الاسلام وهم كثيرون الآن فيها (٢) والحاصل انهم يدركون قبح ماهم فيه من سوء الاعتقاد وحسن ما عليه المسلمون من حسن الاعتقاد وكثيرا ما يصرحون بذلك ولاسيما ارباب المعارف منهم الا ان ترك دين ابائهم وتخطئة عادات جدودهم يصعب على كثير منهم جدا والتكلم فى امر الدين وتخطئة مسلك الروحانيين كان ممنوعا لدى الحكومة اشد المنع بحيث كان يجرى على من صدر عنه ذلك جزاء قتل النفس الى ان ظهر القونت ليون بن نيقولاى التولستوى وشرع فى تخطئتهم فى اعتقادهم وسائر مسلكهم والف فى ذلك رسائل فكفرته جمعية الروحانيين ونشروا الاعلان بذلك فى ٢ فيورال سنة ١٩٠١ نمرة ٥٥٧ فرد عليهم اشد الرد وهذه المعاملة مشهورة وترجمة احواله بالعربية مؤلفة مطبوعة منتشرة فبعد ذلك فتح باب المكالمة فى الدين وصار اتباع القونت تولستوى يعترضون

---

(١) ويستثنى منها عدم اخذ الروحانيين للخدمة العسكرية فان هذا لا يجرى فى علماء المسلمين كما مر وكذلك امر انتخاب اعضاء الدوما فان العلماء لاحق لهم فيه الآن واما قبل ذلك فقد انتخبوا وانتخبوا . منه عفى عنه .

(٢) والآن لاحاجة الى الهجرة بل يتمسك بالديانة الاسلامية فى نفس بلاد الروسية فان كان الذى اسلم امرأة تتزوج من المسلم لامانع منه الا انه المهتدى لاينقل من دفتر الروس ولا يثبت فى دفتر المسلمين بل يعد فى قانون الروس من النصارى ويكون الاولاد كذلك واذا مات يدفن فى مقابرهم وعلى عاداتهم وقد اسلم هذا العام واحد من قسيسهم الكبار شهرته غرومف وسمى بيحيى بن اسكندر وهو مقيم الآن ببلدة قزان واسلمت معه حفيدته الصغيرة منه عفى عنه .

عليهم اشد الاعتراض وينشرونه فى الجرائد وبواسطة الرسائل المخصوصة وهم كثيرون ولا يزالون يزيدون يوما فيوما والمسلمون لا يخفى عليهم ادنى شئ من ذلك وهم يتهافتون على مطالعة تلك الجرائد والرسائل حتى قيل ان نسخة من نسخ جريدة نووى وريميا التى ادرجت فيها مقالة واحد من اتباع تولستوى لم توجد بخمس روبلة وبهذا يستدل على شدة سخافة عقول طائفة ميسيونير حيث انهم يحاولون جذب المسلمين نحو دينهم الذى يثبت بطلانه اصحاب العقول وارباب المعارف والفحول من الرجال المنسوبين اليه ويناد ون بذلك باعلى اصواتهم ويجتنب عنه الوثنيون من چواش وچرمش وآر فكيف ينجذب اليه المسلمون خصوصا ولكنهم من شدة سكرهم من شراب التعصب لا يدركون استحالة ذلك مع كونها اظهر من الشمس نعم حبك الشئ يعمى ويصم. بيان احوال هؤلاء التتار فى التحصيل والتعليم والتعلم قديما وحديثا على وجه الاجمال. لا يخفى ان فقد ان التاريخ فى هذا الباب ايضا يضيق علينا دائرة الكلام فيه كثيرا ونحن نتكلم هنا ايضا حسب ما بلغه علمنا بقرائن الاحوال فيما غاب عنا وعلى اليقين فيما شاهدناه وذقناه واعلم ان بناء المكاتب والمدارس هناك بيد الاهالى فهم يبنونها من اموالهم على مقدار قدرتهم فيها وليست هيئة كهيئة المدارس فى دار الاسلام من كونها مؤلفة من عدة حجرات يسكن فى كل حجرة منها واحد من الطلبة بل كل من المدرسة والمكتب على هيئة البيوت العادية تختلف فى الكبر والصغر ولم يكن بينهما فرق الى قريب من هذا الوقت بل كانا من قبيل اللفظين المترادفين وانما حصل الفرق بينهما قريبا من هذا الوقت فصار يطلق على كل ما يقرأ فيه صغار العلوم مكتبا وعلى ما يحصل فيه كبارها مدرسة والظاهر ان المكاتب والمدارس قبل عصر يكاترينا الثانية كانت قليلة جدا وبعد توليتها واطلاقها الاذن ببناء المساجد والمدارس صارت تزيد شيئا فشيئا بالتدريج البطىء الى ظهور التكاليف الاخيرة من طرف الحكومة واما بعد ظهورها فقد شرعت فى الزيادة الخارقة للعادة وصارت الاغنياء يتنافس بعضهم بعضا فى بناء المساجد والمكاتب والمدارس كل ذلك رغما على تكاليف الحكومة وحمية وغيرة عليها وفقهم الله

سبحانه لهذا الامر الخير بتوفيقاته الصمدانية توفيقاً عجيباً كما اظهر ايلمينسكي وجيجيرنة اسفهما لذلك مع ان الامر في حياة ايلمينسكي لم يبلغ هذا المبلغ الذي الآن بل كان اول ظهوره ومبدائه وابعض الاغنياء ومده مساجد ومكاتب متعددة يقوم بتربيتها وحده وكانت تربية المكاتب اولا في الامصار بيد الاغنياء وفي القرى بيد الطلبة الا اذا كانت قرية فيها الاغنياء فكانوا يقومون بتربيتها واما الآن فتربية كثير منها بيد الاغنياء ومرادنا بالتربية الحطب الذي يوقد فيها للدفاء ايام الشتاء وللطبخ والغاز المسرج والتعمير اذا احتيج واما معاش المعلم قدر الكفاية فيعطيه الآن الاغنياء واما اولا فكانوا يقنعون بما حصل لهم من الصدقة الا ان تعليمهم كان سطحياً كما سيجيئ واما كيفية التحصيل وما يحصل فيها فكان اولا اعني في صغرنا واوان تحصيلنا كان يقرأ لتعلم الحروف والحركة وتعلم النطق بها على طريق التهجي وربما كان يضيع لاجله مدة سنتين واكثر وكثير من الصبيان كانوا يخرجون من المكتب من غير ان يعرفوا شيأ ولا حرفاً واحداً بعد تضييعهم فيه سنين عديدة وبعض من الصبيان يبيتون في المكتب وبعض منهم يبيتون في بيوت ابائهم واما الطلبة الكبار فمباتهم في المكتب والمدرسة دائما واوقات التحصيل هناك من اول فصل الخريف الى اول فصل الربيع اعني من اول اوكتابر الى اول آپريل والمباشر لتعليم الصبيان هو الامام والمدرس في المدرسة ان لم يكن هناك كبار الطلبة والا فيقسمهم المدرس الى كبار الطلبة وهو يباشر تعليمهم واقراءهم والتهجي انما يكون في القرآن والقدر المستعمل منه لذلك هو من سورة الفتح الى آخر القرآن وهذا القدر يطبع مستقلا في قزان يقال له هفتيك يعني سبع القرآن ومبدأ طبع القرآن في الروسية قديم جداً اعني بالنسبة الى استانبول والهند فانه طبع في پطربورغ اول مرة سنة ١٧٨٧ وفي قزان سنة ١٨٠٩ وكان ينتشر منها الى الاطراف والجوانب حتى الى بلاد ايران وماوراء النهر وكاشغر فضلا عن قريم وداغستان وقزاقستان وتركستان وبعد تمام التهجي كان يعلم القرآن فمتى توسطه يضم اليه قراءة بعض الرسائل التركية المشتملة على الخرافات الكاذبة لغرض اتقان معرفة قراءة الخطوط ثم كان يترقى بعد

ذلك قراءة بعض الرسائل العربية والفارسية كشروط الصلاة وفرق حديث (اربعين حديثا) والاباب وهما مملوان بلاحاديث الموضوعة فضلا عن الضعيفة ومالم يكن موضوعا منها فسنده ومخرجه غير مذكوران ومثل بك حكاية من الفارسية وهي مشتملة على حكاية كاذبة موضوعة مفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم كانها وضعها بعض الروافض وبعد ذلك يقرأ كتاب تعليم الصلاة وتحفة الملوك وهما كتابان جيدان مفيدان مع ما في الاول منهما من بعض الاقوال الغير الثابتة ويمضي لاجل تحصيل ذلك سنتان واكثر ثم كان يبدأ بعد ذلك بقراءة علم الصرف من كتاب فارسي اسمه بدان لكونه مبدوا به بمباحث طويلة غير لائقة بالصبيان مخلوطة بالفارسية ثم يقرأ بعد ذلك من الصرف كتاب يسمى شرح عبد الله فارسي ايضا وهما وان كانا مما لا بأس به الا انه اى مناسبة وحكمة في تعليم اولاد التتار الفن الجديد الصعب بلسان اجنبي لم يقرع سمعهم قبل قط ويمضي لذلك كذلك سنتان واكثر ثم بقراءة عوامل الجرجاني بتقرير اعرابه بالفارسية كذلك ثم يقرأ شرح انموذج الزمخشري للاردبيلي وهو شرح غير منقح وغير مهذب ثم يقرأ كافية ابن الحاجب ثم بعض المواضع من شرحه لمولانا عبد الرحمن الجامي مع حاشيتي عبد الغفور وعصام وربما يضم اليهما اللبيب وغيره وبه يتم تحصيل النحو ثم يبدأ بقراءة شرح ايساغوجي لحسام الكاتي مع حواشي ملا نعمان وملا صادق ويحي الدين البردعي وربما يضم اليه حاشية السيالكوتي ثم يقرأ شرح الشمسية للقطبي مع حاشية السيد له ومع حاشية السيالكوتي لها وربما يضم لهما مفتي زاده ثم يقرأ بعض المواضع من شرح العقائد النسفية للتفتازاني مع حاشية الخيالي والسيالكوتي لها وملا احمد وربما يضم اليها غيرها ولا يميز في اقراء هذه الكتب بين من يستمر على تحصيل الى تمامه بختم الكتب عرفا وبين من يخرج من المدرسة قبل تمامه بل حين قراءته كتاب الشمسية اوقبل فيخرج حينئذ متصفا بالجهل المركب لم يعرف شيئا يعتد به مما يلزمه في امر دينه ودنياه والذي حصله يرميه على باب المدرسة لعدم لزومه عليه

ولا يعرف الحساب والكتاب اللازمين لمعيشته خصوصا في التجارة لعدم الاعتناء بهما هناك ثم يقرأ كتاب السلم في المنطق مع حاشيته للقاضي مبارك الكوفاموى الهندي وربما يضم اليها حاشيتا المولوى حمد الله والمولوى حسن ثم يقرأ ديباجة شرح التهذيب لملا جلال الدواني مع حاشية ميرزاهد الهروى له وحاشية القاضي المار ذكره الآن لها وغيرهما ثم يقرأ بعض المواضع من قسم الالهيات من شرح حكمة العين في الفلسفة القديمة واما قسم الطبيعيات والرياضيات منها فلا يقرأ منهما حرف ثم يقرأ بعض المواضع من التوضيح في اصول الفقه لصدر الشريعة مع حاشيته التلويح للتفتازاني ثم يقراء بعض المباحث لشرح جلال الدين الدواني للعقايد العضدية مع حاشيته الخانقاهي وتتمته وغيرهما بالاعتناء التام في تحقيق الوجوه الخمسة في الرد على الفلاسفة القدماء الذين ماتوا وانقرضوا قبل هذا التاريخ باكثر من الفي عام في قولهم بقدم العالم المستفاد من قولهم بالقدم والحدوث الذاتيين دون الزمانيين وكان وجه تخصيصهم الاعتناء بذلك مع ترك الرد على ملاحدة هذا الزمان كانهم انذروا ببعثهم من قبورهم في آخر الزمان ونبهوا على ذلك واكد عليهم بالاستعداد في ردهم قبل انبعاثهم من قبورهم او شيء آخر لم ندركه نحن وربما يقرأ في بعض المدارس بعد البلوغ مرتبة قراءة العقائد النسفية شرعة الاسلام والطريقة المحمدية وعين العلم من الاخلاق ويزعمونها كتب الاحاديث لجهلهم بها ومختصر الوقاية من الفقه وربما بلغني قراءة الهداية ايضا في بعضها واما التفسير والحديث فهما متروكان بالكلية وقد اخبرني بعض طلبة الملا محمد كريم افندي انه كان يقرئهم المشكاة والبيضاوى والله سبحانه أعلم وبهذا القدر يتم التحصيل وبه يكون ختم الكتب عرفا وكثير منهم يزعم انه استكمل الفنون والعلوم كلها بهذا القدر بحيث لم يبق وراءه شيء يستحصل بل يستحيل ان يكون وراءه شيء وان كان قايل منهم يعتقد ان هذا القدر هو تحصيل الملكة والقابلية والاستعداد لاستحصال ما وراءه من الفنون والعلوم والمعارف والكمالات ولكن لا يشتغل هؤلاء ايضا باستحصالها لعدم فراغهم من الاشتغال بما يلزمهم في معايشهم الحيوية وبتعليم ما تعلموه للطلبة وهذا

احوال عموم المدارس والمدرسين الذين ادركناهم وحصلنا بهذه الكيفية فى مدارسهم نعم هناك بعض المدارس لايحصل فيها الا العلوم الضرورية وما هو وسيلة اليها الا انها لندرتها كالمعدوم وهم فى اختيارهم هذه الكيفية فى التدريس تابعون لعلماء بخارى لكون تحصيلهم فيها واخذهم هذه العلوم بهذه الكيفية عنهم فانه لافرق بين الفريقين اعنى علماء بلاد قزان وعلماء بخارى فى انخاذهم واختيارهم هذه الكيفية فى التدريس والتحصيل الا ان بخارى لايقرأ فيه الصرف من اصل ولا شرح النموذج من النحو وكثير من المواضع التى تقرأ فى قزان من شرح الجامى للكافية والتفتازانى المنسفية وكتاب السلم من المنطق براسه ويزاد بدل هذه فيها قراءة الحواشى خصوصا للعقايد والتهذيب ولا يقرأ فيها ماذكر من كتب الاخلاق ولا غيرها ولا المختصر الا فى بيوت المدرسين ايام التعطيل والمعرفة والكمالة فيها عبارة عن قراءة الكتب المذكورة بالكيفية المسطورة ليس فيها غيرها قط والعلامة المحقق والفهامة المدقق ووحيد الدهر وفريد العصر والعالم النحرير هو من يقرئها ويدرس عنها على هذه الوتيرة لايعرفون غيرها ولايشتغلون به بل يرون الاشتغال بغيرها من الفقه والحديث والتفسير عبثا وتضييعا للوقت (١) نعم انهم يقرأون تفسير آية او آيتين من البيضاوى وحديثا او حديثين من المشكاة ومبحثا من الهداية وقت قراءة فاتحة الختم ودعاء ومع ذلك كان بخارى يعد معدن العلم والمعارف والكمالات ومنبع العلماء العاملين والفضلاء الكاملين المحققين المدققين لايذكر اسمه الا مقارنا للتشريف فيقال بخاراى شريف ويظن انه على حالته الاولى لم يتغير منها شىء ولايجوز تغييرها وتجويزه من جملة الكبائر التى خفيت على المحقق ابن حجر واذا لم يذكره

(١) وليس لاكثرهم مايجوز به الصلاة من القراءة وكذلك علماء قزان مع انهم ائمة فى الصلاة والذين لهم نوع معرفة بالقراءة مبتلون باسكان اواخر الايات وقت الوصل وهى عادة عامة مستمرة فيهم لايستثنى منهم فيها احد ومن نبه على خطائهم لايسمعون ولا يلتفتون اليه قط ولهم اعتناء تام فى تقليد اهل بخارى فى جميع شؤونهم حتى فى وضع طرف اليسار من الثوب على اليمين على خلاف السنة وليس هذا خصوصا بمن اقام منهم ببخارى بل يوجد فى غيرهم ايضا منه شىء منه .

فى الزواجر وهذا الظن كان عاما الى قريب من هذا الوقت ولذلك كان المستعدون من ارباب التحصيل يعدون السفر الى بخارى للتحصيل والاقامة فيه سنتين او ثلاثا على الاقل فرضا لازما على انفسهم وكانوا يعتقدونها مفخرة عظيمة ولكن لما اتصل البلاد بعضها ببعض وتقاربت الطرق وسهل السفر الى البلاد البعيدة والممالك الشاسعة بسبب حدوث البواخر والسكك الحديدية وشرعت المستعدون يرتحلون ويسافرون الى الآستانة ومصر والحرمين الشريفين بعد اقامتهم ببخارى مدة من الزمان ادركوا خطاء الظن السابق حين رأوا فرقا كثيرا وبونا بعيدا بين بخارى وبين تلك البلاد فى العلوم والمعارف والكمالات وايقنوا ان الحكم على بخارى بكونه معدن العلم والكمالة ليس هو بالنظر الى حالته الحاضرة بل بالنظر الى حالته الغابرة بحكم استصحاب الحال الذى هو دليل عند البعض وعند البعض ليس بدليل سواء فصاروا يفهمون ذلك سائر المستعدين فترك كثير منهم بعد ذلك الرحلة الى بخارى لطلب العلم وطفقوا يفدون لاجل الى البلاد المذكورة(١) والحاصل ان الممالك والبلاد والاقوام والدول والملل يتطورون الى اطوار كثيرة من السعادة والشقاوة كما يتطور اليها الاشخاص كما قال الشاعر شعر:

واذا نظرت الى البلاد وجدتها * تشقى كما تشقى البلاد وتسعد

وهذا وان كان ظاهرا اليوم فى كافة ممالك المسلمين وبلادهم الا انه فى بلاد الايران اعنى عراق العجم اظهر فانه كان اولا رياض المفسرين وبستان المحدثين وحدائق الفقهاء والصالحين فانظر اليها الآن تجدها مأوى الشياطين ثم بعد ذلك فى بخارى وراقم هذه الحروف وجدتها بعد التفكر الكثير والتأمل الطويل فى احوالها وماجرياتها ثلاثة ادوار كل دور منها ادون من سابقه فى العلوم والمعارف الدور الاول من ابتداء القرن الثالث الهجرى

---

(١) ولكن يا للاسف التأسف على ان بعض من رجعوا من مصر صاروا عارين من الديانة والآداب الاسلامية والاستقامة فبذلك توقف الناس من ارسال اولادهم الى تلك الديار وهم محقون فيه فان مطاليب المسلمين هى هذه الاشياء فاذا فقدت فائدة اكتسبنا بدلها هدانا الله واياهم الى سواء الصراط منه عفى عنه .

الى نهاية القرن السادس الهجرى وظهور چنكز خان اعنى مدة ٤٠٠ سنة فان الامام اباحفص الكبير احمد بن حفص تلميذ الامام محمد الشيبانى رحمهما الله تعالى لما جاء ها بتخم فقه الامام الاعظم ابيحنيفة رضى الله من طرف دار السلام ودار الخلافة بغداد وزرعه فى تلك الاراضى المباركة استوعب الزرع المذكور كافة اطراف تلك الاراضى واستغرق جميع اقطارها بل اكناف ممالك توران وبلاد تركستان كفرغانة والشاش واسيجاب وطراز وصغناق فى مدة يسيرة على سبيل خرق العادة فادرك فيها فى زمن يسير اصحاب التخريج وارباب الترجيح والفتاوى وشمس الائمة الحلوانى وشمس الائمة السرخسى واصحاب المحيطات الاربعة وفخر الاسلام وصدر الاسلام البزدويين والشيخ ابو منصور الماتريدى امام اهل السنة والحاكم الشهيد وبرهان الدين الكبير والصدر الشهيد والفقيه ابو الليث السمرقندى وابو حفص نجم الدين عمر النسفى والامام ابو عبدالله محمد بن اسمعيل البخارى صاحب الجامع الصحيح وابو عيسى والحكيم محمد بن على الترمذيين والامام الزاهد المفسر وابو نصر الفارابى وابو على بن سينا وغيرهم من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والفلاسفة الكبار الذين لا يحصيهم العد ولا يحصرهم الاحصاء والحد وآخرهم الامام قاضيخان المتوفى فى سنة ٥٩٢ وصاحب الهداية المتوفى فى سنة ٥٩٣ وفى هذا الدور كان بخارى معدنا لجميع العلوم والكمالات ومجمعا لكافة المعارف والفنون ومنبعا للفحول من الرجال الافاضل وموصوفا بالشرافة بحق بلا ريب ولا شبهة والدور الثانى من اوائل القرن السابع الهجرى الى آخر القرن العاشر الهجرى اعنى من خروج چنكزخان الى اواسط عصر الخوانين الاوزبكية مدة سنة ٤٠٠ ايضا وهذا الدور وان كان شأنه انقص من شأن الدور السابق الا ان بين اوله وبين آخر السابق مشابهة تامة ومناسبة كاملة حيث لم تنطف فيه انوار العلوم ولم تذبل ازهار المعارف والفنون فيه باستيلاء التتار عليه لعدم تعرضهم للدين والعلم والعلماء فبقى من تلامذة العلماء العابرين علماء اعلام وفضلاء ذو والافهام والمحققون العظام كشراح الهداية قاطبة وشمس الائمة الكردرى والامام مختار الزاهدى وابو البركات حافظ الدين النسفى وصاحب

الوقاية وصدر الشريعة وصاحب الكشف ممن يعسر تعدادهم وقد كان التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى وغياث الحكماء والقاضى زاده الرومى وعلى القوشجى ومولينا الجامى كلهم من رجال هذا الدور وخاتمتهم واواخرهم ابو المكارم المتوفى سنة ٩٠٧ وعبد العلى البرجندى المتوفى سنة ٩٣٢ والفاضل العصام المتوفى سنة ٩٤٤ والقهستانى المتوفى سنة ٩٥٠ او بعدها رحمهم الله تعالى رحمة واسعة والدور الثالث هو من اول القرن الحادى عشر الى زماننا هذا اعنى مدة سنة ٣٢٥ وهو دور انطفاء انوار العلوم وذبول ازهار المعارف والفنون بالتمام بحيث لا مشابهة بينه وبين سابقه ولا مناسبة بينهما بوجه من الوجوه قط فانك اذا فتشته بكمال الدقة وامعان النظر لا تجد فيه اثرا من الآثار المشابهة لآثار الدور الثانى فضلا عن الدور الاول وغاية ما يوجد فيه من الآثار حاشية الخانقاهى على شرح ملا جلال وتتمته وحاشية آخوند شيخ على اوائل شرح التهذيب وحاشيتنا مولوى شريف وحاشية ملا قاسم لشرح العقايد وما اشبه ذلك وهذه كما ترى لا مناسبة بينها وبين آثار الدور الثالث ومع ذلك ان هذه الآثار انما الفت فى حدود سنة ١١٠٠ وقبلها واما بعدها فلا يرى فيه شيء من ذلك بل الذى الفينا عليه علماء بخارى ومدرسيها انهم لا يقدرون قراءة سطر من الكتب الغير المستور بينهم من غير غلط او يقرؤنه بغاية الصعوبة والبطائة فان كنت فى ريب مما كتبناه فاسأل به خبيرا ولا ينبئك مثل خبير وجربهم انت بنفسك اذا لقيتهم تعرف صدق لهجة الفقير فاذا احطت بذلك علما فاحكم بكون بخارى الآن معدنا للعلوم والكمالات والفنون اولا فانك مختار ولا بغض فينا على بخارى ولا على اهلها ولا عداوة تقتضى التحامل عليهم وانما بينا ما بلغه علمنا القاصر بن على حقيقة الحال وهذا هو سر ذكر احوال بخارى هنا مع كونها خارجة عن موضوع بحثنا فان الشيء بالشيء يذكر والحاق النظير بالنظير بوجه من المناسبة مما لا يستنكر فلنرجع الآن الى ما كنا بصدد بيانه فاقول ان الزمان لا يدوم على حالة واحدة من جهة الترقى والتنزل بل يترقى فيه قوم ويتنزل الآخرون كما هو المشاهد وربما تتسبب الحالة السيئة للحالة الحسنة والمصائب للفرج ومصداق هذا القول ان تكاليف

الحكومة المذكورة سابقا صارت سببا لتنبه افكار الاهالى وحصول الانتباه فيهم عن رقدتهم ولو فى الجملة وذلك انهم رأوا اثناء جولانهم فى البلاد ودورانهم بين الامم والعباد طلبا لاسباب التخلص من تلك التكاليف ان احوالهم ومسالكهم فى التحصيل لا يشبه احوال الامم الراقية على فهم المعارف والمدنية ومسالكهم فيه بوجه من الوجوه بل انهم يضيعون اوقاتهم التى لاعوض لها قط فيما لا ينفعهم اصلا لافى الدنيا ولافى الآخرة حيث انهم لا يشتغلون بالعلوم الدينية من الفقه والتفسير والحديث والاخلاق وما تتوقف هى عليه كالعلوم العربية مثل السلف الصالحين ولا بالمعارف العصرية التى تنفع وتفيد فى الدنيا كالاقوام المترقية المتمدنة الذين ليس تسلطهم علينا الا بسبب اشتغالهم بها وادمانهم اياها لا بالقوة الجسمانية على انا اذا امعنا النظر على احوال السلف نجدهم قد جمعوا بين العلوم الدينية والمعارف والفنون المتداولة المستعملة فى عصرهم كما لا يخفى على من تتبع احوالهم وان الترتيب الذى اختاروه فى التعليم يشبه فى جنب ترتيب الاقوام المتمدنة فيه عربة تجرها الثيران فى موصل بالنسبة الى السكة الحديدية فتنبهت افكارهم واستيقظوا عن رقدة الغفلة وقالوا ما بالنا نتقهقر فراسخ فراسخ حين يتقدم الملل المتمدنة برائد برائد وماشا ئنا نقلد اهالى ما وراء النور فى خطائهم بعد تحقق كونه خطأ لذى العينين والى متى نظن بهم الظن الغير المطابق للواقع اليس هذا من الحماقة اليس هذا من الغواية اليس انقراضا وراء آذاننا وتحت انوفنا ان استمررنا على هذا المسلك تعالوا انرفض هذا المسلك المؤدى بنا الى وادى الانقراض فريبا ونعدله ونختار فى التحصيل مسلكا يطابق مسلك الاقوام المترقية المتمدنة فيه وقد انتشرت الاصول الصوتية فى بلاد اوروپا منذ مدة مديدة ودخلت فى استانبول ايضا فادخلها الغيور صاحب الحمية اسمعيل ميرزا القريمى الى تلك البلاد ايضا وشرع فى تعليمها المتعلمين وطفق يؤلف فى ذلك الرسائل المفيدة وينشر بيان فوائدها بواسطة جريدتها الترجمان وكان ابتداء تأسس الجريدة المذكورة فى سنة ١٨٨٢ م مصادفة سنة ١٢٩٩ ه فقبلها بعض الاعيان بتلك البلاد وقد عاد بعض الطلبة الذين تعلموا الاصول المذكورة من

استانبول فصارت تنتشر فيها تدريجا تدريجا بطبقاتها فترك بذلك طريق التوجي وقصرت المسافة من هذه الجهة ثم الغيت قراءة الرسائل المشتملة على الخرافات الباطلة واختيرت بدلها الرسائل المبينة للاعتقادات والعبادات والمعاملات فصارت الصبيان يتعلمون بتعليم واحد الحروف والحركات وكيفية النطق بالحرف وكتابته وبتعليم آخر وكيفية النطق بالكلمات اعني كيفية القراءة والاعتقادات والعبادات والمعاملات. ثم ترجمت كتب الصرف بلغة التتار وكذلك العوامل حتى بعض كتب النحو الابتدائية فقصرت المسافة من هذه الجهة ايضا جدا وسهل التعليم والتعلم وعين للتعليم معلمون مخصوصون برواتب شهرية لا يشتغلون بشيء سوى التعليم وعينت اوقات التعليم ومجيء الصبيان الى المكتب والانصراف عنه وكل ذلك كان اولا مفقودا ثم اخرج بعض الكتب عن جداول التحصيل مما ليس له نفع وادخل فيها ماله لزوم مثل العربية اعني المعاني والبيان والبديع والعروض ومثل العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه وعدل علم الكلام باختيار قراءة عقائد السلف كبيان السنة للامام الطحاوي وصار القرآن يقرأ من ابتداء الامر على العموم بقواعد التجويد وادخل مبادي بعض المعارف العصرية كالحساب والجغرافيا والهندسة والتاريخ وصار يعتني بعلم الخط املاء وانشاء فاصلحت كيفية التحصيل صلاحا بينا جدا بحيث يورث الفرح والسرور ويزيد الرجاء في المستقبل والذي اعتنى به اعتناء شديدا وقاسى الصعوبة والشدايد في اجرائه بسماع الاذى الكثير من السفهاء وبتأليف الرسائل المفيدة للصبيان هو العالم الفاضل الشيخ عالمجان افندي القزاني البارودي اطال الله بقاه ونفع به الطالبين الصادقين (١) وكانت الطلبة اولا يباشرون امر الطبخ بانفسهم فصار الآن بعد اهم الاكل والشرب من طرف خادم ومباشر مخصوص لذلك وذلك بجمع مصارف الطلبة كلهم في كيس واحد من كل منهم على قدر حاله واستطاعته

(١) وكان مسلكه اولا جيدا جدا الا انه لحرصه على ترقي الملة على ما هو رأيي العاجز او على الاشتهار كما هو رأي مخالفيه ادخل في مدرسته كثيرا ممن لا ديانة له ولا استقامة فافسدوا افكار طلبته فآل الامر الى ما سيذكر بعد. منه عفي عنه

وباعانة الاغنياء في اكمال النواقص واعداد آلات الطبخ والحطب فانتظم الامر من هذه الجهة ايضا وانتظمت سوى ما ذكر كثير من امور المدارس وشؤنها مما يطول شرحه وسهل التحصيل جدا واشتهرت هذه الطريقة من التحصيل في تلك البلاد بالاصول الجديدة يعني طريقة التعليم وكيفية الجديدة كما لا يخفى وحيث شوهدت فوائدها خصوصا في الصبيان والصغار اقبل عليه الاغنياء ذو واليسار اقبالا كليا وصاروا يصرفون في سبيلها اموالا طائلة حتى ان الواحد منهم بنى مدارس ومكاتب متعددة من ماله والتزم مصاريفها في ماله جزاهم الله كلهم خير جزائه واسكنهم في بحبوحة جنانه فلما رأى ذلك بعض العلماء الذين لا يعرفون نيا ولا يعرفون اجراءها تحركت فيهم عروق الحسد فشرعوا في الاعتراض عليها وتشنيع اربابها وقالوا انها بدعة مخالفة الطريقة السلف وللشريعة ومشابهة للكفار من جميع الوجوه بل افساد للدين حيث ان معنى الاصول هو الاعتقادات كما يقال الاعتقاد اصول الدين ويكون معنى الاصول الجديدة الاعتقادات الجديدة فيكون هذا افسادا للدين وهدما له من اصل الى غير ذلك من التوهمات الباطلة والبهتان والافتراآت وبعض منهم كان يعتقد كونها بدعة حسنة لا حسدا فقط وذلك لقصوره في ادراك حقايق الامور وجهل باحوال السلف بل بذ واتهم واغروا العوام عليهم وايقظوا الفتنة النائمة وكتبوا بعض الاوراق في ذمها وبطلانها ورد اربابها على زعمهم وشحنوها بما لا ينبغي ذكره من الفاظ السب والشتم ولو على سبيل الحكاية ويجتنب المتمدن الاديب عن تلويث لسانه وقلمه بذكره وتحريره خشية ان يتعود بامثاله فيخرج من جنس الانسان الى جنس البهايم الوحشية والسباع وبمنطوق كل من يسمع يخل لما سمعت تلك الشكاوى قبل اطلاعي بحقيقة الامر كدت ان اوافقهم وقد كان لولا ان مولانا الشيخ المرشد الكامل زين الله افندي النقشبندي الخالدي اختارها فلما سافرت الى تلك البلاد في سنة ١٣١٦ ورأيتها بعيني وحققتها ودققتها كدت اطير من فرحي فاني كنت متأسفا على الاحوال السالفة الذكر في التحصيل جدا منذ رأيت بخاري والحرمين ومصر وآستانة ومتمنيا اصلاحها وطالبا اياه من الله عز وجل فلما رأيت ان متمناي قد بدا وازهر كيف لا افرح وكيف لا اطرب وحمدت

اذ ذاك فقرات بالتركيبة بقصد النصيحة واصلاح ذات البين
الله يعلم نية كل احد فسموها بالانصاف وطبعوها ونشروها فخرج
لى ايضا من تلك الالفاظ القبيحة بسببها حظ ونصيب فحمدت الله
سبحانه وشكرته على ذلك حيث كنت به ممن اوذوا لاجل النصيحة وكلمة الحق
وصرت مظهرا لمضمون قوله تعالى لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الآية ولكن كثيرا منهم رجعوا عن ذلك ولا
يزالون يرجعون بحيث يرجى ان لا يبقى منهم على عناده الا الاقلون ومما
نفع المعاندين نفعا وضر الملة واوقع تعمم هذه الاصول الجديدة بينهم فى
عقدة التأخر من سوء حظهم ان بعضا من لاخلاق لهم من الديانة والدراية وهم
ممن يعرفون القراءة والكتابة فقط نسبوا انفسهم الى هذه الاصول الجديدة
وليسوا كذلك بل هم فى الحقيقة ارباب الاصول البزيدية فنشروا بعض
اوراق مضرة مشحونة بما يخالف الشريعة ونسبوها ايضا الى الاصول الجديدة
كقولهم ان الاصول الجديدة تبيح لنا حلق اللحى وتوفير الشوارب واستماع الملاهى
وترك حجب النساء وبروزهن على الرجال مكشوفات الوجوه واستعمال
التصاوير والتماثيل ولبس البسة الكفرة والتزين بزيهم ونحوها مما يخالف
الشرع وساعدهم فى نشر هذه الترهات ظهور جريدة شرق الروس فى
ذلك الوقت وكانت قد انشئت لمثل هذا الغرض الفاسد فكانت تنتشر فى
الآفاق وصحائفها مشحونة بامثال هذه الاباطيل الآتية ممن لا نصيب له من
الديانة والدراية من جميع الجوانب وكان منشيها قد اخترع كتابة على زعمه
من الارقام المعكوسة ليبدل الكتابة الاسلامية بها على زعمه الباطل فكان هؤلاء
المخاذيل يكتبون اليه بمدحها واستحسانها وتمنى تعممها ورواجها بين
المسلمين وكان الشقى المذكور يدرج المكاتيب المذكورة فى جريدتها
المزبورة زعما منه انها وردت اليه من زعماء الامة وعظماء الملة فصار هذا
سببا عظيما لتنفر كثير من الناس من الاصول الجديدة فان المعاندين كانوا
يستشهدون بها فى اثبات مدعاهم فى ذمها على انه لا يحتاج الى استشهادهم بها
فان النفرة عن مثل هذا الشى من مقتضى ديانة كل مسلم متدين متمسك

بالشريعة الان هدبدى البصر كانوا يعرفون ان هذه كلها افتراء منهم على الاصول الجديدة بل هى كلها من الاصول اليزيدية وانهم ليسوا من اربابها بل هم من ارباب الاصول اليزيدية ولكن كثيرا من الناس لا يعرفون ذلك خصوصا المترددون فى حقيقة الاصول الجديدة وحقيتها ولكن كان اللازم حينئذ على اربابها نشر الاعلانات بتكذيب هؤلاء السفهاء وردهم فيما يدعونه وبيان ان الاصول الجديدة منزهة ومطهرة عن امثال هذه الامور المخالفة للشريعة وانهم برآء منها ومتنفرون عن اربابها ولكنهم لم يفعلوا ذلك واختاروا السكوت منه وكأنهم تحاشوا من ان يضعوا انفسهم بين طرفى الكلبتين وكان ذلك خطاء عظيما منهم حيث عد سكوتهم هذا علامة الرضاء بها وتأييدا لافواههم ومدعاهم فظن كثير من الناس ان الامر كما يقولون وان ارباب الاصول الجديدة كلهم فى هذا الاعتقاد فتنفروا عنها وقد زاد نفرتهم هذا عدم استقامة كثير ممن عادوا من طرف الاستانة ومصر والحرمين الشريفين(١) وارتكابهم ما يخالف الشريعة قولا وفعلا وهم يدعون الاصلاح وترقية الامة فصار هذا ايضا سببا عظيما لنفرة الناس عنها وانضم الى ذلك انحراف كثير من طلبة الاصول الجديدة عن جادة الاستقامة والآداب الاسلامية فى جميع شؤنهم حتى حدثت فى بعض المدارس الكبار المعتبرة اغتشاشات ادت الى طرد بعض الطلبة منها وكل ذلك موجب للاسف مفيد للمعاندين ثم زاد بلة فى الطين حدوث الجرائد وكثرتها بلغة التتار بعد اطلاق الحرية فى الدين والوجدان واللسان والقلم فى ١٧ اوكتابر سنة ١٩٠٥م فانها وان كانت مفيدة نافعة للملة الان بينها ما هو مضر عليها حيث صار ينشر بواسطتها امثال تلك الترهات الاباطيل حتى ان بعض منها كانه انشئ لذلك واعظم تلك الامور منها واكثرها ايجابا للنزاع واقواها القاء للتفرقة بين الملة هو مسئلة حجاب النساء وكانى باخواننا المسلمين الذين ليس فى قلوبهم زيغ وشك وريب من احكام الشريعة وهم يقيمون فى وسط ديار الاسلام حقيقة كالحرمين واليمن والعراقين

---

(١) كما قد قدمنا كل ذلك منه عفى عنه.

ومـا وراء النهر والشام وآناطولى وآفغانستان وفاس او كما كبلاد الهند يستبعدون ان تكون هذه المسئلة محلا للنزاع حيث انها ليست مختلفا فيها قديما وحديثا وكافة المسلمين على اختلاف مذاهبهم اعتقادا وعملا عاملون بها منقادون لحكمها من غير ان يبدوا فيه ادنى سآمة وضجر واستثقال منذ سنة ١٣٢٥ وهم محقون فى ذلك ومعذورون فان الامر كذلك ولكن ارتفاع العلم وفشو الجهل وكثرة الاختلاط بالكفرة الفجرة والقاؤهم الشكوك والرياب فى قلوب الضعفاء من المسلمين اومدعى الاسلام واعتياد هؤلاء الضعفاء والمدعيين استحسانهم (١) فى جميع اقوالهم وافعالهم ذلك جعل الامر معكوسا وصار سببا لوقوع امر لم يكن يخطر فى البال ويستبعد ويستغرب وقت الاخبار ومبدأ ظهوره هو قاسم بك المصرى حيث الف رسالتين فى هذا الباب سماهما المرأة الجديدة وتحرير المرأة فانتشر من قطر مصر الى سائر الاقطار وطارت شرارته لبلاد الروسية فصادفت هناك قلوبا خالية عن العلم باحكام الشريعة والديانة والآداب الاسلامية فتمكنت فيها كما قال الشاعر شعر : اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا * فطفقوا يولعون بها ويريدون عرض حلائلهم وبناتهم واخواتهم المخدرات العفيفات المصونات على انظار العامة وان يبتذلوهن ابتذال الاماء والجوارى والفواحش بعد ان كن مكرمات ممتازات مصونات وحيث انه اشيع فى هذا العصر من طرف مريدى هدم بناء الاسلام من اساسه بين المسلمين ان العلماء غيروا تعاليم القرآن وبدلوها بتأويلات بعيدة وحرفوها وادخلوا بهذا الطريق فى الاسلام ما ليس منه ليقابلوا بذلك قول المسلمين انهم اعنى اهل الكتاب بدلوا وغيروا وحرفوا وتلقاه بعض المحررين بالقبول لزعمامنه ان سبب انحطاط المسلمين وتدنيهم هو هذا وانعكس الامر ايضا فى تلك البلاد ورد صداه بين جبال منها والوهاد ورفضوا اقوال الفقهاء العظام والعلماء المحققين

---

(١) والحاصل ان لاستحسان احوال الكفرة واستقباح احوال المسلمين دخلا عظيما فى الانخلاع عن الاستقامة والديانة ووقوع شبه قوية فى القلوب من حيث لا يشعر به الانسان نفسه وقد جربته فى اشخاص والله ولى الهداية . منه عفى عنه .

الكرام فيها رفصابانا وقالوا السما نمنع قول قاضيخان ولا صاحب الهداية وانما نتمسك بالقرآن وهم جاهلون عن قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الآية وقوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن مع انه رد رسالتنا قاسم بك المذكور برسائل كثيرة الفت من طرف العلماء الكرام بطريقي النقل والعقل احسنها رسالة الفاضل المحترم فريد وجدى بك افندى المسماة بالمرأة المسلمة الفها على طريق العقل ونقل فيها اقوال كثير من كبراء رجال آوروپا فى لزوم الحجاب وقد اجاد فيها كل الاجادة وقطع فيها وتبين المخالفين وفيها كفاية للعاقلين ورسالة الفاضل المحترم مختار بك ابن احمد مؤيد پاشا العظمى المسماة بفصل الخطاب او تفليس ابليس وقد اجاد فيها ايضا كل الاجادة وبين فيها قاسم بك باع دينه بتأليف رسالتيه المذكورتين بثمن قليل من طائفة ميسيونير قلت انه الفهما فى مقابلة ثمن قليل اخذه من اعداء الدين وليت شعرى ما الباعث على اختيار اشقياء تلك البلاد قوله فى ذلك ومخالفة حكم الله واقوال الفقهاء واجماع الامة قاطبة ولعلهم ايضا اخذوا من پوبيد انتسف وما فى اضرابهم ثمنا قليلا والا فلا نجد له باعثا سوى ذلك والحاصل ان المسئله المذكورة مع كونها مجمعا عليه لم يختلف فيها اثنان من الامة الى الآن قد صارت شغلا شاغلا لكثير من العلماء ارباب الحمية والمتدينين بسبب ضرطة واحد من الملحدين واشد ما آلمنى واثر على تأثيرا شديدا رخاوة قول من كنت واثقا بصلابته فى الدين ومعتمدا على ديانته فى كل وقت وحين سبحان من اقام العباد على ما اراد ولله در من قال فى شأن المكشوفات الوجوه اشعار

يمشين فى الاسواق مشى البنه * يتبعن اثر الجاهل السفيه
يخطرن فى الذهاب والاياب * كاللحم مكشوفا الى الذباب
يدرن فى الاسواق بين الناس * كمثل مرآة لدى الجلاس
يا ويلهن من عذاب الله * وحسبهن من عقاب الله
تالله ما هذى بسنة السلف * ولا ارتضاها دين من الخلف ام

وهذه هى اوصاف نساء تلك البلاد فانهن لا يسترن وجوههن وانما يطرحن فوق رؤسهن ثوبا يسمى چاپانا اوشالا فقط لا غير فليت شعرى ما مراده من يريد ترك

الحجاب فهل يريد هذا الثوب او الشال او سرا ويلون الله اعلم بسرائر عباده على ان كثيرا من نساء الروس يضعن على رؤسهن الشال المذكور قال بعض العلماء من رضى بخروج زوجته متبرجة فهو شريكها فيما ارتكبته وشبيهها فيما انتهكته ديوث مفسق مردود الشهادة فى المذاهب الاربعة وقد انشدوا فى مثل اشعار:

ومن يكن ذا غيرة فى اهله * فالكون طرا شاهد بفضله
وضده ذاك الغبى النذل * الجاهل الفظ الغليظ البغل
يرضى الذى يأباه كل عاقل * يظن ان ماله من مماثل
معرضا وساده للبيع * بيع وفاء لا البتات القطعى
هذا الذى اموالة ذميمة * ليس له بين الانام قيمة
قيمته فلسين اونصفين * بل يستحق الصفع بالنعلين اه

وقوله كل عاقل صحيح يعنى ان صيانة النساء من مقتضى العقل لانها مقتضى الديانة فقط فقد شاهدت مرارا كثيرة فى محطات السكة الحديدية غضب نساء كبار الروسية على من يجيئ الى باب منزل مخصوص بالنساء يسمى عندهم (دامسكى فومنت) مع انه لايجيىء هناك الالاجل زوجته وقضاء مايلزمها وكثير من واغون السكة الحديدية يكون نصفه مخصوصا بالنسا لايجوز دخول الرجال فيه قطعا بخلاف الواغون العمومى فان النسآ اذا رضين بابتذال انفسهن يدخلن فيه فاف لمن يدعو الاسلام ثم تكون حميته انقص من حمية الكفار بصرنا الله سبحانه بعيوبنا ونور ابصار بصائرنا وعيوننا ووفقنا لمايحبه ويرضاه فى جميع الحالات وجعل ايماننا ايمانا منجيا بعد الممات وظهور هذه الاحوال فقد قلب فرحنا حزنا ورجاءنا يأسا الا ان تداركه الله سبحانه بلطفه وجميع هذه الاحوال جارية واعراض العلماء الاعلام متمزقة واحكام الشريعة المطهرة معروضة للعب السفهاء والجهلاء بها واعضاء الجمعية الاسلامية ومحكمة الشريعة المحمدية كلهم ساكنون لايبدون حراكا ولا يحركون شفاههم اوافلامهم بكلمة ولو على سبيل النصيحة دون التهديد وكانها محكمة شرعية فقئت عينها وفى مثل هذا الحال يظهر صدق ماقاله الشاعر شعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وبظهور هذه الاحوال تبدل فرحي وسروري حزنا ورجائي يأسا فان العلماء السالفين وان لم يكن فيهم كثير علم ولا المام لهم بالفنون الجديدة والمعارف العصرية الا انهم كانوا على استقامة تامة على الشريعة الغراء سالمين عن الزيغ والضلال ملازمين السكينة والوقار وكانت لهم هيبة فى قلوب العامة ولاقوالهم بينهم نفوذ وقبول تام حتى ان شرب الدخان الخبيث كان يعد فى عصرهم من الكبائر بمنزلة شرب الخمر والزنا وهذا الفقير قد ادركت فى صغرى كثيرا منهم فى المراف مسقط رأسي وعلمهم ومعرفتهم لا يتعدى من كتابي كلستان وبستان للشيخ سعدى الشيرازى رحمه الله تعالى وامثالهما من الكتب الفارسية الادبية ولكنهم كانوا جبالا راسيات فى الاستقامة والتمسك باحكام الشريعة الغراء وانوار شيبتهم وتأثيرات هيبتهم باقية الى الآن فى حافظتى رحمهم الله تعالى واما الآن مع انهم لم يضعوا بعد اقدامهم فى اول درجة من درجات الفنون والمعارف بل وصلت رائحتها الى مشامهم فقط قد صدر منهم امثال هذه الامور الغير اللائقة المخالفة للشريعة واما شرب الدخان فلا يعد الآن من العيوب والقبائح وزاد على ذلك سقوط قيمة العلماء وهيبتهم من قلوب العامة وزوال نفوذ اقوالهم بينهم بسبب التساب والتشاتم الحاصلة بينهم وذم بعضهم بعضا لسانا وقلما بسبب الاختلاف المذكور فى الاصول القديمة والجديدة نسأل الله سبحانه وتعالى ان يسد هذا الخلل بلطفه ومنه وكرمه والحاصل ان اس الاساس والمقصود الاصلى والمقدم على كل شيء عندنا معاشر المسلمين هو الدين والشريعة والاستقامة فيها وتوفر آدابها بحيث لا يقع ادنى خلل فيها فهذه هى عين التمدن والمعارف عندنا كما ورد بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فان اجتمعت معها الفنون العصرية والمعارف الجديدة من غير اخلال بادنى آداب منها فهى مباركة فان عريت تلك الفنون والمعارف عن الشريعة والدين او لزم لاجلها الاخلال بادنى آداب منها فلا بارك الله فيها ولا فى صاحبها فان لها رتق لصاحبها شعر :

ما احسن الدين والدنيا لو اجتمعا * لا بارك فى دنيا بلا دين والا فما معنى مقاومة قوم مدة اربعين سنة الحكومة الس كل ذلك السعى والاجتهاد فى سبيل المحافظة على الشريعة والدين وهذا هو مسلك هذا الفقير قديما وحديثا فمن شاء فليستحسن ومن شاء فليستقبح لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى الآية قلت هذا هو الدور الرابع من ادوار احوال المسلمين بعد استيلاء الروس على قزان. ويعتبر ابتداء هذا الدور من ١٧ اوكتابر سنة ١٩٠٥م المصادف ١٩ شعبان سنة ١٣٢٣ﻫ وذلك ان ارباب الاختلال واصحاب الاغتشاش وطلاب الحرية وحقوق الملة الضائعة لما ازعجوا الحكومة الظالمة المستبدة بطلب حقوقهم المهضومة لم يربدا من اعطاء مطالبهم فصدر فى التاريخ المذكور الآن فرامان ايمپراطورى باعلان الحرية الدينية والوجدانية واللسانية والقلمية وفتح مجلس النواب والمبعوثين كما مر فلا تسأل عن مقدار الفرح الحاصل لكافة الاهالى على اختلاف اجناسهم فى ذلك الوقت والمسلمون وان لم يشتركوا فى امر الطبخ الا انهم كانوا متهيئين للجلوس على السماطمتى مد آخذين ملاعقهم فى ايديهم فجلسوا عليه قبل الكل وصاروا يأكلون من نعمه مقدار مايصل اليه ايديهم فشرعوا فى تأسيس الجرائد اولا لتنبيه افكار الامة وايقاظ همم الملة وجعلهم ذوى خبرة عن الواقع وقد مر ان اهل قزان طلبوا من الحكومة انشاء جريدة واحدة تاتارية فى بلدة قزان منذ مدة مديدة فلم يؤذن لهم فى ذلك متعللة فى الظاهر بعدم القابلية والصلاحية فيهم لذلك وسببه الحقيقى قد مر بيانه مرارا ولم يكن لهم فى تلك المدة سوى جريدة الترجمان وهى ايضا تحت مراقبة شديدة من طرف الصنسور مشروط نشرها بكون احد طرفيها مطبوعة بالروسية فخدم صاحبها الغيور بها الملة مدة ٢٣ سنة وحده ونبه بها افكارهم وقد انتفعت (١) الملة بها انتفاعا كثيرا واكتفت بها بالضرورة كالاعور وهى ايضا كانت تنشر فى الاسبوع مرة واحدة وقد اطلعت على ما قاساه

(١) مع ما فيها من بعض الاعوجاج بسبب جهل صاحبها باحكام الشريعة سامحه الله تعالى منه عفى عنه .

من طرف الصنسور و ما قالوا فى حقه شكرا لله سعيه وختم له واما عند انتهاء آجالها بالحسنى آمين فلما اعلنت الحرية شرعوا فى نشرها كالابل الطمآنة وصارت تزيد شيئا فشيئا فلم يكن الامر كما اعتذرت الحكومة المستبدة وبعبارة اخرى صحيحة كما افترت بل ابدوا غاية الصلاحية ونهاية القابلية حيث لا يحررون الا ما ينبه افكار الامة ويوقظ همم الملة وما ينقح عقولهم ويرشدهم الى ما فيه صلاحهم بعبارة صحيحة منقحة موجزة مراعين قواعد الآداب وقوانين المدنية غاية المراعاة ليس احد منهم فى افادة المرام ورعاية الآداب وشروط التحرير فى الوقت الحاضر انقص ممن اشتغلوا مدة عشرين سنة او ازيد بتحرير الجرائد ونشرها بل كلهم اتم واكمل من كثير منهم حيث لا يحررون الا ما فيه صلاح الملة كما مر وان كان بعض الاوراق منها خارجة عن حد الادب ومشحونة بما لا يليق لصاحب المدنية والادب الا ان وجود امثال ذلك فى مثل هذا الظرف من مقتضيات الوقت والحرية ولعلها ايضا تنصلح (١) وتعتدل ان شاء الله وقد قربت اعداد تلك الجرائد الى الآن اعنى فى مدة سنة واحدة وشهور ثلاثين جريدة واحدة منها عربية تسمى التلميذ لمنشئها الغيور الفاضل القاضى عبد الرشيد افندى الابراهيمى سلمه الله تعالى والباقية تركية اكثرها قريبة من اللهجة العثمانية منها جريدة الفت الغراء للافندى الومى اليه ايضا وجريدة الوقت الغراء لفاتح افندى الكريمى وربما يستعان فى تحريرها بالاديب المفرد والمحرر البليغ القاضى رضاء الدين افندى ادام الله بقاه وبعضها تتارية صرفة وبعضها اذربيجانية وبعضها چغطائيـة وصارت تنتشر الرسائل المفيدة واعلن المكرهون المذكورون اسلاميتهم عقب انتشار الفرمان المذكور وقد يروى بأن عدد الذين اثبتوا اسلاميتهم رسما مـا بين ثـلاثين الفا وخمسين الفـا ولا يزالـون يعلنونها الى الآن ويبنى فى قراهم المساجد والمكاتب وفضلا عـن ذلك فان كثيرا من طوائف الوثنيين المسميين بچواش وچرمش وآر صاروا

(١) والا فتضمحل بالكلية لعدم المشتركين بها منه عفى عنه .

يتشرفون بالدخول فى دين الاسلام بل افراد من الروس خصوصا اصحاب المكاتب المنورى الافكار منهم على مامر بيانه فان حصلت الحرية التامة فحينئذ يكون للاسلام هناك شانا عظيما ولا شك ان كل ذلك لاتصاف مسلمى تلك الديار بكمال الديانة وغاية الاستقامة وامتيازهم فى الاخلاق الحميدة عمن سواهم هناك غاية الامتياز كما لا يخفى ومما يلزم ان يذكر هنا مع كمال الافتخار والفرح والسرور ويزين به تاريخنا الحقير هذا حصول الاتفاق والاتحاد بين كافة مسلمى الروسية على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ووقوع انعقاد الاجتماع بينهم مرارا للمذاكرة فى شؤنات الملة ومصالح ديناودنيا وكان اول ذلك الاتفاق والاجتماع فى ١٥ آغستوس سنة ١٩٠٥م المصادف ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ﻫ فى سوق مكاريا بهمة الفاضل الغيور المحترم القاضى عبد الرشيد افندى الابراهيمى واصحابه مع شدة منع الحكومة اذذاك عن امثال هذه الاجتماعات ثم انعقد اجتماعهم ثانيا بپطربورغ فى ١٣ غنوار (الكانون الثانى يناير) الى ٢٣ منه سنة ١٩٠٦م المصادف ٣٠ ذى القعدة الى عيد الاضحى سنة ١٣٢٣ﻫ رغما عن شدة منع الحكومة ايضا عن امثال هذه الاجتماعات ثم انعقد ثالثا بسوق مكاريا ايضا فى ١٧ آغستوس سنة ١٩٠٦م المصادف ١٠ رجب سنة ١٣٢٤ باجازة من الحكومة ودام الى خمسة ايام (١) اما الاول فلم يحصل فيه كثير مذاكرة فى شؤن الملة لضيق الوقت فانهم لما رأوا منع الحكومة عن الاجتماع استأجروا باخرة مخصوصة لهذا الفرض وساروا بها ثلاثة ايام فى نهر وولغا وبعد الخروج منها اعطى اهل الداغستان ضيافة لاهل قزان وفى اليوم الثانى اعطى اهل القزان ضيافة لاهل الداغستان واتفقوا على ان ينسوا السنية والشيعية بينهم وان لا يذكر احدى الطائفتين الاخرى باحد هذين اللقبين وان يقتصروا نظرهم على الاخوة الدينية وان يلاحظوا قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم الآية وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الآية قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تنازعوا

---

(١) ولكن الاسف على انه لم يحصل فى هذا العام ١٩٠٧ لشدة منع الحكومة عن ذلك وغيبوبة الفاضل عبد الرشيد افندى الذى عليه مداره . منه عفى عنه .

فتفشلوا وتذهب ريحكم الآية وامثالها وفى الاجتماع الثانى حصلت المذاكرة ورتبوا پروغراما (ترتيبات وجداول) فيما ينبغي ان يعمل ويتشبث به وهو مشتمل على ازيد من سبعين مادة وفى الثالث حصلت المذاكرة الجيدة بالنقض والابرام وحصل الاتفاق على ستة واربعين مادة ثلاثة وثلاثون منها فى اصلاح شؤن المدارس والمعلمين وطرق التعاليم والبواقى فى اصلاح شؤن الجمعية الاسلامية ونتيجة هذه الاجتماعات وان لم تظهر الى الآن ولم يحصل المباشرة والشروع فى شيء من المواد التى حصل عليها الاتفاق الا انها لاتخلو عن الفائدة والنتائج الحسنة فى المستقبل ان شاء الله على ان نفس الاتفاق والاتحاد والالفة فائدة قد من الله سبحانه وتعالى على الانصار فى سورتين من القرآن وغرضهم عرض تلك المواد على مجلس المبعوثان ونواب الملة وتحصيل تصديق الحكومة اياها فان وفقوا على هذا فلا شك فى حصول نتائجها وفوائدها وفقهم الله سبحانه وتعالى لذلك ولكافة منافع الامة ومصالح الملة بجاه نبيه الكريم دناءة عظيمة وشناعة كبيرة وقباحة جسيمة ظهرت فى وسط بستان عصر التمدن موضع شجرة التلطيف والاحسان والاكرام وذلك ان مسلمى التتار طلبوا من الجنرال ويتته رئيس الوزراء بعد اعلان الحرية بواسطة وكلائهم الغاء الحكومة التكاليف المذكورة سابقا وان لا يقرر شيء فيما يتعلق باموال المسلمين الا بمعرفة مجلس المبعوثان ونواب الملة وقرارهم فقط لاغير زعما منهم ان مطلوبهم هذا يكون مقرونا بالقبول البتة فان اولادهم قتلوا فى حرب ياپان مع اولاد الروسية فى صف واحد فى سبيل المدافعة عن شرف حكومة الروسية وناموسها وعزها لاغير كما مر وانهم التزموا السكوت والخلوص للحكومة ولم يقوموا عليها مع ارباب الاختلال والاغتشاش كما لم يقع منهم القيام والعصيان على الروسية قط بعد دخولهم تحت حكومتها مع ان دارت بهم الدوائر واحاطت بهم البلايا والمصائب من كل جانب من هجوم سائر الدول عليها ولاسيما العثمانيين الذين هم اخوان المسلمين جنسا ودينا ولم يطلبوا من الحكومة الاستقلال فى ادارة شؤنهم كما تطلبه اهل بولونيا (پولشه) وكل ذلك يقتضى تلطيفا عظيما واحسانا كبيرا فضلا عن مساعدتهم

فى هذا المطلب الحقير التى هى واجبة على ذمة دولة متمدنة عادلة من غير سبق مقتض لها فقبله باللسان واعادهم ممنونين بمواعيد العرقوب بالكلام قائلا ليطمئن بالكم وليسكن روعكم يكون الامر كما تشتهون وتكونوا مستريحين على ما هو عادتهم دائما فى مثل هذا الاسترحام وكان ذلك فى اوائل مارت سنة ١٩٠٦ م وفى ٣١ مارت المذكور اعنى بعد مضى بضع وعشرين يوما من الوعد المذكور نشر من طرف ناظر المعارف نظام جديد مصدق من طرف الامپراطور فى خصوص مكاتب الاقوام الغير الروسية المقيمين فى جهة الشرق والجنوب الشرقى من الروسية وبعبارة اصح فى حق مكاتب المسلمين فان الاقوام الغير الروسية اذا اطلق يراد به المسلمون غالبا ولاسيما بمعونة تعيين جهاتهم وهذا النظام عين النظام الصادر فى ٢٦ مارت من عام ١٨٧٠ وقد مر بيانه كما اعترفوا به انفسهم فى المؤتمر المنعقد فى پطربورغ الآن فى هذا الخصوص كما سيذكر الا انه فى كسوة اخرى لونها ابو قلمونية وهاك تعريب بعض مواده قال انا ناظر المعارف غوفمپستر القونت ايوان تولستوى اصدق فى ٣١ مارت من عام ١٩٠٦ النظام الذى نظم فى شأن المكاتب الابتدائية للاقوام الغير الروسية القاطنين فى جهة الشرق والجنوب الشرقى من ممالك الروسية بامر الامپراطور الصادر فى ١٤ ينوار من العام المذكور المادة ١ تفتح المكاتب الابتدائية للاقوام المذكورين على هذا النظام ٢ مكاتب الاقوام المذكورين الابتدائية انما تبنى لاجل ترقيهم فكرا واخلاقا ولاجل فتح الطريق لاصلاح تعاشهم بتلك الوسيلة من جهة ولاجل نشر لغة الروس فيما بينهم وتقريبهم من الروسية لتحصل محبة الوطن على العموم ٣ تكون قراءة كل قوم اولا بلسان ذلك القوم ٤ يكون المعلمون والمعلمات فى تلك المكاتب من نفس الاقوام المذكورين او من الروس الذين يعرفون لغات الاقوام المذكورين معرفة جيدة ولهم شهادتنامه على ذلك بشرط حيازتهم القدر المعين للمعلمين من التمدن والمعرفة ٧ يقرأ علوم الدين فى ادنى تلك المكاتب بلغة القوم الذين يقرأ فيها اولادهم ويعلم فيها قراءة الروسية وكتابتها وتكلمها وقواعد الحساب والشعر ٨ تفوض ادارة المكاتب المذكورة بناء على القواعد العمومية

الى المعلمين والمعلمات ٩ تفتيش المكاتب المذكورة واجراء امورها سواء كانت ميرية او خصوصية وسواء كانت مصاريفها من الخزينة او من طرف الجمعية او من اشخاص خصوصية بيد اينسپكتور (مفتش وناظر) مخصوص بها، ونظارتها تفوض الى مأمورى النواحى ومأمورى نظارة المعارف بواسطة المفتشين ١٣ لاجل تسهيل تعليم لغة الروس وكتابتها لاولاد الاقوام الغير الروسية تطبع كتب المكاتب (١) بحروفهم وحروف الروسية معا ١٤ ومتى ابتدأت اولاد الاقوام الغير الروسية القرآءة بلغاتهم تبتدأ تعليم لغة الروس اياهم بواسطة لغاتهم ولا ينبغى تأخير تعليمهم اياها من اول النصف الاخير من مدة التعليم والقرآءة ١٦ تقرأ البنات بالنظر الى معيشة كل قوم مختلطات بالاولاد الذكور او فى مكتب مخصوص بهم كمكاتب الذكور ٣٢ نظارة مكاتب الاقوام الغير الروسية الدينية (كالمسلمين واللامانيين) وظيفة اينسبكتور (المفتشين) المخصوصين ٣٣ ينبغى ان يكون مدير امثال هذه المكاتب حائزا المعارف التى تحصل فى مكتب ذى صنف واحد على الاقل بعد ان كان من تبعة الروس ٣٤ ليس تفتيش معرفة مديرى المكاتب الدينية علوم الدين وعدم معرفته اياها بيد مفتشى تلك المكاتب (٢) ٣٥ لا يقرأ فى المكاتب الدينية سوى الكتب المطبوعة فى الروسية الا باذن مخصوص من اينسبكتور (المفتش) لا تفتح مكاتب الاقوام الغير الروسية الدينية الا بعد تعيين مصارفها وتأمينها وقبول قرآءة الروسية فيها واخذ مديريها شهادة تامة على انهم حائزون القدر اللازم لهم من المعارف المدنية حسبما بين فى المادة ٢٥ (٣) وبعد اذن اينسبكتور بذلك ٣٧ يمكن طلب

---

(١) هكذا هى مطلقة فى الترجمة والظاهر انها كذلك فى الاصل وذلك لامكان التأويل والتقييد وقت الحاجة باى نيفشاءوا كما سيجيء . منه عفى عنه .

(٢) لان ذلك ليس مطلوبه وغرضه وانما غرضه الوحيد معرفة الروسية لاغير وقد صرح به اينسبكتور البلغمبايى القزاق فى بلاد القزاق . منه عفى عنه .

(٣) وهى ان معلمى الروسية فى تلك المكاتب يكونون من الروس الذين يعرفون السنة الاقوام المذكورين معرفة جيدة ويحوزون القدر اللازم من اصول التربية منه عفى عنه .

مصاريف مكاتب الاقوام المذكورين الخصوصية من الخزينة ايضا الى ما تعلق به الغرض فاذا احطت بها علما اظنك لاتشك فى كونها مختصر التكاليف السابقة قاطبة لا انها عين نظام ٢٦ مارت من سنة ١٨٧٠ كما قيل يعرف ذلك بالمراجعة الى التكاليف السابقة لكن ظهر بطرز آخر وبشكل بديع جدا مغطاة بستائر وحجب كثيفة بحيث لاتشاهد ما وراءها الا احداء الابصار فكانت هذه مكافاة حكومة الروسية المسلمين بهذه الجميلة فى مقابلة تضحية اولادهم فى صفوف الروسية لوقاية شرف الروس وعزمهم والمدافعة من اوطانهم وانجازا لوعد الجنرال وبننه الذى هو رئيس وزارتهم فى ذلك الوقت وانا لااضيع وقتى ولااطيل الكلام بالمحاكمة فى هذا الخصوص فان كل من له ادنى عقل وتمييز وله حظ قليل من الانصاف لايحتاج فى محاكمته الى بيان احد من اى جنس كان وقد ازعج هذا الامر المسلمين عموما هناك ومسلمى بلدة اورنبورغ واطرافها خصوصا ازعاجا شديدا واقلقهم وسلب راحتهم فطفقوا يقدمون العرائض الى الولاة والنظار ويضربون التلغرافات يعلنون فيها عدم رضاهم به وعدم قبولهم اياه ابدا ويطلبون فسخه واول من رفع صوته بالانذار بما فيه هو جريدة الوقت الغراء الصادر باورنبورغ حتى ارسلوه الى جريدة تايمس بلوندن بواسطة موسيو وامبرى الماجارى فنشر الى اطراف العالم فى ستونها وعمدها مع انه كان قد استقر الامر وقتئذ على ان لايقرر امر ما الا بمعرفة نواب الملة ومجلس مبعوثان وتصديقهم وامضائهم وبرضاء الملة الذين يكلفون به فصار من نتايج تلك العرايض التى قيل انها بلغت ٧٠٠ عريضة ان اخر الامر الى وقت آخر يجتمع فيه المعلمون والمحررون الكبار ومفتشوا المكاتب والمدارس ووكلاء المسلمين فى بطربورغ تحت رياسة نظارة المعارف ووعدوا لذلك مايس عام ١٩٠٧ وارسلوا الى نظار المكاتب ومفتشيها فى الولايات بالكف عن التكليف بالنظام المذكور ولكن هيهات ان يكفوا عنه فان كل من جاع ثلاثة ايام من الطعام اللذيذ الذى ظفر به يكف هؤلاء ايضا عنه بل صاروا يزعجون المسلمين بطلب الامضاء منهم على رضاهم به وقبولهم

اياه وقد اخذوه عن بعض المعلمين بالروسية الذين لا ديانة لهم ولا حمية ولا غيرة ولا معرفة لهم بكتابة الاسلام فمثل هذا كيف لا يقبل فاشاعوا بهذا القدر ان اكثر المسلمين قبلوه وانما لم يقبل بعض العلماء المتعصبين انظروا كيف يفترون الكذب على المسلمين مع ان المعلمين بالروسية عقدوا فيما بينهم اجتماعات عديدة ولاسيما فى قرية روسية بقرب اورنبورغ وصرحوا فيها بعدم رضاهم به وعدم قبولهم اياه * وقد راجع بعض الافاضل بمندة بطربورغ نظارة المعارف فى هذا الباب فاجابه بان هذا النظام مخصوص بمكاتب الروس الابتدائية المختصة بالاقوام الغير الروسية غير شامل لمكاتب المسلمين ومدارسهم منشأه طلب المعلمين بالروسية اياه لتسهيل طريق التعليم فكما انا لا نتداخل فى مدارس المسلمين ومكاتبهم كذلك ليس لهم حق المداخلة فى مكاتب الروسية وهذا هو خلاصة جوابه ونعم الجواب لو صح ولكن لا محل له من اعراب الصحة قط وهيهات ان يصح فان المواد الاخيرة منه اعنى من المادة ٣٢ الى آخر المواد تنادى باعلى صوتها بشموله مكاتب المسلمين ومدارسهم الدينية وتكذب نظارة المعارف فى اعتذارها المذكور صراحة فانها مختصة بها دون المكاتب الابتدائية التى يقرأ فيها بالروسية فانها ليست بمكاتب دينيه فان لم يكن النظام المذكور غير شامل اياها فما معنى ذكرها هنا فهل يقول الناظر هنا مثل ما قال خواجه نصر الدين انا ايضا كنت متفكرا فى هذا الخصوص تعال نتفكر سواء على ان اعتذاره المذكور غير صحيح فى اصله وحد ذاته بل هو صبغ العيون فقط فان مكاتب الروس سواء كانت ابتدائية او غيرها لا يقرأ فيها من القديم الا بحروف الروسية ولغتها وهناك صرح بكون القراءة ابتداء بلغة تلك الاقوام فقد تبين وتحقق به ان المراد بتلك المكاتب هى مكاتب المسلمين الابتدائية لا مكاتب الروس المسمى باشقولا فان قيل نعم هو كذلك ولكن المراد بالمكاتب فى المادة ١٣ هى مكاتب الروس المسماة باشقولا والمراد بالكتب فيها كتب المسلمين الدينية التى

تقرأفيها(١) وهذه هي التي طلبها المعلمون ليسهل اهم التعليم لقلة معرفتهم بكتابة الاسلام اوافقدانها رأسا وبالذات ولكون اسلامهم ظاهريا فقط حتى ان كثيرا منهم لايحسن التكلم بلغة قومه فضلا عن معرفة كتابتهم * نقول هذا ايضا مما لايرضاه الملة قط والخيار فى ذلك بموجب فرامان ١٧ اكتوبر الامپراطورى ان كان له قيمة للملة والملة لايرضى بقراءة كتبهم خصوصا الدينية منها التى فيها الايات والاحاديث والادعية واذكار الصلاة بغير الحروف الاسلامية خصوصا بحروف الروس التى ليس فيها نصف الحروف العربية من امثال هؤلاء المعلمين الذين لاديانة لهم ولا اسلام الابحسب الدعوى فقط وهم يجدون لتعليم اولادهم الامور الدينية معلمين كاملين متدينين ورعين يقرؤنهم بالحروف الاسلامية العربية ويعلمونهم الآداب الاسلامية واما المعلمون الذين لايعرفون الحروف العربية بل ولا لغة قومهم فيوجد لهم ايضا خدمة مناسبة للحاكم كتنظيف بيوت الخلاء وكنس الازقة ورعى الانعام من البقر والاغنام اقلها رعى خنازير ساداتهم * اقول قد مر ذكر نظير هذا الاعتذار الكاذب من نظارة المعارف حين اعترض المفتى سليم كراى التوكيلى بان التنظيمات المذكورة لايمكن تطبيقها على المدارس التى بنيت قبل هذا التاريخ حيث قال انها غير شاملة للمدارس القديمة بل هى مختصة بالمدارس التى ستحدث بعد التاريخ المذكور والحاصل ان الاوامر الصادرة عن پطربورغ كلها فى غاية الاغلاق والابهام وتحت الاستار الكثيفة جدا وكذلك الاجوبة الصادرة منها حين ورود الاستفهام والاستيضاح اليها من طرف المسلمين. فهى من قبيل اعطاء السكر بيد طفل يبكى لاخذ جوهر ثمين من يده وكلها مبنية على خدعة وغل وغش ليس فيها رائحة من الصدق قط فلا يصدقها الا الابله الغافل عن مقاصدها ودسائسها قلت قد مر ان نظارة المعارف وعد لعقد الاجتماع المنظر فى النظام المذكور

---

(١) فان اولاد المسلمين الذين يقرأون فى مكاتب الروس الى سكتب كان، يعين لهم من طرف الحكومة من يعلمهم دينهم و هذا التعليم انما هو من كتب الاسلام المطبوعة بحروف الاسلام . منه دفى عنه .

مابس هذا العام الا انها عدلت عن ذلك ووعدله اواخر سنتابر من هذا العام ولعل سبب ذلك ان مجلس المبعوثين والدواب كان مفتوحا فى ذلك الوقت فلا تتمكن الشياطين الذين القوا القاء العداوة والنفرة بين حكومة الروسية ورعاياها الصادقة دائما على مامر بيانه مرارا وذلك لاعتراض النواب الذين جل قصدهم اصلاح الحكومة وشئون الامة والوطن وتأليف قلوب كافة الرعايا على اختلاف اجناسهم وادبا نهم بنشر المساواة والعدالة بينهم فى جميع الحقوق فيبقى ما زرعوه من بزر الفساد والدسائس عقيما بخلاف ما اخروه الى الدوما (المجلس) الثالث فانهم قد دبروا فى جعل اعضائها ممن يغنون بغنائهم ويرقصون على ايقاعهم فلا يتوقع منهم الاعتراض بل التقوية بتصديقهم اياه وقد ورد الامر من محكمة نظارة المعارف لحضرة المفتى بمجيئه الى پطربورغ فى اواخر سنتابر مستصحبا معه واحدا من اورنبورغ وواحدا من قزان ولما قرب حلول سنتابر ارسل حضرة المفتى الى يوسف آخوند بقزان وكمال آخوند قوطويف باورنبورغ يأمرها بعقد الجمعية فى البلدتين المذكورة وانتخاب الوكيل للذهاب الى پطربورغ ففعلوا واجتمع العلماء من مسافة بعيدة كبلدة طر ويسكى ولكن يا للاسف على انه لم يحصل الاتفاق على الانتخاب وكثر القيل والقال ودام الاختلاف والجدال فتفرقت الجمعية المذكورة من غير حصول نتيجة ما وذلك من سوء الحظ والاقبال ثم ان حضرة المفتى لما استشعر باهمية المسألة وانه لو صدر التساهل فيها لكانت العاقبة وخيمة جدا دعا اناسا مخصوصين من اعيان الملة وعلمائها وعقلائها الى بلدة اوفا ليتشاوروا فى هذا الخصوص فلبى بعضهم دعوته رجا بلدة اوفا ولم يصغ بعض آخر الى دعوته ولم يحضروا ببلدة اوفا ولم يكتفوا بعدم الحضور بل اعلنوا فى الجرائد عدم رضائهم بوكالة الوكلاء الذين وكلهم بعض الامة فى الجمعيتين المنعقدتين باورنبورغ وقزان فحصل الفتور بعد ئذ بهمة الوكلاء المذكورين وعرضت الرخاوة لعزمهم ونشاطهم فبعد ان انعقد المجلس فيها اعنى بلدة اوفا عدة مرات تحت رياسة حضرة المفتى اعلن الوكلاء المذكورون انهم لايذهبون الى پطربورغ لعدم الفائدة

فيه حيث بدا الاعتراض من نفس الملة على وكالتهم من الآن فقرآراؤهم على ان يستأذن حضرة المفتي نظارة المعارف بعقد جمعيات متعددة في ولايات كثيرة تنتخب الملة فيها من شاءوا وكيلا من طرفهم ليذهب بهم حضرة المفتي الى بطربورغ ويبين عدم اعتماد الوكلاء الموجودين على وكالتهم لوجود الاعتراض عليها ففعل وتفرقت الجمعية المذكورة ايضا من غير حصول ادنى نتيجة فجاء الجواب من نظارة المعارف الى حضرة المفتي ببيان عدم امكان تأخير الاجتماع ببطربورغ وبدعوته هناك بمن معه من الوكلاء فاعتذر حضرة المفتي بكبره وعجز بصره وذهب اثنان من وكلاء قزان واثنان من اعمال قضاء چيلابي وواحد من اوفا وابراهيم الآقچوري وواحد من تاشكند واثنان من قزاق ففتح اول مجلس في ٦ اكتوبر وفيه كثير من معلمي الروس ومديريهم الكبار وقد رتب وكلاء المسلمين اجوبتهم والاسباب التي لاجلها يمتنع المسلمون من قبول النظام المذكور ترتيبا جيدا وكتبوها ولما فتح المجلس قرؤاها وبينوا بلسانهم عدم امكان قبول المسلمين مثل هذا النظام المجحف بحقوقهم المقدسة بافصح عبارة وقوة جاش والذي ابدى تمام الغيرة وكمال الحمية ونهاية اللباقة والمعرفة والمدنية والمهارة في اساليب الكلام في ذلك المجلس هو الفاضل الغيور ابراهيم افندي ابن خرمشاه الآقچوري فانه بين خطايا النظام المذكور واسباب اباء الملة عن قبوله من كونه مبنيا على الاساس الميسيونيري والمسلك الايلميني بافصح بيان وابلغ تبيان وقرأ مقالة ايلمينسكي المتعلقة بهذا الخصوص من حافظته والزم من حاول فيه اثبات الخطاء واسناد التعصب للمسلمين الزاما بينا واضطره الى الارتعاش والارتجاج في كلامه وخروجه عن الانتظام حتى اضطر ناظر المعارف الى الالتفات اليه والاصغاء الى كلامه والاعتذار اليه بان هذا النظام ليس من مخترعاته بل من مخترعات سلفه وقرالامر فيه بعد انعقاده مرات على فسخ النظام المذكور واخراج مكاتب المسلمين ومدارسهم منه بالكلية وتخصيصه بمكاتب الروسية المسماة باشقولا التي يقرأ فيها اولاد المسلمين

وهذا ايضابعدتعديل واكسائه كسوة اخرى وقدعين اعدة اشخاص لترتيب لائحة وتنظيم جداول فيه وقد رتبواها مشتملة على ١٥ بنودثم عرضوها على الاعضاء المسلمين هناك وحيث ان الالحاح لاينفع هناك سكتوا رضوا وهاكم نصه المقصود من مكاتب الاقوام الغير الروسية الابتدائية فتح الباب والطريق نحو اصلاح معايشهم بتلقيح افكارهم وعقولهم من جهة ونشر لسان الروس فيما بينهم وتقريبهم من الروس بهذه الوسيلة لتتأكد محبتهم بهذا السبب للوطن المشترك بين الكل . وكما ان مكاتب الاقوام الغير الروسية الابتدائية تفتح فى مملكة الروس وفق الاصول الجارية عموما فى ذلك والاصول المخصوصة بالنظر الى بعض الاماكن والمواضع كذلك تفتح وفق النظام والاصول الآتية (١) الآلة التى تستعمل فى مكاتب الاقوام الغير الروسية الابتدائية للقراءة ابتدأ انما هى لسان الام (الايضاح) (المراد بلسان الام اللغة التى يستعملها ذلك فى محاوراتهم فيما بينهم) (٢) تكون المكاتب المذكورة ذات صنف واحد وذات صنفين ومع ذلك يمكن جعل مكتب ذى صنف واحد ذاشعبتين بالنظر الى موضعه (٣) يقرأ فى مكاتب الاقوام الغير الروسية هذه الاشياء . علم الدين . ولسان الام ولسان الروس (التكلم والقراءة والكتابة) والحساب . والشعر . (التغنى) ويزاد على هذا فى مكاتب ذات صنفين . تاريخ الروس . وجغرافيا . والطبيعيات . ومقدمات الهندسة . (٤) يقرأ الاقوام الغير الروسية علم الدين اذا كان نصرانيا بلغة ذلك القوم الى ان يتم الصنفين ولكن ان كانت الاولاد قد تعلموا من اللغة الروسية مقدار مايفهمون فهما جيدا ولم تقع الممانعة من طرف آبائهم وامهاتهم يمكن ان يقرأ هؤلاء علم الدين بلغة الروس ايضا واما الذين ليسوا نصارى او كان مذهبه مخالفا لمذهب الروس فهؤلاء يقرأون علوم دينهم حسبما يأمر به دينهم وشريعتهم (٥) تكون القراءة فى تلك المكاتب بلسان تلك الاقوام الى سنتين واما بعد ذلك فتكون بلغة الروس ولكن تدوم القراءة بلسان تلك الاقوام لئلا تنسى ولتكون واسطة لهم سائر

الدروس بلغة الروس بالسهولة (٦) يبتدأ بتعليم لغة الروس بتركيب الجمل وترتيب الكلمات باعانة لغة تلك الاقوام من غير ان يؤخر من نصف العام الذى بدئ فيه بالقراءة واما البداءة بتعليم قراءة الروس وكتابتها فلا ينبغى ان يؤخر من العام الثانى من ابتداء القراءة والتعليم (٧) ...... (٨) تعيين الدروس وساعات الدروس انما يكون وفق الجدول المخصوص لمكاتب ذات صنف او صنفين الذى رتب من طرف دائرة نظارة المعارف بناء على النظام الصادر فى ٤ ايون من سنة ١٨٧٥ (الايضاح يثبت نموذج جدول الدروس فى آخر هذه البنود) (٩) يرتب الجدول المفصل لكافة الدروس التى تقرأ فى مكاتب الاقوام الغير الروسية ولقراءة لغة تلك الاقوام من طرف ادارة دوائر المعارف ثم يقدم لنظارة المعارف للتأكيد (١٠) ...... (١١) يعين للتعليم فى مكاتب الاقوام الغير الروسية سواء كان ذكرا او انثى من كان بيده شهادتنامة ناطقة باهليته للتعليم ويكون من القوم الذين يقرأ اولادهم فى ذلك المكتب او من الروس اذا كان يعرف لسانهم (الايضاح يمكن ان يساعد لروسى لا يعرف لغة تلك الاقوام للتعليم فى الشعبة العالية من مكاتب ذات صنف واحد او فى الصنف الثانى من مكاتب ذات صنفين) (١٢) يمكن ان يعين لتعليم علوم الدين من علماء تلك الاقوام او من غير العلماء اذا كان عارفا بها (١٣) يؤذن بفتح المكاتب لتعليم الروسية للكبار والصغار سوى المكاتب التى تفتح وفق هذه الشروط سواء كان فتحها من طرف الحكومة او جماعة مخصوصة او شخص مخصوص ويعين مدة القراءة فى مثل هذه المكاتب وتشكيل الصنوف على العموم من طرف مأمورى المعارف بموافقة من يفتحها اياهم ورضاه فان طلب مصارف مثل هذه المكاتب من الخزينة تسلم هذه الامور كلها الى يد نظارة المعارف (١٤) الاماكن التى تجرى فيها هذه الاصول هى هذه. دوائر معارف قزان. واورنبورغ وآديسا فكافكازيا والسيبريا الغربية والولايات والدوائر التى تحت ادارة ولاة اقليم تركستان وايرقوتسكى وپرياموريسكى (١٥) لنظارة المعارف حق فى اجراء هذه الاصول والقوانين فى سائر

المواضع التى فيها الاقوام الغير الروسية أه وهذا نموذج جدول الدروس

اسامى الدروس والفنون	اعداد الدرس فى الاسبوع فى السنتين الاوليين فى مكتب	اعداد الدرس فى السنتين الاخريين ذا صنف واحد	اعداد الدرس فى الصف الثانى من مكتب ذا صفين
علم الدين وعلم الحال	٠٤	٠٤	٠٤
لسان الروس التكلم والقراءة والكتابة	١٢	١٢	١٠
لسان الام يعنى لغة قوم الاولاد	٠٦	٠٦	٠٤
علم الحساب	٦	٠٦	٠٤
التغنى — — —	٢	٠٢	٠١
تاريخ الروس	—	—	٠٣
جغرافيا والطبيعيات	—	—	٠٢
الهندسة والرسوم	—	—	—
مجموع	٣٠	٣٠	٣٠

وهذا هو النظام الذى رتب من طرف جمعية شكلت لتعديل النظام السابق وازالة شكوى المسلمين وتطمين قلوبهم وتطييب خواطرهم واظن نه لا حاجة الى المحاكمة فى هذا الخصوص فان كل ذى لب يدرك التفاوت بين النظامين وخروج المواد المتعلقة بمكاتب المسلمين ومدارسهم قاطبة وخروج المادة ١٣ التى ازعج قلوب المسلمين واقلق خواطرهم مدة سنة ونصف سنة ولكن لا ندرى هل هذا الخروج رسمى ودائمى بان تلغى المواد المذكورة الى يوم القيامة فتطمئن حينئذ خواطرهم او هو موقت فقط بان لا تظهر وتذكر الى وقت مناسب لذكرها كما وقعت لها النظائر وعدم ذكر الغائها هنا دليل على الشق الثانى فحينئذ كيف تطمئن قلوب المسلمين وتطيب خواطرهم وايضا المصرح فى ديباجة كلا النظامين ان الغرض من فتح تلك المكاتب فتح الطريق نحو اصلاح معايشهم الخ وتقريبهم من الروس بنشر لغة الروس فيما بينهم لحصول المحبة لهم للوطن العمومى ومع ذلك فسر لسان الام فى هذا النظام الجديد

باللغة المستعملة بين كل قوم من تلك الاقوام فعلم من هذا التفسير ان الغرض من مساعدة المسلمين باستعمال لسان امهاتهم فى تلك المكاتب ليست هى فائدتهم والتوسعة لهم فى تحصيل المعارف بل تضييق عليهم وتشديد والقاء التفرقة بينهم فحينئذ كيف تحصل لهم محبة الوطن ويتقربون من الروس كلا فلو كان الغرض هو ما ذكر لما يشددون عليهم بل يساعدونهم تحصيل المعارف باى لسان كان وايضا لم يذكرها ان هذه المكاتب بمصارف من تفتح وان القراءة فيها تكون اختيارية اوجبرية وذكر فى المواد وفى نموذج جدول الدرس التغنى ولاشك ان هذا اول ما يتنفر عنه المسلمون لكونه حراما فى شرعهم ومع قطع النظر عن ذلك اى دخل له للشق الاول من الغرض المذكور اعنى اصلاح المعايش **وايضا** لم يذكرها ان نظارة تلك المكاتب بيد من تكون ولاشك انها تكون بيد المفتشين الملقبين باينسبكتور كما ذكر فى المادة ٩ من النظام السابق فحينئذ لم تخرج هذه المادة الا من الذكر والكتابة **وايضا** ذكر فيه ان معلم علم الدين يكون من علماء تلك الاقوام او من غير العلماء اذا كان عارفا به ولم يذكر فيه ان هذا المعلم من ينصبه وتعينه ولا شك ان الذى ينصبه ويعينه هو ناظر المكاتب ومفتشه (اينسبكتور) وقد بينا احوالهم فلا حاجة الى الاعادة **وايضا** الامتحان من غير علم الدين يجرى فى تلك المكاتب وان لم يذكر فهل يجرى الامتحان من علم الدين اولا مع انه ضرورى لابد منه على وجه لا يرقى المتعلم الى مرتبة اعلى اولم يقدر على الامتحان فيه كما فى سائر الفنون **وايضا** ذكر الاعضاء المسلمون عند جرح النظام السابق من جملة اسباب الجرح تسويتهم اولاد المسلمين باولاد من سواهم من چواش وچرمش وآر مع انهم يحصلون فى مكاتب المسلمين من المعارف مالا يحصل هؤلاء **وايضا** لم يعتبروا دينهم ولم يلاحظوا اهمية عندهم مع انه مذكور فى اسباب الجرح الى غير ذلك من الانتقادات التى لو جمعنا كلها لكانت عشرة امثال النظام المذكور ولهذا لما انتشر هذا النظام بين المسلمين واطلعوا على محتوياته تبدل فرحهم حزنا ونشاطهم فتورا واستيقنوا انه لايلوح لهم صباح الخير واظهروا عدم رضاهم به فى جميع الاماكن والبلدان ان لم

يختلف فيه اثنان سوى صاحب جريدة سميت بضد وصفه وصاروا يجتمعون ويتشاورون فيما يفعلون فيه حتى بلغنى ان حضرة المفتى يريد الذهاب الى بطربورغ لملاقاة النظار بل الامبراطور ان امكن لافادة ان امثال هذه الامور مجحفة بحقوق المسلمين ومزعجة اياهم ومقلقة لخواطرهم وموجبة لنفرتهم وتباعدهم عن الحكومة فضلا عن تقريبهم منهم فنعم الامر لو فعل لكان موجبا لتبييض صحائف اعماله وصفحات تواريخ حياته فى اواخر عمره اطال الله بقاه والحاصل مادام التشديد والتضييق وهضم الحقوق قائمة فى ذلك الطرف فالاطمئنان والراحة محال لهذا الطرف وقدم ان الباعث على نفرة المسلمين هم رجال الحكومة وتشديداتهم الغير اللائقة وتقدم ايضا ان التعصب ابن الاضطهاد ولما انتشر النظام السابق كتب لى بعضهم انه ان حصل الجد من طرف الحكومة باجراء هذا التكليف يلزمنا كذا وكذا قلت ليس هذا اول قارورة كسرت فى الاسلام وكم من امور امثال ذلك قد وقعت فلم يحصل كذا ولا هذا والا لما كنا كذا فلو حصل لحصل حين تحركت الجمهور منضمين اليهم

شعر:

فان لم تكن لى والزمان شرم برزم * فلا خير فيك والزمان ترللى *

والحكومة انما تفعل ذلك لكونها امينة من وقوع كذا وكذا نعم اذا حصل الجد به ينبغى لهم ان يهيئوا لهم محل الهجرة بناء على قاعدة احد اسلحة العاجز الهرب ولا يجدون لهم محلا احسن للهجرة من جهة الشرق ملتجئين الى حماية الشمس المشرقة مغنين بقول الشاعر شعر

الا فاعذر واقلب المحب فانه * رأى البرق شرقيا فحن الى الشرق *
رأى البرق شرقيا فحن الى الشرق * فلو لاح غربيا لحن الى الغرب *

وهذا الطريق اعنى طريق اقراء كتب المسلمين بالحروف الروسية كان اخترعه ايلمينسكى كما مرت الاشارة اليه عند نقل كلام چيچيرنه ومدحها اياه وبيان منافعها لهم والحاصل انهم لما قاسوا الصعوبة فى تعليم اولاد المكرمين اخترع ايلمينسكى طريق اقرائهم بالفاظ تتارية وحروف روسية فبذلك ازال عقبة واحدة من طريق تعليمهم وهو تعليم الالفاظ الروسية وبقيت

العقبة الواحدة فقط وهى تعليم الحروف الروسية فبذلك ترتبت نتيجة ما على سعيهم واجتهادهم فهم يريدون الآن استعمال الطريق المذكور فى اصطياد المسلمين كما استعمل نصر الدين خواجه فى بنته ماقاله الدلال فى بقرته ففى اواخر فنوار من سنة ١٩٠٥ اورد پروفيسر فى جمعية اختبار الشرق فى حضور الجنرال شويدف نطقا فى مدح الطريق المذكور وتأثيره ولزوم ادخاله واجرائه بين المسلمين ولقى مدافعة شديدة وتكذيبا اياه من طرف المسلمين الحاضرين هناك ثم اوردت جيجبر بنه عين النطق المذكور فى الجمعية المذكورة فى آپريل من السنة المذكورة كما مر بيان بعض منها فلقيت ردا ومدافعة وتكذيبا من طرف الغيور طنجبايف وسيد آلن وهما من طائفة قزاق ثم اورد النطق فيه بعض الجنرال المتقاعد العاجز عن ادارة معاشه فى ٢٦ مايس من السنة المذكورة ليشبع بذلك بطنه من صندوق الصليب الاحمر والحاصل ان هؤلاء اعداء الانسانية عموما الروسية خصوصا هم الذين لا يزالون يسعون فى تكدير المياه الصافية وايقاع امور الحكومة والرعية فى الارتباك وايقاع الشحناء والبغض والعداوة بين رعايا دولة واحدة وابناء وطن واحد والحكومة دائما فى طرفهم وفى حمايتهم واعانتهم وتقوية شيطنتهم كما مر وذلك اما لعدم تنبهها على شيطنتهم ودسائسهم لظهورهم لها فى صورة النصاح ومهارتهم وحذاقتهم فى شيطنتهم واخفاء مرامهم ودسائسهم او لوجود منفعتها ومصالحها فى ذلك وان كان هذا بعيدا عن العقل والله سبحانه اعلم

واما سائر احوال القوم المذكورين من جهة معاشيهم وعوائدهم وطبائعهم فهم منقسمون الى اهل الامصار واهل القرى واهل الامصار اما تجار واما صناع ولكن ليس فيهم كبير صناعة وهم مقيمون فى الامصار فى محلات على حدة غالبا وربما يسكنون مختلطين بالروس ولكن مساجدهم ومدارسهم فى محلات مختصة بهم واهل القرى اما تجار واما زراع واما صناع واكثرهم الزراع وفيهم ارباب الفابريكات والمعامل واصحاب الاراضى والعقارات والغابات ولكن ليس فيهم من يبلغ ثروته ثروة اغنياء الروس ولكن تجارتهم ترقت فى هذه السنين الاخيرة ترقيا ظاهرا فى جميع انحاء مملكة

الروس وهم ينتشرون في جميع الممالك التي تفتحها الروسية حتى في مانجوريا وولاديوستوك وما والاها وجهات البحر المنجمد الشمالي حتى صار لهم الآن جامعان في موسقوا وفي ابرقوتسكي و آرخانكيل وچينا وزيدت جوامع جديدة في كل من بلاد اورنبورغ واورسكي وطرويسكي واوفا وغيرها في مدة قريبة وكذلك انشئ في بلدة پيرمي جامع لطيف جداً وكذلك احدثت الجوامع في قصبات كثيرة لم يكن بها جامع قبل مثل منزله وبوكلمه وكوزنيتسكي وكذلك انشئ في العام الماضي جامع في بلدة توير من امهات بلاد الروس القديمة بين موسكوا وپطربورغ وسينشأ في نفس پطربورغ ايضاً جامع كبير انشاء الله كل ذلك بهمة الاغنياء كثر الله أمثالهم وزاد غناهم وهم يتنافسون بعضهم بعضا في ذلك ولا توجد قرية من قراهم ليس بها مسجد الا اذا كانت صغيرة جداً فتكون تابعة لاقرب القرى اليها وتحت نظارة امامها ومثل ذلك نادرة جدا بل لا تكاد توجد وأكثر قراهم كبيرة مشتملة على محلات كثيرة حتى توجد قرية مشتملة على تسع وعشر محلات مثل قرية قارغالي بقرب بلدة اورنبورغ وقرى المسلمين خالصة لهم ليس فيها روسي الا نادرا جدا بحيث لا تذكر ومساجدهم ليست مثل مساجد سائر الممالك بان تكون اوطأ من بيوت الناس بل تكون ارفع من جميع البيوت ومناراتها عالية جدا وهم اذا دخلوا المساجد لا يتكلمون فيها بكلام الدنيا الى ان يخرجوا منها ولذلك ترى مساجدهم ذات روح وراحة بحيث اذا دخلتها ترى نفسك كانك خرجت من الدنيا وترى صدرك منشرحا غاية الانشراح وقدمر بيان معاملة الروس المساجد رسما واما طبعا ربما ترى احدهم يمر بقرب المسجد وفي يده دخان يشربه فاذا سمع الاذان يرميه من يده تعظيما للاذان (١)

---

(١) وقد خرجنا يوم ٢٣ من رمضان هذا العام الذي طبع فيه التاريخ من مسجد توز توبه بعد اداء صلاة الظهر فاذا اثنان من الروس يمران بامام المسجد وفي فم احدهما دخان فلما رآنا اخفى دخانه بكمه واخذ الآخر قبعته تعظيما لنا هداهما الله للاسلام منه عفي عنه .

وربما يقف بسمعه وليس هذا بمبالغة ولكنه قليل وفي جنب كل مسجد مكتب مكتب او مدرسة ولو كان في القرى بحيث لا يكاد يوجد مسجد ليس بجنبه مدرسة او مكتب وهم يعظمون العلماء واهل الفضل ومشايخ الطريقة جدا بحيث لو قلنا ان قوما من الاقوام لا يعظمون علماءهم مثلهم لا يكون مبالغة والحاصل لا قصور لهم في ذلك وانما القصور في معرفة من يستحق التعظيم ومن لا يستحقه فكل من اعتقدوا فضله يعظمونه وان كان اجهل الجهلاء ومن لا يدركون فضله لا يلتفتون اليه قط وان كان اعلم العلماء وافضل الفضلاء ومع ذلك فهم يرجحون الاجانب بالطبع ويعتقدون ان جنسهم لا يبلغون شأو الاجانب بل لا يجوز ذلك في اعتقادهم فسوق الاجانب هناك حامية بشرط دعوى الفضل وان كان في الواقع اجهل من الجدار واسفه من الحمار وهذه سجية كافة الطوائف التركية على العموم وطبيعة التتار على الخصوص لا يستثنى منهم فيها احد ولذا تسمعهم انهم عاملوا بالشيخ الفلان كذا وجمعوا له مبلغا كذا لبناء كذا وتعمير كذا وهو لم يعمر الابطنه الخبيث ولم يبن الابيت النفسه كبناء شداد وقد ابهم الفاضل المرجاني بذلك ولكنه كان بنفسه متصفا بهذه الصفة وقد اتى بلدة قزان سنة ١٣٠٠ اثنان من سكنة مكة احدهما خياط وزمزمي فصدق ولم يدع ماليس فيه وكان اسمه خليلا والآخر اصله من فلاحي اسكندرية اسمه اسمعيل فادعى انه امام وخطيب في حرم مكة وهو عامي لا يجيد القراءة من جهة الاعراب فضلا عن جهة التجويد فصدقه الفاضل المرجاني وكان يأخذه معه في الضيافات ويجلسه معه في عربته ولم يعامل هذه المعاملة مع احمد ضياء الدين افندي مجاور المدينة فضلا عن غيره وكان المذكور ايضا هناك في العام المذكور مع انه اظهر فضله بانشاء بعض القصائد في مرثية ولده وتاريخ مدرسته فعلمت من ذلك الوقت ان رؤية قصور الغير سهل ولكن الاجتناب عنه مشكل وعسير مع ان اللازم اولا هو هذا قال الشاعر   شعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى * بالعلم منك وينفع التعليم

وهذا كلام صدق لاشبهة فى صحة مضمونه فان الانسان اذا ناقض قوله بفعله كيف يؤثر قوله فى غيره وكيف يقتدون بقوله دون فعله مع كونه اقوى وقد شاهدت ذلك بعينى فان ولده دعى لاعطاء بدل بعض اقاربه فى سنة ١٣١٦ واحدا من اهل الحرمين متعللا بان اباه كان يحبه فقد سن هذا المن بعده بفعله والحاصل ان هذا الفعل الشنيع جار بينهم وسار فيهم حتى رأيت بعض طلبته التتار فى بخارى يستنكف ان يتعلم من مدرسى التتار ويقول ما فائدة مجيئ الى بخارى اذا اخذت العلم من مدرسى التتار وهم مبذولون فى الروسية ايضا وهذا كما ترى تعليل فاسد فان كون غريب الديار مدرسا ومرجعا للكل دليل ظاهر على كماله فانه لو لم يكن مستحقا للتدريس من جميع الوجوه لما نصبوه مدرسا ولما اخذ عنه سائر الاجناس كما لا يخفى ومثل هذا يشاهد فى سائر المواضع ايضا وهم اعنى قوم التتار اهل الذكاوة والقابلية والصلاحية والاستعداد لكل شئ ولهذا انهم لا يختلطون بقوم من الاقوام الا انقلبوا اليهم ويصيرون منهم من جميع الوجوه ألسنة واخلاقا وعادات وآدابا فى اقرب الاوقات والغالب فيهم الصلاح والديانة والصداقة والامانة ولهذا ترى سائر الامم المتجاورين لهم يميلون اليهم ويحبونهم حتى امة الروس لولا افساد طائفة مِيسيونير وفيهم اعانة بعضهم بعضا وان لم تكن فى الدرجة المطلوبة ولعلها تزيد فيهم بزيادة المعارف والتمدن وقد شاهدت الفقير ترقيهم فيها ترقيا ظاهرا فى مدة سنين قليلة واسباب معايش الائمة والمدرسين ولوازمها من اعشارهم وزكواتهم وصدقاتهم (١) واهل القرى سالكون مسلك الاقتصاد والبساطة فى جميع شؤناتهم الا من ندر منهم واهل الامصار فى اغنيائهم الكبار الاسراف والتبذير والكبر والخيلاء غالبا ولاسيما الشبان منهم ولذلك ترى كثيرا منهم يضيعون الثروة التى جمعها

(١) هذا لمن كان بينهم من العلماء واما من اغترب منهم فى سائر البلاد فهم لا يتفكرون فيه ولا يتذكرونه قط فهم اعنى الغرباء من علمائهم فى ضيق وشدة من جهة المعيشة فان الغريب اذا لم ير الاعانة من قومه فممن يراها . منه عفى عنه .

آباؤهم واجدادهم بغاية المشقة والتعب ويفلسون في اقرب الاوقات.
والخير من جميع الوجوه في المتوسطين و أما مذهبهم فمن حيث الاعتقاد
كلهم سنيون ماتريديون ومن حيث العمل كلهم حنفيون وليس فيهم مبتدع
قط الى الآن وذلك لشدة تصلبهم في الدين فانهم من شدة تصلبهم قد سفروا
ونفوا عن بلادهم الى سيبريا بمعونة الحكومة بعض من اراد ابتداع بعض
الاشياء كمكلى قل ايشان ومن شدة تصلبهم يعدون ذكر الجهر بدعة وينهرون
هنه صاحبه وينكرون عليه اشد الانكار الا ان مذهب الوهابيين قد بدأ في
الرواية في بعض الاشخاص منهم من بعض الوجوه وحدث ايضا في مدة قريبة
فرقة البهائية وهم اصحاب شخص سمى بهاء الدين كان مريدشيخ من مشايخ
النقشبندية فلما توفي شيخه ادعى الخلافة والمشيخة لنفسه من غير اذن
واجازة من شيخه وابتدع بعض الامور وحصل له ماجريات مع الاهالي والحكومة
فرمته الحكومة اخيرا في تيمارخانه (موضع المجانين) تخليصا له من النفي
فمات فيه وبقي له اتباع واصحاب والآن نسمع انهم اجتمعوا على ولده وشرعوا
في احياء مذهبه الباطل اباد هم الله وقد علمت ايضا فيما سبق انحراف بعض
الشبان عن جادة الاستقامة وانسلاخهم عن الديانة والحسد سائد بين
علمائهم قديما وحديثا ولذلك تراهم لايجتمعون ولايتفقون على امر ما ومتى
صار واحد منهم اماما في مسجد من المساجد بأخذ المنشور صار ذلك المسجد
كالمال الذى ورثه من ابيه لايترك احدا يقرأ فيه القرآن او يعظ فيه الناس
الا باذنه ولهم تمسك شديد بعاداتهم ومبادئهم ولاسيما اذا اعتقدوها سنة
وان كانت في الواقع مستهجنة مثل كيفية تسميتهم الاطفال فانهم يضعونهم على
الارض ويقومون في طرفه اليمين ويؤذنون قائمين جاعلين سبابتيهم في
آذانهم مثل اذان الصلاة ثم يدعون بدعاء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة الخ وليت شعري اى صلاة هناك قائمة ثم يقومون في طرفه اليسار
كذلك قائمين والحاصل اذا رآهم من لم يرهم اولا على هذه الكيفية لايملك
نفسه من الضحك ومن ذكر لهم بما في الشرعة من قوله ويؤذن في اذنه اليمنى
الخ لايلتفتون اليه قط هدانا الله سبحانه واياهم سواء السبيل ورزقنا حسن

الاستقامة والتمسك بالحبل المتين واما عدد نفوسهم فاعلم أن تحرير النفوس انما ابتدئ في عصر پطر الاول وتكرر الى الآن عشر مرات فلا نذكر في السوابق منها كم كان عدد نفوسهم واما في العاشر منها الذي كان سنة ١٢٧٣ﻫ في ايام الـكساندر الثاني على ماذكره الفاضل المرجاني كان عددهم ٢٠٠٧٤٠١٨٢ تقريبا و٣٠٧٥٠ مسجدا و١٠٨٦٩ مدرسة ومكتبا وقد ارسل الى الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين افندي زيد قدره وعلاه بموجب التماسي منه هذا الجدول قبل هذا باثنتي عشرة سنة أعني قبل التحرير الاخير الحادي عشر وهو هذا .

اسامي الولايات	عدد الائمة والمدرسين	عدد المساجد	منازل الصلاة الغير الرسمية	عدد الذكور	عدد الاناث	عدد مجموع الذكور والاناث
قزان	٢٣٦٠	١٠٦٩	..	٣١٨٩٩٣	٣٠٢٧٥٣	٠٦٢١٢٤٦
واتكا	٠١٩١	٠١٥٨	..	....	....	٠١٢٨٥٤٦
اورنبورغ	٠٩٧٦	٠٥٢٩	..	١٩٣٣٨٩	١٧٠٣٤٢	٠٣٦٣٧٣١
اوفا	٢٢٨١	١٥٢١	٠١	٥٤١٧٨٥	٥٣٩٩٧٠	١٠٨١٧٥٥
صمار	٠٤٢٠	٠٣٠١	..	١٢٤٠٨٨	١٠٩٤٩٧	٠٢٣٣٥٨٥
سمبر	٠٢٤٣	٠١٧٧	..	٠٦٠٥٨٧	٠٥٩٥٤٣	٠١٢٠١٣٠
سراطاو	١٧٥	٠١٥٢	..	٠٤٠٦١٤	٠٣٠٦١٤	٠٠٨١٨١٨
پينزا . .	٠١١٩	٠١٠٥	..	٠٣٣٨٢٨	٠١٩٥٦١	٠٠٥٣٣٨٩
طمبوف . .	٠٠٣٨	٠٠٢٨	..	٠٧٢٧٣٩	٠٧٦٦٥٢	٠١٤٩٣٩١
اورالسكى	٠٠١٨	٠٠١٤	..	٠٠٩٦٠٥	٠٠٨٦٨٨	٠٠١٨٢٩٣
اوباوص			..			
حاجي طرخان	٠١٤٦	٠١٣٨	..	٠٥٣٤٢٧	٠٥٠٩٤٥	٠١٠٤٣٧٢
چيرمى . .	٠٣٠٢	٠٢٠٤	..	٠٧١١٥٢	٠٦٧٦٢٥	٠١٣٨٧٧٧
طوبل . . .	٠١٣٦	٠٠٧٢	..	٠٢٧٣٢٢	٣٢١١٧٣	٠٠٥٨٤٩٥
سيمى پولاط	٠٠١٥	٠٠١٤	..	٢٨٢٧٤٧	٢٣٧٢٠٦	٠٥١٩٩٩٣
نيژنى نووغورود	٠٠٨٥	٠٠٦٤	..	٢٢٥١٥	٠٣٣٣٩٠	٠٠٥٥٩١٤
طومسكى	٠٠٢٩	٠٠٢٨	..	٠١٣٣٥٥	٠١٦٧٥٣	٠٠٣٠٢٠٨

اسامى الولايات	عدد الائمة والمدرسين	عدد المساجد	المنازل المستاجرة للصلاة	عدد الذكور	عدد الاناث	عدد مجموع الذكور والاناث
رزان . . .	٠٠١٤	٠٠١٠	٠٠	٠٠٣٣١٧	٠٠٣٤٤٩	٠٠٠٦٧٦٦
موسكوا . .	٠٠٠٢	٠٠٠١	٠٠	٠٠١٥١٣	٠٠٠٧١٢	٠٠٠٢٣٢٥
پطربورغ	٠٠٠٤	٠٠٠٠٠	٠٠٣	٢٠٠٠	٢٠٠	٠٠٠٢٢٠٠
ايركونسكى	٠٠٠٣	٠٠٠٢	٠٠	٠٠١٤٧١	٠٠٠٩٩٦	٠٠٠٢٤٦٧
آقمولا . .	٠٠١٤	٠٠١١	٠٠	٠٠٤٢٨٥	٠٠٣٩٨٩	٠٠٠٨٢٧٤
بنسى . . .	٠٠٠٢	٠٠٠١	٠٠	٠١٩٤٨	٠٠٠٨٠٩	٠٠٠٢٧٥٧
كاصترامار	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	٠٠٠١٨٩	٠٠٠١٧٦	٠٠٠٠٣٦٥
يكاترينصلاف	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	٠٠٠٠٢٩٦	٠٠٠١٥٥	٠٠٠٠٣٥١
راصتوف	٠٠٠٢	٠٠٠١	٠٠	٠٠٠٠٢٠٥	٠٠٠١٠٥	٠٠٠٠٣١٠
آديسا . . .	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	غير معلوم	غير معلوم	٠٠٠٠٠٠٠
كرونشتاد	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	كذا	كذا	٠٠٠٠٠٠٠
وارشاوا	٠٠٠١	٠٠٠٠	٠١	كذا	كذا	
خاركف	١		٠١	كذا	كذا	٣٬٨٨٦٬٦٬٢٠٥
	٧٥٨٢	٣٦١١				مجموع

وهذه الولايات انتشرت فيها المسلمون بعد دخولهم تحت تصرف الروس من الاول الى هنا كانت ممالك المسلمين الاصلية كلا او بعضا الا ولاية آقمولا فانها كانت فى الاصل من ممالك المسلمين

تنبيهات الاول ان بعض الولايات التى فيها التتار لم يذكر هنا مثل آرخانكيل وچينا وخباروفكا وويلاديويستوك وبلاغويشينسكى وسخالين وخاربين وقمچانكا وبعض مواضع فنلانديا فان فى كثير منها مساجد رسمية وفى بعضها منازل مستأجرة للصلاة والثانى ان كثيرا مما ذكر زاد فيه مساجد رسمية مثل موسقوا ولحدث فى بعضها مساجد مثل آديسا والثالث ان مسلمى هذه الولايات هم التابعون للمحكمة الاسلامية فى بلدة اوفا وكافة ائمة هذه الولايات ومدرسيها لا يكونون ائمة ولا مدرسين الا بعد اخذهم المنشور

من طرف الحكومة واجراء الامتحان فى المحكمة المذكورة والرابع ان مسلمى تلك الولايات هم المشهورون الآن فى خارج مملكة الروسية باهل (١) قزان مع ان ولاية واحدة منها وكثير منهم لم يدخلوا تحت حكومة قزان وقت استقلالها وذلك الاشتهار لكون مملكة قزان آخر الممالك التتارية التى استولى عليها الروس وهم منقسمون الى ثلاثة اصناف مشهورة اعنى التتار والميشر والباشقرد وان كان فيما بينهم اصناف اخر صغار غير مشهورة مثل نوغاى وهم اهل حاجى طرخان وتيبتر وهم ساكنون فى اراضى باشقرد مختلطين معهم وهم اهل القزان المهاجرون الى هناك بعد استيلاء الروس على قزان وقيل هم الذين اسلموا من چواش وچرمش وآر والاصح انهم اعم من المسلمين الاصليين ومن هؤلاء المهتدين كما قدمنا والخامس ان المقيمين فى قريم وداغستان وماوراء النهر وخوارزم وفرغانة وتركستان من اهل قزان غير داخلين فى هذا الحساب وغير تابعين للمحكمة المذكورة ولهم فى كثير من تلك الممالك محلات مستقلة ومكاتب ومدارس والسادس ان الفقير كنت قد اطلعت فى موضع على ان نفوس مسلمى ولاية قزان كانت فى التحرير الذى وقع قبل تحرير هذا الجدول ٣٠ سنة تقريبا ٤٨٣،٨٤٣ فتكون الزيادة فى مدة سنة ٣٠ تقريبا ٤٠٤ ١٤٣٠ والسابع يظهر من هذا ان نفوس اهل قزان حين استقلالهم الحكومة انفسهم اما ان تبلغ مليونا اولا وذلك مع چواش وچرمش وآر التابعين لهم فان الباشقرد والميشر كانوا خارجين عنهم وبهذا القدر من النفوس حاربوا الروسية مدة ١١٥ سنة وقاوموهم مع ان نفوس الروسية لاتنقص فى ذلك الوقت عن ٢٥ مليونا على الاقل سبحان محول الاحوال والثامن ان المتأمل فى حساب الذكور والاناث يرى عدد الذكور اكثر من عدد الاناث دائما الا فى ولايات طوبل وطومسكى ورزان ونيژنى نووغورد واظن ان الارقام

(١) ولما اهل القريم والداغستان والتركمان وخوارزم وما وراء النهر وفرغانة والتركستان وقزاق وقرغز فخارجون عنهم غير معدودين منهم الامن كان يقيم بينهم منهم. منه عفى عنه.

فى الاصل فى اعـادنهوس هذه الولايات وقعت فى غير مواضعها بان وقعت ارقام الذكور موضع ارقام الاناث وبالعكس واما قلة عدد الاناث عن عدد الذكور فى موسكوا وپطربورغ فلكون المسلمين هناك انوهما من سائر البلاد لاجل الكسب فقط واكثرهم غير متأهلين واما فى التحرير الاخير الواقع فى سنة ١٨٩٧ الذى قدمر ذكر ما جرى فى اثنائه بعض الامور الغير اللائقة

واما علماء تلك الديار فى تلك الادوار فاعلم انى قدمت اعتذارى فى هذا الباب مرارا فلا حاجة الى الاعادة وخلاصة الكلام ان العلماء فيهم كانوا موجودين كثيرين وقد عرفت خلال بيان احوالهم اجمالا صلابتهم فى الدين وسعيهم واجتهادهم فى حفظ احكام الشريعة ونشر الدين والعلم فانه لولا سعيهم واجتهادهم الخارق للعادة لتلاشى امر الدين فى اقرب مدة اثناء سعى المخالفين فى اطفاء نور الله تعالى السعى الذى مر بيانه وماتفوه به بعض المخاذيل من انه لامدخل لسعيهم فى بقاء الدين الاسلامى فيهم ابقاء اقوام چواش وچرمش وآر على ماهم عليه من الوثنية مع عدم علمائهم فكلام باطل ليس تحته ادنى طائل فان بقاء هؤلاء ايضا تابع لبقاء التتار على ماهم عليه من الاسلام والالما بقوا عليها كما اعترف به الضالون على ان قياسه قياس مع الفارق فانه لولا علماء التتار ابقوا على التتارية المحضة عارين عن الدين والعلم مثل تلك الاقوام والحاصل ان مساعيهم واجتهادهم فى هذا الباب لاتنكر بل تذكر دائما وتشكر وعلى صحائف التواريخ تسطر رحمهم الله سبحانه جميعا ورضى عنهم الا انه لم يبق منهم شئ من الآثار التذكار ولكن عدم الآثار لايدل على عدمهم بل ربما يكون من لا اثر له فقط اعلم وافضل ممن له آثار كثيرة وفوائد للملة غزيرة من جهة قيامه بامر تعليمهم ونشر الدين والعلم والآداب فيهم كما شاهدنا نحن بعيوننا كثيرا ممن كانوا كذلك ولقد قلد الفاضل المرجانى قلائد المنة فى اعناق النبلاء بجمع تراجم كثير منهم فى القسم الثانى من مستفاده جعل الله سعيه مشكورا وجزاه عنا وعنهم خيرا ورحمه ورضى عنه ثم اقتفى اثره فى ذلك مع زيادة فوائد لاتحصى الفاضل المحترم رضاء الدين افندى القاضى شكر الله سعيه وادام بقاه ووفقه لاتمامه ونشر فوائد كثيرة للملة غير

ذلك وانا اذكرهنا بعض المشاهير منهم اخذا من آثارهما اوالتقاطا من مواضع اخرى على سبيل الايجاز لاحيا ذكرهم فاول من وقفت على اسمه منهم الشيخ رضي الدين القزاني ذكر في خلاصة الاثر في ترجمة الشيخ ابي بكر بن على المعروف بالجمال المصري المتوفى بمكة في سنة ١٠٠٦ عند تعداد مشايخه الذين اخذ عنهم الشيخ رضي الدين القزاني الشافعي ولم يذكر احواله لا هنا ولا في غير هذا الموضع وقوله الشافعي بعد قوله القزاني عجيب جدا فانك قد عرفت مما سبق قريبا ان اهل قزان كلهم حنفيون ليس فيهم شافعي اصلا والله سبحانه اعلم واتحفني صديقي الشيخ محمد صالح الميمني المكي سلم الله ابياتا وجدها بين اوراق متفرقة كتب فوقها هذه العبارة وقال صاحبنا احمد بن رضي الدين القزاني المكي فيه اه ولم اطلع على اسم كاتبه وحقيقته وجنسه واظن ان رضي الدين هذا الذي هو ابو احمد صاحب الترجمة وقوله فيه اي في ذكر الاحبة وقت الشدايد والابيات هذه اشعار

ولقد ذكرتك والاحبة تذكر * في يوم (١) مسود الجوانب اغبر
وذكرت بالخطي قامتك التي * تختال عن غصن البان لما تهصر
وذكرت بالهندي فعل لواحظ * لك في قلوب العاشقين تؤثر
وذكرت من برق السيوف مباسما * لك من بريق بالعقيق تخبر
وبسنجق القوم الكرام ذوائبا * لك فوق خدك حين تخطر تنشر
والله لولا ان ذكرك مونسي * لتوحشت روحي بها انا ابصر
النفس هنت والصوافن رقص * والرمح ينظم والصوارم ينشر اه

وقوله فيه ايضا وقد اصابه مرض

ذكرتك والداء قد حل بي * وجسمي غدا لابسا احمرا
وايقنت ان الذي قد كسا * جميعي (٢) خداك مذ اسفرا

وله ايضا فيه وقد اصابه مطر شديد ليلة عرفة

---

(١) وكأن في اليوم المذكور وقعت محاربة . منه عفي عنه .

(٢) والشطر الاخير مكسور وزنا ركيك معنى وكأنه وقع فيه التغيير من النساخ منه عفي عنه .

ذكرتك يا من قده كلماخطر * اظل به مضنى وامسى على خطر
بليلة نفر والضجيج من الورى * علاوهم يدعون من صور(١) الصور
وقد عالهم ريح وذا الريح اسود * به صمت الآذان وانطمس البصر
وللبرق فى جو السماء لوامع * وللرعد صوت ارعد الجن والبشر
وقد ظهرت من جانبيه صواعق * وقد صار ليلا اليلا مابه قمر
وقد طفت النيران منه خوافق * وهبت بنا الارياح وانسكب المطر
وفارقت اصحابي هناك وعشرتى * وقد كنت طاو والفؤاد قد انفطر
واهلكنى برد شديد تصككت * سنونى به واعتادنى الهم والفكر
وايقنت ان الموت قد جاءنى وقد * يئست من الدنيا وقلت الفناحضر
ففرج منك الذكر همى كله * وزال الذى القى من الوجد والضرر
وصرت به الهو واطرب دائما * كانى الذى القاه عمرى والوتر اه

الشيخ مرتضى بن قطلغش السيمتي واشتهاره بالحافظ مرتضى والحاج مرتضى كان تحصيله فى طرف الداغستان وتشرف بالحج وزيارة بيت الله الحرام ومن آثاره بعض الفتاوى الموجود فى هوامش الكتب وكتاب احكام الصلاة بالعربية قال فى ديباجته بعد البسملة والحمد اما بعد فانا العبد الضعيف القليل البضاعة والكثير البطالة الحاج مرتضى القزانى اريد ان اكتب مختصرا جامعا لشرايط الصلاة واركانها الخ كان من رجال القرن الثانى عشر وتاريخ وفاته غير معلوم ولكن قيل انه كان حيا فى سنة ١١٣٦ او قبره بين قريتى السيمت من توابع قصبته مماذش من ولاية قزان رحمه الله تعالى الشيخ منصور بن عبد الرحمن انس البرندقى قيل كان من تلامذة الشيخ مرتضى ومن جدود المعنى محمد جان المار ذكرها ثم رحل الى بخارى للتحصيل ولما رجع الى وطنه وانتصب للتدريس ادعى التفوق على شيخه الشيخ مرتضى والتزم مخالفته فى جميع المسائل فبئس الخصلتان اوصح الاسناد قيل انشأ المدارس الكبار واجتمع لديه كثير من الطلبة قيل كان يقرأ فى تلك البلاد اولا فى ابتداء الصرف الزنجانى وفى مفتتح النحو المصباح للمطرزى وشرحه

(١) هكذا فى الاصل المنقول عنه ولم ادر معناه منه عفى عنه .

الافتتاح ولما رجع صاحب الترجمة من بخارى احدث اصولا جديدة فى التعليم فبدل الزنجانى بكتاب بدان وشرح عبدالله المار ذكرهما فى الصرف وكتاب المصباح وشرحه بالعوامل الجرجانية ورسالتى القواعد وله بيان اعراب العوامل الجرجانية المذكورة بالفارسية يستعمل الى الآن عند القدماء قيل أتمه فى سنة ١١٣٩ ولكنه لم يذكر فيه اسمه بل عبر عن نفسه بعبيدالله البلغارى وتاريخ وفاته ومدفنه غير معلومين رحمه الله تعالى وبرندى قرية من توابع قصبته زوه فى ولاية قزان الشيخ ايشمحمد بن طوق محمد الآدائى وآداى قرية من توابع مالمز التابع لولاية واتكا قيل كان صاحب شهرة عظيمة فى عصره الذى هو ابتداء القرن الثانى عشر وكان شهرته بشيخ بابا وقبره فى قرية آداى المذكورة وتاريخ وفاته غير معلوم **الشيخ يونس بن ايواناى الاوروى** واورى قرية من القرى التابعة لقزان كان مدرسا بها قيل ان اول من رحل الى بخارى للتحصيل بعد استيلاء الروس على قزان هو صاحب الترجمة الشيخ يونس وقد تزوج وقت رجوعه من بخارى ببنت واحد من خوانين قزاق الجنكزية (يظن انه ابو الخير خان بن آچه خان) اسمها ميل بيكه وجاء بها الى وطنه وتوفيت هناك ودفنت بمقبرة اورى قيل ان صاحب الترجمة كان ذا همة عالية وعلم غزير له فتوى مشهور فى وجوب العشر على اهالى قزان وله شرح لسراجية بالفارسية اختارها ليسهل (١) على ابناء جنسه سماه شرح ملا يونس كان ولادته سنة ١٠٤٦ وتوفى فى المرة الثانية من سفر الحج وتاريخ وفاته غير معلوم رحمه الله تعالى **الشيخ عبدالكريم** بن بالطاى القارغالى قرأ اولا على علماء بلاده فى عصره ثم رحل الى بخارى واستفاد هناك من علمائها وصحب الشيخ حبيب الله البخارى المشهور بايشان داملا وهو خليفة الشيخ الامام محمد معصوم ابن الامام الربانى مولانا الشيخ احمد السرهندى قدس سرهما ثم اقام فى قرية قارغالى التابعة لولاية اورنبورغ

---

(١) بل ليسهل على نفسه على ما قال ناظر المعارف الروسية ان التعليم بالحروف الروسيه بناء على طلب المعلمين لكونه سهلا لهم كما مر منه عفى عنه .

يدرس فيها وربى المريدين وتوفى فى سنة ١١٧١ ودفن بمقبرتها رحمه الله تعالى الشيخ عبد الرحمن بن طويمحمد (١) البيكچورى الطايصوغانى ولد فى سنة ١١٠٢ بقرية موروطش طمق التابعة لقصبة منزله بولاية اوفا صرف كثيرا من ءانوان شبابه فى تحصيل العلوم ولما بلغ مرتبة الكمال فيها على حسب استعداده واجتهاده وانتصب للتدريس فى قرية طايصوغان التابعة لقصبة بوكلمه من ولاية صمار واستفاد منه عالم كثير حتى انتشرت طلبته بين قزان واورنبورغ وكان عقل ودرايته متناسبا العلمه ولهذا كان يفصل الدعاوى الواقعة بين المسلمين وفق الشريعة المحمدية وبعد بذلك صيته وكان ذا نباهة وفقاهة ورياسة وله قصيدة بليغة فى التوسل والاستمداد والاستشفاع بالنبى صلى الله عليه وسلم بالتركية وتاريخ وفاته غير معلوم قيل كان حيا فى سنة ١١٧٦ ولم يعلم كم عاش بعد ذلك وقد ظهر من عقبه كثير من العلماء رحمه الله تعالى ويتصل نسب هذا الفقير بنسبه فى جدى الحادى (٢) عشر عبد الله بك الذى هو الجد السابع لصاحب الترجمة والله سبحانه اعلم باحوال عباده وانسابهم الشيخ عبد السلام بن الحسن القاريلى كان اصله من ولاية اوفا واستفاد من الشيخ مرتضى افندى المار ذكره ومن تلميذه الشيخ رفيق بن الطيب القورصاوى ثم انتصب للتدريس والافادة فى قرية قاريلى من ولاية قزان كان من العلماء المعتمد عليهم الموثوق بعلومهم كثير الطلبة ولم يكن له ولد ذكر ولذلك لما شاخ ارتحل الى قرية شغاى التابعة لقصبة منزلة عند ختنه الشيخ محمد شريف واشتغل هناك ايضا بالدرس ثم تحول منها الى قرية ملم واقام عند ختنه الثانى الشيخ زين الدين الململى فى سنة ١١٩٠ رحمه الله تعالى الشيخ امير بن نور محمد كان من مشاهير العلماء الساكنين فى ولاية اوفا وكان

(١) بن بيكمحمد بن حانبولاد بن يعقوب بن سيمن بن ايلاز بن عبد الله بك بن بيكچورا خان واسمه مشهور واحواله مجهولة قيل كان فى منبع نهر جايق بموضع يقال له قاراغاى وفى شجرة انه كان بساحل نهراى بموضع يقال له طيشقى يالان وچوبار كول فى جايق قراغان والله سبحانه اعلم منه عفى عنه.

(٢) فان الفقير مراد الله بن بهادر شاه عبد الله بن عادلشاه بن اسحاق بن توكالباى بن يانى اورص بن مرزا آل بن باخلاى بن مرداش بن مسج بن مرقه بن عبد الله بك بن بيكچوراخان منه عفى عنه.

بفصل الدعاوى الكائنة بين المسلمين وفق الشريعة الغراء واشتغل ايضا
بالتدريس ولم يذكر تاريخ وفاته ولكن قيل انه كان حيا فى سنة ١١٩٣
الشيخ ايشنياز بن شير نياز الخوارزمى الاصل القارغالى الوطن والمدفن
جاء من وطنه الى قرية قارغالى واستوطن بها واشتغل بالتدريس واجتمع لديه
جمع من الطلبة واشتهر فوق درجته وفضله بناء على ماتقدم من ان قوم
التتار يرجحون الاجانب على جنسهم وان كانت قضية مغنى الحى لايطرب
مستعملة وجارية بين كافة الاجناس الاان مضمونها ظاهر وباهر فى قوم التتار
قيل له رسالة مسماة بالعتايد اللطارية بالتركية وفتوى فى سقوط العشاء ببلاد
بلغار وقزان فى اقصر ليالى السنة وفى (١) فساد الصلاة بلمس المصلى اذنيه
بابهاميه عند رفع يديه فى تكبيرة القنوت بوتر ومقالات فى امكانية صفات الحق
جل وعلى وزيادة وجوده على ذاته سبحانه وغير ذلك من الفتاوى الشاذة
المخالفة لاقوال المحققين والعقل توفى فى سنة ١٢٠٥ بقرية قارغالى رحمه
الله تعالى الشيخ وليد بن مقصود كان عالما ذا شهرة عظيمة فى قرية قرمسة لى
التابعة لناحية ايستر لى طق بولاية اوفا وكان يفصل دعوى اهل الاسلام قبل
تاسيس الجمعية الاسلامية وبأذن بيناء المسجد وبنصب الائمة وكان له منشور
بذلك من طرف الحكومة اخذه فى سنة ١١٧٩ وتوفى فى سنة ١٢٠٧ او بعدما
وخلف اولادا علماء رحمهم الله تعالى الشيخ محمد بن الداغستانى الشهير
بقاضى آقاى لانه كان قاضيا بداغستان ثم نفى الى الروسية لسبب ما فاختار الاقامة
بعدان قاسى شدايد كثيرة فى الغربة بقرية (قوندراو) او (قوندراو نوغاى)
بساحل نهر صقمار من ولايه اورنبورغ واشتغل بالتدريس والافادة ونشر
العلم والوعظ والنصيحة خصوصا بالاتفاق والاتحاد وانتفع به خلق كثير

(١) اقول كنت اتعجب من سؤال بعض اهل قزان من هذا اعنى من فساد الصلاة بلمسهما
وربما فتشت من بعض الكتب الجامع بين الغث والسمين رجاء ان اظفر بوجوده فعرفت الآن ان
منشأه دماغ الشيخ ايشنياز الخوارزمى لاغير قال الفاضل المحترم رضاء الدين افندى القاضى
امتحنوا به الشيخ زين الله ايشان فى حدود سنة ١٣٠٩ بقرية يكالمت قلت ولاعجب فان القزاق
يمتحنون السواح ببول الابل والثور فمن لم يعرفه منهم يقولون له انت جاهل لاتعرف بول الابل
والثور منه عفى عنه

وكان له يد طولى فى العلوم العربية اخذ من الشيخ احمد الداغستانى من الشيخ محمد بن موسى القدقى معرب العوامل الجرجانية عن الشيخ داود الداغستانى وقيل ان اصله كان من ولاية قزان ثم رحل الى كابل للتحصيل ثم رجع الى داغستان والقى رحلته اقامته بها ثم نفى منها الى الروسية وقيل كان اصله من كابل ثم جاء منها الى داغستان ثم نفى منها الى الروسية وهو ابعد الاحتمالات فان تعلم تاجيك بخارى لسان الترك بحيث يدرس بها جملة المقالات فضلا عن اهل كابل ثم هاجر فى آخر عمره اثناء فتنة پوغاچف ايام يكاترينا الثانية الى ارض قزاق مع جميع اهل بيته واتباعه وتوفى هناك سنة ١٢١٠ بموضع يقال له صاوقابن رحمه الله تعالى الشيخ فيض الله بن عثمان البلغارى ذكره العلامة السيد مرتضى الزبيدى فى معجم مشايخه وقال فيض الله بن عثمان البلغارى منفى شاب صالح اكمل فنون المعقولات ببلاده على مشايخ بلده وصاحب الشيخ منصور احد الدعاة مدة وورد الى مدينة ملك الروم ثم منها الى مصر حاجا فاجتمع بى فى شعبان سنة ١٢٠١ فسمع منى الاولية وشيئا من الصحيح وتلقى عنى بعض الاسانيد وحكى لى عن بلاده وعن صاحبه المذكور (الشيخ منصور) غرايب ممايذا كرتها فى التاريخ وتاخر عن سفره مع الركب المصرى ولازمنى فى اثناء ذلك فى بعض يقرأ على ثم توجه فى شهر محرم مفتتح سنة ١٢٠٢ اثنتين (يعنى بعد المأتين والف) من طريق البحر وقطن جلة ودرس للاتراك فى بعض مساجدها وكتب الى منها كتابا وقد كتبت له اجازة حافلة بارك الله فيه اه بحروفه ثم لم اقف منه على اثر رحمه الله سبحانه الشيخ بيكچنطاى بن ابراهيم البرسكوى كان من مشاهير العلماء فى عصره واشتغل بخدمة التدريس ونشر العلم فى قرية برسكه من توابع قزان مدة سنه ٢٨ وانتفع به خلق كثير ثم جلبه المفتى محمدجان المار ذكره قاضيا (اعنى عضوا) فى المحكمة الاسلامية فى ابتداء افتتاحها وتوفى فى ٢٦ شعبان سنة ١٢١٥ رحمه الله تعالى الشيخ ابو بكر بن ابراهيم القزانى كان اماما بمدينة قزان وكان له نفوذ واعتبار بين اهاليها وهو اليها وكان بفصل دعاوى اهل الاسلام ولما افتتحت محكمة الجمعية الاسلامية

جلب الى اورنافاصيا وعضوا بها اول مرة بارادة المفتى محمدجان وتوفى ببلدة قزان سنة ١٢٠٨ رحمه الله تعالى الشيخ عبدخالق بن اعظم التنكى كان مدرسا بقرية تابعة لقصبة مماديش فى ولاية قزان يقال لها (تنكى صباسى) ثم انتخب قاضيا لمكمة الجمعية الاسلامية اول مرة وهو الثالث من الاعضاء الثلاثة الذين انتخبوا اول مرة كان وفاته فى سنة ١٢١٦ رحمه الله تعالى الشيخ وليد بن محمد الامين القارغالى واصله من قرية قابيبيچ التابعة لقصبة تتش بولاية قزان استفاد اولا عند الشيخ محمد بن على الداغستانى ثم رحل الى بخارى وسافر منها الى كابل مرتين وصحب هناك الشيخ فيضخان بن خضرخان الكابلى المتوفى سنة ١٢١٧ وكان من خلفاء خواجه حسن الكابلى وهو خليفة خواجه صنعة الله الكابلى وهو خليفة الشيخ صبغة الله بن الامام محمد معصوم ابن الامام الربانى قدس سرهم و استفاد منه الطريقة النقشبندية المجددية وصار ماذونا وبجازا منه ثم رجع الى وطنه واستوطن بقرية قارغالى ودرس وربى المريدين هناك واشتهر صيته ثم خرج من وطنه بقصد زيارة الحرمين المحترمين فى سنة ١٢١٤ وحج فى سنة ١٢١٦ وزار المدينة المنورة وتوفى هناك فى سنة ١٢١٧ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى الشيخ بهادرشاه بن سيارقل كان اماما بقرية قاچماقتى التابعة لقصبة بورى وله تفسير بالتركية من سورة الفتح الى آخر القرآن وهذا القدر من القرآن يسمى عندهم هفتيك بمعنى سبع القرآن وهذا التفسير مشهور بتفسير كينادى لتسمية تلك الناحية باسم كينه بالكاف الفارسية مطبوع فى المطبعة الميرية بقزان فى سنة ١٢٧٥ ديباجته عربية فصيحة جدا تشهد بكمال صاحبها فى العربية والفصاحة والبلاغة وكان تأليفه اياه فى سنة ١٢١٩ ولم يعلم تاريخ وفاته رحمه الله تعالى الشيخ وليد آخوند بن سعيد المنزله باشى هاجر ابوه اوجده من منزله باشى الى قرية قارغالى استفاد العلم عن الشيخ عبدالسلام بن حسن القاربلى والشيخ عبدالمنان ابن الشيخ عبد الرحمن الطابصوفانى ثم اختار قرية منزله باشى للاقامة والتدريس بطلب اهلها وهى قرية تابعة لقصبة منزله كائنة فى منبع النهر المشهور بنهر منزلة وكان عالما محققا مدققا متفننا ذا شهرة عظيمة

وخرج له كثير من الطلبة المستعدين وصاروا من العلماء الكبار وله تقارير في هوامش كتب الفقه وقد اثبت الفاضل المرجاني في مستفاد مكتوباً له بالفارسية كتبه لبعض احبائه في تحقيق بعض العبارات المتعلقة بالرقص والسماع توفي في القرية المذكورة سنة ١٢٢١ رحمه الله تعالى الشيخ سليمان بن مصطفى كان من مشاهير العلماء وصاحب الوقار والحمية وكان اماما في قرية قرشين شريف التابعة لولاية اوفا وكان اولاده ايضا من العلماء الكبار وقد بلغوا مرتبة الكمال في حياته وقد ظهر من احفاده وذرياته كثير من العلماء الكبار في نواحي تلك الديار ولم يذكر تاريخ وفاته وتوفي ولده الشيخ عبد القاهر في سنة ١٢٣١ وقبره وقبر والده وكثير من اولاده واحفاده في مقبرة قرشين شريف رحمهم الله تعالى الشيخ العلامة المحقق عبد النصير ابو النصر ابن ابراهيم القورصاوي ولادته في سنة ١١٩٠ في قرية قورصا التابعة لولاية قزان وكان تحصيله اولا في قرية مچكرة التابعة لقصبة مالمز في ولاية وانما عند الشيخ محمد رحيم بن يوسف ثم رحل الى بخارى واستفاد فيها من علماء عصره واخذ الطريقة عن الشيخ نياز قلي التركماني وبعد بلوغه مرتبة الكمال رجع الى وطنه وصار مدرسا في قرية التي ولد بها فاجتمع لديه كثير من الطلبة المستعدين فدرس وافاد وبلغ كثيرا منهم مرتبة الكمال واكب على مطالعة احياء العلوم للامام الغزالي ومصنفات سائر المتقدمين المحققين واطلع على حقيقة مذهب السلف وعلى المباينة التي بينه وبين ما احدثه الخلف فاتخذ مذهب السلف مذهبا لنفسه ورفض ما احدثه الخلف فصار كأن لم يغن في امسه ولم يبال اللوام فيه ولا يخفى ما يتوجه من طرف الحساد والجهال والمقلدين الجامدين الى من كان هذه وصفه وصنف كتبا ورسائل في تقبيح ما احدثه الخلف وبيان لزوم الملازمة على ما مضى عليه السلف فسلك بعض من سبقت في حقه العناية الالهية طريق الانصاف فصدقه واتبعه وهم وان كانوا قليلين بحسب الكمية ولكنهم كثيرون بحسب الكيفية ومن لم يكن له حظ من

تلك العناية سلك طريق الاعتساف والعناد واصر على التقليد الاعمى والانجماد وفوق عليه سهام الملام ومزقوا عرضه الطاهر باقبح كلام فالف لاجلهم كتاب الارشاد العباد ولقم فيه الاحجار على افواه اهل العناد والف ايضا شرح العقايد النسفية على مذهب السلف وكتاب اللوائح فى عقايد اهل السنة الحقة وغيرها ثم سافر سنة ١٢٢٣ الى بخارى مرة ثانية ولعله بنية ارشادهم ونصيحتهم فاظهر لهم انهم انحرفوا عن طريق السلف فى الاعتقاد والعمل وتركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فيما قل وجل واطفأوا انوار العلوم التى كان العالم الاسلامى يقتبسونها منها فى العصر الاول فلما قرع هذا الكلام سمع علمائها الذين كانوا يعتقدون انفسهم فى قمة الكمال وانه لا يساويهم فى الفضل احد من الرجال قاموا وقعدوا وارغوا وازبدوا وصاحوا ان فلانى كافر شد يعنون كفر فلان ورفعوا امره الى الامير حيدر وحرضوه على قتله فدعاه الامير وجمع العلماء المذكورين فحصلت المناظرة بينهم لديه وبعد اللتيا والتى حكموا بابتداعه بل بكفره ووجوب قتله ان لم يرجع عن مذهبه فلما رأى ان لا خلاص منه ولامناص الا بالتوبة والرجوع عن مذهبه اظهر التوبة فى الظاهر عن مذهبه وفى الحقيقة تاب عما يجب منه التوبة وقرأ متن العقايد النسفية من اوله الى آخره وقال ان معتقده هو هذا فاطلقوا سبيله وامروا باحراق كتبه الموجودة وامروا مناديا ينادى بصورة الحادثة وبان من يوجد فيه شئ من كتبه المؤلفة ولم يأت به بدار القضاء والامارة يكون دمه هدرا ومع ذلك قيل ان الامير حيدر كان يندم على عدم قتله وسمعت مولانا الشيخ فخر الدين النورلاطى رحمه الله مرارا يقول ان شيخه الشيخ نياز قلى التركمانى كان (١) يحميه ويمنع الامير عن التعرض له بسوء ويهدده بالفتوى بوجوب عزله وانفاذ العزل فعلا بخيل ورجل ان

---

(١) وكان المذكور على مذهبه ومعتقدا بمعتقداته وهو اللايق بحاله وكان بعض كلماء بخارى لايقتدى به لاجل ذلك حين كان خطيبا بالجامع الكبير ببخارى منه عفى عنه .

اصاب منه ادنى ضرر بشعرة منه والذين افتوا بوجوب قتله عن علماء بخارى سنة عشر نفرا مع الامير حيدر وقد رايت له مكتوبا مطويلا بالفارسية كتبه الى اخيه الشيخ عبد الخالق القورصاوى من بخارى بعد هذه الحادثة يتظلم منهم ويتأسف على اجتماعهم على الباطل ثم خرج بعد ذلك من بخارى وعاد الى وطنه ثانيا مارا من خوارزم وحاجى طرخان وصنف شرحا آخر على العقايد النسفية زاد فيه اشياء على شرحه الاول الذى احرقوه ببخارى وقد رايت كلا الشرحين فى بلاد قزان وكانا معروضين للبيع ولكن كنت فى ذلك الوقت فى عزم بيع ماء وجهى لصيانة حجتى من التلف فضلا عن القدرة على اشترائهما وان كانا رخيصين جدا تآليف غير هذا وهى شرح على مختصر المنار وحاشية على شرحه الجديد للعقايد وكتاب النصايح ورسالة الصفات وهى موجودة عندى مختصرة جدا وقد طبع ارشاده فى بلدة قزان سنة ١٣٢١ ثم خرج مع طائفة من اصحابه من قزان فى شعبان سنة ١٢٢٧ بنية الحج ولما دخل استانبول توفى هناك فى رمضان بمرض الطاعون ودفن بجوار جامع السلطان فى اسكدار رحمه الله تعالى وقد كنت سمعت من صديقى الشيخ احمد ضياء الدين افندى الطرخانى سببا آخر فى موته بعيدا عن العقل والصدق وكان يقول نقلا عن غيره انه لما احس بموته انشد ابياتا بالتركية وكان ينشدلى تلك الابيات ولكن من سوء الحظ وعدم قيمة امثال هذه الدرر الثمينة عندى لكونى مقيدا بقيد التقليد والاتباع لعادات اهل الزمان فى ذلك الوقت لم اوفق لاستنساخها فضاعت عنى والحاصل انه رحمه الله كان من جملة العلماء الذين قيل فى حقهم شعر:

هم (١) الرجال وعيب ان يقال لمن * لم يتصف بمعانى وصفهم رجل

ولكن من سوء الحظ قصر عمره وقل مدة تدريسه وافادته فلو طال عمره ودام فى التدريس والافادة انور تلك البلاد واحيى طريق السلف فيها وتركها مغبوطة لسائر البلاد فى العلوم والمعارف ومع قلة ايام تدريسه

(١) ولكنى لااقول انه لم يكن له نظير فى وجه الارض فى عصره فان هذا تقول محض وغلو فى الكلام

فقدخرج منه كثيرمن العلماء العظام و الفضلاء الفخام وقد جد واجتهد في احياء طريقة السلف كان رحمه الله تعالى على ماقيل قوى الجاش فصيح الكلام صحيح الحجة قوالا بالحق لايأخذه في الله لومة لائم كان العلماء يهربون من ضيافة او جمعية التي هو فيها لسبقهم بالزامه اياهم بالحجة واختم كلامي في ترجمة حاله باظهار اسفي على قصر عمره وتضييعه هذا العمر القصير بالسفر الى بخارى ثانيا ولكن المقدر لابد ان يقع وقد اتهمه بعض فضلاء عصره في تلك البلاد بالقول بعدم جواز الجمع والاعياد في قرى تلك البلاد ومنعه عنها فيها وترك الجماعة في الصلوات اما الاول اعنى اسناد القول بعدم جواز الجمع والاعياد ففرية (١) بلامرية فان قوله في فصل الجمعة من كتابه الارشاد ينادى بخلاف ذلك بل لايطمئن خاطر من لم ير قوله فيه في جواز اداء الجمعة في القرى فان احدا ممن جاؤا قبله وبعده لم يكشف القناع عن وجه المسئلة المذكورة مثل كشفه فان شئت الاطلاع فراجعه واما الثاني اعنى ترك الجماعة فيمكن ان يكون في موضع يخطئ امامه في القراءة خطاء لايجوز معه الصلاة وامثال هؤلاء كثير في تلك البلاد خصوصا قبل هذا التاريخ بسنين وهذا الفقير كثيرا ما ابتلى بالاقتداء بهم ثم اعيد تلك الصلاة في وقت الفرصة فما ذنبه ذلك رحمه الله تعالى الشيخ احمد جان بن اميرخان ولد في قرية صاصنا التابعة لقصبة مالمز في سنة ١٢٠٢ وتلقى العلم عن والده الشيخ اميرخان وفرغ عن التحصيل ببلوغ مرتبة الكمال والتكميل في اقرب مدة وانتصب للتدريس والافادة في قرية اوشما ودرس بها وافاد وصنف ومن رسائل سنية البشارة في سنية الاشارة فتح الجليل في تسويم العمائم في جميع الاحوال (يعني ارسال عذبة العمامة وذنبه) ورسالة في سنية الجلوس على هيئة الحلقة ورسالة في سنية الابتداء الطعام بالملح ورسالة في ذم قراءة القرآن بالاجرة ورسالة في سنية الوقف على رأس جميع الآى وغيرها والفقير لم ار شيئا منها ولكن قيل ان عربيته صحيحة وعبارته فصيحة وقد حصل سند

---

(١) وكان هذا المعترض لم يحتط في الاعتراض ولم يحقق حاله بل اتبع ما تفوه به حساده في حقه عفا عنه.

الاحاديث عن والده الشيخ اميرخان وهو عن بعض علماء الداغستان وبعض علما مصر ايضا حين حج والاسناد نادر فى تلك البلاد بل مفقود توفى شابا فى سنة ١٢٢٨ فلو طال عمره لبلغ مرتبة ابى النصر القورصاوى بل يزيد عليه وقد قيل انه كان يحفظ اربعة آلاف حديث ولكن قصر عمره جدا ولله در القائل شعر:

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى * عقيلة مال الفاحش المتشدد

رحمه الله تعالى الشيخ عبد الرشيد بن عبد الكريم القارغالى كان تحصيله فى دمشق الشام قيل انه كان يحفظ احد الصحيحين ولكنه لم يبق منه شئ من اثر هذا الحفظ ولا عجب فيه فانا نرى فى زماننا كثيرا من الفضلاء يحصلون العلوم الدينية فى الحرمين الشريفين وفى مصر وبعد الرجوع الى وطنهم لا يشتغلون بنشره بل يشتغلون بنشر السفسطة على عادة مدرسى تلك البلاد كان وفاته فى سنة ١٢٣١ رحمه الله تعالى الشيخ نعمة الله بن عمر الاوتارى اصله من قرية اوتار التابعة لولاية قزان استفاد اولا من الشيخ ابراهيم افندى ابن خوجاش الشرلموى ثم سافر الى كابل واستفاد الطريقة هناك من الشيخ فيض خان الكابلى وحج ثم رجع الى استانبول واقام بها واشتهر هناك وحصل له قبول بين اهلها حتى انسلك فى سلك ارادته نقيب السادات بها السيد اسمعيل بن ابراهيم عصمت بك البغدادى وله رسالة باسم السلطان سليم الثالث ابن مصطفى بالعربية تسمى بالرسالة المدنية ولم اقف عليها توفى فى سنة ١٢٣٢ رحمه الله تعالى الشيخ محمد رحيم بن يوسف الآشطى ثم المچكروى صار اماما بقرية آشط اولا وبعد ان اقام بها اماما ثلاث سنين ندم هو والشيخ ابراهيم بن خوجاش القزانى الآطى ذكره على نقصانهما فى العلم وبقائهما على ذلك فتركا اخيرا منصبها واهلهما وعيالهما ورحلا الى الداغستان للتحصيل واستفاد هناك من علمائها العظام وفضلائها الفخام مدة عشر سنين فلما رجعا الى بلادهما دعا صاحب الترجمة اغنياء قرية مچكره ونصبوه اماما ومدرسا فى قريتهم آطى المذكورة التابعة لقصبة مالمژ فدرس هناك وافاد وقد خرج من مدرسته علماء عظام وفضلاء فخام وانتشروا فى

اطراف هاتيك البلاد ونفعوا العباد وكان وفاته فى قرية چكرة سنة ١٢٣٢ او فيما بعدها رحمه الله تعالى الشيخ حبيب الله بن الحسين الاوروى النقشبندى المجددى ولادته فى سنة ١١٧٦ اخذ مبادى العلوم عن علماء بلاده ثم رحل الى بخارى واستفاد فيها من علمائها ولا سيما الملا عطاء الله ابن عبد الهادى ثم سافر الى كابل وتلقن الطريقة النقشبندية المجددية عن الشيخ فيض خان الكابلى وصار مجازا ومأذونا منه فيها ثم رجع الى وطنه وصار مدرسا بقرية اورى واجتمع اليه كثير من الطلبة والمريدين فدرس وافاد وربى المريدين وكان اكثر مريديه من طائفة ميشر ومن عاداتهم انهم ان احبوا شخصا واعتقدوا فيه الفضل والعلم والصلاح او شيئا من المزايا يحبونه فوق الغاية بحيث يكادون يبذلون ارواحهم لاجله وحصل بينه وبين اغنياء القرية المذكورة المناسبة الصهرية ثم تبدلت تلك المناسبة منافرة وكذلك وقعت بينه وبين اخيه الشيخ فتح الله آخوند ايضا منافرة شديدة وجرى بسبب ذلك بينهم امور غير لائقة وفضلا عن ذلك قيل انه قام بطلب منصب الافتاء فحصل بينه وبين المفتى محمد جان ايضا نفرة فسعى المفتى المشار اليه فى عزله عن الامامة والتدريس وقدم عرايض متعددة فى ذلك الى نظارة الداخلية وغيرها ولكن لما كان نظار العصر المذكور وولاته وسائر مأموريه رجالا اكفاء اصحاب الصداقة وارباب اللياقة لم يظفر بمناه بل اخذ الملامة منهم انظر الجزء الرابع من الآثار للفاضل المحترم القاضى رضاء الدين افندى سلمه الله وخلاصة ما يفهم مما حرر فى حقه ان احواله السابقة التى كانت حصلت له فى صحبة الشيخ فيضخان رحمه الله تعالى لم تبق فى اواخر عمره بل عادت له الصفات البشرية سامحه الله تعالى ورحمه ووفاته فى سنة ١٢٣٢ بعيد حادثة السيل التى حدثت فى قرية اورى فى العام المذكور حتى اخذ البيوت فضلا عن غيرها وغرق فيه ٨٢ نفرا رحمه الله تعالى الشيخ فخر الدين بن سبحانقل الكيچوچاتى ولادته فى كيچوچات التابعة لقصبة بوكلمه من ولاية صمار ولما حصل مبادى العلوم عند بعض علماء تلك البلاد رحل الى بخارى لطلب العلم فى سنة ١٢٢٢ واستفاد هناك من علمائها مدة سنة ٥ ثم سافر منها الى الحجاز وصحب بعض علماء

الحرمين المحترمين واستفاد منهم ثم جاء استانبول ولقى فيها السلطان محمود العدلى فارسله قاضيا الى بلدة آنافا الكائنة بساحل البحر الاسود فى جهة كرجستان ولما اقام فى خدمة القضاء مدة بغاية الثبات والاستقامة توفى فى سنة ١٢٣٤ وكان قرين الشيخ احمد جان المار ذكره ومماثلا فى الذكاوة والاجتهاد والعلم فكان مماثلا له فى قصر العمر والموت فى الشباب رحمه الله تعالى

الشيخ فضل بن ابراهيم الاچكنى الالمتى اصله من مضافات خان كرمان من عائلة (١) تنكاچى الشهيرة استفاد العلوم عند الشيخ عبد الوهاب بن شريف فى قرية من القرى التابعة لقصبة بلباى من ولاية اوفا ثم صار مدرسا فى قرية المن ودرس هناك وافاد واجتمع لديه كثير من الطلبة وانتشر منه كثير من العلماء فى تلك الاطراف وكان يجول مع طلبة فيما بين طرويسكى وقزليار وسيبرياو چيلابى وبقرتهم اثناء جولانه وينصب بعض طلبته مدرسا فى محل مناسب فكان مستحقا الان يقال مدرسا سيارا وسافر الى بخارى برسم السفارة من طرف حكومة الروسية وانشأ السياحة الى طرف الداغستان واستانبول وتشرف بحج بيت الله الحرام ودرس مدة فى قصبة تارى ثم نصب واحدا من طلبته يسمى ابراهيم بن جعفر مدرسا بها ثم رجع الى قرية المن وتوفى بها حدود سنة ١٢٣٧ وبالجملة انه كان ممن خدم الملة والعلم والدين خدمة كثيرة تذكر وتشكر رحمه الله تعالى

الشيخ عبيد الله بن جعفر الكيزلوى النقشبندى المجددى قرأ العلوم الظاهرة على بعض علماء وقته ثم انسلك فى سلك ارادة الشيخ وليد القارغالى النقشبندى المار ذكره وصار مجازا ومأذونا منه واشتغل بتربية الطالبين وقد استفاد منه الكثيرون وتوفى فى سنة ١٢٣٨ رحمه الله تعالى

الشيخ عبد القادر بن سليمان القاشين شريفى وقد ذكره الشيخ سليمان بأنه استفاد العلوم عند بعض علماء وطنه وبعد الفراغ من التحصيل صار مدرسا بقرية قارشين شريف واجتمع لديه كثير من الطلبة فدرس

---

(١) فالنسبة الى اچكن التى هى قبيلة مخصوصة تجارية لكونه مقيما فيما بينهم منه عفى عنه.

وافاد يقال انه كان ذوى (١) الافادة ومفيد الطالبين جدا فانتفع به عالم كثيرون توفى فى سنة ١٢٣٨ رحمه الله تعالى **الشيخ جعفر بن عبدى النقشبندى المجددى** الشهير بغرمونچى ايشان حصل العلوم اولا عند بعض علماء وطنه ثم رحل الى بخارى ومنها الى كابل وانتسب الى الشيخ فيضخان الكابلى وصحبه واستفاد منه الطريقة النقشبندية المجددية ورجع مأذونا منه الى وطنه واشتغل بالتدريس وتربية المريدين ولكنه كان مشغولا باستعمال الآلة الموسيقية المسماة بغرمون وكان صاحب الطبيعة جدا ولذلك افترق فيه الناس الى فرقتين طاعنة فيه ومادحة اياه والحق انه كان مدفوعا اليه فهو معذور فيه وقد حكى انه كان يتوب بعد زوال الحال المقتضى له ويستغفر الله ويبكى وقد حكى عنه لطائف كثيرة اضربنا عن ذكره صفحا ومن اراد الاطلاع على بعضها فعليه بمطالعة المستفاد والآثار وكان وفاته فى سنة ١٢٣٩ وقبره فى مقبرة تيماشكه فى الجهة اليمنى من نهيرة اورشاك ونهر آق ايدل وقد زرته قبل هذا ٣٤ سنة رحمه الله تعالى **الشيخ ابو المنيخ بن ابى الفيض القارغالى** كان شاعرا اديبا كان ولادته ونشأته فى قرية قارغالى بقرب اورنبورغ تشرف بحج بيت الله الحرام فى صحبة سفير الى استانبول يسمى محمد يوسف فى سنة ١٢٣١ ثم خرج من وطنه بنية الحج ثانيا فى سنة ١٢٤٠ وتوفى فى الطريق وقد ناهز عمره الاربعين وله ديوان شعر تركى مطبوع رأيته فى صغرى وشعره فصيح سليس لذيذ من جملته قصيدة يذكر فيها تشرفه بالحج وزيارة قبر الحبيب الاكرم الانور صلى الله عليه وما ناله فى استانبول من الحفاوة والاكرام فى صحبة السفير المشار اليه وهى هذه قصيدة (٢) ايا مسكين منيخ شكر انه قيل صبح ومسا لرسن
مكرم خانه* بارى تعالايه بوز اوردك سن

(١) ولكن قوله فى مكتوبه الذى ارسله الى ولديه عبد العلام وصبغة الله المقيمين اذ ذاك فى مدرسة ملا سيف الدين الصباوى استئلا من استاذ كما ان يكتب حاشية على قول القهستانى ماله كلمتان او ثلاث يبانى هذا الوصف والله سبحانه اعلم منه عفى عنه.

(٢) وقد كتبت الى والدتى المحترمة فرح جهان ابنت ملا زين الدين هذه القصيدة بيدها وقلمها فى حدود سنة ١٣٠٢ فيما كتبت الى من المكاتب وغيرت المصراع الاول الى ايا مسكين

صفا مروه میاننده عباد الله ایله تکبیر
ایدوب هم دخی تهلیل سعی ایدوب یوگردك سن
حبیب کبریانك هم مطهر روضه سی اوزره
آقزوب گوزلرگدن یاش قرابوزکی سوردك سن
گناهگی آکوب آغلاب آنك یاننده بیل باغلاب
سجوکا اعتراف ایلاب شفاعتنی اومدك سن
نه دولت بونلر ای مسکین دگل شکرانه سی ممکن
مگر بر ایدکو استاذك دعاسینه دوش اولدك سن
دخی بودار دنیانك صفالرینی چکدك سن
جهانك شاهلری ایردکی عزتله ایردك سن
جهانده سلطنت داری اولان شهر استانبولده
رکابك اوزره چاوشلر یوگردوبن یوردك سن
تأسف ایتمه ماضیه چکوب مستقبله حسرت
سراسر ربع مسکونك تماشاسنی کوردك سن
کورن آرتق ایمز درهم دخی کورمیه ن اولمز کم
کیم اتقی بواسه اولا اکرم خدا عندنده بیلکل سن
کچورنسك عمر نوحی یاد ایدلمش درلو عزتله
کچیوك بیك ییلی بر له مساوی اوله بیلسك سن
طلب ایله جناب کبریادن دائم الاوقات
سلامت گیتمك ایمانیله دنیادن دونن سن اه

وفي ظني انه كان له رحلة مبنية لماجريات سفر وتراجم احوال والله سبحانه اعلم رحمه الله تعالى الشيخ سيف الدين بن ابي بكر الشنكاري اصله من قرية شنكار التابعة لقصبة ماردين استفاد العلوم اولا عند القاضي عبد الخالق

عزيز فرزند شكر قيل صبح ايله شام بين رحمها الله تعالى رحمة واسعة وهي محفوظة عندي وهي من بحر الهزج اوزانها مفاعيلن مفاعيلن ثماني مرات وهو مستعمل كثيرا في التركي والفارسي دون العربي منه عفي عنه

بن اعظم التنكى المار ذكره والشيخ عبد الرحمن القارغالى والشيخ ابراهيم
الخوجاشى ثم رحل الى بخارى واستفاد من علمائها ثم رحل منها الى كابل
واستفاد ايضا من بعض علمائها ايضا اصول الفقه والمنطق والفلسفة القديمة
وقرأ فيها بعض كتب الطب كقانونچه وشرح الموجز للنفيسى على بعض اطبائها
وصحب الشيخ فيض خان الكابلى واستفاد منه الطريقة النقشبندية المجددية
ومكتوبه الذى ارسل من كابل الى والده يشهد بفضل وغاية عطشه للعالم
الظاهرى والباطنى وعلو همته واعراضه عن الدنيا فى عنفوان شبابه الذى
هو اوان الافتتان بها وبزخاريفها ولذائذها وهذا الفقير كلما طالع تراجم
هؤلاء الكبراء يزيد محبتى لملتى واتذكر كلام بعض طائفة ميسيونير ان
هؤلاء يتحملون من المشاق فى طلب العلم مالا يقدر على تحمل بعضها قوم
من الاقوام وهو صادق فيه ووجه الارض الآن كبطن الكف فى ظهور احوالها
ولا نرى فيها قوما من الاقوام يرتكبون عشر عشير المشاق التى لا يزال قومنا
يتحملونها الى الآن ولكن الآن قد سهل وسائل السفر فى اكثر الجهات واما اولا
فى عصرهم فقد كان السفر كقطعة من السقر كما ورد ومع ذلك لم يمنعهم شئ
من المسافرة الى بخارى وكابل وقد كان لتجارتهم بمتاع العلوم الظاهرية
والمعارف اليقينية الباطنية رواج تام فى سوق معارف بلدة كابل شكر الله
سعيهم ولما رجع صاحب الترجمة الى وطنه بعد بلوغه مرتبة الكمال والتكميل
صار مدرسا بقرية صبا بولاية قزان واجتمع لديه كثير من الطلبة المستعدين
وانتفع عالم كثيرون وقد كان من اكابر العلماء فى تلك الديار ومن مشاهيرهم
وكان وفاته فى اماسيه فانه خرج من وطنه بنية الحج فى اواخر سنة **١٢٣٩**
وعبر البحر الاسود من قريم الى اناطولى ولما بلغ اماسيه توفى هناك فى صفر
سنة **١٢٤٠** رحمه الله تعالى **الشيخ ابراهيم افندى بن خوجاش القزانى**
الشهير بافندى حضرت اصله من قرية صغيرة بساحل نهر زى تسمى شرلمه
تابعة لقصبة بوكلمه حصل العلوم المتداولة عند بعض علماء بلاده وصار اماما
فى بعض القرى وبعد ان مضى من امامته سنتان او ثلاث تحرك عرق
همته ولم يرض نفسه الابية ان تبقى على النقصان مع القدرة على

الكمال لكونه من اكبر العيوب كما قال الشاعر شعر :

ولم ارفى عيوب الناس عيبا   كنقص القادرين على التمام

فترك منصبه واهله وعياله وسافر الى طرف داغستان باتفاق مع الشيخ محمد رحيم الآشطى المكروى كما تقدم فى ترجمته والقيا عصا التسيار عند الشيخ على افندى الشروانى واستفادا منه العلوم مدة وساحا ايضا فى بلاد سيواس وديار بكر واستفادا من بعض علمائها ايضا وقد تقدم انهما بقيا فى سفرهما هذا مدة عشر سنين ولما رجعا الى بلادهما صار صاحب الترجمة ابراهيم افندى اماما بقرية اوطار ثم بقرية كيشت ثم صار اماما ومدرسا فى الجامع الاول بمدينة قزان فى سنة ١٢٠٨ وزيد على رتبته الاولى رتبة الآخونديه اعنى رياسة العلماء ومشيختهم ولما قدم الامبراطور پاول بن پطر الثانى الى مدينة قزان فى سنة ١٢١٢ استقبل المشار اليه مع كافة العلماء وهم على هيئة العلماء متعممين وجاءته من طرف الامبراطور المشار اليه فى السنة ١٢١٣ الثانية ساعة ذهبية قيمتها خمسمائة روبل فكتب له الشيخ ابراهيم افندى ورقة التشكر وكل ذلك مذكورة ومندرجة فى جريدة الولاية الرسمية وقد يروى ان الامبراطور المشار اليه حضر الجامع فى الجمعة ووقف مدة صلاة الجمعة متفرجا الرسم عبادات المسلمين والحاصل انه كان من اكابر علماء مصره فى عصره كان يدرس من اصول الفقه والحديث والتفسير تدريسا جيدا وكانت عربيته كاملة لكون تحصيله فى داغستان التى هى معدنها خصوصا فى الوقت المذكور ويحكى مهارته فى علم الحديث والتفسير ولاشك ان المراد بمثل هذا الكلام هو المهارة فى فهم كتب هذين العلمين وافهامها وحل مشكلاتها الا انه كان له مهارة فى تفسير القرآن من غير مراجعة الى التفاسير حتى بتطبيق بعض الايات المتعلقة بالفنون الجديدة والمعارف العصرية عليها فان هذا ليس شأنه والقرآن العظيم الشان لم ينزل لذلك وان جاز اشتماله عليها واستنباطها منه واما الغرض الذى انزل القرآن لاجله بالذات فلم يبق ادنى شئ منه خفيا على المفسرين واما غير ذلك فالقرآن بحر لاتنقضى عجائبه ولكن متى

حصل ماهو الغرض من انزاله فلا بأس بفوت ماسواه واما من اكتفى منه بغير الغرض من انزاله فقد ضيع رأس المال وصار مصداق قوله تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون وقوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم الآية نعم اذا علم الانسان هذا ايضا بعد اتقانه بالغرض المقصود بالذات فهو نور على نور ولكنه نادر بل مفقود واما ذكر المفسرين الاسرائيليات فى تفاسيرهم فهو عيب لا يغتفر ولكنه خارج عن الغرض الاصلى فلا ينافيه وبالجملة ان صاحب الترجمة كان من اكابر العلماء العاملين الناصحين للامة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر قوالا بالحق فصيح الكلام حلو المنطق وقد غير كثيرا من البدعة والعادات المنافية للاسلامية فى الملبس والمأكل والمشرب وغيرها ولاشك ان لاستعداد الاهالى فى ذلك الوقت وقابلياتهم وانقيادهم للحق وكلام العلماء دخل فى ذلك توفى ببلدة قزان فى سنة ١٢٤١ رحمه الله تعالى الشيخ امير خان بن قوچقار بن يعقوب وهو والد الشيخ احمدجان المار ذكره اصله من قرية اوتاك التابعة لقصبة ايسترلى طمق وبعد ان حصل العلوم عن بعض علماء بلاده رحل للتحصيل الى داغستان واستانبول ومصر والحرمين الشريفين واستفاد من افاضل علمائها واخذ منهم سند الحديث الذى هو مفقود فى تلك الديار وبقى فى سفره هذا مدة سنة ٣ ثم رجع الى وطنه بصحبة شخص من اهل قرية صاصنا فزوجه المذكور ابنته فولد له منها الشيخ احمدجان المار ذكره ثم ترك زوجه وولده المذكور هناك وحج ثانيا ورجع فدرس فى قرية چالپى التابعة لقصبة بوكلمة وقرية آداى التابعة لقصبة مالوز وقرية ارشمى التابعة لقصبة مامادش ثم رحل الى قرية جبراش التابعة لقصبة آلابوغا وتوفى هناك بعد ان اقام بها ١٢ سنة وكان وفاته فى سنة ١٢٤٢ وكان من اكابر العلماء المستحق لاطلاق اسم العالم عليه حقيقة وكان اكثر درسه من العلوم العربية والتفسير والحديث وكان درسه على وجه التحقيق والكشف عن حقايق المسائل وقد انتفع به خلق كثير رحمه الله تعالى الشيخ حميد بن اسلام اليورطشى النقشبندى المجددى اخذ العلم من بعض

علماء تلك الديار ثم انتسب فى الطريقة الى الشيخ وليف القارغالى المار ذكره وصار مجازا ومأذونا منه فيها واقام بقرية بورطش، إشتغل بالتدريس وتربية المريدين وانتفع به فى الظاهر والباطن خلق كثير وله اشتهار بالاستقامة والتقوى وذكر حسن بين الناس توفى فى سنة ١٢٤٢ فى القرية المذكورة رحمه الله تعالى الشيخ عبد الرحمن بن محمد شريف الخان كرمانى القارغالى اصله من قرية جاوباش التابعة لقصبة خان كرمان وهو افضل علماء عصره فى تلك البلاد واعلمهم واشهرهم وبعد ان اخذ العلوم المتداولة عن عدة من العلماء الكبار فى تلك الديار وبلغ مرتبة الكمال صار مدرسا فى الجامع الاول فى قرية قارغالى وشمر ذيله للتدريس والافادة بكمال النشاط فاجتمع لديه كثير من الطلبة من اطراف شتى فاقتبسوا من انوار علمه واقتطفوا من ازهار فضله وانتفع به خلق كثير وانتشر منه فى الاطراف الجوانب كثير من العلماء الكبار ومنه عبارات بعض العلماء الكبار الذين تلمذوا له كتبها فى وصفه كان رحمه الله تعالى ذكيا كيسا حافظا للقرآن قوى الحفظ كامل الذهن سليم القوى صحيح البدن ذا غيرة ومروءة حتى كان يخاف منه الاكابر وكان عالما بجميع الفنون من الاصول والفروع بدقائقه وحقائقه وعاملا بعلمه متقيا غنيا مستغنيا عن الخلق مفتقرا الى الحق وكان رحمه الله تعالى موزون الحركات وموزون السكنات يهتم بامور الدرس ولم يترك الدرس يوما الالامر عظيم وكان رحمه الله راشدا مهديا مرشدا ناصحا ينصح تلامذته ويدعوهم ويرشد الى الحق والى صراط مستقيم اه توفى فى سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى حمزة المنجم بن محمد بن الحسن القزانى البيرەزوى كان ماهرا فى علم الحساب وعالما بسير الكواكب ومقدارها وله يد طولى فى علم الرياضة باقسامها والتقاويم التى تستعمل فى تلك الديار سابقا انتسب اليها سافر الى بخارا وكابل واستفاد من علمائها وصحب الشيخ فيض خان الكابلى وكان له الفة واختصاص بالامير حيدر بن معصوم البخارى وحصل فى سفره هذا ثروة ولما رجع الى وطنه لم يشتغل بالتدريس بل بالكسب والتجارة توفى سنة ١٢٤٢ بقرية بيرەزه رحمه الله تعالى الشيخ برهان الدين بن محمد شريف

الشغايى كان ابوه الشيخ محمدشريف بن سليمان مدرسا بقرية شغاى التابعة لقصبة منزله فولد صاحب الترجمة فيها فى حدود سنة ١١٧٩ ولعله استفاد العلوم من والده المذكور ولما توفى والده فى سنة ١١٩٤ جلس فى مكانه للتدريس وتوفى فى سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى الشيخ سعيد بن احمد الشردانى القزانى استفاد العلوم من علماء تلك البلاد مثل الشيخ عبد السلام بن الحسن القاربلى وابراهيم بن عبد الله النقراتى البارشى والشيخ ايشنياز الخوارزمى ثم صار اماما ومدرسا فى بعض القرى التابعة لقزان ثم صار فى حدود سنة ١٢٢٥ اماما ومدرسا فى الجامع الخامس بقزان يروى انه كان له ملكة جيدة فى العربية والفقه وتوفى فى اواخر ذى الحجة سنه ١٢٤٦ رحمه الله تعالى وصار ولده الملا عبد الستار شريكا له فى الامامة بعد رجوعه من بخارى الا انه لم يشتغل بالتدريس واشترك له ايضا فى التدريس ولده الثانى الملا عبد الغفار بعد رجوعه من بخارى ودرس بكمال النشاط وانتفع به خلق كثير توفى كلاهما فى سنة ١٢٤٦ وبين وفاتيهما اسبوع واحد فقط وكان وفاة الملا عبد الستار اولا والحاصل انهما ووالدهما المذكور كلهم توفوا فى سنة واحدة ووفاة والدهما كان مؤخرا من وفاتهما رحمهم الله تعالى وبعد وفاتهما قام مقامهما اخوهما الملا احمد بن سعيد وتوفى فى سنة ١٢٨٤ ثم قام مقامه ولدا اخويه الملا عبد القهار ابن الملا عبد الستار والملا عبد الله بن الملا عبد الغفار ثم الملا يوسف ابن الملا عبد الستار وموجود الآن الشيخ عبد اللطيف بن ادهم اليولقى كان جدوده من قرية بوكال التابعة لولاية قزان واول من قدم منهم الى قرية بواق التابعة لقصبة اورسكى فى ولاية اورنبوغ اماما بها جده ابوبكر والد ابيه ادهم وولد صاحب الترجمة هناك واستفاد من كبار العلماء المار ذكرهم وصحب مشاهير الادباء والظرفاء وبلغ مرتبة الكمال والتكميل ثم انتصب للتدريس فى القرية المذكورة وشمر ذيله للافادة واجتمع اليه جمع عظيم من الطلبة وكان يحضر مجلس درسه كثير من كبار الطلبة الذين استفادوا عند كبار العلماء لكونه قوى الافادة وحسنها ومداومته على التدريس بكمال النشاط وانتفع به خلق كثير وانتشر من

مدرسته كثير من العلماء الكبار الا انه كان قصير العمر ولم تزد مدة تدريسه على عشر سنين وبموته انتقصت انوار العلم فى تلك الناحية فلو طال عمره لنور تلك الاقطار ولكن الكرام يكونون قليلة الاعمار توفى فى سنة ١٢٤٧ بمرض الوباء رحمه الله تعالى الشيخ زين العابدين بن عبد الله اليواقى النقشبندى المجددى اصله من خان كرمان سافر الى بخارى وكابل واخذ الطريقة النقشبندية المجددية عن الشيخ فيض خان الكابلى ثم رجع الى وطنه واستوطن بقرية بولق المار ذكرها آنفا واشتغل بتربية المريدين وكان مع الشيخ عبد اللطيف البولقى على الفة وصفاء تام توفى فى سنة ١٢٤٧ التى توفى فيه الشيخ عبد اللطيف بمرض الوباء رحمه الله تعالى الشيخ ولى الدين بن الحسن المقرى الشهير بالحاج البغدادى ولد فى بغداد سنة ١١٦٩ واستفاد العلوم من علمائها وحفظ القرآن واتقن فن التجويد والقراءة علما وتطبيقا للعمل ثم خرج من بغداد سنة ١٢٠٢ بقصد السياحة فساح فى بلاد الهند والافغان وبخارى ثم قدم الى قرية قارغالى واختار الاقامة بها وصار اماما فى جامع ذى المنارتين وبعد سنتين حبسته الحكومة بتهمة الجاسوسية بسعاية بعض الحساد المخاذيل وبعد التفتيش والتحقيق ظهرت براءة ذمته مما اتهم به فاختير بين المقام على ما هو عليه من منصب الامامة وبين الذهاب اين شاء فسافر الى بخارى ثم منها الى كابل ثانيا فصحب هناك بعض الاعزة ثم رجع ثانيا الى قارغالى وقيد فى سجل نفوسها وصار اماما فى محله السابق رسما واشتغل بعد ذلك بتعليم القرآن وعلم القراءة بفراغ البال واطمئنان الخاطر الى ان جاءه اليقين وقد انتفع به فى القراءة خلق كثير بوصف بصحة الاعتقاد وسلامة القلب والصلاح والعفاف وحسن الاداء وحسن الصوت واللحن وبالجملة انه كان شيخ المقرئين واستاذ كثير من العلماء الكبار فى تلك الديار توفى فى ربيع الاول من فى سنة ١٢٤٧ ودفن فى مقبرة قارغالى وله هناك اعقاب رحمه الله تعالى الشيخ معاذ بن بيكمحمد القرامالى العمرى النقشبندى المجددى استفاد العلوم عند بعض علماء بلاده واخذ الطريقة عن الشيخ وليد بن محمد الامين القارغالى وصار مأذونا منه فيها ثم رحل الى

بخارى ثم منها الى كابل وصحب هناك الشيخ فيض خان الكابلى وصار مجازا منه ايضا ولما رجع الى وطنه اقام مدة فى قصبة اورسكى اماما بها ثم تحول الى قرية يكاعمر واقام بها مشتغلا بالتدريس وتربية المريدين قيل انه كان عالما متفننا متقيا متشرعا توفى هناك فى سنة ١٢٤٧ رحمه الله ثم تحول منها اهلها بسبب من الاسباب واستوطن بها الروس فقبره غير معلوم الآن رحمه الله تعالى الشيخ شمس الدين بن عبد الرشيد القشقارى التاش كيچوى اصله من قرية قشقار ولكن لما رجع من بخارى اقام بقرية تاش كيچو واشتغل بالتدريس فيها بكمال النشاط ثم توجه الى الحج ولقى فى مصر بابراهيم باشا ابن محمد على باشا وحصل بينهما الفة ومعارفة فنصبه فى بعض المكاتب الكبرى معلم اللسان الفارسية فتوفى هناك سنة ١٢٤٨ رحمه الله تعالى ولم يحج وبقى له هناك ولد اسمه على الشيخ اسكندر بن على البيره كوى كان مدرسا بقرية بيره كه الشهيرة بمدرستها الكبيرة وكثرة الطلبة وهو وان لم يكن فى عداد العلماء الكبار المحققين الا انه كان حسن التقرير كثير الافادة على ما قيل توفى فى سنة ١٢٤٨ رحمه الله تعالى الشيخ دولتشاه بن عادلشاه بن عبد الله بن بغدان البغدانى ثم الچبنلى النقشبندى المجددى اصله من قرية بغدان التابعة لقصبة بورى فى ولاية اوفا وكان ابوه عادلشاه بن عبد الله اماما ومدرسا بقرية ايستر لى باشى وتوفى هناك عن ثمانين سنة وكان وفاته فى سنة ١٢٢٧ وقد ذكر الفاضل المحترم القاضى رضاء الدين افندى سلمه الله صورة بيان كيفية وقفه كتبه بعده وصورة وصيته وجعل صاحب الترجمة وصيه وكلتاهما تشهدان بفضل صاحبهما وكمال درايته واما صاحب الترجمة الشيخ دولتشاه فانه حصل العلوم الظاهرة عند بعض علماء بلاده كالشيخ عبد الرحمن بن محمد شريف القارغالى ثم رحل الى (١) بخارى واستفاد الطريقة النقشبندية المجددية من الشيخ الخليفة نياز قلى التركمانى ورجع الى وطنه مأذونا منه فيها وصار اماما ومدرسا بقرية

---

(١) وكان رحلته الى بخارى ثلاث مرات الاولى لتحصيل العلم والاخريان لاستفادة الطريقة منه عفى عنه .

قشقار ثم فی قریة صباق ولایة قزان ثم هاجر منها الی قریة جبنلی التابعة لولایة اورنبورغ لیتعیش هناك بالزراعة ویأكل من كد یده هربا من زكوات الاغنیاء وصدقاتهم واشتغل هناك بالافادة وتربیة المریدین وانتفع به خلق كثیر وتوفی هناك سنة ١٢٤٨ رحمه الله تعالی وولده الشیخ احمد شاه توفی بمدینة قرشی ببخاری الشهیر بنسف وكان فی مسند المشیخة وله هناك اعقاب وولده الملا عبد العلام كان اماما ومدرسا ببلدة ایلاك التابعة لاورنبورغ الشیخ محمد الامین بن سیف الله التلاساوی استفاد العلم اولا فی بلاده ثم رحل الی بخاری ولازم صحبة الشیخ ابی نصر عبد النصیر القورصاوی المار ذكره واستفاد منه ومن غیره وكان فی مسلكه ومشربه ولما رجع الی وطنه صار مدرسا بقریة تلاسا التابعة لقزان ولما اشتغل فیها بالتدریس مدة خرج من وطنه بنیة الحج ودخل مصر ولقی ابراهیم باشا واختص به ولما توفی الشیخ شمس الدین بن عبد الرشید المار ذكره نصبه معلم اللغة الفارسیة مكانه وتوفی هناك فی سنة ١٢٤٩ رحمه الله تعالی كان من كبار علماء تلك الدیار وقد حقق الفاضل المحترم القاضی رضاء الدین افندی سلمه الله تعالی ان له كتاب معدن المقاصد فی الكلام ولقبه قوام الدین البلغاری وقد ذكر فی دیباجة كتابه لقبه هذا فقط دون اسمه فلیتنبه من اطلع علیه الشیخ عبد النصیر بن سیف الملك الچقالی الآشطی كان من العلماء العاملین بعلمهم ذا تقوی وورع وصلاح وعفة ودیانة وامانة وزهد وقناعة وقناعة كان مدرسا بقریة آشط التابعة لقزان وقد انتفع به خلق كثیر توفی فی القریة المذكورة سنة ١٢٤٩ وقد حضر جنازته الملا فتح الله آخوند الآتی ذكره ولما دفن قال لم یبق له عدیل یرجع الیه حین وقوع احتیاجنا الی الروایة الموثوق بها فی الفقه وقال عالم آخر قد كان یقال ان فی مقبرة آشط ولیا فقد دفن فیه الآن ولی له فنعم الشهادتان المندوب الیهما من جهة الشارع (١) رحمهم الله تعالی الشیخ ابراهیم بن عبد الرشید بن ابراهیم بن

(١) وهو ما اخرجه البخاری عن انس رضی الله عنه انه قال مروا بجنازة فاثنوا علیها خیرا فقال النبی صلی الله علیه وسلم وجبت ثم مروا باخری فاثنوا علیها شرا فقال وجبت

عبد الرحيم التاروى كان جده ابراهيم بنى الجامع الحجرى بقصبة تارى مشتركا بتاجر اسمه سيد باذن من محكمة ولاية طوبل صادر فى سنة ۱۷۹٤ تحت رقم ۲۰۸۹۸ وكان صاحب الترجمة الشيخ ابراهيم اماما فى ذلك الجامع ومتوليا له كان متدينا نقيا غنيا ذا ثروة عظيمة مشتغلا بالتجارة ايضا وكان اثناء اشتغاله بالتجارة ايضا يداوم على مجلس بعض الافاضل فى كل اسبوع مرتين ويقرأ عليه كتاب المثنوى لمولانا جلال الدين الرومى وحج فى سنة ۱۲٥۰ مع ولده المسمى محمد وماتا وقت رجوعهما فى بيروت ودفنا فى مقبرته رحمهما

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما وجبت؟ قال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله فى الارض ومثله عن عمر رضى الله عنه ايضا واخرجه مسلم ايضا عن انس رضى الله عنه وفيه وجبت ثلاث مرات فى الموضعين وكذلك انتم شهداء الله فى الارض واخرج الحاكم مثله عن النضر بن انس وفى آخره ان لله ملائكة تنطق على لسان بنى آدم بما فى المرء من الخير والشر وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه بهذا اللفظ وفى الباب ايضا حديث الطبرانى عن كعب بن عجرة وابى داود عن ابى هريرة رضى الله عنهما وقد قالوا فى تقريره ان ثناءهم بالخير او الشر يدل على كون افعالهم خيرا او شرا بموجب قوله انتم شهداء الخ ووصفه بالولاية هو ايضا من هذا القبيل وليس فيه ما يستعظم بعد قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا والله ولى المؤمنين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد عرف النسفى الولاية بقوله ولن يكون وليا الا ان يكون محقا فى ديانته ودياتنه الاقرار برسالة رسوله اه وقال الموفق الله يار

ولى اول عارف بالله بولسه ⁕ يمان اشدين قولى كوتاه بولسه ⁕

الى ان قال بو تعريفلر كشيگه بواسه صادق ⁕ وليدر اول شريعتكه موافق ⁕ اه ولم يقل احد ان الولى يكون له قرون او ذنب يجره او براءة من الله على ان اطلاق الولى على من ليس وليا لا يضر قال بعض العارفين: والمرء ان يعتقد شيئا وليس كما ⁕ يظنه لم يخب فالله يعطيه ⁕ والحاصل ان باب حسن الظن واسع وهو واجب وسوء الظن حرام خصوصا بخيار خير الامم ولكن انتشار كتب الوهابية واضرابهم شوش اذهان بعض الافاضل وفقنا الله واياهم للمحبة خيار خير الامم وتعظيمهم واما حديث ام العلاء الذى اخرجه البخارى عنه فى كتاب الجنائز من قولها فقلت رحمة الله عليك يا ابا السائب شهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال النبى صلعم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابى انت يارسول الله فمن يكرمه الله فقال عليه السلام اما هو فقد جاء اليقين والله انى لارجو له الخير والله ما ادرى وانا رسول الله ما يفعل بى الحديث فهو نهى عن الحكم على الله بانه فعل به كذا لا النهى عن انشاء والله سبحانه اعلم . منه عفى عنه .

الله تعالى وكان سنه اربعين وسن ولده محمد سبعة عشر سنة وبقي له ولدان ابو يزيد وعمر واما الفاضل المحترم صديقنا القاضي عبد الرشيد افندي الابراهيمي المقيم الآن في بطربورغ مدير جريدتي الالفت والتلميذ ومؤلف سائر الرسائل المفيدة سلمه الله تعالى هو نجل عمر هذا وهو منسوب الى جده او الى جد جده ابراهيم رحمهم الله تعالى الشيخ عبد الرحيم بن عثمان الاوتزايماني الشهير ولد في قرية اوتوز ايمان التابعة لقصبة چيسطاي واستفاد مبادي العلوم من بعض علماء بلاده ثم تزوج زوجتين وولد له ولد اسمه عبد النصير ثم سافر الى بخاري واخذهم معه وتردد بين بخاري وسمرقند وكابل مرارا كثيرة ثم صار اماما في مسجد مغاك الشهير ببخاري ثم رجع الى وطنه وتزوج زوجة ثالثة واشتغل بالتدريس في قرى متعددة من غير منشور وكان له مسلك مخصوص به لا يشاركه احد وهو انه كان يمنع العوام من ان يصلوا السنن الرواتب فضلا عن النوافل بعلة انهم اميون فلو شرعوا في السنن تفترض عليهم وتفسد لعدم القراءة فيلزمهم قضاؤها وهو ايضا لا يجوز منهم لعدم القراءة وان اداء الجمعة والعيد لا يجوز في بلاد قزان لعدم تحقق المصر الشرعي فيها وان الصلاة مستقبلا الى طاقة البيوت هناك لا يجوز لكون زجاجتها مركبة على اخشاب في صورة الصليب الى غير ذلك من هذيانه وكان جسورا في الكلام غير مراع لخاطر احد حقا كان كلامه في الواقع او باطلا وله نوادر ولطائف كثيرة في ذلك وله مآليف منها شرح مراد العارفين وثبات العاجزين بالعربية وكشف اللغات وقد رأيت كشف اللغات هذا في المدينة المنورة في كتبخانة الخانقاه الاحمدية مجلدا مع المكتوبات الشريفة قال فيه لا يخفى انه قد سبق عني قبل هذا شرح ثبات العاجزين بالعربية وشرح مراد العارفين وتحفة الاحباب والرسالة الخمرية ونصائح الغرباء وقواعد القرآن بالتركية وحل جامع الرموز فهذا تأليف ثامن تقبل الله كلها وجعلها خالصا لوجهه الكريم اه ورأيت له شرح ثبات العاجزين وحل جامع الرموز الآن عبارته ملحونة وعلى كل حال فقد كان من عشاق العلم ومشمرا عن ساق الجد مع اتباعه في نشره وقد نقل

فى اعتنائه بتصحيح الكتب مابعد مستحيلا وكان ينكرالاشتغال بالمنطق
والفلسفةوالكلام يعنى اشتغالا ممضيا الى تفويت المرام ونقل انكاره ايضا
على مشايخ الطريقة والظن به بل اليقين انه كان ينكر على الناقصين منهم
اوالمتشبهين بهم فانه كان يلازم مطالعة كتب الامام الغزالى وتعرف الكلا
باذى ومكتوبات الامام الربانى رضي الله عنهم ومقتضاها الانكار على
الناقصين والمتشبهين المبطلين دون الكاملين المحققين وقد سمعت مولانا
الشيخ فخرالدين النورلاطى رحمه الله انه كان مريدا للشيخ فيض خان
الكابلى الاانه لم يجتهد اجتهاد سائر اصحابه قال دخل يوما على شيخه
المذكور وفى جيبه اوراق كتب فيها بعض الاعتراضات فقال له الشيخ
ان عمرك يضيع فى اعتراضات غير نافعة وقال انه طلب من شيخه ان يدعوله
بالغلبة فى مناظراته كلهافكان كذلك والعهدة فى ذلك عليه ومن اكبر عيبه
انه كان قائلا بسقوط العشاء بقزان فى اقصر ليالى السنة سامحه الله تعالى توفى
فى سنة ١٢٥١ فى قرية تيماش تابعة لقصبة بوكلمه رحمه الله تعالى
الحافظ مصطفى بن موسى القزانى استفاد العلم من علماء بلاده
ومن علماء بخارى وسافر الى كابل وصحب الشيخ فيض خان الكابلى ثم
صار مدرسا فى بعض القرى التابعة لقزان ثم فى نفس بلدة قزان كان حافظ
القرآن وتلاء اياه قليل الكلام ملازم الصمت رقيق القلب غزير الدمعة وقد
تشرف بالحج قيل انه اول عالم حج من نفس بلدة قزان توفى فى سنة ١٢٥١
ببلدة قزان رحمه الله تعالى الملا يونس بن ابراهيم كان مدرسا فى قرية
قاچرلى وبعد ان درس فيها اربعين سنة ٤٠ عرض له العمى فدرس بعد
ذلك عشر سنة ١٠ اخرى وتوفى فى قصبة طرويسكى رحمه الله تعالى
الملا اسحق بن سعيد الكنارى ثم الچيسطايى ثم القزانى حصل العلم
فى بلاده وفى بخارى ثم صار مدرسا فى قرية سردى ثم فى قصبة چيسطاى ثم
فى بلدة قزان واشتغل هناك بالتدريس حتى اتاه اليقين وانتفع به كثير
من الطلبة وكان معروفا بالعلم والفضل فى عصره توفى فى سنة ١٢٥١
رحمه الله تعالى الملا شاه احمد بن رفيق السماكى اصله من قرية صلاوچ

التابعة او لاية واذكا ثم هاجر ابوه رفيق منها واستوطن فى اطراف قصبة منزله فولد صاحب الترجمة فيها واستفاد من علماء عصره مثل الشيخ وليد بن سعيد المنزله باشى وعبد الجليل من عبد الجليـل الورشى ومحمد رحيم بن يوسف الچكرّوى وابى النصر عبد النصير بن ابراهيم القورصاوى ثم رحل الى بخارك واستفاد من علمائها ولما رجع الى وطنه بعد قضاء وطره من التحصيل صار مدرسا بقرية تاقته آلاچق التابعة لقصبة منزله وقام بعض الاغنياء بتربية مدرسته فاجتمع لديه كثير من الطلبة فقال ان سبب كثرة اجتماع الطلبة كون المدرسة فى تربية الاغنياء وكون القرية فى وسط قرى المسلمين وقال هذا ليس عندى من الخدمة وقصدى ان انشر العلم بين الجهلاء فتحول الى قرية سماك فاجتمع لديه هناك ايضا جم عظيم من عطاش العلوم فصرف اوقاته كله فى التعليم والتدريس بكمال النشاط حتى اتاه اليقين وهو استاذ المدرسين الكبار كلهم فى تلك الناحية وكان وفاته بها سنة ١٢٥٣ رحمه الله تعالى وله ولد اسمه نور الدين وكان مثل والده فى العلم والفضل وكان اماما ومدرسا بقرية ايركنش التابعة لقصبة منزله وتوفى قبل هذا بسنتين او ثلاث رحمه الله تعالى ولصاحب الترجمة الملاشاه احمد كتاب عمدة التدقيقات وزبدة التحقيقات فى اثبات فرضية العشاء فى تلك البلاد فى اقصر ليال السنة وفى ناظورة المرجانى اشياء منه ولو بتغيير عبارته **الشيخ تاج الدين بن يالچى قل الملمى** اخذ العلم عن بعض علماء بلاده ثم رحل الى طرف داغستان واستفـاد فيها عن بعض علمائها ثم رجع الى وطنه وصار اماما بقرية ملم التابعة لقصبته منزله وله شرح ثبات العاجزين المسمى بالرسالة العزيزية وتفسير القرآن من سورة الفتح الى آخره بالتركية كلاهما مطبوعان وشرحه المذكور مملوء بالحكايات الواهية والخرافات الداهية وقيل ان له شرح القصيدة القافية وتعليم الصلاة وشروط الصلاة ايضا وكان يحب السياحة ويمشى فى اكثر الاوقات على رجليه وسمعت بعض الناس يقول انه كان يصاحب الشيخ عبد الرحيم الاوتزايمانى فى اسفاره فى تلك البلاد توفى

فى قرية ايمانلى باش التابعة لقصبة منزله سنة ١٢٥٤ رحمه الله تعالى الملا
تاج الدين بن عبد الرشيد الاشتراكى ثم الصصناوى بعد ان استفاد
العلم من علماء عصره صار اماما ومدرسا اولا فى قريته الاصلية بكاشتراك التابعة
لقصبة بوكلمه ثم تحول منها الى قرية صاصنا بولاية قزان مدرسا بها وبعد ان
درس فيها سنة ٢٩ توفى فى سنة ١٢٥٦ رحمه الله تعالى وكان من العلماء
المشهورين فى عصره وقد انتشر من مدرسته كثير من العلماء وكتب بيده
كتبا كثيرة بحيث قلما يوجد فى زماننا من لم يطالعها بالتمام وله بعض تحريرات
بالعربية فى بيان بعض المسائل ومكاتيب منظومة بالتركية نور الله ضريحه
وروح روحه الملا ايشمحمد بن زاهد الكوباكى ولد فى قرية كوباك
التابعة لقصبة بلباى فى ولاية اوفا ونشأ بها عاميا اميا لا يقرأ ولا يكتب بل صرف
عمره فى التغنى واستعمال بعض آلات الملاهى فى مجالس السفهاء ولما بلغ
عمره ٢٢ سنة غاب فى يوم من الايام ولم يعلم احد انه اين ذهب حتى زوجته
فبقى فى غيبوبة هذه مدة ٢٥ سنة وذلك انه توجه نحو الحرمين المحترمين
ماشيا فحج وزار المدينة وصحب بعض المشايخ فى احد الحرمين واقام بمصر
سنة واستفاد من علمائها واقام ايضا فى بعض البلاد المشهورة ثم رجع الى مسقط
رأسه قرية كوباك بعد مضى تلك المدة وقد اخلى جرابه من سفاهته الاولى
وملأ بدلها جواهر العلوم ويواقيت المعارف ولآلى الآداب والوقار والسكينة
وجدد نكاح زوجته فاطمة ابنت عمر التى تركها حين سافر وعاش بها الى آخر
عمره مدرسا وناشرا العلوم ومعلما احكام القراءة خصوصا ثم توفى فى قرية
المذكورة سنة ١٢٥٦ وقد بلغ عمره ١٠٠ سنة وقد خلف اولادا كثيرا
ذكورا واناثا وانتفع به خلق كثير رحمه الله تعالى الملا دولتباقى بن
على الاصغر التاروى اصله من قرية ايمانقل التابعة لولاية اورنبورغ كان
اولا فى خدمة خيالة الروسية فتوجه لسبب من الاسباب الى طرف بخارى
واستفاد العلم هناك بكمال الجد والشوق ثم رجع الى وطنه وصار اماما ومدرسا
فى قصبة تارا التابعة لولاية طوبل فى سيبريا وبعد مضى برهة من الزمان
رحل الى بخارى ثانيا بقصد تحصيل علم الفلكيات فقط لعجزه عن معرفة

محاق القمر وانفصاله عن شعاع الشمس وبالجملة عن سير القمر واثبات غرته لتعلقه هنالك بمنصب الامامة وبعد ان حصل هناك مقصوده والعلوم العقلية والنقلية فوق مقصوده خرج راجعا الى مقره السابق قصبة تارا من طريق تاشكند ولما خرج من قصبة قرا اوتكل القريبة من قصبة تارا توفى هناك وكان ذلك بعد سنة ١٢٥٦ رحمه الله تعالى فسلم كتبه واسبابه المتعلقة بالفلكيات وسائر ما معه الى ورثته فاشترى بعض اعيان تارا بعض آلاته المتعلقة بالفلكيات المعمولة من الصفر المكتوب عليها ومع كرسيه السموات والارض واودعها متحف موزه خانة فى بلدة طوبل الملا عبد النصير الا ثابت بن چكنى الالمنى كان كثير الكتابة وسريعها ومعتنيا بتصحيح ما كتبه من الكتب وتحشيتها قيل مكتوب على ظهر العناية حاشية الهداية التى كتبها بيده ما معناه بلغ مجموع ما كتبته من الكتب مع هذه الحاشية مأتين وثلاثة وعشرين مجلدا شرعت فى استنساخ الكتب حين بلغت خمسا وعشرين سنة وقد بلغت الآن خمسا وتسعين سنة ولم استعمل المنظرة الى الآن وقد كتبت فى نور المسرجة والميقدة والآن وان احدث الشمع ولكن ليس عندى ثمن ما يكفى منه ليلة واحدة والآن قد هرمت واظننى لا استطيع الكتابة اه ومع ذلك اشتغل بالتدريس توفى فى سنة ١٢٥٧ رحمه الله تعالى وقام مقامه ولده الملا عبد الاحد وكان من العلماء المشاهير وقد رأيت بعض تلامذته فى بعض مدارس طرويسكى حين تحصيلى بها فى سنة وظنى انهم انما قدموا اليها بعد موته رحمه الله تعالى الشيخ محمد شريف بن ابراهيم البيركوى ثم الخوارزمى الشكوى النقشبندى المجددى ولد فى قرية بيركة التابعة لقصبة بوكلمه واستفاد من علماء بلاده ثم رحل الى بخارى واخذ الطريقة من الخليفة نيازقلى التركمانى وصحبه مدة واختص به ثم رجع الى وطنه وصار اماما ومدرسا فى قرية ودرس فيها مدة وتزوج وولد له فيها اولاد ثم رحل ثانيا الى بخارى فى حدود سنة ١٢٣٠ تاركا اولاده فى وطنه ثم منها الى خوارزم امابرأيه او باشارة من شيخه وصار هناك اماما فى مسجد صغير بموضع يقال له شكه فى غربى اوركانج الجديد على مسافة ثلاثة ارباع فرسخ تقريبا

وكتم حاله عن الناس ثم ظهر كماله وكونه ماذونا فى الطريقة فدخل فى سلك ارادته جمع من اهالى تلك الديار واشتهر فضله وكماله ثم تحول منه الى الجهة العربية قليلا بان اشترى خمسة اطناب من الارض بقرب خان كولى وبنى بها الخانقاه والمسجد واشتغل هناك بالتدريس وتربية المريدين الى ان اتاه اليقين فى حدود سنة ١٢٥٨ قريبا رحمه الله تعالى وخلف هناك ثلاثة اولاد وبنتا وكان ولده الاوسط الشيخ محمد ذاكر حين وفاته ابن ١٩ سنة فاستفاد الطريقة من خليفة والده قطلغ خواجه القرافالباغى بعد ان اخذ العلوم المتداولة من علماء تلك الديار ثم انتصب للارشاد والتدريس مكان والده وجدد الخانقاه وبنى مدرسة مشتملة على مقدار ثلاثين حجرة ووسع اراضيه واشتغل بالتدريس والتعليم واشتهرت صيته وكمالاته وكانت الطلاب الصادقون يقصدونه من بلاد شاسعة خصوصا من بلاد قزان فتوسعت معيشته وما كان يقبل شيئا من الخان فان قبل كان يفرقه على الطلبة والفقراء وكان مصاريف الطلبة والمريدين والواردين من محصوله وجيبه فعاش على هذا المنوال الى ان توفى رحمه الله تعالى يوم الاربعاء فى يوم العاشر من جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ ودفن يوم الخميس بعد الظهر بجمعية عظيمة حضر فيها الخان ومن دونه ودفن وراء قبر والده فى شمالى احاطاه وخلف ثلاثة ابناء وبنتين وابناؤه محمد سعيد ومحمد صالح ومحمد عزيز وجلس مكانه ولده الاوسط الشيخ محمد صالح مد الله ظله وهو موصوف بالعلم والحلم والسكينة والوقار وقد فوض والده كثيرا من مريديه فى حياته اليه واما الشيخ محمد سعيد فالغالب عليه النسبة العلمية واما الملا محمد عزيز فكذلك متصف بالعلم والحلم والدراية والذكاوة ومشغول بالتدريس وبرؤية امور الخانقاه وتدبيرها ولكل واحد منهم اولاد وكذلك لاخوى الشيخ محمد ذاكر اعقاب وكان للشيخ محمد شريف خليفة هناك من اهل قزان يسمى بالخليفة ولدان رحل من بلاد قزان والظن الغالب انه من طرف اوفا وترك فى وطنه زوجته وولدا يسمى احمد ولما صار ماذونا منه فى الطريقة استوطن هناك فى موضع يقال له باصو بساحل نهر جيحون اسفل من اوركانج قريب من قلعة مانغت فجلب هناك زوجته المذكورة وولده احمد واما تو فى هو جلس ولده احمد مكانه للارشاد

وزوج بنتيه من الشيخ محمد صالح ايشان والملا محمد عزيز المخدوم وتوفي هو أعني الشيخ احمد قبل الشيخ محمد ذاكر بسنة وبقي له ولد يسمى محمد صادق وقد رأيت الفقير اولاد الشيخ محمد ذاكر ايشان سوى محمد سعيد و محمد صادق هذا حين سفري الى خوارزم سنة ١٣٢١ وحملوا على بدل حج والدهم الشيخ محمد ذاكر ايشان فأديته في العام المذكور تقبل الله عني وعنهم واوصل ثوابه اليه روح الله روحه ونور ضريحه وكان صديقي الشيخ محمد يوسف ايشان مد الله ظله يبلغني سلامه واظهار شوقه الى هذا اللاشي لما رأى فيه تعريب الرشحات والمكتوبات الشريفة وكذلك اخبرني انجاله المذكورون بذلك واكرموني فوق الغاية حتى حملوا امراءهم ممالك الى جذب روحانية والدهم اياي جزاهم الله سبحانه كلهم خير الجزاء وللشيخ محمد شريف المذكور رسالتان في وجوب العشاء في اقصر ايالي السنة ببلاد قزان ورسالة في المنع من ارسال عذبة العمامة وذنبها ورسالة في ذم اجتماع النساء في الولايم والضيافات والحاصل انه رحمه الله كان عالما محققا مدققا عاملا بالكتاب والسنة تقيا ورعا غير مداهن لارباب الدنيا ولمن كانوا في صورة العلماء دون سيرتهم وكان قائلا بسنية الاشارة ويكون القول به لا فيها جزافا على مانقل عن الشيخ حبيب الله ابن الشيخ محمد حارث الاسترلي باشي ولكنه عمل به اولا وحسن الظن انه عمل به فانه كيف يجوز ترك شيء بعد اعتقاد سنيته فلو اقام رحمه الله تعالى في وطنه لنور تلك الاقطار والظاهر ان سبب هجرته نفرته من الكفرة ومعاملاتهم وتمايل اهالي تلك الديار اليهم في كثير من عاداتهم والله سبحانه اعلم

تنبيه ذكر لي حفيده الشيخ محمد صالح نقلا عن والده الشيخ محمد ذاكر ان والده الشيخ محمد شريف كان يقول ان جدنا الابعد بيكوو راخان وكان هو من الصالحين ولكن ليس بيدهم شجرة ولا يعرفون من فوق جدهم ابراهيم البيركوي وقد قيل انه من طائفة تبتر وبيكوو راخان ليس منهم فليحرر

الملا عبد الحليم بن زين العابدين الموروطشي استفاد العلم عن الشيخ عبد السلام بن الحسن القارلي وعبد الرحمن بن محمد شريف القارغالي ومحمد رحيم بن يوسف الموكروي وابي النصر عبد النصير بن ابراهيم

القورصاوی ثم صار مدرسا بقرية قاكاچی ثم بقرية مورطش باشی التابعة لقصبة منزل وكان من مشاهير مدرسی تلك الناحية فی عصره وانتفع به خلق كثير وقد سمعت من خالی الملا صاحب الدين آخوند النوركايی مدحه بالعلم مرارا كثيرا وكان بخيلا فی مدح الرجال جدا وكان عديم التكلف فی معيشته توفی رحمه الله تعالی فی سنة ١٢٥٨ رحمه الله تعالی وكان له ولد يعقوب اسمه ولی وقد رأيته مرارا فی صغری الملا هبة الله بن دين محمد الصلاوچی استفاد العلم من اكابر علماء بلاده ثم رحل الی بخاری واستفاد فيها من علمائها ثم رحل الی كابل واخذ الطريقة عن الشيخ فيض خان الكابلی وصار مأذونا منه فيها وبعد ان رجع الی وطنه صار مدرسا بقرية صلاوچ واشتغل هناك بالتدريس وتربية المريدين وانتفع به خلق كثير وكان من مشاهير العلماء فی عصره وتوفی هناك فی سنة ١٢٥٨ رحمه الله تعالی الشيخ عبد الخالق بن ابراهيم القورصاوی اخو الشيخ عبد النصير القورصاوی وكان اكبر منه اخذ مبادی العلوم عن علماء بلاده ثم رحل الی بخاری واخذ فيها الطريقة عن الخليفة نيازقلی التركمانی واستفاد سائر العلوم عن اخيه ابی النصر عبد النصير وحج واقام مدة فی مصر واخذ عن علمائها علوم القراءة والتفسير والحديث واخذ القراءة ايضا عن المولی ابی السعود مفتی ديار بكر وبعد ان رجع صار مدرسا بقرية قورصا ودرس العلوم الدينية فی مدارس اخيه عبد النصير وله كتاب فی الحديث طبع فی قزان يقال انه صار مجازا فی الحديث عن شيوخ كثيرة وكان عالما عاملا بالكتاب والسنة تقيا ورعا دينا مستقيم الاحوال والاطوار يفهم مما كتبه بعض اصحابه فی بيان ترجمة حاله انه تشرف بالحج مرارا وسافر الی العراق وخراسان والله سبحانه اعلم توفی فی قرية قورصا سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالی وقد تقدم وفاة اخيه عبد النصير باسكدار وتوفی احد اخوته عبد الرشيد ببخاری واخوه عبد الكريم فی مصر رحمهم الله تعالی الملا فتح الله آخوند بن الحسين الاوروی اخو الشيخ حبيب الله بن الحسين الاوروی المار ذكره واحد العلماء الاعلام

فى تلك الديار ولد فى سنة ١١٨١ واستفاد العلم من الشيخ عبد الرحمن
بن محمد شريف القار غالى وفى بخارى الملا عطاو غيره ولما رجع الى وطنه
صار اماما ومدرسا بقرية اورى واشتهر صيته واجتمع لديه جمع عظيم من
الطلبة فدرس وافاد وافتى والف ونصح ووعظ ونفع العباد وله رسائل
عديدة منها الرسالة الفتحية فى سقوط العشاء فى بلاد قزان وبلغار فى اقصر
ايالى السنة والرسالة المهمة فى حق الهلال واثباته ورسالة فى جواز اتصافه
تعالى بالوحدة العددية ومجموع جمع فيه من كل باب رطبا ويابسا وهو وان
اخطأ فى بعض المسائل الا انه اخطا عن دليل لا عن تقليد فان الاصابة كما
انها تكون عن دليل وتقليد كذلك الخطأ يكون عن دليل وتقليد وهو
الاكثر الغالب واعنى بالتقليد تقليد المقلد كما هو ديدن كافة
الناس الآن لا تقليد المجتهد فانه لم يدع الاجتهاد قط لا صراحة
ولا اشارة ومعنى الاصابة عن دليل على هذا اعني مع تقليد المجتهد هو ان
ينظر الى دليل امامه ودليل غيره فى كل مسألة ويدرك قوة دليل امامه
او ضعفا وانه لدليل غيره وهو الطريق الاوسط الاقوم بين التقليد الاعمى
الجامد وبين الاسترسال بالرأى والاعجاب به وحسن ظن الانسان بنفسه
او باحد ممن يميل اليه نفسه وهو الذى اخترته واسأل الله سبحانه الدوام
والثبات فيه الى ان اموت وبالجملة انه كان ممن يطلق عليهم لقب العلماء
بالاستحقاق توفى فى قرية اورى سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالى الملا عبد الواحد
بن عبد المنان بن آبلاى المنزله باشى كان اماما ومدرسا بقرية منزل
باشى واحد العلماء المشهورين المشتغلين بالافاده والتدريس توفى فى
القرية المذكورة سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالى الملا زين الله بن اولمزقل
القالقانى كان من اصحاب ابى النصر القورصاوى اشتغل بالافادة والتدريس
فى قرية قالقان التابعة لقصبة ويرخنوى اورال الى ان اتاه اليقين وكان وفاته
سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالى الشيخ نعمة الله بن بيكتمر الاسترلى باشى
النقشبندى المجددى اصله من قرية صلاوج التابعة لقصبة مالمز وتحول
جده توقاى من هناك الى قرية ايسترلى باشى التابعة لقصبة ايسترلى طمق

في ولايةاوما وولد صاحب الترجمة في القرية المذكورة واستفاد العلم من علماء عصره في تلك الديار ورحل الى بخارى واخذ من علمائها وانتظم في سلك اصحاب الخليفة نياز قلي التركماني واختص بصحبته وانتفع به وصار مأذونا منه في الطريقة النقشبندية المجددية وعاد الى وطنه وقد ملأ طرفي حقيبته بجواهر العلوم الظاهرية والباطنية وانتصب للتدريس والارشاد مشمرا عن ساق الجد والاجتهاد وبنى المدارس الكبار فصارت قرية ايسترلي باشي محط رحال الرجال الكبار واجتمع لديه طلبة العلوم من جميع الاقطار وقصده طلاب الحق من جميع الديار فكان يبذل لكل منهم ما يناسبه ويربي كلا من المريدين بما يلايمه وكان عالما بعلوم الشريعة عاملا بها تقيا نقيا دينا متواضعا حسن الاخلاق وافر الافادة كثير الارشاد واسع الغنا كامل الدراية مرتاضا ذا سكينة ووقار مهيبا معتمدا اليه لجميع الناس ملازما لدرس التفسير والحديث والتصوف مجتنبا عن محدثات المتفلسفين والمتكلمين سالكا مسالك السلف الصالحين وبالجملة لايدرى له ثان في تلك الديار في الاشتهار بالعلم والصلاح والتقوى والارشاد واعتقاد الكل فيه هذا الاعتماد وبعد ان عاش سنين عديدة على هذا المنوال ونفع كثيرا من عباد الله المتعال بلغه امر ارجعي فاجابه وكان وفاته في القرية المذكورة ايسترلي باشي سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى وروح روحه ونور ضريحه وقد خلف ولدين حارثا وحراثا وقد جلسا مكان والدهما في الافادة والارشاد على التعاقب وسلكا مسلكه في جميع شؤنه توفي ولده الاكبر الشيخ حارث سنة ١٢٨٧ والشيخ حراث سنة ١٢٨٨ رحمهما الله تعالى وبعض احفاده (١) وخلفاء اولاده وخلفاء

---

(١) واكبرهم المخدوم الملا عبدالله ثم الملا عبيدالله وهو القائم الآن بامر الارشاد والملا عبدالشاكر ثم الملا عبدالقادر وهؤلاء اولاد الشيخ محمد حارث ومات من اولاده اثنان وهما الملا حبيب الله والملا عبدالمجيد وقد بلغا من العلم مبلغا عظيما رحمهما الله تعالى ولكل منهم اولاد نجباء اذا رآهم الرائي ينشد هذا البيت بلا اختيار شعر :

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول *

واما الشيخ محمد حراث فقد خلف ولدا اسمه المخدوم لطف الله وقد خلف هو ولدا اسمه عبدالرحيم وقد زرت استرلي باشي في شعبان هذا العام قبيل الشروع في طبع هذا الكتاب :

خلفائه يشتغلون الآن بالتدريس والارشاد في مكانه ويستفيد فيه العلوم خلق كثير نسأل الله سبحانه ان يقيض من يحييه ويجدده ويعيده الى ما كان عليه في عصره وما ذلك على الله بعزيز الملا عبد الخالق بن عبد الكريم ولد في حدود سنة ١١٨٥ بقرية آغاردى التابعة لبلدة اوفا واستفاد مبادى العلوم عند علماء تلك النواحي ثم رحل الى قزان ثم الى آق كرمان ثم الى بلاد الدولة العلية واقام بقصبة خادم ست سنين مستفيدا من الملا محمد امين قيل هو شارح الطريقة المحمدية المفتي ابي سعيد محمد بن مصطفى وله منه اجازة عربية العبارة ثم توجه منها الى الحج فاقام في مكة المكرمة سنتين وفي المدينة المنورة سنة واحدة وفي مصر سنة واخذ فيها الاجازة في القراءة عن الشيخ صالح الزجاجي (كذا) وفي القدس سنة وفي دمشق الشام سنة اشهر ثم رجع الى وطنه وصار مدرسا بقرية طورنا صنتاش طمق واشتغل هناك بالتدريس الى ان توفي فيها سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى الملا عبد الغفور بن عبد المنان بن آبلاى الچيسطايي هو اخو الملا عبد الواحد المار ذكره اصله من قرية عبد الرحمن التابعة لقصبة بوكلمه استفاد العلم من الشيخ سيف الدين الشنكاري وابي النصر القورصاوي ثم رحل الى بخارى واستفاد من علمائها ولما رجع الى وطنه صار مدرسا في قرية طويكادى التابعة لقصبة منزله مدة ثم تحول الى قرية شيطان بلغه التابعة لقصبة مامادش ثم تحول الى قصبة چيسطاى وبنى هناك مدرسة فاجتمع اليه كثير من الطلبة فاشتغل بالتدريس والافادة الى ان توفي فيها سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى كانت افادته جيدة مفيدة للطلاب وقد انتفع به خلق كثير يقال كان له مهارة جيدة بين ابناء جلدته في علم الحساب وقد استفاد منه خالى الملا صاحب الدين آخوند سنة واحدة فادماهناك من قزان بعد وفاة الملا اسحق المار ذكره

ونزلت ببيت الملا محمد شاكر افندى ثم ببيت الملا عبد القادر ورأيت كلهم ورأيت منهم كلهم حتى من صغارهم لطفا واكراما واحتراما زائدا يليق لمثلهم الكرام وان لم يلق لمثلي فتيقنت صدق مضمون قولهم الولد سر ابيه وان المحبة تنتقل من الآباء الى الابناء وتحققت اصالة جوهرهم حفظهم الله سبحانه من جميع الآفات والعاهات وادام عزهم ومجدهم. منه عفي عنه.

ولما تعين الملا محمد كريم مكانه رجع اليها الشيخ محمد رحيم بن امير بن جعفر التارشناوى وتارشناو قرية فى ولاية قزان كان صاحب الترجمة يشتغل فيها بالامامة والارشاد وكان مجازا من الشيخ نيازقلى التركمانى البخارى يقال انه كان مجاب الدعوة توفى فى القرية المذكورة سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى
الملا فخر الدين بن ابراهيم بن خوجاش القزانى ثم البخارى وقد مر ذكر والده الملا ابراهيم ولد صاحب الترجمة فى قزان واستفاد من والده المذكور ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها ثم عاد الى قزان وبعد ان اقام بها مدة رحل ثانيا الى بخارى واستوطن بها واشتغل بتعليم القراءة وقليلا من العلوم العربية التى كان والده اتى بها من طرف داغستان وقد صحح بسببه كثير من الناس قراءتهم بحيث يجوز بها صلواتهم ويقال ان الامير حيدرا اخذ عنه القراءة وصححها عليه وبالجملة انه كان مقربا لديه سمعت مولانا الشيخ فخر الدين النورلاطى رحمه الله تعالى انه ضرب على فم واحد من العلماء امام الامير المشار اليه وكان مولانا الشيخ فخر الدين المذكورة تلقن القراءة منه وكانت قراءته لا بأس بها الا انه كان يحدث السكتة بين الكلمتين حذرا عن الادماج على زعمه ولاسيما فى سورة الفاتحة لما اشتهر بين العوام ان فيها اسماء الشيطان فى سبع مواضع يحصل من ضم كلمة الى اخرى اولها دلل وثانيها هرب الخ ولا ادرى ان هذه البدعة هل كان اخذها عنه او عن بعض الرسائل الغير المعتمدة والله سبحانه اعلم وله تعليقات على بعض مواضع القهستانى حاكم فيها بين شرح القهستانى وشرح الملا ابى المكارم لمختصر الوقاية سماها غواص البحرين وميزان الشرحين وقد طبعت فى هامش القهستانى سنة ١٣٠٨ فى قزان ما ادرى كلها او بعضها وكذلك له تعليقات لحاشية ملا احمد الجندى على شرح العقايد وعلى حاشية خواجه جمال على شرح التهذيب وعلى حاشية آخوند يوسف القراباغى وحاشية على التوضيح ومختصر الشاطبية وغيرها وهذه لم اره وتعليقاته على القهستانى لا باس فيها منها ما يؤخذ وفيها ما يترك وبالجملة ان نفعها اكثر خصوصا للمبتدئين وقد نقل الفاضل المرجانى عدة من مكاتيبه والفاضل المحترم القاضى رضاء الدين افندى اثنين منها وكل منها طويل مفكك

العبارات غير مرتبطها وعلى كل حال كان رحمه الله تعالى من العلماء الكبار وكان وفاته في بخارى ١٢٦٠ سنة وقد بلغ عمره تسعين سنة رحمه الله تعالى الملا عبيدالله بن ابراهيم البيركوى اخذ العلم عن اكابر علماء عصره وتلقن القراءة عن الشيخ ولى الدين البغدادى القارغالى ولما اراد الشيخ محمد شريف المار ذكره ان يهاجر عينه مدرسا فى مكانه وفوض مدرسته وتلامذته اليه فاشتغل بخدمة التدريس والافادة الى آخر عمره وقد انتفع به خلق كثير وكان وفاته فى بيركه سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى وله رسالة عربية فى ترتيب العوامل المائة وتقسيمها الى الاسم والفعل والحرف ولما توفى قام مقامه فى التدريس ولده الملا عبد العلى احسن قيام وانتفع به الخاص والعام الى ان توفى رحمه الله تعالى وله رسالة لطيفة فى فرضية العشاء فى اقصر ليالى السنة فى قزان وبلغار سماها بيان الحق فى مسئلة العشاء حين لم يغب الشفق ليست بالطويلة المملة ولا بقصيرة المخلة مفيدة جدا ورسالة فى وجوب ادغام النون فى اللام فى كلمة الشهادة سماها الرسالة المفتاحية الفهالرد بعض الجهلاء القائل بوجوب ترك الادغام فيها اخذا عن قول الجزرى فاقطع بعشر كلمات ان لاالخ وكلتاهما عربيتان ورسالة فى وجوب العشر عن العسل الذى يبقى فى الخلايا قوتا للنحل فى ايام الشتاء سماها الجلية فى وجوب العشر من عسل الخلية كلها بالعربية وكلها طبعت مجتمعة فى قزان سنة ١٣١١ والآن قائم فى مقامه بخدمة التدريس ولده وهو ايضا متصف بالعلم والفضائل والاداب مثل آبائه الكرام سلمه الله تعالى الشيخ شاه احمد بن يوسف بن قطلغ محمد التوكيلى النقشبندى وهو اخو المفتى سليم كراى بن يوسف التوكيلى الا انه نفع نسبه عنه باتفاق مع سائر الورثة بناء على الامور الرسمية فاخذ المذكور حسب النظام فى خدمة الخيالة الروسية وبعد ان تخلص منها سافر الى الحجاز وبقى فى سفره هذا ست سنين وبعد ان عاد الى وطنه انتسب الى الشيخ وليد القارغالى النقشبندى فى الطريقة وصحبه وانتفع به وصار مأذونا منه فيها وبنى مسجدا بقرية رادوت التابعة لاورنبوغ واشتغل هناك بنشر الطريقة والشيخ حبيب الله الز يملبهومى الغوالبنى من خلفائه وكان صاحب الترجمة طلبا

تقيا سخيا ذاخلق حسن توفى فى القرية المذكورة سنة ١٢٦١ الملا نعمة الله بن مناسب البوبوى كان مدرسا فى قرية بوبى التابعة لقصبة سرابول فى ولاية وانكا كان كثير الافادة مستقيما فى الشريعة مجتهدا فى نشر العلم ورفع الجهل توفى فى سنة ١٢٦١ وقام بمقامه والده الملا عبد العلام وخدم العلم خدمة جيدة وتوفى فى سنة ١٣١٩ رحمه الله تعالى وقام مقامه فى خدمة العلم ونشره ولداه الانجبان الملا عبيد الله افندى العوزى والملا عبد الله افندى سلمهما الله تعالى الشيخ رحمة الله بن عبيد الله الكزلوى وقد مر ذكر والده الشيخ عبيد الله بن جعفر الكزلوى وقد استفاد صاحب الترجمة العلم عن والده المذكور وعن الشيخ عبد الرحمن القارغالى واخذ القراءة عن الشيخ ولى الدين البغدادى وكان جيد القراءة وكثير الطلبة وقوى الافادة توفى فى سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى وصار بموته مصداق ماقال الشاعر شعر فآها على فوت امرء لم يكن له * خليفة عهد وارث لكماله * عكس ما سبق الملا عصمة الله بن الملا عبد الرحمن طويمحمد الشلچلى كان اماما ومدرسا ومحتسبا فى قرية توبان شلچلى التابعة لقصبة بوكلمه وكان يفصل دعوى اهل الاسلام فى تلك الاطراف وكان جيد الخط وفائقا اقرانه فى علم الفقه وربما كان ينظم شعرا تركيا وقد مر ذكر والده الشيخ عبد الرحمن الطايصوغانى توفى رحمه الله فى سنة ١٢٦١ الملا يعقوب بن يحيى التيبيازى القشقارى استفاد العلوم من علماء تلك الديار ومن علماء بخارى ثم صار مدرسا فى قرية برسكه ثم فى قرية قشقار فى ولاية قزان وكان من العلماء الكبار الموصوفين بكثرة التلامذة توفى فى سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى الملا على باى بن يار محمد الچالپوى كان اماما ومدرسا فى قرية چالپى التابعة لقصبه بوكلمه اخذ العلم عن عدة من كبار علماء تلك الديار يقال انه كان يدرس بالتحقيق والافهام الا ان تلامذته كانوا قليلين توفى فى سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى الملا شرف الدين بن زين الدين استرلى طمقى كان اماما ومدرسا فى قصبة استرلى طمق التابعة لولاية اوفا استفاد العلم من علماء تلك الديار

ثم رحل الى بخارى واخذ الطريقة من الخليفة نياز قلى التركمانى وصار مأذونا بها منه وبعد ان رجع الى وطنه اشتغل بالتدريس والارشاد فى القصبة المذكورة وقد انتفع به فى الظاهر والباطن خلق كثير وخلفه فى الطريقة خليفته الشيخ عبد الحكيم الجاردالى توفى رحمه الله تعالى فى سنة ١٢٦٢ وكذلك نجله خلفه الصدق الشيخ كمال الدين خلفه بعده فى الامامة والتدريس والارشاد فى مكانه واشتهر صيته واستفاد منه خلق كثير توفى سنة ١٢٦٢ رحمه الله تعالى ميان فيض بخش بن عبد القدوس المجددى قال المرجانى بعد ذكر نسبه من غير مبالاة على عادته قدم الى قزان واقام بها مدة واشتهر بايشان صاحب زاده على اصطلاحهم وتوفى فى شوال سنة ١٢٦٢ بالوباء ودفن فى المقبرة الجديدة بقزان ولم يكن من اهل العلم وانما كان افتخاره بالنسب فقط الخ ولم يبين انه من اين جاء الى قزان ولاى شئ جاء رحمه الله تعالى الشيخ ذو القرنين بن خليل القاقتماقى كان من مشاهير شيوخ سيبريا اخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ نجم الدين النسفى المجاور بالمدينة المنورة عن الشيخ فيض خان الكابلى على ما فى اجازته عن شيخه وعن الشيخ عبد الخالق البلغارى ثم النسفى عن شيخه ولى محمد البلغارى عن شيخه محمد فيض خان الكابلى . . . وكذلك اخذت الطريقة عن شيخ الشيخ الخ هكذا فى اجازته التى اعطاها لواحد من مريديه ولعل نجم الدين هو لقب ولى محمد ومراده بشيخ الشيخ هو والله سبحانه اعلم توفى فى سنة ١٢٦٢ رحمه الله تعالى الملا نعمان بن امير بن عثمان التمنى كان من اخص اصحاب الشيخ ابى النصر القورصاوى حتى انه فوض جميع تلامذته ومدرسته اليه حين سافر الى الحج توفى فى قرية ثمن فى ولاية اوفا ولم يعلم تاريخ وفاته والظاهر انه كان مدرسا فى القرية المذكورة رحمه الله تعالى الملا عبد الجبار بن عبد الرحمن الطايصوغانى كان اماما ومدرسا بقرية طايصوغان وتقدم ذكر والده عبد الرحمن سابقا وذكر اخيه عصمة الله قريبا تلقى العلوم من اكابر علماء تلك الديار فى عصره وتلقن الطريقة النقشبندية عن الشيخ وليد بن محمد الامين القارغالى المار ذكره

كان ذكيا فطنا فاضلا وقورا عالما بالعلوم الدينية وبصيرا بالامور الدنيوية توفى فى حدود سنة ١٢٦٢ رحمه الله تعالى الملا حماد بن عيسى القارغالى ولد فى قرية توبن چيلى وبقى من ابيه يتيما فنشا فى حجر اخيه مرادم بن عيسى واستفاد العلم من اكابر علماء تلك الديار ثم صار مدرسا فى قرية بواق ثم تحول منها الى قرية قارغالى واشتغل فيها بالتدريس مدة الى ان توفى فيها سنة ١٢٦٤ بالوباء يقال انه كان يدرس على وجه التحقيق والتدقيق بحيث يفهم تلامذته درسه فهما جيدا ولذا كانوا ذوى نشاط واجتهاد فى التحصيل رحمه الله تعالى وخلفه مكانه ولده الملا عبد العليم وتوفى فى سنة ١٣١٥ وقد لقيته مرارا رحمه الله تعالى وولده مطيع الله اقام بمدرسة قشقار مدة وقدم هذا العام مكة المكرمة وتوجه بعد الحج الى المدينة المنورة ويرجى منه الخير انشاء الله تعالى الملا نعمة الله بن عبد الرحيم الاورنبورغى اصله من ولاية پنزا واستفاد العلم والطريقة من الشيخ دولتشاه المار ذكره وتزوج ابنته عائشة وصار اماما وخطيبا فى بلدة اورنبورغ وتوفى بالوباء رحمه الله تعالى الشيخ سيد بن نور محمد كان اماما ومدرسا فى قرية ملاقاى التابعة لقصبة اورسكى استفاد العلمين الظاهر والباطن من الشيخ نعمة الله الاسترلى باشى وافنى عمره فى التدريس والافادة وتوفى سنة ١٢٦٤ رحمه الله تعالى وفى مقامه الآن نجله الارشد الامجد الملا عبد الله آخوند وله خلافة من شيخنا الشيخ محمد مظهر الدهلوى المدنى المجددى قدس سره ولم نذكره فى ذيل تعريب الرشحات لعدم علمنا به فى ذلك الوقت ووقته معمور بالذكر والفكر والافادة وتربية المريدين سلمه الله تعالى الشيخ عبد اللطيف بن سبحانقلى بن رمقل القورچى ولد فى قرية قصقه يلغه التابعة لقضاء بلبهى واخذ عن بعض علماء بلاده ثم خرج من دياره بنية الحج واقام بمصر سنتين واحكم علم القراءة وبعد رجوعه الى وطنه رحل الى بخارى واخذ الطريقة النقشبندية من الشيخ نيازقلى وبعد

ان عاد الى وطنه مجازا منه فى الطريقة اقام بقرية قورج التابعة لقضاء بلبه‌ى
اماما ومدرسا ومقرئا ومرشدا وانتفع به خلق كثير فى الطريقة والقراءة
وكانت شهرته فى القراءة فى تلك الديار اكثر من شهرة قفانبك بين اربابها
ومن جملة تلامذته فى علم الظاهر الملا امين الكمال بن عبد الواحد القزانى
والملا نصر الدين بن عبد الحكيم البورايى والملا نظام الدين الآتى ذكره
ومن خلفائه فى الطريقة الشيخ سليمان بن قاالماش والشيخ عبد الفتاح
بن عبد المجيد الصارى سازى والقائم مقام الشيخ عبد الفتاح الآن ولده
الشيخ صنعة الله المقيم بقرية جماد باشى نرجو من فضله تعالى ان يكون
فى الاستقامة مثل مشايخه الكرام وقد حج مرتين ولقيته فى مكة مرارا وبت
فى بيته ليلة فى سنة ١٣١٠ اثناء بعض سياحتى توفى صاحب الترجمة الشيخ
عبد اللطيف سنة ١٢٦٤ رحم الله الجميع **الملا بايمراد بن محرم القزانى**
اصل من قرية الوغ مكرمن اولاد بعض تجارها اخذ العلم فى مبادى احواله
عن عدة علماء بلاده ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها ثم رجع الى
وطنه فى حدود سنة ١٢٢٨ ودرس اولا فى قرية ممسة ثم تحول فى عام
١٢٥٤ الى قزان وصار مدرسا فى احدى مدارس يكابسته واشتهر فضله
وطار صيته فى الآفاق واجتمع لديه كثير من الطلبة وانتفعوا به وتخرج عليه
كثير من العلماء وكان ذا ثروة عظيمة بتعاطى التجارة حتى كان له معمل
نوع من البزا لازرق يسمى فى اصطلاح اهل تلك البلاد نفان وبالجملة انه
كان اشهر علماء عصره فى مصره توفى فى ٨ شوال عام ١٢٦٥ رحمه الله تعالى
الملا حبيب الله بن رحمانقلى القزانى اخذ العلوم عن والده وسائر علماء عصره
المذكور وجود القراءة لدى الشيخ ولى الدين البغدادي ودرس مدة فى
قرية بيكى ثم ورد الى قزان بعد وفاة اخيه الملا عبد النصير بن رحمانقلى عام
١٢٥٢ وصار اماما ومدرسا وخطيبا فى مسجد يسمى زنكار مسجد
واشتغل بالتدريس والافادة الى ان توفى عام ١٢٦٦ رحمه الله تعالى
وخلفه فى تلك الوظائف ولده الملا غياث الدين وكان ذا ذهن وقاد
وطبع نقاد فصيحا بليغا شاعرا الا انه لم يطل عمره بل توفى بعد سنين من موت ابيه

وتوفى ولده الثانى الملا اسمعيل فى مكة المكرمة سنة ١٣٠٧ بالوباء العام رحمهما الله تعالى الملا عبد الرحيم بن عاشورا الحاجطرخانى المشهور بوبانالى ملا اصله من قرية مجالى التابعة لولاية پنزا اخذ العلم عن الملا عبد الرحمن بن محمد بن شريف الكرمانى القارغالى ثم رحل الى مصر القاهرة واستفاد فيها عن علمائها مدة ١٢ سنة وجود القراءة عند الشيخ مصطفى المقرى وصار مأذونا منه فى القراءة ولما عاد الى هذه الديار صار اماما ومدرسا فى احدى محلات حاجى طرخان فاخذ منه فيها القراءة خلق كثير وانتفعوا به فيها ولاسيما الشيخ عبد الله والشيخ عبد الوهاب من ائمة البلدة المذكورة فمن ذلك الوقت كان بلدة حاجى طرخان مصر هذه الديار فى علم القراءة والآن يقوم بها فيها الحافظ عبد الرحيم ابن الشيخ عبد الله والملا عبد الرحمن ابن عبد الوهاب المذكور بن وتوفى صاحب الترجمة فى سنة ١٢٦٤ رحمه الله تعالى عبد الصالح بن عبد الله بن شريف ابن كيوك الخ اخذ عن الملا عبد الناصر بن طورمناى واخذ التصوف عن الشيخ رحمة الله ابن عبدوس واقام بقرية چقر التابعة لقضاء بورى من ولاية اوفا يقال انه كان يعيش بكد يمينه على خلاف عادات علماء هذه الديار ويكتفى بكسبه ولاسيما باتخاذ نحل العسل ولهذا كان ذا ثروة عظيمة وقد بنى مدرسة بماله ونصب ولد شيخه مهر حيدر بن رحمة الله بن عبدوس مدرسا بها وزوجه ابنته وكان تقيا برا صاحب اوراد كثيرة ووالده الملا على افندى كان ايضا من مشاهير العلماء ومجازا فى الطريقة عن شيخنا الشيخ محمد مظهر الدهلوى المدنى المجددى قدس سره (١) والقائم الآن مقامه ولده المخدوم عارف الله المجاز عن الشيخ ابراهيم الغزنوى خليفة شيخنا المذكور وجدهم الابعد مايقى بك يقال انه كان من امراء چنكزخان ولم اره فى موضع والله سبحانه اعلم توفى صاحب الترجمة فى رمضان عام ١٢٦٥ رحم الله الجميع الملا ابراهيم بن محمد يار بن يارمق اخذ عن الملا اميرخان بن قوچقار الارناكى

(١) وبقى اسمه من غير ذكر عند تعداد خلفاء شيخنا فى هذه الديار فى ذيل الرشحات نسيانا منه عفى عنه .

وولده احمدجان بن امير خان وغيرهما ثم صار اماما ومدرسا فى احد محلات
قرية چاليى التابعة لقضاء بوكلمه وكان من مشاهير العلماء الكرام فى ذلك
الناحية انتفع به خلق كثير فيها توفى فى جمادى عام ١٢٦٨ رحمه الله تعالى
الملا عبد الواحد بن عبد الرحمن البواوى اخذ من الملا باى مراد
القزانى ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها ثم عاد الى وطنه وصار اماما
ومدرسا بقصبة بوا واشتغل هناك بالتعليم والتدريس وكان من مشاهير
العلماء فى عصره صالحا دينا تقيا ورعا زاهدا مجتنبا عن التكلف والرياء
والسمعة وقد اخذ الطريقة عن الشيخ عبد الرحمن النسفى وصار مأذونا
منه فيها توفى فى جمادى الاخرى سنة ١٢٦٨ رحمه الله تعالى الملا فتح الله
بن صفر على المناوزى ثم القزاقلرى اصله من قرية مناوز التابعة
لقضاء بلباى اخذ عن الملا بن صالح الكيلى وغيره كان اماما ومدرسا بقرية
قزاقلو التابعة لولاية قزان كان جيد الافادة وكثير الطلبة وقد تشرف بالحج
وصحب علماء الحرمين والروم وصار مجازا عن الشيخ عبد الله الارزنجانى عن
المكى فى الطريقة النقشبندية الخالدية وكذلك صار مأذونا فى القراءة المقرى
ولى الدين البغدادى توفى فى ربيع الاول عام ١٢٦٩ بعد ان عاش ٨٠
سنة رحمه الله تعالى الشيخ نعمة الله بن عبيد الله الالمتى قد تقدمت ترجمة
والده الشيخ عبيد الله بن جعفر اخذ العلوم عن محمد رحيم بن يوسف المچكاراوى
وعبد الرحمن بن محمد شريف القارغالى وغيرهما واخذ الطريقة عن والده
الشيخ عبيد الله والقراءة عن الشيخ ولى الدين البغدادى وصار اماما
ومدرسا ومرشدا بقرية المت التابعة لقصبة بوكلمه واقام بها الى ان
توفى فى ٢٢ جمادى الاخرى من عام ١٢٦٩ عن ٨٢ سنة رحمه الله تعالى
الملا رمقل بن مقصود الاشتراكى اصله من قرية باى طوغان التابعة
لقضاء بوغرصلان اخذ عن الملا سيف الدين بن ابى الشنكارى ثم الصباوى وعن
فخر الدين بن سبحان قلى الكيچوچاتى وعن حسام الدين بن عبد المؤمن
الالكايى ثم صار امامابقرية اشتراك التابعة لقضاء بوكلمه وهو وان لم يشتغل
بالتدريس الا انه كان كثير المطالعة ومالكا لكتب نادرة الوجود على ما ذكره

سبطه الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين افندي البكيجو چاني سلمه الله تعالى توفي في ١٥ رمضان من عام ١٢٦٩ عن ٦٣ سنة رحمه الله تعالى

الملا عبيدالله بن سبقل الحاجطرخاني اخذ عن الملا حسن بن السردوي وغيره ثم رحل الى بلدة حاجي طرخان ثم منها الى بخارى واقام بها مدة مديدة واخذ عن علمائها ثم عاد الى حاجي طرخان وتزوج ابنة الملا فتح الله بن اوراز محمد وصار اماما بمحلة مولانان سراي بها بدعوة اغنيائها وبنى بها مدارس واجتمع اليه خلق كثير من الطلبة وانتفعوا به ثم استرخى خلوص اهل المحلة به وفق القاعدة المشهورة اخلاص العوام كذكر الحمار ولاسيما طائفة نوغاي اهل حاجي طرخان واعل بسبب ضرطة واحدة معزل عن منصبه بسبب تقديمهم العرايض الى محكمة الولاية ثم اعيد الى منصبه ثانيا بعد سنتين ولكنه تحول من تلك المحلة الى محلة اخرى واشتغل هناك ايضا بالتدريس والافادة الى ان توفي في اوائل ذي الحجة من عام ١٢٦٩ عن ٦٣ سنة وذكره باق بين اهالي حاجي طرخان الآن رحمه الله تعالى

الملا عباس بن عبدالرشيد الياوشي الكوشري اخذ عن الملا عبدالرحمن القارغالي والملا جعفر بن عابد الارسلاني وكان اماما ومدرسا بقرية كوشرا التابعة لولاية قزان ينقل عنه نوادر كثيرة منها انه لم يعبر من الجسور فوق العربة خوفا من انكسارها ومنها انه كان يسكن بيتا على حدة لايسكن فيه غيره وكان يقتني فيه الحمامات ولايترك مرة يدخل ومنها انه كان لا يلبس على رأسه قلنسوة خوفا من ضغطها اياه ومنها انه كان ينام ايام الصيف فوق حشيش مجزو ومنها انه كان يأكل لحم الدجاج ويشرب الشامي الاخضر دائما ولايترك احدا يجيىء بالماء الذي يفور للشامي بل كان يجيىء به بنفسه ومتى بنى الاغنياء جدرانا حول داره كان يهدمه من طرف آخر ويوقده في النار واذا قال له احد لم تضيع هذه الاخشاب يا افندي كان يقول له انها لم تجيء من مكة ولا من المدينة ولما قال له المفتي عبد السلام ان الناس يشكون من ولدك ينبغي لك ان تمنعه عما يرتكبه قال له اذا صدقنا كلام الناس فان لهم ايضا قيلا وقالا في حق ولدا يسلم يعني

المفتي عبد السلام نفسه وهذا المفتي لما كان من تلامذته كان لا يلتفت اليه اصلا وروى يوما شديد الريح في صميم الشتاء بحيث لا يمكن فيه فتح العين قاعدا عند باب داره في الزقاق فقيل له لم تقعد في مثل هذا اليوم الشديد الريح في الزقاق فقال ان الريح التي في داخل البيت اشد من الريح هنا يعني بها تخاصم زوجتيه وتشاتمهما يقال ان ولده الملا عبد الباري اذا كتب له بطلب المصاريف حين اقامته ببخارى كان يكتب له بالاكثار من قراءة سورة الواقعة وبالجملة انه كان من نوادر الزمان توفي في صفر عام ١٢٧٠ عن ٩٠ سنة وولده الملا عبد الباري المذكور كان اماما ومدرسا وآخوندا ببلدة قزليار ومن مشاهير علماء تلك الديار وقد توفي بها رحمهما الله تعالى وقام مقامه في وظائفه المذكورة ولده الملا عبد الوهاب آخون سلمه الله تعالى الملا محمد كريم بن اسحق المچتوي اصله من قرية تاشلي التابعة لقضاء بلباى اخذ من الشيخ عبد اللطيف القورچي واختم بن احمد الصارلي وعبد الحليم بن زين العابدين المورطشي وشاه احمد بن رفيق السماكي ثم صار اماما ومدرسا بقرية الوغ ايمان ثم بقرية مچني التابعتين لقضاء منزلة واجتمع لديه عالم كثير فيهما وقد صرف جميع اوقاته في التدريس والافادة بحيث كان يبتدئ بالدرس وقت السحر وبعد ان ادى صلاة الفجر في المسجد اماما بالجماعة كان يدرس في مكانه من المسجد من عين العلم ومشكاة المصابيح وبعد الاشراق كان يرجع الى بيته ويأكل ويشرب وينام قليلا ثم يذهب الى المدرسة ويدرس فيها الى الظهر وكان يدرس بين العصر والمغرب من تفسير الجلالين وكان يدرس بعد العشاء من العلوم العربية والكلام وسائر العلوم الآلية الرسمية وهكذا كان دأبه دائما وكان يراعي السنن الزوائد على حدو كان لا يتركها في السفر ايضا فضلا عن الرواتب توفي في عام ١٢٧٠ رحمه الله تعالى الملا محمد طيب بن زائد الاورالي مولد المدني توطنا ومدفنا اصله من قبيلة طابون من طائفة باشقرد التابعين لقضاء ويرخنوي اورال اخذ من الملا ابي النصر عبد النصير القورصاوي ثم سافر بنية الحج في سنة

١٢٣٥ مع خليل افندى التونتارى و تزوج فى استانبول ابنة الحاج محمد يار بن عبد الله الاخوندى وصحب بمكة المكرمة الشيخ محمد جان البايجورى المكى وصار مأذونا منه فى الطريقة ثم اختار الاقامة بالمدينة المنورة وصحب هناك مولانا الشيخ ابى سعيد المجددى الدهلوى حين قدومه الى الحرمين المحترمين للحج والزيارة ولما توفيت زوجته المذكورة تزوجت احدى معتقة السلطان محمود العدلى اللاتى يقال لهن الخوانم السرآيلية وكان له مباحثات مع الملا منهاج الدين افندى الآتى ذكره فى بعض المسائل توفى بالمدينة المنورة سنة ١٢٧٠ رحمه الله تعالى واما رفيقه خليل افندى المار ذكره فانه اقام بالمدرسة المحمودية فى المدينة المنورة ولا استحضر الآن سنة وفاته الا انه بقى عن صاحب الترجمة حيا سنين عديدة وشهرته بالتصوف لا بالعلم وكانوا يذكرونه كثيرا حين اوائل قدومى الى المدينة المنورة رحمه الله تعالى وكان معه فى المدرسة المحمودية فى العصر المذكور الملا محى الدين افندى القزانى وقد ادركت كثيرا ممن رأوهما من طلبة المدرسة المحمودية وكانوا يمدحون الملا محى الدين افندى ويصفونه بكثر العلم والاطلاع والتحقيق ويقولون انه كان يناظر الشيخ يوسف افندى الخربوتى مدرس المحمودية والظاهر ان وفاتهما كان فى وقت واحد رحمه الله تعالى الشيخ عبد الستار بن عبد الله الطيمازى اصله من طائفة باشقرد المقيمين بشواطئ نهر آى اخذ عن الشيخ نعمة الله بن بيكتيمر الاسترلى باشى وصحب ايضا شيخه الشيخ نيازقلى التركمانى ببخارى وصار مأذونا منه فى الطريقة وصار اماما ومدرسا بقرية طيمازى التابعة لقضاء بلباى كان ملازما للطهارة والمسجد زاهدا عفيفا قنوعا بقدر الكفاية وكان لا يقبل الصدقات الواجبة غير متكلف فى معيشته وكان درسه من الفقه والحديث والاخلاق والتفسير والعربية توفى فى سنة ١٢٧١ رحمه الله تعالى الملا سعيد بن حميد القزانى اصله من قرية برسكه التابعة لقزان اخذ من الملا عبد الرحيم البرسكوى والملا فتح الله آخوند الاوروى وغيرهما ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها وتزوج فيها وولد له فيها ولد يسمى محى الدين ثم عاد الى وطنه واقام مدة بمدرسة تونتار ثم استوطن ببلدة قزلبار ثم صار اماما

في المسجد الاول بقزان سنة ١٢٥٢ و بعد سنة ١٣ استعفى عن منصبه وسافر الى مكة لاداء فريضة الحج وبعد ان عاد من سفره المذكور مات فجأة وكان ذلك في اوائل رجب عام ١٢٧٢ رحمه الله تعالى الملا عبد الغفور بن سيف الله الطوى كلدى اصله من قرية مافتامه باشى التابعة لقضاء بوكمه اناما بعض اجداده من ولاية سمبر وابوه سيف الله بن عادلشاه كان اماما بقرية بالتاج التابعة لقضاء المذكور وولد صاحب الترجمة هناك اخذ عن الملا عبد الرحمن القارغالى والملا حسام الدين بن عبد المؤمن الالكابى ثم صار اماما ومدرسا بقرية طوى كلدى التابعة لقضاء منزله واشتغل هناك بالتعليم والتدريس واجتمع لديه كثير من الطلبة وقد قرا منه جدى لامى الملا زين الدين الالمتى وكذلك اولاده اخوالى الآتى ذكرهم فى بداية احوالهم الا انه لم يخرج منه عالم كبير شهير توفى فى جمادى الاخرى عام ١٢٧٣ رحمه الله تعالى الملا نظام الدين بن سراج الدين القورچى ولد فى قرية قورچ التابعة لقضاء بلماى سنة ١٢٣٩ او التى بعدها وقرأ القرآن وعمره اربع سنين وبدأ بقراءة الصرف مع اخيه الاكبر منه برهان الدين لدى خاله عبد الكمال بن عبد الواحد فى مدرسة الملا شاه احمد بن رفيق بقرية سيماك وعمره اذذاك تسع سنين ولكنه سبق اخاه المذكور فى مدة يسيرة وبلغ الى مرتبة قراءة الكافية فى النحو فى الشتاء الذى بدأ فيه بالصرف وفى الشتاء الثانى جلس فى حلقة درس الملا شاه احمد المذكور لسماع شرح الكافية للاجامى وكان الملا المشار اليه لا يلتفت اليه فى بداية امره لكونه صبيا صغيرا وكان يظن ان جلوسه لدرس شرح الجامى فى الوقت المذكور قبل اوانه ولكن لما تحقق لديه استعداده وحقيقة حاله وفرط ذكائه حين امتحانه اياه بسؤال لبعض المسائل المشكلة وسماعه منه الجواب الشافى صار يوجه اليه عناية ونال لخاله المار ذكره ينبغى ان يحفظه من اصابة العين مهما امكن ولازم خاله المذكور الى ان صار اماما ومدرسا بقرية قاران فلما عاد هناك تحول معه هناك وبدأ بقراءة درس التوضيح منه الا انه لما لم يفهمه توقف الدرس بالضرورة وكان يحفظ الكتب التى يقرأها بكمال الفهم والاتقان ولاسيما التنقيح من اصول الفقه والتلخيص فى البلاغة ولذلك استغنى عن الاستاذ واما

بلغ عمره ١٩ سنة خرج من قريته بنية السفر الى بخارى واقام بمدرسة الآخوند حسن الدين بن شمس الدين بقرية بالقلى كول قريبا من سنة ١ ثم انشأ منها سفر بخارى ورافقه فى السفر المذكور واحد من طلبة قصبة استرلى طمق يسمى عارف بن سلامقلى السيرانى وكان يمثله فى الذكاء والاستعداد ويقاربه وبلغا بخارى واقاما هناك مدة الا انهما لما كانا عاليى الاستعداد وصاحبى ادراك تام وصاحبى ذوق سليم ادركوا ان بخارى ليست معدن العلم الآن كما اشتهرت به وان العلوم الدينية والمعارف اليقينية قد توجهت نحو الافول منذ مدة مديدة وان الذى يزعم تحصيل الحقايق فيها ليس الا كالظمآن المغتر بلامع السراب وان تضييع الوقت العزيز فيها بزعم تحصيل الكمالات ليس من مقتضى عقل اذوى الالباب كما صرحوا بذلك فى مكاتيبهم التى ارسلوها الى آبائهم واساتذتهم فهاك تعريب بعض ما كتبه صاحب الترجمة الى استاذه لم نرزق الى الآن غير نبذة من العلوم العقلية (صوابه وهمية) ومعلومكم ان العلم متشابه الانحاء وطريق تحصيله مغبر الارجاء وان كان وقتنا ماضيا فى نظر تلك الديار الان الحاصل ناقص هذا بذلك شطر العمر فى تحصيل المال (يعنى المصارف) فانه لا مربى هنا ولا معين والغلاء سائد وقد طرأ القصور المعلم وان قرأت ديباجة كل كتاب ولكنه لا حاصل فيها مع انها ليست مما يتعلق بها التفنن فان رجع اكثر طلاب بلغار الى تلك الديار بعد اشتغالهم بالتحصيل بهذه الروية بالجد والجهد فكأنهم لم يحصلوا شيئا فاما الذى دققه من ديباجة الرسائل وابحاث الحمدلة والتصلية فلا يحتاج اليها فى بلادنا (ولا فى غيرها) وهو لم يحصل نفس المقصود فيرجع كأنه خائب من العلم وهذا حق لا ينبغى ان يرتاب فيه المحق واما ما ينفوه به بعض اماثيل الزمان فهو غرضه لمثل (من لم يذق لم يدر) فقوة كل طائر على قدر حوصلته اه ما يتعلق به الغرض ومن قوله فكأنهم لم يحصلوا الخ عبارته هو ومكتوبه الى آخره على هذا المضمون واما مكتوب رفيقه عارف بن سلامقلى فهى هذه اثبته بعبارته قال بعد الديباجة وبعد انا مشوش الحال لم نحصل بعد الاشيئا قليلا من القليل والقال وفات اكثر عمرنا فى التشويش

والاضطراب . . . . ولم نستفد ممن هو منصوب للافادة الا اقل قليل واكثر استفادتنا بسعينا ولم يبق في هذه البلدة من العلوم العقلية الا اسمه فيغترون بما هو لامع السراب وليس لهم مقدمة واصلة الى حد الجزم واليقين بل يبقون في كل مرتبة دائرة من غير ترجيح احد الجانبين ولا يعلمون من الفقه الا ما يتعلق بالدعوى من غير فرق بين صحيح وسقيم واما العلوم الشرعية فلا اسم (لها) ولا رسم ولا الملل وما انا الا لذلك قد كنت قاصدا وعازما في جميع حالاتي سفرا وتغربا من بلد الى بلد في طلب الرجال والركبان (كذا) قلما يخلو عنهم الاقطار اه بعبارته ما يتعلق به الغرض هذا هو حال بخارى قبل ايامنا هذه ٦٥ عاما فقس عليه احوالها الحاضرة واياك لن تسوء الظن بهما فانهما ليسا باهلين لسوء الظن شعر :

واذا لم تر الهلال فسلم • لاناس رأوه بالابصار

والحاصل انهما خرجا من بخارى في حدود سنة ١٢٦٤ قاصدين الحرمين الشريفين وبلاد الهند وقد ارسل صاحب الترجمة مكتوبا الى بعض اصدقائه ببخارى معلما اياهم بوصوله الى بلدة هراة (انظر الى القسم الثاني من مستفاد الاخبار ص ومابعده) ولا علم لاحد باحوالهما بعد ذلك قال الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين افندي سلمه الله بعد بيان احوالهما نقلا عن خال صاحب الترجمة عين الكمال المار ذكره ان وفاتهما كان ببغداد في حدود سنة ١٢٧٣ بناء على اخبار بعض السواح بذلك قال الفاضل المشار اليه رأيت له رسالة حسنة سماها القسطاس الاعدل يشبه اسلوب عبارتها اسلوب تصانيف الغزالي والقورصاوي ونقل عن الفاضل المرجاني انه قال لو لم اصحب نظام الدين لكان سفري الى بخارى عبثا وقد مدحه الفاضل المرجاني في مستفاده بما هو اهل له من مثل رحمهم الله سبحانه وتعالى الملا مقصود بن قربانعلي الكولباشي اصله من قرية خيربي بقرب قزان وبعد ان دام في التحصيل الى ان بلغ عمره اربعين سنة اشتغل بالتعليم في قرى كثيرة ثم استقر بقرية كولباش بقرب قزان وبها ارتحل من الدنيا في صفر عام ١٢٧٣ رحمه الله تعالى وحيث كان له اربع نسوة في وقت واحد كثر اولاد

وانتشر انسابه واليه تنسب العائلة المقصودية الشهيرة فى اطراف قزان والبهاينسب الفاضل احمد الهادى افندى مؤسس جريدة يولدز الغرا بقزان وصاحب الرسائل الكثيرة بالتركية والعربية سلمه الله تعالى الملا عبدالله بن يحيى بن محمود الجرتوشي تولدا المچكروى توطنا اصله من قرية جرتوش من اعمال قضاء چيسطاى اخذ عن الملا محمد رحيم المچكروى والملا صالح بن سعيد الكيلى والملا سيف الدين السردوى ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها وعاد الى وطنه سنة ١٢٢٧ وصار شريكا لاستاذه المذكور الملا محمد رحيم فى الامامة والخطابة والتدريس فى حياته وتزوج ابنته وتفرد بالوظائف المذكورة بعد مماته وانتشر صيته فى الآفاق واجتمع لديه كثير من الطلبة ارباب الاستعداد وانتفعوا به وتخرج عليه كثير من العلماء الكبار فى تلك الديار حتى اشتهر بين الناس ان خرج من مدرسته الفى نفر من العلماء الكبار ولا يستبعد وكان لا يدارى الاغنياء استغفرالله بل لا يداهنهم ولذلك ابتلى باذيتهم وجفائهم توفى فى شعبان عام ١٢٧٥ وخلفه فى وظائفه تلميذه وختنه الملا مخلص بن مقصود القارغالى وتوفى فى سنة ١٣٠٦ رحمهما الله تعالى فخلفه فيها تلميذه الملا احمد شريف ابن الملا القارغالى وهو بها الآن سلمه الله تعالى الملا حبيب الله بن رفيق الناذرى اخذ عن كثير من العلماء الا انه اختص بالملا ابى النصر عبد النصير القورصاوى ثم صار اماما ومدرسا بقرية ناد التابعة لقضاء بوكلمه كان دينا تقيا عارفا بآداب الصحبة متخلقا بالاخلاق الحسنة جيد الافادة ومجتهدا فى باب التعليم مجتنبا عما احدثوه من سفاسف الفلاسفة والمتكلمين وعاملا بالكتاب والسنة توفى فى ربيع الاول سنة ١٢٧٦ وخلف اولادا كثيرة من الذكور والاناث منهم الملا حسن والملا محمد خلفاه فى وظائفه ولكنهما لم يكونا مثله فى العلم ومنهم الملا مكلى باى واحمد وابو الفتح وحسين وبناته خديجة كانت تحت نكاح واحد من اهل قرية ناد ومكلى صلو كانت تحت نكاح خالى الملا حسن الدين ابن الملا زين الدين الالمتى وله منها اولاد كثيرة وحفصة كانت تحت نكاح واحد من تجار قرية ماچى قرا التابعة لقضاء بوكلمة ولها ايضا اولاد كثيرة والحاصل

لصاحب الترجمة اعقاب كثيرة من اولاده الذكور والاناث **الملا عبد الجميل** بن اوته قل **الاوتاكى** اخذ عن الشيخ محمد شريف بن ابراهيم البيركوى ثم الاوركانجى وكما انه اخذ عنه حين تدريسه فى بيركه كذلك رحل اليه بعد هجرته الى اوركانج واقام عنده اربع سنين وعاد الى وطنه مجازا فى الطريقة واشتغل فى قرية اوتاك بالامامة والتدريس والارشاد الى ان توفى بها فى شوال سنة ١٢٧٦ رحمه الله تعالى **الملا نور محمد ابن الملا ابراهيم بن خوجاش القزانى** قد تقدم ترجمة والده الملا ابراهيم وهذا اعنى صاحب الترجمة وان كان قليل العلم الا انه لما كان والده المذكور اكبر علماء زمانه نال هو ايضا رتبة الاحتساب فى قزان بناء على قاعدة زيد ابوه عالم وصار معتبرا بين الاكابر ولم يشتغل بالتدريس والافادة بل كان جل اشتغاله بالتجارة توفى فى ذى القعدة سنة ١٢٧٦ رحمه الله تعالى **الملا محمد ظريف بن عبد الجميل الطرويسكى** اصله من قرية آط بتار التابعة لقضاء چيلابى اخذ عن الملا عبد الناصر الالمتى ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها وبعد ان عاد الى وطنه صار اماما ومدرسا بمسجد المحلة الوسطى من قصبة طرويسكى الذى بناه عبد الوهاب باى وقد تخرج عليه جماعة من اهل العلم توفى فى رجب سنة ١٢٧٧ رحمه الله تعالى وخلف اولادا نجباء منهم الملا محمد افندى الطرويسكى وهو الآن امام ومدرس فى المحلة الاولى من القصبة المذكورة وقد تخرج عليه ايضا جماعة من اهل العلم وله ثروة كثيرة ومعيشة طيبة سلمه الله تعالى **الملا سيف الدين بن سبحانقلى الكيچوچاتى** اخذ عن عدة من علماء تلك الديار فى عصره وتخرج عليهم ثم صار اماما بقرية كيچوچاتى وهو وان لم يشتغل بالتدريس الا انه كان من العلماء الحقيقيين الساعيين فى تحصيل الكمالات والفضائل دائما توفى فى رجب سنة ١٢٧٧ رحمه الله تعالى **الملا فخر الدين بن مصطفى الآگرجى** اصله من قرية اشناك التابعة لقضاء لايش اخذ عن الملا عبد الله بن يحيى المچكروى ثم صار اماما ومدرسا بقرية آگرجى التابعة لقضاء سراپول من ولاية واتكا واشتغل هناك بالتدريس والافادة يذكر بالفضل والديانة والصلاح توفى فى المدينة المنورة

سنة ۱۲۷۸ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى وخلف اولادا منهم فى وظائفه ولداه الملا احمد والملا محمد وقد حصلا العلم ببخارى يقال ان عمرهما مضى بالشقاق والجدال بينهما حتى انهما اذا اجتمعا فى مجلس كان كل منهما يحول ظهره الى صاحبه الا اذا ذكر المشايخ بالسوء وشرع فى غيبتهم فكانا يتفقان حالا ويأكلان لحومهم بكمال التلذذ بحيث لا يكون لهم خبر عن مضى الوقت واما توفى الملا محمد ابن الملا فخر الدين فى سنة ۱۳۲۲ طلب رئيس المحلة المذكورة للتدريس مدرسا خصما الد لارباب الاصول الجديدة بحيث لا يتركهم يفتحون افواههم لديه وبعد اللتيا خرج قرعة الانتخاب اصديقنا المحترم الملا عبد الرحيم افندى ابن الخليفة محمد الاسترلى باشى بدلالة بعض المشايخ الساعين المشمرين عن ساق الجد فى حفظ بيضة الاصول القديمة اعانهم الله الشيخ جعفر بن صالح القولاتقى اصله من قرية قولاتقا التابعة لولاية سراطاو (صره طاع) اخذ عن بعض علماء تلك الديار ثم رحل الى قزان واخذ عن الملا محمد كريم ثم رحل الى بخارى ودخل تاشكند وسمرقند واخذ الطريقة ببخارى عن الشيخ عبد الخالق (۱) البالللى كولى القزانى ثم البخارى وصار مجازا منه فيها ثم سافر نحو الديار الحجازية ودخل الشام وبغداد ومصر ويقال انه جاور فى سفره هذا فى المدينة المنورة ۱۲ سنة والحاصل انه بقى فى سياحته هذه ۱۸ سنة ثم رجع الى وطنه ومسقط رأسه قرية قولاتقا فى ۱۲۵۰ وبعد اللتيا والتى بنى له خرمشاه باى الآقجورى مسجدا مخصوصا به وتزوج ابنة بعض الاغنياء فتخلص بذلك من بعض اعمال المعيشة الا ان علماء تلك الناحية كانوا له اعداء بالاتفاق وكانوا يرمونه بانواع البهتان والافتراء ويؤذونه بما يستطيعونه من الاذية والجفاء والحاصل كما انه اعرض عن الدنيا وعاداها كذلك الدنيا اعرضت منه وعادته وعاش فى الكد والمصائب وكان اكثر مريديه من طائفة باشقرد وقزاق واهالى ولايتى تيزنى وسمبر توفى فى رجب سنة ۱۲۷۹ رحمه الله تعالى ومن

(۱) وهو خليفة الشيخ وليد بن محمد الامين القارغالى وقد صحب شيخه الشيخ فيض خان الكابلى منه عفى عنه .

خلفائه فتح الله (١) بن وليد الزادوري ونجم الدين بن احمد الحاجطرخاني وحسن الدين بن عمر الصوفصوى القزاني وعبد اللطيف بن يهودا واخذ عن الشيخ فتح الله المذكور الشيخ جمال الدين الباغشي وعن الشيخ نجم الدين الشيخ عبد العليم الحاجطرخاني ومن جملة من صحب صاحب الترجمة بهاء الدين القزاني الشهير ببغوى ايشان الضال المضل وهو وان صحب صاحب الترجمة الا انه لم يصر مجازا منه فادعى الخلافة بعد وفاته وابتدع اشياء مخالفا للشريعة والطريقة وبموجب قول القائل شعر :

لكل ساقطة في الحي لا قطة ＊ وكل كاسدة يوما لها سوق

تبعه بعض الناس وقبلوا مذهبه الباطل منهم مريد صاحب الترجمة الملا عبد اللطيف البدانكي وقد كان صاحب علم جيد والحاصل ان البهائي المذكور ابتدع مذهبا جديدا كالبابيين وقد كان له ماجريات في حياته متى اسكنوه في مكان المجانين وملك هناك وقد بدأ الآن ولده في احياء مذهبه الباطل ونسمع ان اصحابه يزيد يوما فيوما خذلهم الله واهلكهم آمين الشيخ منهاج الدين القزاني المدني لم يدر الى الآن مولده ومنشاؤه وقومه وقبيلته من هذه الديار ومبلغ علمنا به انه لما اخذ مبادي العلوم في صباه عن علماء هذه الديار رحل الى بخارى واقام بها مدة واخذ عن علمائها ثم سافر منها الى بلاد الهند واقام بها مدة وصحب علماءها واخذ عنهم ثم سافر منها الى الاقطار الحجازية واستوطن بالمدينة المنورة وحيث كان الناس اذذاك الوقت ناسا والزمان زمانا واهل الفضل لهم سوق حامية عين من طرف الحكومة مدرسا بمدرسة كيل ناظري فيها فدرس وافاد والف واجاد وكان له ذكر جار حين قدمت المدينة المنورة وكانوا يمدحونه بالفضل والعلم والذكاء وعلو الاستعداد ويقولون انه كان ينوب الشيخ الغزي في الافتاء (٢) وقد اخبرني الشيخ شرف الدين افندي القزاني

---

(١) توفي بين جدة وسويس حين عودته من الحج سنة ١٢٩٧ رحمه الله تعالى منه عفي عنه

(٢) ولعله كان يكتب لاجله الاجوبة كما كان هذا الفقير يفعله لاجل شيخه الشيخ عبد الرحمن سراج احيانا ويقال لهذه الوظيفة تسويد الفتوى . منه عفي عنه .

المكى ان له مختصر الجامع الصغير للسيوطى وان نسخة منه موجودة فى خزانة الكتب الخديوية بالقاهرة المعزية واظن انها نسخته الاصلية واظن ان معيشتها كانت طيبة اخبرنى الشيخ نجم الدين افندى انه كان يتخذ اثنتين وثلاثا من الجوارى ولم يتزوج قط وقد اثبت الفاضل المحترم رضاء الدين افندى سلمه الله بعض تحريراته فى الجزء ١٣ من آثاره يعلم مشربه ومقداره فى العلم بمراجعته شعر:

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار *

توفى عام ١٢٧٩ اعنى قبل قدومنا المدينة المنورة ١٦ عام رحمه الله تعالى وبعد وفاته نصب مكانه مدرسا الشيخ فخر الدين افندى القزانى كان أصله من طائفة ميشار اما من سراطاو او پنزا او طنبو كان سكن ببخارى بعد اخذه عن علماء بلاده ثم سافر منها الى الحرمين واستوطن بالمدينة المنورة وبعد وفاة الشيخ منهاج الدين افندى عين مدرسا بمدرسة كيل ناظرى مكانه فحسده بعض العوبلم من الاكراد فسعى فى عزله فنجح فى مشروعه المذموم فاختار صاحب الترجمة بعد ذلك البزازية وكان ناظر التكية مناف باى القزانى وهذا الفقير لما قدمت المدينة اول مرة نزلت عنده فى التكية المذكورة وكنت فى صحبته فوجدته صاحب فضل وعلم ووقار وصبر وديانة وتقى وبعد ان اقمت بالمدينة المنورة شهورا توفى الى رحمة الله تعالى وكان ذلك فى سنة ١٢٩٦ وكانت زوجته چركاسية معتقة فتزوجها بعد ذلك اوزون محمد افندى القزانى ولم تلد لواحد منهما رحمهم الله تعالى ومن المجاورين بالمدينة المنورة الذين ادركتهم الشيخ تاج الدين افندى القزانى وظنى ان اصله كان من ماوراء قزان كان ذا فضل وعلم لا بأس به وكان تزوج امرأة من الاتراك وولد له منها ولدان احدهما محمد والآخر احمد وكان ولده محمد حافظا للقرآن جيد القراءة حسن الصوت وكان يتعاطى التجارة فلما فقدت به سفينته ذهب الى استانبول وصار اماما بجامع ارطغرل بواسطة الشيخ ظافر وبلغنى انه عزل عن الامامة واما ولده احمد فهو مشغول بكتابة العرايض بالمدينة المنورة وقد تسلط على تكية قربانعلى باى القزانى

الورنايي التي كان صاحب الترجمة يسكنها واستهلكها حيث كان شراؤها على وجه الفراغ لكونها وقفا في السابق وكان صاحب الترجمة اذا جاء حجرتنا وصادف طبخ الشوربا لايشبع منها ثم كان يقول يا افندي لعلك تتعجب وتقول انه جائع ولست بجائع ولكني مشتاق الى الشوربا واهل بيتنا لا يطبخنها اذا قدر لك التزوج فاياك ان تتزوج من غير جنسك ولو كان حوريا وربما كان يبكي حين يقول ذلك توفي قبل الثلاثمائة والالف اوبعدها خرج من بالي رحمه الله تعالى ومنهم الشيخ موسى افندي المدني اصله من قرية ابي التابعة لقضاء بوكلمه كان اخوه يعقوب بن عبيدالله مقيما بقصبة ايلاك فدعاه في صغره لديه ثم ارسل الى بخاري فبعد ان اقام بها مدة توجه نحو الحجاز وبعد اداء الحج سكن في المدينة المنورة وصار ناظرا بمدرسة كيلهناظري ودام في وظيفته المذكورة الى ان توفي في حدود الثلاثمائة بعد الالف ولم يتزوج وكان يقتني الجوار ولم يكن علمه فوبار رحمه الله تعالى ومن افاضل مجاوري اهل قزان بالمدينة المنورة صديقنا وحميمنا الشيخ احمد ضياء الدين الطرخاني المدني ولد في قرية كوك طرخان التابعة لولاية سمبر في حدود سنة ١٢٦٨ واقام بمدرسة الملا عبدالناصر بقصبة بوا ثم سافر منها الى استانبول واقام بها مدة واخذ عن علمائها ثم سافر منها الى الاقطار الحجازية وبعد اداء الحج اختار المدينة المنورة وسكن المدرسة المحمودية واخذ عن علماء تلك البلدة المباركة وصحب فضلائها وتنسم من نسيمها الطيبة وانكب على المطالعة خصوصا العربية والادبية والعلوم الدينية وكان له استعداد جيد وذكاء وفطنة وقد تقدمني الى المجاورة بها باربع سنين فلما قدمتها اختصت به اختصاصا تاما ودام لذلك الى ان توفي الى رحمة الله وكان مائلا الى نظم الشعر بالطبع وقد انشأ عدة من القصائد العربية والتركية وكانت اشعاره سلسة جيدة لا بأس بها الا انه كان لا يراعي القواعد العروضية في بعض الاحيان ولذا وقع في كثير من اشعاره كسور في الوزن وزحافات غير مقبولة بل غير جائزة ولاسيما المطبوعة منها فان الخطايا الواقعة وقت الطبع زادبلة في الطين فارنه

عام قدمت المدينة فى اختيار من اتعلم منه العروض فاعطانى مختصر
الاندلسى المكتوب بقلمه وفى هوامشه تعليقات ملتقطة من شروحه وقال
طالع هذا تستغن عن زيد وبكر فطالعته اياما واستغنيت به عمن سواى وكان
مكاتيبنا لاتنقطع قط بعد الافتراق واقامتى بمكة المكرمة ولم يكن تعييب
ومؤاخذة قط فتلك المكاتبة هى التى صارت سببا لمعرفة قليل من من الانشاء
والتحرير ومكاتيبه عندى كثيرة وكلها موجودة لم يضع منها ورقة فلولا الخروج
عن الموضوع وارتكاب خلاف عادتى فى تحرير هذا الاثر لاثبت هنا عدة
منها ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا وكان اولا منكرا للطريقة والمشايخ ولما
خرجت من المدينة المنورة تبدلت احواله وانقلب رأيه فاناب على يد شيخنا
الشيخ محمد مظهر المجددى الدهلوى المدنى قدس سره ودخل الطريقة
الا انه توفى الى رحمة الله بعيد ذلك وقد حصل له الجذب القوى فصحب خليفته
سيدنا ومولانا السيد محمد صالح الزواوى المكى قدس سره فصرف
لاجله غاية عنايته حتى بلغ الى مرتبة الكمال والتكميل فيها واجتمع لديه كثير
من طلبة هذه الديار المستعدين وطار صيته فى الآفاق ولما كان عام ١٣٠٧
استخار سيدنا السيد المشار اليه قدس سره فى تعيين من ينوب عنه فى المدينة
المنورة ويجلس مكان مشايخنا هناك وقت عوده الى مكة المكرمة هل
يجلس الشيخ ابراهيم الغزنوى الذى هو من قدماء ندماء شيخنا الشيخ
محمد مظهر واقدم وافضل اصحابه او يجلس صاحب الترجمة ودامت استخارته
الى شهر وهكذا كان عادته قدس سره فى جميع الامور فلما استخار لصاحب
الترجمة استخارته الاخيرة رأى فى المنام قبورا فاستدل بها على قصر عمره
فاناب الشيخ ابراهيم رحمه الله وعاد الى مكة المكرمة فى شعبان من العام
المذكور وجاء صاحب الترجمة فى العام المذكور ايضا مع القافلة فدعانى
سيدنا السيد المشار اليه واياه ذات يوم الى بيته واضافنا ولا احد غيرنا
سوى ولد سيدنا السيد المشار اليه مولانا السيد عبد الله الزواوى ادام
الله مجده وسرنى بلقياه ولسيدنا المشار اليه فى ذلك الوقت انبساط تام فقال

لصاحب الترجمة انت يا احمد افندى اقم هنا بمكة المكرمة عندنا نعطك محلا جيدا واسعا واما الفلان (يعنى الفقير) فقد يريد ان يذهب الى المدينة المنورة فليذهب هو هناك (فان الفقير كنت اريد ان اقيم بالمدينة المنورة من مدة مديدة واستأذنه فيه) فلما رجعنا من عرفات وقع الوباء العام الشديد بين الناس اصيب صاحب الترجمة به وبعد ايام توفى به ودفن بالمعلى امام قبة الشيخ ابراهيم الرشيدى وكان ذلك يوم الاربعاء الثامن عشر من ذى الحجة فى العام المذكور (١) ولما اخبرت سيدنا السيد المشار اليه بموته وهو فى الحرم الشريف قال نحن ايضا من ورائه فاصيب يوم السبت قبل المغرب وتوفى يوم الاحد الثانى والعشرين من ذى الحجة مع اذان الظهر ودفن فى محل من المعلى يسمى بشعب النور رحمهما الله تعالى وروح روحهما ونور ضريحهما شعر:

باركان هذا البيت انى لطائف * وفى الكون اسرار وفيها لطائف
رعى الله اياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الدهور صيارف

فقد صدقت اشارة سيدنا السيد المشار اليه فى حق صاحب الترجمة فانا انتظر صدق اشارته فى حقى وموتى بالمدينة المنورة بحسن الخاتمة ودفنى بالبقيع انشاء الله تعالى ومن المجاورين بالمدينة المنورة الملا عماد الدين بن كمال الدين النوركائى المدنى ولادته بقرية نوركاى اخذ عن علماء تلك الناحية ثم سافر الى بخارى لسبب من الاسباب ثم سافر الى الاقطار الحجازية ثم منها الى استانبول وبعد ان اقام بها سبع سنين جاء المدينة المنورة عام ١٢٩٥ الذى قدمت فيه مكة المكرمة اول مرة وسكن بالمدرسة المحمودية الى ان توفى فى شعبان من سنة ١٣٢٤ رحمه الله تعالى ولم يتزوج قط وكان علمه لا بأس به الا ان درايته ومعاملته بالناس لم تكن على نسبة علمه ولذا لم يوفق لجمع الطلبة والافادة

---

(١) كان صاحب الترجمة تزوج ربيبة الشيخ احمد افندى اليوزغادى المدرس بمدرسة حسين آغا بالمدينة المنورة وتولد له منها اولاد الا انهم ماتوا فلم يبق له عقب وزوجته المذكورة الآن تحت نكاح عماد الدين افندى المؤذن بمسجد ترات بالمدينة المنورة منه عفى عنه .

وكان يقرأ عند بعض البخاريين والداغستانيين وقليل من القزانيين والظن انه توفى مابين الستين والسبعين ومن المجاورين بمكة المكرمة الملا محمد ذاكر افندى ابن الملا نور محمد التمتى المكى ولادته بقرية تمتى من ولاية قزان اخذ عن الملا اسمعيل القشقارى ثم سافر الى مكة المكرمة واقام بها عند عمه الشيخ بدر الدين افندى الى ان مات عمه المذكور ثم استقل بنظارة تكايا اهل قزان بمكة الكائنة تحت نظارة عمه المذكور وكان علمه لا بأس به وربما كان يقرأ عليه بعض المجاورين توفى فى شهور سنة ١٢٩٥ فى صفراء حين ذهابه الى المدينة المنورة وارسل شيخ الصفراء الشيخ محمد سعيد مخلفاته لديه الى مكة المكرمة فسلمت الى القاضى واثبت موته لديه بشهادة هؤلاء الذين جاؤا بمخلفاته وقد خلف بنتا عمرها نحو ١٣ سنة فزوجوها من شرف الدين افندى القزانى المكى وهى الآن تحت نكاحه وولدله منها اولاد كثيرة والباقى منهم الآن اثنان بنته اسماء وابنه على وقد بلغا مدة كان الله سبحانه لنا ولهم وحيث ان كتابنا هذا لا يساعد ذكر هؤلاء كلهم مرتبا منتظما لضيق الوقت ذكرناهم هنا على سبيل الاستطراد فان الشئ بالشئ يذكر والحاق النظير بالنظير مما لا يستنكر الشيخ عبد الجبار بن جعفر الپاراوى لم اطلع على تفاصيل احواله الا انه اخذ الطريقة عن الشيخ نعمة الله بن عبيد الله الاالمتى المار ذكره وصار مأذونا منه فيها واقام بقرية پاراو التابعة لقصبة اصپاس اماما ومرشدا وعنه اخذ الطريقة الشيخ محمد بن عبيد الله الخزاوى توفى فى ربيع الاول سنة ١٢٨١ رحمه الله تعالى الملا طاهر بن سبحانقلى المقرئ الشهير الآدائى اصل من قرية پتراقص التابعة لقضاء قورمش من ولاية سمبر اخذ عن الملا محمد رحيم الچكروى وقرأ عليه القراءة بالتجويد ثم جودها لدى الملا ايشمحمد بن زاهد الكباكى المار ذكره ثم اكملها واصلحها ثالثا لدى المقرئ الشهير ولى الدين البغدادى المار ذكره وصار اماما بقرية آداى التابعة لقضاء مالمژ من ولاية واتكا واشتهر فى عصره بتلك الناحية بجودة القراءة وحسن الالحان وكانت طلبة المدارس الكبار فى تلك الاقطار يذهبون

لديه لتجويد القراءة اوقات تعطيل الدروس اعنى بها ايام الصيف ولذلك كثرت طلبته فيها منهم خالى واستاذى الملا حسن الدين بن الملا زين الدين الالمتى فانه جود القراءة عنده تجويدا جيدا حين اقامته بمدرسة قشقار وصار مجازا منه فيها وقد اخذت القراءة عنه بالتجويد فى صباوتى فهو شيخى فى القراءة بالواسطة ومدحه الفاضل المرجانى بما لا مزيد عليه فى جودة القراءة وحسن الالحان والاداء توفى فى رجب عام ١٢٨١ وقد بلغ من العمر التسعين وقيل جاوز المائة رحمه الله تعالى وخلفه فى تعليم القراءة بتلك الناحية ختنه الملا عبد الحكيم المچكروى وختنه الثانى الملا حسن الدين الآدابى وقد رأيتهما فى منزلهما فى حدود سنة ١٢٨٨ ولم يعقب ولدا ذكرا بل كان ختنه الملا حسن الدين يقيم فى بيته وقد حكى لى فى ذلك الوقت نبذة مما قاساه مع خالى المار ذكره آنفا فى مدرسة قشقار من الفقر والفاقة رحمهم الله تعالى **القارى شمس الدين الصوفى ابن يار محمد الزكى** ولد فى قرية ايشمت (ايشمحمد) التابعة لولاية اورنبورغ واشتهر بالصوفى شمس الدين الزكى عرضه العمى فى صغره اخذ عن بعض العلماء بتلك الناحية ثم رحل الى قزان واقام مدة بمدرسة الملا محمد كريم الآتى ذكره (١) ثم عاد الى قريته وفتح بها مدرسة واجتمع لديه كثير من الطلبة ثم تحول الى قرية استرلى باشى واقام هناك ودرس بمدارسها الكبار باذن من الشيخ محمد حارث ابن الشيخ نعمة الله وكان ذكيا فطنا دينا تقيا فصيحا شاعرا الا ان اشعاره لم تجمع بل تلف اكثره وقد بقيت منها بقايا يتداوله الناس

---

(١) سمعت من ثقة عن ثقة من صاحب الترجمة انه كان اولا بليدا لا يعرف درسه فخرج مع الطلبة فى قزان الى المتنزه فطرحوه فى حفرة عميقة وذهبوا فبات هناك ليلة وفى اليوم الثانى استغاث بالخضر عليه السلام فجاءه شخص وقال مد يديك فمدهما فجره واخرج فلما احس ان يده ليس كيد سائر الناس تيقن انه الخضر عليه السلام فطلب منه الدعاء بانفتاح اقفال قلبه حتى يفهم الدرس فقال له افتح فاك ففتح فتفل فيه فصار بعد ذلك لا يشكل عليه شئ اه ونحن لا نستبعد امثال هذا فانه كثيرة الذكر فى الكتب منه عفى عنه .

اكثرها تركية وربما توجد له مقطعات بالعربية وفى شعره جزالة وسلاسة ومن جملة اشعاره العربية هذين البيتين شعر:

خطابى لمن يصغى ولو كان غائبا * وليس لمن يأبى ولو كان حاضرا
انلزم نور الحق من هو كاره * وما عندنا اصلاح من كان عاقرا

ومنها هذين البيتين ايضا شعر:

انفهم شيئا ذكره استهجن الورى * وان كان ذا مستحسنا وكما لا
وامكن امكان الوقـوع حصـوله * ولكن رأينا ملم ذاك محالا

قال الفاضل المحترم القاضى رضاء الدين افندى سلمه الله ان له رسالة عربية عندى تسمى رسالة الفريضة جمع فيها فرايض الاسلام خرج حاجا من وطنه فى سنة ١٢٨٢ فلما بلغ طغانروغ (طايغان) توفى هناك فى احدى الجمادين من العام المذكور عن ٥٠ سنة رحمه الله تعالى. الملا عبد النصير بن عبد الرحيم الطاى صويغانى اصله من قرية باى اوغلانلر التابعة لولاية قزان اخذ عن الملا عبد الرحمن القارغالى والملا عابد بن عبد العزيز الكنارى والملا فتح الله بن صفر على القزاقلرى ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها ولما عاد الى وطنه صار اماما ومدرسا بقرية طاى صويغان واشتغل فيها بالتدريس والافادة بكمال الجد والنشاط واجتمع لديه كثير من الطلبة واخذوا عنه وانتفعوا به واشتهر فى تلك الناحية اشتهارا تاما توفى فى ١٢ صفر عام ١٢٨٢ رحمه الله تعالى وخلفه مكانه الملا احمد زكى بن نعمان من تلامذة الملا صلاح الدين القزانى فدرس فيها وافاد الى ان توفى فى عام وخلفه ولده فهو بها الآن الملا محمد كريم بن محمد رحيم بن عابد التكنشى ثم القزانى ثم القسطنطينى اخذ عن الملا عبد الله المچكروى المار ذكره ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها ثم عاد الى وطنه وصار اماما ومدرسا فى المسجد الثانى بقزان ودرس بكمال النشاط والذوق والشوق واجتمع لديه كثير من الطلبة وانتفع به خلق عظيم وكان من اكابر مشاهير علماء عصره فى مصره والفاضل المرجانى وان لم يسلم ما اشتهر بين الناس من فضل الباهر ولكن لا يقبل قول المعاصر فى حق المعاصر حيث ان كثيرا من علماء الوقت

لم يعترف بفضل عبد الناصر وهذا الفقير لقيت كثيرا من العلماء الكبار
الذين تخرجوا عليه فان لم يكن فضله مثل ما اشتهر بين الناس لما تخرج
عليه هذا القدر من العلماء الكبار تشرف بالحج فى سنة ١٢٦٩ ثم حج فى
سنة ١٢٧٧ مرة اخرى وبعد ان عاد الى القسطنطينية عقب اداء الحج تقيد
فى دفتر المهاجرين وبقى هناك ولم يرجع الى وطنه واقام مدة فى بروسا
ثم فى استانبول وتوفى بها فى ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢ وخلف هناك ثلاثة
اولاد المرزا صالح افندى اشتغل بتجارة الفرو وصار كوركچى باشى حضرة
شهر يارى وتوفى فى ١٢ شعبان سنة ١٣٢١ باستانبول وناب منابه خلفه الصدق
محمد على افندى سلمه الله والثانى من اولاد الملا محمد كريم افندى عبد الرحمن
پاشا وهو الآن فى استانبول وله الثالث عبد الله افندى وهو يتعاطى التجارة فى
استانبول عند خاله الحاج اسمعيل حقى افندى القزانى الذى احد من هاجروا
مع الملا محمد كريم افندى ومضوا فى هجرتهم ولم يتزلزلوا سمعت كثيرا من
تلامذته انه كان قائلا بوجوب الهجرة وكان يحرض الناس عليه رحمه الله تعالى
ومن تلامذته الملا احمدجان افندى المچنوى وكان فى وقته من اكابر
مشاهير علماء عصره فى تلك الناحية ومنهم خال هذا الفقير الآخون صاحب
الدين ابن الملا زين الدين النوركايى اخذ اولا عن سلف الملا محمد كريم
افندى الملا اسحق المار ذكره وبعد وفاته جاء قصبة چيسطاى واقام بمدرسة
الملا عبد الغفور افندى ١ سنة وبعد استقرار صاحب الترجمة الملا
محمد كريم افندى فى مدرسة المسجد الثانى بقزان هاد اليها وتخرج عليه
وهما من قدماء تلامذته الكبار وبعد ان اتم درسه صار مدرسا وآخونا
بقرية تكرمن التابعة لقصبة منزله واشتغل بالتدريس واشتهر صيته وبعد
ان درس بها ١٢ سنة وقع الفساد والعداوة بينه وبين مربى مدرسته التاجر
شمس الدين وآل الامر الى الشكاية وتقديم العرايض للحكام وكان الحاكم
وقتئذ شاه مرادكانطون فاثبت التاجر القباحة لخالى بقوة الحجة الصفراء
والبيضاء فعزلوه عن منصبه وجرى له من طرفهم شرور ومحن غير ذلك
فانزوى الى ناحية من قريته الاصلية نوركاى واشتغل بامر الزراعة الى آخر

عمره وكان وفاته فى الكانون الاول من سنه ١٨٧٧ وكان قرى المحافظة جيد المطالعة جيد العربية ولكن الاسف كل الاسف ضاع علمه من غير افادة وولده الاكبر الملا ضياء الدين افندى مشتغل بامر الزراعة فى قرية نوركاى مع ان علمه اكثر واجود من علم كثير من العلماء اصحاب المناشير وولد الثانى الملا صلاح الدين افندى امام بقرية طاواق التابعة لقصبة منزلة قرأ فى مدرسة الفاضل المرجانى واما والده الملا زين الدين النوركايى تولدا والالمتى تعلقا وتوطنا فقد كان ايضا من مشاهير العلماء الكبار فى عصره احذ عن علماء بلاده ثم اخذ للخدمة العسكرية الباشقردية وبعد عوده منها تزوج ثم ذهب الى مدرسة الملا اسحق بن سعيد حين كان مدرسا بقصبة چيسطاى واقام بها تسع سنين وكانت جدتى رحمها الله تعالى ترسل اليه الملابس التى كانت تحصلها بكد يمينها وقد كتب جدى المذكور رحمه الله تعالى بيده كتبا كثيرة واكثر كتبه ان لم اقل كلها مكتوبة بقلمه وخطه لا بأس به يقرأ (١) منها الخادمى على الطريقة المحمدية مجلدين كبيرين وتفسير المدارك كذلك مجلدين ضخمين فى قطعة كبيرة ومجلده الثانى عندى بيدى الآن كتب فى آخره كاتبه وصاحبه ملا زين الدين بن عبد الرشيد فى سنة ١٨٣١ فى اول ليلة من جدى وكثير غير ذلك من الكتب الكبار كان وفاته فى ٩ مايس سنة ١٨٦٠ م مصادفة سنة ١٢٧٦ ه يوم الاثنين غرة ذى القعدة من ٦٥ سنة بعد ان صار اماما بقرية الت ٣٨ سنة ودفن بمقبرة القرية المذكورة وكان عمر هذا الفقير حين وفاته ست سنين وكنت اذهب اليه فى كل صباح وكان يحبنى كثيرا ويفرح بى متى رآنى وكان يجلسنى بين ظرفى السمن والعسل ويقول كل من ايهما شئت فكنت اقول له ان السمن عندنا كثير آكل العسل فيقول كل ولكنه

---

(١) وكتب فى آخر حاشية السيالكوتى على الخيالى بانه انتهى فى ١٠ ذى القعده من سنة ١٢٣٧ مصادفة سنة ١٨٢٢ م فى مدرسة الملا اسحق بن سعيد بقصبة چيسطاى منه عفى عنه .

(٢) وكتب فى آخر الجلد الاول منه ما معناه تمت كتابته فى ١٤ رجب وفى ١٥ نويابره سنة ١٨٣٣ م وهذا المجلد بيد الملا صلاح الدين افندى المار ذكره وكتب فى آخر شرح الوقاية انه انتهى ٢٧ الكانون الاول من سنة ١٨٣٠ م منه عفى عنه.

لم يبن مدرسة ولم يشتغل بالتدريس ولم ادر وجه ذلك مع اقتداره عليه رحمه الله تعالى وقد اقرأ بناته وعلمهن الكتابة ولا سيما والدة هذا الفقير ولما توفى قام مقامه فى الامامة والخطابة ولده الثانى استاذى الملا احسن الدين وكان بعد اخذه مبادى العلوم من بعض علماء تلك الناحية اقام فى مدرسة الملا محمد كريم صاحب الترجمة مع اخيه الملا صاحب الدين آخون مدة ثم ذهب منها الى مدرسة قشقار هاربا عن اخيه المذكور واقام هناك الى ان اتم التحصيل وخرج اماما وكان مدة اقامته بها ١٧ سنة وكان من اقران الملا عبد الله النصوى والملا احمدى القارغالى واضرابهما وكان جيد العلم وسديد المطالعة وقد جود القرآن العظيم فى قرية آداى عند مقرئى عصره فى تلك البلاد الشيخ طاهر افندى الآدابى الآتى ذكره تجويدا جيدا وكان متقنا للفرائض ولما ولى الامامة بنى مدرسة صغيرة وطفقت الطلبة يجتمعون فيها من كل جهة الا انه لما لم يكن لها مرب وليس عنده اسباب المعيشة فضلا عن الثروة وهو مضطر الى السعى فى تحصيلها لم يتقدم امرها وكان يقرئى القراءة لعموم الطلبة بالتجويد بعد دخول مارت على ما هو عادة تلك البلاد زائدا على تعليمه الاطفال فى سائر الاوقات وبهذا السبب وفق هذا الفقير لتثقيف لسانه فى القراءة بالتجويد والحمد لله على ذلك وقد قرأت عنده الى شرح العقايد مدة سنة ١٠ توفى رحمه الله فى مارت من عام ١٨٩٢ م المصادف ثالث رمضان من سنة ١٣١٠ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عنى خير الجزاء واسكنه فى فسيح جنانه وقام مقامه ولده الاكبر ملا عبد الرحمن وولده الثانى مرزا صالح يتعاطى التجارة فى زابصان وولده الثالث مير عزيز جاور مكة المكرمة سنين عديدة بعد ما اخذ مبادى العلوم فى بلاده وبلدة قزان وحفظ القرآن الكريم بالتجويد حفظا جيدا وولده الرابع مير سيد مقيم بقرية نوركاى وولده الخامس مير عرب مقيم بالمت عند الملا عبد الرحمن وهذا ساقنى اليه الاستطراد وكأنى بأناس يقولون ما معنى ذكر امثال هذه الاشياء فى التاريخ فاقول الست انا باول من ابتدعه انظروا الى مستفاد الفاضل المرجانى كيف اطنب فى ذكر من له ادنى تعلق به (١) وكذلك فعل غيره فكيف

---

(١) خصوصا فى ترجمة اسمعيل الآپانايى منه عفى عنه .

لاذكرانا جدى واخوالى واساتذى واحوالهم فى هذا الكتاب بنوع مناسبة
ومن جملة تلامذة صاحب الترجمة الملا محمد كريم افندى الملا محمد رحيم
افندى الملب انكاوى كان فاضلا دينا تقيا مستقيم الاطوار اشتغل طول عمره
بالافادة والتدريس توفى فى سنة ١٣٠٦ رحمه الله تعالى ومنهم الشيخ الملا
نور الدين الطرخانى كان عالما عاملا وفاضلا كاملا صاحب الاستقامة والاخلاق
الحسنة صرف اوقاته كله الى الافادة والتدريس والارشاد توفى فى سنة
١٣١٩ رحمه الله تعالى ومنهم الملا عبد الجبار افندى التلانچى طمقى وهو
ايضا من مشاهير العلماء العاملين المستقيمى الاطوار افنى عمره بالتدريس
والافادة ولما شاخ وهرم وضعف عن القيام بالتدريس فوض منصبه
ومدرسته لولده الملا منصور افندى ثم لولده الملا عبد الرحمن افندى والآن
يجتمع فيها مايقرب من خمسمائة طالب واغنياء تلك القرية اولاد الحاج محمد
صادق الخلفى قائمون بلوازم المدرسة المذكورة وتربيتها حق القيام زاد الله
غناهم وتوفيقهم وكثر امثالهم. الملا صلاح الدين ابن الملا اسحق القزانى
وقد مر ترجمة والده الملا اسحق ولد صاحب الترجمة فى قصبة چيسطاى
فى حدود سنة ١٢٣٥ وبعد ان اخذ مبادى العلوم فى تلك الديار رحل فى
حدود سنة ١٢٥٨ الى بخارى واخذ عن علمائها ثم عاد الى وطنه فى سنة
١٢٧٥ وبعد مهاجرة الملا محمد كريم افندى انتخب اماما وخطيبا ومدرسا
مكانه من طرف الاهالى وباشر اجراء وظيفته يوم الخميس الحادى والعشرين
من شعبان سنة ١٢٧٨ وحج فى سنة ١٢٨٨ ومابعدها وجاور بين الحجين
المذكورين فى المدينة المنورة وكانت البلدة الطيبة مملوة بالعلماء المحققين والمفسرين
والمحدثين ولاسيما محدث عصره ومسند اهل الحجاز الشيخ عبد الغنى ابن
مولانا الشيخ ابى سعيد المجددى الدهلوى ثم المدنى ولعله استفاد منهم وكان
شيخى واستاذى الشيخ آخون جان المرغينانى ثم المدنى المكى هناك فى ذاك
الوقت ولم اسمعه يذكر استفادته منه الا انه كرر مرارا انه قال حين سفره من
المدينة لواحد من البخاريين مثل انى رددت على الشيخ عبد الغنى قوله بسنية

الاشارة فى التشهد نقلا عن صلاة (١) المسعودى فهذا يدل على انه لم يستفد منه وهو من الظن فيه لانه ختم الكتب فى بخارى و درس سنين فى قزان فاى شئ يستفيد منه بل ينبغى ان يكون الامر بالعكس وعلى كل حال فقد رجع الى قزان سنة ١٢٩٠ وحمل معه من هناك كتبا كثيرة و مرض بعد رجوعه وامتد مرضه واشتد الى ان توفى يوم الخميس السادس من جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ رحمه الله تعالى وقد انتفع به خلق كثير وتخرج عليه كثير من العلماء ذوى الاشتهار ومن جملة تلامذته ايضا الملا احمد صفا افندى ابن الملا عباس التاش بلكوى وهى قرية تابعة لقضاء اسپاس من ولاية قزان كان من العلماء المتدينين المتشرعين وقد حج مرارا كثيرة وجاور فى المدينة المنورة سنة كاملة واخذ الطريقة النقشبندية المجددية عن شيخنا المرحوم الشيخ محمد مظهر المجددى وصار مجازا منه فيها وهو الذى باشر اخذا لمضبطة المار ذكرها مع واحد من المجاورين واصابه لاجل ذلك ضغط وشدة من طرف الحكومة توفى فى ربيع هذا العام اعنى عام ١٣٢٥ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وخلفه الملا تاج الدين ابن بشير الصوقصوى ثم المنكارى ولم تطل مدته بل توفى فى سنة ١٢٩٦ وكان درس قبل ذلك مدة مديدة فى قرية الوغ منكر وكان من العلماء الكبار المستقيمى الاطوار رحمه الله تعالى وخلفه الملا عبد العلام بن صالح الچرشوى كان اولا اماما ومدرسا بقرية چرشى وجلب الى قزان

---

(١) قال شيخنا المشار اليه طيب الله ثراه فى رسالته اثبات سنية الاشارة تفصيل بقى هما شئ يستند اليه بعض المانعين وهو ما نسب الى صلاة المسعودى فهو من الجهال غير غريب لكنه ممن يدعى العلم امر عجيب نقله حتى يعلم انه مما لا يقبله اللبيب قال فى فصل سنن الصلاة مسئلة چون قراء ترا باشهد رساند انكشت برارد بانه خواجه امام زاهد فخر كتا مشيخه را درس ميكفت روايت بيرون آمد كه بر قول امام اعظم وامام محمد رحمهما الله برنيارد بس دليل ميكند كه بقول امام ابى يوسف رح بر آوردن روايست الخ ثم رد اليه ردا مفصلا وسبب نقل كلام صاحب صلاة المسعودى هنا هو صنيع الملا صلاح الدين افندى وخلاصة الرد ان النقل عرف فان الامام محمد صرح فى كتاب المشيخة وهو الموطأ بسنيتها حيث قال بعد نقل الاحاديث الواردة فيها وبصنع رسول الله صلعم وهو قول ابى حنيفة وقولنا منه عفى عنه .

فى سنة ١٢٩٧ بعد وفاة سلفه الملا تاج الدين واشتغل هناك بالامامة والخطابة والتدريس والافادة الى ان توفى فى سنة ١٣١٧ وكان من مشاهير العلماء واكابرهم مثابر التدريس والافادة وقد تخرج عليه جماعة من العلماء رحمه الله تعالى وخلفه فى وظائفه الملا قاسم افندى وهو يشتغل الآن هناك بالتدريس والافادة سالكا مسلك اسلافه الكرام وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه **الشيخ هبة الله بن سيد بطال القارغالى** كان اماما وخطيبا ومدرسا وشيخا فى واحد من مساجد قارغالى اخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ دولتشاه المار ذكره وصار مجازا منه فيها كان صالحا دينا تقيا ورعا مستقيم الاحوال كثير الاشتغال بما يقرب العبد من الله المتعال وله كتاب فى المواعظ والنصايح بلغة اهالى تلك الديار يسمى مجمع اللطائف والآداب وفيه قصائد واشعار تركية سلسلة العبارات صحيحة المضامين مؤثرة المعانى مطبوعة فى قزان توفى فى سنة ١٢٨٢ رحمه الله تعالى **الشيخ تاج الدين بن احمد الآيدارى** تولدا السمرقندى مدفنا اصله من قرية آيدار التابعة لقصبة ضيابولاية قزان اخذ عن علماء بلده ثم رحل الى ماوراء النهر واخذ الطريقة النقشبندية المجددية من الشيخ المرزا (١) رحيم بك الشهير بمحمد درويش العظيم آبادى ثم الشهرسبزى المشهور هناك بايشان شافعى وصار مأذونا منه فيها وقائم مقامه بعد وفاته ثم قدم الى سمرقند واقام بها الى ان توفى فى سنة ١٢٨٩ وكان صالحا دينا تقيا ورعا مستقيم الاحوال رحمه الله تعالى. **الملا جار الله بن بيك محمد الصاتشى** اخذ عن الملا اسحق بن سعيد القزانى والملا عبد الله المچكروى ثم صار اماما ومدرسا فى قرية الكاى ثم فى قريته الاصلية صاتش ودرس بها مدة ٣٠ سنة الى ان توفى فى سنة ١٢٨٦ وكان من مشاهير العلماء رحمه الله تعالى. **الشيخ محمود بن محمد الداغستانى الشروانى الحنفى النقشبندى المجددى** اصله من قرية المالى التابعة لشماخى من ولاية شروان اخذ علم الظاهر عن علماء

---

(١) خليفة الشيخ عبد الله الدهلوى وهو الذى دل مولانا خالد على صحبته منه عفى عنه .

بلاده واخذ الطريقة النقشبندية المجددية من الشيخ يونس عن الشيخ عبدالله المكي عن مولينا خالد وكان الشيخ خليل پاشا يقول اخذها من والد الشيخ يحيى بك عن الشيخ عبدالله المكي كما ذكرنا ذلك في ذيل الرشحات وقد يذكر خلفاؤه في سلسلتهم غير ذلك والله سبحانه اعلم ثم اتهم بتهمة عند حكومة الروسية فنفي الى ولاية پيرمي ثم خلى سبيله بعد ذلك فورد الى قزان واقام بها مدة ثم تحول الى حاجي طرخان واستوطن بها وقد اشتهر فضله وانتشر صيته في تلك البلاد وانخرط في سلك ارادته كثير من كبار علماء تلك الديار كالشيخ محمد ذاكر الچيسطايي والشيخ عبد الوهاب الحاجطرخاني وغيرهما وانتفعوا به توفي رحمه الله تعالى في حاجي طرخان سنة ١٢٩٤ روح الله روحه ونور ضريحه. **الملا سعيد بن حميد القزاني** تولدا القسطنطيني توطنا الاناطولي مدفنا اصله من قرية الوغ قوال بولاية قزان اخذ عن الآخون فتح الله المار ذكره وغيره ثم رحل في حدود سنة ١٢٥٠ الى بخارى ثم سافر منها الى القسطنطينية واخذ فيها عن الخواجه مصطفى بن عمر الوديني وغيره واخذ اجازة الدرس على اصولهم وانتظم في سلك المدرسين وصار من اعضاء المجلس الخاص وبعد ان اقام بها مدة ٣٠ سنة مشتغلا بالافادة والتدريس توفي سنة ١٢٩٦ في قرية من قرى اناطولي رحمه الله تعالى واعقابه باقية في اسطانبول **قال** الفاضل المرجاني رأيته في قزان حين ورد اليها سنة لزيارة ابويه واقاربه واراني اذ ذاك بعض اجازاته كان صالحا فاضلا متدينا اه **الملا حسن بن حميد القورصاوي** اصله من قرية مسلم بناحية قصبة چيسطاي وتولده في القصبة المذكورة وكان آباؤه من التجار الاغنياء اخذ العلوم الظاهرة عن الملا عبدالله الچكروي وغيره ثم وصل الى صحبة الشيخ عبد الخالق القورصاوي المار ذكره وتلقن منه الطريقة النقشبندية واختص به وتزوج ابنته عزيزة وقام بعده مقامه في الامامة والخطابة والتدريس والارشاد وكان على بيان الفاضل المرجاني من الديانة والاستقامة والورع والتقوى والصلاح على جانب عظيم متبعا للسنة النبوية في جميع شؤنه

كثير الصمت قليل الكلام غير موذ لاحد بوجه من الوجوه معمور الاوقات بالذكر والفكر والافادة والارشاد توفى فى سنة ١٢٨٩ وولده الملا شاكر امام فى مسجد پچن بازارى بقزان سلمه الله تعالى وخلفه فى وظائفة المذكورة كلها خليفته الملا عطاء الله بن محمد كان قد اخذ العلوم عن عدة من كبار علماء تلك البلاد ثم استفاد الطريقة عن الشيخ حسن المار ذكره وخلفه بعد وفاته فى جميع وظائفه وكان ايضا مثل شيخه المذكور فى جميع اطواره وقد رأيته بمكة حين حج وكان بشوشا ملتفتا توفى بعد اشتغاله باجراء الوظائف المذكورة سنين فى سنة ١٣١٢ رحمه الله تعالى وولده الملا عبد الرحمن افندى كان اماما وخطيبا ومدرسا وشيخا فى الطريقة فى بلدة باركند الجديدة فى حدود كاشغر واقام هناك باجراء تلك الوظائف عدة سنين واشتهرت صيته هناك اشتهارا تاما وقد رأيته ببخارى حين تحصيل وفى مكة مرارا حين حج وكان كلما حج ينزل فى منزل الفقير وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه الشيخ على بن سيف الله التونتارى اخذ العلم عن الملا محمد رحيم وملا عبد الله المچكرويين وغيرهما ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها واخذ الطريقة عن الميان فضل عبد القادر المجددى وكان فى صحبته وخدمته حضرا وسفرا حتى انه سافر الى كابل وقندهار وپشاور ولاهور ودهلى وسائر بلاد الهند فى صحبته وخدمته مرارا كثيرة وعاد الى وطنه بعد ان ملأ طرفى حقيبته من العلوم الظاهرة والمعارف الباطنة فى سنة ١٢٤٥ وصار اماما وخطيبا ومدرسا ومرشدا فى قرية تونتار التابعة لقصبة مالمژ واشتهر فضله وانتشر صيته اشتهارا زائدا وصار مقبولا لدى الكل وقد انتفع به عالم كثير فى الظاهر والباطن وكانت معيشته متسعة جدا والحاصل كان صاحب الترجمة والشيخ نعمة الله المار ذكره كالسلاطين فى عصرهما وقد رأيته فى سنة ١٢٨٩ وتشرفت بتقبيل كريمتيه فى بيته توفى فى سنة ١٢٩١ رحمه الله تعالى وطيب ثراه وجعل الجنة منقلبه ومثواه وقد شاركه فى الامامة والخطابة فى حياته بامره وسعيه تلميذه ومرباه وولده المعنوى وختنه الملا شمس الدين بن رحمة الله المزار آستى

واستقل بتلك الوظائف وامر الارشاد بعد وفاته وكان مقبولا لدى الكل
ذوى الافادة وقد انتفع به خلق كثير الا انه لم تطل مدته بل توفى شابا وذلك
انه حج فى سنة ١٢٩٢ وحين عوده توفى باستانبول فى سنة ١٢٩٣ وخلف
ولدا واحدا فقط وهو المخدوم محمد النجيب وهو قائم الآن مقام ابيه وجده
بالاستحقاق ومالك ومتصرف فى اموال جده واملاكه حيث لم يكن له ولد سوى
والدته حفظ الله سبحانه من شر الحساد ومكر الاعداء وكفرة النعمة آمين
الفاضل العلامة الملا اسمعيل بن موسى المچكروى ثم القشقارى
اخذ عن الملا عبد الله المچكروى ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها وصار
مدرسا ببعض مدارسها ثم عاد الى وطنه وصار اماما وخطيبا ومدرسا
بقرية قشقار الشهيرة باغنيائها ومدارسها الكبار واشتغل هناك بالتدريس
فى العلوم المتداولة هناك وفى بخارى سنين كثيرة وقد اشتهر صيته اشتهارا
زائدا وتخرج عليه كثير من مشاهير العلماء توفى فى سنة ١٣٠٥ رحمه الله
تعالى **وولده** الفاضل الملا عبد الرحمن افندى اخذ عنه وشاركه فى الامامة
والخطابة والتدريس فى سنة ١٢٨٦ وانفرد بها بعد وفاته فهو الآن مشغول
بها هناك وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه وفى اثناء طبع هذا الكتاب
ورد خبر وفاته فى ١٦ رمضان من هذا العام رحمه الله تعالى **وكثيرا ما**
يعيبهم الفاضل المرجانى باصلهم فلهم ان يقولوا شعر :

يعيرنى قوم بقومى ومحتدى • كما عيب بالعضب الصقيل الحمائل
وما الفخر بالاجسام والمال والعلى • ولكن بانواع الكمال التفاضل

ويكفيهم فخرا ان يفتخروا احياء قريتى مچكره وقشقار بالعلم وجعلهما اكبر
دار علم فى تلك البلاد ومنبع العلماء الامجاد رحمهم الله تعالى. **الفاضل العلامة
المحقق الملا شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجانى**
ثم القزانى اصل جدوده على ما بينه هو فى المستفاد من قرية مرجان التابعة
لولاية قزان وولادته فى قرية يابنچى سنة ١٢٣٣ اخذ عن والده وعن بعض
تلامذته ثم رحل الى بخارى فى سنة ١٢٥٤ واخذ عن عدة من علمائه الكبار
واخذ فى سمرقند عن القاضى ابى سعيد بن عبد الحى وغيره ثم عاد منها الى وطنه فى

سنة ١٢٦٥ وصار اماما وخطيبا ومدرسا بالجامع الاول فى قزان سنة ١٢٦٦
واشتغل بالافادة والتدريس ونشر العلم واجتمع لديه كثير من الطلبة
المستعدين وتخرج عليه كثير من العلماء الكبار كان مسلكه مغاير المسلك
سائر العلماء تلك الديار وموافقا فى كثير من الامور لمسلك ابى النصر
عبد النصير القورصاوى المار ذكره وذلك ان مسلك سائر العلماء قاطبة هو
الذى بيناه سابقا مفصلا والفاضل المرجانى قد تنبه على نقصانه وكان منكرا
عليه كالقورصاوى وقائلا بلزوم تبديل وتعديل باخراج مالا فائدة فيه عن جداول
الدرس وادخال ماله فائدة ولزوم بدله والمنع عن الاكتفاء بقراءة
ديباجات الكتب وعن قرائتها بحواشيها وبيان لزوم قراءة كافة الكتب
الدرسية من اولها الى آخرها بالتمام وغير ذلك من مخالفته الجمهور كالقول
بعدم زيادة الصفات على الذات وذم الاشتغال بعلم الكلام والفلسفة وهذا
عين مسلك القورصاوى ولذلك انتصب كثير من علماء زمنه لعداوته
وسبب آخر لذلك عدم مداراته اياهم وعدم مبالاته بهم ولذلك تقلبت به
الاحوال حتى انعزل عن منصبه فى بعض الاوقات وسبب عدم مدارته ايضا
وقع الخلف بينه وبين مربى مدرسته ابراهيم باى اليونسى وجرى بينهما
ماجريات وبالجملة انه كان اعلم علماء تلك الديار فى عصره وانبلهم واعلاهم
مداركا واقفا على حقايق الامور غير مقلد لسواه من علماء عصره ومن قبلهم
من المقلدين بل كان تابعا لرأيه وعقله الا انه كان مفرطا فى التعاظم فوق قدره
وفى اطالة لسانه للعلماء المتقدمين كالفخر الرازى والعلامة التفتازانى
وغيرهما وغير مراع لآداب المحاورة الجارية بين الادباء والمحررين ولذلك
ابتلى بما ابتلى به من اطالة السفهاء لسانهم فى حقه الى الآن وكان كثيرا ما
يعترض فيما لا يعترض عليه ومن ذلك ما اعترض على النقشبنديين
قدس الله اسرارهم وهو بعد بيان انتسابه الى طريقتهم بثلاثة وسائط بقوله اعلم
ان المتأخرين من المشايخ النقشبندية يجرون سلسلة اخذهم الى ابى
بكر الصديق بواسطة سلمان الفارسى رضى الله عنهما ويذكرون ذلك فى
اجازاتهم وهذا شئ لا يعرجه ائمة النقل وكذا لا يصححون لقاء الحسن البصرى

رحمة الله عليه لعلى رضى الله عنه اه هذا اعتراضه على النقشبندية وعلى سائر الطرق عامة ولنذكر ههنا قول ابى النصر عبد النصير القورصاوى رحمه الله فى هذا الباب قال بعد تعريفه ماهية لتصوف وغايتها واعظم اسبابها ملازمة الذكر على الوجه الذى يتلقى من مشايخ الحقيقة كمايسندونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية الصديق وعلى ابن ابى طالب وسلمان رضى الله عنهم ويذكرون الرجال فى البين كلهم ثقات (١) عدول لازموا الطاعات وجمعوا علوم الدراسة بعلوم الوراثة وبمثله يثبت صحة العمل ثم يشاهد آثاره على قدر استعداد الطالب بتقدير الله انشاء الله وليس الخبر كالمعاينة اه وهذا كلام صدر عن ذوق وعن قلب نورانى متأثر بآثارهم رضى الله عنهم فما اصحه وما احسنه فانظر الى تفاوة مابين المسلكين ولهذا اشرنا سابقا الى مخالفة مسلك صاحب الترجمة لمسلك القورصاوى فى بعض الامور وكذلك يظهر التفاوت فى تعبيريهما عن المشايخ حيث يعبر المرجانى دائما بابى البركات احمد بن عبد الاحد السرهندى والقورصاوى لايعبر عنه الا بلقبه المشهور بين الناس الامام الربانى وهذا هو آداب المحررين الادباء حتى يعبر عن رؤساء الكفرة عرفا بجلالة الامبراطور فلان وفخامة الدولة الفلانية لزوما فمن لم يفعل يؤدب وليس اطلاق الربانى مخالفا للشرع كيف وقد قال الله تعالى كونوا ربانيين وقال والربيون كثير وقال الربانيون والاحبار فاذا كان فى امة سائر الانبياء كيف يستبعد فى امة خير الانبياء واما ذكر الصحابة وكذلك المشايخ المتقدمين باساميهم المجردة فلا ينهض له دليلا فان زماننا غير زمانهم فعلينا ان نراعى اصطلاح اهل زماننا الان نستعمل اصطلاح الزمان

---

(١) قال فى آخر الرسالة القشيرية والناس اما اصحاب النقل والاثر واما ارباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذى للناس غيب فلهم ظهور والذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم اهل الوصال والناس اهل الاستدلال وهم كما قال القائل شعر :

ليلى بوجهك مشرق ﴾ وظلامه فى الناس سار ﴾ والناس فى سدف الظلام ﴾ ونحن فى ضوء النهار ﴾ اه والجهل بانهم لاياخذون طريقتهم بواسطة المحدثين مما لاينبغى قط لمثل الفاضل المحقق المرجانى ولكن لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة والاحمق من يستصوب خطأ من يحبه ويعتقد عصمته منه عفى عنه .

السابق مع انه يطلق على نفسه اباالحسن هارونا وعلى ابنه برهان الدين ابا العباس محمدا وقد عد مجدد الالف شخصا من اليمن لايعرفه احد فان لم يكن الامام الرباني قدس سره مجددا مع ظهور وصف التجديد وبقاؤه فيه الى الآن لايكون احد مجددا مع ان كلامه يومئ الى دعوى التجديد لنفسه وان لم يصرح به وهو ممايشنع به عليه والتجديد لابد من ان يظهر اثره في العالم يؤثر في افراد بني آدم كاثر الامام الرباني قدس سره وكذلك الامام فخر الدين الرازي والعلامة التفتازاني ليسا اهلا لمايشنع هو به عليهما وقد مدح الخواجه محمد پارسا الامام فخر الدين الرازي في كتابه فصل الخطاب واثنى عليه فيه بماهو اهله وناهيك به قدوة وقد طالعت اكثر المواضع من تفسيره فرأيته منزها لكلام الله تعالى عمالوثه به كثير من المفسرين من الاسرائيليات وقد عاب على الملا محمد كريم اخذه البدل مع انه حج اولا لنفسه وهو حج ببدل ابراهيم الآپاقي ولم يحج لنفسه وهذا الذي ذكرناه من الاوصاف ليس لبغضنا اياه بل لبيان الواقع وتنبيه بعض من افرط فيه واركبه على غير سرجه والا فانا احبه من صميم قلبي واعظمه واحترمه وافضله على علماء عصره في تلك البلاد في العلم والتحقيق وكثرة الاطلاع على فنون كثيرة وطول الباع فيها وسداد الرائي وعلو المدارك ولكن مع ذلك لااملك نفسي من قول الحق ولا اقول ان ملكته في الحديث كملكة من اشتغل به دائما تعلما وتعليما بل اقول انه كان له المام به واطلاع عليه وكذلك اقول في شأن القورصاوي وكان رحمه الله تعالى مولعا بانشاد الاشعار والاستشهاد بها وتلفيق (١) بعضها ببعض في

---

(١) وربما كان يجمع بين بيتين من بحرين وحرفاروبيهما متفقان يظن الناظر فيهما انهما من بحر واحد كما في ظهر الخزامة شعر:

وازددت اعتقاد النفسي بانني * بغيض لكل امرئ غير طائل * واذا اتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني كامل * واول البيتين من شعر الحماسة هكذا لقد زادني حبا لنفسي انني * بغيض على كل امرئ غير طائل * ومما اخذه من شعر غيره وانشده قوله شعر:

وما كان في بسط المعارف شيمتي * ولا ولدتني كوفة وعراق * فقد تنطق البغاء من غير فطرة * وقد تسجع الورقاء في الطواق * واصلهما السالم عن العيوب للفيروز الديلمي حيث

مؤلفاته وفى اظهر كتبه واماموه لفاتها فكثيرة شهيرة احسنها اظورة الحق ثم شرحه للعقايد النسفية وكلها مما يستفاد منه وهى كثيرة ذكرها عند بيان ترجمة احواله من المستفاد توفى رحمه الله تعالى فى ٢٨ شعبان سنة ١٣٠٦ وكان جعل ولده الملا برهان الدين افندى شريكا لنفسه فى حياته ثم انفرد بوظائفه بعد مماته مدة سنين ثم تشاركه تلميذه وختنه الملا صفى الله افندى فهما فالآن بخدمة التدريس فى مدرسته وقد سمعت فى السنة الماضية ان تلميذه وختنه الثانى الملا عبد الله افندى الآپانايى شاركهما فى التدريس فقط وفقهم الله سبحانه لاحياء آثاره ومسلكه والتشمير عن ساق الجد لنشر علوم الدين آمين ومن الائمة ومشاهير المدرسين الكبار فى قزان بمحلات عديدة الملا غياث الدين بن الملا حبيب الله والملا حماد بن خالد وابنه الملا ذاكر رحمهم الله كانوا مدرسين فى المسجد الرابع المشهور بزنكار مسجد والمدرس به الآن الملا ابراهيم ابن الملا ذاكر والملا صابر ابن الملا حماد وكذلك الملا شاه احمد بن بايزيد كان مدرسا بالمسجد الثامن الشهير بتبناك مسجد بيكابسته والمدرس فيه الآن الملا عبد القيوم افندى والملا صالحجان بن محمد جان البارودى ومنهم الملا حسين افندى كان خلفا للملا بايمراد المار ذكره والمدرس به الآن ولده الملا محمد ظريف افندى والملا محمد صادق افندى ابن الملا شاه احمد المار ذكره آنفا ومنهم الملا عبد الولى كان مدرسا بمسجد زارود والمدرس فيه الآن ولداه الملا حسام الدين والملا عبد الله جان ومنهم محمدى بن صالح كان مدرسا بمسجد جهانشاه باى والمدرس فيه الآن ولداه الملا عارف الله افندى والملا محمد عارف افندى وحيث ان كتابنا هذا لا يسع التفصيل اضربنا عن تفصيلات احوالهم وقد بينت فى المستفاد والآثار فمن رامها فعليه بهما ومن علماء الاطراف الشتى الملا سيف الله بن عالم بك

قال شعر:

ولو لم يكن نظم العقايد شيمتى ولا ولدتنى يعرب واياد * فقد تسجع الورقاء وهى حمامة * وقد تنطق العيدان وهى جماد *

وكذلك ابياته فى حق منارة بلغار والحاصل حصل له الشوق فى العربية بعد مضى وقت تحصيلها . منه عفى عنه .

الاجوى كان من مشاهير العلماء الكبار المشتغلين بالدرس والافادة دائما اخذ من علماء بلاده وعلماء بخارى توفى فى ٨ شوال سنة ١٣٠١ رحمه الله تعالى ومنهم الشيخ فخر الدين بن يهودا النورلاطى اخذ عن علماء بلاده وعلماء بخارى وجود القرآن فى بخارى عند الشيخ فخر الدين المقرى المار ذكره كانت قراءته لابأس بها الا انه كان يحدث السكتة بين الكلمتين تحرزا عن الادماج على زعمه ولاسيما فى سورة الفاتحة زعما منه ان فى سبعة مواضع منها اسامى الشيطان تحصل من وصل كلمة الى كلمة اخرى كما قدمناه فى ترجمة الشيخ فخر الدين المقرى وكان يفخم الميم من قوله تعالى فما اصبرهم على النار وامثال ذلك من الاستفهام التعجبى ويسميه مابقرية كما هو مشهور بين الجهلاء وكل ذلك غلط صريح ولحن جلى اشتغل اولا بالتدريس فى قرية نورلاط ثم عرض له العمى فتفرقت طلبته ولم يبق لديه الا القليل فحفظ بعد ذلك القرآن العزيز حج فى سنة ١٢٩٦ ومابعدها وجاور المدينة المنورة فيما بينهما واشتغلنا بقراءة التوضيح فى ذلك الوقت عنده مع ثلاثة انفار غيرى وذلك لايناسبه ولتكون مدارا للمطالعة وكان مجازا فى الطريقة النقشبندية عن بعض مشايخ قرشى الذى اخذ منه الشيخ شهاب الدين الاسنى توفى رحمه الله فى سنة ١٣٠٨ وخلفه فى وظائفه كلها ولده الملا صدر الدين وحسنت احواله بعد ذلك ولكنه لم تطل مدته بل توفى فى سنة ١٣١٩ وخلف ولدا مراهقا يسمى المرزا اكرم وفوضت وظيفة الامامة للموذن الى ان يبلغ ولده اشده ولعله يستلمها قريبا وفقه الله لما يحبه ويرضاه الملا محمد حسن بن شمس الدين الخان كرمانى كان رحمه الله تعالى من العلماء العاملين تقيا دينا ورعا محتاطا فى اموره اخذ عن علماء بلاده وعلماء بخارى ثم كان مدرسا بخان كرمان رأيته فيها مرارا ونلت التفاته واكرامه مثل الآخون سليمان المار ذكره وما كان يعجبنى مسلك احد من مدرسى تلك الديار مثل مايعجبنى مسلكه واطواره فى الدرس توفى سنة ١٣١٠ فى مصر راجعا من الحج رحمه الله تعالى الملا عبد العزيز بن حبيب الله

[redacted]

الاورمانايي كان من العلماء الكبار المعمرين الكثير الافادة اخذ عن
الملاشاه احمد السماكي ومن غيره ايضا وصار اماما وخطيبا ومدرسا
بقرية اورماناى الكائنة بساحل نهر اق التابعة لقصبة بوكلمه واجتمع لديه
كثير من الطلبة وصرف اوقاته كله فى الدرس والافاضة وانتفع به خلق
كثير وتوفى فى ٢٨ رمضان سنة ١٣٠٨ رحمه الله تعالى **الملا عبد الفتاح
بن عبد القيوم بن عصمة الله بن عبد الرحمن الشلچلى** كان من
اكابر العلماء المشاهير اخذ عن علماء بلاده وتخرج عليهم ثم صار اماما
وخطيبا ومدرسا فى قرية چلشلى التابعة لقصبة بوكلمه واجتمع لديه كثير
من الطلبة فدرس وافاده وتخرج عليه كثير من العلماء الكبار توفى
فى ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٠٩ رحمه الله تعالى **الشيخ محمد ذاكر بن عبد
الوهاب الچيسطايى** اخذ عن علماء تلك الديار واختص بالملا عبد الله
الچكروى وتخرج عليه ثم صار اماما وخطيبا ومدرسا بقصبة چيسطاى
بعد وفاة الملا عبد الغفور المار ذكره فدرس فيها وافاد واخذ الطريقة
النقشبندية عن الشيخ محمود الداغستانى المار ذكره حين قدم قزان فضم
الى تدريسه وظيفة الارشاد فانتفع به كثير من العباد واشتهر صيته فى
الاقطار فكان يقصده من كل ناحية العلماء الكبار ويقتبسون منه الانوار الى
ان توفى فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣١٠ رحمه الله تعالى وطيب ولكن الاسف
كل الاسف على انه لم يخلف من الاولاد من يدير امره الا ان ختنه الملا
نجيب افندى ابن الملا حسين القزانى يشتغل فى مدرسته بالتدريس والافادة
فمدرسته معمورة بالطلبة مثلما كانت فى حال حياته ووفقه الله سبحانه وولده
الملا ابراهيم افندى لما يحبه ويرضاه واحياء آثار والده وطرد الشياطين
عن اطرافه وجوانبه **الملا عبد الله بن عبد الغفور الچقمقى** اخذ عن
علماء تلك الديار واختص بالملا شاه احمد السماكي المار ذكره واخذ
عن الملا عبد الله الچكروى ثم صار اماما وخطيبا ومدرسا بقرية چقمق
الكائنة بساحل نهر اق التابعة لقصبة منزلة وشمر عن ساق الجد للتدريس
والافادة واجتمع لديه عالم كثير من الطلبة وانتفعوا به وتخرجوا عليه وكان

اخذ الطريقة عن مشايخ ايستر لى باشى ولكنه لم يصر مأذونا منهم ثم رجع
الى الشيخ محمود الافغستانى واجيز من خليفته الشيخ محمد ذاكر المار ذكره آنفا
مانضم الى وظيفة تدريسه وظيفة الارشاد ايضا فكان معمور الوقت بالتدريس
والارشاد وكان لا يضيع ادنى وقته لغير ذلك الى ان توفى ١٤ فى رمضان
سنة ١٣١٦ وعمره اما مائة سنة او انقص منها قليلا او ازيد رحمه الله تعالى
وطيب ثراه وظنى انه كان قطب تلك الناحية والله سبحانه اعلم باحوال عباده
وفى تلك السنة توفى تلميذه وختنه وشريكه فى الامامة والخطابة والتدريس
الملا واعظ افندى ابن عبد العزيز الزاكى الوولد وبين وفاتيهما اسبوع
واحد فقط رحمه الله تعالى الملا محمد حسن ابن الملا عزة الله الخان كرمانى
كان اماما وخطيبا بمسجد خان كرمان وكذلك والده الملا عزة الله افندى
واخوه الاصغر الملا محمد على آخون وهو وان لم يكن ممن اشتغل بالتدريس
الا انه كان من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين دينا تقيا ورعا صالحا كثير
الخوف من الله وكان كثير المطالعة وواسع الاطلاع حتى كان لا يترك
المطالعة والمذاكرة وقت الاكل ايضا وقد نلت منه الالتفات والاكرام والفوائد
الكثيرة جزاه الله سبحانه عنى خير الجزاء توفى فى شعبان سنه ١٣٢٠ رحمه الله تعالى
ومنهم الملا احمد بن خالد كان اصله من قرية منكار التابعة لولاية قزان
وبعد ان اخذ العلوم عن العلماء الكبار وبلغ مرتبة التدريس والافادة صار
اماما ومدرسا فى مسجد المحلة الاولى من بلدة طرويسكى الذى بناه
عبد المؤمن باى وقد انتفع به وتخرج عليه الكثيرون توفى فى عام ١٨٧٢ م
وولده يوسف جان موجود الآن فى تاشكند ومنهم الشيخ شهاب الدين
الاسى اخذ عن علماء بلاده ثم رحل الى بخارى واخذ عن علمائها واخذ
الطريقة النقشبندية عن الشيخ عارف القرشى ثم رجع الى وطنه واقام
بقرية اسن التابعة لقضاء بورى واشتغل هناك بالتدريس والارشاد وانتفع
به فى كلا العلمين طائفة وتوفى فى حدود سنة واشهر خلفائه الشيخ نور الدين
الطرخانى اخذ عن الملا محمد كريم التكيشى القزانى واخذ الطريقة عن صاحب
الترجمة واشتغل بالامامة والتدريس والارشاد فى قرية الوغ طرخان

التابعة لولاية سمبر توفي ليلة الاربعاء الخامسة من جمادى الاخرى سنة ١٣١٩ رحمهما الله تعالى ومنهم الملا عبد الناصر البواوي الشهير بين اقرانه ببخاري بقشاق بمعنى الفقير لكونه على غاية الفقر والفاقة حين اقامته ببخاري اخذ عن علماء هذه الديار ثم رحل الى بخاري واخذ عن علمائها ولما عاد الى وطنه صار اماما ومدرسا بقصبة بوا التابعة لولاية سمبر وتخرج عليه كثير من الطلبة توفي عام ١٢٦٨ وخلفه الملا نور على بن حسن وهو الآن من مشاهير علماء تلك الديار سلمه الله تعالى ومنهم الملا محمد شريف آخون الطرويسكي صار اماما ومدرسا في المحلة الوسطى من بلدة طرويسكي بعد وفاة الملا محمد طريف المار ذكره وتخرج عليه جماعة من الطلبة توفي عام ١٨٩١ م رحمه الله تعالى وكان قد شاركه في وظائفه في اواخر عمره الفاضل الملا حاجي احمد بن عبد الظاهر الرحمانقلي وهو موجود الآن مشتغل بالتدريس والافادة وقد تخرج عليه كثير من الطلبة وهو اطال الله عمره وادام بقاءه اعلم علماء تلك الديار وافضلهم على الاطلاق وبعد وفاة الملا محمد شريف خلفه في وظائفه ولده محمد صابر سلمه الله تعالى ومنهم الملا سليمان بن داود الاورنبورغي كان اماما ومدرسا بمسجد كروان سراى ببلدة اورنبورغ وهو وان لم يتخرج عليه كثير من الطلبة الا انه كان صاحب ذوق سليم وفتوة ومروة وشهامة وسخاوة واخلاق حميدة وقد رأيت منه التفاتا كثيرا واكراما زائدا حين مجيء الى اورنبورغ في اوائل حالي حين لا يعبأ بي احد مرارا كثيرة جزاه الله عني خير الجزاء وطيب منقلبه ومثواه توفي في اوائل عام ١٨٨٦ م رحمه الله تعالى وروح روحه ونور ضريحه وخلف ثلاثة اولاد اكبرهم الملا فيض الرحمن افندي متقلب في منصب القضاء بالممالك العثمانية المحروسة واوسطهم محرر في ادارة مجلة الدنيا والمعيشة سلمهما الله تعالى ومنهم استاذي الملا شرف الدين ابن الملا مهدي اصله من قرية دوسم التابعة لقضاء منزله قرأ على الملا ابراهيم الجاليوي المار ذكره الى ان اخذ فاتحة الفراغ حسب عرف تلك البلاد ثم رحل الى بخاري واقام بها ١٢ عاما واخذ عن علمائها الكبار ثم رجع الى بلدة طرويسكي فصادف عوده هناك تمام بناء المسجد الثالث

الذى بناه عيسى باى الباوشى فاغتنموا عوده فى مثل ذلك الوقت فنصبوه اماما به ومدرسا مع كمال الممنونية فاشتغل هناك بالامامة والتدريس والافادة فى انواع العلوم ولاسيما علم القراءة وتجويد القرآن الكريم ولقد كان جيد القراءة ومتقنها وكان فى غاية من التقوى والورع والاستقامة والنظافة وقد قرأت عليه مباحث من شرح العقائد النسفية وسلم العلوم والمقدمة الجزرية بالتمام فى سنة ١٨٧٣ وما بعدها وكنا نقرأ منها كل يوم بيتين فى مدة ساعة وازيد توفى ببلدة طرويسكى فى ٢٠ صفر عام ١٣١٣ المصادف تاسع ايول من عام ١٨٩٥ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وخلف ثلاثة اولاد وعدة بنات اكبر اولاده كمال الدين قرأ اولا فى مدرسته بطرويسكى ثم رحل الى بخارى واقام بها سنين واخذ عن علمائها ولما عاد الى طرويسكى ابتلى بمرض دماغى فمات به قبل التعلق بالدنيا فى حدود سنة ١٣١٥ رحمه الله تعالى وثانيهم المخدوم الحاج جلال الدين قرأ اولا فى مدرسة والده ثم رحل الى الحرمين المحترمين واقام بهما مدة واخذ عن علمائها ثم عاد الى وطنه وتشرف بعد ذلك ايضا بحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام مرارا وهو مقيم الآن ببيت والده بطرويسكى مشتغلا بمعاطاة بعض التجارة والزراعة على سبيل المزارعة ومعيشته جيدة بحمد الله تعالى وقد كلفوه بقبول وظيفة والده الامامة بعد وفاته فلم يقبل وله فى هذا الوقت خمسة بنين انبتهم الله نباتا حسنا ووفقهم لما يحبه ويرضاه وجعلهم علماء عاملين وصلحاء كاملين واغنياء شاكرين آمين وثالثهم المخدوم غياث الدين قرأ فى مدرسة والده وفى مدرسة المحلة الاولى بعض العلوم ثم ترك الاشتغال بالتحصيل فهو مقيم الآن مع اخيه المذكور ويتعاطى بعض التجارة ولم يتزوج بعد وفقه الله لما يحبه ويرضاه وجعله مستغنيا بفضله عمن سواه واما بناته فقد كانت احديهن تحت نكاح الملا احمد افندى الذى كان اماما ومدرسا ببلدة اورسكى ثم توفى بمنى من الوباء العام سنة ١٣٠٩ رحمه الله تعالى وهى مقيمة الآن بتلك البلدة مشتغلة بتعليم البنات واحديهن تحت نكاح الخليفة الحاج بهاء الدين

افندی وهو مقیم ببلدة طرویسکی وقد عرض له العمی منذ سنین قریبة وکان قد تشرف قبل ابتلائه بها بحج بیت الله الحرام وزیارة قبر النبی علیه الصلاة والسلام مرارا عدیدة عوضه الله سبحانه عنهما ماهو خیر له منهما فی الدنیا والآخرة بموجب وعده الکریم واحد بهن تحت نکاح الملا خلیل افندی الذی هو من احسن تلامذة الملا جمال الدین الآتی ذکره وهو مقیم الآن ببلدة طرویسکی مشتغلا بالتدریس فی المحلة الاولی موقتا بلا منشور ومنهم الملا جمال الدین بن سبحان قلی اخذ اولا عن علماء تلک الدیار ثم رحل الی بخاری واخذ من علمائها الکبار ثم صار مدرسا هناک فی احدی مدارسها وبعد ان درس بها مدة ترک وظیفته واولاده وعیاله هناک وعاد الی طرویسکی واقام مدة فی بریة قزاق بسواحل نهری ایت وطوبل یدرس فبنی له بعض اغنیاء طرویسکی مسجدا ومدرسة فی البلدة المذکورة ونصبه اماما ومدرسا بها فاشتغل هناک بالامامة والتدریس الی ان توفی فی حدود سنة ۱۲۹۱ رحمه الله تعالی وخلف ولدین ببخاری احدهما الملا داکر اخذ عن علماء بخاری وصار فی عداد کبار مدرسیها وقد توفی هذا العام ۱۳۲۵ وکذلک ولده الثانی رحمهما الله تعالی وقد شارکه فی الامامة اخوه الشقیق الشیخ محمد شریف افندی الذی هو خلیفة مولانا الشیخ محمد مظهر قدس سره وهو موجود الآن سلمه الله تعالی ولما توفی الملا جمال الدین اخذ اهل المحلة مکانه الملا خواجه جان مخدوم الصانشی وقد کان اولا مدرسا ببخاری ثم عاد الی هذه الدیار وصار مدرسا بقریة بکلان ودرس هناک مدة ثم اخذوه الی بلدة طرویسکی مکان صاحب الترجمة ودرس هناک سنین الی ان توفی سنة ۱۳۱۸ وقام مقامه فی الامامة والتدریس ولده الثانی الملا عبد الاحد افندی سلمه الله تعالی ومنهم الملا عبد الله السرطاوی البخاری اصله من قریة صایمان التابعة لقضاء کوزنیتسکی من ولایة سراطاو اخذ عن علماء هذه الدیار ثم رحل الی بخاری واخذ عن علمائها الکبار ثم صار مدرسا فی احدی مدارسها وتقلب فی منصب التدریس حسب اصول بخاری الی ان صار مفتیا بها توفی فی حدود سنة ببخاری رحمه الله تعالی وقد قرأت علیه دیباجة

شرح التهذيب حين اقامتي ببخارى سنة ١٢٩١ وقد كان دينا ورعا تقيا نظيفا ذا الهجة صادقة وصاحب الوقار والسكينة وولده الملا حسن مقيم الآن بمكة المكرمة مشتغل بحفظ القرآن والطريقة سلمه الله تعالى ووفقه لما يحبه ويرضاه وابنته تحت نكاح الملا زين البشر وهو مدرس الآن فى احدى مدارس بخارى سلمه الله تعالى ومنهم الملا فخر الدين الاسابى والملا اسمعيل التكرمنى اخذا عن علماء هذه الديار ثم رحلا الى بخارى واخذا عن علمائها الكبار وصارا فى عداد مدرسيها الكرام واشتغلا بالتدريس الى ان توفيا قبل هذا بسنين قليلة رحمهما الله تعالى ومنهم الملا سراج الدين والملا رمضان كانا من كبار المدرسين ببخارى ولاسيما الاول منهما فانه ترقى الى منصب الافتاء توفيا عن قريب ايضا رحمهما الله تعالى ومنهم استاذى الملا محمد جان بن عبد الطاهر الرحمانقلى ولد ببلدة طرويسكى فى شباط سنة ١٨٣٣ وقرأ فى مدرسة الملا احمد المار ذكره ثم رحل الى بخارى واقام بها مدة واخذ عن علمائها الكبار ثم رجع الى بلدته طرويسكى واقام بها مدة ٨ عام فى المحلة الاولى بلا منشور ثم صار شريكا لاستاذى الملا شرف الدين المار ذكره الآن فى الامامة والتدريس عام ١٨٧٢م واشتغل بالامامة والتدريس والافادة الى ان توفى بها فى نصف شعبان ليلة البراءة عام ١٣١٨ وقد بلغ من العمر ٦٨ عاما رحمه الله تعالى رحمة واسعة وقد قرأت عليه بعض المواضع من شرح العقائد والسلم حين اقامتي بطرويسكى وترقى فى حياته ولداه احمد جان وصابر جان وقد بلغا مرتبة الكمال وكانا فى غاية من الذكاوة والفطنة رحمهما الله تعالى وخلف حين وفاته ثلاثة بنين وبنتا اما البنت فهى تحت نكاح الملا عبد الوهاب آخون ابن الملا عبد البارى آخون الباوشى القزليارى سلمه الله واما اولاده فاكبرهم المخدوم الملا عبد الرحمن واوسطهم المخدوم الملا ضياء الدين وهما الآن امامان ومدرسان فى مدرسة استاذى الملا شرف الدين وقد اقاما ببخارى مدة بعد اخذهما مبادى العلوم بطرويسكى وثالثهم المخدوم شاه احمد وهو الآن مشتغل بالتحصيل وفقهم الله سبحانه لما يحبه ويرضاه آمين ومنهم الشيخ

احمد اللطيف اخذ اولا عن الملا عبد الله الچقمقى المار ذكره ثم رحل الى بخارى واخذ عن بعض علمائها وعن بعض مشائخها ثم عاد الى وطنه وقد ملأ الطرفين من حقبته وصار اماما ومدرسا بقرية ماماطق التابعة لقضاء بوكلمة واشتغل بها سنين كثيرة بالتدريس والارشاد واجتمع فى مدرسته كثير من الطلبة واشتهر صيته فى الآفاق وتخرج عليه كثير من العلماء وتوفى فى ربيع الثانى من هذا العام اعنى سنة ١٣٢٥ رحمه الله تعالى وخلف اولادا كثيرة وهم مشتغلون بالتدريس وفقهم الله لما يحبه ويرضاه آمين ضياع عظيم وقع فى هذه الايام وهو فوت الآخون خير الله بن عثمان العثمانى الاوفوى كان اصله من قرية ابراهيم التابعة لولاية اوفا اخذ عن الشيخ كمال الدين الاسترلى طمقى ثم كمل درسه فى مدرسة مچكره عند الملا مخاص ثم عاد الى استرلى طمق ودرس فى مدرستها ازيد من عشر سنين ونظمها تنظيما جيدا ثم صار اماما ومدرسا وآخونا بمدينة اوفا واسس بها مدارس كبارا واصلح الدروس والف كتبا درسية مطابقة للزمان مفيدة جدا واجتهد فى هذا الباب اجتهادا زائدا واجتمع لديه كثير من الطلبة وتخرج عليه كثير من العلماء ثم صار فى العام الماضى عضوا للجمعية الاسلامية مكان القاضى الفاضل رضاء الدين افندى سلمه الله ففى يوم الخميس سابع شوال واليوم الاول من نويابر (التشرين الثانى) اجاب امر ارجعى ونحن مشغولون بطبع هذا التاريخ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وروح روحه ونور ضريحه وظنى به انه لم يبق له شئ من الذنوب لانه طالما تحملوا ذنوبه وكان آخر عهدى به فى سلخ شعبان وقد اعطانى بدل واحد من بعض متعلقاته اسكنه الله بحبوحة الجنان آمين اعلم انى حين شرعت فى تراجم علماء قزان نويت ان اكتب تراجم المشاهير منهم الذين لهم غاية الاشتهار ولهم بعض آثار ولكن لما شرعت فى التحرير طغى القلم وخرجت عن دائرة مانويته فى التسطير ولا بأس فى ذلك الان وقتى فى غاية الضيق ولم اكن مستعدا لذلك من قبل فاشتبه على الامر ولم ادر ايا منهم اكتب وايا منهم اترك وصرت كما قال الشاعر

شعر :

تفرقت الظباء على خراش * فلا يدرى خراش ما يصيد

وصرت اقدم المؤخر واؤخر المقدم بسبب العجلة وربما لم اذكر تاريخ وفاة بعضهم لعدم علمي به فلما تحققت عجزي عن تحرير تراجم كلهم ولاسيما من لاعلم لي بحالهم وتاريخ وفياتهم رأيت ان اوقف مركبي الطايح الضالع في هذا الموقف بالضرورة وان اكتفي الآن بهذا القدر فالمرجو من مكارم اخلاق الكرام ان لايجعلوني هدفا لسهام ملامهم فيما قصرت في تراجم آبائهم واقربائهم واساتذتهم اوتركتها بالكلية والعذر عند كرام الناس مقبول * واستنسبت ان اجعل تراجمهم مسكية الختام بذكر احوال خاتمة المشايخ الكرام تذكرة السلف وحجة الخلف مرشد الطالبين وقدوة الواصلين وجمال العارفين وموصل السالكين عمدة ارباب التحقيق قبلة اصحاب التدقيق شيخ مشايخ تلك الديار مرجع افاضل الرجال قبلة توجه الامال مولانا الشيخ زين الله بن حبيب الله الشريفي الطرويسكي النقشبندي المجددي الخالدي مدالله ظلال ارشاده على مفارق الطالبين آمين ولد في قرية شريف من توابع قصبة طرويسكي في اوائل ذي الحجة من عام ١٢٤٨ المصادفة ٢٥ مارت عام ١٨٣٣ م وصادفت تسميته يوم عيد الاضحى فوضع له الاسم بعد صلاة العيد في ٥ آپريل (نيسان) وكان جده السابع الشيخ مرادقبول مشهورا في تلك الناحية بالولاية اخذ مبادي العلوم في صغره في مدرسة الملا يعقوب بقرية آخون ثم رحل لطلب العلم الى بلدة طرويسكي فسكن بمدرسة الملا احمد بن خالد المنكاري ثم الطرويسكي المار ذكره وكان حين تحصيله مشهورا بفرط الذكاء وقوة الفطنة وحين اقامته بطرويسكي توجه سنة من السنين مع القافلة الى بخارى ولكنه رجع من الطريق لعدم امكان المضي الى ما قصد لشدة منع الحكومة من الاختلاط ببخارى ووضعها المترصدين في الطرق والمعابر للاسباب المار ذكرها فاكمل تحصيله في المدرسة المذكورة وصار اماما ومدرسا بقرية حق خواجه وهي قريبة من قريته الاصلية وحيث كان له استعداد تام لم يقنع بالعلم الظاهر بل اراد ان يكون محظوظا بالعلم الباطن فاخذ الطريقة النقشبندية المجددية اولا عن الشيخ

عبد الحكيم الهارداقلى رحمه الله تعالى وتتصل نسبته الى مولانا الشيخ محمد معصوم ابن الامام الربانى قدس سرهما بسبعة وسائط ثم لما تشرف بالحج عام ١٢٨٧ اخذها عن الشيخ احمد ضياء الدين الكمشخانوى الاستانبولى الخالدى رحمه الله تعالى وجلس فيها اربعين وحيث كان له استعداد تام للطريقة العلية حصلت له الفتوحات الالهية فى مدة قليلة فعاد الى وطنه شيخا كاملا مكملا ذا نسبة قوية فشرع فى تربية المريدين بهذه النسبة الجديدة فاجتمع لديه خلق كثير من المريدين واشتهر صيته فى الآفاق وانصرف وجوه الناس اليه على الاطلاق وتركوا غيره من المشايخ فتحركت عروق الحسد من خلفاء شيخه السابق حيث فاقهم جميعهم بل شيخهم مع تركه اياه وقد حصل لاكثر مريديه جذبة قوية وكثرت الصيحات والزعقات فى حلق صحبته فاغتنموا هذه الحالة واتخذوه آلة وسببا للطعن فيه والقائه فى شبكة الحكومة وتنفير قلوب الناس عنه فشكوه اليها وقالوا انه صاحب سحر وانه يجذب الناس الى نفسه به وانه كذا وانه كذا والحكومة كما عرفت تلتمس ادنى سبب فى ذلك الوقت لاهانة العلماء وتسفيرهم الى الاماكن البعيدة فحبسوه ثم نفوه عن وطنه وسفروه عام ١٨٧٢ م الى بلدة ميقولسكى (١) من ولاية ولغدا وليس فيها نسمة من المسلمين فاقام بها ثلاث سنين ثم اعادوه منها الى بلدة كاستراما فاقام بها خمس سنين ثم حصلت له الرخصة من طرف الحكومة بالعود الى وطنه بسعى بعض اهل الخير فى ذلك فلما عاد الى وطنه دعاه حبيب الله باى الى بلدة طرويسكى للامامة والتدريس والارشاد فقبل دعوته ورجاه فتحول الى البلد المذكور وجاء فبنى له مسجدا ومدرسة بمحلة آمور من محلات طرويسكى فسماه مولانا الشيخ بالمعمورية فصارت كذلك لانها صارت معمورة بالمسجد والمدارس الكبار والخانقاه والذكر وتحول الاهالى اليها من الاطراف والجوانب ببركة قدومه السعيد الشريف فوضع له القبول التام من طرف الله تعالى بين الناس بالاستحقاق فصارت طلبة العلوم

(١) هكذا فى كتابه بالميم والمشهور انه بالنون فليحرر رحمه عفى عنه

وطلاب الطريقة والحقيقة يأتونه من كل فج عميق ولايزالون يزيدون يوما فيوما وبتها فتون اليه تهافت الفراش الى السراج فكان يزيد فى بناء المدارس على مقدار مس الحاجة اليها تارة بماله نفسه وتارة كانت الاغنياء يبنونها باموالهم من التتار وقزاق والمدرسة الحجرية التى تم بناءها فى سنة ١٣٢٣ ليس لها نظير فى تلك البلاد سوى المدرسة المحمدية بقزان والمدرسة الحسينية باورنبورغ وكان اكثر نفقات بنائها من جيبه فيل صرف لبنائه من جيبه فقط ٨٠٠٠ روبل وقد بنى ايضا مسافرخانه للواردين وكذلك جعل بيته التحتانى خزانة الكتب ووضع فيه جميع كتبه ووقفها وجعلها تحت نظارة تلميذه وزوج حفيدته بنت ابنته الملا صلاح الدين افندى ابن الملا حسن الدين الذى اصله من قرية نيقولسكى الواقعة بين اورنبورغ واورسكى سلمه الله تعالى وجعل المسافرخانة تحت تصرف تلميذه الخليفة خربدارا بن الخليفة محمديار الذى هو من قدماء تلامذته الذين جاؤا بلدة طرويسكى معه وفوض اليه خدمة المسافرين الواردين والحاصل ان المسجد والمدارس والمسافرخانه وبيته وبيوت اولاده قد استوعبت نصف المحلة وعلى بابه فى كل يوم من الصبح الى العصر عصابة من الناس يزاحم بعضهم بعضا يأتونه لطلب الشفاء بواسطته من الله تعالى ظاهرا وباطنا فانه ادام الله بقاه كما انه طبيب الامراض الباطنة كذلك هو طبيب الامراض الظاهرة ومائدته ممدودة طول النهار لهؤلاء الواردين يأكل منها الكبير والصغير والغنى والفقير ولاوقت له للاستراحة الا بعد الظهر ساعة يسيرة وكان مد ظله وقف نفسه لنفع عباد الله تعالى وله صيفية بقرب بلدة طرويسكى تستحق ان تطاق لها جنة الدنيا ولكنه لايسكن فيها الا قليلا فى فصل الصيف انشدت له يوما هذين البيتين للحافظ الشيرازى شعر:

دو يار زيرك واز رطل كهن دومنى * فراغتى وكتاب وكوشهٔ چمنى
من اين دولترا بملك خسروندهم * كرچه در پيم افتند هردم انجمنى

وقلت ان الخواجه حافظ الشيرازى لم ينل متمناه فلو نال لما خرج منه وحضرتكم مالكون لمثل هذه الصيفية ومع ذلك لاتنتفعون بها فقال كيف

اترك هؤلاء المساكين محرومين واخيب رجاءهم فى واختار الراحة وهكذا تكون الانسانية والمروة والزهد وايصال النفع والخير الى الناس لابمجرد الدعوى باللسان وقد ورد خير الناس من ينفع الناس وورد ايضا الناس عيال الله واحبكم الى الله انفعكم لعياله . والذى يعاونه فى معاينة المرضى وترتيب الادوية لهم تلميذه الملا فخر الدين بن عماد الدين النور باصلى القوباوى الاوفوى فهو بمثابة الاجزاجى له وللشيخ مدظله الآن اربعة بنين واربع بنات غير الذين توفوا اما بناته فثلاث منهن متزوجة واما ابناؤه فاكبرهم المخدوم الملا عبد الرحمن اخذ العلوم الظاهرة والباطنة عن والده وصار مأذونا ومجازا منه فيهما وصار شريكا فى الامامة والتدريس وتربية المريدين فهو يشتغل الآن بهذه الوظائف وله فى التدريس اعوان سوى معلمى صبيان اهل المحلة منهم بل افضلهم الملا بهمن افندى ابن فرواج الدين الباخوجوى البوروى الاوفوى من تلامذة الملا نصر الدين البورابى ومن تلامذة مولانا الشيخ صاحب الترجمة مدظله واما غيرهم فلم ارهم ولكن اخبرونى ان الخليفة عبد الله جان بن محمد جان الطاش كيچوى قرية من قرى ويرخواورال قد توفى فى ١٢ شوال عام ١٣٢٤ رأيت تأسفهم على موته بغاية التأسف يقولون انه كان احسن تلامذة مولانا الشيخ مدظله واعلمهم واشدهم استقامة وقد قرأ عليه المخدوم الملا عبد الرحمن ولد مولانا الشيخ ادام الله بقاءه ورحم الميت المذكور وقد تزوج المخدوم الملا عبد الرحمن هذا ابنة الملا حاجى احمد آخوند الطرويسكى المار ذكره وله منها الى الآن اربعة اولاد توفى منهم اثنان وبقى اثنان احدهما ولد ذكر يسمى عبد الرؤف والآخر ابنة صغيرة انبتهما الله نباتا حسنا وثانى ابناء مولانا الشيخ مدظله المخدوم عبد الله افندى قرأ اولا عنده ثم فى مدرسة الفاضل الملا عالمجان افندى بمدينة قزان ثم رحل الى استانبول فهو يقرأ الآن هناك فى احد مكاتبها الشهيرة المسماة بالمكتبة الملكية وقد تشرف هذان المخدومان بحج بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام وثالثهم المخدوم عبد القادر افندى ورابعهم المخدوم عبد الصبور افندى وهما الآن يقرآن فى مدرسة والدهما

انبتهم الله نباتا حسنا وجعلهم علماء عاملين وفضلاء كاملين وموفقين للكمالات وغلفاصد فالوالدهم ووارثين لكمالاته وحافظين لمقاماته ومدارسه وجعلهم قرة عين له كما جعله اماما للمتقين ومقبولا بين عباده الموفقين آمين بجاه النبي الامين والحاصل ان صاحب الترجمة مدظله يشبه الامام الربانى ومولانا خالد قدس سرهما فى الشهرة وانتشار صيت كمالاته فى كافة الاقطار وتوجه كافة الخلائق اليه للاسترشاد من جميع الآفاق والاقطار على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم ووضع القبول بين الناس وتسخير قلوبهم لشخص هو اعظم الكرامات من طرف الله تعالى يكرم بهذه الكرامة من يشأ من عباده لا دخل فيه لاحد والحاصل ان استيفاء مناقبه يقتضى مجلدا ضخما فلنكتف الآن بهذا القدر فان القطرة تنبئ عن الغدير والقليل يدل على الكثير ابقاه الله سبحانه وتعالى الى امد بعيد فى عز منيع وقدر لايزال يزيد ومنه القصيدة التركية انشأتها فى هذا العام حين زرته ورأيت منه مدظله انواع الاحسان والانعام اكبرها وادومها سببيته لشرح هذا الاثر ادام الله مجده وعزه ورمى منه قصيدة

عمارة ايلدى اوشبو مدارس عالى بنيانى
كتب خانه مسافر خانه يعنى جاى مهمانى
رضاى بارى ايچون صرف ايدوب بيڭلرله دينارى
منور ايلدى نشر معارف ايله دنيانى
ملاذ اهل عرفان ملجأ ارباب استبصار
جمال اهل تقوى مفخر طلاب رحمانى
شريعت باغى باغبانى طريقت ملكى سلطانى
دقايق جسمينڭ جانى حقايق درينڭ كانى
مسمى شيخ زين الله افندى نسبتى نقشى
مجددى وخالدى ايلاندر شهرة وشانى
فريد العصر درحقا وحيد الدهردر صدقا
علوم ظاهر وباطنده كچدى جمله اقرانى

منور مطلع الانوار مقرب منبع الاسرار
مؤيد شيخ کامل هم مکمل پیر نورانی
مودب قبلهٔ ابرار مهذب قدوهٔ اخیار
مجرب کاشف الاستار بو عصرڭ عین اعیانی
مقام قربده چون بایزید ثانیدر لـکن
تلنده جاری اولمادی سکر حالنده سبحانی
سخاوت بابنده خاتم طبی کچمش بلا شبهة
فقاهتده هم ازبر ایلمشدر فقه نعمانی
ایدوب استادرخت نقشبندی آب شرعیله
باقڭ کلزاره دونمشدر طریقتنك بیا بانی
ایدرسز منزله ایصال مرید صادقی هردم
کشی طویمز طریق خفیه دن چکوب پنهانی
طرویسکی اکر فخر ایلسه ارشادیله جمله
بلاد اوزره بخاری غبط ایتسه واردر امکانی
قپوسنده شفا جویان نزاحم ایتمه ده دائم
نوغی صارت وقزاق باشقرد ترك میشرد اغستانی
نوله درکامینه سوق ایتسه مولی جمله عالمنی
که زیرا اسم قیومینه مظهر ایلمش آنی
نصل انکار ایدر منکر بو قوله بیلسه چون مولی
بو اسمه مظهر ایتمشدر لباس وآب ایله نانی
عجبمی نائل مقصد اولورسه جمله قصادی
بو اسمه مظهر اولان اصفیایك اوشبو درشانی
کللڭ ای طالب صادق خلوصیله بو درکاهه
یاپش دامن ارشاده فدا ایت مال ایله جانی
بو دولت وار ایکان مالا قاچرمه فرصتی الدن
ایش اوتسه نفع ایتمز کیمسه به بیلکل پشیمانی

صاقن آلدامامسن منكرنك انكاری وحسادك
دروغی اهل فسقك افتراسی ایله بهتانی
عجبمیدر اگر انكار ایدر منكر كما لا تن
چنانچه چشم خفاش كور مبور خورشید تابانی
بو انكاری ایله منكر سوایه هیچ ضرر ایتمز
قزانمز كندینه لكن بونكله غیر خسرانی
نه بیلسون شوق ذوقی شوقی ذوقی اولمیان جاهل
مساویدر عوامك نزدینده جوهرله سیلانی
خدایم ایلسون عمرك درازای مرشد كامل
مشرف ایلسون ارشادك ایله جمله اخوانی
الی یوم القیامه باقی قالهای ابدی آثارك
مخادیم كرامه یار اولوب توفیق ربانی
بو عالی مدرسه معمور اوله دایم معارفله
ریاض علم دین اولسون دوام ایندكچه بنیانی
آچلسون آنده ازهار فنون نافعه هردم
ظهور ایتسون بو یردن هرطرف آداب ایمانی
كلك ای طالب آداب اسلام بو مقام اوزره
غنیمت بیل بو دهرك صفحه سنده بو كبی جانی
عجب روض علوم الدین دررتاریخ اتمامی
٩٥ ١٣٦ ١٠٠٦ ٧٠
١٣٢٢
ولكن برعدد ضم ایتمك ایله اوله تبیانی
جزای خیر یله بانیسنی مولی مجاز ایتسون
قصور جنة الفردوس اعلی قیلسون ارزانی
ریاض علم دین اولسه بو دیب تاریخنی نظمك
٨١٠٢ ٦٣ ١٤٠ ١٠ ١١
١٣٢٥
بیان ایندی فقیر رمزی خدا عونی ایله آنی
كه یعنی بیك هم اوچیوز یل یكرمی بیش هجریده
طرو یسكیده یوم ثانیسنده ایدی شعبانی

٣٢

هذا وان كان انشأ امثال هذه الابيات ركيكة الالفاظ حقيرة المعانى فى حقه غير مناسب ولكن لايكلف الله نفسا الا وسعها وهذه ما فى وسعى ع ان الهدايا على مقدار مهديها * لا على مقدار من اهدى اليها * ومن عادات الكرام استكثار القليل وبذل الجزيل ولكن هذا تمام المقصد الرابع ولنشرع الآن الى الخاتمة لنختم به الكتاب بعون الله الملك الوهاب

الخاتمة فى بيان خوانين خان كرمان وقريم وخوانين اوزبك ببخارى وخوارزم وقزاق نبين كلا منها فى فرع على حدة لكون كل منها فرع الدوحة الجوجية

الفرع الاول فى بيان خوانين خان كرمان اعلم ان مأخذى فى هذا الباب هو مستفاد الفاضل المرجانى ليس الا فان هؤلاء الخوانين ليسوا بمذكورين الا فى تواريخ الروسية ولم اجد من يترجم لى منها احوالهم فبالضرورة اكتفيت بما ذكره الفاضل المرجانى فحقا لى ان انشد هنا قول الشاعر شعر :

وما انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

فاذا عرفت ذلك فاعلم ان اقبال دولة التتار لما توجهت نحو الادبار وادبار حكومة الروسية بالعكس نحو الاقبال شرع اولاد خوانين التتار يهربون نحو الروسية من قريم وقزان وسراى وحاجى طرخان وينتظمون فى سلك خدمته وعونته فى اثناء دولتهم وجنسهم وملتهم وكانت حكومة الروس تغتنم ذلك وتفرح به ويكرمهم ويبذل لهم الاموال ويعطى لهم بعض بلاد الروسية على وجه المعاش والعلوفة ويتصرفون كالملوك مثل بلدة كاشير وسير پوخ وخوطون وميشچر كما مر كل ذلك اثناء البيان استطرادا ولا سيما هذا الاخير وهو المسمى بخان كرمان المقصود بيانه هنا فانه كان كمملكة مستقلة من ممالك التتار ولو من بعض الوجوه فانه لكونه قريبا من حدود مملكة قزان اغتنموا وجودهم فيها ليردوا بهم بأس اهل القزان ويستعينوا بهم وقت الحاجة مادة ومعنى كما وقفت على كل ذلك اثناء البيانات السابقة واعطوهم نوع استقلال الادارة الداخلية ولو كان نصب الخوانين منهم بيد الحكومة الروسية وهذا البلد كان اولا يسمى بميشچر وبغراطيس ايضا على قول

الفاضل المرجانى وهو بساحل نهر اوقه تابع الآن لولاية رزان على ٥٤ درجة و ٤٩ دقيقة من العرض الشمالى وعلى رأس ١٠ درجات من طول بطربورغ الشرقى ولما استوطن فيه المسلمون سمى عندهم بخان كرمانى بمعنى قلعة الخان وسمى عند الروسية بقاسم اسكى بمعنى قلعة قاسم نسبة الى قاسم خان اول من صار خانا فيها وهو على قول الفاضل المرجانى ابن الوغ محمد خان القزانى فان اخاه محمود خان لما قتل اباه الوغ محمد خان على ماتقدم بيانه وقصد قتله ايضا هرب مع اخيه الاصغر يعقوب الى بلاد چركس ثم منها الى الروسية فاقطعه من معه قلعة مبشور واطرافه من الاراضى الواسعة والغابات الكثيفة فخدم الروسية بمن معه فى مقابلة احسانها هذا وقد تقدم بيان بعض خدماته فى ترجمة السيد احمد خان عليه الرحمة والغفران وفى ترجمة ابراهيم خان القزانى فراجع هناك قال الفاضل المرجانى انه توفى بعيد تلك الوقعة ٨٧٤ سنة قلت تقدم من كارامزين انه مات اثناء الوقعة المذكورة فى حدود سنة ٨٧٣. دانيال بن قاسم ولما مات قاسم خان تعين مكانه ولده دانيال وقد سبقت له ايضا للروسية خدمات كثيرة وقد تقدم فى ترجمة السيد احمد خان ان سبب رجوعه من ساحل نهر اوغر من غير قتال سماعه بان دانيال ونور دولت هجما على سراى فمن الفاضل المرجانى تاريخ وفاته حدود سنة ٨٨٨ نور دولت بن حاجى كراى خان القريمى قد تقدم بيان وقايعه مع اخوانه فى قريم وقدومه الى الروسية وبعض خدماته وكتابة مرتضى خان بن السيد احمد خان اليه كتابا فتذكر قال الفاضل المرجانى انه صار خانا فى خان كرمان بعد موت دانيال وقال توفى فى سنة ولم يرقمه. صاتلغان (١) سلطان بن نور دولت وهو رابع الحكام بها وقد تقدم ارسال ايوان اياه مع واحد من قواد الروس لمحاربة بعض اولاد السيد احمد خان عند بيان احوالهم. جاناى سلطان بن نور دولت قال المرجانى كونه حاكما فى خان كرمان فى حدود سنة ٩١٤ معلوم. الله يار سلطان

(١) لفظ السلطان يطلق على اصطلاح اهل قريم على اولاد الخوانين بقولهم فلان سلطان وكان لفظ السلطان صار جزء العلم ونحن جرينا هنا على اصطلاحهم منه عفى عنه.

هو على قول الفاضل المرجانى ابن بختيار بن كچى محمد خان السرايى وقد عرفت الاختلاف فى والده واما على مايفهم من بعض اقوال كارامزين انه ابن السيد احمد خان. شيخ على خان ابن الله يار المذكور وهو الذى مر بيان وقايعه فى قزان مرارا وقد عرفت انه صار خانا فى قزان ثلاث مرات وانه كان فى معية ايوان المدهش عند حروبه باهل قزان واستيلائه عليها و بالجملة ان الروسية استفادت منه استفادة كلية وقد ذكر كارامزين تنظيمه لعسكر الروسية على اسلوب عساكر التتار بعد استيلائها على قزان والحاصل ان نظام عساكر الروس مأخوذ من نظام عساكر التتار بواسطة هؤلاء الخوانين الخونة والمشهور ان مسجد خان كرمان القديم بناه شيخ على خان هذا وقيل بناه قاسم خان وانما رممه شيخ على خان وعلى كلا التقديرين فالموجود منه اولا هو الطبقة السفلى واما العليا فقد زاده بعض اعيان خان كرمان كان وفاته على قول الفاضل المرجانى سنة ٩٧٤ بخان كرمان. صاين فولاد بن بيك بولاد بن بهادر بن السيد احمد خان صار خانا بها بعد موت شيخ على خان. مصطفى على بن عبد الله بن آق كباك بن مرتضى بن السيد احمد خان وهو العاشر من خوانين خان كرمان قال المرجانى توفى فى حدود سنة ١٠٠٠. اوراز محمد بن اوندن بن شغاى بن يادبك بن جانى بيك بن براق خان المار ذكره ومن بعده كانوا من خوانين قزاق تعين خانا بخان كرمان فى سنة ١٠٠٨ وتوفى فى سنة ١٠١٩. آرسلان على خان بن على خان بن كوچم خان السيبرى المار ذكره تعين خانا فى خان كرمان سنة ١٠٠٢٣ وتوفى سنة ١٠٣٦ وقد يذكر فى حقه مالا (١) ينبغى ذكره والله سبحانه اعلم السيد برهان بن آرسلان على خان المار ذكره آنفا كان والده على مازعم من السادات من عائلة منهم تسمى شاه قل قيل بقى من ابيه فى سن

(١) وهو ما كتبه بعضهم فى هوامش بعض الكتاب كتب محمد كراى بن سلامت كراى الى السكسى بن ميخايل انك امرت بتخريب المساجد واحراق المصاحف ونصرت آرسلان الكرمانى يعنى حملته على التنصر. منه عفى عنه.

ثلاث ووجهت اليه خانية خان كرمان فى حدود سنة ١٠٢٩ (١) ثم جرى فيه ما يقبض الانسان من ذكره فى حدود سنة ١٠٦٥ ومات فى سنة ١٠٩٠ فاطمة سلطان ابنة السيد آق محمد ابن السيد بولاك ابن السيد شاه قل زوجة آرسلان على خان المذكور آنفا حكمت بعد موت ابنه السيد برهان المذكور آنفا وتوفيت سنة ١٠٩٤ وبموتها انقرضت الخانية فى خان كرمان وفى اطرافها وجوانبها الآن عدة من قرى المسلمين فيها المساجد والمكاتب وقد تقدم فى الجدول ان عدد نفوس اهل الاسلام فى ولاية رزان ٦٧٦٦ وان المساجد بها ١٠ وهؤلاء هم المرداون بها وقد زاد الآن فى نفس قصبة خان كرمان مسجد آخر وهم ارباب التجارة والمكاسب وفيهم الذكاوة والسخاوة والمروة. الفرع الثانى فى خوانين قريم قد تقدم منا بيان الاختلاف فى جد خوانين قريم انه الوغ محمد او كچى محمد وقد بينا خطاء القول بكونه الوغ محمد وصوبنا القول بكونه كچك محمد وفقا لما ذكره ابو الغازى خان حيث قال ان لاچنكز خان ولده جوجى خان ولده توقاى تيمور ولده اوز تيمور ولده ساريچه ولده كونجك اوغلان ولده تولك تيمور ولده جينه ولده حسن اوغلان وكان يقال له ايچكلى حسن ولده محمد خان ولده تاشتيمور ولده غياث الدين ولده حاجى كراى ولده مكلى كراى الى آخره وقد اختاره الفاضل المرجانى عند تعداده خوانين قريم وكذلك قال فى آخر بيان السلالة التوقتامشية ان خوانين قريم من اولاد تولك تيمور اخى توقتامش خان اه (صوابه اخى جد توقتامش خان كما لا يخفى) الا ان فى تاريخه سقط ساريچه بين اوز تيمور وكونجك ولعله من الطابع وكذلك ذكره السيد محمد رضا افندى فى السبع السيار وحليم كراى افندى فى كلبن خانان الا انه سقط فى تاريخهما محمد خان ووالده ايچكلى حسن ووقع بدل جينه جاناسى وسقط ايضا فى نسختهما ساريچه وكذلك ذكره

---

(١) هكذا ذكر الفاضل المرجانى مع انه صرح ببقاء آرسلان على خان الى سنة ١٠٣٦ فليحرر . منه عفى عنه .

الحاج عبد الغفار افندى القريمى الا انه جعل حاجى كراى واحد دولات بردى بن تاشتيمور وجعل غياث الدين اخا دولات بيردى وسقط فى نسخته محمد خان وذكر والده ابيكلى حسن والحاصل اذا قطعنا النظر عن بعض الاختلافات بالزيادات والنقصان والتبديل امكن لنا ان ندعى الاجماع على كون جد خوانين قريم هو محمد خان بن ابيكلى حسن فجعل كچى محمد خان ابنا التيمور خان ابداع محمد خان ثالث ولم يقل به احد بل هو اعنى كچى محمد خان وابن ابيكلى حسن وحده خوانين قريم والحاصل ان كچى محمد هذا انتصب الى ولاية قريم بعد وقعة ايدكو وقادر بردى وبقى طائفة ايدكو واولاد روسخان فى سراى وما والاها وصار الوغ محمد خان بن تيمور خان خانا بها اعنى بسراى بعد اللتيا والتى ثم بعد مدة غلب عليه كچى محمد خان وطرده من سراى وصار خانا بها وبقريم ثم استقل قريم ايام دولت بردى وحاجى كراى خان والظاهر ان ذلك كان بعد موت كچى محمد خان وتولية السيد احمد خان فى حدود سنة ٨٥٠ والله سبحانه اعلم والذى التزمنا ذكره هنا هو هذا القدر وسائر احوالهم مبينة فى السبع السيار وكلبن خانان الا انهما غير كافيان فى بيان احوالهم بل لا بد لمن اراد الاطلاع على حقيقتها من الاخذ عن تواريخ الروس خصوصا تاريخ كارامزين ولعل بعض ارباب الهمة يصرف عنان همته نحو جمع تاريخ جامع فيها والله سبحانه الموفق. الفرع الثالث فى خوانين اوزبك ببخارى وخوارزم وانما جمعنا هذين الفرعين فى فرع واحد باعتبار اصلهما فان اصلهما واحد والمقصود هنا بيان ذلك الاصل فقط لا تفصيل احوالهما فانه خارج عن مقصودنا لانه يستدعى مجلدا ضخما وانما تعلق قصدنا بذكر اصلهما لغلط اهل الآوروپا الذين يأخذون المعارف والامور التاريخية منهم وقد قال رفاعة بك فى ترجمة جغرافيا ملطبرون الفرانساوى عند ذكر اقليم بخارى وامة الازبك الذين هم التتار المنصورون الذين اقاموا دولة ذات شوكة فى بخارى فصار كرسى هذه الدولة يتعاقب عليه عدة خانات من سنة ١٤٩٣ الى سنة ١٦٥٧ من الميلاد يظهر انها كانت ساكنة فى هذا الاقليم من القرن الثالث الى الرابع من الميلاد اهـ واذا نظرت الى مادة اوزبكان من قاموس

الاعلام لشمس الدين بك سامي يظهر لك تقليده للافرنج تقليدا بحتا واذا نظرت الى ذيل رحلة مافمان الاميريكي الى خيوه لبعض العثمانيين ترى الغلط اكثر فانه يتقارب الى المقصد تارة فرسخا ويتباعد عنه اخرى بريدا فانه قال وبعد انقطاع نسل عبد الله خان البخاري بقتل عبد المؤمن خان انتقل حكومة بخارى من نسل باتوخان الى اولاد ازدرخان ثم انتقلت في سنة ١٢٠١ مرة ثانية الى الاوزبكيين ولم يدر ان عبد الله خان والحاجطرخانيين ينحدرون في جوجي خان لا في باتو وان كلهم اوزبكيون وان الذى كان في مسند الخانية ببخارى في سنة ١٢٠١ كان شاه مرادبي المنغتي ولم تنتقل حكومة بخارى من الحاجطرخانيين اليه بل كان انتقالها منهم الى مؤسس الدولة المنغتية واولهم رحيم خان بن حكيم بي في سنة ١١٧٠ ثم ترقى في نشر المعلومات وقال ان خوانين اوزبك كانوا وقتا مايعزلون حكام الروس مثل ميشل (ميخايل) الثاني ويوريا وديمتري وينصبونهم كما شاؤا اه يريد بذلك مامر في ترجمة اوزبك محمد خان عليه الرحمة فزعمه من الخوانين الاوزبكية الخوارزمية الذين هو في صدد بيانهم ولم يدر ان اوزبك محمد خان هو اصل تلك الطائفة والمنسوب اليه فلا يقال له خان اوزبكي كما لا يقال لنفس قريش قريشي ولنفس جنكز جنكزى فان الشيء لا ينسب الى نفسه والحاصل اطلاعي على امثال هذه الخرافات اضطرني ان اذكر منا اصلهم وسبب تسميتهم به وان سبق بيانه في الجملة عند بيان تشكل دولة سراى واثناء بيان احوال اوزبك خان مع انه خارج عن موضوع كتابي هذا فاقول قد تقدم ان دولة سراى سميت بمملكة باتو وبركة نسبة اليهما وبمملكة اوزبك ايضا نسبة اليه وحيث كان اوزبك خان متاخرا عنهما واشهر خوانين سراى واكثرهم اختلاطا بملوك مصر ومحاربة بملوك ايران كان اشتهار تلك المملكة بمملكة اوزبك ازيد واكثر من اشتهارها بمملكة باتو وبركة بل نسخت هذه النسبة وتنوسيت بالكلية في عصره حتى قيل لكل من كان تحت تصرفه وحكمه اوزبكا كما نقلنا هذا في ترجمته عن ابي الغازى خان حيث قال ما مر به وبعد ذلك يعني بعد دخول

اوزبك خان فى دين الاسلام وادخاله سائر التتار فيه وتجديده دولة سراى قيل لكافة مملكة جوجى مملكة اوزبك وكذلك يقال الى يوم القيامة اه وهاتان العائلتان اعنى عائلة خوانين اوزبك ببخارى وعائلة خوانين اوزبك بخوارزم من قوم اوزبك محمد خان المذكور ومن ابناء اعمام آبائه وجدوده فان اول من اسس الدولة الاوزبكية بماوراء النهر بعد نزعها من يد التيموريين هو ابو الفتح محمد خان الشيبانى المعروف ايضا بشيبك خان ابن شاه بداق بن ابى الخير خان ابن دولت شيخ بن ابراهيم بن فولاد بن ميكنيمور الملقب بكولوك ابن باداقل بن جوجى بوغا بن بهادر بن شيبان (فى الاصل چوپان) ابن جوجى ابن جنكزخان واول من اسس الدولة الاوزبكية فى خوارزم بطرد العجم منها هو (١) ايلبارس خان بن بركه سلطان بن باداكار بن تيمور شيخ بن حاجى تولى بن عرب بن فولاد المذكور فى النسب السابق فهاتان العائلتان تلتقيان فى فولاد المذكور وكذلك عبيد الله خان وعبد الله خان من مشاهير خوانين اوزبك ببخارى من هاتين العائلتين ايضا فان عبيد الله خان ابن محمود بن ابى الخير خان المذكور فى النسب الاول وعبد الله خان ابن اسكندر خان بن جانى بك خان ابن خواجه محمد بن ابى الخير خان المذكور على الظاهر المشهور واما على قول ابى الغازى فجانى بيك خان ابن بركه (٢) سلطان ابن باداكار المذكوران فى النسب الثانى وعلى كل حال فهم ايضا من احدى هاتين العائلتين بلا اشتباه واما العائلة الثالثة من خوانين اوزبك ببخارى المشهورة

(١) وذلك ان العجم استولوا عليها ايام شاه اسمعيل الصفوى وانتزعوها من يد عمال محمد خان الشيبانى وبعد مضى خمس او ست سنين منه دعا اهل خوارزم ايلبارس خان المذكور من دشت قبچق بدلالة سيد حسام الدين القتال وطردوا العجم منها ونصبوه خانا عليهم وكان ذلك فى سنة ٩١١ والظاهر ان ذلك كان بعدها بسنتين او ثلاث منه عفى عنه .

(٢) وذلك انه يقول ان خواجه محمد تزوج زوجة بركة ملاى خان زاده ابنة المرزا توجاش وكانت حبلى من بركة ومضى من حملها شهران الا انها كتمت حملها وولدت بعد سبعة اشهر ولذا سموه بجانى بيك ظن خواجه محمد انه ولده ولانه كان ابله ناقص العقل فجانى بيك فى الحقيقة ولد بركة هذا كلامه والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال منه عفى عنه .

بالعائلة الحاجطرخانية فليسوا ابن تربة شخص يسمى اژدرخان كما زعم بل من ذرية توقا بتيمور بن جوجي بن جنكزخان فان اول من ملك منهم ما وراء النهر بعد طرو الضعف على دولة الشيبانية امام قلي خان ابن دين محمد بن جاني سلطان ابن يار محمد بن منغشلاق بن چواق بن محمد خان بن تيمور سلطان ابن تيمر قتلغ خان ابن تيمور بك اوغلان ابن قتلغ تيمر خان ابن تومغان ابن آباي بن اوزتيمور بن توقاي تيمور بن جوجي بن جنكز خان **واما العائلة** الرابعة من خوانين اوزبك بما وراء النهر وهي العائلة الحالية فهي من قبائل منغت وهي قبيلة مشهورة من قبائل اوزبك الا انها ليست من السلالة الجنكزية **واما العائلة القونكراتية** التي ملكت مملكة خوارزم بعد انقراض الدولة الشيبانية وسائر الجنكزية فيها وامتدت حكومتهم الى الآن فهي ايضا من قوم اوزبك فان قبيلة قونكرات التي هي اصل هذه العائلة قبيلة كبيرة شهيرة من قبائل اوزبك الكثيرة الا انها ليست من السلالة الجنكزية كسابقها **والحاصل** ان السلالة الجنكزية انقرضت من بخارى سنة ١١٧٠ ومن خوارزم في حدود ١٢٢٠ سنة واما العائلة الاوزبكية المالكة فيهما فهي موجودة الى الآن لم تنقطع بعد وان كانت بحسب الاسم فقط وهذه خلاصة هذه المسألة التي طالما خبط فيها الافرنج والمتفرنجون وتحيروا فيها مع انها مذكورة بالتفصيل في تاريخ ابي الغازي خان وهو موجود بيد الافرنج ومشهور فيما بينهم **واما وجه** اختصاص هذه العوائل واهالي تلك الممالك بالنسبة باوزبك والاشتهار به دون خوانين اصل مملكة اوزبك كخوانين سراي وقزان وقريم وقزاق واهالي هذه المملكة مع كونهم اولى به هو ان الاشتهار باسم ولقب انما يكون في الخارج لا في الداخل وحيث كانت اهالي مملكة اوزبك مشهورين في بخارى وما والاها من ممالك جيغطاي باوزبك وكثر وقت خروج تلك العوائل استعمال هذا اللفظ بقولهم جاء اوزبك هجم اوزبك استولى اوزبك فعل اوزبك ترك اوزبك اشتهروا بذلك الاسم بالضرورة بخلاف اهالي ممالك سراي وقزان وقريم وخوانينهم فانهم كانوا مشتهرين عند جيرانهم الروس ولهو وغيرهم باسمهم

الاصلي زار و دام اعلى هذا الى الآن وكذلك اولاد جيغطاي اما المتأ لو لى ذلة مغل اشتهر وا عند جيرانهم اهل ماوراء النهر وفرغانة بمغل وهذا دل نعجب منه الفاضل المرجاني حيث قال اثنا" بيان ظهور التتار ما معه : والعجب ان هذا الاسم يعني اسم اوزبك وان كان اسم خوانين هذه المملكة يعني مملكة سراي وقزان وقربم صار اسما لاتراك تركستان وماوراء النهر واستقر فيهم تبعا لاولاد ابي الخير خان وزال عنهم اسم جيغطاي وزال عن قوم بلغار اسم اوزبك بالكلية وبقي فيهم اسم التتار والحاق على اولاد جيغطاي واهالي كاشغر اسم المغل اه والحاصل ان ذرية توقاي تيمور بن جوجي صاروا خوانين في سراي وقزان وقريم وبخاري وقزاق وذرية شيبان صاروا خوانين في سبر وبخاري وخوارزم وقزاق وكانوا اعني اولاد توقاي تيمور وشيبان يعدون من خوانين آق اوردا وقد تقدم ان اوردا وباتو ابني جوجي قدما على جدهما جنكز بعد موت ابيهما جوجي فنصب جدهما جنكز حفيده باتو خانا المملكة جوجي واعطاه خركاها الازرق المسمى باردو واعطى حفيده اوردا خركاها الابيض ومنحه امارة الجيش وقيادة العسكر ولكن لم ير بعد ذلك ذكر اوردا ولا ذكر اولاده في التواريخ وكذلك ذكر سائر اولاد جوجي غير بركة واختص اولاد توقاي تيمور وشيبان بخانية آق اوردو واما ذريته فقد ذكر وقايع ارس خان واولاده وتوقتامش خان واولاده مستوفى واما شيبان واولاده فقد قال ابو الغازي خان ان باتوخان لما رجع من سفر الروس اعطى اخاه الاكبر اوردا بن جوجي عشره الاف بيت وقال انت الذي دبرت امرنا وكان لقبه آلچن (١) واعطى اخاه الاصغر شيبان خمسة عشر الف بيت ومملكة كورل (لهستان) وقبائل قوشچي ونايمان وقارلق وبويرك وقال له ليكن مقرك بيني وبين اخي الاكبر آلچن وليكن مصيفك سواحل ارغز ساوق دا واور وايلك الى جبال اورال في شرقي نهر جايق ومشتاك اراقوم وقراقوم وسواحل سير (نهر سيحون) واسافل نهري

(١) فهذا يدل على ان قبيلة آلچن من ذرية اوردا بن جوجي ولعل هذا هو الصواب واذا لم يذكره ابو الغازي عند ذكره قبائل الاتراك منه مغني عنه .

چوروصاری صوفا متثل شیبان ماامر به اخوه باتوخان فی مصیفه ومشتاه الی ان مات وخلف اثنی عشر ولدا احدهم بهادر المار ذکره فی بیان نسب خوانین بخار وخوارزم الاوزبکیین وکذلك سلك اولاده واحفاده مسلکه فی ذلك وبالجملة کان مقرهم فی شرقی سرای والشمال الشرقی منها اعنی معظم بریة تزاق وکان فی سواحل نهر سیحون الشهیر بـ رسیر فی ذلك الوقت مدائن کثیرة کصفناق وصبران المسماة ایضا بـ ا. بیجاب التی خرج منها کثیر من اعاظم العلماء وجند (بفتح الجیم) وبلیدة ترکستان وطراز ویقال لها ایضا تراس وهی ایضا کانت سابقا مقرا کابر العلماء واترار الی غیر ذلك من المدن الکثیرة الشهیرة الا ان کثیرا منها صارت خربة بسبب الحوادث والوقائع المتتابعة بعضها بعضا کوقائع خوارزمشاه مع الخطائیین ووقائع جنکزخان بعده ووقائع توقتامش خان مع ارص خان ووقائعه مع تیمرلنك الی غیر ذلك من الوقائع وقد عـن مستر شیللر الامریکی خرابة صفناق وصبران فوق فضالی وآقمسجد من سواحل سیحون وقد رأیت الفقیر خرابة بین آقمسجد وقصبة ترکستان بساحل نهر سیحون من بعد حین ذهابی من طرویسکی الی طاشکند قبل هذا التاریخ بسنة ۳۳ وهذا ذکرناه علی سبیل الاستطراد فلنرجع الآن الی ما کنا بصدد بیانه فنقول لم یکن فی ذریة شیبان من له شهرة فی التواریخ یذکر بها الی ابی الخیر خان واما هو فقد کان من مشاهیر خوانین عصره فی تلك الاقطار واعظمهم واشدهم بأسا وقوة وشوکة بحیث کانت الحکام المتجاورون له یهابونه ویخافون باسه وسطوته وقد قتل کثیرا من ذریة جوجی توهما منه عدم انقیادهم له واطاعتهم ایاهم وقد قیل انه هجم علی خوارزم وانتزعها من ایدی عمال شاهرخ بـن تیمرلنك وسنه فی ذلك الوقت لم یجاوز العشریـن وقـد التجأ الیه السلطـان ابی سعید بـن المرزا محمد بـن میرانشاه وانتصر بمعونته علی حاکم سمرقند المرزا عبدالله ابن المرزا ابراهیم بن شاهرخ وقتل وانتزع سمرقند من یده وصار سلطانا بها وبخراسان وتزوج ابو الخیرخان زوجة المرزا عبدالله المذکور ابنة المرزا الغبك وکان ذلك فی الجمادی

الاولى على قول شرف الدين خان البتليسى وفى الجمادى الاخرى على قول صاحب روضة الصفا فى سنة ٨٥٥ (١) بالاتفاق ولم يذكر فى روضة الصفا تزوجه زوجة المرزا عبدالله وقال ابو الغازى خان انه تزوج (٢) اخة المرزا عبداللطيف ابن المرزا الغبك فالتجأ اليه محمد جوكى ابن المرزا عبداللطيف واستمد به بتلك المناسبة على السلطان ابى سعيد فامده بعساكر اوزبك الخ وقعة المرزا جوكى هذه مسطورة فى روضة الصفا الا انه لم يذكر امداد ابى الخير خان وقد التجاء اليه ايضا المرزا حسين بن بايقرا واستمد منه وبينما هو فى اعداد العساكر لامداده مات فجأة بعلة الفالج فوقع الاختلال فى مسكنه فهرب السلطان حسين بن بايقرا الى جهة خوارزام وكان ذلك فى سنة ٨٧٣ وفيها توفى ايضا السلطان ابو سعيد وابو الخير خان هذا ليس هو ابو الخير الذى استسلم للروسية فانه متاخر عن هذا بمآت عام وبعد وفاة ابى الخير خان جلس مكانه حيدر خان فاتفق سائر الخوانين من ذرية جنكز خان على حربه لما حصل لهم الاذى الكثير من ابى الخير خان وهجموا عليه وقتلوه ونهبوا جميع ما فى معسكره ومسكنه وقتل معه عدة من سائر اولاد ابى الخير خان واحفاده وهرب الباقون وممن دخل فى الاتفاق على قتل حيدر خان بركة بن يادكار المذكور فى عمود نسب خوانين خوارزم الاوزبكية وقد كانوا قبل ذلك على مصافاة وموادة تامة فوقعت بعد ذلك العداوة بين العائلتين المذكورتين حيث ان محمد خان الشيبانى قام بعد ذلك وقتل بركة المذكور غيلة فاستحكمت العداوة بعد ذلك بينهما واما ابو الفتح محمد خان الشيبانى فقد تقدم انه ولد شاه بداق ابن ابى الخير خان واما والدته فقد قال فى روضة الصفا فى ترجمته ان اباه بوداق خان تزوج بامه نورى بيكم فى المحل الذى استمد فيه السلطان حسين بن بايقرا من جده ابى

---

(١) وما سوى ذلك فخطأ محض منه عفى عنه .

(٢) ولعل تزوجه صحيح مع قطع النظر عن كونها زوجة المرزا عبدالله ويؤيده ما قيل ان زوجة ابى الخير خان رابعة بيكم ابنة المرزا الغبك مدفونة فى اتصال تربة الشيخ احمد اليسوى قدس سره بقصبة تركستان منه عفى عنه .

الخير خان وكان تولده فى سنة ٩٠٥ وقال فى ترجمة السلطان حسين بن
بايقرا انه لما نزل فى شهر وزير من بلاد خوارزم ضيفا لمصطفى خان خطب
منه پير بوداق اخو مصطفى خان اخته فزوجها منه ولم يسم هنا اسمه وكان
ذلك فى سنة ٨٦٤ وقال فى ترجمة السلطان حسين ايضا قد سبق ان السلطان
لما هرب من السلطان ابى سعيد زوج اخته بديع الجمال بيكم من پير بوداغ
السلطان احمد خان الذى كان ممتازا من بين سائر خوانين دشت قفچق
بمزيد الشوكة فولد له منها ولدان وبنت ثم مات پير بوداغ خان ولما توجهت
بديع الجمال بيكم زيارة اخيها السلطان حسين ترك ولدها الاكبر محمود خان
فى مستقر سلطنة اباءه واجداده واخذت ولدها الاصغر بهادر سلطان وبنتها
خان زاده خانم معها الخ فعلم من ذلك ان التى زوجها من پير بوداغ فى وزير
سنة ٨٦٤ هى بديع الجمال بيكم واما التى تزوجها بوداق خان عند قدوم
حسين بن بايقرا الى ابى الخير خان اهى اخت السلطان حسين او غيرها فانه
لم يذكر هناك انها اخته كما ترى ولكن المفهوم من سياق كلامه انها اخته والا يكون
ذكر السلطان حسين هناك عبثا ثم اذا كانت هى اختها هل بوداق خان هذا
هو پير بوداغ او غيره فانه ذكره هناك بعنوان بوداق فقط كما عرفت الا ان
التاريخان لا يتوافقان فان قدومه الى ابى الخير خان كان فى حدود سنة ٨٧٢
وثانيا قال انه ولد له ولدان اكبرهما محمود واصغرهما بهادر ولم يذكر محمدا فان
قلنا انه ذكر محمدا بعنوان بهادر يدفعه جعله اصغر من محمود فان ابا
الغازى خان قال ان محمدا هذا اكبر ولدى شاه بداق ومحمود اصغرهما والظن
الغالب ان امر الزواج هذا واحد وهو الذى ذكره صاحب روضة الصفا
فى سنة ٨٦٤ والمتزوج هو شاه بداق لا بوداق فقط ولا پير بوداغ بل
وقع هذان هكذا من قلم النساخ وانما قال فى المحل الذى استند الخ
ولم يقل فى العام او فى التاريخ الذى استند فيه من ابى الخير خان فان
المحل واحد لكون الوزير تابعا لحكم ابى الخير خان فى الوقت المذكور
ويؤيده ذكره وقوع النزاع والقتال بين پير بوداغ وبين مصطفى خان
بسبب هذا الزواج لطلب مصطفى خان اياها اعنى اخت السلطان حسين

بن بايقرا منه قبل طلب پيربوداغ بارسال وصول الى استرآباد ووعد له بالتزويج فلوكان له اخت آخر لزوجه منه واما تعبيره منه تارى بنورى بيكم وتارة ببديع الجمال بيكم فلعله تحريف من النساخ او احدهما محمول على اللقب واما تاريخ ولادة محمد خان الشيبانى فغلط بلا مرية فلعله ٨٦٥ سنة وهو العام الثانى من تزوج شاه بداق والله سبحانه اعلم وهذا هو غاية صرف الجهد فى التطبيق بين هذه الاقوال المتباينة فان صادف هدف الصواب فبها والا فلا ضير وبالجملة ان محمد خان هذا كان صاحب شهامة و شجاعة وفصاحة و علو همة وكان شاعرا وكان تخلصه فى الشعر على عادة شعراء الاتراك والفرس شاه بخت وكان شهيرا به وشيبك خان وشيبانى خان لقد تقلبت به الاحوال فى دشت قفچوق وحدود تركستان لطلب الملك وظهر فى حقه معنى والحروب سجال وجرى له فيه محن وشدائد حتى هرب مرة الى بخارى ايام سلطنة السلطان احمد ابن السلطان ابى سعيد ولازمه مدة فى سمرقند بواسطة عبد العلى طرخان ثم عاد منها الى تركستان ووفق لجلب رعايا آبائه وجدوده الى نفسه وبعد موت السلطان احمد خان بن سلطان ابى سعيد خان طمحت به نفسه الى ملك ماوراء النهر لما رأى من وقوع الاختلال والاغتشاش فيها ولعل هذا النزوع منه كان من جهة امه او اراد ان يأخذ انتقام توقتامش خان من اولاد تيمرلنك وعلى كل حال نهض قاصدا ما وراء النهر واستولى على سمرقند من غير مدافعة شديدة وقتل سلطانها السلطان على ابن السلطان محمود وتزوج امه زوجة السلطان محمود وقتل خواجه يحيى ابن الخواجه عبيد الله الاحرار قدس سرهما لكون الامر والحل والعقد كلها بيده ولكونه هو الذى حرض السلطان على على المدافعة وقتل الخواجه ابا المكارم شارح مختصر الوقاية وذلك لدعوته المرزا بابر من اندجان لمحاربة محمد خان الشيبانى وتسببه لاراقة دماء نفوس كثيرة من الطرفين والحاصل انه استولى على كافة ممالك ماوراء النهر وفرغانة والشاش وخوارزم وبدخشان وخراسان

فى مدة قليلة وطرد التيمريين منها قال فى روضة الصفا انه اتخذ سمرقند دار ملكه وفوض ولاية بخارى لاخيه محمود وفوض ممالك تركستان لاعمامه كوچكنچى خان وسونج سلطان حفيد ابنة (١) المرزا الغ بك اه والحاصل انه اخذ ثار توقتامش خان واهالى مملكة الدشت وسراى بعد ١٠٨ سنة قتل رحمه الله تعالى على يد شاه اسمعيل الصفوى يوم الجمعة المصادف آخر شعبان او اول رمضان بقرب مرو الشاهجان سنة ٩١٦ رحمه الله تعالى وبعد هذه الوقعة الهائلة كاد ملك ما وراء النهر يخرج من ايدى الشيبانيين بواسطة امداد شاه اسمعيل المرزا بابرا الا ان همة عبيد الله خان ابن محمود بن شاه بداغ وشجاعته وشهامته صارت حاجزة قوية وحصنا منيعا من اصابة غبار منه المذلة والرذالة اذيال عزمهم وسلطنتهم وشوكتهم حيث قتل النجم الثانى قائد جيش شاه اسمعيل غيره من كبراء تلك الطائفة الخبيثة وهرب المرزا بابر وتعقب عسكر اوزبك فرارى الرفضة الى هرات فبعد ذلك استحكمت سلطنتهم بما وراء النهر وامتدت الى الآن حسبما شرحناه وفصلناه سابقا وبعد ذلك الامر لله بل لله الامر من قبل ومن بعد ولم يتجاسر الرفضة بعد ذلك ان يهجموا على ما وراء النهر وان يقصدوه بل كان عبيد خان هو الذى كان يهجم على بلادهم دائما الى ان توفى الى رحمة الله تعالى سنة ٩٤١ بعد ان حكم ٣٠ سنة كاملة رحمه الله تعالى وكان عاقلا مدبرا شجيعا شهما منصفا ديناعالما تقيا صالحا صاحب الخيرات والمبرات وكثير الغزوات وقد ذكر القهستانى والبرجندى اسمه واوصافه فى ديباجة شرحهما لمختصر الوقاية وله تفسير للقرآن يسمى بالفوائد الخاقانية وقد وقع بينه وبين السلطان سليمان القانونى عليه الرحمة مراسلات ومكاتبات واتفاقات على رفع الصفوية الرافضية من البين وكان قد حصل لو لم يكن من الطرف الآخر الخلف والفشل ولذلك قرب الشاه طهماسب القرابين

---

(١) وهذا صريح فى ان ابالخيرخان تزوج ابنة المرزا الغ بك رحمه عفى عنه.

وفرق الصدقات حين سمع وفاته وكذلك سلك خلفه عبد الله خان الشهير مسلكه فى جميع ماذكر والحاصل ان بلاد ما وراء النهر كانت فى عصر هؤلاء الخوانين الاوزبكية آمنة مطمئنة ولاسيما ايام سلطنة هذين الضرغامين بخلاف ايام حكومة التيمرية وقبلها فانه كثرت فيها الفتن جدا وكافة مدارس بخارى الكبار والرباطات انما بنيت فى عصر هؤلاء الخوانين الاوزبكية وزادت معمورية تلك الديار جدا الا ان ذاك الهدو والسكون والامن والامان اورث اهاليها البطالة والكسالة والرخاوة والجبانة بل والبلادة فوصلوا الى هذه الحالة التى لاتحتاج الى التعريف ولله در القائل شعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوا * والعيش بعد اولئك الايام

انا لله وانا اليه راجعون ونعم ماقال الشاعر وما اصدقه فى حق اخلاف هؤلاء الليوث شعر:

فى الناس قوم اضاعوا مجدا ولهم * مافى المكارم والتقوى لهم ارب

سؤ التادب ارذلهم وازدلهم * وقد يزين وضيع المنصب الادب

ولنكتف من ذكر الخوانين الاوزبكيين بهذ القدر ولنجل انظارنا فى خوانين قزاق كيف نجدهم هل نجدهم احسن منهم او اخس فنقول الفرع الرابع فى خوانين قزاق اعلم انا بينا فى آخر المقدمة اصل طائفة قزاق بانهم مجتمعون من قبائل التتار والاتراك الشتى مقيمون فى تلك البرية من عهد يافث وانها ملكهم الخاص بهم من عهده وان هذا الاسم اعنى اسم القزاق لم يطلق عليهم من جهة الاتنوغرافية وقد بينا هناك وجه اطلاقه عليهم بيانا شافيا لا يمكن الزيادة عليه وهم من غاية جهلهم بالتاريخ والانساب يتشبثون لمعرفة انسابهم واوائلهم باذيال اسباب ضعيفة حتى ان بعض طائفة خواجه المقيمين فى بلاد قزاق يقولون لهم ان طائفة قزاق باسرهم من ذرية انس بن مالك الصحابى رضى الله عنه ولذلك يقال لقزاق آلاج وهو محرف انس الى غير ذلك من الخرافات وقد عرفت فى المقدمة ان اصل آلاج قال آج سماه بذلك اغوز خان ثم صار ذلك اسما لتربانه

كقريش وتميم وربما يتكلف بتعريبه الى خلج وهو تكلف بارد والمشهور عند القزاق آلتى آلاج معناه ستة آلاج وكان الآلاج افترقوا الى ستة بطون واما القبچق فقد بينا اوائلهم واواخرهم ومساكنهم ومواضعهم ووقائعهم فى المقدمة مستوفى واما كيرايت ونايمان وقونكرات ودوغلات وبرلاس وجوبرات وغيرها من القبائل الكبار فقد ذكرت مع اصلها وفصلها ومعناها فى شجرة الترك لابى الغازى بهادر الخان الخوارزمى الجنكزى مفصلا وهو مرجع المورخين الكبار ومأخذ التواريخ فى هذا العصر وقبله وهو مطبوع فى بطربورغ وكذلك فى قزان فمن اراد من القزاق ان يعرف قبائل القزاق واصلها وفصلها ومحل انشعابها فعليه ان يقتنى نسخة منها خصوصا النسخة الاصلية التى طبعت فى بطربورغ واما القبائل التى لم تذكر هناك مثل آرغون وجباس وطاما وطابن (١) فيمكن ان تكون من البطون المتشعبة من القبائل المذكورة هناك كعدى وهاشم وبنى امية فلا تذكر اصل القبائل كقريش بل تلك البطون فقط كما قال ابو الغازى خان فى اوائل بيانه قبائل مغل كان يقال لاولاد قيان (قيات) ولاولاد نكوز (درلكن) ولما كثرت اولادهما سميت كل طائفة باسم قبيلة واشتهرت به فنسى اسم قيات ودرلكن وتركا مرة واحدة اه وقد سمعت ان بعض سنجهم وكاوم سنج يطلبون شجرة مبينة لانساب قزاق من المطوفين فى الحرمين المحترمين ولا يدرون المساكين انهم لا يعرفون سوى شجرتى الذهب والفضة والحاصل كل من اقتنى نسخة من شجرة الترك فقد استغنى عن خرافات طائفة خواجه وعن مراجعة المطوفين فان كل الصيد فى جوف الفرى واما خوانينهم فاعلم ان اكثر بلاد القزاق كانت بعد ظهور التتار وخروجهم كانت تحت تصرف اولاد جوجى ولهذا قيل لدولتهم دولة القفچق ايضا لكون برية قزاق

(١) ممن توقف فى صحة ما قلنا فلينظر الى وجود قفچق وطابن فيما بين باشقرد وكونهم معدودين منهم فان ذلك صريح فى ان القبائل قبائل الترك والتتار ثم عرض لبعضهم اسم قزاق ولبعضهم اسم باشقرد لاسباب بيناها فى موضعها منه عفى عنه.

الشهيرة بدشت القفچق تحت تصرفهم كما بين فى المقصد الثانى الا انه يفهم من بعض التواريخ كون سواحل نهر ايرتش والجهة الشمالية منه بيد اولاد اوكداى قاآن ولاسيما قيدو بن قاشين بن اوكداى ثم اختصت تلك الجهة بخوانين سيبريا من اولاد شيبان الى ان انتزعها منهم الروسية وكذلك يرى فى بعض التواريخ كتاريخ كارامزين كون الاراضى المتاخمة لتلك البلاد السيبرية بيد بعض خوانين نوغاى المصاهرين لكوچم خان مثل المرزا اسمعيل والظاهر ان هؤلاء الخوانين النوغائية هم ايضا من اولاد شيبان فان اطلاق هذا الاسم عليهم انما ابتدئ بعد طرو الضعف لدولة سراى ولاسيما بعد انقراضها كما قدمناه فى آخر المقصد الثانى حتى ان السيد احمد خان السرايى يرى فى تاريخ كارامزين اطلاق خان نوغاى عليه وكذلك حفيده (١) يادكار خان الذى هو آخر خوانين قزان اطلق عليه اسم نوغاى كما مر وكذلك بين كارامزين كون الاراضى الكائنة بين بوزاولق وآرال بيد خوانين النوغائية الشيبانية ولهذا تعجب الفاضل المرجانى اختصاص اهل قزان باسم نوغاى واتراك ماوراء النهر باسم اوزبك يعنى مع ان الخوانين فى كلتا المملكتين من اولاد شيبان بالنظر الى آخر الاحوال وكذلك اختص جهة تركستان وبنى صوروحوالى المانى بحكومة آق اوردو من ابتداء الحكومة الجوجية الى ضعف دولة سراى وان كانت تابعة فى الاوائل لكوك اوردو رسما واما فى الآخر فقد بقى المرافى بلدة تركستان وصبران واترار وسواحل نهر سيحون (سير) وجهته الجنوبية والغربية بيد ابى الخير خان الاول المشهور ابن دولت شيخ بن ابراهيم الشيبانى الى آخر النسب الذى ذكر عند بيان خوانين اوزبك بماوراء النهر ثم بيد اولاده مع التقلبات الى ان استولى حفيده محمد خان بن شاه بداغ بن ابى الخير على ماوراء النهر ثم انتقلت منهم الى غيرهم وحين حكم هؤلاء فى تلك القطعة كان يحكم فى جنوبهم الغربى اولاد عرب خان ابن فولاد اخى ابراهيم المار ذكره وهو جد خوانين اوزبك بخوارزم كما

---

(١) هذا على قول الفاضل المرجانى . منه عفى عنه .

مروفى شرقيهم وشمالهم الشرقى اعنى فى ولاية يتى صو وآلماتى وما والاها محمود خان ابن يونس خان ابن ويس خان ابن شيرعلى اوغلان ابن محمد خان ابن خضر خواجه خان ابن (١) توغلق تيمر خان المغلى وهؤلاء الذين بينا كلهم كانوا قبل انقراض دولة سراى وكانت حكومة سراى منحصرة فى اطراف سراى وسواحل نهر ايدل اليمنى واليسرى واما بعد انقراض دولة سراى فقد قال ابو الغازى خان ذكر الملوك من نسل توقايتيمر فى صحراء قزاق چنكزخان ولده جوجى ولده توقايتيمر ابنه اوز تيمر (٢) ابنه ساربچه ابنه كونجك ابنه توقل خواجه ابنه باداقل ابنه اوروس خان ابنه قويرچق خان ابنه براق خان ابنه ابو سعيد ولقبه جانى بيك خان وكان له تسعة اولاد على هذا الترتيب

٣ ٢ ١

ايرانجى . محمود . قاسمكه . وهو الذى هارب محمد خان الشيبانى وصار باعثا على استشهاده. ثم

٥ ٤

اينيك. جانيش.

٩ ٨ ٧ ٦

فنبر. تنبش . اوسك . جاوك . اه ولم يذكر شيئا من احوالهم وقال الفاضل المرجانى ان احمد خان وابا سعيد جانى بيك خان ابنى براق خان هربا مع اتباعهما من صولة ابى الخير خان الشيبانى الى مغلستان والتجأ الى ايسان بوغا خان الجغطائى المغلى وبعد وفاة ابى الخير خان عادا الى وطنهما فى حدود سنة ٧٧٣ وملكوا اراضى قزاق (٣) واستقروا فى الجهة الشرقية منها

---

(١) ابن ايسان بوغا خان ابن دوى چچن بن براق خان ابن يسونتو بن موتوكن بن چغطاى بن چنكزخان وكان هؤلاء استولوا على كاشغر وباركند ومغلستان بعد مدة من فوت چغطاى خان ولهذا يقال لهم خوانين مغل قيل ان اول من اسلم منهم توغلق تيمر وقصة اسلامه مذكورة فى شجرة الترك مع ان براق خان كأن قد اسلم وتخصيص كون محمود خان من خوانين قزاق لكونه معلوما ومصرحا به والا فالظاهر ان اجداده المذكورين ايضا حكموا فى تلك الناحية وتصرفوا فيها ايضا كما تصرفوا فى كاشغر ومغلستان. منه عفى عنه.

(٢) سقط هنا عن النسخ المطبوعة فى پطربورغ بين اوزتيمر وخواجه هذه الالفاظ ابنه ساريچه ابنه كونجك ابنه توقل مع انها مذكورة فى تلك الصحيفة نصها عند بيان خوانين قريم وهكذا نقلها الفاضل المرجانى عن شجرة الترك . منه عفى عنه .

(٣) مع ان دولة سراى لم تنقرض فى تلك المدة بل كانت ايام سلطنة السيد احمد خان كما لا يخفى فمراده بقزاقستان الجهة الشرقية منها لاغير منه عفى عنه .

على حالة البداوة الرحلة والنزول وتركو الحكومة على اولادهم واول من استقل منهم بالحكومة وصار ملكا اعظم احمد خان الشهير بكداى خان ثم ابنه برندق خان ملك بعد ابيه وكان يقيم بسرايچق وكان ايرانچى وقاسم ويادبك (١) ابناء ابى سعيد جانبيك خان مطيعين ومنقادين له تقليدا لرسم ابيهم جانبيك خان قال وفى حدود ٩١٥ سنة حاصر برندق خان قلعة صبران وكان الحاكم بها الامير محمود اخو محمد خان الشيبانى فسلمه (٢) اهل صبران الى برندق خان فارتحل برندق من صبران وحاصر اترار وكان بها محمد خان الشيبانى فاعانه يعنى محمدا الشيبانى محمود خان ابن يونس خان المغلى المار ذكره قريبا فرجع عنها برندق خان بالضرورة بعد مصالحته محمدا الشيبانى وحاصر سيونجك (٣) خان ايضا فى سنة ٩١٨ بتاشكند وبعد وفاة ادبك خان فى سنة ٩١٩ واستولى اخوه قاسم على الملك وغلبه بقى بيد برندق خان من الخانية مجرد الاسم فقط واخرج فى الآخر من المملكة ومات غريبا بسمرقند رحمه الله تعالى. ثم قاسم خان ابن ابى سعيد جانبيك خان وبعد وقعة برندق خان انتقل الملك الى اولاد ابى سعيد جانبيك خان الى ان انتزعه عنهم الروس وكان قاسم خان منداءا الى الهمة وصاحب المروة عاقلا حسن التدبير سخيا جوادا عظيم الشوكة ملك كافة دشت القفچق (بربة قزاق) حتى قيل ان احدا لم يضبط تلك البلاد بعد جوجى خان مثل ضبطه حتى ان محمد خان الشيبانى كان عاجزا عن مقابلته ومدافعته مع عظيم شوكته ودولته وقوته حتى ان سبب انهزامه من عسكر شاه اسمعيل الصفوى واستشهاده من ايديهم كان خوفه من قاسم خان وهجومه على ما وراء النهر توفى قاسم خان ٩٣٠ سنة بسرايچق

(١) هكذا فى نسخة المستفاد وقد مر عن شجرة الترك جاوك بالجيم والواو وسيذكره الفاضل المرجانى بعد اسطر بعنوان اديك والله سبحانه اعلم ان ايا منها خطاء وايا منها صحيح منه عفى عنه .

(٢) هكذا يقول هنا وقال بعد اوراق عند بيان محمد خان الشيبانى انه هرب الى اخيه محمد خان الشيبانى لحاصرهما برندق خان فى اترار منه عفى عنه.

(٣) هكذا ذكرهنا والمشهور انه سونج خان بن ابى الخير خان من روضة ابنة الميرزا الغ بك كما مر نقلا عن روضة الصفا منه عفى عنه.

ثم سرد الفاضل المرجانی اسامی من كان خوانين بعده على الترتيب كانه اشار بذلك الى قول الشاعر شعر: ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولئك الايام * او الى قول الشاعر شعر: هم الرجال وعيب ان يقال لمن * لم يتصف بمعاني وصفهم رجل *

وعلى كل حال نحن نسردها ايضا كسرده محيلا العهدة عليه لعدم مأخذ سوى اثره بايدينا قال ثم ابنه حق نظر خان . ثم اخوه ماش خان . ثم ابن عمه طاهر خان ابن باديك خان وقد طرأ الضعف على دولة القزاق فى عصره بسبب غلبة طائفة منعت وهو وان سافر الى مغلستان واستمد بخوانينهم ولكنه لم يحصل له منه نتيجة ثم ابنه سلاش خان ثم عمه توغم خان بقى اتباعه فى حدود سنة ٩٤٠ ٢٠٬٠٠٠ شخص فقط ثم اخوه بوبداش خان سافر الى مغلستان وجمع منها ٣٠٠٠ نفر فقط بغاية الجهد وقتل اثناء مقاتلته درويش خان(١) ابن براق خان ثم عمه شغاى خان كان شجيعا ومظفرا توفى فى حدود سنة ٩٨٨ ودفن فى كمش كند ثم ابنه توكل خان انتصر على عسكر عبد الله خان الاوزبكى البخارى واستولى على سمرقند واكثر بلاد ما وراء النهر وحاصر پير محمد خان الاوزبكى ببخارى بعد وفاة عبد الله خان وابنه عبد المؤمن خان ثم عاد الى وطنه مجروحا وتوفى فيها فى حدود سنة ١٠٠٧ ثم اخوه ايشم خان قتل فى حدود سنة ١٠٥٠ تورسون خان التاشكندى واستولى على ملكه ثم ابنه جهانكير خان الاول استولى على كافة بلاد قزاق ثم ابنه توكى خان بلغ بلاد قزاق فى عصره اقصى الغايات يعنى من الشوكة والقوة وقسمها الى ثلاثة اقسام وسمى كل قسم باسم بوز (يعنى الوجه كما يقال فى مصر الآن الوجه القبلى والوجه البحرى وربما يقال لكل منها اوردو وقد حرفه الافرنج الى خوردو والمتفرنجون تابعون لهم بالطبع) ونصب فى كل بوز منها حاكما من اتباعه. نصب فى الوغ يوز التى هى الجهة الشرقية من بلاد قزاق تولاى وفى اورته

---

(١) بقاء اولاد براق خان الصلبية الى التاريخ المذكور من اعجب العجاب وتسربيان تاريخ قتله بيد الوغ محمد خان ولكنى كتبت كما رأيت محيلا العهدة اليه كما شرطت مع التنبيه هنا فى الهامش والناقد بصير . منه عفى عنه .

بوز التى هى القطعة الوسطى منها فوزى بك وفى كچى بوز التى هى الجهة الغربية والمتاخمة لبلاد الروس ابتاك بك وتوفى فى سنة ١١٠٩ وبعد وفاته تفرقت القزاق وانقسمت وصار فى كل برز منها خانا مستقلا يحكم انفسه وصاروا بذلك بحيث يسع كل قسم منها فم النسر حتى ابناءه واحدا بعد واحد بحيث لم يبق منهم طائفة مستقلة بحكم انفسها الآن قبيلة كبر ايت من الوغ بوز باقية بنوع استقلال تحت حماية حكومة الصين كما سنذكرها بعد انشاء الله قال ثم تولاخان كان موجودا فى حدود سنة ١١٨٠ ثم اختلطت المسئلة بعد ذلك لعدم المأخذ والحاصل ان اعطاء المعلومات مترتبة منتظمة من غير ان يترك منها شىء من جملة المستحيلات فان بلاد قزاق لم يبق بعد طاهر الخان المار ذكره الى عصر توكى خان تحت تصرف خان واحد بلا شبهة بل انقسمت الى اقسام شتى ومعرفة خوانين كل قسم منها واحوالهم من المتنعات لفقدان المرجع والمأخذ الذى عليه مدار البيان والاخبار فلا فائدة فى التكلف فى معرفة ذلك وانما نبين بعد ذلك احوال من اطلعنا على احواله منهم واشهرهم بعد ذلك هو ابو الخير خان الثانى التوقاتيمرى لا الشيبانى وهو ابن آيرش بن آچه (١) بن آيچواق بن بولاكاى بن اوسكر بن ابى سعيد جانبيك خان المار ذكره وهو اول من دخل تحت حماية الروس من خوانين قزاق وذلك انه طلب ان يدخل تحت حماية الروس من القائد بوطورلين الروسى المقيم ببلدة اوفا بواسطة آلدار رئيس طائفة باشقرد فى سنة ١٧٣٠ م مطابقة سنة ١١٤٢ ﻫ او التى بعدها فارسل الرئيس المذكور آلدار ورفيقه تايماس سفيرين الى ابى الخير خان المذكور من طرف حكومة الروسية فى السنة الثانية وقد انضم المرزا قطاغ محمد التوكيلى ترجمانا الى الهيئة السفارة المذكورة فقدم ابو الخير خان فى تلك السنين الى قلعة اورو وبايع الروسية واكد تبعيته باليمين ممسكا المصحف الشريف بيده (٢) وبعد ذلك هجم مع عسكره على مملكة خوارزم

---

(١) وفى المستفاد قدم آچه على آيرش منه عفى عنه .

(٢) وطائفة ميسيونير الملاعين يقولون ان قزاق ليسوا بمسلمين فان مع قولهم فلاى شىء امسك المصحف منه عفى عنه .

وجلس على تختها وبعد مضى خمسة ايام منه سمع بمجيء القائد طاهر خان ابن رستم خان بجيش نادرشاه الشهير فترك التخت وهرب عملا بقول من نجى برأسه فقد ربح وكانت هذه الوقعة فى حدود ١١٥٢ سنة توفى ابو الخير خان فى سنة ١١٦١ ﻫ اه من الآثار . وقد ذكر المستر شيللر فى رحلته التركستانية الاسباب التى اضطرت ابا الخيرخان الى دخوله تحت حماية الروس وهى فقدان الامن فى بلاد قزاق بسبب الاختلال فيها بواسطة هجوم قالموق من جهة الغرب والجنوب وهجوم خانغاريا (١) من جهة الشرق وبعض قبائل قزاق من جهة الشمال قال فلما ضويق عليه من هذه الجهات الثلاث اضطر الى قبول حماية الروس بارسال السفراء الى بطر الاول امپراطور الروس فى سنة ١٧٣٠ م مع كونه منفورا غاية النفرة عند كافة اهل الاسلام ولكنه لم يستفد منه شيئا بل صار باعثا على نفرة رعاياه منه وهجرتهم الى جهة الشرق فلو انه التزم حسن الادارة وحسن التدبير مع شجاعته الجبلية وجلب بذلك محبة رعاياه لما كانت شبهة فى استيلائه على كافة ممالك قزاق الى حدود الصين وطرده الروسية من قطعة آسيا ولكن سوء تدبيره وسوء ادارته واخلاقه صارت باعثة على ارتكاب هذا الامر الشنيع المتنفر لدى كافة المسلمين مع عدم استفادته منه شيئا اه منتخبا قلت قد مر مرارا عدم كفاية الشجاعة وحدها وكون المدار كله على الرأى السديد والتدبير الصحيح وحسن الادارة وعدم رأى الاتراك وتدبيرهم وادارتهم فى نسبة شجاعتهم والا لما وصلنا الى هذا الحد ولكن الامر بيد الله يفعل ما يشاء ينبغى ان يعلم ان ابا الخير خان هذا كان فى الاصل من خوانين كچى يوز الا انه استولى على اورته يوز والوغ يوز ايضا فى وقت ما وخلف سنة اولاد وهم نورعلى . ويارعلى . واحمد . وآيچواق . وعادل . وچنكز . ومن مشاهير خوانينهم آبلاى خان ابن وهو مشهور فى بلاد قزاق ولكنى لم اطلع على احواله وقد ذكر فى الآثار انه قبل تبعية الروسية فى سنة ١٧٣٩ م مصادفة سنة ١١٥٢ ﻫ وتوفى فى سنة ١٧٨١ م مطابقة سنة ١١٩٥ ﻫ

---

(١) هكذا فى الاصل المنقول عنه ولم ادر من مراده والظاهر انهم قرغز وعلى كل حال فهو اخو منغرية منه عفى عنه

فهو اذا معاصرلابى الخيرخان الثانى المار ذكره آنفا ولعله بعض من كان يحاربه والله سبحانه اعلم . ولى خان ابن آبلاى خان المذكور ملك بعد فوت أبيه وقدم الى بلدة اوفا فى سنة ١٧٨٢ م وسنة ١١٩٦ ه واجرى فيها مراسم اجلاسه فى مسند الخانية بتصديق يكاترينا الثانية اياها رسمابكمال الطنطنة والدبدبة وقداجتمع فى بلدة اوفا مالا يحصى من امراء قزاق ومأمورى الروسية وقد قرأ ولى خان الفاظ اليمين جهرا بعد تلقينه الآخون اياها وقبل المصحف الشريف ووضعه على رأسه تعظيما وتكريما والذى يفهم من بعض المجاميع ان خانيته لم تطل بل توفى فى شبابته اه من الآثار قلت ولعل العائلة الوليخانية الموجودة الآن منسوبة اليه (١) نورعلى خان ابن ابى الخير خان الثانى المار ذكره آنفا سلم من طرف طائفة قزاق الى الروسية فى حدود سنة ١٧٦٢ م وسنة ١١٧٥ ه على جهة الرهن فاقام ببلدة اورنبورغ ثم ببلدة اوفا مدة ثم خلى سبيله ثم صار خانا على بعض قبائل قزاق يعنى فى كچى بوز وهجم فى تلك الاثناء على اوركاچ وقتل القائد طاهر خان ابن رستم خان نائب نادرشاه بها الذى كان ابوه ابو الخير هرب منه كما مر ثم جلب فى سنة ١٢٠٤ ه الى بلدة اوفاثانيا وتوفى بها فى سنة ١٢٠٥ ه وقبره هناك فى موضع يقال له اسكى اوفابقرب معامل الآجور ثم بنى عليه فى هذه الايام بناء من حجر وحفر فى حواليه خندق وذلك بهمة خان زاده احمد سلطان ابن جهانكير خان البوكابى ثم جلس بعده فى مسند الخانية ولده ايشم خان. ثم اخو ايشم آيچواق خان. ثم جانتوره بن آيچواق خان ثم اخوه شير غازى بن آيچواق خان بعضهم وراء بعض ولكن كانت خانيتهم عبارة عن الاسم المجرد فقط وكانت الادارة كلها بيد الروسية (نعم الامر لمن بجر) وكان وفاة ايشم خان فى

(١) او هى منسوبة الى وليخان ابن نورعلى خان واخو بوكاى خان الآتى ذكره والظاهر هو هذا منه عفى عنه

(٢) وليس هذا ابو الغازى خان المشهور صاحب التاريخ منه عفى عنه .

سنة ١٢١٢ وكان شبرغازى خان حيا فى سنة ١٢٤٠ ولم يعلم تاريخ وفاته وذكر فى موضع آخر من الآثار نقلا عن بعض آثار جمعية الآثار القديمة ان الامبراطورة يكاترينا الثانية امرت والى سمبر واوفا الجنرال پاروتچيك ايوان وارفولوميچ اليقوبى بارسال الفرامان اليه فى سنة ١٧٨٢ ببناء المساجد فى الحدود الكائنة بولايتى اوفا وطبول (يعنى الفاصلة بين مملكتى الروس وقزاق فى ذلك العصر) وكرر الامر المذكور بارسال الفرامان الى والى سمبر واوفا الجنرال پاروتچيك اكيم ابو انيچ آپوختين فى مايس من سنة ١٧٨٣ فبنيت لذلك اربعة مساجد واحد فى پتر پاول و واحد فى طرويسكى وواحد فى ويرخنوى اورالسكى وواحد فى اورنبورغ (١) وكان سبب بناء مسجد ميناوناى (سوق المعارضة) باورنبورغ دتومجى نور على خان الذى كان خانا بكچى بوز اه والظاهر ان المراد بمجيئه هو مجيئه ثانيا ثم بوكاى خان ابن نورعلى خان المذكور جلس فى مسند الخانية بكچى بوز فى سنة ١٢٢٦ وصدقت خانيته من طرف الدولة الروسية وتوفى فى سنة ١٢٣٨ وهو الذى ينسب اليه بوكاى ايلى الى الآن يعنى مملكة بوكاى ثم حاز اسم الخانية بعده اخوه ولى خان اه من الآثار وقد ذكر الفاضل المرجانى اسامى اشخاص شتى حيث قال بعد ذكره نور على خان واخيه ايشم خان ثم شماكه خان كان موجودا فى حدود سنة ١١٤٨ ابو المحمد خان ابن فولاد خان ابن توكى خان ثم آى خواجه خان ابن ابى المحمد خان كان موجودا فى حدود سنة ١٢٠٤ واما فى كچى يوز فغائب نظر خان ابن كروسلطان ابن صردق سلطان ابن ايشم خان ابن شغاى خان كان اولا خانا باوركانج مدة ثم كان فى بعض طوائف كچى بوز ثم ابنه بهادر خان كذلك فى بعض طوائف كچى بوز ثم ابنه غائب خان نصبه نادر شاه خانا بخوارزم وبقى هنالك الى سنة ١١٧١ ثم ابنه ابو الغازى (١) خان فى بعض

---

(١) والظاهر ان هذه المساجد كانت فى ميناوناى (سوق المعاوضة) منه

قبائل كوى بوز ثم ابنه اورن غازى خان ثم نور على خان ابن ابى الخير خان الخ. جهانكيرخان ابن بوكاى خان ابن نور على خان ابن ابى الخير خان كان حين وفاة ابيه بوكاى خان ابن ١٢ سنة فصار عمه شغاى خان ابن نور على خان مدبر امره ولما بلغ عمره عشرين ٢٠ سنة فى سنة ١٨٣٣ م . صادفة سنة ١٢٤٩ ه فى صفر فوض منصب الخانية من طرف دولة الروسية الى عهدته ومنح اليه من طرف الدولة المشار اليها رتبة الجنرال ماجور على عادتهم قال الفاضل المرجانى فى حقه كان ديناصالحاسخيا محبا للعلماء والفضلاء صاحب المروة فاعلا للخيرات والحاصل ان شهرته باقية الى الآن واوصافه الجميلة مذكورة فى الالسنة وقد صدر عنه فى نشر العلم والمعارف بين قومه مالم يصدر عن غيره عشره وكانت زوجته فاطمة خانم بنت المفتى محمدجان بن الحسين المار ذكره وقاضيه القاضى آخون جابر بن حماد القزانى الاسپاسى الچاللوى وكان مختلطا بالمفتى المذكور وبالشيخ الكبير نعمة الله افندى الاسترلى باشى وقد اجتمع على بابه العلماء والفضلاء من الاطراف والجوانب بسبب سخاوته وتواضعه وحسن اخلاقه والتفاته اليهم وكانت زوجته المذكورة عاقلة دينة صالحة مدبرة ذات حمية ملية وغيرة دينية فباجتماع هذه الاسباب صدر عنه فى نشر العلم والمعارف ماكان اسلافه عنه غافلون بالكلية وقد كان يعين الائمة فى المواضع المحتاجة اليهم بالمناشير وكانه كان تبعا لصهره المفتى محمدجان وبتلقينه اياه وكان يحمل عليهم مع خدمة الامامة خدمات اخرى دينية وملية وها كم نعريب نسخة من فرامينه فى هذا الباب من طرف العالى الجاه والعالى الجناب جهانكير بن بوكاى منشور وفرمان اعطى لملا اوزبزباى بن توره باى من قبيلة تانا (١) وطائفة بس صارى بموجب طلب اكابر الطائفة المذكورة للامامة لهم بواسطة المضبطة المصدقة بعلائمهم متفقين على ذلك فقبلت طلبهم المذكور بعد ان جرى تجربته وامتحانه عند قاضى المملكة المقيم بحضورى الآخون القاضى طرخان جابر بن حماد وتحقيق لياقته بها واعطيته فرمانى الواضح مآله فعليك

---

(١) هكذا فى الاصل المنقول عنه والظاهر انه تابابالميم. منه عفى عنه.

بعد الحصول على هذا الفرامان ان تشرع فى اجراء الامور المتعلقة بشريعتنا المحمدية وملتنا الاحمدية المفصلة فيما بعد كماينبغى اولا بناء المساجد والمدارس فيما بين تلك الطائفة المذكورة وان تجتمعوا على ميئات القرى وتؤدوا الجمع والاعياد فيها وتعلموا الاطفال الصغار وتحملوهم على اداء الصلوات الخمس وصيام رمضان المفروضة على ذممهم بعد تعليمهم احكامها وثانيا تعليم الجهال والعوام احكام الايمان والاسلام وتسمية المواليد باسماء حسنة ذات معانى مستحسنة واجراء ختانهم وانكحتهم واداء صلاة الجنازة على امواتهم ودفنهم وثالثا اجراء (١) عقد النكاح فى حضوركم بان تأمروا العاقدين بالتكلم بالفاظ العقد والاقرار به فى حضور الشاهدين العدلين بعد قبض اموال المهر فى مجلس العقد وتشهدوا على ذلك ورابعا ان تمنعوا عن ملاقاة الزوجين فى الخلوة على ما هو العادة القديمة وخامسا رعاية انقضاء عدة المتوفى عنهن ازواجهن بكمال الدقة حتى لا يقع النكاح قبل انقضاء مدة العدة وسادسا تخيير المتوفى عنهن ازواجهن بعد انقضاء عدتهن فى النكاح وعدم اجبارهن عليه بان تطلبوا والديهن واخوتهن وتطلبوا منها الرضاء والاذن فى النكاح وسابعا قسمة التركات برعاية اصحاب الفرائض والعصبات حسب علمكم وان تستفتوا من اولى العلم فيما لم تعلموه وثامنا ان تنبهوا الاغنياء الذين بلغ اموالهم النصاب على ان تعطوا زكواتهم اللازمة على مصارفها وتحرضوهم على ذلك وتاسعا وعظ العوام كبارهم وصغارهم ونصحهم وتعليمهم النظام السلطانى والقواعد الملكية وترغيبهم فى طاعة اولى الامر وعاشرا لا يكون فى طائفتكم من قومنا وقوم الروس لصوص وسراق وانا اكتب الى الامراء والحكام المدبرين لامور العامة ليعينوكم فى اجراء الامور المفوضة اليكم واداتها كماينبغى وانتم كذلك مأمورون باعلام معاملاتكم الجارية فى كل سنة بواسطة الكتابة والتحرير وانا الخان جهانگير بن بوكاى وضعت ختمى تصديقا لمضمون هذا الفرامان وانا القاضى آلاخون

(١) كل هذه الاوامر لجرى طائفة القزاق على خلافها والاسف ان هذه البدع وخلاف الشريعة لم ترتفع الى الآن منه عفى عنه.

في حضور الخان طرخان جابر بن حماد وضعت ختمي بعد تجربتي هذا الامام في ٢٥ برج دلو من سنة ١٨٤٢ م مصادفة سنة ١٢٥٧ ه نمرة ٦٠ وقد طبع كتاب مختصر الوقاية والمحمدية اول مرة في قزان بتصحيح المرزا محمد علي ابن المرزا محمد كاظم بك الدربندي اياهما وكان طبع المختصر في سنة ١٢٦٠ قال المصحح المشار اليه في ظهره والزمني طبعهما وتصنيفهما (١) بعد تنقيحهما الا وهو المخدوم المعظم والمطاع المكرم المحترم صاحب المروة والسخاوة وجالب الفتوة والشهامة ظهير العلماء وذخير العرفاء غصن شجرة جكنزية وفرع اصل جوجية (كذا) اعني به العالي بالشان والسني بالجاه والمكان جهانگير خان ابن بوكاي خان لازالت شمس اقباله لامعة ما دامت اعلام اعوامه رافعة ايام حياته قائمة فقبلت اشارته سمعا وطاعة امكان وفاته (٢) في شعبان سنة ١٢٦١ في موضع بقال لبورسار وحمل الى خان اورداسي الذي هو كرسي سلطنته ودفن به كان عمره اذ ذاك ٤٢ سنة فتكون مدة حكومته ٢٢ سنة فلو عاش عمرا طويلا لعمر مملكته واصلحها اصلاحا جيدا ولكن ماذا ينفع لو وليت الامر كله لله رحمه الله تعالى رحمة واسعة رروح روحه ونور ضريحه وجعل الجنة مثواه آمين وبموته انقرضت الخانية من آل چنكز وجوجي بل على الاطلاق من هذه الجهة اعني كچي بوز والذي جاء بعده وان اطلق عليهم اسم الخان وعدوا من الخوانين رسما الا انه لم يكن في ايديهم شيء منها سوى الاسم المجرد وكان مقر

(١) وكلما ارى امثال هذه العبارات الركيكة وامتيازصاحبها بالسعادة يظهر لي صدق قول شيخي واستاذي الشيخ آخون جان رحمه الله تعالى في حقي من ان فلان كان ينبغي ان يجيء الى الدنيا قبل هذا بخمسين سنة واتمنى ذلك ولكن اذا تفكرت في قول الشاعر **شعر**:

لا تطلبن بالة لك رفعة * قلم البليغ بغير جد مغزل

سكن السماء كان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا اعزل

وقول الشاعر ايضا **شعر** خلت الفضائل بين الناس ترفعني * بالابتداء فكانت احد بف القسم. واري ادباري بسعادة الحكم بن الحكم في عصري واتذكر قول شاعر العجم **شعر**:

نقصتني اناس كان شوطهم * وراء خطوي اذا امشي على مهل

ارجع عن تمنيي المذكور الى قول شاعر آخر **بشعر** بجد لا بجد كل مجد وهل جد بلا جد بمجدي واطالعه على نحو حسب حالي منه عفي عنه

(٢) قال الفاضل المرجاني في سبب وفاته انه انتصد وله انام انفكت جبيرته وسال منه دم زائد ولم يمكن له منعه فتوفي من ذلك رحمه الله تعالى منه عفي عنه

سلطنته وسلطنة آبائه من مدة مجهولة بموضع يقال له الى الآن خان اورداسي وهو بين سراي وسرايچق وخلف من زوجته المار ذكرها اعني فاطمة خانم بنت المفتي محمد جان اربعة اولاد ذكور وبنتين اولاده الاول صاحب كراي حاز عنوان الخانية في رجب سنة ١٢٦٣ وتوفي في سنة ١٢٦٥ بعد سنتين من خانيته والظاهر انه لم يتزوج ولم يبق له نسب والثاني ابراهيم حاز عنوان الخانية في اوائل سنة ١٢٦٩ واقام ببلدة اورنبورغ وتوفي شابا ولم يعقب والثالث احمد قرأ في بعض مكاتب الروس ببطربورغ وحاز بعض رتب روسية وتشرف بالحج مع اخيه عبيدالله الآتي ذكره باعانة دولة الروسية وله اولاد والرابع عبيدالله قرأ في مكاتب الروس وخدم الروسية واحرز رتبة الجنرال والآن مقيم ببطربورغ مستعف عن الخدمة بنتاه خديجة خانم توفيت في عصمة المرزا سيد كراي بن شاهين كراي التوكلي وله منها بنتان واهما اولاد كثيرة . زليخة توفيت في عصمة المرزا سيد سلطان ابن جانتوره من امراء قزاق وولد له منها ولد يسمى المرزا سليم كراي وله اولاد فعلم من ذلك ان اعقاب جهانكير خان عليه الرحمة انتشرت من ولده الامير احمد وبنتيه خديجة وزليخا اه من الآثار والمستفاد ومن خوانينهم المتأخرين المشهورين كينه صاري خان ابن قاسم بن آبلاي (١) خان كان خانا في طرف تركستان ويتي صو وماوالاها وكان له وقايع ومحاربات مع طائفة قرغز الساكنين في آلاطاغ فاسر اخوه نوروز باي في بعض تلك الوقايع من طرف قرغز فقتلوه وقتلوا ايضا كينه صاري معه فانه وان امكنه الهرب والتخلص من الاسر والموت ولكنه لم يهرب ورأى الهرب بترك اخيه اسيرا عارا وشنارا فقتل وقد كان لنوروز باي هذا وقايع مع جان قبول بن تولكان الجباسي ثم الدوسنباري حيث جاء الى قراه لجمع زكوات المواشي وهو غائب فتعرضوا على نسائهم فلما سمعه جان قبول رجع وهجم عليهم مع اتباعه وهزمهم بعد ان قتل

---

(١) هكذا رأيت وسمعت ولا ادري هل هو كذلك في نفس الامر بينوماو ساقط منه عفي عنه

منهم تسعين نفرا وقد كانوا يذكرون ذلك فى اشعار (١) هم الملية خصوصا
وقت نديهم جان قبول المذكور وانشاء المراثى له بعد موته ولا ادرى ان
ابنه صارى خان هل وقع له حرب مع الروسية ام لا (٢) واما اولاده صديق
توره وطايچق توره وجعفر توره فقد حاربوها اما طايچق توره فقد
استشهد وقت استيلاء الروس الى بلدة تركستان فى سنة ١٨٦٣ واما
جعفر توره فقد وقع اسيرا بيد الروسية حين محاربتهم فى طرف آقمولا وهو
وقتئذ ابن عشرين سنة وجرى له وقايع من طرفهم حتى نفوه الى سيبريا ثم
خلوا سبيله فرجع الى بلاده بعد عشرين سنة من مفارقتها وقد رأيته فى وطنه
باطراف قصبة چمكند مرارا واما صديق توره فقد حارب الروسية فى
تركستان ثم فى چمكند ثم فى تاشكند ثم فى سمرقند مع حاكمها عبد الملك
توره ابن مظفر خان البخارى ثم انصرفا منها الى خوارزم وحارب فيها الروس
ايضا ثم لما استولى عليها الروس ذهب منها الى كاشغر من فوق بدخشان
وكان هناك فى خدمة يعقوب خان عليه الرحمة ولما توفى المشار اليه واستولى
الصين على كاشغر رجع الى وطنه الاصلى والآن مقيم هناك اسمع انه لم يقبل
وظيفة من الروس ولم يتيسر لى رؤيته فانه رجع بعد سفرى من تلك البلاد
واما اخوهم الاصغر احمد توره فقد رأيته مرارا فى وطنه ولم يقع له

---

(١) حتى قال بطل قرغز قارى بوز وقعته التى قتل فيه هذا الرجز القزاقى رحز:

كچى يوزكا صيا آلماى * تاسداب قاچتنك پرنكدى
تولكان اوغلى جانقا بيل * توقسان كسنكمى اولتوروب
بيتاو صويب تيرنكدى الخ

وهذا جان قبول توفى فى بادية اوريل حين توجهه الى مكة المكرمة سنة ١٨٧٣
وكنت بقيت فى بيته معلما لاحفاده غفر الله ورحمه منه عفى عنه .

(٢) وجواب نوروز باى على قارى بوز بطل قرغز هذا بقوله .

يانسى ايتاسك قاربوز * قونوستى اورس آلغان صوك
كاينه كم كوچكان پريشان * باورى صووب سول يادده
قراچى بولغاره ايامان الخ

يدل على انه كان له وقايع مع الروس كما لا يخفى وهذا وقول قاربوز كچى يوزكه
صيا آلماى تاستاب قاچتك ابلنكدى صريح فى انه كان اولا فى كچى يوز وحدود
الروسيه ثم تحول الى جهة الشرق والويوز منه عفى عنه .

محاربة الروسية لانه كان صغيرا وقرأ فى مكاتب الروس وتعلم اللغة والكتابة الروسيتين وصار ترجمانا فى محكمة قصبة چمكند وكان ذا خلق حسن متواضعا محبا لاهل الفضل واشترى منى جميع كتبى حين سافرت من تلك البلاد الى الحجاز ثم رأيته فى قزان سنة ١٣٠٠ حين رجوعه من پطربورغ وقد سافرهناك مدعوا عند جلوس الامپراطور الكساندر الثالث واخبرنى بتزويج احدى بناته من بنى توره ابن اسفنديار توره وكان المذكور اقام عندى مدة حين كنت معلما هناك فى مسجد واحد من المشايخ وقرأ على بعض الدروس وبعد عوده من سفر پطربورغ لم يلبث الاقليلا حتى توفى الى رحمة الله غفر الله له وجعل الجنة مثواه ولم استحضر سنة وفاته وهذا غاية ما استحضره الآن من احوال خوانين قزاق وبعد انقراض الخوانين اعطت الحكومة الروسية لاولادهم واحفادهم وذرياتهم منصبا سمته پراويتل بمعنى الحاكم ودام ذلك مدة من الزمان ثم الغته وبعد ذلك صارت تعطى من قرأ منهم فى المكاتب الروسية وظائف مناسبة لحال كل منهم فى معرفة قوانين الروسية مع ملاحظة ديانتهم وصلابتهم فيها وعدمهما ولاتزال جارية على هذا الاصل وتجتهد فى نشر كتابة الروسية ولغتها ومعارفها واخلاقها وعاداتها ولاتقصر فى ذلك ولاتفوت الفرصة فيه حسب الامكان وتتشبث فى ذلك باذيال انواع الحيل والدسائس والوسائل وتريد تنصرهم معاذ الله عن آخرهم فى اقرب الاوقات وقد مر منا مرارا ان الروس تدعون كون بعض قبائل الترك على النصرانية قبل ظهور انوار الاسلام وان قصدهم بتلك الدعوى جر قبائل قزاق الى النصرانية محتجين بانهم كانوا اولا عليها ثم تركوها ولا يبالى عن التصريح به فى موارده ويستدلون على ذلك بوجود بعض عادات واخلاق فيهم مخالفة للشريعة وقد مر فى المقدمة انهم اسلموا فى بداية نشر الاسلام بطوعهم واختيارهم تارة عشرة آلاف خركاه وتارة ثلاثون الفا نقلا عن ابن الاثير وقال فى الصحيفة ١٧٦ من المجلد ٨ وفيها يعنى فى ٣٤٩ سنة اسلم من الاتراك نحو مائتى الف خركاه اه ومن يكون هؤلاء

سوى قبائل الترك الساكنين فى تلك البرية بالخركاه الذين عرض لهم لقب قزاق قريبا من هذا العصر كما مر الا ان الروس لا تلتفت الى امثال ذلك لسكره من صهباء التعصب وتصر فى دعواها واحكموا دعوامم المذكورة بانفصال القزاق عن المحكمة الشرعية المحمدية الاورنبورغية المار ذكرها فى حدود سنة ١٨٦٨ وقولهم انا نكتفى بالزنك معناه العرف والعادة يعنون انا نحكم فيما بيننا بالعرف والعادة دون الشريعة فسمت الروسية دينهم بعد ذلك برانكسكى ۋيرتعنى دين العرف والعادة وسمتهم اهل الزنك مع انهم اعنى الروسية هم الذين اغووا طائفة قزاق بالانفصال عن المحكمة المذكورة بقولهم لا ينبغى لكم اتباع نوغاى (تتار) بل اللازم عليكم ان تستقلوا بانفسكم وهو اللايق بشرفكم و فى اتباعكم اياهم عار عليكم ومذلة فاغترت طواغية قزاق بذلك لاتصافهم بالحمية الجاهلية وجهلهم بدسائس الروسية فوقعوا فيما وقعوا بعضهم بلا شعور وبعضهم بالشعور وهم كبارهم ورؤساؤهم حيث اخذوا فى مقابلة ذلك رتبا ونياشين وثمنا قليلا فبعد ذلك منعتهم عن اتخاذ المعلمين من التتار منعا باتا حتى صارت تكتب فى ورقة اذنهم بالتجارة فى بعض النواحى اشتراط عدم الخروج فيما بين قزاق بالتجارة وذلك بعد ان صار بعض معلمى التتار فيهم يقتنى عنده بعض اموال التجارة لينخلص بها عن تبعة المسؤلية والمجازاة وهذا المنع باق الى الآن الا ان القزاق لم يلتفتوا اليه قط بل لا يزالون يتخذون لهم المعلمين من التتار بحيث لا يخلوا قرية من قراهم من معلم تتارى ولكن يا للاسف على انه لا تحصل النتيجة المطلوبة من اتخاذهم بعلمين وذلك لقصور فى الطرفين اما قصور القزاق فلاستخدامهم المعلمين فى الخدمة البيتية ولاسيما فى خدمة الضيوف واما قصور المعلمين فلعدم اجتهادهم وسعيهم وغيرتهم فى التعليم ونشر العلم وهم اعنى قبائل قزاق وان ترفعوا عن حضيض جهالتهم السابقة ترفعا جيدا وكثرت فيما بينهم العلماء والمشايخ من جنسهم ولكن يا للاسف على انه لا تحصل لهم الرغبة فى العلم والتعليم ونشر العلم وذلك لقلة حرمة العلم والعلماء فيهم وعدم تعظيمهم واحترامهم اياهم حتى ان الحكومة امرتهم باتخاذ امام صاحب

منشور فى كل وولوص (الناحية المشتملة على الف بيت على الاقل) الا ان
هذا الامام لااعتبار لديهم قط ولا يلتفتون اليه اصلا ولا يبنون له مكتبا
ولا يقومون بتربيته مع ان فيهم من له قدرة على التدريس من الدروس الكبار
ولهذا سمعت الآن معلما ثقة قال يقول اولاد القزاق اى فائدة فى تعلم القراءة
الاسلامية فان كانت فيه فائدة ما لما صرت انت الى هذه الحالة وحب الرياسة
غالب فيهم غاية الغلبة حتى ان جاهم بل كلهم يلتزمون اضلال ملتهم واغواءهم
لاجل حيازة الرياسة وقد حكى لى كثير من ثقتهم ان الحكومة اعطت لكل رئيس
منهم صندوقا مختوما يقال ان فيها صلبا للنشر على القزاق فى الوقت المناسب
لذلك وحكى لى واحد من معلمى التتار فيهم ان اسمعيل وولوص (الرئيس)
فى بش توبه قال له ان لديه صندوقا من الصلب مأمور بتفريقها بين القزاق
الا انه لا يفعل ذلك بمقتضى ديانته ولذلك اعنى لغلبة حب الرياسة فيهم
ينكبون فى القراءة بالروسية وبموجب قاعدة تقليد المغلوب الغالب فى
جميع شؤنه لاعتقاده الكمال فيه صاروا يقلدونهم فى جميع شؤنهم حتى فى ترك
الديانة وفساد الاعتقاد وفشا فيهم ذلك كما فشا فى نوابغ التتار حتى يوجد
فيهم من ينكر الحشر والنشر بل وجود خالق العالم واعانهم على ذلك
دخولهم فى مكاتب الروس التى لا تقرأ فيها الديانة الاسلامية قط قبل معرفة
العقائد الاسلامية والديانة المحمدية مع وجود مكاتب روسية تقرأ فيها
العلوم الاسلامية ايضا وذلك هربا منها لاعتقادهم عدم الفائدة فيها وكونها
مضيعة للاوقات نعوذ بالله من اعتقاد السوء الجار الى الهلاك والبوار
وقد حكى لى الآن ثقة ان اينسبكتور بالعامبايف القزاقى بناحية قوستاناى
التابعة لولاية تورغاى قال ينبغى ان تكون ائمة النواحى عالمين بكتابة
الروسية ولغتها علما جيدا ونحن مأمورون بتفتيش ذلك فمن كان
علمه بهما اكثر ننصبه اماما وان كان فى علم الدين اجهل من الحمار وقد اعلن
ديانته للعالم اجمع فى الجمعية المنعقدة الآن فى پطربورغ تحت رياسة
ناظر المعارف كما مر بيان الماجريات فيها قريبا وهذا هو دأب رؤسائهم

ومعاملاتهم فكيف بالفكرة ولما لامه بعض الفضلاء في اورنبورغ بسبب ما
قال في تلك الجمعية قال ماذا اقول غير هذا فاني آ كل منهم فان قلت ما لا يلايمهم
لمنعوا عني هذا الخبز والحاصل ان الكبراء والرؤساء هم الذين يمنعون
الضعفاء من كل خير في كل عصر وفي كل ملة كما قال تعالى وكذلك
جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها الآية وقال تعالى حكاية عن الضعفاء ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقال تعالى وما ارسلنا في قريه من
نبي الاقال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون الى غير ذلك من الآيات على
ان الحق سبحانه يبتليهم بانواع العذاب في الدنيا كما قال تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يشعرون وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واملي لهم ان
كيدي متين وقد ابتلي من طائفة قزاق ابراهيم القنچقي الذي كان ابنسبكتورا
في تورغاي وبيكمحمد بن فاريق القنچقي الذي كان رئيسا (وولوص)
مقويا لمسائس الروس حيث رماهما الله تعالى في آخر عمرهما بالجنون
فربطوا ايديهما وارجلهما بالحبال وربطوهما في الجدار فصار يضربان
بانفسهما على الارض والجدار الى ان ماتا بهذه الكيفية المدهشة الشنيعة
باقبح موت ومن لم يصدق فليسأل من اهلهما فانهم موجودون الآن ولعذاب
الآخرة اشد واشق واخزى واكبر ومع مشاهدة هذه الاحوال بل الاهوال
لا يعتبر الضلال الجهال وسيبتليهم الله باشد النكال واما اراضيهم فلم تبق
منها في ايديهم الا القليل فان الحكومة اعطت احسن اراضيهم عوام الروس
وفلاحهم فتحولوا اليها وانشأوا فيها مدنا كثيرة وقرى غير متناهية
كسواحل نهري اورال وايلاك في جهة اورنبورغ وسواحل نهر توغزاق
وايت وطوبل وكثير من الغدران الكبيرة في جهة طرويسكي وسواحل
نهر آريس وبادام وغيرهما في جهة تركستان وتاشكند وغير ذلك مما
يطول تعيينها وتعدادها في جهة طوقمق وپيش كند واوليا آتا والماتي اعني
الناحية التي تسمى بني صو ومهد الترك ومنشأوهم وكذلك اطراف آق
مولا وسيمي پولاط واومسكي ولا تزال تقطع اراضيهم وتنزعها عن ايديهم وتنشئ
فيها قرى روسية وتضيق عليهم الى الآن ليكثر اختلاطهم بالروس ويتركوا

حالتهم الاولى من الرحلة والنزول ويقيمون فى موضع واحد حتى يسهل اجراء مانوى اجراؤه فى حقهم ويتركوا اخلاقهم وعاداتهم ويتخلقوا باخلاق الروس ويتعودوا بعاداتهم واكثر البلاد التى بنيت فى تلك النواحى لاتأذن الحكومة ببناء المساجد فيها لتتار قزان وان بلغت نفوسهم الحد الذى يساعد نظامها لبناء المسجد اذا بلغته الا بكلفة ومشقة كثيرة وذلك خوفا من استحكام اسلامية طائفة قزاق باختلاطهم بهم وتعلمهم فى مدارسهم وقد عرفت منع خروج التتار الى اراضيهم ولو بالتجارة فى بعض النواحى وعرفت ايضا منع القراءة بلغة من سواهم فى النظام الجديد وخلاصة الكلام ان الروس معتقدة بادخال طائفه قزاق الى النصرانية ولو بعد حين وانها ناوية باجراء الاكراه والاضطهاد الذى كانت اجرته اولا فى اراضى قزان وباشقرد فلو لا حرب ياپونيا وغلبتها الروسية لكانت الاحوال فى تلك البلاد وخيمة جدا كما قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا الآية وليس هذا افتراء وبهتانا للروسية ولا ظنا وتخمينا ووهما فقط بل كثير من كبراء الروس مقرون بذلك حيث يقولون لنا عليكم بالدعاء لياپونيا ايها الكينازيان فانه لولا حرب ياپونيا وغلبتها الروسية انفرقعت تلك الادوات الجهنمية على رؤسكم فان الحكومة قد فرقت الاسلحة على كافة القضايا والنواحى ولم يبق الا تفريقها على عوام الروسية وفلاحها وتسليطهم عليكم بالامر بالهجوم هذا هو كلام كبراء الروس وعقلائهم ومنصفيهم وليس هو كلاما مخترعا من عند انفسنا كما ان كل ما كتبته فى بيان دسائسهم مأخوذ من كتبهم ورسائلهم كما بينا فى مواضعه فلا ذنب اذا فى كتابتها اترى ان هؤلاء الكبراء العقلاء منهم يكذبون ويفترون على حكومتهم وينفرون المسلمين منها حاشا وكلا وهذا الذى كتبنا فى بيان معاملاتهم ونواياهم فى شأن قزاق هو الظاهر المكشوف الذى لا مجال لانكاره يعرفه كل احد واما الخفايا من نواياهم فهى اطم واعظم ولكنها لا تخفى من جميع الوجوه بل يظهر منها

شئ احيانا من حيث لايشعرون به ولذلك اخذت القزاق ايضا فى الهجرة الى البلاد الاسلامية ومن القزاق قبائل كثيرة فى ممالك بخارى وخوارزم وآفغان والصين مما يلى الروسية ومعايش هؤلاء على غاية من الراحة من جهة دينهم ودنياهم ولا سيما القبائل التابعة للصين واكثرهم كيرايت فان حكومة الصين قد تركتهم وانفسهم يفعلون مايشاؤن فلهم حكام وولاة وقضاة وائمة ومفتيون ومدرسون من انفسهم ومن تتار قزان يبنون مساجدهم ومدارسهم اين شاؤا وكيف شاؤا وينصبون الائمة والقضاة والمفتيين والمدرسين من اى جنس وصنف شاؤا سواء كانوا قزانيين وبخاريين ويقرؤن اولادهم كيف شاؤا واى فن شاؤا الا تتداخل فيها حكومة الصين بوجه من الوجوه بل لاتأخذ منهم المؤنات الميرية وانما تكتفى منهم بمجرد اسم التبعية فهم مستقلون بحكم انفسهم فى الحقيقة وهذه القطعة واطراف غولجه وكاشغر هى مهاجر قزاق ان ارادوا الهجرة ولا بد منوا ان دامت هذه الاحوال ولم تتغير الى طرف الخير بل هى مهاجر القزانيين ايضا وقد كان لهذه القبائل شيخ كبير عظيم الشان المسمى بالشيخ عبد المؤمن ايشان وكان له نفوذ تام فى تلك الناحية اكثر من نفوذ الامراء والسلاطين فى رعاياهم وكان يجرى فيها احكام الشريعة كما تجرى فى بلاد الاسلام بل اكثر وكان على مرتبة عظيمة ومكان عال من الاستقامة والكشوف والاحوال وقد توفى فى آغستوس عام ١٣٢٠ فقام مقامه فى الارشاد واجراء احكام الاسلام احد احفاده المسمى بمحمد على وفقه الله سبحانه لاجراء احكام الشريعة واجراها فيها وفى كافة اقطار الدنيا الى يوم القيامة بموجب وعده الكريم بحرمة حبيبه الاكرم صلى الله عليه وسلم والحاصل ان طائفة قزاق ترقوا فى هذه السنين الاخيرة ترقيا ظاهرا من جهة العلم والمعارف والديانة وقد كثر فيهم المكاتب والمدارس والمساجد بالنسبة الى السنين الاولى وكثر فيهم العلما والمشايخ وانتشر شعائر الدين من اقامة الصلوات الخمس بالجماعات

واقامة الجمع والاعياد واتحاد المعلمين لاقراء اولادهم علوم الدين على وجه لا يخلو قرية من قراهم من معلم فى فصل الصيف وهؤلاء المعلمون يتعيشون بما حصل لهم منهم ويحصلون العلم فى فصل الشتاء فى المدارس الكبار وسخاوتهم واكرامهم الضيوف باقية الى الآن كما قدمنا فى المقدمة وقد تأيد ما اثبتناه هناك بما حرره جريدة الوقت الغرا نقلا عن اللواء الغرا نقلا عن كتاب مادام اوبن المحررة الشهيرة وما كم تعريب بعض جملها ان الاخلاق الحسنة فى المسلمين الباقية لهم ميراثا من اسلافهم موجبة للعبرة اضطررت مرة ان اسيح فى البرارى من غير زاد فلم اسلم فيها درويشا من الدراويش الارد على سلامى واضافنى بحيث كان يذبح لى غنما بمجرد دخولى فى بيته فاذا كيف يليق ان يطلق لامثال هؤلاء وحوشا وبرابر(١) وفى الحقيقة هؤلاء اكثر مرحمة واوفر مدنية من ارباب المليون من الافرنج الذين لا يبذلون حبة لمن فى اطرافهم من الفقراء والدراويش لا يبقى احد جائعا فيما بين المسلمين واما ارباب المليون منا فهم جائعون بانفسهم امام عيوننا الى آخر ما ذكرته وجه تأييده ان هذه الحالات موجودة فيما بين طائفة قزاق باحسن الوجوه فانهم لا يكتفون باضافة المسافر فقط اذا كان من اهل الفضل او من اهل الحرمين بل يعطونه شاة او فرسا او جملا او غيرها على مقدار فضل المسافر عنده وعلى مقدار ثروة المضيف والذين يحصلون فى مكاتب الروسية منهم كثيرون واكثرهم فى غاية من الاستقامة والديانة والحمية والغيرة الدينية مثل الجناب المحترم القراطائى وجهانشاه توره سيدالين وغيرهما وقد كثر فيهم اصحاب الافكار الجديدة مثل الحافظ الحاج الملا عبد الرحمن افندى ابن الملا مرتضى الآرغونى

(١) وقد كتبت فى المقدمة ان لا وجه فى عد طائفة قزاق من الوحوش وممن لا مدنية لهم فراجع هناك والحمد لله على ان صدق قولى بقول محررة شهيرة من جنسهم . منه عفى عنه .

النورغايى سلمه الله تعالى وكثر امثاله آمين وليكن هذا آخر ماقصدته من التلفيق والتلقيح وقد فرغت من اصلاحه يوم الاحد العاشر من شوال عام ١٣٢٥ المصادف ٤ نويابر (التشرين الثانى) عام ١٩٠٧ وقت الضحى فى بلدة من بلاد الروسية وكان شروعى فيه عام ١٣١٠ ه مصادف عام ١٨٩٢ م والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين .

تم طبع الكتاب بعون الله الملك الوهاب
فى ٢١ جمادى الاخيرة عام ١٣٢٥
والحمد لله رب العالمين .



تصحيح الاغلاط المطبعية التى فى بعض النسخ

خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر
والسطان	والسلطان	١٧	١٠	نصلا	فضلا	٨٢	٦
لمسك	المسك	١٩	٢٤	مغينه	مغنيه	٨٥	٢٨
وامم	وامم	٢١	٩	اى فزان	الى فزان	٩١	٥
معه لى	معه فى	٢٤	١٨	وولعا	وولغا	،،	٩
غيرفى مم	فى غيرهم	٢٥	٩	مهمته	مهمة	،،	١٠
ربعة	اربعة	،،	٢٥	لمذكور	المذكور	٩٥	١٤
اهنالك	هنالك	،،	٢٦	خف اليمين	لاخف اليمين	،،	١٩
خواتين	خوانين	٢٨	٢٢	ولادمان	والادمان	٩٧	٣
من لكرامات	من الكرامات	٣٠	٨	بالخشيش	بالحشيش	،،	٤
لنميم	لتنميم	٣٢	٩	التقنت	التفنت	١٠٤	٨
المعاصرات	المعاضرات	٣٨	٢٢	وقزان لى	وفزان الى	١٠٦	٢٠
لدمشقى	الدمشقى	٤٩	٩	منغ	منه	١٠٧	١٣
فاستوطتوا	فاستوطنوا	٥١	١٧	سابت	صلبت	١١١	٢١
لعقب	العقب	٥٢	٧	اباءة	اباءه	١١٣	١٨
الكى	الكلى	،،	١٣	ولاحترام	والاحترام	١١٥	١
لم يمض	ولم يمض	٥٤	١٧	بين الغير	بين العير	١١٧	٣
ضرارا	اضرارا	٦١	٢٦	لاراضى	الاراضى	١١٩	٢٠
بك	بكه	٦٤	٢١	تنفيل	تنفيذ	١٢٠	٢٤
المزاد	المراد	،،	٢٣	جاء الخبر	جاءه الخبر	١٢٩	٢٠
هذا لخبر	هذا الخبر	٦٧	١٤	جهة لفزان	جهة الفزان	١٣٠	١٧
وروجبته	وزوجتيه	،،	١٨	الى الما	الى الماء	١٣٢	٤
غشوها	غشوها	٧١	١١	فى و ٢٩	وفى ٢٩	١٣٥	١١
ولما بلم	ولما بلغ	،،	٢١	وبطامهم	وخيامهم	١٤٠	٢
اذا راد	اذا اراد	٧٥	١٥	لابيض	الابيض	١٤١	١٥
والمصادفاة	والمصافاة	٨٠	١٠	يجبرون	يجرون	،،	٢٠
وعفر	وغفر	٨١	١٧	من لوانع	من الوقايع	،،	٢٤

خطا	صواب	صفحة	سطر
ؤلاء	هؤلاء	١٤٤	٨
يمكن	فيمكن	١٥٠	٢٨
وابا ايها	ويا ايها	١٥٢	١
ننتصف	ننتصف	١٥٥	٢
فامتحنت	فامتحنت	"	٢٠
الترفى	الترقى	١٦٦	٢٦
روعبنده	روغبنده	١٧١	١٦
روعبنده	روغبنده	١٧٢	٧
تشببهما	تشبيها	١٧٧	٢٤
فان أظن	فان الظن	١٩٠	٢١
المسمون	المسلمون	١٩٤	٥
وحربها	وخربها	١٩٩	٢٤
لم يقلدوا	لم يقلدوا	٢٠١	٢
هزى	هنرى	٢٠٢	١٠
وقتنلوا	وقتلوا	٢٠٣	١٠
شرف نهر	شرقى نهر	٢٠٤	١٦
ولمذلة	والمذلة	٢٠٥	٧
بمنع الجواس	بمنع الجواسيس	٢٠٨	٢٢
لى نواحى	الى نواحى	"	"
آراضيهم	اراضيهم	٢١٥	٥
بكا بسة	بكا بسته	٢٣١	١
يـكاتـر	بكاترينا	"	٣
يـكا بسة	بكا بسته	"	١١
المتى	المفتى	"	"
يقراؤن	يقرأون	٢٤١	١٤
لمقام الافتا	لمقام الافتاء	٢٤٢	٧

خطا	صواب	صفحة	سطر
رمنه الحزكة	رمنه الحركة	٢٤٨	٩
٦٠	٦٠ فى	٢٥٢	٢٤
ملقلب سلمى	لقلب مسلمى	٢٥٤	٩
امل لمحلة	امل المحلة	٢٥٧	٤
الاديان جنبية	الاديان الاجنبية	"	١١
ومنـاسبها	ومناسبا	"	١٣
لمعرفة اباما	المعرفته اباما	"	١٦
مشهرد	مشهور	٢٥٨	٢٠
هر ينفر التتار	ينفر التتار	٢٦٤	١٢
هف لا يكون	هذا لايكون	٢٦٥	٣
بلادهم	فى بلادهم	"	٢٤
ما ررعه	ما زرعه	٢٦٦	١٨
رفع لحجاب	رفع الحجاب	٢٦٨	٥
ويعلمون به	ويعملون به	٢٧٧	١٦
مالمثو	مالمز	٢٧٩	١٩
من جمع القرى	من جميع القرى	٢٨٣	١
لتلدوبرماكته	لتلدوبرماكنة	٢٩١	٢٣
هذا لخبر	هذا الخبر	٢٩٧	١٥
عريضة غيره	عريضته غيره	٣٠١	٢١
واجبر وهم لى	واجبر وهم الى	٣٢١	١
سوآ	سوآء	"	١٤
ارادو ان	ارادوا ان	٣٢٤	٢١
شاوا	شاؤا	"	٢٣
ولا افسببهم	والا فسببهم	٣٣٠	٢٠
العلماوالعلما	العلماء والعلماء	٣٣٢	١
مسجد آخر	مسجدا آخر	٣٣٣	١

خطا	صواب	صفحة	سطر
دسائهم	دسائسهم	٣٣٣	١٧
وخامة عاقبتة	وخامة عاقبته	،،	٢٣
استلاء الروس	استيلاء الروس	٣٣٤	٦
وليبكوف	ولببكوف	٣٤٢	١٤
استنشاطو	استنشاطوا	،،	٢٤
لى سنين	الى سنين	٣٤٣	١٥
القابيلة	القابلية	٣٤٥	١٣
استحفيته	اسقفية	،،	١٨
النمارى	النصارى		
الشؤن	الشئون	٣٥٣	٢١
الاذى	الاأذى	٣٥٤	٢٥
هولاء	هؤلاء	٣٦٠	٣
ليستفيثو	ليستغيثوا	٣٦١	١٨
من الخزنية	من الخزينة	٣٦٣	١٦
وكيفية الجديدة	وكيفية الجديدة	٣٧٧	٤
لجديدة	الجديدة	،،	١٢
اوتو الكتاب	اوتوا الكتاب	٣٧٨	٦
هذ الشى	هذا الشىء	،،	٢٦
السفاه	السفهاء	٣٧٩	٥
برآه	برءآه	،،	٧
الشريفيين	الشريفين	،،	١٢
من طلبته	من طلبة	،،	١٤
ووقوع شبه	ووقوع شبهة	٣٨٠	٢٥
فيها قاسم	فيها ان قاسم	٣٨١	٩
البته	النيه	،،	٢٠
لاسراءاهم	لاسراة لهم	٣٨٣	١
العلماء السافلين	العلماء السالفين	،،	٣
ازمجو الحكومة	ازعجوا الحكومة	٣٨٤	٩
المفترد	المفرد	٣٨٥	١٨
اهذا الفرض	لهذا الغرض	٣٨٦	١٨
تعاشهم	معاشهم	٣٨٨	١٩
املها	اقلها	٣٩٢	١٣
الى مكتب	اى مكاتب	،،	٢٤
يفنون	يغنون	٣٩٣	٩
واجتمعوا العلماء	وجمعوا العلماء	،،	١٥
رضوا	رضوا اولم يرضوا	٣٩٥	٣
عموما الروسية	عموما والروسية	٤٠٠	١٢
معاشبهم	معايشهم	،،	١٩
كل مسجد مكتب	كل مسجد	٤٠٢	٢
طلبه التتار	طلبة التتار	٤٠٣	٧
الرابة	المرابة	٤٠٤	٨
و١٨٦٩،	و١٥٦٩،	٤٠٥	٥
ان ولاية	ان قزان ولاية	٤٠٧	٣
حاربو	حاربوا	،،	١٩
فاعلم اى	فاعلم انى	٤٠٨	٦
التذكار	للتذكار	،،	١٩
اوقبره	وقبره	٤١٠	١٨
قصبته عادش	قصبة عادش	،،	١٩
عبدالرحمن	عبدالرحمن بن	،،	٢٠
قصبته زوه	قصبة زوه	٤١١	٧
لسراجية	للسراجية	،،	١٨
للقارفالى	القارفالى	،،	٢١

خطا	صواب	صفحة	سطر
بن بیکهوار	بن بیکهورا	٤١٢	٢٢
بن عادلشا	بن عادلشاه	،،	٢٦
محمد بن	محمد بن علی	٤١٣	١٧
بین الغث	بین الغث	،،	٢٣
بول ابن	بول الابل	،،	٢٦
بهاجملة	بهامن جملة	٤١٤	٦
لكمة الجمعية	لحكمة الجمعية	٤١٥	٤
فی مستفاد	فی المستفاد	٤١٦	٢
قریة النی	قرینه النی	،،	١٥
یعتبسونها	یقتبسونها	٤١٧	٨
تألیف	وله تآلیف	٤١٨	٩
لاقوال	لاقول	،،	٢١
انهه	انهمه	٤١٩	٦
الذکمورة	المذکورة	،،	١٢
الآطی ذکره	الآتی ذکره	٤٢٠	٢١
فنرکا	فترکا	،،	٢٢
آطی المذکورة	المذکورة	،،	٢٥
الصفاته	صفاته	٤٢١	٢٠
مع طلبة	مع طلبته	٤٢٢	١٠
القاشبن	القارشین	،،	٢١
وقدذکره	وقدمر ذکر	،،	٢١
بانه استفاد	استفاد	،،	٢٢
المار ذکر	المار ذکره	٤٢٥	١
ومسائل	وسائل	،،	١٣
فی الاطراف	فی الاطراف و	٤٢٨	١١
الصلب	الصلیب	٤٣٤	١٦

خطا	صواب	صفحة	سطر
بخارك	بخاری	٤٣٦	٥
و المولد	وخلف ولدا	،،	١٣
الاثابت	بن ثابت	٤٣٨	٩
بن چکنی	الاچکنی		
فی قریة	فی قرینه	،،	٢٣
کثیر من	کثیرامن	٤٣٩	١٨
ولا بقصیرة	ولابالقصیرة	٤٤٦	١٢
نفع نسبه	نفی نسبه	،،	٢٠
طویممد	طویمحمد	٤٤٧	١٣
الملایقوب	الملایعقوب	،،	١٧
حدوکان	مدکان	٤٥٤	٢٢
غرضه	عرضة	٤٥٧	٢٣
من القلیل	من القبل	،،	٢٦
بقریة ناد	بقریة نادر	٤٥٩	١٨
قریة ناد	قریة نادر	،،	٢٤
لذلك	کذلك	٤٦٤	٢١
فی لوزن	فی الوزن	،،	٢٥
الست	است	٤٧٢	٢٥
کتا	کتاب	٤٧٤	٢٣
وردوه	وروده	٤٧٦	١٨
حقبنه	حقبنه	٤٧٧	١٨
المحدقین	المحدثین	٤٨٠	٢٦
١٢٦٨	١٣٠٣	٤٨٦	٦
قدرشارکه	قدشارکه	،،	١٠
الکرنم	الکریم	٤٨٨	٤
الاموار	الامور	٤٩٨	١٨

خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر
خوانكين	خوانين	٥٠٠	١٥	واسترلى	واستولى	،،	١٩
رمان	كرمان	،،	١٥	مصرخا	مصرحا	٥١٥	٢١
هذاالفقد	هذاالقدر	٥٠٢	١٣	نهزامه	انهزامه	٥١٦	١٩
ولد بركة	بركة	٥٠٤	٢٧	الصلبية	الصليبية	٥١٧	٢٤
اخة	اخت	٥٠٨	٣	المتفور	المنفور	٥١٩	١٥
واخفاه	واحفاده	،،	١٥	تأمرو	تأمروا	٥٢٣	٩
وسول	رسول	٥١٠	١	احريف	احسوف	٥٢٤	٢٣

تنبيهان

الاول ينبغى ان يقرأ الاسطر الثلاث بعدالجدول فى الصفحة ٤٠٦ هكذا : "وهذه الولايات من اولها الى نيژنى نووغورود كانت ممالك لمسلمين الاصلية كلا اوبعضا ومن طومسكى الى آخرها انتشرت فيها المسلمون بعد دخولهم تحت تصرف الروس الاولاية آمولا فانها كانت فى الاصل من ممالك المسلمين" . لما كان اصل النسخة هنا مشوشا وقع الخبط عندالطبع . **الثانى** ينبغى ان يقرأ بعد السطر الخامس من الصفحة ٤٠٨ هكذا : «على ما اعلن فى الجريدة الرسمية الصادرة فى ٢٣ مارت عام ١٩٠٥ العدد ٦٦ ان مجموع عدد المسلمين ١٣،٩٠٦،٩٧٢» وهذه الجملة ايضا كان ساقطا فى الاصل.



هذا رسم منارة مسجد بمدينة قزان باقية من عهد الخواقين
مشهورة عند الروسية بمنارة سيون بكا

Ramzi
Talfiq al-akhbar
wa-talfih
al-athar...